الكَامِلُ

فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ

أبو العبّاس المبرّد



الكامل
في
اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٨١٠
م ب ك أ

المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد، نحو ٨٢٦ - ٨٩٨.
الكامل فى اللغة والأدب/ لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم.- ط٣، جديدة. ـ القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٧.
٤ جزء ؛ ٢٤سم .
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
يشتمل على كشافات.
تدمك : ٥ - ٠٩٨٨ - ١٠ - ٩٧٧.
١ ـ اللغة العربية ـ مباحث عامة . الأدب العربى
٢ ـ الأدب العربى ـ مباحث عامة . أ ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق. ب ـ العنوان.

تصميم وإخراج فنى: محيى الشلودى

رقم الإيداع	٩٧ / ٤٦٠٠
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 -0988-5

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بيان

روجع هذا الكتاب على نسخة مخطوطة قيمة محفوظة بمكتبة الأُسكريال فى أسبانيا تحت رقم ٢٢١، كتبها لنفسه أحد العلماء، وهو علىّ بن عبد الله بن خلف بن محمد بن النعمة، سنة ٥١٢ هـ،وقد قوبلت على الأصل، وقرأها بعض العلماء على كاتبها المذكور.

وهذه النسخة مكتوبة بخط أندلسى مضبوط بالحركات، وبحواشيها تعليقات كثيرة، وتقع فى ١٧٢ ورقة، وفى كل صفحة ٢٧ سطرا، وبآخرها خرم يسير بين ورقتى ٤٥ و ٤٦.

وقد اعتبرت هذه النسخة أساسا للمراجعة، ورمز إليها بلفظ الأصل.

ثم قوبل أيضا على النسخة الأوربية التى حققها الأستاذ رايت وتم طبعها فى سنة ١٨٨١م، ورمز لها بالحرف «ر»، وأثبتت الزيادات التى فيها بالحاشية، كما قوبلت على النسخة التى طبعت بالآستانة سنة ١٢٨٦هـ، ورمز لها بالحرف «س».

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

أخبرنا(١) أبو عثمان سعيدُ بنُ جابر(٢) قال: حدثنا أبو الحسن عَلىُّ بنُ سليمانَ الأخفش(٣) قراءةً عليه قال: قرئَ لى هذا الكتاب على أبى العباس محمد ابن يزيد المُبَرّد:

الحمد لله حمدًا كثيراً يَبْلُغُ رضاه، ويوجب مَزيده، ويُجِيرُ به من سَخَطِه، وصلى الله على محمد خاتَمِ النبيين، ورسولِ رب العالمين، صلاة تامة زاكية، تُؤَدِّى حقه، وتُزْلِفُ(٤) عند ربه.

قال أبو العباس: هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشِعْرٍ مَرْصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خُطبة شريفة، ورسالة بليغة.

والنِّيَّة فيه أن نُفَسِّرَ كلّ ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مُسْتغْلق(٥)، وأن نشرح ما يَعْرِض فيه من الإعْراب شرحًا وافيًا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يُرْجَعَ إلى أحد فى تفسيره مستغنيًا، وبالله التوفيقُ والحول والقوة، وإليه مَفْزَعُنا فى دَرْك كل طَلِبَة، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِنْ عَمَلٍ بطاعته، وعَقدٍ يرضاه، وقول صادق يرفعه عملٌ صالح، إنه على كل شىء قدير.

---

(١) ر، س: «حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال أخبرنا أبو عثمان...». وأبو بكر محمد بن عمر هو المعروف بابن القوطية، كان إماما فى العربية، وصحب أبا على القالى وتلمذ له، وهو أحد رواة الكامل بالأندلس، توفى سنة ٣٦٧. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٣: ١٧٨).

(٢) هو سعيد بن جابر الكلاعى الأندلسى، توفى سنة ٣٢٦. (جذوة المقتبس ٢١٣) هـ.

(٣) هو على بن سليمان أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير، راوى كتاب الكامل وصاحب الحواشى التى فيه. سمع من المبرد وثعلب، توفى سنة ٣١٥. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢: ٢٧٦).

(٤) ر: «وتزلفه».

(٥) س: «منغلق».

باب

[وصف رسول الله للأنصار]

قال رسول الله ﷺ للأنصار[1] فى كلام جرَى: «إنكم لَتكْثُرون عنْد الْفَزَع، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع».

الفزَع في كـلام العرب على وجهـين: أحدهما ما تسـتعمله العـامة تريد به الذُّعْر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، من ذلك قول سَلامة بن جَنْدل:

كُنَّا إذَا مـا أَتانا صَـارِخٌ فَـزِعٌ   كَانَ الصُّـرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنابِيب

يقول: إذا أتانا مُـسْتَغيثٌ كانت إغـاثته الجِدّ فى نصرته، يقـال: قَرَعَ لذلك الأمر ظُنْبوبه إذا جدّ فيه ولم يَفْـترْ، ويُشْتقُّ من هذا المعنى أنه يقع «فَزِعَ» فى معنى «أغاث»، كما قال الكَلحَبَةُ اليَرْبوعيّ:

* * *

[2][قال أبو الحسن: الكلحبة لقبه، واسمه هُبَيْرَة، وهو من بنى عَرِين بن يَرْبوع، والنسب إليه عَرِينِيّ، وكثير من الناس يقول: عُرَنىّ ولا يَدْرِى، وعُرَيْنَة من اليَمنَ، قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع:

عَـرِينٌ مـن عُـرَيْنَةَ لَيْـسَ مِنَّا   بَرِئْتُ إلَى عُـرَيْنَةَ مِنْ عَـرِينِ][2]

* * *

فَـقلْتُ لكَأْسٍ أَلْجِمِـيهَـا فَإِنَّمَـا   حَلَلْتُ الكَثِيبَ من زَرُودَ لأفْزَعا[3]

يقول: لأُغِـيث. وكَاسٌ: اسم جـارية، وإنما أمرها بإلْجام فـرسه ليـغيث. والظُّنْبُوب: مُقَدَّمُ الساق.

---

(١) جمـاعة منهم، وهم بنو عـبد الأشهل، من ولد عـمرو بن مالك بن أوس. (وانظـر الفائق للزمخـشرى ٢: ٢٧٤).

(٢ - ٢) ما بين الرقمين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر.

(٣) زرود: موضع فى طريق الحاج من الكوفة. والكثيب: القطعة من الرمل، مستطيلة محدودة.

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأحَبِّكُمْ إلىَّ وأَقْرَبِكُمْ منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخلاَقًا، الْمُوطَئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ، أَلاَ أُخبِرُكُمْ بأَبْغَضِكُمْ إلىَّ وأَبْعَدِكُم منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ الثَّرْثارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ».

قوله ﷺ: «الموطئون أكنافا» مَثَل، وحقيقته أن التَّوْطِئَةَ هى التذليل والتمهيد، يقال: دابةٌ وَطِئٌ، يا فتى، وهو الذى لا يُحرِّك راكِبَهُ فى مَسِيره، وفِرَاش وَطِئٌ إذا كان وَثيرًا لا يُؤْذِى جَنْبَ النائم عليه، فأراد القائل بقوله: «مُوَطَّأ الأَكناف» أن ناحيته يتمكَّنُ فيها صاحبُها غيرَ مُؤْذًى، ولا نابٍ به موضعُه.

قال أبو العباس: حدثنى العباس بن الفَرَج الرِّيَاشىُّ قال: حدثنى الأصْمَعىُّ قال: قيل لأعرابىٍّ - وهو المُنْتَجِعُ بن نَبْهان(١) -: ما السَّمَيْدَعُ؟ فقال: السيِّد المُوَطَّأُ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: فى المَثَل: فلانٌ فى كنف فلان، كما يقال: فلان فى ظل فلان، وفى ذَرَى فلان، [وفى ناحية فلان،](٢)، وفى حَيِّز فلان.

وقوله ﷺ «الثرثارون» يعنى الذين يُكْثِرُون الكلام تكَلُّفًا وتَجاوُزًا، وخروجًا عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثَرْثارةٌ، وكان يقال لنهر بعينه: الثَّرْثارُ(٣)، وإنما سمى به لكثرة مائه، قال الأخْطَلُ: (٤)

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ ... عَلَى جانِبِ الثَّرْثَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قوله: «راغية البكر» أراد أن بَكْرَ ثمود رَغَا فيهم فأُهْلِكُوا، فضربته العرب مَثَلاً، وأكثرت فيه، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفحل:

رَغَا فوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ ... بِشِكَّتِهِ لمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ(٥)

---

(١) من طيئ؛ ذكره الزبيدى فى الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥.

(٢) تكملة من ر.

(٣) الثرثار: موضع عند تكريت.

(٤) زيادات ر: «واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل: الخنزير»، وكذلك فى س.

(٥) زيادات ر: «السقب: ولد الناقة، والشكة: ما يلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه».

[قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضا: الزالق]

وكذلك إذا لم تُضَعِّف الثاء فقلتَ: عينٌ ثَرَّةٌ: فإنما معناها غزيرة واسعة، قال عَنْتَرَةُ:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ(١)

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثَارَةِ، ولكنها فى معناها(٢).

وقوله ﷺ: «المتفيهقون» إنما هو بمنزلة قوله: «الثرثارون» توكيد له، ومُتَفَيْهِق مُتَفَيْعِل، من قولهم: فَهِقَ الغَديرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مَزِيد، كما قال الأعشى:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ رَهْطِ الـمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِىِّ تَفْهَقُ

كَذا يُنْشِدُه أهلُ البَصرة، وتأويله عندهم أن العراقىَّ إذا تَمَكَّنَ من الماء ملأ جَابِيَتَه لأنه حَضَرِىّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّه.

قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنْشِد ـ [قال أبو الحسن هى أمُّ الهَيْثَمِ الكلابيَّةُ من ولد المحلَّق، وهى راوية أهل الكوفة] ـ: «كجابية السَّيْحِ» تريد النهر الذى يجرى على جابيته، فماؤها لا ينقطع؛ لأن النهر يَمُدُّهُ. ومثل قول البصريين فيما ذَكَرُوا به «العراقِىَّ الشيخ» قولُ الشاعر ـ [قال أبو الحسن هو ذو الرُّمّة] ـ :

لَهَا ذَنَبٌ ضَافٍ وذِفْرَى أَسِيلَةَ وَخَدٌّ كمِرْآةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ(٣)

يقول: إن الغريبة لا ناصحَ لها فى وجهها، لبعدها عن أهلها، فمِرْآتُها أبدًا مَجْلوَّة، لفرْط حاجتها إليها.

---

(١) قال فى اللسان: «الحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز، أو أرض مرتفعة». وفى رواية التبريزى (شرح المعلقات ١٠٨): «كل قرارة كالدرهم».

(٢) س، وحواشي ر: «ويجب أن يكون من الثرة ثرارة».

(٣) ديوانه ٨٨. والذفرى: الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن. وفى الديوان: «لها أذن حشر». والأذن الحشر: المحددة.

وتصديقُ ما فسَّرناه من قول رسول الله ﷺ أنه يريد الصدقَ في المَنْطق والقصدَ، وتركَ ما لا يُحْتاجُ إليه، قوله لجرير بن عبد الله البَجَلِيِّ: «ياجَرِيرُ، إذا قلتَ فأَوْجِز، وإذا بَلَغْتَ حاجتَك فلا تتكَلَّف».

[كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف]

قال أبو العباس: ومما يؤْثَرُ من حكيم الأخبار، وبارع الآداب، ما حُدِّثْنا به عن عبد الرحمن بن عَوْف، وهو أنه قال: دخلت يوما على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علَّته التي مات فيها، فقلت له: أراك بارئًا يا خليفةَ رسول الله، فقال: أما إنِّي على ذلك لَشَدِيدُ الوَجَعِ، ولَـمَا لَقِيتُ منكُمْ يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ وَجَعِي. إنِّي وَلَّيْتُ أُموركم خيرَكم في نفسي، فكلُّكم وَرِمَ أَنْفُهُ أن يكون له الأمر من دونه، والله لَتَتَّخِذُنَّ نَضَائِدَ الدِّيبَاجِ، وسُتُورَ الحرير، ولَتَأْلَمُنَّ النَّوْمَ على الصُّوف الأَذْرَبِيِّ كما يَأْلَمُ أحدُكم النوم على حسَك السَّعْدان، والذي نفسي بيده لأَن يُقَدَّمَ أَحدُكم فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ في غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ غَمَرات الدُّنيا. يا هاديَ الطَّريق جُرْتَ، إنما هو والله الفَجْرُ، أو البَجْرُ. فقلتُ: خَفِّضْ عليك يا خليفةَ رسول الله، فإن هذا يَهِيضُكَ إلى ما بك، فوالله مازلْتَ صَالِحًا مُصْلِحًا، لاَ تَأْسَ على شيء فاتك من أمر الدنيا، ولقد تَخَلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيرًا.

قوله: «نضائد الديباج» واحدتها نَضِيدَةٌ، وهي الوسادة وما يُنْضَدُ من المتاع، قال الراجز:

وَقَرَّبَتْ خُدَّامُهَا الوَسَائِدَا حَتَّى إذَا مَا عَلَّوا النَّضَائِدا
سَبَّحْتُ رَبِّي قَائِمًا وَقَاعِدا

وقد تسمي العرب جماعة ذلك النَّضَدَ، والمعنى واحد، إنما هو ما نُضِدَ في البيت من متاع، قال النابغة:

* وَرَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[1] *

---

(1) ديوانه ٢٤، وصدره:

* خَلَّتْ سبيل أتيٍّ كان يحبسه *

ويقال: نَضَدْتُ المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض، فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى: ﴿لها طَلْعٌ نَضيدٌ﴾(١)، وقال: ﴿فى سِدْرٍ مَخضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾(٢)، ويقال: نَضَدْتُ اللَّبِنَ على الميّت.

وقوله: «على الصوف الأذربىّ»، فهذا منسوب إلى أذْرَبِيجانَ، وكذلك تقول العرب، قال الشَّمَّاخ:

تَذَكَّرْتُهَا وَهْنًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا ... قُرَى أَذرَبِيجانَ الَمسَالِحِ والجالِ(٣)

وقوله: «على حَسَكِ السَّعْدانِ»، فالسَّعدان نَبْتٌ كثير الْحَسك تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد فى غيره، فمن أمثال العرب: «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان» تفضيلاً له، قال النابغة:

الْوَاهِب الْمِائةَ الأبْكَارَ زَيَّنَها ... سَعْدَانُ تُوَضِحَ فى أوبارها اللِّبَدُ(٤)

ويرْوَى فى بعض الحديث «أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ على حَسكِ السَّعْدان»، والله أعلم بذلك.

* * *

[قال أبو الحسن: السَّعْدان: نبت كثير الشوك ـ كما ذكر أبو العباس ـ ولا سَاقَ له، إنما هو مُنْفَرِشٌ على وجه الأرض. حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشَّيْبانىّ عن ابن الأعرابىّ، قال: قيل لرجل من أهل البادية ـ وخرج عنها ـ: أترجع إلى البادية؟ فقال: أمَّا مادام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِيًا فلا. يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبدًا، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدًا.

(١) سورة ق ١٠.

(٢) سورة الواقعة ٢٩، ٣٠.

(٣) المسالح: مواضع المخافة، والجال، ضبطت فى الأصل بالفتحة والكسرة، وكذلك فى إحدى النسخ التى قابل بها «ريط» نسخته. وقال المرصفى: «الجال: اسم لجماعة الخيل والإبل، أضاف أذربيجان إليهما إشعارا بأنها مملوءة بهما». وانظر ديوان الشماخ ١١٧، ومعجم البلدان ١: ١٥٩، واللسان (سلح)، وتاج العروس (ذرب)، والمعرب للجواليقى ٣٦.

(٤) توضح: من قرى اليمامة.

وقال أبو على البَصير - واسمه الفَضْل بن جعفر، وإن لم يكن بحجة، ولكنه أجاد فذكَرْنا شِعْرَهُ هذا لِجَوْدته لا للاحتجاج به - يمدح عُبَيْدَ الله بن يحيى ابن خاقان وآلَه فقال:

يا وُزَراءَ السلطان ... أنتم وآلُ خاقانْ

كبَعْضِ ما رَوَيْنا ... فى سالفات الأزمانْ

ماءٌ ولا كَصُدَّى ... مَرْعًى ولا كالسَّعْدانْ

وهذه الأمثال ثلاثة، منها قولهم: «مَرْعًى ولا كالسَّعدان»، و«فَتًى ولا كمَالك»، و«ماء ولا كَصُدَّى»، تُضْرَبُ هذه الأمثال للشىء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أفضلُ منه، كقولهم: «ما من طامَّةٍ إلا فوقها طامَّةٌ»، أى ما من داهية إلا وفوقها داهيةٌ، ويقال: طَما الماءُ وطَمَّ إذا ارتفع وزاد.

ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نُوَيْرَة، أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة.

وصَدَّاء يُمَدُّ، وبعضهم يقول: صُدَّى، فيضم أوله ويَقْصُرُ، فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد، فإنه قال: لم أسمع من أصحابنا إلا صَدْءَاء يَا فتى، وهو اسم لماء، معرفةٌ، وهما همزتان بينهما ألف، والألِف لا تكون إلا ساكنة، كأنك قلت: صَدْعاع يا هذا](١).

* * *

وقوله: «إنما هو والله الفجر أو الْبَجْرُ» يقول: إن انتظرتَ حتى يُضىء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَك، وإن خَبَطْتَ الظَّلْماءَ، وركبتَ العَشْواء هَجَمَا بك على المكروه. وضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا، وتَحييرها أهلَها.

وقوله: «يَهيضُكَ» مأخوذ من قولهم: هِيضَ الْعَظْم إذا جُبِرَ ثم أصابه شىء يُعْنِته فآذاه فكسره ثانية، أولم يكْسِرْهُ، وأكثر ما يستعمل فى كَسْرِه ثانيةً، ويقال: عظم مَهِيضٌ، وَجَناح مهيضٌ فى هذا المعنَى، ثم يشتق لغير ذلك، وأصله ما ذكرت لك، فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد بن الْمُهَلَّب

(١) ما بين العلامتين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر، س.

سجْنه وَهَرَبَ، فكتب إليه: لَوْ عَلمْتُ أَنَّكَ تَبْقَى مَا فعلْتُ، ولَكنَّكَ مَسْمُومٌ، ولَم أَكُنْ لأَضَعَ يَدِى فى يَدِ ابن عاتكة[١]. فقال عمر: اللَّهُمَّ إنَّهُ قَدْ هَاضَنِى فَهِضْهُ. فهذا معناه.

وقوله: «فكلّكم ورِمَ أنفُهُ»، يقول: امتلأ من ذلك غَضَبًا، وذكر أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافع، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

* ولا يُهاجُ إذا ما أنفُهُ وَرِمَا *

أى لاَ يكَلَّمُ عند الغضب، ويقال للمائل برأسه كِبْرًا: مُتَشَاوِس، وثَانى عطْفه، وثانى جيده، إنما هذا كله من الْكِبْرِياء. قال الله عز وجل: ﴿**ثانى عطفه ليُضلَّ عن سبيل الله**﴾[٢]، وقال الشَّماخُ[٣]:

نُبِّئْتُ أَنَّ رُبَيْعًا أَنْ رَعَى إبلاً   يُهْدِى إلَىَّ خَنَاهُ ثَانِىَ الجِيدِ

وقوله: «أراك بارئًا ياخليفة رسول الله»[٤] يكون من بَرِئْتُ من المرض وبَرَأْتُ، كلاهما يقال: فمن قال بَرِئتُ يقول: أَبْرَأُ[٥] يافتى لا غير، ومن قال: بَرَأْتُ قال فى المضارع: أَبْرَأُ وَأَبْرُؤُ، يافتى، مثْلَ فَرَغَ ويَفْرُغُ. والآية تُقْرَأ على وجهين: ﴿**سَنَفْرُغُ لَكَمْ أَيُّها الثَّقَلَانِ**[٦]﴾، و﴿**سَنَفْرَغُ**﴾، والمصدر فيهما «البُرء» يا فتى.

[عهد أبى بكر بالخلافة إلى عمر]

ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفةُ محمد رسول الله ﷺ، عند آخر عَهْده بالدنيا، وأول عَهْده بالآخرة، فى الحال التى يُؤْمنُ فيها الكافر، ويَتَّقِى فيها الفَاجر. إنى استعملتُ عليكم عمرَ بنَ الخطاب، فإن بَرَّ وعَدَلَ

---

(١) زيادات ر: «هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه».

(٢) سورة الحج ٩.

(٣) زيادات ر: «يهجو الربيع بن علياء السلمى».

(٤) ر ، س: «يا خليفة رسول الله ﷺ».

(٥) ر ، س: «قال».

(٦) الرحمن ٣١.

فذلك علْمى به، ورأيـى فيه، وإن جار وبـدَّلَ فلا علْمَ لى بالغيب، والخيرَ أرَدْتُ، ولكُلِّ امْرِئٍ مَا اكتَسَبَ، وسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبُون.

نصبَ «أىّ» بقـوله «ينْقلبون» ولا يكون نَصْـبهـا بـ «سيعـلم»؛ لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً امتنعت مما قـبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْمَلَ فيه مـا قبله، وذلك[1] قـولك: «علمتُ زيدًا منطلقًـا» فـإن أدخلْتَ الألف قلتَ: «علمتُ أزيـدٌ منطلقٌ أم لا»، فـأىٌّ بمنزلة زيـد الواقع بعـد الألف، ألا ترى أن مـعناها: أذا أم ذا. وقال الله عـزّ وجل: ﴿لنعْلَمَ أىُّ الحزْبَـيْنِ أحْصَى لـمَا لَبِـثوا أمَدًا﴾[2] لأن معناها: أهذا أم هذا؟ وقَـال تعَالى: ﴿فلْيَنْظُرْ أيُّهَا أزْكَى طَعَامًا﴾[3] على مـا فسرتُ لك، وتقـولُ: أعْـلَـم أيُّـهُمْ ضـرَبَ زيْـدًا، وأعْـلَمُ أيَّـهُمْ ضـرب زيـد، تـنـصب أيًّا بـ «ضـرب» لأن «زيدا» فاعل، فـإنما هذا لما بعده، وكـذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء الـمُسْتَـفْهَم بها، نحو: قد علمتُ غلامُ أيِّهِمْ فى الدار، وقد عرفتُ غُـلامُ مَنْ فى الدار، وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ، فـتنصبه بـ «ضربت»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

[أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب]

ومما يُؤْثَرُ من هذه الآدابِ ويُقَدَّم قَولُ عـمرَ بنِ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خُطْبَة خَطَبَها ـ حدثنا العُتْبىُّ قال: لم أرَ أقلَّ منها فى اللفظ، ولا أكثر فى المعنى ـ حَمِدَ الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنَّهُ وَالله مَا فيكُم أَحَدٌ أَقْوَى عندى من الضَّعِيفِ حَتَّى آخذَ الْحقَّ لَهُ، ولا أَضْعَفُ عِندِى مِن الْقَوِىِّ حَتَّى آخُذَ الْحقَّ منه.

ثم نزل. وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقـه من قِبَلِ الاختيار، بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له:

[4][قال أبو الحسن: قد رَوَيْنَا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما، وهو الصحيح][4].

---

(١) ر، س: «وذلك نحو قولك».

(٢) الكهف ١٢.

(٣) الكهف: ١٩.

(٤ ـ ٤) لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر، س.

[رسالة عمر فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى]

قال أبو العباس: ومن ذلك رسالتُه فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرىّ، وهى التى جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام، واختصرَها بأجود الكلام، وجَعَلَ الناسُ بعده يتخذونها إمامًا، ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصًا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قَيْسٍ. سلامٌ عليك، أما بعد، فإن الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ، وسُنَّةٌ مَتَّبَعَةٌ، فافْهَمْ إذا أُدْلِيَ إِلَيْكَ، فإنه لا يَنْفَعُ تكَلمٌ بحق لاَ نفاذ له. آسِ بَيْنَ النَّاسِ بوَجْهِكَ(١)، وعَدْلك، ومَجْلسك، حتَّى لا يَطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك، ولا ييئس ضعيفٌ من عدلك. البَيِّنَةُ علَى مَنِ ادَّعَى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلاَّ صُلْحًا أَحَلَّ حرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَلالاً. لا يمنعنَّك قَضَاءٌ قَضَيتَهُ اليومَ فَرَاجَعْتَ فيه عَقْلَكَ، وهُديتَ فيه لرُشْدك، أن تَرْجِعَ إلى الحق، فإن الحق قديمٌ، ومراجعةُ الحق خير من التمادى فى الباطل. الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما ليس فى كتاب وَلاَ سُنَّةٍ، ثم اعْرِفْ الأَشْبَاهَ وَالأَمْثَالَ، فَقِسِ الأُمُورَ عند ذلك، واعْمدْ إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بِالحق، واجْعَلْ لِمن ادَّعَى حَقًّا غائبًا أو بينةً أَمَدًا ينتَهى إليه، فإن أحضر بَيِّنَتَهُ أخذتَ له بحقه، وإلاَّ استَحْلَلْتَ عليه القضيةَ، فإنه أَنْفى للشك، وأَجْلَى للعمى. المسلمون عُدُولٌ بعضُهم على بعض إلاَّ مَجْلودًا فى حدٍّ، ومُجَرَّبًا عليه شهادةُ زُورٍ، أو ظَنِينًا فى وَلاَءٍ أوَ نَسَبٍ، فإن الله تولَّى منكم السرائر، ودَرَأَ بالبيِّنات والأَيْمان. وإياك والغَلَقَ وَالضَّجَرَ، والتَّأَذِّيَ بالخصوم، والتَّنَكُّرَ عند الخصومات، فإن الحق فى مَواطن الحق لَيُعْظِمُ(٢) الله به الأجر، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ، فمن صَحَّتْ نيَّتُهُ، وأَقْبَلَ على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانَهُ الله، فما ظنك بثواب غَيْرِ الله عزّ وجل فى عاجِلِ رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

---

(١) ر، س: «فى وجهك».
(٢) ر س: «يعظم».

قال أبو العباس: قوله: «آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك»، يقول: سَوِّ بينهم: وتقديره: اجعل بعضهم أُسْوَةَ بعض، والتَّأَسِّى من ذَا أن يَرَى ذُو الْبَلاء مَنْ به مِثلُ بَلائه، فيكونَ قد ساواه فيه، فَيُسكِّنَ ذلك من وَجْدِه، قالت الخَنْسَاء:

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخى وَلكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى
يُذَكِّرُنِى طُلوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

تقول: أذكره فى أوّل النهار للغارَة، وفى آخره للضِّيفان، وتَمَثَّلَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِل بهذا البيت:

وَإنَّ الأُلَى بَالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَآسوْا فَسَنُّوا لِلْكِرامِ التَّآسِيَا(١)

وقوله: «حتى لا يطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك»، يقول: فى مَيْلك معه لشرفه.

وقوله: «فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك» يقول: تَرَدَّدَ، وأصل ذلك المُضْغَةُ والأَكْلَةُ يُرَدِّدُها الرجلُ فى فيه فلا تزال تتردد إلى أن يُسيغَها أو يَقْذفها، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصلَها بأُخرى، يقال لِلْعَيِىِّ: لَجْلاَجٌ، وقد يكون من الآفة تعترِى اللسان، قال زُهَيْر:

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ ... أَصَلَّتْ، فَهِىَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ

وقوله: «أنِيضٌ» أى لم تَنْضَجْ(٢). ومن أمثال العرب: الحقُّ أَبْلَجُ، والباطل لَجْلَجٌ. أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا.

وقوله: «أوظَنِينًا فى وَلاءٍ، أو نسب»، فهو المُتَّهَم، وأصله «مَظْنون»، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد، وظننت زيدًا، أى اتَّهَمْتُ، ومن ذلك قول الشاعر - أحسبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان -:

فَلاَ وَيَمِينِ اللهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ ... هجِرْتُ، وَلَكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ(٣)

---

(١) البيت فى الأغانى (١٧ - ١٦٥) ونسبه إلى سليمان بن قتة، وهو أيضا فى اللسان (أسا) من غير نسبة. قال ابن برى: « وتآسوا، من المؤاساة، كما ذكر الجوهرى، لا من التأسى كما ذكر المبرد».

(٢) كذا ذكره المبرد، وهو يوافق ما فى شرح الديوان، وفى اللسان (أنض): «فيها أنيض أى تغير» واستشهد بالبيت، وهو الأوفق.

(٣) البيت فى اللسان (ظن)، ونسبه أيضا إلى عبد الرحمن بن حسان، ثم ذكر أن ابن برى نسبه إلى نهار بن توسعة.

وفى بعض المَصَاحف: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بظَنِين﴾(١): وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لمَا جاء عن النبى ﷺ: «مَلْعون مَلْعُون من انْتَمَى إلى غير أبيه، أو ادَّعَى إلى غير مَوَاليه»، فلما كانت معه الإقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعًا.

وقوله: «وَدَرأَ بالبينات والأيمان» إنما هو دَفَعَ، من ذلك قول رسول الله ﷺ: «ادرَءُوا الْحُدُودَ بالشُّبُهَات»، وقال الله عزّ وجل: ﴿قلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسكُمْ الموْتَ إنْ كُنتمْ صَادقين﴾(٢) وقال: ﴿فَادَّارَأتُم فيهَا﴾(٣)، أى تَدَافَعْتُمْ.

وأما قوله: «وإياك والغَلَقَ والضجَرَ» فإنه ضيقُ الصدر، وقلة الصبر، يقال فى سوء الْخُلُق: رجل غَلِقٌ، وأصل ذلك من قولهم(٤): غَلِقَ الرّهْنُ، أى لم يوجد له تَخَلُّص، وأغْلَقْتُ البابَ من هذا، قال زُهَيْر:

وَفارَقَتْكَ برَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَهُ ... يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقوله: «ومن تَخَلَّقَ للناس»، يقول: أَظْهَرَ للناس فى خُلُقه خلافَ نيته.

وقوله: «تَخَلَّقَ» يريد أَظْهَرَ(٥) مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جمَالا وتَصَنَّعَ، وكذلك تجَبَّرَ، إنما تأويله الإظهار، أى أظهر جَبَريَّةً، وإن شئت جَبَروتًا، وإن شئت جَبَروتَى [وإنْ شئْتَ جبَرُوَّة](٦). ومن كلام العرب على هذا الوزن: رَهَبُوتَى خير لك من رَحَموتَى، أى(٧ تُرْهَبُ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ٧). قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد(٨):

---

(١) التكوير: ٢٤، وهو مصحف عبد الله بن مسعود، (وانظر الكشاف).
(٢) سورة آل عمران: ١٦٨.
(٣) سورة البقرة: ٧٢.
(٤) ر: «وأصل ذلك من قولهم: أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح، من ذلك قولهم: غلق الرهن...».
(٥) ر، س: «أظهر خلقا».
(٦) تكملة من ر.
(٧ - ٧) ر، س «لأن تُرهب خير لك من أن ترحم».
(٨) زيادات س: «الشعر لسالم بن وابصة الأسدى».

يأيهـا المتـحلَّى غَـيْـرَ شِـيَمَـتِـهِ ... إنَّ التَّخلُّقَ يَأْتى دُونَهُ الْخُلُقُ(١)

وَلاَ يُؤَاتِيكَ فِيـما نَابَ مِنْ حَدَثٍ ... إلاَّ أَخُـو ثِقَةٍ فَـانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

قال: وَأَنْشَدَتْنى أمُّ الْهَيْثَم الكلاَبِيَّة:

وَمَنْ يَتَّخِذْ خِيمًا سِوىَ خِيمِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى النفْسِ خِيمُهَا(٢)

وقال ذو الإصبع الْعَدْوَانىُّ(٣):

كلُّ أمْـرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيـمَتِـهِ ... وَإنْ تَمـتَّعَ أَخْلاقًـا إلَى حِـين

وأما قـوله: «ثواب»، فاشتقـاقه من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجعَ، وتأويله مـا يَثُوب إليك من مُكافأة الله وفضله.

[كتاب عثمان إلى على بن أبى طالب حين أحيط به]

وكتب عثمانُ بن عَفَّانَ إلى عليٍ رحمه الله(٤) حين أُحيطَ به:

أما بعدُ: فـإنه قد جاوَزَ الماءُ الزُّبَى، وبَلَغَ الحزامُ الطُّبْيَـيْنِ، وتجاوزَ الأمرُ بى قَدْرَهُ، وطَمِعَ فِىَّ مَن لا يَدْفَع عن نفسه

فَإنْ كُنتُ مَأْكُـولاً فَكُنْ خَيْرَ آكلٍ ... وَإلاَّ فَـأَدْرِكْنِى وَلَمَّا أُمَـزَّقِ(٥)

قوله: «قد جاوز الماء الزبى» فالزُّبْيَةُ مَـصْيَدة الأسد، ولا تُتَّخَذ إلا فى قلةٍ أو رَابِيَةٍ أو هَضْبَةٍ، قال الراجز(٦):

كاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

---

(١) الشعر فى ر هكذا:

يأيهـا المتـحلى غـيـر شـمـيـتـه ... [ومن سـجـيـتـه الإدغـال والملق

دع التـخلـق يبـعـد عنك أوله] ... إن التـخلـق يـأتى دونـه الخلـق

ولا يؤاتيـك فـيـمـا ناب من حـدث ... إلا أخـو ثقـة، فـانظر بمن تـثق

وانظر رواية الأبيات فى ديوان الحماسة ٢: ٢٣٦ ـ بشرح التبريزى.

(٢) البيت فى اللسان (خيم) من غير نسبة.

(٣) زيادات ر: «ذو الإصبع اسـمه حرثان بن الحـارث بن محرث، وقـيل له ذو الإصبع؛ لأن أفـعى نهشت إصبعه».

(٤) ر: «على بن أبى طالب رحمهما الله»، س: «على بن أبى طالب رضى الله عنهما».

(٥) البيت للممزق العبدى، واسمه شأس بن نهار، (وانظر المؤتلف والمختلف للآمدى ١٨٥).

(٦) قبله فى زيادات ر:

* فأنت والأمر الذى قد كيدا *

وقال الطِّرِمّاح:

ياطَيِّئَ السَّهلِ وَالأجْبَالِ(١)، مُوعِدُكُمْ كَمُبْتَغِى الصَّيْدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الأَسَدِ

وتقول العرب: «قد عَلاَ الماءُ الزُّبى»، و«قد بَلَغَ السِّكِّينُ الْعَظْمَ»، و«بَلغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ»، و«قد انقطع السَّلَى فى البطن».

فالسَّلَى من المرأةِ والشاةِ ما يَلْتَفُّ فيه الولدُ فى البطن، وقال العَجَّاجُ:

فَقَدْ عَلاَ المَاءُ الزُّبَى فَلاَ غِيَرْ

أى: قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلَحَ.

وقوله: «وبلغ الحزام الطبيين»، فإن السِّبَاعَ والخيلَ يقال لموضع الأَخْلاف منها: أَطْبَاءٌ يا فتى، واحدها طُبْيٌ، كما يقال فى الظِّلْفِ والْخُفِّ: خِلْفٌ، هذا مكانُ هذا، فإذا بلغ الحزامُ الطُّبيين فقد انتهى فى المكروه، ومثل هذا من أمثالهم: «التَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ»(٢): [ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب](٣)، ويقال: حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ فى الحَقَبِ(٤)، قال الشاعر(٥):

إذَا مَا حَقَبٌ جَالَ شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ

وقال أَوْس بن حَجَرٍ:

وَازْدَحَمَتْ حَلْقَتَا الْبِطَانِ بِأَقْوامٍ وَطَارَتْ نُفوسهمْ جَزَعَا

وتَمَثُّله بالبيتِ يشاكِلُ قولَ القائل:

فَإِنْ أَكُ مَقْتُولاً فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

---

(١) أجبال طيىء: أجا وسلمى والعوجاء.

(٢) البطان: حزام الرحل.

(٣) من ر، س.

(٤) الحقب: حزام يشد به رجل البعير.

(٥) ر: «قال أبو بكر: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأوله:

سُلَيْمَى تلْكَ فى العِيرِ قفى إنْ شئْت أَو سيرى

فَلمّا أَنْ بَدَا الصُّبحُ بَأَصْوَاتَ العَصَافِيرِ

خَرَجْنَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ بأمْثَالَ اليَعَافِيرِ

إذا مَا حَقَبٌ جَالَ شَدَدناهُ بِتَصْدِيرِ

زَجَرْنَا العِيسَ فَارمَدّتْ بِإهْذابٍ وتَشْمِيرِ

[عتاب عثمان على بن أبى طالب]

ويروى عن قَنْبَرٍ مَوْلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: دخلتُ مع علىّ بن أبى طالب على عثمان بن عَفَّان رضى الله عنهما، فأحَبَّا الخَلْوَةَ، فأَوْمأ إلىّ عَلىٌّ بالتَّنَحِّى، فتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعيد، فَجعَلَ عثمانُ يعاتب عليًّا وعلىٌّ مُطْرِقٌ، فَأَقْبَلَ عليه عثمانُ فقال: ما بالك لا تقول؟ فقال: إن قلتُ لم أقل إلا ما تَكْرَه، وليس لك عندى إلا ما تُحِبُّ.

تأويل ذلك: إن قلتُ اعْتَدَدْتُ عليك بمثل ما اعتددتَ به عَلَىَّ فَلَذَعَك عتابى، وعَقْدى ألا أَفْعَلَ - وإن كنتُ عاتبًا - إلا ما تُحِبُّ.

[خطبة على بن أبى طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان]

وتَحَدَّث ابنُ عائشةَ فى إسناد ذكَره أن عليا رحمه الله انتهى إليه أنَّ خيلا لمعاويةَ وردت الأَنْبارَ، فقَتَلوا عاملاً له يقال له: حَسَّانُ بن حسان، فخرج مُغْضَبا يَجُرُّ ثوبه حتى انتهى(١) إلى النُّخَيْلَة، واتَّبعه الناس، فَرَقِىَ رَبَاوَةً من الأرض، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أما بعدُ، فإن الجهادَ بَابٌ من أبواب الجنة، فَمَنْ تركه رَغْبَةً عنه أَلْبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ، وسيماَ الخسْف ودُيِّثَ بالصَّغار. وقد دعوتكم إلى حَرْب هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسرًّا وإعلانًا، وقلتُ لكم: اغزوهم من قبل أن يَغْزُوكم، فو الذى نفسى بيده ما غُزِىَ قومٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارهم إلاّ ذَلُّوا. فتخاذلتم وتَوَاكَلْتُمْ، وثَقُلَ عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ. هذا أخو غامد، قد وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنبارَ، وقَتَلوا حَسَّان بن حَسَّان، ورجالا منهم كثيراً ونساءً - والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يُدْخَلُ على المرأة المُسْلمة والمعاهَدة، فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهُمَا - ثم انصرفوا مَوْفُورين لم يُكْلَمْ منهم أحدٌ كَلْمًا. فلو أن امْرأً مسلمًا مات من دون هذا أسَفًا ما كان عندى فيه مَلُومًا، بل كان عندى به جَديرًا. ياعَجبا كلَّ العَجَب! [عجبٌ يميت القَلْبَ، ويَشْغَلُ الفهمَ، ويكثر الأحزان](٢) من تَضَافُرِ

---

(١) ر: «حتى أتى النخيلة»، والنخيلة: موضع قرب الكوفة.

(٢) من ر.

هؤلاء القوم على باطلهم، وفَشَلِكُمْ عن حقكم، حتى أصبحتم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون، ويُغارُ عليكم ولا تُغيرون، ويُعْصَى اللهُ عزَّ وَجل فيكم وتَرْضَوْنَ. إذا قلتُ لكم: اغزوهم فى الشتاء قلتم: هذا أَوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ، وإن قلتُ لكم: اغْزُوهم فى الصيف قلتم: هذه حَمَارَّةُ القَيْظ، أنظِرْنَا يَنْصَرِم الحرُّ عنا. فإذا كنتم من الحر والبرد تَفِرُّون، فأنتم من السَّيْفِ أفَرُّ، يا أشْباهَ الرجال ولا رجال! ويا طَغَامَ الأحْلام، ويا عُقُول ربَّاتِ الحِجالِ، والله لقد أفسدتم عَلَيَّ رأيى بالْعِصْيان، ولقد ملأتم جَوْفِى غَيْظًا، حتى قالت قُرَيْشٌ: ابنُ أبى طالب رجل شجاع، ولكن لا رَأْيَ له فى الحرب. لله دَرُّهُمْ! ومَنْ ذا يكونُ أعلَمَ بها منى، أو أشدَّ لها مِرَاسًا! فوالله لقد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغْتُ العِشْرين، ولقد نَيَّفْتُ اليوم على الستين. ولكن لا رأى لمن لا يُطاع! - يقولها ثلاثًا.

فقام إليه رجل ومعه أخوه[1]، فقال: يا أميرَ المؤمنين: أنا وأخى هذا كما قال الله عز وجلّ: ﴿رَبِّ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسى وأخى﴾[2] فَمُرْنَا بأمرِك، فوالله لَنَنْتَهِيَنَّ إليه، ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغضا، وشَوْكُ القَتَادِ. فَدَعا لهما بخير، ثم قال: وأين تَقَعَان مما أريد! ثم نَزَل.

قال أبو العباس قوله: «سِيما الَخسْف»، قال: هكذا حدَّثوناه، وأظنه «سِيمَ الَخْسَفَ» يا هذا، من قول الله عزّ وجل: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العذابِ﴾[3] ومعنى قوله: «سيما الخسف» تأويله عَلاَمةٌ، هذا أصل ذا، قال الله عزّ وجل: ﴿سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[4]، وقال عز وجلّ: ﴿يُعْرَفُ الُمجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[5].

---

(١) زيادات ر: «الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار» وفى حاشية الأصل: «هو جندب بن عفيف، وأخوه من الأزد».
(٢) سورة المائدة ٢٥.
(٣) سورة البقرة ٤٩.
(٤) سورة الفتح ٢٩.
(٥) سورة الرحمن ٤١.

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾(1) قال: مُعْلِمينَ(2) واشتقاقه من السِّيمَا التى ذكرنا. ومن قال: ﴿مُسَوَّمِينَ﴾، فإنما أراد مُرْسَلِين: من الإبل السائمة، أى المُرْسَلَة فى مراعيها، وإنما أخذ هذا من التفسير. وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ﴾(3) القولين جميعًا مع العَلامة والإرسال، وأما فى قوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾(4) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحدًا، قالوا: «مُعْلَمَةً»، وكأن عليها أمثالُ الخواتيم، ومن قال: «سيما» قَصَر. ويقال فى هذا المعنى: سيمياء، ممدود، قال الشاعر(5):

غلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحسْنِ يَافِعًا لَهُ سِيمِياء لا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرْ(6)

وقوله رحمه الله: «وقَتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان»، مَنْ أخَذَ حَسَّانًا من الحُسْنِ صَرَفَهُ لأن وزنه«فَعَّالٌ» فالنون منه فى موضع الدال من «حَمَّادٍ»، ومن أخَذَهُ من الحسِّ لم يَصرِفْهُ لأنه حينئذ فَعْلان فلا ينصرف فى المعرفة، وينصرف فى النكرة، لأنه لَيْسَتْ لَهُ «فَعْلَى»، فهو بمنزلة سَعْدان وسرْحان.

وقوله: «دُيِّثَ بالصَّغار»، تأويله: ذُلِّلَ يقال للبعير إذا ذَلَّلَتْهُ الرياضَةُ: بعير مُدَيَّثٌ، أى مُذلَّل.

وقوله: «فى عُقْر دارهم»، أى فى أصل دارهم، والعُقْرُ: الأصل، ومنْ ثَمَّ قيل: لفلان عَقَار، أى أصل مال، ويُروى عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ بَاعَ دارًا أَوْ عَقَارًا فلم يَرْدُدْ ثَمَنَهُ فى مِثْله فذلك مالٌ قَمِن ألاَّ يُبَارَكَ [له](7) فيه». وقوله: قَمَنٌ يريد: خَلِيقٌ، ويقال أيضًا: قَمِين وقَمِن.

---

(1) سورة آل عمران ١٢٥.

(2) المعلم، بكسر اللام: الفارس الذى أعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه.

(3) سورة آل عمران ١٤.

(4) سورة هود ٨٢، ٨٣.

(5) زيادات ر: «وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى».

(6) بعده فى زيادات ر:

كأن الثريا علقت فى جبينه وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

(7) من س.

[قال أبو الحسن: من قال: قَمَنٌ لم يُثَنّ ولم يَجْمَعْ، ومَنْ قال: قِمنٌ وَقَمِينٌ ثَنَّى وَجَمَعَ][1].

ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيْعَةً، أو دارًا: تَأَثَّلَ فلان، أى اتخَذَ أصلَ مال.

وقوله: «وتَوَاكَلْتم»: إنما هو مشتقٌ من وكَلْتُ الأمرَ إليكَ ووكلْتَهُ إلىّ [أنت][2] أى: لَم يَتَوَلَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه، ولكن أحالَ به كل واحدٍ منا على الآخر، ومن ذلك قول الحُطَيْئَة:

فَلأْيًا قَصَرْت الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرة ... أَمُونٍ إذَا وَاكَلْتَـهَا لا تُواكِلُ[3]

وقوله: «وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا»، أى رَميتم به وراء ظهوركم، أى لم تلتفتوا إليه، يقال[4] فى المَثَل: «لا تَجْعَلَ حاجتى منك بظَهْرٍ»، أى لا تَطْرَحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ»، يقول: صُبَّتْ، يقال: شَنَنْتُ الماءَ على رأسه، أى صَبَبْتُهُ، وشَنَنْتُ الشرابَ فى الإناء أى صَبَبْتُهُ، ومن كلام العرب: فلما لَقِىَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ، أى صَبَّهُ عليه صبًّا.

وقوله: «هذا أخو غامد»، فهو رجُل مشهور من أصحاب معاوية، من بنى غامد بن نَصْر بن الأزْد بن الغَوْث، وفى هذه القبيلة يقول القائل[5]:

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا ... بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامِدُ

تَمَنّيْتُمُ مِائَتَىْ فَارِسٍ ... فَرَدَّكُمُ فَارِسٌ وَاحِدُ

فَلَيْتَ لنا بارتباط الخيو ... لِ ضأنا لها حالبٌ قاعِدُ

وقوله: «فَتُنْتَزَعُ أحجالُهما»، يعنى الخَلاخيل، واحدها حِجْل، ومن هذا قيل للدابة: مُحَجَّلٌ، ويقال للقيد: حِجْل؛ لأنه يقع فى ذلك المَوضع، قال جَرِيرٌ،

---

(١) من ر.

(٢) من ر.

(٣) الجسرة: الناقة الماضية فى سيرها، والأمون: الوثيقة الخلق. ورواية ديوانه ٩٨: «ذلول».

(٤) ر: «ويقال».

(٥) زيادات ر: «هو ربيعة بن مكدم».

يُعَيِّر الفَرَزْدَقَ حين قَيَّدَ فرسه، وأقسم ألا يَحُلَّها حتى يَحْفَظَ القرآن، فلما هاجَى جريرٌ البَعِيثَ هجا [الفرزدق](١) جريرًا مَعُونَةً للبعيث، وذَبًّا عن عَشِيرَتِه، فقال جرير:

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَينُ الْعِرَاقِيُّ بِاسْتِهِ ... فَرَغْتُ إلى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِي الحِجْلِ(٢)

معنى فرغت عَمَدْتُ: قال الله عزّ وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لكم أَيُّها الثَّقَلان﴾(٣) أى سَنَعْمِدُ(٤).

وقوله: «ورُعُثُهُمَا» الواحدة رَعْثَةٌ، وجمعها رِعاث، وجمع الجمع رُعُث وهى الشُّنُوف.

وقوله: «ثم انصرفوا مَوْفورين» من الوَفْر، أى لم يُنَلْ أحدٌ منهم بأن يُرْزَأ فى بَدَن ولا مال، يقال: فلانٌ مَوْفور، وفلان ذو وفْر، أى ذو مال، ويكون مَوْفورًا فى بدنه إذا ذكر ما أصيب به غيرُه فى بدنه. قال حاتم الطائى:

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا ... أَرَادَ ثَرَاءَ المَالِ أمسى لَهُ وَفْرُ

- ويروى: «كان له وَفْرُ».

وقوله: «لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْمًا». يقول: لم يُخْدَشْ أحدٌ منهم خَدْشًا، وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُر فهو كَلْمٌ، قال جرير:

تَوَاصَتْ مِنْ تَكَرُّمِهَا قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الْخَيْلِ دَامِيَةَ الْكُلُومِ

وقوله: «مات من دون هذا أسَفًا»: يقول: تَحَسُّرًا، فهذا موضع ذا. و[قد](٥) يكون الأسَفُ الغضبَ، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنا منْهُمْ﴾(٦) والأَسيفُ يكون الأجيرَ، ويكون الأسيرَ، فقد قيل فى بيت الأعْشَى:

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا ... يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

---

(١) من ر.

(٢) زيادات ر: «يعنى بقوله: «ولما اتقى القين العراقى باسته» البعيث، وسماه القين لأنه من رهط الفرزدق».

(٣) سورة الرحمن ٢٤.

(٤) زيادات ر: «تميم تقول: فرغ يفرغ [بفتح الراء فيهما] فراغا، وأهل العالية - وهم قريش ومن والاها - يقولون فرغ يفرغ [بالضم فيهما] فروغا».

(٥) من ر.

(٦) سورة الزخرف ٥٥.

المشهور أنه من التأسُّف لقطع يده، وقيل: بل هو أسير قد كُبلَتْ يَدُه، ويقال: قد جَرَحَهَا الغُلُّ، والقول الأوّل هو المُجْتَمَع عليه، ويقال في معنى أسيف عَسِيفٌ أيضاً.

وقوله: «من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم»، يقول: من تَعَاونهمْ وتَظَاهُرِهِم.

وقوله: «وفَشَلَكم عن حقكم»، يقال: فَشِلَ فلان عن كذا [وكذا](١) إذا هابه فَنَكَلَ عنه، وامتنع من المُضِيِّ فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوَانْ قُرٍّ وصِرٍّ»، فالصِّرُّ شدة البرد، قال الله عزّ وجل: ﴿كَمَثَل رِيحٍ فيها صِرٌّ﴾(٢).

وقوله: «هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ»، فالقَيْظُ الصيف، وحَمَارَّتُه: اشتداد حره واحْتِدامُهُ، وحَمَارَّةُ مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شِعْرٍ؛ لأن [كل](٣) ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وَزْنٍ إلا في ضَرْبٍ [منه](٤) يقال له: المُتَقَارِبُ: [فإنّه جُوِّز فيه على بُعْدٍ التقاءُ الساكنين](٥)، وهو قوله:

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وكَانَ التَّقا صّ فَرْضًا وَحَتْمًا عَلَى المسْلِمِينَا

ولو قال: «وكان القصاص فرضًا وحتما» كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العَرُوض، ولا نظيرَ له في غيرها من الأعاريض.

وقوله: «ويا طَغَامَ الأحلام» فمجازُ الطَّغَامِ عند العرب مَنْ لا عَقل له، ولامعرِفة عنده، وكانوا يقولون: طَغَامُ أهلِ الشأم، كما قال:

* فَمَا فَضْلُ اللَّبِيبِ عَلَى الطَّغَامِ(٦) *

(١) من ر، س.
(٢) سورة آل عمران ١١٧.
(٣) من ر، س.
(٤) من ر.
(٥) من ر.
(٦) قبله، كما في زيادات ر:

* إذا ما كان مثلهم رجاما *

وقوله: «ويا عقـولَ ربَّات الحِجال» يَنْسُبُهُمْ إلى ضَـعْف النساء، وهو السائر في كلام العرب. وقـال الله تعالى يذكر البنات: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِـلْيَة وَهُوَ فى الخِصَامِ غَيْرُ مُبين﴾(١).

(١) الزخرف ١٨.

وقال أبو العباس: من كلام العرب الاختصار المُفْهِم، والإطناب المُفَخّمُ، وقد يقع الإيماءُ إلى الشيء فيُغْنِى عند ذوى الألباب عن كشفه، كما قيل: لَمْحَةٌ دَالةٌ. وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ المفْلِقُ، والخطيبُ الْمِصْقَعُ، والكاتب البليغ، فيقعُ فى كلام أحدهم المعنى الْمُسْتَغْلِق، واللفظُ الْمُسْتَكرَه، فإن انعطفتْ عليه جَنْبتا الكلامِ غَطّتَا على عَوَارِه، وسَتَرتا من شَيْنِه. وإن شاء قائل أن يقول: بل الكلام القبيح فى الكلام الحَسَنَ أظهرُ، ومجاورته له أشهر، كَان ذلك له، ولكن يغتفر السيئى(١) للحَسَنِ، والبعيد للقريب.

[من ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة]

فمن ألفاظ العرب البَيِّنَةِ القريبةِ المُفْهِمَةِ، الحَسَنَةِ الوصفِ، الجميلةِ الرَّصْفِ، قولُ الحُطَيْئَة:

وَذاكَ فَتًى إنْ تَأْتِهِ فِى صَنِيعَةٍ ... إلَى مَالِهِ لا تَأْتِهِ بِشَفِيعِ

وكذلك قول عَنْتَرَةَ:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِى ... أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وكما قال زُهَيْرٌ:

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رزقُ(٢) مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

[مما وقع من الكلام كالإيماء]

ومما وقع كالإيماء قولُ الفرزدق:

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فتأويل هذا أن بيتَ جرير فى العرب كالبيت الواهن(٣) الضعيف، فقال: وقضى عليك به الكتابُ المنزل: يريد به قولَ الله تَبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾(٤).

---

(١) س: «الشين».

(٢) ر: «حق».

(٣) ر: «الواهى».

(٤) سورة العنكبوت ٤١.

ومن كلامه المُسْتحسَنِ قوله لجرير:

فَهَلْ ضَـرْبَةُ الرُّومِىّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ   أَبًا عَنْ كُلَيْـبٍ أَوْ أَبًا مِـثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة، وأهَجنِ الألفاظِ، وأبْعَدِ المعانى قوله:

وَمـا مِثْلُهُ فِي النَّاس إلاَّ مُـملَّكًا   أَبُو أُمِّـــهِ حَىٌّ أَبُـوهُ يُقَـــارِبُهْ

مَـدَحَ بـهذا الـشعـر إبـراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشـام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرَ بنِ مَخْزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال:

* وما مِثْلُه فى الناس إلا مُمَلَّكًا *

يعنى بالمُمَلَّك هشـامًا، أبو أمّ ذلـك المُمَلَّك أبو هذا الممدوح، ولو كـان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ فى مَوْضعه أن يقول: وما مـثله فى الناس حَىٌّ يقـاربه إلا مُمَلَّكٌ، أبو أمِّ هذا المُمَلَّك أبو هـذا الممدوح، فدَلَّ على أنه خاله بهذا اللـفظ البعيد، وهَجَّنَهُ بمَا أوقع فيه من التقـديم والتأخير: حتى كأنَّ هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تَصَـرَّمَ منِّى وُدُّ بَكْـرِ بْنِ وَائِلٍ   وَمَـا كَـادَ منِّى وُدُّهُمْ يَتَـصَـرَّمُ

قَـوَارِصُ تَأْتِينى وَيَحْـتَقِـرُونَهَـا   وَقَدْ يَملأُ الْقَطْرُ الإنَاء فَيَفْعَمُ[1]

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِى السَّوَاد كَأَنَّهُ   لَيْلٌ يَصِـيحُ بِجَـانِبَيْــهِ نَهَـارُ

فهذا أوْضَحُ معنًى، وأَقْرَبُ مَأْخَذ.

وليس لِقِدَمِ العَهْـدِ يُفَضَّلُ القائلُ، ولا لحدثان عَهْد يُهْـتَضَمُ المصيب. ولكن يُعْطَى كلٌّ ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قولُ عمارَة[2] على قرب عهده:

تَبَحَّـثْتُمُ سُخْطِـى فَغَيَّـرَ بَحْثُكُمْ   نَخيلَةُ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَميرُهَا

ولَنْ يُلْبِثَ التَّخْشينُ نَفْسًا كَرِيمةً   عَرِيكَتُـهَا أَنْ يَسْتَمِـرَّ مَرِيرُهَا[3]

وَمَـا النَّفْسُ إلاَّ نُـطفَـةٌ بِقَـرَارَةٍ   إذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

---

(١) زيادات ر: «القارصة: الكلمة المؤذية».

(٢) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، من شعراء الدولة العباسية، والأبيات فى معجم المرزبانى ٢٤٧ عن المبرد.

(٣) التخشين: إيغار الصدر، ويستمر: يقوى.

فهذا كلام واضح، وقول عَذْبٌ، وكذلك قوله أيضًا:

بَنِى دارمٍ إنْ يَفْنَ عُمْرى فَقَدْ مَضَى حَيَاتى لَكُمْ منى ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ
بَدأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيتُ جَاهدًا وَإنْ عُدْتُم أَثْنَيتُ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

[مما يفضل من أقوال الشعراء لتخلصه من التكلف]

ومما يُفَضَّلُ لتَخَلُّصِه مِنَ التَّكَلُّف، وسلامتِه من التَّزَيُّد، وبُعْدِه من الاستعانة قولُ أبى حَيَّةَ النُّمَيْرِىِّ:

رَمَتْنِى وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِى وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ(١)
أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِى رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِى بِالنِّضَالِ قَدِيمُ(٢)

يقول: رَمَتْنى بطَرْفها، وأصابَتْنى بمَحَاسنها، ولو كنتُ شابا لرَمَيْتُ كما رُميتُ، وفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ، ولكن قد تَطَاوَلَ عَهْدِى بالشَّباب. فهذا كلام واضح.

* * *

[قال أبو الحسن: أَنْشَدَنَا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب البيتين عن عبد الله بن شَبِيبٍ: ورَوَى:

* عَشِيَّةَ أَحْجَار الْكِنَاسِ رَمِيمُ *

وزاد فيه بيتًا:

رَمِيمُ الَّتِى قالَتْ لِجارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلا يَزَالَ يَهِيمُ

الكِنَاس والمكنسُ: الموضع الذى تأوى إليه الظِّباءُ، وجمع الكِناس كُنُسٌ، وجمع المَكنِسُ مكَانس. ورَميم: اسم جارية: مأخوذ من العظام الرَّميم، وهى البالية، وكذلك الرِّمَّةُ، والرُّمَّةُ: القطعة البالية من الحَبل، وكلُّ ما اشتق من هذا فإليه يَرْجع].

* * *

(١) زيادات ر: «قيل فى ستر الله الإسلام، وقيل فيه أنه الشيب، وقيل ما حرم الله عليهما».
(٢) زيادات ر بعد هذا البيت:

يرى الناس أنى قد سلوت وإننى لمرمى أحناء الضلوع سقيم

قال أبوالعباس: وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو أن يُدْخِلَ فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّحَ به نَظْمًا [أو وزنا](١) إن كان فى شعر، أو ليتذكرَ به ما بعده إن كاَن فى كلام منثور، كنحو ماتَسْمَعُهُ فى كثير من كلام العامة قولهم: أَلَسْتَ تَسْمَعُ؟ أَفَهِمْتَ؟ أين أنتَ؟ وما أشبه هذا، وربما تَشَاغَلَ العَيِىُّ بِفتْلِ إصبعه ومَسِّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تَنَحْنَحَ. وقد قال الشاعر يَعيبُ بعضَ الخُطَباء فى شعر:

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ وَالْتِفَاتٍ وَسَعْلَةٍ ... وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأصَابِعِ

وقال رجل(٢) من الخوارج يصف خَطيبًا منهم بالجُبْنِ، وأنه مُجيدٌ لولا أنَّ الرُّعْبَ أَذْهَلَه:

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ ... لَمَّا رأَى وَقْعَ الأَسَلْ
وَيْلُمِّهِ إِذَا ارتَجَلْ ... ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ(٣)

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله الْقَسْرِىّ، فإنه كان متقدِّمًا فى الخَطَابة ومُتَنَاهيًا فى البَلاغة، فخرج عليه المُغيرةُ بن سَعيد بالكوفة فى عشرين رجلاً، فَعطْعَطوا(٤) به، فقال خالد: «أطْعمونى ماءً»، وهو على المِنبر، فَعُيِّرَ بذلك، فكَتَبَ به هِشامٌ إليه فى رسالة يُوَبِّخُهُ فيها، سنذكرها(٥) فى موضعها إن شاء الله. وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفَلٍ فقال:

لأَعْلاَجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ ... لَئِيمِ الأَصْلِ فِى عَدَدٍ يَسِيرِ
هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ: أَطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

---

(١) من ر.

(٢) ذكر الجاحظ أنه الأشل الأزرقى من بعض أخوال عمران بن حطان يصف زيد بن جندب الإيادى خطيب الأزارقة، (البيان والتبيين ١: ٤١، ٤٢).

(٣) زيادات ر: «وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى، وكان أبوه خطيبا وخاله:
جَمَعْتَ صُنُوفَ العِىِّ من كُلِّ وجهة ... وكنتَ مليئًا بالبلاغة مَن كَثَبْ
أبوكَ مُعَمٌّ فى الكَلامِ ومُخْوَلٌ ... وَخالك وَثّابُ الجراثيم فى الخُطَبْ

(٤) العطعطة: تتابع الأصوات واختلافها.

(٥) ر: «وسنذكرها».

فهذا عارضٌ. وقال آخر(1) يُعَيِّرُهُ:

بَلَّ المَنَابِرَ مِنْ خَـوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ وَاسْتَطْعَمَ المَاءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ
وألْحنُ النّاسِ كُلّ النّاسِ قَـاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّـشْدِيقِ فى الخُطَبِ

[لأعرابى من بنى كلاب]

ومما يُسْتَحْسَنُ [لفظه](2) ويُسْتَغْرَب معناه، ويُحْمَـدُ اخْتِصَارُهُ قولُ أعرابى مِنْ بنى كِلاَبٍ:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإنِّى وَنَاقَتِى بِحَجْرٍ إلى أَهْلِ الْحِـمَى غَرِضَانِ(3)
تَحِنُّ فَتُـبْدِى ما بِهَا مِنْ صَـبَابَةٍ وَأُخْفِى الَّذِى لَوْلاَ الأُسَى لَقَضَانِى(4)

يريد: لقَضَى عَلَىَّ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحْسَنَ مُخْرَجٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(5) والمعنى إذا كَالوا لهم أو وَزَنُـوا لهـم، ألا تَـرَى [أن](6) أول الآيـــة: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَـالُـوا عَلَى النّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ فهؤلاء أخَـذُوا منهم ثم أعطوهم، وقال الله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾(7) أى من قومه، وقال الشاعر(8):

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَـدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَـال وَذَا نَشَبِ

---

(1) هو أيضا يحيى بن نوفل، (وانظر البيان والتبيين ٢: ١٦٧).

(2) من ر، س.

(3) حجر: هى مدينة اليمامة وأم قراها، ويريد بالحمى حمى ضرية، وكان حمى كليب (وانظر ياقوت). ومن زيادات ر بعد هذا البيت:

هوى ناقـتى خلفى وقـدامى الهـوى وإنـى وإياهـا لمخــــتلفـــان

(4) ر: «أنشد صاعد بعدهما زياد» فيهما:

فـيـاكـبـدينا أجـمـلا قـد وجـدتما بأهل الحـمى مـالم يجـد كـبـدان
إذا كـبــدانا خـافــتـا وشك نـيـة وعـاجل بـين ظلتـا تجـبـان»

(5) سورة المطففين ٢.

(6) من ر.

(7) سورة الأعراف ١٥٥.

(8) زيادات ر: «هو أعشى طرود، واسمه إياس بن عامر».

أى أمَرْتُكَ بالخير، ومن ذلك(١) قول الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذى(٢) اُخْتِيرَ الرِّجالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أى من الرجال، فهذا الكلام الفصيح.

وتقول العرب: أقَمْتُ ثلاثًا ما أَذُوقُهُنَّ طَعامًا ولا شَرابًا، أىْ ما أَذُوق فيهنَّ، وقال الشاعر:

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نوَافِله(٣)

* * *

[قال أبوالحسن: قوله: «لم يَغْرَضْ»، أى لم يَشْتَقْ، يقال: غَرِضْتُ إلى لقائك، وحَنَنْتُ إلى لقائك، وعَطِشْتُ إلى لقائك، وجُعْتُ إلى لقائك أى اشْتَقْت، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ، وأَنْشَدَنَا عنه:

مَنَ ذَا رَسُولٌ نَاصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا غَرَضَ المحبِّ إلَى الْحَبِيبِ الْغَائبِ

التناصُف: الْحُسْن.

وأما قوله: «لَقَضَانِى» فإنما يريد: لَقَضَى علىّ الموتَ، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْه المَوْتَ﴾(٤)، فالموتُ فى النية، وهو معلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به، فلهذا ناسب قوله عزّ وجل: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ﴾. وكذلك قوله: ﴿كَالُوهُمْ﴾ فالشىءُ المَكِيلُ معلوم، فهو بمنزلة ما ذُكِرَ فى اللفظ، ولا يجوز: مررت زيدًا وأنت تريد: مررت بزيد، لأنه لا يتعدى إلاَّ بحرف جر؛ وذلك أنّ فعل الفاعل فى نفسه، وليس فيه دليل على المفعول نفسه، وليس هذا بمنزلة ما يَتَعَدّى إلى

---

(١) ر، س: «ومن ذا».

(٢) س: «ومنا»، وعلى رواية الأصل فى البيت خرم.

(٣) البيت أورده سيبويه فى الكتاب ١: ٩٠، قال الأعلم فى شرحه: «النوافل هنا الغنائم، يقول: يوم لم نضم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن، والنهال المرتوية بالدم، وأصل النهل أول الشرب، والطعن هنا: جمع طعنة».

(٤) سورة سبأ ١٤.

مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جَرّ، وإلى الآخر بنفسه، لأنّ قولَك: اخْتَرْتُ الرجالَ زيدًا، قَدْ عُلِمَ بَذِكْرِك «زيدًا» أن حرف الجر محذوف من الأول، فأما قول الشاعر - هو جرير - وإنْشادُ أهل الكوفة له، وهو قوله:

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ ولَمْ تَعُوجُوا ... كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذًا حَرَامُ

وروايةُ بعضِهم له: «أتَمْضُونَ الدِّيارَ» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك، والسماع الصحيح والقياس المُطَّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الشاذة.

أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ قال: قرأت على عُمَارَةَ بن عَقِيل بن بلال ابن جرير:

* مَرَرْتُمْ بِالدِّيَارِ ولَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرةٌ.

فأما قولهم: أقمت ثلاثًا ما أذوقهن طعاما ولا شرابًا، وقولُ الراجز:

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلامُ(1) ... بِكَبِدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ

* فِي سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد في ساعة يُحَبُّ فيها الطَّعَام، وكذلك الأوّل، معناه: ما أذوقُ فيهنّ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وعَلَا: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ إلا في الحذف فقط؛ وذلك أن ضمير الظَّرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَة، كقولهم: يَوْمُ الجمعة سرْتُه، ومكانُكُمْ قمتُه، وَشَهْرُ رمضان صُمْتُه، فهذا يُشَبَّه في السَّعَةِ بقولك: زيدٌ ضربتَه وما أشبهه، فهذا بَيِّنٌ.

* * *

[لأعرابي من بني سعد وقد نزل به أضياف]

قال أبو العباس: ومما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجَاد قول أعرابيّ(2) من بني سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم، وكان مُمْلَكًا(3)، فنزل به أضياف فقام إلى الرحَى فطحن لهم،

(1) صبحت: أتت بالتصبيح، تريد به الغذاء.
(2) هو الهذلول بن كعب العنبرى، ذكره أبو تمام فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦٩٥ - ٧٠١.
(3) من الإملاك، وهو عقد النكاح.

فَمرتْ به زوجتُه فى نِسْوَة، فقالتْ لهنّ: أهذا بَعْلى؟ فأُعْلِمَ بذلك فقال ـ [قال أبو الحسن: أخبرنا به عن أبى مُحَلِّم له يعنى السَّعْدىّ] ـ:

تَقُولُ وَصكَّتْ صَدْرَها بِيمينِهَا: ... أَبعْلِىَ هذَا بالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ!
فَقُلْتُ لَهَا: لا تعجبى وَتَبَيَّنِى ... بَلاَئِى إذَا الْتَفَّتْ عَلَىَّ الْفَوَارِسُ
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ
إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا ... يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلَدُّ الْمُدَاعِسُ
لَعَمْرُ أَبِيكِ الْخَيْرِ إِنِّى لَخَادِمٌ ... لِضَيْفِى، وَإِنِّى إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله: «الْمُتَقَاعِس» إنما هو الذى يُخْرِجُ صَدْرَه وَيُدْخِلُ ظهره، ويقال: عِزَّةٌ قَعْسَاءُ، وإنما هذا مَثَلٌ، أى لا تَضَع ظهرَها إلى الأرض. وقوله: «بالرحى المتقاعس»، لو أراد: الذى يَتَقَاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ، لأن قوله: «بالرحى» من صلة الذى، والصلة تمام الموصول، فلو قدمها قبله لكان لحنًا وخطأً فاحشًا، وكان كَمَنْ جَعَل آخرَ الاسم قبل أوله، ولكنه جَعَلَ «المتقاعسَ» اسما على وجهه، وجعل قوله: «بالرحى» تَبْيينًا بمنزلة «لَكَ» التى تَقَعُ بعد «سَقْيًا»، وبمنزلة «بِكَ» التى تقع بعد قولك: «مَرْحَبًا» فإن قَدَّمْتَهَا فذلك جَيِّدٌ بالغ، تَقول: بك مرحبًا وأهلا وتقول: لك حَمْدًا، ولزيد سَقْيًا، فأما قولُ الله عزّ وجل: ﴿**وأَنَا على ذلكُمْ منَ الشَاهدين**﴾[1] وكذلكَ ﴿**وقَاسَمَهُمَا إنّى لكُمَا لَمنَ النَّاصحين**﴾[2] فيكون تَفسيره علَى وجهين: أحدهما أن يكون: إننى ناصحٌ لكما، وأنا شاهد على ذلكم، ثم جعل «من الشاهدين» و «لَمِن الناصحين» تفسيرًا لشاهدٍ وناصح، ويكون على ما فسرناه يراد التبيين، فلا يدخل فى الصلة، ويكون على مذهب المازنىّ.

قال أبو العباس: وهو الذى أختار، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى، ألا ترى أنك تقول: نِعْمَ القائم زيدٌ، ولا يجوز: نِعْمَ الذى قامَ زيد، وإنما هو بمنزلة قولك: نِعْم الرجلُ زيد، وهذا الذى شرحناه متصلٌ فى هذا الباب كُلِّهِ مُطَّرِد على القياس.

---

(١) الأنبياء ٥٦.

(٢) الأعراف ٢١.

وقوله:

* أَلَسْتُ أَردُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ *

فإنما اشتقاقهْ من السهم يقال: ارتدَعَ السهمُ إذا رجع متأخرا، ويقال: ركب البعيرُ رَدْعَهُ إذا سقط، فدخل عُنُقُه(١) في جوفه، والكلامُ مُشْتَق بعضُه من بعض، ومُبَيِّنٌ بعضه بعضًا، فيقال من هذا في المَثَلِ: ذهب فلانٌ في حاجتي فارتَدَع عنها، أي رجع، وكذلك: فلان لا يَرتَدِع عن قبيح، والأصل ما ذكرتُ أوّلا.

ومثل هذا قولهُم: فلانٌ على الدّابة، وعلى الجبل، أي فوق كل واحد منهما، ثم تقول: فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً، وكذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ، وإنما يريد أن الدَّيْنَ علاه وقَهَرَه، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان وَاليًا عليها، وكذلك: عَلا فلانٌ القوم، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جُعِل في هذا الموضع.

وقوله:

* وَفِيه سِنَانٌ ذُو غِرارَيْنِ يَابِسُ *

فالغِرار هاهنا الحَدُّ، وللغرار مواضع.

قال أبو العباس: وحدثني الرِّيَاشِيُّ في إسناد له قال: قال جَبْرُ بن حبيب - وذكر الراعي -: أخطأ الأعْوَرُ - قال: ولم يُعَلِّمْ الحاكي عنه أن الراعيَ كان أعورَ إلا مِنْ هذا الخبر - في قوله:

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ كَسَرْنَ الْعَيْرَ منهُ وَالْغِرَارَا(٢)

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطئ؛ لأن الغرار ها هنا هو الحدّ، وذهب جَبْرٌ إلى أنه المثالُ. وقد يكون المثالَ، وليس ذلك بمانعه من أن يَحْتَملَ مَعانِيَ، يقال: بَنَوْا بيوتَهُمْ على غِرار واحد، أي على مثالٍ واحد، كما قال عمرو بن أحمر [الباهليّ](٣):

وُضِعْنَ(٤) وَكُلُّهنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانَ اللَّوْنِ قَدْ وَسَقَتْ جَنِينا

---

(١) ر «فدخلت عنقه»، والعنق تذكر وتؤنث.

(٢) القف: حجارة بعضها فوق بعض. وعير النصل: ما نتأ في وسطه.

(٣) من ر، س.

(٤) كذا ضبطت في الأصل بالبناء للمجهول. وفي زيادات ر: [الرواية عن أبي العباس: «وضعن» بفتح الضاد والواو، والصحيح: «وضعن» بضم الواو وكسر الضاد].

ويقال: لِسُوقِنَا دِرَّةٌ وَغِـرَارٌ، أى نَفَاقٌ وكَسَاد، فهـذا معنى آخر، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شيء بعد شيء، ومن هذا: غارَّ الطائرُ فَرْخَهُ، لأنه إنما يعطيه شـيئًا بعد شيء، وكـذلك غارَّتِ الناقة فى الحَلَبِ، ويقـال من هذا: ما نِمْتُ إلا غِرارًا، قال الشاعر:

مَـــا أذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِـــرَارًا   مِـثْلَ حَسْـوِ الطَّيْرِ مَـاءَ الثِّمَـادِ

فكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه.

وقوله:

* يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلدُّ المُدَاعِسُ *

فأصل الحـمَيّا إنما هى صَـدْمَة الشيء، يقال: فلان حـامى الحمَيَّـا، ويقال: صَدَمَتْهُ حُمَيَّا الكَأس، يراد بذلك سَوْرَتُها.

وقوله: «الألدّ» فأصله الشديد الخصـومة، يقال خَصْمٌ أَلدُّ، أى لا ينثنى عن خصـمه. قـال الله عزّ وجل: ﴿**وتُنْذِرَ بِهِ قَـوْمًا لُدًّا**﴾(١) كمـا قال: ﴿**بَلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِمُونَ**﴾(٢)، وقال مُهَلْهِل:

إنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَزْمًا وَجودًا   وَخَـصِـيـمًـــا أَلَدَّ ذَا مِـعْـلاَقِ

ويروى: «مِغْلاق»، فـمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُغْلِقُ الحـجَّةَ الخَصم، ومن قال: «ذا مِعْلاق»، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خصـمًا لم يَتَخَلَّصْ منه، وجعل السعدىّ الألدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشـبيها بذلك، والمداعِس: المُطَاعِن، يقـال: دَعَسَهُ بالرمح إذا طَعَنَهُ، قال عُمَيْرُ بن الحُبَاب السُّلمىّ:

أَنَا عُـــمَـــيْـــرٌ وَأَبُو المُـغَلِّسْ   وَبِالْـقَنَاةِ مَـــازِنِـىٌّ مِـــدْعَسْ

* * *

[قال أبو الحسن: تأويل قول السعدىّ:

* أَبَعْلِيَ هذَا بالرَّحى المُتَقَاعِسِ *

(١) مريم ٩٧.
(٢) الزخرف ٥٨.

«بالرحى» تبيين ولم يوضحه، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: «أبعلى هذا بالرحى المتقاعسُ»، فإن المتقاعسَ يدل على أن تَقَاعُسًا وقَع، فكأنه قال: وقَعَ التقَاعُس بالرحى، ولم يرد أَنْ يُعْمِلَ «المتقاعس» فى قوله: «بالرحى»، لأنه فى الصِّلَةِ، والصلةُ من الموصُول بمنزلَة الدال من زيد أو الياء، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعض، لم يجز أن تتقدَّم الصلةُ على الموصول، فأما قول الله عزّ وجل: ﴿وقاسمَهُمَا إنِّى لَكُمَا لَمنَ النَّاصحينَ﴾ وكذلك: ﴿وأَنَا عَلَى ذلكُمْ منَ الشَّاهدينَ﴾ فإنه يكون على التبيين الَّذى قدَّمنا ذكْرَه وهو قول البصريين أجمعين، إلاَّ أَن أبا عُمر الجَرْمِىَّ أجازَ أن يَجْعَلَ «لكما»، و«على ذلكم» مُعَلَّقين بشيئين محذوفين دلَّ عليهما «من الناصحين»، و «من الشاهدين»؛ لأن «من» مُبَعِّضَةٌ، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: وقاسَمَهُما إنى ناصحٌ لكما من الناصحين، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين.

وأما اختياره وذكْرُهُ أنه قولُ المازنىّ، وجَعْلُهُ الألف واللام للعهد مثْلَهُما فى الرجل وما أشبهه، فإن هذا القول غير مَرْضِىٍّ عندى، لأنك إذا قلت: نَعْمَ القَائمُ زيدٌ، فجعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه، فإنه إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة، وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل، وامتنع من أن يعمل مُؤَخَّرًا إلا على حيلَة ووَجْه بعيد من التبيين الذى ذَكَرْنَا. وإذا كان فى التأخير لا يَعْمَلُ بنفسه، فكيف يَعْمَلُ إذا تَقَدَّم عليه الظَّرْفُ! وهذا مستحيل لا وَجْهَ له.

وأما إنشاده:

* لاَ أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غرَارًا *

فإن هذه أبيات أربعة أُنْشِدْنَاها عن الزِّيَادِىِّ، وذُكِرَ أنه كان يستحسنها وهى لأعرابىّ قال:

مَـا لعَيْنِى كُحلَتْ بالسُّهَاد ... ولجَنْبِى نَابِيًا عَنْ وسَادِى
مَـا أذوقُ النَّوْمَ إلاَّ غرَارًا ... مثْلَ حَسْوِ الطَّير مَاءَ الثِّمَاد(١)
أَبْتَغِى إصلاحَ سُعْدَى بجُهْدِى ... وَهْىَ تَسْعَى جُهْدَهَا فى فَسَادِى
فَتَتَارَكْنا عَلَى غَيْرِ شَىْءٍ ... ربَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمَادِى

(١) ر ، س : «لا أذوق».

وأما إنشاده:

* وُضِعْنَ وكُلُّهُنَّ على غِرارٍ *

فإن البيت لِعَمْرو بن أحمر بن الْعَمَرَّدِ الباهِلِىّ.

* * *

[الطخيم بن أبى الطخماء الأسدى يمدح قوماً من أهل الحيرة]

قال أبو العباس: ومن سَهْلِ الشِّعْرِ وَحَسَنِه قول طُخَيْم بن أبى الطخماء الأَسَدِىِّ يمدح قوما من أهل الْحِيرَةِ من بنى امْرِئِ الْقَيسِ بن زَيْدِ مَنَاة بن تميم، ثم من رَهْط عَدِىِّ بن زيد العبادِىِّ، قال:

كَـأَنْ لَمْ يكُنْ يَوْمٌ بِزُورَةَ صَـالِحٌ ... وَبِالقَـصْرِ ظِلٌّ دائم وَصَـدِيقُ[1]

ولَمْ أَرِدِ الْبَطْحَـاءَ يَمْزُجُ مَـاءَهَا ... شَرَابٌ مِنَ الْبَـرُّوقَتَيْنِ عَـتِيقُ[2]

مَعِى كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ ... إذَا مـا سَـرَتْ فِـيـه الْمُدَامُ فَنِيقُ

بَنُو السِّمْطِ وَالحُدَّاءِ، كُلُّ سَمَيْدَعٍ ... لَهُ فى الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ

وَإنِّى وَإنْ كَانُوا نَصَـارَى أُحِبُّهُمْ ... ويَرْتَاحُ قَلْبِـى نَحْـوَهُمْ وَيَتُـوقُ

قال أبو العبـاس: أَنْشَدَنى هذا الشِّعْرَ أبو مُحَلِّم، ثم أَنْشَـدَنِيه رجلٌ نصرانىّ يُكْنَى أبا يَحْيَى، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحُـوا به، وَذَكَر أنه يَذْكُرُ طُخَيْما، وهو يَتَرَدَّدُ إليـهم ويَظَلُّ عندهم. قال هذا النصـرانىّ - وهو رجل من بنى الحُدَّاء - قال: أذْكُرُهُ وأنا صغير جِداًّ، والسلطانُ يطلبه لقوله:

* له فى العروق الصالحات عروق *

يقول: أتقول هذا لقَوْمٍ من النصارى! وكان هذا النصرانىُّ قد قارَبَ مائة سنة فيما ذُكِر.

---

(١) زورة: موضع قـرب الكوفة، ضبـطه ياقوت بفتح الزاى، وقـال: «وقرأته بخط بعض أعـيان أهل الأدب «زورة» بضم الزاى»، وأورد الأبيات.

(٢) البروقتان: موضع قرب الكوفة، وضبطه ياقوت بواوين، الأولى مضمومة، وأورد البيت.

وقوله: «معى كل فضفاض القميص» يريد أنّ قميصه ذو فُضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الْخُيَلاء، كما قال زُهَيْر:

يَجُرُّونَ الذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ   حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: «فَضْلُ الإزارِ فى النار» إنما أراد معنى الْخُيَلاء، وقال الشاعر:

وَلاَ يُنْسِينِىَ الحَدَثَانُ عِرْضِى   وَلاَ أُرْخِى مِنَ المَرَحِ الإزَارَا

وقد رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال لأبى تَمِيمَةَ الهُجَيْمِىِّ: «إيَّاكَ وَالمَخِيلَةَ» فقال: يا رسول الله، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ، فما المَخِيلَةُ؟ فقال ﷺ: «سَبَلُ الإزار»، والحَدِيث يَعْرِضُ لما يَجْرِى فى الحَدِيث قَبْله، وإن لم يكن من بابه، ولكن يُذْكَرُ به.

قال أبو العباس: رُوِىَ لنا أنَّ رَجُلاً من الصالحين كان عند إبراهيم[1] بن هشام، فأنشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

إذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنهاكِ عَاصِيَةٌ   وَإذْ أَجُرُّ إلَيْكُمْ سَادِراً رَسَنى

فقام ذلك الرجل فَرَمَى بشِقِّ رِدائه، وأَقْبَلَ يَسْحبه حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم بن هشام: ما بكَ؟ فقال: إنِّى كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته، فآلَيْتُ ألاَّ أسْمَعَهُ إلاَّ جَرَرْتُ ردائى كما تَرَى، كما سَحَبَ هذا الرجل رَسَنَه.

وأما الفَنِيقُ فإنه الفحل من الإبل[2]، وإنما أراد خَطَرَانَه بِذَنَبه من الْخُيَلاء، فشبَّه الرجلَ من هؤلاء إذا انْتَشَى بالفحل، وهو إذا خَطَرَ ضَرَبَ بذَنَبِه يَمْنَةً وشَأْمَةً، قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الجَمَائِلَ بَعْدَمَا   تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الخَطْرُ[3]

---

(١) كان والى المدينة، والشاعر هو الأحوص، والخبر فى الأغانى (٤٠:٢١٦) طبعة الدار.

(٢) سقطت كلمة «الإبل» من ر، س.

(٣) الزرق: أكثبة بموضع يقال له الدهناء. والجمائل: جمع جمل، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والغربان هنا: رءوس الأوراك، وتقوب: تقطع، يريد أن خطر الجمال بأوراكها أحدث فيها قوبا فتقطعت. (وانظر ديوانه ٢٠٩).

[قول مخيس بن أرطاة الأعرجي لرجل من بني حنيفة]

ومنْ حَسَنِ الشعر وما يَقْرُب مَـأْخَذه قـولُ مُخَيِّـسِ بـنِ أرْطـاةَ الأعْـرَجِـيِّ ـ وَالأعْرَجُ الحارثُ بن كَـعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ـ لرجل من بنى حَـنيفَة يـقال لـه يَحْيى، وكان يَصيـر إلى امرأة فى قرية من قُرَى اليمامة يقال لها: بَقْعَاءُ: ـ [قـال أبو الحسن: أُنْشِـدْتُه عن الرِّيَاشيِّ: «نَقْعَـاء»(١)، وسـألت رجـلاً من أهل اليمامة فَصيحًا من بنى حنيفة عن هذا، فقال: ما نعرفه(٢) إلا «نقعاء»] ـ(٣):

عَرَضْتُ نَـصِيحَـةً مِنِّى لِيَحْـيَى فَقَـالَ: غَشَـشْتَنِى وَالنُّصْـحُ مُرُّ
وَمَا بِى أَنْ أَكُـونَ أَعِيبُ يَحْـيى وَيَحْـيَـى طاهِرُ الأثواب(٤) بَـرُّ
وَلَكِنْ قَـدْ أَتَانِـى أَنَّ يَحْـيـى يُقَـالُ عَلَيْـهِ فِى بَقْـعَـاءَ شَـرُّ
فَـقُلْتُ لَهُ: تَجَنَّبْ كَلَّ شَىْءٍ يُعَـابُ عَلَيْـكَ، إنَّ الْحُـرَّ حُـرُّ

فهذا كلام ليس فيه فَضْلٌ عن معناه.

وقولـه: «إن الحرَّ حـرٌّ» إنما تأويله أن الحُرَّ على الأخـلاق التى عُهِـدت فى الأحرار، ومثلُ ذلك:

* أنا أَبو النَّجْم وَشِعْرِى شِعْرِى(٥) *

أىْ شِعْرِى كما بلَغَك، وكما كُنتَ تَعْهَدُ، وكذلك قولهم: الناسُ الناس، أى الناس كما كـنت تعْهَدُهُمْ. [قال أبو الحسن: ومـنه قول الله عز وجل: ﴿**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ**﴾](٦).

وقوله:

فـقلـتُ له تجَنَّبْ كـل شىء يـعـاب عليـك . . .

(١) ر: «نقعاء ، بالنون».
(٢) ر: «ما أعرفه».
(٣) س: «نقعاء ، بالنون». ر: «بقعاء ، بالباء».
(٤) ر: «الأخلاق».
(٥) بعده:

* لله درى ما يجن صدرى *

(وانظر معاهد التنصيص ١: ١٩)
(٦) سورة طه ٨٧.

كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عبدَ المَلك [بن مروان][1] فقال: آخذٌ بثلاث، تاركٌ لثلاث: آخذٌ بقلوب الرجال إذا حَدَّث، وبحسْنِ الاستماع إذا حُدِّثَ، وبأيسرِ الأمرين عليه إذا خُولِف، تاركٌ للمراء، تاركٌ لمقاربة اللئيم، تاركٌ لما يُعتَذَر منه، كقوله:

.... تَجَنَّبْ كُلَّ شَيءٍ يُعَابُ عَلَيكَ إنَّ الحُرَّ حُرُّ

[قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المري]

ومما يُستحسَنُ إنشادُه من الشعر لصحة معناه، وجزَالة لفظه، وكثرة تردُّد ضَرْبه من المعانى بين الناس، قولُ ابن مَيَّادةَ لرياحِ بن عثمان بن حَيَّانَ المُرِّى[2]، من مُرَّة غَطَفانَ، يقوله فى فتنة[3] محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان أشار عليه بأن يعْتزِل القومَ فلمْ يفعل فقتل، فقال ابن مَيَّادة:

أَمَرْتُكَ يا رِياحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فقُلْتَ: هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدِ
نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَحْبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ
وَوَجْدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدِى

وقوله[4]:

* فقلتَ هَشيمَةٌ من أهل نجد[5] *

تأويله ضَعَفَةٌ، وأصل الهشيم النَّبْتُ إذا ولَّى وَجَفَّ وتكسَّر، فذَرَتْهُ الرِّيَاحُ يمينًا وشمَالاً. قال الله عز وجل: ﴿فأَصْبَحَ هَشِيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[6] والنَّجْدُ أعالى الأرض.

وقوله:

* عَلَى مَحبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ *

---

(١) من ر، س.

(٢) كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور سنة ١٤٤ (وانظر زامبور ١: ٣٦).

(٣) ذكر ابن الأثير هذه الفتنة مفصلة فى حوادث سنة ١٤٤. والخبر والأبيات فى الأغانى ٢: ٣٣٧، ٣٣٨ (طبعة الدار)، واللسان (هشم) عن المبرد.

(٤) ر: «قوله» س: «قوله».

(٥) فى اللسان: «ضعف».

(٦) الكهف ٤٥.

فالمَحْبُوك الذى فيه طَرَائق، واحدها حِباكٌ، والجماعة حُبُك، وكذلك الطرائق التى على جَناح الطائر: من ذلك قول الله عز وجل(١): ﴿**وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ**﴾(٢).

* * *

[قال أبو الحسن: ابن مَيَّادَةَ اسمه الرَّمَّاحُ، وأمه مَيَّادَة، وأبوه أبْرَد، وكان عاقًّا بأمه، ولها يقول:

* اْعْرَنْزِمى مَيَّادَ لْلقَوافى(٣) *

وأصل الاْعْرِنْزَامِ التَجَمُّع والتَّقَبُّض، يقول: اسْتَعِدِّى لها وتَهَيَّئى.

وأنْشَدَنا أبو العباس محمد بن يزيدَ له:

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قلن يَوْمَ تَرَحُّلِى ... قَوْلَ الُمجِدِّ وَهُنَّ كالمُزَّاحِ
يَالَيْتَنَا مَنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَادِحٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعِيسُ بالرَّمَّاح

فى أبيات له، يعنى نفْسَه.

قال أبو الحسن: وتمام الأبيات:

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِى مُتَعَصِّبًا ... بالخَزِّ فَوْقَ جُلاَلَةٍ سِرِدْاحِ(٤)
فِيهِنَّ صَفْرَاءُ المَعَاصِمِ طَفْلَةٌ ... بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ(٥)
رَيَّشْنَ حِينَ أَرَدنَ أَنْ يرمِيننِى ... نَبْلاً بلاَ رِيشٍ وَلاَ بِقِدَاحِ
وَنظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ ... مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ

* * *

(١) ر: «تبارك وتعالى».

(٢) الذاريات ٧.

(٣) حاشية الأصل: بعده:

* واستسمعيهن ولا تخافى *

وفى ر:

واستسمعيهن ولا تخافى ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(٤) الجلالة: الناقة الضخمة. والسرداح: الناقة الطويلة.

(٥) صفراء المعاصم: هى التى طليت بالزعفران. والطفلة: الناعمة. والغريض: الطرى.

قال أبو العباس: ثم نَذْكُرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْرًا، ونعود(١) إلى المُقَطعَّاتِ إن شاء الله.

[يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنَّا معشرَ قريش، كنا نعدّ الجود والحلم السُّؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة](٢).

قال الأحْنَفُ بن قَيْسٍ: كثرةُ الضّحك تُذْهِبُ الْهَيْبَة، وكثرة المَزْح تُذْهِبُ المُرُوءة، ومن لَزِمَ شيئًا عُرِفَ به.

وقيل لعبد الملك بن مَرْوانَ: ما المُرُوءَة؟ فقال: مُوَالاَةُ الأَكْفَاءِ، ومَدَاجاةُ الأعْداء.

وتأويل المُدَاجاة المُدَاراة، أى لا تُظْهِر لهم ما عندك من العداوة، وأصله من الدُّجى، وهو ما ألْبَسَكَ الليلُ من ظلمته.

وقيل لمعاوية: ما المُرُوءَةُ؟ فقال: احتمال الجَرِيرَة، وإصلاَحُ أَمْرِ الْعَشِيرة. فقيل له: وما النُّبْل؟ فقال: الْحِلْمُ عند الغضب، والْعَفْو عند القُدْرة.

وكان أبو سُفْيَان إذا نزل به جارٌ قال له: ياهذا، إنك قد اْخترتنى جارًا، واخترتَ دارى دارًا، فَجِنَايَةُ يَدِكَ علىَّ دونَكَ، وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فاحْتَكِمْ علىَّ حُكَمَ الصبىِّ على أهله.

وذلك أن الصبىّ قد يَطْلُبُ ما لايوجد إلاَّ بعيدًا، ويطلب ما لا يكون ألْبَتَّةَ، قال الشاعر(٣):

وَلاَ تحَكمُاَ حُكَم الصَّبىّ فَإنَّهُ ... كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُه

وروى(٤) أن معاوية بن أبى سفيان لما نَصَبَ يزيدَ لوَلاية الْعَهْدِ أَقْعَدَهَ فى قُبَّةٍ حمراء، فَجَعَلَ الناسُ يُسَلِّمُونَ على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل

(١) ر: «ثم نعود».
(٢) ما بين العلامتين تكملة من ر.
(٣) زيادات ر: «هو الأعرج المعنى».
(٤) ر: «ويروى».

ففعل ذلك، ثم رجع إلـى معاوية، فقال: يا أمـير المؤمنين، اعْلَمْ أنك لو لم تولّ هذا أمورَ المسلمين لأَضَعْتَهَا ـ والأحْنَفُ جالس ـ فقال له معاوية: ما بالكَ لا تقولُ يا أبا بَحْر! قـال: أخاف الله إن كَذَبْت، وأخـافُكْم إن صَدَقْتُ. فقـال: جزاك الله عن الطاعة خيرًا! وأَمَرَ له بألوف، فلما خـرج الأحنفُ لَقِيَهُ الرجلُ بالباب، فقال: يا أبا بحْر، إنـى لأَعْلَمُ أن شرَّ مَنْ خلَقَ الله هذا وابنُه، ولكنهم قـد استَـوْثَقُوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلَسْنا نَطْمَعُ فى استخراجها إلا بما سمعت، فقال الأحنف: يا هذا أمِـسك عليك(١)، فـإن ذا الوجـهـين خَليـقٌ ألاَّ يكونَ عند الله وجيـهـا.

[الرجل يهجو بلال بن البعير المحاربى]

وقال رجل يَهجو بلال بن البَعير المحاربىّ(٢):

يقـولون أبْنَاءُ الْـبَـعـيـرِ ومَـالَهُ ... سَنَامٌ ولاَ فِى ذِروَةِ المَجْدِ غَارِبُ
أَرَادتْ ـ وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا ... لأَهْجُوَهَا ـ لَمّا هَجَتْنِى مُحَارِب
مَـعَـاذَ إِلَهِى إِنَّنـى بِعَـشـيـرَتِى ... ونَفْسىَ عَنْ هَذَا المَـقَامِ لَرَاغِبُ

[لأبى الطمحان القينى يفخر بقوله]

وقال أبو الطَّمَحَان القَيْنىُّ(٣):

وَإِنِّى مِنَ الْـقَـوْمِ الَّذِيـنَ هُمُ هُمُ ... إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَـيِّدٌ قَامَ صَاحِـبهْ
نُجُـومُ سَمَاء كُلَّـمَا غَارَ كَـوكَبٌ ... بَدَا كَـوكَبٌ تأْوِى إِلَيـه كَـوَاكِبُـهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجزْعَ ثاقبه
وَمَازَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كـانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيـرُ المَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَـائِبُهْ

---

(١) كلمة «عليك» ساقطة من ر، س.

(٢) زيادات ر: «الشاعر الرماح بن ميادة»، ورواية الأغانى (٢: ٣٣٠ ـ طبعة الدار) للبيتين الأخيرين عن أبى حذافة السهمى:

أظنت سفاها من سفاهة رأيها ... أن اهجوها ـ لما هجتنى محارب
فـلا وأبيـها إننـى بعشيـرتى ... ونـفسـى عن ذاك المقام لراغب

(٣) زيادات ر: «اسمه حنظلة بن الشرقى، والطمحان فعلان، من طمح بأنفه وبصره إذا تكبر، والقين: الحداد، وكل صانع قين، والقين أيضا: مواضع القيد من البعير».

[لإياس بن الوليد يمدح قومه]

وقال إياس بن الولَيد يمدح قومه:

إنِّى وَجَـدِّك مِنْ قَوْمٍ إذَا طَلَبُـوا بَعْدَ النَّسِـيئَةِ دَيْنًا أَحْـسَنُوا الطَّلَبَا
لاَ تَحْسِبُوا هَجْمَ أَبْـيَاتِى عَلاَنِيَةً وَلاَ اسْتِلاَبَ سِلاَحِى ذَاهِـبًا لَعِبَا
تَبْقَى الْمَـعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ بَاقِـيَةً وَيَذْهَبُ الْمَالُ فِيـمَا كَانَ قَـدْ ذَهَبَا

[لرجل يهجو]

وقال آخر:

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَـيْرَ تَأْشِيبِ نِسْبَةٍ وَلَكِنَّ عَـمْـرًا غَـيَّبَـتْـهُ الْمَقَـابِرُ
إِذَا عُيِّـرُوا قَالُوا مَقَـادِيرُ قُدِّرَتْ وَمَـا الْعَارُ إِلاَّ مَـا تَجُرُّ الْمَقَـادِرُ

[لرجل من بنى نهشل بن دارم ينأى بنفسه]

وقال رجل من بنى نَهْشَلِ بن دارِم:

إِذَا مَـوْلاَكَ كَـانَ عَلَـيْكَ عَـوْنًا أَتَاكَ الْقَـوْمُ بِالْعَـجَبِ الْعَـجِيبِ
فَـــلاَ تَخْنَـعْ إِلَيْـــهِ وَلاَ تُرِدْهُ وَرَامِ بِرَأْسِـهِ عُـــرْضَ الْجَـبُـوبِ
فَـمَـا لِشَـآفَـةٍ مِنْ غَـيْـرِ ذَنْبٍ إِذَا وَلَّى صَـــدِيقُكَ مِنْ طَبِـــيبِ

قوله:

* ورام برأسه عرض الجبوب *

يريد الأرضَ - وهو اسم من أسمـائها - أنشدنى التَّـوَّزِىُّ لرجل من بنى مُرَّةَ يَرْثى ابنه:

بُنَىَّ عَلَـى عَـيْنِى وَقَلْبِـى مَكَانُهُ ثَوَى بَيْنَ أَحْجَـارٍ وَرَهْنَ جَبُوبِ

وقوله: «فـما لشـآفة» يقـول: لبُغْضٍ، يقال: شَـئِفْتُ الرجُلَ أَشْـأَفُهُ شـآفةً وشَأْفًا، وقد يقال فى هذا المعنى شَنِفْتُهُ، قال الرَّاجز:

لَمَّـا رَأَتْنِى أُمُّ عَـمْرٍو صَـدَفَتْ وَمَنَعَـتْنِى خَـيْـرَهَا وَشَنِفَتْ(١)

---

(١) البيتان فى اللسان (شنف).

وقال آخر:

* وَلَمْ تُدَاوِ غُلَّةَ الْقَلبِ الشَّنِفْ[1] *

[النبهان بن عكى فى النسيب]

وقال نَبْهَانُ بن عَكِّيّ العَبْشَميُّ:

يُقِرُّ بِعَينِي أَنْ أَرَى مَنْ مَكَانِهُ ... ذُرَا عَقِدَاتِ الأَبْرَقِ المُتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرِدَ المَاءَ الَّذِي شَرِبَتْ بِهِ ... سُلَيْمَى، وَقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ
وَأُلْصِقَ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تُرَابِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ الأَسَاوِدِ

قوله: «ذُرَا عَقِدات»، فالذِّرْوَةُ من كلّ شيء أعلاه، فَذُرْوَةُ السنام أعلاه، وذُرْوَةَ المَجْدِ أَرفَعُهُ وأسناه، ويقال: فلان فى ذُرْوة قوْمِهِ إذا كان فى الموضع الرفيع منهم، وأما قولَ لَبِيد:

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا ... دنَسَ الأَسْؤُقِ عن عَضْبٍ أَفَلّ

فإنما يقول: هذا رجل يُعَرْقِبُ الإبل لِيَنْحَرَهَا ثم يمسح ذرا أَسْنِمَتِهَا بسيفه، لِيَجْلُوَ ما عليه من دم الأسؤق.

وقوله: «عَضْب» أى قاطع، ومن ذلك رجل عَضْبُ اللسان، وجعله أَفَلَّ لكثرة ما يُقَارِعُ به الحُروبَ، كما قال النابِغَة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فلولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقوله: «عقدات» فهو ما انْعَقَدَ وَصَلُبَ من الرمل، والواحدة عَقِدَة، وأعْقادٌ أيضًا وَعَقِدَات، قال ذو الرُّمَّةِ لِهِلاَلِ بن أَحْوَزَ المازِنِيِّ يمدحه:

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يا هِلاَلُ لَهَا ... رَفْعَ الطِرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمدِ[2]
حَتَّى نِسَاءُ تَمِيمٍ وَهْيَ نَازِحَةٌ ... بِقُلَّةِ الحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْعَقِدِ
لَوْ يَسْتَطِعْنَ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ ... وَقَيْنَكَ المَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَلَدِ

---

(١) البيت فى اللسان (شنف)، ورواه «علة القلب» بالمهملة.

(٢) الطراف: بيت من جلد، والعلياء: المكان المرتفع.

وقوله: «الأبرق» فالأبْرَقُ حجارة يَخْلطُها رَمْلٌ وطين، يقال لتلك: بُرْقَةٌ، وأبْرَقُ، وبَرْقَاء، يافتى، كما يقال: الأَمْعَزُ والمَعْزَاء، وهى الأرض الكثيرة الحَصْبَاء، ومثل ذلك الأَبْطَحُ والبَطحَاء، وهو ما انْبَطَحَ من الأرض، فمن قال: أبْرَقُ فإنما أراد المكان، ومن قال: بَرْقاءُ فإنما أراد البقعة.

وقوله: «المتقاود» يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم: قُدْتُهُ أى جَرَرْتُهُ على استقامة، وكذلك طريق مُنْقاد، وفلان قائد الجيش، قال حاتم بن عبد الله الطائىّ: يضرب هذا مثلا:

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ[1]

وقوله:

* ولو كان مخلوطا بسمّ الأساود *

يريد جمع أسْوَدَ سالخ، وجَمَعَهُ عَلَى أساود؛ لأنه يجرى مُجْرَى الأسماء، وما كان من باب «أفْعَل» اسْمًا فَجمْعُهُ على أفاعِلَ، نحو أفْكَل وأفاكِلَ[2]، والأكْبَر والأكابِر، وكذلك كلُّ ما سَمَّيْتَ به رجلا، تقول: أحْمَد وأحامد، وأسْلَمُ وأسالِمُ، فإن كَان نعتا فَجمْعُهُ «فعْل»[3] نحو أحْمَرَ وحُمْر، وأصْفَرَ وصُفْر، ولكن أسْوَد إذا عَنَيْتَ به الحيّة، وأدْهَم إذا عَنَيْتَ به[4] القَيْدَ، وأبْطحَ إذا عنيت[5] المكان المُنْبَطِح، والأبرق[6] إذا عنيت المكان، مُضَارِعةٌ للأسماء، لأنها تدل على ذات الشىء، وإن كانت فى الأصل نعتًا محضا[7]، تقول فى جمعها: الأَبَاطِح والأَبَارق والأَدَاهِم والأَسَاوِد. فإن أرَدْتَ نعتًا مَحْضًا يَتْبَعُ المنعوت، قلت: مررت بثياب سُودٍ، وبِخَيْلٍ دُهْم، وكل ما أشْبَهَ هذا فهذا مجراه، قال جرير:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لاَ قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِى أو لِجَدْلِ الأدَاهِمِ[8]

(١) حاشية الأصل: «الأقود من الرجال: الذى لا يلتفت».
(٢) الأفكل: اسم لرعدة من برد أو خوف.
(٣) ر ، س: «فجمعه على فعل».
(٤) ر ، س: «إذا عنيت به القيد».
(٥) ر: «إذا عنيت المكان».
(٦) ر: «وأبرق إذا عنيت به المكان».
(٧) ساقطة من ر.
(٨) المساحى: «جمع مسحاة، وهى المجرفة من حديد يجرف بها الطين عن وجه الأرض».

وقال الأَشْهَب بن رُمَيْلَة ـ [قال أبو الحسن: رميلة اسم أمّه] ـ(١):

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أسـود خَفِيَّةٍ تساقت(٢) عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

قوله: «على حـرد» يقول: على قَصـد، فأما قـولُ الله عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَـرْدٍ قادرين﴾(٣)، فإن فـيه قـولين: أحدهمـا ما ذَكَـرْنا من القصـد، قال الشاعر(٤):

قَدْ جَـاءَ سَيْلٌ جَـاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْـرِدُ حَـرْدَ الجَنَةِ المُـغِلَّهْ(٥)

وقالوا: «عـلى حَرْدٍ»: أى على مَنْعٍ، من حـارَدَتِ السنةُ إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا، وحاردت الناقة إذا مَنَعَتْ دَرَّهَا.

* * *

[قال أبو الحسن: رواية أبى الـعباس: «يُقِرُّ بعينى» يريد يُقِـرُّ عينى، ثم أتى بالباء توكيدًا، وقـال لنا: هكذا سمعته، ويقال: أقَرَّ الله عـينَهُ يُقِرُّها، وَقَرَّتْ عينُهُ تَقَرُّ، وقَـرَرْتُ بالمكان أقِرُّ، وقال الأصمـعىّ: قَرَّتْ عينُهُ من القُـرِّ وهو البَرْدُ، أى جَـمَدَتْ فلـم تدمع، وهو بِحِـذاء سَخِنَتْ عـينُهُ. وأجْـوَدُ مما رَوَى عندى: «يَقَـرُّ بعينى»، وهو الأصل، والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة.

وقال أبو العـباس: الذى رَوَيْتُ: «وقد مَلَّ السُّرَى كُلُّ واحـد»، وهو المنفرد فى السير المُتَـوَحِّدُ به، ورَوَى غيره: «كلُّ واجـدٍ»، أى عاشق، ورُوِىَ أيضًا: «كل واخـد»، وهو من الوَخْـد والوَخَـدَانِ، وهو السـير الشـديد، والوخْـدُ المصـدر، والوَخَدانُ الاسم].

* * *

(١) ما بين العلامتين من ر ، س.

(٢) ر ، س: «تسافوا».

(٣) سورة القلم ٢٥.

(٤) س: «قيل: هو قطرب».

(٥) زيادات ر: «قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره ـ يعنى قطربا»، وفيها «قطريا» تصحيف.

وقال القَتَّالُ الكِلاَبِىُّ(١)، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَحِىّ:

أَنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَعْـمَامِى لَهَا وَأَبِى ... إِذَا تَرَامَى بَنُـو الإِمْـوَانِ بِالْعَـارِ

لا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلاَّ ثَدْىَ وَاضِحَةٍ ... لِوَاضِحِ الخَدِّ يَحْـمِى حَوْزَةَ الجَارِ

مِنْ آلِ سُفْـيَانَ أَوْ وَرْقَاءَ يَمْنَعُـهَا ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبٌ غَيْرُ عُوَّارِ

يَالَيْـتَنِى وَالْمُنَى لَيْـسَتْ بِنَافِعَـةٍ ... لِمَـالِكٍ أَوْ لِحِـصْنٍ أَوْ لِسَيَّـارِ

طِوَالُ أَنْضِيَـةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا ... رِيحَ الإِمَـاءِ إِذَا رَاحَـتْ بِأَزْفَـارِ

قوله:

* إذا ترامى بنو الإموان بالعار *

فالإِمْوَان: جـمع أَمَةٍ، وأصل أَمَة «فَـعَلَةٌ» متحركـة العين، وليس شىء من الأسماء على حرفين إلاوقـد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمـعه، أو بتثنيته، أو بفعل إن كان مـشتقًّا منه، لأن أقل الأصـول ثلاثة أحرف، ولا يَلْحَقُ التصغـيرُ ما كان أقلَّ منها، فأَمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم: «إِمْوَان»، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أَبَوَان وأَخَـوَان، وعلمنا أن أمَة «فَعَلَةٌ» متـحركة بقولهم فى الجميع: آمٍ، فوزن هذا أُفعُلٌ، كـما قالوا: أَكَمَةٌ وآكُمٌ، ولا تكون فَعْلَةٌ على أُفعُلٍ، ثم قالوا إِمْوانٌ: كما قـالوا فى المذكَّر الذى هو منقوص مثله: إخْوان، واستوى المذكـر والمؤنث؛ لأن الهاء زائدة، كما اسْتَوَيَا فى «فَـعْل» الساكن العين، تقول: كَلْـبٌ وكلاب، وكَعْبٌ وكـعابٌ، كـما تقول فى المؤَنث: طَـلْحَةٌ وطلاَحٌ، وجَفْنَةٌ وجِفان، وصَـحْفَةٌ وصِحَافٌ. ونظير ذلَك من غـير المعتل ورَل(٢) ووِرْلان، وبَرَق وبِرْقان وخَـرَب وخِربان، وهو ذَكَرُ الحُـبارَى، والبَرَقُ الحَـمَل. ومن أنشد:

---

(١) ر، س: «وقال أبوالعباس، قال القتال . . .».

والأبيات فـى أمالى القـالى (٢: ٢٢٥، ٢٢٦)، وذكر فيـها: «نازع القـتال الكلابـى - وهو عبيـد بن المضرحى - رجلا من قومـه، فقال له الرجل: أنت كلٌّ على قومك، والله إنك لخـامل الذكر والحسب، ذليل النفر، خفيف على كاهل خصمك، كلٌّ على ابن عمك»، فقال هذه الأبيات.

(٢) الورل: دابة على خلقة الضب، إلا أنه أعظم منه، يكون فى الصحارى.

«أُمْوَان» فقد غلط، لأنه يَحْتَجُّ بقولهم: حَمَلٌ وحُملانٌ، وفَلَقٌ وفُلْقانٌ، وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مثْلَهُ، نحو أخ وأخْوان. وقد رَوَى أبو زيد: أُخْوان، فإلى هذا ذهبوا، والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عَلَيْه الرِّوايةُ الضعيفة.

وقوله: «لا أرْضِعَ الدَّهْرَ» فهذا على لغته، لأن قيْسًا تقول: رَضِعَ يَرْضَعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضَعَ يَرْضِعُ، ويُنشِدون بيت عبد الله بن هَمَّام [السلولىّ][1] على وجهين، وهو:

إذَا نَصَبُوا لِلقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا ... ولكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفعْلُ
وذَمُّوا لَنا الدُّنْيَا وهُمْ يَرْضِعُونَها ... أَفَاوِيقَ حَتَّى ما يَدِرَّ لَهَا ثُعْلُ[2]

وبعضهم يقول: «يَرْضَعُونَها».

وقوله:

«لا أَرْضِعُ الدهر إلا ثدْيَ واضحة»

يقول: إنما تُرْضِعُنى أمّى، وليست غير كريمة، كما قال الأعْشَى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الَمطِيَّ ولاَ ... يَشْرَبُ كَأْسًا بكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يقول: إنما تَشْرَبُ بكفك، ولَسْتَ ببخيل، ومثل هذا قولُ التَّميمِيِّ لِنَجْدَةَ بن عامرٍ الحنَفِىّ الخارجىّ[3]:

مَتَى تَلْق الحَرِيشَ حَرِيش سَعْدٍ ... وعَبَّادًا يَقُودُ الدَّارِعينا
تَبَيَّنْ أَنَّ أُمَّك لَمْ تَوَرَّكْ ... ولَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا[4]

وقوله: «واضحة» أى خالصة فى نَسَبِها، وليست بأمةٍ، وهذا توكيد لبيته الأول، وقد أنشد بعضهم: «لواضح الجدِّ» والمعنى قريب.

---

(١) من و. وفى س «بيتى ابن همام».

(٢) الثعل، مثلثة: خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة.

(٣) هو نجدة بن عامر الحنفى، من رءوس الخوارج، كان ممن لقبوه بأمير المؤمنين قتل سنة ٧٢. (وانظر تاريخ الطبرى ٧: ١٩٤).

(٤) هو الحريش بن هلال القريعى الشاعر، وعباد بن علقمة المازنى، وسيأتى ذكرهما فى أخبار الخوارج.

وقوله: «يَحْمى حَوْزَةَ الجار» أى ما يَحُوزه، يقال: فلان مانع لحوْزَتِه، أى لما صار فى حَيِّزِه، ويُرْوَى عن علىّ بـن أبى طالب رحمة الله عليه[1] أنه قال: للأزْد أربعٌ ليْسـت لحَىّ، بـذْلٌ لما ملـكَتْ أيـديـهـم، ومَـنْـعٌ لِحَـوْزَتِهِمْ، وحَىٌّ عِمَارةٌ[2] لا يحتاجون إلى غيرهم، وشُجْعَانٌ لا يَجْبُنُونَ.

وقوله:

* لِمالكٍ، أو لِحصْنٍ، أو لسَيَّار *

فهؤلاء بيت فزَارَة، وبيُوتات العَرَب فى الجاهلية ثلاثة، فبيتُ تميم بنوعبد الله ابن دارم، ومَرْكَزُهُ بنو زُرَارَةَ، وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزَارَةَ ومركَزُهُ بنو بدْرٍ، وبيت بكْر بن وائِل شَيْبان ومركزُه بنو ذى الجَدَّيْنِ.

وقوله: «طوالُ أنْضِـيَةِ الأعناقِ» فالنَّضِىُّ مُـرَكَّبُ النَّصْلِ فى السِّنْخِ، وضَرَبَهُ مَثَلاً، وإنما أراد طِوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الْوَاطِئِـينَ عَلَى صُدُورِ نِعَـالِهِمْ　　　يَمْـشُونَ فِي الدفَـئِيِّ والأَبْرَادِ[3]

يريد السُّودَدَ والنِّعْـمَةَ ولم يَخْصُصِ الصدورَ، وإنما أراد النعـال كلها، وقال الشاعر[4]:

يُشَـبَّهُـونَ مُلُوكًـا فِى تَجِلتِـهِمْ　　　وطُولِ أَنْضِـيَـةِ الأَعْنَاقِ واللِّمَم

إِذَا بَدَا المِسْكُ يَنْدَى فِى مَفَارِقِهِمْ　　　رَاحُوا كَـأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الْكَرَمِ

[قال أبو الحسن: وغيره يروى: يُشَبَّهُونَ قريشًا فى تجلّتهم].

وقوله: «بأزفار» فالزِّفْرُ الحِمْل، ويُضْرَبُ مثلا للرجل، فيقال: إنه لَزُفَر، أى حَمَّالٌ للأثقال، ويقال: أتى حِمْلَهُ فازْدَفَرَهُ، قال أبو قُحافة أعْشَى باهِلَةَ:

أَخُو رَغَـائِبَ يُعْطِيـها ويُسْأَلُـها　　　يَأْبَى الظُّلاَمَـةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَـرُ

---

(١) ر: «رضى الله عنه».

(٢) العمـارة هنا: الحى العظيم يمكنه الانفـراد بنفسـه، بفتح الـعين وكسـرها. قال ابن الأثـير: «فمن فـتح فلالتفـاف بعضهم على بعض كالعـمارة والعمامـة، ومن كسر فلأن بهم عمـارة الأرض» (وانظر النهاية ٣:١٢٨).

(٣) الدفئى: ضرب من الثياب، قيل هى المخططة.

(٤) زيادات ر: «هو الشمردل بن شريك اليربوعى، عن ابن قتيبة».

وإنما يريد بعينه، كقولك: لئن لقيتَ فلانا ليَلْقَيَنَّكَ منه الأسَدُ.

وقوله: «النَّوْفَلُ» من قولهم: إنه لذو فَضْل ونَوَافلَ.

* * *

[الرجل من بني عبس، وكان عروة بن الورد قد شتمه]

وقال رجل من بنى عَبْسٍ، يقوله لعُرْوَةَ بنِ الوَرْدِ:[١]

لا تَشْتُمَنِّى يا ابن وردٍ فإنَّنى ... تَعُودُ عَلَى مَالِى الْحقُوقُ الْعَوَائِدُ

ومَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤوبَ تَكُنْ به ... خَصَاصَةُ جِسْمٍ، وهُوَ طَيَّانُ ماجِدُ[٢]

وإنِّى امْرُؤٌ عافِى إنَائِىَ شِرْكَةٌ ... وأَنْتَ امْرُؤٌ عافِى إنَائِكَ وَاحِدُ[٣]

أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ والماءُ باردُ

قوله: «النؤوب» يريد الذى ينُوبه، وكل واو انْضَمَّتْ لغير علَّة فأنت فى همزها وتركها بالخيار، تقول فى جَمْع دارٍ: أدْؤُر، وإن شئت لم تَهْمِزْ، وكذلك النَّؤُوب والقَؤُولُ لانضمام الواو، فأمَّا الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة، وهى مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو التَقَتْ واوانِ فى أوّل كلمة، وليستْ إحداهما مَدَّةً لم يكن بُدٌّ مِنْ هَمْزِ الأولى، تقول فى تصغير واصِل وواقد: أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقِدٌ، لابُدَّ من ذلك، فأما وُجُوهٌ فإن شئتَ هَمَزْتَ فقلت: أُجوهٌ وإن شئْتَ لم تَهْمِزْ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[٤] والأصل وُقِّتَتْ، ولو كان فى غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت. وقوله عز وجل[٥]: ﴿مَا وُورِىَ عَنْهُمَا﴾[٦] والواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو.

وقولى: «إذا انضمت لغير علة»، فالعلة أن تكون ضمتها إعرابا، نحو هذا غَزْوٌ يا فتى، ودَلْوٌ كما ترى، فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ؛ لأن الضمة للإعراب فليستْ بلازمة، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين، فذلك أيضًا غير لازم، فلا يجوز

---

(١) ر ، س: «قال أبو الحسن: يقوله لعروة بن الورد».

(٢) الخصاصة: سوء الحال. والطيان: الجائع.

(٣) العافى: طالب المعروف.

(٤) سورة المرسلات ١١.

(٥) ر ، س: «وقوله تعالى».

(٦) سورة الأعراف، ٢٠.

همزه: نحو اخْشَوُا الرجل، و﴿لَتُبْلَوُنَّ فى أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾(١) و﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾(٢) ومَنْ هَمَزَ من هذا شيئًا فقد أخطأ.

[الرجل من بنى تميم يهجو تعلة بن مسافر]

وقال رجل من بنى تَمِيمٍ:

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافِرٍ مَادَامَ يَملكُهَا علَيَّ حَرَامُ
وطَعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلُها مَادَامَ يَسْلُكُ فِى الْبُطُون طَعَامُ
إِنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فِى أَعنَاقِهِمْ زَادٌ يُمَنُّ علَيْهِمُ لَلِئَامُ
لَعَنَ الإِلَه تَعِلَّةَ بْنَ مُسَافِرٍ لَعْنًا يُشَنُّ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جداً.

قوله: «يسوغ فى أعناقهم» يريد حُلُوقَهُمْ؛ لأن العُنُقَ يحيط بالحلْق، ويُشْبهُ هذا الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامىِّ:

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإِخْوَتِهِمْ مِنَّا عَشيَّةَ يَجْرِى بِالدَّمِ الْوادِى
نَقْرِيهُمُ لَهْذَمِيَّات نَقُدُّ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّاد

لأن الخياطة تَضُمُّ خِرَقَ القَميص، والسَّرْد يضم حلَقَ الدِّرْع، فَضَرَبَهُ مَثلاً فَجَعَلَهُ خِيَاطةً.

* * *

[قال أبو الحسن: رَوَى أبو العباس:

* وطعام عمران بن أوفى مثلُها *

ردّ الهاء والألف على الألبان، وهذا لا نظر فيه، ورَوَى أيضًا مثْله لأن الألبان تجرى مُجْرَى اللبن، فَحَمَلَهُ على المعنى. وقد يجوز أن تجْعَل الألبَان جَمْعًا فتُذَكَّرَ لتذكير الجمع. ورُوِىَ أيضًا.

* مادَامَ يَسْلُكُ فى الحلوق طَعَامُ *

(١) سورة آل عمران ١٨٦.
(٢) سورة التكاثر ٦.

وروَى الفَرَّاءُ فى هذا الشِّعر:

* إنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فى أَحْلاقِهِمْ *

وإنما كان ينبغى أن يكون: «فى أحْلُقِهِمْ» كقولك: فَلْسٌ وأفْلُسٌ، وما أشبهه ولكنه شَبَّهَ باب «فَـعْلٍ» بباب «فَعَلٍ»، كما قالوا: زَنْدٌ وأَزْنَادٌ، وفَـرْخٌ وأفْرَاخٌ، قال الحُطَيْئَةُ لِعُمَرَ بن الخطاب رضى[(١)] الله عنه:

مَـاذَا تَقُولُ لأَفْـرَاخٍ بِذِى مَـرَخْ ... حُمْـرِ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شَـجَرُ

ففعلوا هذا تشبيـهًا بباب «فَعَلٍ» كما شَبَّهُوا فَعَـلاً بِفَعْلٍ فى الجمع، فقالوا: جَبَلٌ وأجْبُلٌ، وزَمَنٌ وأزْمُنٌ، كما قال:

إنِّى لأَكْنِى بِأَجْـبَالٍ عَنْ أجْبُـلِهَا ... وبِاسْمِ أَوْدِيَـةٍ حُـبًّـا لِوَادِيهَـا

فَأُتِىَ به على الأصل، وتشبيهًا بغيره على ما أخْبَرْتُك، قال ذو الرُّمَّةِ:

أَمَنْزِلَتَـىْ مَىّ سَـلامٌ عَلَيْكُـمَـا ... هَلِ الأَزْمُنُ الَّلائِى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!

والباب «أزمان» كما قال رُؤْبَةُ:

أزْمَـانَ لا أدرى وإن سَـألتِ ... مـا فرْقُ بين جُـمـعةٍ وسَـبْتِ

وروَى أبو العبـاس البيتَ الأخـير مُـقْوًى، وجَعَلَهُ نكرة، وهـو قوله: «من قُدَّامٍ، كـما تقول: جئـتك من قَبْلٍ، ومن بَعْدٍ، ومن علٍ، وما أشـبهه، كمـا قرأ بعضهم: ﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ﴾[(٢)]، كما تقول: أوَّلا وآخرًا، ورواه الفراء: «من قُدَّامُ»، وجعله معـرفةً، وأجراهُ مُجْرَى الغايات، نحو: «قَبْلُ وبَعْـدُ» كما قال [طرفة بن العبد][(٣)]:

ثُمَّ تَفْـرِى الُّلحْمَ مِنْ تَعْـدَائِهَـا ... فَهْىَ مِنْ تَحْتُ مُشِـيحَاتُ الحزُمْ

وكما قال عُتَىّ بن مَالِك العُقَيْلِىُّ، أنشده الفراء أيضًا:

إذَا أنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ ولَمْ يكُنْ ... لِقَـاؤُكَ إلاَّ مِـنْ وراءُ وراءُ

(١) ر، س: «لعمر رحمه الله».

(٢) سورة الروم ٤.

(٣) من ر، وعجز هذا البيت صدر لبيت آخر، ورواية الديوان ٥٩.

وخلّ الصنعة فى مشتاتها ... فهى من تحت مشيحات الحزُمْ

وتفـرّى اللحم من تعدائها ... وتعالى فَهْى قُبٌّ كالعَجَمْ

فهذا الضــرب مما وقع معرفة عــلى غير جهَة الــتعريف، وجهَةُ الــتعريف أن يكون مُعرَّفًـا بنفسه، كزيد وعـمرو، أو يكون مُعَرَّفًا بـالألف واللام أو بالإضافة، فهذه جهة التعريف، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بالمعنى، فلذلك بُنى إذْ خَرَجَ من الباب، ويُرْوى: «لَعنًا يُسَنُّ عليه» بالسين، ويُسَنُّ ويُشَنُّ واحد، أى يُصَبُّ، إلا أن بعضَهم قـال: السَّنُّ: الصَّبُّ على جهة واحدة، وقالوا: يـقال: شَنَنْتُ عليه الماء، وسَنَنْتُهُ، وسَنَنْتُ عليه الدِّرْعَ لا غير، وقالوا: شَنَنْتُ عليه الغارَةَ لا غير].

* * *

[القطامى يفتخر]

قال أبو العباس، وقال القُطامىُّ:

فـمنْ تكُنِ الحِضَـارَةُ أَعْجَـبَتْـهُ ... فَـــأَىَّ رِجَـــالِ بَادِيَةٍ تَـرَانَا!

ومَنْ رَبَطَ الْجِـحَـاش فَإِنَّ فِـينَا ... قَنًا سُلُبًـا وأَفْـرَاسًا حِـسَـانَا(١)

وكُنّ إِذَا أَغَـرْنَ عَلَى قَـبِـيلٍ(٢) ... فَـأَعْوَزَهُنَّ كَـوزٌ حَيْثُ كَـانَا(٣)

أَغرْنَ مِنَ الضِّبَـابِ عَلَى حِلالٍ ... وضَـبَّـةَ، إنَّهُ مَـنْ حَـانَ حَـانَا

وأَحْـيَـــانًا عَلَى بَـكْرٍ أَخِـينَا ... إذَا مَـــا لمْ نَجِـــدْ إلاَّ أَخَـــانَا

قوله: «الحِضَارَةُ» يريد الأَمْصارَ، وتقـول العرب: فلانٌ بادٍ، وفلانٌ حاضرٌ، وفى الحديث: «ولا يبـيعنَّ حَاضِرٌ لبـادٍ»، وتأويلُ ذلك أن البادىَ يَقْدَمُ وقـد عرف أسْعار مـا مَعَهُ وما مـقْدارُ رِبْحِه، فإذا جـاءه الحاضرُ عَرَّفَـهُ سُنَّةَ البَلَد فَأَغلَى على الناس. ومِثْلُ ذلك النهى عن تَلَقِّى الجَلَـب، ومثله: دَعُوا عِبَادَ الله يُصِـبْ بَعْضُهُمْ من بَعْضٍ. ويقال: حَىٌّ حِلالٌ، إذَا كانوا مُتَجَاوِرين مُقيمين، وأنشد الأصمعىّ:

أَقَـوْمٌ يَبْـعَـثُـونَ الْعِـيـرَ تَجْـراَ ... أَحَبُّ إِلَـيْكَ أَمْ حَىٌّ حِـــلالٌ

---

(١) القنا: جمع قناة، وهى الرمح: السلب: الطوال، واحده سلب، بفتحتين.

(٢) القبيل: الجماعة من الناس.

(٣) كوز: رجل من أسد. وفى ر: «كون» تحريف وانظر الديوان ٥٨.

بابـ

[نبذ من أقوال الحكماء]

قيل لمعاوية رحـمةُ الله عليه: ما النُّبْلُ؟ فقال: الحلْمُ عند الغـضب، والعَفْوُ عند القدرة. ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قـال: «ألا أُخبرُكُم بشرارِكُمْ؟[1]: من أَكَلَ وَحْدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ. ألا أُخبرُكُمْ بشَرٍّ من ذلكُم؟: مَن لا يُقيلُ عَثْرَةً، وَلا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً، وَلا يَغْفِـرُ ذَنْبًا، ألا أُخْبِرُكُمْ بشَرٍّ من ذلكُم؟: «مَن يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُـونَهُ». وَيُرْوَى عنه عليه السلام أنه قال: «المُسْلمـون تَتَكَافَأُ دماؤُهُمْ، ويسعى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ، وهُم يَدٌ عَلَى مَنْ سِواهُمْ، والمَرْءُ كَثيرٌ بِأَخيهِ».

قوله ﷺ: «تَتكافَـأُ دماؤُهم»، من قولك: فلان كُفْـءٌ لفـلان، أى عَديلُهُ، وموضوع بحذائه، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقال: فلان كِفاءُ فلان، وكَفِيءُ فلان، وكُفْءُ فلان.

ويروى أن الفَرَزْدَقَ بَلَغَهُ أَنَّ رجلاً من الحَبِطَاتِ بن عَمْرو بن تميم خَطَبَ امرأة من بنى دارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيدة مَنَاةَ بن تميم، فقال الفرزدق:

بَنُو دَارِمٍ أَكْـفَاؤهُـم آلُ مِسْـمَعٍ ... وَتَنْكِحُ فى أَكْـفـائِهَا الحَـبِطَاتُ

فآل مِسْمَع بيت بكْرِ بن وائلٍ فى الإسـلام، وهم من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَةَ بن صَعْبِ بن علـىّ بن بكر بن وائل، والحَبِطات هم بنو الحَارثِ بن عـمرو ابن تميم. فقوله: «أكفاؤهم» إنما هو جـمع كفْءٍ يا فتى، فقال رجل من الحَبِطاتِ يُجِيبُه:

أَمَا كـاَنَ عَبَّـادٌ كَفِـيئًـا لِدَارِمٍ ! ... بَلَى وَلأَبْيَـاتٍ بِهَـا الحُـجُـراتُ

يعنى بنى هاشم، مـن قول الله عـزّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ يُنادُونَـكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرات﴾[2].

وقال علىُّ بن أبـى طالب رحمه الله: مَنْ لاَنَتْ كَلِمَـتُهُ، وَجَـبَتْ مَحَبَّـتُه. وقال: قِيمَة كلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِن.

---

(١) ر: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال من أكل وحده . . .».

(٢) سورة الحجرات ٤.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ثلاثٌ يُثْبِتْنَ لَكَ الْوُدَّ فى صَدْرِ أخيك: أنْ تَبْدأَهُ بالسَّلام، وتُوَسِّعَ له فى المجلس، وتَدْعُوَه بأحَبِّ الأسماء إليه. وقال: كَفَى بِالمرْءِ غَيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاث: أن يَعِيبَ شيئًا ثم يأْتِىَ مِثْلَهُ، أو يَبْدُوَ لَهُ من أخيه ما يَخْفَى عليه من نفْسه، أو يُؤْذِىَ جليسه فيما لا يَعْنيه.

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانيَة: لكم من السماء نَجْمُهَا، ومن الكَعْبَة رُكْنُهَا، ومن السُّيوف صَمِيمُهَا. يعنى سُهَيْلاً من النجوم، والرُّكْنَ اليَمانىّ، وصَمْصَامَةَ عمرو بن مَعْدى كَرِب.

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال يوما: مَنْ أجْوَدُ العرب؟ فقيل له: حاتِم، قال: فَمَنْ شاعِرُها؟ قيل: امرؤُ القَيْس بن حُجْر، قال: فمَنْ فارِسُهَا؟ قيل: عمرو بن معدى كرب. قال: فأَىُّ سُيوفِها أَمْضَى؟ قيل: الصَّمصامة.

وقال مُعَاوية بن أبى سُفْيان رحمه الله للأَحْنَف بن قَيْس وجارِيَة بن قُدَامَةَ ورجال من بنى سَعْد معهما كَلاَمًا أحفظهم، فَرَدُّوا عليه جوابًا مُقْذِعًا، وبنت قَرَظَةَ فى بَيْت يَقْرُبُ منه، فَسَمِعَتْ ذلك، فلما خرجوا قالت: يا أمير المؤمنين، لقد سَمِعْتُ من هؤلاء الأَجْلاف كلامًا تَلَقَّوْكَ به فلم تُنْكِر، فَكِدْتُ أخْرُجُ إليهم فأسْطو بهم. فقال لها معاوية: إنَّ مُضَرَ كَاهِلُ العَرب، وتميمًا كاهِلُ مضر، وسعدًا كاهل تميمٍ، وهؤلاء كاهلُ سَعْد.

وكان معاوية يقول: إنِّى لا أحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لا سَيْفَ معه، وإن لم تكن إلا كلمةٌ يَشْتَفِى بها مُشْتَفٍ جَعَلْتُها تَحْتَ قَدَمِى، وَدَبْر أُذُنِى.

المُقْذِعُ: الذى فيه إقْذَاعٌ، وهو السيئ من القول.

باب

[الرجل من بنى سعد يرثى رجلا]

قال أبوالعباس: قال رجل - أحْسِبُهُ من بنى سَعْد - يرثى رجلا:

ومُــحْـتَــضَــرِ المَنَـافعِ أَرْيَحِىّ ... نَبِــيلٍ فِــى مَــعَـــاوِزَةٍ طِوَالِ
عَــزِيزٍ عِــزَّةً فِى غَــيْــرِ فُــحْشٍ ... ذَلِــيــلٍ لِلــذَّلِــيلِ مِــنَ المَوَالِــى
جَــعَلْتُ وِســادَهُ إحْــدَى يَدَيْهِ ... وَتَحْتَ جَمَــائِه خَشَبَــاتُ ضَالِ
وَرِثْتُ سِــلاَحَــهُ، وَوَرِثْتُ ذَوْدًا ... وَحُــزْنًا دَائِمًــا أُخْــرَى اللَّيَــالِى

قوله: «أرْيَحِىّ» هو الذى يَــرْتَاح لِلْمَعْرُوف، أى يَخِفُّ له، ويقــال: أخَذَتْ فلانا أرْيَحِيَّــة، أى خِفَّةٌ وحركةٌ لفعل المعــروف. والمَعاوِزُ: الثياب التى يَتَبَذَّلُ فــيها الرجل، وهى دون الثياب التى يَتَجَمَّلُ بها، واحــدها مِعْوَزٌ، قال الشَّمَّاخُ فى نعت القَوْسِ:

إذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ ... حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ(١)

وقوله: «فى مَعَاوِزَة»: فَزَاد الهاء، فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث، لأن كل جَمْعٍ مــؤنث، كمــا تقول فى جــمع صَيْقَلٍ صَــيَاقِل وصَــيَاقِلَة، وكــذلك جَوَارِب وجَــوَارِبَة، إلا أن أكثــر الأعجــمىّ يختص بــالهاء، وهو فى العــربىّ جَيِّــدٌ، وفى العَجَمِىّ أكثر استــعمالا نحو المَوَازِجَة(٢)، فإن كان منــسوبًا كان الباب فــيه إثبات الهاء، وتركها جائز، نحو المهالبــة والأَحَامِرَة، وقالوا: السَّبَابِجَة(٣) لأنه قد اجتمع فيه النَّسَبُ والعُجْمَة.

---

(١) الأنداء: جمع الندى، وهو مــا يسقط ليلا. وأشــعرت: ألبست الشــعار، وهو الثوب الذى يلى الجسد. والحبير: البرد الموشى.

(٢) الموازجة: جمع موزج، وهو الخف، وأصله: «موزة». (وانظر المعرب ٣١١).

(٣) قال فى اللسان: السبابجة: قوم ذوو جلد من الســند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية، واحدهم سبيجى، ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسب، كما قالوا: البرابرة».

وقوله: «تحت جمَـائه» يعنى شخصه، والضالُ: السِّدْرُ البَـرِّىّ، وما كان من السّدْرِ على الأنهـار فليس بِضَالٍ، ولكن يقال له: عُـبْرىٌّ. قال ذو الرُّمَّةِ: «عُـبْريا وضالا»(١).

وقوله:

* ورِثْتُ سِلاحه وورِثْتُ ذَوْدَا *

يصف قُرْبَ نَسَبِـه منه، والذَّود: القطعة من الإبل، وأكثر ما يُسْـتعمل ذلك فى الإنَاث، ويجوز فى السائر، ومنه قولهم: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبِل، ثم قال:

* وَحُزْنًا دَائمًا أُخْرَى اللَّيَالِى *

كما قال الأول ـ وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَه من أحد أهله:

يَقُـولُ جَـزْءٌ ـ وَلَمْ يَقُلْ جَلَلاً ـ ... إِنِّى تَزَوَّجْتُ نَـاعِـمَـا جَـذِلا
إنْ كُنْتَ أَزْنَـنْتَنِى بِهَـا كَـذِبًا ... جَـزْء، فَلاقَيْتَ مِثْلَهَا عَجِـلاَ
أُغْـبَـطُ أَنْ أرزَأَ الْـكِرَامَ وأَنْ ... أُورَثَ ذَوْدًا شَـصَـائِصًـا نَبَـلا

قوله: «ولم يقل جللا» أى صغيرًا، والجَلَلُ يكون للصـغير، ويكون للكبير، ومن ذلك قوله:

* كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلا اللهَ جَلَلْ *

أى صغير، وقال لبيدٌ فى الكبير:

وَأَرَى أَرْبَدَ قَـدْ فَـارَقَـنِى ... وَمِـنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَـلَـلْ

وقولـه: «شصـائصًا»، يعنى حـقيـرةً دَميـمة. وزعم التَّـوَّزِىُّ أَنَّ النَّبْلَ من الأضداد، يكون للـجليل والحقيـر، واحْتَجَّ بهـذا البيت الذى ذكـرناه، قال: يريد هاهنا الحقيرة.

وقوله: «أَزْنَنْتَنِى». أى قَرَفْـتَنِى ونَسَبْتَنِى إليه، يقـال: فلان يُزَنُّ بكذا وكذا، أى يُسَمَّى به، ويُنْسَبُ إليه، قال امْرُؤُ القيسِ بن حُجْرٍ:

كذَبْتِ، لَقَدْ أُصبِى عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ ... وَأَمْنَعُ عِرْسِ أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِى

(١) ر: «قال ذو الرمة»:

قطعت إذا تجوفت العَـواطى ... ضُـروبَ السِّـدْر عُـبْـرِيًّا وضَـالا

والعواطى: الظباء تمد أعناقها إلى الشجر. (وانظر ديوانه ٤٤٠).

وفى معنى قوله: «ورثت سلاحه» قولُ الشاعر:

يَفْـــرَحُ الْوَارِثُ بِالْمَـــالِ إِذَا ... وَرِثَ المالَ وَيَبْكِـى إِنْ غَـضِبْ

ومثله قول نَعلمَةَ الفزَارِىِّ:

* يَاحَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّهْ *

[الجميل بن معمر فى النسيب]

وقال جَميلُ بن مَعْمَرٍ:

مَـا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَـذَفَتْ بِهِ ... يَدٌ، وَمُـمَـرُّ العُـقْــدَتَيْنِ وَثِيقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ ... وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِـبِىّ فَـتِـيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ، أَيْمـا خِطامُهَا ... فَـمَتْنٌ، وَأَيْمَـا عُودُهَا فَـعَتِـيقُ

بِأَوْشَكَ قَـتْلا مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْـتِنِى ... نَوَافِـــذَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُـنَّ خُـرُوقُ

كَأَنْ لَمْ نُـحَارِبْ يَابُثَيْنُ لَـوَ انَّهَا ... تَكْشفُ غُـمَّـاهَا وَأَنْتِ صَـدِيقُ

قوله: «ما صائب» يريد قاصدًا، يـقال: صابَ يَصوبُ إذَا قَصَدَ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ منَ السَّماءِ﴾(١) وقد قالوا: النازلُ، والقَـصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ بن أبى خازِمٍ الأَسَدِىُّ:

[تُؤَمِّلُ(٢) أَنْ أَؤُوبَ لَهَـــا بِغُنْمٍ] ... وَلَمْ تَعْلَـمْ بِأَنَّ السَّـهْمَ صَـــابَا

وقوله: «ومُمَرُّ العُقْدَتين» يعنى وَتَرًا، والمُمَرُّ: الشديد الفَتْل.

وقـــوله: «من خَـــوَافِى النَّسْـــرِ حُمٌّ نَظَائر» يـريد ريش الســـهم، والحُمُّ: السُّود، وذلك أَخْلَصُهُ وأجْـوَدُهُ، وجَعَلَهَا نظائر فى مقاديرها، لأنه أَقْـصَدُ لِلسَّهْمِ، وإذا كانت الريشــات بَطْنُ الواحدةِ منها إلى ظهـر الأخرى فهو الذى يُخْـتار، وهو الذى يقال له اللُّؤَام، وإنما أخذَ من قولهم: مُلتئمْ. وإن كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر الأخرى، وبَطْنُها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه، يقال له اللُّغَاب.

---

(١) سورة البقرة ١٩.

(٢) ر: «صدرالبيت عن أبى الحسن».

وقوله: «كنصل الزاعبيّ»، شَبَّهَ نَصْلَ السَّهْمِ بِنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِيّ، وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرَجِ، يقال له زاعبٌ، كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ، هذا قول قوم، وأما الأصمعيّ فكان يقول: الزَّاعبيُّ: الذى إذا هُزَّ فكأَنَّ كعُوبَهُ يَجْرِى بعضُهَا فى بَعضٍ لِلِينِه وتَثَنِّيه، يقال: مَرَّ يَزْعَبُ بحِمْلِه إذَا مَرَّ به مَرًّا سَهْلاً.

وقوله: «فتيق» يعنى حادًّا رقيقًا، ويقال: فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ، وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له. و«فَعِيلٌ» يقع اسْما للفاعل، ويقع للمفعول، فأَمَّا الفاعل فمِثْلُ رَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَحكيمٍ وَشَهِيدٍ، وأما ما كَان للمفعول، فنحو جَرِيحٍ وقَتِيل وصَرِيع.

وقوله: «زَوْرَاء» يريد مُعْوَجّةً، وكلمَّا كانت القَوْس أشَدَّ انعطافا كان سَهْمُها أَمْضَى.

وقوله: «على نَبْعَةٍ»، يعنى قَوْسًا، وأَكْرَمُ القِسِىِّ ما كان من النَّبْعِ.

وقوله: «أيْمَا» إنما يريد «أمَّا»، واستثقل التضعيف، فأبْدَلَ الياء من إحدى الميمين، ويُنْشد بيت ابن أبى رَبِيعَة:

رأَتْ رَجُلاً، أَيْمَا إذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وَأَيْمَا بِالْعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

وهذا يقع، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كَسْرَةٌ فيما يكون على فعَّال، فيكرهون التضعيفَ والكَسْر، فيُبْدلون من المُضَعَّف الأول الياء للكسرة، وذلك قولهم: دينارٌ وقيراطٌ وديوانٌ وما أَشبه ذلك، فإنْ زالت الكَسْرَة وانفصل أحد الحرفين عن الآخر رَجَعَ التضعيفُ، فقلت: دَنانير وقَراريط ودَوَاوين، وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِير.

وقوله: «وأيْما عُودُها فعَتِيق»، يصف كَرَمَ هذه القوس وعتْقَهَا، ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَكَ ولِحَاؤُهَا عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه، كمال قال الشَّمَّاخ:

فَمَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائِها وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

مَظَّعَهَا: شَرَّبَهَا(١).

---

(١) زيادات ر: «قوله: «فمظعها حولين»، أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء، يقال: تمظع الرجل الظل إذا تحول من مكان إلى مكان».

وقوله: «بأوَشَكَ قتلا منك»، يقول: بأسـرع، يقال: أمرٌ وشيكٌ أى سريع، ويقال: يُوشك فـلان أن يفعل كذا، أى يقارِبُ ذلك، ويُوشِك يفـعل، كذا بطرح «أنْ» كلّ ذلك جيِّد، قال[1]:

يُوشكُ مَنْ فَـرَّ مِنْ مَنِـيَّتِـهِ ... فِى بَعْضِ غِـرَّاتِه يُوَافِـقُـهَـا

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْـطَةً يَمُتْ هَرِمًا ... لِلْمَـوْتِ كَأْسٌ فَـالْمَـرْءُ ذَائِقُهَـا

* * *

[قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة، وهى لرجل من الْخَوارج قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ:

مَا رَغْـبَةُ النَّفْسِ فِى الحَـيَاةِ وَإنْ ... عَاشَتْ قَلِيـلاً فَالْمَوْتُ لاَحِقُـهَا

وَأَيْقَنَتْ أَنَّـهَـا تَعُـودُ كَـمَـا ... كَـانَ بَرَاهَا بِالأَمْسِ خَـالِقُـهَـا]

* * *

قوله: «عَـبْطة»، أى شابًّـا، يقال: اعتُـبِط الرجل، إذا مـات شابًّا من غـير مرض، وأصل العبيط الطَّرِىُّ من كل شىء.

وقوله:

* نَوَافِذَ لم تُعْلَم لهنَّ خروقُ *

معنى طَرِيفٌ، وقد أخذه أبو حَيَّة منه فكشفه فى أبيات مختارة، وهى[2]:

وَإنَّ دَمًّـا ـ لَوْ تَعْلَمِينَ ـ جَنَيْتِـهِ ... عَلَى الحَىِّ جَـانِى مِـثْلِه غَـيْرُ سَـالِمِ

أَمَـا إنَّهُ لَوْ كانَ غَـيـرك أَرْقَلَتْ ... إلَيْـهِ الْقَنَـا بالرَّاعِـفَـاتِ اللَّهَـاذِمِ[3]

ولكنْ لَعَمْرُ اللهِ مَـا طَلَّ مُسْلِمًا ... كَـغُـرِّ الثَّنَايَـا واضِـحَـاتِ المَلاَغِمِ

إذَا هُنَّ سَـاقَطْنَ الحَدِيثَ كَـأَنَّهُ ... سِقَاطُ حَصَى المَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ

---

(١) زيادات ر: «هو أمية بن أبى الصلت»، وكذا فى حاشية الأصل أيضا.
(٢) زيادات ر: «اسم أبى حية الهيثم بن الربيع» وفى س: وهو قول أبى حية النميرى».
(٣) اللهاذم: القواطع.

رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ ... دَمًا مَائِرًا إِلاَّ جَوًى فِى الْحَيَازِمِ(١)

* * *

[قال أبو الحسن: وأول هذه الأبيات المختارة أنشدنَاه غيْره:

وخَبَّرَكِ الْواشُونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُم ... بَلَى وسُتُورِ ٱللهِ ذَاتِ المَحَارِمِ(٢)

أَصُدُّ ومَا الصَّدُّ الَّذِى تَعْلَمِينَهُ ... شِفَاءٌ لنَا إِلاَّ اجْتِرَاعَ الْعَلاَقِمِ]

* * *

قال أبو العباس: فهذا مأخوذ من ذلك.

وقوله:

* ولكن لَعَمْر الله ماطَلَّ مسلمًا *

يقول: ماطَلَّ دَمَهُ، يقال: دَمٌ مَطْلُولٌ، إذا مضَى هَدَرًا، كما قال الراجز:

* بِغَيْرِ عَقْلٍ وَدَمٍ مَطْلُولِ *

وحدّثنى التَّوَّزِىُّ قال: قال يَحْيى بن يَعْمَر لرُجل نازَعَتْه امرأته عنده: آنْ طَالَبَتْكَ بِثَمَنِ شكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّهَا وَتَضهَلُهَا!

قوله: «ثمن شكْرها» فإنما يعنى الرَّضاعَ، والشَّبْرُ: النكاح، والشَّكْرُ: الفَرْج.

وقوله: «أنشأْتَ تطلُّها» أى تَسْعَى فى بطلان حقها.

وقوله: «تضهلها»، أى تغْطيها الشىء بعد الشىء: يقال: بئر ضَهُولٌ إذا كان ماؤها يَخْرُجُ من جِرابها شيئًا بعد شىء، وجِرَابُها جَوَانِبُهَا، وإنما يَغْزُرُ ماؤها إذا خرج من قَرَارتها فتَعْظُم جَمَّتُهَا(٣).

---

(١) زيادات ر: «الكاف فى قوله: «كغر» فاعلة بقوله: «طل»، ومنه قول الأعشى:

أتنتهونَ ولَنْ ينهى ذوى شطَطٍ ... كالطعن يذهب فيه الزيتُ والفتل

وقول امرىء القيس:

وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ... ضعيف، ولم يغلبْك مثل مُغلَّبِ

(٢) ر: ذكَر بعده عن أبى الحسن:

حياء وبقيا أن تشيع نميمةٌ ... بناديكُم، أفّ لأهل النمائم!

وأورد هذا البيت فى حاشية الأصل عن أبى على.

(٣) الجمة: كثرة الماء.

وقوله: «واضحات الملاغم»، يريد العَوَارض، قال الفَرَزْدَق:

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فى المَسَامعِ لَمْ تَكُنْ   عِلاَطًا ولاَ مَخْبُوطَةً فى المَلاَغِمِ

يقول: عَلِمَ أربابُ الماء لِمَنْ هِيَ فَسَقَاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لِعِزِّهِمْ ومَنَعَتِهِمْ، ولم تَحْتَجْ أن تكون بها سِمَةٌ.

والعِلاَطُ: وَسْمٌ فى العُنُق والخِبَاطُ فى الوجه.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبوالعباس(١): قال بعض الحكماء: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صغيراً سر به كبيراً.

وكان يقول: منْ أَدَّبَ ولده أَرْغَمَ حَاسِدَهُ.

وقال رجل لعَبْد الملك بن مَرْوان: إنى أريد أن أُسرَّ إليك شيئًا، فقال عبد المَلك لأصحابه: إذا شئتم، فَنَهَضُوا، فأراد الرجلُ الكلامَ، فقال له عَبْدُ الملك قِفْ، لا تَمْدَحنى، فأنا أعْلَمُ بنفسى منك، ولا تكْذِبْنِى، فإنه لا رأىَ لِمكْذوب، ولا تَغْتَبْ عندى أحدًا. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لى فى الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنَّ: مجانَبَةُ الرِّيَبِ، وحُسْنُ الأَدَبِ، وكَفُّ الأَذَى.

وقال عمرو بن العاص لدهْقَان(٢) نَهْرِ تيرَى(٣): بِمَ ينْبُلُ الرجلُ عندكم؟ فقال: بترك الكَذب، فإنه لا يَشْرُفُ إلا مَنْ يُوثَقُ بقوله، وبقيامه بأمر أَهْله، فإنه لا يَنْبُلُ مَنْ يحتاجُ أَهلهُ إلى غيره، وبمجانبة الرِّيَب، فإنه لا يعزُّ مَنْ لا يُؤْمَنْ ألاَّ يُصَادَفَ على سَوْأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه مَنْ رُجِىَ الْفَرَجُ لَدَيْه كَثُرتْ غاشِيَتُهُ.

وقال بزُرُجَمِهْر: مَنْ كثُرَ أَدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ، وإن كان قَبْلُ وَضِيعا، وبَعُدَ صيتَه وإن كان خَامِلاً، وسادَ وإن كان غريبًا، وكَثُرَت الحاجةُ إليه وإن كان مُقْتِرًا.

وكان يقال: عَلَيْكُمْ بالأَدَب، فإنه صاحبٌ فى السَّفر، ومُؤْنِسٌ فى الوحدة، وجَمَالٌ فى المَحْفِل، وسَبَبٌ إلى طلَب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: مِنْ أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقَدِّمُهَا الرجلُ أَمامَ حَاجَتِه. فَيَسْتَعْطِفُ بها الكريم، ويستنزِل بها اللئيم.

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

(٣) نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج، أو سِمَاكُ بن حَرْبٍ ـ [قال أبو الحسن: هو سماك بلا شكّ] ـ(١) إذا كانت له إلى أمير حاجة اسْتنزلهُ بأبيات يقولها فيه.

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرَائه ـ وأراد مِحْنَتَهُ ـ: ما خَيْرُ ما يُرْزَقُه العبدُ؟ قال: عَقْلٌ يعيش به. قال: فإن عَدِمَه؟ قال: فَأَدَبٌ يَتَحَلَّى به. قال: فَإِنْ عَدِمَه؟ قال: فمالٌ يسترهُ. قال: فإن عَدِمَه؟ قال: فصاعِقَةٌ تَحْرِقهُ، فتُرِيحَ مِنَهُ العِبَادَ والبلاَد.

وقيل لرجل من ملوك العجم: متى يكونُ الْعِلْمُ شَرّاً من عَدَمِه؟ قال: إذَا كَثُرَ الأَدَبُ، ونَقَصَت القرِيحةُ.

وقال أرْدَشير: مَنْ لم يكن عَقْلُهُ أَغلبَ خِلالِ الخير عليه، كان حَتْفُهُ فى أغلب خلال الخير عليه.

وقال محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ـ وذكر رجلا من أهله: إنى لأكرهُ أن يكون لِعِلْمِهِ فَضْلٌ على عَقْلِه، كما أكره أن يكون للسانه فَضْلٌ على عمله.

وقال محمد بن عليّ بن الحسين: جميع التَّعَايُشِ والتَّنَاصُف والتَّعَاشُرِ فى ملْءِ مِكْيالٍ، ثلثاه فطْنَةٌ، وثلث تَغَافُلٌ. فلم يَجْعَلْ لغير الفِطْنَة نَصيباً من الخير، ولا حَظّاً فى الصلاح؛ لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عَرَفَهُ وفَطِنَ به.

---

(١) من ر: وحاشية الأصل.

بابـ

[الرجل من بني عبد الله بن غطفان، وكان قد جاور في طيئ]

قال أبوالعباس(١): قال رجل(٢) من بنى عبد الله بن غَطَفان وجاوَرَ فى طيئ وهو خائف:

جَزَى اللهُ خَيْرًا طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ ... وَمِنْ صَاحِبٍ تَلْقَاهُمُ كُلَّ مَجْمَعِ
هُمُ خَلَطُونى بِالنُّفُوسِ وَدَافَـعُوا ... وَرَائى بِرُكْنٍ ذى مَنَاكِبَ مِدْفَعِ(٣)
وَقالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبْ ... نُفِدْكَ، وَإِنْ تُحْبَسْ نَزُرْكَ وَنَشْفَعِ

[الرجل من بني سلامان يمدح طيئا]

وقال رجل من بنى سَلاَمانَ بن سعد هُذَيْم(٤) من قُضَاعةَ، وجاوَرَ فى طَيِّئٍ:

كَأَنَّ الْجَارَ فى شَمَجَى بن جَرْمٍ(٥) ... لَهُ نَعْـمَـاءُ أَوْ نَـسَبٌ قَـرِيبُ
يُحَـاطُ ذِمَـارُهُ وَيُذَبُّ عَـنْهُ ... وَيَحْمِى سَرْحَـهُ أَنفٌ غَضُوبُ(٦)
أَلِفْتُ مَـسَاكِنَ الْجَـبَلَيْنِ إِنِّى ... رَأَيتُ الْغَـوْثَ يَأْلَفُهَا الْـغَرِيبُ(٧)

[العبيد بن العرندس الكلابي يصف قوما نزل بهم]

قال أبو العـباس(٨): وأنشـدنى عبـد الوهاب بن جَنْبَـة الغَنَوىّ لعُـبَيْـدِ بن العَرَنْدس الكلاَبِىّ يصف قوما نزَل بهم:

(١) ساقطة من ر.
(٢) نسبه أبو تمام إلى ابن دارة، (وانظر الوحشيات ٢٠٣).
(٣) قال المرصفى فى شرح البيت: «بركن، يريد بجيش يعتصم به، تشبيها بركن الجبل، والمناكب فى الأصل: جمع المنكب، وهو مـا ارتفع من الأرض، شبهـه بها مبـالغة فى الاعتـصام، ومدفع، كـمنبر: اسم آلة الدفع، يريد أنه قوى فى الدفاع».
(٤) حاشية الأصل: «سعد هذيم أضيف إلى عبد كان لأبيه يحتضنه».
(٥) شمجى بن جرم: قبيلة من قضاعة.
(٦) الذمار: ما يلزم الإنسان حمايته من عرض ومال. والسرح: ما يسام فى المرعى من الأنعام.
(٧) زيادات ر: «الجبلان: سلمى وأجأ، وهما لطيئ، والغوث: قبيلة من طيئ».
(٨) ساقط من ر ، س.

هَيْنُونَ لَـيْنُونَ أَيْسَـارٌ ذَوُو يَـسَـرٍ   سُـوَّاسُ مَـكْرُمَـةٍ أَبْنَاءُ أَيْـسَـارِ[1]
لا يَنْطِقُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ نَطَقُوا   وَلا يُمَـارُونَ إِنْ مَـارَوْا بِإِكْـثَـارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ   مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِى يَسْرِى بِهَا السَّارِى

* * *

[قال أبو الحسن: حـدثنا أبو العباس أحمد بن يحـيى قال: حُدِّثْتُ عن أبى الفَضْل العَبَّاس بن الفرج الرِّيَاشِيِّ قال: قَصَد رجل[2] من الشعراء ثلاثة من غَنِيٍّ، إخوَةَ وكانوا مُقلِّين، فامتـدحهم، فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذَوْدًا ! فكان يأتى فيأخذ الذَّوْدَ. والشِّعْر الذى امتدحهم به قوله:

يا دَارُ بَـيْنَ كُـلَيَّـــاتٍ وَأَظْـفَــارِ   وَالحَمَّـتَيْنِ، سَـقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ
عَلَى تقَـادُمِ مَــا قَـدْ مَـرَّ مِنْ عُـصُـرٍ   مَعَ الَّذِى مَـرَّ مِـنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ
عنَّا[3] غَنِيت بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلَى[4]   وَالْعَهْـدُ مِنْكِ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْـصَارِ
وَقَــدْ نَرَى بِـكِ وَالأَيَّامُ جَــامِــعَـــةٌ   بِيضًا عَـقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ[5]
فِـيهِنَّ عِـشْـمَـةٌ لاَ يَمْلَلْنَ عِـشْـرَتَهَـا   وَلا عَلِمْنَ لَهَــا يَوْمًـا بِأَسْـرَارِ
إِذْ يَحْـسِبُ النَّاسُ أَنْ قَـدْ نِلْتَ نَائِلَهَـا   قِـدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْـهَا عَـاتِبٌ زَارِ
بَلْ أَيُّهَـا الـرَّاكِبُ الْمُفْنِى شَـبِيـبَـتَـهُ   يَبْكِى على ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ
خَــبِّــرْ ثَنَاءَ بَنِى عَــمْــرٍو فَــإِنَّهُمُ   أُولُو فُـضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ[6]
هَيْـنُونَ لَيْـنُونَ أَيْسَــــارٌ ذَوُو كَــرَمٍ   سُـوَّاسُ مَـكْرُمَـةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَـارِ

---

(١) هينون لينون قال فى اللسان (هين) عن ابن الأعرابى: «العرب تمدح بالهين اللين (مخفف)، وتذم بالهين واللين (مثقل)، وقال النبى ﷺ: «المسلمون هينون لينون» جعله مدحا لهم، وعن غير ابن الأعرابى أنهما بمعنى واحد.

(٢) ذكر البكرى فى معجم ما استعجم ٨٦٢ أنه عقيل بن العرندس، وأورد أبياتا منها.

(٣) حاشية الأصل: «يـريد أنى». وفى ر: «أراد «أنى» فقلب الهمزة عينا» وقال المرصـفى: «هذه لغة قيس، وأسد وتميم يقلبون همزة «أن» المفتوحة عينا، شددت النون أو خففت و«أنى «كذلك».

(٤) غنيت: أقـمت، والرمث: الكلأ. وأجلى: موضع. وفـى س: «أجل». وفى حاشيتهـا (من نسـخة): «أجأ».

(٥) عين: جمع عيناء، وهى الواسعة العين، ومن نسخة بحاشية الأصل: «عون»، وتكون جمع عوان، وهى المرأة النصف فى سنها.

(٦) الأنفال: العطايا. والأخطار: المنازل الرقيقة، جمع خطر بالتحريك.

فِــيــهِمْ ومِنهُمْ يُــعَــدُّ المَجْــدُ مُــتَّلِدًا ... ولا يُعَــدُّ نَثَـــا خِــزْىٍ ولا عَـــارِ(١)
لا يَظْعَنُونَ على الْعَـمْيَـاءِ إنْ ظَعَنُوا ... ولا يُمَـــارُونَ إنْ مَـــارَوْا بإكْـــثَـارِ
وَإنْ تَلَيَّنْتَـــهُمْ لانُوا وَإنْ شُــهِـمُــوا ... كَشَّفْــتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْـرَ أَغْمَارِ(٢)
إنْ يُسْأَلوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وإنْ جُهِدُوا ... فالْجُــهْدُ يَكْشِفُ منهُمْ طِيبَ أَخْـبَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَــيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُوم الَّتِى يَسْرِى بِها السَّارِى]

* * *

[للمكعبر الضبى يمدح بنى مازن ويذم بنى العنبر]

قال أبو العباس: وكان قوم نزلــوا ببَنِى الْعَنْبرِ بن عَمْرِو بن تميم، والقومُ من بنى ضَبَّةَ، فأُغِير عليهم، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغِيثُوهُمْ، وجعلوا يُدافعونهم حتى خافــوا فَوْتَها، فاســتغاثوا بنى مــازن بن مالك بن عمــرو بن تميم، فركِبُــوا فَرَدّها عليهم، فقال المُكَعْبِر(٣) الضَّبِّىُّ فى ذلك:

أَبْلِغْ طَرِيفًــا حَيْثُ شَطَّتْ بِهــا النَّوَى ... فلَــيْسَ لِدَهْــرِ الطَّالِــبِـــينَ فَــناءُ
كُــسَــالَى إذَا لاقَيْــتَــهُمْ غَــيْــرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّــى بِه المَحْـــرُوبُ وَهْــوَ عَنَاءُ
وإنِّى لأَرْجُــوكُمْ على بُطْءِ سَعْــيِكمْ ... كمــا فى بُطُونِ الْحَامِــلاَتِ رَجَاءُ
أُخَــبِّــرُ مَنْ لاقَــيْتُ أَنْ قَــدْ وَفَــيْــتُمُ ... ولَوْ شِئْتُ قــال الْمُخَبَّــرُونَ أَسَاءُوا
فَــهَلاَّ سَــعَيْــتُمْ سَــعْىَ أُسْرَةِ مَــالِكٍ ... وهَلْ كُــفَلاَئِى فــى الْوَفاءِ سَــوَاءُ
كَـــأَنَّ دَنانِيـــرًا على قَــســـمـــاتِهِمْ ... وإنْ كــانَ قَدْ شَفَّ الْــوُجُوهَ لِقَــاءُ
لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَــوَاشِــرُ لَحْـــمِــهَـــا ... وبَعْضُ الرِّجَالِ فى الْحُرُوبِ غُثَاءُ

---

(١) المجد المتلد: القديم المؤثل. والنثا: إشاعة حديث.

(٢) شهموا: أفزعوا. والأذمار: جمع ذمر وهو الشجاع.

(٣) ضبط فى الأصل بفتح الباء وكسرها معا. وفى حاشــية الأصل: «قال أبو الحسن: حفظى: المكعبر [بكسر الباء]. وفى زيادات ر: «اسمه حريث بن عفوظ».

والأبيات فى حماسة أبى تمام (٤ : ٣٠) ـ بشرح التبريزى منــسوبة إلى محرز بن المكعبر الضبى، وأولها بروايته:

أبلغْ عــديًّا حيث صارت بهــا النَّوى . ... وليــس لدهر الطــالبـــين فــناءُ

قال التبريزى: «كــان مــحــرز بن المكعبــر جارا لبنى عدى بن جندب بن العنبر بن عــمرو بن تميم، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها، فطلب إليهم أن يسعوا له، فوعدوه أن يفعلوا، فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابنى شهاب المازنيين ـ وهما من بنى خزاعة ـ فسعيا له بإبله، فرداها عليه»، فأنشد الأبيات.

قولـه: «حيث شَطَّتْ بهـا النَّوَى»، معنى شطَّتْ: تبـاعَدَتْ، ويقـال: أشَطَّ فلان فى الحكمِ إذا عَدَلَ عنه متباعدًا، قال عز وجل: ﴿ولا تُشْطِطْ﴾.(١)

وقال الأحْوصُ:

أَلاَ يالَقَوْمِى قَدْ أَشطَّتْ عَوَاذلِى ... ويَزْعُمنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّىَ باطِلِى

وَيَلْحَـيْنَنِى فى اللَّهْـوِ أَلاَّ أُحِبَّـهُ ... وَلِلَّهْـوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَـيْـرُ غـافِلِ

والنَّوَى: البُـعْد، ويـقال: شطتْ بهِمْ نِـيَّةٌ قَـذَف، أى رحْلَة بعـيدة، قـال الشاعر(٢):

* وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ *

وليس بمأخوذ من «نأيت» فى اللفظ، ولكنه مثله فى المعنى.

وقوله:

* فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاء *

يقـول: الطالب فى إثْرِ طَلِبَـته أبدًا. ويُرْوَى أن رجـلاً من قُـرَيْش بَعَثَ إلى رجل منهم ـ وكان أَخَـذَ له غلامـا ـ : يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكْلِ ولا ينام على الخَرَبِ، فإمَّا رَدَدْتَهُ، وإمـا عَرَضْتُ اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات.

* * *

[قال أبو الحسن: الرجل الذى أخذ منه الغلام هو جـعفر بن محمد بن على ابن الحسين، والآخذ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس].

* * *

ومن أمـثال الـعرب: «لا ينام إلا مَنْ اثَّـأَرَ». ويقال لَمِنْ أدركَ ثـأرًا نَبِيـلاً: أصاب ثأرًا مُنيمًا، وأنشد:

---

(١) سورة ص ٢٢.

(٢) هو العجـاج، والصـحصحـان: المكان المستوى الأملس، ولملامـسـتـه شـبهـه بالتـرس. (وانظر مـشارف الأفاويز ـ ١).

تَقُـولُ لِىَ ابْنَـةُ الْبَكْرِىّ عَـمْـرٍو   لَعَـلَّكَ لَسْتَ بِـالثَّـــأْرِ الْمُنِـيمِ

وقوله:

وَإِنّى لأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ   كما فى بُطُونِ الْحَـامِلاتِ رَجاءُ

يقول: هذا رَجـاءٌ غيرُ صـادقٍ ولا موقوف عـليه، كمـا أن هذه الحَوَامِل لا يُعْلَمُ ما فى بطونها وليس بِمَيْئُوسٍ منه، وإنما يَتَـهكَّم بهم وهو يَعْلَم أنَّ سَعْيَهُمْ غير كائن، ألا تراه يقول:

أُخَبِّـرُ مَنْ لاقَيْـتُ أَنْ قَدْ وَفَيْـتُمُ   وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبَرُونَ أَسَاءُوا

وقوله:

* كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ *

زعم أبو عـبيدة أن القَـسِمَـاتِ مَجَـارى الدُّمُوع، واحـدتها قَـسِمَـة، وقال الأَصْمَـعِىّ: القَسِمات أعـالى الوجه، ولم يُبَيِّنْهُ بأكـثر من هذا. وقول أبى عبـيدة مَشْرُوح، ويقال من هذا: رجل قَـسِيمٌ، ورجل مُقَسَّمٌ، ووجه قَسِـيمٌ ومُقَسَّمٌ، قال الشاعر:

وَيَوْمًـا تُوَافِـينَـا بِوَجْـهٍ مُـقَـسَّمٍ   كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَم

قوله: «تعطو» أى تـتناول، ويقال: عَطَا يَعْطُو إِذَا تَناوَلَ، وأعْطيـتُه أنا، أى ناولته، قال امْرُؤ القَيْس:

وَتَعْطو بِرَخْصٍ غَـيْـرِ شَثْنٍ كَـأَنَّهُ   أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ(١)

والسَّلَمُ: شجر بعينه كثير الشَّوك، فإذا أرادوا أن يَحْتطبوهُ شَدّوه ثم قطعوه، فمن ذلك قولُ الحَجَّاج: وَاللهِ لأَحْزِمَنَّكم حَزْمَ السَّلَمةِ، ولأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ(٢).

---

(١) برخص، أى ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشثن: الغليظ الخشن. ظبى: اسم رملة، والأساريع، دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.

(٢) غرائب الإبل: هى الإبل الغريبة التى تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا شديدا.

قال: وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد قال: سمعت العرب تُنْشِد هذا البيتَ فتنصب «الظَّبْيَة» وترفعها وتخفضها.

قال أبو العباس: أما رفعها فعلى الضمير، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾(١) وهذا الباب قد شرحناه فى الكتاب «الْمُقْتَضَب» فى باب «إنّ وأَنّ» بجميع علله، ومَنْ نَصَبَ فعلى غير ضمير، وأعمَلَها مخففة عَمَلَها مُثَقَّلَةً؛ لأنها تَعْمَلُ لشَبَهها بالفعل، فإذا خُفِّفَتْ عَمِلَتْ عَمَلَ الفعل المحذوف، كقولك: لم يَكُ زيدٌ منطلقًا، فالفعل إذا حذف يَعْمَلُ عَمَلَهُ تامًّا، فيصير التقدير: كأنّ ظَبْيَةَ تَعْطُو إلى وارِق السّلم هذه المرأةُ. وحَذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره. ومن قال: «كأَنْ ظَبْيَةٍ» جعَلَ «أن» زائدةً، وأَعْمَلَ الكاف، أراد: كظبية، وزاد «أنْ» كما تزيدُها فى قولك: لَمَّا أنْ جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ، ووالله أنْ لو جئتنى لأعطيتك.

وقوله:

* لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لُحَمِها *

فكلُّ شىء كان على «فِعَال» من المؤنث فَجَمْعُهُ أَفْعُل، وكذلك فُعَال تقول: ذِرَاعٌ وأَذْرُعٌ، وكُرَاعٌ وأَكْرُعٌ، لأنهما مؤنثتان، ومن أَنَّثَ اللسانَ قال: أَلْسُن، ومن ذَكَّرَهُ قال أَلْسِنَة، وشِمَالٌ وأشْمُلٌ، كما قال الشاعر:(٢)

* يَأْتِى لَها مِنْ أَيْمُنٍ وأَشْمُلِ *

فأما الْمُذكر فعلى أفْعِلَة فى أدنى العَدَد وفُعُل فى الكثير، يقال: حِمارٌ وأحْمِرَةٌ وحُمُر، وفِرَاشٌ وأفْرِشَةَ وفُرُش. والنَّوَاشِرُ: ما يظهر من العُرُوقِ فى ظَهْرِ الذِّراع مما يُدَانِى «المِعْصَم»، وذلك الموضع يقال له أَسَلَة الذِّراع، قال زُهَيْر:

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ(٣)

---

(١) المزمل ٢٠.

(٢) زيادات ر: «هو أبو النجم العجلى»، وبعده:

* وهى حِيالَ الفرْقَدينْ تعتلى *

وانظر الطرائف الأدبية ٦٣.

(٣) الرقمتان: روضتان بناحية الضمان.

وقوله:

* وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الحُرُوبِ غُثَاءُ *

فالغُثَاءُ: ما يَبِسَ من البَقْل حتى يصير حُطَاما، وينتهيَ في اليُبْسِ فيَسْوَدّ، فيقال له: غثاء وهَشيم ودنْدن وثِنٌّ، على قَدْر اختلاف أجناسه، ويقال له: الدَّرين، قال الله عز وجلّ: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾(١)، وقال: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾(٢)، وقال الشاعر يصف سحابا:(٣)

إذَا مَا هَبَطْنَ الأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا ... بَكَيْنَ بهَا حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمُ

وقال الراجز:

* تكفِي الْفَصِيل أُكْلَةٌ مِنْ ثِنٍّ *

وقد يقال للشيء الذى لا خير فيه: هذا غُثَاء، أى قد صار كذلك الذى وَصَفْناه، ويُضْرَبُ هذا مَثَلاً للكلام الذى لا وَجْهَ له.

[لرجل تميمي في الرثاء]

وقال رجل أَحْسِبُه تَميميًّا(٤):

لَوْ لَمْ يُفَارِقْنِي عَطِيَّةُ لَمْ أَهِنْ ... وَلَمْ أُعْطِ أعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ

شُجَاعٌ إِذَا لاَقَى، وَرَامٍ إِذَا رَمَى، ... وَهَادٍ إِذا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا ... وَيَشْفِيَ مِنِّي الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ

أَحسَنُ الإنشادَيْنِ عندى: «لَمْ أَهِنْ»، يأخذه من وهَنَ يَهِن، لأنه إذا قال: «لم أهُنْ» فهو من الهَوَانِ، ومن قال: «لم أَهِنْ» فإنما هو من الضَّعْف، وهو أشبه

---

(١) الأعلى: ٥.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) زيادات ر: «هو ابن ميادة، وقبله:

سحائب لا من صيِّف ذى صواعق ... ولا محرقات ماؤهُنّ حميمُ

(٤) نسب هذه الأبيات أبو علي القالي إلى حكَيم بن معية أحد بنى رَبيعةَ الجوع يرثى أخاه عطية بن معية. وانظر ذيل الأمالي ١: ٧٥. وفى زيادات ر «هو الفرزدق»، قال المرصفي: «يرثى صديقه ونديمه عطية بن جعال، وكان من سادات تميم».

بقوله:

* وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ *

والآخر غير بعيد، يقول: لم أَهُنْ على أعدائى، وإذا قال «لم أَهِنْ» فالأصل: «لم أوْهِنْ»، ولكنَّ الواو إذا كانت فى موضع الفاء من الفِعْل، وكان ذلك الفعل على «يَفْعِل»، فالواو محذوفة، وإنما تُحْذَف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وتصير حروف المُضَارَعة الباقية تابعة للياء، لئلا يختلف الباب، وهى التاء من قولك: «تَفْعِل» إذا عَنَيْتَ مخاطبًا أومؤنثًا غائبًا، نحو: أنت تَعِد، وهى تَعِد، والهمزة إذا عنيت نفسك، نحو: أنا أعد، والنون إذا أخْبَرْتَ عن نَفْسِك ومعك غَيْرُك، نحو: نَحْنُ نَعِد.

فإن قال قائل: إنما هذا لأن الفعل المتعدى تحذف منه الواو، فإن كان غيْرَ مُتَعَدٍّ ثبتت، فقد قال أقبحَ قول؛ لأن التَّعَدّىَ أو غيْرَ التعدى لايُحْدِثُ فى أنْفُسِ الأفعال شيئًا، ولو كان كما يقول لأثْبَتَّ الواوَ فى «وَهَنَ يَهِنُ»، لأنك لاتقول: وهَنْتُ زيدًا، وكذلك وَرِمَ يَرِمُ، ووكف[1] البيتُ يكِفُ، ونَمَ[2] الذُّبابُ يَنِم، وهذا أكثر من أن يُحْصَى. فإن لم تكن بعد الواو كسرةٌ لم تُحْذَف، نحو وَحِلَ يَوْحَل، ووَجِل يَوْجَل، ووَجِعَ الرجل يَوْجَع، وقد يجوز يَيْجَعَ ويَاجَع ويِيْجَع لما نذكره إذا جَرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله، فأمَّا الحذف فلاَ يكون فيها.

فإن قال قائل: فما بالُ يطأ ويَسَعَ حذفتْ منهما الواو، ومثلهما ثَبَتَتْ فيه الواو، فإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل وَلِىَ يَلِى، ووَرِمَ يَرِم، فَفَتَحتْه الهمزة والعين، والأصل الكسر، فإنما حذفت الواو مما يَلْزَم فى الأصل، ألاترى أنك تقول: وَلَغَ السَّبُعُ يَلَغ، فهذا فَعَلَ يَفْعَلُ والأصل يَفْعِلُ، ولكن فَتَحَتَهُ العين، لأن حروف الحَلْق تَفْتَحُ ما كانَ على يَفْعِل وَيَفْعُل، ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَل. وحروف الحَلْق ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والحاء، والخاء، وهُنَّ يُفْتَحْنَ إذا كُنَّ فى موضع العين واللام، فأما العين فنحو سَأَلَ يَسْأَلُ وذَهَبَ

---

(١) وكف البيت: قطر منه الماء.

(٢) ونم الذباب: سلح.

يَذْهَبُ، وأمـا اللام فمـثل قَـرَأَ يَقْرَأُ، وصَـنَعَ يَصْنَعُ، وسائر هـذا الباب على مـا وَصَـفْـتُ لك.

وقوله:

* وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيلُ مِصْدَعُ *

فتـأويل «مِصْـدع» أى ماض فـى الأمر، قال الله عـز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1] ويقال: أَحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأَمْرُ صَدَعَ به.

وقال أعرابى[2] يمدح سَوَّار بن عبد الله القاضى، وسَوَّارٌ أحد بنى العَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تميم:

وَأَوْقَفُ عِندَ الأَمْرِ مَالَمْ يَضِحْ لَهُ   وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كانَ مَاضِيَا

فاسـتَجْـمَعَ فى هذا المَدْح رَكانَةَ الحَزْم، وإِمْـضاءَ العَـزْم، ومثله قـول النابغة الجَعْدِىِّ:

أَبَى لِى الْـبَـلاَءُ وَأَنِّى امْـرُؤٌ   إِذَا مَـا تَبَـيَّـنْتُ لَـمْ أَرْتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدة: «رَوِّ تَحْزُمْ، فإذا استَوْضَحْتَ فاعزِمْ» ومن أمثـالهم: «قد أَحْـزُمُ لَوْ أَعزِمُ»، وإنما يكون هذا بعـد التَّوَقُّفِ والتَّبَـيُّن، فقـد قال الشَّعْبِىُّ: أصَابَ مُتَأَمِّلٌ أو كاد، وأخطأ مُسْتَعْجِلٌ أو كاد.

ومثل قوله:

* وَيَشْفِى مِنّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ *

قولُ الفَرَزْدَق:

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَـوِّ سُـوَيْقَـةٍ[3]   بَكَيْتُ فَنَـادَتْنِى هُنَيْـدَةُ: مَـالِيَـا!
فَـقُلْتَ لَهَـا: إِنَّ الْـبُكاءَ لَرَاحَـةٌ   بِهِ يَشْـتَـفِى مَنْ ظَنَّ أَلا تَلاَقِـيَـا

* * *

(١) الحجر ٩٤.
(٢) حاشية الأصل «هو سلمة بن عياش».
(٣) جو سويقة: موضع بالصمان.

[قال أبو الحسن ويَتْلُو هذين البيتين مما يُسْتَحْسَن:

قَعِيدكُمَا اللهَ الَّذى أنْتُمَا لَهُ ... أَلَمْ تَسْمَعَا بالبَيْضَتَيْنِ المُنَادِيا![1]

حَبِيبٌ دعَا، وَالرَّمْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... فَأَسْمَعَنِى، سَقْيًا لِذلكَ دَاعِيَا!

يقال: قَعِيدَك اللهَ، وقَعْدَكَ اللهَ، ونَشْدَكَ اللهَ، أى سألتُكَ بالله، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة، وهو من بنى يَرْبُوعٍ:

قَعِيدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى مَلاَمَةً ... ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

ويروى: «فَقَعْدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى»، والبيضتان: موضع معروف].

* * *

قال أبو العباس: وقال أبو بكْر بن عَيَّاش: نَزَلَتْ بى مصيبةٌ أوْجَعَتْنى، فَذَكَرْتُ قول ذى الرُّمَّة:

لَعَلَّ انْحدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ، أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلابِلِ

فَخَلَوْتُ فَبَكَيْت فَسَلَوْت.

[نضلة السلمى فى يوم غول]

وقال نَضْلَة السُّلَمِىُّ[2] فى يوم غَوْلٍ ـ وكان حقيرًا دَمِيما، وكان ذَا نَجْدَةٍ وبأسٍ:

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوارِسُ يومَ غَوْلٍ[3] ... بِنَضْلَةَ، وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ

(١) قعيدك الله، قال الجوهرى: «هى يمين العرب، وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر، (وانظر اللسان قعد).

(٢) الأبيات فى مجالس ثعلب ٧ ـ ٨، روى أنه «مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة فى إبل له، فاستسقوه لبنا فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه، فأرادوا أن يستاقوها، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا، وأجلى الباقين عن الإبل، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم . . .»، وأورد الأبيات. ونسبها الجاحظ فى البيان (٣ : ٣٣٨) إلى أبى محجن الثقفى، ولم ترد فى ديوانه.

(٣) الغول: ماء للضباب فيه نخل وعيون.

ورواية ثعلب:

* ألم تسألْ فَوَارِسَ من سُلَيْم *

ورواية الجاحظ:

* ألم تسل الفوارس من سُلَيْمٍ *

رَأَوْهُ فَــازْدَرَوْهُ وَهْــوَ حُــرٌّ[1] وَيَنْفَـعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَـبِـيحُ
فَـشَدَّ علَـيْهِمُ بالسَّـيْفِ صَلْتًـا كما عَضَّ الشَّبَا الفَرَسُ الْجَمُوحُ
فَـأَطْلَقَ غُلَّ صَـاحِـبِـهِ وَأَرْدَى قَـتِـيـلاً مِنْهُمُ وَنَجَـا جَـرِيحُ
ولَمْ يَخْـشَوْا مَـصَـالَتَهُ عَلَيْـهِمْ وَتَحْتَ الرَّغْـوَةِ اللَّبَنُ الصَّـرِيحُ

قوله: «وهو مَوْتور مُـشِيح»، فالمُشيح الحاملُ الجادُّ، يقـال: أَشاحَ يُشِيحُ إذا حَمَل، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ قال: أنشدنى أبو زَيْدٍ ـ وهو لأبى العِيَال الهذَلِىِّ:

مُـشِـيحٌ فَـوقَ شِـيَـحـانٍ يَـشُـدُّ كَـأَنَّـهُ كَلِـبُ

قال: وشِيحان اسم فرسه.

* * *

[قـال أبو الحسن ويروى: «شَيْـحان»[بفتح الشين][2]، وحقه[3] على رواية أبى زيد ألا يَنْصَرِفَ لأنه فَـعْلان، فالألف والنون زائدتان، وهـو معرفة، فَـضَارَعَ عَطْشان ومـا جَرَى مَجْـرَاه، وإنما اضطرَّ فَصَـرَفَه. وعن(٤ أبى زيد أيضًـا يرويه: «شَيْحان»، وهو الجاد، وهو صفة شائعة، وليس كالأول، فالأول معرفة مشتق من الـنـعـتْ٤)].

* * *

وقال ابن الإِظْنَابةِ، واسمه عمرو:

وَإِجْـشَامِى عَلَى المَكْرُوهِ نَفْـسِى وَضَـرْبِى هَامَـةَ الْبَـطَلِ الْمُشِـيحِ

ويقال فى هذا المعنى: رجل شِيحٌ، كما يقال: ناقة نِقْضٌ، إذا كانتْ هَزِيلا، قال أبو ذؤَيْبٍ[5]:

* وَشَايَحتَ قَبْلَ الْيَومِ إِنَّكَ شِيحُ *

---

(١) ثعلب والجاحظ: «وهو خرق». والخرق: الفتى الكريم الخليقة.
(٢) من ر.
(٣) س: «وجب على رواية أبى زيد».
(٤ ـ ٤) ساقط من ر.
(٥) صدره:

* بدرْتَ إلى أولاهُمُ فسبقتَهُمْ *

وانظر ديوان الهذليين ١:١١٦.

وقوله: «بالسيف صَلْتًا» يقول: مُنْتَضًى، ورجل صَلْتُ الجَبِينِ إذا كَانَ نَقيَّه.

وقوله: «كما عَضَّ الشَّبَا» يريد حَدَّ اللجامِ، وشبَا كُلِّ شيءٍ حَدُّه.

وقوله: «وأَرْدَى» أى أهْلَكَ، يقال: رَدِىَ يَرْدَى إذا هَلَكَ، والردى: الهَلاك، قال الله عزّ وجل: ﴿وما يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾(١)، قيل فيه قولان: إحداهما إذا تَرَدَّى فى النار، والآخر إذا مات، وهو «تَفَعَّل» من الرّدَى.

وقوله:

* وَلَمْ يخشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ *

فهى «مَفْعَلَةٌ» من صالَ يَصُولُ، ويقالُ: صالَ البعيرُ إذَا عَضَّ.

وقيل للمغيرَة بن شعْبَة: إنَّ بَوَّابَكَ يَأْذَنُ لأصحابه قبل أصحابك، فقال: إن المَعْرِفة لتَنْفَعُ عند الكلب العَقُورِ، والجَمَلِ الصَّئُولِ، فكيف بالرجُلِ الكريمِ !

وقوله:

* وَتَحْتَ الرَّغْوَة اللبَنُ الصَّرِيحُ *

يقول: إذا رأيت الرَّغْوَةَ ـ وهو ما يَرْغُو كالجلدة فى أعلَى اللَّبَنِ ـ لم تَدْرِ ما تحتها، فربما صادفْتَ اللبنَ الصريح إذا كَشَفْتَها، أى أنهم رأَوْنِى فازْدَرَوْنِى لدَمَامَتِى، فلما كَشَفُوا عنى وَجَدُوا غير ما رأوا. والصَّرِيح: المَحضُ الخالص، من ذَلك قولهم: عَرَبِىٌّ صَرِيحٌ أى خالص، ومَوْلًى صَرِيح.

ومن أمثال العرب: «إنه لَيُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتغاء»، ومعنى ذلك أنه يُوهِمُك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن لِيُصْلِحَهُ لك، وإنما يَحْسُو من تحتها، يُضْرَبُ هذا المَثَلُ لمن يُرِيك أنه يُعِينُك، وإنما يَجْتَرُّ النفع إلى نفسه.

[لأعرابى من بنى سعد فى خلاف الدمامة]

وقال أعرابى ـ خُبِّرْتُ أنه من بنى سعْد ـ وقد تَمَثَّلَ بهذا الشِّعْرِ الْخَنَّوَتُ، وهو تَوْبَةُ بن مُضَرِّسٍ، أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم، فى خلاف الدَّمامة:

---

(١) سورة الليل: ١١.

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا   نِهَالاً وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالُهَا

تَبَيَّنَ لى أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ   وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا

دَعَوْا: يَالَسَعْدٍ! وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ   أُسُودُ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

قوله: «نهالا»، يريد أنها قد وردت الدَّمَ مرة ولم تُثَنِّ، وذلك أن الناهلَ الذى يَشْرَبُ أوّل شَرْبة، فإذا شَربَ ثانية فهو عالٌّ، يقال: سقاه عَلاًّ بَعْدَ نَهل، وعللا بعد نهل، وفى المثل: «سُمْتُه سَوْمَ عالَّة» إذا عَرَضْتَ عليه عَرَضًا يستحى منه أن يُقْبلَ معه، والعالَّةُ لا حاجة بها إلى الشُّرْب، وإنما يُعرَضُ عليها تَعْزيزًا. قال: «وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالهَا»، أى أول ما يقع منها يكون سببًا لما بعده، وأنشدنى غير واحد:

* وَأَنَّ أَشِدَّاء الرِّجَالِ طِيَالُهَا *

وليس هذا بالجَيد، وإنما قَلَبَ الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم: ثِيَابٌ، وحِيَاضٌ، وسِيَاطٌ، والواحد ثَوْبٌ، وَحَوْضٌ، وَسَوْط، وهذا جيد؛ لكون الواو فى الواحد، فأما فى مثل طوال، فإنما يجوز على التشبيه بهذا، وليس بجيد لتَحرُّك الواو فى الواحد. وأنشدنى مسعود بن بِشْرٍ المازِنِىّ:

لَهُمْ أَوْجُهٌ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ   طِيَالٌ وَمَنْ سِيمَا المُلوكِ نِجَارُ(٢)

ومجاز هذا فى النحو على ما وصَفْتُ لك.

[العرب تمدح الطول]

والعرب تمْدَحُ الطول، وتَضَعُ من القِصَرِ، فلا يَذكُره منهم إلا مُحْتَج عن نفسه، ولا يمدَحُ به غيْرَهُ، قال عنترَة:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ   يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءمِ(٣)

يقول: لم يُشَارَكْ فى الرَّحِم، وقال جَرير:

تَعَالَوْا فَفَاتُونا فَفِى الحُكم مَقْنَعٌ   إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ(٤)

فَإِنِّى لأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ   وَأَرْضَى الطِّوَالَ الْبِيضَ مِنْ آلِ هَاشِمِ

(١) حاشية الأصل: «ذكر أبو رياش فى شرح الحماسة أن هذا الشعر لأنيف بن حكيم النبهانى» وانظر شرح التبريزى ١: ١٨٩.

(٢) النجار: الأصل.

(٣) السبت: الجلد المدبوغ بالقرظ.

(٤) فاتونا: حاكمونا.

وقال حَسَّان بن ثابت:

وَقَـــدْ كُنَّا نَـقُـــولُ إذَا رَأَيْـنَا ... لِذِى جِـــسْمٍ يُعَـدُّ وذِى بَـيَـانِ

كَـــأَنَّكَ أَيُّهَـــا المعْـطَى بَيَـــانًا ... وَجِـسْمًـا مِنْ بَنِى عَـبْـدِ المَدَانِ

ويـقـال إن علىَّ بـن عبــد الله بن العباس بن عبــد المطَّلب كان إلى مَنْكب عبد الله، وكان عبد الله إلى مَنْكب العباس، وكان العباس إلى منْكب عبد المُطَّلب.

وحدثنى التَّوَّزىُّ قال: طافَ علىُّ بن عبـد الله بالبيت، وهناك عجوزٌ قديمةٌ، وعلىّ قـد فَرَعَ الناسَ، كـأنه راكبٌ والناسُ مُـشَاة، فـقالت: مَنْ هذا الذى فـرَعَ الناسَ؟ فـقيل: علىُّ بن عـبد الله بن عـباس، فقـالت: لا إلَه إلا الله، إن الناس لَيُرْذَلُونَ! عَهْدِى بالعباس يَطُوفُ بهذا البيت كأنه فُسْطاطٌ[1] أبيض.

وحـدثنى علىُّ بن القـاسم بن علىّ بن سُلَـيمـان بن علىّ بن عـبـد الله بن العبــاس قـال: كـان يُقال: صـار شَـبَهُ علىّ بن عـبد الله فى عظم الأجـسام فى العَلِيَّـيْنِ ـ يعنى علىّ بن أميـر المؤمنين المَهْـدِىّ المنسوب إلى أُمِّـه رَيْطَةَ، وعلى بن سليمان بن علىّ.

ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ ـ وهو الأُسْوَة والْقُدْوَة ـ كان فوق الرَّبْعَةَ[2]، ولـم يكن بالطويل المُشَذَّب[3]، وكـان إذا مَشَى مـع الطِّوَال طَالَهُمْ. ولـم يخـتلف أهل الحكْمَةِ والنَّظَر من العربِ والعَجَم أن الكمال فى الاعـتدال، ولا يقال غير هذا عن حكِيمٍ. وأبْيَنُ ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقد يقال: الكَيْسُ فى القِصَرِ. وقد قـيل فى خبرِ قَصِيرٍ[4] وكَيْدِهِ ومكْرِهِ ما قد سار به المَثَل، واستغنى عن الإعادة.

[الأعرابى يرد على مغنية عابته بالقصر]

وحدّثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشىُّ قال: حدّثنى أبو عثمان المازنى قال: كان أعرابىّ يختلف إلى مُـغَنِّيَة لآل سليمان، فـأشرفت إليه[5] ذات مَرَّةٍ، فأوْمَـأَتْ إليه بيدها إيماءَ عائِبٍ له بالقِصَرِ، فأنَشأ يقول:

---

(١) الفسطاط: ضرب من الأبنية.

(٢) الربعة: الرجل بين الطول والقصر.

(٣) المشذب: المفرط فى الطول.

(٤) هو قصير بنى سعد اللخمى، وانظر خبره مع جذيمة بن مالك والزباء فى مجمع الأمثال: ٨٥.

(٥) ر: «عليه».

يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرُ ... إنْ أَكُ رِبْعَةً فَأَنْت أَقْصَرُ
أَوْ أَكُ ذَا شَيْب فَأَنْت أَكْبَرُ ... غَرَّكِ سِرْبالٌ علَيْك أَحْمَرُ
ومِقْنَعٌ مِنَ الحَرِيرِ أَصْفَرُ[(١)] ... وتحْتَ ذَاكِ سَوْأَةٌ لَوْ تُذْكَرُ

* * *

[قال أبو الحسن: أنْشَدَنى أبو العباس محمد بن الحسن الْوَرَّاقُ الشِّعْرَ الذى فيه قوله:

* ولَمَّا الْتقى الصفَّان واختلف القنَا *

بتمامه، وهو شعرٌ مختارٌ لرجل من طيِّئ، ويدل على ذلك ما تَسْمَعُه فى الشعر وهو قوله:

جَمَعْنَا لَهمْ مِنْ حَىٍّ غَوْثٍ وَمَالك ... كَتَائبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نكالُهَا
لَهَمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّىْ جَدِيسَ رِعالُها
وتحْتَ نحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو نَاتقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا
فَلَمَّا أَتيْنَا السَّفْحَ مِن بَطْنِ حَائِلٍ ... بحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُها وسَيَالُهَا
دَعَوْا لِنزارٍ وانْتَمَيْنَا لِطَيِّئ ... كَأُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُهَا ونزَالُهَا
فلمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ فِيهِمْ ... لِسَائلَة عنَّا حَفِىٍّ سُؤَالُهَا
ولَمَّا عَصَيْنَا بالرِّمَاح تَضَلَّعَتْ ... صُدُورُ الْقَنَا منهمْ وعلَّتْ نهَالهَا
وَلَمَّا تَدَانَوْا بالسُّيُوفِ تقَطَّعَتْ ... وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاح علَيْهِمُ ... قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

الكتائب جمع كَتِيبة، سميت كَتِيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، يقال: تكَتَّبَ القومُ إذا تضامُّوا، ومنه أُخِذَ الكِتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا:

(١) المقنع: ما تغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها.

بَغلة مكتوبة إذا شُدَّ حَياؤها وضُمَّ . ويُرْدى: يُهلكُ، يقال: رَدىَ الرجل إذا هَلَكَ، والرَّدَى: الهَلاكُ، والإرْدَاءُ: الإهْلاكُ. والمُقْرِفون: الذين دخلوا فى الفساد والعَيْث، وهو فى الأصل الهُجْنةُ، يقال: فرس مُقْرِفٌ إذا كان هَجينًا، ثم يَشِيعُ فى الفساد.

والعَجزُ: مُؤَخَّرُ الْعَسْكرِ هاهنا، وهو مستعار. والحَزْنُ: مَا خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ، واللِّوَى: مُسْتَدَقُّ الرَّمْلَة حيث ينقطع، يقال أَلْوَيْتُمْ فانزلوا، أى صرتُمْ إلى آخر الرملة، وهو اللّوى. وجَديس: قبيلة معروفة، فلذلك لم يَصْرفها. والرِّعالُ: الجماعات المتفرقة، واحدها رَعْلَةٌ.

والحَرْشفُ: نبت يكثر فى البادية، وإنما شَبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة، والرَّجْلَةُ: الرَّجَّالَةُ. وتُتاح: تقدَّرُ، يقال أتاحَ اللّٰه له كذا وكذا، أى قَدَّرَ له، والنِّبَالُ جمع نَبْلٍ.

والنَّاتقُ: الوَلودُ، فإذا أسْرَفَتْ فى ذلك وكثر ولدها جدًّا قيل منتاقٌ.

والسَّفْحُ: أصل الجبل من الوادى. وحائل: موضع. وتَناصى: تَقَابَلَ وتَقَرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح، يقال: تَناصَى الرجلان نِصاءً وتَناصيًا إذا اقتتلا فَأَخَذَ كُلُّ وَاحدٍ منهما بناصِية صاحبِه، والطلْحُ والسَّيال: ضربان من الشجر معروفان.

وانْتَمَى ونَمَى: انْتَسَبَ. والشَّرَى: موضع كثير السباع، وإنما يريد: كإقْدامِ أُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُها، ثم حَذَفَ لعلم السامع.

وعَصَيْنا: جعلنا الرماح كالْعِصِيِّ. والعَلَلُ: الشُّرْب الثانى، والنَّهَلُ: الأول، يريد أنَّا أَعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أخرى.

وقوادم: ذاتُ إقْدامٍ، فجاء به على الأصل، كما قال:

* يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِ(١) *

أى مُغْضٍ، فجاء به على الأصل وهو كثير.

---

(١) البيت لرؤبة:

وبعده:

* نَضْوَ قداحِ النابل النواضى *

وانظر ديوانه ٨٢.

والمَرْبوعات: المُعْتَدِلَةُ التى لم تَبْلُغ أن تكون رُمْحًا، وهو رفْعٌ، كأنه قيل له: ما هى؟ فقال: هى مربوعاتهـا وطِوالها، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكلّ لكان حَسَنا، وكان يكون مُـقْوًى، ولكن هكذا أنشدناه مرفوعًـا على التقدير الذى ذكرناه].

* * *

باب

[صبرة بن شيمان عند معاوية]

قال أبوالعباس: حُدِّثْتُ أن صَبِرَة بن شَيْمَانَ الحُدَّانِيَّ دخل على معاوية، والوُفودُ عنده، فتكلَّموا فأكثروا، فقام صَبِرَة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا حَيُّ فِعالٍ، ولَسْنا بِحَيِّ مَقالٍ، ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم. فقال: صَدَقْت.

[كلمة يزيد بن أبي سفيان حين أرتج عليه]

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه، ولَّى يَزيدَ بن أبى سفيان رُبْعًا من أرباع الشام، فَرَقِيَ الْمنبَرَ فتكلَّم فَأُرْتِجَ عليه، فاستَأْنَفَ فَأُرْتِجَ عليه، فقطع الخطبة، فقال: سَيَجْعَلُ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرًا، وبعد عيٍّ بيانًا، وأنتم إلى أميرٍ فَعَّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قَوَّالٍ.

فَبلَغَ كلامُه عمرو بن العاص، فقال: هُنَّ مُخْرِجَاتِى من الشام! استحسانًا لكلامه.

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عَفَّانَ رحمه الله(١) لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِيِّ - ورآه ظاهرَ الأعْرابِيَّةِ: يا أعرابيُّ، أين ربُّك؟ فقال بِالْمرصادِ!

[جواب على بن أبي طالب حين سئل: أين ربنا؟]

وقال قائل لعليّ بن أبى طالب رحمه الله: أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ؟ فقال عليّ: أينَ، سُؤالٌ عن مكان، وكان اللهُ ولا مكان.

[للحسن البصري في المواعظ]

وحُدّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَةَ من ناحية الشام، فنظرا إلى الحسن البصريّ، فقال أحدهما لصاحبه: مِلْ بنا إلى هذا الذى كأنّ سَمْتَهُ سَمْتُ المَسيح، فَعَدَلاَ إليه، فَأَلْفَيَاهُ مُفْتَرِشًا بذَقَنِه ظاهرَ كَفِّه، وهو يقول: ياعَجَبًا لقوم قد أُمِروا

---

(١) س: «رضى الله عنه».

بالزاد، وأُوذِنُوا بالرحيل، وأقام أوّلهم على آخرهم! فليت شِعْرى ما الذى ينتظرون؟

وَنَظَرَ الحَسَنُ إلى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد، فقال الحسنُ: إن الله جعَلَ الصوم مضْماراً لعباده لِيَسْتَبِقُوا إلى طاعته، فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا، وتَخَلَّفَ آخرون فخابوا، ولَعَمْرى لو كُشِفَ الغطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه، ومُسِيءٌ بإساءته عن تَجْديد ثوب، أو تَرْطيل شَعَر.

قوله: «ترطيل شعر» إنما هو تليينُ الشَّعَر بالدُّهْنِ وما أشبهه، ويقال للرجل إذا كان فيه لينٌ وتوضيع: رجل رَطْلٌ، والذى يُوزَنُ به ويُكالُ يقال له: رِطْلٌ، بكسر الراء.

وكان الحسن يقول: اجْعَلِ الدنيا كالْقَنْطَرَةِ تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

قوله: «القنطرة» يعنى هذه المَعْقودة المعروفة عند الناس، والعرب تُسَمِّى كل أَزَجٍ[1] قنطرة، قال طَرَفَةُ بن الْعَبْد:

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنَفًا حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

قوله: «حتى تشاد»، يقول: تُطْلَى، وكلُّ شىء طَلَيّتَ به البناء من جِصٍّ أو جَيَّارٍ. وهو الكِلْسُ، فهو المشيد، يقال: دار مُشَيَّدَةٌ، وقَصْرٌ مَشِيدٌ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[2]، وقال الشَّمَّاخ:

لاَ تَحْسِبَنِّى وَإِنْ كُنْتُ امْرَأً غرراً ... كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشِّيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العبادىِّ:

شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْساً ... فَلِلطيْرِ فى ذُرَاهُ وُكُورُ

والمُقَرْمَدُ: المطْلِىُّ أيضًا، فمن ثَمَّ قال: «حتى تُشاد بقَرْمَدِ» فى معنى حتى تُطْلَى، ومن ذلك قول النابغة:

* رَابِى المَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ[3] *

---

(١) الأزج: نوع من الأبنية يطول بناؤه.

(٢) سورة النساء ٧٨.

(٣) قبله:

* وإذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدَف *

وانظر ديوانه ٣٢.

وقـال الحسن: تَلْقَى أَحَـدَهُمْ أبيضَ بضًّا، يَمْـلَخُ فى الباطل مَلخًـا، يَنْفُض مِذْرَوَيْه، ويَضْرِبُ أَصْدَرَيْـه، ويقول: هأنذا فاعْرِفونى. قد عَرَفْـناك، فَمَقَتَكَ الله، ومَقَتَكَ الصالحون.

قوله: «أبيض بضا» فالبضُّ الرقيقُ اللون، الذى يُؤَثِّرُ فيه كلُّ شىء.

وفى الحديث أن معاوية قَدِم على عمر بن الخَطَّاب رحمهما الله[1] من الشام وهو أَبَضُّ الناسِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُده، فَأَقْلَعَ عن مثل الشِّراب، أو مثل الشِّراكِ، فـقال: هذا والله لِتَشَـاغُلِكَ بالحَمَّـاماتِ، وذَوُ الحـاجاتِ تُقَطَّعُ أَنْفُـسُهُمْ حَسَرَاتٍ على بابك؟

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِىُّ:

مُنَعَّـمَةٌ بَيْـضَاءُ لو دَبَّ مُـحْوِلٌ ... عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

وقوله: «يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخًا»، يقول: يَمُرُّ مَرًّا سَرِيعًا، يقال: بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلَة المَرِّ.

وقوله: «يَضْرِبُ أَصْدَرَيْه وأَزْدَرَيْه»، فإنما يقال ذلك للفارغ، يقال: جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْـدَرَيْه وأَزْدَرَيْه، ولا يُتَكَلَّمُ منه بواحـد، ويقال: فلانٌ يَنْـفُضُ مِذْرَوَيْه، وهما ناحيتاه، وإنما يوصف بالْخُيَلاء، وقال عَنْتَرَة:

أَحَوْلِى تَـنْفُضُ اسْتُكَ مِـذْرَوَيْهَا ... لِتَـقْـتُلَنِـى، فَـهـأنذا عُـمَـارَا

ولا واحد لهـما، ولو أُفْرِدَتْ لقلتَ فى التثنيـة مِذْرَيان، لأن ذواتِ الواو إذا وقَعَتْ فيهنَّ الواو رابعةً رَجَعَتْ إلى اليـاء، كما تقول فى مَلْهًى: مَلْهَيان، وهو من لَهَوْتُ، وفى مَغْزًى: مَغْزَيان، وهو من غَزَوْتُ، وإنما فعلتَ ذلك؛ لأن فِعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ إلى الياء إذا كـانتْ رابعةً فصاعدًا، نحو غـزوت، فإذا أَدْخَلْتَ فيه الألف قلتَ: أغـزَيْتُ، وكـذلك غـازَيْتُ واسْتَـغْـزَيْتُ، وإنما وجب هذا لانقـلابهـا فى المضارع، نحو يُغْزِى، ويَسْتَغْزِى، ويُغازِى، وإنما انْقلبتْ لانكسار ما قبلها.

---

(١) ر ، س: «رحمه الله».

فإنْ قال قائلٌ: فَمَا بالُ يَتَرَجَّى ويَتَغَازَى، يكونان بالياء، نحو: هُما يَتَغازَيان ويَتَرَجَّيَان، فإنما ذلك لأنهما فى الأصل: رَجَّى يُرَجِّى، وغازَى يُغازِى، ثم لَحقتْ التَّاء بعد ثَبات الياءِ. والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلْحَقُهُ على معناه، فقولَك: مذْرَوان لا واحد له لما أَعْلَمْتُكَ، وثَبات الواو دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ من الآخر، فلذلك جاء على أصله(١).

(١) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٥٦.

بابـ

[ليزيد بن الصقيل، وكان يسرق الإبل ثم تاب]

قال أبوالعباس: قال يزيد بن الصَّقِيلِ الْعُقَيْلىُّ ـ وكان يَسْرِقُ الإبل ثم تاب، وقُتِلَ فى سبيل الله:

أَلا قُلْ لأَرْبَابِ المخائِضِ: أَهْمِلُوا ... فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ

وَإِنَّ امْرأً يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ ما ... تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ

وفى هذا الشِّعر[1]:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

قوله: «ألا قُلْ لأرباب المخائض»، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفَةٌ، وللجميع مخاضٌ، وهذا جَمْعٌ على غير واحده، إنما هو بمنزلة امرأةٍ ونساءٍ، ثم جَمَعَ الجَمْعَ فقال: مخَائض، كقولك فى رِسَالة: رَسَائل، وكما تقول فى قوم: أَقوام، فَتَجْمَعُ الاسم الذى هو للجَمْعِ، وكذلك أعْراب وأعارِيبُ، وأنعامٌ وأناعيم.

وقوله: «أَهْمِلُوا»: أى اسْرَحُوا إبلكُمْ، والهَمَلُ ما كان غير مَحْظُور، وهو السُّدَى، ويُرْوَى فى مِثْل قوله:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

عن بعض الصالحين[2] أنه كان يقول: إذا مات له جار أو حَمِيمٌ: أوْلَى لى! كِدْتُ وَاللهِ أكون السوَادَ المخْتَرَم[3].

* * *

[لابن حبناء التميمى فى مكارم الأخلاق]

وقال ابن حَبْناءَ التميمى:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِى ... لَوْمِ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِى مِنَ النَّارِ

---

(١) س: «وفى هذا الشعر يقول».

(٢) حاشية الأصل: «هو محمد بن الحنفية»، وهو من زيادات ر.

(٣) يقال: اخترقن المنية، أى أخذته من بين أصحابه.

لا أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلاَ أُكَسِّرُ فى ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارى

إِنْ يَحْجبِ اللهُ أَبْصَارًا أُرَاقِبُهَا فَقَدْ يَرَى اللهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارى

قوله:

* لا أَقرب البيت أحْبُو من مؤخَّره *

يقول: لا آتيه لِرِيبةٍ. ومِثْلُ ذلك قولُ الشاعر(١):

وَلسْتُ بِصَادِرٍ مِنْ بَيْتِ جَارِى كَفِعْلِ الْعَيْرِ غَمَّرَهُ الْوُرُودُ

يقول: لا أخْرُجُ خُرُوجَ الخائف، لأنه إنما يقال: تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرْوَ، ويقال للقَدحَ الصغير: الغُمَرُ من هذا.

وقوله:

* ولا أُكسِّر فى ابن العم أظفارى *

يقول: لا أغتابه، وهذا مَثَلٌ كما قال الْحطَيْئَة:

مَلّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلابُهُمُ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وقوله:

* فقد يَرى الله حال المدلج السارى *

فالمدْلِجُ: الذى يسير من أول الليل، يقال: أَدْلَجْتُ، أى سِرْتُ من أول الليل، وادَّلَجْتُ، أى سرت فى السَّحَر، قال زهير:

* بكَرْنَ بُكُورًا وادَّلَجْنَ بسُحْرةٍ(٢) *

والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل: ﴿**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ**﴾(٣) مِنْ قولك أسْرَيْتُ، وهى اللغة القرَشِيَّةُ، وغَيْرُهُمْ من العرب يقول سَرَيْتُ، وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن، وقال الله عزّ وجل: ﴿**وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾(٤) فهذا من سَرَى،

---

(١) زيادات ر: «وهو عقيل بن علفة»، والبيت من كلمة له فى حماسة أبى تمام (١: ١٥١ ، ١٥٢) - طبعة الرافعى.

(٢) رواية الديوان ١٠: «واستحرن بسحرةٍ»، وبقيته:

* فهنّ ووادى الرسِّ كاليد فى الفم *

(٣) سورة الحجر ٦٥.

(٤) سورة الفجر ٤.

ولو كان من «أسْرَى» لكان «يُسْرى»، كما قال لبيد:

فَبَاتَ وأسْــرى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَـانَ وَقَّافًـا بغيـر مُعَـصَّر

والمُعَصَّـرُ المَلْجَأُ، والسارى إنما هـو من قولك سَرَى، كـقولك: قَضَى فـهو قاض، ومن أسْـرَى يقال للفاعل: مُـسْرٍ كمـا تقول: أعْطَى فهـو مُعْطٍ، كمـا قال الأَخْطَلُ:

نَازَعْتُهُمْ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِى

والدجـاج ها هنا: الديُوك، يـريد وَقْتَ السَّـحَـر، لأنه يقـال للديك: هذا دَجـاجـةٌ، فإن أردت الأنثـى قلت: هذه، وكـذلك هذا بقـرة، وهذا بَطَّةٌ، وهذا حَمامةٌ إذا أردت الذكر، ولهذا باب يُذْكَرُ فِيه إنْ شاء الله.

قال جَرير:

لَمَّـــا تَذَكَّـــرْتُ بِالَّدَيْرَيْــنِ أرَّقَنِى صَــوْتُ الدَّجَاجِ وَقَـرْعٌ بِالنَّوَاقِـيسِ

قوله: «أرقنى صـوت الدجاج»، والأرق لا يكون فى آخـر الليل وإنما يكون فى جميعه.

وكذلك النواقيس لا تقرع أيضًا إلا فى السحر فإنما أراد: أرقنى انتظارى هذا الوقت؛ لأنه وعد فيه وعدًا فهو منتظر له.

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنا أبو العباس أحمـد بن يحيى الأبيات الرائيَّةَ المتقدمة بتـمامها على مـا أذكُره لك عن أبى عـبد الله بن الأعرابىّ، وهى لأحد ابْنَىْ حَبْناءَ ـ أَحْسبُهُ صَخْرا ـ وهما من بنى تميم، وكانا من الأزَارِقة. قال:

إنِّى هَزِئَتْ مِنْ أمِّ الْغَمْرِ إذْ هَزِئَتْ بِشَيْبِ رَأْسِى، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ
مَا شَـقْوَةَ المَـرءِ بِالإقْـتَارِ يُقْـتَرُهُ وَلاَ سَـعَــادَتُهُ يَوْمًـا بِإكْـثَـارِ(١)
إنَّ الشَّـقِىَّ الَّذِى فِى الـنَّارِ مَنْزِلُهُ والفَـوْزَ فَـوْزُ الَّذِى يَنْجُـو مِنَ النَّار

(١) زيادات ر: «يقتره، الهاء تعود على الإقتار».

أَعُــوذُ بِاللهِ مِنْ أَمْــرٍ يُزَيِّنُ لِي لَوْمَ العَشِيـرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْعَارِ
وَخَيْـرِ دُنْيَـا يُنَسِّي شَـرَّ آخِـرَةٍ وَسَوْفَ يُنَبِّـئُنِي الجَبَّارُ أَخْـبَارِي

ثم يتفقان بَعْدُ فى الرواية، وكان ربما أنْشَدَنا: «إِنِّي هَزَأْتُ مِنْ أُمِّ الغَمْرِ»].

* * *

[لأعرابي من بني الحارث بن كعب]

قال أبو العباس: وقال أعرابيٌّ من بنى الحارث بن كَعْب:

رَئِمْتُ لِسَلْمَـى بَوَّ ضَـيْمٍ وإِنَّنِي قَـدِيمًـا لآبِى الضَّـيْمِ وابْنُ أُبَاة
فَقَـدْ وَقَّفَتْنِي بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْـهَةٍ وَمَا كُنْتُ وَقَّافًا عَـلَى الشُّبُهَات
فيَـا بَعْلَ سَلْمَى كَمْ وكَمْ بأذَاتِها عَـدِمْتُكَ مِـنْ بَعْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِي
بنفسي حَبِـيبٌ حَالَ بَابُكَ دُونَهُ تَقَطَّعُ نَفْـسِي دُونَهُ حَسَـرَات
وَوَاللهِ لَوْلاَ أنْ تُسَـاءَ لَـرُعْـتُـهُ بِمَا لَيْسَ بِالْمَـأْمُونِ مِنَ فتكَاتِي

قوله: «رَئِـمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْم» فـإنما هذا مَثَلٌ، وأصله أنّ الناقـة إذا ألْقَت سَقْبَها فَـخِيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلْدَ حُوَارٍ(١) فَحَشَـوْهُ تِبْنًا، ولَطَخوهُ بشىء من سَلاها، ثم حَشَوْا أنفـها بخرْقة، فَتَجد لذلك كَرْبًا، ويقـال للخرقة التى تُجْعَلُ فى أنفها: الغمامةُ، ثم تُسَلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحًا، وتَرَى ذلك البَوَّ تحتها، وهو جلد الحُوار المَحْشُوُّ فَـتَرْأمُهُ، فإن دَرَّتْ عليه قيل: ناقـة درور، وتَرْأمُهُ تَشُمُّهُ، ويقال فى هذا المعنى: ناقة ظئور، فَيُنْتَفَعُ بلبنها، ويقال: ناقة رائمٌ ورءوم إذا كانت تَرْأمُ ولدها أو بَوَّها، فإن رَئِمَتْ ولـم تَدُرَّ عليه فتلك الْعَلُوقُ، ولا خير عندها.

وأُنشـدونا عن أبى عـمرو - وكـان يقـرأ: ﴿**ثُمَّ كَـانَ عَاقِـبَةَ الَّذِينَ أَسَـاءُوا السُّوءَى**﴾(٢) على «فعْلى»(٣):

---

(١) الحوار: ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينفطم.
(٢) الروم: ١٠.
(٣) زيادات ر: «لأفنون التغلبى»، والبيتان فى أمالى القالى: ٢ - ٥١، وشواهد المغنى للسيوطى ٥٤.

أَنَّى جَزَوْا عَـامِراً سَوءى بِـفِعْلِهِمُ — أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِى السُّوءى مِنَ الحَسَنِ

أَمْ كيفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِى الْعَلوقُ بِهِ — رِئْمَـانَ أَنْفٍ إِذَا مَـا ضُـنَّ بِاللَّبَنِ(١)

فقوله: «رئمتُ لسلمى بَوَّ ضيم»، أى أقمتُ لها على الضَّيْمِ، ويقال: فلان رَءومٌ للضَّيْمِ، إذا كان ذليلاً راضيًا بالخَسف.

[لأحد الأعراب]

وقال أعرابى ـ أحْسبُهُ تَميميًّا:

وَدَاهِيَـةٍ دَاهَى بِهَا الْـقَوْمَ مُـفْلِقٌ — شَـدِيدٌ بعُورانِ الْـكَلامِ أَزُومُهَـا

أَصَخْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا مَـا وعَيْتُهَا — رَمَيْتُ بِأُخْـرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيـمُهَا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَـا مُطْرِقِينَ كَـأَنَّمَا — تَسَاقَـوْا عُقَـاراً لا يَبِلُّ سَلِيمُـهَا

فلَمْ تلْقَنى فَهًّا، ولَمْ تَلْقَ حُجَّتِى — مُلَجْلَجَةً أَبْغِى لهـا مَنْ يُقِيمُـها

قوله: «وداهية» يعنى حُـجَّةً داهَى بها القوم. مُفْلِقٌ: يريد عَجِـيبةً، والفِلْقُ: اسم من أسماء الدواهى، ويقال: فَلْقٌ فى هـذا المعنى، ويقال: داهية فَلِيقٌ، وجاء القوم بالفَلِيق، وهذا مشهور كثير فى الكلام، ومنه قول خَلَفٍ الأحمر:

* مَوْتُ الإِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفِلَقْ *

وأَنْشَدَنى مُنْشِدٌ:

إِذَا عَرَضَـتْ دَوِّيَّةٌ مُدْلَهِـمَّةٌ(٢) — وغَرَّدَ حَادِيهـا عَمِلنَ بِنَا فَلْقَا(٣)

بفتح الفاء.

---

(١) فى حاشية الأصل: «قال ثعلب: اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له، يرحلان برحيله ويقيمان بإقامته، فأنشد الكسائى: «أنى جزوا عامرا... البيتين» فقال الأصمعى: إنما هو «رئمان» بالنصب، فقال له الكسائى: اسكت ! ما أنت! وهذا! يجوز فيه الرفع والنصب والخفض، أما الرفع فعلى الرد على «ما» لأنها فى موضع رفع بـ «ينفع»، والنصب بـ «لتعطى»، والخفض على الرد على الهاء فى «به». قال ثعلب: فسكت الأصمعى». وانظر المغنى ١:٤١.

وفى أمالى القالى: «العلوق: التى ترأم بأنفها وتمنع درها، يقول: فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئا فكيف ينفعنى ذلك!».

(٢) شطر هذا البيت لم يذكر فى س، وفى ر بين علامتى الزيادة، ورواه: «داوية».

(٣) عرض: تعرض. وغرد حاديها: طرب فى حدائه. والبيت فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢، ٢٦٤، وروايته فيه: «فرين بها فلقا». وقال فى شرحه: «أى عملن بها داهية من شدة سيرهن. والفلق: القضيب يشق فيعمل منه قوسان، ويقال لكل واحدة فلق». وهو أيضا فى اللسان (فلق).

وقوله: «شديدٌ بعُوران الكلام»، العَوْراءُ هى القبيحة، قال حاتم بن عبد الله الطائىُّ:

وعَوْرَاءَ قَدْ أَعَرضْتُ عَنْهَا فلمْ تَضِرْ ... وذى أودٍ قـوَّمْـتُـهُ فَتَـقَـوَّمَـا

وأَزُومُهَا: إمْساكُهَا[١]، يقال: أَزِمَ به إذَا عَضَّ به فـأمسكه بين ثَنِيَّتَـيْه. وفى الحديـث أن أبا بكر رحمـه الله قال فى يوم أُحُـد: فنَظَرْتُ إلى حَلْقة مـن درعٍ قد نَشِبَتْ فى جَبينِ رسول الله ﷺ، فانْكَبَبْتُ لأنزِعَهَا فأقْسَم علَىَّ أبو عبيدة، فَأَزَم بها أبو عبيدة بثَنِيَّتَيْه، فَجَذبها جَـذْبًا رفيقًا، فانتزعها، وسَقَطَتْ، ثم نَظَرْتُ إلى أخرى فأَرَدْتُها فأقْـسَم علىَّ أبو عبيدة، ففعل فـيها ما فعل فى الأولى، وكان مُـشفقًا من تحريكها لئلا يُؤْذِىَ بذلك رسول اللهْ ﷺ، فكان أبو عبيدة أهْتَمَ.

وقوله: «فَأَزَمَ بها»، يقال: أَزَمَ يَأْزِمُ، وأزم يَأْزَمُ.

وقوله: «أصَخْتُ لها»: يقول استَمَعْتُ لها، قال العَبْدِىُّ[٢]:

يُصِـيخُ لِلنَّبْـأة أسْـمَـاعَـهُ ... إصَـاخَـةَ النَّاشِـد للْمنْشِـد

والإصاخة: الاستماع، والناشد: الطالب، والمنشد: المُعَـرِّف، يقال نشَدْتُ الضالة إذا طلبتها، وأنْشَدْتُها: إذا عَرَّفْتها. والنَّبْأةُ: الصوت، قال ذو الرُّمَّة:

وقَدْ تَوَجَّسَ رِكْـزًا مُقْـفِرٌ نَدُسٌ ... بِنَبْأة الصَّوْتِ ما فى سمْعه كذبُ[٣]

وقوله: «حتى إذا مـا وعَيْتُها»، يقول: جـمَعْتُها فى سمـعى، يقال: وعَيْتُ العلْمَ، وأوْعَيْتُ المَتاع فى الوعاء، قال الله عز وجل: ﴿**وَجَمَعَ فأوْعَى**﴾[٤]، وقال الشاعر[٥]:

الْخَيْرُ يَبْـقى وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ ... والشَّرُّ أخْـبَثُ مَا أوْعَـيْتَ مَنْ زَادِ

وقوله:

* رَمَيْتُ بأخرى يستدير أمِيمُهَا *

---

(١) قال المرصفى: «أخطأ أبو العباس فى تفسير الوصف بالمصدر والصواب: ممسكها».

(٢) زيادات ر: «وهو المثقب».

(٣) توجس: تسمع. والركز: الصوت الخفى. مقفر: أخو قفرة. والندس: السريع الاستماع للصوت الخفى، يصف الصائد.

(٤) المعارج ١٨.

(٥) زيادات ر: (هو عبيد بن الأبرص).

يريد يستدير، من الدُّوار، ويقال فى هذا المعنى: يستديم، ومنه سميت الدُّوَّامَةُ(١)، وفى الحديث: «كُرِهَ البول فى الماء الدائم»؛ لأنه كالمستدير فى موضِعه، قال جرير:

عوَى الشُّعَرَاءُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ ... عَلَيَّ فَقَدْ أصَابَهُمُ انْتِقَامُ
إذَا أرْسَلْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهِم ... رَأوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فاسْتَدَامُوا(٢)

وقوله: «أميمها» يريد المأموم بها، ويقال: أميمٌ ومأموم، كقولك: قَتيلٌ ومقتولٌ، ومَجْروح وجريح، ويقال: للشَّجَّة التى قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدماغ - وأُمُّ الدماغ جُلَيْدَةٌ رقيقةٌ تُحيط بالدِّماغ - فإذا وُصِلَ إلى تلك فالشَّجَّةُ آمَّةٌ ومأمومة، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فى قَعْرِهَا لَجَفٌ ... فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كالْمَغَارِيدِ(٣)

المغاريد: صغار الْكَمْأة.

وقوله: « فى قعرها لجف»، أى تَقَلُّع، يقال: تَلَجَّفَتِ البئر، إذا انقلع طَيُّها من أسفلها، ولَجَّفَ القومُ مِكْيالهم، إذا وَسَّعوه من أسفله.

وقوله: «تَسَاقَوْا عُقاراً» يريد: كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجَّة. وَالْعُقارُ: اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقارا لِمُعَاقَرَتِها الدَّنّ.

وقوله: «ما يَبِلُّ» يقال: بَلَّ وَأبَلَّ من مرضه، وكذلك اسْتَبَلَّ.

والسَّلِيمُ المَلْسوع، وقيل له سَلِيم على جهة التَّفاؤل، كما يقال لـلمَهْلَكَة مَفَازةٌ، وللغراب: الأَعورُ على الطِّيَرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِه.

وقوله: «فلم تلفنى فَهًّا» يقول: ضَعيفًا، يقال: فَهَّ فلانٌ عن حُجَّتِهِ إذا ضَعُفَ عنها، ويقال: رجل مُفَهَّةٌ إذا كان عاجزًا.

وقوله: «مُلَجْلَجَة»، وهو أن يُرَدِّدَها فى فيه، وقد مضى تفسيره.

---

(١) الدوامة: فلكة يرميها الصبى بخيط فتدور.

(٢) استداموا: أخذهم الدوام، وهو الدوار.

(٣) البيت فى اللسان (غرد) ونسبه المرصفى إلى غذار بن دارة السنائى.

وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزُوم، من بنى نَهْشَلِ بن دارمٍ(١):

إنا بَـنى نَـهْـــشَلَ لا نَـدَّعِى لأبٍ ... عَنْهُ، وَلا هُوَ بِالأَبْـنَاء يَشْـرِينَا
إنْ تُبْـتَـدَرْ غَـايَـةٌ يَوْمًـا لِمكْـرُمَـةٍ ... تَلْقَ الـسَّـوَابِـقَ مِنَّا وَالمُصَلِّـينَا
وَلَيْـسَ يَهْلِـكُ مِنَّا سَـيِّـــدٌ أَبَدًا ... إِلا افْـتَلَيْنَا غُلامًـا سَيِّدًا فِـينَا
إنِّى لَمِنْ مَــعْــشَـــرٍ أفْنَى أوَائِـلَهُمْ ... قِيلُ الْكُمَاةُ: إلا أيْنَ المُحَامُونَا؟
لَوْ كَانَ فِى الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: ... مَنْ فَارِسٌ؟ خَـالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا
وَلا تَرَاهُـمْ وَإنْ جَلَّتْ رَزِيَّـتُـــهُمْ ... مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
إنَّا لَـنرْخِصُ يَـوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُـسَـنَا ... وَلَوْ نُسَامُ بِهَـا فِى الأَمْنِ أُغْلِينَا
إذَا الكُـمَــاةُ تَـنَحَّـــوْا أنْ يَنَالَـهُمُ ... حَـدُّ الظُّـبَـاةِ وَصَلْنَاهَا بِـأَيْدِينَا
فَـرْضٌ عَلَى مُكْثِـرِينَا نَيْـلُ بَذْلِهِمُ ... وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فِى طَبْعِ الْمُقِلِّينَا
إنِّى وَمَنْ كَـأَبِى يَحْـيَى وَعِـتْـرَتِهِ ... لا فَـخْـرَ إلا لَنَا أم من يُوَازِينَا

قوله: «إنا بنى نهشل»، يعنى نهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك ابن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميمٍ، ومن قال: «إنَّا بَنُو نَهْشَلٍ»، فقـد خَبَّرَكَ، وجَعَلَ «بنو» خبر «إنّ»، ومن قال: «بنى»، إنما جعَلَ الخبرَ

إنْ تُبْـتَدَرْ غَـايَةٌ يوما لِمكْرُمَـةٍ ... تَلْقَ الـسَّـوَابقَ مِـنَّا والمُصلِّـينَا

ونَصَبَ «بَنى» عَلَى فِعْلٍ مضمر للاختصاص، وهذا أَمْدَحُ ومثله:

* نَحْنُ بَنِى ضَبَّةَ أصْحَاب الْجَمَلْ(٢) *

---

(١) زيادات ر: «هو بشـامة بن حـزن النهشـلى». والأبيات أوردها أبو تمام منسـوبة إلى بعض بنى قـيس بن ثعلبة، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات وعددها، وانظر الحماسة ١: ٩٧ ـ بشرح التبريزى.

(٢) من رجز رواه ابنُ جرير الطبرى لعمرو بن يثربى الضبى قاله فى وقعة الجمل، وبعده:

نـنـزل بـالمـوت إذا المـوت نـزل ... القـتـل أحلى عنـدنا من العـسـل
نَنْعَى ابـن عـفـان بأطراف الأسل ... ردّوا علينـا شـيـخنا ثـم بَجَل

وانظر تاريخ الطبرى، وحوادث ٣٦.

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان مَنْ يَخْتَصُّ بهذا، فقال: أعنى بنى ضبة. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وامْرَأَتُه حَمَّالَةَ الحَطَب﴾(1) أراد وامرأتُهُ. ﴿فى جيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد﴾ ثم عرَّفها بحَمَّالة الحطب، وقوله: ﴿والمقيمينَ الصَّلاةَ﴾ بعد قوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فى العِلْم منهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ﴾(2) إنما هو على هذا، وهو أبلغ فى التعريف، وسَنَشْرَحُهُ على حقيقة الشرح فى موضعه إن شاء الله.

وأكثر العرب يُنْشدُ(3):

إِنَّا بَنِى مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ ... فِينَا سَرَاةَ بَنِى سَعْدٍ وَنَادِيهَا

وقرأ بعض القراء: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ﴾(4).

وقوله: «يشرينا» يريد يَبِيعُنا، يقال: شراه يَشْرِيه إذا باعه، فهذه المعروفة، قال الله عزّ وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ﴾(5). وقال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِىُّ:

شَرَيْتُ بُرْدًا ولَوْلا مَا تكَنَّفَنِى ... مِنَ الحَوادِثِ مَا فَارَقْتُه أبَدَا(6)

ويكون «شَرَيْتُ» فى معنى اشْتَرَيْتُ، وهو من الأضداد، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ:

اشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وَابْغُوا لخِنْتَتِهَا(7) ... مَوَاسِيًا أربَعًا فِيهنَّ تذْكِيرُ(8)

وقوله:

* تَلْقَ السوابقَ منَّا والمصلِّينا *

فالمُصَلِّى الذى فى إثْرِ السابق وإنما سُمِّىَ مصلِّيًا؛ لأنه مع صَلَوَىِ السابق، وهما عرْقان فى الرِّدْف، قال الشاعر:

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فى صَلاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

---

(1) سورة المسد ٤، ٥.

(2) سورة النساء ١٦٢.

(3) زيادات ر: هو (لعمرو بن الأهتم المنقرى). وانظر...

(4) سورة المؤمنون ١٤.

(5) سورة يوسف ٢٠.

(6) بعده فى س وزيادات ر:
يا بُرْدُ ما مسَّنَا دَهْرٌ أضَرَّ بنَا ... من قبلِ هذا، ولا بعنا له ولدا

(7) كذا فى الأصل. وفى ر: «لختنتها»، وهى المرة من الختن. وفى الزيادات: «كان ابن جابر يروى: «لختنتها» [بضم الخاء وتاءين]، ويقول: الختنت: «العفل». والعفل: لحم ينبت فى قبل المرأة.

(8) تذكير: صلابة وحدة.

وقوله:

* إلا اُفتلَينا غلاما سيّدا فينا *

مـأخوذ من قـولهم: فَلَوْتُ الفُلُوَّ(١) يَا فـتى، إذا أخـذتَه عن أمّـه، قـال الأَعْشَـى:

مُـلْمِـعٍ لاعَـةِ الْـفُؤَادِ إلَـى جحْـشٍ فَلاهُ عَنْهَا، فَبِئْسَ الْفَالى(٢).

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطَّمَحان الْقَيْنِىِّ:

* إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صَاحِبُهْ *

وقوله:

لَوْ كَانَ فى الأَلْفِ مِنَّا واحِدٌ فَدَعَوْا: مَنْ فَارِسٌ؟ خَـالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طَرَفَة:

إِذَا القَوْمُ قالُوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّنِى عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَـلْ ولَمْ أَتَبَلّدِ

ومن قول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَة:

إِذَا القَـوْمُ قالُوا: مَنْ فَـتًى لِعَظِيمَـةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى، ولَكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله: «حَدُّ الظُّبات» فـالظُّبَةُ الحَدُّ بعينه، يقال: أصابتـه ظُبَة السيف، وظُبَةُ النَّصْلِ، وجمـعه ظُباتٌ. وأرادَ بالظبَـةِ هاهنا موضع المَضْرِب من السـيف. وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السُّـيوفَ إِذَا قَصُـرْنَ بخَطْوِنَا قُدُمًـا، ونُلْحِقُهَـا إذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله:

* إنَا لنرْخصُ يوم الرَّوْع أَنْفُسنَا *

---

(١) الفلو: المهر.

(٢) البيت فى وصف الناقة، ملمع: فى ضرعها لمع سود. واللاعة: الملتاعة. والفالى: الطارد.

أخذه من قول الهَمْدانىّ ـ وهو الأَجْدَع(١) ـ أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه:

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْـوَانُ هَمْدَانَ أَنَّنى — لَهُنَّ غَـدَاةَ الرَّوْعِ غَـيْرُ خَـذُولِ
وَأَبْذُلُ فى الهَيْجَاءِ وَجْهِى وَإِنَّنِى — لَهُ فى سِوَى الْهَيْجَاءِ غيْرُ بَذُولِ

ومن القتَّالِ الكِلاَبِىِّ حيث يقول:

أَنا ابْنُ الأكْـرَمِـينَ بَنِى قُـشَيْـرٍ — وَأَخْـوَالِى الْكِرَامُ بَنُو كِـلاَبِ
نُعَـرِضُ لِلطِّعَـانِ إِذَا الْتَـقَـيْنَا — وُجُـوهًا لا تُعَـرَّضُ لِلسِّـبَـابِ

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمـية الوداعى، من بنى نوف بن حمدان. فارس شـاعر، أدرك الإسلام، وبقى إلى زمن عمر بن الخطاب. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٤٩).

بابـ

[من كلام عمر بن عبد العزيز]

قال عمـر بن عبد العزيز رحـمه الله: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فـقد كَمَل: من لم يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ(١) عن طاعة الله، ولـم يستنزلُه رضاه إلى معـصية الله، وإذَا قدر عفا وكَفَّ.

[من كلام الحسن البصرى]

قال الحســن: نِعَمُ الله أكثرُ منْ أَنْ تُشْكَرَ إلا ما أعـانَ عليه، وذُنوبُ ابن آدم أكثر من أنْ يَسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه.

[كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه]

وقال عمر بن ذَرّ(٢) ـ ودخل على ابنه وهو يَجُود بنفسه، فقال: يا بُنَيَّ، إنه ما علينا من موتك غضاضةٌ، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجةٌ. فلما قضى وصَلَّى عليه وواراه وَقَفَ على قبره، فقال:

ياذَرُّ، إنه قد شَغَلَنا الحُـزْنُ لك عن الحزن عليك؛ لأنّا لا نَدْرِى مَا قُلتَ ولَا ماقيلَ لك، اللّهُمَّ إنى قد وَهَبْتُ له مَا قَصَّرَ فيه مما افترضْتَ عليه من حقّى، فَهَبْ له ما قَصَّــرَ فيه من حقّك، واجعل ثوابى عليــه له، وزِدْنِى من فَضْلك، إنِّى إليك من الراغبين.

وسُئِلَ: ما بَلَغَ من بِرِّه بك؟ فقال: مــا مَشَى معى بِنَهارٍ قَطْ إلاَ قَدَّمَنِى، ولا بليل إلا تقَدَّمَنِى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[جوابـ أبى دلامة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة]

وماتـت بنـت عـمّ للمنـصور، فَـحَـضَـرَ جَـنَـازتها، وجلس لدفنها، وأقبل أبو دُلامةَ الشاعر، فقال له المنصور: ويْحكَ! ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ابْنةَ عَـمِّك هذه التـى وارَيْتَهـا قـبَـيلُ! قـال: فَضَـحِكَ المنصـور حـتى استُغْرِب(٣).

---

(١) ر: «من».

(٢) هو عمر بن ذر بن عبـد الله الهمدانى، من أقران أبى حنيفة وابن عيـينة، وكان رأسا فى الإرجاء، توفى سنة ١٥٠. (تهذيب التهذيب ٧: ٤٤٥).

(٣) استغرب فى الضحك: أكثر منه.

[الفرزدق فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود]

ودخل لَبَطَة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن الْمُنْذر ابن الجارود(١)، ومالك عاملٌ على البصرة لخالد بن عبد الله القَسْرِىِّ، فقال: يا أَبَتِ، هذا عمَرُ بن يزيد الأَسَيْدىُ، ضُربَ آنفًا أَلْفَ سَوْط فمات فَشُدَّ على حمار، فقال الفَرَزْدَقُ: كأنك والله يا بُنىَّ بمثل هذا الحديث قد تُحَدِّثُ به عن أبيك ـ والحَسَنُ(٢) إذ ذاك عند محبوس له ـ فقال: يا أبا فراس: ما عندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، للهُ أحَبُّ إلىَّ من سَمْعى وبَصَرِى، ومن مالى وولدى، ومن أهلى وعَشيرتى، أَفَتَرَاهُ يَخْذلَنى! فقال الحسن: لا.

[للفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسيدى]

وكان عمر بن يزيد الأسَيْدىُّ شريفًا، حدثنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ قال: كان رجلُ أهلِ البَصْرَةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيْدىَّ، ورجلُ أهل الشام عمرَ بن هُبيْرَة الفَزَارِىَّ، ورجلُ أهل الكوفة بلالَ بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرىّ، فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال: أَجَلْ، لَولا خبٌّ(٣) فى بلال، فقال بلالٌ لَمَّا بلغه ذلك: «رَمَتْنى بدائها وانسَلَّت» وقتله مالك(٤) بن الْمُنْذِر تَعَصُّبًا فيما تذكره الْمُضَرِيَّةُ. فلما دُخِلَ بمالك على هشام أَقْبَلَ على أصحابه، فقال: أما رأيتم عمر بن يزيد؟ أَمَا إنى ما تَمَنَّيْتُ أن تكون أُمّى ولدَتْ رجلا من العرب غَيْرَهُ. ثم قال لمالك: قَتَلْتَ والله خيرًا منك حَسَبًا، ونَسَبًا، وريشًا(٥)، وعَقبًا! فقال: وكيف يا أمير المؤمنين! أَلَسْتُ ابنَ المنذر بن الجارود، وابنَ مالك بن مِسْمَعٍ! ـ وكان جَدَّهُ أبا أمّه ـ وجعل عمر والسِّياطُ تأخذه ينادى: يا هشَامَاهُ! ففى ذلك يقول الفَرَزْدَق:

أَلَمْ يَكُ مَقْتَلُ الْعَبْدِىِّ ظُلْمًا ... أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْكُبَرِ الْعِظَامِ

قَتيلُ جَمَاعَةٍ فِى غَيْرِ حَقٍ ... يُقَطَّعُ وَهْوَ يَدْعُو: يا هشَامِ!

---

(١) حاشية الأصل: «كان السبب فى سجن الفرزدق أنه كان قد هجا خالد بن عبد الله القسرى، فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه، فأمر مالك أيوب بن عنيسى الضبى فأتاه به، فأمر به إلى السجن، ففى ذلك يقول الفرزدق يهجو أيوب بن عيسى:

فلوْ كنتَ قيسيًا إذا ما حبستنى ... ولكنّ زنجيًّا غليظًا مشافرُهُ

متّتُّ له بالرَّحْمِ بينى وبينَهُ ... فألفيتُه منِّى بعيدًا أواصرُه

(٢) هو الحسن البصرى.

(٣) الخب: الخداع والمكر.

(٤) أى قتل مالك عمر بن يزيد الأسيدى.

(٥) الريش: اللباس والزينة. وفى ر، س: «ودينا».

[لقاء الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة]

وَالْتقى الحَسَن والفرزدق فى جنازة، فقال الفرزدقُ للحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: اجتمع فى هذه الجنازة خيرُ الناسِ وشرُّ الناس! فقال الحسن: كَلاَّ، لَسْتُ بخيرهم، ولَسْتَ بشرّهم، ولكن ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إلّه إلا الله مذ(١) ستُّون سنة، وخَمْسَ نَجَائبَ لا يُدْرَكْنَ - يعنى الصلوات الخمس - فيزعم بعض التَّميميَّة أن الفرزدق رُئِىَ فى النوم، فقيل له: ما صَنَعَ بك ربُّكَ؟ فقال: غَفَرَ لى. فقيل له: بأىِّ شىء؟ فقال: بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن.

[الفرزدق وأولاد بنى تميم]

وحدثنى العباس بن الفَرَجِ فى إسناد له ذَكَرَهُ قال: كان الفرزدق يَخْرُجُ من منزله فيرى بنى تميم والمصَاحِفَ فى حُجُورهم، فَيُسَرُّ بذلك ويَجْذَلُ به، ويقول: إيهٍ فِدًى لكم أبى وأمّى! كذا والله كان آباؤكم.

* * *

[قال أبو الحسن: إنما هو فِداءٌ لكم، لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية].

* * *

[الفرزدق وأبو هريرة الدوسى]

ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِىُّ، فقال [له](٢): مَهْما فَعَلْتَ فَقَنَّطكَ الناسُ، فلا تقنَطْ من رحمة الله، ثم نظر إلى قدميه فقال: إنى أرى لك قَدَمَيْنِ لطيفتين، فابْتغِ لهما مَوْقِعًا صالحًا يوم القيامة.

يقال: قَنطَ يَقْنَطُ، وقَنَطَ يَقْنِطُ، وكلاهما فصيح، فاقرأ بأيُّهما شئت، وكذلك نَقِمَ يَنْقَمُ، ونَقَمَ يَنْقِمُ.

(١) ر: «منذ».

(٢) من ر، س.

[قول الفرزدق حينما تعلق بأستار الكعبة]

والفرزدق يقـول فى آخر عُمْـرِهِ حين تَعَلَّقَ بِأَسْـتار الكعبـة، وعاهَدَ ٱللهَ ألاَّ يَكْذِبَ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِمًا:

أَلَمْ تَرَنِـى عـاهَدْتُ رَبِّـى وَإِنَّنِى　　　لَبَيْـنَ رِتَاجٍ قَـائمًـا وَمَــقَـامِ

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِمًا　　　ولا خـارجا من فِيَّ زُورَ كَـلامِ

وفى هذا الشعر:

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِـيسُ تِسْعِينَ حِـجَّةً　　　فَلَمَّا ٱنْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تَمَامِى

رَجَـعْتُ إِلَى رَبِّى وَأَيْـقَنْتُ أَنَّنِى　　　مُـلاقٍ لأَيَّـامِ المَنُونِ حِـمَـامِى

قوله: «لَبَـين رتاج»، فالرِّتاجُ غَلَقُ الباب، ويقال: باب مُـرْتَجٌ، أى مُغْلَقٌ، ويقال: أُرْتِجَ على فلان، أى أُغْلِقَ عليه الكلامُ، وقولُ العامة: «ارْتُجَّ عليه»، ليس بشيء، إلا أن التَّوَّزِىَّ حدثنى عن أبى عُبَيْدَةَ، قال: يقال: أُرْتِجَّ عليه، ومعناه وَقَعَ فى رَجَّةٍ، أى فى ٱختلاط، وهذا معنى بعيد جداًّ.

وقوله: «ولا خـارجًا» إنما وَضَعَ اسم الـفاعل فى موضـع المصدر، أراد: لا أشْتِمُ الدهر مُـسْلِمًا، ولا يَخْرُجُ خـروجًا من فِيَّ زُورُ كـلامٍ، لأنه على ذا أَقْسَمَ، والمصدر يـقع فى موضـع اسـم الفاعل، يـقال: مـاءٌ غَوْرٌ، أى غائر، كما قال الله عزّ وجل: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾(١)، ويقال: رجل عَـدْلٌ، أى عادل، ويوم غَمٌّ، أى غامٌّ، وهذا كثير جداًّ، فعلى هذا جـاء المصدر على فاعِلٍ، كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال: قُمْ قائمًا، فيوضع فى موضع قولك: قُمْ قيامًا، وجاء من المصدر على لفظ «فاعِلٍ» حـروفٌ منها: فلجَ فَالِجًا، وعُوفِىَ عـافِيَةً، وأَحْرُفٌ سوى ذلـك يسيرة. وجـاء على «مَـفْعول»، نحـو رجل ليس له مَـعْقـول، وخُذْ مَيْـسُورَه، ودَعْ مَعْـسوره، لدخول المفـعول على المصدر، يقـال: رجل رضًا، أى مَرْضِىٌّ، وهذا درهم ضَرْبُ الأمـير، أى مَضْرُوبٌ، وهذه دراهم وزن سَـبْعةٍ، أى مَوْزونةٌ. وكان عيـسى بن عمر يقول: إنما قوله: «لا أشْتِـمُ» حال، فأراد: عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غـير شاتِمٍ ولا خارجٍ مَنْ فِيَّ زُورُ كـلام، ولـم يَذْكُر الذى عاهَدَ عليه.

---

(١) سورة الملك ٣٠.

[للفرزدق فى أيام نسكه]

وقال الفرزدق فى أيام نُسكه:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِى ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا
إِذَا قَادَنِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أزرقا(١)
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ ... يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقَا

[للفرزدق حين طلق النوار]

وحدثنى بعض أصحابنا عن الأَصْمَعِىِّ عن الْمُعْتَمِرِ بن سليمان عن أبى مَخْزومٍ عن أبى شَفْقَلٍ راوية الفرزدق، قال: قال لى الفرزدق يوما: امض بنا إلى حَلْقَةِ الحسَنِ، فإنى أريد أن أطَلِّق النَّوَار، فقلتُ: إنى أخاف عليك أن تَتْبَعَهَا نَفْسُكَ، ويَشْهَدَ عليك الحسنُ وأصحابه، فقال: امْضِ بنا فجئنا حتى وقَفْنا على الحسن، فقال: كيف أَصْبَحْتَ يا أبا سعيد، فقال: بخير، كيف أصبحتَ يا أبا فِراسٍ؟ قال: تَعَلَّمُنْ أن النَّوَار منى طالق ثلاثًا، فقال الحسنُ وأصحابه: قد سمعنا، قالُ: فانطلقنا، قال: فقال لى الفرزدق: يا هذا، إن فى قلبى من النَّوَار شيْئًا، فقلت: قد حَذَّرْتك، فقال:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِىِّ لَمَّا(٢) ... غَدَتْ مِنِّى مُطَلَّقَةً نَوَارُ(٣)
وَكَانَتْ جَنَّتِى فَخَرَجْتُ مِنْهَا ... كَآدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضِّرَارُ
وَلَوْ أَنِّى مَلَكْتُ يَدِى وَنَفْسِى ... لَكَانَ عَلَىَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

قال الأصمعىّ: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجْلِ هذا البيت.

---

(١) ر: «موثقا».

(٢) الكسعى: رجل من كسع، حى من اليمن، اسمه غامد بن الحارث، وكان اتخذ قوسا وخمسة أسهم وكمن فى طريق قطيع، فرمى حمارا منه، فنفذ فيه السهم وصدم الجبل، فأورى نارا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخرها وهو يظن خطأه، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأنشد:

ندمتُ ندامةً لو أنّ نفسى ... تطاوعنى إذًا لقطعتُ خمسى
تبَيَّنَ لىَ سَفَاهُ الرأى منِّى ... لعمرُ أبيكَ حينَ كسَرْتُ قوسِى

وانظر مجمع الأمثال (٢ : ٢٧٤).

(٣) فى زيادات ر بعد هذا البيت:

وكنتُ كفاقئٍ عينيه عمدًا ... فأصبح لا يضىء له النهارُ
وما فارقتَها شبعًا ولكِنْ ... رأيت الزهد يأخذ ما أُعارُ

بابـ

[ما قيل في الخمر]

قال لقيط بن زرارة:

شَربتُ الخَمرَ حتَّى خِلتُ أنيِّ ... أبُو قَابُوسَ أوْ عبدُ المدانِ
أمشِّي في بني عُدسِ بنِ زَيْدٍ ... رَخيَّ البالِ منطلِقَ اللِّسانِ

وحدَّثني أبو عثمان المازني قالَ أسر رَجُلٌ يَوْم الحُسَيْنِ بن علي رضي الله عنه فَأُتِيَ به يزيد بنُ معاوية فقال له: أليس أبوكَ القائلَ:

أرجِّلُ جُمَّتِي وأجرُّ ذيلي ... وتحملُ شكَّتي أُفقٌ كُميْتُ
أُمَشِّي في سراةِ بني غُطَيفٍ ... إذا ما سَامَني ضَيمٌ أبَيْتُ

قال: بلى. فأمرَ به فقتل.

[خبر هانئ بن عروة المرادي مع معاوية]

قال أبو العبَّاسِ: ونُميَ إليَّ أن معاويةَ ولَّى كثير بن شهاب المذحجيَّ خُراسانَ فَاخْتَانَ مالا كثيرًا، ثم هرب فاستتر عندَ هانئ بن عُروةَ المراديَّ، فبلغَ ذلك مُعاويةَ، فنذَرَ دمَ هانئ، فخرج هَانئ فكانَ في جوار معاوية، ثم حَضَرَ مجلسه ومعاوية لا يعرفُه، فلمَّا نهضَ الناسُ ثبتَ مكانَهُ، فسألهُ معاوية عَنْ أمْرِه، فقال: أنا هَانئُ بنُ عُروةَ، فقال: إنَّ هذا اليومَ ليسَ بيومٍ يقول فيه أبوكَ: أرجِّلُ جُمَّتي... الشعرَ. فقالَ لهُ هانئٌ: أنا اليومَ أعزُّ مني ذلكَ اليومَ، فقَالَ له: بِمَ ذَاكَ؟ فقال: بالإسلامِ يا أمير المؤمنين، فقالَ له: أينَ كثيرُ بن شهاب؟ قال: عندي في عسكرِكَ يا أَميرَ المؤمنينَ. فقال له مُعَاوِيةُ: انظره إلى ما اختانه فخُذْ منه بعضًا، وسوِّغْه بعضًا.

[نبذ من أقوال الشعراء في الخمر وشاربيها]

وقالَ أعرابيٌّ:

ولقد شَرِبْتُ الراحَ حَتَّى خِلْتُني ... لمَّا خرجْتُ أجرُّ فَضلْ المئْزرِ
قَابوسَ أو عَمرَو بنَ هندٍ مَاثِلا ... يُجْبَى لهُ ما دونَ دَارةِ قَيْصَرِ

وقال آخر:

شَربْنَا منَ الدَّاذِيِّ حتَّى كأنَّنا ... مُلُوكٌ لهم بَرُّ العراقيْنِ والبحرُ
فلمَّا انجلَتْ شمس النَّهار رأيتُنا ... تولَّى الغِنَى عَنَّا وعاودَنا الفقْرُ

وقال آخر، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ الحكم:

وكأسٍ ترى بينَ الإناءِ وبينها ... قذى العَيْنِ قدْ نَازعتُ أم أبانِ
ترى شاربيَها حين يَعْتورانِها ... يميلانِ أحيانًا ويَعْتدلانِ
فما ظنىُّ ذا الواشي بأروَعَ ماجدٍ ... وبدَّاءِ خودٍ حينَ يلتقيانِ

وقالَ آخرُ:

دَعتْني أخَاهَا أمَّ عَمْرو ولمَ أكنْ ... أخاهَا ولم أرضَعْ لها بلَبَانِ
دَعَتنِي أخاها بعد ما كان بينَنَا ... منَ الأمْرِ ما لا يفعلُ الأخَوَانِ

وقالَ آخرُ (أنشده أبو عليٍّ لأم ضيغم البلوية):

فبتْنا فوَيْقَ الحيِّ لا نحنُ منهمُ ... ولا نحنُ بالأعْداء مختلطان
وبات يقينا ساقط الطل والنَّدى ... من الليْلِ بُردَا يُمنَةٍ عَطِرانِ
نعدِّى بذكرِ اللهِ فى ذات بيننا ... إذا كان قلبانا بنا بردَانِ

قال أبو الحسن: وزادنى فيه غير أبى العباس:

نَقَعْنَا غليلَ النفْسِ بالرشفانِ ... ونَصْدرُ عن زيِّ العفافِ وربما

قال أبو العباس: نعدِّى أى نصرِفُ الشرَّ بذكر الله، يقال: فعدِّ عما ترى، أى انصرفْ إلى غيره. ويقال: لا يعدونَّك هذا الحديثُ، أىَ لا يتجاوزنك إلى غيرك.

قال أبو العباس: وقال رجلٌ من قريش:

مَنْ تقرعِ الكأسُ اللئيمةُ سنَّهُ ... فلابدَّ يومًا أن يسيءَ ويجهَلا
ولم أرَ مطلوبًا أخسَّ غَنيمَةً ... وأوضع للأشراف منها وأخملا
وأجدَرَ أن تلقى كريمًا يذمهَا ... ويشربَهَا حتَّى يخرَّ مُجدَّلا
فوَ اللهِ ما أدْرى أخبْلُ أصَابهمْ ... أم العيشُ فيها لم يلاقُوه أشكلا

وقال آخر:

إذَا صدمتنى الكأسُ أبدت محاسنى ... ولم يخشَ ندمَانِى أذَاتى ولا بُخْلى
ولستُ بفحَّاشٍ عليه وإن أسَا ... وما شكلُ من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر:

كلْ هنيئًا وما شربتَ مريئا ... ثُمَّ قُمْ صاغرًا فَغَيْرُ كَريمِ
لا أحبُّ النديم يومِضُ بالعَيْـ ... ـنِ إذَا ما انتشَى لعرِس النَّديم

الإيماض: تفتحُ البرق ولمحُهُ، يُقَالُ: أوْمضَت المرْأة إذا ابتسَمَتْ، وإنَّما ذلك تشبيه لِلَمع ثنايَاهَا بتبسُّمِ البرْقِ، فأرادَ أنه فتح عينَهُ ثم غمَّضها بغمزٍ.

قال حسَّان بن ثابتٍ:

كأنَّ سَبيئةً منْ بيت رأسٍ ... يَكونُ مِزَاجَها عسلٌ وماءُ
إذا ما الأشرباتُ ذكَرْنَ يومًا ... فهنَّ لطيِّب الرَّاحِ الفداءُ
نُولِّيها الملامَةَ إن ألَمْنا ... إذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لحَاءُ
ونشربُهَا فتتركُنَا ملُوكًا ... وأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

المغْثُ: المماغثة باليد، واللِّحاءُ: الملاحاةُ باللسانِ، يقول: يعتذرُ المسيء بأنْ يقولَ: كنتُ سكرانَ فَيُعذَرُ.

وقوله: كأنَّ سبيئةً، يقالُ: سبأتهَا إذَا اشتريتها سِباء، يعنى الخمرَ، والسَّابِئُ: الخَمَّار.

وقولهِ: «من بيت رأسٍ»، يعنى موضعًا، كما يُقالُ: حَارِثُ الجَوْلانِ.

بابـ

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: قال الأَحْنَفُ بن قَيْس: ألا أَدُلُّكمْ على المحْمَدة بلا مَرْزِئَة؟ الخُلُقُ السَّجيحُ(١)، والكَفُّ عن القَبيح، ألا أُخْبِرُكُمْ بأدْوَإِ الداء؟ الخُلُقُ الْدَّنِيء، واللسان البَذِيء.

وقال الأحنف: ثلاثٌ فِيَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعتَبرَ مُعْتَبِرٌ: ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخلانى بينهما، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء ما لم أُدْعَ إليه - يعنى السُّلْطان - ولا حَلَلْتُ حبْوَتِى إلى ما يَقُومُ إليه الناس.

تَكْسر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم، وتفتحُها إذا أردتَ المَصْدر، أنشدنى عُمَارةُ بن عَقيلٍ لجَرير:

قُتلَ الزُّبَيْرُ، وأَنْتَ عاقدُ حُبْوَة ... قُبْحًا لِحُبْوَتِكَ الَّتى لمّ تُحْلَلِ !

ويقال فى جمع حُبْوَةٍ: حبًا وحُبًا، مقصوران.

وقال عُبيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة: ما أحْسَنَ الحَسَنَاتِ فى آثار السَّيِّئات! وأقْبَحَ السيئات فى آثار الحَسَنات! وأقبَحُ من ذا وأحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئاتُ فى آثار السيئات، والحَسَناتُ فى آثار الحسنات.

والعَرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين، ثم ترمى بتفسيرهما جُمْلَةً، ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ خَبَرَه. وقال الله عز وجل: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾(٢).

وقال رجل لسَلْم بن نَوْفَلٍ: ما أَرْخَصَ السُّؤْدُدَ فيكم! فقال سَلْمٌ: أَمَّا نَحْنُ فلا نسَوِّدُ إلا مَنْ بَذَلَ لنا مالَهُ، وأَوْطَأَنَا عِرْضَهُ، وامْتَهَنَ فى حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّؤْدُد فيكم لَغالٍ.

ولِسَلْمٍ يقول القائل:

يُسَوَّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نوفَلِ

---

(١) الخلق السجيح: السهل.

(٢) سورة القصص ٧٣.

وقال معاوية رحمه الله لَعَرَابَةَ بن أوْس بن قَيْظِيّ الأنْصارِيّ: بِمَ سُدْتَ قومك؟ فقال: لَسْتُ بِسيدهم، ولكنّي رجلٌ منهم، فَعَزَم عليه فقال: أعْطيْتُ في نائبتهم، وحَلُمْتُ عن سَفِيهِهِمْ، وشَدَدْتُ على يَدَيْ حَليمهم، فَمَنْ فعَل منهم مِثل فِعْلِي فهو مِثلِي، ومن قصَّر عنه فأنا أَفضلُ منه، ومن تجاوزه فهو أفضل مني.

[مدح الشماخ لعرابة بن أوس]

قال أبو العباس: وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابة أنه قَدِمَ من سَفر، فجَمعَهُ الطريقُ وَالشَّمَّاخَ بنَ ضرار المُرِّيّ، فتحادثا، فقال له عَرَابة: ما الذى أَقْدَمَك المدينة؟ قال: قَدِمْتُ لأَمْتارَ منها، فَمَلأَ له عَرابةُ رَوَاحِلَهُ بُرًّا وتَمرا، وأَتحفه بغير ذلك، فقال الشَّمَّاخ:

رَأَيْتُ عَـرَابَةَ الأَوْسِـيَّ يَسْمُـو ... إلى الخَيْـرَاتِ مُنْقَطِعَ القَـرِينِ

إذا مـا رَايَـةٌ رُفِـعَتْ لِمَـجْـدٍ ... تَلَـقَّـاهَـا عَـرَابَـةُ بالْيَمِـينِ

إِذَا بَلَّغْـتِنى وَحَـمَـلْتِ رَحْلِى ... عَـرَابَة، فـاشْرَقِـى بِدَمِ الْوَتِين

ومِثْلَ سَـرَاةِ قَوْمِكَ لم يُـجَارَوْا ... إلَى رُبُعِ الرِّهَانِ وَلا الثـمِـينِ[١]

قوله: «تَلَقْاها عَـرابةُ باليمين»، قال أَصحاب المعانى: مـعناه بالقُوَّة، وقالوا مثَل ذلك فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾[٢].

وقد أحسَنَ كلَّ الإحْسانِ فى قوله:

إِذَا بَلَّغْـتِنى وَحَـمَـلْتِ رَحْلِى ... عَـرَابَـةَ فَـاشـرَقِى بِـدَمِ الْوَتِينِ

يقول: لَسْتُ أحتاج إلى أن أرْحَلَ إلى غيره.

وقد عاب بعضُ الرُّواة قـولَهُ: «فاشرقى بدم الوتين»، وقال: كـان ينبغى أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسولُ الله ﷺ للأنصارية[٣] المأسورة بمكة وقد نَجَتْ على ناقة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنِّى نَذَرْتُ إنْ نَجَوْتُ عليها أن أنحرَها. فقال رسول الله ﷺ: «لبِئْسَ ما جَزَيْتِها»، وقال: «لا نَذْرَ فى معصية، ولا نذرَ للإنسان فى غير مِلكِه».

---

(١) الرهان: ما يوضع من المال فى مسابقة الخيل، والثمين: الثمن.

(٢) الزمر ٦٧.

(٣) ذكر ابن هشام أنها امرأة رجل من غفار. (وانظر خبر أسرها مع زوجها فى السيرة ٣: ٣٢٣ ـ ٣٢٧).

ومما لم يُعَب في هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحةَ الأنْصارِيِّ لما أمَّرَه رسولُ الله ﷺ بعد زَيد وجَعْفَرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ(١):

إذَا بَلَّغْـتِنِي وحَـمَـلْتِ رَحْلِي ... مَـسِـيـرَةَ أَرْبَعٍ بَعْـدَ الْحِـسَـاءِ

فَـشَـأْنَك فَانْعـمِي وَخَـلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرْجِـعْ إلَـى أهْلِـي وَرَائِـي

الحِسـاءُ: جمع حِسْيٍ، وهو موضع رَملٍ تحـته صَلابَةٌ، فإذا مَطَرَت السـماءُ على ذلك الرمل نزل الماء، فَـمَنَعَتْه الصَّـلابةُ أن يَغيضَ، ومَنَعَ الرملُ السَّـمَائمَ أن تُنَشِّفَه، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء، يقال: حِسيٌ وأَحساء وحساء، ممدودة.

وقوله: «ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي» مجـزوم لأنه دعاء، فقوله: «لا» يعني الجازمـة، ومعناه: اللهم لا أَرْجِعْ، كـما تقول: زيد لا تَغْـفر له(٢)، فهذا الدعاء يَنْجَزِمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمر والنهي، كما تقول: زيد لِيَقُمْ، وزيد لا يَبْرَحْ.

وقد اتَّبَعَ ذو الرُّمَّةِ الشَّمَّاخَ في قوله:

إذَا ابنَ أَبِي مُوسى بِلالاً بَلَغْـتِهِ ... فَقَامَ بِفَـأْسٍ بَيْنَ وِصليكِ جازِرِ

الوِصل: المَفْـصل بما عليـه من اللحم، يقـال: قَطَعَ اللهُ أوصاله، ويقـال: وِصْلٌ، وكِسْرٌ وجِدْلٌ، في معنى واحد.

---

(١) مؤته: اسم قرية بالشام، موضع الغزوة المشهورة.

(٢) ر: «لا يغفر الله له».

بابـ

[لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجُفرة]

قال أبو العباس: أَنشدنِى التَّوَّزِىُّ لرجل من رُجّازِ بنى تميم فى وَقْعة الجُفْرة(١).

نَحْنُ ضَرَبْنَا الأَزْدَ بِالْعِرَاقِ　　　وَالحَىَّ مِنْ رَبِيعَةَ الْمُرَّاقِ
وَابْنَ سُهَيْلٍ قَائِدَ النِّفَاقِ　　　بِلاَ مَعُونَاتٍ وَلاَ أَرْزَاقِ
إلاَّ بَقَايَا كَرَمَ الأَعْرَاقِ　　　لِشِدَّةِ الخَشْيَةِ وَالإِشْفَاقِ

* مِنْ المَخَازِى وَالحَدِيثِ الْبَاقِى *

الأعْرَاق: جمع عِرْق، يقال: فلان كريم العِرْقِ ولئيم العرْقِ، أى الأصل.

[أقوال فى قلّة النوم]

وقال آخر يَصِفُ ابنه:

أَعْرِفُ مِنْهُ(٢) قِلَّةَ النُّعَاسِ　　　وخِفَّةً فِى رَأْسِهِ مِنْ رَاسِى

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مرَاسِى *

يخاطب أُمَّ ابنه. فقوله: «أعرف منه قلة النعاس»، أى الْذّكاءَ والحركة.

وكان عبد المَلكِ بن مَرْوانَ يقول لمؤدِّبِ ولْده: عَلِّمْهُم الْعَوْمَ، وَهَذِّبْهُمْ بقلّة النوم.

وكذا قال أبو كَبِيرٍ(٣) الْهُذَلِىُّ:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ مُبَطَّنًا　　　سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيلُ الهَوْجَلِ(٤)

---

(١) الجفرة: موضع بالبصرة كانت به وقعة بين خالد بن عبد الله بن أسيد ـ وكان من قبل عبد الملك بن مروان ـ وبين أهل البصرة، من أصحاب مصعب بن الزبير، سنة ٧٠ . وانظر الخبر مفصلا فى (معجم البلدان ٣:١١٦).

(٢) س: «أعرف فيه».

(٣) س: «أبو بكير»، تصحيف.

(٤) حوش الجنان: حديد القلب. مبطنا: ضامر البطن خميصه. والهوجل: الأحمق.

وقال آخر:

فَجَاءَتْ بِهِ حُوش الفُؤاد مُسهدا   وأفضل أَوْلادِ الرِّجَالِ المُسَهّدُ

وقال رسول الله ﷺ: «عَيْنَيَّ تنامان ولاَ ينامُ قَلْبى».

[لعروة بن الورد]

وقال عُرْوَة بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ، وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك(١):

لَحَا(٢) اللهُ صُعْلُوكًا إذَا جَنَّ لَيْلُهُ   مُصَافِى المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ(٣)
ينَامُ ثَقِيلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا   يَحُتُّ الحصَى عَنْ جَنْبِه المُتَعفِّرِ(٤)
يُعِينُ نِسَاءَ الحَىِّ ما يَسْتَعِنَّهُ   فَيُضْحِى طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ(٥)
ولَكِنَّ صُعْلوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِه   كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابِسِ المُتَنَوِّرِ(٦)
مطلا عَلَى أَعْدَائه يَزْجُرُونَهُ   بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ(٧)
وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ   تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائبِ المُتَنَظَّرِ
فَذلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا   حَميدًا، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ(٨)

* * *

[قال أبو الحسن: كذا أنشده، «فذلكَ» لأنه لم يَرْوِ أوّلَ الشِّعر، والصواب كسر الكاف، لأنه يخاطب امرأة، ألا تراه قال:

أَقِلِّى عَلَىَّ اللَّومَ يابْنَةَ مَالِكٍ   وَنَامِى، وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِى ذَاكِ فاسْهَرِى(٩)]

* * *

---

(١) لقب عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء الذين لامال لهم - وهم الصعاليك - فيقوم بأمرهم وينفق عليهم.

(٢) لحا الله: دعاء عليه. والمشاش: العظام الرقيقة. والمجزر: موضع الجزر.

(٣) زيادات ر بعد هذا البيت:

يَعُدُّ الغِنَى من نفسه كلَّ ليلةٍ   أصاب قِراها من صديقٍ مُيَسّرِ

(٤) يحت الحصىَ: يفركه.

(٥) طليحا: من الطلح، وهو الإعياء.

(٦) صفيحة وجهه: بشرة جلده. والقابس الآخذ شعلة من النار على طرف عود. والمتنور: الذى يبصرالنار من بعيد.

(٧) مطلا على أعدائه: مشرفا عليهم. يزجرونه: يصيحون به. المنيح: من قداح الميسر، يستعار من صاحبه للتيمن بفوزه المشتهر.

(٨) زيادات ر بعد هذا البيت:

يريحُ علىَّ الليلَ أضيافَ ماجدٍ   كريمٍ ومالى سارحًا مال مُقْتِرِ

(٩) ما بين العلامتين تكملة من ر.

قوله:

* يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ *

يريد المُتَتَرِّبَ، وَالعَفْرُ وَالْعَفَرُ: اسمان للتراب، من ذلك قولهم: عَفَّرَ الله خَدَّه، ويقال للظّبْية: عَفْرَاءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة، وكذلك الكَثِيبُ الأَعْفَر.

وقوله: «كالبعير المحسَّر» هو المُعْيِي، يقال: جَمَلٌ حَسِير، وناقة حَسِير، قال الله عزّ وجل: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

وقوله:

* وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأمَنُونَ اقْترابَهُ *

على التقديم والتأخير، أراد: لا يأمَنون اقْترابه وإن بعدوا، وهذا حسن فى الإعْراب إذا كان الفعل الأول فى المجازاة ماضيًا، كما قال زُهَيْر:

وإن[2] أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مسألةٍ ... يَقُولُ: لاَ غَائِبٌ مَالِى وَلا حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأوّل مجزومًا لم يَجُزْ رفع الثانى إلا ضرورة، فسيبويه[3] يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندى على إرادة الفاء، لعلَّة تَلْزَمُهُ فى مذهبه، نذكُرها قى باب المجازاة إذا جرَى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله:

يَا أَقْرَعُ بن حَابِس يَا أَقْرَعُ ... إِنّكَ إِنْ يُصْرَعْ أخُوكَ تُصْرَعُ

أراد سيبويه: إنك تُصرَعُ إن يُصْرَعْ أخوك. وهو عندى على قوله: إن يُصْرَعْ أخوك فأنت تُصْرَعُ يا فتى، ونَسْتَقْصِى هذا فى بابه إن شاء الله تعالى.

وقوله:

* كيْفَ تَرَيْنَ عِنَدهُ مِرَاسِى *

---

(١) سورة الملك ٤.

(٢) الكتاب ١: ٤٣٦.

(٣) نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلى، ونقل المرصفى عن كتاب قرحة الأديب أن صواب نسبته إلى عمرو بن خثارم البجلى، يحض الأقرع على أن يحكم بالفضل لجرير. (وانظر رغبة الآمل).

يقول للمرأة: عَزَزْتِنى[١] على شَبَهِه، ويقال: أنْجَبُ الأولاد ولدُ الفارك؛ وذلك لأنها تُبْغض زوجَها، فيسبِقُها بمائه. فَيَخْرُجُ الشَّبَهُ إليه، فيخرج الولد مُذَكرًا. وكان بعض الحكماء يقول: إذا أردت أن تَطْلُبَ ولد المرأة فأغْضِبْها، ثم قَعْ عليها. فإنك تسبِقُها بالماء، وكذلك ولد الفَزِعَة، كما قال أبو كَبِيرٍ الهُذَلِىُّ:

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ[٢]
حَمَلَتْ بِهِ فى لَيْلَةٍ مَزْءودَةٍ كَرْهًا، وعَقْدُ نِطاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزءودة: ذات زُؤْد، وهو الفَزَعُ، فمن نصب «مزءودة» فإنما أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فَزَع، لأنه يُفْزَعُ فيها، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ مكْرُ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾[٣] والمعنى: بل مكْرُكُمْ فى الليل والنهار.

وقال جرير:

لَقدْ لُمْتِنَا يَا أَمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

وقال آخر:

* فَنَامَ لَيْلِى وَتَجَلَّى هَمِّى[٤] *

وهذا الرجزُ ضدٌّ ما قال الآخر فى ولده، فإنه أقر بأن امرأته غَلَبَتْهُ على شَبَهِهِ، وذلك قوله:

* نِمتُ وَعِرْقُ الخَالِ لاَ يَنَامُ *

يقول: عَزَّتْنى أُمُّهُ على الشَّبَه، فذهبتْ به إلى أخواله. وقال آخر:

لقد بَعَثْتُ صاحِبًا من العَجَمْ بَيْنَ ذَوِى الأَحْلاَمِ وَالْبِيضِ الِّلمَمْ[٥]

* كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا حَتّى فُطِمْ *

---

(١) عززتنى: غلبتنى.

(٢) الحبك: جمع حباك، وهو ما يشد به النطاق، والنطاق: شقة تلبسها المرأة ترسل أعلاها إلى الركبة بعد شد وسطها بالحباك، وتدع الأسفل ينجر على الأرض. والمهبل: الكثير اللحم، أو المدعو عليه بالهبل وهو الثكل.

(٣) سورة سبأ ٣٣.

(٤) هو رؤبة وقبله:

* حارثُ قد فرّجْت عنى غَمِّى *

(٥) ذو الأحلام: واحده حلم، وهو العقل. واللمم: جمع لمة، وهى ما ألم بالمنكب من شعر الرأس.

يقول: لم يُسْقَ غَيْلاً. وقال رسول الله ﷺ: «هَمَمْتُ أَنْ أَنْهى أُمَّتى عن الْغيلَة حتى عَلمْتُ أن فارسَ والرُّومَ تفعل ذلك بأولادها، فلا تُضير أولادَها». والغيلة: أن تُرْضعَ المرأة وهى حامل، أو تُرْضعَ وهى تُغْشَى. ويَزْعُمُ أهلُ الطِّبِّ من العرب والعجم أن ذلك اللَّبَنَ داءٌ. وقالت أُمُّ تَأبّط شرًّا: والله ما حَمَلْتُهُ تُضْعًا ـ ووُضْعا أيضًا ـ ولا وَضَعْتُهُ يَتْنًا، ولا سَقَيْتُهُ غَيْلاً، ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا. وقال الأصمعى: ولا أَبَتُّهُ على مَأَقَة.

قولها: «ما حملته تُضْعًا»، يقال إذا حملت المرأة عند مُقْتَبل الحيض، حَمَلَتْهُ وُضْعًا وتُضْعًا، وإذا خرجتْ رجْلا المولود من قِبَل رأسه قيل: وَضَعَتْهُ يَتْنًا، قال الشاعر:

فَجَاءَتْ بِهِ يَتْنًا يَجُرُّ مَشِيمَةً[1] تُسَابِقُ رِجْلاَهُ هُنَاكَ الأَنَامِلاَ

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشىءَ عن جهته: جاء به يَتْنا. قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمَّة عن مسألة، فقال لى: أَتعْرَفُ الْيَتْنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فمسألتك، هذه يَتْنٌ. قال: وكنت قد قلبت الكلام.

والغَيْلُ ما فسرناه.

وأما قولها: «ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا»، تقول: لم أبتْهُ مَغيظًا؛ وذلك أن الخَرْقاءَ تبيتُ ولدها جائعًا مَغْموما، لحَاجتهُ إلى الرضاع، ثم تحركه فى مَهْده حتّى يغلبه الدُّوارُ فَينَوِّمَه، والكَيِّسة تُشْبعُه وتُغَنِّيه فى مَهْده، فيَسْرِى ذلك الفَرَحُ فى بدنه من الشِّبع كما سَرَى ذلك الغَمُّ والجوع فى بدن الآخر.

ومن أمثال العرب: «أنا تَئِقٌ، وصاحبى مَئِقٌ، فكيف نَتَّفِقُ»؟

التَّئِقُ: المملوء غيظًا وغضبًا، والمئق: القليل الاحتمال، فلا يقع الاتفاق.

---

(١) المشيمة: ما يكون فيه الولد.

باب

[من كلام ابن عباس]

قال أبوالعباس: قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا يُزَهِّدَنّكَ فى المعروف كُفْرُ مَنْ كفره، فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لم تَصْطَنِعْهُ إليه.

[من كلام عبد الله بن جعفر]

وأُنْشِد عبدُ الله بن جعفر قولَ الشاعر:

إِنَّ الصَّنِيـعَةَ لاَ تَـكُون صَنِيعَـةً ... حَتَّى تُصِـيبَ بِهَا طَرِيقَ المصْنَعِ

فقـال: هذا رجل يريد أن يُبَخِّل النـاسَ، أمْطِرِ المعروف مَطَرًا، فـإن صادف موضعًا فهو الذى قصَدْتَ له، وإلا كنتَ أَحَقَّ به.

* * *

[قال أبو الحسن الأخفش: حـدثنا المبرّد فى غيـر الكامل قال: قـال الحسَن والحُسَيْنُ رضوان الله عليـهما لعبد الله بن جَعْفَـر: إنك قد أَسْرَفْتَ فى بَذْلِ المال، قال: بـأبى أنتمـا وأمِّى! إن الله عَوّدَنى أن يُفْـضِلَ علىّ، وعَوَّدْتُهُ أن أُفـضِلَ علَى عِباده، فأخاف أن أَقْطَعَ العادَةَ فَتُقْطَعَ عنى].

* * *

[ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه]

ومَرَّ يَزيدُ بن المُهَلّبِ بأعرابية فى خروجه من سِجْن عمر بن عبد العزيز يريد البَصْـرة، فَقرَتْهُ عَنْزًا، فَـقَبلَها، وقال لابـنه معاوية: ما مـعك من النفقة، فـقال: ثمانمائة دينارٍ، قال: فادْفعْها إليها. قال ابنه: إنك تريد الرجالَ، ولا يكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يرضيهـا اليسير، وهى بَعْدُ لا تَعرفُكَ فـقال له: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لاتعرفنى، فأنا أعرف نفسى، ادْفَعْها إليها.

[حديث للأصمعى عن ضرار بن القعقاع]

وزعم الأصمعىّ أن حَـرْبًا كانت بالبادية، ثم اتصلت بالبصرة فتـفاقَمَ الأمر فيها، ثم مُشِىَ بين الناس بالصُّلْح، فاجتمـعوا فى الجامع، قال: فَبُعِثْتُ وأنا غلام

إلى ضرار بن القَعْقاع من بنى دارم، فاستأذنتُ عليه، فأذنَ لى، فدخلتُ، فإذا به فى شمْلَة يَخْلطُ بزرًا لعَنْزٍ له حَلُوب، فخَبَّرتُهُ بمُجْتَمَعِ القوم، فأمْهَلَ حتى أكلت العنز، ثم غَسَلَ الصَّحْفَةَ وصاح: يا جَارِيةُ غَدِّينا، قال: فأتته بزيت وتمر، قال: فدعانى فَقَذَرْتُهُ[1] أن آكُلَ معه، حتى إذا قَضَى من أكله حاجة، وَثَبَ إلى طين مُلْقًى فى الدار، فغسَلَ به يَدَهُ، ثم صاح: يا جارية، اسقينى ماء، فأتته بماء، فشَرِبَهُ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه، ثم قال: الحمد لله، ماءُ الفُرات، بتمر البصرة، بزيت الشام، متى نؤدِّى شُكْرَ هذه النِّعم! ثم قال: يا جارية، علىَّ بردائِى، فأتته برداءٍ عَدَنِىّ، فارْتَدَى به على تلك الشَّمْلَة.

قال الأصمعىُّ: فتجافَيْتُ عنه استقباحًا لزِيِّه، فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ[2] إلا حُلَّتْ إعظامًا له، ثم جلس، فَتَحَمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء فى ماله وانصرف.

[بين زياد بن عمرو العتكى والأحنف بن قيس التميمى]

وحدثنى أبو عثمان [بكر بن محمد][3] المازنِىُّ عن أبى عبيدة قال: لما أتى زياد بن عمرو الْمِرْبَدَ[4]، فى عَقِب قتل مسعود بن عمرو العَتَكِىِّ[5]، جعَلَ فى الْمَيمنَة بَكْر بن وائل، وفى الْمَيسرَةِ عبد القَيْسِ - وهم لُكيز بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلَةَ بن أسَد بن رَبيعة - وكان زياد بن عمرو العَتَكِىُّ فى القَلْب، فبلغ ذلك الأَحْنَفَ، فقال: هذا غلام حَدَثٌ، شَأْنُهُ الشُّهْرَة. وليس يُبَالِى أين قَذَفَ بنفسه! فَنَدَبَ أصحابَهُ، فجاءه حارثَةُ بن بَدْرٍ الغُدانِىُّ، وقد اجتمعت بنو تميم، فلما طلع قال: قُوموا إلى سيِّدكم، ثم أجلسه فناظَرَهُ، فجعلوا سَعْدًا والرِّبَابَ فى القَلْبِ، ورئيسُهُمْ عَبْسُ بن طَلْقِ الطَّعّان، المعروف بأخى كَهْمَس، وهو أحَدُ بَنِى صريم بن

(١) س: «فقذرت».

(٢) الحبوة: أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٣) من س.

(٤) المربد: سوق بالبصرة كانت تباع فيها الإبل.

(٥) كان مسعود بن عمرو من بنى عتيك، وهم بطن من الأزد، استخلفه عبيد الله بن زياد على البصرة، بعد أن هرب إلى الشام مطاردا. فوقف على المنبر يبايع من أتاه، فرماه رجل من أهل فارس فقتله، وعلى إثر ذلك شاعت الفتنة بين الناس. فريق يقول: قتلته الخوارج وفريق يقول قتلته تميم، (وانظر تفصيل الخبر فى تاريخ الطبرى، حوادث سنة ٦٥).

يَرْبوع، فَجُعِلَ فى القَلْبِ بحذاءِ الأَزْدِ، وجُعِلَ حارثةُ بن بدرٍ فى بنى حَنْظَلَةَ بحذاء بَكْرِ بن وَائِل، وجُعِلَتْ عمرو بن تميم بحذاء عَبْـدِ القَيْس، فذاك حيثُ يقول حارثةُ ابن بَدْرٍ للأحْنف:

سَيَـكْفيكَ عَـبْسٌ أَخُو كَهْـمَسٍ   مُـقَـارَعَـةَ الأَزْدِ بِالْمِـرْبَدِ(١)
وَتَكْفيكَ عَمْـرٌو عَلَى رِسْلِهَا(٢)   لُكَيْـزَ بنَ أَفْـصَى وَمَـا عَـدَّدُوا
وَتَكْفيكَ(٣) بَكْـرًا إِذَا أَقْـبَـلَتْ   بِضَـرْبٍ يَشِـيبُ لَهُ الامْـرَدُ

فلما تواقفـوا بَعَثَ إليهم الأحْنَفُ: يا مَعْشَرَ الأَزْدِ ورَبيعـة من أهل البصرة، أنتم والله أحَبُّ إلينا من تَميمِ الكوفة، وأنتم جَـيرانُنَا فى الدار، ويَدنا على العَدُوِّ، وأنتم بدأتمونا بالأمس، ووطِئْتُمْ حَـريمنَا، وحَرَّقْتم علينا. فدَفَـعْنا عن أنفسنا، ولا حاجة لنا فى الشر ما أصَبْنَا فى الخير مَسْلَكًا، فتَيَمَّمُوا بنا طريقةً قاصدةً(٤).

فـوجَّهَ إليـه زياد بن عـمرو: تَخَـيَّرْ خَلَّـةً من ثلاث: إن شئت فـانْزِلْ أنتَ وقـومكَ على حُكْمنا، وإن شئتَ فَـخَلِّ لنا عن البـصرة وأَرْحَلْ أنت وقـومُكَ إلى حيث شئتم، وإلا فَدُوا(٥) قَتْلانا، وأهْدروا دماءَكُمْ، ولْيُودَ مسعودٌ ديَةَ المُشْعَرَة.

قال أبو العباسُ: وتأويل قوله: «دِيَةَ المشْـعَرَةَ» يريد أمْرَ الملوك فى الجاهلية، وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المَمْلَكة وُدِىَ عشرَ دياتٍ.

فبَـعَثَ إليه الأحنفُ: سنختـارُ: فانصرفـوا فى يومكم، فَهَـزّ القومُ راياتِهمْ وانصرفوا، فلما كـان الغَدُ بَعث إليهم: إنكم خيرتمونا خلالاً ليس فيـها خيارٌ، أما النزول على حُكْمكم فكـيف يكون والكَلْمُ يَقْطُرُ دمًـا؟ وأما ترك ديارنَا فـهو أخـو القَتْلِ، قال الله عزّ وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾(٦)، ولكنَّ الثالثةَ إنما هى حَمْلٌ على المال، فنحن نُبْطِلُ

(١) فى البيت إقواء.
(٢) الرسل هنا: اللين والرفق.
(٣) ر: «تكفيك».
(٤) قاصدة: مستقيمة.
(٥) دوا قتلانا، من الدية.
(٦) النساء: ٦٦.

دماءنا، ونَدى قَتْلاكم، وإنما(١) مسعودٌ رجل من المسلمين، وقد أذْهَبَ اللهُ أمر الجاهلية.

فاجتمع القوم على أن يَقِفُوا أمر مسعود، ويُغمَدَ السيفُ، ويُودَى سائرُ القَتْلَى من الأَزْد وربَيعةَ، فضَمِنَ ذلك الأحنف، ودَفَعَ إياسَ بن قتادة المُجاشِعِيَّ رهينةً حتى يُؤَدَّى هذا المالُ، فَرَضِيَ به القومُ، فَفَخَرَ بذلك الفرزدقُ فقال:(٢)

وَمِنَّا الَّذى أَعْطَى يَدَيْهِ رَهِينَةً ... لغَارَىْ مَعَدٍّ، يوم ضَرْبِ الجَمَاجِمِ(٣)

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَان كلاهُمَا ... عَجَاجَةَ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

هُنَالكَ لَوْ تَبْغِى كُلَيْبًا وَجَدْتَهَا ... أَذَلَّ مِنَ الْقِرْدَانِ تَحْتَ المَنَاسِمَ(٤)

[قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه: لغار(٥) مَعَدٍ]

ويقال: إن تَميمًا فى ذلك الوقت مع باديتها وحُلَفَائها من الأَسَاوِرَة(٦) والزُّطِّ(٧)، والسَبَابِجَة(٨) وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين ألفًا، ففى ذلك يقول جَرير:

سَائِلْ ذَوِى يَمَنٍ ورَهْطَ مُحَرِّقٍ ... وَالأَزْدَ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودا(٩)

فَأَتَاهُمُ سَبْعُونَ أَلفَ مُدَجَّجٍ ... مُتَسَرْبِلينَ يَلامِعا(١٠) وَحَدِيدًا

قال الأحنفُ بن قَيْس: فكثرَتْ علىّ الدِّيات، فلم أَجِدْهَا فى حاضرة تميم، فخرجتُ نَحو يَبْرِينَ(١١)، فسألتُ عن المقصود هناك، فأُرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ

---

(١) س: «وأما مسعود».

(٢) من قصيدة يهجو فيها جريرا ويعرض بالبعيث، مطلعها:

ودّ جرير اللؤم لو كان عانيًا ... ولمْ يَدْنُ من زأر الأسود الضَّراغِمِ

(٣) الغاران: مثنى غار، وهو الجيش، ومنه قول على يوم الجمل: «ماظَنك بامرئ جمع بين هذين الغارين»!.

(٤) يريد كليب بن يربوع، رهط الفرزدق. والقردان: جمع قراد، وهو دويبة تعض الإبل.

(٥) ر: «لغازى معد».

(٦) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما، كالأحامرة. (اللسان).

(٧) الزط: جبل أسود من السند، وقيل هم من الهند. (اللسان).

(٨) السبابجة: قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، واحدهم سبيجى، ودخلت الهاء فى جمعه والنسب، كما قالوا: البرابرة. (اللسان).

(٩) المحرق: هو عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان حرق يوم أوارة تسعة وتسعين رجلا من دارم، قبيلة الفرزدق.

(١٠) اليلامع: جمع يلمع، وهو الدرع هنا. وفى ر: «يلامقا»، جمع يلمق، وهو القباء.

(١١) يبرين: قرية كثيرة النخل فى بلاد البحرين.

جالس بفنائها، مُؤْتَزِرٌ بشَمْلَة، مُحْتَبٍ بحبل، فسَلَّمْتُ عليه، وانتسبت له فقال: ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ فقلتُ: تُوُفِّيَ صلوات الله عليه! قال: فما فعلَ عُمَرُ بن الخطاب الذى كان يَحْفَظُ العرب ويَحُوطُها؟ قلت له: مات رحمه الله تعالى! قال: فأىُّ خَيْرٍ فى حاضرتكم بعدهما! قال: فذكرتُ له الدِّيات التى لزمَتْنا للأزْد ورَبيعة. قال: فقال لى: أقِمْ، فإذا راعٍ قد أراحَ ألْفَ بعير، فقال: خُذْها، ثم أراح عليه آخر مثلهَا، فقال: خذْها، فقلت لا أحتاج إليهَا، قال: فانصرفت بالألف عنه، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة!

قوله «المَناسم» واحداها مَنْسِمٌ، وهو ظُفْرُ البعير فى مُقَدَّمِ الخف، وهو من البعير كالسُّنْبُكِ من الفرَس.

وقوله:

* عشيّة سالَ الْمربَدانِ كلاهما *

يريد المِرْبَدَ وما يليه مما جرى مَجْراه، والعرب تفعل هذا فى الشيئين إذا جرَيَا فى بابٍ واحد، قال الفرزدق:

أَخَذْنَا بِآفَاق السَّمَاء عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يريد الشمس والقمر: لأنَّهما قد اجتمعا فى قولك، «النَّيِّران»، وغُلِّبَ الاسم المُذَكَّرُ، وإنما يُؤْثر فى مثل هذا الخفَّة، وقالوا: «العُمَرَان» لأبى بَكْرٍ و عُمَرَ فإن قال القائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يُصِبْ، لأن أهل الجَمَل نادَوْا بعَلىٍّ بن أبى طالب رحمة الله عليه: أعْطنا سُنَّةَ العُمَرَيْن. فإن قال قائل: فَلِمَ لَمْ يقولوا: أَبَوَىْ بكرٍ، وأبو بكر أفضلهما؟ فلأنَّ عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة، وأنشدنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ لجرير:

وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ ... نَجْمٌ يضِىءُ وَلا شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ

ما كانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

هكذا أنْشَدَنيه(١):

وقال آخر(٢):

* قَدْنِىَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِى *

---

(١) زيادات ر: «إنما قال هكذا أنشدنيه غير التوزى يرويه:

* والطّيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ *

(٢) زيادات ر: «هو حميد بن الأرقط»، والبيت فى اللسانَ (قدد)، وإصلاح المنطق ٣٧٧، ٤٤٤ وبعده:

* ليْسَ الإمَامُ بالشَّحيحِ المُلْحِدِ *

يريد عبـد الله ومُصْـعبًا ابني الزُّبَـيْرِ وإنما أبو خُبَـيْب عبـد الله، وقرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿سَلامٌ على إلْياسين﴾(١) فَجمَعَهُمْ على لفظ إلْيَاسَ، ومن ذا قولُ العرب: المَسامِعَةُ، والمَهَالِبَة، والمَناذِرةُ، فَجمَعَهُمْ على اسم الأب.

والمُشْعَرَة: اسم لقَـتْلى الملوك خاصَّةً، كانوا يُكْبِرُونَ أن يقـولوا: قُتِلَ فلان، فيقولون: أُشْعِرَ فلانٌ، من إشعار البُدْن(٢).

ويروى أن رجلا قال: حضـرتُ الموْقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فصاح به صائح: يا خليفة رسـول الله ﷺ. ثم قال: يا أمير المؤمنين. فقال رجلٌ من خَلْفِى: دعاه باسم رجل مَيِّت(٣)، مات والله أمير المؤمنين. فالْتَفَتُّ فإذا رجل من بنى لِهْبٍ، وهم من بنى نَصْرِ بن الأَزْدِ، وهم أزْجَرُ(٤) قوم، قال كُثَيِّرٌ:

سَأَلتُ أَخَـا لِهْبٍ لِيزْجُـرَ زَجْرَهُ ... وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالِمينَ إِلَى لِهْبِ

قال: فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حَصَاةٌ قد صكَّتْ صَلْعَةَ عمر فَأَدْمَتْهُ، فقال قائل: أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين، والله لا يَقِفُ هذا المَوقفَ أبدًا. فالْتَفَتُّ فإذا بذلك اللِّهْبِىِّ بعينه، فَقُتِلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْل.

(١) سورة الصافات ١٣٠.

(٢) البدن، بالضم: جمع بدنة، وهى الناقة والبقرة وهذا البعير مما ينحر بمكة للهدى وإشعارها: أن يشق جلدها أو سنامها بمبضع ونحوه حتى يظهر الدم، ليعلم أنه هدى.

(٣) يريد أبا بكر.

(٤) الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها، والتفاؤل بطيرانها وهو ضرب من الكهانة.

بابـ

[لذى الرمة فى الزجر]

قال أبوالعباس: أنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سَعْدٍ، قال: أنشدنى أعرابىّ فى قصيدة ذى الرُّمَّة:

أَلاَ يَا اسْلَمى يَا دَارَ مَىَّ عَلَى الْبِلَى ... ولاَ زَالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعَائِكَ الْقَطْرُ

بيتين لم تأتَ بهما الرُّواةُ، وهما:

رأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ[1] ... مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضرُ

فقُلَتُ: غُرَابٌ لاِغْتِرَابٍ، وَقَضْبَةٌ ... لِقَضْبِ النَّوَى، هَذِى الْعِيَافَةُ وَالزجرْ

[لجحدر العكلى]

وقال آخر - [قال أبو الحسن: هو جَحْدَرٌ العُكْلِىُّ، وكان لِصًّا] - :

وَقَدْمَا هَاجَنِى فَازْدَدْتُ شَوْقًا ... بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تجَاوَبَانِ

[«وقَدْما» عن أبى الحسن]

تَجَاوبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِىٍّ ... عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وبَانٍ[2]

فكَان الْبَانُ أَنْ بانَتْ سُلَيْمَى ... وَفِى الْغَرَبِ اغْتِرابٌ غَيْرُ دَان

[مما قيل فى المال]

وأنشدنى أبومُحَلِّمٍ لرجل من ولد طَلَبَة بن قَيْس بن عاصِم:

وَكُنْتُ إِذَا خَاصمتُ خَصْمًا كَبَبْتُهُ ... عَلَى الْوَجْه، حتّى خَاصَمَتْنى الدَّرَاهِمُ

فَلمّا تَنَازَعْنَا الخُصُومّةَ غُلِّبَتْ ... عَلَىَّ، وقَالُوا: قُم فَإِنَّكَ ظَالِمُ

وقرأت على أبى الفَضْل العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيِّ، عن أبى زيد الأنصارىّ:

ولَقَدْ بَغَيْتُ المَالَ مِنْ مَبْغَاته ... والمَالُ وَجْهٌ للْفَتَى مَعْرُوضُ

طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِى ليحبّنى ... إِنَ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِىِّ بَغِيضُ

---

(١) القضبة: واحدة القضب، هو شجر له ورق كورق الكمثرى، إلا أنه أرق وأنعم.

(٢) الغرب والبان: ضربان من الشجر.

وقال آخر ـ أَنْشَدَنيه التَّوَّزِيُّ عن أبي زيد ـ:

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا ... إِذَا الْكَرَى في عَيْنِهِ تَمَضْمَضَا
فَقَامَ عَجْلانَ ومَا تَأَرَّضَا ... يَمْسَحُ بِالكَفَّيْنِ وَجْهًا أَبْيَضَا

قوله: «وما تأرّضا»: أي لم يلزم الأرض.

[لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه]

وأنشدني التَّوَّزِيُّ عن أبي زيد الأنصاريّ ـ [قال أبوالحسن هو شَبِيبُ بن البَرْصاء] ـ:

لَقَدْ عَلِمَتْ أمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَنَّنِي ... إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ
إِذَا الْمُرْغِثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعُزُّهَا ... عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ
وَإِنِّي لأُغْلِي اللَّحْمَ نِيًّا وإِنَّنِي ... لَمِمَّنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله: «قَوّامُ السِّنَات» يريد سريع الانتباه، والسِّنَة: شدة النُّعَاس، وليس النوم بعينه، قال الله عز وجل. ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾(١)، وقال ابن الرِّقاع العامليُّ:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا ... فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ
وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جاسِمِ(٢)
وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ، وَلَيْسَ بِنَائِمِ(٣)

معنى «رنقت» تهيأت، يقال رَنَّقَ النَّسْرُ، إذا مَدَّ جناحيه ليطير، قال ذو الرُّمَّة(٤):

* على حَدِّ قَوْسَيْنَا كما رَنَّقَ النَّسْرُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) جاسم: قرية بالشام، وفي ر: «عاسم»، وهو رمل لبني سعد.

(٣) أقصده: أصابه.

(٤) قبله في زيادات ر:

* إذا ضربته الريحُ رنّق فوقنا *

وانظر ديوانه ٢١٨.

وقوله: «المُرْغِثُ»: يعنى التى تُرْضِعُ وتُرْغِثُ[١] ولدها، ويقال لها رَغُوثٌ، قال طَرَفة:

لَيْتَ لَنَا مَكانَ المَلْكِ عَمْرٍو ... رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

وقوله: «يَعُزُّها»، أى يَغْلِبها، وقال الله عز وجل: ﴿وعَزَّنِى فى الخِطَابِ﴾[٢]: يقول: غَلَبَنى فى المُخَاطَبَة، وأصله من قوله: كان أعزَّ مِنّى فيها. ومن أمثال العرب: «مَنْ عَزَّ بَزَّ»، و تأويله: من غَلَبَ اسْتَلَبَ. وقال زُهَيْرٌ: «وعَزَّتْهُ يَدَاهُ وكاهلُهُ»[٣] يقول: كان ذلك أعَزَّ ما فيه، ويقال: لَهِجَ الفَصِيلُ فهو لَهُوجٌ إذا لَزِمَ الضَّرْع، ويقال: رجل مُلْهِجٌ، إذا لَهِجَتْ فِصَالُهُ، فيتَّخذ خلالا، فَيَشُدُّه على الضَّرْعِ، أو على أنف الفصيل، فإذا جاء لِيَرْضَعَ أوْجَعَهَا بالخلال فَضَرَحَتْهُ[٤] عنها برجلها، قال الشَّمَّاخُ يصف الحمار:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِىِّ حَتَّى كَأَنَّما ... يَرَى بِسَفَا البُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ

البارضُ: أَوّلُ ما يَبْدُو من النبت، والبُهْمَى يشبه السُّنْبُلَ، يقول: فهو لما اْعتاد هذا المَرْعَى اللَّدْنَ اسْتَخْشَنَ البُهْمَى. وسَفَاها: شوكها. فيقول: كأنّه مخلول عن البُهمى، أى يراها كَالأخلَّة.

وقوله «ذو تُومتين» فالتُّومَةُ فى الأصل الحَبَّةُ[٥]، ولكنها فى هذا الموضع التى تُعَلَّقُ فى الأُذن. وكالبيت الأخير قوله:

وَإِنِّى لأُغْلِى لَحْمَهَا وَهْىَ حَيَّةٌ ... وَيَرْخُصُ عِنْدِى لَحْمُهَا حِينَ تُذْبَحُ
بذَا فانْدُبِينِى وَامْدَحِينِى فَإِنَّنِى ... فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ

---

(١) ر: «يعنى التى ترضع ترغث»، س: «التى ترضع الرغث».
(٢) سورة ص ٢٣.
(٣) البيت بتمامه:
تميم فلوناه فأكملَ صُنْعَه ... فتمَّ، وعزّته يداه وكاهلُه
وانظر ديوانه ١٣٠.
(٤) ضرحته: دفعته.
(٥) زيادات ر: «وقوله «الحبة» إنما معناه من حبات النظم».

بابـ

[لعمر بن عبد العزيز حينما سئل: أي الجهاد أفضل ؟]

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ فقال: جِهَادُكَ هَوَاكَ.

[لرجل من الحكماء في مجاهدة النفس]

وقال رجل من الحكماء: اعْصِ النساءَ وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ.

[لمحمد بن علي بن الحسين في الزهد]

وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: مالَكَ من عَيْشك إلا لَذَّةٌ تَزْدلفُ بك إلى حمامك، وتُقَرِّبُك من يومك، فأيَّة أَكْلَة ليس معها غَصَصٌ! أَوْ شَرْبَة لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ! فتأمَّلْ أَمْرَكَ، فكأنَّك قد صِرْتَ الحبيبَ المفقود، والخَيَالَ المُخْتَرَمَ. أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ رحالهم إلا في غيرها.

قوله: «تَزْدَلفُ بك إلى حمامك»، يقول: تُقَرِّبك، ولذلك سميت المُزْدَلِفَةَ. وقوله عزّ وجل: ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾(١) إنما هي ساعات يَقْرُبُ بعضُهَا من بعض، قال العَجَّاجُ:

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مما وَجَفَا　　　طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الْهِلال حَتى احْقَوْقَفا *

نَاجٍ: سريع، والأَيْنُ: الإعْياُء. والوَجيفُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. ونَصَبَ «طَيَّ الليالي» لأنه مصدر من قوله: «طواه الأَيْنُ»، وليس بهذا الفعل، ولكنَّ تقديره: طواه الأيْنُ طَيًّا مثل طَيِّ الليالي، كما تقول: زيد يشرب شُرْبَ الإبْلِ، إنما التقدير يشرب شربًا مثل شرب الإبل، «فَمِثْلَ» نعت، ولكن إذا حذفتَ المضافَ استغنى بأن الظاهر يُبَيِّنُه، وقام ما أضيف إليه مَقامه في الإعْراب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٢)، نُصِب لأنه كان: «واسأل أهلَ القريةِ». وتقول:

---

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سورة يوسف ٨٢.

بنو فلانٍ يَطَؤُهُمْ الطريق، تريد أهلَ الطريق فحذفتَ «أهل» فرفعتَ «الطريقَ» لأنه فى موضع مرفوع، فعلى هذا فَقِسْ إن شاء الله.

وقوله «سماوة الهلال» إنما هو أعلاه، ونَصَبَ «سماوة» بـ «طىّ»، يريد طواه الأيْنُ كما طَوَت الليالى سَماوةَ الهلال. والشاهد على أنه يريد أعلاه قولُ طُفَيْل:

سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ ... وَسَائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبِ(١)

ويروى: «مُعَصَّب»، وإنما سماوته من قولك: سَماءٌ، فاعلم. فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرتَ ما تَبْنيه على التأنيث على أصله، فإن كان من الياء أظهرتَ الياء، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو، تقول: شَقاوةٌ لأنها من الشّقوة، وتقول: هذه امْرأة سَقَّايَةٌ: إذا أردتَ البناء على غير تذكير، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين؛ لأن الإعراب عليهما يَقعُ، فقلت: سَقَّاءٌ وغَزَّاءٌ يافتى، فإن أنَّثْتَ قلت: سَقَّاءَةٌ وَغَزَّاءَةٌ، والأجْوَدُ فيما كان له تذكير الهمزُ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار، وإنما السماء من الواو، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع، وسماء كلِّ شَيْءٍ سَقْفُه.

وقوله: «حتى احْقَوْقَا» يريد اعْوَجَّ، وإنما هو افْعَوْعَل من الحِقْف. والحِقْفُ: النَّقَا من الرَّمل يَعْوَجُّ ويَدِقُّ، قال الله عزّ وجل: ﴿**إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ**﴾(٢) أى بموضع هو هكذا.

[لعلى بن أبى طالب فى وصف الدنيا]

وقال رجل لعلىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه(٣) وهو فى خطبته(٤): يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا، فقال: ما أَصِفُ من دارٍ أوّلها عَنَاءٌ. وآخرها فَنَاءٌ، فى حَلالها حِسَابٌ، وفى حَرامها عقابٌ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِنَ، ومَنْ مَرِضَ فيها نَدِمَ، ومن اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ، ومن افْتَقَرَ فيها حَزِنَ.

---

(١) الأسمال: الأخلاق من الثياب. والمحبر: الموشى. والأتحمى: ضرب من البرود فيه خطوط. والمشرعب، يريد أنه منسوب إلى الشرعبية، وهى ضرب من البرود.

(٢) سورة الأحقاف ٢١. والأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، وهى مساكن عاد.

(٣) س: «رضى الله عنه».

(٤) ر، س: «وهو فى خطبته».

[مقدم الربيع بن زياد الحارثى على عمر بن الخطاب]

قال الرَّبيع بن زياد الحارثىُّ: كنتُ عاملاً لأبى موسى الأشْعَرىِّ على البَحْرَيْن، فكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رحمه الله(١) يأمره بالقدوم عليه هو وعُمَّالَهُ، وأن يَسْتَخْلِفُوا جميعًا. قال: فلما قَدِمْنا أتيت يَرْفَأ(٢) فقلتُ: يا يَرْفَأُ، مُسْتَرْشِدٌ وابن سَبِيل، أىُّ الهيْآت أَحَبُّ إلى أمير المؤمنين أن يَرَى فيها عُمَّالَهُ؟ فأوْمَأَ إلىَّ بالخُشونة، فاتَّخَذْتُ خُفَّيْنِ مُطارَقَيْنِ، ولَبِسْتُ جُبَّةَ صوف، ولثْتُ عمامتى على رأسى.

ودخلنا(٣) على عمر رحمه الله فَصَفَّنا بين يديه، فَصَعَّدَ فينا وصَوَّبَ، فلم تَأخُذْ عينُهُ أحدًا غيرى، فدعانى فقال: مَنْ أنت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثىّ. فقال: وما تتولىّ من أعمالنا؟ قلتُ: البَحْرَيْن، قال: كَمْ تَرْتَزِقُ؟ قلتُ: ألْفًا، قال: كَثيرٌ، فما تَصْنَعُ به؟ قُلتُ: أتَقَوَّتُ منه شيئًا، وأعود به على أقاربَ لى. فما فَضَلَ عنهم فعلى فُقَرَاء المسلمين، قال: فلا بأسَ، ارجع إلى موضعك، فرجعتُ إلى موضعى من الصَّفِّ، فَصَعَّدَ فينا وَصَوَّبَ، فلم تقع عينه إلا علىَّ، فدعانى، فقال: كَمْ سِنُّكَ؟ قلتُ: خمس وأربعون سنةً، قال: الآن حين اسْتَحْكَمْتَ! ثم دعا بالطعام - وأصحابى حَديثٌ عهدهم بلِيِّنِ العيش، وقد تَجَوَّعْتُ له - فأتِىَ بخبز وأكسَار بعير، فجعل أصحابى يَعافون ذلك، وجعلت آكُلُ فأُجيدُ، فجعلت(٤) أنْظُرُ إليه يَلْحَظُنى من بينهم، ثم سَبقتْ منى كلمةٌ تَمَنَّيْتُ أنى سُخْتُ فى الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عَمَدْتَ إلى ألْيَنَ من هذا! فزَجَرَنى، ثم قال: كيف قلتَ؟ فقلتُ: أقول: يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قُوتك من الطَّحين، فَيُخْبَزَ لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويُطبَخَ لك اللحمُ كذلك، فتُؤْتى بالخُبز لَيِّنًا، واللحم غَريضًا. فسكَّنَ من غَرْبِه وقال: أهاهنا غُرْتَ؟ قلتُ: نعم، فقال: يا رَبيعُ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرِّحابَ من صَلائِقَ، وسَبائِكَ،

---

(١) س: «رضى الله عنه».

(٢) يرفأ: مولى عمر بن الخطاب، يقال إنه أدرك الجاهلية. وحج مع عمر فى خلافة أبى بكر، وكان حاجبا على بابه. (تاج العروس).

(٣) ر ، س: «فدخلنا».

(٤) س: «ثم جعلت».

وصناب، ولكنى رأيتُ الله عـز وجل نَعَى على قوم شَـهَواتِهِمْ، فـقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾[1]، ثم أمَـرَ أبا مـوسى بإقـرارى، وأن يَسْـتَبْـدِل بأصحابى.

قوله: «فَلَثْتُها على رأسى» يقول: أدرت بعضَها على بعضٍ على غير استواء يقال: رجل أَلْوَثُ إذا كان شديدًا، وذلك من اللَّوْث، ورجل أَلْوَثُ إذا كان أَهْوَجُ، وهو مأخوذ من اللَّوثة. وحدثنى عبد الصَّـمَد بن المُعَذَّل قال: سئل الأصْمَعىُّ عن المجنون، المسمى قَيْسَ بن مُعاذ، فَثَبَّتَهُ وقال: لم يكن مجنونًا، ولكن كانت به[2] لُوثةٌ كلُوثةِ أبى حَيَّةَ الشاعر. وقيل للأشْعث بن قيس بن مَعْدِّى كَرِبَ الكِنْدىِّ: بِمَ كنتم تعـرفون السُّـؤْدُدَ فى الصـبىّ منكم؟ قال: إذا كـان مَلُوثَ الإزْرة[3]، طويلَ الغُرْلة[4]، سائلَ الغُرَّة[5]: كأنَّ به لُوثةً، فَلَسْنا نَشُكُّ فى سُؤْدُده.

وقوله: «تُؤْتَى باللحم غـريضًا» يقول: طَرِيًّا، ويقال: لحم غَـرِيض، وشِواءٌ غَرِيض، يُرَاد به الطَّرَاءُ، قال الغَسّانىُّ[6]:

إِذَا مَـا فَـاتَنِى لَحْمٌ غَـرِيض ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَـكْرِى فاشْتَـوَيْت

وقوله: «صلائق» فـمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخًا وشَـيًّا، يقال: صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَهُ، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبخته على وجهه.

وقـوله: «سَـبائك» يريـد ما يُسْبَكُ من الدقـيق فَـيؤخَذُ خـالصـه، يريد الحوَّارَى[7]، وكانت العرب تُسَمِّى الرُّقاقَ السَّبائك، وأصله ما ذكرنا.

والصِّناب: صِباغٌ يُتَّخَـذُ من الخَرْدَلِ والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابِىٌّ إذا كان فى ذلك اللونِ، وكان جَرِير اشْـترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل

---

(١) سورة الأحقاف ٢٠.

(٢) ر، س: «فيه».

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم، والإزرة: هيئة الائتزار.

(٤) الغرلة: القلفة.

(٥) الغرة فى الأصل: البياض فى جبهة الفرس. وسيلانها: استطالتها، وهو هنا استعارة لإشراق الوجه.

(٦) زيادات ر: «هو السموءل».

(٧) الحوارى: لباب البر.

اليمامة، ففَرِكَتْ[١] جريرا، وجعلت تحُّن إلى زيد، فقال جرير:

تُكَلِّفُنى مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لى بِالْمَرَقَّقِ وَالصِّنَابِ!
وَقَالَتْ: لاتَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ، وَمَا ضَمِّى وَلَيْسَ مَعِى شَبَابِى!

فقال الفَرَزْدَقُ يُجيبه:

فَإن تَفْرَكْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وَيُعْوِزْكَ الْمُرَقَّقُ وَالصِّنَابُ[٢]
فَقِدْمًا كَانَ عَيْشُ أبيكَ مُرًّا يَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلاَبُ

وأما قوله: «أكسار بعير»، فإن الكِسْرَ[٣] والجِدْلَ والْوِصْلَ: العَظْمُ يَنْفَصِلُ بما عليه من اللحم.

وأما قوله: «نَعَى على قوم» فمعناه أنه عابهم بها ووبَّخَهُمْ، قال أبو عبيدة: اجتمع العكاظِيُّون[٤] على أن فُرْسانَ العرب ثلاثةٌ، ففارسُ تَمِيمٍ عُتَيْبَة بن الحارث ابن شهاب أحدُ بنى ثَعْلَبَةَ بن يَرْبوع بن حَنْظَلَةَ، صَيَّادُ الفوارس وسَمُّ الفُرْسان. وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُّفَيْلِ بن مالك بن جَعْفر بن كلابٍ، وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ ابن قيسٍ بن مسعود بن قيس بن خالد، أحدُ بنى شَيْبان بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَة بن صَعْب بن علىّ بن بَكْر بن وائلٍ، قال: ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ.

وأما قوله: «أَهِهنا غُرْتَ»، يقول: ذَهَبْتَ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتَى الغَوْرَ وناحيتَهُ مما انخفض من الأرض، وأَنْجَدَ إذا أَتَى نَجْدًا وناحيتَهُ مما ارتفع فى الأرض، ولا يقال «أغار» إنما يقال: غارَ وأنْجَدَ، وبيتُ الأعشى يُنْشَدُ على هذا:

نَبِىٌّ يَرَى مَالا ترونَ وَذِكْرُهُ لَعَمْرِىَ غَارَ فِى الْبِلاَدِ وَأَنْجَدَا

---

(١) فركته: أبغضته.
(٢) العلجة: مؤنث العلج، وهو الغليظ من كفار العجم.
(٣) الكسر والجدل، ضبطتا فى الأصل بفتح أوله وكسره.
(٤) العكاظى: منسوب إلى عكاظ، وهم الذين عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ، وهو سوق كانت تقيمه العرب بين نخلة والطائف فى شوال من كل عام، يجتمع فيه شعراء العرب يتناشدون الشعر.

وقوله: «فَسكَّن من غَرْبه»، يقول: من حَدِّه، وكذلك يقال في كل شيء. في السَّيْف والسَّهْمِ والرجل وغير ذلك.

وقوله: «خفين مطارَقَيْن» تأويله: مُطْبَقَيْن، يقال: طارَقْتُ نَعْلي إذا أَطْبَقْتَها، ومن قال: «طَرَقْتُ» أو «أَطْرَقْتُ» فقد أخطأ، ويقال لكل ما ضُوعِف: فقد طُورِق، قال ذو الرُّمَّة[1]:

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ في رِيشِهِ يترَقْرَقُ[2]

قوله: «رِيعة» موضعُ ارتفاعٍ: قال الله عزّ وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[3]، وهوجمع ريعة، وقال الشَّمَّاخُ:

تَعِنُّ لَهُ بِمِذْنَبِ كُلِّ وَادٍ ... إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعِ[4]

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: وحدثني العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ عن الأَصْمَعِيِّ قال: قال عَدِيُّ بن الفُضَيْلِ: خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئرًا بالعَذْبَة، فقال لي: وأين العَذْبة؟ قلت: على ليلتين من البصرة، فتأسَّف ألا يكونَ بمثل هذا الْموضع ماءٌ. فأَحْفَرَني، واشترط عليَّ أن أوّلَ شاربٍ ابنُ السَّبيلِ، قال فَحَضَرْتُهُ في جُمْعَة وهو يَخْطُبُ، فسمعتُه وهو يقول:

يأيها الناس، إنكم ميِّتون، ثم إنكم مَبْعوثون، ثم إنكم مُحَاسَبون، فَلَعَمْرِي لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ، ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ. أيها الناس إنه من يُقَدَّرْ له رِزْقٌ برأس جبل أو بحضيض أرض يَأْتِه، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا في الطَّلَب.

قال: فأَقَمْتُ عنده شهرًا ما بي إلا استماع كلامه.

قوله: «حضيض[5]» يعني المُسْتَقَرُّ من الأرض إذا انْحدَرَ عن الجبل، ولا يقال حضيضٌ إلا بحضرَة جبلٍ، يقال: حضيضُ الجبلِ، ويُطْرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنَى عنه لأن هذا لا يكون إلا له، ومن ذلك قول امْرِئ القَيْس:

* نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ *[6]

---

(١) زيادات ر: «يصف صقرا».

(٢) الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحية خفيت، صد القوادم، وطراقها: ركوب بعضها على بعض.

(٣) الشعراء ١٢٨.

(٤) تعن: تظهر. والمذنب: مسيل الماء في الحضيض.

(٥) ر: «قوله بحضيض».

(٦) الضمير يعود على الفرس في البيت قبله وصدره:

« قَلما أجَنَّ الشمسَ عَنيَّ غيارَهَا»

فقال عليٌّ بن أبى طالب رحمه الله: يابن آدم، لا تَحْمِلْ هَمَّ يومك الذى لم يَأْتِ عَلَى يومك الذى أنتَ فيه، فإنه إنْ يُعْلَمْ أنّه مَنْ أَجَلكَ يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تَكْسَبُ من المال شيئًا فوق قُوتكَ إلا كنت خازنًا لغيرك فيه.

ويروى للنابغة(١):

وَلَستُ بِخابِئٍ أبدًا طَعَامًا   حِذَارَ غدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَام

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آمنا فى سَرْبه(٢)، مُعافًى فى بَدَنه، عنده قُوتُ يَوْمِه، كان كمَنْ حِيزَتْ له الدنيا بحَذَافيرِها».

قوله ﷺ: «فى سَرْبه» يقول: فى مَسْلكه، يقال: فلان واسعُ السَّرْبِ، وخَلِيُّ السَّرْب، يريد المَسَالكَ والمذَاهبَ، وإنما هو مثلٌ مضروب للمصدر والقلب، يقال: خَلِّ سَرْبَه، أى طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَربُ فى الطُّرُقات، ويقال: سَرِّبْ عليَّ الإبلَ، أى أرْسِلْها شيئًا بعد شىء، فإذا قلت: سِرْبٌ، بكسر السين، فإنما هو قَطِيعٌ من ظباء، أو بقر، أو شاء، أو نساء، أو قَطًا، قال امروء القيس:

فَعنَّ لنا سِرْبٌ كَأنَ نِعاجَهُ   عَذَارَى دَوَارٍ فِي المُلاَءِ المُذَيَّلِ

دُوَارٌ: نسُكٌ يَنْسُكونَ عنده فى الجاهلية، ودُوَارٌ ما استدار من الرمل، ودَوَّارٌ سِجْنُ اليمَامة. قال بعض اللُّصوص(٣):

كَانَتْ مَنَازِلنَا الّتِى كُنَّا بِهَا   شَتَّى، فَأَلَّفَ بَيْننَا دَوَّارُ

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعة:

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ   خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ(٤)

---

(١) زيادات ر «هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى».

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها، وإنما السرب، بفتح السين: المال الراعى».

(٣) زيادات ر: «واسمه جحدر».

(٤) نسبه أبو الفرج فى الأغانى ٢١: ١٧٥ إلى هدبة بن خشرم، من أبيات أربعة، وبعده:

تضمَّخنَ بالجادى حتى كأنما الـ   ـأنوف إذا استعرضنَ رَواعفُ

وفيها إقواء.

وكان الحسن يقول: ليس العَـجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عطِبَ، إنما العَجَبُ مِمَّنْ نجا كيف نجا.

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر: أيها الناس، اقْدَعُوا هذهِ الأنْفُسَ، فإنها أسْأَلُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ، وأَمْنَعُ شيء إذا سُئِلَتْ، فَرَحِمَ الله امرأً جَعَلَ لنفسه خطامًا وزمامًا فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعَطَفَها بزمامها عن معصية الله، فإني رأيت الصَّبْرَ عن مَحَارم الله أيسَرَ من الصبر على عذابه.

قوله: «اقدعوا» يقال قَدَعْتُهُ عن كذا، أي منعته عنه، ومنه قول الشَّمَّاخ:

إذَا مَا استَافَهُنَّ ضَرَبْنَ مِنْهُ ... مكَانَ الرمحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدَوعِ

قوله: «استافَهُنَّ» يعني حِمَارًا يَسْتافُ أتُنًا، يقول: يَرْمَحْنَهُ إذا اشْتَمَّهُنَّ، والسَّوْفُ الشَّمُّ.

وقوله:

* مكان الرمح من أَنْفِ القَدُوع *

يريد بالقَدُوع المقدوع، وهذا من الأضداد، يقال طريق رَكوبٌ إذا كان يُرْكَبُ، ورجل رَكُوبٌ للدوابِّ إذا كان يركَبُها، ويقال: ناقة رَغُوثٌ إذا كانت تَرْضِعُ، وحُوَارٌ رَغوثٌ إذا كان يَرْضَع، ومثل هذا كثير، يقال: شاة حَلُوبٌ إذا كانت تُحْلَبُ، ورجل حَلُوبٌ إذا كان يَحلُب الشاة، والقَدُوعُ هاهنا: البعير الذى يُقْدَعُ، وهو أن يريد الناقة الكريمةَ ولا يكون كريمًا، فيُضْرَبُ أَنْفُهُ بالرُّمْحِ حتى يَرْجِع: يقال: قَدَعْتُهُ، وقَدَعْتُ أنفه، ويروى أن رسول الله ﷺ لما خَطَبَ خَدِيجةَ بنت خُوَيْلِدِ بن أسَدِ بن عَبْدِ العُزَّى بن قصَي ذُكِر لوَرَقَةَ بن نوْفلٍ فقال: محمد بن عبد الله يخطب خَديجة بنتَ خُوَيْلِد! الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفهُ.

وكان الحجاج يقول: إنَّ امرأً أتَتْ عليه ساعةٌ من عُمْرِه لم يَذْكُرْ فيها ربَّه، أو يستغفرْ من ذنبه، أو يُفكِّرْ في مَعادِه، لَجَدِيرٌ أن تطول حَسْرَتُه يوم القيامة.

باب

[لعمارة بن عقيل يحض بنى كعب وبنى كلاب على بنى نمير]

قال أبو الحسن: أنشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بنى كَعْب وبنى كلابٍ، ابنْى رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بَكْرِ بن هوَازِنَ على بنى نَمْيرِ بن عامر بن صعصعة، وبينهم مُطالَبَاتٌ وتراتٌ(١). وكانت بنو نُمَيْر أعداء عُمارة، فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ، ويُغْرِى بهم إخْوتَهُمْ، ويحاربهم فى عَشيرته، فقال:

رَأَيْنَاكُمَا يَا بْنَى رَبِيعَةَ خُرتُمَا ... لعَضِّ الْحُرُوبِ، وَالْعديدُ كَثِيرُ
وَصدَّقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فيكُمَا ... وكَذَّبْتُمَا مَا كَانَ قالَ جَرِيرُ
أَصَابَت نُمَيْرٌ مِنْكُمُ فَوْقَ قَدْرِهَا ... فكُلُّ نُمَيْرِىّ بِذَاكَ أَمِيرُ
فَإِنْ تَفْخَرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمكمْ ... فَقَدْ هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ
رَمَتْهَا مَجَانِيقُ الْعَدُوِّ فَقُوِّضَتْ ... مَدَائِن مِنْهَا كَالْجِبَالِ وسُورُ
وَشَيَّدَهَا الأَمْلاكُ: كِسْرَى وهُرْمُزٌ ... وَآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً، وَنَضِيرُ
فَإِنْ تَعْمُرُوا الْمَجْدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ ... لَكُمْ فى مُضِرَّاتِ الحُرُوبِ ضَرِيرُ
خبَطْتُم لُيُوثَ الشَّأْمِ حَتّى تَنَاذَرَتْ ... حِمَاكُمْ وَحَتّى لا يَهِرّ عَقُورُ
فكَيفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ ... ثَعَلِبُ يَبْحَثْنَ الحَصَى وأُبُورُ

قال أبو العباس: قوله:

* فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور *

مثلٌ، يريد أنَّ مَجْدَكم الذى بناه آباؤكم متى لم تَعْمُروه بأفعالكم خَرِبَ وذَهَبَ. وهذا كما قال عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوائِلُنَا ... يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِى، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

---

(١) الترات: جمع ترة، وهى الجناية.

وكما قال الآخر:

أَلْهَى بَنِى جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ … قَصِيـدَةٌ قَالَهَا عَمْـرُو بْن كلثومِ
يُفَـاخِرُونَ بِهـا مُذْ كـانَ أَوَّلُهُمْ … يَا لَلرِّجَالِ لفـخر غَيْرِ مَـسْئُومِ!
إنّ الْقَـدِيمَ إِذَا مَـا ضَاعَ آخِـرُهُ … كـسَاعِـدٍ فَلَّـهُ الأيَّامُ مَـحْطُومِ

وكما قال عامر بن الطّفَيْلِ:

إنى وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارسِ عـامِرٍ … وَفى السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فـمَا سَـوَّدَتْنِى عامِـرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ … أَبَى اللهُ أَنْ أَسْـمُـو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ
وَلَكِنَّنِى أَحْـمِى حِمَـاهَا وَأَتَّقِى … أذَاهَا، وأَرْمِى مَنْ رَمَاهَـا بِمِقْنَبِ

* * *

[قال أبـو الحسن: أنشَـدَنى هذه الأبياتَ مـحمـد بن الحسن المعـروف بابن الحَرُون ـ ويكنى أبا عـبد الله ـ لعامـر بن الطفيل العـامرىّ. قال أبو الحـسن: قال الأصمعىّ: وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُحَبِّرًا لِحُسْنِ شِعْرِه، وأوّلها:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىّ: مَالَكَ بَعْدَمَا … أرَاكَ صَحِيحًا كالسّلِيمِ الْمُعَذَّبِ!
فقُلْتُ لهَا: هَمِّى الّذِى تَعْلَمِينَهُ … منَ الثّأرِ فى حَيّىْ زُبَيْدٍ وَأرْحَبِ
إنَ اغْزُ زُبَـيْدًا أَغْـزُ قَوْمًـا أَعِزَّةً … مُرَكَّـبُهمْ فى الحَىِّ خَيْـرُ مُرَكَّبِ
وَإنْ اغزُ حَيَّىْ خَثْـعَمٍ فَدِمَاؤُهُمْ … شِفَـاءٌ، وخَيْـرُ الثَّأْرِ لِلْمُـتَأَوِّبِ
فَمَـا أَدْرَكَ الأَوْتَارَ مِثْلُ مُـحَقِّقٍ … بِأَجْرَدَ طَاوٍ كـالْعَسِيبِ الْمُشَذَّبِ
وَأَسْـــمَـرَ خَطِّىٍ وَأَبْـيَضَ بَاتِرٍ … وَزَغْفٍ دِلاَصٍ كالغَـدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلاحُ امْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ … طَلُوبٌ لِثَـارَاتِ الرِّجَـالِ مُطَلَّبِ

ثم أتى بإنشاد أبى العباس علـى وجهه، إلا أنه رَوَى: «مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ».

السليم: الملدوغ، وقيل له: «سَلِيم» تفاؤلاً له بالسلامة، وزُبَيْدٌ وأَرْحَبُ: حَيَّانِ من اليمن. والثأر: ما يكون لك عند من أصاب حَميمك، ومن التِّرَةِ، ومن قال «ثار» فقد أخطأ.

والمتـأوِّب: الذى يأتـيك لطلب ثأره عندك، يقـال: آبَ يئـوبُ إذا رَجَعَ. والتَّأوِيبُ فى غير هذا: السير فى النهار بلا تَوَقُّف.

والأوتار والأَحْقادُ واحدهما وتْرٌ وحقْدٌ. والأجْـرَدَ: الفرس المتَحَسِّر الشّعر، والأجرد الضامر أيضًا. والعسيب: السَّعَفَةُ. والمُشَذَّب: الطويل الذى أُخَذِ ما عليه من العُقَدِ والسُّلاَءُ(١) والخُوص، ومنه قيل للطويل المُعَرَّق: مُشَذَّب.

وخَطِّىّ: رمح منسوب إلى الخَطّ، وهى جـزيرة بالبَحْرَين، يقـال إنها تُنْبتُ عصا الرِّماح، وقال الأصمعىّ: ليستْ بها رِماح، ولكن سفينة كانت وقعتْ إليها، فيها رِماحٌ، وأُرْفِئَتْ بها فى بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح: الخَطِّيَّة، ثم عَمَّ كلَّ رُمْح هذا النَّسَبُ إلى اليـوم. والزَّغْف: الدِّرْع الرقيـقة النسـج، والمثوّب: الذى تُصَفِّـقُهُ الرياح فَـيَذْهَبُ ويجىء، وهو من ثاب يَثُـوبُ إذا رَجَعَ. وإنما سُمِّىَ الغَديرُ غَديرًا؛ لأن السيل غادَرَه، أى تركه].

* * *

قال أبو العباس: قوله:

* لكم فى مُضِرَّاتِ الحروب ضَرير *

يقال: رجل ضَـرِير إذا كان ذا مشـقة على العَـدُوِّ، وقال مُهَلْهِلُ بن رَبيـعة التَّغْلَبِىّ:

قَـتِـيلٌ مـا قَتِـيلُ المرءِ عَـمْـرٍو وَهَمَّـامُ بْنَ مُـرَّةَ ذُو ضَـرِيرِ(٢)

وقوله: «خبطتُم ليوث الشام» يريد ما كان من نَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِىِّ، وهو عُقَيْلُ بن كَعْبِ بن ربيعة.

وقوله: «أُبور» جمع وَبْر(٣)، وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز، وقد ذكرنا ذلك قبلُ.

---

(١) السلاء: شوك النخل.

(٢) زيادات ر: «ما»: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

(٣) الوبر: دويبة على قدر السنورى.

وقال عُمارة أيضًا لهم، أنشَدَنيه:

أَلاَ لله درُّ الْـحَىِّ كَـــعْـبٍ ... ذَوِى الْعَدَدِ الْمُضَاعَـفِ وَالْخُيولِ
أَمَـا فِـيـهِمْ كَـرِيمٌ مِـثْلُ نَصـرٍ ... يُوَرِّعُ عَنْـهُمُ سَنَنَ الْفُـحَـولِ
تَنوّخَـهُمْ نُمَـيْـرٌ كُلَّ يومٍ ... كَـفِـعْلِ أَخِى الْعَـزَازَةِ بالذَّليلِ
ولَيْـسُوا مِثْلَ عُـشْرِهِمِ ولكنْ ... يَضِـيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِـبَلِ الْعُقُـولِ
فَـأَيْنَ فَـوَارِسُ السَّلَمَـاتِ مِنْهُمْ ... وَجَعْدَةَ وَالْحَرِيشِ ذَوُو الْفُضُولِ!
وأَينَ عُـبَـادَةُ الخَـشْنَاءِ عنهم(١) ... إذا مَـا ضَـاقَ مُطَّلَعُ السَّـبِـيلِ!

قوله:

* أَلاَ لله دَرُّ الحَىِّ كعْبٍ *

يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صـعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلاَنَ بن مُضَر.

وقوله:

* أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصرٍ *

يعنى نصر بن شَبَث، أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبيعة. وقوله:

* يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُولِ *

هو مَثَلٌ ضَـرَبَهُ، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوق التى يَقْرَعُها الفَحْل ويُوَرِّعُ: يكُـفُّ وَيَمْنَعُ وَيدْفَعُ. والوَرَعُ فى الدين إنما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام، وجاء فى الحديث: «لا تَنْظروا إلى صومه، ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى وَرَعه إذا أشْفَى»، ومعناه إذا أشـرف على الدينار والدرهم. والسَّنَنُ: القَصْد، ثم أبان ذلك بقوله:

* تَنَوَّخَهُمْ نُمَيْرٌ كُلّ يوم *

يقـال: سانَّ الفـحلُ الناقة فَـتَنَوّخَـها، وذلك إذا ركـبهـا من غيـر أن توَطأ له، ولكن يَعْتَـرِضُها اعْتراضًا. وتقـول العرب: إن ذلك أكـرم النِّتَاج؛ وذلك لأن

(١) ر: «منهم».

الولد يخرج صَلِيبًا مُذَكَّرًا، ويقال لذلك الحَمْلِ الذى يقع من التَّنَوُّخِ والاعتراض: يَعَارَة وعِراضٌ، يقال: حَمَلَتْهُ عِراضاً وحملته يَعارَة يا فتى، قال الراعى:

قَلائِص لاَ يُلْقَحْنَ إلاَّ يَعَارَةً عِرَاضًا، ولاَ يُشْرَيْنَ إلاَّ غَوَالِيَا

وقال الطِّرِمَّاح:

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا[1] ةٌ أمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ

نَضَّجَتْهُ عِشرينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ حِينَ نِيلَتْ يَعَارَةً فى عِراض

قوله: «سَبَنْداة» فهى الجَريئةُ الصَّدْر، يقال للجَرىء الصدر: سَبَنْدى وسبنْتى، وأصل ذلك فى النَّمِرِ، وزعم الأَصْمَعِى أن الكِراضَ حَلَقُ الرَّحِمِ، قال: ولم أسْمَعْهُ إلا فى هذا الشِّعْر.

وقوله: «نَضَّجَتْهُ عشرين يوما»، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما: نحو الذى عدّ، فلا يخرج الولد إلا مُحْكَما، قال الحُطَيْئَةُ:

لأَدْمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا[2] عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ: العِزُّ، والمَصادر التى تقع على «فَعَالة» للمبالغة، يقال: عَزَّ عِزًّا وعزازةً، كما يقال: الشَّراسةُ والصَّرامَةُ، قال الله تعالى: ﴿**قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بى سَفَاهَةٌ**﴾[3]، وفى موضع آخر: ﴿**لَيْسَ بى ضَلالَةٌ**﴾[4].

وقوله: «فَأَيْنَ فَوارس السَّلَمات»، يريد بنى سَلَمةَ الخَيْر، وبنى سَلَمَةَ الشر ابْنَىْ قُشَيْر بن كعب، وجَمَعَ لأنه يريد الحَىَّ أجْمَعَ، كما تقول المَهَالبةُ والمَسَامعةُ، فتجمعهم على اسم الأب، على المُهَلَّبِ ومِسْمَعٍ، وكذلك المَنَاذرةُ، وقد مرت الحجّة فى هذا.

وجَعْدَةُ بن كَعْبٍ والحَرِيُش بن كعب وبنو عُبادة، من بنى عُقَيْلِ بن كَعْبٍ. وقال: «الخَشْناء»، يريد القبيلة، وذكَرها بالخشونة على الأَعْداء.

---

(١) ر ، س: «سبنتاة وسبنداة»، وكلاهما جائز.
(٢) ر: «عشرا».
(٣) الأعراف ٦٧.
(٤) الأعراف ٦١.

[سؤال معاوية بن أبى سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب]

ويروى أن معـاوية بن أبى سُفْـيان رحمـه الله تعالى قال لِدَغْـفَلِ بن حَنْظَلَةَ النسَّابة: ما تقـول فى بنى عامر بن صَعْـصَعَةَ؟ قال: أعناق ظباء، وأعْـجازُ نساء. قال: فـما تقول فى بنى تميمٍ؟ قـال: حَجَرٌ أخْشَـنُ: إن صَادَمْتَه آذاكَ، وإن تَرَكْـتَهُ تركك، قال: فما تقول فى اليمن؟ قال: سَيِّدٌ وأَنْوَكُ.

[لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمى أن يضع يده فى يد أبى نصر الطائى]

قال أَبو العباس: وأَنشدنى عُمارةُ لنـفسه ـ وسببُ هذا الشعر الذى نذكره أن رجلا من بنى تميم، يُكْنَى أبا سَـعْدٍ، كان منقطعًا إلى أبى نصر بن حُـمَيْد الطائىِّ، ثم أحد بنى نَبْهـانَ، وكان أبو نصرٍ واليًا على العرب،وكتب أبو سـعد إلَى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده فى يد أبى نصر، فقال عُمارة ـ:

دَعَـانِى أَبُو سَعْـدٍ وَأَهْدَى نَصِيحَـةً ... إِلَىّ، وَمِـمَّا أَنْ تَغُـرَّ النَّصَـائِحُ(١)

لاجْـزِرَ لْحَمِى كَلْبَ نَبْـهَانَ كـالَّذى ... دَعَـا الْقَـاسِطِىَّ حَتْـفُـهُ وَهْوُ نَازِحُ

أوِ الْبُـرْجُـمِىَّ حِينَ أهْدَاهُ حَـيْنُهُ ... لِنَارٍ عَلَـيْـهَـا مُـوقِــدَانِ وَذابِحُ

وَرَأْىُ أَبِى سَعْـدٍ وَإِنَ كَانَ حـازِمًـا ... بَصِيـرًا وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْـهِ المَسَارِحُ

أعَـارَ بِهِ مَلْعُـونَ نَـبْـهَـانَ سَـيْـفَـهُ ... عَلَى قَوْمِهِ، وَالْقَـوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ

وَنَصرُ الْفَتَى فِى الْحَـرْبِ أعْدَاءَ قَوْمِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِى الطعْمِ فَاضِحُ

قوله: «لأجْـزِرَ لْحَمِى كَلْبَ نَبْـهَانَ» أى لأكـون جَزَرَة له، والجَـزَرَةُ: البَدَنَةُ تُنْحَرُ، يقال: أجْزَرْتُ فلانًا، وتركتُ فلانًا جَزَرًا، قال عَنْتَرَةُ الْعَبْسِىُّ:

إنْ تَشْتـمِاَ عِـرْضِى فَإِنَّ أبَاكُـمَا ... جَزَرُ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْر قَـشْعَم

وقوله:

. . . كالذى دعا القاسطى حَتْفُهُ وهو نازح

---

(١) زيادات ر: «مما بمعنى ربما».

فهـذا رجل من النَّمرِ بن قاسط، خرج يبـتغى قَرَظًا من بُعْـد، فَنَهَشَتْهُ حَـيّة فمات، فهو أحد القـارِظَيْنِ، والقارظُ الأول من عَنَزَة، كان خرج معَ ابن عَمٍّ له فى طلب القَرَظِ، فقتلـه ابن عمه، لأنه كان يريد ابنته فمنعـه منها، قال أبو خِرَاش[1] الهُذَلِىُّ:

وَحَتَّى يَؤُوبَ الْقَـارِظَانِ كِلاَهُمَا   وَيُنْشَرَ فِى الْقَـتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقولـه: «كالذى دعـا القاسطى حـتفـه» الهاء فى حـتفـه ترجع على الذى وتقديره كَالسبب الذى دعا القاسطىَّ حَتْفُه.

وقوله: «أو البُـرْجُمِىّ» فهـذا رجل من البَرَاجِمِ، وهم بنو مـالك بن حَنْظَلَةَ كان عمرو بن هِنْدٍ لما قَتَلَ بن دارمٍ بأُوارةَ، وكان سببُ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن الْمُنذرِ ـ وكان مُسْتَرْضَعًا فـى بـنى دارمٍ، فى حِجْرِ حاجب بن زُرارة بن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ ـ انصرف ذاتَ يوم من صَيْدِهِ وبه نَبِـيذٌ، فَعَبِثَ كما يَعْبَثُ الملوك، فرماه رجل من بنى دارم بسـهم فقتله[2]. ففى ذلك يقول القـائل؛ وهوعمرو بن مِلْقَطٍ الطائِىّ لعمرو بن هند:

فَـاقْـتُـلْ زُرَارَةَ لاَ أَرَى   فى الْـقَـوْمِ أوْفَـى مِنْ زُرَارَه

فَغَزَاهم عمرو بن هند، فقتلهم يوم الْقُصَيْبَةِ[3] ويوم أُوَارَةَ، ففى ذلك يقول الأَعْشَى:

وَتَكُـونُ فى الـشَّـرَفِ المُوا   زِى مـنْقَـرًا وَبَنِـى زُرارَهْ
أَبْـنَاءَ قَـوْمٍ قُـتِّلُـوا   يَوْمَ الْقُـصَـيْبَـة وَالأُوَارَهْ

ثم أقْسَمَ عـمرو بن هند لَيُحْرِّقَنَّ مـنهم مائة، فبذلك سُـمِّىَ محرِّقًا، فـأَخَذَ تسعة وتسعين رجلا فَقَذَفَهُمْ فى النار، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتكْمُلَ بها

---

(1) زيادات ر: «الصحيـح أن الشعر لأبى ذؤيب، وهو بهذه النسـبة فى ديوان الهذليين ١: ١٤٥، من قـصيدة مطلعها:

أساءلْتَ رسْم الدار أم لم تسائل   عن السّكْن أم عن عهده بالأوائل!

(2) زيادات ر: «رمى ناقة بسهم فقتلها» والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم».

(3) يوم القصيبة لعمرو بن هند على بنى تميم، وهو يوم أوارة. (وانظر معجم البلدان ١: ٣٦٤، ٧: ١١٤).

العدَّة فلما أَمَرَ بها قالت العجوز: أَلا فَتًى يَفْدى هذه العجوز بنفسه[1]! ثم قالت: «هيهات صارت الْفِتْيَانُ حُمَمًا»! وَمَرَّ وافدُ البَرَاجم - وهو الذى ذَكرْنا - فاشْتَمّ رائحة اللحم، فَظنَّ أن المَلك يَتخذ طعامًا، فَعرَّجَ إليه فأُتِىَ به إليه، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أنا وافد البراجم، فقال: «إن الشقىَّ وافدَ البراجِم»، ثم أمَرَ به فقُذِفَ فى النار، ففى ذلك يقول جَرير يُعَيِّرُ الفَرَزْدَقَ:

أَيْنَ الذَّينَ بنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا ... أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ المُسْتَرْضَعُ!

وقال أيضًا:

وأَخزَاكُمُ عَمْرٌو كما قَدْ خَزِيتُمُ ... وَأَدْرَكَ عَمَّارًا شَقِىَّ البَرَاجِم

وقال الطِّرِمَّاح:

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا منْهُمُ مِائَةً ... فى جاحِمِ النَّارِ إذْ يَنْزُونَ بِالْخَدَدِ[2]

يَنْزُونَ بِالْمُشْتَوىَ مِنهَا ويُوقِدُهَا ... عَمْرٌو، ولَوْلا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ[3]

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام، يعنى لطمع البُرْجمِىِّ فى الأكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق أحد بنى عمرو بن كلاب:

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ ... بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال الآخر[4]:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ ... أَو الشَّىْءِ المُلَفَّفِ فى الْبِجَادِ[5]

تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطْحَاءَ حَوْلاً ... لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

(١) زيادات ر: «على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة».

(٢) الخدد، أصله: «الخد» ففك إدغاق للقافيه، وهو كالأخدود، حفرة فى الأرض مستطيلة.

(٣) المشتوى: مكان الاشتواء.

(٤) زيادات ر: «ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى المهوش الفقعسى، وذكر دعبل أنه لأبى المهموش الأسدى، وذكر ابن السيد البطليوسى أنه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى».

(٥) أراد وطب اللبن، يلف بكساء مخطط، اسمه البجاد.

وقوله: «لْلمَرْءِ ذى الطَّعْمِ» يعنى الراجع إلى عقل، يقال: ليس فلان بذى طَعْمٍ، وفلان ليس بذى نَزَلٍ، أى ليس بذى عقل ولا معرفة، وإنما يقال: هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ، ومن قال «نُزْل» فى هذا المعنى فقد أخطأ.

[لأعرابى يهجو قوما من طيئ]

وقال أعرابىٌّ يَهْجُو قومًا من طَيِّئٍ:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِى جُوَيْنٍ ... جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ
يَئِسْتُ مِنَ الَّتِى أَقْبَلْتُ أَبْغِى ... لَدَيْهِمْ إِنَّنِى رَجُلٌ يَئُوسُ
إِذَا مَا قُلْتُ: أَيُّهُمُ لأَىٍّ؟ ... تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرءوسُ

قوله: «جلوسًا ليس بينهم جليس»، يقول: هٰؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفَهم فليس فيهم غيرهم. وهذا من أقبح الهِجاء.

ومن أمثال العرب: «سَمْنُهُمْ فى أَدِيمِهِمْ»، ومعناه فى مَأدومهم، وقيل: أديم ومأدوم مثل قَتيلٍ ومَقْتولٍ، وتقول الحكماء: من كثُرَ خيرهُ كثر زائره.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة لبنيه: يا بَنِىَّ، إذا غَدَا عليكم الرجل وراحَ مسلِّمًا، فكَفى بذلك تقاضيا.

وقال آخر:

أَروحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْك وَاغْتَدِى ... وحَسْبُكَ بِالتَسْلِيمِ منى تَقَاضِيَا
كَفى بِطِلاَبِ المَرءِ مَا لاَ يَنَالُهُ ... عَنَاءً، وباليَأْسِ المُصَرِّحِ ناهِيا!

* * *

[(١ قال أبو الحسن: وربما قال أَبو العباس: «مُصَرِحٌ» بكسر الراء ١)]

* * *

ومن أحسن المدح قول زُهَيْرٍ:

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرِمٍ ... وَالسَّائِلُونَ إِلىَ أَبْوَابِهِ طُرُقًا

(١ ـ ١) ر: «وربما قال أبو العباس: «مصرح» بكسر الراء، قال أبو الحسن والكسر أجود».

وقال رُؤْبَةُ(١):

* إنَّ النَّدَى حَيْثُ ترى الضِّغاطا(٢) *

وقال آخر:

يَـزْدَحِـمُ الـناس عَـلَـى بَـابِـهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَـثِيرُ الزِّحَامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور:

عَلَـى بَابِ ابْـنِ مَنْـصُـــــور عَـــــلاَمَـــــاتٌ مِـنَ الْبَـــــذْلِ
جَـــمَـاعَـــاتٌ وَحَـسْبُ الْبْـــا بِ نُبْـــلاً كَـــــثْـــرَةُ الأَهْلِ

وقوله:

* تَشَابَهَتِ المَناكِبُ وَالرءوس *

إنما ضربه مَثَلاً للأخْلاق والأفعال، : أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ.

ويقال: إن الأضْـبَطَ بن قُرَيْعِ بنِ عَـوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْـدِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميم، آذَتْهُ عشـيرتهُ من بنى سَعْد، فـخرج عنهم، فَجَعَلَ لا يُجـاوِر قومًا إلا آذَوْهُ فقال: «أَيْنَمَا أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدًا»، أى أَفِرُّ من الأذَى إلى مثله.

(١) زيـادات ر: «لـيس لـرؤبـة، وهـو لابـن أبى نخيـلـة»،وقال المرصـفى: الصواب لأبى نخيلة ـ وهو اسمه لا كنيته- ابن عدنـان بن زائدة، إحدى بنى سـعد بن زيد مناة بنى تميم. شـاعر راجـز، من مخـضرمى الدولتين.

(٢) الضغاط: التزاحم.

باب

[أقوال في المجالس والجلساء]

قال أبو العباس : قال أبو إدريس الخَوْلانِيُّ[1]: المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الْكِرَامِ.

وقيل للأحْنَف بن قَيْسٍ أحد بنى مُرَّة بنى عُبَيْد بن الحارث بن كَعْبِ بن سَعْدٍ، أيُّ المجالس أطْيَبُ؟ فقال: ما سافر فيه البصر، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ.

اتَّدَعَ: افتعل من التَّوْدِيعِ، والأصل «اوْتَدَعَ»، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون: ايتَزَنَ ياتَزِنُ، وهو رجل مُوتَزِنٌ[2]، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء في باب «افْتَعَلَ» تاءً وتُدْغَمهَا في التاء من «افْتَعَلَ»، فتقول: اتَّدَعَ يَتَّدِعُ، وهو مُتَّدِعٌ، ومُتَّزِنٌ[3] ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ، ومُتَّئِسٍ من اليأس، تكون الياء كالواو؛ لأنها إن أُظْهِرَتْ انقلبتْ على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونان واوين عند الضمة، نحْوُ مُوعِد ومُوتَعِد، ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ، وياءين للكسرة، والواو قد تُقْلَبُ إلى التاءَ ولا تاء بعدَها، نحو تُرَاثٍ من ورث، وتجَاه من الوَجْه، وتُكأة. وإنما ذلك كَرَاهيَة الضمة في الواو، وأقرب حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاء فَقُلِبَتْ إليها، وقد تُقْلَبُ للبدل في غير ضم، نحو: هذا أَتْقى من هذا، وضربته حتى أَتْكأْتُهُ[4]، فلما كانت بعدها تاء افْتَعَلَ كان الوجهُ القلب ليقع الإدغامُ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب «المُقْتَضَب».

وقيل للمُهَلّبِ بن أبى صُفْرَةَ: ما خَيْرُ المجالس؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مَدَى الطرْفِ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس.

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه: يابُنَيَّ، إذَا أتيتَ مجلس قوم فارْمَهَمْ بسَهْمِ الإسلام ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر الله، فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم، وإن أفاضوا في غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ.

---

(١) هو عائذ الله بن عبد بن عمرو أبو إدريس الخولاني، قاص أهل الشام وعالمهم وقاضيهم روى عن أبي هريرة وأبي ذر وغيرهم. مات سنة ٨٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٥ : ٨٥).

(٢) ر ، س: «ايتزر، ياتزر، وهو رجل موتزر».

(٣) ر ، س: «متزر».

(٤) اتكأته: وجدته على هيئة المتكئ.

قوله: «فارمهم بسهم الإسلام» يعنى السَّلام. وقوله: «فأَجِلْ سهمك مع سهامهم»، يعنى أدْخُلْ معهم فى أمرهم، فَضَرَبَهُ مَثَلاً، من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسِرِ.

وقال وهْبُ بن عبد مَنَاف بن زُهْرَةَ جَدّ رسول الله ﷺ لأُمِّه:

وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فى مَجْلِسٍ ... فَاْخْتَرْ مَجَالِسَهُمْ وَلَمَّا تَعْقُدِ

وَدَعِ الْغُوَاةَ الجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ ... وَإِلَى الَّذِينَ يذكِّرونك فَاعْمِدِ

وقال ابْن عباس رحمه اللهُ: لِجَليسى علىَّ ثلاثٌ: أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبل، وأُوَسِّعَ له إذا جلس، وأُصْغِيَ إليه إذا حَدَّثَ.

وكان القَعقَاعُ بن شَوْر(١)، أحد بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَة بن عُكابَة بن صَعْب بن على بن بكرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَّفَه بالقَصْد إليه جَعَلَ له نصيبًا فى ماله، وأعانَهُ على عَدُوِّه، وَشَفَعَ له فى حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له حتى شُهِرَ بذلك. وفيه يقول القائل:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرْ ... وَلاَ يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ

ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَيْر ... وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وحدثَنى التَّوَّزىُّ أن رجلا جالَسَ قوما من بنى مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرةَ بن كَعْب بن لؤَىٍّ بن غالب بن فِهرِ بن مالكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ، فأساءوا عِشْرَتَهُ، وَسَعَوْا به إلى معاوية، فقال:

شَقِيتُ بِكُمْ وكُنْتُ لَكُمْ جَلِيسًا ... فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقاعِ بْنَ شَوْرِ

وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ ... غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرِ(٢)

نَسَبَه إلى التَّوْضيع(٣)، كقول عُتْبَةَ بن رَبيعة بن عَبْد شمس بن عبد مَناف لحكيم بنِ حزام لما بلغه قَول أبى جَهْل بنِ هشام: انْتَفَخَ واللهِ سَحْرُهُ(٤) ونَحْرُه، سيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِه مَنِ انْتفخ سَحْرُهُ اليومَ!

---

(١) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٤٥٤ قال: «من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية»، وفى القاموس إنه من التابعين.

(٢) المجمرة: إحدى المجامر التى يوضع فيها الطيب ليتبخر به. والتور: إناء يبل فيه نحوالعود والمسك.

(٣) التوضيع: التحنيث.

(٤) يراد بالسحر هنا الرئة.

وقال رجل من بنى مَخْـزوم للأحوص بن محمد بن عـبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَفْلَحِ الأنصارىّ ليُؤْذيَه: أَتَعْرُف الذى يقول.

ذَهَبَتْ قُـــرَيْشٌ بِالمَكَارِمِ كُلِّـهَـا   وَاللؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأنْصَارِ(١)

فقال الأَحْوَصُ: [لا أَدْرى(٢)]، ولكِنِّى أَعْرِفُ الذى يقول:

النَّـــاسُ كَـنَّـوْهُ أَبَـا حَــكَـمٍ   وَاللهُ كَـنَّاهُ أَبَـا جَـــــــهْـلِ

أَبْقَـتْ رِيَاسَـــتُـــهُ لأسْـــرَتِه   لُؤْمَ الْـفُـــرُوعِ وَدِقَّـــةَ الأَصْلِ

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذى أنشده المخزومىّ للأخْطَلِ. وكان يَزِيُد بن مـعاوية عَـتَبَ على قـوم من الأنصار، فـأَمَرَ كَـعْبَ بن جـعَيْلٍ التَّـغْلَبىَّ بهجـائهم، فقال له كَعْبٌ: أَأَهْجُـو الأنصار! أرادِّى أنتَ إلى الكُفْرِ بعـدَ الإسلام! ولكنى أَدُلُّكَ على غلام من الحَىِّ نَصْرَانِّى: كأنّ لسانَهُ لسانُ ثَوْرٍ - يعنى الأَخْطَلَ.

قال: فلما قال هذا البيت دخلَ النُّعْمَانُ بن بَشِير بن سَعْد الأنصارى(٣) على معاوية فَحَسَرَ(٤) عمامته عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أَتَرى لُؤْمًا! فقال: ما أرَى إلا كَرَمًا. فقال النعمان:

مُـعَـاوِىَ إلا تُـعْطِنَا الحَـقَّ تَـعْـتَرِفْ

لِحَـى الأَزْدِ مَـسْـدُولاً عَـلَيْـهَا الْعَـمَـائِمُ

---

(١) قاله:

لعنَ الإله من اليـهـود عـصـابةً   بالجزع بين صـليـصل وصـرار

قـوم إذا هدر العـصيـرُ رأيتَـهم   حـمـرا عـيـونهمُ مـن المسطارَ

خلّوا المكـارم لسـتمُ من أهلـهـا   وخـذوا مسـاحيكم بنى النجـارَ

- صليل وصرار: موضعان. والمسطار: الخمرة المتخذة من أبكار العنب. المساحىَ: جمع مسحاة، وهى مجرفة من حديد.

(٢) تكمله من ر ، س.

(٣) من كبار الخزرج.

(٤) روى أن النعمـان قال: يا أميرالمؤمنيـن، أترى لؤما؟ قال: لا، بل أرى كرمـا وخيرا، فمـاذا؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار، قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم، قال: لك لسانه.

أَيَشْتِمُنَا عَبْدُ الأَرَاقِمِ ضَلَّةً
فَمَاذَا الَّذِى تُجْدِى عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ![1]
فَمَالِىَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عَربًا ما لَبِسَت العَمائمَ، وتَقَلَّدَتِ السيوف، ولم تَعْدُدِ الْحِلم ذُلاًّ، ولا التَّوَاهُبَ فيما بينها ضَعَةً.

وقالوا فى تأويل قوله: «مَا لَبِست الْعَمَائم»، يقول: ما حافظت على زيِّهَا. وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضَّيْمِ. وقوله: «ولم تعدد الحلم ذلا»، يقول: ما عَرَفَتْ موضع الحلم، وتأويل ذلك: أن الرجل إذا أَغْضَى للسلطان، أو أغضى عن الجواب وهو مأسورٌ لم يُقَلْ: حَلُمَ، وإنما يقال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُنْتَصِرًا، ولا يخاف عاقبة يَكْرَهُهَا، فهذا الحلم المَحْضُ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تَرْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ. وقوله: «ولم تر التواهب بينها ضَعَةً» نحوٌ من هذا، وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه.

وكان يقال: أَحْيُوا المعروف بإماتته، وتأويل ذلك أن الرجل إذا اعتدّ بمعروفه كَدَّرَهُ، وقيل: المَنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعة.

وكان يقال: كتمان المعروف من المُنْعَمِ عليه كفرٌ، وذكره من المُنعِمِ تكدير له.

وقال قَيْسُ بن عاصم: يا بنى تميم، اصْحَبُوا مَنْ يذكر إحسانكم إليه، ويَنسَى أيَادِيَهُ إليكم.

---

(١) الأراقم: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب، وهم قوم الأخطل.

باب

[لبعض الشعراء يمدح أسَيْلِمَ بن الأحنف]

قـال أبو العبـاس: قال عـبد الَملكِ [بن مَـرْوان(١)] لأسُـيْلِـمَ بن الأحْنف الأسَديِّ: ما أَحسنُ ما مُدِحْتَ به؟ فاستعفاه، فأبى أن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره، فلما أبى إلا أن يُخْبِرَهُ، قَال قولُ القائل:

أَلا أَيُّهَا الرَّكْـبُ الُمخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ
بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّام تُحْبَوْا وَتَرْجعُوا(٢)
مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إذَا اعْتَزَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَاب قَعْقَعُوا(٣)
إذَا النَّـفَرُ السُّـودُ الْـيَـمـانُـونَ نَمْنَـمُـوا
لَـهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا
جَلا الْمِسْكُ وَالحَمَّامُ وَالبِيضُ كَالدُّمَى
وَفَرْقُ المَدَارَى رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ(٤)

فـقـال لـه عبـد الملك: مـا قـال أخـو الأَوْسِ أحـسـنُ ممـا قيـل لـك ـ [قال أبو الحسن: هو أَبو قَيْسِ بن الأَسْلَتِ]:

قَدْ حَـصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَـمَا … أطْعَمُ نَوْمًـا غَـيْـرَ تَهْـجَـاعِ(٥)

[لكثير في المدح]

وحُدِّثْتُ أَن كُـثَيِّرًا كان يقـول: لَوَدِدْتُ أنى كنتُ سبقتُ الأسْوَدَ ـ أو العـبدَ الأسودَ ـ إلى هذين البيتين ـ يعني نُصَيْبًا في قوله:

---

(١) من س.
(٢) المخبون: الذين تخب بهم دوابهم، من الخبب وهو سرعة العدو.
(٣) من القعقعة، وهى الصوت، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس.
(٤) المدارى: جمع المدرى، وهو المشط. وأنزع، من النزوع، وهو انحسار الشعر من أعلى الجبين.
(٥) حصت: أذهبت شعره. والبيضة، هنا: لباس الرأس فى الحرب. والتهجاع: النوم الخفيف.

مِنَ النَّفرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَجَوْا
أقَرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لؤَىُّ بْنُ غالب
يُحَيَّوْن بَسَّامِينَ طَوْرًا، وتَارَةً
يُحَيَّوْنَ عَبَّاسِينَ شُوسَ الحَوَاجِبِ(١)

* * *

والمختار من الشِّعر الأولِ قوله:

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إذا اعْتَزَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم، وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال جَرير للتَّيْم خلاف هذا، وهو قوله:

قَوْمٌ إِذَا احْتَضَرَ الْمُلوكُ وُفُودَهُمْ   نُتِفَّتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

[نقد لشعر نصيب]

وحُدِّثْتُ أن جريرًا كان يقول: وَدِدْتُ أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتًا من شعرى ـ يعنى قول نُصَيْب:

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَن يرحل الرَّكْب
وَقُلْ إِنْ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ

وأما قول نُصَيْب:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ   أُوَكِّلْ بَدعْدٍ مَنْ يِهَيمُ بِهَا بعدى

فلم تَجِد الرّواةُ ولا مَنْ يفهم جَواهر الكلام له مَذْهَبًا، وقد ذكر عبد الملك لجُلَسَائه ذلك فكلٌّ عابَهُ، فقال عبدَ الملك: فلو كَان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم: كنت أقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ   فَوَا حَزَنَا مَنْ ذَايَهِيمُ بِهَا بَعْدِى!

---

(١) من الشوس، وهو النظر بمؤخر العين.

فقال عبد الملك: مَا قلتَ والله أسْوَأُ مما قاله، فقيل له: فكيف كنتَ قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال كنتُ أقول:

أهِيمُ بَدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أمُتْ فَلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذِى خُلَّةٍ بَعْدِى

فقالوا: أنت والله أَشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين.

[الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك]

وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ فى مَوْقفه عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حضَرا، فقال سليمانُ للفرزدق: أَنْشِدْنى - وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحًا له - فأنشده:

وركْب كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا ترَةً مِنْ جَذْبِهَا بالْعَصَائِبِ(١)

سَرَوْا يَخْبُطونَ الرِّيحَ وهىَ تَلُفُّهُمْ إلَى شُعَبِ الأكْوَارِ ذَاتِ الحَقَائِبِ(٢)

إذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولونَ لَيْتَهَا - وقَدْ خصِرَتْ أَيْدِيهِمُ - نارُ غَالِبِ(٣)

فأعرض عنه سليمان كالمُغْضَبِ، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، ألا أُنْشِدُكَ فى رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها! فقال: هاتِ، فأنشده:

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرين لقِيتُهمْ قَفَا ذَات أَوْشَالٍ ومَوْلاكَ قَاربُ(٤)

قِفُوا خَبِّرُونى عَنْ سُلَيْمانَ إنَّنى لَمعْرُوفه منْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالبُ(٥)

فعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ ولَوْ سكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْك الْحَقَائبُ

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوِزٌ ومُبْتَدَعٌ ولم يُسْبَقْ إليه. على أن الشاعر - وهو أخو هَمْدَانَ - قد قال فى عَصْرِه فى غير المدح:

يَمُرُّونَ بالدَّهْنا خِفَافًا عِيَابُهُمْ ويَخْرُجْنَ منْ دَارِينَ بُجْرَ الحقَائب

عَلَى حينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالبِ

---

(١) الترة: الثأر.

(٢) الأكوار: الرحال، مفردها كور.

(٣) خصرت: بردت.

(٤) قفاذات أو شال: خلف بقعة ذات مياه. مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

(٥) ودان: قرية قريبة من الجحفة.

وليس شعْـرُ نُصَيْبٍ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قـول الفرزدق فى الفخر، وإنما يُفَاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا.

وقد قال سليمـان للفرزدق حين أنشَده نصيب: كيـف تراه؟ قال: هو أشعر أهل جِلْدته، فقام الفرزدق وهو يقول:

وخَـيْرِ الشِّـعْرِ أَشْـرَفُهُ رِجـالاً ... وشَـرُّ الشِّعْـرِ ما قـالَ الْعَـبِيـدُ

* * *

ثم نرجع إلى تفسير الشعر.

قوله: * يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ *

يعنى قـومًا تِجَـارًا، وقد قالوا إنما ذَكَـرَ لُصُوصًـا، والأول أَثْبَتُ؛ وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب.

وقوله: «بُجْرِ الْحَقَائِبِ» يقول: عظام، ويقال للرجل إذا انْدَلَقَتْ سُرَّتُه فنَتَأَتْ متقدمة: رجل أَبْجَرُ، ويقال لها: البُجْرَةُ والبَجَرَةُ. وفُعْلَةٌ وفعَلَةُ تقعان فى الشىء، يقال: قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ، وصُلْعَة وصَلَعَةٌ، ومثل هذا كثير.

وقـوله: «على حـينَ ألهى الناس» إن شـئتَ خـفضتَ «حـين» وإن شـئت نصبت، أما الخفض فـلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفـتح فلإضافتك إياه إلى شىء غير مُعْرب؛ فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذى أضفته إليــه معربا لم يكن إلا مخفوضًا، وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول: «جئتك على حينِ زيد»، و«جِئْتُكَ فى حينِ إمْرَةِ عبدِ المَلِكِ»، وكذا قولُ النابغة:

عَلَى حِينِ عَاتَبْت المَشِيبَ على الصِّبَا ... وقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِع!

إن شئت فتحت، وإن شـئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غـير متمكن. وكذلك قولهم: «يَوْمـئذ»، تقول: عجبت من يومِ عبـد الله، لا يكون غيره، فإذا أضـفـتَـهُ إلـى «إذ»، فــإن شـئـت فتـحت على مـا ذكرت لك فى «حـين»، وإن شئت خفضتَ، لِمَا كـان يستحقه اليومُ من التَّمكُّن قبـل الإضافة. تقرأ إن شئت:

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾(١)، وإن شئت: ﴿مِنْ عذابِ يَوْمَئِذٍ﴾ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال: سير بزيد يَوْمَئِذٍ، فأعربته في موضع الرفع، كما فعلت به في الخفض، ومن قال: ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ فبناه قال: سِيرَ بزيدٍ يَومَئذ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنيّ، كما تقول: دُفِعَ إلى زيد خمسة عَشَرَ دِرْهَمًا، وكما قال عز وجل: ﴿عليها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(٢).

وأما قوله:

* فَنَدْلاً زُرَيْقُ المَالَ نَدْلَ الثعالب *

فـزُرَيْقٌ قَبيلة. وقوله «نَدْلاً» مصدر، يقول: انْدُلِي نَدْلاً يا زُرَيْق المالَ، والنَّدْلُ: أن تَجْذِبَهُ جَذْبًا، يقال: نَدَلَ الرجلُ الدَّلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجْذِبُها مملوءة من البئر، فنصَب «نَدْلاً» بفعل مضمر وهو «انْدُلِي». وهذا في الأمر، تقول: ضَرْبًا زيدًا، وشَتْمًا عبدَ الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعلُ فيه أقوى، فلذلك أضمرته، ودلّ المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبرًا لم يجز فيه الإضمارُ؛ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا لقيتم الّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾(٣). فكان في موضع «اضْرِبوا»، حتى كأن القائل قال: فاضْرِبوا، ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضًا في قوله: ﴿حتى إذا أَثْخَنْتُموهُم فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾، ولو نَوَّنَ مُنَوِّنٌ في غير القرآن لَنَصَبَ «الرقاب»، وكذلك كل موضع هو بالفعل أَوْلَى.

وقوله: «ندل الثعالب» يريد سرعةَ الثعالب، يقال في المَثَلِ: «أَكْسَبُ من ثَعْلَبٍ».

وأما قول نُصَيْبٍ:

* ولَوْ سكتوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ *

---

(١) المعارج ١١ .
(٢) المدثر ٣٠.
(٣) محمد ٤ .

فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفْدِه، فقد أَثْنَتْ عليه الحقائب من قبل أن يقولوا، وأما قول الأعْشَى:

وإنَّ عِتَاقَ العيسِ سَوْفَ تزُورُكُمْ ثَنَاء عَلى أعَجْازِهِنَّ مُعَلَّقُ(١)

فإنما أراد المدح الذى يُحْدَيْنَ به، والحادى من ورائها، كما أن الهادى أمامها.

وأما قول أبى وَجْزَةَ السعدىّ:

رَاحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حَقِيبَتِها ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنَى ولا السَّدَدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقًا، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقًا.

[حديث أبى وجزة وأبى زيد الأسلمى]

وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُّلَمِىَّ، المعروف بالسَّعْدِىَّ لنزوله فيهم، ومحالفته إياهم، كان شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ، وشَخَصَ أبو زيد الأسلمىُّ يريد إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ - وهو والى المدينة - فاصْطَحَبا، فقال أبو وجزة: هَلُمَّ فلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه، فقال أبو زيد الأسلمىُّ: كَلاَّ، أنا أَمْدَحُ الملوك، وأنت تمدح السُّوَق(٢)، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده:

* يَا بْنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الْكِرَامِ *

فقال إبراهيم: وإنما أنا أخوهم، وكأنِّى لَسْتُ منهم! ثم أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بالسياط.

وامْتَدَحَ أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيْرِ، فكتبوا إليه بستين وَسْقًا من تمر، وقالوا: هى لك عندنا فى كل سنة، فانْصَرَفا، فقال أبو زيد:

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى حَدِيثًا فَلَمْ تَهمُمْ بِأَنْ تَتَزَعْزَعَا

نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى وحَلَّبَتِ الأَيَّامَ وَالْدَّهْرَ أَضْرُعا

---

(١) عتاق العيس: نجائب الإبل البيض فى شقرة يسيرة.

(٢) السوق: جمع السوقة، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان.

سَقَاها ذَوُو الأرْحَامِ سَجْلاً عَلَى الظَّما وَقَـدْ كَـرَبَتْ أَعْنَاقُـهـا أن تَقَطَّعـا
بِفَضْلِ سِجالٍ لَوْ سَـقَوْا مَنْ مَشَى بِهَا عَلَى الأرْضِ أَرْوَاهُمْ جميعًا وَأَشْبَعا
فَـضَمَّتْ بِأَيْدِيهَـا عَلَى فَـضْلِ مَائِهَـا مِنَ الرِّيِّ لَمَّـا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعـا
وَزَهَّدَهَا أنْ تَفْـعَلَ الْخَـيْـرَ فى الغِنَى مُقَـاسَاتُهَـا مِنْ قَبْلِهِ الفَـقْرَ جُـوَّعَا

وقال أبو وجزة:

رَاحَتْ رَواحًـا قَلوصِى وَهْى حَامِـدَةٌ آلَ الزُّبَيْـرِ ولَمْ تَعْـدِلْ بِهِـمْ أَحَـدًا
رَاحَت بِسِـتِّينَ وَسْـقًا فى حَـقِيـبَتِـهَا مَا حَمَلَتْ حَمْلَهَا الأَدْنَى وَلاَ السَّدَدَا
مَـا إنْ رَأَيْتُ قَلُوصًـا قَبْلَهَـا حَـمَلَتْ سِـتِّيـنَ وَسْقًـا ولاَ جَـابَتْ بِهِ بَلَدَا
ذَاكَ الْقِـرَى، لاَ قِـرَى قَـوْمٍ رَأَيْتُـهُمُ يَقْـرُونَ ضَـيْـفَـهُمُ المَلْوِيَّةَ الْجُـددَا

أما قول أبى زيد لإبراهيم:

مدحتُ عروقًا للندى مضت الثرى حديثًا. . .

فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه محمدًا إنما تَطَعَّما بالعيش، ودخلا فى النِّعمة، وخرجا من حدّ السُّوق إلى حدّ الملوك حديثًا، وذلك بهشام بن عبد الملك؛ لأنهما كانَا خالَيْه، وإنّما ولاَّهَما عن خُمُول.

وقوله: «فلم تهمم بأن تتزعزعا»، فإنما هذا مَثَلٌ: يقال: فلان يَهْتَزُّ للنَّدَى، ويرتاح لفعل الخير، كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْـتَزُّ للنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عند أمْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرُور لفعل الخير.

[لأبى رباط فى ابنه]

قال أبو العباس: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ لأبى رِباطٍ، يقول لابنه:

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِيـنَ تَمَّ شَـبَـابُهُ وَوَلَّى شَبَابِى لَيْسَ فى بِرِّهِ عَتْبُ(١)

---

(١) أى بر خالص لا عتب فيه ولا لوم.

إِذَا كَـانَ أَوْلادُ الرِّجَـالِ مَـرَارَةً فَأَنْتَ الْحَلالُ الحُلْوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
لَنَا جَـانِبٌ مِنْهُ أَنِيقٌ وَجَـانِبٌ شَدِيدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ مَـرْكَبُهُ صَعْبُ
وَتَأْخُـذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِـزَّةٌ
كَمَـا اهْـتَزَّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرَّطْبُ(١)

[أعرابي عند عمر بن هبيرة]

قال: وحدثنى علىّ بن عبد الله قال: حدثنى العُتْبىُّ قال: أشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِىُّ من قصره يومًا فإذا هو بأعرابىّ يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الآلُ(٢)، فقال لحاجبه: إن أرادنى هذا فَأَوْصِلْهُ إلىَّ، فلما دنا الأعرابىُّ سأله فقال: قصدتُ الأمير. فأدْخَلَهُ إليه، فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر: ما خَطْبُكَ؟ فقال الأعرابىُّ:

أَصْلَحَكَ اللهُ، قَلَّ مَـا بِيَـدِى فَـمَـا أُطِيقُ الْعِـيَـالَ إِذْ كَـثُـرُوا
أَلَـحَّ دَهْـرٌ أَنْحَـى بِـكَـلْكَـلِـهِ فَـأَرْسَلُونِى إِلَيْـكَ وَانْتَـظَرُوا
رَجَـوْكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُـونَ لَهُمْ غَـيْثَ سَحَـابٍ إِنْ خَـانَهُمْ مَطَر

قال: فأخذتْ عمرَ الأرْيَحيّة، فَجَعَلَ يَهتَزُّ فى مجلسه، ثم قال: أرسلوك إلَىَّ وانتظروا؟ إذًا والله لا تجلسُ حتى ترجِعَ إليهم غانمًا، فَأَمَرَ له بألف دينار وردَّهُ على بعيره.

قال أبو العباس: وحدثنى أبو إسحاق القاضى إسماعيل بن إسحاق أن الخبر لِمَعْنِ بن زائدة، وصحَّ ذلك عندى.

* * *

وقوله: «نقائذ بؤس(٣)» واحدتها نَقيذَة. وتأويله أنهم أُنْقذُوا من بُؤْسٍ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد، تقول: هذا نَقيـذةُ بُؤْسٍ، تقع الهاء للمبالغة؛ لأن أصله كالمصدر، كقولك: زيد مَكْرُمَةٌ لأهله، وزيد كـريمة قـومه، أى يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة، والخَصْلَة الكريمة.

(١) البارح: الريح.
(٢) الآل: ما تراه فى الضحى بين السماء والأرض.
(٣) من كلمة أبى زيد الأسلمى ص ١٨٨.

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ أَكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلىَّ لما وَرَدَ عليه، فبسط له رِداءه، وعَمَّمَهُ بيده، وقال له: «إذا أتاكم كَرِيمةُ قومٍ فأَكْرِموهُ». هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث.

وقد قال ﷺ قبل ورُوده عليه: «يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَن، عليه مَسْحَة مَلِك».

[لصخر بن عمرو الشريد]

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّريد، يعنى معاويةَ أخاه، وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابْنا حَرْمَلَةَ المُرِّيَّانِ من غطفان، فقيل لصخر: اهْجُهُمْ، فقال: ما بينى وبينهم أَقْذَعُ من الهِجاء، ولو لم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْنًا لنفسى عن الخَنَا لفعلت ثم قال:

وعَاذلةٍ هبّتْ بلَيْلٍ تَلومُنى ... ألاَ لاَ تَلُومِينِى كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا
تَقُولُ: ألاَ تَهْجُو فَوَارِسَ هاشِمٍ ... وَمَالِىَ إذْ أَهْجُوهُمُ ثُمَّ مَالِيَا!
أَبَى الشَّتْمِ أَنِّى قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِى ... وَأَنْ لَيْسَ إهْدَاءُ الخَنَا مِنْ شِمَالِيا(١)

وتقول العرب للرجل: راوية ونَسَّابَةٌ؛ فتزيد الهاء للمبَالغة، وكذلك عَلاَمَة؛ وقد تلزمُ الهاءُ فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد، نحو رَبْعَة ويَفَعَة وصَرورة(٢). وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه، فأما راوية وعلامة ونسَّابة فحذفُ الهاء جائزٌ فيه، ولا يَبْلُغُ فى المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاء.

* * *

---

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرةً ... وحييتُ رِسمًا عند لثة ثَاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحيةً ... فحياك ربُّ العرش عنى مُعاويا!
وهوّن وجدى أننى لم أقلْ له ... كذبتَ، ولم أبخل عليه بماليا

قال الأخفش: وأنشدنى الأحولُ:

* ومالىَ أن أهجوهمُ ثم ماليا *

(٢) رجُل ربعة: بين الطول والقصر. ويفعة: شارف الاحتلام، والصرورة: الرجل الذى لم يحج ولم يتزوج، وأصله من الحبس.

وقوله(١):

* وَحَلَّبَتِ الأَيَّامَ وَالْدَّهْرَ أَضْرُعَا *

فإنه مَثَلٌ، يقال للرجل المجرِّب للأمور: فلان قد حَلَبَ الدَّهْرَ أشْطرَه، أي قد قاسى الشِّدَّةَ والرَّخاء، وتَصرَّفَ في الفقر والغِنى، كما قال القائل:

قَدْ عِشْتُ فى النَّاسِ أطْوَارا عَلَى طُرُقٍ شَتَّى، وَقَاسَيْتُ فِيها اللِّينَ والْفَظعَا
كلاًّ بَلَوْت، فَلاَ النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِى وَلا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأَوائِهَا جَزَعا
لا يَمْلأُ الْهَوْلُ صَدْرِى قَبْلَ مَوْقِعِهِ وَلاَ أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ومعنى قوله: «أَشْطُرَه» فإنما يريد خُلوفَهُ، يقال: حَلَبْتُهَا شَطْرًا بعد شَطرٍ: وأصل هذا من التَّنَصُّف، لأن كل خِلْفٍ عَدِيلٌ لصاحبه. وللشّطرِ وجهان فى كلام العرب، فأحدهما النصف كما ذكرنا، من ذلك قولهم: شاطَرْتُكَ مالى، والوجه الآخر القَصْدُ، يقال: خُذْ شَطْرَ زَيد، أى قَصدَه، قال الله عز وجل: **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ﴾**، أى قَصده، **﴿وَحَيْثُما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه﴾**(٢).

قال أبو العباس، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبيدة قولَ الشاعر:

إنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُور

يريد ناحيتها وقصدَها، والعَسير: التى تَعْسرُ بِذَنَبِها إذا حَمَلَتْ، أى تشيلُهُ وترفعه، ومنه سمى الذَّنَبُ عَوْسَرًا، أى تضرب بذنبها. ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدِهَا وسُوء حالها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تَحْسرَ العينان. والحَسير: المُعيِى، وفى القرآن: **﴿يَنْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسِئًا وهو حَسِيرٌ﴾**(٣).

وقوله:

* سقَاهَا ذَوُو الأَرْحَامِ سَجْلا عَلَى الظَّمَا *

---

(١) انظر ص ١٨٨.
(٢) سورة البقرة ١٤٤.
(٣) سورة الملك ٤.

فالسَّجْلُ فى الأصل الدَّلْوُ، وإنما ضربه مَثَلاً لما فاضَ عليها من ندَى أقاربها، يقال للدلو ـ وهى مؤنثة: سَجْلٌ وذَنُوبٌ، وهما مُذَكَّران، والغَرْبُ مذكر، وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يُسَاجِلُ فلانا، أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر، وأصل المُساجلة أن يَسْتَقِىَ سَاقيان، فيُخْرِجُ كلُّ واحد منهما فى سَجْلِه مثل ما يُخْرِجِ الآخَرُ، فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلِب، فضربتْه العرب مثلاً للمفاخرة والمساماة. وبَيَّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهَبٍ فى قوله:

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ ماجِدًا ... يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرَبْ

ويقال: إن الفَرَزْدق مَرّ بالفَضْل وهو يَسْتَقى، ويُنْشدُ هذا الشعر، فَسَرَا الفرزدَقُ ثيابه عنده، ثم قال: أنا أُساجِلُكَ ـ ثِقَةً منه بنَسبه ـ فقيل له: هذا الفَضْلُ ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب. فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال: ما يُساجلك إلا مَنْ عَضَّ بأيْر أبيه!

يقال: سَرَا ثوبَهُ ونَضَا ثوبه فى معنى واحد، إذا نزعه، ويقال: سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلا، وأنشد:

* سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى[١] *

وسَرَى هَمُّهُ إذا ذهب عنه. والمواضخَةُ مثل المُساجلة، قال العَجَّاجْ:

* تُوَاضِخُ التَّقْرِيبَ قِلْوا مِخْلَجًا *

أى تُخْرِجُ من العَدْوِ مثل ما يُخْرِجُ، قال الله عز وجل على مَخْرَجِ كلام العرب وأمثالهم: ﴿**فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ**﴾[٢]. وأصل الذَّنوب الدلْوُ كما ذكرت لك.

وقال عَلْقمةُ بن عَبَدَة للحارث بن أبى شمْر الغَسَّانىّ: ـ [قال أبو الحسن: غير أبى العباس يقول شِمْرٌ، وبعضهم يقول شَمِرٌ] ـ وكان أخوه أسيرا عنده، وهو

(١) بقية البيت كما فى زيادات ر:

* وغار النجم إلاّ قيدَ؟ *

وفيها: «البيت لعروة بن أذينة الليثى شيخ مالك بن أنس».

(٢) سورة الذاريات ٥٩.

شَأْسُ بن عَبَدَةَ أَسَرَهُ فى وقعة عين أُباغ. [قال أبو الحسن: غيره يقول إباغ، بالكسر] - فى الوقعة التى كانت بينه وبين المُنْذِرِ بن ماء السّماء، فى كلمةٍ له مَدَحه فيها:

وَفى كلِّ حَيٍّ قدْ خَبَطْتَ بِنعْمةٍ   فَحُقَّ لَشَأْسٍ مِنْ نداكَ ذَنُوبُ

فقال المَلِكُ: نعم وأَذْنِبَةٌ.

وقوله:

* وقد كَرَبَتْ أعنَاقُها أن تَقَطَّعا *

يقول: سُقِيَتْ هذا السَّجْلَ وقد دَنَتْ أعناقُها من أن تَقَطَّعَ عطشًا، وكَرَبَ فى معنى المُقاربةِ، يقال: كاد يفعلُ ذلك، وجَعَلَ يفعل ذلك، وكَرَبَ يفعلُ ذلك، أى دنا من ذلك. ويقال: جاء زَيد والخَيْلُ كارِبَتُهُ، أى قد دَنَتْ منه وقَرُبَتْ، فأما أَخَذَ يفعلُ، وجَعَلَ يفعلُ، فمعناهما أنه قد صار يفعل، ولا تقع بعد واحدة منهما: «أن» إلا أن يُضْطَرَّ شاعرٌ، قال اللّٰه عز وجل: ﴿إذَا أَخْرَجَ يدَهُ لَمْ يكَدْ يَراهَا﴾(١) أى لم يَقْرُبْ من رؤيتها، وإيضاحه: لم يَرَها ولم يكدْ، وكذلك: ﴿يكَادُ سَنَا بَرْقه يذْهَبُ بالأَبْصَار﴾(٢)، وكذلك: ﴿كَادَ يَزيغُ قُلُوبُ فَريق منْهُمْ﴾(٣) بغير «أَنْ». ومن أمثال العرب: كادَ النَّعامُ يطير، وكاد العَرُوس يكون أميرًا، وكاد المُنْتعِلُ يكون راكبًا، وقد اضْطرَّ الشاعرُ فأَدْخَلَ «أن» بعد «كاد»، كما أدخلها هذا بعد «كَرَبَ» فقال:

* وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

وقال رُؤْبَة:

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا(٤) *

---

(١) سورة النور ٤٠.

(٢) سورة النور ٤٣.

(٣) سورة التوبة ١١٧.

(٤) يمصح: يدرس.

فكاد بمنزلة كَرَبَ فى الإِعْمَال والمعنى، قال الشاعر:

أَغِـثْنِى غِيَـاثًا يَا سُلَيْمَـانُ إِنَّنِى سَبَقْتُ إِلَيْكَ المَوْتَ، وَالمَوْتُ كَارِبِى
خَـشِيَّـةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِـيرٍ مُـسَلَّطٍ وَرَهْطِى، وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الأَقَارِبِ!

وقوله: «لَمَّا أَوْشكتْ أَنْ تَضَلَّعَـا»: يقول: لما قاربَتْ ذلك، والوَشِـيكُ القريب من الشيء والسـريع إليه، يقـال: يُوشِكُ فلانٌ أن يفـعل كذا وكـذا، والماضى منه أوْشَكَ، ووقعتْ بأن وهو أجـود، وبغير «أنْ» كـما كان ذلـك فى «لَعَلَّ»، تقول: لَعَلَّ زيدًا يقوم، فهذه الجَـيِّدةُ، قال الله عزّ وجل: ﴿**لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُون قريبًا**﴾[١]، و﴿**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[٢]، و﴿**لَعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْـدَ ذلكَ أَمْرًا**﴾[٣]. وقال مُتَمِّمُ ابن نُوَيْرَةَ:

لَعَلَّـكَ يَوْمًـا أَنْ تُلِمَّ مُـلِمَّـةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللائى يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

وعَسَى، الأجودُ فيـها أن تستَعمَلَ بأنْ، كقولك: عـسى زيد أن يقوم، كما قال الله عزّ وجل: ﴿**فَعَسَى اللهُ أَنْ يأتِىَ بالفَتْحِ**﴾[٤]؛ وقال جَلَّ ثناؤه ﴿**عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[٥]، ويجوز طَرْحُ «أَنْ» وليس بالوجه الجيد، وقال هُدْبَةُ:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِى أَمْسَيْت فِيهِ يَكُـونُ وَرَاءَهُ فَـــرَجٌ قَـــرِيبُ

وقال آخر[٦]:

عَسَى اللهُ يُغْنِى عَنْ بِلاَدِ ابن قَادِرٍ بِمُنْهَـمِـرٍ جَـوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ

وحروف المقَارَبَة لها باب قد ذكرناها فيه على مـقاييسها فى الكتاب المُقتَضَبِ بغاية الاستقصاء.

---

(١) سورة الأحزاب ٦٣.
(٢) سورة طه ٤٤.
(٣) سورة الطلاق ١.
(٤) سورة المائدة ٥٢.
(٥) سورة التوبة ١٠٢.
(٦) هو سماعة بن أشول النعامى.

وقوله: «أن تَضَلَّعَا»، معناه أن تمتلئ، وأصله أن الطعام والشراب يَبْلُغان الأضلاعَ فيَكُظَّانِها[1] كذلك قال الأصمعىّ فى قولهم: أَكَلَ حتى تَضَلَّعَ.

وأما قول أبى وَجْزَة: «راحتْ بستِّين وَسْقَا» فالوَسْقُ خمسة أَقفزة بمُلْجَم[2] الْبَصْرةِ، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «ليس فيما دونَ خَمْسةِ أَوْسُقٍ صدَقَة»، فما كان أقل من خمسة وعشرين قفيزا بالقَفِيزِ الذى وصفنا، وهو نصف القفيز البَغْدَادىِّ فى أرض الصدقة فَلاَ صدقة فيه، وإنما أراد: أنه أَخَذَ الكتابَ بهذه الأوْسُقِ، فلذلك قال:

مَا إنْ رأَيْتُ قُلوصًا قَبْلَهَا حَملَتْ ... ستِّينَ وَسْقًا ولاَ جَابَتْ به بَلَدَا

وأما قوله:

* يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا *

فإنما أراد السياط، وجمع جَديد جُدُدٌ، وكذلك باب «فَعيلٍ» الذى هو اسْم، أو مضارع للاسم، نحو قَضيب وقُضُب، ورَغيف ورُغُف، وكذلك سَرِيرٌ وسُرُرٌ وجَديدٌ وجُدُدٌ، لأنه يَجْرِى مَجْرَى الأسماء، وجَرِيرٌ وجُرُرٌ. فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَلَ من ضمته فتحة لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ، والفتحة أَخَفُّ من الضمة، فيجوز لمن يُمالُ إليها اسْتخفافًا، فيقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ، ولا يجوز هذا فى مثل قَضيب لأنه ليس بمضاعَف، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿عَلَى سُرَرٍ مَوْضونَة﴾[3]، ويقال للسوط الأَصْبَحِىُّ، يُنْسَبُ إلى ذى أَصْبَحَ الْحِمْيَرِىِّ، وكان أوّلَ منَ اتخذ هذه السِّياطَ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ، ويقال له: العِرْفاصُ والقطيعُ. وقال الشَّمَّاخ:

* تكَادُ تَطِيرُ مَنْ رَأْىِ الْقَطِيعِ *

وقال الصَّلَتانُ العَبْدىُّ:

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا ... وَقَدْ زِيدَ فى سَوْطِهَا الأصْبَحِىُّ

(١) من الكظة.

(٢) مكيال لأهل البصرة.

(٣) سورة الواقعة ١٥.

وقال الراعى:

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بِالأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولا

وقال الراجز:

* حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ الْعِرْفاصِ *

وقوله: «وَلاَ جَابتْ به بَلَدَا»، يقول: ولا قَطَعَتْ به، يقال: جُبْتُ البلاد، وقال اللّٰه عزّ وجل: ﴿وَثَمُودَ الّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بالْوَادِ﴾(١). ويقال: رجل جَوَّابٌ جَوَّالٌ. وأَنْشَدَنى علىٌّ بن عبد اللّٰه، قال: أنشدنى القَحْذَمِّى:

مَا مَنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ ... خَمْسُونَ بِالمَعْذُورِ بِالْجَهْلِ

فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ ... تَرَكَ الصِّبَا وَمَشى عَلَى رِسْلَ

وأَمَرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلا من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مَحْكان السَّعْدِىِّ، فقال مُرَّةُ فى ذلك:

بَنِى أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِى تُحَارِبُوا ... تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَّتِ

وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَىَّ حَبِيبَةً ... بِبَاكٍ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

قوله: «إذا الحرب العوان»، فهى التى تكون بعد حَرْبٍ قد كانت قبلها، وكذلك أصل العوان فى المرأة إنما هى التى قد تزوجت، ثم عاودتْ فخرجتْ عن حدِّ البِكْرِ، وقول اللّٰه عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿لاَ فارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ﴾(٢) هو تمام الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذلك﴾. والفارض: هاهنا المسنَّة، والبِكْرُ: الصغيرة، ويقال: لَهَاةٌ فارضٌ أى واسعة، وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الْوَتَرِ، وكل حَزٍّ فَرْضٌ، والْفُرْضة مُتَطَرَّقٌ إلى النَّهْرِ: قال الراجز:

* لَهَا زِجاجٌ وَلَهَاةٌ فارِضُ *

وقوله: «اشْمَعَلَّتْ»، إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ، قال الشّماخُ:

---

(١) سورة الفجر ٩.

(٢) سورة البقرة ٦٨.

رُبَّ ابْنِ عَمٍ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ أَرْوَعَ فى السَّفَرِ وَفى الحَىِّ غَزِلْ
طَبَّاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ

وقوله:

ولَسْت وإن كانتْ إلىّ حبيبة بباكٍ على الدنيا . . . .

إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بباكٍ على الدنيا وإن كَانت إلىَّ حبيبةً، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضْمِرَ قبل الذِّكْرِ، ومثله:

إنْ تَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلاتِهِ هَرِمًا تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

وكذلك قول حَسَّان بن ثابت:

قدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَسِبًا فى بُرْثُنِ الأسَدِ

يقول: من كنتُ واحده قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ، وكذلك قوله:

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحَدْجٍ جَمَلاَ

يقول: ركبت هند بِحِدْجٍ جَمَلاً فى شَرِّ يَوْمَيْهَا.

* * *

وقال رجل من مُزَيْنَةَ:

خَلِيلَىَّ بِالْبَوْبَاةِ عُوجَا فَلاَ أَرَى بِهَا مَنْزِلاً إلاَ جَدِيبَ المقيّدِ
نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنَا تِهَامَةُ فى حَمَّامِهَا المتَوَقِّدِ

قوله: «بالبوباة»، فهى المُتَّسَعُ من الأرض: وبعضهم يقول: هى المَوْمَاةُ بعينها، قلبت الميم باء لأنهما من الشَّفَةِ، ومثلُ ذلك كثير، يقولون: ما اسْمُكَ وبَا اسْمكَ؟ ويقولون: ضَرْبَةُ لازمٍ ولازِبٍ، ويقولون: هذا ظَأْمِى وظَأْبِى: يَعْنون السِّلْفَ - [قال أبوالحسن: الجيِّدُ سَلَفٌ، وما قال ليس بممتنع] - ويقولون: زُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكْمَةُ سَوْءٍ: أى وَلَدُ سَوْءٍ، ويقولون: عَجْمُ الذَّنَبِ وعَجْبُ الذَّنَبِ، ويقولون: رجل أخْرَمُ وأخْرَبُ، وهذا كثير. وقال عُمَرُ بن أبى ربيعة:

عُوجا نُحَيِّى الطَّلَلَ المُحْوِلاَ   والرَّبْعَ مِنْ أَسْمَاءَ والمَنْزِلا
بجَانبِ الْبَوْبَاةِ لَمْ يَعْدُهُ   تَقَادُمُ الْعَهْدِ بأَنْ يُؤْهَلا

وقوله: «إلا جَديبَ المقيَّد»، يقال: بلد جَدْبٌ وجَديبٌ، وخَصْبٌ وخَصيبٌ، والأصل فى النعت خَصيبٌ ومُخصِبٌ، وجَديبٌ ومُجْدِبٌ، والخِصْبُ والجَدْبُ إنما هما ما حلّ فيه، وقيل: خَصيبٌ وأنت تريد مُخْصِبٌ، وجَديبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ، كقولك: عذاب أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ، قال ذوالرُّمة.

وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلاَت   يَصُكُّ وَجُوهَهَا وَهجٌ أَليمُ

ويقال: رجل سَميع، أى مُسْمِعٌ، قال عَمْرُو بن مَعدى كرب:

أمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ   يُؤرِقنِى وأَصْحَابِى هُجُوعُ

وأما قوله: «المُقيَّدُ» فهو موضع التقييد، وكل مَصْدَر زيدتِ الميمُ فى أوله إذَا جاوَزَت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المَفْعول، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم والمكان، تقول: أَدْخَلْتُ زيدًا مُدْخَلاً كريمًا. وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحًا حَسَنًا، واستخرجتُ الشيء مَسْتَخْرَجًا، قال جَرير:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِىَ الْقَوَافِى   فَلاَ عِيًّا بِهِنَ وَلاَ اْجْتِلاَبَا

أى تَسْريحى، وقال عز وجل: ﴿وَقُل رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبارَكًا﴾(١)، ويقال: قمتُ مَقامًا، وأقَمْتُ مُقامًا، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقاما﴾(٢) أى موضع إقامة، وقال الشاعر(٣):

وَمَا هِىَ إلاَ فى إزَارٍ وَعِلْقَةٍ   مُغَارَ اْبْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَىِّ خَثْعَمَا

يريد زمنَ إغارة اْبن هَمَّام.

(١) سورة المؤمنون ٢٩.
(٢) سورة الفرقان ٦٦.
(٣) فى زيادات ر قبل هذا البيت:
تطول القصار والطوال يَطلْنَها   فمن يرها لا ينسها ما تكلَّما
وفيها نسبة البيتين إلى حميد بن ثور، وقد حقق العلامة المرصفى نسبتهما إلى الطماح بن عامر (وانظر رغبة الآمل).

وأما قوله: «نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ»، فذاك لأن نَجْدًا مرتـفعةٌ وتِهامةُ غَوْرٌ منخفض، فنَجْدٌ باردة.

ويروى عن الأَصْمعىّ أنه قال: هَجَمَ علىَّ شهرُ رمضان وأَنا بمكة. فخرجتُ إلى الطائف لأَصُـومَ بها هَرَبًا من حَـرّ مكة فلقـينى أعرابىّ فـقلت له: أين تريد؟ فقـال: أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشـهر المبارك فـيه. فقلت: أمـا تخاف الحرّ؟ فقال: من الحرِّ أفِرّ.

وهذا الكلام نظير كلام الرَّبيع بن خُثَـيْمٍ، فإن رجلا قال له ـ وقد صلّى ليلةً حتى أصبح ـ أتْعَبْتَ نفسك، فقال: راحتَها أطلبُ: إنَّ أَفْرَهَ العَبيد أَكْيَسُهُمْ.

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلّبِ ـ ونظر إليه رجل واقفًا بباب المنصور فى الشمس ـ فـقال: قد طال وُقوفك فى الشمس! فقال رَوْحٌ: لِيَطول وقوفى فى الظل.

ومثله من الشعر قوله: [قال أبو الحسن: هو عُرْوَةُ بن الْوَرْد]:

تَقُولُ سُلَيْـمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا ... وَلَم تَـدْرِ أَنِّـى لِلْمُـقَـامِ أُطَـوِّف
لعَلَّ الّذِى خَـوّفْـتِـنَا مِنْ وَرَائِنَا ... سَـيُدْرِكُـهُ مِنْ بَعْـدِنَا المتَـخَلِّفُ

ويروى: «لَسَرَّنا».

وقال آخر:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّار مِنكمْ لتَقْرُبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الْدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

وهذا معنى كثير حسن جميل.

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائىُّ:

أَآلِفَـةَ الـنَّحِـيبِ كَمِ افْـتِـرَاقٍ ... أَجَـدَّ فَكَانَ دَاعِـيَـةَ اجْـتِـمَـاعِ
وَلَيْـسَتْ فَـرْحَـةُ الأَوْبَاتِ إِلا ... لِموَقُـــوفٍ عَلَى تَـرَحِ الْوَدَاعِ

وقال رجل ـ واْعتَلَّ فى غُرْبَة فتَذكرَ أهله:

لَوْ أَنّ سَلْمَى أَبصَـرَتْ تَخَـدُّدِى ... وَدِقَّـةً فى عَظْـمِ سَـاقِى وَيَدِى
وَبُعْـدَ أَهْلِـى وَجَـفَـاءَ عُـوَّدِى ... عَضَّتْ مِنَ الْوَجْـدِ بِأطْرَافِ اليَدِ

قوله: «أبصرت تخدُّدى»، يريد ما حَدَث فى جسمه من النُّحول، وأصل الخَدّ ما شَقَقْتَهُ فى الأرض، قال الشَّمَّاخُ:

فَقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِمَاحِكُمْ   بطَامِسَةِ الأعْلامِ خَفَّاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ: قد تَخَدّدَ، يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُهُ، وقال الله عزَّ وجل: ﴿قتل أَصْحَابُ الأَخْدُودِ﴾[١]، وقيل فى التفسير: هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ فى الأرض، وأشعلوا فيها نِيرانًا فَحَرَقوا بها المؤمنين.

وقوله:

* عَضَّتْ من الْوَجْدِ بأطراف اليد *

فإن الحَزين، والمغَيظ، والنادمَ، والمُتَأَسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعه جَزَعًا، قال الله عز وجل: ﴿عضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَاملَ منَ الْغَيْظ﴾[٢].

وفى مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحم الشيخ، يقول القائل[٣]:

يَا مَنْ لِشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ   أَفْنَى ثَلاثَ عَمَائِمٍ أَلْوَانَا[٤]
سَوْدَاءَ حَالِكَةً وَسَحْق مُفَوَّفٍ   وَأَجَدَّ لَوْنًا بَعْدَ ذَاكَ هِجَانَا
صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتلافِ فُنُونِهِ   فَأَرَاهُ مِنْهُ كَرَاهَةً وَهَوَانَا
قَصَرَ اللَّيَالِى خَطْوَهُ فَتَدَانَى   وَحَنَوْنَ قَائِمَ صُلْبِهِ فَتَحَانَى
وَالمَوْتُ يَأْتِى بَعْدَ ذلِكَ كُلِّهِ   وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا

قوله:

* أفنى ثلاثَ عمائم ألوانا *

(١) سورة البروج ٤.
(٢) سورة آل عمران ١١٩.
(٣) قوله فى زيادات ر:
ذهبَ الشباب فلا شباب جُمانا   وكأن ما قد كان لم يك كانا
وطويت كفّى يا جمانُ على العصا   وكفى جمانَ بطيها حدثانا
(٤) زيادات ر: «ألوانا: صفة لثلاث على المعنى، كأن قال: مختلفات».

يعنى أن شعره كان أسود ،ثم حَدَثَ فيه شيب مع السواد،فذلك قوله: مُفوف، والتَّفْويفُ: التنقيش، وإنما أخذ من الفوف، وهى النكتة البيضاء التى تَحْدُثُ فى أظفار الأحْداث، وسميت بذلك لشَبَهها بشجرة يقال لها الفُوفَةُ وجمعها فوفٌ، والسّحْقُ: الخَلَقُ، يقال عنده: سَحْقُ ثوبٍ، وجَرْدُ ثَوْبٍ، وسَمْل ثوبٍ.

وقوله: أَجَدَّ أى استَجَدَّ لَونا، والهجان الأبيضُ، وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شَمِلَهُ الشيب.

باب

[من أمثال العرب]

قال أبو العباس: من أمثال العرب: لم يَذهَبْ من مالك ما وعَظك.

يقول: إذا ذهب من مالك شيء: فَحَذّرَكَ أن يَحُلَّ بك مِثْلُه، فتأديبهُ إياكَ عوَضٌ من ذَهابه.

ومن أمثالهم: رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثًا. وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والرَيْثُ الإبْطاءُ، وراثَ عليه أَمْرُهُ إذا تأخر.

ومن أمثال العرب: عَشِّ ولا تَغْتَرَّ. وأصل ذلك أَن يَمُرَّ صاحبُ الإبل بالأرض المكلئَة فيقول: أَدَعُ أَنْ أُعَشيِّ إبلى منها حتى أرِدَ على أخرى، ولا يَدْرِى ما الذى يَرِدُ عليه.

وقريب منه قولهم: « أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أَكيَسُ». وتأويله أن يَمُرَّ الرجل بالماء فلا يَحْمِل منه اتّكالا على ماءٍ آخر يصير إليه، فيقال له: أن تَحْمِلَ معكَ ماءً أَحْزَمُ لك، فإن أَصبتَ ماء آخر لم يضرك، فإن لم تَحْمِلْ فَخفقتَ من الماء عَطِبْتَ.

ومن أَمثالهم: «قد أحْزُمُ لو أعْزِمُ»، يقول: أعْرِفُ وجه الحَزْمِ فإن عَزَمْت فأمضيتُ الرأى فأنا حازِمٌ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعنى حَزْمى، ومثله قول النابغة الجَعْدى:

أَبَى لىّ الْبَلاءُ وَأنى امْرُؤٌ ... إذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وقال أعرابى يمدح سَوّارَ بن عبد الله:

وَأوْقَفُ عِنْدَ الأَمرِ مَا لمْ يَضِحْ لَهُ ... وَأمْضَى إذَا مَا شَك مَنْ كانَ مَاضِيَا

فالذى يُحْمَد إمْضاءُ ما تبين رُشْدُهُ، فأما الإقدام على الغَرَرِ وركوب الأمر على الخَطَرِ فليس بمحمود عند ذوى الألباب، وقد يتَحَسَّنُ بمثله الفتّاك، كما قال(١):

عَلَيْكمْ بِدَارِى فَاهْدمُوهَا فَإنَّهَا ... تُرَاثُ كَرِيمٍ لاَ يَخَافُ الْعَوَاقِبَا

---

(١) زيادات ر: «هو سعد بن ناشب المازنى، عن الرياشى وغيره».

إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَـيْنَيْـهِ عَزْمَـهُ   وأعرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَـوَاقِبِ جَانِبَا
ولَمْ يَسْتَشِرْ فِى رأْيِهِ غَـيْرَ نَفْسِهِ   ولَم يَرْضَ إلاَّ قَائِم السَّيْفَ صَاحِبَا

فهذا شأن الفُتَّاك، وقال الآخر:

غُلاَمٌ إذا مَا هَمَّ بالفَتْكِ لَمْ يُبَلْ(١)   ألاَ مَتْ قَلِيلاً أَمْ كَـثِيـرًا عَوَاذِلُهْ

وقال آخر:

وَما الْعَجْزُ إلاَ أنْ تُشَاوِرَ عَاجِزًا   وَمَا الْحَـزْمُ إلاَّ أنْ تَهُمّ فَتَفْـعَلاَ

فأما قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: مَنْ أكْثَرَ الفكْرَةَ فى العَواقب لم يَشْجُعْ، فتأويله أنه من فكَّرَ فى ظَفَرِ قرنه به، وعُلُوِّه عليه لم يُقْدِمْ وإنما كان الْحَزْمُ عند علىّ رضى الله عنه أن يَخْطُرَ أمر الدين ثم لا يُفَكّـرَ فى الموت. وقد قيل له: أتقتلُ أهل الشـام بالغداة، وتظهر بالعَشِىِّ فى إزار ورداء؟ فـقال: أبالموتِ أُخَوَّفُ؟ والله ما أبالى أسَقَطْتُ على الموت، أم سَقَطَ الموتُ علىَّ.

وقال للحسن ابنه: لا تَبْـدأْ بدعاءٍ إلى مُبارَزَةٍ فإن دُعِيتَ إليـها فأجِبْ، فإن طالبها باغ، والباغى مَصْرُوع.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ فى كسـائه وينام ناحية المسجد، فلما وَرَدَ الْمَرْزُبانُ(٢) عليه جعلوا يسألونه عنه. فيقـال: مَرَّ هاهنا آنفًا، فَيَصْغُرُ فى قلب المرْزُبان إذا رآه كبعض السّوَق، حتى أنْتهى إليه. وهو نائم فى ناحية المسجد، فقـال المَرْزُبان: هذا والله المُلْكُ الهنىء. يقول: لا يحـتاج إلى أَحْـرَاسٍ ولا عدَد. فلما جـلس عمر امـتلأ قلبُ العِلجْ منه هَيْـبةً لما رأى عنده من الجِـدِّ والاجتـهاد، وأُلْبِسَ من هَيْبَةِ التقوى.

[للكلبى وقد سأله خالد القسرى عن السؤدد]

وقال الكَلْبِىّ: قال لى خالد بن عبـد الله بن يزيد بن أَسد بن كرْزِ القَسْرِىُّ: ما تَعُدُّون السُّؤدَد؟ فـقلتُ: أما فى الجاهلية فالرِّياسة، وأمـا فى الإسلام فالولاية،

(١) أصله «يبالى»، حذفت الياء للجازم.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «المرزبان». والصواب الهرمزان، وكان صاحب تستر».

وَخَيْرٌ من ذا وذاك التَّقْوَى، فقال لى: صَدَقْتَ، كان أبى يقول: لم يُدْرك الأولُ الشّرَفَ إلا بالفعل، ولا يدركه الآخِرُ إلا بما أدركَ به الأولُ. قال: فقلتُ: صدق أبوك، ساد الأحنْف بحلمه، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبة العَشيرة له، وساد قُتَيْبَةُ بدَهائه، وساد المُهَلَّبُ بجميع هذه الخِلال، فقال لى: صدقتَ، كان أبى يقول: خير الناسِ للناس خيرهم لنفسه، وذلك أنه إذا كان كذلك اتَّقَى على نفسه من السَّرَق لئلا يُقْطَعَ، ومن القَتْل لئلا يُقادَ، ومن الزنا لئلا يُحَدَّ، فَسَلِم الناس منه باتقائه على نفسه.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرّجال، قال له عبد الملك يومًا: ما مالكَ؟ فقال: شيئان لا عيْلَةَ علىَّ معهما، الرضا من الله، والغِنى عن الناس. فلما نَهَضَ من بين يديه قيل له: هَلاَّ خَبَّرْتَه بمقدار مالكَ؟ فقال: لم يَعْدُ أن يكون قليلا فَيَحْقِرَنى، أو كثيرًا فيَحْسُدَنى.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعزّ الناسِ فليَتَّقِ ٱللهَ، ومن سَرَّهُ أن يكون أغْنَى الناسِ فليكُنْ بما فى يد ٱلله أوْثَقَ منه بما فى يده، ومَنْ سَرّهُ أن يكون أقْوَى الناسِ فليتوكل على ٱلله».

وقال علىّ بن أبى طالب رضى ٱلله عنه: «مَنْ سَرَّهُ الغنى بلا مال، والعزُّ بلا سُلْطان، والكثرة بلا عَشيرةٍ، فليَخْرُجْ من ذُلِّ معصية الله إلى عزِّ طاعته، فإنه واجد ذلك كله».

وخَطَب رسول ٱلله ﷺ ذاتَ يوم فَحمدَ ٱلله بماهو أهْلهُ ثم أَقْبَلَ على الناس، فقال: «أيها الناس إن لكم مَعالِم فانْتَهُوا إلى مَعالِمكم، وإن لكم نِهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مَخَافَتَيْن: أجَلٌ قد مضى لا يَدْرى ما ٱلله فاعِل فيه، وأجَلٌ باق لا يَدرِى ما ٱللهُ قاض فيه، فَلْيَأخُذ العبدُ من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشَّبيبة قبل الكِبر، ومن الحياة إلى المماتِ، فو الذى نفسُ محمد بِيَدِه، ما بعد الموت مِنَ مُسْتَعتَب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنةُ أو النار».

وقال رسول الله ﷺ: «أمرني ربى بتسع: الإخلاصُ فى السِّرِّ والعَلانِيَةِ، والعَدْلُ فى الغَضب والرِّضا، والقَصْدُ فى الفقر والغنى، وأن أعْفُوَ عمّن ظلمنى، وأصِلَ من قَطَعَنى، وأعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِى، وأن يكونَ نُطْقِى ذكراً، وَصَمْتِى فِكْراً، ونَظَرِى عِبْرَةً».

وحُدِّثْتُ أنه الْتَقى حكيمان، فقال أحدهما للآخر: إنى لأحِبُّكَ فى الله، فقال له الآخر: لو علمتَ منى ما أعْلَمُهُ من نفسى لأَبْغضْتَنى فى الله، فقال له صاحبُه: لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَمُهُ من نَفْسك، لكان لى فيما أعْلَمُه من نفسى شغل.

وكان مالكُ بن دِينار يقول: جاهدوا أهْوَاءَكُمْ كما تجُاهدون أعْداءكم. وكان يقول: ما أَشَدَّ فطامَ الكبير!

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أىُّ الجِهادِ أفضل؟ فقال: جِهادُكَ هَواك.

وكان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوبَ، فإنها سريعة الدثور. واقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ فإنها طُلَعَةٌ، وإنكم إلاَّ تَقْدَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شَرِّ غاية.

قوله: «حادثوا»، مَثَل، ومعناه: اجْلُوا واشْحَذوا، تقول العرب: حادَثَ فلانٌ سَيْفَهُ إذا جلاه وشحذَهُ، وقال زَيْدُ الخَيل:

وَقَدْ عَلِمتْ سَلاَمَةَ أَنَّ سَيْفِى كَرِيهٌ كلّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ
أحادِثُهُ بِصَقْلٍ كُلِ يَوْمٍ وَأَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

قوله: «أعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَال»: أى أُعَضُّهُ، يقال: عَجَمَهُ إذا عَضّهُ. والدثور: الدُّروس، يقال دَثَرَ الرَّبْعُ إذا مَحَّ[١]، ومعناه: تَعَهّدُوهَا بالفكر والذكر. وقوله: «فإنها طُلعَةٌ»، يقول كثيرة التَّشَوُّفِ والتَّنَزِّى إلى ما ليس لها، وأنشد الأَصْمعىُّ:

وَلاَ تَملَّيت[٢] مِنْ مَالٍ وَلاَ عُمرٍ إلاَّ بِمَا سرَّ[٣] نَفْسَ الحَاسِدِ الطُّلَعَةْ

(١) محت الدار: عفت ودرست، وفى س: «انمحى».
(٢) كذا فى الأصل، بكسر التاء. وفى ر: بفتح التاء، وفى الزيادات: «الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير؛ لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها فى الشعر يدعو عليها».
(٣) ر، س: «ساء».

قال: ويقــال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجـهها لِتُرِىَ حُـسْنها ثم تُخْفِيـه لتُوهِمَ الحَياءَ: خُبَأَةٌ طُلَعَة.

وكان عمــر بن عبد العَــزيز رحمه الله يقول: أيهــا الناس إنما خُلِقْتُمْ للأَبَد: ولكنكم تُنْقلون من دارٍ إلى دار. ويروى عن المَسِيحِ صلواتَ الله وسـلامه عليه أنه كان يقول: إن احتجتم إلى النَّاس فكلوا قَصْدًا وامْشوا جانبًا.

ولَمّا احْتَضِرَ قَيْسُ بن عاصمٍ قال لبنيه: يا بَنِيَّ، احفظوا عنى ثلاثًا، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منى إذا أنا متُّ فَسَوِّدوا كبارَكم، ولا تُسَوِّدوا صغاركم، فيحقرَ الناسُ كباركم، وتهونوا عليهم. وعَلَيْكُمْ بحفْظ المـالِ فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم، وإياكم والمَسْأَلةَ فإنها أخِرُ[1] كَسْبِ الرجل.

(١) ر: «أخر» بفتح الهـمزة وكسر الخاء. وفى الزيادات: بقـصر الهمزة لا غيـر، ومن رواه بالمد فقد أخطأ، ومعنى أخر أدنى.

باب

[لرجل من الأعراب يرثى رجلا منهم]

قال أبو العباس: أُنْشِدْتُ لرجل من الأعْراب يَرْثى رجلا منهم:

فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَـدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ ... وَلكِنَّهُ لَمْ يَعْـدُ أَن طَرَّ شَارِبُهْ[1]

وَقَاكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ ... يُرَى مُـقْـتِرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَـانِبُـهْ

[لحسان يوصى امرأته]

وقال آخر لامرأته[2]:

فَـإِمَّـا هَلَـكْتُ فَـلاَ تَـنْكِحِى ... ظَلُومَ الْعَـشِـيـرَةِ حَـسَّـادَهَا

يَرَى مَـجْـدَهُ ثَلْبَ أَعْـرَاضِـهَـا ... لَدَيْه، وَيُـبْـغِـضُ مَنْ سَّـادَهَا

[لصخر بن حبناء يعاتب أخاه]

وقال آخر: ـ [قال أبو الحسن: هو ليَزِيدَ بن حَبْناءَ أو لصَخْرِ بن حَبْناء، يقول لأخيه]:

لَحَـا اللهُ أكْـبَـانَا زِنَادًا وَشَـرَّنَا ... وَأَيْسَـرَنَا عَـنْ عِـرْضِ وَالِدِهِ ذَبَّا

رَأَيْتُكَ لَمَّـا نِلْتَ مَـالاً وَمَـسَّنَا ... زَمَـانٌ تُرَى فى حَدِّ أَنْيَـابِهِ شَـغْبَـا

جَـعَلْتَ لَنَا ذَنْبًـا لِـتَـمْنَعَ نَائِلاً ... فَأَمْسِكْ، وَلاَ تَجْـعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

قولـه: «أكبانَـا زنادًا» الزِّنادُ التى تقْدَحُ بهـا النار، ويقال: أوْرَى الـقادحُ إذا خرجتْ له النـارُ، وأَكْبَى إذا أَخْفَقَ منهـا: هذا أصله يُضْرَب للرجل الـذى يَنْبَعِثُ الخيرُ عن[3] يديه، ويُضْرَبُ الإكباءُ للذى يمتنعُ الخيرُ على يديه، قال الأعشى:

وَزَنْدُكَ خَـــيْـــرُ زِنَادِ الْمُـلُو ... كِ صَـادَفَ مِنْهُنَّ مَـرْخٌ عَفَـارا

وَلَوْ بِتَّ تَـقْـدَحُ فى ظُلْـمَـةٍ ... صَـفَـاةً بِنَـبْعٍ لأوْرَيْتَ نَارا[4]

---

(١) طر شاربه: طلع ونبت.

(٢) زيادات ر: «حسان بن ثابت»، والبيتان فى ديوانه ١٣٩ .

(٣) ر ، س: «على يديه».

(٤) الصفاة: الصخرة الملساء. والنبع: شجر لانار له، يريد أنه موفق فى كل أمر.

والمَرخُ والعَفار: شجر تُسرِعُ فيه النار، ومن أمثالهم: «في كلّ شَجَر نار، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفار»، واستَمْجَد: استكثَرَ، يقال: أَمْجَدْتُه سبًّا وأمْجَدْتُه ذمًّا، إذا أكثرتَ من ذلك، ومن أمثالهم: «أرْخِ يديك واسْتَرْخ، إنَّ الزّنادَ من مَرْخ».

ويقال: رجل ذو شَغْب إذا كان يَشْغَبُ على خصمه، ضربه مَثَلا للزمان الذي يَهِرُّ على أربابه، أي يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْب.

[لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

رَأيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا ... فكَشَّفَهُ التَمْحِيصُ حَتَّى بَدَا لِيَا
أَأَنْتَ أَخِي مَالَمْ تَكُنْ لِيَ حَاجَةٌ ... فَإنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لاَ أخَا لِيَا!
فَلاَ زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَمَا ... بَلَوْتُكَ في الحَاجَاتِ إلاَّ تَمَادِيَا
فَلَسْتُ بَرَاءٍ عَيْبَ ذِي الْوُدِّ كُلَّهُ ... ولاَ بَعْضَ مَا فِيهِ إذَا كنتُ رَاضِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... ولَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطَ تُبْدِي المَسَاوِيا
كِلاَنَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَه ... وَنَحْنُ إذَا مِتْنَا أشَدُّ تَغَانِيَا

قوله: «كان شيئًا ملففا»، يقول: كان أمرا مُغَطًّى. والتمحيص: الاختبار، يقال: أدخلتُ الذَّهَبَ في النار فَمَحَّصْتُهُ، أي خرج عنه ما لم يكن منه، وخَلَصَ الذهبُ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾(١)، ويقال: مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه.

وقوله:

* أَأَنْتَ أَخِي مَالَمْ تَكُنْ لِيَ حَاجَةٌ *

تقرير وليس باستفهام، ولكنَّ معناه: أني قد بَلَوْتَكَ تُظْهِرُ الإخاءَ فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئًا، وقال الله عزّ وجل: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾(٢)، إنما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو جل وعزّ العالِمُ

---

(١) سورة آل عمران ١٤١.

(٢) سورة المائدة ١١٦.

بأنّ عيسى لم يَقُلْهُ. وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب «المُقْتَضَب» مُسْتَقْصًى، ونذكر منه جملةً فى هذا الكتاب إن شاء اللّٰه تعالى.

[لعلى بن أبى طالب فى الشجاع]

وقال علىّ بن أبى طالب رحمه الله: ثلاثةٌ لا يُعْرفونَ إلا فى ثلاث، لا يُعْرَفُ الشُّجاعُ إلا فى الحَرْبِ، ولا الحَليمُ إلا عند الغَضَبِ، ولا الصَّديقُ إلا عند الحاجة.

[لعبد الله بن معاوية يمدح]

وقال عبد اللّٰه بن معاوية[1] أيضًا:

أَنَّى يَكُونُ أَخًا أوْ ذَا مُحَافَظَةَ ... مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِه مُسْتَشْعِرًا وَجِلاَ
إذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِه ... سُوءًا وَتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلاَ

[لعبد الله بن الزبير الأسدى يمدح عمرو بن عثمان بن عفان]

وقال آخر[2]:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تراخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِه ... وَلاَ مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكانَتْ قَذَى عَيْنَيه حَتَّى تَجَلَّتِ

[ما تمثل به على بن أبى طالب من الشعر حينما رأى طلحة فى القتلى]

وتمثل علىٌّ بن أبى طالب رضى اللّٰه عنه فى طَلْحَة بن عُبَيْد الله رحمه اللّٰه:

فَتَى كانَ يُدْنِيه الْغِنَى مِنْ صَدِيقِه ... إذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ[3]

(١) زيادات ر: «ذكر دعبل فى أخبار الشعراء أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى».

(٢) نسب هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهانى إلى عبد الله بن الزبير الأسدى يقولها فى عمرو بن عثمان بن عفان حينما أتاه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا، فدعا وكيله، قال: اقترض لنا مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئا، قال: فأربحهم ما شاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف، ووجه بها إليه مع تخت ثيابه، فقال فيه الأبيات. (الأغانى ١٣: ٢٣).

(٣) من أبيات لسلمة بن يزيد الجعفى، أحد الصحابة، يقولها فى رثاء أخيه قيس بن زيد؛ وقبله:

ألم تعلمى أن لست ما عشت لاقيا ... أخى إذ أتى من دون أوصاله القبرُ
وهوّن وجدى أننى سوف أغتدى ... على إثره يومًا وإن نفس الأمر

(وانظر الإصابة ٣: ١٢٠).

فَتَى لاَ يَعُدُّ المَالَ رِبًا وَلاَ تُرَى
بِهِ جَفْوَةٌ إنْ نَالَ مَالا وَلا كِبْرُ
فَتًى كَانَ يُعْطِى السَّيْفَ فى الرَّوْعِ حَقَّهُ
إذَا ثَوَّبَ الدَّاعِى، وتَشْقَى بِهِ الجُزْرُ
وَهَوَّنَ وَجْدِى أَنَّنِى سَوْفَ أَغْتَدِى
عَلَى إثْرِهِ يَوْمًا وَإنْ نَفَّسَ الْعُمْرُ

***

[قال أبو الحسن: بعضهم يقول هو للأُبَيْرِد الرِّياحِىِّ، وبعد البيت الثالث:

فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ، إمَّا تَرَكْتَنَا حَميدًا وأَوْدَى بَعْدَكَ المَجْدُ والْفَخْرُ]

[كلمة على بن أبى طالب فى طلحة حينما رآه مقتولا]

قال أبو العباس: وحدثنى التَّوَّزِىّ قال: حدثنى محمد بن عَبَّاد بن حَبيب بن المُهَلّب ـ أحْسبُه عن أبيه ـ قال: لما انقضى يوم الجَمَل خرج علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله فى ليلة ذلك اليوم: ومعه قنبَرُ بيده[1] مَشْعَلَةٌ من نار يتَصَفَّح القَتْلَى حتى وقفْ على رجلٍ ـ قال التَّوَّزىُّ فقلتُ: أهو طَلْحةُ[2]؟ قال نعم ـ فلما وقف عليه قال: أَعزِزْ عَلَيَّ أبا محمد أَنْ أراكَ مُعَفَّرًا تحت نجوم السماء وفى بطون الأوْدِية! شفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى! إلى الله أشْكُو عُجَرِى وبُجَرِى!

قوله: «مُعَفَّرًا»، أى مُلْصَقَ الوجه بالتراب، ويقال للتراب: العفَر والعفْر يقال: ما مَشى عَلَى عفْرِ التراب مثْلُ فلان.

وقوله: «إلى الله أشكو عَجرى وبُجَرى»، يقول: ما أُسِرُّ من أمرى. قال الأصمعىّ: هو[3] قولُ سَائرٌ. فى أمثال العرب: «لَقِيَ فلانٌ فلانًا فَأَبَثَّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَه».

(١) ر: «وفى يده».

(٢) أبو محمد كنية طلحة بن عبيد الله التميمى، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى رمى يوم الجمل بسهم فى ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٦، (الإصابة ٣: ٢٩٠).

(٣) ر، س: «وهو».

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب[١]:

تَدَارَكَ مَا قَبلَ الشَّبَابَ وَبَعْدَه ... حَوَادِثُ أَيَّام تَمُرُّ وَأَغْفُلُ

يَسُرُّ الْفتى طُولُ السَّلاَمَةِ وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ يَرى طُول السَّلاَمَةِ يَفْعَلُ!

يردُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر «البقاء» ضَرورة، وللشاعر إذا اُضْطُرَّ أن يَقْصُرَ الممدود، وليس له أن يَمُدَّ المقصور؛ وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاج حَذْفَها لأنها ألف زائدة، فإذا حَذَفَهَا رَدَّ الشيءَ إلى أصله، ولو مَدَّ المقصور لكان زائدا فى الشيءِ ما ليس منه، قال الشاعر ـ وهو يَزِيدُ بن عمرو بن الصَّعِق:

فَرَغْتُمْ لِتَمْرِين السِّيَاطِ وَأَنْتُمُ ... يُشَنُّ عَلَيْكمْ بِالْفِنَا كلُّ مَرْبَعِ[٢]

فقصر «الفنَاءَ»، وهو ممدود. وقال الطِّرِمَّاح:

وَأَخْرَجَ أُمُّهُ لسَوَاسِ سَلْمَى ... لِمَعْفورِ الضَّرا ضَرِمِ الجنين

قوله: «وأخْرَجَ»، يعنى رَماداً، والأَخْرَجُ الذى فى لونه سواد وبياض، يقال: نَعامة خَرجاءُ.

وقوله: «لسواس سلمى»، فإنَّ أَجَأ وسَلْمَى جَبَلا طيئ، وسَوَاسُ سَلْمى: الموضع الذى بِحَضْرَةِ سَلْمَى، يقال: هذا من سُوس فُلانٍ ومن تُوس فلان: أى من طَبْعِه. وأمُّهُ: يعنى الشجرةَ التى هى أصله.

وقوله: «لمعفور الضَّرَا»، فالضَّرَاءُ: ما واراك من شجرٍ خاصَّةً، والخَمَرُ ما واراك من شىء. والمعفور: يعنى ما سقط من النار من الزَّنْدِ.

---

(١) زيادات ر: «كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم إلا النمر بن تولب. عن ابن دريد، قال أبو حاتم: يقال: النمر، بفتح النون وتسكين الميم، ولا يقال: النمر، بفتح النون وكسر الميم».

(٢) قال المرصفى: «يهجو بنى أسد، وتمرين السياط: دلكها وتليينها بالدهان، يرميهم بأنهم أذلاء لا يصقلون السيوف ولا يشحذون الأسنة ولا يبرون النبال. وكل مربع: يريد فى كل موضع أقمتم فيه زمن الربيع».

وقوله «ضَرِم الجنين» يقـول مُشْتَعِلٌ، والجنين: مالم يَظْهَرْ بَعْـدُ، يقال للقَبْر جَنَنٌ، والجَنينُ: الذى فى بطن أمه، والمِجَنُّ: التُّـرْس لأنه يَسْتُرُ، والمجنون: المُغَطَّى العقل، وسُمّى الجنُّ جنًّا لاختـفائهم، وتُسَمَّى الدُّرُوعُ الجُنُنَ؛ لأنها تسـتر من كان فيها. وقَصَرَ «الضَّرَّاء» وهو ممدود، ومثل هذا كثير فى الشعر جداً.

وقوله: «ينوء إذا رام القيام»، يقـول: يَنْهَضُ فى تَثَاقُلٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾[1]، والمعنى أن العُصْبَـةَ تَنُوء بالمفاتح، ولشرح هذا موضع آخر.

وقال آخر[2]:

* أَنُوءُ ثَلاَثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِى *

ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفَى بالسَّلامة داءً».

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهلالىُّ:

أرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّة ... وَحَسْـبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلاَ يَلْبَثُ العَـصْـرَانِ يومٌ وَلَيْلَةٌ ... إِذَا طَلَبَـا أَنْ يُدْرِكا مَـا تَيَـمَّـمَـا

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ:

ألاَ حَىِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا ... لَبِسْنَ الْبِلَى مِـمَّا لَبِسْنَ اللَّيَـالِيَا
إذَا مَـا تَقَـاضَى المَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... تَقَاضَـاهُ شَىْءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِـيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية[3]:

كَـانَتْ قَنَاتِى لاَ تَـلِينُ لِغَـامِـزٍ ... فَـأَلاَنَهَـا الإِصْـبَاحُ وَالإِمْـسَـاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّى فى السَّلاَمَةِ جَاهِدًا ... لِيُـصِـحَّنِى، فَإِذَا الـسَّلاَمَـةُ دَاءُ

---

(١) سورة القصص ٧٦.

(٢) زيادات ر: «لعمر بن قميئة». وقبله:

* على الراحتين مرة وعلى العصا *

(٣) البيـتان فى زهر الآداب ٢٢٣، ونسبهـما إلى عمرو بن قـميئة، وهمـا فى العقد الفريـد ٣:٥٨، وعيون الأخبار ٢:٣٢٢، من غير عزو. ونسبهما المرصفى إلى عبد الرحمن بن سويد المرى.

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد:

فمَا أَوْهَى مِـرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِى ... ولَكِنْ مَـــا تَقَـادَمَ مِنْ زَمَـــانِى

ومن أمثـال العرب إذا طال عـمر الرجل أن يقـولوا: «لقد أَكلَ الدَّهْر عـليه وشَرِبَ»، إنما يريدون أنه أكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً، قال الجَعْدِىُّ:

* أكلَ الْدَّهْرُ عَلَيْهِم وَشَرِبْ[1] *

والعرب تقـول: نَهارُكَ صائم، وليلك قائم، أى أنت قـائم فى هذا وصائم فى ذاك، كما قال الله عزّ وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[2]، والمعنى والله أعلم: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار، وقالَ جرير:

لَقَدْ لُمتِنَا يَا أَمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرَى ... وَنِمْتِ، وَمَـــا ليلُ المَطِـىِّ بِنَائمِ

[للفرزدق يرثى ابنى مسمع]

وقال الفَرَزْدَق:

تُبَكِّى عَلَى الَمنْتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

وَتَـنْـهَى عَنِ ابْـنَـى مِـسْـمَعٍ مَنْ بَكَاهُما[3]!

غُلاَمَانِ شَبَّا فى الحُرُوبِ وَأَدْرَكَا

كِـرَامَ المَسَـاعِـى قَـبْـلَ وَصْـلِ لَحـاهُـمَـا

وابنا مِسْمَع كَان قتلَهـما معاوية بن يزيد بن الُمهَلّبِ مع عَدِىِّ بن أَرْطاةَ[4] لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع مِمَّن خالف على يزيد بن المهلَّب. والَمنْتُوف كان

---

(١) صدره كما فى زيادات ر:

* كم رأينا من أناس هلكوا *

(٢) سورة سبأ ٣٣.

(٣) تبكى: تحمل الناس على البكاء.

(٤) عدى بن أرطاة الفزارى، والى البصرة ليزيد بن عبد الملك، وكان يزيد أمره أن يتحرز من يزيد بن المهلب ويحبس أهله. وبلغ ابن المهلب ذلك، فلحق بالبـصرة، وتغلب عليها، ودعا إلـى نفسه، وبلغ يزيد بن عبد الملك، وقد أخـرج أهله من السجن، وأسر اثنين وثلاثين رجلا، منهم عدى بن أرطـاة وابنه محمد وابنا مسمع وربيع بن زياد الأزدى، ومـال بهم إلى واسط، فوجه إليه يزيد أخاه مسلمـة بجيش كثيف، فخرج له ابن المهلب، واسـتخلف ابنه معاوية على الخـزائن والأسرى، فلما بلغه قـتل أبيه ضرب أعناق الأسرى جميعا غير ربيع بن زياد، وكان ذلك سنة ١٣٢، (وانظر رغبة الآمل).

مَوْلَى لبنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة. وابنا مَسْمَعٍ من بنى قَيْسِ بن ثعلبة، وكَان المنتوف كَالخليفة ليزيد بن المهلب، وفى ذلك يقول جَرير:

وَالأَزْدُ قدْ جَعَلُوا المَنْتُوفَ قائِدَهُمْ ... فَقَتَّلَتْهُمْ جُنُودُ اللهِ وَانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق:

وَلَوَ قُتِلاَ مِنْ جِذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ ... لَكَانَ عَلَى النَّاعِى شَدِيدًا بُكَاهُمَا[١]

وَلَوْ كَان حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِك ... إِذًا أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا[٢]

السَّنا: ضوء النار، وهو مقصور، قال الله عز وجل: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِه يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[٣]. والسّناء من الشرف، ممدود، قال حَسَّانُ بن ثابتٍ:

وَإِنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنَ عَمْرٍو ... وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

والبكاء يمد ويُقْصَرُ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصوات، ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْمُوم الأول إلا ممدودا، لأنه يكون على «فُعَال» وَقَلَّمَا يكون المصدر على «فُعَلٍ»، وقد جاءَ فى حروف: نحو: الهُدَى والسُّرَى وما أشبهه، وهو يسير، فأما الممدود فنحو: العُوَاء، والدُّعاء، والرُّغَاء، والثُّغاء، فكذلك البُكاءُ، ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ، ومن قَصَرَ فإنما جعل البكاء كَالحُزْن، وقد قال حَسَّانٌ، فَقَصَرَ ومَدَّ:

بَكَتْ عَيْنِى وَحُقَّ لَهَا بُكاهَا ... وَمَا يُغْنِى البُكاءُ وَلا العَوِيلُ!

فقصر ومدّ.

[لجرير يرثى ابنه سوادة]

وقال جرير:

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ ... كَيْفَ الْعَزاءُ وَقَدْ فارَقْتُ أَشْبَالِى![٤]

---

(١) الجذم: الأصل، قال المرصفى: «هذه رواية منكرة؛ لأنها تنفى نسبهما عن بكر بن وائل، ورواية ديوانه:
ولو أصبحا من غير بكر بن وائلٍ ... لكان على الجانى ثقيل دماهما

(٢) مالك أبو مسمع وابن مالك هو مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب البكرى.

(٣) سورة النور ٤٣.

(٤) زيادات ر: «نصيبك» بالنصب لا غير؛ لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره احفظ نصيبك، أو احرز نصيبك».

هذَا سَــوادَةُ يَجْلُو مُــقْلَتَــىْ لَحِمٍ بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْقَبِ الْعَالِي
فارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى وَحِينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِى

وقوله: «يجلو مـقلتى لَحِم»، شَبَّــهَ مُقْلَتيْــهِ بمقْلَتَى البــازى، ويقال: «طائر لَحِم» من هذا. وقوله: «يُصرصر» يعنى يصوّت، يقــال: صرصر البازى والصَّقْرُ، وما كان مِنْ سِباع الطير، ويقال: صَرْصَرَ العُصْفورُ: وأَحْسِبُهُ مستعاراً؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير، قال جرير:

* بَازٍ يُصَرْصِرُ بِالسَّهْتبى قَطًا جُونَا[1] *

وقال آخر:

* كَمَا صَرْصَرَ الْعُصْفُورُ فى الرُّطَبِ الثَّعْدِ[2] *

وأنشدنى عُمــارةُ: «باز يُصَعْصِعُ» وهو أصح - [قال أبو الحــسن: «يُصَعْصِعُ» وهو الصواب، ولكن هكذا وقع فى كتابه. ويُصَرْصِر لا يَتَعَدَّى] -.

قال أبو العباس: وقوله: «كعظم الرِّمَّةِ» فهى البالية الذاهبة، والرَّمِيمُ: مشتق من الرّمةِ، وإنما هو فعيلٌ وفِعْلَةٌ، وليس بجمع له واحد.

ومما كَفَّرَتْ به الفقهاءُ الحَجَّــاجَ بن يوسف قولهُ، والناس يَطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنْبَره - وإن شئت قلت: «يُطيفــون»، قال أبو زيد: تقول العرب: طُفْتُ وأَطَفْتُ به، ودُرتُ وأَدَرْتُ به، ويقال: حَدق وأَحْدقَ، قال الأخْطَلُ:

الْمُنعِمُون بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ بِىَ المَنِيَّــة واسْتَــبْطَأْتُ أَنْصَــارِى

إنما يَطوفونَ بأعْوادٍ ورِمَّةٍ.

ومن أمثال العرب: «لَوْلاَ أن تُضَيِّعَ الفِتْيانُ الْذِّمَّةَ، لَخَبَّرْتُها بما تَجدُ الإبلُ فى الرِّمَّةِ»: يقول: لولا أن تَدَعَ الأحْدَاثُ التَّمَسُّكَ بالوفــاء، والرِّعاية للحُرْمَةِ لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالى، وهو أقلّ الأشياءِ فَتجدُ له لَذة.

---

(١) يصف الإبل وهى تسير فى الفلوات، والسُّهبى: موضع في بنى تميم. وقبله:
* كأنْ حاديَها لمّا أَضرَّ بها *

(٢) الثعد: وواحدته ثعدة، وهو ما لان من البسر وأرطب.

ومثل بيت جَرِيرٍ الأخير قول أبى الشَّغْبِ يرثى ٱبْنه شَغْبًا:

قَـدْ كَانَ شَـغْبٌ لَوَ أَنَّ اللهَ عَمَّـرَهُ ... عِـزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِـزِّهَا مُـضَـرُ

لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَـبْلَ مَصْرَعِهِ ... دَكًّـا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَـارِهَا حَجَـرُ

فَارَقتُ شَغْبًا وَقَـدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ ... بِئْسَ الْحَلِيفَانِ: طُولُ الْحُزْنِ وَالْكِبَرُ

قوله: «قوّست» يقول: انحَنَيْتُ كالقوس، قال امْرُؤُ القَيْس:

أَرَاهُنَّ لا يُحْـبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَـالُهُ ... وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وَقَوَّسَا

[لسليمان بن قتة يرثى الحسين بن على]

وقال سليمان بن قَتَّةَ يرثى الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام:

مَـرَرْتُ عَلَى أَبْيَاتِ آلِ مُـحَمَّـدٍ ... فَلَمْ أَرَهَا كَـعَـهْـدِهَـا يَومَ حُلَّتِ

فَـلاَ يُبْـعِـدِ اللهُ الْـدِّيَارَ وَأَهْلَهَـا ... وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

وَكَـانُوا رَجَــاءً ثمَّ صَـارُوا رَزِيَّةً ... فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ(١)

وَإِنَّ قَـتِـيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... أَذَلَّ رِقَـابَ الْمُسْلِمِـينَ فَـذَلَّتِ(٢)

وَعِنْـدَ غَنِىٍّ قَطْـرَةٌ مِنْ دِمَـائِـنَا ... سَنَجْزِيهِمُ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ(٣)

إِذَا افْتَقَـرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَـقِيرَهَا ... وَتَقْـتُلُـنَا قَـيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قَتَّة(٤) رجل من بنى تَيْـم بن مُـرَّة بن كَـعْب بن لؤَىّ، وكـان منقطعًا إلى بنى الهاشمِ.

[للفرزدق يرثى ابنيه]

وقال الفَرَزْدَقُ يرثى ٱبْنَيه:

بِفِى الشَامِتِينَ التُرْبُ أَنْ كَانَ مَسَّنِى ... رَزِيَّةُ شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّرَاغِمِ(٥)

وَمَـا أَحَـدٌ كَـانَ الْمَـنَايَا وَرَاءَهُ ... ـ وَلَوْ عَـاشَ أَيَّامًا طِوَالا ـ بِسَـالِمِ

(١) جاء هذا البيت فى ر، س بعد البيت الذى يليه.

(٢) الطف: موضع قريب من الكوفة، قتل فيه الحسين عليه السلام.

(٣) غنى: قبيلة فى قيس.

(٤) هو سليمان بن قتة المحاربى التابعى، وقتة أمه.

(٥) المخدر فى الأصل: الأسد الذى يلزم خدره، وهو هنا كناية عن نفسه.

أَرَى كُلَّ حَيٍّ مَـا تَـزَالُ طَلِيـعَـةً ... عَلَيْـهِ الْمَنَايَا مِنْ ثَـنَايَا الْمَـخَـارِمِ

يُذَكِّـرُنِي ابْنَيِّ الـسِّـمَاكَـانِ مَـوْهِنًا ... إِذَا ارْتَفَعَـا فَوْقَ النُّجُـومِ الْعَوَاتِمِ(١)

وَقَـدْ رُزِئَ الأَقْـوَامُ قَـبْلِي بَنِـيـهِمُ ... وَإِخْـوَانَهُمْ، فَـاقْنَيْ حَـيَـاءَ الْكَرَائِمِ

وَمَـاتَ أَبِي وَالْمُنْـذِرَانِ كِـلاَهُمَـا ... وَعَـمْرُو بْنُ كُلْثُـومٍ شِهَـابُ الأَرَاقِمِ

وَقَدْ كَـانَ مَاتَ الأَقْـرَعَانِ وَحَـاجِبٌ ... وَعَمْرٌو أَبُو عَمْرٍو، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ

وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْـنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَمَـاتَ أَبُو غَـسَّـانَ شَـيْخُ اللَّهَـازِمِ

وَقَـدْ مَـاتَ خَيْـرَاهُمْ فَلَـمْ يُهْلِكَاهُمُ ... عَـشِـيَّـةَ بَانَا رَهْـطَ كَـعْبٍ وَحَـاتِمِ

فَمَا ابْنَاكِ إِلاَّ مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي ... فَـلَنْ يَـرْجِعَ الْمَـوْتَى حَـنِيـنُ الْمَآتِـمِ

قال: وأنشدني التَّوَّزيُّ عن أبي زيد: «خَنِينُ المآتم» بالخاء معجمة(٢).

قوله: «مـا تزال طليعة» يريـد طالعةً، والثَّنايا جمع ثَنِيَّـةٍ، وهي الطَّرِيقُ في الجبل، ومن ذلك(٣):

أَنَا ابْـنُ جَــلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَـايَا ... مَتَى أَضَعِ الْعِمَـامَـةَ تَعْرِفُـونِي

والمَخارِمُ: جمع مَخرِمٍ، وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل.

وقوله: «فوق النجوم العوَاتِمِ»، يعني المتأخرة، يقال: فلان يأتينا ولا يُعَتِّم: أي لا يتأخـر، وعَتَمَـةٌ اسم للوقت، فلذلك سميت الـصلاةُ بذلك الوقت، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها، تقول: صلاة الغَداة، وصلاةُ الظهر، وصلاةُ العصر، وأما قـولك: الصـلاةُ الأولى، فالأولـى نـعـت لـها إذ كانت أوّلَ مـا صُلِّيَ، وقيل أوَّل ما أظهر.

وقوله: «فاقْـنَيْ حَياءَ الكرائم»، يقول: فـالْزَمي، وأصل القِنْيَة المالُ اللازمُ، يـقال: اقْتَنَى فلانٌ مالاً إذا اتَّخَذَ أصل مالٍ، وقيـل في قـول الله عز وجل: ﴿وأَنَّهُ

(١) السماكان: كوكبان، أحدهما الرامح، والثاني الأعزل. والموهن: نصف الليل.
(٢) زيادات ر: «الخنين»، بالخاء صوت من الخيشوم.
(٣) زيادات ر: هذا الشعر لسحيم بن وثيل الرياحي».

هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾[1]، أى جَعَلَ لهم أصل مال، وأنشد أبو عبيدة[2]:

لَوْ كَانَ للدَّهْرِ عِزٌّ يَطْمَئِنُّ به   لَكَانَ للدَّهْرِ صَخْرُ مَالَ قُنْيَانِ[3]

والكَرائم: جمع كَريمة، والاسم من «فعيلة» والنعتُ يجمعان على «فَعائلَ»، فالاسم نحو: صَحِيفةٍ وصحائفَ، وسَفِينة وسَفائن، والنعت نحو: عَقيلة وعَقائل، وكَريمةٍ وكَرائم.

وقوله: «ومات أبى» يريد التأسىَ بالأشراف، وأبو غالب بن صَعْصَعَة بن ناجية بن عقال بنَ محمد بن سُفْيان بن مجاشع، وكان أبوه شريفا، وأجداده. إلى حيث انْتَهَوْا، ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمُنْذران: المنذر بن المُنْذرُ بن ماء السَّماء اللَّخْمىُّ، يريد الابن والأب، وعمرو بن كلثوم التَّغْلَبىُّ، قاتل عمرو بن هند، وكان أحَدَ أشراف العرب وفتّاكهِمْ وشعرائهم، والأراقِمُ: قبيلة من بنى تَغْلِبَ، ابنة وائل، من بنى جُشَمَ بن بكْرِ، وزعم أهل العلم، أنهم إنما سُمُّوا الأراقم؛ لأن عُيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحيّات، والأراقم: واحدها أرْقَم، فكانوا معروفين بهذا، وقال الفرزدق يَرُدُّ على جَرير فى هجائه له وللأخْطَل:

إنّ الأَرَاقِمَ لَنْ يَنالَ قَدِيمَهَا   كَلْبُ عَوَى مُتَهتِّمُ الأَسْنانِ

وجعله شهابًا لهم لنوره وبَهائه وضِيائه، تقول العرب: إنما فلان نَجْم أهلهِ، وكذلك قالت الخَنْساء:

* كَأَنَّهُ عَلَمٌ فى رَأْسِهِ نَار *

والأقْرعان: الأقْرَعُ بن حابس، وابنه الأقْرَعُ من بنى مجاشع بن دارمٍ، وكان الأقْرَعُ فى صدر الإسلام سيِّدَ خنْدفَ[4]، وكان مَحَلُّهُ فيها محلَّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ فى قَيْسٍ. وحاجبُ بن زُرارَةَ بن عُدَسَ سيِّدُ بنى تَميم فى الجاهلية غير مُدافَعٍ.

---

(١) سورة النجم ٤٨.
(٢) زيادات ر: «الشعر لأبى المثلم الهذلى يرثى صخرا».
(٣) رواية ديوان الهذليين ٢: ٢٣٨:
* لو كان للدهر مالٌ عند متلده *
(٤) خندف: قبيلة سميت باسم ليلى بنت حلوان، وكانت زوجا لإلياس بن مضر.

وعمرو أبو عمرو، يريد عمرو بن عُدَسَ، وكان شريفا، وكان ابنه عمرو شريفًا، قتل يوم جبَلَةَ(١)، قتلته بنو عامر بن صَعْصَعَة، وقتلوا لَقيطَ بن زُرارَةَ - وكان الذى ولِىَ قتله عمارة الوَهَّاب العَبْسىّ، وينسب إلى بنى عامر؛ لأن بنى عَبْسٍ كانوا فيهم معَ قَيسِ بن زُهَيْرٍ، وعُمارةُ هذا كان يقال له: «دالِقٌ»(٢)، وقتله شرْحافٌ الضَّبِّىُّ، ولذلك يقول الفرزدق:

وَهُنّ بِشِرْحَافٍ تَدَارَكْنَ دَالِقًا ... عُمَارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الْخُرْشُبِ الأنمارِيَّة أُرِيَتْ فى منامها قائلا يقول: أعشرة هدَرَةٌ أحَبُّ إليكِ أم ثلاثةٌ كعشرة - [هدرة بالدال غير معجمة، قال أبو الحسن: هم السُّقَّاط من الناس] - فلم تقل شيئًا، فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيئًا، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجها فقال: إن عاد لك الثالثة فقولى: ثلاثة كعشرة - وزَوْجُها زياد بن عبد الله بن ناشب العَبْسىّ -، فلما عاد لها قالت: ثلاثة كعشرة، فولدتهم كلَّهم غايَةً، وَلَدَتْ رَبيعَ الْحفَّاظ، وعُمارةَ الوَهَّاب، وأنَسَ الفَوَارِس، وهى إحدى المُنجِباتِ من العرب -

وَأسَرُوا حاجِبًا، فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويُعْلِمُهُ فخر قَيْسٍ عليه:

تُحَضّضُ يَا بْنَ الْقَيْنِ قَيْسًا ليجْعَلوا ... لِقَوْمِكَ يوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ
كَأَنَكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا ... وَعَمْرَوَ بْنَ عَمْرٍو إذْ دَعَوْا يالدارِمِ دَارِمِ!
وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وَشَدَّاتِ قَيسٍ يومَ دَيْرِ الجَمَاجِمِ

الجوْنَان: معاويةُ وحَسَّانُ ابنا الجَوْن الكنديَّان، أُسرا فى ذلك اليوم، فَقُتِلَ حسان، وفُودِىَ معاويةُ بسبب يطول ذكره. والشِّعْبُ: شِعْبُ جَبَلَة.

وقوله:

* وشدّات قيس يوم دَيْر الجَماجِم *

---

(١) جبلة: موضع فى نجد، ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها لعامر وحلفائهم من بنى عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد.

(٢) سمى بذلك لكثرة غاراته، من دلق الغارة على عدوه إذا شنها عليه.

هذا فى الإسلام، يعنى وَقْعةَ الحجَّاجِ بن يوسف بن الحكَمِ بن أبى عَقيلٍ الثَّقَفِىِّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعث بن قيس بن مَعْدى كَرِبَ الكِنْدِىِّ بدَيْرِ الجَماجِم.

قوله(١):

* وقد مات بسْطام بن قيس بن خالد *

يعنى الشَّيْبانِىّ، وهو فارس بكْر بن وائل وابن سيدها، وقتِل بالحَسنِ(٢) - وهو جَبَلٌ - قتله عاصم بن خَليفة الضَّبِّىُّ، وكان عاصمُ بن خليفة أسلم فى أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصمُ بن خليفة الضبىّ: قاتِلُ بِسْطامٍ بن قَيْسٍ بالباب - [قال أبو الحسن: الوجه عندى فى «بسطام» ألا ينصرف لأنه أعجمى] - وكان سببُ قتله إياه أن بِسْطامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ، وكان معه حازٍ يحزو له - [قال أبوالحسن: «حاز» بالزاى أى زاجرٌ] -، فقال له بِسْطامٌ: إنى سمعت قائلا يقول:

* الدَّلْوُ تَأْتِى الْغَرَبَ المزَلَّهْ(٣) *

فقال الحازى: فَهَلاَّ قُلْتَ:

* ثمَّ تَعُودُ بَادنًا مُبْتَلهْ(٤) *

قال: ما قلت، فاكْتَسَحَ إبِلَهُمْ، فَتنادَوْا واتَّبَعوهُ، ونظرت أم عاصم إليه، وهو يَقَعُ حديدة له - أى يَحُدُّها، والْمِيقَعةُ: المطْرَقةُ - فقالت له: ما تَصْنَعُ بهذه؟ - وكان عاصم مضعوفًا(٥) -، فقال [لها](٦): أقتل بها بِسْطامَ بن قيس، فَنَهَرَتْهُ، وقالت: استُ أُمِّكَ أضيَقُ من ذلك! فنظر إلى فَرَسٍ لِعَمِّهِ مُوثَقةً إلى شجرة

---

(١) رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص ٢٠٤.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية، بالحسن، وهو جبل بالجيم، والصواب: حبل بالحاء. قال ابن سراج رحمه الله تعالى: الحسن والحسين: حبلا رمل».

(٣) الغرب هنا: الماء الذى يسيل من الدلو. والمزلة: موضع الزلل.

(٤) البادن فى الأصل: الضخم البدن، يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء.

(٥) ر: «منقوصا».

(٦) تكملة من ر.

فاعْرَوْراها - أى ركبها عُرْيًا - ثم أقبل بها الريحَ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لَحقتْهُ، فجعل يَطْعُنُ الإبل فى أعجازها، فصاحت به بنو ضَبَّةَ: يابسطام، ما هذا السَّفَهُ! دَعْها، إمَّا لنا وإمَّا لك، وانْحَطَّ عليه عاصمٌ، فطعَنهُ فرمى به على الألاءة - وهى شجرة ليست بعظيمة، وكاَن بسطام نَصْرانيًّا، وكاَن مَقْتَلُهُ بعد مَبعَث النبى ﷺ - فأراد أخوه الرجوع إلى القوم، فصاح به بسطامٌ: أنا حَنيفٌ إن رَجَعتَ، ففى ذلك يقول ابن عَنَمة الضَّبِّىُّ - وكاَن فى بنى شيبان:

فَخَرَّ عَلى الألاءَة لَمْ يُوَسَّدْ ... كَأنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

ولما قُتِلَ بسطام لم يَبْقَ فى بَكْرِ بن وائِلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ (أى هُدِم).

وقوله:

* ومات أبو غَسَّان شيخ اللَّهازم *

يعنى مالك بن مِسْمَع بن شَيْبان بن شِهاب، أَحَدَ بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وإليه تُنْسَبُ المسَامعة. وكاَن سيد بكْرِ بن وائِلٍ فى الإسلام، وهو الذى قال لعُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيَان، أحد بنى تيم اللَّاتِ بن ثَعْلَبَةَ - وكاَن حين حَدَث أمر مسعود بن عمرو المَعْنِىِّ من الأزْدِ فلم يُعْلِمْهُ به، فقال له عبيد الله - وهو أحد فُتَّاك العرب، وهو قاتل مُصْعَبِ بن الزبير -: أيكونُ مثل هذا الْحَدَث ولا تُعْلِمُنى به! لَهَمَمْتُ أن أُضرِم دارك عليك نارًا - فقال له مالك: اُسكتْ أبا مَطَرٍ، فَواللهِ إن فى كنانتى سَهْمًا أنا أَوْثَقُ به منى بكَ، فقال له عبيد الله: أوَ أنا فى كِنانَتِكَ؟ فو الله لو قمت فيها لطُلْتُها، ولو قعدتُ فيها لَخرَقْتُها، فقال له مالك - وأعجبه ما سمِع منه -: أَكْثَرَ اللهُ فى العشيرة مِثْلَكَ! قال: لقد سألتَ ربَّك شَطَطًا!

وفى مالك بن مِسْمَع يقال:

إذَا ما خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلامَةً ... دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا

قوله: «وقد مات خيراهم»، تثنية كقولك: مات أَحْمَرَاهُمْ، ولم يَخْرُجْ مَخْرَجَ النعت، ألا تَرَى أنك تقول: هذا أَحْمَرُ القوم إذا أردتَ: هذا الأحْمَر الذى للقوم، فإذا أردتَ الذى يفْضُلُهُمْ فى باب الحمرة قلتَ: هذا أَشَدُّهُمْ حمرةً، ولم

تقل: هذا أحمرهُم، وكذلك خــيراهم، وإنما أردتَ هذا خيرُهم ثم ثَنَّيْتَ، أى هذا الخير الذى هو فيهم.

وقوله: «عَشِيَّةَ بانا»، مردود على قوله: «خيراهم».

وقوله: «رَهْطِ كعب وحــاتم»، إنما خفضتَ «رهطا» لأنه بدل من «هم» التى أضَفْتَ إلــيها «الخــيرين»، والتــقدير: وقــد مات خَيْــرَا رهط كعبٍ وحــاتِم، فلم يُهْلكاهم عشيةَ بانا.

فأما كَعْبٌ، فهو كعب بن مَــامَةَ الإيادىُّ، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثَرَ على نفــسه، وكان مــسافــرًا ورفيــقُهُ رجل من النَّمــرِ بن قاسط فَــقَلَّ عليهــما الماءُ فَتَصَافناهُ ـ والتَّصافُنُ: أن يُطْرَحَ فى الإناء حَجَرٌ[1] ثم يُصَبُّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئــلا يتغــابنوا: وكذلك كل شىء وُقِفَ عَلَى كَــيْلِه أو وزْنِه، والأصل ما ذكــرنا ـ فجعل الــنَّمَرِىُّ يشرب نصيــبه، فإذا أَخَذَ كعبٌ نَــصيبه قال: اسْقِ أخــاكَ النَّمَرِىّ، فَيُؤْثِرُهُ حتى جُهِدَ كعبٌ، ورُفِعتْ له أعلام الماء، فقيل له: رِدْ كَعْبُ ولا وُرودَ به، فمات عَطَشًا، ففى ذلك يقول أبو دُؤاد الإيادىُّ:

أَوْفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: رِدْ كَــعْبُ إِنَّكَ وَرَّادٌ فَمَــا وَرَدَا

فَضُرِبَ به المَثَلُ، فقال جَرير فى كَلِمَتِه التى مَدَحَ فيها عُمَرَ بن عبد العَزِيز:

يَعُــودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُــرَيْشٍ وَتَفْــرُجُ عَنْهُمُ الْكُرَبَ الشِّــدَادَا
وَقَـــدْ أَمَّنْتَ وَحْـــشَـــهُــمُ بِرِفْقٍ وَيُعْيِى النَّاس وَحْشُكَ أَنْ تُصَادَا
وَتَبْنِى المَجْــدَ يَــا عُــمَــرُ بْنَ لَيْلَى وَتَكْفِى المُمْــحِلَ السَّنَةَ الجَمَــادَا
وَتَدعُــو اللهَ مُــجْتَــهِــدًا لِيَــرْضَى وَتَذْكُــرُ فــى رَعِــيَّتِكَ المَــعَــادَا
وَمَا كَعْبُ بْنُ مَــامَةَ وَابْنُ سُعْدَى بِأَجْــوَدَ مِنْكَ يَا عُــمَــرَ الجَــوَادَا
تَعَـــوَّدْ صَـــالِحَ الأَخْـــلاَقِ إِنِّى رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ مَــا اسْــتَــعَــادَا

هــذا كعب بن مــامــة الذى ذكرناه.

---

(١) زيادات ر: «هذا الحجر الذى يقسم به الماء، يقال له المقلة، بفتح الميم».

وأما ابن سُعْدَى، فهو أَوْسُ بن حارثَةَ بن لأمٍ الطائىُّ، وكان سيدًا مُقَدَّمًا، فَوَفَدَ هو وحاتمُ بن عبد الله الطائىُّ على عَمْرِو بن هند، وأبوه المُنْذِر بن المنذر بن ماء السماء، فدعا أَوْسًا فقال له: أأنت أفضلُ أم حاتمٌ؟ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! لو ملكنى حاتم وولدى ولُحْمَتى لوَهَبَنا فى غَداة واحدة. ثُمَّ دعا حاتمًا فقال له: أنت أفضلُ أم أوْسٌ؟ فقال: أَبَيْتَ اللعن! إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ، ولأحَدُ وَلَدِه أفضلُ منى.

وكَان النُّعْمانُ بن المُنْذر دعا بحُلَّة وعنده وُفُودُ العرب من كلِّ حَىّ فقال: احْضُروا فى غَد، فإنى مُلْبسٌ هذه الحُلَّةَ أَكْرَمَكُمْ، فحضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيرى فأَجْمَلُ الأشياء ألا أكون حاضرًا، وإن كنت أنا المراد فَسأُطْلَبُ ويُعْرَفُ مكانى. فلما جلس النعمان لم يرَ أوسًا، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احْضُرْ آمنًا مما خفْتَ، فَحضَر فَأُلبسَ الحُلَةَ، فحسده قوم من أهله، فقالوا للحُطَيْئة: اهْجه ولك ثلثُمائة ناقة، فقال الحطيئة: كيفَ أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثًا ولا مالا إلا من عنده!

ثم قال:

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صالِحَةٌ	مِنْ آلِ لأمٍ بَظهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينى

فقال لهم بِشْرُ بن أبى خازِم، أحدُ بنى أسَد بن خُزَيْمة: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل وفعل، فأغار أوس على الإبل فاكْتَسَحَها، فجعل لا يستجير حيًّا إلا قال: قد أجَرْتُكَ إلا من أوس. وكان فى هجائه إياه قد ذكر أُمهُ، فأُتِىَ به، فدَخَل أَوْسٌ على أمِّهَ فقال: قد أُتينا بِبشْرٍ الهاجى لك ولى، فما تَرَيْنَ فيه؟ فقالت له: أوَ تُطيعُنى فيه؟ قال: نعم، قالت: أرى أن تَرُدَّ عليه مالهَ، وتَعْفُوَ عنه وتَحْبُوه، وأفعلُ مثل ذلك، فإنه لا يَغْسِلُ هجاءَهُ إلا مَدْحُهُ.

فخرج إليه فقال: إن أمى سُعْدَى التى كنتَ تهجوها قد أمرتْ فيك بكذا وكذا، فقال: لا جرَمَ والله! لامَدَحْتُ أحدًا حتى أموتَ غَيْرَك. ففيه يقول:

إلَى أَوْسِ بْنَ حَارِثَةَ بْن لأمٍ	لِيَقْضِىَ حَاجَتِى فِيمَنْ قَضَاهَا
وَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْن سُعْدَى	وَلا لَبِسَ النِّعَالَ وَلاَ احْتَذَاهَا

وأمـا حاتمٌ الذى ذكـره الفَرَزْدَقُ، فـهـو حاتم بن عـبد الله الطائىُّ، جَـوَادُ العرب، وقد كَـان الفرزدق صافَنَ رجلاً من بنى العَنْبـر بن عمرو بن تميم إداوة(١) فى وقت، فرامَهُ الْعَنْبَرِىُّ وسامه أن يُؤْثِـرهُ ـ وكانَ الفرزدق جَوادًا ـ فلم تَطِبْ نفسُه عن نفسه، فقال الفرزدق:

فَلَمَّـا تَصَـافَنَّا الإِدَاوَةَ أَجْـهَـشَتْ ... إِلَىَّ غُضُـونُ الْعَنْبرِىِّ الْـجُرَاضِمِ

فَـجَـاءَ بِجُلْمُـود لَهُ مِـثْلِ رَأْسِـه ... لِيَشْرَبَ مَـاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْقَوْمِ حَاتِمًا ... عَلَى جُودِه ضَنَّت بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

أمّا قوله: «أجْهَـشَتْ» فهو التَّسَرُّعُ، وما تراه فى فَـحْواه من مُقاربة الشىء، يـقـال: أجْـهَشَ بالبكاء. والغُـضـون: التكسّـر فى الجلد، والجُـراضم: الأحمـر المتـلئ.

وقوله:

* ليشرب ماء القوم بين الصرائم *

فـهى جمع صَـريمـة: وهى الرملة التى تنقطع من مُـعْظَمِ الرمل، وقـوله: «صَريمةٌ» يريد مصرمة، والصَّرْمُ: القطع، وأنشد الأصْمَعِىُّ:

فَـبَاتَ يَقُـولُ أَصْبِحْ لَيْلُ حَـتّى ... تَجَلَّى عَنْ صَـريمَـتِـهَ الظَّلاَمُ

يعنـى ثَـوراً، وصَـريـمتـه: رَمْلتـه التى هـو فيها، وقال المفـسرون فى قوله عـز وجل: ﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيم﴾(٢) قولين، قـال قوم: كالليـل المُظْلِم، وقال قوم: كالنـهار المضىء، أى بيضاء لا شىء فـيها، فهو من الأضـداد، ويقال: لَكَ سَوادُ الأرض وبياضُهـا، أى عامرها وغامرُها، فهذا ما يُحْـتَجُّ به لأصحاب القول الأخـير، ويحـتج لأصحـاب القول الأوّل فـى السواد بقـول الله تبارك وتعـالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾(٣)، وإنما سُمِّىَ السـواد سوادًا لعمَارتِه، وكل خُـضْرةٍ عند العرب سَوادٌ، ويروى:

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فى الْقَومِ حَاتِمًا ... عَلَى جُودِه مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمُ

جَعل «حـاتما» تبيينًا للهـاء فى جوده، وهو الذى يسمـيه البصـريون البدل، أراد: على جود حاتمٍ.

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء، وجمعه أداوى.

(٢) سورة القلم ٢٠.

(٣) سورة الأعلى ٥.

بابـ

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كان يقال: إذا رَغِبْتَ فى المكارم فاجْتَنب المحارمَ.

وكان يقال: أنْعَمُ الناس عيشًا مَنْ عاش غيره فى عيشه.

وقيل فى المثل السائر: من كان فى وطَنَ فَلْيُوطِّنْ غيرَه وطنه، ليَرْتَعَ فى وَطَنِ غيره فى غربته.

قال: وانْتبه معاوية من رَقْدة له، فَأنْبَه عمرو بن العاص، فقال له عمرو: ما بقى من لَذَّتكَ(١)؟ قال: عَينٌ خَرَّارَةٌ فى أرض خَوَّارة(٢)، وعينٌ ساهرةٌ لعين نائمة، فما بقى من لذلتك يا أبا عبد الله؟ قال: أن أَبِيتَ مُعْرِسًا بعَقيلة من عَقائل العربِ. ثم نَبَّها وَرْدان(٣)، فقال له معاوية: ما بقى من لذتك؟ فقالَ: الإفضالُ على الإخوان، فقال له معاوية: أسكتْ، أنا(٤) أحقُّ بها منك، قال(٥): قد أَمْكَنَكَ فافْعَلْ.

ويروى أن عمراً لما سُئل قال: أن أَسْتَتِمَّ بناء مَدينتى بمصر، وأنَّ ورْدانَ لما سُئِلَ قال: أن ألْقَى كريمًا قادرًا فى عَقِبِ إحسانٍ كان منى إليه، وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحادَثَةُ الرجال.

ويروى عن عبد المَلك أنه قال ـ وقد سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحادَثَةُ الإخوان فى الليالى القُمْرِ(٦) على الكثْبان العُفْرِ(٧).

وقال سليمان بن عبد الملك: قد أكلنا الطَّيِّبَ، ولَبِسْنَا اللَّيِّنَ، وركبنا الفاره(٨)، وامْتَطَيْنا العَذْراءَ، فلم يَبْقَ من لَذَّتى إلا صَديق أطْرَحُ بينى وبينه مَئُونَة التَّحَفُظِ.

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين».

(٢) عين خرارة: جارية. خوارة: سهلة لينة.

(٣) وردان: مولى عمرو بن العاص.

(٤) ر: «فأنا».

(٥) ر: «فقال له».

(٦) قمر: جمع قمراء، وهى الليلة التى يغمرها ضوء القمر.

(٧) العفر: جمع أعفر، وهو اللون الأحمر.

(٨) الفاره: النشيط من الدواب.

وقال رجل لرجل من قريش: إنى والله ما أَمَلُّ الحديثَ، قال: أَيُمَلُّ الْعَتيق[1].

وقال المهلَّبُ بن أبى صُفْرة: العيش كلُّه فى الجليس الْمُمْتِعِ.

وقال معاوية: الدنيا بحَذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ.

وقال يزيد بن المهلَّب: ما يَسُرُّنى أنى كُفيتُ أمرَ الدنيا كلَّه، قيل له: ولم أيُّها الأميرُ؟ قال: أَكْرَهُ عادةَ العَجْزِ.

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل الله كتابًا أنه مُعَذِّبٌ رجلا واحدًا لخِفْتُ أن أكونَهُ، أو أنه راحِمٌ رجلا واحدًا لرَجَوْتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذِّبى[2] لا مَحالةَ ما ازْدَدْتُ إلاَّ اجتهادًا لئلا أرْجِعَ على نفسى بلائمةٍ.

[أدب عمر بن عبد العزيز]

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَوْلَى بنى مَخْزُومٍ، ـ وقالوا: بل زِيادٌ ـ وكان عمر أراد شراءه وعتقه، فأعتقه مَوَاليه، وكان عمر يسميه: أخى فى الله، فكان إذا دخل وعمرُ فى صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدْر، فيقال له فى ذلك فيقول: إذا دَخَلَ عليك مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلاً فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس.

وهَمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ، فَوَثَبَ إليه رَجاءُ بنُ حَيْوَةَ ليُصلحه، فأقسَمَ عليه عمرُ فَجَلس، ثم قام عمر فأصلحه. فقال لهُ رَجاءٌ: أتقوم يا أمير المؤمنين! قال: قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تَرْفَعونى فَوْق قَدْرى، فتقولوا فِىَّ ما قالت النصارى فى المسيح، فإن الله اتَّخَذَنى عبدًا قبل أن يَتَّخِذَنى رسولا».

ودخل مَسْلَمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مَرْضَتِه التى مات فيها، فقال: ألاَ تُوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: فِيم أُوصِى؟ فوالله إنْ لِىَ من مالٍ،

---

(1) ر، س: «إنما يمل العتيق»، والعتيق: القديم.

(2) ر: «ولو علمت أنه معذبى».

فقال: هذه مائة ألف فَـمُرْ فيها بما أحبَبْتَ، فقـال: أوَ تَقبَلُ؟ قال: نعم، قال: تُرَدُّ على من أُخذَتْ منه ظلمًا. فبكى مَسْلَمةُ ثم قال: يرحمك الله! لقد ألَنْتَ منا قلوبًا قاسية، وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذكرًا.

[بر على بن الحسين بأمه]

وقيل لعلىٍّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله: إنك مِنْ أَبَرِّ الناسِ بأمِّك ولَسْنا نراك تأكل مع أُمِّكَ فى صَحْفةٍ، فقال: أخاف أن تَسْبِقَ يدى إلى ما سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها.

[لعمر بن ذر فى ابنه]

وقـيل لعمـر بن ذَر ـ حـيث نُظِرَ إلى تَعزِّيه عـن ابنه ـ كيف كـان بِرُّهُ بك؟ فقال: مـا مشيت بنهار قَطُّ إلا مَشَى خَلْفى، ولا بـليل إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[لأبى المخش فى ولده]

وقال أبو المخَشِّ: كانت لى ابْنةٌ تَجْلِـسُ معى على المائدة، فتُبرْزُ كَفًّـا كأنها طَلْعَةٌ(1)، فى ذِراعٍ كأنهـا جُمَّارةٌ(2)، فلا تَقع عيـنُها على أُكْلة نَفيسـة إلا خَصَّتْنى بها، فَزَوَّجْتُها، وصار يجلس معى على المائدة ابنٌ لى فـيُبرزُ كفًا كأنها كرْنافةٌ، فى ذِراعٍ كأنها كَرَبَةٌ، فوالله إن تَسْبِقُ عينى إلى لُقْمة طَيِّبَةٍ إلا سَبَقَتْ يده إليها.

وقال الأصمـعىُّ: قيل لأبى المخَشِّ: أمَا كان لك ابن؟ فـقال: المخَشُّ، وما كـان المخَشُّ؟ كان والله أَشْـدَق خُرْطَمـانيًّـا إذا تكلم سال لُعـابُه، كـأنما ينظر من قَلْتَيْنِ(3)، وكأنَّ تَرْقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالفةٌ، وكَأَنَّ مُشاشَ مَـنْكبَيْهِ كِركِرَةُ جَمَلٍ، فَقَأَ اللهُ عَيْنَىَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحْسَنَ منه قبله ولا بعده!

قوله: «بوان أو خـالفة» فهمـا عمودان من عُمُـد البيت، البوانُ فى مُقَـدَّمه والخالفة فى مُـؤَخَّرِه. والكِرْنافةُ: طَرَفُ الكربةِ العريض الذى يتـصل بالنخلة كأنه كَـتِـفٌ.

---

(1) الطلعة: واحدة الطلع، وهو نور النخلة.

(2) الجمارة: شحمة النخلة.

(3) مثنى قلت، وهو نقرة مستديرة فى أرض صلبة.

حدثنى بهـذا الحديث العبـاسُ بن الفرَج الرِّياشىُّ عن الأَصْمَـعىِّ، وحدثنى عمّن حدثه قال: مَـرَّ بنا أعرابىٌّ يَنْشُدُ ابنا له، فقلنـا: صِفْـهُ، فقال: دُنَينِرٌ، قلنا لم نَرَهُ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بِجُـعَلٍ على عُنُقِه، فقلنا: لو سَـألتَ عن هذا لأَرْشَدْناكَ، مازال مُنْذُ اليوم بين أيدينا.

وأنشد مُنْشِدٌ، وأنشدنى الرِّياشِىُّ أحد البيتين:

نـعـم ضَـجيعُ الْفَتَى إذا بَـرَدَ اللَّيْـــــلُ سُـحَيْـرًا وَقَرْقَفَ الصَّـرِدُ(١)

زَيَّنَهَـا اللهُ فى الْفُـؤَادِ كَـمَـا زُيِّنَ فِـى عَـيْنِ وَالِـدٍ وَلَدُ

[لأم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها]

وقالت أُمُّ ثَوابِ الهِزَّانِيَّة، من عنَزَةَ بن أَسَدِ بن رَبيعةَ بن نِزارٍ، تعنى ابنها:

رَبَّيْتُـهُ وَهْوَ مِثْلُ الْفَـرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فى رِيشِهِ زَغَبَا(٢)

حَتى إذَا آض كـالْفُحَّـالِ شَذَّبَهُ أَبَّارُهُ وَنَفَـى عَنْ مَـتْنِه الـكرَبَا

أَنْشَـا يُخَـرِّقُ أَثْوَابِى ويَضْـرِبُنِى أَبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدِى يَبْتَغِى الأدبَا!

إنِّى لأُبصِـرُ فى تَرْجِيلِ لِمَّتِـهِ وَخَطِّ لِحْيَتِه فى وَجْـهِه عَجَبَا(٣)

قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِى: رِفْـقًـا فَـإنَّ لَنَا فى أُمِّـنَا أرَبَا

وَلَوْ رَأَتْنِىَ فـى نارٍ مُـسَـعَّـرَةٍ مِن الجَحِيمِ لَزَادَتْ فَـوْقَهَا حَطَبَا

قوله: «أباره»، فهو الذى يُصْلِحُهُ، يقـال: أَبَّرْتُ النخل وأَبَرْتُهُ (خفيفة)، إذا لَقَّحْتَهُ.

[خبر مالك بن العجلان مع أبى جبيلة]

ويروى أن مالك بن العَجْلانِ - أو غيرَه من الأنـصار - كان يُتْحِفُ أبا جُبَيْلَةَ المَلِكَ حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شَرِيفةٍ، فـغاب يوما، فقال أبو جُبَيْلَةَ: إن

(١) قرقف، من القرقفة، وهى الرعدة. والصرد: الذى آله الصرد، وهو البرد.

(٢) الزغب: ما يبدو من ريش الفرخ.

(٣) الترجيل: التسريح. واللمة: شعرالرأس الذى يلم بالمنكب.

مالكًا كان يُقوِّتُ علينا جَنَى هذه النخلة فَجُدُّوها، فجاء مالك - وقد جُدَّتْ - فقال: مَنْ سَعى على عَذْقِ[1] الْمَلِكِ فَجدَّهُ، فأعلموهُ أن المَلِكَ أَمَرَ بذلك، فجاء حتى وقَف عليه فقال:

جَدَدْتَ جَنَى نَخْلَتِى ظَالِمًا وكان الثِّمارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرْ

فلما دخل النبىُّ ﷺ المدينةَ أَطْرَفُوه بهذا الحديث، فقال ﷺ: «الثمر لمن أَبَر، إلا أن يَشْتَرِطَهُ المشترى».

والفحال فُحَّال النخل: ولا يقال لشىء من الفحول فحَّالٌ غيره. وأنشدنى المازنىُّ:

يُطِفْن بفُحَّالٍ كأنَّ ضِبابَهُ بطونُ المَوالى يومَ عيدٍ تَغَدَّتِ[2]

وضِبابهُ: طلْعه. وآض: عاد ورجع.

وقولها: «شذَّبه» تقول: قطع عنه الكرَب والعَثاكيل[3]، وكلُّ مشذَّب مقطوع، ويقال للرجل الطويل النحيف: مشذَّب، يشبَّه الجذع المحذوف عنه الكرَب، وأصل التشذيب القطع، وقال الفرزدق:

عضَّتْ سيوفُ تميمٍ حين أغضبها رأس ابن عَجْلى فأضحى رأسُه شَذَبا

أراد: عضَّتْ سيوفُ تميم رأسَ ابن عجلى حين أغضبها.

وابن عْجلى: عبد الله بن خازم السُّلَمىِّ، وأمّه عجلى، وكانت سوداء، وهو أحد غربان العرب فى الإسلام.

[للمهلب وقد سئل: من أشجع الناس؟]

وسئل المهلب. مَنْ أشجع الناس؟ فقال: عباد بن حصيْن، وعمرو بنُ عبيد الله بن مَعمَر، والمغيرة بن المهلب؛ فقيل: فأين ابن الزبير وابن خازم وعُمَيْر ابن الحباب؟ فقال: إنَّما سئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن!

---

(١) العذق بالفتح: اسم النخل عند أهل الحجاز.

(٢) البيت فى اللسان (ضبب - فحل) ونسبه للبطين التيمى.

(٣) العثاكيل: الشماريخ، واحده عثكول.

باب

[من كلام عائشة]

رَوَى شعبة عن واقد بن محمد، عن أبى مُلَيكة، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضى الله عنها: مَنْ أرضى اللهَ بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومَنْ أَرْضَى الناس بإسخاطِ الله وكلَه الله إلى الناس، ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيتَه.

[بين الحسن بن زيد والى المدينة وابن هَرْمة]

ويروى أن الحسَن بن زيد(١) لمّا ولّيَ المدينة قال لابن هَرْمة(٢): إنى لستُ كمنْ باع لَك دينَه رجاءَ مَدْحك أو خوفَ ذمِّك، قد أفادنى الله بولادة نبيِّه الممادح، وجنَّبنى المقابح، وإنَّ من حقّه علىَّ ألاَّ أغضىَ على تقصير فى حقّه، وأنا أقسم بالله، لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنَّك حدَّيْن: حدًّا للخمر، وحدًّا للسكر، ولأزيدنَّ، لموضع حرمتك بى. فليكن تركُها لله تُعَنْ عليه؛ ولا تدعْها للنَّاس فتوكَل إليهم. فنهض ابن هَرْمة وهو يقول:

نهانى ابْنُ الرسول عن المدامِ ... وأدَّبنى بآداب الكرامِ

وقال لِىَ اْصطبِرِ عنها ودعْها ... لخوفِ الله لا خوفِ الأنامِ

وكيف تصبرْى عنها وحُبِّى ... لها حبٌّ تمكّن من عظامِى!

أرى طيبَ الحلال علىَّ خُبثًا ... وطيب النفس فى خُبْث الحرامِ

[من كلام مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى]

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشِّخير الحَرشىِّ: يا مطرِّف، عظ أصحابَك، فقال مطرِّف: إنى أخاف أن أقول ما لا أفعل.

فقال الحسن: يرحمك الله! وأيُّنا يفعل ما يقول! لَودَّ الشيطان أنَّه ظفر بهذه منكم، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم ينَهَ عن منكر.

---

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، ولى المدينة لأبى جعفر المنصور سنة ١٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن هرمة من متقدمى الشعراء، ممن أدرك الدولتين: الهاشمية والأموية (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء ٧٢٩ ـ ٧٣١).

- وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه: يا عبدَ الله، العلم أفضلُ من العمل، والحسنة بين السيئتين، وشرّ السيْر الحَقْحَقَة.

قوله: «الحسنة بين السيئتين»، يقول: الحقُّ بين فعل المقصِّر والْغَالى. ومن كلامهم: خيرُ الأمور أوساطها.

قوله: «وشرُّ السير الحقحقة»، وهو أن يستفرغ المسافر جُهْدَ ظَهره فيقطعَه، فيُهلِك ظهره، ولا يبلغ حاجته. يقال: حقحق السيرَ إذا فعل ذلك. وقال الراجز:

* وانبتّ فعلَ(١) السائر المُحَقْحِق *

وحُدثت أن الحسن نفى سابقَ الحاجّ وقد أسرع، فجعل يومِئ إليه بإصبعه فِعلَ الغازلة، وهو يقول: «خرقاء وجدتْ صوفا».

وهذا مَثَل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مالاً كثيرًا فِيعيث فيه، وشبيه بهذا المثل قوله: «عبدٌ وخلى(٢) فى يديه».

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متين فأَوْغِلْ فيه برفق، ولا تبغِّضْ إلى نفسك عبادَةَ ربّك، فإن المنبتّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى».

قوله« «متين»، المتين الشديد، قال الله عزّ وجل: ﴿**وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ**﴾(٣).

وقوله: «فأوغل فيه برفق»، يقول: ادخُل فيه، هذا أصل الوُغول، ويقال مشتقًّا من هذا للرجل الذى يأتى شَرَابَ القومِ من غير أن يُدْعَى إليه: واغِلٌ، ومعناهُ أنه وَغَلَ فى القوم وليس منهم، قال امْرُؤُ الْقَيْسِ:

حَلَتْ لِىَ الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً ... عَنْ شُرْبِها فِى شُغُلٍ شَاغِلِ
فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ(٤) ... إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ

(١) زيادات ر: «فعل» بالنصب الرواية الصحيحة، لأنه مصدر معنى».
(٢) الخلى: الرطب من الحشيش.
(٣) سورة الأعراف ١٨٣.
(٤) المستحقب: الذى يحمل الشيء فى الحقيبة.

والمُنْبَتُّ: مثل المُحَقْحِق، واشتقاقه من الانقطاع، يقال: انْبَتَّ فلانٌ من فلان أى انقطع منه، وبَتَّ الله ما بينهم، أى قَطَعَ، قال محمد بن نُمَيْر:

تَواعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَليطُ لِيَنْبَتُّوا وَقَالُوا لِراعى الذَوْد: مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
وَفِى النَفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِم كَثِيرَةٌ ومَوْعِدُهَا فِى السَّبْت لَو قَدْ دَنا لْوَقْتُ(١)

ويروى:

* أَلاَ قَرَّبَ الْحَىُّ الْجِمال لِيَنْبَتُّوا *

وحُدِّثْتُ أن ابْن السَّمَّاك كان يقول: إذا فَعَلْتَ الحسَنَةَ فافْرَحْ بها واسْتَقْلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها، وإذا فَرِحْتَ بها عُدتَ إليها.

ويروى عن أُوَيْسٍ القَرَنِىِّ أنه قال: إنّ حقوق الله لم تَتْرُكْ عند مسلم درهمًا.

[يزيد بن هبيرة ينصح المنصور]

ودخل يَزيدُ بن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ على أمير المؤمنين المَنْصور فقال: يا أمير المؤمنين، توسّعْ تَوَسُّعًا قُرَشِيًّا، ولا تَضِقْ ضيقًا حجازيًّا.

ويروى أنه دَخَل عليه يوما فقال له المنصورُ: حَدِّثْنا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن سُلْطانَكُمْ حَديثٌ، وإمارَتَكُمْ جَديدةٌ، فأذيقوا الناس حَلاوةَ عَدْلها، وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها. فوالله يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النصيحة.

ثم نَهَضَ فنَهَض معه سبعمائة من قَيْسٍ، فأَتْأَرَهُ المنصور بصَرَهُ، ثم قال: لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا.

قوله: «مَحَضْتُ لك النصيحة» يقول: أخلصت لك، وأصل هذا من اللبَن، والمَحْضُ منه: الخالص الذى لا يشوبُهُ شىء، وأنشد الأَصْمَعِىُّ:

اَمْتَحَضَا وَسَقَّيَانِى ضَيْحَا وَقَدَ كَفَيْتُ صَاحِبَىَّ المَيْحَا(٢)

---

(١) روى الأخفش البيت الأخير.

(٢) رواية اللسان عن شمر: (محض) «إنى كفيت» وفى زيادات ر: «الميح: طلب الشىء هاهنا وهاهنا».

ويقال: حَسَبٌ مَحْضٌ.

وقوله: «أتأره بصره» يقول: أتبعه بصره، وحَددَ إليه النَّظَر، وأنشد الأصمعىُّ:

مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ　　حَتَّى اسْمَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إتآرِى(١)

[لأسماء بن خارجة فى كرم الخلق]

ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال: لا أُشاتِم رجلا، ولا أرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أسُدُّ خَلَّتَه، أو لئيم أشترى عِرْضى منه.

[للأحنف بن قيس]

ويروى عن الأحنف بن قَيْسٍ أنه قال: ما شاتَمْتُ رجلا مذْ كنتُ رجلا، ولا زَحَمتْ رُكْبَتَاىَ رُكْبَتَيْه، وإذا لم أَصِل مُجْتَدِىَّ حتى يَنْتِحَ جَبِينُهُ عَرقًا كما يَنْتِحُ الحَميتُ، فو الله ما وصَلْتُهُ.

قوله: «مُجْتَدِىَّ» يريد الذى يأتيه يطلب فضله، يقال: اجتداه يَجْتَدِيه، واعْتفاه يَعْتَفِيه، واعتراه يَعْتَريه، واعْتَرَّهُ يَعْتَرُّهُ، وعراه يَعْرُوه: إذا قصده يَتَعَرَّضُ لنائله. وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَا، مقصور، وهو المطر العامُّ النافع، يقال: أصابَتْنا مَطْرةٌ كانت جَدًا على الأرض، فهذا الاسم، فإذا أردتَ المصدر قلتَ: فلان كثير الجَداء، ممدود، كما تقول: كثير الغناء عنك، ممدود، هذا المصدر، فإذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفَقْر قلت: الغِنى ـ بكسر أوله ـ وقَصَرْتَ. قال خُفافُ بن نَدْبَة يمدح أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه:

لَيْسَ لِشَىْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءْ　　وَكُلُّ شَىْءٍ عُمْرُهُ لِلفَنَاءْ
إنَّ أبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إذْ　　لَمْ تَشْمَلِ الأَرْضَ سَحَابٌ بماءْ
تَاللهِ لاَ يُدْرِك أَيَّامَهُ　　ذو طُرَّةٍ حَافٍ وَلا ذُو حِذَاءْ
مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ　　يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءْ

(١) زيادات ر: «وهو للكميت بن زيد». والبيت فى اللسان (تأر) غير منسوب. واسمدر: لم يكد يبصر.

وَهذا من طَرِيف الشعْـر لأنه ممدود، فهو بالمد الذى فيـه من عَروض السَّريع الأولى، وبيته فى العَروض:

أَزْمَانَ سَلْمَى لا يَرَى مِـثْلَهَا الرَّا ءُونَ فى شَـامٍ وَلاَ فـى عِـرَاقْ

ثم نرجع إلى تأويل قول الأحْنَف.

قوله: «حتى يَنْتِحَ جَبِينُهُ عرقًا»، فهو مثل الرَّشْحِ.

وحدثنى أبو عـثمان المازنىُّ فى إسناد له ذَكَـرَهُ قال: قال رُؤْبَة بن العَـجَّاج: خرجتُ مع أبى نريد سليمانَ بن عبد الملك، فلما صِرْنا فى الطريق أَهْدِىَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كـرافِئُ الشحم، وخَـرِيطةٌ من كَمْأَة، ووَطْبٌ من لبن، فـطبخنا هذا بهذا، فما زالتْ ذِفْرَيايَ[1] تَنْتحَان منه إلى أن رجعتُ.

وقوله: «الحَميت»، فالحَميتُ والزِّقُّ اسمان له، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبُوبًا فهو الوَطْب، وإذا لم يكن مـربوبًا ولا مُزَفَّـتًا فهـو سقـاءٌ ونحْىٌ، والوَطْبُ يكون للَّبن والسمن، والسِّقاء يكون للبن والماء. قالت هنْدٌ بنت عُتْـبَةَ لأبى سُفْيان بن حَرْب لما رجـع مُسْلمًا من عند النبى ﷺ إلى مكّة فى ليلة الفتح، فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْش، أَلاَ إِنِّى قدَ أَسْلَمْتُ فأسْلموا، فإنَّ محمدًا قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به. فأخذتْ هند برأسه، وقالت: بئس طَلـيعةُ القومِ أنتَ! والله ما خُـدِشْتَ خَدْشًا، يا أهل مكة، عليكم الْحَميتَ الدَّسمَ فاقتلوه.

وأمـا قول رؤْبَةَ «كَـرَافِئ الشـحم» يريد طبَقـات الشـحم، وأصل ذلك فى السحاب إذا رَكِب بعضُهُ بعضًا، يقال له: كِرْفِئٌ، والجميع كرافِئُ.

* * *

[قال أبوالحـسن الأخفش: واحد الكَرَافِئ كِـرْفِئَةٌ، وهاء التأنيث إذَا جُـمعَتْ جمعَ التـكسيـر حُـذفَت لأنـهـا زائـدة، بمـنـزلـة اسم ضُمَّ إلى اسْم، وأحْسبُ أن أبا العبـاس لم يَسْمَع الواحـدَ من هذا فقـاسه، والعـرب تَجْتَرِئ عـلى حذف هاء التأنيث إذا احتـاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد اسْتُعْمِلَتْ الواحدةُ بالهاء، ونظير هذا قـولهم: ما فى السماء كِرْفِئةٌ، وما فى السـماء قذَعْملَةٌ وَقذَعْمِـلَةٌ، وما فى السمـاء طُحْربةٌ وطحربةٌ، وما فى السـماء قِرْطَعْبَـةٌ، وما فى السماء كَنَهْوَرَةٌ، وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل و ما أشبهه].

* * *

(١) الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

بابٌ

[لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي]

قال أبو العباس: قال حَسَّانُ بن ثابت يهجو مُسافِعَ[1] بن عِياض التَّيْمىَّ، من تَيْمِ بن مُرة بن كَعْبِ بن لؤَىٍّ، رَهْطِ أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله:

لَوْ كنْتَ مِنْ هاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِى أَسَدٍ ... أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَو أصْحَابِ اللِّوَا الصِّيدِ
أَوْ مِنْ بَنِى نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَّلِبٍ ... لله دَرُّكَ! لَمْ تَهْمُمْ بَتَهْدِيدِى
أَوْ فِى الْذُّؤَابَةِ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نِكْسًا ثَانِىَ الجِيدِ
أَوْ مِنْ بَنِى زُهْرَةَ الأَخْيَارِ قَدْ عُلِمُوا ... أَوْ مِنْ بَنِى جُمَحَ الْبِيضِ المَنَاجِيدِ
أَوْ فِى السَّرَارَةِ مَنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِمْ ... أَوْ مِنْ بَنِى خَلَفَ الْخُضْرِ الْجَلاَعِيدِ
يَا آلَ تَيْمٍ أَلاَ يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... قَبْلَ الْقِذَافِ بِقَوْلٍ كَالجَلاَمِيدِ
لَوْلاَ الرَّسُولُ فَإِنِّى لَسْتُ عَاصِيَهُ ... حَتَّى يُغَيِّبَنِى فى الرَّمْسِ مَلْحُودِى
وَصَاحِبُ الْغَارِ إِنِّى سَوْفَ أَحْفَظُهُ ... وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ذو الْجُودِ
لَقَدْ رَمَيتُ بِهَا شَنْعَاءَ فَاضِحَةً ... يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالْمُودِى

قوله: «لو كنتَ من هاشم» يريد هاشم بن عَبْدِ مَناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَىٍّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْرِ بن كنانةُ، والنَّضْرُ أبو قُرَيْش، ومَنْ كان من بنى كنانةَ لم يَلِدْهُ النَّضْرُ فليس بقُرَشِىٍ. وبنو أسد ابن عبد العُزىّ بن قُصَىّ. وعبد شمس [هو عبد شمس[2]]، بن عبد مَناف بن قُصَىٍ. وأصحاب اللواء بنوّ عبْد الدار بن قُصىّ. واللواء ممدود إذا أردتَ به لواء الأمير، ولكنه احتاج إليه فقَصَرَهُ، وقد هَيَّنَّا جواز ذلك، فأما اللِّوَى من الرمْل فمقصور، قال امْرُؤُ القَيْس:

* بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الْدَّخُولِ وحومَل *

كذا يرويه الأصمعىّ، وهذه أصح الروايات[3].

(١) ذكره ابن حجر فى الإصابة (٦:٨٦)، وقال: «لا أعرف له صحبة ولا أعرف له رواية».

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ر.

(٣) أى رواية «وحومل» بالواو. ورواية المفضل: «فحومل».

وقوله: «أو من بنى نوفل» فهو نَوْفَلُ بنِ عبد مَناف بن قُصَىّ. والمطّلبُ الذى ذكره هو ابْن عبد مَناف بن قُصَىّ.

وقوله: «لم تُصبِح اليـوم نِكْسًا»، فالنِّكْسُ الْدَّنىء المُقصِّر. ويقـول بعضهم: إن أصلَ ذلك فى السِّهـام، وذلك أن السَّـهْم إذا ارْتَدَعَ(١) أو نالته آفـة نُكِسَ فى الكِنانة ليُعْرَفَ من غيره قال الحُطْيئةُ:

قَدْ نَاضَلوكَ فَـأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْـدًا تليدًا وَنَبلاً غَـيْرَ أَنْكاسِ

قوله: «مجدًا تليدًا»، قالوا: نواصى الفرسان(٢) الذين كان يُمَنُّ عليْهم.

وقوله: «ثانىَ الجِـيد» قد مرّ تـفسيره فى قـول الله عز وجل: ﴿**ثانىَ عِطْفِه لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾(٣).

وقوله: «أو من بنى زُهْرَةَ»، فهو زُهْرَةُ بنُ كِلاب بن مُرَّةَ. ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ قال: «خُلقتْ من خـير حَيَّيْنَ: مِنْ هاشِمٍ وزُهْرَةَ». وبنو جُـمَح بن عمرو ابن هُصَيْصِ بن كَعْب بن لُؤَىّ.

وقوله: «المناجيد» مَفاعيل، من النَّجْدة، والواحد مِنْجادٌ، وإنما يقّال ذلك فى تكثير الفعل، كما تقول: رجلٌ مِطْعانٌ بالرُمْحِ، ومِطْعامٌ للطعام.

وقوله:

❋ أو فى السرارة من تَيْم رضيت بهمْ ❋

يقول: فى الصَّـميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِىّ، وأصل ذلك فى التّـرْبة، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ فى سَرارةِ الوادى، ويقال: فلانٌ فى سِرِّ قومه، والسُّرَّةُ مثل ذلك، قال القُرَشِىُّ:

هَلاَّ سَـأَلْت عَنِ الّذينَ تَبَطحُـوا كَرَمَ الـبطَاحِ وخَيْـرَ سُرَّةِ وَادِ(٤)

---

(١) السهم المرتدع: هو ما أصاب الهدف وانكسر عوده.

(٢) نواصى الفرسـان: يريد شعور النواصى، وقـد كانت العرب إذا أسـروا أسيرا خـيروه بين جزء الناصـية والأسر، فإن اختار الجز جزوها، وخلوا سبيله.

(٣) سورة الحج ٩.

(٤) تبطحوا: سكنوا بطاح مكة..

وَعَنِ الَّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا ... أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ(١)

يُخْبِرْكِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَن بُيُوتَنَا ... مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الأَوْتَادِ

وقوله: «أو من بنى خَلْفِ الخُصْرِ»، فإنه حَذَفَ التنوين لالتقاء الساكنين. وليس بالوَجْه، وإنما يُحْذَفُ من الحرف لالتقاء الساكنين حروفُ المَدِّ واللين، وهى الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها، نحو قولك: هذا قَفَا الرجلِ، وقاضى الرجل، ويَغْزو القومُ، فأما التنوين فجاز فيه هذا؛ لأنه نون فى اللفظ، والنون تُدْغم فى الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروفُ المدِّ واللينِ، ويُبْدَلُ بعضُها من بعض، فتقول: رأيتُ زَيْدًا فَتُبْدِلُ الألف من التنوين، وتقول فى النسب إلى صَنْعَاءَ وبَهْرَاءَ(٢) صَنعانِىٌّ وبَهْرانِىٌّ، فَتُبْدِلُ النونَ من ألف التأنيث، وهذه جُمْلَة وتفسيرها كثير، فلذلك حُذِفَ، ومثل هذا من الشعر:

عَمْرُو الّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقال آخر(٣):

حُمَيْدُ الّذِى أَمَجٌ دارُهُ ... أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ(٤)

وقرأ بعض القُرَّاء: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ * اللهُ الصَّمَدُ﴾. وسمعتُ عُمارة بن عَقيلٍ يَقْرَأْ: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ وَكُلٌ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٥) فقلتُ: ماتريد؟ فقال: «سابقٌ النهارَ». وقوله: «أو أصحاب اللّوا»، فإنّما(٦) خَفَّفَ الهمزةَ،

---

(١) والولجات: جمع ولجة، وهى الكهف، وأجياد: موضع بمكة مما يلى الصفا.

(٢) صنعاء: عاصمة اليمن، وبهراء: قبيلة بها.

(٣) نسبه الشريف المرتضى (٢: ٢٦٩) إلى ابن الزبعرى: وروايته:

* عمرو العلا هشم الثريد لقومه *

وبعده:

وهو الذى سنَّ الرحيل لقومه ... رحَل الشتاء ورحلة الأصياف

(٤) هو حميد الأمجى، منسوب إلى أمج: بلد من أعراض المدينة، من أبيات ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (أمج)، وهى:

شربتُ المدامَ فلمْ أُقْلع ... وعوتبتُ فيها فلم أسمع

حميدُ الذى أمجٌ داره ... أخوالخمرِ ذو الشيبة الأصلعِ

علاه المشيبُ على حُبِّها ... وكان كريما فلم ينزعِ

(٥) سورة يس ٤٠.

(٦) كلمة: «فإنما» ساقطة من ر.

وتَـخَفَّـفُ إذا كان قبلها ساكنٌ، فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتحْذَفُ، كقولك: مَنَ أبوكَ؟ وقوله عز وجل: ﴿الَّذى يُخْرِجُ الخَبْءَ فى السَّمَـٰوات وَالأرض﴾(١).

وخَلَفٌ الذى ذكره من بنى جُمَح بن عَمْرو بنِ هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَىّ.

وقـوله: «الخُضْـرِ الجَلاَعـيد»، يقـال فيـه قولان: أحـدهما أنه يريد سـوادَ جلودهم(٢)، كما قال الفَضْل بن العَبَّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَبٍ:

وَأَنَا الأخْـضَـر مَن يَعْـرِفُنِى ... أَخْضَـرُ الْجِلدَةِ فى بَيْتِ العَرَبْ

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبـههم فى جُودهم بالبُحور. وقوله: «الجلاعـيد»، يريد الشِّدادَ الصِّلابَ، واحـدهم جَلْعَدٌ، وزاد الياء للحـاجة، وهذا جَمْعٌ يجىء كثيـرًا؛ وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة، فَتُشْبَعُ فتـصير ياءً، يقال فى خاتَم: خَواتِيمُ، وفى دانِقٍ دَوانيقُ، وفى طَابَقٍ طَوابيقُ، قـال الْفَرَزْدَقُ فى مثل هذا الجمع:

تَنْفِى يَدَاهَا الحَصَى فى كلِّ هَاجِرَةٍ ... نَفْىَ الْدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ(٣)

وقوله: «قبل القذاف» يريد المُقاذَفَةَ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما، نحو المُقاتَلَة والمُشاتَمة، فباب «فاعَلْتُ» إنما هو للاثنين فصاعدًا، نحو قاتلْتُ وضارَبْتُ، وقد تكون الألفُ زائـدة فى فاعَلْتُ فُتـبْنَى للواحد، كـما زيدت الهـمزة أَوَّلاً فى «أَفَعَلْتُ» فتكون للواحد، نحو عاقَبْتُ الّلصَّ، وعافاه الله، وطارَقْتُ نَعْلى.

وقوله: «وصاحب الغار»، يعنى أبا بَكْرٍ رحمه الله، لمصاحبته النبىَّ ﷺ فى الغار، وهذا مشهور لا يُحْتاج إلى تفسيره.

وطلحة بن عـبيد الله نسبـه إلى الجود لأنه كان من أَجْوَد قُـرَيْشٍ. وحَدَّثنى التَّوَّزىُّ قـال: كان يقال لطلحـة بن عبيد الله: طَلْحـة الطَّلَحات، وطَلْحَةُ الْخَـيْر، وطَلْحَةُ الجـود. وذكر التَّوَّزىُّ عن الأصَمـعِىّ أنه باع ضَيْعَـةً له بخمسةَ عـشر ألف

---

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) قال المرصفى: «وذلك أن العرب تسمى الأسود أخضر، والأخضر أسود، لما أن الخضرة إذا اشتدت تقارب السواد، والمراد من سواد الجلمود لون السمرة لا السواد الحالك».

(٣) تنقاد الصياريف، أى تمييز الصياريف للدراهيم، لتخرج الزائف منها.

درهم، فَقَسَّمها فى الأطْبَاق[1]. وفى بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد أن لفّق له بين ثوبين[2].

وحدثنى العُتْبِىُّ فى إسناد ذَكَرَهُ قال: دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم، فأَبْطأَ عنه الغُلامُ بشىء أراده، فقال طلحةُ: يا غلامُ، فقال الغلامُ: لَبَّيكَ! فقال طلحة: لا لَبَّيكَ! فقال أبو بكر: ما يَسُرُّنى أنِّى قُلْتُها وأنَّ لى الدنيا وما فيها. وقال عمر: ما يَسُرُّنى أنى قلتها ولى نصف الدنيا، وقال عثمان: ما يسرنى أنى قلتها وأنَّ لى حُمْر النَّعَم. قال: وصَمَتَ عليها أبو محمد، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف دِرْهَمٍ، فتصدَّق بثَمنَهَا.

وقوله:

* يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالمُودِى *

فالمودى فى هذا الموضع الهالك، وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىَّ الجادَّ، حدثنى بذلك التَّوَّزِىُّ فى كتاب الأضداد، وأنشدنى[3]:

* مُودُون يَحْمُونَ السبِيلَ السَّابِلاَ[4] *

[لرجل من العرب يرثى]

وقال رجل من العرب:

خَلِيلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فيكُما … عَلَى قَبْرِ أُهْبَان سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ … وبَيْنَ المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إذَا نَازَعَ الْقَوْمُ الأحَادِيثَ لَمْ يكُنْ … عَيِيًّا ولاَ عِبئًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ

(١) الأطباق: جمع طبق: وهو الجماعة من الناس.

(٢) التلفيق: ضم أحد الثوبين إلى الآخر، قال المرصفى: «وكأنه كره الحضور بهما إلى المسجد خوف الشهرة».

(٣) البيت لرؤبة، وروايته فى ديوانه ١٢٢:

* مودينَ يحمُون السبيل السابلا *

وبعده:

* تعدو العرضْنَى خيلُهم عراجلا *

(٤) زيادات ر: «المؤدى» بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمزة: الهالك.

قوله: «على قَبْر أُهْبَـان» فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو، واشـتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ، وهمزَ الواوَ لانضمامـها، كقوله عز وجل: ﴿وإذَا الُّرسل أُقِّتَتْ﴾(١). فهو «فُعِّلَتْ»، من الوَقْتِ. وقد مضى تفسير همزِ الواو إنما انْضَمَّتْ وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصـرف فى النكرة، وكل شيء لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشـعر جائز؛ لأن أصله كان الصَّـرْف، فلما احتيج إليـه رُدَّ إلى أصله، فهذا قولُ البـصريين. وزعم قـوم أن كلَّ شيء لا ينصرف فَـصَرْفُـهُ فى الشعـر جائز، إلا «أَفْـعَلَ» الذى معـه «منكَ»، نحوَ: أفْضَل منك، وأكرم منكَ. وزعم الخليل ـ وعليه أصحابه ـ أن هذا إذا كانت معه «منك» بمنزلة «أحْمَرَ» لأنه إنما كملَ أنْ يكون نَعْتًا بـ «منك»، وأحْمَرُ لا يحتـاجُ إليها، فـهو مع «منْكَ» بمنزلة «أحْـمَرَ» وحْدَهُ، قـال: والدليل على أن «منك» ليست بمانعَته من الصرف أنه إذا زال عن بناء «أفْعَلَ» انْصَرَفَ، نحو قولك: مررتُ بخيرٍ منك، وشرٍّ منك، فلو كانت «منكَ» هى المانعةَ لمنَعَتْ هنا، فهذا قولٌ بيِّنٌ جداًّ.

وقوله: «المُزَجَّى»، فهو الضعيفُ: يقال: زَجَّى فلان حاجتى، أى خَفَّ عليه تَعْجِـيلُها، والْمُزْجـاةُ من البضائع: اليَـسيرةُ الخـفيفـة المَحْمِلِ. والنفْنفُ وجمـعه النَّفَـانفُ: كلُّ ما كان بـين شيئـين عالٍ ومنخـفض، وقال ذو الرُّمَّـة: «فى نَفْنَفٍ يَتطَوَّحُ(٢)».

وقوله: «ولا عبئًا عَلَى من يقاعدُ» فالْعبْء، الثِّـقْل، يقال حَمَل عِبْئًا ثقيلاً، ووكَدَهُ بقوله: «ثقيلاً»، ولو لم يقله لم يَحْتَجْ إليه.

[لرجل يذكر ابنه]

وقال آخر يذكر ابنه:

ألاَ يَاسُـمَـيّـــةُ شُبِّى الْوَقُـودَا   لَعَـلَّ اللَّيَــــالِى تُؤَدِّى يَـزِيدَا

---

(١) سورة المرسلات ١١.

(٢) البيت بتمامه:

ترى قُرْطَهَا فى واضِح الليتِ مُشْرِفًا
عَلى هَلَكٍ فى نفنفٍ يتطوَّحُ

وانظر ديوانه ٨٢.

فَنَفْسِى فِدَاؤُكَ مِنْ غَائِبٍ إذَا مَا المَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِى الَّذِى كُنْتُ أَسْعَى لَهُ فَصَارَ أبًا لى وَصِرْتُ الوَلِيدَا

قوله: «شُبِّى»، يقال: شَبَبْتُ النارَ والحربَ إذا أوْقَدْتَهما، ويقال: شَبَّ يَشُبُّ شَبًّا، قال الأعْشى:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلِّقُ

وقوله:

* إذا ما المَسارح كانت جليدًا *

فالمَسارحُ الطُّرُقُ التى يَسْرَحون فيها، واحدها مَسْرَحٌ، والجَليدُ يقع من السماء. وهو نَدًى فيه جُمُودٌ، فَتبْيَضُّ له الأرض، وهو دون الثَّلْجِ، يقال له: الجَليد، والضَّريب، والسقيط، والصَّقيع.

وقالوا فى قوله:

* رِجْلاَ عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ *

أى يَصيبهَا الضَّرِيبُ.

وقوله: «وصرت[1] الوليد»، الوليد[2]: الصغير، وجمعه وِلْدان، وهو فى القرآن[3] ونظير وَليد ووِلْدان ظليمٌ وظِلْمان، وقضيب وقضْبانٌ، وباب «فعال فِعْلانٌ»، نحو عِقْبانٍ وذِبَّان وغِرْبان. وقولهم: «أمْرٌ لا يُنادَى وَليدُهُ»، يقال فيه قولان يتقاربان[4]، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغارُ، والوجه الآخر لأصحاب المعانى، يقولون: ليس فيه وَليدٌ فيُدْعَى، ونظير ذلك قول النابغة الجَعْدِىِّ:

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيجِهَا وضربَ[5] نَوَاقِيس لَمْ تُضْرَبِ

(١) ر، س: «وكنت».
(٢) س: «فالوليد».
(٣) زيادات ر: «قوله عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدونَ﴾» «الواقعة ١٧»
(٤) ر: «متقاربان».
(٥) ر: «وصوت».

أى لَيْستْ ثَمّ، ولكنَّ هذا من أوقاتها. وقالت أخت طَرَفَةَ بن الْعَبْدِ:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وعِشرِينَ حِجَّةً ... فَلمَّا توفَّاها اْسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمَا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إيَابَهُ ... عَلَى خَيْرِ حالٍ لاَ وَلِيدًا وَلاَ قَحْمَا

الوليد: ما ذَكَرْنا، والقَحْمُ: الرجل المتناهى سِنًّا، ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وَقَحْرٌ وَمُقْلَحِمٌّ، ويقال للبعير خاصَّةً: قُحارية، فى وزن[1] قُرَاسِيَة، وأنشد الأصْمعِيّ:

رَأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَاقْلَحَمَّا ... طالَ عليه الدَّهْرُ فَاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ: الضامر.

[لرجل آخر يرثى ابنه]

وقال آخر لابنه يَرْثيه:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ بِتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرى ... وبِتُّ بِمَا زوَّدْتَنِى مُتَمتِّعا

ولوْ أَنَّنِى أَنْصَفْتُكُ الْوُدَّ لَمْ أَبِتْ ... خِلاَفَكَ حَتَّى نَنْطَوِى فى الثَّرَى مَعًا

[لإبراهيم بن عبد الله بن حسن يرثى أخاه]

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا:

أَبَا المَنازِلِ يَا عُبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ ... يُفْجَع بِمِثْلِكَ فى الدُّنْيَا فَقدْ فُجِعَا

اللهُ يَعلَمُ أنِّى لَوْ خَشِيتُهُمُ ... أو آنسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْف لَهُمْ فَزَعَا

لَمْ يَقْتُلُوكَ ولَمْ أُسْلمْ أُخَىَّ لهمُ ... حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله: «ياعُبْرَ الفوارس، يصفه بالقوة منهم وعليهم، كما يقال: ناقة عُبْر الهَوَاجِرِ وعُبْر السُّرَى»[2].

وقوله:

* أوْ آنس القلب من خوف لهم فزعَا *

---

(١) ر: «بوزن».

(٢) عبر الفوارس، من قولهم: ناقة عبر أسفار: إذا كانت قوية.

يقول: أحَسَّ، وأصل الإيناس فى العين، يقال: آنسْتُ شخصًا، أى أبْصَرْتَه من بعد، وفى كتاب الله جلّ وعز: ﴿آنَسَ مِنْ جانبِ الطُّور نَارًا﴾(١).

[لمتمم بن نويرة يرثى أخاه]

وقال مُتَمّم بنُ نُوَيْرَةَ(٢):

وَقَالوا: أَتَبْكِى كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ ... لمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكَادِكِ!
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ البُكا(٣) ... ذَرُونِى فَهذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ(٤)

الأَسَى: الحُزن، وقد مرّ تفسيره.

[لعلى بن عبد الله بن العباس يفخر]

وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب رحمة الله ورضوانه عليه:

أَبِى الْعَبَّاسُ قَرْمُ بَنِى قُصَىٍّ ... وَأَخْوَالِى الْمُلوكُ بَنُو وَلِيعَهْ
هُمُ مَنَعُوا ذِمَارِى يَوْمَ جَاءَتْ ... كَتَائِبُ مُسْرِف وَبَنُو اللَّكِيعَهْ
أَرادَ بِىَ الَّتِى لا عِزَّ فِيهَا ... فَحَالَتْ دونَهُ أَيْدٍ مَنِيعَهْ

قوله: «بنو وليعة»، فهم أخواله من كِنْدَةَ، وأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيَّةُ، ثم إحدى بنى وَلِيعةَ.

وقوله: «كتائبُ مُسْرِف» يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرّىّ صاحبَ الحَرَّة، وأهلُ الحجاز يسمونه مسرفًا، وكان أراد أَهْلَ المدينة جميعًا على أن يبايعوا يَزِيدَ بن معاويةَ على أن كلَّ واحد منهم عَبْدَ قِن له إلا علىَّ بن الحُسَيْنِ، فقال حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ من كِنْدَةَ: «ولا يُبايِعُ ابْنُ أختنا علىُّ بن عبد الله إلاّ على ما يُبايِعُ عليه علىُّ بن الحسين، على أنه ابن عَم أمير المؤمنين، وإلا فالحَرْبُ بيننا». فأُعْفِىَ علىُّ بن عبد الله، وقبِلَ منه ما أراد، فقال هذا الشِّعْرَ لذلك.

---

(١) سورة القصص ٣٩.

(٢) زيادات ر: «يرثى أخاه»، وفى س قبل هذا البيت:

ومستضحك إذ لم يُصَبْ كمصيبتى ... وليس أخو الشَّجْوِ الحزين بضاحك

(٣) ر: «الأسى».

(٤) فى س بعد هذا البيت:

أَلَمْ تَرهُ فينا يقسِّم ماله ... ويأوى إليه مرملات الضرائكِ

وقولـه: «بنو اللكيعـة»، فهى اللئـيمـة، ويقال فى النداء للّئـيم: يا لَكَع، وللأنثى: يالَكاعِ، لأنه موضع معرفة. كما يقال: يا فُسَقُ ويا خُبَث، فإن لم تُردْ أن تَعْدلَهُ عن جهنه قلتَ للرجل: يا أَلْكَعُ، وللأنثى يالَكْعاءُ، وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَة، وقد جاء فى الحـديث ـ والأصل ما ذكرتُ لك ـ: «لا تَقوم السـاعةُ حتى يَلِيَ أمر[1] الناس لَكَع ابن لُكَع»، فـهذا كناية عن اللئـيم ابن اللئـيم، وهذا بمنزلة «عمـر» ينصرف فى الـنكرة، ولا ينصرف فى المعـرفة. ولَكاعِ يُبْنَى على الـكسر، وسنشرح باب «فَعال» للمؤنث على وُجوهه الأربعة عند أول ما يَجْرِى من ذكره إن شاء الله، وقد اُضْطُرَّ الحُطَيْئةُ فَذَكَرَ «لَكاعِ» فى غير النِّداء، فقال يَهْجو امرأته:

أُطَوِّفُ مَــــا أُطَـوِّفُ ثُمَّ آوِى إِلَى بَيْـتٍ قَــعِـيــدَتُـهُ لَكاعِ

قعيدة البيتِ: رَبَّةُ البيت، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها، ويقال للفرس قُعْدَةٌ من هذا، وهو الذى يَرْتبطه صاحبه فلا يُفارقه، قال الجُعْفىُّ:

لكِنْ قَـعِـيـدَةُ بَيْـتِنَا مَـجْـفُـوَّةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا، ولَهَا غِنَى

الجَناجِنُ: ما يظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلوع الصدر، واحدها جِنْجِنٌ.

[لهشام أخى ذى الرمة]

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة:

تَعَزَّيْـتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْـلانَ بَعْدَهُ عزاء، وجَفْنُ العَـيْن بالمَاءِ مُتْرَعَ

ولَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى المُصِيبَات بعده ولكن نكءَ القرح بالقرح أوجع

غَيْلانُ: هو ذو الرُّمَّـة، وكان هِشامٌ من عُقَلاءِ الرجال. حـدثنى العباس بن الفَرَجِ فى إسناده له[2] يَعْزوه إلى رجل أراد سَفَرًا، فقال: قال لى هِشامُ بن عُقْبَةَ. إنَّ لكل رُفْقَـة كَلْبًا يَشْرَكُـهُمْ فى فَضْلَة الزاد، ويَهِرُّ دونهم، فـإن قَدَرْتَ ألا تكونَ كَلْبَ الرُّفْقة فـافْعَلْ، وإِيَّاكَ وتأخيرَ الصَّلاةِ عن وقـتها، فإنك مُصَلِّيهـا لا مَحالَةَ، فَصَلِّها وهى تُقْبَلُ منك.

---

(١) ر ، س: «أمور الناس».

(٢) ر ، س: «فى إسناد ذكره».

[لحسان بن ثابت الأنصاري في لهوه]

وقال حَسَانُ بن ثابت الأنصاريُّ:

تَقُولُ شَعْثَاءُ(١) لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الـ ... كَأْسِ لأصْبَحْتَ مُثْرِىَ الْعَدَدِ
أهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فى فَلَقِ الصُّـ ... بْحِ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرِدِ
لاَ أَخْدِشُ الْخَدْشَ بالجَلِيسِ وَلا ... يَخْشَى نَديمى إذا انْتَشَيْتُ يَدِى
يَأْبَى لِىَ السَّيْفُ واللِّسَانُ وَقَوْ ... مٌ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةِ الأَسَدِ

لِبْدَةُ الأسد: ما يَتطارَقُ مِنْ شَعَرِه بين كَتِفَيْه، ويقال: أَسَدٌ ذو لِبْدَةٍ وَذو لِبَدٍ.

[لجرير في مرضه حين عادته قيس]

وحدّثنى عُمارة قال: مرض جَرِيرٌ مَرْضَةً شديدةً، فعادتْه قيس، فقال:

نَفسى الْفِداءُ لِقَومٍ زَيَّنُوا حَسَبى ... وَإِنْ مَرِضتُ فَهُمْ أَهْلِى وَعُوَّادِى.
لَوْ خِفتُ لَيْثًا أَبَا شِبْلَيْنِ ذَا لِبَدٍ ... مَا أَسْلَمُونِى لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِى
إِنْ تَجْرِ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ ... أَوْ بالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زادِى

[لعبد الرحمن بن ثابت يهاجي عبد الرحمن بن الحكم]

وقال عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت بن الْمُنْذِر بن حَرَامٍ، وهو يهاجى عبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْس:

فَأَمَّا قَوْلُك: الخُلَفَاءُ مِنَّا ... فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وِدَاجى
وَلَوْلاَهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ ... هَوى فى مُظْلِمِ الْغَمَراتِ دَاجِ
وكُنْتَ أذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأسَهُ بِالْفِهْرِ واجى(٢)

فكتب مُعاويةُ إلى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهُما وكانا تَقاذَفا، فَضَرَبَ عبدَ الرحمن بن حسّان ثمانين، وضَرَبَ أخاه عشرين، فقيل لعبد الرحمن بن حسّان: قد أمْكَنَكَ فى مَرْوانَ ما تريد، فَأَنْشِد بذكره، وارْفَعْهُ إلى مُعاوية، فقال: إذًا والله

(١) زيادات ر: «هى امرأته، وهو اسمها».
(٢) الفهر: الحجر الذى يملأ الكف.

لا أَفْعلُ، وقد حدَّنى كما تُحَدُّ الرجالُ الأحرارُ، وجَعَل أخاه كنصف عبد. فأَوجَعهُ بـهـذا الـقـول.

* * *

ويروى أن عبد الـرحمن بن حَسَّان لسَعَـهُ زُنْبورٌ فجاء أباه يبكـى، فقال له: مالك؟ فقال: لسعنى طائر كأنه مُلْتَفٌّ فِى بُرْدَى حِبَرَةٍ. قال: قلتَ والله الشعرَ.

ويروى أن معلَمه عاقب صبيانا(١) على ذَنْبٍ وأراده بالعقوبة، فقال:

اللهُ يَعْلَـمُ أَنِّى كُنْتُ مُـنْتَـبِـــذًا في دَارِ حَسَّـانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيـبَا

وأَعْرَقُ قومٍ كـانوا فى الشعر آلُ حَسَّـان، فإنهم كانوا يَعْتَـدُّون ستةً فى نَسَق كُلهم شاعرٌ، وهم سَعيد بن عـبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن الْمُنْذِر بن حرام، وبعد هؤلاء فى الوقت آلُ أبى حَـفْصة، فـإنهم أهل بيت كلُّهم شاعـر، يتوارثونه كابِرًا عن كابِر.

ويـروى أن ابنـة لابـن الـرِّقـاع وقف ببـاب أبيها قوم يسألون عـنه، فقالت: ما تريدون؟ فقالوا: جئنا لنُهاجِيَهُ، فقالت وهى صَبِيَّةٌ:

تَجَمَّـعْتُمُ مِنْ كلِّ أَوْبٍ وَوِجْـهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلْتُم قِـرْنَ واحِدِ

فهذه بلغتْ بطبـعها على صِغَرِها مَبْلَـغَ الأعْشَى فى قَلْب هذا المعنى، حيث يقول لِهَوذَةَ بن علىّ:

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلاثِين قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَلاثِينَ وَاحِدَا

---

(١) ر: «الصبيان».

بابـ

[نبذ من كلام الحكماء]

قال أبو العباس: قال عـمر بن الخطاب رحمه الله(١): عَلّمُوا أولادكم العَوْمَ والرّماية، ومُـروهُمْ فَلْيَثِبُوا على الخـيل وثْبًا، ورَوُّوهُمْ ما يَجْمُلُ من الشـعْر. وفى حديث آخر: وَخَيْرُ الخُلُقِ للمرأة المِغْزَلُ.

ويروى عن الشَّعْبِىِّ أنه قال: قال عبد الله بن العباس، قال لى أبى: يا بُنَىّ، إنى أرى أمير المؤمنين قد اخْتَصَّكَ دون مَـنْ ترى من المهاجرين والأنصار، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كَـذبًا، ولا تَغْتَبْ عنده مسلمًا، ولا تُفْـشِيَنَّ له سِرًّا، قال: فقلتُ له: يَا أبَهْ،كُلُّ واحدةٍ منها خيـرٌ من ألف، فقال: كلٌّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف.

وحدثنى العبـاس بن الفَرَج فى إسناد ذكره قال: نُظِرَ إلى عـمرو بن العاص على بَغْلة قد شَمِطَ(٢) وَجْهُها هَرَمًا، فقيل له: أَتَرْكَب هذه وأنت على أكْرَمِ ناخرة بمصر؟ فـقال: لا مَلَلَ عندى لدابتى مـا حَمَلَتْ رِجْلىّ، ولا لامرأتى مـا أَحْسَنَتْ عِشْرتى، ولا لصديقى ما حَفِظَ سِرِّى، إن المَلَلَ من كَوَاذب الأخْلاق.

قوله: «على أكرم ناخـرة» يريد الخيل، يقال للواحد ناخـرٌ، وقيل: ناخِرَة، يراد جماعةٌ، كما تقول: رجل بَغَّالٌ وحَمَّـارٌ، والجماعة البَغَّالةُ والحمَّارةُ، وكذلك تقول: أتتنى عُصْبَةٌ نَبيلةٌ، وقبيلة شَرِيفة، والواحد نبيلٌ وشريف.

[فى مشاورة معاوية عمرو بن العاص فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة]

وشاوَرَ مُعـاوية عَمْرًا فى أمر عـبد الله بن هاشم بن عُتْبَـةَ بن مالك بن أبى وَقَّاصٍ ـ وكان هاشم بن عُتْبَة أحَدَ فُرْسان(٣) علىّ رحمه الله ـ فأُتِىَ بابنه مُعاويةُ، فشاور عَمْـرًا فيه، فقال: أرى أن تقتله، فقال له مـعاوية: إنى لم أرَ فى العَفْو إلا خيْرًا، فمضى عمرٌو مُغْضَبًا، وكتب إليه:

---

(١) ر ، س: «رضى الله عنه».

(٢) شمط وجهها: ابيضّ.

(٣) زيادات ر: «وهو المرقال».

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازِمًا فَعَصَيْتَنِى ... وكانَ مِنَ التَّوْفيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمِ
أَلَيْسَ أَبُوهُ يَا مُعَاوِيَةُ الَّذى ... أَعَانَ عليًّا(١) يَوْمَ حَزِّ الْغَلاصِمِ(٢)
فَقَتَّلَنا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا ... بِصِفِّينَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ
وهذا ابْنُهُ، والمرْءُ يُشْبِهُ عِيصَهُ(٣) ... ويُوشِكُ أَنْ تُلْفى(٤) بِهِ جِدَّ نَادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم، فكتب إليه عبد الله بن هاشم:

مُعَاوِىَ إنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ... ضَغِينَةُ خِبٍّ غِشُّهَا غَيْرُ نَائِمِ
يَرَى لَكَ قَتْلِى يَابْنَ هِنْدٍ وإِنَّمَا ... يَرَى مَا يَرَى عَمْرٌو مُلُوكُ الأعَاجِمِ
عَلَى أَنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ ... إِذَا كَانَ مِنْهُ بَيْعَةٌ لِلْمُسَالِمِ
فَإِنْ تَعْفُ عَنِّى تَعْفُ عَنْ ذِى قَرَابَةٍ ... وإِنْ تَرَ قَتْلِى تَسْتَحِلَّ مَحَارِمِى

فَصفَحَ عنه.

[من كلام عمرو بن العاص لعائشة]

وقال عمرو لعائشة رحمة الله عليهما(٥): لوَدِدْتُ أنَّك كنت قُتلْت يوم الجَمَلِ! فقالت: ولِمَ لا أبالك؟ فقال: كُنْتِ تَمُوتِينَ بأَجَلِك، وتَدْخُلِينَ الجنةَ، ونَجْعَلُكِ أكبر التشنيع على علىٍّ.

[ما قاله عمرو بن العاص حين احتضر]

وحدثنى العباس بن الفرج الرِّيَاشِيُّ فى إسنادٍ ذكره، آخره «ابنُ عباس»، قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد احْتُضِرَ، فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له: يا عبد الله، خُذْ ذلك الصَّنْدوقَ، فقال: لا حاجة لى فيه(٦)، قال: إنه مملوء مالاً، قال: لا حاجة لى به، فقال عمرو: ليته مملوء بَعَرًا! قال: فقلت:

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «علينا».
(٢) الغلاصم: الحلاقيم.
(٣) العيص: الأصل.
(٤) ر: «تلقى» بالقاف.
(٥) ر: «رحمها الله».
(٦) س: «به».

يا أبا عبد الله، إنك كنتَ تقول: أشتهى أن أَرَى عاقلاً يموت حتى أسأَلَهُ كيف يَجدُ؟ فكيف تَجِدُكَ؟ قال: أجد السماء كأنها مُطْبَقَةٌ على الأرض وأنا بينهما، وأرانى كأنما أتَنَفَّسُ من خَرت إِبْرَة، ثم قال: اللهم خُذْ منى حتى تَرضَى. ثم رفع يديه فقال: اللهم أَمرتَ فَعَصَيْنَا، ونَهَيْتَ فَرَكِبْنَا، فلا برىءٌ فأعْتَذِر، ولاقوىٌّ فأنتصر، ولكنه لا إلَه إلا الله ثلاثًا، ثم فاظ.

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرِّيَاشىِّ بأتمَّ(١) من هذا، ولكن(٢) اقتصرنا على هذا لثِقَة إسناده.

قوله: «من خَرْتِ إبرة»، يعنى من ثَقْبِ إبرةٍ، يقال للدليل: خِرِّيت، وزعم الأصمعىّ أنه أريد به أن يَهْتدى لمثل خُرْتِ الإبرة.

وقوله: «فاظ»، أى مات، يقال: فاظ، وفاد، وفَطَسَ، وفازَ، وفَوَّزَ، كل ذلك فى معنى الموت، ولا يقال: بالضاد إلا للإناء، قال رؤبة(٣):

* لاَ يَدْفِنُونَ مِنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

وقال ابن جُرَيْجٍ: «أمَا رَأَيْتَ الَميتَ حِينَ فَوْظِه»!

ومَن قال ذلك للنفْس قال: فاضَتْ نَفْسُهُ، يشبّهها بالإناء.

وحدّثنى أبو عثمان المازنىُّ ـ أَحْسِبُهُ عن أبى زيد ـ قال: كلُّ العرب يقولون: فاضَتْ نفسه إلا بَنى ضَبَّة فإنهم يقولون: فاظَتْ نفسه، وإنما الكلام الصحيح، فاظ ـ بالظاء ـ إذا مات.

وفى الحديث أن امرأة سَلاَّم بن أبى الحُقَيْقِ قالت: فاظ، وإلَه يَهودَ.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وحدثنى مسعود بن بِشْر قال: قال زيادٌ: الإمْرَةُ تُذْهِب الحَفيظَةَ، وقد كانت من قوم إلىَّ هَناتٌ جعلتُها تحت قَدَمى، ودَبْرَ أُذُنى، فلو بلغنى أن أحدَكم قد أخذه

---

(١) س: «أتم».

(٢) س: «ولكنا».

(٣) قبله:

* والأزد أمسى شلوهمْ لفاظا *

وانظر اللسان (فيظ).

السُّلُّ من بُغْـضِي مـا هَتَكْتُ له سِـتْرًا ولا كَـشَـفْتُ له قِناعًا حـتى يُبْـدِيَ لي عن صَفْحته، فإذا فعل لم أناظِرْهُ.

وسمع زيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال: لو كان يدرى ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، إن الزمان هو السلطان.

وفي عَهْدِ أردَشير: وقد(١) قال الأولون منّا: عَدْلُ السلطـان أنفعُ لِلرَّعِيَّة من خِصْبِ الزمان.

وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْـرَةَ لِبَنِيه: إذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا للمُحـسِنِ، واشتدّوا على المريب، فإن الناس للسُّلْطان أهْيَبُ منهم للقرآن.

وقـال عثـمان بن عَـفَّانَ رضى الله عنـه: إن الله ليزَعُ بالسلطان مـا لا يَزَعُ بالقرآن.

قوله: «يَزَعُ» أي يَـكُفُّ، يقال: وَزَعَ يَزَعُ إذا كف، وكان أصلـه «يَزِعُ» مثل يَعِدُ فـذهبت الواو لوقوعهـا بين ياء وكسرة، وأتْبِعـتْ حروفُ المضارعة اليـاءَ لئلا يختلف الباب، وهى الهـمزة، والنون، والتاء، والياء، نحو أَعِـدُ، ونَعِدُ، وتَعِدُ، ويَعِـدُ، ولكن انفتـحت فى «يَزَعُ» من أجل العين؛ لأن حـروف الحلق إذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ فى الـفعل الذى ماضيه «فَعَلَ»، وإن وقعت الواو مما هى فيـه فاءٌ فى «يَفْـعَلُ» المفتوحـة العين فى الأصل صَحَّ الفـعْل، نحو: وَحِلَ يَوحَلُ، وَوَجِلَ يَوْجَلُ، ويجـوز فى هذه المفتـوحة ياحَلُ وياجَلُ ويَيْحَـلُ ويَيْجَلُ، وكل هذا كراهية للواو بعـد الياء، تقول: وزَعْتُهُ: كـففته، وأوزعتـه: حملته على ركـوب الشيءِ وهيّـأته له، وهو من الله عـزّ وجل توفـيق، ويقـال: أوْزَعَكَ الله شكره، أى وفقك له.

وقال الحسن مرّةً: ما حاجـة هؤلاء السلاطين إلى الشُّرَطِ؟ فلما وَلِي القضاء كَثُرَ عليه الناس، فقال: لابُدَّ للسلطان(٢) من وَزَعَة.

---

(١) س: «قد» بحذف الواو.

(٢) ر، س: «للناس».

وخَطَبَ الحَجَّاجُ بن يوسف ذات يومٍ، يوم جمعة، فلما تَوَسَّطَ كلامَهُ سمع تكبيرًا عاليًا من ناحية السوق، فقطع خطبته التى كان فيها، ثم قال: يا أهلَ العراق، ويا أهل الشِّقاق، ويا أهل النفاق، وسَيِّئ الأخْلاق، يا بنى اللَّكيعة، وعَبيدَ العَصَا، وأولادَ الإماء، إنى لأسْمَعُ تكبيرًا ما يُرَادُ الله به، إنما يراد به الشيطانُ، وإن مَثَلى وَمَثَلكُمْ قولُ ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدانىِّ:

وَكُنْتُ إذَا قَومٌ رَمَوْنى رَمَيْتُهُمْ ... فَهَلْ أَنَا فى ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ!
مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الْذَّكِىَّ وَصَارِمًا ... وَأَنْفًا حمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

[ثم نزل فصلّى بهم](١).

قوله: «يا أهل الشقاق»، فالمشاقَّةُ المعاداة، وأصله أن يَركَبَ ما يَشُقُّ عليه، ويُرْكبَ منه مثل ذلك. والنفاق أن يُسرَّ خلافَ ما يُبْدى، هذا أصله، وإنما أُخذَ من النافقاء، وهو أحد أبواب جُحْر اليَرْبوع، وذلك أنه أخفاها فإنما يَظْهَرُ من غيره، ولِجُحْرِه أربعةُ أبواب: النافقاءُ، والراهطاءُ، والدأماءُ والسابياءُ، وكلُّها ممدودة، ويقال للسابياء: القاصعاءُ، وإنما قيل له السابياء لأنه لا يُنْفذُهُ فَيُبْقى بينه وبين إنفاذه هَنَة من الأرض رقيقةً، وأُخذَ من سابياء الولد، وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه، قال الأخْطَلُ يَضْرِبُ ذلك مَثَلاً ليَرْبوع بن حَنْظَلَةَ لأنه سُمِّىَ باليربوع:

تُسَدُّ القاصِعاءُ عليك حَتَّى ... تُنَفَّقَ أو تموتَ بها هُزالا(٢)

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ إلا وفى جُحْرِه عقربَ، فهو لا يأكل ولد العقرب، وهى لا تضربه فهى مُسالِمَةٌ له وهو مُسالِمٌ لها، وأنشد(٣):

---

(١) تكملة من ر.

(٢) تنفق: تخرج من نافقائه.

(٣) زيادات ر: «كلها بالمد، ويقال بالقصر، ويقال أيضا فيها على وزن فعلة [بضم الفاء وفتح العين] نفقة ورهطة ودممة وقصعة.

وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء، والنفقاء كالنافقاء، والقصعاء كالقاصعاء.
=

وأَخْدَعَ من ضَبٍّ إذَا خاف حارِشًا[1] أَعَدَّ له له عنْدَ الذَّنابة عَقْربا

وقوله: «بنو اللكيعة» يريد اللئيمة، وقد مرَّ تفسير هذا فى موضعه، قال ابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يذكر قتل مُصْعَبِ بن الزُّبَيرِ[2]:

إن الـرَّزِيَّة يَـوْمَ مَـسْـكِنَ والمُصيبـةَ والفَـجيعَـهْ
بـابـن الحَـوَارِىِّ الـذى لَمْ يَعْـدُهُ أَهْلُ الوَقـيـعـهْ[3]
غَـدَرَتْ به مُـضَـرُ العِـراقِ، وأَمْكَنَتْ مِنْهُ رَبـيـعـهْ
فَأُصَبْـتِ وِتْـرَكِ يـا رَبـيـعَ وكُنْتِ سـامعـةً مُطيعَهْ
يـا لَهـفَ لو كـانَتْ لـه بالطَّفِّ يَوْمَ الـطَّفِّ شيـعَـهّ !
أو لم يَـخُـونـوا عَـهْـدَهُ أهلُ العِـراقِ بَنُو الَّلـكِيـعَـةْ
لَـوَجَـدْتُـمـوهُ حـيـن يَـغْـضَبُ لا يـعَـرِّجُ بـالمضيـعَهْ[4]

وقوله: «عبيـد العصا»، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال[5]، كما قال ابن مُفرغٍ الْحِمْيَرِىُّ:

الْعَـبْدُ يُـقْرَعُ بـالعَـصَـا والحُـرُّ تـكفـيـه المَـلامَـهْ

وقال جرير يهجو التَّيْمَ:

أَلاَ إِنَّمـا تَيْمٌ لعـمـرو ومـالكٍ عَبيدُ العَصـا لم يَرجُ عِتْقًا قَطينُها

= وحكى أيضا زيادة فقال: العاتقاء، جحر الأرنب واليربوع، والغابياء أيضا جحرة اليربوع. وأما قول أبى العبـاس فى السابياء، فهـو مما قد ورد عليه فيـه، وقد تبعه ابن ولاد، وكـلاهما غير مـصيب، وإنما السـابيـاء وعــاء فيـه مـاء صـاف يـخـرج مع الـولـد وهو الفقء، وليس يخـرج الولد فـيـه وقـال الكميت:

وفقَّـأ فيـها الغـيثُ مِنْ سابيـائه دَوالحَ وافقن الـنـجوم البواجِـسا

فشبه ماء الغـيث بماء السابياء وإنما الجلدة التى يكون فيها الولد الغرس، وقد تبـع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحر اليربوع، وذلك غلط.

(١) الحارش: صائد الضباب.

(٢) قتـل مصـعب بن الزبير سنة ٧٢، قـتله عبـد الملك بن مـروان بموضع يقال له مـسكن على نهر جـيل. والأبيات فى معجم البلدان. (٨: ٥٤).

(٣) الحوارى فى الأصل: الناصر، ويريد به الزبير بن العوام.

(٤) روايته فى معجم البلدان:

لوجـــدتموه حـــين يَـعْـدو لا يعــرّسُ بـالصنيــعــهْ

(٥) ر: «يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال».

[من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه]

وخَطَبَ النَّاسَ عبد الرحمن بن محمد الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحَجّاج عليه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عَدوِّكُمْ إلا كما يَبْقى من ذَنَب الوزَغَة، تَضْرِبُ به يمينا وشِمالا فلا تَلْبَثُ أن تموت. فسمعهُ رجل من بني قُشَيْر ابن كَعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةْ فقال: قَبَّحَ الله هذا: يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعِدُهُم الغرورَا!

[كلام عرار بن شأس لعبد الملك حينما حمل إليه رأس ابن الأشعث]

ورَوَت الرُّواةُ أن الحَجَّاجَ لما أخَذَ رأسَ ابن الأشعث وَجَّهَ به إلى عبد المَلك ابن مَرْوان مع عرار بن عَمْرو بن شَأْسٍ الأسَديِّ ـ وكانَ أسود دَميما ـ فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقعة(١) إلا أنْبَأهُ به عرارٌ، في أصح لفظ، وأشْبَعِ قول، وأجْزَإِ اختصار، فشفاه من الخبر، ومَلأَ أُذُنَهُ صوابًا ـ وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقْتَحَمَتْهُ عينه حيث رآه ـ فقال متمثّلاً:

أرَادَتْ عِرَارًا بِالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ ... لَعَمْرِي عِرَارًا بالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ(٢)
وَإنَّ عِرَارًا إنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فإنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا المَنْكِب الْعَمَمْ

فقال له عِرارٌ: أتَعْرِفُني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: فأنا والله عِرارٌ، فزاده في سُروره، وأَضْعفَ له الجائزة.

[كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك في وقت محاربته ابن الأشعث]

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك وقت محاربته ابنَ الأشْعَث: إني قد وجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لَمْ يُرَ مِثْلها قَطُّ، فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهًا جميلاً، وخُلُقًا نبيلاً، فألْقى إليها قضيبا كان في يده، فَنَكسَتْ لتأخذه، فرأى منها جسّمًا بَهَرَهُ، فلما همَّ بها أَعْلَمَهُ الآذن أن رسول الحَجَّاج بالباب، فأذنَ له، ونَحَّى الجاريةَ، فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن، فيه سطور أربعة:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ: هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الجِيرةِ الخُلُط!(٣)

---

(١) ر: «الوقيعة».

(٢) البيتان لعمرو بن شأس، وانظر ديوان الحماسة لأبي تمام ـ بشرح التبريزي ١ : ٢٧٢.

(٣) نسب أبو الفرج هذه الأبيات إلى وعلة الجرمي، وانظر الأغاني ١٩ : ١٤٠.

وهلْ ستمَـوْتُ بجرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ ... جَمِّ الصَّوَاهلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ !

وهَلْ تَركتُ نِسَاءَ الْحَىِ ضَاحِيَةً ... فِى سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوقِدنَ بِالغُبُط !

وتحتها(١):

قَـتَلَ الملوكَ وسَـارَ تَحْتَ لِوَائِهِ ... شَـجَرُ الْعُـرَى وعَـراعِرُ الأقْـوَامِ

قال: فكتب إليه عبد الملك كتابا، وجعل فى طَيِّه جوابا لابن الأشْعث:

مَا بَالُ منْ أسْعَى لأجْـبُرَ عَظمَهُ ... حِفَاظًا ويَنْوِى مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرى![٢]

أظنُّ خطُوبَ الدَّهْر بينى وبَيْنَهُمْ ... سَتَحْـملهُمْ مِنِّى عَلَى مَرْكَبٍ وَعْـرِ

وَإنِّى وإيَّاهُمْ كـمَنْ نَـبَّـهَ القَطَا ... وَلَوْ لم تُنَبَّـهْ بَاتَت الطَّيْـرُ لا تَسْـرى

أنَاةً وَحِلمًـا وَانْتِظَارًا بِهِمِ غَـدًا ... فـمَا أنَا بِالْوَانِى وَلاَ الضَّـرَعِ الْغَمْـرِ

وينشد: «بالفانى». ثم يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقـول: ما أفَدْتُ فائدة أحبَّ إلىّ منك، فتقـول: فما بالكَ يا أمير المؤمنين ومـا يمنعك؟ فقال: [يمنعنى][٣] ما قال الأخْطَلُ؛ لأنى إن خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العَرَب:

قَوْمٌ إذَا حَـارَبُوا شَدُّوا مَـآزِرَهُمْ ... دُون النِّسَـاءِ وَلَوْ باتَتْ بِأطْـهَـارِ

فما إليـك سَبِيلٌ أوِ يَحْكُمَ الله بينى وبين عدوّ الرحـمن، ابن الأشْعَثِ. فلم يَقْرَبْها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن.

قوله: «فرأى منـها جسمًا بَهَـرهُ»، يقال: بَهَرَ الليلُ إذا سَدَّ الأفُقَ بـظلمته، وبَهَرَ القمرُ إذا ملأ الأرض ببَـهائِه، ومن ثمَّ قيل: القمرُ[٤] الباهرُ، أنشدنى المازِنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كعْب:

والْقَـمَـرِ الْبَاهِـرِ السَّمَـاءَ لَقَـدْ ... زُرْنَا هِلالاً بِـجَـحْـفَـلٍ لَجِب

---

(١) زيادات ر: «بيت آخر على غير الروى من الأبيات الأول، وهو». والبيت لمهلهل بن ربيعة، وانظر اللآلئ ٣٤١.

(٢) الأبيات للحارث بن وعلة الجرمى، وانظر اللآلئ ٧٥٠.

(٣) تكملة من ر.

(٤) ر: «للقمر».

تَسْمَعُ زَجْرَ الكماة بَيْنهُمُ:   قَدِّمْ، وأَخِّرْ، وأَرحِبِى، وهَبِى(١)
منْ كُلِّ هُدَّاءَةٍ كعالية الرُّ   مْحِ أمونٍ وَشَيْظَمٍ سَلِبِ(٢)

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ يَصِفُ كيف تُزجرُ الخيلُ، فَجَمَعَهُ فى بيت واحد:

وقِيل اقْدِمِى وَاقْدِمْ وَأَخِّ وَأَخِّرِى   وَهَاءِ وهَلاَّ وَاضرِحْ(٣) وَقَادِعُهَا هبِى

[قال أبو الحسن: وأجِّ].

ومن زَجْرِ الخيل أيضًا: «هقَبْ وهقَطْ»، وأنشدنى المازنىّ:

لَمَّا سَمِعتُ زَجرهُمْ هقَطْ   عَلِمتُ أنَّ فَارِسًا مُنحَطُّ(٤)

وقوله: «بين الجَمِّ والفُرُطِ» هما موضعان بأعيانهما.

وقوله:

* فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ *

يقال فيه قولان متقاربان: أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فَجَعَلْنَ مَراكبَهنَّ حَطبًا، هذا قول الأصمعىّ. وقال غيره: بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب، والغَبِيطُ من مَراكب النساء، وكذلك الحِدْج؛ قال أمْرُؤُ القَيْسِ:

تَقُول وَقدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا: عَقَرْتَ بَعِيرِى يا أمرَأَ القَيْس فانزلِ

فأعلمك أن الغبيط لها، والمحامل إنما أوّل من اتخذَها الحجّاج، ففى ذلك يقول الراجز:

أوَّلُ عبدٍ عَمِلَ المَحامِلاَ   أخْزاه ربّى عاجلا وآجلا

وقوله: «شجر العُرا» فالعُرا: نبت بعينه إن ضُمَّ العَينُ، والعَراءُ ممدودا وَجهُ الأرضِ، قال الله عزّ وجل: ﴿لَنُبِذَ بِالعراءِ وَهوَ مَذْمُومٌ﴾(٥). وقال الهُذَلىُّ(٦):

---

(١) أرحبى، من أرحب الشيء إذا وسعه، وهى من قولهم: هب بكسر الباء، وكلاهما زجر للخيل.
(٢) الهداءة: الفرس الضامر. والأمون: الوثيقة الخلق، والشيظم: الشديدة. والسلب: الطويل.
(٣) ر: «واضبر».
(٤) زيادات ر: قال الفراء: هقط، بالكسروالفتح، ويروى: «مختط بدل منحط».
(٥) سورة القلم ٤٩.
(٦) هو أبو حراش، والبيت فى ديوان الهذليين ٢: ١٦٨.

رَفّعتُ رِجْلا لا أَخافُ عِثارَهَا   وَنبذَتُ بِالْبَلَدِ العَراءِ ثِيَابِى

وهذا التفسير والإنْشَاد عن أبى عبيدة.

وقوله:

* دون النساء ولو باتَتْ بأطهار *

معناه أنه يجتنبها فى طهْرِها، وهوالوقت الذى يستقيم له غشْانُها فيه، وأهل الحجاز يَرَوْنَ «الأقْراءَ» الطهْر، وأهلُ العراق يَرَونهُ الحيضَ، وأهلُ المدينة يجعلون عِدَد النساءِ الأطهارَ، ويحْتَجُّونَ بقول الأعْشى:

وَفى كلِّ عَامٍ أنْتَ جاشِمُ غَزوَةٍ   تَشُدُّ لأقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةٍ مَالاً، وَفى الحَىِّ رفْعَةً   لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وقوله: «ولو باتتْ بأطهار»، فـ «لو» أصلها فى الكلام أن تَدُلَّ على وقوع الشىء لوقوع غيره، تقول: لو جئتنى لأعْطيتُكَ، ولو كان زيدٌ هناك لضربْتُهُ، ثم يُتَّسعُ فتصير فى معنى «إنْ» الواقعة للجزاء، تقول: أنتَ لا تُكرِمُنى ولو أكْرَمتُكَ، تريد «وإنْ» قال الله عزّ وجل: **﴿وَمَا أَنْتَ بمُؤمن لَنَا وَلَوْ كنَّا صَادقينَ﴾**(١)، فأما قوله عز وجلّ: **﴿فَلَنْ يُقْبَلَ منْ أحدهمْ ملءُ الأَرْضِ ذَهبًا وَلو أفْتدَى به﴾**(٢) فإن تأويلهَ عند أهل اللغة: لا يُقْبَل أن يَتَبرأَ به وهو مقيم على الكفر، ولاَ يُقْبلُ إن افتَدَى به، فـ «لو» فى معنى «إنْ» وإنما مَنَعَ «لَوْ» أن تكون من حروف المُجازاة فَتجزِمَ كما تَجزِمُ «إنْ» أَنَّ حروفَ المجازاة إنما تقع لما لم يَقَعْ، ويصير الماضى معها فى معنى المستقبل، تقول: إن جئتَنى أعْطيتُكَ، وإن قَعدْتَ عنى زُرتُك، فهذا لم يقع، وإن كان لفظ الماضىِ لِمَا أحْدَثتْهُ فيه «إن». وكذلك مَتَى أتيتنى أتيتك، و «لو» تقع فى معنى الماضى، تقول: لو جئتنى أمْسِ لصادَفتَنى، ولو ركِبتَ إلى أمْسِ لألفَيتَنى، فلذلك خَرجَتْ من حروف الجزاء، فإذا أدخلتَ معها «لا» صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلافُ ذلك المعنى، ولاتقع إلا على الأسماء، ويقع الخبر محذوفًا لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه، فاستُغْنىَ عن

(١) سورة يوسف ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ٩١.

ذكره، لذلك تقول: لَوْلاَ عَبـدُ الله لضربتكَ، والمعنى فى هذا المكان: من قَرابتك، أو صَداقتك، أو نحو ذلك، فهـذا معناها فى هذا الموضع، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهى «لَوْلاَ» التى تـقع فى معنى «هلاَّ» للتَّحْضيض، ومن ذلك قوله: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِـعتُمُـوهُ ظَنَّ المؤْمنُونَ والمؤْمنَاتُ بأَنْفُسهِمْ خَـيرًا﴾(١)، أى هَـلاَّ، وقـال الله عـز وجلّ: ﴿لَوْلاَ يَنْهَـاهُمُ الربَّانيُّـونَ وَالأَحْـبَـارُ عَنْ قَـولهِمُ الإِثْم﴾(٢)، فهذه لا يليها إلاالفعل؛ لأنها للأمـر والتحضيض، مُظْهَرًا أو مُضْمَرًا، كما قال(٣):

تَعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِى ضَوطَرَى لَوْلاَ الْكمِىَّ المقَنَّعَا

أى هلا تَعُـدُّون الكَمِىَّ المقنعا، «ولَولاَ» الأولى لا يليـها إلا الاسم علـى ما ذكرت لك، ولابُدَّ فى جـوابها من اللام أو معنى اللام، تقـول: لولا زَيْدٌ فعلت، والمعنى لَفَعَلْتُ، وزعم سيبـويه أن «زيدًا» من حَديث «لولا» واللامُ والفعلُ حديثٌ مُـعلّقٌ بحديث «لولا»، وتأويله أنه للشـرط الذى وجب من أجلهـا وامتنع لحـال الاسم بعدها، و «لوْ» لا يليهـا إلا الفعل مضمرًا أو مظهرًا؛ لأنهـا تُشاركُ حروف الجزَاء فى ابتداء الفعـل وجَوابه، تقول: لو جئْتَنى لأعْطَيْتُكَ، فـهذا ظهور الفعل، وإضماره [قـوله عزّ وجل](٤): ﴿قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْـلكُونَ خَـزَائنَ رَحـمـة ربِّى﴾(٥)، والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم، فهذا الذى رَفَعَ «أنتم» ولَما أُضْمِرَ ظَهر بعده ما يُفَـسِّرُهُ، ومـثلُ ذلك: «لَو ذَاتُ سِـوَارٍ لَطَمَـتنِى» أراد لَوْ لَطَمَـتنِى ذاتُ سِـوارٍ، ومثلـه(٦):

وَلَوْ غَيرُ أَخوَالِى أَرَادُوا نَـقِيصَتِى جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينِ مِيسَمَا

---

(١) سورة النور ١٢.

(٢) سورة المائدة ٦٣.

(٣) زيادات ر: «نسب لجرير، وقيل للأشهب بن رمـيلة». والصحيح أن البيت لجرير من قصيدة يهـجو فيها الفرزدق، (وانظر ديوانه ٢٣٣ ـ ٢٤٠).

(٤) تكملة من ر.

(٥) سورة الإسراء ١٠٠.

(٦) زيادات ر: «قول المتلمس» والبيت فى الأصمعيات ٢٨٧.

وكذلك قول جَرير:

لَوْ غَـيْرَكُمْ عَلِقَ الـزُّبَيرُ بَحبلِه ... أدَّى الجِـوَارَ إلَى بَنِى العَـوَّامِ

فَنَصبَ بفعل مضمر يُفسِّرُهُ ما بعده؛ لأنها للفعل، وهو فى التمثيل: لو عَلِقَ الزبيرُ غيرَكُم، وكذلك كلُّ شيء للفعل نحو: الاستفهام، والأمر، والنهى، وحروف الفعل نحو: «إذْ وسَوْفَ»(١) وهذا مشروح فى الكتاب «المُقْتَضَبِ» على حقيقة الشرح.

وأما قوله: «وعَراعِرُ الأقوام» فمعناه رءوس الأقوام، الواحد عُرْعُرَةٌ، وعُرْعُرَةُ كلِّ شَىء أعلاه، من ذلك كتاب يَزيد بن المهَلب إلى الحَجَّاج بن يوسف: «وإن العدوّ نزلوا(٢) بعُرْعُرة الجبل، ونَزَلْنا بالحَضيض»، فقال الحجاج: ليس هذا من كلام يَزيد، فَمَنْ هناكَ؟ قيل: يَحيى بن يَعمَر، فكتب إلى يَزيدَ أن يُشخِصهُ إليه.

[الحجّاج ويحيى بن يعمر]

وزعم التَّوَّزِىُّ قال: قال الحجاج ليَحْيَى بن يَعْمر: أتَسْمعُنى أَلْحَنُ؟ قال: الأمير أفْصَحُ من ذلك! قال: فأعاد عليه القول وأقْسَمَ. فقال: نعم، تجعل «أنَّ» مكان «إنَّ»، فقال له: ارْحَلْ عنّى ولا تجاورنى.

قال أبوالعباس: هذا على أنّ يزيد لم تُؤخَذ عليه زَلَّةٌ فى لفظ إلا واحدةٌ، فإنه قال على المِنْبَرِ ـ وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْدِ بن الخَطَّاب ـ فقال: «هذه الضَّبُعةُ العَرجاءُ»، فاعتُدتْ عليه لَحنًا، لأن الأنثى إنما يقال لها الضَّبُع، ويقال للذكر الضِّبْعان. فإذا جُمعَ قيل ضَبُعان، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير، والباب على خلاف ذلك؛ لأن التأنيث لا زيادة فيه، وفى التذكير زيادة الألف والنون، فَثُنِّيَ على الأصل، وأصل التأنيث أن يكون زائدًا على بناء التذكير؛ لأنه منه يَخْرُجُ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة، فمن حيث قُلْتَ للأنثى والذكر فى التثنية كريمانِ على حذف الزيادة قلت: ضَبُعانِ، وتقول: له ابنان إذا

(١) زيادات ر: «كذا وقع هنا «إذ» و «سوف» ولم يذكر سيبويه مع «سوف» إلا «قد» وهو الصحيح.
(٢) ر: «نزل».

أردتَ: له ابن وابْنَة، ولا تقول: فى الدار رجلان إذا أردتَ رجلاً وامرأةً، إلا على قول من قال للأنثى رَجُلَةٌ، فقد جاء ذلك، قال الشاعر:

كلُّ جــارٍ ظَلَّ مُــغْــتَــبِطًا   غَـيْــرَ جِـيِــرانِى بَنِى جَــبَلَهْ
خَــرَّقُـوا جَــيبَ فَــتَــاتِهِمُ   لَمْ يُبَــالُـوا حُـرْمَــةَ الـرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقة والجَمَلِ جَمَـلان، ولا الثَّوْرَانِ للثور والبـقرة[1]، لاختلاف الاسمـين، إنما يكون ذلك فـيمـا ذكرنا إلا فى قـول من قال للأنثى: ثَـوْرَةٌ، قال الشاعر[2]:

جَزَىَ اللهُ فيهَا الأعْوَرَيْنِ مَلاَمَةً[3]   وَعَبْدَةَ[4] ثَفْرَ الثوْرةِ المَتَضاجِمِ[5]

[قال أبو الحسن: المتضاجم: المتسع].[6]

(١) ر: «ولا يقال للبقرة والثور ثوران».
(٢) هو الأخطل، والبيت فى ديوانه ٢٧٧.
(٣) الديوان: «مذمة».
(٤) فى الديوان «وفردة».
(٥) ثفر الثورة: فرجها.
(٦) من ر.

بابـ

[للراعي في النسيبـ]

قال أبو العباس: قال الراعي:

وَمُرسلٍ ورَسُولٍ غَيرِ مُتَّهَمٍ ... وَحاجةٍ غَيْرِ مُزجاةٍ منَ الحَاجِ
طاوَعتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّجِيُّ بِنَا ... وَظنَّ أنّي عَلَيهِ غَيْرُ مُنعَاجِ
مَا زالَ يَفتحُ أبوابًا ويُغْلِقُهَا ... دُونِي، وأفتحُ بَابًا بَعْدَ إرْتاجِ
حتّى أضَاءَ سِراجٌ دونه بَقَرٌ ... حمرُ الأناملِ عِينٌ طَرفُها ساجِ
يَا نُعْمَهَا لَيْلَةً حَتّى تَخَوَّنَهَا ... دَاعٍ دعَا في فُرُوعِ الصُّبحِ شَحَّاجِ!
لَمَّا دعَا الدَّعوَةَ الأولَى فَأَسمعَنِي ... أخَذتُ بُرِديَّ واستَمرَرتُ أدرَاجِي

قوله:

* وحاجة غير مزجاة من الحاج *

المزْجاةُ: اليَسِيرةُ الخفيفةُ المَحملِ، قال الله عز وجل: ﴿**وَجِئْنا ببضَاعَة مُزْجَاة**﴾(١)، والحاج: جمع حاجةٍ، وتقديره فَعلَةٌ وفَعَل، كما تقول: هامَةٌ وهام، وساعةٌ وساع، قال القَطَامِيُّ:

وكُنَّا كَالحَرِيق أصَابَ غَابًا ... فَيَخبُو سَاعةً وَيشُبُّ سَاعَا

فإذا أردتَ أدْنَى العَدَد قلتَ: ساعات، فأما قولهم: في جمع حاجةٍ حَوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولّدين، ولا قياسَ له، ويقال: في قلبي منك حَوْجَاء، أي حاجة، ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يا فتى، وأصله حَواجيٌّ يا فتى، ولكنْ مثلُ هذا يُخَففُ، كما تقول في صحراء: صَحارٍ يا فتى، وأصلُه صَحاريُّ.

وقوله:

* طاوعته بعد ما طال النَّجِيُّ بنَا *

(١) سورة يوسف ٨٨.

يريد المناجاة، فأخرجه على لفظ «فَعيل»، ونظيره من المَصادر الصهيل، والنَّهيق، والشَّحيج، ويقال: شَبَّ الفرسُ شَبيبًا، ولذلك كان «النَّجِيُّ» يقع على الواحد والجماعة نَعْتًا، كما تقول: امرأة عَدلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدلٌ؛ لأنه مصدر، قال الله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾(١)، أى مُناجيًا، وقال للجماعة: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾(٢) أى مُتَناجين.

وقوله« منْعَاج»: أى منعطف، يقال(٣): عُجْتُ عليه، أى عَرَّجْتُ عليه، وعِجْتُ إليه أعِيج، أى عَوَّلتُ عليه.

وقوله «بعد إرْتاج»: أى بعد إغلاق، يقال: أرتَجتُ البابَ إرْتاجًا، أى أغْلَقْتُهُ إغلاقًا، ويقال: لِغَلَق الباب الرِّتاج، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتِجَ عليه.

وقوله:

* حتّى أضاءَ سراجٌ دونه بَقَرٌ *

يعنى نساء، والعربُ تكنى عن المرأة بالبقرة والنَّعْجة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾(٤)، وقال الأعْشَى:

فَرمَيتُ غَفْلَةَ عَينِه عَنْ شَاتِه ... فَأَصَبتُ حَبَّةَ قَلبِهَا وَطِحَالهَا

وقوله: «عِينٌ» إنما هو جمع عَيناء، وهى الواسعة العَين، وتقديره «فُعْل»، ولكن كُسِرَت العين لتَصِحَّ الياء، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبيض، وتقديره حَمراءُ وحُمْر، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب، لأنه لا إخْلال فيه، تقول: سَوْداءُ وسُود، وعَوراءُ وعور.

وقوله: «طرفها ساج» ولم يقل: «أطرافها»؛ لأن تقديرها تقدير المصدر، من طَرَفْتُ طَرفًا، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾(٥)

---

(١) سورة مريم ٥٢.
(٢) سورة يوسف ٨٠.
(٣) ر: «تقول».
(٤) سورة ص ٢٣.
(٥) سورة البقرة ٧.

لأن السمع فى الأصل مصدر. قال جَرِير:

إنَّ العُيونَ الَّتِى فِى طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتلننا ثُمَّ لَمْ يُحيِينَ قَتلانَا

وقوله: «ساج» أى ساكن، وقال الله عزّ وجل: ﴿**وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا**﴾[1]، وقال جرير:

وَلَقَد رَمَيْنَكَ يَومَ رُحْنَ بِأعينٍ يَقتُلنَ من خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِ

وقال الراجز:

يَاحَبَّذَا القَمرَاءُ واللَّيلُ السَّاجْ وطُرقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ

وقوله: «حتى تخَونها»: يريد تنقّصها، يقال: تَخَوَّننى السَّفَر، أى تَنَقّصنى، والداعى: المؤَذِّن.

وقوله: «شَحَّاج»، إنما هو استعارة فى شدة الصوت، وأصله للبغل، والعرب تستعير من بَعضٍ لبَعْضٍ، قال العَجَّاج ينْعَت حماراً:

كَأنَّ فِى فِيهِ إذَا مَا شَحَجَا عُودًا دُوَينَ اللّهَوَاتِ مُولَجَا

وقال جَرير:

إنَّ الغُرَابَ بِمَا كَرِهْت لَمُولَعٌ بِنَوَى الأَحِبْةِ دَائمُ التَشحاجِ

وقوله: «واستَمرَرتُ أدْراجى»: أى فَرَجَعتُ من حيث جئتُ، تقول العرب: رجع فلان أدْراجَه، ورَجَعَ فى حافِرتِه، ورَجَعَ عَوْدَهُ على بَدئه، وإن شئتَ رفعتَ فقلت: رَجَعَ عَودُهُ على بَدْئِه، أما الرفع فعلى قولك: رجع وَعَوْدُه على بدئه، أى وهذه حالهُ، والنصب على وجهين: أحدهما أن يكون مفعولا كقولك: رَدَّ عَوْدَهُ على بدئه؛ والوجه الآخر أن يكون حالاً فى قول سيبويه، لأن معناه رجع ناقصًا مَجيئَهُ، ووُضِعَ هذا فى موضعه، كما تقول: كلَّمتُهُ فاهُ إلى فِىَّ، أى مُشافَهةً، وبايعته يَدًا بيدٍ، أى نَقْدًا، ويجوز أن تقول: فُوهُ إلى فِىَّ، أى وهذه حالهُ، ومَنْ نَصَبَ فمعناه فى هذه الحال.

---

(١) سورة الضحى ١، ٢.

قال أبو العباس: فأما «بايعته يَدًا بيد» فلا يكون فيه إلا النصب، لأنك لَسْتَ تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كما كنتَ تريد فى الأول، وإنما تريد النَّقدَ، ولا تُبالى: أقَريبًا كان أم بَعيدًا.

[لأعرابى يشكو حبيبته]

وقال أعرابىّ:

شَكوْتُ فَقالَتْ: كُلَّ هذَا تَبَرُّمًا ... بِحُبِّى! أرَاحَ اللهُ قَلبَكَ مِنْ حُبِّى
فَلمَّا كَتمْتُ الحُبَّ قَالتْ: لَشَدَّمَا ... صَبَرتَ وَمَا هذَا بِفِعلِ شجِى الْقلْبِ
وَأَدْنُو فتُقْصِينى فَأَبْعُدُ طَالبًا ... رِضَاهَا، فتَعتَدُّ التَّبَاعُدَ مِنْ ذَنْبى
فَشكوَاىَ تُؤذِيهَا وَصَبرِى يَسُوءُهَا ... وَتَجزَعُ مِنَ بُعدِى، وَتَنْفرُ مِنْ قُرْبى
فَيَا قَومِ هَلْ مِنْ حيلةٍ تَعْرِفُونَهَا؟ ... أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّى

قوله: «كلَّ هذا تَبَرُّمًا»، مردود على كلامه، كأنها تقول له: أشكَوْتَنى كلَّ هذا تَبَرمًا! ولو رَفعَ رافعٌ «كُلاًّ» لكان جَيِّدًا، يكون «كلّ هذا» ابتداء[1] وتبرُّم خبره.

«وشجِى» مخفف الياء، ومن شدَّدها فقد أخطأ، والمَثَلُ: «ويلٌ للشَّجِى من الخَلىِّ»، والياء فى «الشَّجى» مخففة، وفى «الْخَلىّ» مثقلة، وقياسه أنك إذا قلت: فعلَ يَفْعَلُ فعَلاً، فالاسم منه على فَعِل؛ نحو: فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقًا فهو فَرِق، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرا فهو بَطِرٌ، فعلى هذا شَجِىَ يَشْجَى شَجًى فهو شَجٍ يا فتى، كما تقول: هَوِىَ يَهْوَى هَوًى فهو هَوٍ يا فتى.

وقوله:

* فَيا قوم هل من حيلَة تعرفونها *

موضع «تَعرفونها» خَفْضٌ؛ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان هاهنا شرط يوجبُ جَوابًا لا يُجزَمُ، تقول: ائتنى بدابّة أرْكَبُهَا، أى بدابّةٍ مَركوبة، فإذا

---

(1) ر، س: «مبتدأ».

أردتَ معنى: فإنك إن أتيتنى بدايّة ركبتُهــا قلتَ: «أرْكَبْها» لأنه جواب الأمر، كما أن الأول جواب الاستفـهام، وفى الـقرآن: ﴿خُـذْ من أمْوَالهِمْ صَـدَقَةً تُطهِّـرُهُمْ وَتزكيِّهِمْ بهَا﴾(١). أى مُطَهِّرَةً لهم، وكذلك: ﴿أنْزلْ عَلَيْنَا مَائدَةً منَ السَّمَاء تكُونُ لَنَا عيدًا﴾(٢) أى كائنةً لنا عيدًا، وفى الجواب: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا﴾(٣)، أى إنْ تركوا خاضُوا ولَعبوا، وأما قوله عزّ وجل: ﴿ثمَّ ذَرْهُم فى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(٤) فـإنما هو فَـذَرْهُمْ فى هذه الحـال لأنهم كـانوا يَلْعَـبـون، وكـذلك: ﴿ولاَ تَمْـنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾(٥)، إنمـا هو [لا تمـنن(٦)] مستـكْثِرًا فـمعنى ذا: هل من حـيلة معـروفة عندكم؟

[لأعرابى فى الملح]

وقال أعرابىّ - أنْشَدَنيه أبو العالية:

أَلا تسأَلُ المَكِّى ذَا الْعِلْمِ مَا الَّذى ... يَحِلُّ مِنْ التَّـقْـبِيل فِـى رَمَضَـانِ؟

فَـقَـالَ لِىَ المكّـىُّ: أمَّـا لِزَوْجَـةٍ ... فَـسَـبْعٌ؛ وَأَمَّـا خُلَّـةٍ فَـثَـمـانى

قوله «خُلّةٍ» يريد ذات خلة، ويكون سَمّاها بالمصدر، كما قالت الخَنْساءُ:

* فَإنّمَا هىَ إقْبَالَ وَإدْبارُ(٧) *

يجوز أن تكون نَعَـتَتْهـا بالمصدر لكثرته منهـا، ويجوز أن تكون أرادتْ ذات إقْبال وإدْبار، فـحذفت المضاف وأقامت المضاف إليـه مُقامه، كمـا قال عزّ وجلّ: ﴿وَلكنَّ الْبِـرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ﴾(٨) فجـائز أن يكون المعنى برّ من آمَن بالله، وجـائز أن يكونَ لكنَّ ذا البرِّ من آمَن بالله، والمعنى يؤول إلى شىء واحد.

---

(١) سورة التوبة ١٠٣.
(٢) سورة المائدة ١١٤.
(٣) سورة الزخرف ٨٣.
(٤) سورة الأنعام ٩١.
(٥) سورة المدثر ٦.
(٦) من ر، س.
(٧) صدره:

* ترتَعُ ما رتعتْ حتى إذا ادّ كَرَتْ *

(٨) سورة البقرة ١٧٧.

وفى هذا الشعر عـيب، وهو الذى يسميه النحـويون العَطْفَ على عاملَيْنِ، وذلك أنه عطف «خُلَّةً» على اللام الخافـضة لزوجة، وعطف «ثَمانيـا» على «سبع» ويلزم مَنْ قال هذا أن يقـول: مَرَّ عبدُ الله بزيد وعـمرٌو وخالد، ففيـه هذا القُبْحُ، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء وليس بجائزٍ عندنا: ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ﴾(١)، فجَعَلَ «آيات» فى مـوضع نصب وخَفَضَهَـا لتاء الجميع فحَـمَلَهَا على «إنَّ» وَعَطَفَهَـا بالواو، وعَطَفَ «اختلافًا» على «فى»، ولا أرى ذا فى القـرآن جائز لأنه ليس بموضع ضرورة، وأنشد سيبويه لعَدِىّ بن زيد العبادى(٢):

أَكلَّ امْـرِئٍ تَحْـسَـبِـينَ امْـرأً ... ونَارٍ تَـوَقَّـــدُ بِـاللَّـيْلِ نَـارَا

فنَعَطَفَ على «امْرِئٍ» وعلى المنصوب الأول.

* * *

[قال أبو الحـسن: وفيه عَـيب آخر أنَّ «أمَّا» ليـستْ من العطف فى شىء، وقد أجْرَى «خُلَّةً» بعدها مُجْراها بعد حرف العطف حَمْلاً على المعنى، فكأنه قال: لزوجةٍ كذا ولخُلَّة كذا].

* * *

وقوله: «أمَّا لزوجة» فهذه مفتوحة، وهى التى تحتاج إلى خبر، ومعناها: إذا قُلتَ: أمَّا زيدٌ فمنطلقٌ مَهـمَا يكُنْ من شىء فزيد مُنطَلقٌ. وكذلك ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾(٣)، إنما هى: مَهْـمَا يكُنْ من شىء فَلاَ تَقْـهَرِ اليَتيم، وتُكسَـرُ إذا كانَت فى معنى «أو» ويلزمـها التكرير، تقول: ضربتُ إمَّـا زيدًا وإمَّا عمرًا، فمـعناه ضربت زيدًا أو عمرًا، وكذلك: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٤)، وكذلك: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾(٥)، و﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٦)، وإنما كَرَّرْتَها لأنكَ إذا

---

(١) سورة الجاثية ٥.
(٢) زيادات ر: «الصحيح أنه لأبى دؤاد الإيادى».
(٣) سورة الضحى ٩.
(٤) سورة الدهر ٣.
(٥) سورة مريم ٧٥.
(٦) سورة الكهف ٨٦.

قلتَ: ضربتَ زيداً أو عمراً، أو قلت: اضْرِبْ زيداً أو عمراً فقد ابتدأْتَ بذكر الأول، وليس عند السامع أنك تُرِيدُ غير الأول، ثم جئتَ بالشك، أو بالتخيير، وإذا قلتَ: ضربتُ إمَّا زيداً وإما عمراً، فقد وضَعْتَ كلامَك بالابتداء على التخيير أو على الشك، وإذا قلت: ضربتُ إمَّا زيداً وإمَّا عمراً، فالأولى وقَعَتْ لبِنْيَة الكلام عليها، والثانية للعطف؛ لأنك تَعْدِل بين الثانى والأول، فإنما تُكْسَرُ فى هذا الموضع.

وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها «ما» فإن اضطُرَّ الشاعر فحذف «ما» جاز له ذلك لأنه الأصل، وأنشد فى مِصْداقِ ذلك[1]:

لَقَدْ كَذبَتْك نَفسُكَ فَاكذِبَنْها فَإنْ جَزَعًا وإنْ إجْمَالَ صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تَقَع «إمَّا» مكسورة، ولكن «ما» لاتكون لازمة، ولكن تكون زائدة فى «إنْ» التى هى للجزاء، كما تزاد فى سائر الكلام نحو: أينْ تكنْ أكَنْ، وأيْنَما تكُنْ أكُنْ، وكذلك مَتى تأتنى آتِك، ومَتَى تأتِنى آتِك، فتقول: إنْ تأْتنى آتكَ، وإمَّا تأْتنى آتكَ، تُدغِمُ النونَ فى الميم لاجتماعهما فى الغُنَّة، وسنذكر الإدغام فى موضع نُفْردُه به إن شاءَ الله، كما قال امرؤ القيس[2]:

فإمْا تَرَيْنى لا أُغمِّضُ ساعةً منَ اللَّيْلِ إلاَ أنْ أُكبَّ فَأَنْعَسَا
فَيَاربَّ مكْرُوبٍ كَرَرتُ وَرَاءَهُ وَطَاعنْتُ عَنهُ الخَيلَ حَتَى تَنفسَا

وفى القرآن: ﴿**فإمَّا تَرَينَّ من الْبَشَر أَحَدًا**﴾[3]، وقال: ﴿**وَإمَّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ أبتغَاءَ رَحمَة منْ ربِّكَ تَرَجُوهَا**﴾[4]، فأنت فى زيادة «ما» بالخيار فى جميع حروف الجَزاء، إلا فى حرفين، فإن «ما» لابُدَّ منها لعلة نذكرها إذا أفردنا بابا للجزاء إن شاء الله، والحرفان: حيْثُما تكنْ أكُنْ كما قال الشاعر:

---

(١) زيادات ر: «هو دريد بن الصمة الجشمى».
(٢) كذا فى ر، وفى س: «كما قال الشاعر».
(٣) سورة مريم ٢٦.
(٤) سورة الإسراء ٢٨.

حَـيْثُـما تسـتقِم يُقـدّرْ لك اللـ ـهُ نَجَـاحـا فى غـابرِ الأزْمَـانِ

والحرف الثانى «إذْ ما» كما قال الْعَبّاس بن مرداسٍ:

إذ مَا أَتَيْت عَلَى الرَّسُول فَقَلْ لَهُ حَـقًّا علَيْكَ إذَا اطْمَـأَنَّ المَجْلِسُ

لا يكون الجزاء فى «حيث» و «إذ» إلاَ بهما.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبوالعالية:

سلِ الْمُفْـتِيَ المَكَّىَ هَلْ فى تَزَاورٍ ونَظرة مُـشْـتَـاقِ الفُـؤادِ جُنَاحُ

فَقَال: مَعاذَ اللهِ أنْ يُذْهب التُّقَى تلاَصقُ أَكْـبَـادٍ وأنَّ جِـراح

* * *

[وأنشد لبعض المحدثين:

تَلاَصـقْـنَا وَلَيْسَ بِنَا فُـسُـوقٌ وَلَمْ يَرِدِ الحَـرَامَ بنا اللصُـوق

وَلكنَّ التَّـبَـاعـد طَـالَ حَـتّى تَوَقَّـدَ فى الضُّلوعِ بنا حَـرِيق

فَلَمَّـا أنْ أُتيحَ لَنَا الـتَّـلاقِى تَعَـانقْنَا كـما اعْـتَنقَ الصَّـدِيقُ

وَهَلْ حَـرجًـا تَرَاه أو حَـرَامًـا مَشُوقٌ ضَمَّهُ كِلفٌ مَشُوقُ[1]!]

* * *

وأنشَدَنى غيره:

وَما هَجَـرْتك النَّفس يامَىّ أنَّها قلَتْك، ولاَ أن قلَّ مِنْك نَصيبُهَا

وَلكنَّهُم يا أمْـلَحَ النَّاس أُولِعُـوا بِقَولٍ إذَا ما جِئتُ: هَذا حَبِيبُهَا

«أنها» فى موضع نـصب، وكان التقدير «لأنها»، فلـما حذفت اللام وصل الفعْل فَعَملِ، تقول: جئتُك أنَّكَ تُحبُّ الخير، فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أن تأْمُرَ لى بشىء، أى لأن، وتقديره فى النصب أنَّ: «أنْ» الخفيفـة والفعل مصدر: نحو:

---

(١) الأبيات الواقعة بين العلامتين لم ترد فى نسخة الأصل ووردت فى س وفى ر بين علامتى الزيادة.

أريد أن تقوم يا فتى، أى قيامك، و«أنَّ» الثقيلة واسمها وخبرها مصدر، تقول: بلغنى أنَّك منطلق، أى انطلاقك، فإذا قلت: جئتك أنك تريد الخير، فمعناه إرادتك الخير، أى مجيئى لأنك تريد الخير إرادة يا فتى، كما قال الشاعر(١).

وَأَغفِرُ عوراءَ الكَرِيمِ ادّخارَه　　وأَعْرِضُ عَن شتم ٱللَّئيمِ تكرُّما

قوله:

* وأَغْفِرُ عَوراءَ الكَرِيمِ ٱدّخارهُ *

أى أدخِرُه ادّخارًا، وأضافه إليه، كما تقول: ادّخارًا له، وكذلك قوله: «تكرما» إنما أراد للتكرم، فأخرجه مُخرَجَ أتكَرَّمُ تكرمًا.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبو العالية(٢):

مـا زِلْت أبْغِى الحَىَّ أتْبَعُ ظِلَّهمْ　　حتى دفعْت إلى ربيبَةِ هوْدَجِ

قالَتْ: وعَيْشِ أَبِى وأَكبرِ إخْوتِى　　لأنبِّهنَّ الحَىَّ إنْ لم تَخْرُجِ

فَخَرجتُ خيفَةَ قَولِهَا، فَتَبَسَّمَتْ　　فَعَلمتُ أنَّ يَمينَهَا لم تَحْرَجِ

فَلَثِمتُ فاهـا آخِذًا بِقُرُونِهَا　　شُربَ النَزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشرِجِ

وزاد فيها الجاحِظُ عَمرو بن بَحْر:

وتَنَاولَتْ رَأسِى لِتَعرفَ مَسَّهُ　　بِمُخَضَّبِ الأطرَافِ غَير مُشنَّجِ(٣)

تقول العرب: هوْدَجٌ، وبنو سَعد بن زيد مَناةَ وَمَنْ وَلِيَهُمْ يقولون فَوْدَجٌ.

وقوله:

* فعلمت أن يمينها لم تَحْرَجِ *

يقول: لم تضق عليها، يقال: حرِجَ يحْرَج إذا دخل فى مَضيق، والحَرَجَة: الشجر الملتَفُّ المُتضايق ما بينه، قال الله عزّ وجل: ﴿فَلَا يَكُنْ فِى

---

(١) زيادات ر: هو حاتم الطائى، والبيت فى ديوانه.

(٢) زيادات ر: «قيل إن الشعر لعروة بن أذينة» وفى حواشى الأصل إنه لجميل بن عبد الله بن معمر.

(٣) من التشنج وهو التقبض.

صَدْرِكَ حرَج منهُ(١)﴾، وقال تعالى: ﴿يجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرجًا(٢)﴾، وَقرئ «حَرَجًا»، فمَن قال «حَرِجا» أراد التوكيد للضَّيْق، كأنه قال: ضَيِّقٌ شديد الضيق، ومن قال: «حَرَجًا» جعله مصدرا، مثل قولك: ضُيق ضيقًا.

وقوله: «ببرد ماء الحَشْرَج» فهو الماء الجارى على الحجارة.

[لقيس بن معاذ فى النسيب]

وقال قَيْسُ بن مُعاذ أحد بنى عُقَيلِ بن كعْب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ـ وهو المجنون ـ وحدثنى عبد الصمَد بن المُعَذّل قال: سمعت الأصْمَعىّ يُثْبِتُه ويقول: لم يكن مجنونا، إنما كانت به لوثَةٌ كلوثة أبّى حَيَّة(٣):

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْد موقِفِ سَاعَة ... ببَطنِ منى تَرمِى جِمَارَ المُحَصَّبِ

ويُبْدِى الحَصَا منهَا إذَا قَذَفَتْ بِهِ ... منَ البُرد أطرَافَ البَنَان المُخَضَّبِ

فَأصْبَحتُ مِنْ لَيلى الغَداةَ كَنَاظر ... مَعَ الصُّبْحِ فى أعْقاب نَجْم مُغَرْب

ألا إنَّما غادَرتِ يا أُمَّ مالك ... صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة.

ومما يُسْتَطرَفُ فى هذا الباب قول عُمَرَ بن أبى رَبيعة:

رَأتْ رَجُلاً أمَا إذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأمَا بالعَشِيِّ فَيَخصَرُ

أخَا سَفَرٍ جوَّابَ أرْضٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أشْعَثُ أغْبَر

قَلِيلاً عَلَى ظَهْر المَطيَّةِ ظِلَّهُ ... سِوَى مَانَفَى عَنْهُ الرداءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل(٤):

فَأَصبَحْتُ فِى أَقْصى البُيُوتِ يَعُدنَنِى ... بَقِيَّة مَا أَبْقَيْن نَصْلاً يَمَانِيَا

---

(١) سورة الأعراف ٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) زيادات س، ر بعد هذه الكلمة: «النميرى، وهو من أشعرالناس، ومن شعره».

(٤) زيادات ر: «هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذى تقدم ذكره لابن الأبرش».

[بقية بدل من الياء فى يَّعُدْنَنى بدل الاشتمال

تَجَمَعْنَ من شتَّى، ثلاثٌ وأربعٌ ... وَوَاحدَة حتّى كَمُلنَ ثَمَانِيًا[1] .]

يَعدْنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجنَ مَا بِهِ ... ألاَ إنمَا بَعْضُ العَوَائِد دَائِيَا

وفى هذا الباب أشياء كثيرة تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى، ومن الإفْراط فِيه قولهُ:

فَلَوْ أَنَّ مَا أبْقَيتِ مِنى مُعَلَّقٌ ... بِعُودِ ثُمام مَا تَأَوَّدَ عودهَا

الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

* وَيْمَنعُهَا منْ أنْ تَطِيرَ زِمامِها *

وَأحْسَنُ الشِّعْرِ ما قارَب فيه القائل إذا شَبَّهَ، وأحسَنُ منه ما أصاب به الحقيقة، ونبَّهَ فيه بِفِطنته عَلى ما يخفى عن غيره، وساقه برصْفٍ قويّ واختصار قريب.

* * *

وقال قيس بن معاذ:

وَأَخْرُج منْ بَيْنِ الجُلوسِ لَعَلَّنى ... أُحَدثُ عَنْكِ النَّفْسَ فى السِّرِّ خاليا

وَإنّى لأسْتَغْشِى ومَا بِىَ نَعْسَة ... لَعلَّ خَيالاً مِنْكِ يَلقَى خَيَالِيَا

وفى هذا الشعر:

أشَوْقًا وَلَمّا تَمض لِى غَيْرُ لَيْلَةٍ ... رُوَيْدَ الهَوَى حَتَّى تَغِبَّ لَيَالِيَا

هذا من أحسن الكلام وأوضحهُ معنى.

ويُستَحْسَنُ لذى الرُّمَّةِ قوله فى مثل هذا المعنى:

أُحبُّ المَكَانَ القفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِى ... بِهِ أَتَغنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَم

---

(١) ما بين العلامتين لم ترد فى الأصل، وهى فى س وزيادات ر.

وأنشد[1] ابن عائشة لبعض القُرَشِيِّين[2]:

وَقَـفُوا ثَلاثَ مِنًى بِمَنْزِلِ غِـبطَةٍ ... وَهُمُ عَلَى غَـرَضٍ هُـنَالِكَ مـا هُمُ
مُـتَجَـاوِرِينَ بِغَـيـرِ دَارِ إقامَـةٍ ... لَوْ قَـدْ أَجَـدَّ تفـرق لم يَنْدَمُـوا[3]
ولَهُنَّ بالبَـيْـتِ العَـتِيقِ لُبَـانةٌ ... وَالرُّكْنُ يَـعْـرِفُـهُنَّ لوْ يَتـكلَّمُ
لوْ كـانَ حَـيًّـا قَـبْلَهُن ظَعَـائِنًا ... حَـيَّـا الحَطِيمُ وُجُـوهَهُنَّ وَزمْـزَمُ
وكـأنهُنَّ وقـدَ صَدَرْنَ لَوَاغِـبًـا ... بَيْضٌ بِـأَفنِيَـةِ المَقَـام مُـركَمُ

اللاغبَ المعـيى، قال الله عـزّ وجل: ﴿**وَمَا مَسَّنَا منْ لغُوب**﴾[4] والمركَّمُ: الذى بعضه على بعض، والمرأة تُشبَّـهُ ببيضة النعامة كما تُشَـبَّهُ بالدرَّة، قال الله عزّ وجل: ﴿**كَأَنّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾[5] والمكنونُ: المصون، والْمكنُّ: المَسْـتور، يقال: أَكْنَنْتُ السِّر، قـال الله عزّ وجَل: ﴿**أَو أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ**﴾[6]. وقال أبو دَهْبَل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسَّان[7]:

وَهْـىَ زَهـرَاء مِـثْـلُ لـؤْلـؤَةِ الـغَـوَّ ... اص مِـيزَت مِنْ جَـوهَـر مكنُونِ.

وقال ابن الرُّقيات:

واضِـحٌ لَـوْنُـهَـا كـبـيْـضَـةِ أُدْحـىّ ... لَـهَا فى النِّـسـاءِ خَـلْقٌ عَمِـيمُ

العميم: التام، والأدحِىّ: موضع بيض النعامة خـاصة، وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه.

---

(١) ر: «وأنشدنى».
(٢) حاشية الأصل: الشعر لابن أذينة، وانظر الأغانى ٢١ : ١١٠.
(٣) زيادات ر: «يعنى طواف الوداع، وقوله: «ثلاث منى» أراد أيام النفر، وأخرجه على الليالى، وقوله: «لم يندموا» لأنهم يرجعون إلى أوطانهم».
(٤) سورة ق ٣٨.
(٥) سورة الصافات ٤٩.
(٦) سورة البقرة ٢٣٥.
(٧) زيادات ر: «ابن ثابت الأنصارى».

وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَل الجُمحىَّ كان تقيًّا وكان جميلاً، فقفَلَ من الغزو ذاتَ مرَّة، فَمرَّ بدمشق، فدعَتْهُ امْرَأةٌ إلى أن يَقْرأَ لها كتابًا، وقالت: إنَّ صاحبَتَهُ فى هَذَا القصر، وهى تُحبُّ أن تسْمَعَ ما فيه، فلما دخلتْ به برزَتْ له امْرَأةٌ جميلة، وقالتْ له: إنما احْتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدخلْتُكَ. فقال لها: أما الحرامُ فلا سبيل إليه، فقالت: فَلَسْتَ تُرادُ حرامًا، فتزوَّجَتهُ، وأقام عندها دهرًا حتى نُعِىَ بالمدينة، ففى ذلك يقول وقد استأذنها ليُلِمَّ بأهله ثم يعود، فجاء وقد اقْتسمَ ميراثه، فلما همَّ بالعود إليها نُعيَت له، فهذا ما رُوِىَ من هذا الوجه والذى كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان، وهو فى بنت معاوية(١):

صَاحِ حَيَّا الإلهُ أهْلاً وَدَارًا ... عِنْدَ أَصْلِ الْقَنَاةِ مِنْ جَيْرُونِ

عن يَسَارِى إذا دَخَلْتُ منَ الْبا ... بِ وَإن كُنْتُ خارجًا فَيَمِينى

فَبِتلْكَ ارْتهنْتُ بالشَّأْمِ حَتَّى ... ظَنَّ أَهْلى مُرَجَّماتِ الظُّنُونِ

وهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لؤلؤة الْغوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوهَرٍ مكْنُونِ

وَإذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا ... فِى سَنَاءٍ منَ المكَارِمِ دُونى

ثمَّ خَاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْـ ... ـرَاءِ تَمْشى فى مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

تَجْعَلُ المسْك واليَلَنْجُوجَ والنَّـ ... ـدّ صلاءً لَهَا علَى الْكانُونَ

قُبَّةٌ مِنْ مَراجِلٍ ضَرَبَتْهَا ... عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فى قَيْطُونِ

المسنون: المصبوب على استواء، والمَرَاجِلُ: ثياب منْ ثياب الْيَمن، قال العَجَّاجُ:

* بشِيَةٍ كَشِيَةِ الْمُمَرْجَلِ *

والقيطون: البيت فى جوف بيت.

وقال آخر:

وأَبْصَرْتَ سُعْدَى بَيْنَ ثَوْبَى مَرَاجِلِ ... وأَثوابِ عَصْبٍ مِنْ مُهَلْهَلَةِ اليَمَن

(١) زيادات ر: «ابن أبى سفيان».

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك؟ قال: وما الذى قال؟ قال: قال:

وَهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤلؤة الْغوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جوهرِ مكْنُون

قال معاوية: صدق، فقال يزيد: وقال:

وَإذا ما نَسَبْتَها لَمْ تَجِدْهَا فِى سَنَاءٍ مِنَ المَكارِمِ دُونِى

قال: (١صدق، فقال١) إنه قال:

ثمَ خَاصَرْتُها إلى القبَّةِ الخَضْراءِ تَمْشى فِى مَرمَر مَسْنُون

قال معاوية: كذب.

(١ ـ ١) ر، س: «قال معاوية. صدق فقال يزيد».

بابـ

[عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب عند رسول الله]

قال أبو العباس: حدثنى مسعود بن بِشر، قال: حدثنى محمد بن حَرْب، قال: أتى عبدُالله بن الزَّبْيرِ بن عبد المطلبِ رسولَ الله ﷺ فكساه حلة وأقعده إلى جانبه، ثم قال: «إنه ابن أمى، وكان أبوه يرحمنى». (١)

[الرجل من بنى ضبة يخاطب بنى تميم]

قال: وأنشدنى مسعود قال: أنشدنى طاهرُ بن على بن سليمان قال: أنشدنى منصور بن المَهْدِىَ لرجل من بنى ضَبَّة بن أُدٍّ، يقوله لبنى تميم بن مُرّ بن أُدٍّ:

أبَنى تميمٍ إننى أنا عَمكُمْ ... لا تُحْرمن نَصيحةَ الأعمامِ
إنى أرَى سَبَبَ الفَناءَ وإنَّما ... سَبَبُ الفَناء قطيعةُ الأرحامِ
فَتَداركوا بأبى وَأمِّى أنْتمُ ... أحسابكم(٢) برواجح الأحلامِ

[خطبة عبدالله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب]

ويُرْوَى أنه لما أتى عبْدَالله بن الزَبْيرِ [خبر](٣) قتلِ مُصْعَب بن الزبير خطب الناس، فَحَمِدَ الله وأثنَى عليه، ثم قال: إنه أتانا خبر قتل المصعب فُسررنا [به]، واكتَأبنا [له](٣)، فأما السرورُ فلما قُدِّرَ له من الشهادةَ. وحيزَ له من الثواب، وأما الكآبة فَلوْعةُ يَجدُها الحميمُ عند فِراق حَميمه، وإنا والله مانموتُ حَبَجًا كميتة آل أبى العاصى، إنما نموتُ قَتلا بالرِّماح، وقَعْصًا تحت ظلال السُّيوف، فإن يَهْلَكَ المصْعَبُ فإن فى آل الزبير منه خَلفًا.

قوله: «حَبَجًا»، يقال حَبجَ بطْنُهُ، إذا انتفخ، وكذلك حَبطَ، بطنه، المْقعصُ: المقتول. واللوْعة: الحُرْقةُ، يقال لاع يلاع لَوْعة يافتى فهو لائِع، ويقال: لاعٍ يافتى، على القَلب، وأنشد أبو زيد:

ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ... ولاجزعٍ من الحدَثانِ لاعِ

---

(١) زيادات ر: الزبير أخو عبدالله بن عبدالمطلب شقيقه.

(٢) ر، س: «أرحامكم» وفى زيادات ر: «كذا أنشد: أرحامكم، ويروى: أحسابكم».

(٣) زيادة من ر.

[من كلام زياد]

قال: وحدثنى مسعود فى إسناد ذكره قال: قال زياد لحاجبه: ياعجلانُ، إنى وليتك هذا الباب، وعزلتك عن أربعةً. عَزَلْتُكَ عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة فلا سبيلَ لك عليه، وعن طارق الليل فَشَرٌّ ماجاء به، ولو جاء بخير ماكنت من حاجته، وعن رسول صاحب الثغر فإن إبطاء ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطباخ إذا فَرَغ من طعامه.

قال: وحدثنى مسعود قال: قال زياد: يُعْجُبنى من الرجل إذا سيمَ خُطةَ الضّيْمِ أن يقول: «لا» بِملْءِ فيهِ، وإذا أتَى نادىَ قومٍ علم أيْنَ ينبغى لِمثلهِ أن يَجْلِس فَجلسَ، وإذا ركب دابة حملها على ماتحب ولم يَبْعثْها إلى مَاتكره.

[بلاغة جعفر بن يحيى]

وكَتب إلى جعفر بن يحيى: إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال، فَوَقَّعَ جعفر: هذا رجل منقطع عن السلطان، وبين ذؤْبانِ العَرَبِ بحيثُ العَدد والعدَّة، والقلُوبُ القاسية، والأنوف الحَميَّة، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه، فإن نفقات الحروب يستظهر لها، ولا يستظهر عليها.

ورفع قوم إليه[1] شكية عاملهم. فوقَّع فى قصتهم[2] : ياهذا، قد كثر شاكوك، [وقَلَّ حامدوك] [3]، فإمَّا عَدَلتَ، وإما اعتزَلت.

وزعم الجاحظ قال: قال ثُمامة[4] بن أشْرَسَ النُّمَيْرى: ما رأيتُ رجلا أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون.

وقال موَيْسُ بن عِمران: ما رأيتُ رجلا أبْلَغَ من يَحْيى بن خالد، وأيوب بن جعفر.

وقال جعفرُ بن يحيى لكُتَّابهِ: إن قدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كلها تَوْقيعاتٍ فافعلوا.

---

(١) ر، س: «وأكثر الناس شكية عامل».
(٢) كلمة «قصتهم» لم ترد فى س.
(٣) تكملة من ر.
(٤) س : «ثمامة الأشرس».

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

وقال رسول الله ﷺ : «لو تكاشَفتُم ماتَدَافنْتم».

يقول: لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه.

وقال عليه السلام: «اجْتنبوا القُعود على الطرُقات، إلا أن تضْمَنوا أربعا: رَدَّ السلام، وَغضّ الأبْصَار، وإرشَادَ الضالَ، وَعَوْنَ الضعيف».

وقالت هِنْد بنت عُتْبَة: إنما النساء أغْلالٌ، فليختر الرجلُ غُلا لِيَده.

وذكرت هند بنت المُهلّبِ بن أبى صُـفْرَةَ النساءَ فقالـت: مازُيِّنَّ بشىء كأدَب بارعٍ، تحته لُبٌّ ظاهر.

وقالت هند بنت المُهلَّب بن أبى صُـفْرَة [أيضا][1]: إذا رأيتم النِّعَمَ مُسـتدرَّة فبادروا بالشُكر قبل حلول الزَّوَال.

وقال رسول الله ﷺ: «افْصلوا بين حَديثكم بالاستغفار».

وقال عـمر بن عبـدالعزيز رحمه الله: قَـيدوا النعَمَ بالشكر، وقَـيِّدوا العِلْم بالكتاب.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه[2]: العَجَبُ لِمَن يَهْلِكُ والنجَاة معه. فقيل: ما هى يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخلِيل بن أحـمد: كن على مُـدارسة ما فى قلبـك أَحْرَصَ منكَ على حفظ ما فى كُتُبك.

وقال ابن أحـمد ـ يعنى الخَليل: اجْـعَلْ ما فى كُـتُبكَ رأس مـال، وما فى صَدْرك للنفقة.

وقيل لِنَصر بن سَيار: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانةُ الَخفيّة.

وقال نصر بن سيار: لولا أن عمر بن هُبَيْرَةَ كان بَدَوِيًّا ما ضَبَط عمال العراق وهو لا يكتب.

---

(١) تكملة من ر.

(٢) ر: «رضوان الله عليه».

وفادى رسول الله ﷺ من رأى فداءَهُ من أَسْـرَى بَدْرٍ، فمَنْ لم يكن له فداءٌ أَمَرَه أن يُعَلِّمَ عشرة من المسلمين الكتابةَ، فَفَشَت الكتابة بالمدينة.

ومن أمثال العـرب: خير العلم ما حـوضر به، يعنى[1]: ما حفِظ وكان[2] للمذاكرة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ أمَّـتى صالحًا أَمْرُها ما لم تَعُـدَّ الْفَىْءَ مَغْنَمًا، والصدقةَ مغْرَما».

وقال علىٌّ بن أبى طالب عليـه السلام: يأتى على الناس زمان لا يُقَـرَّبُ فيه إلا الماحلُ[3]، ولا يُظرَفُ فيه إلا الفـاجرُ، ولا يُضَعَّفُ فيـه إلا المُنْصِفُ، يتخذون الْفَىْءَ مَغْنَمًا، والصـدقة مَغرَمًا، وصلة الرحم منًّا، والعـبادة استطالَةً على الناس، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء، ومُشَاوَرَةُ الإماء، وإمارةُ الصبيان».

[نبذ من أخبار الحجاج]

ويروى عن محمـد بن المُنْتَشِرِ بن الأجْدَعِ الهَمدانى، قـال دَفَعَ إلى الحجاج أزاد مَرْد بن الهـربذْ، وأمرنى أن أستـخرج منه وأُغلّظَ عليه، فلمـا انطلقتُ به قال لى: يا محمد، إن لك شرَفًا ودينًا، وإنى لا أُعْطى على الْقَسـرِ شيئًا، فاستْأْدنى[4] وارفُقْ بى، قال: ففعـلتُ، فَأَدَّى إلىَّ فى أسبوع خمسمـائة ألف، قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه، وانتزعـه من يَدَىَّ، ودفعهُ إلى رجل كان يتولى له العذابَ، فَدَقَّ يديه ورجليه، ولم يُعْطِهِمْ شيئا.

قال محـمد بن المنتشر: فإنى لأمُـرُّ يوما فى السوق إذا صائحٌ: يا مـحمد، فالتفَت فإذا به مُـعَرّضًا على حمَار، مَدْقوقَ اليدين والرجلين، فَـخفتُ الحجاج إن أتيتـه، وتذَمّمْتُ منه، فَـملتُ إليْـه، فـقـال لى: إنك وَلِيتَ منى مـا وَلِىَ هؤلاء فأحسنْتَ، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعطهم شيـئًا، وهاهنا خمسمائة ألف عند فلان، فخذهـا فهى لك، قال: فقلت: ما كنت لآخذ منك على مـعروفى أجرًا، ولالأرْزَأَكَ على هذه الحال شيئا، قال فـأما إذ أبَيْتَ فاسمع أُحَدِّثك: حدثنى بعضُ

(١) ر: «يمنى». (٢) ر: «مكان».

(٣) زيادات ر: «الماحل: الواشى، يقال: محل فلان بفلان إذا وشى به ومكر».

(٤) استأذنى: أى طلب منى الأداء.

أهل دينك عن نبيك - ﷺ - كثيراً. قال: إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته، وجَعَلَ المالَ فى سُمَحائهم. واسْتَعْمل عليهم خِيارهم، وإذا سَخط عليهم استعمل عليهم شرارهم، وجعل المال عند بُخلائهم، وأمطرهم المطر فى غير حينه. قال: فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج، فأمرنى بالمسير إليه، فألفيته جالساً على فرشه والسيف منتضى فى يده، فقال لى: ادْنُ، فدَنوْتُ شيئًا، ثم قال: ادْنُ، فدنوت شيئا، ثم صاح الثالثة: ادْن لا أبالك! فقلت: مَا بى إلى الدُنُوِّ من حاجة، وفى يد الأمير ما أرى. فأضْحكَ الله سنَّه، وأغمَدَ سيفهُ عنى، فقال لى: اجْلسْ، ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير، والله مَاغَشَشْتُكَ مُنْذُ استنصحتنى، ولا كَذَبْتكَ منذ اسْتَخْبرْتَنى، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتنى. ثم حدثتهُ الحديث، فلما صِرْت إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أَعْرَضَ عنى بوجهه، وأومأ إلىَّ بيده، وقال: لا تُسَمِّهِ، ثم قال. إن للخبيث نفسًا، وقد سمع الأحاديثَ.

ويقال: كان الحجاج إذا اسْتغْرَبَ[١] ضحكا[٢] وَالَى بين الاستغفار، وكان إذا صَعدَ الْمنبرَ تَلَفع بمطرَفه[٣] ثم تكلم رُوَيْدًا فلاَ يكاد يُسْمَعُ، ثم يَتزَيَّد فى الكلام، حتى يُخْرِجَ يده من مطرَفه ويَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فَيُفزِع بها أقْصَى مَنْ فى المسجد. وكان يُطْعِمُ فى كل يوم ألفَ مَائدة، على كل مائدة ثَريدٌ وجَنْبٌ من شواء وسمكَة طَرِيَّة، ويُطافُ به فى محفَّة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلىٍ كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أَهلَ الشأم، اكْسِروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم. وكان له ساقيان، أحدهما يسقى الماء والعسلَ، والآخر يسقى اللبن.

ويروى أن لَيْلَى الأخْيَلية قدمت عليه فأنشدَته:

إذا ورَدَ الحَجَّاج أرْضًا مَريضة ... تَتَبعَ أقْصَى دائها فشَفاها
شَفاها من الدَّاء العُقَام الذى بها ... غُلام إذا هزَ القَناةَ ثناها[٤]

---

(١) استغرب ضحكا: بالغ فى الضحك.

(٢) ومن هنا وقع خرم فى نسخة الأصل، والنص، الذى أثبتناه هو نص «ر» إلى آخر الخرم.

(٣) المطرف: رداء من خز.

(٤) زيادات ر: «العقام، بالفتح والضم، والضم أفصح». وفى س: العضال.

فقال لها : لا تقولى : غلام، قولى: هُمامٌ، ثم قال لها: أى نسائى أحَب إليك أن أنْزلَك عندها الليلة؟ قالت: ومَنْ نسَاؤُكَ أيها الأمير؟ قال أمُّ الجلاسِ بنت سعيد بن العاصى الأمَويَّةُ، وهندُ بنت أسماء بن خارجة الفَزاريَّةُ، وهند بنت المُهلَّب بن أبى صُفْرَةَ العتَكيَّةُ، فقالت: القَيْسيَّةُ أحبُّ إلى. فلما كان الغدُ دخلْت عليه فقال: ياغلام أعطها خمسمائة، فقالت: أيها الأمير، اجعلها أدما، فقال قائل: إنما أمرَ لك بشاء، قالت: الأمير أكرم من ذلك، فجعلها إبلا إناثا استحياء، وإنما كان أمرَ لها بشاء أولا. والأُدْمُ[1]: البيض من الإبل وهى أكرمها.

ويروى عن بعض الفقهاء[2] قال: دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المخَمَّسة وهى أمٌّ وجَدٌّ وأخت، فقال لى : ما قال فيها الصِّدِّيق رحمه الله قلتُ؟ : أعْطَى الأمَّ الثلث والجدَّ مابقى لأنه كان يراه أبا، قال :فما قال فيها أمير المؤمنين؟ - يعنى عثمان رحمه الله - قلت: جعل المال بينهم أثلاثا، قال: فما قال فيها ابن مسعود؟ قال: قلتُ أعْطَى الأختَ النصف، والأم ثلث مابقى والجد الثلثين لأنه كان لا يفضل أما على جد، قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟قال: قلت أعطى الأم الثلث، وجعل ما بقى بين الأخت والجد؛ للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه كان يجعل الجد كأحد الإخوة إلى الثلاثة، قال: فَزَمَّ بأنفه ثم قال :فما قال فيها أبو تُراب ؟قال :قلت أعْطَى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس، قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه فقال: فإنه المرء يُرغَبُ عن قوله[3].

وجلس[4] الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة: منهم محمد بن عُمَيْر بن عُطاردِ بن حاجبِ بن زُرارَةَ، وحَجارُ بن أبْجَرَ بن بُجَيْر العِجْلىُّ، فأقبل فى وسَط من الطعام على محمد بن عُمَيْر بن عطاردِ فقال: يامحمد، أيدعوك قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلم إلى نُصرتى يوم رُسْتُقْباذَ[5] فتقول: هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل، لا جَعَلَ الله لك فيه ناقة ولا جملا! ياحرسى، خذ بيده وجرد سيفك

(١) س: «الأدم» بدون الواو.

(٢) زيادات ر: «هو الشعبى».

(٣) قال المرصفى: «إنما حمله على ذلك بغضه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه».

(٤) س: «وجعل».

(٥) ارستقباذ: موضع بفارس.

فاضرب عنقه، فنظر إلى حجار بن أبجر وهو يبتسم، فدخلته العصبية، وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر، وأتى الخَبَّازُ بفُرنية[1] فقال: اجْعَلْها مما يلى محمدا فإن اللبن يعجبه، ياحَرَسِيُّ، شم سيفك وانْصَرِفْ.

وكان محمد شريفا، وله يقول الشاعر:

عِلمَ القبائلُ من مَعَدَّ وغَيْرِها أنَّ الجَوادَ محمدُ بن عُطاردِ

وذُكِرتْ بنو دارِم يوما بحضرة عبدالمَلك، فقالوا: قوم لهم حظ، فقال عبدالملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له، ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له، ومضى محمد بن عمير بن عطارد ولا عقب له، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا.

قوله: «شم سيفك»، يقول: اغمدْهُ، ويقال: شمْتُ السيفَ: إذا سَلَلْتَهُ، وهو من الأضداد، ويقال: شِمْتُ البرقَ إذا نظرت من أى ناحية يأتى.

قال الأعشى:

فقلت للشرب فى دُرْنَى[2] وقد ثملوا شيمُوا، وكَيْفَ يَشيمُ الشاربُ الثَّمِلُ!

وقال الفرزدق:

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى، وتأويل لم يشيموا: لم يغمدوا ولم تكثر القتلى، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى [بها][3] حين سلت.

[على بن جبلة والحسن بن سهل]

وحدثنى الحسن بن رجاء قال: قَدِمَ علينا علىُّ بن جبلة إلى عسْكَر الحسن ابن سَهْلٍ والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران،

---

(١) الفرنية: الخبزة المستديرة، منسوبة إلى الفرن.

(٢) درنى : بلد باليمامة.

(٣) تكملة من س.

فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجرى[(١)] على نيف وسبعين ألف ملاج، وكان الحسن ابن سهل يسهر مع المأمون، وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه، فلما ورد على قلت: قد ترى شغل الأمير، قال: إذن لا أضيع معك. قلت: أجل. فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه، فقال: ألا ترى ما نحن فيه؟ قلتُ: لست بمشغول عن الأمر له، فقال: يعطى عشرة آلاف درهم إلى أن نَتَفَرَّغَ له، فأعلمت ذلك علىَّ بن جبَلة، فقال فى كلمة له:

أعْطيْتنى ياولىِ الحق مُبْتَدئًا عطية كافَأَتْ مَدْحى ولم تَرَنى
ماشِمْتُ بَرقكَ حتى نلتُ رَيقَهُ كأنَما كُنْتَ بالجَدْوَى تُبَادِرُنى

(١) نجرى: نعطى.

باب

(للمفضل بن المهلب بن أبى صفرة فى الشجاعة والنجدة)

قال أبو العباس: قال المفضل بن المُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ(١):

هل الجُودُ إلا أن تجُودَ بأنفُسٍ   على كلِّ ماضى الشَّفرَتَين قضيب
وماخَيْرُ عيْش بعد قتل محمدٍ   وبَعْدَ يزيد والحُرُوبِ حبيب
ومَنْ هرَّ أطراف القَنَا خَشيَةَ الرَّدَى   فليس لمجدٍ صالحٍ بكسوبِ
وماهىَ إلا رَقْدَةٌ تُورِثُ العلا   لِرَهْطِكَ ماحَنَّتْ رَوائمُ نيب

قوله:

ومن هر أطراف القنا خشية الردى

يقول: مَنْ كَرِهَ، قال عَنْتَرَةَ بن شدَّاد:

حَلَفَتُ لهم والخيلُ تَرْدَى بنا مَعاً   نفارقهم حتى يهروا العواليا
عَوالىَ زُرْقًا من رماحِ رُدَيْنةٍ   هريرَ الكلاب يَتَّقِينَ الأفاعيا

والردى: الهلاك، وأكثر ما يستعمل فى الموت. يقال: رَدِىَ يَرْدَى رَدًى، قال الله عز وجل: ﴿**وما يُغْنى عنه مالُه إذا تَرَدى**﴾(٢)، وهو «تَفعَّل» مِنَ الرَّدَى فى أحد التفسيرين، وقيل: إذا تردى فى النار، أى إذا سقط فيها.

وقوله: «الحُرون» فإن حَبيب بن المُهَلْبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلَقبُ الحَرونَ(٣).

وقوله:

وما هى إلا رقدة تورث العلا

فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب، وذلك أنه قال فى يوم العقر - وهو اليوم الذى قتل فيه: قَاتَلَ الله ابن الأ شعث! ما كان عليه لو غَمَّضَ عينيه ساعة للموت، ولم يكن قتل نفسه. وذلك أن ابن الأ شعث قام فى الليل وهو فى

(١) زيادات ر: «يصف الشجاعة والنجدة».
(٢) سورة الليل ١١.
(٣) س: «بالحرون».

سطح، للبول، فزعموا أنه ردى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون: بل سقط منه بسِنَةِ النوم.

وقوله: «تورث العلا لرهطك» فالمعنى تورث العلا رهطَكَ، وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة، تقول هذا ضارب زيدا، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت: هذا ضارب زيد وضارب له. وفى القرآن: ﴿**وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أول المسلمين**﴾[1]. وكذلك: ﴿**إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيَا تَعْبُرُون**﴾.[2] ويقول النحويون فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الّذِى تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[3] إنما هو «رَدِفكُمْ».

والنِّيبُ: جمع ناب، وهى المُسِنَّةُ من الإبل، وتقديرها «فُعْلٌ» ساكنَة، وَأبْدَلَتْ من الضمة كسرة لِتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ فى أبْيَض: بِيضٌ، وإنما هو مثل أحمر وحُمر، وكذلك أشْيَبُ وشِيبٌ، فتقدير ناب ونيب إذا جاء على «فَعلٌ» و «فُعْلٍ» تقدير أَسَد وأُسْد، ووَثَن ووُثْن، ونابٌ تقديرها «فعلٌ» وإنما انقلبت الياء ألفًا فسكنت، وإنما تنقلب إذا كانت فى موضع حركة. والرَّوائم قد مضى تفسيرها.

[شيخ من الأعراب وامرأته]

وأنشدنى الزّيادى قال: أنشدنى أبو زيد، قال: نَظَرَ شَيخٌ من الأعْرَابِ إلى امرأته تتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال:

عجوزٌ تُرَجّى أن تكون فَتِيَّةً ... وقد لَحَبَ الجَنْبَان واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تدُسُّ إلى العَطّار سلعة بيتِها ... وهلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعرابى:

(١) سورة الزمر ١٢ (٣) سورة يوسف ٤٣.
(٣) سورة النحل ٧٣.

وماغَرنى إلا خِضابٌ بكفّها ... وكُحلٌ بعينَيْها وأثوابُها الصفْرُ
وجاءوا بها قبل المحاق بليلة ... فكان مُحَاقًا كله ذلك الشهْرُ]

* * *

قال: فقالت له امرأته[1]:

ألم تَر أنّ الناب تُحْلَبُ عُلْبَةً ... ويُتْرَكُ ثِلب، لاضِرابٌ ولاظَهْرُ!

قال: ثم استغاثت بالنساء. وطلب الرجال فإذا هم خلوفٌ[2]، فاجتمع النساء عليه فَضَرَبْنَهُ.

قوله: «قد لَحِبُ الجنبان»، يقول: قَل لحمهما، يقال: بعير ملحوٌ، وقد لَحِبَ مثل عرق.

وقوله:

* تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها *

يريد السويق والدقيقَ وما أشبه ذلك، وكل عَرَضٍ فالعرب تقول له: سلْعة، أنشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ شعرًا يمدح به خالد بن يزيد بن مَزيدِ الشيبانيَّ ويَذُمُّ تميم ابن خزيمة بن حازم النهشلي:

أأتْرُكُ إنْ قَلَّت دَرَاهِمُ خالد ... زيارته؟ إنى إذا للئيم!
وقدْ يُسْلِعُ المرءُ[3] اللَّئيمَ اصْطِنَاعَهُ ... ويَعْتَلُّ نَقْدُ المَرْء وَهْوَ كَريمُ
فتى وَاسِطٌ فى ابْنَىْ نزار، مُحَبَّبٌ ... إلىَ ابْنَىْ نزَار، فى الخُطُوب عَميمُ[4]
فَلَيْت بِبُرْدَيْه لَنَا كانَ خالدٌ ... وَكَان لِبكْرٍ فى الثَّرَاء تَميمُ
فَيُصْبِحَ فِينا سَابِقٌ مُتَمَهِّلٌ ... أغَرُّ، وَفِى بَكْرٍ أغَمُّ بَهِيمُ

قوله:

* وقد يُسْلِعُ المَرْءُ اللئيمَ اصطناعه *

---

(١) س: «فقالت المرأة». (٢) خلوف: غائبون.
(٣) زيادات ر: «من رفع «المرء» فصب اصطناعه» وأما على تفسير أبى العباس فبنصب «اصطناعه» لاغير».
(٤) فتى واسط فى قومه: شريف فيهم.

وقوله: «أغم بهيم» فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا، قال هُدْبة بن خَشْرَمٍ العُذرىُّ:

فَلاَ تَنْكِحِى إن فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

والعرب تَكْرَهُ الْغَمَمَ. والبهيمُ: الذى لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أىِّ لون كاَن.

وقولها:

* ألم تر أن الناب تحلب علبة *

تقول فيها منفعة على حال، والعُلْبَة: إناء لهم من جلود يَحْلُبون فيه، من ذلك قوله:

لَمْ تَتَلفّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ، وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بالْعُلَبِ

ومن أمثال العرب: «قد تُحْلَبُ الضَّجُور الْعُلْبَةَ»، يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشيء القليل، والضجور: الناقة السيئة الخُلق، إنما تُحْلَبُ حين تَطْلُع عليها الشمس فتطيب نفسها، والثَّلْبُ: الذى قد انتهى فى السنِّ من الإبل.

[من أقوالهم فى الفقر والغنى]

وقال آخر:

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَال أَرْفَعَ لِلرَّذْلِ
ولَمْ أَرَ عِزًا لامرئ كَعَشِيرَةَ ولَمْ أَرَ ذلا مِثْلَ نَأَى عَنِ الأصْلِ
ولَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلى امْرِئٍ إذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعقلِ

وقال آخر:

لعَمْرِى، لَقَوْمُ المَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةٍ عَلَيْه، وإنْ عَالَوْا به كلَّ مَرْكَب
منَ الجَانبِ الأقْصى، وإنْ كانَ ذَا غِنًى جَزِيلٍ ولَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ
[وإنْ خَبَّرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قادرٌ عَلى مَا حَوَتْ أيْدى الرِّجَال فَكَذِّب]
إذَا كنْتَ فى قومٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ فَكلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

العـدا: الغـرباء فى هذا الموضع، ويقـال للأعـداء عـدا، والعـداة الأعـداء لاغير.

وقال أعرابى من باهلة:

سَأُعْملُ نصَّ العيس حَتّى يكُفَّنى ... غنَى المَال يَوْمًا أوْ غنَى الحَدَثان
فَلَلْمَوْتُ خيرٌ منْ حَيَاة يُرَى لهَا ... عَلَى المَرْءِ ذى العلْيَاء مَسٌّ هوَان
مَتَى يَتكلَّم يُلْغَ حكْمُ مَقَاله ... وإنْ لَم يَقُلْ قَالُوا عَديمُ بَيَان
كَأنَّ الغنَى فى أَهْلِه بُورِكَ الْغنَى ... بغَيْرِ لسَانٍ ناطقٌ بِلسَان

[من أخبار حارثة بن بدر الغدانى]

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارثَةَ بن بَدْرٍ الغُدَانى، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر، وكان رَجُلَ بنى تَميمٍ فى وقته، وكان قـد غَلَبَ على زياد، وكان الشرابُ قـد غَلَبَ عليه، فـقيل لزياد: إن هذا قـد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ[1] بالشراب، فقال زياد: كـيف لى باطراحِ رجلٍ هو يُسايرُنى مُنذُ دخلتُ العراق، لم يُصكك ركابَى ركاباهُ، ولا تَقدمَنى فنظـرتُ إلى قفاه، ولا تأخرَ عنى فلوَيْتُ عُنُقى إليه، ولا أخَذَ علىَّ الـشمسَ فى شتاء قطُّ، ولا الرَّوْحَ فى صيـف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لم يحسن غيـره. فلما مات زياد جـفاه عبيـد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفـاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة[2]! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة كان قد برع بروعـا لا يلحقه معه عيب، وأنا حَدَثٌ، وإنما أُنْسَبُ إلى مَنْ يَغْلبُ علىّ، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قَرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منـك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بى، فَدَعِ النَّبيذَ وكُنْ أوَّلَ داخل علىَّ وآخـر خارج عنى، فقال له حارثة: أنا لا أَدَعُهُ لمن يملك ضَـرّى ونَفْعى، أفأَدعه للحال عندك؟ قال: فاخْتَرْ من عملى ماشئتَ، قال: تُوَلِّينى رامـهرمز[3]، فإنهـا أرض عَذَاةٌ[4]؛ وسُرَّقَ[5] فإن بها شرابًا وُصِـفَ لى. فولاّهُ إياهما، فلما خرج شَيَّعَهُ الناس، فقال أَنَسُ بن أبى أُنَيْسٍ:

---

(١) مستهتر بالشراب. مولع به. (٢) كنية زياد.
(٣) رامهرمز: مدينة فى بلاد الفرس. (٤) أرض غذاة: طيبة.
(٥) سرق: إحدى كور الأهواز.

أَحَارِ بْنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ إِمَارَةً ... فَكُنْ جُرَذًا فِيهَا تَخُونُ وتَسْرِقُ
ولا تَحْقِرَنْ يَاحَارِ شَيْئًا وجَدْتَهُ ... فَحظُّكَ من مُلْك العِرَاقَيْنِ سُرَّقُ
وباه تميمًا بالغنى إنَّ للغنى ... لِسَانًا به الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ ينْطق[1]
فإنَّ جَمِيعَ النَّاسِ، إمَّا مُكَذَّبٌ ... يَقُولُ بمَا يَهْوَى وإما مُصَدَّقُ
يَقُولُونَ أقْوَالاً ولا يَعْلَمُونَهَا ... ولوْ قِيلَ: هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

ورَثَى حارثةُ بن بدر زيادا ـ وكان زياد مات بالكوفة، ودفن بالثَّوِيَّة ـ فقال:

صَلَّى الْإلهُ عَلَى قَبْرٍ وَطَهَّرَهُ ... عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يَسْفِى فَوْقَهُ الْمُورُ
زَفَّتْ إلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدِهَا ... فَثَمَّ كُلُّ التُّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ
أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالدُّنْيَا مُفَجِّعَةٌ ... وَإنَ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ ... وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكْرَاءِ تَنْكِيرُ
وَكُنْتَ تُغْشَى وَتُعْطِى المالَ مِنْ سَعَةٍ ... إنْ كَانَ بَيْتُكَ أَضْحَى وَهْوَ مَهْجُورُ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمُ ... كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الأعَاصِيرُ

ونظير هذا قول مهلهل يرثى أخاه كليبا، وكان كليب إذا جلس لم يرفع بحضرته صوت، ولم يستب بفنائه اثنان:

ذَهَبَ الخِيَارُ من المَعَاشِرِ كلِّهِمْ ... واستَبَّ بَعْدَكَ يَاكُلَيبُ الْمجْلِسُ
وَتَقَاوَلُوا فِى أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ... لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبِسُوا

قول حارثة: «الثَوِيَّة» فهى بناحية الكوفة، ومن قال الثُّوَيَّة: فهو تصغير الثَّوِيَّة، وكل ياء اتَصَلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلَّةً طرفًا فى التصغير فولِيَتْها ياء التصغير فهى محذوفةٌ، وذلك قولك فى عطاء: عُطَىٌّ، وكان الأصل عُطَيِّىٌّ، كما تقول فى سحاب: سُحَيب، ولكنها تحذف لاعتلالها، واجتماع ياءين معها، وتقول فى تصغير أحْوَى: أحىٌّ، فى قول من قال فى أسْوَدَ: أُسَيد، وهو الوجه الجيد، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلَبَتْها ياء، كقولك: أيام، والأصل «أيوامٌ»، وكذلك سيد، والأصل سيود، ومن قال فى تصغير أسود: أسيود، فهو جائز، وليس كالأول، قال فى تصغير أُحْوَى أُحَيْوٍ يافتى، فتثبت الياء، لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياءات، ومن قال أسود، فإنما أظهر الواو؛ لأنها كانت

(١) الهيوبة: الجبان.

فى التكير متحركة، ولا تقول فى عجوز إلا عجيزة لأنها ساكنة، وإنما يجوز هذا على بعد إذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل، أو ملحقة بالعين، نحو واو جدول، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغير للتشبيه بالجمع، لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه، ألا تراهم يقولون فى الجمع: أساود وجداول. فهذا على التشبيه بهذا. فإن كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال، تَقُولُ فى غَزْوة: غُزَيَّةٌ، وفى عُرْوة: عُرَيَّةٌ، فهذا شرح صالح فى هذا الموضوع، وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب.

وقوله: «يسفى فوقه المور»، فمعناه أن الريح تَسْفيه، وجعل الفعل للمور وهو التراب، وتقول: سَقاكَ اللهُ الغَيْثَ، ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث، فتقول: سقاك الغيث يافتى، وقال علقمة بن عبدة:

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَبِيٍ وَعَارِضٌ ... تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنُوبُ

وقوله:

* زفّت إليه قريش نعش سيدها *

يقال: زفـفت السرير، وزَفَفتُ العروسَ. وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ قال: حدثنى الزيّادى قال: سمعت قوما من العرب يقولون: أزفَفْتُ العروس، وهى لغة.

وقوله: «نَعْشَ سيدها» يريد موضعه من النَّسَبِ، لأنه نسَبه إلى أبى سُفْيَان. وكان رئيس قريش قبل مَبْعَث النبى ﷺ، وله يقول رسول الله ﷺ: «كل الصيد فى بطن الفرا». وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفرش فراشا فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب، ويقول: هذا عم رسول الله ﷺ، وهذا شيخ قريش. وكان حرب بن أمية رئيس: قريش يوم الفجار، فكان آل حرب إذا ركبوا فى قومهم من بنى أُمَيَّةَ قُدِّمُوا فى المَواكِبِ، وأُخْلِيَتْ لهم صُدورُ المجالس، إلاَّ رَهْط عثمان رضى الله عنه، فإن التقديم لهم فى الإسلام بعثمان. وكان أبو سفيان صاحبَ العير يوم بَدْرٍ، وصاحبَ الجيش يوم

أُحُد وفى يوم الخَنْدَق، وإليه كانت تَنْظُرُ قريش فى يوم فتح مكة، وجَعَلَ له رسول الله ﷺ أنه من دخل فى داره فهو آمن فى حديث مشهور.

وقوله:

كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير

هذا مَثَلٌ، وإنما يراد خفّة الحُلوم. والإعْصارُ - فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تَهُبُّ بشدّة فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: «إن كنت ريحا فقد لاقيتَ إعصارًا»، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْدًا فيُصادفُ مَنْ هو أجْلَدُ منه، قال الله عزّوجل: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «كلُّ الصَّيْدِ فى بطْنِ الفَرا»، يعنى الحمارَ الوحشىَّ. وذلك أن أجلَّ شىء يصيده الصائدُ الحمارُ الوحشىُّ، فإذا ظفرَ به، فكأنه قد ظفر بجملة الصيد، والعرب تختلف فيه، فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول: هذا فرأٌ، كما ترى، وهو الأكثر، وبعضهم لا يهمزه، ومن أمثالهم، «أنْكحْنا الفَرَا، فسَنَرى»، أى زَوَّجْنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة، وجَمْعُهُ فى القولين جميعا «فِراءٌ» كما ترى، ونظيره: جَمَلٌ وجِمَالٌ، وجَبَلٌ وجِبَالٌ، قال الشاعر.[2]

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإيزاغ المخاض تبورها

الإيزاغُ: دَفْع الناقة ببولها، يقال: أوْزَغَتْ به إيزاغًا، وأَزْغَلَتْ به إزغالا، وذلك حين تَلقح، فعند ذلك يقال لها: خلفة، وللجميع المخاضُ، وقد مرّ هذا. والبَوْرُ: أن تُعْرَضَ على الفحل ليُعْلَمَ: أهى حامل أم حائل؟

[الضابئ البرجمى وهو فى السجن]

وقال ضابىء بن الحارث البُرْجُمىُّ[3]:

ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينَة رَحْلُهُ فإنِّى وقَيَّارًا بها لَغَريبُ
ومَا عَاجِلاتُ الطَيْرِ تُدْنى منَ الْفَتَى نَجاحًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ
ورُبَّ أُمُورٍ لاتَضِيرُكَ ضَيْرَةً ولِلْقَلْبِ من مَخْشَاتِهنَّ وجِيبُ
ولا خَيْرَ فِيمنْ لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

(١) سورة البقرة ٢٦٦.
(٢) هو مالك بن زغبه الباهلى.
(٣) زيادات ر: «من السجن».

قوله:

* فإني وقيارا بها لغريب *

أراد: فإني لغريبُ بها وقيـاراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعَمْراً وعَمْرٌو، فمن قال: «عمـراً» فإنما ردَّه على زيد، ومن قال: عمرو فله وجهان من الإعراب: أحـدهما جيـد، والآخر جائز، فـأما الجيـد فأن تَحْمِلَ عـمرا على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيدا منطلق فمـعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا، والبـاء زائدة، لأن المعنى لست قائما ولا قاعدا، ويقرأ على وجـهين: ﴿إنَّ اللهَ بريءٌ منَ المُشْـركِـينَ ورَسُـولُهُ﴾[1]، ﴿ورسُولَهُ﴾، والوجه الآخر أن يكون مـعطوفاً على المضمر في الخبـر، فإن قلت إن زيداً منطلق هو وعمرو حـسن العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسـن العطف عليه إذا أكدته، كمـا قال الله تعـالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وربُّكَ فَـقَـاتلا﴾[2] و﴿اسْكُنْ أَنْـتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾[3] وإنما قَبُحَ العطف عليه بغير تأكـيد لأنهَ لا يخلو من أن يكون مُسْتَكنًّا في الفعل بغيـر علامة، أو في الاسم الذي يَجْرى مَجْـرَى الفعل، نحو إن زيدا ذَهَبَ وإن زَيدا ذاهبٌ فلا علامة له، أو تكونَ له عـلامةٌ يتغير لها الفعل عـما كان عليه نحو ضَرَبْتُ، سكَّنْتَ الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنْفَكُ أحدُهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد، ولكنَّ المنصوبَ يَجوزُ العطفُ عليه، ويَحْسُن بلا تأكيد، لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذْ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحـو ضَـرَبْتُك وزيداً، فـأما قـول الله عـز وجل: ﴿لَوْ شَـاءَ اللهُ مَـا أَشْـرَكْنَا ولا آباؤُنا﴾[4]، فإنما يحسن بغيـر توكيد لأن «لا» صارت عوضا، والشـاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام. قال عمر بن أبي رَبيعة:

قُلْـتُ إذ أَقْـبَلَـتْ وزُهْرٌ تَـهَـادَى ... كنِعَـاجِ المَلاَ تَـعَـسَّـفْنَ رَمْـلاَ

وقال جرير:

وَرَجَـا الأخَـيْطِلُ مِـنْ سَـفَـاهة رأيِهِ ... مَـا لَـمْ يكُـنْ وأَبٌ لـهُ لِـينَـالاَ

فهذا كثـير. فأما النعت إذا قلت إن زيداً يقومُ العاقلُ فأنت مـخير إن شئت

(1) سورة التوبة ٣.

(2) سورة المائدة ٢٤.

(3) سورة البقرة ٣٥.

(4) سورة الأنعام ١٤٨.

قلتَ العاقلَ فجعلته نعتا لزيد، أو نصبته على المَدْحِ وهو بإضمار أعنى، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت إن زيدا قام، فقيل من هو؟ فقلت: العاقلُ، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أفأُنبِّئُكُمْ بشرٍّ منْ ذلكُمُ النَّارُ﴾(١)، أى هو النار. والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا: ﴿قلْ إنَّ ربِّى يَقذِفُ بالحَقِّ علاَّمُ الغُيُوبِ﴾(٢) وعلاَّمَ ﴿الغيوبِ﴾.

وقوله:

وماعَاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْني مِنْ الْفَتَى نَجَاحًا

يقول: إذا لم تَعْجَل له طَيْرٌ سانحَةٌ فليس ذلك بمُبْعد خيرا عنه، ولا إذا أبْطَأَتْ خابَ، فعاجِلُها لا يأتيه بخير، وآجلُها لايَدْفَعُهُ عنه، إنما له ما قُدِّرَ له، والعرب تَزْجُرُ على السَّانحِ وتَتَبَرَكُ به، وتكْرَهُ البارحَ وتَتَشَاءم به، والسانحُ: ما أراكَ مَيَاسرَهُ فَأَمْكَنَ الصائدَ، والبارحُ: ما أراكَ ميَامِنَهُ فلم يمكن الصائدَ، إلا أن يَنْحَرِفَ له، وقد قال الشاعر:

لاَ يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلاً مَا يُصَبِّحُهُ إلاّ كَوَاذبَ مما يُخْبِرُ الْفَالُ
والفَالُ والزَّجْرُ والْكُهَّانُ كّلهُمُ مُضَلَّلُونَ، ودُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله:

ورُبَّ أُمُورٍ لاَتَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللِقلْبِ مِنْ مَخْشَاتهنَّ وَجيبُ(٣)

فإن العرب تقول: ضارَهُ يَضيرُهُ ضيرةً. ولا ضيْر عليه، وضرهُّ يَضُرهُ، ولا ضَرَرَ عليه [ولا ضُرّ عليه](٤)، ويقال: أصابه ضُرٌّ، وأصابه ضَرٌّ بمعنى، والضَّرُّ مصدر، والضُّرُّ اسم. وقد يكون الضُّرُّ من المرض، والضَّرُّ عامًّا، وهذا معنى حَسن، وقد قال أحد المحدثين، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العتاهيَة:

وَقَدْ يَهلكُ الإنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ ويَنجو بِإذنِ الله مِنْ حَيثُ يَحْذَرُ

---

(١) سورة الحج ٧٢.
(٢) سورة سبأ ٤٨.
(٣) المخشاة: الخشية: والوجيب: خفقاق القلب واضطرابه.
(٤) الزيادة من س.
(٥) سورة النساء: ١٩.

وقال الله عز وجل: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

وقال رجل لمعاوية: والله لقد بايَعْتُكَ وأنا كاره، فقال معاوية: قد جَعَلَ اللهُ في الْكُرْهِ خيرًا كثيرًا.

وقوله:

وَلاَخَيْرَ فِيمنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ ... عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ

نظيره قول كثير:

أَقُولُ لَهَا، يَاعَزَّ كُلُّ مُصِيبةٍ ... إذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

وكان عبدالملك بن مَرْوانَ يقول: لو كان قال هذا البَيْتَ في صِفَةِ الحَرْبِ لكان أشْعَرَ الناس.

وحكى عن بعض الصالحين أن ابنًا له مات فلم يُرَ بِهِ جَزَعٌ، فقيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نَتَوَقَّعُهُ، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ.

بابـ

[جرير بن عبد الله البجلي عند معاوية]

قال أبو العباس: وجه علي بن أبي طالب رضى الله عنه جَرِيرَ بن عبد الله البجَلىَّ إلى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبيعة له، فقال له: إنَّ حَوْلى مَنْ تَرَى من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ولكنّى اخْتَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيك: «خَيْرُ ذى يَمَن»، إيت مُعاوية فَخُذْهُ بالبَيْعَة، فقال جَرِيرٌ: والله يا أمير المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرتى شيئًا، وما أَطْمَعُ لك فى مُعاويةَ، فقال علىٌّ رضى الله عنه: إنما قَصْدى حُجةٌ أُقِيمُها عليه، فلما أتاه جَرِيرٌ دافَعَهُ معاوية، فقال له جَرِيرٌ: إنَّ المُنافقَ لا يُصَلِّى حتى لا يَجِدَ من الصلاة بُدأ، ولا أحْسُبُكَ تُبايِعُ حتى لا تَجِدَ من البَيْعة بُدا! فقال له معاوية: إنها ليست بَخدْعة الصَّبىِّ عن اللَّبَنِ إنه أمر له ما بعده، فأَبْلِعْنى ريقى. فناظَرَ عمرًا، فطالت المناظرة بينهما، وألَحَّ عليه جرير، فقا له معاوية: أَلقاك بالفَصْل فى أوّل مَجْلِسٍ إن شاء الله تعالى.

ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً، وكَتَبَ عليه «ولا يَنْقُضُ شَرْطٌ طاعةً»، فقال عمرو: يا غلامُ اكتبْ: ولا تَنْقُضُ طاعةٌ شَرْطًا، فلما اجتمع له أَمْرُهُ رَفَعَ عقيرته(١) يُنْشِدُ لِيُسْمِعَ جَرِيرًا:

تطَاوَلَ لَيْلى وَاعْتَرَتْنى وسَاوسى ... لآت أتى بالتُّرهَات البَسَابس(٢)

أَتَانى جَرِيرٌ وَالحَوَادثُ جَمَّةٌ ... بتلْكَ الّتى فيهَا اجْتدَاعُ المَعَاطسِ

أُكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنى وَبَيْنَهُ ... وَلَسْتُ لأَثْوَاب الدَّنِىِّ بلابَسِ

إن الشَّأْمُ أَعطَتْ طاعَةً يَمنيَّةً ... تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فى المجَالس

فَإنْ يَفْعلُوا أَصْدِمْ عَلَيًّا بجبهَة(٣) ... تَفُتُّ عَلَيْهِ كلَّ رَطْب وَيَابِسِ

وإنِّى لأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ ... وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكَ العِرَاقِ بِيَائِسِ

[كتاب معاوية إلى علي]

وكتب إلى على رضى الله عنه:

---

(١) العقيرة: الصوت.

(٢) البسابس فى الأصل: القفر الواسع، يريد الأباطيل.

(٣) زيادات ر: «الجبهة: جماعة الخيل».

بسم الله الرحمن الرحيم، من مُعاوية بن صَخْر إلى علىّ بن أبى طالب: أما بعد: فلَعَمْـرِى لَوْ بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثـمان كنت كأبى بكر وعمر وعثـمان رضى الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثـمان المهاجرين، وخذَّلْتَ عنه الأنصارَ، فأطاعك الجاهلُ، وقَوِىَ بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حـتى تدفع إليهم قَتَلَةَ عثـمان، فإن فعلتَ كانت شُـورَى بين المسلمين. ولَعَمْرِى ما حجتك على كحجتك على طَلْحَة والزُّبَيْر؛ لأنهما بايَعاكَ ولم أبَايعْكَ. وما حجتك على أهل الشام كحـجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل ابصرة أطاعوك ولم يُطِعْكَ أهلُ الشـام. وأما شَـرَفُكَ فى الإسلام، وقَرابَتُـكَ من رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فـلَسْتُ أدْفَعُهُ. ثم كتب إليه فى آخر الكتـاب بشِعر كعب بن جعيل، وهو:

أرَى الشَّـــأمَ تَكْرَهُ مُـلْكَ الـعِـــراَقِ ... وَأَهْـلَ العـــرَاقِ لَـهُمْ كَـــارهِينَـا

وَكُــلاًّ لِصَـاحِـبِـهِ مُـبْـغِـضًـا ... يَرَى كُـلَّ مَـا كَــانَ مِنْ ذَاكَ دِيـنَا

إذَا مَـا رَمَـوْنَا رَمَـيْـنَاهُمُ ... وَدنَّاهُـمُ مِـثْـلَ مَـايُقْـرِضُـونَا

فَـقَـالُوا: عَلِىٌّ إمَـامٌ لَـنَا ... فَـقُـلْنَا رَضِـينَا ابْنَ هِـنْد رَضِـينَا

وقَـالُـوا: نَـرَى أَنْ تَـدِينُـوا لَـهُ ... فَـقُـلْـنَا: أَلاَ لاَ نَـرَى أَنْ نَـدِينَـا

وَمِنْ دُونِ ذلِـكَ خَـرْطُ الْقَـتَـادِ ... وَضَـرْبٌ وَطَـعْنٌ يُقِـرُ العُـيُـونَا

وأحسن الروايتـين: «يفض الشئونا»، وفى آخر هذا الشـعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره.

قوله: «ولكنَّكَ أغْرَيْت بعثمان المهاجرين» فهو من الإغْـراَء وهو التحضيض عليه، يقال أغْـرَيْتهُ به، وآسَدْتُهُ عليه، وآسَدْتُ الكلب على الصـيد أُوسِدهُ إيسادًا، ومن قال: أشْلَيتُ الكلـب فى معنى أغْرَيْتُ فـقد أخطأ، إنما أشْلَيْتُـهُ دَعوتُهُ إلىَّ، وآسَدْتُه أغْرَيْتُه.

وقول ابن جُعَيْل:

* وأهلَ العراق لهم كارهينا *

محمول على «أرى»، ومن قال:

* أهلُ العراق لهم كارهونا *

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عَطَفَ جملة عَلَى جملة بالواو، ولم يحمله على أرى، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقًا، وعمروٌ منطلقٌ الساعةَ، خَبَّرْتَ بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها «إذْ» كما تقول رأيت زيدًا قائمًا وعمرو منطلق، تريد إذ: عَمْرو منطلق. وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قول الله عز وجل: ﴿**يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ**﴾(١)، والمعنى - والله أعلم : إذ طائفةٌ فى هذه الحَال - وكذلك قراءة من قرأ : ﴿**ولو أن مَا فى الأرْض منْ شَجرَة أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمدُّهُ مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**﴾(٢)، أى والبَحْرُ هذه حاله، ومَن قرأ ﴿**والبَحْرَ**﴾ فعلى «أنَّ».

وقوله:

* ودنَّاهُمُ مثل ما يقرضونا *

يقول جزيناهم. وقال المفسرون فى قوله عز وجل: ﴿**مَالك يَوْم الدِّين**﴾(٣). قالُوا: يومَ الجزاء والحساب، ومن أمثلة العرب: «كما تَدين تُدَانُ»، وأنشد أبوعبيدة(٤).

واعْلَمْ وأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زائِلٌ واعْلَمْ بأَنَّ كَمَا تَدينُ تُدَانُ

وللدّين مواضع: منها ما ذكرنا، ومنها الطاعة ودينُ الإسلام من ذلك يقال: فلان فى دين فلان، أى فى طاعته، ويقال: كانت مكة بلدا لقاحًا، أى لم يكونوا فى دين مَلك، وقال زُهَيْرٌ:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بَنى أسدٍ فى دِينِ عَمْرو وحالَت بَيْنَنَا فَدَكُ

فهذا يريد: فى طاعة عمرو بن هند، والدِّينُ: العادةُ، يقال: ما زال هذا دِينى ودأْبى وعادتى ودَيْدَنى وإِجْرِيَّاى، قال المُثقِّب العَبْدِى:

---

(١) سورة آل عمران ١٥٤.

(٢) سورة لقمان ٢٧.

(٣) سورة الفاتحة٤.

(٤) زيادات: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر». وقد أورد هذا الخبر المرصفى فى رغبة الآمل: ٣: ٢١٤، ٢١٥.

تَقُولُ إذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى أهذا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِى!
أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌ وَارْتِحَالٌ أَمَا تُبْقِى عَلَىَّ وَمَا تَقِينِى!

وقال الكميْتُ بن زيْد:

عَلَى ذَاكَ إجْرِيَّاىَ وَهْىَ ضَرِيبَتِى وَإن أَجْلَبُوا طرأ عَلَى وأَحْلَبُوا[١]

وقوله:

* فقلنا رضينا ابن هند رضينا *

يعنى معاوية بن أبى سُفيانَ، وأمُهَ هِنْد بنت عُتْبَةَ بن رَبيعة بن عبْدِ شمْسِ ابن عبد مَناف.

وقوله: «أن تَدينوا له» أى أن تطيعوه وتَدخلوا فى دينه: أى فى طاعته:

وقوله:

* ومن دون ذلك خرط القتاد *

فهذا مثل من أمثال العرب، والقَتادُ: شُجَيْرَةٌ شاكة غليظة أصول الشَّوْك، فلذلك يضْرَبُ خَرْطهُ مَثَلاً فى الأمر الشديد، لأنه غاية الجَهد. ومن قال: «يَفُضُّ الشئونا»، فَيَفُضُّ يُفَرّقَ، تقول: فَضضْت عليه المال. والشئون، واحدها شَأْنٌ، وهى مَوَاصِلُ قبائل الرأس، وذلك أن للرأس أربع قَبَائل، أى قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها إلى بعض، فموضع شُعَبِها يقال له: الشئون، واحدها شَأْنٌ، وزعم الأصمعى قال: يقال إن مجارى الدموع منها، فلذلك يقال: استَهَلتْ شئونه، وأنشد قول أوْس بن حَجَر:

لاتَحْزُنِينى بِالفِرَاقِ فَإنَّنِى لاتَسْتَهِلُّ مِنَ الفِرَاقِ شُئُونِى

وَمَنْ قال «يقرُّ العيونا»، ففيه قولان: أحدهما للأصمعىّ، وكان يقول: لا يجوز غيره، يقال: قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ، وقال: إنما هو بَرَدَتْ منَ القُرِّ، وهو خلاف قولهم: سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله، وغيره يقول: قَرَّتْ هَدَأَتْ، وأقَرَّها الله أهْدَاها اللهُ، وهذا قول حسن جميل، والأول أغرب وأطْرَفُ.

---

(١) اجرياى: عادتى. وأجلبوا : صاحوا. وأحلبوا : تألبوا.

[لمعاوية جواب علي بن أبي طالب]

فكتب إليه أمير المؤمنين عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من على بن أبى طالب إلى مُعاوية بن صَخْر، أما بعد: فإنه أتانى منك كتابُ امْرئٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ، دعا الهوى فأجابه، وقادَهُ فاتَّبعه، زَعَمْتَ أنك إنما أفْسَدَ عليك بَيْعتى خطيئتى فى عثمان. ولَعَمْرى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصْدرْتُ كما أصْدروا، وما كان الله لِيجْمَعَهُمْ على ضلال، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى!.

وبعد، فما أنت وعثمانُ! إنما أنتَ رجل من بنى أُمَيَّة، وبنو عثمان أوْلَى بمطالبة دمه، فإن زعمتَ أنك أقوى على ذلك، فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المسلمون، ثم حاكِمِ القومَ إلىّ. وأما تمييزك بينك وبين طلْحَة والزُّبَيْر وأهل الشام وأهل البَصْرة. فلعمرى ما الأمْرُ فيما هناكَ إلا سَواءٌ، لأنها بَيْعَةٌ شاملة، لا يُستَثْنى فيها الخيارُ، ولا يُسْتأنَفُ فيها النَّظَرُ. وأما شرفى فى الإسلام، وقرابتى من رسول الله ﷺ، وموضعى من قرَيْشٍ، فلعمرى لو استَطَعْتَ دَفْعهُ لدفعتهُ».

ثم دعا النَّجاشيَّ أحد بنى الحارث بن كعب فقال له: إن ابن جُعَيْلٍ شاعر أهل الشأم، وأنت شاعرُ أهل العراق، فأجِب الرجلَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أسْمِعْنى قوله، قال: إذًا أُسْمعك شعْرَ شاعرٍ، فقال النجاشى يجيبه:

دَعَا يَامُعَاوِىَ مَا لَنْ يَكُونا   فَقَدْ حَقَّقَ اللهُ مَا تَحْذرُونا
أتَاكُمْ علىٌّ بأَهْلِ الْعِرَاقِ   وأَهْلِ الحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا!

وبعد هذا ما نُمْسك عنه.

قوله: «ليس له بصَر يهديه»، فمعناه يقوده، والهادى: هو الذى يتقدم فيَدُلُّ، والحادى: الذى يتأخر فيسوق، والعنق يسمى الهادى لتقدمه، قال الأعشى:

إذَا كَانَ هَادِى الفَتَى فى البلا   دِ صَدْرَ القَنَاةِ أَطَاع الأَمِيرَا

يصف أنه قد عمى فإنما تهديه عَصًا، ألا تراه يقول:

وهَابَ الْعِشَارَ إذَا مَا مَشَى   وخَالَ السُّهُولَةَ وعْثًا وعُورا

وقال القُطامى:

إنِّى وإنْ كانَ قَومِى ليّسَ بَيْنهُمُ وبُيْنَ قَومِك إلا ضَربْةُ الهَادِى

وقال أيضًا:

قَرَّبْنَ يَقْصُرْنَ مِنْ بُزْلٍ مُخَيَّسةٍ ومِنْ عِرَابٍ بَعِيداتٍ مِنَ الحَادِى

وقوله: «ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ» قد أبانَ به الأَوّلَ.

وقوله: «دعاه الهَوى» فالهوى من «هويتُ» مقصور، وتقديره «فَعَلٌ»، فانقلبت الياء ألفًا، فلذلك كان مقصوراً، وإنما كان كذلك لأنك تقول: هَوِىَ يَهْوَى، كما تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ وهُو هَوٍ، كما تقول: هُوَ فَرِقٌ، كما ترى، وكان المصدر على «فَعَلٍ» بمنزلة الفَرَقِ والحَذَرِ والبَطَرِ؛ لأن الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل، فأما الهواءُ، من الجَو فممدود، يَدُلُّك على ذلك جمعه إذا قلت: أَهْوِيةٌ، لأن أفْعِلة إنما تكون جمع فَعالٍ وفِعالٍ وفُعولٍ وفَعِيل، كما تقول قَذَال وأَقْذِلَةٌ وحمار وأَحمرةٌ، فَهواءٌ كذلك، والمقصور جمعه أهواء فاعلم، لأنه على فَعَلٍ، وجمع فعلٍ أفعالٌ، كما تقول: جَمل وأجْمَال وقَتَب وأقتاب، قال الله عز وجل: ﴿**وَاتَّبَعُوا أهوَاءَهُمْ**﴾(١). وقوله هذا هواء يافتى فى صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ، يقول: لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: ﴿**وأفْئِدتُهُمْ هوَاءٌ**﴾(٢) أى خالية، وقال زُهَيْرٌ:

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ

وهذا من هَواءِ الجوّ، قال الهُذلى(٣):

هَوَاءٌ مِثلُ بَعْلك مُسْتَمِيتٌ عَلَى مَافِى وِعَائِك كالخَيَالِ

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز يُنْشدُ: «على ما فى إعائِكَ»، ويقال: وسادَةٌ وإسادَةٌ ووِشاحٌ وإشاحٌ.

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ» فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصلٌ وأجراه مجراه، ولس ههنا فِعْلٌ، فَيُحْمَلَ على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان، هذا تقديره فى العربية، ومعناه لَسْتَ منه فى شىء، قد

(١) سورة محمد ١٤.

(٢) سورة إبراهيم ٤٣.

(٣) هو حبيب الأعلم، وانظر ديوان الهذليين ٢: ٨٣.

ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازًا حسنًا وجَعَلَهُ مفعولا معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلانًا. وهذا الشعر كما أصف لك ينشد:

وأنت امرُؤ من أهل نجْدٍ وأهْلُنا تَهامٍ وما النَّجْدىُّ والُمتَغَوِّرُ!

وكذلك قوله[1]:

تُكَلِّفُنى سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ وَمَا جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ!

فإن كان الأول مضمرًا متصلا كان النصبُ، لِئَلا يُحْمَلَ ظاهر على مضمر، تقول: مالَكَ وزيدًا، وذلك أنه أَضْمَرَ الفعْلَ، فكأنه قال فى التقدير: ومُلاَبَسَتَكَ زيدًا، وفى النحو تقديره: مع زيد. وإنما صَلَحَ الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت: مالَكَ وزيدًا! فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز «وزيد» وأَضْمرتَ لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهرًا لكان على غير إضمار، نحو قولك: مازلت وعبد الله حتى فعل، لأنه ليس يريد: ما زِلْتُ وما زال عبدُالله، ولكنه أراد: وما زلتُ بعبدالله. فكان المفعول مخفوضا بالياء، فلما زال ما تخفضه وصل الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى: ﴿وَاخْتَار مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعين رَجُلا﴾[2]، فالواو فى معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا ينشد هذا الشعر[3]:

فمَالَكَ والتَلَدُّد حَوْلَ نَجْدٍ وقد غَصت تِهامة بالرجال[4]

ولو قلت: ما شأنُك وزيدا! لاختير النصب، لأن زيدًا لا يلتبس بالشأن، لأن المعطوف على الشىء أبدًا فى مِثلِ حاله، ولو قلت: ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ، لأن الشأن يعطف على الشأن. وهذه الآية تفسرُ على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها، وهو قوله عز وجل: ﴿فأَجْمعوا أمْركُمْ وَشركَاءكُمْ﴾[5] فالمعنى والله أعلم: معَ شركائكم، لأنك تقول: جمعت

---

(١) زيادات ر: «هو الأعجم».
(٢) سورة الأعراف ١٥٥.
(٣) زيادات ر: «هو مسكين الدارمى».
(٤) التلدد: التلفت يمينا وشمالا.
(٥) سورة يونس: ١٧.

قومى، وأَجْمَعتُ أمرى. ويجوز أن يكون لَمَّا أَدْخَلَ الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه؛ لأن المعنى يرجع إلى شىء واحد. فيكون كقوله[1].

يَا لَيْتَ زَوْجَك قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

وقال آخر:

* شرَّابُ أَلبَانٍ وَتَمرٍ وأَقِطْ *

وهذا بَيّنٌ.

[خالد بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان]

ويروى أن عبدالله بن يَزيدَ بن مُعاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخى، لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفْتُكَ بالوليد بن عبدالملك فقال له خالد: بئس والله ما هَمَمْتَ به فى ابن أمير المؤمنين، ووَلِىّ عَهْدِ المسلمين! فقال: إن خيلى مَرَّت به فَعَبثَ بها وأَصْغَرَنى، فقال له خالد: أنا أكفيك. فدخل خالد على عبدالملك والوليد عنده؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الوَليدُ ابن أمير المؤمنين، ووَلِىُّ عَهْدِ المسلمين، مَرَّتْ به خيل ابن عمه عبدالله بن يزيد فَعَبث بها، وأصغره. وعبدُالملك مُطرقٌ، فرفع رأسه، فقال: **﴿إن المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفسَدُوهَا وَجَعلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلكَ يَفْعَلُونَ﴾**[2]، فقال خالد: **﴿وإذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفيهَا فَفَسَقُوا فيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاها تَدْميرا﴾**[3]، فقال عبدالملك: أفى عبدالله تُكَلِّمنى؟ والله لقد دَخَلَ علىّ فما أقام لسَانَه لحنًا! فقال له خالد: أَفَعَلَى الوليد تُعَوِّلُ؟ فقال عبدالملك: إن كان الوَلِيدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سُلَيْمانُ، فقال له خالد: وإن كان عبدالله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير، فقال خالد: اسْمَع يا أمير المؤمنين، ثم أَقْبَلَ عليه وقال: وَيْحَكَ فمن العير والنفير غيرى؟ جدى أبو سفيان صاحبُ العير، وجَدّى عُتْبَةُ بن رَبيعة صاحب النَّفير، ولكن لو قلتَ: غنَيْمَاتٌ، وحُبَيّلاتٌ، والطائفُ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا: صدقتَ!

(١) زيادات ر: «هو عبدالله بن الزبعرى».
(٢) سورة النمل: ٣٤.
(٣) سورة الإسراء: ١٦.

أما قوله: «في العير» فهي عير قُرَيْشٍ التي أَقبَلَ بها أبو سفيان من الشأم فَنَهدَ إِلَيْها رسولُ الله ﷺ ونَدَبَ إليهـا المسلمين، وقال: «لعَلَ الله يُنَفِّلكُموها»، فكانت وَقْعَـة بَدْر وساحَلَ أَبُو سُـفيانَ بالعـير، فكانت الغنيـمة ببـدر، كما قـال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَعِـدُكُمُ الله إِحْدَى الطَّائِفَـتَيْنِ أَنَّهَـا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْـرَ ذَاتِ الشَّـوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[1]. أي غَـيْرَ الحـرْبِ، فلمـا ظفرَ رسَـولُ الله ﷺ بأهل بدْر، قـالَ المسلمون: انهَدْ بنا[2] يا رسول الله إلى العير، فقال العباس رحمه الله: إنمّا وعَدَكُم الله إحْدَى الطائفتين.

وأما النفير فَمَنْ نَفَرَ من قريشٍ لِيَـدْفَعَ عن العير. فجاءوا فكانت وقعةُ بَدْر، وكان شيخُ القوم عُتْبَة بن رَبيعة بن عبد شَمس، وهو جَدُّ خالد من قِبَلٌ جَدَّته هِنْد أُمّ معاوية بنت عتْبةَ، ومن أمثال العرب:

لَسْتَ في العِيـر يَوْمَ يَحْـدُونَ بِالعِيـر ولا في الـنَفـيـر يَـوْمَ النَفـيـر

ثم اتَسعَ هذا المثل حتى صـار يقال لَمنْ لاَ يَصْلحُ لخير ولا لشـرٍ ولا يُحفَلُ به: «لا في العير، ولا في النفير».

وقوله: «غنيمات، وحبيلات، يعني أن رسول الله ﷺ لما أطرد الحكم بن أبي العاصـي بن أُميةَ. وهو جَـدُّ عبـدالمَلك بن مروان لجـأ إلى الطائف، فكان يرعى غُنَيْماتٍ، ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ - وهي الكَرْمَة.

وقوله: «رحم الله عثمان»: أي لِرَدّه إيَّاهُ.

وقولنا «أطرده»: أي جـعله طريدًا، وطَرَدَهُ: نَحّاهُ، كما تقـول حَمدْته، أي شكرته، وأَحْمَدْته، أي صادفته محمودًا. وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله ﷺ في رده متى أفضَى الأمرُ إليه، رَوى ذلك الفقهاء.

---

(١) سورة الأنفال: ٧.

(٢) نهد ونهض كلاهما بمعنى واحد.

باب

[الرجل من بنى أسد يمدح يحيى بن حيان]

قال أبو العباس: قال رجلٌ من بنى أسَدِ بن خزيمة يمدح يحـيى بن حيان أخا النَّخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جلْد بنَ مَذْحِجٍ، وهو مالك.

ألاَ جَـعَلَ اللهُ اليَـمـانينَ كُلَّـهُمْ   فـدًى لفَتى الفِتْيَـان يَحيَى بن حَيَّـان
ولَوْلاَ عُـرَيْقٌ فِىَّ مِـنْ عَـصَـبِـيَّـةٍ   لَقُلْتُ وألـفًـا من مَـعَـدٍّ بن عَـدْنان
ولكنَّ نَفْـسِى لَم تَطِبْ بـعَـشِـيـرتىَ   وطابَـتْ له نَفْـسى بأبـنـاءِ قَـحْـطان

وهذا من التَّعَصُّبِ المُفْرِط.

وحدثنـى شيخ من الأزد ثقـةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبـيت، وهو يدعو لأبيه، فقيل له: ألا تدعو لأمك! فقال: إنها تَميميَّةٌ.

وسُمِعَ رجلٌ يطوف البيت، وهو يدعو لأُمِّهِ ولا يذكر أباه، فعوتِبَ، فقال: هذه ضَعيفةٌ، وأبى رجل يحتال لنفسه.

وحدثـنى المازنى عمن حـدثه قال: رأيت رجـلا يطوف بالبيت، وأُمُّـهُ على عنقه، وهو يقول:

أحْـمِلُ أُمّى وهِـىَ الحَـمَّـالَهْ   تَرْضِـعُـنى الـدُرّةَ والعُـلالَـهْ

* ولا يجازى والد فعاله *

قوله: «الدرة»، فهـو اسم مَا يَدُرَّ من ثَدْيَيْها، ابتداءً كـان ذلك أو غير ذلك. والعُـلالَةُ لا تكون إلا بَعْدُ، يـقال: عَلّهُ يَعُلّهُ ويَعِـلُّه عَلاًّ، والاسم العُـلالَةُ، وكلُّ شىء كَان على «فعّـلت» من المدغم، فمضارعه إذا كـاَن متعديًا إلى مـفعول يكون على يَفْعلُ، نَحْوَ رَدَّه يَرُدَّه، وشَـجَّه يَشُجُّه، وفَرَّه يَفُرُّه. فإذا قلـت: فَرَّ يَفِرُّ، فإنما ذلك لأنه غيـر مُتّعَدّ إلـى مفعول. ولكن تقـول: فَرَرْتُ الدابةَ أفُرُّه. وجـاء «فَعَلَ يَفْعِلُ» من المتعدى فى ثلاثة أحـرف يقال: عَلَّهُ يَعُلُّه ويَعِلُّه، وَهَرَّه يَهُرُّه ويَهِرُّه: إذا كرهه، ويقال: أَحَبَّهُ يُحِبّهُ، وجاء حَبَّهُ يحِبُّهُ، ولا يكون فيه يَفْعُلُ»، قال الشاعر:

لَعَـمْـرُكَ إنَّنـى وطِلابَ مـصْـرٍ   لَكـالْمُـزْدادِ مما حبَّ بُـعْـدًا

وقال آخر:

وأُقْسِمُ لولا تَمْرُهُ ماحَبَبْتُهُ ... وكَانَ عياض منه أَدْنَى ومُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطارِدى: ﴿فاتّبعُونى يُحبُّكُمُ الله﴾[1]، فَفَعَل فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من «حببت»، والآخر أنه أَدْغَمَ فى موضع الجزم، وهو مذهب تميم وقَيْس وأَسَد. وَجماعَة من الغرب يقولون: رُدُّ يا فتى، يُدْغمون، ويُحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيُتْبِعُون الضَّمَّة الضمةَ. ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول: رُدَّ يا فتى، لأن الفتح أخف الحركات، ومنهم من يقول: رُدَّ يافتى فَيكْسرُ: لأن حق التقاء الساكنين الكسر، فإذا كَان الفعل مكسوراً ففيه وجهان: تقول: فرِّ يا فتى للإتباع وللأصل فى التقاء الساكنين، وتَفْتَحُ؛ لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحا فالفتح للإتباع، ولأنه أخَفُّ الحركات، والكسر على أصل التقاء الساكنين، نحو. عضِّ، يا فتى، وعضَّ يافتى، فإذا لقيتْه ألف ولام فالأجود الكسر، من أجل ما بعده، وهى لام المعرفة، نحو:

فَغُضِّ الطَرْفَ إنَكِ من نميْرِ ... [فلا كَعّبًا بَلَغْتَ ولا كِلابا]

ومنهم مَنْ يُجْريه مُجْرى الأوَّل، فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأوّل فيقول[2]:

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزِلة اللوَى ... وَالْعَيْشَ بعْدَ أولئك الأيام

ومن كان من شأنه أن يُتْبعَ أو يكْسَر فعلى ذلك، ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ الله فإنّ الله شديدُ العقاب﴾[3].

وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلى، فيقولون: ارْدُدْ واغْضُضْ، ويقولون: افرر من زيد واعْضَضْ. لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان، وكل ذلك من قولهم، وقول التميميين قياس مُطّردٌ بيِّنٌ، وقد شرحناه فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح.

---

(١) سورة آل عمران ٣١.

(٢) زيادات ر: «هو جرير».

(٣) سورة الحشر ٥.

[الرجل فى الصبر]

وقال الآخر:

إِذَا ضَـيَّـقْـتَ أَمْـرًا ضَـاقَ جِـدًّا ... وَإِنْ هَوَّنْـتَ مَـا قَـدْ عَـزَّ هَانَا
فَـلاَ تَهْلِـكْ لِشَيْءٍ فَـاتَ يَأْسًـا ... فَكَـمْ أَمْـرٍ تَصَعَّـبَ ثُـم لانا
سَأَصْبِرُ عَن رَفِيقِى إِنْ جَفَانِى ... عَلَى كُلِّ الأَذَى إِلا الهَوَانَا
فَإِنَّ المرْءَ يَجْزَعُ فِى خَلاَءٍ ... وَإِنَّ حَضَرَ الجَمَاعَةَ أَنْ يُهَانَا

[العبيد بن أيوب العنبرى]

وقال آخر أحسبه من لصوص بنى سعد:

[قال أبو الحسن: هو عبيدُ بنُ أيُّوب العَنْبَرِى، وأنشد هذا الشعر ثعلب]:

فإنِّى وتَرْكِى الإِنْسَ من بعد حُبِّهِمْ ... وصَبْرِى عَمَّنْ كنْتُ ما إِنْ أُزَايِلُه
لكالصَّقْرِ جَلَّى بعد ما صادَ قُنْيَةً ... قديرًا ومَشْوِيًّا عَبِيطًا خَرَادِلُه
أهابوا به فازدادَ بُعْدًا وصَدَّهُ ... عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابله
أَلَمْ تَرَنِى صاحَبْتُ صَفْرَاءَ نبعةً ... لها رَبَذِىٌّ لَمْ تُفَلَّلْ مَعَابِلُه
وطال احْتِضانى السيفَ حتى كأنما ... يُلاَطُ بِكَشْحِى جَفْنُهُ وحَمَائله
أخو فَلَوات صاحَبَ الجنَّ وانتحى ... عن الإِنْسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائله
له نَسَبُ الإِنْسِىِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ ... وللجِنِّ منه شكْلُهُ وشمائله

قوله:

* وصَبْرِى عَمَّنْ كنْتُ مَا إن أزايله *

إن: زائدة، وهى تُزَاد مُغَيِّرةً للإعراب، وتزاد توكيدًا، وهذا موضع ذلك، فالموضع الذى تُغَيِّرُ فيه الإعراب هو وقوعها بعد «ما» الحجازية، تقول: ما زيدٌ أخاك، وما هذا بَشَرًا، فإذا أَدْخَلْتَ إن هذه بطل النصب بدخولها، فقلت: ما إن زيدٌ منطلق، قال الشاعر(1):

ومَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكن ... مَنَايَانَا ودَوْلَةُ آخَرِينَا

(1) زيادات ر: «هو فروة بن مسبك».

فزعم سيبويه أنها مَنَعَتْ «ما» العَـمَلَ كما منعت «ما» إنَّ الثقيلة أن تنصب، تقول: إن زيداً منطلق، فإذا أدخلتَ «ما» صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبـتدأ وخبـره والأفعـال، نحو: إنما زيـد أخوك، و﴿**وإنما يَخْشَى الله منْ عِبَاده العُلَمَاء**﴾[1] ولولا «ما» لم يقـع الفعل بعد «إنَّ» لأن «إن» بمنزلة الـفعلَ، ولَا يلى فعْلٌ فِعْـلاً لأنَه لا يَعْمَلُ فيه، فـأما كان يقوم زيدٌ، وكـادَ تَزيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ منهم، ففى كان وكاد فاعلان مكْنيَّان.

و«ما» تُزاد على ضربين: فـأحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كـإلغائها، نحو ﴿**فبمـاَ رَحْمَة منَ الله لنْتَ لَهُم**﴾[2] أى فبرحـمة، وكذلك: ﴿**ممَّا خَطيئاتهمْ أُغْرقُوا**﴾[3] وكذلكَ: ﴿**مَثَلاً مَـا بَعُوضَة**﴾[4] وتَدْخُلُ لتغـيير اللفظ، فَـتُوجَبُ فى الشىء ما لولا هى لم يقع، نحـو رُبَمَا يَنْطَلقُ زيد، و﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الّذينَ كَفَرُوا**﴾[5] ولولا «ما» لم تَقَعْ رُبَّ على الأفـعال، لأنها من عوامل الأسمـاء، وكذلك جئْتُ بعد ما قام زيد، كما قال المَرَّارُ[6]:

أَعَـلاَقَـةً أمَّ الْوُلَيِّـدِ بَعْـدَ مَـا أَفْنَانُ رَأْسِـكَ كـالنعَـام المُخْـلِسِ[7]

فلولا «ما» لم يقع بعدها إلا اسم واحد، وكان مخفوضا بإضافة «بعد» إليه، تقول: جئتك بَعْدَ زيد.

وقوله: «كالصَّقْـرِ جلَّى»، تأويل التَّجَلّى أن يكون يُحِسُّ شَيْئًا فَيَـتَشَوَّقُ إليه، فهذا معنى «جلَّى»، قال العجاج:

تَجَلّى البازِى إذا البازى كَسَرْ

أى نَظَرَ. ويقال: تَجَلّى فلانٌ فلانةً تَجَلّيًا، واجـتلاها اجتلاءً، أى نَظَرَ إليها وتأملها، والأصل واحد.

وقوله: «قَـديرًا»، هو ما يُطْبَخ فى القِدْرِ، يقـال: قَدِير ومَقْدور، كـقولك: قَتيلٌ ومَقْتولٌ.

---

(١) سورة فاطر ٢٨.
(٢) سورة آل عمران ١٥٩.
(٣) سورة نوح ٢٥.
(٤) سورة البقرة ٢٦.
(٥) سورة الحجر ٢.
(٦) زيادات ر: «هو المراد الفقعسى».
(٧) العلاقة : الحب. والوليد: تصغير الوليد، والأفـتان فى الأصل: الغصون، وأراد بها هاهنا خصل الشعر.

وقوله: «عبيطًا خرَادله»، فالعَبيط الطَّرِىء، يقال: لحم عَبيط إذا كان طَريًّا، وكذلك دَم عبيطٌ، ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بكْرَتَهُ إذا نَحرَها شابةً من غير عِلّةٍ، وكذلك اعتُبِطَ فلان إذا مات شابا، قال أُمَيَّةُ[1]:

مَنْ لـم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا   لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذائقُهَا

وحدثنى الزيادى إبراهيم بن سُفيان بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن زياد، قال: تَحَدَّثَ رجل من الأعراب، قال نزلتُ برجل من طَيِّئٍ، فَنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها، فلما كان الغد نحر أخرى، فقلتُ: إنَّ عندك من اللحم ما يُغنى ويكْفى، فقال: إنى والله لا أُطْعِمُ ضيفى إلا لحما عَبيطًا، قال: وفَعلَ ذلك فى اليوم الثالث - وفى كل ذلك آكل شيئًا، ويأكل الطائى أَكْلَ جماعة - ثم نُؤْتَى باللبن فأَشْرَبُ شيئًا، ويشْرَبُ عامةَ الوَطب[2]، فلما كان فى اليوم الثالث ارْتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَعَ، فلما امتلأ نومًا استَقْتُ قطيعًا من إبله فأقبلْتُهُ الْفَجَّ[3]، فانتبه واختَصرَ علىَّ الطريقَ حتى وقف لى فى مَضيقٍ منه، فَأَلْقَمَ وتَرَهُ فُوقَ[4] سَهمه، ثم نادى بى: لتَطبْ نَفْسُكَ عنها! قلت: أرنى آيةً، فقال: انظر إلى ذلك الضَّبِّ، فإنى واضعٌ سَهْمى فى مَغْرز ذَنَبِه، فرماه فَأَنْدَرَ ذَنَبه[5] فقلتُ: زدْنى، فقال: انظر إلى أعلى فَقَاره، فرماه فأَثْبَتَ سهمه فى الموضع، ثم قال لى: الثالثةُ والله فى كَبدكَ! فقلت: شَأْنَكَ بإبلكَ! فقال: كلا حتى تسوقَها إلى حَيْثُ كانَتْ. قال: فلما انتهيت بها قال: فكَّرْتُ فيكَ فلم أجد لى عندك ترَةً تُطالبنى بها. وما أَحْسبُ الذى حملك على أخذ إبلى إلا الحاجةَ. قال: قلتُ هو والله ذاك. قال: فاعمد إلى عشرين من خيارها فخذها، فقلت: إذًا والله لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ: والله ما رأيتُ رجلا أَكْرَمَ ضيافةً، ولا أهْدَى لسبيلٍ، ولا أَرْمَى كَفًّا، ولا أَوْسَعَ صَدْرًا، ولا أَرْغَبَ[6] جوفًا، ولا أَكْرَمَ عَفْوًا منك قال: فاستحيا فصرَفَ وجهه عنى، ثم قال: انصرِف بالقَطيع مُباركًا لك فيه.

وقوله: «خرادله» يعنى قِطَعُه، يقال: ضَربه ضربا خَرْدَلَهُ، وتأويله قطَّعَهُ، كما قال:

---

(١) زيادات ر: «ابن أبى الصلت، والصحيح أنه لرجل من الخوارج، عن الأصمعى».

(٢) الوطب: سقاء اللبن.

(٣) الفج: الطريق الواضح.

(٤) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٥) أندرذنبه: قطعها.

(٦) من الرغب، وهو سعة البطن وكثرة الأكل.

* والْضَرَّبُ يَمْضى بيننا خَرَادِلاً *

وقولـه: «أهابوا به» يقول: دَعَـوه، يقال أَيَّهَ بِهِ، وأَهَابَ بِهِ: أى نـاداه. قال القُرَشىُّ:

أَهَابَ بِأَحْـــزَانِ الفُـــؤَادِ مُـــهِـــيبُ ومَـــاتَتْ نُـفُـــوسٌ للهَـــوَى وقلوبُ

وقـوله: «ضَوْءُ برْقٍ ووابلهُ»، أراد صَـدَّهُ عنهم ضَـوْءُ برقٍ ووابِلُهُ، فأضـاف الوابل من المطر إلى البـرق. وإنما الإضافـة إلى الشىء على جهـةِ التضـمين، ولا يضاف الشىء إلى الشىء إلا وهو غيره أو بعضهُ، فالذى هو غيره: غلام زيد ودارُ عـمرو، والذى هو بعـضه: ثَوْبُ خَـزٍّ، وخـاتَم حَدِيدٍ، وإنما أضـاف الوابل إلى البرق، وليس هُوَ لَه، كـما قلت: دار زيد، على جهـةِ المجاورة، وأنهما راجـعان إلى السحابة، وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حـــتى أَنَـخْتُ قَلُـوصى فى دِيـاركُم بخـيـر مَنْ يَحْتَـذِى نَعْـلاً وحـافـيهـا

فأضاف الحافى إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها.

وقوله:

* ألم ترنى صاحبت صفراء نَبْعَةً *

فالنَّبْعُ خـير الشجـر للقسى، ويقال: إن الـنَّبْعَ والشَّوْحَط والشَّريانَ شـجرةٌ واحدة، ولكنها تختـلف أسماؤها وتَكْرُمُ وتَحْسُنُ بمنابتها، فـما كان فى قُلّةِ الجبل منها فهـو النَّبْعُ، وما كان فى سَفْـحِهِ فهو الشَّـوْحَطُ، وما كان فى الحضـيض فهو الشَّرْيان.

وقوله: «لها رَبَذِى» يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم، يقال: رجل رَبِذ اليد إذا كان يكثر التـحريك ليديه والعَبَثَ بهما، ويوصف به الفـرس لكثرة حركة قوائمه، وكـان الأصل رَبِذًا لأنه «رَبِذ»، ولكن ما كان من «فَعِلٍ» فَنُـسبَ إليه فتح موضع العـين منه استثقـالاً لاجتماع ياءى النسَب وكـسرة اللام، لأن ياءى النسب تَكْسِران ما تَلِيَانه، فلم يَدَعُوا مع ذلك العَـيْنَ مكسورة، تقول فى النسب إلى النَّمِرِ ابن قاسط: نَمَرِىٌّ، وإلى الحَبِطات: حَبَطِىٌّ، وإلى شَقِرةَ ـ وهو الحرث بن تميم ابن مُرٍ ـ: شَقَرِىٌّ، وفى النسب إلى عَمٍ عَمَوِىٌّ يافتى.

وقوله: «لم تُفَلَلْ مَعابِلُه»، يريد لم ينكسر حَدُّها، من الفُلُول.

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر سأل عبدالملك أن يُرُدَّ عليه سيف أخيه عبدالله بن الزبير فأخرجهُ إليه في سيوف مُنْتَضَاة، فأخذه عروة من بينها، فقال له عبدالملك: بم عَرَفْتَهُ؟ فقال: بما قال النابغةُ:

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهم بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراع الكتائب

والمِعبَلَة: واحدة المعابل، وهى سهم خفيف، قال عَنْتَرَةُ:

وآخَرَ منهمُ أَجْرَرْتُ رُمْحى وفى البَجْلىّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ[1]

بإسكان الجيم لا غير.

* * *

[قال أبو الحسن: بَجيلة: قبيلة من بنى الهُجَيْم، من اليَمَن].

(١) الوقيع، من وقع المدية ونحوها يقعها وقعا: أحدها. والبجلى: منسوب إلى بجلة، لقب مالك بن ثعلبة.

باب

[لبعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد]

قال أبو العباس: تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُن شرفُ مَنْ هُنَّ منه، منهنَّ أُمُّ كُلثُوم بنت عبدالله بن جَعْفَر بن أبى طالب، وآمنةُ بنت سعيد بن العاصى بن أُمّيةُ، ورَمْلةُ بنت الزُّبَيْر بن العَوَّام بن خُوَيْلد بن أسَدَ بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ، ففى ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبدالملك:

عَلَيْكَ أَمِيرَ المؤمنين بخالد ... فَفى خالد عما تُحبُّ صُدودُ
إذا ما نَظَرْنا فى مَناكِح خالدٍ ... عَرَفْنا الذى يَنْوِى، وأين يُرِيدُ؟

فَطَلّق آمنة بنت سعيد، فتزوجها الوليد بن عبدالملك، ففى ذلك يقول خالد:

فتاةٌ أبوها ذو العصابة، وابنُهُ ... وعثمانُ، ما أكفاؤها بكثير
فإن تفتلتْها والخلافةَ تنقلب ... بأكْرَم عِلْقَيْ مِنْبَرٍ وسَرير

قوله: «أبوها ذو العصابة» يعنى سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةَ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعظامًا له، ويُنْشدون:

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمّ عِمَّتَهُ ... يُضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذَا عَدَد

ويزعم الزُّبَيْرِيُّونَ أن هذا البيت باطل موضوع.

وقوله: «فإن تفتلتها»: يقول: تأخذها فجاءةً، ومن ذلك قول الشاعر:

مَنْ يَأْمَنِ الأيامَ بَعْدَ ... صُبَيْرَةَ القُرَشيّ ماتا(1)
سَبَقت منيَتُهُ المَشيبَ ... وكان مِيتَتُهُ افْتِلاتا

وفى الحديث أن رجُلاً قال: يا رسول الله، إن أُمى افْتُلِتَتْ، أى ماتت فجاءةً.

---

(1) زيادات ر: «صبيرة، بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة، وبالضاد معجمة، رواية عاصم، على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين» رواية ابن سراج برفع «يأمن»، على الاستفهام».

[لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير]

ويروى أن آمنة لَبِثَتْ عند الْوَلِيد، فلما هَلَكَ عبدُالملك سَعَى بها ساعٍ إلى الوليد. قال أبو العباس: وبلغني أنها سَعَتْ بها إحدى ضَرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْك على عبدالملك كما بَكَى نظائرها، فقال لها الوليد في ذلك، فقالت: صَدَقَ القائِلُ، أكُنْتُ قائلةً؟ ماذا أقول! ياليْتَهُ كان بَقِي حتى يَقْتُلَ أخًا لى آخر كعمرو بن سعيد!

وفى رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد:

تَجولُ خلاخيل النساء ولا أرَى ... لرَمْلَةَ خَلْخالاً يَجُول ولا قُلْبا[1]
فلا تُكْثِرُوا فيها المَلامَ فإنّنى ... تَخَيَّرْتها منهم زُبَيْرِيَّةً قَلْبا[2]
أحِبُّ بنى الْعَوَّام طُرًّا لِحُبِّها ... ومن أجْلها أحْبَبْتُ أخْوَالها كَلْبا

وزيدَ فيها:

فإنْ تُسْلمى أُسْلِم وإن تَتَنَصَّرى ... يُعلِّق رجالٌ بين أعينهمْ صُلُبا

فيروى أن عبدالملك ذُكر له هذا البيتُ، فقال له: يا خالد، أتَرْوى هذا البيتَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، على قائله لعنة الله!

[زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبدالله بن جعفر ثم طلاقه لها]

وذكر العُتْبىُّ أن الحَجَّاجَ بن يوسف بن الحكَم الثَّقفيَّ لما أكْرَهَ عبدَالله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سنة، فَفكَّرَ عبدالله بن جعفر فى الانفكاك منه، فألقى فى رُوعه خالد بن يَزيدَ، فكَتَبَ إليه يُعْلِمُهُ ذلك، وكان الحجاج تَزَوَّجها بإذن عبدالملك، فورد على خالد كتابه ليلاً، فاستأذن من ساعته على عبدالملك، فقيل له: أفى هذا الوقت؟ فقال: إنه أمرٌ لا يُؤخَّرُ، فَأُعْلِم عبدالملك بذلك. فَأذنَ له، فلما دخل عليه، قال له عبدالملك: فيمَ السُّرَى ياأباهاشم؟ قال: أمْرٌ جَليلٌ لم آمن أن أؤخره، فَتَحْدُثَ علىّ حادثةٌ فلا أكونَ قَضيْتُ حق بَيْعَتكَ، قال: وما هو؟ قال: أتَعْلَمُ أنه ما كان بين حَيَّيْنِ من العداوة

(١) القلب هنا: السوار.
(٢) امرأة قلب، بفتح القاف: خالصة النسب.

والبَغْضَاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان؟ قال لا: فإن تزويجى إلى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى، فما أَهْلُ بيت أَحَبُّ إلىَّ منهم. قال: فإن ذلك لَيَكونُ، قالَ: فكيف أَذِنْتَ للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم، وأنت تَعْلَمُ ما يقولون ويقال فيهم، والحجاج من سلطانك بحيث علمت! قال: فجزاه خيرا، وكتب إلى الحجاج بِعَزْمَة أن يطلقها فطلقها، فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها، فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبى سُفيان، فَأَوْقَعَ الحَجَّاجُ بخالد، فقال: كان الأمر لآبائه فَعَجَزَ عنه حتى انتُزِعَ منه. فقال له عمرو بن عتبة: لا تَقُلْ ذا أيها الأمير، فإنّ لخالد قديما سَبَقَ إليه، وَحَديثًا لم يُغْلَبْ عليه، ولو طَلَبَ الأمر لطلبه بجَد وجِد، ولكنه علم علما، فَسَلَّمَ العَلْمَ إلى أهله، فقال الحجاج: يا آل أبى سفيانَ، أنتم تحبون أن تَحْلُمُوا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب، فنحن نُغْضِبُكُمْ فى العاجل ابتغاء مَرْضَاتكُم فى الآجِلِ، ثم قال الحجاج: والله لأتَزَوجَنَّ مَنْ هو أَمَس به رَحِمًا، ثم لا يُمْكِنُهُ فيه شيء، فتزوَّج أم الجُلاسِ بنت عبدالله بن خالد بن أسيد.

أما قوله: «ألقى فى رُوعه»، فإن العرب تقول أُلقِيَ فى رُوعى، وفى قلبى وفى جخيفى وفى تامورى كذا كذا، ومعناه كله واحد، إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «إن رُوحَ القدُس نَفَثَ فى رُوعى»: فالروع والجَخيفُ غير مختلفين، والعرب تقول: أذْهَبَ الله قَلبَهُ، ولا قلب له. ولا تقول: لا رُوعَ له؛ فكَأَنَّ الروعَ هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة، ويقال: رأيت قَلْبَ الطائر. ولا يقال: رأيت رُوعَ الطائر، والتامورُ عند العرب: بقية النَّفْسِ عند الموت، وبعضهم يُفصحُ عنه فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للإنسان ما بقِيَ، يقال: ضَعْهُ فى تامورِكَ وفى قَلْبك وفى رُوعكَ وفى جَخيفكَ. والذماءُ، ممدود: مثلُ التامور سَواءٌ، تقول العرب: ليس فى الحَيوان أطولُ ذَمَاءً من الضب، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطرَحُ فى النار بعد أن ظنَّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال رجل لإبراهيم بن أَدْهَم: عظّنى، فقال: اتَّخِذ الله صاحِبًا وذر الناس جانبا.

قال سعيد بن المُسَيِّب: كنت بين القبر والمِنْبَرِ مُفَكِّرًا، فسمعت قائلا يقول ولم أره: اللُّهمَّ إنى أسألك عملا بارًا. ورزقا دارًّا. وعيشا قارًّا.(١)

قال سعيد: فلزِمْتُهُنَّ فلم أر إلا خيرا.

وقال الأَصْمَعِيُّ: كان من دعاء أبى الُمجيب: اللهم اجْعَلْ خير عملى ما قارَبَ أَجَلى.

قال: وكان يقول فى دعائه: اللهم لاتَكِلْنَا إلى أنفسنا فَنَعْجِزَ، ولا إلى الناس فَنَضيعَ.

[أعرابى فى حلقة يونس]

قال وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ قال: حدثنى أبو زيد قال: وقف علينا أعرابىّ فى حَلَقة يونس النحوى فقال: الحمد لله كما هو أهله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، خرجنا من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ، ثلاثين رجلا ممن أَخْرَجَتْهُ الحاجة، وحُمِلَ على المكروه، لا يُمَرِّضُونَ مَريضَهُمُ، ولا يَدْفِنون ميّتهم، ولا ينتقلون من مَنْزِلٍ إلى منزل وإن كرهوه. والله يا قوم لقد جُعْتُ حتى أكَلت النَّوَى الُمحْرَقَ، ولقد مَشَيْتُ حتى انْتَعَلْتُ، وحتى خَرَجَ من قدمىَّ بَخَصٌ ولحم كثير، أَفَلاَ رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ، وَفَلَّ طَرِيق، ونضْوَ سفر! فإنه لا قليلَ من الأجْرِ، ولا غنًى عن ثواب الله عزَّ وجل، ولا عَمَلَ بعد الموت،وهو الذى يقول جَلَّ ثَنَاؤهُ: ﴿مَنْ ذَا الذى يُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لهُ﴾(٢). مَلِىّ وَفِىٌّ ماجِدٌ واجِدٌ جَوادٌ، لا يَسْتَقرِضُ من عَوَزٍ، ولكنه يَبْلو الأخْيَار.

قال: فبلغنى أنه لَمْ يَبْرَحْ حتى أخذ ستين دينارًا.

قوله: «بخص»، يريد اللحم الذى يَرْكَبُ الْقَدَمَ، هذا قول الأصمعىّ، وقال غيره: لحم يَخلطهُ بياض من فساد يَحلُّ فيه، ويقال: بَخَصْتُ عينَه، بالصاد، ولا يجوز إلا ذلك، ويقال بَخَسْتهُ حَقَّهُ، بالسين: إذا ظلمته ونَقَصتَهُ، كما قال الله عزوجلَّ: ﴿ولاَ تَبْخَسُوا النّاسَ أشْيَاءَهُمْ﴾(٣)، وفى المَثَلِ: «تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ وهى بَاخِسٌ». ويَدُلُّ على أنه اللحم الذى قد خالطه الفساد قولُ الراجز:

---

(١) قارا: مستقرا.

(٢) سورة البقرة ٢٤٥.

(٣) سورة الأعراف ٨٥.

[قال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش: الراجز هو أبو شُرَاعةُ]

ياقُدَمَىَّ لا أرى لى مَخْلَصا مما أَرَاهُ أو تَعُودا بخَصا[1]

وقوله «فل» فالفل فى أكثر كلامهم: المنهزم الذاهب.

وفى خبر كَعْبِ بن مَعْدَان الأشعرى[2] «إنا آثرنا الحَدَّ على الفَلِّ» يعنى مجاهدتهم عَبْدَ ربِّه الصَّغير؛ لأنه كان مُقْبِلاً على حربهم وتَرْكهُمْ قَطَرِيًّا لأنه كان منهزما.

[خبر الحجاج بن علاط السلمي مع قريش]

وفى حديث الحجاج بن علاط السُّلَمِيِّ. وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه، فاستأذن رسولَ الله ﷺ يوم خَيْبَرَ فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال، وكانت له هناك أموال متفرقة، وهو غريب بينهم - إنما هو أَحَدُ بنى سُلَيْمِ بن منصور، ثم أحد بنى بَهْز - فَأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنى أحتاج أن أقول، قال: «فَقُلْ».

قال أبو العباس: وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومعنىً حَسَنٌ، يقول: أقول - على جهة الاحتيال - غيرَ الحَق، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة، وليس هو من باب الفساد، وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقول، كما قال المولى عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾[3]، فصار إلى مكة فقالت قريش: هذا لعَمر الله عنده الخبر، قال: فقولوا، فقالوا: بلغنا أن القاطع[4] قد يخرج إلى أهل خيبر، فقال الحجاج: نَعَم، فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسْمَعْ بمثله، وأخذوه أسيرًا، وقالوا: نَرَى أن نُكارِمَ به قريشًا، فَنَدْفَعَهُ إليهم، فلا تنال لنا هذه اليد فى رِقَابِهِمْ. وإنما بَادَرْتُ لجمع مالى لَعلِّى أُصيبُ به من فل محمد وأصحابه قبل أن تسْبِقَنى إليه

(١) قال المرصفى: «يريد ذواتى بخس».

(٢) زيادات ر: «الأشقرى، بالقاف لاغير». وخبر كعب هو حديثه مع الحجاج بن يوسف، وكان قد وجهه المهلب بن أبى صفوة الأزدى يبشره بمناهدته الخوارج وفراغه لهم.
وانظر رغبة الآمل ٥ :٢٨).

(٣) سورة الطور ٤٤.

(٤) يصفون محمدا بقطع الأرحام، وحاشاه.

التِّجارُ ويتصل بهم الحديثُ. قال: فاجتهدوا فى أن جمعوا إلىَّ مالى أَسْرَعَ جَمْع، وسُرُّوا أكثر السرور، وقالوا بلا رَغْمٍ [١]، وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله[٢] فقال: وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول! قال: فقلتُ: أكاتمٌ أنت علىَّ خَبَرى؟ فقال: إى والله! قال: فقلتُ: فالْبَثْ علىَّ شيئًا حتى يخفَّ مَوْضعى. قال: فسرتُ إليه، فقلتَ. الخبر والله على خلاف ما قلتُ لهم، خَلَّفْتُ رسولَ الله ﷺ وقد فَتَحَ خيبَرَ، وخَلَّفْتُهُ والله مُعْرِسًا بابنة مَلِكهم، وما جئتُكَ إلا مُسْلِمًا، فاطْوِ الخبر ثلاثًا حتى أُعْجِزَ القوم، ثم أَشِعْهُ، فإنه والله الحق، فقال: العباس: وَيْحَكَ، أَحَقٌّ ما تقولُ؟ قلتُ: إى والله! قال: فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ، وأخَذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت. قال: فقالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التَّجَلّدُ لَحرِّ المصيبة! فقال: كَلا، ومن حَلَفْتُمْ به! لقد فتحها رسول الله ﷺ، وأَعْرَسَ بابنة ملكهم! فقالوا: مَنْ أتاك بهذا الحديث؟ فقال: الذى أتاكم بخلافه، ولقد جاءنا مُسْلِمًا، ثم أتت الأخبارُ من النواحى بذلك، فقالوا: أَفْلَتَنَا الخبيثُ، أولَى له[٣].

وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ[٤] إذا كسرتَ حدَّها. والنضْوُ: البالى المجهود، ويقال ناقة نِضْوٌ: إذا جَهَدَها السيرُ، وجمعه أَنْضَاءٌ، وفلان نضْوٌ من المرض.

وقوله: «لا يستقرض من عَوَز»، فالعَوَزُ: تعذُّرُ المطلوب، يقال: أعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد، والمَعاوِزُ فى غير هذا الموضع: الثياب التى تُبْتَذَلُ لِيُصانَ بها غيرها.

وقوله: «ولكن ليبلو الأخيار»، يقال: الله يَبْلُوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى، وتأويله: يمتحنهم، وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان، قال الله جل ثناؤه: ﴿لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٥].

قال: وحدثنى أبو عثمان المازنى قال: رأيت أبا فرعون العَدَوِيَّ، ومعه

---

(١) الرغم هنا: الكره.

(٢) الواله: الحزينة.

(٣) أولى له: كلمة تهديد وتوعد، غلبت فى الدعاء بالعسر.

(٤) الحديدة: وصف للسكين يقال سكين حديدة، وحادة.

(٥) سورة هود٧.

ابنتاه، وهو فى سكة العَطَّارين بالبصرة يقول:

بُنَتَّىَّ صَابرا أباكما ... إنَّكُمَا بعَيْنِ مَنْ يَرَاكما
اللهُ رَبِّى سَيِّدِى مولاكما ... ولو يشاءُ عَنْهُمُ أَغْنَاكما

وكان أبو فرعون، وهو من بنى عَدِىٍّ بن الرَّباب بن عبد مَنَاةَ بن أُد، وقال اليزيدى: هو مولاهم، وكان فصيحًا، وقَدِمَ قوم من الأعْراب البصرة منً أهله، فقيل له: تَعَرَّض لمعروفهم، فقال:

ولَسْتُ بسائِل الأعْرَابِ شيئًا ... حَمِدْتُ الله إذْ لَمْ يأكلونى

[حديث رجل من الصيارفة افتقر]

وروى الأسدى أنه افتقر رجل من الصَّيارفة بإلحَاحِ الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لهم لَدَيْه، وتَعَذُّرِ أمواله التى كانت له عند الناس، فسأل جماعةً من الجيران أن يصيروا معه إلى رجل[1] من قريش كان موسرًا من أولاد أجوادهم لَيَسُدَّ من خَلَّته، فصاروا إليه، فجلسوا فى الصَّحْنِ، فخرج إليهم يخطرُ بَقضيب فى يده، حتَى ثَنَى وسَادَةً فجلس عليها، فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم، مع قديم نعمته وقريب جوارِه، فَخطَرَ بالقَضيب، ثم قال مُتَمَثِّلاً[2]:

إذا المالُ لم يوجبْ عليكَ عَطاءَهُ ... صَنيعةَ تَقْوى أو صَديقٌ تُوامقُه[3]
بَخْلتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوةٌ ... فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقائِقُه

ثم أقبل على القوم، فقال: إنا واللهِ ما نجمد عن الحق،ولا نَتَدَفَّقُ فى الباطل، وإنَ لنا لحُقوقًا تَشْغَلُ فُضول أموالنا، وما كل مَنْ أفْلَسَ من الصيارفة احْتَلَنا لجَبْرِهِ، قوموا رحمكم **الله!** قال: فابتدَرَ القومُ الأبوابَ.

قوله: «فلم يفتلذك المال»، يقول: لم يُقتطعْ منك، يقال فَلَذَ له من العطاء، أى قَطَعَ له، وقال رسول الله ﷺ يوم بَدْرٍ حين قال الغلامان: فى القوم عُتْبَةُ بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابنُ هشام، وأُمَيَّةُ بن خَلَف وفلان وفلان، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد أَلْقَتْ إليكم أَفلاذ كَبِدها».

(١) هو ابن عمران الطلحى.
(٢) زيادات ر: «الشعر لنصيب؛ وقيل لكثير، والأول أثبت».
(٣) توامقه: توده.

وقال أبو قُحافةَ أعْشَى باهلةَ - يعنى المُنْتَشِر بن وَهْب الباهلىَّ:

تكْفِيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ أَلَمَّ بهَا من الشَّواء ويكْفِى شرْبَهُ الغُمَرُ

[رجل من أزد شنوءة بين يدى عتبة بن أبى سفيان]

قال عبدالمَلك بن عُمُيد: استعمل عُتْبَة بن أبى سُفيان رجلا من آله على الطائف، فَظَلَمَ رجُلاً من أَزْد شَنوءةَ، فأتى الأزْدىُّ عُتْبَةَ، فَمَثَلَ بين يديه، فقال:

أَمَرْتَ مَنْ كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غَريبُ الدارِ مَظْلومُ

ثم ذكر ظُلاَمتهُ، فقال له عتبة: إنى أراك أعرابيا جافيا، والله ما أَحْسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم ولَيلة! فقال: أرأيتَ إن أنبأتُكَ ذلك: أتجعل لى عليك مسألة؟ قال نعم، فقال الأعرابىّ:

إنَّ الصَّلاَةَ أَرْبَعٌ وأَرْبَعُ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربع

ثم صَلاَةُ الفَجْرِ لاَ تَضيّعُ

فقال: فاسأل. فقال: كم فقارُ ظَهرِكَ؟ فقال: لا أدرى، فقال: أَفَتَحْكُم بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك! قال: رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ.

قوله «فَقار» إنما هو جمع فَقارة، ويقال فِقْرَةٌ. فمن قال فى الواحد فقْرَةٌ قال فى الجميع: فِقَرٌ، كقولك: كِسْرَةٌ وكِسَرٌ، ومن قال للواحدة: فَقارة، قال للجميع: فَقارٌ. كقولك دَجاجةٌ ودجاج، وحَمَامةٌ وحَمَامٌ.

[أعرابى عند معاوية]

وشهد أعرابى عند معاوية بشىء كرهه. فقال له معاوية: كَذَبْتَ! فقال الأعرابىّ: الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك. فقال معاوية - وتبَسَّمَ: هذا جزاء مَنْ عَجِلَ.

[حديث السواقط]

قال أبو العباس: قرأت على عبدالله بن محمد المعروف بالتَّوَّزىِّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن المثُنى التَّيْمىّ، قال: كانت السَّواقطُ تَرِدُ اليَمامةَ فى الأشهر الحُرُم لِطلب التمر، فإن وافقتْ ذلك، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه، ثم تخرج منه فى

شهرٍ حَرامٍ، فكان الرجل منهم إذا قدم يأتى رجلا من بنى حَنيفةَ، وهم أهل اليَمامة، ـ أعنى بنى حنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بَكْر بن وائلِ بن قَاسط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن مِزَار ـ فَيكْتُبُ له على سَهْمٍ أو غيره: «فلانٌ جار فلاَن» ـ والسواقط: مَنْ وَرَدَ اليمامة من غير أهلها، وقد كان النُّعْمَان بن الُمْنذِر أَرَاد أن يُجْلِيَهُمْ منها، فأجارهم مُرارة بن سُلْميّ الحَنَفى. ثم أحد بنى ثَعْلَبَةَ بن الدُّول بنِ حنيفة، فَسَوَّغَهُ المَلِكُ ذلك، فقال أَوسُ بن حَجَرٍ يحُضُّ النُعْمَان عليه:

زَعم ابن سلمىّ مرارة أنه مولى السَّواقط دون آل المُنْذِرِ
مَنَعَ اليْمَامة حَزْنَهَا وسُهولها من كل ذى تاجٍ كَريم المَفْخَرِ

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى بكر بن كلاب قَدمَ اليْمَامة، ومعه أخ له، فَكَتَبَ له عَمْيرُ بن سُلْمِي أنه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابى جَميلاً ـ فقال له قَرينٌ، أخو عمير: لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا، فرآه بَعْدُ بين أبياتهم، فقتله.

قال أبو عبيدة: وأما المَوْلى[١] فَذَكرَ أن قَرينًا أخا عُميرٍ كان يتحدث إلى امرأة أخى الكلابىّ، فَعَثَرَ عليه زوجُها فخافه قَرينٌ عليها فقتله، وكان عمير غائبا، فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير وقرين. فاستجار به وقال:

[قال أبو الحسن الأخفش، قال أبو العباس: قَرينٌ، ووجدته بخط دَماذَ، صاحب أبى عبيدة قُرَيْنٌ].

وإذا استَجَرْتَ من اليمامة فاستَجِر زَيْدَ بن يَرْبوعٍ وآلَ مُجَمِّعِ
وَأَتيت سُلْمِيًّا فَعُذْت بقبره وأخو الزمانة عائذ بالأمنع[٢]
أقُرينُ إنكَ لو رأيتَ فوارسى بعمايتين إلى جوانب ضَلْفع[٣]
حَدَّثتَ نَفْسَكَ بالوفاء ولَمْ تكُنْ للغدر خائنة مغل الإصبع

فَلَجأَ قَرينٌ إلَى قتادة بن مَسْلمة بن عُبَيْد بن يَرْبوع بن ثَعْلَبَةَ بن الدُّول بن حنيفة، فحمل قتادة إلى الكلابى دياتٍ مُضَاعَفَةً، وفعلتْ وُجوهُ بنى حَنيفةَ مثل

(١) السواقط هنا: اللئام. (٢) هو الذى أجاره عمير.
(٣) الزمانة: العاهة، يريد بها هنا الضعف. والأمنع: الذى به قوة تمنع من يريده بسوء.
(٤) عماية: جبل بنجد، وإنما ثناه بما حوله.

ذلك، فأبى الكلابىُّ أن يَقْبَلَ، فلما قَدِمَ عمير قالت له أُمُّهُ وهى أم قرين: لا تَقْتلْ أخاك، وسُق إلى الكلابى جميع ماله، فأبى الكلابىُّ أن يقبل، وقد لَجَأَ قَرينٌ إلى خاله السَّمين بن عبدالله فلم يَمْنَع عميرًا منه، فأخذه عُمَيْرٌ فمضى به حتى قَطَعَ الوادى فَرَبَطَهُ إلى نخلة، وقال للكلابى: أما إذْ أَبَيْتَ إلا قتله فَأَمْهِلْ حتى أقطعَ الوادى، وارْتَحِلْ عن جِوارى فلا خير لك فيه، فقتله الكلابى، ففى ذلك يقول عُمير:

قَتَلْنَا أخانا للوفاء بجارنا ... وكان أبونا قد تُجِيرُ مقابِره

وقالت أم عمير:

تَعُدُّ معاذِرًا لاعُذْرَ فيها ... وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فقدْ ألامَا

وقوله:

«ولم تكن للغدر، خائنة»، ولم يقل خائنا. فإنما وَضَعَ هذا فى موضع المصدر، والتقدير: ولم تكن ذا خيانة.

وقوله «للغدر» أى من أجل الغدر، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1]، أى لشديدٌ من أجل حب الخير، والخير ههنا: المال، من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾[2].

وقوله «لشديدٌ»: أى لبخيل، والتقدير والله أعلم: إنه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد وَمُتَشَدِّدٌ أى بخيل، قال طَرَفة:

أرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكرام وَيَصطفى
عَقيلةَ مال الفاحش المُتَشَدِّدِ[3]

وقَلما يجىء المصدر على فاعل، .فمما جاء على وزن «فاعلٍ»: قولهم عُوفِىَ عافيةً، وَفلِجَ فالجًا، وَقُمْ قائما، أىَ قُم قِيَامًا، وكما قال:

(1) سورة العاديات ٨.
(2) سورة البقرة١٨.
(3) يعتام: يختار، وعقيلة المال: أكرمه: والفاحش: السيئ الخلق.

ولا خارجًا من فيَّ زُور كلام

أي وَلاَ يَخْرُجُ خروجا، وقد مضى تفسير هذا.

وَالُمغِلُّ الذى عنده غُلولُ، وهو ما يُخْتَانُ وَيحْتَجنُ، ويستعمل مستعارا فى غير المال، يقال: غَلَّ يَغُلُّ كقول الله عز وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْت بمَا غَلَّ يوْمَ القيَامة﴾(١). ويقال: أَغَلَّ فهو مُغلٌّ إذا صُودف يَغُلّ، أو نُسبَ إليه، ومن قرأ: ﴿ومَا كَانَ لنبى أَنْ يَغُلَّ﴾(٢). فتأويله أن يأخذ ويَستأْثرَ، ومن قرأ ﴿يُغَلَّ﴾ فتأويله على ضربينِ يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذى يختار أن يُخَوَّنَ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير، وقد قال: ما كَان لنبى أن يُغَلَّ فُيغَلَّ لغيره، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو؟ فالجواب أنه فى التقدير على معنى. ما ينبغى لنبى أن يُخَوَّنَ، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لنَفْس أَنْ تَمُوتَ إلا بإذْن الله﴾(٣). ولو قلت: ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو إليه لكَان جيدا، على تقديركَ: ما كان زيد ليقوم عمرو إليه، كما قلنا فى الآية.

والإصْبَعُ، أفصح ما يقال وقد يقال: أَصْبَعٌ وإصبع! وَأُصْبُع. موضعها هاهنا موضع اليد، يقال: لفلان عليك يَدٌ، ولفلان عليك إصْبَعٌ، وكلّ جَيِّدٌ، وإنما يَعنى هاهنا النعمة.

وأما قوله:

* قتلنا أخانا للوفاء بجارنا *

فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذى يُذْكَرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْرًا، ولا ينبغى على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملا إلا عن الله عز وجل، لأنه ذو الكبْرياء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيلة الْقَدْر﴾(٤). و﴿إنَّا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ﴾(٥)، وكل صفات الله على الصفات وأَجَلِّهَا، فما استُعْمِلَ فى المخلوقين على تلك الألفاظ

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) قال المرصفى: يريد أنه مأخوذ من غل الثلاثى المبنى للمفعول، وتأويله : أن يؤخذ.

(٣) سورة آل عمران ١٤٥.

(٤) سورة القدر ١.

(٥) سورة النساء ١٦٣.

وإن خالفتْ فى الحكم فَحسنٌ جميل، كقولك: فلان عـالم، وفلان قادرٌ، وفلان رحيم، وفـلان وَدَودٌ، إلا ما وصـفنا قَبْلُ من ذكـر التَّكَبُّرِ، فإنـك إذا قلت: فلان جَبَّـار أو متكبـر كان عليـه عيبًـا ونقصًـا، وذلك لمخالفـة هاتين الصفـتين الحق، وبُعْدهمـا من الصواب، لأنهما للمـبدئ المُعيد الخـالق البارئ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجَوعةُ، وتُطغيه الشَّبْـعَةُ، وتَنْقُصُهُ اللحَظةُ، وهو فى كل أموره مُدَثَّرٌ، وأَمَّا القول الآخر فى البيت وهو «قتلنا أخانا»، فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته.

وأما قولها:

* ومن يقتل أخاه فقد ألاما *

تقول: أتى ما يُلامُ عليه، يقال: ألام الرجلُ إذا تَعَرض لانْ يُلامَ.

باب

[مما أنشد أبو محلم السعدى]

قال أبو العباس: أنشدنى السَّعْدىُّ أبو مُحَلِّمٍ:

إنَّا سَـأَلـنْا قَـومَنا فَـخـيـارُهُمْ   مَنْ كـان أفـضَـلَهُمْ أبوه الأوَّلُ
أَعْطـى الذى أَعْـطَى أبـوه قَـبْلَـهُ   وتَبَـخَّـلَتْ أبنـاءُ مَنْ يَتَـبَـخَّلُ

وأنشدنى أيضًا:

لطَلْـحَـةُ بـنُ حَـبـيـبٍ حين تَسـأَلُهُ   أَنْدَى وأَكْـرَمُ مـن فنْـد بن هَـطال
وبيتُ طَـلْحَـةَ فـى عـزٍّ وَمكْـرُمـة   وبيـتُ فنْد إلى ربـق وأَحْـمَـال[(١)]
أَلاَ فَـتًى مـن بنى ذبْيَـانَ يَحْـمـلُنى[(٢)]   وليس يَـحْـمـلنى إلاَّ ابْـنُ حَـمَّـال
فـقلتُ طَلَحَـةُ أَوْلَى مَنْ عَـمْـدَتُ له   وجـئت أَمْشَى إليـه مـشىَ مُـخْـتَـال
مُـسْـتَـيـقنًا أَنَّ حَـبْـلى سـوف يُعْلقـه   فـى رأس ذَيَّـالـة أو رأس ذَيَّـال

قوله: «إلى ربق وأحمال»، إنما أراد جمع حَمَـلٍ على القياس، كما تقول فى جميع باب فَعَلٍ: جَمَلٌ وأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأصنامٌ.

وقوله:

* ألا فتى من بنى ذُبيان يحملنى*

يعنى ذُبْيَانَ بن بَغـيضٍ بن رَيْث بن غَطَفَانَ بن سعد بن قَيْسٍ بن عَـيْلان بن مُضَرَ، وأنشد بعضهم.

* وليس حاملنى إلا ابن حمال *

وهذا لا يجـوز فى الكلام، لأنه إذا نُوّنَ الاسمُ لم يتـصل به المضمـر؛ لأن المضمر لا يقـوم بنفسه، فإنما يقع مـعاقبًا للتنوين، تقـول: هذا ضاربٌ زيدًا غَدًا، وهذا ضاربُكَ غَدًا، ولا يقع التنوين ها هنا، لأنه لو وقع لانـفصل المضمر، وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ**﴾[(٣)]. وقد رَوَى سيبويه بيـتين محمولين

(١) ربق: جبل فيه عدة عرا تشد به إلبهم، وأحمال: جمع حمل بالفتح، وهو الخروف وفيه أيضا أجمال جمع جمل.
(٢) يحملنى. من حمله إذا أعطاه ما يحمله من الدواب.
(٣) سورة العنكبوت ٣٣.

على الضرورة، وكلاهما مصنوع، وليس أحد من النحويين المُفَتشينَ يُجيزُ مثل هذا في الضرورة، لما ذكرتُ من انفصال الكناية، والبيتان اللذان رواهما سيبويه:

هُمُ القَائِلُونَ الخَيرَ والآمِرُونَه إذا ماخَشَوا يومًا من الأمْرِ مُعْظَمَا

وأنشد:

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرونَهُ جَميعًا وأيدِي المعْتَفِينَ رَوَاهِقُه[1]

وَإنما جاز أن تُبَيِّنَ الحركةَ إذا وَقَفْتَ في نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر، تقول: هما رَجُلانه، وهم ضَاربونه، إذا وَقَفْتَ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع، ولا يجوز أن تقول ضربتُه، وأنت تريد ضَرَبْتُ، والهاء لبيان الحركة، لأن المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبسا، فأما قولهم: ارمه واغزُه فَتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة، فإنما جاز ذلك لِما حذفْتَ من أصل الفعل، ولا يكون في غير المحذوف.

وقوله: «في رأس ذيالة»، يعني فرسًا أُنثى أو حصانًا، والذَّيَّالُ: الطويل الذَّنَبِ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَّنَب، وَقِصَرُ العَسيب[2]، وأما الطَّويلُ العَسيبِ فمذموم، ويُقال ذلك لِلثوْر أيضًا، أعني ذَيَّالا، قال امْرُؤُ القَيْسِ:

فجالَ الصُّوارُ واتَّقَيْنَ بِقَرْهَبٍ طَويلِ القَرا والرَّوق أَخْنَسَ ذَيَّال[3]

ويقال أيضًا للرجل: ذَيَّالٌ، إذا كان يَجُرُّ ذَيْلَهُ اختيالا، ويقال له: فَضْفَاضٌ في ذلك المعنى.

[من كلام عمر بن عبدالعزيز لمؤدبه]

ويروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لمؤَدِّبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تُؤَدِّبُني؟ فقال: أحسن طاعة. قال: فَأَطعْني الآنَ كما كنتُ أُطيعُكَ إذ ذاك. خُذْ من شارِبك حتى تَبْدُو شَفَتَاكَ، ومن ثوبكَ حتى تَبْدُوَ عَقِبَاكَ.

وقال رسول الله ﷺ: «فضل الإزار في النار».

(١) يرنفق: يتكئ على يده. المعتفون: طلاب المعروف. ورواهقه: دانية منه.

(٢) العسيب: مستدق عظم الذنب.

(٣) الصوار: القطيع من بقر الوحش. والقرهب: الثور المسن الضخم. والقرا: الظهر. والروق: القرن.

وقال آخر[1]:

مـــا لـدَد مـــا لدَد مـــالَـهُ ... يَبْـكى وقَـــدْ أنْعَــمْتُ مـا بـالَهُ
مــالى أَراهُ مُطْرِقًــا سَــامِـيًـا ... ذَا سِنَة يُـوعــــــــدُ أَخْـــوالَـهُ
وذاك مـنـه خـلـق عــــــادة ... أَنْ يَفْـــعَلَ الأمْــر الذى قَـــالَهُ
إن ابن بـيـــــضــــاء وترك الـندى ... كـالعَـبْـد إذ قَـيَّـدَ أَجْـمَـالَهُ
آلـيت لا أدفـن قـــتــــلاكـم ... فـــدخِّنُوا المرْءَ وَسِـــرْبَالَـهُ
والدرع لا أبـغى بـهـــا نثـــرة ... كلُّ امْــرِىءٍ مُـسْـتَـوْدَعٌ مَـالَهُ
والرمـح لا أمـــلأ كـــفى بـه ... وَالـلِّبْـــدُ لاَ أَتْـبَعُ تَـزْوالَـهَ

قـوله: «مالدد» يعنى رجـلا، وَدَدٌ فى الأصل. هو اللَّهْـوُ، قال رسـول الله ﷺ: «لست من دَد ولا دَد منى»، وقـد يكون فى غـير هـذا الموضع مأخـوذا من العادة، وهذه الـلاَم الخافضـة تكون مكسورة مع الظاهر ومـفتـوحة مع المضـمر، والفتح أصلهـا، ولكن كِسرتْ مع الظـاهر خوف اللَّبسِ بلام الخبـر، تقول إنَّ هذا لزَيْد، فيعلم أنه شىء فى ملك زيد، فإن قلت: إن هذا لَزَيْد فى الوقف، علم قبل الإدْرَاج أنه زَيْد، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلم المُلْكُ من المعنى الآخر فى الوقف، وأما المضـمـر فبَيِّنٌ فيه، لأن علامـة المخفوض غير علامـة المرفوع، تقول: إن هذا لَكَ، وَإن هذا لأنْتَ.

وقوله:

* . . وقد أنعمت ما باله *

فـ«ما» زائدة، والبالُ هاهنا: الحـال، وللبال موضع آخر، وحقيـقته الفِكْرُ، تقول: ما خطر هذا على بالى.

وقوله: «مطرقا ساميا» فالسـامى الرافع رأسه، يقال: سَمَا يَسْمو إذا ارتفع، والمطْرِقُ: الساكت المفكِّرُ المنكِّسُ رَأْسَهُ، فإنما أراد ساميًا بنفسه.

وقوله: «ذا سِنَةٍ» يقول: كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَةٍ. وقوله:

---

(١) نسبه المرصفى إلى سلمة بن ذهل التيمى.

* كالعبد إذ قَيَّد أجماله *

يريد أنه غير مُكْتَرِث لاكتساب المَجْدِ والفضل، وذلك أن العبد الراعِى إذَا قَيَّدَ أجماله لَفّ رأسهُ ونام حجرةً، وهذا شبيه بقوله:

* واقْعُدْ فَإنّكَ أنْت الطاعمُ الكاسى *

وقوله:

* فدخنوا المرء وسرباله *

يروى أنه طَعنَ فارسًا منهم فأَحْدَثَ، فقال: نَظِّفُوهُ فإنى لا أَدفِن القتيلَ منكم إلا طاهرًا، وقوله:

* والدرع لا أبغى بها نثرة *

فالنَّثْرَةُ: الدرْعُ السابغة، يقول: دِرْعى هذه تكفينى، وقوله:

* كل امرئ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ *

أى مُسْتَرْهَنٌ بِأَجَله، وهو كقول الأَعْشَى:

كنْتَ المَقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّة بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أبطالها
وعَلِمْتَ أنّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها ما كان خَالِقُها الفَضِيلُ قَضَى لها

وقوله:

* الرمح لا أملأ كفى به *

يُتأَوَّلُ على وجهين: أحدُهما أنّ الرمح لا يملأ كفى وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمْحِ وبالقَوْسِ وغير ذلك، والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به إنما أَختَلِسُ به اختلاسًا، كما قال الشاعر:

ومدجج سَبَقَتْ يَدَاىَ لَهُ تَحْتَ الغُبَارِ بطَعْنة خَلْس

وقوله:

* واللبد لا أتبع تَزْواله *

يقول: إن انْحَلَّ الحِزامُ فمال اللبد لم أَمِلْ معه، أى أنا فارس ثَبتٌ.

وقال الفَرَزْدَقُ، ونزل به ذِئبٌ فأضافه:

وأطْلَسَ عَسَّالٍ وما كان صاحبًا رَفَعْتُ لنارى مَوْهِنًا فأتانى
فلمَّا دنا قلتُ ادْنُ دُونَكَ إننى وإيَّاكَ فى زادى لَمُشْتَرِكَان
فَبِتُّ أَقُدُّ الزادَ بينى وبينه على ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً ودُخَانَ
وقلتُ له لما تَكَشَّرَ ضاحِكا وقائمُ سَيْفى من يدى بمكانَ
تَعَشَّ فإن عاهَدْتَنى لاتخونُنى نكُنْ مِثلَ مَنْ يَاذئبُ يَصْطَحِبَانِ
وأَنْتَ امرؤ ياذئبُ والغدرُ كُنتما أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بلبانَ
ولو غَيْرَنا نَبَّهْتَ تلْتَمِسُ القِرى رَمَاكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنَانَ

قوله: «وأطلسَ عسالٍ»، فالأطْلَسُ الأَغْبَرُ. وحدثنى مسعود بن بشْرٍ قال: أنشدنى طاهر بن على الهاشمى قال: سمعت عبدالله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب:

بَهمُ بنى مُحَارِبٍ مُزْدارُه(1) أَطْلَسُ يخفى شَخْصَهُ غُبَارُهُ

* فى شِدْقه شفرته وناره *

قوله: «يُخفى شخصَه غبارُه»، يقول: هو فى لون الغبار، فليس يُتَبَيَّنُ فيه. وقوله: «عَسَّال»، فإنما نسبه إلى مَشْيَته، يقال: مَرَّ الذِّئبُ يَعْسِلُ، وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلَة، قال الشاعر(2) يَصِفُ رمحا:

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لبيد:

عَسَلانَ الذئبِ أَمْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة: نَسَلَ فى معنى عَسَلَ، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**﴾(3). وخَفَضَ بهذه الواو لأنها فى معنى «رُبَّ»، وإنما

---

(1) البهم: واحدتها بهمة، وهى الصغيرة من أولاد الغنم.
(2) هو ساعدة بن جؤية الهذلى، وانظر ديوان الهذليين جـ١ ص ١٩٠.
(3) سورة الأنبياء ٩٦.

جاز أن يُخْفَضَ بهـا لوقوعها في معنى «رب»؛ لأنهـا حرف خفض، وهي - أعنى الواو - تكون بدلا من الباء في القَسم لأن مخرجها في مخْرَج الباء من الشفَة، فإذا قلت: والله لأفْعَلَنَّ، فمعناه: أُقْسِمُ بالله لأفعلنَّ، فإن حذفتها قلت: اللهَ لأفعلن، لأن الفـعل يقع على الاسم فـينصـبه، والمعـنى معنى «البـاء» كـمـا قال الله عـزَّ وجلَّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾(١). وَصَلَ الفعل فَعَمِلَ، والمعنى معنى «مِنْ» لأنها للتبعيض، فقـد صارت «الواو» تَعْملُ بلفظها عَمَلَ «الباء» وتكون في معناها، وتعمل عمل «ربّ» لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المَخْرَج.

وقوله: «رَفعتُ لناري»، من المقلوب، إنما أراد رَفَـعْتُ له ناري والكلام إذا لمْ يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختـصار، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾(٢). والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح، أي تستقل بها في ثِقَلَ، ومن كلام العرَب: إن فلانَة لَتنوء بها عَجيزتُها، والمعنى لَتنوءُ بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة الأخْطل:

أَمَّـــا كُلَيْبُ بـن يَربُوعٍ فـليس لهـــا عند التَّـفــاخُـرِ إيـرادٌ ولا صَـــدَرُ
مُـخـلَّفُـون ويَقْـضِى الناسُ أَمْـرَهُمُ وَهُمْ بغَـيْبِ وفى عَـمْـيَـاءَ ماشَـعَـرُوا
مِـثْـلُ الْقَنَافِـذِ هَـدَّاجُـون قــد بَلَغَتْ نَجْـرَانُ أو بَـلَغتْ سَـوآتِهِـمْ هَجَـرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة.

ويروى أن يونس بن حَبيبٍ قـال لأبى الحسن الكسـائىِّ: كيف تُنْشِـدُ بيت الفَرَزدَق؟ فأنشده:

غَـداةَ أَحِـلَّتْ لابن أَصْـرَمَ طَـعْنَةٌ
حُصينٍ عَبيطاتِ السَّدائفِ وَالخَمْرُ(٣)

فقال الكسائى لما قال:

«غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف . . .»

تم الكلام. فَـحَمَلَ الخمـر على المعنى، أراد: وحَلَّتْ له الخَـمْرُ، فـقال له

(١) سورة الأعراف ١٥٥. (٢) سورة القصص ٧٦.
(٣) هو حصين بن أصـرم، من بنى ضبـة، وكان نذر ألا يأكل لحمـا ولايشرب خمـرا حتى يقـتل ابن الجون الكندى. والسدائف: جمع سديف وهو السنام، والعبيطات: الطرية.

يونس: ما أحْسَنَ ما قلتَ! ولكن الفرزدق أَنْشَدَنيه على القَلْبِ، فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمر على ما وصفنا من القَلْب. والذى ذهب إليه الكسائىُّ أحسن فى مَحْضِ العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جَيِّدًا.

وقوله: «فلما دنا قلت ادنُ دونك» أمرٌ بعد أمرٍ، وحَسُنَ ذلك لأن قوله: «أدْنُ» للتقريب، وفى قوله: «دونك»، أمرُه بالأكلِ؛ كما قال جَرير لعَيَّاش بن الزبرقان:

أعَيَّاشُ قد ذاق القُيونُ مَوَاسِمِى[1] وأوْقَدْتُ نارى فادْنُ دونك فاصْطَلِ

وقوله:

على ضوء نارٍ مرَّةً ودخان

يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخان، أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبَتْ. وجائز أن يَعْطفَ الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ، ولكن للاشتراك، كما قال الشاعر:

يَالَيتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

لأن معناهما الحَمْل، وكما قال:

شَرَّابُ ألبَانٍ وتَمرٍ وأَقِط

فأدْخَلَ التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحُلوقِ وهذه الآية تُحمَل على هذا: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾[2].

والشُّوَاظُ: اللهَبُ لا دخان له، والنُّحَاس: الدخان. وهو معطوف على النار، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذَكَرْتُ لك، قال النابغةُ الجَعْدىُّ:

تُضِيءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذُّبا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسًا

وقوله:

* نكُن مثل مَنْ يادئب يصطحبان[3] *

---

(١) زيادات ر: «جمع ميسم، وهو حديدة يصنع بها البيطار». (٢) سورة الرحمن ٣٥.

(٣) زيادات ر: «من يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان، وأن تكون بمعنى الذى، ويصطحبان: صلته».

فـ«من» تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد، فإن شئت حَمَلتَ خبرها على لفظها فقلتَ: مَنْ فى الدار يُحبُّكَ، عَنَيْتَ جَميعًا أو اثنين أو واحدا أو مؤنثًا. وإن شئت حَمَلْتَهَ على المعنى فقلتَ: يُحبَّانكَ، وتَحبُّكَ - إذا عَنَيْتَ امرأة - ويَحبُّونَكَ - إذا عنيت جميعا - كل ذلك جائز جيد، قال الله عزوجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهِ﴾[1]. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلاَ تَفْتِنِّى﴾[2]. وقال - فحمل على المعنى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[3]. وقرأ أبو عمرو: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾[4]، فَحَمَلَ الأول على اللفظ والثانى على المعنى. وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

فهذا كله على اللفظ، ثم قال: ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على المعنى.

وقوله: «أو شباة سنان» فالشَّبا والشباةُ واحد وهو الحد.

[فى وصف الجود والحث على المبادرة به]

ومما يُسْتَحْسَنُ فى وصف الجود والحَثِّ على المبادرة به، وتعريف حد العاقبة فيه، قولُ النَّمرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلِيِّ، أحد بنى عُكْلِ بن عبد مَنَاةَ بن أُدِّ بن طابِخَةَ بن إلْيَاس[5] بن مُضَرَ:

أَعاذل إن يُصْبحْ صَداىَ بقَفْرَةٍ ... بَعيدًا نَآنى صاحبى وقَريبى
تَرَىْ أنَّ ما أَبْقَيْتُ لم أَكُ رَبَّهُ ... وأنَّ الذى أنْفَقْتُ كانَ نصيبى
وذى إبلٍ يَسْعَى ويحْسبُها له ... أخى نَصَبٍ فى رَعْيِها ودُءوبِ
غَدَتْ وغَدَا رَبٌّ سواه يَقُودُها ... وبُدِّلَ أحجارًا وَجالَ قَليبِ

---

(١) سورة يونس ٤٠.
(٢) سورة التوبة ٤٩.
(٣) سورة يونس ٤٢.
(٤) سورة الأحزاب ٣١.
(٥) زيادات ر: «قال ابن السراج: من رواه إلياس فقد أخطأ، إنما هو ابن اليأس بوصل الألف وكسر السين، والألف واللام للتعريف، والاسم «يأس» مشتق من يئست.

قوله: «إن يصبح صداى بقفرة» فالصَّدَى على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا، وهو ما يبقى من الميت فى قبره، والصَّدى: الذَّكَرُ من البُوم، قال ابن مُفرِّغ[1]:

وشَرَيْتُ بُرْدًا ليتنى من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامه[2]
هتافة تدعو صدى بين المُشَقَّرِ واليمامه

ويقال: فلان هامةُ اليومِ أو غَدٍ، أى يموت فى يومه أو فى غَده. ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ، والمريضِ إذا طالت علَّتُهُ، والمُحتقر[3] لمدة الآجال. وفى الحديث أن حِسْلاً[4] - أبا حُذَيْفَةَ بن حِسْلِ بن اليمان - قال لشيخ آخر تخلَّفَ معه فى غَزْوة أُحُد: انهَضْ بنا نَنْصُرْ رسول الله ﷺ، فإنما نحن هامةُ اليوم أو غَدٍ - وكانا قد أَسَنَّا. والصَّدَى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يُدْرَكْ به الثَّأْر أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهى الهامةُ - والذكر: الصَّدَى - فيصيح على قبره: اسقونى اسْقونى! فإن قُتِلَ قاتلُه كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصْبَعِ[5] العَدْوانىُّ أَحَدُ بنى عَدْوان بن عمرو بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ:

ياعَمْرُو إلاَّ تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصَتى أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُول الهامةُ اسْقونى

والصَّدَى: ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتَّسَعٍ من الأرضِ، أو بقُرْبِ جبل، كما قال:

إنى على كُلِّ إيسارِى ومَعْسرَتى أَدْعو حُنَيفًا كما تُدْعى ابنة الجَبَلِ

يعنى الصَّدَى، وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة إجابة الصَّدَى. وقال آخر:

كأَنِّى إذْ دَعَوْتُ بنى سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بدعْوَتى لَهُمُ الجِبالا

---

(١) زيادات ر: «اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما».

(٢) شريت هنا: بعت.

(٣) زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع «المحتقر» يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: والمحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف».

(٤) زيادات ر: «حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذى تخلف معه ثابت بن وقش الأنصارى».

(٥) زيادات ر: «هو حرثان من محرث، سمى بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته فى إصبعه».

والصَدأُ، مهموز: صَدَأ الحديد وما أشبهه، قال النابغة الذُّبْيانى:

سَـــهِكينَ من صـدإ الحـــديد كَـــأَنَّهُمْ تَحْـتَ السَّنَـورِّ جنَّةُ الـبَـــقَّـــار(١)

وقال الأعشى:

فَـــأمَــا إذَا ركــبـــوا فـــالــوُجـــو هُ فى الرَّوْع مِن صَـــدإَ الْبَـــيْض حُم(٢)

والصَّدَى: مـصدَر الصدى، وهو العطشـان، يقال: صَدِىَ يَصْـدَى صَدًى، وهو صَدٍ، قال طَرَفة:

ستَعْلَم إنْ متْنَا صَدًى أَيُّنَا الصَّدِى(٣)

وقال القُطامىّ:

فَـــهُنَّ يَنْبِـــذنَ مـن قـــولٍ يُصِـــبْنَ به مَـــوَاقِعَ المـاءِ من ذى الغُلّـةِ الصـــادى

تأويل قوله: «أنآنـى» يكون على ضربين، يكون أَبْعَـدَنى، وأحسنُ [من](٤) ذلك أن يقول: «أنـآنى». وقد رُوِيَتْ هذه اللغـة الأخرى، وليست بالحَـسَنة، وإنما جاءت فى حـروف: يقال: غاضَ الماءُ وغـضْتُه، وَنَزَحَتِ البـئرُ ونزَحْتُـها، وَهَبَطَ الشىءُ وَهَبَطْتُهُ، وبنوتميم يقولون: أَهْبَطْتُه، وَأحْـرُفٌ سوى هذه يسيرة. والوجه فى «فَعلَ أَفْعَلْتُه»، نحو دَخَلَ وَأَدْخَلْتُـهُ، ومات وأماتَهُ الله، فهذا الباب المُطَّرِدُ. ويكون «نآنى» فى موضع «نـأى عنى» كما قـال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وإذَا كـالُوهُمْ أَو وَزَنوهُم يُخْسِرُونَ﴾**(٥)، أى كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: «ودءوب»، يـقول: وإِلْحَاح عليـه، تقول: دَأَبْتُ على الـشئ، قال الشاعر(٦):

دَأَبْتُ إلى أنْ يَـنبت الظِّـلُّ بَعْـــدَمَـــا تَقَـاصَـرَ حـتى كـــادَ فى الآل يَمْـصَحُ

وقوله جل ثناؤه: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾**(٧) يقول: كعادتهم وَسنتِهِمْ، ومثله الدِّينُ والدَّيْدَنُ، وقد مرّ هذا.

---

(١) سهكين، من السهك، وهو ريح صدإ الحديد. والسنور هنا: الدروع، وجنة البقار: موضع رمل عالج.

(٢) حم: جمع أحم، وهو الأسود من كل شىء.

(٣) زيادات ر: «ويروى: «صدى أينا» بخفض «أينا» على الإضافـة: فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدى: الخبر».

(٤) تكملة من س.

(٥) سورة المطففين ٣.

(٦) زيادات ر: «هو الراعى».

(٧) سورة آل عمران ١١.

وقوله:

وبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبِ

فالجـال الناحيـة، يقال لكل ناحيـة من البئـرِ والقبر ومـا أشبـه ذلك: جالٌ وجُولٌ، وقال مُهَلْهِلٌ:

كَـأَنَّ رِمَـاحَـهُمْ أشطانُ بِئـر ... بَعيـدٍ بَيْنُ جـالَيْـهَـا جَـرُورِ[1]

ويقـال: رجل ليس له جُولٌ، أى ليس له عـقل، وهذا الشعـر نظيـر قول حاتم الطائىّ:

أَمـاوِىَّ إنْ يُصْبِحْ صَـدَاىَ بِقَفْـرَةٍ ... من الأرضِ، لامـاءٌ لَدَىَّ ولا خـمْـرُ

تَرَىْ أَنَّ مَـا أَبْقَـيْتُ لـم أكُ رَبَّهُ ... وأَنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِـفْـرُ

[للحارث بن حلزة اليشكرى فى الجود]

وقال الحارث بن حِلزة الْيَشْكُرِىُّ فى هذا المعنى:

قلْتُ لعَـمْـرو حين أَرْسَلْتُـهُ ... وَقَـدْ خَـبَـا من دُونـنا عـالجُ

لاتكْسَعِ الشَّـوْلَ بأَغْـبَـارها ... إنـكَ لاَ تَـدْرِى مَـن الـنَـاتجُ

وَاصْـبُبْ لأضْـيَـافِكَ أَلْبَـانَهَـا ... فَـإنَّ شَـرَّ الـلبن الوالِـجُ

قوله:

لا تكسع الشَّول بأغبارها

فإن العـرب كانت تَنْضحُ على ضُروعـها الماء البـارد ليكون أَسْمَنَ لأولادها التى فى بطونها. والغَبر: بقية اللـبن فى الضَّرْعِ، فيقول: لا تُبْق ذلك اللبن لسمَنِ الأولاد، فإنك لا تدرى من يَنْتجُها، فلعلك تموت، فتكونُ للوارث أو يُغارُ عليها.

وروى عن رسول الله ﷺ أنـه قال: «يقول بن آدم مـالى مالى، ومـالكَ من مالِكَ إلا ما أكلت فَأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو أعطيتَ فَأَمْضَيْتَ».

---

(١) الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل الشديد الفتل. وجرور: نعت للبئر: وهى التى يدق عمقها حتى يجر دلوها على شفيرها.

ويروى عن بعضهم أنه قال: إنى أُحِبُّ البقاء، وكالبقاء عندى حُسْنُ الثناء.

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ:

فإذا بَلَغْتم أَرْضكُمْ فَتَحَدَّثوا ومن الحديث مَتالفٌ وخُلودُ

وأنشد:

فأثنُوا علينا لا أبا لأبيكُمُ بأفعالنا، إنَّ الثناء هُوَ الخُلْدُ

وقال معاوية لابن الأشْعَث بن قَيْس: ما كَان جَدُّكَ قَيْسُ بن مَعدى كَرِبَ أَعْطَى الأعْشَى؟ فقال: أعطاه مالاً، وظَهْرًا، ورَقِيقًا، وأشياء أُنْسِيتُهَا، فقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنْسَى!

وقال عمر بن الخَطَّاب رضى الله عنه لابنة هَرِمِ بن سِنان المُرِّىِّ: ماوَهَبَ أبوك لزُهَيْر؟ فقالت: أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر. فقال عمر: لكن ما أعطاكموه لا يُفْنِيه الدَّهْرُ.

وقال المفسرون فى قول الله عزَّ وجل عن إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿واجْعَل لى لسَان صدْق فى الآخرين﴾(1) أى ثَنَاءً حسنًا، وفى قوله تعالى: ﴿وتَرَكْنَا عَلَيْه فى الآخرين سَلامٌ على إبْرَاهيم﴾(2) أى يقال له هذا فى الآخرين، والعرب تَحْذفُ هذا الفعل من «قال» «ويقول» استغناءً عنه، قال الله عزَّوجلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرتُمْ بَعْدَ إيمَانكُمْ﴾(3)، أى فقال لهم. ومثله: ﴿والَّذينَ اتَّخذُوا منْ دُونه أَوْليَاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلا ليُقرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾(4) أى يقولون، وكذلك: ﴿والمَلائكَةُ يَدْخلُونَ عَلَيْهِمْ منْ كلِّ باب سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾(5).

---

(1) سورة الشعراء ٨٤. (2) سورة الصافات ١٠٨، ١٠٩. (3) سورة آل عمران ١٠٦.

(4) سورة الزمر ٣. (5) سورة الرعد ٢٣، ٢٤.

(5) زيادات ربعد ذلك ما يأتى: «حدثنا يموت بن المزرع البصرى قال: حدثنا رفيع بن سلمة المنبز بدماذ قال: حدثنا أبو عيادة قال: قال الحجاج يوما لعمائر العرب وهم فى مجلسه: ما أحسب هذا المزونى بناصحنا فى حربنا - يعنى المهلب - والرأى مشترك، فقالوا: الرأى للأمير- أصلحه الله - أن يكتب إلى ابن الفجاءة: بإطعامه بعض الأرضين، فإذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه، فقال: وفقكم الله، وكتب إلى ابن الفجاءة، وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى. نسخة الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة، سلام عليك، الموحد الله، والمصلى عليه محمد عليه السلام. أما بعد، فإنك كنت أعرابيا بدويا تستطعم الكسرة، وتحف إلى التمرة، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق، وأعرضت عن كتاب الله، ومرقت من سنة رسول الله ﷺ، فارجع عما =

= أنت عليه بما زين لك، وادعونى فقد آن لك».

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطرى قال: يا غلام، ازبر هذه الصحيفة، فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء، فقال: يا غضبان ألفيتنى محزونا، وأنشأ يقول:

فيا كبدا من غير جوع ولا ظمأ ... ويا كبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدها ... وآب عميد الأزد غير ذميم

ـ يعنى المهلب، وأم حكيم هذه: امرأة من الخوارج قتلت بين يديه، ثم قال: يا غلام، اكتب، «بسم الله الرحمن الرحيم» من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف. سلام على من اتبع الهدى. ذكرت فى كتابك أنى كنت يدويا أستطعم الكسرة، وأبدر إلى النمرة، وبالله لقد قلت زورا، بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه؛ إذ أنت سايح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر، ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشيع، واتكأ فاتدع! أما والله لئن أبرز الله صفحتك، وأظهر لى صلعتك، لتنكرن شيعك، ولتعلمن أن مقارعة الأبطال، ليس كتسطير الأمثال».

بابـ

[من خطبة لعلى بن أبى طالبـ]

قال أبو العباس: قال عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خُطْبَة له: أيها الناس، اتقوا الله الذى إن قلتم سَمِعَ، وإن أضمرتم عَلِم. وبادِرُوا الموت الذى إنْ هَرَبْتُمْ منه أدرككم، وإن أقمتم أخَذَكم.

[خطبة الحجاج حين قدم أميرا على العراق]

قال: وحدثنى التَّوَّزى فى إسناد ذكره آخرهُ عبدُالمَلك بن عُمَيْرِ الليثىُّ، قال: بينما نحن فى المسجد الجامعِ بالكوفة، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة، يَخْرُجُ الرجلُ منهم فى العشرة والعشرين مِنْ مَوَاليـه، إذْ أتى آت فقال: هَذا الحَجاج قَدِمَ أميرًا على العراق. فـإذا به قد دخل المسجد مُعْتَـمًّا بعمامة غَطَّى بها أكثر وجهه، مُتَقَلِّدًا سيفا، مُتَنَكِبا قوسًا، يَؤُمُّ المِنْبَر، فقام الناس نحوه، حتى صَعَدَ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قَبَّحَ الله بنى أُمَيَّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العراق! حتى قال عُمَيْرُ بن ضابئ البرْجُمى: ألا أَحْصِبُهُ لكم؟ فقالوا: أَمْهِلْ حتى نَنْظُرَ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فِيه ونهض وقال(١):

أنـا ابنُ جَـلاَ وَطَـلاَّعُ الـثَّـنايـا   مـتى أَضَعِ العِـمـامَـةَ تَعْـرِفُـونى

ثم قال: ياأهلَ الكوفة، إنى لأرَى رءُوسا قد أَيْنَعَتْ وحان قطَافُها، وإنِّى لَصَاحِبُهَا، وكأنى أنظر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى، ثم قال(٢):

هذا أوانُ الشَّدِّ فـاشْـتَـدِّى زِيَمْ   قـد لَفَّـهـا الليلُ بِسَـوَّاقٍ حُطَمْ
لـيس بـراعـى إبـلٍ وَلاَ غَـنَـمْ   وَلاَ بِجَـزَّارٍ عـلى ظَـهْـرِ وَضَمْ

ثم قال:

قـد لَفَّـهـا اللَّـيلُ بِعَـصْلَبِىِّ   أَرْوَعَ خَـراجٍ مـن الـدَّوِّىِّ
مُهَاجِرٍ ليس بأَعْرَابِىِّ

وقال:

قـد شَـمَّـرَت عن سـاقـهـا فَشُدُّوا   وجَـدَّت الحـربُ بكم فَـجِـدُّوا

---

(١) زيادات ر: «هو لسحيم بن وثيل الرياشى».
(٢) زيادات ر: «الشعر لرويشد بن وميض العنبرى».

وَالْقَـــوْسُ فـــيـــهـــا وَتَرٌ عُـــرُدُّ   مـــــثْـلُ ذِراعِ البَـكْـرِ أو أَشَـــــدُّ

* لا بُدَّ مما لَيس منه بُدُّ *

إني والله يا أهل العراق مـا يُقْعَقُع لـي بالشّنان، وَلاَ يُغْمَزُ جـانبي كتَغْـمَاز التِّين. ولقد فُـرِرْت عن ذَكاء، وَفُتِّشتُ عن تَجْرِبَـة، وإن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نَثَـرَ كنَانَتَهُ بين يديـه، فَعَجَمَ عـيدَانهـا، فوجدني أَمَـرَّهَا عُودًا. وأصلبَـها مَكْسـرًا، فرماكم بي. لأنكـم طالما أَوْضَعْتُـم في الفتنة، واضطجـعتم في مَـرَاقِد الضلال. والله لأحْزِمَنَّكُم حزمَ السَّلَمة، وَلأضـربنكم ضرب غَرَائب الإبل، فإنكم لَكَأَهْلِ قرية كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان، فَكَفَرت بأَنْعُم الله فَأَذَاقَهَا الله لبَاس الجوع والخـوف بما كانوا يَصْنَعونَ. وإني والله ما أقول إلاَّ وَفَّيْتُ، ولا أَهُمُّ إلا أَمْضَـيْتُ، ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْتُ، وإن أمـير المؤمنين أمـرني بإعطائكم أَعْطياتكم، وأن أُوَجِّـهكمُ لمحاربة عـدوكم مع المُهلَّب بن أبي صُفْـرَة. وإني أُقْسمُ بالله لا أَجِدُ رجلاً تَخَلّفَ بعد أخذ عَطائِه بثـلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ! ياغلام اقْرَأْ عليهم كتابَ أمير المؤمنين. فقرأ:

«بسم الله الرحـمن الرحيم: من عـبدالله عـبـدالملك أميـر المؤمنين إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين. سـلامٌ عليكم». فلم يَقُل أحد منهم شيئًا، فـقال الحجاج: اكففْ ياغلامُ، ثم أَقْبَلَ على الناس، فـقال: أَسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين، فلم تَرُدُّوا عليه شيئًـا! هذا أَدَبُ ابن نِهْيَةَ! أَمَا وَالله لأُؤَدِّبَنَّكم غير هذا الأدب أو لتَسْـتَقيمُنَّ. اقْرَأ ياغـلامُ كتـاب أمير المؤمنين، فلمـا بلغ إلى قوله: «سـلامٌ عليكم» لَمْ يَبْقَ في المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام(١).

ثم نَزَلَ، فَوَضَعَ للناس أَعْطيَـاتهم، فجعلوا يأخذون حـتى أتاه شيخ يُرْعَشُ كِبْرًا، فـقال: أيها الأمير، إني من الضَّعْـف على ما ترى، ولي ابنٌ هو أَقْوَى على الأَسْفار مني فَتَقَبلْهُ بَدَلاً مني. فقال الحـجاج: نَفْعَلُ أيها الشيخ، فلما وَلَّى قال له قائل(٢): أَتَدرِي مَنْ هذا أيهـا الأمـير؟ قـال: لا، قـال: هذا عُـمَيْـرُ بن ضـابِىءٍ البُرْجُمِيُّ الذي يقول أبوه:

هَمَـمْـتُ وَلَم أَفْـعَلْ وَكِـدْتُ وليـتَني   تَرَكتُ على عـثـمـان تَبْكـي حَـلائلُهْ

(١) زيادات ر: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج».
(٢) قال المرصفي: «هو عنبسة بن سعيد بن العاصي الأموي».

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِىءَ بطنَهُ، فكسر ضِلْعَيْنَ من أَضلاَعه، فقال: رُدُّوهُ! فلما رُدَّ، قال له الحجاج: أيها الشيخ؛ هلا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنينَ عثمانَ بَدَلاً يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لصَلاحًا للمسلمين: ياحَرَسِيُّ، اضربَنْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل، ويأمر وليّه أن يَلْحقَه بزاده، ففى ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأَسَدِيُّ[1]:

تَجَهَّزْ فَإِمَّا أن تَزُورَ ابن ضابِىءٍ عُمَيْرًا وإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما رُكُوبكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْجِ أَشْهَبا[2]
فَأَضْحَى ولو كانَتْ خُراسانُ دونَه[3] رآها مكانَ السُّوقِ أو هِى أَقْرَبا

قوله: «أنا ابن جلا»، إنما يريد الْمُنْكَشِفَ الأَمْرِ، ولم يصرف «جلا» لأنه أراد الفعل فحكى، والفعل إذا كان فاعله مُضمَرًا أو مُظهَرًا لم يكن إلا حكاية، كقولك: تَأَبَّط شرًّا، وكما قال الشاعر:

كَذَبْتُمْ وبَيتِ الله لاَ تَأْخُذونَهَا بَنِى شابَ قَرْناها تَصُرُّ وَتَحْلُبُ

وتقول: قرأت: ﴿اقتربَت السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ﴾[4] لأنك حكَيْتَ، وكذلك الابتداءُ والخبر، تقول: قرأت: ﴿الحَمَدُ لله رَبِّ الْعَالَمين﴾.

وقال الشاعر:

وَاللهِ مَا زَيْدٌ بنامَ صاحِبُهْ[5]

وقوله:

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا

لسُحَيْم بن وثيلٍ الرِّياحِيّ، وإنما قاله الحجاج متمثلا.

وقوله: «وطلاعُ الثَّنايا» الثنايا: جمع ثَنِيّة، والثَّنيةُ: الطريق فى الجبل.

---

(١) زيادات ر: الأسدى أسد خزيمة، وليس من أسد قريش».
(٢) حوليا: يريد مهرا أتى عليه حول. من الثلج أشهبا: يريد أن لونه أشد شبهة من الثلج.
(٣) زيادات ر: «دونه عائدة على المهلب. وأقرب: ظرف، وقيل مفعول ثان».
(٤) سورة القمر ١.
(٥) بقيته كما فى زيادات ر

* ولا مخالط الليان جانبه*

والطريقُ فى الرمل قال له: الخَلُّ، وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا فى ارتفاعها وصُعوبتها، كما قال دُرَيْد بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبدالله:

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِهِ   بَعيدٌ من السَّوْءاتِ طَلاعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ: ما ارتفع من الأرض، وقد مَضى تفسير هذا.

وقوله: «إنى لأرى رءُوسا قد أينعت»، يريد أَدْركَتْ، يقال: أَيْنَعت الثمرةُ إيناعًا وَيَنَعتْ يَنْعا ويُنْعًا، ويُقرأُ: ﴿**انْظَرُوا إلى ثمره إذا أَثْمرَ ويَنْعِه**﴾[1] و﴿**يُنْعِه**﴾، كلاهما جائز.

قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلَفُ فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحْوصِ وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. [قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد يصف جارية] وهو:

ولَها بالماطرِينِ[2] إذا   أَكَلَ النَّمْلُ الذى جَمَعَا
خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ   سكَنَتْ من جلَّق بِيَعَا[3]
فى قِبابٍ حول دَسْكَرةٍ   حَولَهَا الزيْتونُ قد يَنَعا

* * *

[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:

طال هذا الهمُّ فاكتَنَعا   وأمَرَّ النومُ فامْتَنَعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس، ويروى «بالماطرونِ».

* * *

قال أبو العباس: وقوله:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَم

يعنى فرسًا أو ناقة، والشعر للحُطَم القَيْسىِّ.

وقوله:

قد لَفهَا الليلُ بسوَّاق حُطَمْ

---

(١) سورة الأنعام ٩٩.

(٢) الماطرون: موضع قرب دمشق. ورواه أبو العباس معربا، ورواية ياقوت «دولها بالماطر»

(٣) الخرفة: مايجتبنى من الفاكهة. وربعات: دخلت فى الربيع، وجلق: من قرى دمشق.

فهو الذى لا يُبْقِى من السير شيئًا، ويقال: رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تُبْقِى: حُطَمةٌ.

وقوله: «على ظهر وَضَمْ»، فالوَضَمُ: كل ما قُطِعَ عليه اللحم. قال الشاعر(١):

وفتيانِ صدق حسانِ الوُجو ... ه لاَ يَجِدُونَ لِشىءٍ أَلَمْ
مِنَ آلِ المُغِيرةِ لاَ يَشْهَدو ... نَ عِنْدَ المجَازِرِ لَحْمَ الوَضَمْ

وقوله:

قد لفَّهَا الليلُ بِعَصْلَبِىِّ

أى شديد. وأَرْوَعَ، أى ذَكِىّ.

وقوله: «خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ»، يقول: خَرَّاج من كل غَمَّاءَ شديدة(٢):

ويقال للصحراء دَوِّيَّةٌ، وهى التى لا تكاد تنْقَضى، وهى منسوبة إلى الدَّوِّ، والدَّوُّ: صَحْراء مَلْسَاء لاَ عَلَمَ بها ولا أمارة، قال الحُطَيْئةُ(٣):

وأَنى اهْتَدَتْ وَالدَّوُّ بينى وبينَهَا ... وماخلْتُ سارى اللْيل بالدَّوِّ يَهتْدِى

والداوية: المتسعة التى تَسْمَعُ لها دَوِيًّا بالليل، وإنما ذلك الدَّوِىُّ من أخْفَاق الإبل تَنْفَسِحُ أصواتها فيها. وتقول جَهَلَةُ الأعْرَاب: إن ذلك عَزِيفُ الجن.

وقوله:

والقوسُ فيها وتر عُرُدُّ

فهو شديد ويقال عُرُنْد فى هذا المعنى.

وقوله: «إنى والله مَا يُقَعْقَعُ لى بالشِّنَان»، واحدها شَنّ، وهو الجلدُ اليابس، فإذا قُعْقِعَ به نَفَرَتِ الإبل منه، فَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لنفسه، وقال النابغة الذُبْيَانى:

كأنك من جِمَالِ بنى أقُيشْ(٤) ... يُقَعْقَعُ بين رجليه بِشَنِ

وقوله: «ولقد فُرِرْتُ عن ذَكَاء»، يعنى تمام السن. والذّكَاءُ على ضربين:

---

(١) زيادات ر: «هو عمر بن أبى ربيعة».
(٢) زيادات ر: «غما، مقصور، رواية عاصم».
(٣) زيادات ر: «يصف خيالها وأنت على معنى المرأة».
(٤) زيادات ر: «أقيش: من عكل».

أحدهما تمام السنِّ، والآخر الحدَّةُ حدّةُ القَلْب، فمما جاء فى تمام السن قول قَيْسِ ابن زُهَيْرٍ: جَرْى المذكّيات غِلابٌ»[١]، وقال زُهَيْر:

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عليه ... تمامُ السِنِّ منه وَالذّكَاءُ

وقوله: «فَعَجَمَ عيدانها»، يقول: مَضَغها لينظر أيُّها أَصْلب، يقال: عَجَمْتُ العود؛ إذا مضغته، وكذلك فى كل شىء قال النابغة:

فَظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا ... فى حالِكِ اللون صَدْقٍ غير ذى أَوَدِ

والمصدر العَجْمُ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا: ويقال لنَوَى كلِّ شىء: عَجَمٌ، مفتوح، ومن أسكن فقد أخطأ، كما قال الأَعْشَى:

وَجُذْعَانُهَا كَلَقِيْطِ العَجَمْ[٢]

وقوله: «طالما أوضعتم فى الفتنة»، الإيضاعُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. وقوله:

فأضْحَى ولو كانتْ خراسانُ دونه

يعنى دون السفر رآها مكان السُّوقِ للخوف والطاعة.

[خبر ضابىء البرجمى مع عثمان]

وكان من قصة عمير بن ضَابىء أن أباه ضابئ بن الحارِثِ البُرْجُمِىَّ وَجَبَ عليه حبسٌ عند عثمان ـ رحمه الله ـ وأَدَبٌ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه ـ وكان فَحاشًا ـ فرمى أُمَّهُمْ به، فقال فى بعض كلامه:

وأُمَّكُمُ لاتتْركوها وَكَلْبَكم ... فإن عُقوقَ الوالداتِ كبيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فَعَلَ به فلما دُعِىَ به ليُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فى ساقه ليقتل بها عثمان، فُعِثرَ عليه، فأَحْسَنَ أَدَبَهُ، ففى ذلك يقول:

---

(١) زيادات ر: «ويروى: غلاء».

(٢) شدره كما فى زيادات ر:

* غزاتك بالخيل أرض العدوّ*

وقـائلة إنْ مَـاتَ فى السـجْنِ ضـابىءٌ   لَنـعم الـفَــتى نَـخْلُو بـه ونُواصـله
وقــائِـلة لايَبْـعَـدَنْ ذلك الفَـتَى   ولاَ تَبْـعَـدَنْ أخــلاقــه وَشَـمـائله
وقــائـلةً لايُبْـعِـد اللهُ ضـابـئًـا   إذ الكَـبْشُ لم يوجـد لـه مَنْ يُنَـازِلُه
وقــائـلة لايُبْـعِـد اللهُ ضـابـئًـا   إذا الخَـصْمُ لـم يوجـد له مَنْ يُقَـاوِلُه
فـلا تُتْبِـعنى إنْ هَلكْتُ مـلامـةً   فليـس بعـار قـتْلُ مَنْ لا أقـاتله
هَمَـمْتَ ولم أَفـعَـلْ، وَكـدْتُ وليتنى   تَرَكْتُ على عُـثمـان تَبْكـى حَـلائله
ومـا الفَـتكُ مـا آمَرْت فـيـه ولا الذى   تُخَـبِّـرُ مَنْ لاَ قَيْتَ أنـك فـاعِله

[حديث أبي شجرة السلمي مع عمر بن الخطاب]

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدثنا به عن أبى شَجَرَة السّلَمىّ ـ وكان من فُتَّاك العرب[(١)] ـ فأتى عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رحمه الله ـ يَستحمله[(٢)]، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شـجرة السلمى، فقال له عمر: أى عـدى نفسه، ألست القائل حيث ارتددت:

وَرَوَّيت رُمْـحِى مـن كَـتيـبـة خـالد   وَإِنِّى لأرجُـو بعـدها أَن أُعَـمَّـرَا[(٣)]
وعـارَضْتُـهَـا شَـهْبـاء تَخْطُـرُ بالقَناً   تَرَى الْبِـيْضَ فى حافـاتهـا والسَّنَوَّرا[(٤)]

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّة، فسَعَى إلى ناقته فَحَل عِقاليها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيْمِ بأحثِّ السير هربا من الدِّرَّة، وهو يقول:

قـد ضَنَّ عنـهـا أبو حَـفْصِ بنـائله   وكلُّ مُـخْـتَـبِط يومًـا له ورَقُ
مـازال يَضْـرِبُنى حـتى خـذِيتُ له   وحال مِنُ دونِ بـعضِ الرَّغْبة الـشَّفَقُ[(٥)]

(١) زيادات ر: «أبو شجرة هو عمرو بن عبدالعزى، وأمه الخنساء. وقال الطبرى: اسمه سليم بن عبدالعزي».

(٢) يستحمله: يسأله أن يحمله على ركوبه.

(٣) زيادات وبروى: «أن أعمرا، بكسر الميم، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».

(٤) شهباء: من الشهبة: وهو بياض فى خلاله سواد. وتخطر، من الخطران؛ وهو الاهتزاز .

(٥) الشفق: من الإشفاق، وهو الخوف.

ثم التَـفَـتَّ إليـهـا وَهْىَ حـانِيـةٌ   مِـثْلَ الرتاج إذا مـا لَزَّهُ الغـلقَ[1]
أقْـبَلْتُـهـا الخَلَّ من شَـوْرانَ مجتـهـدًا   إنى لأزْرى علـيـهـا وهى تَنْـطَلِقُ[2]

ويروى أنه كان يرمى المُسلمين يوم الرِّدَّةِ فلا يُغْنِى شيئًا، فجعل يقول:

ها إنَّ رَمْـيِى عَنْـهُمُ لَمَعْـبُـولْ   فـلا صَـرِيـحَ اليـومَ إلا المَـصْـقُـول

وقوله:

وكل مختبط يوما له ورق

أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى، وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله، وقال زهير:

ولَيْسَ مـانعَ ذى قُـربَـى وذى نَسَبٍ   يَوْمًـا ولا مُـعْـدم من خـابطٍ ورَقَـا[3]

وقوله: «حتى خَذيتُ له»، يقول: خَضَعْتُ له، وأكثر ماتَسْتَعْمِلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة، تقول: استخَذَيْتُ له. وَزعم الأصْـمَعىّ أنه شَكَّ فيهَا، وأنه أحَبَّ أن يَسْتَثْبِتَ: أهىَ مهموزةٌ أم غير مهموزة؟ قال: فقلتُ لأعرابىٍّ: أتقول: اسْتخْذَيْتُ[4] أم اسْتخْذَأْتُ؟ قال: لا أقولهما، قلتُ: ولِمَ؟ فقال: لأن العرب لا تَسْتَخْذِى. وهذا غير مهموز[5]. واشتقاقه من قولهم: أُذُنٌ خذواء وَيَنَمة خَذْواءُ، أى مُسْتَرْخِية.

* * *

[قال أبو الحسن: اليَنَمة: نبت مسترخ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثُرَ عنه ألبانها].

* * *

---

(١) حانية: لاوية عنقها. والغلق اسم لما يغلق به، والرتاج: الباب الكبير. واللزة الشد والإلصاق.
(٢) الخل: الطريق النافذ بين الرمال. وشوران: جبل مرتفع قرب المدينة.
(٣) زيادات ر: «قوله: ولا بعدم بالخفض؛ عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده:
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة   ولاناعب إلا ببين غرابها
على توهم الباء فى «مصلحين» و«من» فى «خابط» زائدة.
(٤) استخذى: خضع.
(٥) هنا آخر الخرم الموجود فى نسخة الأصل.

قال الأصمعي: وقلت لأعرابيٍّ: أَتَهْمِزُ الفَأرَةَ! قالَ: تهمزُها الهِرَّةُ.

وقوله: «إني لأزْرِي عليها»، يقول: أَسْتحِثُّها، يقال: زَرَى عليه: أي عاب عليه، وأَزْرى به أي قَصَّرَ به، فيقول: إنها لمجتهدة، وإني لأَزْرِي عليها، أي أعيب عليها لِطلَبِي النَّجَاءَ والسرعة، وقال الأخْطَلُ:

فظَلَّ يُفَدِّيها وظَلَّتْ كأنها عُقَابٌ دعاها جُنْحُ لَيْلٍ إلى وكْرِ

وقوله: «ها إنَّ رَمْيِي عنهمُ لَمَعْبول»، يقول: مَخْبولٌ مردودٌ. والصَّرِيحُ: المَحْضُ الخالص، يقال ذلك للبن إذا لم يَشُبْهُ ماء، ويقال: عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ ومَوْلى صريح، أي خالص.

[خطبة لعمر بن الخطاب حين سمع أن قوما يفضلونه على أبي بكر]

قال: وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشميّ في إسناد ذكره قال: بَلَغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصِّدِّيق رحمه الله، فَوَثَبَ مُغْضَبًا حَتَّى صَعِدَ المِنْبَر، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أيها الناس، إني سأُخْبِرُكُمْ عني وعن أبي بكر، إنه لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ ارْتَدَّت العرب، وَمَنَعتْ شاتَها وبعيرها، فأجْمَعَ رأيُنا كلنا أصحابَ محمد ﷺ أن قلنا له: ياخَليفة رسول الله، إن رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحْيِ والملائكة يُمِدُّه اللهُ بهم، وقد انقطع ذلك اليومَ، فَالْزَمْ بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب. فقال أبو بكر الصديق: أو كلكم رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم! فقال: والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من أن يكون هذا رأيي! ثم صعد المنبر، فحمد الله وكبره وصلى على نبيه ﷺ، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، أيها الناس، أأن كثر أعداؤكم، وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب! والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون. قوله الحق، ووعده الصدق، ﴿**بل نَقْذفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهقٌ**﴾، و﴿**كَمْ من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾. واللهَ أيها الناس، لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهدتُهُمْ في الله حق جهاده حتى أُبْلِيَ بنفسي

عُذْرًا أو أُقْتَلَ قتلا، والله أيها الناس لو مَنَعونِى عقالا لجاهَدْتُهُمْ عليه، واستَعَنْتُ عليهمُ اللهَ وهو خيرُ معِينٍ.

ثم نزل فجاهد فى الله حَقَّ جِهادِهِ حتى أَذْعَنَتِ العربُ بالحق.

قوله: «كم من فئة» فـهى الجماعة، وهى مهموزة، وتخـفيف الهمز فى هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قَلَبْتَها واوًا، نحو جُؤَنٍ(١) تقول جُوَنٌ.

وقوله: «لو منعـونى عقالا لجـاهدتهم عليه» على خـلاف ما تتأوله العـامة، ولقول العامة وجه قد يجوز، فأما الصحيح فإن المُصَدِّق(٢) إذَا أخذ من الصدقة ما فيـها ولم يأخذ ثَمنهـا قيل: أخذ عِـقالاً، وإذا أَخَذَ الثَّـمن قيل: أخذ نَقْـدًا، قال الشاعر:

أَتَانَا أَبُـو الخَطَّابِ يَـضْـرِبُ طَبْـلَهُ(٣) فَـرُدَّ وَلَمْ يَأْخـذْ عِـقـالاً وَلا نَقْـدَا

والذى تقوله العامـة تأويله: لو منعونى ما يساوى عقالا، فـضْلا عن غيره. وهذا وجه، والأول هو الصـحيح؛ لأنه ليس عليهم عقـال يُعْقَلُ به البعير فـيَطْلُبُهُ فيُمْنَعَه، ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا.

ومن كلام العـرب: أتانا بجَفْنَةٍ يَقْعُدُ عليـها ثلاثةٌ، أى لو قعد عليـها ثلاثة لَصَلَح.

[من أبيات للحطيئة حين ارتد بعض العرب]

وكان ارتدادُ من ارتَـدَّ من العرب أن قالوا: نُـقيمُ الصلاةَ ولا نُؤْتـى الزكاة، فمن ذلك قول الحُطَيْئَة:

ألاَ كلُّ أَرْماحٍ قصارٍ أَذِلَّة فـداء لأرْمـاحٍ نُصِـبْنَ عَلَى الغَـمْـرِ(٤)
فَـبـاسْت بَنِى عَـبْسٍ وأَسْـتـاه طَيِّئٍ وَبـاسْت بَنِى دُودَانَ حَـاشـا بَنِى نَصْـرِ
أَبَـوْا غَيْرَ ضَـرْبٍ يَجْـثُمُ الْهامَ وَقْـعُهُ وَطَعْنٍ كَـأَفـوَاه المزفَّـتَـة الحُـمْـرِ(٥)
أَطَعْـنَا رَسُـولَ اللـه إذْ كَـانَ بَيْنَنَا فَـيَـا لَـهْـفَـتَـا مـا بـالُ دِينِ أَبِى بَكْرِ!

(١) زيادات ر: «الجؤنة: الحقة يجعل فيها الحلى». (٢) المصدق: جابى الزكاة.
(٣) زيادات ر: «كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول».
(٤) الغمر هنا: اسم ماء. (٥) زيادات ر: «المزفتة: المطلية بالزفت، وهو القطران».

أَيُورِثُها بَكْرًا إذَا ماتَ بَعْدَه، فَتِلْكَ وَبَيْتِ الله قاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَقُومُوا ولاتُعْطُوا اللِّئامَ مَقَادَةً وَقُومُوا ولَوْ كانَ الْقِيَامُ عَلَى الجَمْرِ
فِدًى لِبَنِى نَصْرٍ طَرِيفِى وَتالِدِى عَشِيَّةَ زَادُوا بِالرِّمَاحِ أبا بَكْرِ(١)

قوله: «يجثم الهام وقعه»، إنما هو مَثَلٌ، يقال: جَثَمَ الطائرُ؛ كما يقال: برك الجمل، وربض البعير.

وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملا على صَدَقاتِ بنى سَعد، فقسم مَا كان فى يده من أموال الصدقات على بنى مِنْقَرٍ، وقالَ:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنى قُرَيْشًا رِسالَةً إذا ما أتَتْها مُحْكَماتُ الوَدائِع
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا وأيأسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ

قوله: «فأجمع رأينا كلِّنا أصحابَ محمد» فإنما خَفَضَ «كُلا» على أنه توكيد لأسمائهم المضمرة، والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يَعْنِى به المتكلمُ نفْسَهُ، أو يَعْنى به المَخَاطَب. لا يجوز أن تقول مررتُ بى زيد، لأن هذه الياء لا يَشْرَكُهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين، وكذلك لا يجوز: ضربتُكَ زيدًا؛ لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف، فأما الهاء نحو مررت به عبدالله، فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنا مُبَيِّنًا: مَنْ صاحب الهاء؟ لأنها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائب فيحتاج إلى البيان.

وقوله: «أصحابَ محمد» اختصاص: وينتصب بفعل مضمر، وهو «أعنى» ليبين من هؤلاء الجماعة. كما ينشد:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

أراد: نحن أصحاب الجمل، ثم بين من هم؛ لأن هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه، وعلى من فوقها إلى مضر ونزار ومعدّ ومَن بعدهم. وكذلك: نحن العرب أقرى الناس للضيف، ونحن الصعاليكَ لا طاقة لنا على المروءة.

---

(١) زيادات ر: «قوله: «ذادوا بالرماح أبابكر» كذب، إنما خرجوا على الإبل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت».

ويختار من الشعر[1]:

إنا بنى منقر ذوو حسبٍ فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدلّ على جميع هذا الباب، فافهم.

كمل الجزء الأول من كتاب الكامل بحمد الله وعونه

ويليه الجزء الثانى

(١) زيادات ر: «هو لعمرو بن الأهتم».

فهرس الموضوعات

باب

باب

باب

الكامل في اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثانى

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

باب

[فى المختار من أشعار المولدين]

قال أبو العبَّاس: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولّدين حكيمةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ. يُحتَاجُ إليها للتمَثُّلِ؛ لأنها أَشْكَلُ بالدهر، ويُسْتعارُ من ألفاظها فى المخاطبات والْخُطَب والكتب.

[لعبد الصمد بن المعذل]

قال ابن المُعَذَّل[1]:

تُكَلِّفُنى إذْلالَ نَفْسى لعِزِّها ... وهانَ عليها أَنْ أُهانَ لتُكْرَما
تَقولُ سَلِ المعروفَ يَحْيَى بنَ أَكْثَمٍ ... فقلتُ سَلِيه رَبَّ يَحْيَى بنِ أَكْثَما[2]

[لبشار بن برد]

وقال بَشَّارُ بن بُرْدٍ يذكر عُبَيْدَ الله بن قَزْعة، وهو أبو المُغيرة أخو المَلَوِيِّ المتكلم، قال ـ وقال المازنى: لم أر أَعْلَمَ من المَلَوِيِّ بالكلام، وكان من أصحاب إبراهيم النَّظام ـ:

خَليلَيَّ منْ كَعْبٍ أَعينا أخاكُما ... على دهْرِه إنَّ الكريمَ مُعينُ
ولاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابن قَزْعَةَ إنه ... مَخافَةَ أن يُرجى نَداهُ حَزينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ الله لم يَلْقَ ماجدًا ... ولم يَدْرِ أنَّ المَكْرُماتِ تكونُ
فقل لأبى يَحْيَى مَتَى تُدْرِك العُلا ... وفى كُلِّ مَعْرُوف عليكَ يَمين
إذا جئتَهُ فى حاجةٍ سَدَّ بابَهُ ... فلم تَلْقَه إلا وأَنْتَ كَمينُ

نظير قوله:

* وفى كلِّ معروف عليك يمينُ *

قول جرير:

ولا خَيْرَ فى مال عليه أَلِيَّةٌ ... ولا فى يمين عُقِّدتْ بالمآثِمِ[3]

---

(١) ر: «عبد الصمد بن المعذل».

(٢) زيادات ر: «بالثاء مثلثة لا غير، وكذلك أكثم بن صيفى، ويقال إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى».

(٣) ر: «عقدت». وديوانه ٥٥٣: «ولا فى يمين غير ذات مخارم».

[لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية]

وقال إسماعيل بن القاسم:

أَطِـعِ اللهَ بجُـهـدكْ ... عَـامـدًا أو دون جُـهْـدِكْ
أَعْطِ مَـوْلاَكَ كـمـا تَـطْـ ... ـلُبُ من طاعـةِ عَـبْـدِكْ

[لمحمود الوراق]

وقال محمود:

تَعْـصِى الإلَه وأَنْتَ تُظْهِـرُ حُبَّـه ... هذا مُـحَـالٌ فى القيـاسِ بَدِيعُ
لو كـان حُبُّكَ صـادقًا لأَطعـتَـه ... إن المُـحِبَّ لِـمَـنْ يُحِـبُّ مُـطيـعُ

وقال أيضًا:

إنـى شكَـرْتُ لظـالـمى ظُـلْـمِـى ... وَغَـفَـرْتُ ذَاكَ لَهُ على عِـلْمِى
ورأيتُـه أَسْـدَى إلـىَّ يَدًا ... لَمَّـا أَبانَ بِـجَـهْـله حِلْمِى
رَجَـعَتْ إسَـاءَتُهُ عليـه وإحْسـ ... ـانى فـعـادَ مُـضـاعَفَ الجُـرْمِ
وَغَـدَوْتُ ذا أجْـر ومَـحْـمَـدَة ... وغَـدَا بكَسْـبِ الظُّلْمِ وَالإثمِ
فكـأنما الإحـسـانُ كـان لَهُ ... وأنا المُسىءُ إليـه فى الْحُـكْمِ
مـازال يَظلِمُـنى وَأَرْحَـمُـه ... حـتـى بكَيْـتُ له مـن الظُّـلْمِ

أخَذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْشٍ لرجل قال له: إنى مررتُ بقوم من قريش من آل الزُّبَيْرِ أو غيرهم يَشْتمونَكَ شَتْـمًا رَحِمْتُكَ منه، قال: أَفَسَمِعْتَنى أقول إلا خَيْرًا! قال: لا، قال: إيَّاهُمْ فارْحَمْ.

وقال الصديق(١) ـ رحمه الله ـ لرجل قال له: لأَشْتِـمَنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ معك فى قبرك، قال: معك والله يَدْخل، لا معى.

وقال ابن مسعود: إن الرجل ليظلِمنى فأَرْحمُه.

---

(١) ر: «أبو بكر الصديق»، س: «الصديق رضى الله عنه».

وقال رجل للشعبيّ كلامًا أقْذَعَ له فيه، فـقال الشعبيّ: إن كنتَ صادقًا فغفر الله لى، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك.

ويروى أنه أتى مسجدًا فصادف فيه قومـا يغتابونه فأخذ بِعِضادَتَي الباب، ثم قال:

هَنيـئًـا مَرِيئًـا غَـيْـرَ دَاء مُخَـامِـرٍ ... لِعَـزَّةَ من أعـراضنا ما اسْـتَـحَلَّت

وذكر ابن عائشـة أن رجلا من أهل الشام قال: دخلتُ المديـنة فرأيتُ رجلا راكبًـا على بغلة لم أر أحسَن وجهًا ولا سـمْتًا ولا ثوبا ولا دابة منه، فـمال قلبى إليه، فـسألت عنه، فـقيل: هذا الحسن بن علىّ بن أبى طالـب عليهمـا السلام، فامتلأ قلبى له بُغـضًا، وحَسَدْتُ عليًّا أن يكون له ابن مثلُه، فَـصِرْتُ إليه، فقلتُ له: آنت ابنُ أبى طالب؟ فقال: أنا ابـن ابنه، فقلت: فَبِكَ وبأبيكَ أَسُبُّهُـما، فلما انقـضى كلامى قـال لى: أحْسَـبُكَ غريبًـا، فقلت: أجَلْ، قـال: فَمِلْ بنـا، فإن احْتَـجت إلى منزل أنزلناك، أوَ إلى مـال آسَيْناكَ، أو إلى حـاجة عـاوَنَّاكَ، قال: فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أَحَدٌ أحبُّ إلىَّ منه.

[لمحمود الوراق أيضًا]

وقال محمود الورَّاقُ:

يا نـاظرًا يَرْنُو بِـعَــيْنَىْ رَاقِـــد ... ومُـشَـاهدًا للأَمْـرِ غَيْـرَ مُـشـاهد
مَنَّيْتَ نَفْـسَك ضَلَّةً وَأَبَحْـتَـهـا ... طُرُقَ الرَّجـاءِ وَهُنَّ غَيْـرُ قواصِـد
تَصِلُ الذنوبَ إلَى الذنُوبِ وَتَرْتَجِى ... دَرَكَ الْجِنَان بِـهـا وَفَـوْزَ الْعَــابِد
وَنَسِـيـتَ أَنَّ اللهَ أَخْـرَجَ آدَمًـا ... مِنْهَـا إلَى الدُّنْيَـا بِذَنْبٍ وَاحِـدِ

[للحسن بن هانئ الحكمى المعروف بأبى نواس]

وقال الحكَمىّ للفضل بن الرَّبيع(١):

مَـا مَـنْ يَدٍ فى النَّـاس واحِـدَةً ... كَـيَـدٍ أَبُـو العَـبَّـاس مَـوْلاهَا
نامَ الْكِرَامُ عَـلَى مَـضَـاجِـعِـهِمْ ... وَسَـرَى إلَى نَـفْـسي فَـأَحْـيَـاهَا

(١) زيادات ر: هو أبو نواس الحسن بن هانئ، وهو منسوب إلى حكم، قبيلة من مذحج».

قَـدْ كُنْتُ خِـفْـتُكَ ثم أَمَّنَنِى   مِنْ أَنْ أَخَـافَـكَ خَـوْفُكَ اللهَ
فـعـفَـوْتَ عَنِّى عَـفْـوَ مُـقْـتَـدِرٍ   حَلَّـتْ لَهُ نِـقمٌ فَـأَلْـغَـاهَا

[لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة]

وقال عبد الله بن أبى عُيَينة لذى اليَمينَيْنِ(١):

لَمَّـا رَأَيْتُكَ قـاعِـدًا مُـسْتَـقْـبِـلاً   أَيْقنْتُ أَنَّكَ لِلْهُـمُـومِ قَـرِينُ
فَـارْفضْ بِهَـا وَتَعَـرَّ مِنْ أَثْوَابِهـا   إِنْ كَـانَ عِنْدَكَ لِلْقَـضَـاءِ يَقِينُ
مَـالاَ يَكُونُ فَـلا يَكُونُ بِحِـيلَةٍ   أَبَدًا وَمَـا هُوَ كَـائِـنٌ سَـيَكُونُ
يَسْـعَى الذَّكِىُّ فَـلا يَنَالُ بِسَـعْـيِـهِ   حَظًّا وَيَحْـظَى عَـاجِـزٌ وَمَـهِينُ
سَـيَكُونُ مَـا هُو كَائِنٌ فـى وَقْتِـهِ   وَأَخُـو الْجَهَـالَةِ مُتْـعَبٌ مَحْـزُونُ
اللهُ يَعْـلَمُ أَنَّ فُـرْقَـةَ بَيْنِنَـا   فِـيـمَـا أَرَى شَىءٌ عَلَىَّ يَهُـونُ

[لصالح بن عبد القدوس]

وقال صالح بن عبد القُدُّوس(٢):

إِنْ يَكُنْ مَـا بِه أُصِـبْتُ جَلِيـلا   فَـذهاب الـعـزاء فـيـه أجلُّ
كلُّ آت لا شَكَّ آتٍ وذُو الْـجَـهـ   ـلِ مُـعَنًّى وَالْغَمُّ وَالْحـزْنُ فَـضْلُ

[من الأبيات المنفردة]

وأنشد مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الهَوَى قَادَكَ الْهوَى   إلى بَعْضِ مَـا فِـيهِ عَلَيْـكَ مَقَـالُ(٣)

ومنها قول ابن وُهَيْب الحميرى(٤):

وَإِنى لأَرْجُـو اللهَ حَـتَّى كَـأَنَّنِى   أَرَى بِجَـمِيلِ الـظَّنِّ مَا اللهُ صَـانِعُ

(١) هو طاهر بن الحسين، وكان من أكبر أعوان المأمون، وفى زيادات ر: «سمى ذا اليمينين؛ لأنه ضرب إنسانا فجعله قسمين».

(٢) زيادات ر: «صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة - أعنى صالحا». وفى معجم الأدباء ١٢ : ٧ أن الذى قتله هو المهدى العباسى، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس، ثم دفن».

(٣) حواشى الأصل: «هذا البيت قاله هشام بن عبد الملك ولم يقل شعرا غيره».

(٤) فى ر، س: «ابن أبىْ وهيب» وصوابه ما فى الأصل. وانظر معجم الشعراء ٤٢٠.

وقال آخر:

وَيَعْـرِفُ وَجْهَ الْحَزمِ حَـتى كأنَّـما يُخَـاطِبُـه مِنْ كلِّ أمْـرٍ عَـوَاقِـبُـهْ

وقال أَشْجَعُ السُّلَمىّ:

رَأْىٌ سَـرَى وَعُيُـونُ النَّاسِ رَاقِـدَةٌ مـا أَخَّرَ الْحَـزْمَ رَأْىٌ قَدَّمَ الْحَـذَرَا

وقال آخر:

فَلِلَّهِ مـنىِّ جـانِب لا أضـيـعُـهُ وَلِلَّهْـو مِـنِّى وَالبَطَـالةِ جـانِبُ

وقال آخر:

فَلَوْ عَابَ نَفْسي غَيْـرُ نَفْسي لَسُؤْتُهُ فَكَيْفَ وَنَفْسي قَـدْ أَتَتْ مَاَ يعِيبُـهاَ

وقال آخر:

يَرَى فَلَتَـاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ مُـقْبِل كـأنَّ لَهُ فى الْيَوْمِ عَـيْنًا عَلَى غَـدِ

[لعبد الصمد بن المعذل أيضًا]

وقال عبد الصَّمد بن المُعَذَّل:

أَمُـنُّ عَلَـى المُجْـتَـدى ومـا أُتبع الْـمَـنَّ مَـنّ

كـأنْ لَـمْ يَزلْ مَـا أَتَـى ومـا قـد مـضى لم يـكن

أَرَى الـنَّـاس أحـدُوثَـةً فكـونىِ حَـدِيثًـا حَـسَنْ

وقال أيضًا:

زَعَـمت عَـاذلَـتى أَنِّى لمَـا حـفظ الْبُـخْلُ مـنْ المَال مُـضيعُ

كَلَفْـتْنى عـذرَةَ الْبَـاخلِ إذْ طَرَقَ الـطَّارقُ وَالنَّـاسُ هُجُـوعُ

لِيْسَ لـيِ عُـذْرٌ وَعِنْدِي بُـلْغَـة إنَّمَـا الْعُـذُر لِمَنْ لاَ يَـسْتَـطِيعُ

[للحسن بن هانئ أيضًا]

وقال الحسن بن هانئ الحكمىّ:

إلَيْكَ غَدَتْ بِى حاجَـةٌ لَمْ أَبُح بهاَ أخـافُ عَلَيْـهـاَ شَـامـتًـا فَـأُدَارِى

فأَرْخِ عَلَيْـهَا سِتْرَ مَـعْروفِكَ الَّذِى سَـتَـرْتَ به قِـدْمًـا علىَّ عَـوَارِى

وقال أيضًا:

قَدْ قُلْتُ للْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا ... منْ ضَعْف شُكْرِيه وَمَعْتَرِفَا
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَمًا ... أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَقْدِمَةً ... لاقَتْكَ بالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفَا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً ... حَسْبِي أَقُومُ بشُكْرِ ما سَلَفَا

[لدعبل بن على الخزاعى]

وقال دِعْبل بن علىّ الخزَاعِىّ:

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِحُبِّهِمُ ... قَالُوا تَعَصَّبْتَ جَهْلا قَوْلَ ذِي بَهَتِ
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا ... لاَبُدَّ للرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصِّلَةِ
فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الأَدْنَيْنَ إِنَّ لَهُمْ ... حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَةِ(١)
قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ ... وَآلُ كِنْدَةَ والأَحْيَاءُ مِنْ عُلَةِ(٢)
ثُبْتُ الْحُلُومِ فَإِنْ سُلَّتْ حَفَائِظُهُمْ ... سَلُّوا السُّيُوفَ فَأَرْدَوْا كُلَّ ذِي عَنَتِ
لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لامْرِئٍ طَبِنٍ ... مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٍ ... مَشْئُومَةٍ لَمْ يُرَدْ إِنْمَاؤُهَا نَمَتِ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ ... وَمَنْ يُقَالُ له والبيتُ لم يَمُتِ

وقال أيضًا:

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَامِتٍ ... وغَيرُ عَدُوٍّ قد أصيبت مَقَاتِلُهْ
يقولون إن ذاق الرَّدَى مات شعرُهُ ... وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالت طوائلُه
سَأَقْضِي ببيت يَحْمَدُ الناسُ أَمْرَهُ ... وَيَكْثُرُ من أَهلِ الرِّواية حَامِلُهْ
(يموت رَدِيُّ الشِّعْرِ من قبل أَهْلِهِ ... وَجَيِّدُهُ يبقَى وإنْ مات قائلُه(٣))

---

(١) المرة: لغة فى المرأة (رغبة الآمل).

(٢) علة: قبيلة.

(٣) زيادات ر: «البيت الأخير ليس لدعبل، وإنما هو مضمن».

[لإسماعيل بن القاسم أيضاً]

وقال إسماعيل بن القاسم:

يا مَن يَعيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ　　كَمْ فيكَ من عَيْبٍ وأنتَ تَعيبُ!
لله دَرُّكَ كيفَ أَنْتَ وغايَةٌ　　يَدْعوكَ ربُّك عندها فتُجيبُ

وقال أيضًا:

يا عليُّ بنَ ثابتٍ بانَ منيِّ　　صاحبٌ جَلَّ فَقْدُهُ يومَ بِنْتا
يا عليُّ بنَ ثابتٍ أَيْنَ أَنت　　أَنْتَ بين القُبورِ حَيْثُ دُفِنْتا
قد لعَمْري حكَيْتَ لي غُصَصَ المَوْ　　تِ وحَرَّكْتَني لها وسكَنْتا

وقال أيضًا:

صاحبٌ كان لي هَلَكْ　　والسَّبيلُ التي سَلَكْ(1)
يا عليُّ بنَ ثابتٍ　　غَفَرَ اللهُ لي ولَكْ
كلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ　　سَوْفَ يَفْنَى وما مَلَكْ

وقال أيضًا:

طَوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْر　　كذاكَ خُطوبُه نَشْرًا وطَيًّا
فلو نَشَرَتْ قُواكَ لِيَ المَنايا　　شكَوْتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إليَّا
بكيتُكَ يا أُخَيَّ بدمعِ عيني　　فلم يُغْنِ البُكاءُ عليك شَيًّا
كَفَى حَزَنًا بدَفْنِكَ ثم إنِّي　　نَفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيَّا
وكانتْ في حَياتِكَ لي عِظاتٌ　　وأنت اليومَ أوعَظُ منكَ حيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخلي شعرَه مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور، ويتناوله أقْرَبَ مُتَناوَل، ويَسْرقه أخفَى سَرِقَة.

فقوله: «وأنت اليوم أوعظ منك حيا»، إنما أخذه من قول المُوبَذ لقُبادَ الملك حيث مات، فإنه قال في ذلك الوقت: كان المَلِكُ أمسِ أنْطَقَ منه اليومَ، وهو اليَومَ أوعَظُ منه أمس.

---

(1) زيادات ر: «والسبيل التي سلك: ابتداء وخبر، ومن قال غير هذا فقد أخطأ».

وأخذ قوله:

قد لعَمْرِى حكَيْت لى غُصَصَ المو ... تِ وَحَرَّكْتنى لها وسكنتا

من قول نادبِ الإسْكَنْدَر، فإنه لما مات بكى من بحضرته فقال نادِبه: حرَّكَنا بسُكونه.

[لإسماعيل بن القاسم أيضًا]

وقال إسماعيل بن القاسم[1]:

يا عَجَبا للناسِ لَوْ فكَّرُوا ... وحاسَبوا أنفسهم أبصَروا
وعَبَروا الدنيا إلى غَيْرِها ... فإنما الدنيا لهُمْ مَعْبَرُ[2]
الْخَيْرُ مما لَيْسَ يَخْفَى هو الـ ... ـمَعروفُ والشَّرُّ هو المُنْكَرُ
وَالمَوْعدُ الموتُ وما بعده الـ ... ـحَشْرُ فَذَاكَ المَوْعدُ الأَكْبَرُ
لاَ فَخْرَ إلاَّ فخرُ أَهْلِ التُّقَى ... غَدًا إذا ضَمَّهُمُ المَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ الناسُ أن التُّقَى ... والبِرَّ كانا خَيْرَ ما يُذْخَرُ
عَجِبْتُ للإنسان فى فَخْره ... وهوَ غَدًا فى قَبره يُقْبَرُ
ما بالُ مَن أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ!
أَصْبحَ لاَ يَمْلكُ تَقْديمَ ما ... يرجُو ولا تأخيرَ ما يَحْذَرُ
وأَصْبَح الأَمْرُ إلى غيرِه ... فى كلِّ ما يُقْضَى وما يُقْدرُ

أما قوله:

يا عجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم: الفكْرةُ مرآةٌ تُرِيكَ حَسَنَكَ من قبيحِكَ. ومن قول لُقْمَانَ لابنه: يا بُنَىَّ لا ينبغى لعاقلٍ أن يُخَلِّىَ نَفْسَهُ من أربعة أوقات: فوقتٌ منها يناجى فيه ربَّه، ووقت يُحاسِبُ فيه نفسه، ووقتٌ يكْسِبُ فيه لمعاشه، ووقتٌ يُخلِّى فيه بين نفسه وبين لذتها؛ ليستعين بذلك على سائر الأوقات.

---

(1) زيادات ر: «وهو أبو العتاهية».

(2) زيادات ر: «معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج، وبفتح الميم لا غير، رواية عاصم».

وقوله:

وَعَبَرُوا الدنيا إلى غيرها   فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ

مأخوذ من قول الحسن: اجْعَلْ الدنيا كالقنْطرة تَجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

وقوله:

الخير مما ليس يخفى هو الـ   ـمعروف والشرُّ هو المنكرُ

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبدَ الله كَيْفَ بكَ إذا بَقيتَ فى حُثالة من الناس مَرجَتْ عُهودُهُمْ وأماناتُهم، وصار الناس هكذا»، ـ وشبَّكَ بين أصابعه ـ، فقلتُ: مُرْنى يا رسولَ الله، فقال: «خُذْ ما عرَفْتَ، ودَعْ ما أنْكَرْتَ، وعليك بخُوَيِّصة نفسك، وإيَّاك وعوامّها».

قوله ﷺ: «فى حُثالة من الناس»، أما الْحُثالةُ فهو ما يَبقَى فى الإناء من رَدِىِّ الطعام، وضربَه مَثَلاً. وقوله: «مَرجَتْ عُهودُهم». يقول: اختلطت وذهبت بهم كلَّ مَذْهَب، يقال: مَرَجَ الماء إذا سال فلم يكن له مانع، قال الله عز وجل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾(١).

وقوله:

لَيَعْلَمنَّ النَّاسُ أنَّ التُّقَى   وَالْبِرَّ كانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

مأخوذ من قَوْل أبى هُرَيْرَة عن النبى ﷺ قال: «إذا حُشر الناسُ فى صَعيد واحد نادى مُنَاد من قِبَلِ العَرْش: لَيَعْلَمَنَّ أهلُ المَوْقف، مَنْ أهلُ الكَرَمِ اليومَ؟ لِيَقُمِ المُتَّقون! ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿إنَّ أكْرَمَكُمْ عِندَ الله أتْقَاكُمْ﴾(٢).

وقوله:

ما بالُ مَن أوَّلُه نُطْفَةٌ   وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ!

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه: وما ابْنُ آدَمَ والفَخْر وإنما أوله نُطْفَةٌ، وآخره جيفةٌ، لا يَرْزقُ نفسه، ولا يَدْفعُ حَتْفه.

---

(١) سورة الرحمن ١٩.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

[لابن أبى عيينة]

وقال ابن أبى عُيَينةَ:

مَـــا رَاحَ يَــوْمٌ عَلَى حَىٍّ ولاَ ابْـتَكَرَا ... إلاَّ رَأَى عـبْـرَةً فـيــه إن اعْـتَـبَـرَا
وَلاَ أَتَتْ سَاعَةٌ فِى الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ[1] ... حَــتـى تُؤَثِّرَ فى قَـــوْمٍ لَهـــا أَثَرَا
إنَّ اللَّيَـــالِىَ وَالأَيَامَ أَنْفُـــسَــهَــا ... عَنْ غَـيْرِ أَنْفُـسِـهَا لَمْ تَـكْتُمِ الْخَبَـرَا

فأخذ هذا المعنى حَبيبُ بن أوْسٍ الطائىُّ وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال:

عَـمْـرِى لَقَـدْ نَصَحَ الزَّمَـانُ وَإنَّهُ ... لَمِنَ الْعَـجَـائِب نَاصِحٌ لا يُشْـفِقُ

فزاد بقوله: «ناصح لا يشفق» على قول ابن أبى عُـيَينةَ شيئًا طريفًا، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام. ولو قال قائل: إن أقرب ما أخَذَ منه أبو العَتاهِيَةِ:

لَيَـــعْلَمَنَّ الـنَّاسُ أَنَّ التُّـــقَى ... وَالْبِـــرَّ كَـانَا خَـيْـرَ مـا يُـذْخَـرُ

من قول خليل بن أحمد:

[قال أبو الحسن: زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبى ﷺ إلى الوقت الذى وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحداً سُمِّىَ بأحمد غيرَه].

وَإِذَا افْتَقَـرْتَ إلى الذَّخَائر لَمْ تَجِدْ ... ذُخْـرًا يكُونُ كَصَـالِحِ الأَعْمَـالِ[2]

لكان قد قال قولا.

وقال العباس بن الفرج:

أَمَـــلِـــى مَـنْ دُونِــهِ أجَـــلِـــى ... فَـــمــــتَى أُفـــضِى إلى أَمَـلِى

[للخليل بن أحمد]

وقال الخليل بن أحمد، وكان نظر فى النجوم فَأَبْعَدَ ثم لَمْ يَرْضَها فقال:

أَبْـلِغَــــــا عَـنِّىَ الْمُنَـجِّمَ أَنِّـى ... كَـافِـر بالذى قـضـتـه الكواكب
عَــالِمٌ أَنّ مَـــا يكُونُ وَمَـــا كَـــا ... نَ بِحَـتْمٍ مِنَ الْمُـهَـيْـمِن وَاجِبْ

(١) زيادات ر: «فانصرفت» أشبه للمطابقة، والمشهور «انصرفت».

(٢) كذا نسبته فى الأصول والمشهور أن البيت للأخطل، وهو فى ديوانه ١٥٨.

[لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين]

قال محمد بن بَشِيرٍ يعيب المتكلمين، أنشدنيه الرِّياشىُّ:

يَا سَائلى عَنْ مَقَالَةِ الشِّيَعِ ... وَعَنْ صُنُوفِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ
دَعْ مَنْ يَقُودُ الْكَلاَمَ نَاحِيَةً ... فَمَا يَقُودُ الْكَلاَمَ ذُو وَرَعِ
كُلُّ أُنَاسٍ بَدِيهُمُ حَسَنٌ ... ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشُّنَعِ
أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ ... لَمْ يَكُ فى قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

وأنشد الرِّياشىُّ لغيره:

قَدْ نَقَّرَ النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بِدَعًا ... فى الدِّينِ بِالرَّأْىِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ
حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ أَكْثَرُهُمْ ... وَفى الَّذِى حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغُلُ

وقال محمد بن بَشِيرٍ:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللهُ ... وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
يا حَسْرَتَا فى كلِّ يومٍ مَضَى ... يُذْكِرُنى الْموتَ وَأَنْسَاهُ
من طال فى الدنيا به عُمْرُهُ ... وعَاشَ فالموتُ قُصَاراهُ
كَأَنَّهُ قد قيلَ فى مَجْلِسٍ ... قد كنتُ آتيه وأغْشَاهُ
صار الْبَشِيرِىُّ إلى ربه ... يَرْحَمُنا اللهُ وَإِيَّاهُ

وقال أيضًا:

أَىُّ صَفْوٍ إلا إلى تَكْدِير ... ونَعِيمٍ إلا إلى تَغْيِيرِ
وسُرُور ولَذَّة وحُبُورٍ ... ليس رَهْنًا لنا بيومٍ عَسِيرِ
عَجَبًا لى ومن رضاى بدنيا ... أنا فيها على شَفَا تغْرير!
عالمٌ لا أَشُكُّ أَنِّى إلى اللَّـ ... ـه إذا متُّ أو عَذَابِ السَّعير
ثم أَلْهُو ولَسْتُ أَدْرى إلى أَيِّـ ... ـهما بعدهُ يَصِيرُ مَصِيرى
أَىُّ يَومٍ علىَّ أَفْظَعُ من يو ... مٍ به تُبْرِزُ النُّعَاةُ سَرِيرى
كُلَّمَا مُرَّ بى على أهل ناد ... كُنْتُ حينًا بهم كثيرَ المُرور
قِيلَ: مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ المَنَايَا ... قِيلَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِير

وقال الحَكَمِىُّ أبو نُواس:

أخى مَـا بَالُ قَـلْبكَ لَيس يَـنْقى ... كـأَنَّكَ لا تَظُـنّ المَوْتَ حَـقًّـا
أَلاَ يَـا بْـنَ الَّـذين فَـنُـوا وبَـادُوا ... أَمَـا وَالله مَـا ذَهَـبُـوا لتَـبـقَى
وَمَـا أَحَـدٌ بِزَادكَ منْـكَ أَحْظَى ... ومَـا أَحَـدٌ بزَادكَ منْكَ أشْـقَى
وَلا لك غَـيْـرَ تَقْـوَى الله زَاد ... إذَا جَـعَـلَتْ إلَى اللَّهَـوَاتِ تَرْقَى

ومما يستحسن من شعره قوله:

لا أذُودُ الطَّيْـرَ عَنْ شَـجَـرٍ ... قَـدْ بَلَـوْتُ المُرَّ مـن ثَمَـرِهْ

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الأمثال، وكذلك قوله أيضًا:

فـامْضِ لاَ تَـمْنُـنْ عَلَـىَّ يَدًا ... مَنُّـكَ المَعْـرُوفَ مِن كَـدَرِهْ

وكان يقول: ذِكْرُ المعروف من المُنْعِم إفسادٌ له، وكتمانُه من المُنْعَمْ عليه كُفْرٌ له، وفى هذا الشعر أبيات مختارة، فمنها:

وَإذا مَـجَّ الْـقَنَـا عَـلَـقًـا ... وَتَـرَاءَى المَوْتُ فـى صُـوَرِهْ
رَاحَ فى ثِـنْىْ مُـفَـاضَـتِـه ... أسَـدٌ يَدْمَى شَـبَـا ظُفُـرِهْ
تَتَـأَيَّى الـطَّيْـرُ غَـدْوَتَهُ ... ثقـةً بالـشّـبْعِ منْ جَـزَرِهْ
فـاسْـلُ عَنْ نَـوْءِ تُـؤَمِّلُـهُ ... حَـسْبُكَ الْعَـبَّـاسُ منْ مَطَرِهْ
لاَ تَـغَطَّـى عَـنْهُ مَـكْـرُمَـةٌ ... بـرُبًا وَاد وَلاَ خَـمَـرِهْ
ذُلِّلَـتْ تـلكَ الْـفِـجَـاجُ لَـهُ ... فَـهْـوَ مُـجْـتَـازٌ عَلَى بَصَـرِهْ

وقد عابوا عليه قوله:

كَـيْفَ لاَ يُـدْنِيـكَ مِنْ أَمَـلٍ ... مَنْ رَسُـولُ اللهِ مِـنْ نَفَـرِهْ

وهو لَعَمْرى كلام مُـسْتَهْجَنٌ موضوع فى غير مـوضعه؛ لأن حق رسول الله ﷺ أن يُضاف إليه، ولا يضافَ إلى غيره، ولو اتسـع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال، ولكنه عَسِرٌ موضوع فى غير موضعه، وباب الاحتيال فيه أن تقول: قد يقول القائل مِنْ بنى هاشـم لغيره من أفناء قريش: منا رسول الله ﷺ،

وحَقُّ هذا أنه من القبيل الذى أنا منه. فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القُرَشىُّ لسائر العرب، كما قال حسانُ بن ثابت:

وَمَازَالَ فى الإسْلاَمِ مِنْ آلِ هاشم دعائمُ عِزٍّ لا تُرامُ ومَفخَر
بَهَاليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

فقال: «منهم» كما قال هذا «من نفره»، أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم.

وأما قول حَسَّان: «منهم جعفر وابن أمه علىٌّ ومنهم أحمد المتخيّر» فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ، قال الله تبارك وتعالى:

﴿هُوَ الَّذى خَلَقَكُم فَمِنْكم كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ﴾(١) وقال: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْس﴾(٢)، وقال: ﴿واسْجُدى وَارْكَعى مع الرَّاكعين﴾(٣)، ولو كان بثمّ أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذى يليه واحداً فواحداً.

وأما قوله فى هذا الشعر:

وكريمُ الخَال من يَمَنٍ وكريمُ العَم من مُضَرَهْ

فأضاف «مُضَرَ» إليه، فهو أجود كلامٍ لا يمتنعُ منه ممتنع، قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للأشْتَر ـ وهو مالك بن الحارث أَحَدُ النَّخَع ابن عمرو بن عُلَّةَ بن جَلْد ـ وكان على المَيْمَنَة ـ: احْملْ، فَحَملَ فى أصحابه فَكَشَفَ منْ بإزائه، ثم قال لهاشم بن عُتْبَةَ بن مالك أحد بنى زُهْرَةَ بن كلاب ـ وكان على الميسَرَة ـ احْملْ، فَحَمَلَ فى المضَرَّية فكَشَفَ مَنْ بإزائه، فقال علىٌّ رضى الله عنه لأصحابه: كيف رأيتم مُضرى ويَمَنى! فأضاف القبيلتين إلى نفسه، قال جرير:

إن الذين ابْتَنَوا مَجْداً وَمَكْرُمَةً تِلْكمْ قُرَيشىَ والأنصارُ أنصارى

(١) سورة التغابن ٢.
(٢) سورة الرحمن ٣٣.
(٣) سورة آل عمران ٤٣.

[لإسحاق بن خلف البهرانى يمدح على بن عيسى القمى]

ومما يستحسن من أشعار المحْدَثين قول إسحاق بن خَلَف البَهْرَانىّ، ونَسَبُهُ فى بنى حنيفة لسبـاء وقع عليه، يقوله لعلى بن عيسى بن مـوسى بن طلحة الأشعرىّ المعروف بالقَمِّى[١]:

وللْـكُـرد مـنـك إذا زُرْتَـهُـمْ ... بكَيْـدكَ يَوْمٌ كـيـوم الْجَـمَلْ
ومـازال عـيـسى بن مـوسى له ... مَـوَاهِبُ غَـيْـرُ الـنطاف المُكُلْ[٢]
لسلِّ السيـوف وشَقّ الصُّـفـوف ... لنَقْـضِ التِّـرات وضَـرْبِ الـقُلَلْ
ولُبْسِ العَـجَـاجـة والخـافـقـاتُ ... تُـريـكَ المـنـا بـرءوس الأَسَـلْ
وقـد كَـشَـرَتْ عن شَـبَـا نَابِهـا ... عـروسُ المنيَـة بين الشُّـعَل
وجَـاءَتْ تهَـادَى وأبنـاؤها ... كـأنَّ عليـهم شُـروقَ الـطَّفَلْ
خَـروسٌ نَطوقٌ إذا اسْـتُنْطقتْ ... جَـهـولٌ تَطيشُ عـلى مَنْ جَـهِل
إذا خُطبـتْ أخـذتْ مَـهْـرَهَا ... رُءوسًـا تَـحَـادَرُ قـبل الـنَّفَلْ
أَلذُّ إليْـه من المسْـمـعـات ... وحَثِّ الـكؤُوسَـة فى يـوم طَلْ
وشُـرْبِ المدامِ ومَـنْ يَشْـتَـهـيـه ... مُـعـاط لـه بمزاج القُـبَل
بعثنا النَّـواعج تحت الرِّحـال ... تَسَـافَـهُ أشْـداقُـهـا فى الجُـدُلُ
إذَا مَـا حُـدين بمدْحِ الأَمـيـرِ ... سَـبقْنَ لِحَـاظَ المُحثِّ[٣] الْعَـجِلْ

قـوله: « تريك المنـا». يريد المنايـا، وهذه كلمـة تَخفُّ علـى ألسنتـهم فيحـذفونها، وزعم الأصمعى أنه سمـع العرب تقول: دَرَسَ المَنا، يريدون المنازل، وجاء فى التخـفيف أعجبُ من هذا. حدثنا بعض أصحابنا عن الأصـمعىّ وذكره سيبويه فى كـتابه ولم يذكر قائله، ولكن الأصمعىّ قال: كَان أَخَـوان متجاوران لا يكلِّم كل واحد منهما صـاحبه سائر سنته حتى يأتىَ وقت الرعى، فيـقول أحدهما لصاحبـه: ألا تا؟ فيقول الآخـر: بلى فا، يريد: ألا تنهض؟ فيقـول الآخر، بلى فانهض. وحكى سيبويه فى هذا الباب:

(١) زيادات ر: « منسوب إلى قمة وهى بلدة أو قرية من خراسان».
(٢) المكل: جمع مكول، وهى البئر.
(٣) زيادات ر: «من كـسـر الميم من حث، ومن ضم الميم جـعله من أحث؛ يقـال: حث وأحث على فـعل وأفعل، لغتان».

بالْخَـيْـرِ خَـيْـرَاتٍ وَإِنْ شَـرًّا فَـا ... وَلاَ أُرِيـدُ الشَّـــــرَّ إلاَّ أَنْ تَـا

يريد: وإن شرا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد[1].

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء، فـإنه يقال: إن اللسان إذا كثرت حركته، رقَّتْ عَذَبَتُهُ.

وحدثني أبو عـثمان الجاحظ قال: قـال لى محمد بن الجَـهْم: لما كانت أيامُ الزُّطِّ أدْمَنْتُ الفِكْرَ، وأمسكت عن القول، فأصابتنى حُبْسَة فى لسانى.

وقال رجل من الأعراب يذكر آخرَ منهم:

كَـأنَّ فِـيـهِ لَفَـفًـا إذَا نَطَق ... مِنْ طُولِ تحْـبِـيسٍ وَهَمٍّ وَأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفوان: إنك لتُكثِرُ، فقال أُكْثِر لضربين: أحدهما فيما لا تُغْنِى فيه القلَّة، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العُقْلَة.

وكـان خالد يقـول: لا تكون بليـغًا حـتى تُكلِّمَ أَمَـتَكَ السـوداء فى الليلة الظلماء، فى الحاجـة المهمَّة، بما تتكلم به فى نادى قومك، فإنما اللسـان عُضْوٌ إذا مَرَّنْتَهُ مَرِنَ، وإذا أهملتـه خارَ، كَاليد التى تُخَشِّنُهَا بالممـارسة، والبدن الذى تُقَوِيه برفع الحَجَرِ وما أشبهه، والرِّجْل إذا عُوِّدَتِ المشى مشت.

وقال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: لاتزالون أصِحَّاء مـا نزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ. فنزعتم فى القسِىِّ، ونزوتم على ظهور الخيل.

وقال بعض الحـكماء: لا ينبغـى للعاقل أن يُخْلِيَ نفـسه من ثلاث فى غـير إفراط: الأكل، والمشى، والجماع، فأما الأكل فإن الأَمْعاء تضيق لتركه، وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصل - فيمـا ذكروا - بين خمس عشرة من يوم وليلة، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبِرٍ لِيَفْتُقَ أمعاءه. قال أبو العباس: قال الأوّل: والمشى إن لم تتعهده أوْشَكْتَ أنْ تطلبَهُ فـلا تجده، والجماعُ كـالبئر إن نُزِحَتْ جَمَّت، وإن تُرِكْت تَـحيَّر ماؤها، وحقٌّ هذا كله القصد.

وقوله:

* كَأَنَّ عَلَيْهِم شُرُوقَ الطَّفَل *

---

(١) زيادات ر: قال ش: قول أبى العباس: «إلا أن تريد» إنما هو إلا أن تشاء، ولو كان كما قال أبو العباس: كانت التاء مضمومة».

يريد: تألُّق الحديد، كأنَّه شمس طالعة عليهم، وإن لم تكن شمس، وأحسنُ من هذا قول سَلامة بن جنْدَل:

كَـأنَّ النَعامَ بَـاضَ فوْقَ رُءُوسِـهم   وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الحَـدِيدِ جَوَاحِمُ[1]

فهذا التشبيه المصيب.

وأما قوله:

أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ المسْمِعَات

فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو دُلف العِجْلىّ:

يَوْمَـاىَ يَوْمٌ فى أَوَانسَ كَـالدُّمَى   لهْـوى، ويَوْمٌ فى قِـتَـال الدَّيْلَمِ
هذَا حَـليفُ غَـلائَلٍ مكْسُـوَّةٌ   مـسْكًا وَصَـافِـيَـة كَنَـضْحِ الْعَنْدَمِ
وَلذَاكَ خَـالِصـةُ الدُّرُوعِ وضُـمَّـرٌ   يَكْسُـوننا رَهَجَ الْغُـبَـارِ الأَقْـتَمْ
وَلِيَـوْمِـهِنَّ الفَـضْـلُ لَوْلا لَذَّةٌ   سَـبَـقْت بِـطَعْن الدَّيْلَمِـىِّ المُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح، وهو:

طَوَاهُ الْهَـوَى فَـطَوَى مَنْ عَـدَلْ   وَحَـالَفَ ذَا الـصَّـبْـوَةِ المخْـتَـبَلْ

وأما قوله:

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُل *

فتسافه من السفه، وإنما يصفهـا بالمَرَح، وأنها تميل كذا مرة، وكذا مرة، كما قال رُؤْبَة:

* يَمْشِى العَرَضْنَى فى الحَدِيد المُتْقَنِ *

وكما قال الآخر:

إذَا رَأَى السَّـوْطَ مَـشَى الهَـيْـدَبَى   ويَتَّـقِى الأَرْضَ بِـمُـعْجٍ رِقَـاق[2]

وكما قال الحُطَيْئَة:

وإنْ آنَسَتْ حِساًّ مِـنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ   بِىَ الْجَوْرَ حَتَّى تسْتَـقِيمَ ضُحَى الْغَدِ

---

(١) زيادات ر: «جواحم، أى متقدة».

(٢) زيادات ر: «الهيدبى، بالدال مهملة ومعجمة». وقوله: «بمعج رقاق، يريد قليلة اللحم».

والجُدُلُ: جمع جَدِيلٍ وهو الزمامُ المجدول، كما تقول: قتيل ومقتول، وأدنى العدد أجْدِلَة، كقولك: قضيب وقُضُب وأقضبة، وكذلك كَثيب ورَغيفٌ وجَريبٌ، وفُعْلانٌ كفُعُلٍ فى الكثير، يقال قُضْبان ورُغْفَان وجُرْبان، ومثل قوله:

* تَسافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُل *

قول حبيب بن أوْسٍ الطائى:

سَفِيهُ الرُّمْحِ جَاهِلُهُ إذَا مَا ... بَدا فَضْلُ السفيه عَلَى الحَلِيمِ

[لإسحاق أيضًا يمدح الحسن بن سهل]

ومما يُسْتحسن من شعر إسحاق هذا قوله للحسن بن سَهْلٍ:

بَابُ الأَمِيرِ عَرَاءٌ مَا به أَحَدٌ ... إلاَّ امْرُؤٌ وَاضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قَالَتْ وقَدْ أَمَّلْت مَا كُنْتُ آمُلُهُ ... هذَا الأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ الْيَمَنِ
كَفَيْتُكَ النَّاسَ لاَ تَلْقَى أَخَا طَلَب ... بفَيْءِ دَارِكَ يَسْتَعْدِى عَلَى الزَّمَنِ
إنَّ الرَّجَاءَ الَّذى قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ ... وَضَعْتُهُ ورَجَاءَ النَّاسِ فى كَفَنِ
فى اللهِ مِنْهُ وَجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ ... لَيْسَ السَّدَى والنَّدَى فى رَاحَةِ الْحَسَنِ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ ... أَمْضَى منَ الأَجَلِ الْمُتَاحْ
وكأنما ذر الهبَا ... ءَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَاحْ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية:

النَّحْوُ يَبْسُطُ منَ لسان الأَلْكَنِ ... وَالمرْءِ تُكْرِمُهُ إذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس: وأحسبه أخذ قوله:

* وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذَا لمَ يَلْحَنِ *

من حديث حَدَّثَنَاه أبو عثمان الخُزاعىُّ عن الأصمعى قال: كان يقال: ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هم، وهم: رجلٌ رأيته راكبًا، أو سمعته يُعْرِب،

أو شَممْتَ منه طيبًا. وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ، وهم: رجل شَممْتَ منه رائحةَ نَبيذ فى مَحْفلٍ، أو سمعته فى مِصرٍ عَربِيٍ يتكلم بالفارسية، أو رجلٌ رأيته على ظَهر طريق ينازعُ فى القَدَرِ.

[لشاعر فى عبد الله بن طاهر]

قال أبو العباس: أنشدنى أحد الأمراء لشاعر من أهل الرَّيِّ يُكنى أبا يزيدَ شيئًا يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصَّ، وقَصَدَ بالمدح إلى مَعْدِنه، واختاره لأهله:

اشْرَبْ هَنيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ... فى شَاذَ مِهْرَ وَدَعْ غُمْدَانَ لِلْيَمنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ المُلْكِ تَلْبَسُهُ ... مِنْ هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ وَابْنِ ذِى يَزَنِ

فَأَحْسَنَ الترتيب جداًّ، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر. وإنما ذكر ابنَ ذى يَزَن لقول أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ الثَّقفىِّ حيث يقول:

اشْرَبْ هَنيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ... فى رَأْسِ غُمْدانَ دَارًا منك مِحْلاَلاَ

وقال الأَعْشَى فى هَوْذَةَ بن على، وإن لم يكن هَوْذَةَ مَلكا:

منْ يرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِب ... إذَا تَعمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بالْيَاقُوتِ فَصَّلَهَا ... صوَّاغُهَا لا تَرَى عيبًا وَلا طَبَعًا

قال أبو العباس: وحدثنى التَّوَّزىّ قال: سمعت أبا عبيدة يقول عن أبى عمرو، قال: لَمْ يُتتوَّجْ مَعدِّىٌّ قط، وإنما كانت التيجان لليمن، فسألته عن هَوْذَةَ ابن على الحنفى، فقال: إنما كانت خرزات تُنْظم له.

قال أبو العباس: وقد كتب رسول الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن علىّ يدعوه كما كتب إلى الملوك، وكان يُجيزُ لَطيمةَ كسْرَى فى البرِّ بِجَنَبَاتِ اليمامة. واللَّطيمة: الإبل تَحْملُ الطيبَ والبَزَّ. ووفدَ هَوْذَةُ بن علىٍّ على كِسْرَى بهذا السبب فسأله عن بَنيه، فذكر منهم عَدَدا فقال: أيهم أحبُّ إليك؟ فقال: الصغير حتى يَكْبُرَ، والغَائبُ حتى يَقدُمَ، والمريضُ حتى يَصحّ. فقال له كسْرَى: ما غذاؤُكَ فى بلدك؟ فقال: الخُبْزُ، فقال كسْرَى لجلسائه: هذا عَقْلُ الخُبْزِ، يُفضِّله على عقول أهل البوادى الذين يَغْتذونَ اللبن والتمر.

وقد رُوى عن النبى ﷺ أنه قال: لَقَدْ هَمَمْتُ ألا أقْبَلَ هَدِيَّةً - ويروى: أن لا أتَّهِبَ هِبَةً - إلا من قُرَشىٍّ أو أنصارىٍّ أو ثَقَفىٍّ. وروى بعضهم: أو دَوْسىٍّ؛ وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فمنَّ بها، فذكر رسول الله ﷺ أهلَ الأمصار تفضيلا على أهل البوادى.

[لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة]

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة يعاتب رجلا من الأشراف:

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ ... فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِى ... كَأَنَّ إخَاءَهُ الآلُ السَّرَابُ
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فى قِدْرِ قَوْمٍ ... وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَائِى مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ ... بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ

وقال أيضًا:

كُنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانَ أَوَّلُنَا ... لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالعَلا خُلِقُوا
كَانُوا جِبَالاً عِزًّا يُلاَذُ بِهَا ... وَرَائِحَاتٍ بِالْوَبْلِ تَنْبَعِقُ(١)
كَانُوا بِهِمْ تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَى الْـ ... أَرْضِ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الأُفُقُ
لاَ يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ إِنْ فَتَقُوا ... فَتْقًا وَلاَ يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا
لَيْسُوا كَمَعْزَى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ ... فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَثَقُ(٢)
وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ ... تَنُوبُهُمْ وَالْحِذَارُ وَالْفَرَقُ
هذا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ ... ظَهْرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ
الأَسْدُ فِيهِ عَلَى بَرَاثِنِهَا ... مُسْتَأْخِرَاتٌ تَكَادُ تَمَّزِقُ

وكان سبب قوله هذا الشعرَ أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بنِ العباس كان له صديقًا، وكان عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة من رؤساء مَنْ أخذ الْبَصْرَةَ للمأمون فى أيام الْمخلوع، وكان معاضدًا لطاهر بن الحسين فى حروبه، وكان إسماعيل بن جعفر جليلَ القدر، مطاعا فى مَوَالِيهِ وأهلِهِ،

(١) الرائحات: السحب، وتنبعق: تتخرق فينزل منها الماء.
(٢) اللثق: البلل.

وكانت الحال بينهما ألطفَ حال، فوصله ابن أبى عيينة بذى اليمينين فَوَلاه البصرة، وولّى ابن أبى عُيَيْنَة اليمامةَ والْبَحْرَيْنِ وَغَوصَ البحرِ فلما رجعا إلى البصرة تَنَكَّر إسماعيلُ لابن أبى عُيَيْنَة، فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة، ثم عُزِلَ ابن أبى عُيَيْنَة، فلم يزل يهجو إسماعيل، وسأل ذا اليمينين عزله، فدافعه وضن بالرجل، فكان يهجو منْ أهله مَنْ يُوَاصِلُ إسماعيلَ، وكان أكْبَر أهله قدرًا فى ذلك الوقت يزيدُ بن الْمُنْجَاب، وكان أعور قائم العين لم يُطَّلَعْ على علَّته إلا بشعر ابن أبى عُيَيْنَة، وكان منهم. وكان سيِّدَ أهل البصرة أجمعين محمدُ بنَ عَبَّادِ بن حبيب بن المهلَّب، ومنهم سعيد بن المهَلَّب بن المغيرة بن حرب ابن محمد بن المهلب بن أبى صُفْرَة، وكان قصيرًا، وكان ابن عَبَّاد أَحْوَلَ، فذلك حيث يقول ابن أبى عُيَيْنَة فى هذا الشعر الذى أمْلَيناه:

تَسْتَقْدمُ النَّعْجتَان والبَرقُ[1] ... فى زمن سَرْوُ أهله المَلَقُ
عُورٌ وَحُولٌ وثَالثٌ لَهُمُ ... كَأَنَّهُ بَينَ أَسْطرَ لَحَقُ[2]

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم، وقد مروا به يريدون إسماعيل بن جعفر:

أَلاَ قُلْ لِرَهْط خَمْسَة أَوْ ثَلاَثَة ... يُعَدُّونَ منْ أَبْنَاء آل المهَلَّب
عَلَى بَابِ إسْمَاعيل رُوحُوا وبَكِّرُوا ... دَجَاجَ الْقُرَى مَبْثُوثَة حَوْلَ ثَعْلَب
وَأَثْنُوا عَليه بالجَميل فَإنَّهُ ... يُسرُّ لكم حُبًّا هُوَ الْحُبُّ وَاقْلب
يلينُ لَكم عنْدَ اللِّقَاء مُوَارِبًا ... وَيَخْلُفُكُمْ منْهُ بنَاب وَمخْلَب
وَلولا الَذى تُولُونَهُ لتَكَشَّفَتْ ... سَريرتُهُ عَنْ بُغْضَة وَتَعَصُّب
أَبَعْدَ بَلاَئى عنْدَهُ إذ وَجَدْتُهُ ... طَرِيحًا كَنَصْلِ الْقدحِ لَمَّا يُرَكَّب
به صَدَأٌ قَدْ عَابَهُ فَجَلوتُهُ ... بكَفِّيَ حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكب
وَرَكَّبْتُهُ فى خُوط نَبع ورشْتُهُ ... بقَادمَتَى نَسْر ومَتْن مُعَقَّب[3]
فَما إنْ أتَانِى منْهُ إلاَّ مُبَوَّأً ... إلَيَّ بنَصْلِ كَالْحَريقِ مُذَرَّب

---

(١) البرق: الخروف والجمع أبراق.
(٢) اللحق: اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه.
(٣) الخوط: الغض الناعم. راشه: ألزق فيه الريش. والمتن: الوتر.

فــفلَّلْـتُ منْهُ حَــدَّهُ وتَرَكْــتُــهُ كَــهُدْبَة ثوب الْخَــزِّ لَمَّا يُهــدَّب[1]
رَضِـيتُــمْ بِأَخْلاَقِ الدَّنِىِّ وَعِـفْـتُمُ خَــلاَئِقَ مَاضِـيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالأَبِ

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين:

مَــالِي رَأَيْتُـكَ تُدْنِى كُلَّ مُنْتَكِث إِذَا تَغـيَّبَ مُلْتَـاث إِذَا حَـضَـرَا[2]
إِذَا تنَسَّـمَ رِيحَ الْغَــدْرِ قَــابَلَهَــا حَــتَّى إِذَا نَفَـخَتْ فِى أَنْفِـه غَـدَرَا
وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التّـقْرِيب منك لهُ وأَنْتَ تَعْـرِفُ فيه الْـمَيلَ وَالصَّـعرَا
أَحلَّـكَ اللّهُ مِنْ قَــحْطَانَ مَنْـزِلَةً فِى الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصرَا
فَلاَ تُضِعْ حَقَّ قَـحْطَان فتُـغْضِبَـهَا وَلاَ رَبِيـعَـةَ كَــلاَّ لاَ وَلاَ مُـضَــرَا
أَعْطِ الرجالَ عَلَى مِـقْدَارِ أَنْفُـسِهِم وَأَوْلِ كُــلاًّ بِمَـا أَوْلَى ومَـا صَـبَـرَا
وَلاَ تقُــولَنّ إِنِّى لَسْتُ مِنْ أَحَــدٍ لاَ تَمْحَقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّـمْسَ وَالْقَمرَا

ويقول له فى أخرى:

هُوَ الصَّـبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لله وَالرِّضَـا إِذَا نَزَلَتْ بِـى خُطَّةٌ لاَ أَشَـــاؤُهَا
إِذَا نحْـنُ أُبْنَـا سَــالِمِين بِأَنْـفس كِرَامٍ رَجَتْ أَمْـرًا فَخَـابَ رَجَاؤُهَا
فَـأَنْفُـسُنَا خَـيْـرُ الْـغَنِيـمَـةِ إِنَّهَـا تَؤُوبُ وَفِـيـهَا مَـاؤُهَا وَحَـيَـاؤُهَا
هى الأَنْفسُ الكُبْرُ الَّتى إِنْ تقَدَّمَتْ أَو استَأْخَرَتْ فَالْقَتلُ بالسَّيْف داؤهَا
سَـيَـعْلَمُ إِسْمَـاعِـيلُ أَنَّ عَـدَاوتِى له رِيقُ أَفْـعَـى لاَ يُصَـابُ دَوَاؤُهَا

ولما حُملَ إسماعيل مُقَيَّدًا ومعـه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه، وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لإسماعيل أيامَ الخُضْرَة[3] فقال ابن أبى عُيَيْنَة فى ذلك:

مَــرَّ إِسْــمَــاعِــيلُ وَابنَا هُ مَــعًــا فِى الأَسَــرَاء
جَـالسًــا فى مَــحْـمِـلٍ ضَنْـ ـكٍ عَـلَى غَــيْــرِ وطَـاء
يَتَــغَـنَّى الْقَــيْــدُ فِـى رِجْـ ـلَـيْـــهِ أَلْـوَانَ الْـغِنَـاء

(١) يهدب: يقطع.
(٢) المنتكث: الهزيل، والملتاث: البطىء.
(٣) قال المرصفى: «أيام الخضرة هى الأيام التى أمر المأمون فى جنده وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد، وأن تلبس الخضرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل على بن موسى بن جعفر ولى عهد المسلمين من بعده وسماه الرضا». رغبة الآمل ٤ : ١٤١.

بَاكِــــيًـــا لاَرَقَـــأَتْ عَــــيْـــــنَاهُ مِــنْ طُــول الــبُـكَـــاء
يَا عُـــقَـــابَ الدَّجْنِ فــى الأَمْـــنِ وَفِــى الخَــوف ابنُ مَـــاءِ(١)

وقد كان تطيّر عليه بمثل ما نزل به، فمن ذلك قوله:

لاَ تَعْــدَم الْعَــزْلَ يَا أَبا الحَــسَنِ وَلاَ هُزالاً فــى دَوْلَة الــسِّـــمَنِ
وَلاَ انتـــقَــالا منْ دَار عَــافــيَـــة إلىَ ديَــار الْبَــــلاَءِ وَالْـفــتَنِ
وَلا خُــرُوجًــا إلَى القِــفَــار مِنَ الْـــأَرْضِ وَتَرْكَ الأَحْـبَـــاب وَالْوَطَنِ
كَمْ رَوْحَــة فِــيكَ لِى مُــهَــجِّــرَة وَدُلْجَـــة فى بَقِـــيَّـــة الْـوَسَنِ
فى الْحَرِّ وَالْقُــرِّ كَى تُوَلَّى عَلى الْـــبَـصْـرَة عَــيْنِ الأَمْـصَـار وَالْمُدُن
إنِّى أُحَـــاجِــيكَ يَــا أَبَا حَــسَنٍ مَـا صُــورَةٌ صُــوِّرَتْ فَـلمْ تكُن؟
وَمَــا بَــهِىٌّ فى الْعَــــيْنِ مَنْظَرُهُ لَــوْ وَزَنُــوهُ بالــزِّفِّ لَـم يَــزِن؟(٢)
ظَــاهِــرُهُ رَائِـــعٌ وبَـــاطِــنُـــهُ مَـــلآنُ منْ سَـــوْءَة ومِنْ درَن(٣)

وهذا الشعر اعتـرض له فيه عمرو بن زَعْبَل، مـولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان منقطعًا إلى إسماعيل وولده، وكان لاَ يَبْلُغُ ابن أبى عُيَيْنَة فى الشعر ولا يدانيه، ومن أَمْثَل شعره وما اعْتَرَض له به قوله:

إنى أُحــاَجِيكَ مَــا حَنِيفٌ عَلى الْـــفِــطْرَة بَــاعَ الرَّبَــاحَ بِالْغَــــبَنِ
وَمَــا شُــيَــيْخٌ منْ تحَت ســدْرَته مُـــعَلَّقٌ نَــعْلَهُ عَــلى غُـــصُن؟
وَمَــا سُـيُــوفٌ جُــمْــرٌ مُــصَــقَّلَةٌ قَدْ عُرِّيَتْ منْ مَـقَابِضِ السَّفَن؟(٤)
وَمَــا سِــهَــامٌ صُــفْــرٌ مُــجَــوَّفَــةٌ تُحْـشَى خُيُــوطَ الْكَتَّــانِ والقُطُن؟
وَمَا ابنُ مَاء إنْ يُـخْرجُوهُ إلى الأَرْ ضِ تَسـلْ نَفْـــسُـــهُ مِنْ الأُذُن؟
وَمَـــا عــــقَــابٌ زَوْرَاء تُلْـجَمُ مِنْ خَلف فَتَهوى قَصْدًا عَلى سَنَن؟(٥)
لَهَـــا جَنَاحَـــان يَحْــفــزان بهــا نيطَــاً إلَيْـــهَـــا بجـــذْوَتَى وَسَن
يَا ذَا الْيَـمِينَين اضْـرب علاَوَتَهُ(٦) يُدْفعْ وَمَــانِى فى النَّارِ فى قَــرَن(٧)

---

(١) طائر بألف الماء.
(٢) الزف: ريش النعام.
(٣) الدرن هنا: الدنس.
(٤) السفن بالتحريك: جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف.
(٥) زيادات ر: «قيل السفينة، وقيل الراية، وهو أصح؛ لأن جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام».
(٦) العلاوة: الرأس.
(٧) زيادات ر: قوله: «ومانى فى النار فى قرن» مانى: اسم علم، وكان رأسًا من رءوس الزنادقة».

فأجابه إبراهيم السَّواقُ مولى آلِ المُهَلَّبِ - وكان مُـقَدَّمًا فى الشعر - بأبيات لا أحفظ أكثرها، منها:

قَـدْ قِيـلَ مَا قِـيلَ فى أَبى حَـسَنِ فَـــانْتَـــحِـــروا فى تَطـاُولِ الزَّمَنِ

وهذا السَّواق هو الذى يقول لـبُسْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبـيصة بن المُهَلَّب:

سَـــمَـــاؤُكَ تُـمطرُ الـذَّهَبَـــا وَحَـــربُـكَ تَلتَـظى لَهَـــبَـــا
وأَىُّ كَـــتِـــيـــبَـــةٍ لاَقْـــتَـ ـكَ لَمْ تَـسْـتَـحْـسِـنِ الهـــرَبَا

ومن شعره السائر:

هَبِـــينـــى يَا مُـــعَـــذِّبَتى أَسَـــأْتُ وَبِالْهَـــجْـــرَانِ قَـــبْلَكُـم بَدَأْتُ
فَـأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْـكِ فَدَتْكِ نَفْـسِى عَلَىَّ إِذَا أَسَـــأْتِ كَـمَـــا أَسَـأْتُ!

ولابن أبى عُيَيْنَة فى هذا المعنى أشعار كثيرة فى معاتبات ذى اليمينين وهجاء إسماعيل وغيره، سنذكرها بعدُ فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن شعره المستحسَن قوله فى عـيسى بن سليمان بن علـى بن عبد الله بن العباس، وكانَ تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص هزَارَ مَرْد[1]، وهو من ولد قَبيصةَ بن أبى صفْرَةَ، ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ، وكان يقال لأبى صُفْرَةَ ظالم ابن سرَّاق:

أَفَاطم قَـدْ زُوِّجْت عيسَـى فأَيْقنى بذُلٍّ لَدَيْـه عَـاجلٍ غَـيْـرِ آجلِ
فإِنَّـكِ قَدْ زُوِّجْت عَنْ غَـيْر خـبْرَةٍ فَتًى منْ بَـنى الْعَبَّاس لَيْـسَ بعَاقِلِ
فَـإِنْ قُـلْت منْ رَهْط النَّبِىِّ فَـإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
فـقَـدْ ظَفَـرَتْ كَـفَّـاهُ منْك بِطَائلٍ ومَـا ظَفـرَتْ كَـفَّـاك مـنْهُ بطَائِلِ
وَقَـدْ قَالَ فـيه جَـعْـفَرٌ ومُـحَمَّـدٌ أَقَـاوِيلَ حَـتَّى قَـالَـهَـا كُلُّ قَـائلِ
ومَـا قُلْتُ مَـا قَـالاَ لأَنَّك أُخْـتُنَا وفى السِّـرِّ منَّا وَالذُّرَا والْـكوَاهِلِ
لَعَـمْـرِى لَقَـدْ أَثْبَـتِّـه فى نصَـابه بأَنْ صرت منْهُ فى مَـحَلِّ الْحَلائلِ
إِذَا مـا بَنُو الْعَـبَّاسِ يَوْمًـا تَبَـادَرُوا عُرَا المَجْـدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَـضَائِلِ

(١) زيادات ر: وقعت الرواية كما فى الأصل، وصوابه: «هزاذ مـرد» بالزاى والذال معجمة، ولا خلاف فى الزاى».

رَأَيْت أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بنَفْسِه إلى بَيْعِ بَيَّاحَاته وَالْمَبَاقِلِ[1]
يُرَخِّمُ بَيْضَ العَامِ تحْتَ دَجَاجِه لِيُخْرِجَ بَيْضًا مِنْ فَرَارِيج قَابِلِ

قال أبو الْعَبَّاسِ: وَوَلَدُ عِيسَى من فاطمة هذه لَهمْ شجاعةٌ وَنَجْدَةٌ وشدة أبدان، وفاطمة التي ذكرتها هي التي كان يَنْسِبُ بها أبو عُيَيْنَة أخو عبد الله ويكْنِى عنها «بدُنْيَا»، ومن ذلك قوله لها:

دَعَوْتُك بالْقَرَابَة وَالْجِوَارِ دُعَاءَ مُصَرِّحٍ بَادِى السِّرَارِ
لأَنِّى عَنْك مُشْتَغِلٌ بنفْسِى وَمُحْتَرِقٌ عَلَيْك بغَيْرِ نَارِ
وَأَنْت تَوَقَّرِينَ وَلَيْس عِندى عَلَى نَارِ الصَّبَابَة مِنْ وَقَارِ
فَأَنْت لأَنَّ مَا بك دُونَ مَا بى تُدَارِينَ الْعُيُونَ ولاَ أُدَارى
ولَوْ وَالله تَشْتَاقِينَ شَوْقِى جَمَحْتِ إلىَّ خَالِعَةَ الْعِذَارِ

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى الأَمِيرَ رِسَالة مَحْصُورَةً عِنْدى عَنِ الإنشَادِ
كُلُّ الْمَصَائب قَدْ تَمُرُّ عَلى الْفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَة الْحُسَّادِ
وَأَظُنُّ لِى منهَا لَديْكَ خَبِيئَةً سَتكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالى أَرَى أَمْرِى لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثِقْله طَوْدٌ مِنَ الأَطْوَادِ!
وَأَرَاكَ تُرْجِيهِ وتُمْضى غَيْرَهُ فى سَاعَةِ الإصْدَارِ وَالإيرَادِ
اللهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائرًا مِنْ ضِيق ذَات يَدٍ وَضِيق بلادِ
لكنْ أَتَيْتُكَ زَائرًا لَكَ رَاجِيًا بكَ رُتْبَةَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ
قَدْ كَانَ لى بالْمِصْرِ يَوْمٌ جَامِعٌ لَكَ مُصْلحٌ فيه لكلِّ فَسَادِ
وَدَعَوْتُ مَنْصُورًا فَأَعْلَنَ بَيْعَةً فى جَمْعِ أَهْلِ المِصْرِ وَالأَجنَادِ
بَارتْ مُسَارَعَتى إلَيْك بطَاعَتى كُلَّ البَوَارِ وَآذَنَتْ بكَسَادِ
فى الأَرْضِ مُنْفَسَحٌ وَرِزْقٌ وَاسِعٌ لِى عَنْكَ فى غَوْرِى وفى إنْجَادِى

وقال أيضًا يعاتبه:

أَيَاذَا الْيَمِينَيْنِ إنَّ العِتَا بَ يُغْرِى صُدُورًا وَيَشْفى صُدُورا
وَكنتَ أَرَى أنَّ تَرْكَ الْعِتَا بِ خَيْرٌ وَأجْدَرُ ألا يَضِيرا

(١) البياحة: شبكة تحبس البياح، وهو نوع من السمك، والمباقل: مواضع بيع البقل.

إلى أنْ ظَنَنْتُ بأَنْ قَدْ ظَنَنْتَ ... بأَنِّي لنَفْسِيَ أرْضَى الْحَقِيرَا
فأضْمَرَتِ النَّفْسُ فِي وَهْمِهَا ... مِنَ الْهَمِّ هَمًّا يَكُدُّ الضَّمِيرَا
وَلاَبُدَّ للْمَاءِ فِي مِرْجَلٍ ... عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَفُورَا
وَمَنْ أُشْرِبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَنِيَّ ... وَمَنْ أُشْرِبَ الْحِرصَ كَانَ الْفَقِيرَا
عَلاَمَ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِي ... لَدَيْكَ وَنَصْرِي لَكَ الدَّهْرَ بُورَا
أَلَمْ أَكُ بالمصْرِ أَدْعُو الْبَعِيدَ ... إِلَيْكَ وأَدْعُو الْقَرِيبَ الْعَشِيرَا
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتَاكَ ... بِطَاعَةِ مَنْ كَانَ خَلْفِي بَشِيرَا
وَأَلْزَمُ غَرْزَكَ فِي مَأْقِطِ الْـ ... ـحُرُوبِ عَلَيْهَا مُقِيمًا صَبُورَا(١)
فَفِيمَ تُقَدِّمُ جُفَّالَةً ... إِلَيْكَ أَمَامِي وأُدْعَى أخِيرَا(٢)
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى الْـ ... ـحَمِيَّ إِذَا زَارَ يَوْمًا أَمِيرَا
فَقَدَّمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ ... أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيرًا!
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ ... بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَزُورَا
وَلَسْتُ ضَعِيفَ الْهَوَى وَالْمَدَى ... أَكُونُ الصَّبَا وأَكُونُ الدَّبُورَا
وَلكِنْ شِهَابٌ فَإِنْ تَرْمِ بِي ... مُهِمًّا تَجِدْ كَوْكَبِي مُسْتَنِيرَا
فَهَلْ لَكَ فِي الإِذْنِ لِي رَاضِيًا ... فَإِنِّيَ أَرَى الإِذْنَ غُنْمًا كَبِيرَا
وَكَانَ لَكَ اللهُ فِيمَا ابْتَعَثْتَ ... لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَصْرٍ نَصِيرَا
وَلاَ جَعَلَ اللهُ فِي دَوْلَةٍ ... سَبَقْتَ إِلَيْهَا وَرِيحٍ فُتُورَا
فَإِنَّ وَرَائِيَ لِي مَذْهَبًا ... بَعِيدًا مِنَ الأَرْضِ قَاعًا وَقُورَا(٣)
بِهِ الضَّبُّ تَحْسَبُهُ بِالْفَلاَةِ ... إِذَا خَفَقَ الآلُ فِيهَا بَعِيرَا
وَمَالاً وَمِصْرًا على أَهْلِهِ ... يَدُ اللهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
وَإِنِّي لَمِنْ خَيْرِ سُكَّانِهِ ... وَأَكْثَرِهِمْ بِنَفِيرِي نَفِيرَا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وكان دعاه إلى نُصْرَتِه حين ظهرت المُبَيِّضَة(٤) فلم يُجبه، فتوعّده علىٌّ، فقال عبد الله:

---

(١) الغرز: مساك رجل الراكب. والمأقط: المضيق فى الحرب. (٢) الجفالة: كثير الجفول.
(٣) القاع: الأرض المستوية لا نبات فيها. والقور: جمع قارة، وهى قمة الجبل.
(٤) قال المرصفى: «المبيضة قوم من أعداء الدولة العباسية، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بنى العباس من لبس السواد».

أَعلىٌّ إنَّــكَ جَــاهلٌ مَـــغْــرُورُ ... لاَ ظُلْمَــةٌ لَــكَ، لاَ ولاَ لَكَ نُورُ
أَكَـتَـبْتَ توعـدُنى إذ اسْـتَـبْطَأْتَنى ... إنِّى بَحـرْبِكَ مَـا حَـيِيتُ جَـدِيرُ
فَدَعِ الْوَعِـيدَ فَمَا وَعِيـدُكَ ضَائرى ... أَطَنِينُ أَجْنِحَـةِ الْبَـعُـوضِ يَضِـيـرُ
وإذَا ارْتحَلْتُ فَـإِنَّ نَـصْـرِىَ للأُلَى ... أَبَوَاهُـم المَهْـدِىُّ والْمَنصُـــورُ
نَبَــتَتْ عَلَيْـهِ لُحُـومُنَا وَدِمَــاؤُنَا ... وَعَلَيْــه قُـدِّرَ سَـعْـيُنَـا المَشْكُورُ

وقال عبـد الله فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيـصة بن المُهَلَّبِ مَنْ قتل بأرض السِّنْد بدم أخيه المُغيرة بن يزيد:

أَفْنَى تَمِـيـمًـا سَـعْـدَهَا وَربَابَهَـا ... بالسِّنْـد قَـتْلُ مُـغِـيـرَةَ بن يزِيدِ
صَعَـقَـتْ عَلَيْهِم صَـعْقَةٌ عَـتَكِيَّةٌ(١) ... جَـعَلَتْ لَهُم يَوْمًـا كَـيَـوْمِ ثَمـودِ
ذَاقَتْ تَمِـيمٌ عَـرْكَـتَيْنِ عَـذَابَنَا ... بالسِّنْد منْ عُـمَـر وَمَنْ دَاوِد
قـدنا الجِـيـاد من العـراق إليـهم ... مِـثْلَ الْقَطَـا مُـسْـتَـنَّةً لِوُرُود(٢)
يحـملن من ولد المهلب عـصـبـة ... خُلِـقَتْ قُلُـوبُهُمُ قُـلُوبَ أَسَــودِ

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطوَّلة:

إذَا كَـرَّ فِـيـهِمْ كَـرَّةً أَفْـرَجُـوا لَهُ ... فِرارَ بُغَـاثِ الْطَّيْرِ صَـادَفْنَ أَجْدَلاَ
وَمَـا نِيلَ إلا مِنْ بَعِـيـدٍ بِحَـاصِبٍ ... مِنْ النَّبْلِ وَالنُّشَّـابِ حَـتَّى تَجَـدَّلاَ
وَإنِّى لَمُــثْنٍ بالَّذِى كَــانَ أَهْلَهُ ... أَبُو حَـاتِمٍ إنْ نَابَ دَهْرٌ فَـأَعْضَـلاَ
فَتًى كَانَ يَسْتَحْيِى مِنَ الذَمِّ أَنْ يَرَى ... لَهُ مَـخْرَجًـا يَوْمًا عَلَيْـه وَمَدْخَـلاَ
وَكَانَ يَظُنُّ المَوْتَ عَـارًا عَلَى الْفَتَى ... يَدِ الدَّهْرِ إلا أَنْ يُصَـابَ فَـيُـقْتَـلاَ
مَـنِيَّــةُ أَبْـنَاءِ المُـهَلَّـبِ إنَّهُـمْ ... يَرَوْنَ بهَـا حَتْـمًـا كِتَـابًا مُـعَجـلاَ
وَقَـدْ أَطْلَقَ اللهُ اللِّسَـانَ بِقَـتْلِ مَنْ ... قَـتَلْنَا به مِنْـهُمْ وَمَنَّ وَأَفْـضَـلاَ
أَنَاخَ بِـهِمْ دَاوُدُ يَـصْــرِفُ نَـابُهُ ... وَيُلْقِى عَـلَيْـهِمْ كَلْكَلاً ثُـمَّ كَلْكَلاَ
يُقَـتِّلُهُمْ جُـوعًـا إذَا مَـا تَحَـصَّنُوا ... وَتَقْـرِيهِمْ هُوجُ المَجَـانِيقِ جَنْدَلاَ

وهذا شعر عجيب من شعره.

---

(١) عتكية: منسوبة إلى جده الأكبر عتيك بن الأسد بن عمـران بن عمرو مزيقياء بن ماء السماء. رغبة الآمل ٤ : ١٥١.

(٢) مستنة: مسرعة فى طيرانها.

وفى هذه القصة يقول:

أَبَت إلاَ بُكَاءً وانتحابَا ... وَذكْرًا لِلْمُغيرَة واكْتئابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأنَّ الْقَتْل وردٌ ... لنَا كَالْمَاء حينَ صَفَا وطَابَا
وَقُلْتُ لَهَا: قرى وثقى بقَوْلى ... كَأَنَّك قَدْ قَرَأْت به كتَابَا
فَقَدْ جَاءَ الكتَابُ بِه فَقُولى ... أَلاَ لاَ تَعْدَم الرَّأَى الصَّوَابَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ منَ بغْدَادَ شُعْثًا ... عَوَابس تَحْملُ الأُسْدَ الغضَابَا
بِكُلِّ فَتًى أَغَرَّ مُهَلَّبِيٍّ ... تخَالُ بضَوء صُورَته شهَابَا
وَمنْ قَحْطَانَ كُلَّ أَخى حفَاظ ... إذَا يُدْعَى لنَائبة أَجَابَا
فَمَا بَلَغَتْ قُرَى كرْمَانَ حَتَّى ... تَخَدَّدَ لحَمُهَا عنْهَا فَذَابَا
وَكَانَ لَهُنَّ فى كَرْمَانَ يَوْمٌ ... أَمَرَّ عَلَى الشُّرَاة بهَا الشَّرَابَا(١)
وإنَّا تَاركُونَ غَدًا حَديثًا ... بأَرْض السِّنْد سَعْدًا والربَابا
تُفَاخِرُ بِابْنِ أَحْوزهَا تَميمٌ ... لَقَدْ حَانَ الْمُفَاخرُ لى وَخَابَا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عُيَيْنَة:

أَعَاذلُ صَهْ لَسْتَ منْ شيمَتى ... وَإنْ كنْتَ لى نَاصحًا مُشْفقَا
أَرَاكَ تُفَرِّقُنى دَائبًا ... ومَا يَنْبَغى لىَ أَنْ أَفْرَقَا(٢)
أنَا ابْنُ الَّذى شَادَ لى مَنْصبًا ... وكَانَ السِّمَاكَ إِذَا حَلَّقَا
قَرِيعُ الْعراق وَبطْرِيقُهُمْ ... وعِزُّهُمُ الْمُرْتجى الْمُتَّقَى
فَمَنْ يَسْتَطيعُ إذَا مَا ذَهَبْـ ... ـتَ أَنْطقُ فى المَجْد أَنْ يَنْطقَا
أنَا ابْنُ الْمُهَلَّب مَا فَوقَ ذَا ... لعَال إلَى شَرَف مُرْتَقى
فَدَعْنىَ أُغْلى ثيَابَ الصِّبَا ... بجدَّتهَا قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَا

***

قال أبو الحسن: وهذا شعر حَسَنٌ، أوله:

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَك أَنْ تَعْشَقَا ... وَمَا أَنْتَ وَالْعشْقُ لَوْلاَ الشَّقَا
أمنْ بَعْد شُرْبكَ كَأْسَ النُّهَى ... وَشَمِّكَ رَيْحَانَ أَهْلِ النَّقَا
عَشِقْتَ فَأَصْبَحْتَ فى الْعَاشقيـ ... ـنَ أشْهَرَ منْ فَرَس أبْلَقَا

(١) الشراة: جماعة من الخوارج.

(٢) تفرقنى: تخوفنى.

ثم قال:

* أعاذِلُ صَهْ لَسْت مِنْ شِيمَتى *

ثم قال بعد قوله:

* فَدَعْنى أغْلِى ثِيَابَ الصِّبَا *

أَدُنْيَـاى مِنْ عَـمْـرِ بَحْـرِ الْهَـوَى ... خُـذِى بِيَـدِى قَـبْلَ أَنْ أَغْـرَقَـا
أنا لَكِ عَـبْـدٌ فَكُونِـى كَـمَنْ ... إِذَا سَـرَّهُ عَـبْـدُهُ أَعْـتَـقَـا

قال أبو الحسن: قوله «أنَا لكِ عـبدٌ» فـوصل بالألف، فهذا إنما يجوز فى الضرورة، والألف تَثْبُتُ فى الوقف لبيـان الحركة، فلم يُـحْتَجْ إلى الألف، ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة، كقوله:

فَـإِنْ يَكُ غَـثًّـا أَوْ سَـمِـينًا فَـإِنَّنِى ... سَـأَجْـعَلُ عَيْـنَيْه لِـنَفْسِـهِ مَـقْنَعَـا

لأنه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الـهـاء وَحْدَهـا، فأَجْـرَى الـوصل على الوقف، وأَنشدوا قول الأعشى:

فَكَيْـفَ أنَا وَانْتِـحَـالُ الْقَـوَا ... فِ بَعْـدَ الْمَشِـيبِ كَـفَى ذَاكَ عـارَا

والرواية الجيدة: «فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالُ القَوَافِ بَعْدَ المَشِيبِ»

سَـقَى اللهُ دُنْيَـا عَلَى نَـأْيِهـا ... مِنَ الْقَـطْرِ مُنْبَـعِـقًـا رَيِّقَـا
أَلَمْ أَخـدَعِ الـنَّاسَ عَنْ حُـبِّـهـا ... وَقَـدْ يَخْـدَعُ الْكَـيِّسُ الأَحْـمَـقَـا
بلَـى وَسَـبَـقْـتُـهُمُ إِنَّـنِى ... أُحِبُّ إِلَى الْمَـجْـدِ أَنْ أَسبِـقَـا
وَيَـوْمَ الجِـنَـازَةِ إِذْ أَرْسَـلَـتْ ... على رقـبـةٍ أن جِـئِ الْخَنْدَقَـا
إِلَى السَّـالِ فَـاخْـتَـرْ لَنا مَـجْلسًـا ... قَـرِيبًـا وَإِيَّـاكَ أَنْ تَخْـرُقَـا

ـ هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة، يقولون: «السال» بالتخفيف، وإنما هو السالُّ يا هذا، وجـمعه سُلاَّن، وهو الغالُّ وجمـعه غُلاَّنٌ، وهـو الشَّقُّ الخفىّ فى الوادى ـ

فَكُنَّا كَـغُـصْنَيْنِ مِنْ بَـانَةٍ ... رَطِيـبَـيْنِ حِـدْثَـانَ مَـا أَوْرَقَـا
فـقَـالَتْ لِتِـرْبٍ لَهَـا اسْتَنْشِـدِيـ ... ـهِ مِنْ شِـعْـرِهِ الْحَسَنِ الْمُنْـتَـقَى

فَــقُــلْتُ أُمِــرْتُ بِـكتــمـــــانه وَحُــذِرْتُ إنْ شَـــاع أَنْ يُـسْـــرَقـا
فَـقَـــالَتْ بِعَـــيشِكَ! قُـــولِى لَهُ تَمَـــــتَّـعْ لَعَلَّكَ أَنْ تَـنفـــقَــــا

قــوله: «لعلك أن تنفـقا» اضطرار. وحـقه «لـعلك تَنْفُقُ»؛ لأن «لَعَلَّ» من أخوات إنَّ فأُجْرِيَتْ مُجْرَاها، ومن أتى بأن فلمضارَعـتها عسى، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ:

لَعَـلَّكَ يَوْمًــــا أَنْ تُلِـمَّ مُلِمَّـــــةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّائى يَدَعْـنَكَ أَجْدَعـا

وهو كثير.

***

قال أبو العباس: وزعم أبو مُعاذ النُّمَيْرِىّ أنه كَان يَعْتاد عبدَ الله بن محمد بن أبى عُيَـيْنَة، ويكثر المقامَ عنده، وكَـانَ راويةً لشعره، وأمُّ ابن أبى عُـيَيْنَة بن المهلب يقال لها: خَيْرَة، وهى من بنى سلَمة الخَيْرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْب بن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة، فَأَبْطَأْتُ عليه أياما فكتب إلىَّ:

تَمَــادى فِــي الجَـفَــاءِ أَبُو مُــعَــاذ وَرَاوَغَــنى وَلاذَ بِـلا مَـــــــلاَذَ
وَلَــوْلاَ حَقُّ أَخْــــــوَالِــي قُشَيْرٍ أَتَتْــهُ قَــصَــائدٌ غَـــيْـــرُ اللِّذَاذَ
كَــمـــا رَاحَ الهِـلاَلِيُّ بْـنُ حَرْبٍ بِهِ سِـــمَـــةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَـــاذ[1]

- يعنى محــمد بن حرب بن قَبِـيصة بن مُـخَارِق الهلالىّ، وكان من أَقْـعَدِ الناس.

ولقبِــيصة بن المخارق صــحبة لرسول الله ﷺ، وكــان قد سار إليه فـأكرمه وبَسَطَ له رداءَه وقال: «مـرحبًا بخـالى»! فقــال: يا رَسول الله، رَقَّ جِلْدى، ودَقَّ عَظْمى، وقَلَّ مالى، وهُنْتُ على أهلى! فقــال له رسول الله ﷺ: «لقد أَبْكَيْتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء».

ومحــمدُ بن حَرْبِ هذا وَلِىَ شُرْطَةَ البـصرة سبع مرات، وكَــانَ على شُرْطَة جعفر بن سليــمان على المدينة، وكَانَ كثير الأدب غَزِيرَهُ، فَـأَغْضَبَ ابنَ أبى عُيَيْنَةَ

(١) الحاذ: الظهر.

فى حُكْمٍ جَرَى عليه بحضرة إسحاق بن عيسى - وكان على شرطته إذ ذاك - ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عُيَيْنَة:

بأخْوَالى وَأَعْمَامى أَقَامَتْ قُرَيْشٌ مُلْكها وبهَا تُهَابُ
مَتَى مَا أَدْعُ أَخْوَالى لحَرْبٍ وَأَعْمَامى لنَائبَة أَجابُوا
أَنَا ابْنُ أَبي عُيَيْنَة فَرْعُ قَوْمى وَكَعْبٌ وَالدى وَأَبى كلابُ
خَلاَ ابْنِ عُكَابَةَ الظَّرِبَان سَهلٍ لَهُ فَسْوٌ تُصَادُ به الضِّبَابُ
وآخَر مِنَ هِلاَل قَدْ تَداعَى فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّىْءُ الخَرَابُ

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كَان ابن شُبْرمةَ إذا نزلت به نازلةٌ قال: سَحابة ثم تَنْقَشِعُ.

وكان يقال: أربع من كنوز الجنة: كِتْمانُ المصيبة، وكِتْمانُ الصدقةِ، وكِتْمانُ الفاقةِ، وكِتْمانُ الوجعِ.

قال عمر بن الخطاب رحمه الله: لو كان الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيرَيْن ما باليتُ أيَّهما رَكِبْتُ.

[للعتبى يذكر ابنا له مات]

وقال العُتْبِيُّ محمد بن عبيد الله، يذكر ابنًا له مات:

أَضْحَتْ بِخَدِّى لِلدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِى الْفُؤَادِ كُلومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِى المَصَائِبِ كُلِّهَا ... إلا عَلَيْكَ فَإِنَّه مَذْمُومُ

قال أبو العباس: وأحسب أن حبيبًا الطائى سمع هذا فاسْتَرَقَهُ فى بيتين: أحدهما قوله فى إدريس بن بَدْر الشامى:

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِىَ الْحُزْنِ هُمَّعٌ ... تَوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازمًا ... فَأَصْبَحَ يُدْعَى حازِمًا حِينَ يجزَعِ

والآخر قوله:

قَالُوا الرَّحِيلَ! فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا ... نَفْسِى عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدا ... فِى الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلا

وقال سابقٌ البَرْبَرِىُّ:

وَإِنْ جَاءَ مَا لاَ تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ ... فَلاَ تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللهُ وَاصْبِرَا

وقال آخر أيضًا:

اصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ المَجْلُوب وَارْضَ بِهِ ... وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لاَ تَشْتَهِى الْقَدَرُ
فَمَا صَفَا لامْرِئٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ ... إلا سَيَتْبعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدَرُ

[خالد بن صفوان مع بلال بن أبى بردة]

وكان خالد بن صَفْوان يدخل على بلال بن أبى بُرْدَةَ يحدثه فَيَلْحَن، فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثنى أحاديثَ الخلفاء، وتَلْحَنُ لَحْنَ السَّقَّاءات! قال التَّوَّزى: فكان خالدُ بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الإعْرابَ، وكُفَّ بَصَرُهُ فكان إذا مَرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول: ما هذا؟ فيقال له: الأمير، فيقول خالد:

* سَحَابَةَ صَيْفٍ عَنْ قَليل تَقشَّعُ *

فقيل ذلك لبلال، فأجلسَ معه مَنْ يأتيه بخبره، ثم مَرَّ به بلال، فقال خالد كما كان يقول، فقيل ذلك لبلال، فأقبَلَ على خالد فقال: لا تَقشَّع والله حتى تصيبَك منها بشؤْبوب بَرَدٍ! فضربه مائتى سوط. وقال بعضهم: بل أَمَرَ به فديس بطنُهُ.

قوله: «بشؤبوب»، مهموز، وهو الدُّفْعَة من المطر بشدة، وجمعه شآبيبُ. قال النابغة يخاطب القبيلة:

وَلاَ تُلاَقِى كما لاَقَتْ بَنُو أَسَدٍ ... فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهَا بشُؤْبُوبِ

يريد ما نال بنى أسد من غارة النعمان عليهم، وضرب الشؤبوب مثلا للغارة، والغارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلا، كما يقال شَنَّ عليهم الغارةَ، أى صبَّها عليهم، قال ابن هَرْمَة:

كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَأْتُ لَبَّتَهَا ... بِمُسْتَهِلِّ الشُؤْبُوبِ أَوْ جَمَلِ

يريد ما وَجَأَها به من حديدة، يقول: لما وَجَأْتُها دَفَعَتْ بشؤبوب من الدم، فكأنه قال: «بسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشُؤْبُوبِ»، أو ما أشبه بذلك.

[خالد بن صفوان وسليمان بن على]

وكان خالد بن صَفْوان أحدَ مَنْ إذا عَرَضَ له القولُ قال، فيقال: إن سليمان ابن علىّ سأله عن ابْنَيْه جعفر ومحمدٍ، فقال: كيف إحْمادُك جوارَهما يا أبا صفوان؟ فقال:

أَبُو مَالكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ ... فَيَالَكَ جَارَى ذِلَّةٍ وَصَغَارِ!

* * *

ش: قوله: أبو مـالك، صوابه «أبو نافع» وهو مَوْلَى لعبـد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

* * *

فأَعْـرَضَ عنه سُليمانُ، وكـان سُليمانُ من أَحْلَمِ الناسِ وأكـرمِهم، وهو فى الوقت الذى أَعْرَضَ فيه عنه والِى البَصْرَةِ وعَمُّ الخليفة المنصور، والشعر الذى تَمَثَّلَ به خالد ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيرى، قال:

سَقَى اللهُ دَارًا لِى وَأَرْضًـا تَرَكْتُـهَا ... إِلَى جَنْبِ دَارَى مَـعْـقِلِ بْنِ يَسَـارِ
أَبُو مَـالِكٍ جَـارٌ لَـهَـا وَابْنُ بُرْثُنٍ ... فَـيَـالَكَ جَـارَىْ ذِلَّةٍ وَصَـغَـارِ!

* * *

وكَان الحسن يقـول: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فـإن عَرَضَ له القولُ نظر، فإن كَان له أن يقول قال، وإن كان عليه القـولُ أَمْسَكَ، ولسانُ الأَحْمَق أمامَ قلبه، فإذا عرض له القول قال، كان عليه، أَوْ لَهُ.

وخالدٌ لم يكن يقـول الشِّعْـرَ، ويُرْوَى أنه وَعَدَ الفَرَزْدَقَ شـيئًا فـأخره عنه، وكان خالد أحد البُخَلاء، فمر به الفَرَزْدَقُ فَهَدَّدَهُ، فأمسك عنه حتى جاز الفَرَزْدَقُ، ثم أقبل على أصحـابه فقال: إن هذا قد جَعَلَ إحْدَى يَدَيْه سَطْـحًا، وملأ الأخرى سَلْحًا، وقال: إن عَمَرْتُمْ سَطْحِى، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسلْحِى!

[من أخبار إياس بن معاوية]

وقال إياسُ بن معاوية المُزَنِىُّ أبو واثلةَ - وكان أحـد العقلاء الدُّهاة الفضلاء - لخالد: لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس، فـقال له خالد: وكيف يا أبا واثلة؟ فقال: لأنك لا تحب أن تسكت، وأنا لا أحب أن أسمع!

وخـاصم إلى إياس رجلٌ رجلا فـى دَيْنٍ وهو قاضى البـصـرة، فَطَلَبَ منه البيِّنَةَ، فلم يأته بمَقْنَع، فقيل للطالب: استَجِـرْ وَكيعَ بن أبى سُود حتى يَشْهَدَ لك، فإن إياسًا لا يَجْتَرِئُ على رَدِّ شهادته، ففعل، فقال وكيعٌ: والله لأَشْهَدَنَّ لك، فإن رَدَّ شهـادتى لأُعَمِّـمَنَّه السـيفَ! فلما طَلعَ وكـيعٌ فَهِمَ إياسٌ عنـه فأَقْعَـدَهُ إلى جـانبه، ثم سأله عن حاجته، فقال: جئتُ شاهدًا، فقال له: يا أبا المُطَرِّفِ، أتشهد

كما تفعل المَوَالى والعَجَمُ؟ أنت تَجلُّ عن هذا ! فقال: : إذَن واللهِ لا أشهد، فقيل لوكيع بَعْدُ: إنما خَدَعَك، فقال: أَوْلَى لابن اللَّخْناءِ !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فرده، فشكا الرجل ذلك إلى الحسن، فأتاه الحسن فقال: يا أبا واثلة، لم رَدَدْتَ شهادةَ فلان؟ فقال: يا أبا سعيد، إن الله تعالى يقول: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[1] وليس فلان ممن أَرْضَى.

[من أخبار أبى دلامة]

واختلف نَصرانىٌّ إلى أبى دُلامةَ مولْى بنى أسد يَتَطَبَّب لابن له، فوعده إن بَرَأ عَلَى يديه أن يُعْطيه أَلْفَ درْهَمٍ، فبرأ ابنه، فقال للمتطبّب: إن الدراهمَ ليست عندى، ولكن والله لأُوَصِّلَنَّهَا إليك، ادَّعِ على جارى فلان هذه الدراهم فإنه مُوسر، وأَنا وابنى نشهد لك، فليس دون أَخذها شىءٌ، فصار النصرانىُّ بالجار إلى ابْنِ شُبْرُمَةَ، فسأله البينةَ، فطلع عليه أبو دُلامةَ وابْنُهُ، ففهم القاضى، فلما جلس بين يديه قال أبو دُلامةَ:

إن النَّاسُ غَطَّوْنى تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ ... وَإِنْ بَحَثُونى كَانَ فيهمْ مَبَاحث
[وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِى حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ ... لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تِلْكَ النَّبَائِثُ]

فقال ابْنِ شُبْرُمَةَ: من ذا الذى يَبْحَثُكَ يا أبا دُلامةَ؟ ثم قال للمدعى: قد عرفتُ شاهدَيْكَ ! فَخلِّ عن خصمك، ورُحِ العَشِيَّةَ إلىَّ، فراح إليه فَغَرِمها من ماله.

[من أخبار عبيد الله بن الحسن العنبرى]

وشهد أبو عُبَيْدَةَ عند عُبَيْدِ الله بن الحسن العَنْبَرِىِّ على شهادة ورجل عدل، فقال عبيدُ الله للمُدَّعِى: أما أبو عبيدة فقد عرفته، فزدنى شاهدًا.

وكان عبيدُ الله أحد الأدباء الفقهاء الصُّلحاء، وزعم ابن عائشة قال: عَتَبْتُ عليه مرة فى شىء، قال: فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم، وأنا أخرج فقلت مُعَرِّضًا به:

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

طَمِــعْتَ بِلَيْــلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَــا تُقَطِّعُ أَعْـنَاقَ الرِّجَــال المَطَامِعُ[1]

فأنشدنى مُعَرِّضًا تاركا لما قصدتُ له:

وَبَايَعْتُ لَيْلَـى فِى خَـلاءٍ وَلَمْ يكنْ شُـهُودٌ عَلَـى لَيْلَى عُدُولٌ مَـقَـانِعُ

وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عنه حديثًا عجيبًا، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث.

ذكر ابن عائشــة، وحدثنى عنه جماعة لا أحـصيهم كَثْرَةً: أن عـبيد الله بن الحسن شهد عـنده رجل من بنى نَهْشَل على أمر أَحْسِبُهُ دَيْنًا فـقال له: أَتَرْوِى قولَ الأسود بن يَعْفُر:

* نَامَ الْخَلِيُّ فَمَا أحِسُّ رُقَادِى *

فقال له الرجل: لا! فَرَدَّ شهادَتَه وقال: لو كان فى هذا خير لَرَوَى شرف أهله.

[من أخبار سوار بن عبد الله]

فحـدثنى شيخ من الأَزْدِ حديثًـا ظننت أن عبيـد الله إياه قَصَدَ، قـال: تقدم رجل إلى سَوَّارِ بن عـبد الله ـ وسَوَّار ابنُ عَـمِّ عبيـد الله بن الحسن ـ يَدَّعى دارًا، وامرأةٌ تدافِعُهُ وتقـول لسَوَّار: إنها والله خِطَّةٌ ما وقع فيهـا كتاب قَطُّ. فأتى المدعى بشاهدين يـعرفهـما سَوَّار، فـشهدا له بـالدار، وجعلت المرأة تنكر إنكارا يَعـضُدُه التصديق، ثم قالت: سَلْ عن الشـهود، فإن الناس يتغيرون، فَرَدَّ المسـألة، فَحُمِدَ الشاهدان. فلم يزل يُرَيِّثُ أمورَهم، ويسألُ الجيرانَ، فكلٌّ يصدِّقُ المرأةَ، والشاهدان قد ثبتـا، فشكا ذلك إلى عبيد الله. فـقال له عبيد الله: أنا أحْـضرُ مجلس الحُكْم معك فآتيك بالجَلِيَّة إن شاء الله تعالى، فقال للشاهدين: ليس للقاضى أن يسألكما كيف شـهدتما، ولكن أنا أسـألكما. قـال: فقالا: أراد هذا أن يَحُجَّ فـأدارنا على حُدُودِ الدار من خـارج، وقال: هذه دارى، فإن حـدث بى حادث فَلْتُبَعْ ولْتُـقْسَمْ على سبيل كـذا، قال: أفعندكما غـيرُ هذه الشهادة؟ قالا: لا، فقـال: الله أكبر! وكذا لو أدرتُكما على دار سَوَّار، وقلت لكما مثل هذه المقالة، أكنتـما تشهدان بها لى؟ ففَهِمَا أنهما قد اغترَّا، فكان سَوَّار إذا سأله عن عدالة الشـاهد يُتْبِعُ المسألةَ أن يقول: أفجائز العدالةِ هو؟ فظننت أن عبيـد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه.

---

(١) زيادات ر «ألمت».

وحدثنى أحـد أصحابنا أن رجـلا من الأعْراب تقدم إلى سَـوَّار فى أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ، فاجتهد فلم يَظْفرْ بحـاجته، قال: فقال الأعرابى، وكانت فى يده عَصًا:

رَأَيتُ رُؤْيَـا ثُمَّ عَـبَّـرْتُهَـاء   وَكنْـتُ للأَحْـلاَمِ عَـبَّـارا
بِـأَنَّنـى أخْـبطُ فـى لَيْـلَتـى   كلْـبًـا فَكَانَ الْكَـلْبُ سَـوَّارَا

ثم انحنى على سَوَّارٍ بالعـصا فضربه حتى مُنِعَ مـنه، قال: فما عاقـبه سَوَّارٌ بشىء.

قال: وحُدِّثْتُ أن أعـرابيا من بنى العَنْبَرِ سار إلى سَوَّار فـقال: إن أبى مات وتركنى وأخًا لى - وخط خطين فى الأرض - ثم قال: وَهَجينًا - وخط خَطًّا ناحية - فكيف نَقسم المال؟ فقال: أهاهنا وراثٌ غيركم؟ قال: لا، قال: المال بينكم أثلاثا. فقال: لا أحـسبُك فَهِمْتَ عنى! إنه تركنى وأخى وهَجينًا لنا، فـقال سَوَّار: المال بينكم أثلاثا، قال: فـقال الأعرابى: أيأخذ الهـجينُ كما آخذ، وكمـا يأخذ أخي! قال: أفعل! فـغضب الأعرابى، قال: ثم أقبل علىَّ سَـوَّار فقال: تَعَلَّمْ والله إنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء، فقال سَوَّار: إذًا لا يَضيرنى ذلك عند الله شيئًا[1].

[أنفة عقيل بن علفة]

وكان عَـقيلُ بن عُلَّفَـة من الغَيْرة والأَنَفَـة على ما ليس عليـه أحدٌ علمناه، فخطب إليه عبـدُ الملك بن مَرْوَان ابنته على أحَدِ بَنِيهِ، وكانت لعَقـيل إليه حاجاتٌ فقال: أَمَّا إذْ كنتَ فاعلا فجنِّبْنِى هُجَناءَك.

وخَطَبَ إليـه ابنتَه إبراهيمُ بن هشـام بن إسماعـيل بن هشام بن الـوَلِيدِ بن المغيرة - وهو خال هشام بن عبـد الملك ووالِى المدينة، وكان أَبيضَ شديد البياض - فردَّه عَقيلٌ وقال:

رَدَدْتُ صَـحِـيـفَـةَ الْقُـرَشِىِّ لَمَّا   أَبَتْ أَعْـرَاقُـهُ إلا احْـمِـرارا

وكانت حَفْصةُ بنت عمرانَ بن إبراهيم بن مـحمد بن طلحة بن عبيد الله قد مِيتَ عنها، فخطبـها جماعةٌ من قريش، أحدهم عـبد الله بن حسن بن حسن بن

(١) زيادات ر: «قيل إنه ليس بالدهناء أمة، وإنما كان فيها الحرائر».

على بن أبى طالب، وأحدهم إبراهيم بن هشام، فكان أخوها محمد بن عمران، إذا دخل إلى إبراهيم بن هشام أوسع له وأنشده:

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا ... فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أُحِبُّكَ أَنْ نَزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى ... وَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنَ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَر الْعُذْرِى، فأما جَمِيلُ بن معمر الجُمَحِىُّ فلا نَسَبَ بينهُ وبين معمر، أى ليس بينه وبينه أبٌ آخر، وكانت له صُحْبَةٌ، وكان خاصًّا بعمر بنْ الخطاب رضى الله عنه.

[عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب]

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله، فسمعته يُنْشِدُ بالرُّكبانيَّة(١):

وَكَيْفَ ثَوَائِى بِالمدينة بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ عليه قال لى: أَسَمِعتَ ما قلتُ؟ فقلتُ: نَعَمْ! فقال: إنَّا إذا خَلَوْنَا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم.

* * *

قال ش: وَهِمَ أبو العباس رحمه الله فى هذا، وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف يُنْشِدُ.

* * *

[لأبى خراش - وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر]

وكان جَمِيلُ بن معمر الجُمَحِى قتل أخا لأبى خراش الهُذَلِّى يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه، ففى ذلك يقول أبو خراش:

فَأُقْسِمُ لَوْ لاَقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لآبَكَ بِالْعَرْجِ الضِّبَاعُ النَّوَاهِلُ
لَكَانَ جَمِيلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَةً ... وَلَكِنَّ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ ... سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ

(١) الركبانية: غناء للعرب فيه مد وتمطيط. (رغبة الآمل).

قوله: «أسوأ الناس صرعة»، أى الهيئة التى يُصْرَعُ عليها كما تقول: جلست جِلْسَة وركبت رِكْبَة، وهو حَسَنُ الْجِلْسَة والرِّكْبَة، أى الهيئة التى يَجْلِس عليها ويَرْكَبُ عليها، وكذلك القعْدَة والنِّيمَة. وقوله: «لآبك»، أى لعادك، وأصل هذا من الإياب والرُّجوع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾[1]. وقال عَبِيدُ بن الأَبْرَصِ[2]:

* وَكُلُّ ذِى غَيْبَة يَئُوبُ *

وقوله: «بالعَرْج»، فهو ناحية من مكة، به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عَفَّانَ، فسمى العَرْجِيَّ، ويقال: بل كان له مال بذلك الموضع، فكان يقيم فيه.

* * *

قال ش: هذا وَهْمٌ من أبى العباس رحمه الله، وأما صوابه فعبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه.

* * *

والنَّواهلُ فيه قولان: أحدهما العطاشُ ـ وليس بشىء ـ والآخر الذى قد شَرِبَ شَرْبَة فلم يَرْو، فاحتاج إلى أَنْ يَعُلَّ، كما قال امْرُؤُ الْقَيس:

إذ هُنَّ أَقْساطٌ كَرِجْلِ الدَّبَى أَوْ كَقَطَا كاظِمَةَ النَّاهِلِ[3]

وقوله: «أحاطَتْ بالرقاب السلاسلُ»، يقول: جاء الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوتار إلا على وجهها، وكان يقال: إن أول من أَظْهَرَ الجَوْرَ من القضاة فى الحُكم بلالُ بن أَبى بُرْدَةَ، وكان أمير البصرة وقاضيَها، وفى ذلك يقول رُؤْبَة[4]:

وَأَنْتَ يا بن القاضِيَيْنِ قاضِ

وكان بلال يقول: إن الرجلين لَيتقدَّمان إلىَّ فأَجِدُ أحدَهما على قلبى أَخَفَّ فأقضى له.

(١) سورة الغاشية ٢٥.

(٢) بقيته كما فى زيادات ر:

* وغائبُ الموت لاَ يَئُوبُ *

(٣) أقساط: قطع. الدبى: جماعة الجراد.

(٤) بعده كما فى زيادات ر:

* مُعتزم على الطريق ماض *

[بلال بن أبي بردة وعمر بن عبد العزيز]

ويروى أن بلالا وَفَد على عمر بن عبد العزيز بِخُناصِرَةَ، فَسَدِكَ [ش: معناه لَصِق] بساريةٍ من المسجد، فجعل يصلى إليها ويديم الصلاة، فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المُغيرة بن البُنْدار: إنْ يكُنْ سرُّ هذا كعَلانيَتِه فهو رجلُ أهلِ العراق غيرَ مُدافَع، فقال العَلاء: أنا آتيك بخبره، فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء، فقال: اشْفَعْ صَلاتَكَ فإن لى إليك حاجةً، ففعل، فقال العلاءُ: قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين، فإن أنا أَشَرْتُ بكَ على ولايةِ العراق فما تجْعَلُ لى؟ قال: لك عُمَالتى[1] سنة، وكان مَبْلَغُها عشْرِينَ أَلْفَ أَلْف درهم، قال: فاكتب لى بذلك، قال: فارْقَدَّ[2] بلالٌ إلى منزله، فأتى بِدَواة وصَحِيفة فكَتَبَ له بذلك.

فأتى العلاء عمر بالكتاب، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ـ وكان والىَ الكوفة ـ أما بعد: فإن بلالا غَرَّنا بالله فكدنا نَغْتَرُّ، فَسَبَكْناهُ فوجدناه خَبَثًا كُلَّهُ، والسلام.

ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد: إذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فلا تستَعِنْ على عملك بأحد من آل أبى موسى.

[شعر ذى الرمة فى بلال]

قال أبو العباس: وكان بلالٌ داهيَةً لقَنًا أديبًا، ويقال: إن ذا الرُّمَّة لمّا أنشده:

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا ... فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعى بِلالاَ
تُناخِى عِنْدَ خَيْرِ فَتًى يَمَانٍ ... إذَا النَّكْبَاءِ نَاوَحَتِ الشَّمَالاَ

فلما سمع قوله:

* فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِى بِلالاَ *

قال: يا غلامُ، مُرْ لها بقَتٍّ ونَوَى، أراد أن ذا الرُّمَّة لا يُحْسِنُ المدح.

---

(١) زيادات ر: «العمالة؛ بضم العين: أجرة العامل».

(٢) زيادات ر: «معناه: أسرع».

قوله: «سمعت الناسُ ينتجعون» حكاية، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعت هذه اللفظةَ، أى قائلا يقول: «الناسُ ينتجعون غَيْثًا»، ومثل هذا قوله:

وَجَدْنَا فِى كِتَابِ بَنِى تَمِيمٍ أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المُعَارُ

فمعناه: وجدنا هذه اللفظةَ مكتوبةَ، فقوله: «أَحَقُّ الخَيْلِ» ابتداء، «والمُعَارُ» خبره، وكذلك «الناسُ» ابتداء، و«ينتجعون» خبره. ومثل هذا فى الكلام: قرأتُ «الحمدُ لله ربِّ العالمينَ»، إنما حكَيْتَ ما قرأتَ، وكذلك قرأتُ على خاتَمه «اللهُ أكْبَرُ» يا فتى، فهذا لا يجوز سواه.

وقوله: «إذَا النَّكْبَاء نَاوَحَت الشَّمالاَ» فإن الرياح أربع، ونَكْباواتُها أربعٌ، وهى الريح التى تأتى من بين ريحين فتكون بين الشَّمال والصَّبَا، أو الشَّمال والدَّبُور، أو الجَنُوب والدَّبُور، أو الجَنُوب والصَّبَا، فإذا كانت النَّكْبَاء تُناوِحُ الشمالَ فهى آية الشتاء. ومعنى «تُنَاوِحُ» تُقابلُ، يقال: تَنَاوَحَ الشَّجَرُ، إذا قابل بعضُهُ بَعْضًا، وزعم الأصمعى أن النائحة بهذا سُمِّيَتْ؛ لأنها تقابل صاحبتها.

وقال يَحْيى بن نَوْفَل الحِمْيَرىُّ - ويقال إنه لم يَمْدَحْ أحدًا قط:

فلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِحًا للنَّوال فَتًى لاَمْتَدَحْتُ عَلَيْه بلاَلاَ
ولكنَّنى لَسْتُ مَمَّنْ يُرِيدُ بِمَدْحِ الرِّجَالِ الْكِرَامِ السُّؤَالاَ
سَيَكْفِى الْكَرِيمَ إخَاءُ الْكَرِيم وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالاَ

ومن أحسن ما امْتَدحَ به ذو الرُّمَّة بِلاَلاَ قوله:

تَقُول عَجُوزٌ مَدْرَجى مُتَرَوِّحًا عَلَى بَيْتِهَا منْ عند أَهْلى وَغَاديَا
أَذُو زَوْجَة بالمصْرِ أمْ ذُو خُصُومَة أَرَاكَ لَهَا بالْبَصْرَة الْعَامَ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا: لاَ إنْ أَهْلى لَجِيرَةٌ لأَكْثبَةِ الدَّهْنَا جَميعًا وَمَاليا[(١)]
وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنى فى خُصُومَة أُرَاجعُ فيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضيَا
وَلَكنَّنى أَقْبَلْتُ منْ جَانبَىْ قَسًا أَزُورُ فَتًى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانيَا
منْ آل أَبى مُوسى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرمِّينَ منْ لَيْث عَلَيْه مَهَابَةٌ تَفَادَى أُسُودُ الْغَاب منْهُ تَفَاديَا

(١) زيادات ر: قوله «لا» لحن، وهذا اللحن راجع على المرأة؛ لأن «لا» لا تقع إلا فى جواب «أو»، وإنما سألته بأم، وهى لم يستقر عندها علم.

وَماَ الْخُـرقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الخَنَى عَلَيْـهِمْ وَلكِنْ هَيْـبَةٌ هِـىَ مَا هِيـا

قوله «مَـدرجى» يقول: مُرورى، فـأما قولهم فى المَثَلِ: خَـيْرُ مَنْ دَبَّ ومن دَرَجَ، فمعناه: مَنْ حَيِى ومَنْ ماتَ، يريدون: مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ومَنْ دَرَج منْها فذهب.

وقوله:

* أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا *

فـإنه يقال فى هذا المعنى: ثَـوَى الرجلُ فهـو ثاو، يا فتى، إذا أقـام، وهى أكثر، ويقال: أَثْوَى فهو مُثْوٍ يا فتى، وهى أَقَلُّ من تلكَ، قال الأعْشَى:

أَثْوَى وَقَـــصَّـــرَ لَـيلَةً لِيُـــزَوَّدا فَمَـضَى وأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَـوْعِدَا

وقوله: «قَـسًا»، فـهو مـوضع من بلاد بنى تميم. وقولـه: «لأكثبـة الدهنا» فأكْثِبَـةٌ جمع كَثِيب، وهو أَقَلُّ العدد، والكثير كُـثبٌ وكُثْبانٌ: والدَّهنا من بلاد بنى تميم، ولم أَسَمَعْ إلا القصر من أهل العلم والعرب، وسمعت بَعْدُ من يَرْوى مَدَّها ولا أعرفه، قال ذو الرمة:

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَـا فَقلْتُ لهـا أُمِّى هِلاَلاً عَلَى التَّـوْفِيقِ وَالرَّشَـدِ

يعنى هِلال بن أَحْوَزَ المازنى، وقال جرير:

* بَازٍ يُصَعْصِعُ بِالدَّهْنا قَطًا جُونا *

وقوله:

* كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا *

فالكِرْوَان جماعة كَـرَوان، وهو طائر معروف، وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكمـاله، ولكنه على حذف الـزيادة، فالتـقدير: كَـرًا وكرْوانٌ، كـما تقـول: أَخٌ وإِخْوَانٌ، ووَرَل وورْلانٌ، وبَرَقٌ وبرقَانٌ، والـبَرَقُ أعجمىٌّ ولكنه قـد أُعْرِبَ وجُمِعَ كما تُجْـمَعُ العربية، واستعـمل الكَرَوانُ جمعًا على حذف الزيادة، واسْتُعْمِلَ فى الواحد كذلك، تقول العرب فى مَثَلٍ من أَمثالها:

أَطرِقْ كَـــــرَاَ أَطْـرِقْ كَـــــرَا إِنَّ النَّـعَـــــامَ فى الْـقُــــــرَى

يريدون الكَرَوانَ.

وقوله:

* من آل أبى موسى ترى القوم حوله *

فقال: «تَرَى»، ولم يقل: تَرَيْنَ، وكانت المخاطَبَةُ أَوَّلا لامرأة، أَلا تراه يقول:

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتنى فى خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حَوَّل المخاطَبَة إلى رجل، والعرب تفعل ذلك، قال الله عزَّ وجل: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[1]، فكأنَّ التقدير - والله أعلم -: كان النَّاسُ، ثم حُوِّلَتَ المخاطبةُ إلى النبى ﷺ. وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد:

شَطَّتْ مزار الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

وقال جرير:

مَا للمَنَازِلِ لاَ تجِيبُ حَزِينا أصَمَمْنَ أم قَدُمَ المَدَى فَبَلِينا
وَتَرَى الْعَوَاذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلاَمَتِى وَإِذَا أَرَدْنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

قال أولا لرجل، ثم قال: «سوى هواكِ». وقال آخر:

فِدًى لَكَ وَالِدى وَسَرَاةُ قَوْمِى وَمَالِى إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِى

على تحويل المخاطبة.

وقوله: «مُرِمِّين»، يريد سُكونًا مُطْرِقين، يقال: أرَمَّ إذَا أَطْرَقَ ساكتًا.

وقوله: «تَفادَى أُسودُ الغاب» معناه تفتدى منه بعضُها ببعضٍ. وفى الخبر أن سليمان بن عبد المَلك أمر بدفع عيالِ الحَجَّاجِ ولُحْمَته إلى يَزِيد بنِ المُهَلَّبِ فَتفادَى منهم، تأويله: فَدَى نَفسَهُ من ذلك المَقام بغيره. وقوله:

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الخَنَى عَلَيْهِمْ وَلكِنْ هَيْبَةٌ هِىَ مَا هِيَا

إذا رفعت «هيبة» فالمعنى: ولكن أمره هيبة، كما قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ﴾[2]، أى ذلك بلاغ، ومثله قوله عز وجل:

(١) سورة يونس ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف ٣٥.

﴿طَاعَةٌ وَقَولٌ مَعْروف﴾[1] يكون رفعُهُ على ضربين أحدهما أمْرنا طاعةٌ وقولٌ معروف، والوجه الآخر طاعةٌ وقولٌ معروف أمْثَلُ. ومن نصب «هيبة» أراد المصدر، أى ولكن يُهابُ هَيبةً.

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى:

يُغْضى حياء ويُغْضَى منْ مَهَابَتِهِ ... فما يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال الْفَرَزْدَقُ، يعنى يَزِيدَ بن المهلب:

وإذَا الرِّجَال رأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهمْ ... خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأبْصَارِ

وفى هذا البيت شيء يستطرفه النحويون، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتًا على فَوَاعِل، لئلا يلتبس بالمؤنث، لا يقولون: ضارِب وضَوَارب، وقاتِل وقواتِل؛ لأنهم يقولون فى جمع ضاربة: ضوارب، وقاتلة: قواتل، ولم يأت ذلك إلا فى حرفين: أحدهما فى جمع فارسٍ: فَوَارِس؛ لأن هذا مما لا يستعملُ فى النساء فَأَمِنُوا الالتباسَ، ويقولون فى المثل: هو هالكٌ فى الهوالك، فَأَجْرَوْه على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَل، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال: «نواكس الأبصار»، ولا يكون مثل هذا أبدًا إلا فى ضرورة.

---

(١) سورة محمد ٢١.

بابـ

[لجرير وقد نزل بقوم من بني العنبر فلم يقروه]

قال جرير: ونزل بقوم من بنى العَنْبَرِ بن تميم فلم يَقْرُوهُ حتى اشْتَرَى منهم القِرَى، فانصرف وهو يقول:

يَا مَالِكَ بنَ طَرِيفٍ إنَّ بَيْعَتكُمْ ... رِفْدَ القِرَى مُفْسِدٌ للدِّين وَالحَسَبِ
قَالُوا نَبِيعُكَهُ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ ... بِيعُوا المَوَالِيَ وَاسْتَحْيُوا منَ الْعَرَبِ
لَوْلاَ كِرَامُ طَرِيفٍ مَا غَفَرْتُ لكُمْ ... بَيْعِي قِرَايَ وَلاَ أنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
هَلْ أَنْتُمُ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ ... رِيشُ الذُّنَابَى وَلَيْس الرَّأْسُ كالذَّنَبِ

قوله: «يَا مَالِكَ بنَ طَرِيفٍ» فمن نصب، فإنما هو على أنه جعل «ابنًا» تابعا لما قبل، كالشىء الواحد، وهو أكثر فى الكلام إذا كان اسمًا عَلَمًا منسوبا إلى اسم علم، جعل «ابن» مع ما قبله بمنزلة الشىء الواحد، ومثل ذلك:

* يَا حكَمَ بن المُنْذِرِ بن الجارود *[1]

ومن وقف على الاسم الأول، ثم جعل الثانى نعتاً لم يكن [فى الأول][2] إلا الرفع، لأنه مفردٌ نُعتَ بمضاف، فصار كقولك: يا زيدُ ذا الجُمَّة.

وقوله: «وَلاَ أنْسَأْتُكُمْ غَضَبِى»، يقول: لم أُؤخِّرْهُ عنكم، يقال: نَسَأَ اللهُ فى أَجَلِكَ، وأَنْسَأَ اللهُ أجَلكَ، والنَّسِىءُ من هذا، ومعناه تأخير شهرٍ عن شهرٍ، وكانت النَّسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بنِ كِنانَة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إنَّمَا النَّسِىءُ زيادةٌ فى الْكُفْر**﴾[3]؛ لأنهم كانوا يؤخرون الشهور، فيُحَرِّمون غير الحرام، ويحلُّونَ غير الحَلاَل، لمَا يُقدِّرونه من حُروبهم وتَصرُّفهمْ، فاستَوَت الشهورُ لَمَّا جاء الإسلام، وأَبان ذلكَ رسول الله ﷺ فى قوله: «إنَّ الزَّمَانَ قَد اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ السَّموَاتِ وَالأَرْض».

وقوله:

* هل أنتُمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ *

---

(١) الرجز لأعشى بن الحرماز، وبعده:

* سرادق المجد عليك ممدود *

(٢) تكملة من س.

(٣) سورة التوبة ٣٧.

فالأُشَـابةُ جماعة تَدْخُلُ فى قـوم وليست منهم، وإنما هو مأخـوذ من الأمر الأَشب، أى المخـتلط، ويزعم بعـض الرواة أن أصله فـارسى أُعْـرِبَ، يقـال بالفارَسيـة: وقَعَ القومُ فى آشوب [أى][1] فى اختلاط، ثم تَصَـرَّفَ فقيل: تَأَشَّبَ النبتُ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ[2].

وأما الزَّعانفُ فأصلها أجنحة السَّمَك، سمى بذلك الأَدْعيَاء؛ لأنهم التصقوا بالصَّميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك، قال أَوْسُ بن حَجَر:

وَمَازَال يَـفْرِى الشدَّ حَـتَّى كَأَنَّـمَا قَـوَائمُـه فى جَانِـبَيْـهِ زَعَـانِفُ[3]

وتزعم الرُّواةُ أن مَا أَنِفَتْ منه جِلَّةُ المَوَالى هذا البيتُ، يعنى قول جرير:

* بيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحيُوا مِنَ الْعَرَبِ *

لأنه حَطَّهم ووَضَعَـهم، ورأى أن الإساءَة إليهم غير مـحسوبة عَيْـبًا. ومثل ذلك قول المُنْتَـجِع لرجل من الأشراف: مَـا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ؟ قال: الفـرائضَ، قال: ذلك عِلْمُ المَوَالى لا أبا لك ! عَلِّمهـمُ الرَّجزَ، فـإنه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ[4]. ومن ذلك قول الشَّعْبىِّ - ومـر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو، فقـال: لئن أَصْلَحْتموه إِنَّكُمْ لأَوَّل من أفسده ! ومن ذلك قول عَنْتَرَةَ:

فَـمَـا وَجَـدُونَا بِـالْفَـرُوقِ أشَـابَةً وَلاَ كُـشُفًـا وَلاَ دُعِـينَا مَوَالِيـا[5]،

ومن ذلك قول الآخر:

يُسَمُّـونَنَا الأعْرَابَ وَالعَـرَبُ اسمُنا وَأَسْـمَـاؤُهُمْ فـينا رِقَـابُ المَزَاوِدِ

يريد أسماؤُهم عندنـا الْحَمْرَاءُ، وقول العرب: مـا يخفى ذلك على الأَسْوَدِ والأحمر، يريد الْعَرَبِىَّ والْعَجَمِىَّ. وقال المخْتَارُ لإبراهيم بن الأَشْتَرِ يوم خَازِرَ[6] وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه عبيـد الله بن زياد: إنَّ عَامَّة جُنْدكَ هؤلاء الْحَمْراءُ، وإن الحرب إن ضَرَّسَتْهمْ هربوا، فَاحمِلِ العربَ على مُتُونِ الخيلِ، وَأَرْجِلِ الحمراءَ أمامهم.

---

(١) من ر.

(٢) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العبـاس، ليس الأشـابة ولا الأشب من الأوشـاب؛ لأن فـاء الفـعل من الأشابة همـزة، ومن أوشاب واو، ولكنه مثـله فى المعنى يحتمل أن يكون أصـله وشابة، وأبدلت الواو المضمومة همزة».

(٣) يفرى الشد: يأتى بالعجب فى عدوه. (٤) يهرت أشداقهم: يوسعها.

(٥) الفروق: اسم موضع. والكشف: الذين لا يصدقون فى القتال.

(٦) زيادات ر: «وقعت الرواية كما فى الأصل، ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله: «جازر، بالجيم».

ومن ذلك قول الأشعَث بن قَيْسٍ لعلى بن أبى طالب رحمه الله، وأتاه يَتَخَطَّى رقابَ النَّاس، وعليٌّ على المِنْبَرِ فقال: يا أمير المؤمنين، غَلَبَتْنَا هذه الحمراء على قُرْبِكَ، قال: فَرَكَضَ عليٌّ المِنْبَرَ برجله، فقال صَعْصَعَة بن صُوحانَ العَبْدِىُّ: مالنا ولهذا؟ يعني الأشعث، لَيَقولَنَّ أمير المؤمنين اليومَ في العرب قَوْلا لاَيَزَال يُذْكَرُ، فقال عليٌّ: مَنْ يَعْذِرُنى من هذه الضَّياطرة، يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ على فراشه تَمَرُّغَ الحمار، وَيُهَجِّرُ قَومٌ للذكر، فيأمرنى أن أَطْرُدَهم، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين، والذى فَلَقَ الحبة، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَيَضْرِبُنَّكُمْ على الدِّين عَوْدًا كما ضربتموهم عليه بَدْءًا.

قوله: «الضَّياطرة» واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطارٌ، وهو الأحمر العَضِلِ الفاحشُ، قال خداشُ بن زُهَيْر:

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الْحُمْرِ

وإنما قال جَرِيرٌ لبنى الْعَنْبَرِ:

* هل أنتمُ غير أوشاب زعانفة *

لأن النَّسَّابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم، إنما هو ابن عمرو بن بهْراء، وأُمُّهُمْ أم خارجةَ الْبَجَلِيَّةُ التى يقال لها فى المَثَلِ: «أَسْرَعُ من نكاح أُمِّ خارجَة»، فكانت قد وَلَدَتْ في العرب في نَيِّف وعشرين حَيًّا من آباء متفرقين، وكان يقول لها الرجلُ: خِطْبٌ؟ فتقول: نِكْحٌ! كذلك قال يونس بن حَبيب، فَنَظَرَ بَنُوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهمَ، فأَحَسُّوا بأنه أراد أُمَّهم، فبادروا إليه ليمنعوه تَزَوُّجَهَا، وَسَبَقَهُمْ لأنه كان راكبا، فقال لها: إنَّ فيك لبَقِيَّة؟ فقالتْ: إن شئتَ... فجاءوا وقد بَنَى عليها، ثم نقلها بعدُ إلى بلده، فتزعم الرواة أنها جاءت بالْعَنْبَرِ معها صغيرًا، وأَوْلَدَهَا عمرو بن تميم أُسَيِّدًا وَالْهُجَيْمَ وَالْقُلَيْبَ، فخرجوا ذات يوم يَسْتَقونَ فَقَلَّ عليهم الماء، فأنزلوا ماتحًا من تميم، فَجَعَلَ الماتحُ يملأ الدلو إذا كانت للهُجَيْم وأُسَيِّد وَالْقُلَيْبِ، فإذا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تركها تضطرب، فقال العنبر:

قَدْ رَابَنِى مِنْ دَلْوِىَ اضْطِرَابُهَا ... وَالنَّأْىُ عَنْ بَهْرَاءَ وَاغْتِرَابُهَا

* إلاَّ تجِئْ مَلأَى يَجِئْ قُرَابُهَا[1] *

فهذا قول النَّسَّابين.

---

(١) أى ما يقارب ملأها.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال يومًا لعائشة رحمها الله، وقد كانت نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، فَسُبِيَ قومٌ من بنى الْعَنْبَرِ، فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتِقِى الصَّمِيمَ من ولد إسْماعيل فَأَعْتِقِى من هؤلاء». فقال النَّسَّابون: فَبَهْرَاءُ من قُضَاعَةَ، وقد قيلَ قُضَاعَةُ من بنى مَعَدٍّ، فقد رجعوا إلى إسماعيل.

ومن زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حِمْيَر - وهو الحق - قال: فالنسب الصحيح فى قَحْطان الرُّجوعُ إلى إسماعيل وهو الحق. وقول المُبَرِّزِينَ من العلماء: إنما الْعَرَبُ المتقدمة من أولاد عابَرَ، وَرَهْطُهُ عاد وطَسْم وَجَدِيس وَجُرْهَم والعَماليق، فأما قحطان عند أهل العلم، فهو ابن الْهَمَيْسَعِ بن تَيْمَنَ بن نَبَتْ بن قَيْذَار بن إسماعيل صلوات الله عليه، فقد رجعوا إلى إسماعيل، وقد قال رسول الله ﷺ لقوم من خُزاعة - وقيل من الأنْصَار: «ارْمُوا يا بنى إسماعيلَ، فإن أباكم كان راميًا».

[ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم]

قال يحيى بنُ نَوْفَل: «يَهْجُو الْعُرْيَان بن الْهَيْثَمِ بن الأَسْوَدِ النَّخَعِىَّ - وكانَ العُرْيَانُ تزوج زَبادِ» من ولد هانئ بن قَبيصة الشَّيْبَانى، وكانت عند الْوَلِيد بن عبد الملك فطلقها، فتزوجها العريان، وكان ابنُ نَوْفَل له هَجَّاءً، فقال:

أَعُرْيَانُ مَا يَدْرِى امْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ ... أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ !
فَإِنْ قُلْتُمُ مِنْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجًا ... لَبِيضُ الْوُجُوهِ غَيْرُ جِدٍّ جِعَادِ
وَأَنْتُمْ صِغَارُ الْهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّمَا ... وُجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادِ
فَإِنْ قُلْتُمُ الْحَىُّ الْيَمَانُونَ أَصْلُنَا ... وَنَاصِرُنَا فى كُلِّ يَوْمِ جِلادَ
فَأَطْوِلْ بِأَيْرٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَزْوَةٍ ... نَزَتْ بِإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادَ
لَعَمْرُ بَنِى شَيْبَانَ إِذْ يُنْكِحُونَهُ ... زَبَادَ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبَادَ
أَبَعْدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيَةٍ عَيْرًا خِلافَ جَوَادِ
وَأَنْكَحَهَا لاَ فِى كِفَاءٍ وَلاَغِنَى ... زِيَادٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْىَ زِيَادِ

قوله:

* أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ *

فبنو مَذْحِج بنو مالك بن زيد بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ. وإياد بنُ نزَار بن مَعْد بن عدْنان، ويقال: إن النَّخْعَ وثقيفًا أخَوان من إياد، فأما ثَقيفٌ فهو قَسِيٌّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازن بن منصور ابن عكْرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن النَّضَرَ، فهذا قول قوم، فأما آخرون فيزعمون أَنَّ ثَقيفًا من بقايا ثمود، ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم، وكثرة مَناكحهمْ قُرَيْشًا.

وقد قال الحجاج على المنبر: تزعمون أَنَّا من بَقايا ثَمُود، والله عز وجل يقول: ﴿وَثَمودَ فَمَا أَبْقَى﴾(١). وقال الحجاج يوما لأبى العَسُوس الطائىُ: أَىٌّ أَقْدَمُ؟ أَنُزُول ثقيف الطائفَ أم نزول طَيِّئ الجبلين؟ فقال أبو العَسُوس: إن كانت ثقيفٌ من بكر بن هَوازنَ فنزول طيئ الجبلين قبلها. وإن كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم، فقال الحجاج: يا أبا العَسُوس، اتَّقِنى فإنى سريع الْخَطْفَةِ للأحمق المتَهوِّك(٢)! فقال أبو العَسُوس(٣):

يُؤَدِّبُنى الْحَجَّاجُ تَأْديبَ أَهْله ... فَلَوْ كنْتُ منْ أَوْلاَد يُوسُفَ مَاعَدَا
وَإِنى لأَخْشَى ضَرْبَةٌ ثَقَفِيَّةً ... يَقُدُّ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ الْمُقَلَّدَا
عَلَى أَنَّنِى مِمَّا أُحَاذِرُ آمنٌ ... إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا الْمَرْءُ واعْتَدَى

[المغيرة بن شعبة وهند بنت النعمان بن المنذر]

وقد كان المغيرةُ بن شُعْبَةَ، وهو والى الكوفة، سار إلى دَيْر هنْد بنت النُعْمَان ابن المُنْذر، وهى فيه عَمْيَاءُ مُتَرَهِّبَةٌ، فاستأذن عليها، فقيل لها: أَمير هذه المَدَرَة بالباب، فقالت: قولوا له: أَمنْ وَلَد جَبَلة بن الأيْهَم أنت؟ قال: لا، قالت: أَفَمنْ وَلَد المُنْذر بن ماء السماء؟ قال: لاَ، قالت: فَمَنْ أنتَ؟ قال: المغيرةُ بن شُعْبَةَ الْثَقَفىُّ، قالت: فما حاجتك؟ قال: جِئتك خاطبًا، قالت: لو كنتَ جئتنى لجمال أو لمَال لأَطْلَبْتُكَ، ولكنك أردتَ أن تَتَشَرَّفَ بى فى مَحَافل العرب، فتقول: نكحتُ ابنةَ النُعْمَان بن المنذر، وإلاَّ فَأَىُّ خير فى اجتماع أَعْوَرَ وَعَمْيَاءَ! فَبَعَثَ إليها: كيف

---

(١) سورة النجم ٤٣.

(٢) المتهوِّك: المتهور.

(٣) زيادات ر: «رواية عاصم رحمه الله العَسُوّس [بالواو المشددة] والعَسْوَس [بسكون السين وفتح الواو]، وفى رواية ش كما فى داخل الكتاب».

كان أمركم؟ فـقالت: سأختَـصرُ لك الجواب. . . أمسينا مَـسَاءً، وليس فى الأرض عَرَبِىٌّ إلا هو يَرْغَبُ إليـنا ويَرْهَبُنَا، ثم أصبحنا وليـس فى الأرض عربى إلا ونحن نرغب إليه ونـرهبه، قال: فـما كان أبوك يـقول فى ثقيف؟ قـالت: اختـصم إليه رجلان منهم، أحـدهما يَنْمِـيهَا إلى إياد، والآخـر إلى بَكْرِ بن هَوَازن فَقـضَى بها للإيادىِّ، وقال:

إِنَّ ثَقـــيـــفـــا لَمْ تكن هـوازِنا　　　وَلَمْ تُنَاسِبْ عَـامِـراً وَمَـــازِنَا

يريد عامر بن صَعْصَعَةَ وَمَازِنَ بن منصـور، فقال المغيرةُ: أما نحن فمن بكر ابن هَوَازن، فَلْيَقُل أبوكِ ما شاء!

[فى رثاء الأشتر]

وقالت أختُ الأشْـتَرِ، وهو مالك بن الحـارث النَّخَعِىُّ تُبَكِّيه، وهذا الشـعر رواه أبو اليقظان، وكان متعصبا:

أَبَعْـدَ الأَشْــتَـرِ النَّخَـعِـىِّ نَرْجُـو　　　مُـكَـاثَـرَةَ ونَقْـطَـعُ بَـطْـنَ وَادِ!
وَنَصْـحبُ مَذحِـجًا بإخـاء صدْق　　　وَإنْ نُـنْـسَـبْ فَـنَـحْـنُ ذرَا إيَـاد
ثقــــيـفٌ عَــــمُّنَا وَأَبُـو أَبِيـنا　　　وَإِخْــوَتُنَا نـِزَارُ أُولوا السَّــدَادِ

قوله: «وَأَنْتُمْ صغَارُ الهَامِ حُدْلٌ»، فالأَحْدَلُ المائلُ العُنُقِ، يقال: قوْسٌ حَدْلاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُهَا، قال الراجز:

لَهَا(١) مَـتَــاعٌ وَلَهَــاةٌ فَــارِضُ　　　حَـدْلاَءُ كـالزقِّ نحـاهُ المَاخِضُ

وأما قوله: «زبادِ» يا فتى، فله باب نذكره على وجهـه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر.

وقوله: «لَقَـدْ مَا قَصَّرُوا». فـما زائدة. مثل قـوله تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا**﴾(٢) ولو قال: لَقِدمًا قَصَّرُوا لم يكن جيدا، ودخل الْوَليد فى الذم.

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «لها» والصواب «له» لأنه يعنى الفـحل من الإبل؛ لأن الشقشقة لا تكون للأنثى، قاله ش».
(٢) سورة نوح ٢٥.

وقوله: «كَمنْزِيَة عَيْرًا خلاَفَ جوَاد» يقول: بعد جـواد، قال الله عز وجل: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ﴾(١).

وقوله: «لاَ في كفاء» يقال: هو كُفْـؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَفِيئُكَ وكِـفَاؤُكَ، إذا كان عَديلَكَ في شرف أو ما أشبهه، كما قال الْفَرَزْدَقُ:

* وتَنْكِحُ في أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت:

* بنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُـمْ آلُ مِسْمَعٍ *

وآل مسـمع: بيت بكر بن وائل، والحبِـطات هم بنو الحارث بن عـمرو بن تميم، وإنما قال هذا الْفَرَزْدَقُ حين بلغه أن رجـلا من الحبطات خَطَبَ امرأة من بني دارمِ ابن مالك، فأجابه رجل من الحبطات:

أَمَـا كَـانَ عَـبَّـادٌ كَـفِـيـئًـا لِدارمٍ   بَلَى ولأَبْيَـاتٍ بِهَـا الْحُـجُـرَاتُ

عَبَّاد، يعني بـني هاشم، وقد تقدم هذا البيت للفـرزدق في مواضع، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُـؤًا أَحَدٌ﴾(٢) وقال عـمر بن الخطاب رحـمه الله: لأَمْنَعَنَّ النساء إلا من الأكْـفاء، وتَحَدَّثَ أصـحابُنا عن الأصمعي عن إسـحاق بن عيسى، قال: قُلْتُ لأمير المؤمنين الرَّشيد أو المهديِّ: يا أمير المؤمنين، مَنْ أكفاؤُنا؟ قال: أعداؤنا، يَعني بني أُميَّةَ، وزِيادٌ الذي ذَكَرَ كان أخاها.

هذا تفسير ما كان من المؤنث على «فعَالِ» مكسورَ الآخر.

وهو على أربعة أضرب، والأصل واحد.

قال أبو العباس: اعلـم أنه لا يُبْنَى شيءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفـة معدولٌ عن جهته، وهو في المؤنث بمنزلة فُعَل، نحـو عُمَر وقُثَم في المذكر، وفُعَلَ معدول في حال المعرفـة عن فاعِل، وكان فاعِل ينصرف، فلما عُدل عنه فُعَلُ لم ينصرف، وفَعال معدولة عن فاعلةَ، وفاعلَةُ لا ينصرف في المعرفة فعُدَل إلى البناء؛ لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنيُّ، وَبني على الكسر لأن في فاعلَةَ

(١) سورة التوبة ٨١.

(٢) سورة الإخلاص ٤.

علامـةَ التأنيث، وكان أصلُ هذا أن يـكون إذا أردت به الأمر ساكنا كـالمجزوم من الفعْـلِ الذى هو فى معناه، فكَسَـرْتَهُ لالتقـاء الساكنين، مع مـا ذكرنا من عـلامة التأنيث والكسـر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامـة، تقول للمـرأة: أنت فَعَلْت، فالكسر علامة التأنيث، وكذلك إنـكِ ذاهبة، وضربتُكِ يا امرأةُ، فمما لا يكون إلا معرفة مكسـورًا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يا فـتى، ومعناه انْزِل، وكذلك تَرَاكِ زيدًا أى اتركه، فهما معدولان عن المتاركـة والمنازلة، وهما مؤنثان معرفتان، يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرناه، قال الشاعر تصديقا لذلك:

وَلَنِعْـمَ حَـشْـوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا ... دُعِـيَـتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الـذُّعْـرِ

فقال: «دعيتْ» لما ذكرته لك من التأنيث، وقال الآخر، وهو زَيْدُ الْخَيْلِ:

وَقَـدْ عَلِمَتْ سَـلاَمَـةُ أَنَّ سَـيْـفِى ... كَـرِيهٌ كُلَّـمَـا دُعِـيَـتْ نَزَالِ

وقال الشاعر:

تَرَاكِـهَـا مِنْ إِبِلِ تَرَاكِـهَـا ... أَمَـا تَرَى الموْتَ لدَى أَوْرَاكِـهَـا

أى اتْرُكها. وقال آخر[1]:

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقال آخر[2]:

* نَظَارِ كَىْ أَرْكَبَهُ نَظَارِ *

فهذا باب من الأربعة.

ومنها أن يكون صفة غـالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم، نحو قولـهم للضَّبُع: جَعَارِ يا فتى، وللمنيـةِ حَلاقِ يافتى؛ لأنها حـالقة، والدليل على التأنيث بعـد ما ذكرناه قوله:

لَحِقَتْ حَـلاَقِ بِهِمْ عَلى أَكْسـائِهِمْ ... ضَـرْبَ الرِّقَـابِ وَلاَ يهِمُّ المغْنَمُ[3]

وتقـول فى النداء يا فَساقِ ويـا خَبـاث ويالَكاعِ، تريـد يا فاسقةُ ويا خـبيثةُ ويا لُكعاءُ؛ لأنه فى النداء فى موضع معرفةٍ كما تقول للرجل: يا فُسَقُ ويا خُبَثُ، ويا لُكَعُ[4]، فهذا باب ثان.

---

(١) زيادات ر: «هو رؤبة». (٢) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٣) الأكساء: المتأخرون.

(٤) زيادات ر: «حكى ابن السراج عن أبى عبيدة: فرس لكع للمذكر، ولكعة للمؤنث».

ومن ذلك مَا عُدِلَ عن المصدر نحو قوله[1] يَذُمُّ الْخَمْرَ:

جَـمَـادِ لهَـا جَـمَـادِ ولاَ تَقُـولِى طَوَالَ الدَّهْرِ مَـا ذُكِـرَتْ حَـمَـادِ

وقال النابغة الذبْيَانيُّ:

إنَّا اقْـتَـسَـمْـنَا خُطَّتَـيْنَا بَيْـنَنَا فَحَـمَلْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلْتَ فَـجَارِ[2]

يريد قُولى لها جُمودًا، ولا تقولى لها حَمْدًا هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثًا. وهذا باب ثالث.

والباب الرابع أَنَ تُسَمِّىَ امرأةً، أو شيئًـا مؤنثًا باسم تَصُوغُهُ على هذا المثال، نحو رَقَـاشِ وحَذَامِ وقَطَامِ ومَا أشـبهه، فـهذا مؤنث معـدول عن راقشةَ وحـاذمةَ وقاطمةَ، إذا سميت به. وأهلُ الحجاز يجـرونه على قياس ما ذكرت؛ لأنه معدول فى الأصل وسُمِّىَ به، فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذى كان قبله، فلم يغيروه، فعلى ذلك قالوا:

* اسْقِ رَقَاشِ إنها سَقَّاية *

وقال آخر:

إِذَا قَـالَتْ حَـذَامِ فَـصَـدِّقُـوهَا فَـإِنَّ الْقَـوْلَ مَـا قَـالَتْ حَـذَامِ

وينشدون:

* وأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَرَاءٌ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع، والصحيح «فقد أَقْفَرَتْ سَلْمَى شَرَاء»، لأن قبله:

* تَأَبَّدَ مِنْ أَطْلاَلِ حَمْرَةَ مَأْسَلُ *

والشعر لنَّمِر بن تَولَبٍ.

وأمـا بنو تميم فـإذا أزالوه عن النعت فَـسَمَّـوْا به صـرفـوه فى النكرة، ولم يصرفوه فى المعـرفة، وسيبويه يخـتار هذا القول، ولا يَردُّ القولَ الآخر، فـيقول: هذه رَقَاشُ قد جاءتْ، وهذه غلابُ قد جاءتْ، وهذه غلابٌ أخرى، ولا اختلاف

---

(١) زيادات ر: «هو المتلمس بذم الخمر».

(٢) زيادات ر: «برة: اسم علم لجميع البر، وفجار لجميع الفجور، لابن جنى، تخصيصه برة بفعلت، وفجار بافتعلت، مثل قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾، فكسب للخير واكتسب للشر.

بين العرب فى صرفه إذا كان نكرة، وفى إعـرابه فى المعرفة، وصرفه فى النكرة إذا كان اسـما لمذكر، نحـو رجل تسميـه نَزَالِ أو رَقاشِ أوْ حَلاقِ، فـهو بمنزلة رجل سميته بعَنَاقٍ أو أتانٍ؛ لأن التأنيث قد ذهب عنه، فـاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بـأنكَ لو سمـيت شيئـا بالفعل الـذى هو مأخوذ منـه لأعربته، نـحو انْزلْ واضْربْ، لو سميتَ بهما رجلا لجرى مـجرى إصْبَعٍ وأَحْمَدَ وإثْمِدٍ، ونحو ذلك، فهذا يحيط بجميع هذا الباب.

[لامرأة من بنى عامر بن صعصعة زوجت فى طيئ]

قال أبو العباس، وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ زُوجَتْ فى طَيِّئٍ:

لا تَحْـمَدَنَّ الدَّهْـرَ أَخْتٌ أَخًا لَهَـا ... وَلاَ تَـرْثِيَـنَّ الـدَّهْرَ بِـنْـتٌ لوَالِـدِ
هُمُ جَـعَلوهَا حَيْـثُ لَيْسَتْ بِحُـرةٍ ... وَهُمْ طَرَحُوهَا فِى الأَقَاصِى الأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: إنما النكاح رقٌّ فَلْيَنْظُر امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته. وعلى هذا جاءت اللغـة، فقالوا: كنا فى إمْلاكِ[1] فلان، وفى ملك فـلان، وفى ملك فلان، وفى مـلكة فلان، وفى ملكـان فلان، ويقـول الرجل: مَلَكْتُ المرأة وأَمْلَكْنيـها وَلِيُّهـا، ومن ذلك أنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيـها حِنْثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتَاق.

وقال رسول الله ﷺ: «أوصيكُمْ بالنساء فـإنهنَّ عندكم عوان» أى أسيراتٌ، ويقال: عَنِىَ فـلانٌ فى بَنى فلان إذا أقام فيـهم أسيرا، ويقـال: فلاَن يَفُكُّ العُناةَ، وأصل التعنية التذليل، وأصلُ الإسارِ الوثاقُ، ويقـال للقَتَبِ مأسور إذا شُدَّ بالقدِّ، هذا أصل هذا، فأمـا المَثَلُ فى قولهم: إنما فلان غُلٌّ قَـمِلٌ، فإنهم كانوا يتـخذون الأغلال من القِدِّ، فكانت تَقْمَلُ.

[لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء]

وقال رجل يذكر امرأة زُوِّجَتْ من غير كُفْء:

لَقَـدْ فَرِحَ الْوَاشُـونَ أَنْ نال ثَعْلَبٌ ... شَـبِيـهَةَ ظَبْىٍ مُـقْلَتَـاهَا وجِيـدُهَا
أَضَـرَّ بِهَا فَـقْدُ الْوَلِىِّ فَـأَصْبَـحَتْ ... بِكَفِّ لَـئِـيمِ الْوَالِدَيـنِ يَقُـودُهَا

---

(١) الإملاك: مصدر أملك، وهو التزويج.

[لرجل يعير إبراهيم بن النعمان بن بشير ورد إبراهيم عليه]

ولما زَوَّجَ إبراهيم بن النعمان بن بَشيرٍ الأنصـارىُّ يحيى بنَ أبى حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عَفَّانَ ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يُعيِّرُهُ:

لَعَمْـرِى لَقدْ جَلَّلْتَ نَفْـسَكَ خَزْيَةً ... وَخَـالَفْتَ فعْلَ الأكْـثَرِينَ الأكَـارِمِ
ولَوْ كَـانَ جَـدَّاكَ اللَّـذَانِ تَتَـابَعَـا ... بِبَـدْرٍ لَمَـا رَامَـا صَنِـيعَ الألاَئِمِ

فقال إبراهيم بن النُّعْمانِ يَرُدُّ عليه:

مَـا تَـرَكَتْ عِـشْـرُونَ أَلْفًـا لِقَـائِلٍ ... مَـقَـالاً فـلا تَحْـفلْ مَـلاَمَـةَ لاَئم
وَإنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَـقدْ مَضَتْ ... بِهِ سُـنَّةٌ قَـبْلـى وَحُبُّ الـدَّرَاهِمِ

[للقلاخ بن حزن يخاطب يحيى بن أبى حفصة ورد يحيى عليه]

وتزوَّج يحيى بن أبى حفـصة وهو جَدُّ مَروانَ الشـاعرِ، ويزعم النَّسَّابون أن أباه كان يهـوديا أسلم على يدى عثمـان بن عفان، وكان يحـيى من أجود الناس، وكان ذا يَسار، فتزوج خَوْلَة بنت مُقاتِل بن طَلَبَةَ[1] بن قيس بن عاصم سيد الوَبَر ابن سِنان بن خالد بن مِنْقَر، ومَهرَها خِرَقًا. ففى ذلك يقول القُلاخ بن حَزْنٍ:

لَمْ أَرَ أَثْـوَابًا أَجَـرَّ لخِـزْيَةٍ ... وَألأَمَ كُـسُوًّا وَألأَمَ كَـاسِـيَـا
منَ الخِـرَقِ اللَّاتِى صُـبِـبْنَ عَلَيْكم ... بِحَـجْـرٍ فَكُنَّ المُبـقيَـات البَـوَاليَـا

فقال يحيى بن أبى حَفصة يُجيبه:

تَجَـاوَزْتُ حَـزْنًا رَغْبَـةً عَنْ بَنَاته ... وأَدْرَكْتُ قَـيْـسًـا ثانيًـا مِنْ عِنَانِيَـا

يقال ذلك للسابق إذا تقَـدَّم تَقَدُّمًا بَيِّنًا فبلغ الغاية، فـمن شأنه أن يَثْنىَ عِنَانَهُ فينظرَ إلى الخَيل، وقال الشاعر:

فَـمَنْ يَفْـخَـرْ بِمِـثْلِ أَبِى وَجَـدِّى ... يَجىءْ قَـبْلَ السَّـوَابِـقِ وَهْوَ ثَانِى

يريد ثانى عنانه، وقال القُلاخ فى هذه القصة:

نُبِّـئْتُ خَوْلَةَ قَـالَتْ حين أَنْكَحَهَـا ... لَطَالَمَـا كُنْتُ مِنْكَ العَـارَ أَنْتظِرُ
أَنكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهمَا ... فى فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ وَالْحَجَرُ

---

(١) زيادات ر: «الرواية المشهورة بإسكان اللام، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام».

لله درُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا ... بَرْذَنْتَهَا وَبِهَا التَحْجِيلُ وَالغُرَرُ(١)

* * *

وقال جرير يُعيِّرُهم:

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ حَلَّى ... فُرُوج بَنَاته كَمَرَ المَوَالى
لَقَدْ أَنْكَحْتُمُ عَبْدًا لِعَبْدٍ(٢) ... مِنَ الصُّهْبِ المُشَوَّهَةِ السِبَالِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا ... خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ البَوَالى

* * *

وَقال آخر فى مثل هذه القصة:

أَلاَ يَا عِبَادَ الله قَلْبى مُتَيَّمٌ ... بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلاَ
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ... دَبِيبَ القَرَنْبى بَاتَ يَقْرُو(٣) نَقًا سَهْلاَ

القَرَنْبى: دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنْفُس مُنَقَّطَة الظَّهْر، وربما كان فى ظهرها نقطةٌ حمراء، وفى قوائمها طول على الخنفس، وهى ضعيفة المشى.

[للفرزدق فى عطية أبى جرير]

قال الفرزدق يعنى عطية أبا جَرير:

قَرَنْبى يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ ... لَئِيمٍ مَآثِرُهُ قُعْدُدِ(٤)

وفى هذا الشعر يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِى دَارِمٍ ... زُرَارَةُ مِنَّا أَبُو مَعْبَدِ
وَمِنَّا الَّذى مَنَعَ الْوَائِدَاتَ ... وَأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدَ
أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النِّسَارِ(٥) ... وَأَصْحَابِ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ

---

(١) برذنتها: جملتها من البراذين.
(٢) يريد أنه عريق فى العبودية.
(٣) يقرو: يتبع.
(٤) زيادات ر: «ألف قرنبى ألف إلحاق وليست للتأنيث. والقعدد: اللئيم، وجمعه قعادد».
(٥) زيادات ر: «النسار: جعل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمى بهذا الاسم».

أَلَسْنا الَّذينَ تَميمٌ بِهِمْ ... تُسَامي وتَفْخَرُ فى المَشْهَدِ[1]
وَناجِيَةُ الخَيْرِ وَالأَقْرَعَان ... وَقَبْرٌ بكاظِمَةَ المَوْرِدِ[2]
إذَا مَا أَتَى قَبْرَه عَائذٌ ... أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بالأَسْعُدِ[3]
أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِى دارِمٍ ... عَطِيَّةُ كالجُعَلِ الأَسْوَدِ[4]
وَمَجْدُ بَنِى دارِمٍ دُونَهُ ... مكانُ السِّماكَيْنِ وَالفَرْقَدِ[5]

قوله:

* أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِى دَارِمٍ *

منصوب على الاختصاص، وقد مضى تفسيره.

وزَرارةُ الذى ذَكَر، هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ، وكان زرارةُ يُكْنَى أبا مَعْبَدٍ، وكان له بَنونَ: مَعْبَدٌ، ولَقيطٌ، وَحاجِبٌ، وعَلْقمَةُ، والمأموم.

ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ، ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النسَّابةُ، وكان حاجِبٌ أذكَرَ القومِ[6].

ورَوَوْا أن عبد المَلكِ ذَكَرَ يوما بنى دارم فقال أحدُ جُلَسائه: يا أمير المؤمنين! هؤلاء قوم محظوظون: فقال عبد الملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عقبًا، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارة ولم يُخَلِّفْ عقِبًا، ومضى محمد بن عُمَيرِ بن عُطارِد بن حاجب بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا! والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدًا.

---

(١) رغبة الآمل: بعده
وقد مد حولي من المالكين ... أواذي ذو حدب مزبد
إلى هادرات صعاب الرءوس ... قساور للقسور الأصيد
(٢) كاظمة: موضع على سيف البحرين.
(٣) الأسعد: جمع سعد، وبعده:
فذاك أبي وأبوه الذى ... لمقعده حرم المسجد
(٤) الجعل: دويبة سوداء تكون على المواضع الندية.
(٥) زيادات ر: «الرفع فى مكان أقوى، وهو الوجه الجيد فى العربية».
(٦) أذكر القوم: أشهرهم.

وكان لقيط بن زرارة قُتِلَ يوم جَبَلَة، وأُسِرَ حاجب فَفُودِىَ، فزعم أبو عبيدة أنه لم يكن عُكاظيٌّ أَغْلَى فداءً من حاجب، وكان أسره زَهْدَمٌ[1] العَبْسىُّ، فَلَحِقَهُ ذو الرُّقَيْبَة القُشَيْرِىُّ، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صَعْصَعَة، فأخذه ذُو الرُّقَيْبَة بعزَّة، وأنه فى مَحَلِّ قومه فقال حَاجب: لمَّا تنازعنى الرجلان خفتُ أن أُقتَلَ بينهما، فقلت: حكِّمانى فى نفسى، ففعلا، فحكمتُ بسلاحى وركَابى لزهدم، وبنفسى لذى الرُّقَيْبَة، وكان حَاجِب يُكْنَى أبا عِكْرِشَةَ، وكَان أَحلَمَ قومه، وفى ذى الرُّقَيْبَة يقول الشاعر[2]:

وَلَقَدْ رأَيْتَ الْقَائلِينَ وَفِعْلَهُمُ ... فَلِذى الرُّقَيْبَة مَالك فَضْلُ
كَفَّاهُ مُتْلِفَةٌ وَمُخْلِفَةٌ ... وَعَطَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ جَزْلُ

فَفدىَ حَاجِبٌ، وقُتِل فى ذلك اليوم لقيطٌ، وأُسِر عمرو بن عمرو بن عُدَسَ، فلذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق؛ لأن الفرزدق من بنى مُجَاشع بن دارِمٍ، وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب، ولجرير فى قَيْسٍ خُؤولَة.

[الفرزدق يهجو جريرا وجواب جرير عليه]

فلما هجا الفرزدقُ قيسًا فى أمر قُتَيْبَةَ بن مُسْلم الباهلى، قال:

أَتَانِى وَأَهْلى بالَمدِينة وَقْعَةٌ ... لآل تَمِيم أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائم
كأَنَّ رءُوس النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بالأَمَائم[3]
فما بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَة ... وَبيْنَ تَميم غَيْرُ حَزِّ الْحَلاَقِم
أَتَغْضَبُ إن أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جِهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ
وَمَا منْهُمَا إلاَّ نَقلْنَا دمَاغَهُ ... إِلى الشَّامِ فَوقَ الشَّاحِجَات الرَّوَاسِمِ
تَذَبْذَبُ فى المخْلاَةِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مُحَذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ المَقَادم[4]
وَمَا أَنْتَ منْ قَيْسٍ فَتَنْبَحَ دُونَهَا ... وَلاَ منْ تَميم فى الرُّءوس الأَعَاظِمِ
تخَوِّفُنَا أَيامَ قَيْسٍ وَلَمْ تَدَعْ ... لعَيْلاَنَ أَنْفًا مُسْتَقيمَ الخَيَاشم
لقد شَهدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصرُهَا ... قُتَيْبَةَ إِلاَّ عَضَّهَا بالأَبَاهم[5]

(١) زيادات ر: «أخو كردم». (٢) زيادات ر: «هو المسيب بن علس»، واسمه «زهير، ويكنى أبا الفضة».
(٣) الأمائم كما فى زيادات ر: «حجارة تشدخ بها الرءوس، الواحدة أميمة».
(٤) المخلاة فى الأصل: ما يوضع فيها الخلى، وهو الحشيش الرطب، أراد بهن الخرج.
(٥) الأباهم: جمع الإبهام.

وقال جرير يجيبه:

أَبَاهِلَ مَا أَحْـبَبْتُ قَـتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلاَ أَنْ تَرُوعُـوا قَـوْمَكـمْ بِالْمَظَالِمِ

ثم قال يخوِّف الفرزدق:

تحضَّضْ يا بْنَ الْـقَيْنِ قَيْـسًا لِيَـجْعَلُوا ... لِقَـوْمِكَ يَوْمًـا مِـثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ(1)

كَـأنكَ لَمْ تَشْـهَـدْ لَقِيـطًا وَحَاجِـبًـا ... وَعَمْرَو بْنَ عَـمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَ دَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وَشَـدَّاتِ قَـيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَـمَـاجِمِ

فَـيَوْمَ الـصَّفَـا كُنْتُمْ عَـبِـيدًا لِـعَامِـرٍ ... وَبِالْحِنْوِ أَصْبَـحْتُمْ عَـبِـيدَ اللَّهَـازِمِ

إِذَا عُـدَّتِ الأَيَّامُ أَخْـزَيْنَ دَارِمًـا ... وَتَخْـزِيكَ يَا بْـنَ الْقَـيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ

* * *

أما قول الفرزدق:

كَأَنَّ رءوسَ النَّاسِ إِذْ سَـمِعُـوا بِهَا ... مُـشَـدَّخَـةٌ هَامَـاتُهَـا بِـالأَمَـائِمِ

فإن الشِّجاجَ مختلفةُ الأحكامِ، فإذا كانت الشَّـجَّةُ شُقَيْقًا يَدْمَى فهى الدامِيةُ، وإذا أخذت من اللحم شيئًا فهى الباضِـعةُ، وإذا أمعَنَتْ فى اللحم فهى المتَلاحمةُ، فإذا هَشَمَت العظـم فهى الهاشمة، وإذا كـان بينها وبين العظم جُلَيْدَةٌ رقيـقة فهى السـمْحـاقُ، من أجل تلك الجليـدة يقـال مـا على ثَربِ الشـاة من الشَّـحْمِ إلا سماحيقُ، أى طرائقُ، فإذا خرجت منهـا عظامٌ صغار فهى المُنَقِّلَةُ - وإنما أخذ ذلك من النَّقَلِ وهى الحجـارةُ الصغارُ - فإذا أَوْضَـحَتْ عن العظم فهى المُوضِحـةُ، فإذا خرقت العظم وبلغت أُمَّ الدِّماغ وهى جُلَيْدَةٌ قـد أَلْبَست الدماغَ فهى الآمَّة، وبعض العرب يسمـيها المأمومةَ، واشـتقاقُ ذلك إفضاؤُها إلى أمِّ الدمـاغ ولا غاية بعْدها، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَـأْمُـومَةً فِى قَـعْـرِهَا لَجَفٌ ... فاسْتُ الطبيبِ قذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ(2)

وقال ابن غَلْفاءَ الْهُجَيْمِـيُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ فى هِجائه بنى تميم:

فَـإِنَّكَ مِنْ هِجَـاءِ بَنِى تَمِـيم ... كَـمـزْدَادِ الْغَـرَامِ إِلى الْغَـرَامِ

(١) الأراقم: يريد يومًا كان لقيس على تغلب ابنة وائل، والأراقم هم بطون تغلب.

(٢) مأمومة: مشجوجة.

هُمُ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى[١] رأتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ
وَهُمْ ضَرَبُوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الشُّئُونِ مِنَ الْعِظَامِ[٢]
إِذَا يَأْسُونَهَا جَشَأَتْ إِلَيْهِمْ[٣] شَرَ نَبْثَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ هَامِ[٤]

وابن خازم هو عبد الله بن خازِمٍ السُّلمىُّ، وهو أحد غرْبان العرب فى الإسلام، وكان من أَشْجَعِ الناس، وقتله بنو تميم بخُراسان، وكان الذى وَلِىَ قتله منهم وكَيعُ بن الدَّوْرَقيَّةِ القُرَيْعىُّ، وقوله: فوق الشاحجات «يعنى البغال، وَالرَّسيمُ: ضربٌ من السير، وإنما عنى هاهنا بغَالَ البَريد لقوله:

* محذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ *

كما قال امْرُؤ القيس:

على كل مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدِ بَرِيدَ السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرا[٥]

وكانت بُرُدُ ملوك العرب فى الجاهلية الخَيل.

وأما قول جرير: «الجونين» فقد مضى ذكرهما، ويوم «دير الجماجم» يريد الحَجَّاج فى وقعته بدَيْر الجَمَاجِمِ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قَيْس الْكِنْدِىِّ، وقوله:

* وبالْحِنْوِ أصبحتمْ عبيدَ اللَّهازِمِ *

فاللَّهازِمِ بنو قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وبنو ذُهْلِ بن ثَعْلَبَة، وبنو تَيْمِ اللات بن ثَعْلَبَةَ، وبنو عِجْلِ بنِ لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن على بن بكر بن وائل، وبنو مازن بن صعب بن على، ثم تَلَهْزَمَتْ حَنيفةُ لُجَيْمٍ فصارتْ معهم، وأما عَلْقَمَةُ بن زُرارةَ فإنه قَتلتْه بنو ضُبَيْعَةَ بن قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ فَقَتَلَ به حاجبٌ أخوه أَشْيَمَ بن شَرَاحِيلَ القَيْسِىَّ، فقال حاجبٌ فى ذلك:

فَإِنْ تَقْتُلوا منَّا كَرِيمًا فَإِنَّنَا أَبَأْنا به مَأْوَى الصَّعَاليك أَشْيَمَا
قَتَلْنَا به خَيْرَ الضُّبَيْعَاتِ كُلِّهَا ضُبَيْعةَ قَيْسٍ لا ضُبَيْعَة أَضْجَمَا

(١) الحبارى: اسم طائر.
(٢) أم الشئون: يريد بها الرأس.
(٣) جشأت: نهضت.
(٤) زيادات ر: «يريد غليظ القوائم».
(٥) الذنابى: الذنب، : وبربر: قبيلة وكان من علامة خيلها حذف أذنابها.

وكان يقال لأَشْيَمَ: مَأْوَى الصَّعَاليك، وضُبَيْعَةُ أَضْجَمَ الذى ذَكَرَ هو ضُبَيْعَةُ ابن ربيعة بن نِزَار رهط المُتلَمِّسِ. هذا لقبهم.

وأما مَعْبَدُ بن زُرارة فإن قَيْسًا أَسَرَتْهُ يوم رَحْرَحَانَ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لَقيطٌ فى بعض الأشهرِ الْحُرُم ليَفْدِيَهُ، فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط: إن أبانَا أمرنا ألاَّ نزيد على المائتين، فتطمعَ فينا ذؤْبانُ العَرَب، فقال معبد: يا أخى، افدنى بمالى فإنى ميِّتٌ، فأبى لقيطٌ، وأبى معبد أن يأكل أو يشرب، فكانوا يَشْحُون فاهَ، ويَصبُّون فيه الطعام والشراب لئلا يَهلك فيذهبَ فداؤه، فلم يزل كذلك حتى مات، فقال جَرير يعيِّر الفرزدق وقومه بذلك:

تَرَكْتُمْ بوَادِى رَحْرَحَانَ نسَاءَكمْ ... وَيَوْمَ الصَّفَا لاَقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْد دَعَوْا يَاَلَ عَامر ... فَكنْتُمْ نَعَامًا عنْدَ ذَاكَ مُنَفَّرا
وَأَسْلَمَت الْقَلْحَاءُ فى الغُلِّ مَعْبَدًا ... وَلاَقَى لَقيطٌ حَتْفَهُ فَتَقطَّرَا

قوله:

* سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْد دَعَوْا يَالَ عَامر *

يعنى مَجْدَ بنت النَّضْر بن كِنانَةَ وَلَدتْ رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعْةَ، وَوَلَدُهُ بنو كلاب وبنو كَعب وبنو عامر بن ربيعة. والقلْحَاء لقب، والقَلَحُ أن تركَبَ الأسنانَ صُفْرَةٌ.. تَضْرِبُ إلى السواد، ويقال لها الحَبْرَة لشدة تأثيرها. أنشدنى المازنى:

لَسْتُ بِسَعْدِيٍّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ ... وَلَسْتُ بِعَبْدِيٍّ حَقِيبَتُهُ التَّمرُ

* * *

وزعم أبو الحسن الأخفش(١)، أن العرب تقول فى هذا المعنى: «فى أسنانه حِبِرَة»، وليس ذلك بمعروف، ولم يأت اسم على «فِعِل» إلاَّ إبِلٌ وَإطِلٌ(٢).

* * *

(١) زيادات ر: «سعيد بن مسعدة».

(٢) زيادات ر: «وامرأة بلز، أى ضخمة، قاله ابن قتيبة، أما إبل فكما ذكر، وأما «إطل» فليس كما ذكر، وإطل [بالكسر] أصله إطل [بالسكون]، ثم حركت الطاء اتباعًا لحركة لهمزة، كما قالوا فى الجلد [بالسكون]: الجلد [بالكسر]، قال سيبويه: ليس فى الأسماء والصفات فعل [بالكسر] إلا إبل».

وقوله:

* وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقطَّرَا *

يقال: قَطَّرَهُ لجنبيه وقتَّرَهُ، لغتان؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فإن رَمى به على قفاه قيل: سَلَقهُ وسَلْقاهُ وبَطَحَهُ لوجهه. فإن رَمَى به على رأسه قيل نكَتَه.

* * *

رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول:

أما قوله:

* ومنا الذى منع الوائدات *

فإنه يعنى جدَّه صَعْصَعَةَ بن ناجية بن عقال، وكانت العرب فى الجاهلية تَئِد البنات، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كان فى تميم بن مُرة، ثم استفاض فى جيرانهم، فهذا قول واحد. وقال قوم آخرون: بل كان فى تميم وقَيْس وأسَد وهُذَيل وبكْرِ بن وائل، لقول رسول الله ﷺ: «اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عليهم سنين كسنى يوسُفَ». وقال بعض الرواة: اشدد وَطْدَتَكَ، والمعنى قريب يرجع إلى الثِّقل، فأَجْدبُوا سبع سنين حتى أكلوا الوبَرَ بالدَّم، فكانوا يسمونه العِلْهِزَ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم، ودَلَّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَق﴾[1] وقال: ﴿وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾[2]، فهذا خَبرٌ بَيِّنَ أَنَّ ذلك للحاجة، وقد رَوَى بعضُهم أنهم إنما فعلوا ذلك أنفَةً.

[إغارة النعمان بن المنذر على تميم]

وذكر أبو عبيدة مَعْمر بن المثَنَّى أن تميما مَنَعَت النُعْمانَ الإتاوَة، وَهِيَ الأديانُ، فَوَجَّهَ إليهم أخاه الريَّانَ بن المُنْذر، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ، إحداها الوَضائعُ - وهم قوم منَ الفُرْس كان كسْرَى يَضَعُهُمْ عنده عُدَّةً وَمَدَدًا، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم، فإذا كان فى رأس الحوْل رَدَّهُمْ إلى أهليهم وبَعَث بمثلهم. وكَتيبةٌ يقال لها الشَّهْبَاءُ - وهى أهل بيت الملك، وكانوا بيضَ الوجوه، يُسَمَّوْنَ الأشاهبَ. وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائعُ - وهم صنائع المَلِك أكثرهم من بكر بن

(١) سورة الإسراء ٣١.

(٢) سورة الممتحنة ١٢.

وائلٍ. وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ، وهم قوم كَانَ يأخذُهمْ من كل قبيلة فيكونون رُهُنًا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم. والخامسة دَوْسَرُ - وهيَ كتيبة ثقيلةَ تَجْمعُ فُرْسانًا وَشُجعانًا من كل قبيلة، فأَغزاهم أخاه(١)، وجُلٌّ من معه بكْرُ بن وائل، فاستاق النَّعَم وسَبَى الذَّرَارِيَّ، وفي ذلك يقول أبو الْمُشَمْرَجِ اليَشْكُرِيُّ:

لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُعْمَان مُقْبِلَةً ... قَالُوا أَلاَ لَيْتَ أَدْنَى دَارِنا عَدَنُ
يَا لَيْتَ أُمَّ تَميم لَمْ تَكُنْ عَرِفَتْ ... مُراً وكَانَتْ كَمنْ أَوْدَى به الزَمَنُ
إنْ تَقْتُلُونا فَأَعْيَارٌ مُجَدَّعَةٌ ... أَوْ تُنْعِمُوا فقديمًا منكُم المنَنُ(٢)
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتَّابٌ وَمُحْتَضَرٌ ... وَابْنَا لَقِيطٍ وَأَوْدَى فِي الْوَغى قَطَنُ

ويقول النعمان في جواب هذا:

لله بَكْرٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ لَوْ بِهِمُ ... أَرْمِي ذُرَا حَضَنٍ زَالَت بِهِمْ حضَنُ(٣)
إِذْ لاَ أَرَى أَحَدًا فِي النَّاسِ أَشْبَهَهُمْ ... إِلاَّ فَوَارِسَ خَامَتْ عَنْهُمُ اليمنُ(٤)

وهذا خبر طويل، فَوَفَدتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا، فقال:

مَا كانَ ضَرَّ تميمًا لَوْ تَغَمَّدَهَا ... مِنْ فَضْلنَا مَا عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلاَنَ

فأناب القومُ وسألوه النساء، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباها رُدَّتْ إليه، وإن اختارت صاحبها تُرِكَتْ عليه. فكلُّهن اختارت أباها، إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن الْمُشَمْرَج، فَنَذَرَ قَيْسٌ أَلاَّ تُولَد له ابنةٌ إلاَّ قَتَلَهَا، فهذا شيء يَعْتَلُّ به مَنْ وَأَد، ويقول: فعلناه أَنَفَةً، وقد أُكْذِبَ ذلك بما أنزل اللهُ تعالى في القرآن.

وقال ابن عباس رحمهُ الله في تأويل هذه الآية: وكانوا لا يورِّثون، ولا يتخذون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمْح ومَنعَ الحريم - يريد الذكْرانَ.

[وفود صعصعة بن ناجية على رسول الله]

وروت الرواة: أن صَعْصَعَةَ بن ناجِية لما أتى رسول الله ﷺ فأسلم، قال:

(١) أي أعطاهم إياه يغزو بهم.

(٢) أعيار: جمع عير، وهو الحمار. ومجدعة: مقطعة الآذان.

(٣) حضن: جبل في أعالي نجد.

(٤) خامت: جبنت.

يا رسول الله، إنى كنتُ أَعْمَلُ عـملا فى الجاهلية أفينفعُنى ذلك اليوم؟ قال: وما عملك؟ قال: أَضْلَلتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ. فركـبتُ جملاً، ومضيت فى بُغائهما[1]، فرُفِع لى بيتٌ حريدٌ، فقصدته، فإذا شـيخ جالس بفناء الدار، فسألته عن الناقتين، فقال: مـا نارُهما؟ قلتُ: مِيَسمُ بنى دارم. فـقال: هما عندى وقد أحيـا الله بهما قومًا من أهلك، من مُضرَ. فجلستُ معه ليُخْرَجا إلىَّ، فإذا عجوز قد خرجتْ من كسْرِ البيت، فقال لها: ما وَضَعَتْ؟ فإن كان سَقْبًا[2] شارَكَنَا فى أموالنا وإن كانت حائلا وأدْناها. فقالت العـجوز: وَضَعَتْ أنثى ! فقلتُ: أتبيعـها؟ قال: وهل تبيعُ العربُ أولادها؟، قال: قلتُ: إنما أشـترى منك حَياتَهَا، ولا أشتـرى رِقَّها، قال: فبكَمْ؟ قـلتُ: احتَكِمْ، قال: بالنـاقتين والجملِ، قـال: قلت: ذاك لكَ، علَى أن يُبَلِّغَنى الجملُ وإيَّاهَا. قال: ففعل، فآمنتُ بك يا رسول الله، وقد صارتْ لى سُنَّةٌ فى العرب، علَى أن أشترى كل موءودة بنَاقتين عُشراويْنِ وجَمل، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة فقـد أنقذتها، فقال رسول الله ﷺ: «لا ينفعُكَ ذلك، لأنك لم تَبْتَغِ به وجه الله وإن تَعْمَلْ فى إسلامك عملا صالحًا تُثَبْ عليه».

وكان ابنَ عباس يقرأ: ﴿وإذا الْمَوْءُودةُ سَأَلَتْ * بأَىِّ ذَنْب قُتلَتْ﴾[3]. وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل: ﴿وإذا الْمَوْءُودةُ سُئلَتْ * بأَىِّ ذَنْب قُتلَتْ﴾ إنما تُسأَل تبكيتًا لمن فَعَلَ ذلك بها، كما قال الله تعالى: ﴿يَا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتخَذُونى وَأُمِّىَ إِلَهَيْن منْ دُون الله﴾[4].

وقـوله: «وُئِدَتْ». إنما هو أُثْقِلَتْ بالتُّـراب، يقال للـرجل: اتَّئِدْ أى تَثَبَّتْ وَتَثَقَّلْ، كما يقال: تَوَقَّرْ، قال قَصيرٌ صاحبُ جذيمةَ[5]:

مَـا لِلْجِمَـالِ مَـشْيُهَـا وَئِيـدَا ... أَجَنْـدَلاً يحْـمِلْـنَ أَمْ حَـدِيدَا

[* أم صرَفانًا باردًا شَدِيدًا[6] *]

(١) البغاء: الطلب.
(٢) السقب: الذكر من ولد الناقة.
(٣) سورة التكوير ٨، ٩.
(٤) سورة المائدة ١١٦.
(٥) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العباس، وإنما هو للزباء».
(٦) الصرفان: ضرب من التمر.

وقوله: «أضللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ» أضللتُ، ضَلَّتا منى، وتحقيقه: صادفتهما ضالَّتَيْنِ، كما قال[1]:

أَوْ وَجْــدُ شَــيْخٍ أَضَلَّ نَاقَــتَــهُ ... حِينَ تَوَلَّى الْحَـجِـيجُ فَـانْدَفَـعُـوا

والعُشَرَاء: النـاقةُ التى قد أتى عليهـا منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشـهر. وإنما حَمْل الناقة سنةٌ.

وقوله: «ما نارهما»؟ يريد ما وَسْمُهُما؟ كما قال:

قَــدْ سُــقِـيَـتْ آبَالُهُمْ بِـالنَّارِ ... وَالنَّـارُ قَــدْ تَـشْــفِـى مِنَ الأُوَارِ

أى عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعوا الماء.

وقوله: «فإذا بيت حَرِيدٌ» يقـول: مُتَنَحٍّ عن الناس، وهذا من قولهم: انْحَرَدَ الجمل، إذا تَنَحَّى عن الإناث فلم يَبْـرُكْ معها، ويقال فى غـير هذا الموضع: «حَرَدَ حَرْدَهُ» أى قَصَدَ قَصْدَهُ، قال الراجز:

قَـدْ جـاءَ سَيْلٌ جـاءَ مِنْ أَمْـرِ الله ... يَحْــرِدُ حَـرْدُ الجنة الْمُــغِـلَهْ

وقالوا فى قوله عز وجل: ﴿**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**﴾[2]: أى على قَصْد كما ذكرنا.

وقالوا: هو أيضًـا «على مَنعٍ»، من قولهم: حَارَدَت الناقـة إذا مَنَعَتْ لبنها، وحارَدَت السَّنَةُ إذا مَنَعَتْ مطَرَها، والبعيـر الأحرد: هو الذى يضرب بيده، وأصله الامتناع من المشى. وأما قوله:

.... وَقَــبْــرٍ بكَاظِـمَــةَ الْمَــوْرِدِ
إِذَا مَــا أَتَــى قَــبْــرَهُ خَــائِفٌ ... أَنَاخَ عَلَـى الْقَـبْــرِ بِالأَسْــعُــدِ

فإنه يعنى قبـر أبيه غالبِ بن صَعْصَـعَةَ بن ناجِيَةَ. وكان الفـرزدق يُجير مَنْ استجار بقبر أبيه، وكان أبوه جَـوادًا شريفًا. ودخل الفرزدق البصرة فى إِمْرَة زياد، فباع إبلا كثيـرة وجعل يَصُرُّ أثمانها، فقال له رجلٌ: إنك لَتَصُـرُّ أثمانها، ولو كان

---

(١) زيادات ر: «لرجل من قضاعة، يقال له مالك بن عمرو، وقبله:
لا وَجْـدُ ثَـكلى كـمـا وجـدتُ ولاَ ... وَجْـدُ عـجـولٍ أضلهـا رُبَعُ
(٢) سورة القلم ٢٥.

غالبِ بن صَعْـصَعَةَ ما صرَّها. فـفتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ ونَثَـرَ المال، وبلغ الخبرُ زياداً فطلبه، فهـرب الفرزدق، وله فى هربه حديثٌ طويل، واستجارته بـسعيد بن العاص بالمدينة، نذكره بعد هذا إن شاء الله.

[جماعة استجاروا بقبر غالب]

فَممن استجـار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنـى جَعْفَرِ بن كلاب، خافتْ لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيـهَا ويَسُبُّهَا، فعاذَت بقبر أبيه، فلم يَذْكرْ لها اسمًا ولا نسبًا، ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيـها بنى جعفر بن كلاب:

عجُوزٌ تُصَلِّى الْخَمْسَ عَاذَت بِغَالبٍ فَـلاَ وَالَّذى عَاذَتْ بِـهِ لاَ أضيـرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما ولَّى تَميمَ بن زيد القَيْنِىَّ السِّنْدَ، دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء، فجاءت عجوز إلى الفـرزدق فقالت: إنى استجرتُ بقبر أبيك، وأتت منه بحَصيات. فقال لها: وما شأنك ! فقالت: إن تميم بن زيد خَرَجَ بابنٍ لى مـعه ولا قُرَّةَ لعـينى ولا كاسبَ لى غـيره، فـقال لها: ومـا اسمُ ابنك؟ فقالت: خُنَيْسٌ، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض مَنْ شَخَصَ:

تَمـيمُ بْنَ زَيْد لاَ تكونَنَّ حَـاجَـتِى بظَهْـرٍ فَـلاَ يَعْـيَـا عَلَىَّ جَـوابُهَـا
وَهَبْ لِى خُنَيْسًا وَاحْـتَسِبْ فيه منةً لِعَـبْـرَةِ أمّ مَـا يَسُـوغُ شَـرَابُهَـا
أَتَتْنى فَـعَـاذَتْ يَا تَـمـيمُ بغَـالب وَبالْحُـفْرَةِ السَّافى عَلَيْـهَا تُرَابُهَـا
وَقَـدْ عَلِمَ الأَقْـوَامُ أَنَّكَ مَـاجِـدٌ وَلَيْثٌ إذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِـهَابُهَا

فلما ورد الكتـابُ على تميم، تَشكَّكَ فى الاسم فقال: أَحُـبَيْشٌ؟ أم خُنَيْسٌ؟ ثم قال: انظروا مَنْ له مـثلُ هذا الاسم فى عسكرنا؟ فأصـيب ستةٌ ما بين حُـبَيْش وَخُنَيْس فَوَجَّهَ بهم إليه.

ومنهم مُكاتَبٌ لبنى منْقـرٍ ظَلَعَ بمكاتَبـته(١)، فأَتَى قَـبْرَ غالب فاستـجار به، وأخذ منه حَصَيَات فَشَدَّهُنَّ فى عمامته، ثم أتى الفرزدق فأخبره خَبَرَه، وقال: إنى قد قلت شعرًا، فقال: هاته، فقال:

(١) أى ضعف عن حمل ما كوتب به.

بِقبْرِ ابْنِ لَيْلَى غَـالب عُذْتُ بَعْدَمَا خَشيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
بقبرِ امْـرِئٍ تَقْرِى(١) المَئِينَ عظَامُـهُ ولَمْ يَكُ إلاَّ غَـالبًـا مَـيِّتٌ يَقْـرِى
فَـقَالَ لِىَ اسْـتَـقْدِمْ أمَـامَكَ إنَّمَـا فكاكُكَ أَنْ تَلْقَى الْفَـرَزْدَقَ بالمِصْـرِ

فقال له الفرزدق: ما اسْمُكَ؟ قال: لَهْذَمٌ، قال: يا لَهْذَمُ، حُكْمُكَ مُسَمَّطًا، قـال: نـاقةٌ كَوْماءُ سوداءُ الحدقـة، قال: يا جارية، اطْرَحى إلينَا حبلا، ثم قـال: يا لَهْذَمُ اخرج بنا إلى المِرْبَدِ، فألْقه فى عُنُق ما شئت. فـتخير العبدُ على عينه، ثم رمى بالحبل فى عنق ناقة، وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغْدُ علىَّ فى ثمنها، فجعل لَهْذَمٌ يقـودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نَفَذَ بهَا من البـيوت إلى الصحراء، صاح به الفرزدقُ: يالَهْذَمُ، قَبَّح الله أَخسَرنا !

[قوله: «تَقْرِى المَئِينَ عِظَامُهُ» يريد أنهم كـانوا يـنحـرون الإبل عند قـبـور عظمائهم، فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات، وهذا معروف فى أشعارهم].

وقوله:

* ولَمْ يَكُ إلاَّ غَالِبًا مَيِّتٌ يَقْرِى *

فإنه نصب غـالبًا لأنه استثناء مقـدم، وإنما انتصب الاستثنَـاء المقدم لما أذكره لك، وذلك أن حق الاستثناء إذا كـان الفعلُ مشغولا بـه أن يكون جاريا عليه، لا يكون فيـه إلا هذا، تقول: ما جاءنى إلاَ عـبدُ الله، وما رأيت إلاَ عبـدَ الله، وما مررت إلاَ بعـبدِ الله. فإن كَـان الفعل مشـغولا بغيـره فكان موجَـبًا، لم يكن فى المستثنى إلا النصبُ، نحو جاءنى إخْـوتُك إلاَ زيداً، كما قال تعالى: ﴿**فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قليلا منْهُمْ**﴾(٢)، ونَصَبُ هذا على معنى الفعل، و«إلا» دليلٌ على ذلك.

فإذا قلت: جاءنى القوم، لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدًا أَحدهم، فإذا قال: إلا زيدا، فالمعنى لا أعنى فيهم زيدًا، أو أسـتثنى ممن ذكرتُ زيدًا. ولسيبويه فيه تمـثيل، والذى ذكرت أبْيَنُ منه. وهو مُتَـرْجَمٌ عما قال، غـيرُ مناقض له. وإن كان الأول منفيًّا جاز البـدل والنصب، والبدل أحسن؛ لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزل الموجود بدليل، وذلك قولك: ما أتانى أحد إلا زيدٌ، وما مررتُ

(١) من القرى بالكسر: وهو إكرام الضيف.
(٢) سورة البقرة ٢٤٩.

بأحد إلا زيد، والفصل بين المنفى والموجَب، أن المبدل من الشىء يُفَرَّغُ له الفعل، فأنت فى المنفى إذا قلت: ما جاءنى أحدٌ إلا زيدٌ، إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير: ما جاءنى إلا زيدٌ، لأنه بدل من أحد، والموجَبُ لا يكون فيه البدل، لأنك إذَا قلت: جاءنى إخوتك إلا زيدًا، لم يجز حذف الأول، لا تقول: جاءنى إلا زيد، وإن شئت أن تقول فى النفى: ما جاءنى أحد إلا زيدًا جاز، ونصبهُ بالاستثناء الذى شرحتُ لك فى الواجب. والقراءةُ الجيدةُ ﴿مافَعَلُوهُ إلاَّ قَليلٌ مِنْهُمْ﴾[1]، وقد قرئ ﴿إلا قليلاً منهم﴾، على ما شرحتُ لك فى الواجبَ، والقراءةُ الأولى.

فإذا قدَّمتَ المستثنَى بطلَ البدَل، لأنه ليس قبله شىء يُبْدَل منه، فلم يكن فيه إلاَ وجهُ الاستثناء، فتقول: ما جاءنى إلاَّ أباك أَحدٌ، وما مررت إلا أباك بأحد، وكذلك تُنْشَدُ هذه الأشعار، قال كعْبُ بنُ مالك الأنصارى لرسول الله ﷺ:

النَّاسُ ألبٌ علينا فيكَ ليس لنا إلاَّ السُّيوفَ وأطْرَافَ القَنَا وَزَرُ[2]

وقال الكميْتُ بن زيد:

فمالِىَ إلاَّ آلَ أحْمَدَ شِيعةٌ ومالِىَ إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

لا يكون إلاَّ هذا، وليونس قول مرغوبٌ عنه، فلذلك لم نَذْكره.

وقوله: «فقال لى اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ» مُخبِرٌ عن الميِّت بالقَوْل، فإن العرب وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجَم تجعلُ كلَّ دلَيلٍ قولاً، فمن ذلك قول زُهَيرٍ:

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تكَلَّمِ *

وإنما كلامُهَا عنده أن تُبَيِّنَ بِما يُرَى من الآثارِ فيها، من قِدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهِم.

ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال: هَلاَّ وقفتَ على المَعَاهد والجنان، فقلتَ: أَيتُها الجنانُ، مَنْ شَقَّ أنهارَكِ، وغَرَسَ أشجارَكِ، وجَنَى ثِمَارَكِ؟ فإنها إن لم تُجِبْكَ حِوارًا[3] أَجابَتْكَ اعتبارًا!

---

(١) سورة النساء ٦٦.

(٢) ألب: متجمعون، وزر: ملجأ.

(٣) الحوار: الجواب.

وأهلُ النظر يقـولون فى قول الله عـز وجل: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعينَ﴾[1]ـ: لم يكن كلامٌ، إنما فَعْلَ عزَّ وجل ما أراد فوُجد، قال الراجزُ:

قـد خَـنَقَ الحَـوْضُ وقـال قَطْنى سـلا رُويْدًا قـد مَـلأْت بَـطْنى

ولم يكن كلامٌ، إنما وُجِدَ ذلك فيه. وكذلك قوله:

فـقـال لِىَ اسْـتَـقْـدِمْ أَمَـامَك إنما فكاكُك أَنْ تَلْقَى الفَـرَزْدَقَ بالمِصْـرِ

أى: قد جُرِّبَ مثل هذا منكَ فى المستجيرِ بقبرِه.

[لهو النعمان بن المنذر]

وحدثنى العـباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشِـىُّ فى إسناد قد ذَهَبَ عنى أكثـرهُ، قال: نزل النُّعْمـانُ بنُ المُنْذِرِ ومعه عَـدِىُّ بن زَيد فى ظلِّ شَجرة مُـونقَة، ليَلْهُوَ النُّعـمَانُ هناك، فـقال لـه عدىُّ بن زيد: أَيُّهـا الملكُ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أتَـدْرِى ما تقـولُ هذه الشجرة؟ قال: وما الذى تقول؟ قال: تقول[2]:

[مَنْ رآنا فَـلْيُـحَـدِّثْ نفـسَـهُ أنه مُـوف على قَـرْن زَوالْ
وصُـروفُ الـدهرِ لا يَبْـقَى لـهـا ولمَـا تأتـى به صُمُّ الجِـبَـالْ]
رُبَّ رَكْبٍ قـد أَنَاخُـوا حَـوْلَنَا يَمْـزجُـونَ الخـمـرَ بالماء الزُّلالْ
[والأباريقُ عـليـهـا فُـدُمٌ[3] وجـيـادُ الخيل تَرْدى فى الجِـلالْ
عَـمَّـرُوا الدَّهرَ بـعَـيْشٍ حـسَنٍ قَطَعـوا دَهرَهُمْ غَـيْـرَ عـجَـالْ]
ثم أضْـحَـوْا عَـصَـفَ الدَّهرُ بهمِ وكـذاكَ الدَّهْرُ حـالا بعـدَ حـالْ

قال: فَتَنَغَّصَ النعمان.

وهذا فى الأمثالِ كثيرٌ، وفى الأشعار السائرة.

وأمـا قولـهُ «حُكْمُكَ مُـسَمَّطًا» فـإعـرابُه أنه أرادَ: لك حُكْمُكَ مُـسَـمَّطًا، واسْتُعْملَ هذا فكَثر، حتى حُذفَ استخفافًا، لعلم السامع بما يُريدُ القائلُ، كقولك: «الهلالُ والله»، أى هذا الهلالُ، وأَغْنَى عن قوله: «هذا» ـ القَصدُ والإشارةُ.

وكان يقـالُ لرُؤبَة: كيفَ أَصبحْتَ؟ فـيقول: خَـيرٍ عافاكَ اللهُ، فلم يُضْـمرْ حرفَ الخفضِ، ولكنه حَذَفَ لكثرة الاستـعمال. والمُسَمَّطُ: المرسلُ غيرُ المردود[4]. والكَوْمَاءُ: العَظيمة السَّنَامِ.

---

(١) سورة فصلت ١١. (٢) كل ما كان بين المربعين من زيادات ر.

(٣) الفدم: جمع فدام، وهو ما يوضع على فم الإبريق لتصفيته عند الشرب. (٤) المردود: النافذ حكمه.

بابـ

[أبو رافع مولى الرسول عليه السلام]

قال أبو العباس: قال الليثيُّ[(١)]: أعتقَ سعيدُ بن العاصى أبا رافعٍ إلا سَهْمًا واحدًا فيه، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُهـا لنا، فاشترَى رسولُ الله ﷺ ذلك السهمَ فأعتقه. وكان لأبى رافع بَنُونَ أشراف، منهم عُبيد الله بنُ رافع، وحديثُه أثبتُ الحديثِ عن عليٍّ بن أبى طالب، وكان كالكاتب له، وكان عُبيدُ الله بنُ أبى رافعٍ شريفاً، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاءِ رسولِ الله ﷺ، فلما وَلِيَ عمروُ بنُ سعيد الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْملْ شيئا قبل إرساله إلى عُبيد الله بن أبى رافعٍ، فقال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقال له: مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، فأبرزه فضربه مائة سوط، ثم قال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقال: مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، فضربه مائة أخرى. فلما رأى عبدُ الله أخاه غيرَ راجعٍ، وأن عمرًا قد أَلَحَّ عليه فى ضربه، قام إلى عمروٍ فقال له: اذكر المِلْحَ، فأمسك عنه.

والمِلْحُ ههنا اللَّبَنُ، يريدُ الرَّضاعَ، كما قال أبو الطَّمَحان القَيْنيُّ:

وإنّى لأرجُو مِلْحَهـا فى بُطونكمْ ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[(٢)]

* * *

[كذا وقعت الرواية، والصوابُ «أغْبرِ» لأنَّ قبلَه:

ولو عَلِمَت صَرْفَ البُيوع لَسَرَّهَا ... بمكَّة أن تبْتاع حَمْضًا بإذخِرِ[(٣)]

قاله ش].

* * *

وكما قال الآخرُ[(٤)]:

لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ العِبـا ... دِ والمِلْحُ مـا وَلَدَتْ خـالِدَه

(١) زيادات ر: «هو الجاحظ».

(٢) الخبر فى الإصابة ٧: ٦٤ «كان أبو رافع عبدا لسعيد بن العاصى، فأعتق كل من بنيه نصيبه منه إلا خالد ابن سعيد، فإنه وهب نصيبه للنبى ﷺ فأعتقه، فكان يقول: أنا مولى رسول الله».

(٣) الإذخر: حشيش طيب الريح، واحدته إذخرة.

(٤) نقل المرصفى عن ابن الأعرابى أنه الحارث بن عمرو الفزارى، وعن المفضل، هو شتيم بن خويلد الفزارى.

ويروى أن عُبيد الله بن أبى رافع أتَى الحسنَ بنَ علىٍّ بن أبى طالبٍ فقال: أنا مولاك، فقال فى ذلك مَوْلَى لِتَمَّام بن عبد المطَّلب، يَعْذُلُه ويُعَيِّره:

جَحَدْتَ بنى العباس حَقَّ أبيهمُ ... فما كُنْتَ فى الدَّعْوَى كريمَ العَوَاقِب
مَتَى كَانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ ... يَحُوز ويُدْعَى والدًا فى المَنَاسِبِ!

يُريدُ أنَّ العباسَ أَوْلَى بولاء مَوْلَى رسولِ الله ﷺ؛ لأن العمَّ مَدْعُوٌّ والدًا فى كتاب الله تعالى، وهو يَحُوزُ الميراثَ.

وقال رجلٌ من الثَّقَفِيِّينَ: أَنْشَدْتُ مَرْوان بنَ أبى حَفْصة هذين البيتين، فوقع عندى أنه من هذا أخَذَ قولَه:

أَنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ ... لِبَنِى البنَاتِ وِراثَةُ الأَعْمَامِ
أَلْغَى سِهَامُهم الكتابُ فما لَهُمْ ... أَن يَشْرَعُوا فيه بغيرِ سِهَامِ

وقال طاهرُ بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس للطالبيين:

لو كانَ جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا ... فتَنَازَعَا فيها لوَقْتِ خِصَامِ
كانَ التُّرَاثُ لِجَدِّنا مِن دُونه ... فَحَوَاهُ بالقُرْبَى وبالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معروفةٌ ... والعَمُّ أَوْلَى من بنى الأعمامِ

وذكر الزُّبَيْرِيُّون عن ابن الماجشُون قال: جاءنى رجل من وَلَد أبى رافعٍ، فقال: إنى قد قَاوَلْتُ رجلا من مَوَالِى بعضِ العربِ، فقلتُ: أنا خيرٌ منكَ، فقال: بل أنا خير منكَ، فما الذى يَجِبُ لِى عليه؟ فقلتُ: ليس فى هذا شىء، فقال: أنا مَوْلَى رسولِ الله ﷺ ويَزْعُمُ أنَه خير منى، قال: قلتُ: قد يَتَصَرَّفُ هذا على غير الحَسَبِ، قال: فلما رآنى لا أَقْضِى له بشىء قال لى: أنت دافعٌ مَغْرَمًا[1]؛ لأن وَلائى عندَه ليس فى موضعٍ مَرْضِيٍّ؟ قال - وصَدَقَ -: فى بنى تَيْمٍ لتَيمٍ مَنْ هو أشرفُ وَلاَءً مِنِّى.

[أسامة بن زيد يقاول عمرو بن عثمان]

وحُدِّثْتُ أَنْ أُسامةَ بن زيد قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمان فى أَمر ضَيْعَة يدعيها كلٌّ واحدٍ منهما، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ، فقال عمرو: يا أَسامةُ، أَتَأْنَفُ أن تكونَ

(١) مغرما: حقا تتقاضاه.

مولاىَ! فقال أُسامة: والله ما يَسُرُّنى بولائى من رسول الله ﷺ نَسَبُكَ ! ثم ارتفعا إلى مُعـاوية، فَلَجَّا بين يديه فى الخصـومة، فتقـدم سعيدُ بن العـاصى إلى جانب عَمرو، فجعل يُلَقِّنُه الحجةَ، فتقـدم الحسنُ إلى جانب أسامة يُلَقِّنُهُ، فَوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبى سفيانَ، فصار مع عمرو، ووثَب الحسيُـن فصار مع أَسامةَ؛ فقام عبد الرحمن ابنُ أُمِّ الحكَم، فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة، فقام الوليدُ بن عُقْبَةَ فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامةَ، فقال معاويةُ: الجَـلِيَّة عندى، حَضَرْتُ رسـول الله ﷺ وقد أَقْطَعَ هذه الضَّيْعـةَ أسامة، فانصرف الهاشـميون، وقد قُضِىَ لهم، فقال الأُمَـوِيُّون لمعاويةَ: هلاَّ إذْ كانت هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّـحَزُّبِ، أَو أَخَّرْتَها عن هذا المجلس ! فتكلم بكلام يدفعهُ بعضُ الناس.

[الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير]

وكان الذى اعْتَـدَّ به الحجَّاجُ بن يوسفَ على سـعيد بن جُبَيْـر لَمَّا أُتِىَ به إليه بعدَ انقضـاء أَمرِ ابنِ الأشْعث، وكان سـعيدٌ عبدًا لرجلٍ من بـنى أَسَد بن خُزَيمةَ، فاشتراه سعيدُ بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعًا، فقال له الحجَّاجُ: يا شقى ابن كُسَـيْرٍ، أَما قَدمْتَ الكـوفةَ، وليس يؤُمُّ بها إلاَّ عَربـىٌّ فجعلتُك إمامًـا ! قال: بلى، قال: أَفَـما وَلَّيْتُكَ القَضـاءَ فَضَجَّ أَهلُ الكوفة وقالوا: لا يصْلُحُ الـقضاء إلاَّ لعربىٍّ، فاستقضيتُ أَبَا بُرْدَةَ بنَ أبى موسى الأشعرىَّ وأَمَرْتُه ألا يقطعَ أَمرًا دُونَك ! قال: بلى، قال: أَوَ ما جعلتُك فى سُمَّارى وكلُّهم من رءُوس العرب ! قال: بلى، قال: أَوَ ما أَعطيـتك مائة أَلف درهمٍ لتفرِّقَها فى أهل الحـاجة، ثم لم أَسأَلْكَ عن شىء منها ! قال: بَلَى، قال: فما أَخْـرَجكَ علىَّ؟ قال: بَيعةٌ كانت لابن الأشعث فى عُنُقى، فَغَضب الحَجَّاجُ، ثم قال: أَفَما كـانتْ بَيْعةٌ أمير المؤمنين عبد الملك فى عُنُقكَ قَبْلُ؟ والله لأقْتُلَنَّكَ، يَا حرَسِىٌّ، اضْـرِبْ عُنُقَهُ. ونظر الحَجَّاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرج مع عبـد الرحمن، من الفقهاء وغيـرهم، من الموالى، فأَحَبَّ أَنْ يُزيلَهم عن موضع الـفصاحـة والآداب، ويَخْلطَهُمْ بأهل القـرى والأنْباط، فقـال: إنما الموالى عُلوج، وإنما أُتِىَ بهم من القُرَى، فَقُـراهُم أولَى بهم. فأمر بتسييـرهم من الأمصار وإقْرَار العـرب بها، وأمر أن يُنْـقَشَ على يَد كلِّ إنسان منهم اسْمُ قـريَته. وطالتْ وِلايتهُ، فَتَوالَدَ القـوم هُناك، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أَوَلادِهم، وفسدتْ طَبـائِعهُمَ. فلمَّا قام

سليمانُ بن عبد الملك أخرجَ مَنْ كان فى سجن الحَجَّاج من المظلومين، فيقال إنه أخرج فى يَوْمٍ واحدٍ ثمانين ألفًا، وردَّ المنقوشين، فَرَجَعوا فى صورة الأَنْباط، ففى ذلك يقولْ الراجز:

جَارِيَةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبلْ   أخرجها الحَجَّاجُ من كِنٍّ وظلْ
لو كَانَ بَدْرٌ حاضِرًا وابنُ حَمَلْ   ما نُقشَتْ كَفَّاكِ فى جِلدٍ جَلَلْ

* * *

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لَمَّا استُقْضِىَ عليها نُوح بن دَرَّاجٍ[1]:

يأَيها الناسُ قد قامَتْ قيامَتُكُمْ   إذْ صَارَ قاضيكُم نوحُ بن دَرَّاجِ
لو كَانَ حَيًّا له الحَجَّاجُ ما سَلِمَتْ   كَفَّاه ناجيةَ من نَقْشِ حَجَّاجِ

ويُرْوَى عن حسَّانَ، المعروفِ بالنَّبَطِىِّ - صاحب مَنارة حَسَّانَ فى البَطِيحة[2] - قال: أُريتُ الحَجَّاجَ فيما يرى النائم، فقلتُ: أصلح اللهُ الأميرَ! ما صَنَعَ اللهُ بكَ؟ فقال: يا نبطىُّ، أهذا عليك! قال: فَرَأَيْتُنا لا نُفْلِتُ مِنْ نَقْشِهِ فى الحياةِ، ومِنْ شَتْمِهِ بَعدَ الوفاة!

ويُروى عن حَسَّانَ أنه قَصَّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين، فقال له ابنُ سيرين: لقد رأيتَ الحَجَّاجَ بالصِّحة.

[حديث الجحاف والأخطل]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّينَ أن الجَحَّاف بنَ حَكِيم دخل على عبد الملك، والأخْطَلُ عندَه، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال:

أَلاَ أَبْلغ الجَحَّافَ هل هُوَ ثائرٌ   بقتْلَى أُصِيبتْ من سُلَيْمٍ وعامرِ!

فقال الجَحَّاف:

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ   ونَبْكِى عُمَيْرًا بالرِّماحِ الْخَوَاطِرِ

---

(١) زيادات ر: «ينسب للفرزدق»، وقال المرصفى: هذا خطأ فإن الفرزدق مات سنة عشرة ومائة، ومات نوح ابن دراج وهو قاض بالجانب الشرقى ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة».

(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

ثم قال: يا بْنَ النَّصرانيَّة، ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِئ عليَّ بمثل هذا ولو كُنْتُ مأسورًا لك! فَحُمَّ الأخطلُ خوفًا، فقال له عبدُ الملك: أنا جَارُكَ منه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هَبْكَ أَجَرْتَنِى منه فى اليَقظة، فَمنْ يُجيرُنى منه فى النَّوم!

ومن هذا أو نحوه أَخَذَ السُّلَمِىُّ قوله:

[قال أبو الحسن: هو أَشْجَعُ السُّلَمِىُّ يقوله للرشيد]:

وعلى عَدُوِّكَ يا بنَ عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإظْلامُ
فإذا تَنبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ

[هرب العديل من الحجاج]

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العجْلىُّ هاربًا منَ الحَجَّاجِ، فجعلَ لا يَحُلُّ ببلدة إلاَّ رِيعَ لأثَرٍ يراهُ من آثارِ الحَجَّاجِ فَيَهْرُبُ، حتى أَبْعَدَ، ففى ذلك يقول العَدَيْل:

يُخَشُّونَنِى الحَجَّاجَ حتى كأنَّما يُحَرِّكُ عَظْمٌ فى الفؤاد مَهيضُ(١)
ودُونَ يَدِ الحَجَّاجِ مِن أَنْ تَنَالَنى بِسَاطٌ لأَيْدِى اليَعْمَلاَتِ عَرِيضُ(٢)

فلم يَنْشَبْ أن أُتِىَ به الحَجَّاج، ففى ذلك يقولُ العُدَيْلُ:

فلو كُنْتُ فى سَلْمَى أَجا وشِعابها لكانَ لحَجَّاجٍ علىَّ دليلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حَتَّى كأنَّما أَتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

أَجأ وسلْمَى: جبَلا طَيِّئٍ، و«أَجَأ» مهموز، وإنما هو «أجا» مقصورٌ، فاعلم، قال زَيدُ الخَيْلِ:

جَلَبْنَا الخَيلَ مِنْ أَجَإٍ وسلْمَى تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئابِ(٣)

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها، إن كانت الهمزةُ مكسورة جَعَلَها ياء، أو ساكنةً جعلها على حركة ما قَبْلَها، وإن كانت مفتوحةً وقَبْلها فتحةٌ جعلها ألفًا، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واوًا، قال الفرزدق:

رَاحتْ بمَسْلمةَ البِغَالُ عَشيَّةً فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

(١) يخشوننى: يخوفوننى. (٢) البساط: الأرض العريضة.
(٣) نزائع: واحدتها نزيعة، وهى التى تشتاق إلى أوطانها.

وقال حَسَّانُ بن ثابت:

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فاحشة ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سَالَتْ ولم تُصِبِ!

وقال عبد الرحمن بنُ حَسَّان:

وكنتَ أَذَلَّ من وَتَدٍ بِقاعٍ ... يُشَجِّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِي

[قول الفرزدق في عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق]

وأما قولُ الفرزدق، فإنه يقول لَمَّا عُزِلَ مُسْلَمةُ بنُ عبد المَلك عن العِراق بعد قَتله يزيدَ بنَ المُهلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبِه وَوَلِيَ عُمَرُ بن هُبيرَةَ:

راحتْ بمَسْلَمةَ البِغالُ عشيةً ... فَارعَىْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ ... أَنْ سوفَ تَطْمَعُ في الإمارة أَشْجَعُ

فأَرَى الأُمورَ تَنكَّرَتْ أَعلامُها ... حتى أُمَيَّةُ عن فَزَارةَ تَنْزِعُ[1]

عُزِلَ ابنُ عمروٍ وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ ... وأَخُو هَراةَ لِمثْلِها يَتَوقَّعُ

ففي جواب هذا يقول الأَسَدى[2] لمَا وَلِيَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ:

بَكَت المنابرُ من فَزارَةَ شَجْوَها ... فالآن من قَسْرٍ تَضِجُّ وتخْشَعُ

وَملوكُ خندفَ أَسْلَمُونَا للْعِدَا ... للهِ دَرُّ مُلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ!

[كانوا كَتَارِكَةٍ بَنِيهَا جَانِبًا ... سَفَهًا وغيرَهُم تَصُونُ وتُرْضِعُ][3]

وأما قول حَسَّانَ:

* سَالَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فاحشة *

فلَيس من لغته «سلْتُ أَسَال» مثل: «خفْتُ أخافُ»، و«هُمَا يَتَسَاوَلاَن»، هذا من لُغَةِ غيرِه، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله ﷺ أن يُحلَّ لها الزِّنَا.

[مفاخرة بين أسدي وهذلي]

ويُرْوَى أَنَّ أَسديًّا وهُذَلِيًّا تَفَاخرَا، فرَضيَا برجلٍ، فقال: إنّي ما أَقْضي بينكما إلاَّ أنْ تَجعلا لِي عَقْدًا وثيقًا ألا تَضْرِبَا ولاَ تَشْتِما، فإِنِّي لستُ في بلادِ قَومِي،

(١) زيادات ر: «تنزع، رواية عاصم، فمن روى «تنزع» بضم التاء يعني «تعزل»، ومن روى بفتح التاء وكسر الزاي فهو من النزع في القوس، وهو الرمي، يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها، وأنها ترمي عن قوسها».

(٢) نسبه المرصفي إلى إسماعيل بن عمار. (٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

ففعلاً. فقال: يا أخا بَني أسد، كيف تُفَاخرُ العربَ وأَنْتَ تعلمُ أنه ليس حَيٌّ أحَبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيْف، ولا أَقَلَّ تحتَ الرايات منكم! وأمَّا أنتَ يا أَخَا هُذَيْلٍ، فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلال ثلاثٌ: كان منكم دَليلُ الحبشة على الكَعْبة، ومنكم خَوْلَةُ ذاتُ النِّحْيَين، وسألتُم رسول الله ﷺ أن يُحلَّ لكم الزِّنا! ولكن إذا أَرَدْتُمَا بَيْتَيْ مُضَرَ، فعليكمَا بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيْس، قومًا في غير حفظ الله!

وأمَّا بيتُ عبدِ الرحمن بن حَسَّانَ فإنه يقوله لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أَبي العاصي ـ وكان يُهاجيه، فقال له في كَلمَته:

وأمّا قولكَ الخُلفاءُ منَّا ... فهم منَعُوا وَريدكَ من وِدَاجِ[1]
وَلولاهُمْ لكُنتَ كحُوت بَحْرٍ ... هَوَى في مُظْلِمِ الغَمَرات داجي
وكُنْتَ أَذَل مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأْسهُ بالفِهْرِ واجِي[2]

وكان أَحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سوَّارُ بن الْمُضَرَّب[3] ففي ذلك يقول:

أَقاتلِيَ الحَجَّاجُ إنْ لم أَزُرْ لَهُ ... دَرَاب وأَتْرُكْ عندَ هند فُؤَاديَا[4]
فإن كَانَ لا يُرضيكَ[5] حتَّى تَرُدَّني ... إلى قَطَرِيٍّ ما إخَالُكَ راضيًا
إذَا جَاوزَتْ دَرْبَ المجيزين ناقَتي ... فَباسْتِ أبي الحَجَّاجِ لَمَّا ثَنَانيَا[6]
أَيرْجو بنو مَرْوَانَ سَمْعِي وطاعتِي ... وقَومي تَميمٌ والفَلاةُ وَرَائيَا

«وورائي» هاهنا بمعنى: أمامي، قال الله عز وجل: **﴿وإنِّي خفْتُ الْمَوَالي منْ وَرَائي﴾**[7]، وقال جل ثناؤه: **﴿وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾**[8].

---

(١) وداج: مصدر ودجه، أي قطع ودجه، والودج: أحد الودجين، وهما عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها.

(٢) الفهر: الحجر ملء الكف، واجي: أصله واجيء، من الوجء، وهو الضرب والدق.

(٣) زيادات ر: «بفتح الراء».

(٤) دراب، قال المرصفي: «يريد دارا بجرد، فاقتصر على أحد الجزأين، وهي كورة بفارس».

(٥) زيادات ر: فاعل« يرضيك» مضمر أو منوى، تقديره: فإن كان لا يرضيك الإرضاء، ولا يجوز أن يكون ما بعد «يرضيك» الفاعل؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: الفاعل لا يكون جملة، و«حتى تردني» جملة، قاله ابن الأبرش».

(٦) درب المجيزين هو باب السكة، والمجيزون: هم المقيمون بأبواب الثغور يمنعون الخارج إلا من كان بيده جواز.

(٧) سورة مريم ٥.

(٨) سورة الكهف ٧٩.

[محمد بن عبد الله النميرى والحجاج]

ومن هَربَ من الحَجَّاج محمدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ، وكان يُشَبِّبُ بزينبَ بنْت يوسُفَ، أخت الحَجَّاج، وهو القائل فيها:

تَضَوَّعَ مسْكا بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسْوَة عَطِرَاتِ
يُخَبِّئنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجَن شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فى كلمةٍ له، فلمَّا أُتِىَ به الحَجَّاجُ قال:

هاكَ يدى ضاقَتْ بِىَ الأرض رُحْبَهَا ... وإنْ كُنْتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكان
فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأَسُومِهَا[1] ... لَخِلْتُك إلا أَنْ تَصُدَّ تَرانِى

* * *

[مَن رَفَعَ «رُحْبُها» فعلى البدل، ومن نَصَبَ فعلى الظرف، قاله ش. و«أسومها» بفتح الهمزة وبالضم، والفتح أحسن، ش].

* * *

ثم قال: والله أَيُّها الأميرُ، إنْ قلتُ إلاَّ خيرًا، إنما قلتُ:

يُخَبِّئنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجَن شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فعفَا عنه، ثم قال له: أخبرنى عن قولك:

ولَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعْرَضَتْ ... وكُنَّ منَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

ما كنتم؟ قال: كنتُ على حمارٍ هَزِيل، ومعى صاحبٌ لى على أتان مثله.

[مالك بن الريب والحجاج]

ومن هرب منه مالكُ بن الرَّيْبِ المازنىُّ، أَحَدُ بنى مَازِنِ بن مالك بن عمرو ابن تميم، وفى ذلك يقول:

إنْ تُنْصِفونا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاَّ فَأْذَنُوا ببِعَادِ
فَإنَّ لَنَا عنكم مَزَاحًا ومَزْحَلا ... بعيس إلى ريح الفَلاَةَ صَوَادِ[2]
فَفِى الأرض عن دارِ المَذَلَّةِ مَذهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبِلادِى

* * *

(١) أسوم: اسم جبل.

(٢) مزاحا، مصدر ميمى من زاح إذا بعد. ومزحلا، مصدر ميمى من زحل، إذا تنحى وتباعد. العيس: الإبل البيض، والصوادى: العطاش.

كذا وقعت الروايةُ بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصحُّ «أَوْطَنَتْ» بفتح الهمزة وفتح الطاء، قاله ش.

* * *

فمـاذا تُرَى الْحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُـهْدَهُ إذا نَحْنُ جـاوزنا حَـفـيـرَ زيادِ[١]
فلولاَ بَنُو مَـرْوَانَ كـان ابنُ يوسُفٍ كـما كَـانَ عـبـدًا من عَبِـيـدِ إيادِ
زَمـانَ هُوَ العَـبْـدُ المُقِـرُّ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحِ صِـبْـيَـانَ القُـرَى ويُغَـادِي

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف، وكان لقبهُ «كلَيْبًا»، وفى ذلك يقولُ القائل:

أَيَنْـسَى كُلَيْـبٌ زمـان الهُـزالِ وتَعْـلِيـمَـهُ سـورةَ الكَـوْثَرِ
رَغِـيـفٌ له فلـكَةٌ مـا تُرَى وآخَـرُ كـالقَـمَـرِ الأَزْهَرِ[٢]

يقولُ: خُبْزُ المُعَلِّمين يأتى مختلفًا، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلِفِى الأحوال.

وأَنْشَدَ أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظ:

أَمَـا رَأَيْتَ بنى بَـحْـرٍ وقـد حَـفَلُوا كَـأَنَّهُم خُـبْـزُ بَقَّـال وكُـتَّـاب
هذا طويـلٌ وهَذا حَنْبَلٌ جَـحِـدٌ يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ[٣]

وفى لَقبِه يقولُ آخرُ من أهل الطائف:

كُـلَيْـبٌ تَـمكَّـنَ فـى أَرْضِـكـم وقـد كـان فـينا صَـغِـيـرَ الخَطَرْ

ولما دخل الحَجَّاجُ مكةَ اعـتذرَ إلى أهلهـا لقلة ما وصلهم بـه، فقال قـائلٌ منهم: إِذَنْ واللهِ لا نَعْذِرُكَ وأنـتَ أميرُ العـرَاقَيْنِ وابنُ عَظيم القَـرْيَتَيْن! وذلك أنَّ عُرْوَةَ بنَ مسعود ولَدَهُ مِنْ قـبَلَ أُمِّه. وتأويلُ قول الله عزَّ وَجلَّ: **﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**[٤] مجازُهُ فى العـربية: «على رجل من

(١) حفير زياد: نهر احتفره زياد على خمس ليال من البصرة.
(٢) الفلكة: مستدار كل شىء.
(٣) الحنبل: القصير الضخم. والجحد: ضائق العيش.
(٤) سورة الزخرف ٣١.

رجلين من القـريتين عظيمٍ»، والقـريتـان: مكةُ والطائفُ، والرجـلان: عُـرْوَةُ بنُ مسعود، والآخرُ الوَليدُ بنُ المُغيرةِ بن عبدَ الله بن عُمَرَ بن مَخْزوم.

ويُرْوَى أن أبا بكر الصديق رحـمه الله مَرَّ بقبـره ومعه خالد، فـقال: أصْبَحَ جَمْرَةَ فى النار، فأجابه خالد فى ذلك بجواب غيرِّ مَرْضِىّ.

[مقتل عروة بن مسعود]

وأما عُـرْوَةُ بنُ مسعود فـإن رسولَ الله ﷺ بعثـهَ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فَـرَقِىَ سطحَهُ، فـرماه رجلٌ بسـهم فقـتله، فلما وَجَّـهَ رسولُ الله ﷺ العباسَ بن عبد المُطَّلب رحمه الله إلى أهل مكة أَبْطأَ عليه، فقال: «رُدُّوا علىَّ أَبى، أَمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلتْ ثقيفٌ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأُضْرِمَنَّهَا عليهم نارًا».

يقال: رَقِيتُ السطحَ وما كـان مثلَهُ أرقاه، مثلُ خَشِيتُهُ أَخْـشَاهُ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ تَرْقَى فى السَّمـاء﴾(١)، ويقال: رَقَيْتُ اللَّدِيغَ أَرْقِيـه، مثلُ رَمَيْتُه أرميه. ويقال: ما رَقَأَتْ عينُه من الدمعِ، مـهموزٌ «تَرْقَأ» يا فتى، مثل «قَرَأْتَ تَقْرَأ» يا فتى.

[فى موت ابن الحجاج وأخيه]

وكـان الحَجَّـاجُ رأى فى منامه أن عَـيْنَيْه قُلعَـتا، فطَـلَّقَ الْهِنْدَيْنِ: هندًا بنتَ الْمُهَلَّب، وهندًا بنتَ أسمـاء بنِ خَارِجَةَ، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءه نعىُّ أخـيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنُه محمدٌ، فقال: هذا والله تأويلُ رؤيایَ، ثم قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ فى يوم واحد!

حَسْبِى بقَاءُ الله من كلِّ مَيِّت ... وحَـسْبِى رَجـاءُ الله من كلِّ هالك
إذا كان ربُّ الـعرْشِ عَنِّىَ رَاضِـيًا ... فإنَّ شـفاءَ النفسِ فيـما هُنَالكَ(٢)

وقال: مَنْ يقول شعرًا يُسلينى به؟ فقال الفرزدق:

إنَّ الرَّزِيَّـةَ لا رَزِيَّةَ مـــثلُهـــا ... فُـقْـدَانُ مثْلِ مُـحـمـد ومحـمـد
مَلِكَانِ قـــد خلَتِ المَنَابِرُ منهـــما ... أُخَـذَ الحِـمَامُ عـليهـمـا بالمَرْصَـدَ

---

(١) سورة الإسراء٩٣.

(٢) زيادات ر: «ويروى: فإن سرور النفس».

فقال: لو زِدْتَنِى ! فقال الفرزدق:

إِنِّى لَبَاكٍ عَلَى ابْنَىْ يُوسُفَ جَزَعًا ... ومِثْلُ فَقْدِهِمَا لِلدِّينِ يُبْكِينِى
مَا سَدَّ حَىٌّ ولا مَيْتٌ مَسَدَّهُمَا ... إِلاَّ الخَلائِفَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ

فقال له: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، إنما زِدْتَ فى حُزْنى، فقال الفرزدق:

لَئِنْ جَزِعَ الحَجَّاجُ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ ... تكونُ لمحزونٍ أَجَلَّ وأَوْجَعَا
مِنَ المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خِيارِهِمْ ... جَنَاحَيْهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَوَدَّعَا
أَخٌ كَانَ أَغْنَى أَيْمنَ الأرضِ كُلَّهُ ... وأَغْنَى ابْنُهُ أَهلَ العِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا
جَنَاحَا عُقَابٍ فَارَقَاهُ كِلاهُمَا ... ولو نُزِعَا مِن غيرِه لَتَضَعْضَعَا

فقال: الآنَ.

أمَّا قولُهُ: «إلا الخلائفَ من بعد النبيين» فخَفَضَ هذه النون، وهى نون الجمع، وإنما فَعَلَ ذلك لأنه جَعَلَ الإعْرابَ فيها لا فيما قبلَها، وجعلَ هذا الجمع كسائر الجمع، نحو أفْلُسٍ، ومَسَاجِدَ، وكلاب، فإن إعرابَ هذا كإعراب الواحد، وإنما جاز ذلك؛ لأن الجمعَ يكون على أَبْنِيَةٍ شَتَّى، وإنما يُلْحَق منه بمنْهاجِ التثنيةَ ما كان على حدِّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عَنَ بنائه، وإلاَّ فلاَ، فإنَّ الجمعَ كالواحد، لاختلاف معانيه، كما تختلفُ معانى الواحد، والتثنيةُ ليستْ كذلك؛ لأنها ضَرْبٌ واحدٌ، ولا يكونُ اثنان أكثرَ من اثنين عدداً، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع، فمما جاء على هذا المذهب قولهم: هذه سِنِينٍ، فاعلمْ، وهذه عِشْرِينٍ، فاعلم، قال العَدْوَانىُّ:

إِنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو مُحافَظَةٍ ... وابنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ مِن أَبِيِّينِ
وأَنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مائةٍ ... فأَجمِعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فكِيدُونِى

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل:

ومَاذَا يَدَّرِى الشُّعَرَاءُ مِنِّى ... وقد جاوزْتُ حَدَّ الأرْبَعِينِ !
أَخو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّى ... ونَجَّذَنى مُدَاوَرَةُ الشُّئُونِ

وفى كتاب الله عز وجل: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾(١).

(١) سورة الحاقة ٣٩.

فإن قال قائل: فإن «غسلينًا» واحدٌ، فإنه كلُّ ما كانَ على بناء الجمع من الواحد فإعرابه كإعراب الجمع، ألاَ تَرَى أنَّ «عشْرينَ» ليس لها واحدٌ من لفظها، وإعرابُها كإعرابِ «مُسْلمينَ» واحدهم «مُسْلمٌ»! وكذلك جميعُ الأعراب. وتقول: «هذه فلسْطونَ» يا فَتى، و«رأيتُ فلَسْطين» يا فَتى، هذا القولُ الأَجْوَدُ وكذلك «يَبْرينَ»، وفى الرفع «يبْرونَ» يا فَتى، وكلُّ ما أَشْبَهَ هذا فهو بمنزلته، تقول: «قِنَّسْرُونَ»، و«رأيت قِنَّسْرِينَ»، والأجودُ فى هذا البيت[1]:

وشَاهِدُنَا الجلُّ واليَاسمُونَ والمُسْمِعَاتُ بقُصَّابِهَا[2]

وفى القرآن ما يُصَدِّق ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: **﴿كلاَّ إنَّ كتابَ الأبرار لفى علِّيينَ ❊ وما أَدْرَاكَ مَا عليُّونَ﴾**[3]، فمن قال: «هذه قِنَّسْرُونَ ويَبْرُونَ»، فَنَسَبَ إلَى واحد منهما رجلا أو شيئا قال: «هذا رجل قِنَّسْرِىٌّ ويَبْرِىٌّ»، بحذف النون والواو لمجىء حَرْفَي النَّسَب، ولو أَثْبَتُّهمَا لكان فى الاسم رَفْعَانِ ونَصبانِ وجَرَّان؛ لأن الياء مرفوعةٌ، والواوَ علامةُ الرفع. ومن قال: «قِنَّسْرِين» كما ترى قال فى النَّسَب: «قِنَّسْرِينىٌّ» لأنَّ الإِعراب فى حرف النَّسَب، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لَحِقه النَّسَبُ.

وأما قوله: «ونَجَّذَنى مُداوَرَةُ الشُّئون»، فمعناه: فَهَّمنى وعَرَّفَنى، كما يقال: حَنَّكَتْهُ التَّجارب، والناجذُ: آخِر الأضراس، من ذلك قولهم: ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه. والشئونُ: جمعُ «شَأْن» مهموزٌ، وهو الأمْر.

وقال المفسِّرونَ من أهلِ الفقه وأهلِ اللغة فى قول الله تبارك وتعالى: **﴿ولاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾**: هو غُسَالة أهلِ النار، وقال النحويُّون: هو «فِعْلِينٌ» من الغُسالَة.

[كلمة عمر بن عبد العزيز فى الولاة الظالمين]

ويُروَى أَنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز خرج يومًا فقال: الوَليدُ بالشَّام، والحَجَّاجُ بالعراق، وقُرَّة بنُ شريك بمصر، وعثمانُ بن حَيَّانَ بالحجاز، ومحمدُ بنُ يُوسفَ باليمن! امتلأتِ الأرْضُ والله جَوْرًا!.

(١) زيادات ر: «هو الأعشى».

(٢) زيادات ر: «الجل: الورد». «والقصاب: الأوتار، وقيل الزمار»، والمسمعات: الجوارى المغنيات.

(٣) سورة المطففين ١٨، ١٩.

[كتاب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك]

وكتب الحَجَّاجُ إلى الوليد بنِ عبد المَلك بعـدَ وفاة محمد بن يوسف: «أُخْبِرُ أمير المؤمنين ـ أكرمه اللهُ ـ أنه أصيبَ لمحمد بن يوسف خمسونَ ومائةُ ألف دينار، فإن يكُنْ أصابها من حلِّها فرحمَهُ الله، وإن تكن من خيانة فلا رحمه اللهُ»! فكَتَبَ إليه الوليدُ: «أما بعدُ، فقد قرأَ أميـر المؤمنين كتابَكَ فيما خلَّفَ محمدُ بن يوسف، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ له أحْلَلْناها، فتَرَحَّمْ عليه، رحمه الله»!

[من كلام معاوية لابنه يزيد]

ويُروَى أن يَزيدَ بنَ معـاويةَ قال لمعاويةَ فى يوم بُويِعَ له على عَهْـده، فَجَعَلَ الناسُ يَمـدحونَه ويُقَـرّظونهُ: «يا أميـرَ المؤمنين، والله ما نَدْرى، أَنخْـدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنَا»! فـقال له معاويةُ: «كلُّ مَنْ أَرَدْتَ خـديعتَهُ فتَخَـادَعَ لَك حَتَّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خدَعْتَهُ».

[كتاب الحجاج إلى عبد الملك]

ويُروَى أن الحَجَّاجَ كَتَبَ إلى عبد الملك بنِ مَرْوَانَ: «وبَلغَنى أنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسَةً فَشَـمَّتَهُ قوم فقال: يغـفر الله لنا ولكم، فياَ لَيْتَنى كنت معـهم فأَفُوزَ فوْزًا عظيما»!

[تفجع الوليد لموت الحجاج]

وزَعَم الأصْمَـعِىُّ قال: خرَجَ الوليـدُ يومًا على الناس وهو مُشْـعَانُّ الرَّأْسِ، فقال: مات الحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ، وقُرَّةُ بن شَريك، وجعَلَ يَتَفَجَّعَ عليهما.

قوله: «مُشْعَانُّ الرَّأْسِ» يعنى مُنْتَفِخَ الشَّعَرِ(١) متفرِّقه.

ومثلُ هذا لا يكونُ فى شعْر، لأن فى هذا التقاء ساكنَيْنِ، ولا يَقَعُ مثلُ هذا فى وزن الشعر، إلاَّ فيما تقدم ذِكْرُهُ فى المُتَقارِب، وليس ذا على ذلك الوزن.

[رسول عمر بن عبد العزيز إلى إليون ملك الروم]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عُـمَرَ بنَ عبـد العزيز رحمه الله وجَّـهَ عبدَ الله بنَ عـبد الأعْلَى ومعه رجل من عَنْسٍ إلى إلْيُـونَ، فقال العَنْسِىُّ: فَخَلاَ بِى عُـمَرُ دونهُ، وقال لى:

---

(١) زيادات ر: «والرواية منتفخ» والصحيح «منتفش» قاله ابن سراج.

احفظْ كلَّ ما يكونُ منه، فلمــا صرْنا إليه صرْنا إلى رجلٍ عَرَبىِّ اللســان، إنَّما نَشَأَ بمَرْعَشَ(١)، فذَهَبَ عبدُ الله ليتكَلَّمَ، فـقلتُ: على رِسْلكَ، فَحَمَدْتُ اللهَ وصليتُ على نبـيـه ﷺ، ثم قلتُ: إنِّى وُجِّهْـتُ بالذى وُجِّهَ به هذا، وإنَّ أمـيـرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام، فإنْ تَقْبَلْهُ تُصبْ رُشْـدكَ، وإنى لأَحْسبُ أَنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء، إلاَّ أن يشـاء اللهُ غيرَ ذلك، فإن قَبِلْتَ وإلاَّ فاكتـبْ جوابَ كتابنا.

قـال: ثـم تكلَّمَ عبـدُ الله، فحـمـد الله وصلى على نبـيـه ﷺ، وذَهَبَ فى الـقول ـ وكَان مُفوَّهًا ـ فـقال له إلْيُونُ: يا عبدَ الله! ما تقـول فى المَسيح؟ فقال: رُوحُ الله وكَلمَتُهُ، فقال: أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ! فقال عبدُ الله: فى هذا نَظَرٌ! فقال: أَىُّ نَظَرَ فى هذا؟ إمَّا نَعمْ وإمَّا لاَ! فقال عـبدُ الله: آدمُ خَلَقَه اللهُ من تراب، فقال: إنَّ هذا أُخْرجَ من رَحِمٍ، قـال: فى هذا نظر! قال له إلْيونُ بالرُّومـيَّة: إنِّى أَعْلَمُ أنك لَستَ على دينى ولا على دين الذى أرسلك ـ قال: وأنا أفهـمُ بالرُّومية ـ ثم قال: أَتعظِّمُون يومًا غيرَ يومِ الجمعة؟ فـقال: نعم، فقال: وما ذلك اليومُ، أَمِنْ أَعْيَادكُم هو؟ فقال: لا، قال: فلمَ تُعَظِّـمونَه؟ قال: عيدٌ لقومٍ كانوا صَـالحين قبلَ أن يَصير إليكم، قال: فـقال له إليـونُ بالرومية: قـد علمتُ أنكَ لستَ على دينى ولا على دين الذى أرسلك، فـقال له عـبد الله: أَتَدْرى مـا يقول أَهلُ السَّـفَه؟ قـال: وما يقولون؟ قال: يقولون: قال إبليسُ: أُمِـرتُ أَلا أَسْجُدَ إلاَّ لله، ثم قيلَ لى: اسْجُدْ لآدم، قال: فـقال له بالرومية: الأَمْـرُ فيك أَبيْن من ذلك، قال: ثم كَـتَبَ جوابَ كُتُبِنا، قال: فَـرَجَعْنا إلى عمرَ بها، قال: فَخَبَّـرناه بما أردنا ثم نهضنا، فَرَدَّنى إليه من باب الدار فخلا بى، فـأخبرتهُ، فقال: لَعَنَهُ اللهُ! لقـد كانت نفسى تأباهُ، ولم أَحْسبْهُ يَجْـتَرئُ على مثل هذا، قال: فلما خرجتُ قال لى عـبد الله: ما الذى قال لكَ؟ قال: قلتُ قال لى: أَتَطْمَعُ فيه؟ قلت: لا.

[الشعبى عند صاحب الروم]

ولما وجَّهَ عبدُ الملك الشَّعْبىَّ إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه، قال له صاحب الروم بعدَ انقضاء ما بينهـما: أَمِنْ أَهْلِ بيت المَمْلكة أَنتَ؟ قال: قلتُ: لا، ولكنى رجلٌ

---

(١) مرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم.

من العرب، قال: فكتب معى رُقْعةً، وقال لى: إذا أَدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأَدِّ هذه الرُّقعةَ إلى صاحبك، قال: فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتُه جوابَ كتابه وخَبَّرْتُه بما دَارَ بيننا نَهَضْتُ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ، فرجعتُ فدفعتُها إليه، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَتَدْرِى ما فى هذه الرقعة؟ قلتُ: لا، قال: فيها «العَجَبُ لقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أُمورَهم غيرَه»، قال: فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَفَتَدْرِى مَا أَرَادَ بهذا، قلتُ: لا، قال: حَسَدَنِى عليكَ، فأرادَ أن أَقْتُلَكَ، قال: فقلتُ: إنما كَثُرْتُ عندَه ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ لأنه لم يَرَكَ، قال: فرجَعَ الكلام إلى مَلِك الروم، فقال: لله أَبُوه! مَا عَدَا مَا فى نَفْسِى!

[معاوية وأحد بطارقة الروم]

وحُدِّثْتُ أَنَّ معاوية، كان إذا أتاه عن بِطْرِيق من بَطارقة الروم كَيْدٌ للإسلام احتالَ له، فأَهْدَى إليه وكاتَبَه، حتى يُغْرِىَ به مَلِك الروم، فكانت رُسُلُه تأتيه فتُخبره بأن هناك بِطْرِيقًا يُؤْذِى الرُّسُلَ، ويَطْعُنُ عليهم، ويسىء عِشْرَتَهُمْ، فقال معاويةُ: أى ما فى عَمَلِ الإسلامِ أَحَبُّ إليه؟ فقيل له: الخِفافُ الحُمْرُ، ودُهْنُ البَانِ، فأَلطَفَهُ بهما، حَتَّى عَرَفَتْ رسلُه باعتياده، ثمْ كَتَبَ كتابًا إليه، كأنه جوابُ كتابِه منه، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وَعَدَهُ به من نصرِه وخِذلانِ مَلِك الروم. وأَمَرَ الرسولَ بأن يَتَعَرَّضَ لأنْ يُظْهَرَ على الكتاب، فلمَّا ذَهَبَتْ رُسُلُهُ فى أوقاتها ثم رَجَعَت إليه، قال: ما حَدَثَ هناك؟ قالوا: فلانٌ البِطْرِيق رأيناهُ مقتولا مصلوبًا، فقال: وأَنَا أبو عبد الرحمن![1].

[رسولا ملك الروم عند معاوية]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ مَلَك الرُّوم فى ذلك الأوَانِ وَجَّهَ إلى معاويةَ: «إنّ الملوكَ قَبْلَك كانت تُرَاسِلُ الملوكَ منَّا، ويَجْهَدُ بعضُهم فى أَنْ يُغْرِبَ على بعض، أَفَتَأْذَنُ فى ذلك»؟. فأَذِنَ له، فوَجَّهَ إليه برجلين: أحدُهما طويلٌ جَسيمٌ، والآخرُ أَيِّدٌ، فقال معاويةُ لعَمْرٍو[2]: أمَّا الطويلُ فقد أصَبْنَا كُفْأَهُ ـ وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبَادَةَ ـ وأما

---

(١) قال المرصفى: «يريد أغريت بما صنعت له ملك الروم حتى قتله وصلبه وأنا المعروف بالكيد والدهاء، وعبد الرحمن ولده من فاختة بنت قرظة».

(٢) يريد عمرو بن العاص.

الآخرُ الأيِّدُ فقد احتَجنْا إلى رأيكَ فيه، فقال: هاهنا رجلان، كلاهُما إليك بَغيضٌ: محمدُ بنُ الحَنَفيَّةِ، وعبدُ الله بنُ الزُّبيْرِ، فقال معاويةُ: مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إلينَا على حال. فلما دخلَ الرجلان وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعد بن عُبادةَ يُعْلِمُه، فدخل قيسٌ، فلما مَثَلَ بين يَدَىْ معاويةَ نَزَعَ سَرَاويلَه فرمى بها إلى العِلْجِ، فلبسها فنالت ثُنْدُوَته(١)، فأَطْرَقَ مغلوبًا، فَحُدِّثْتُ أن قَيْسًا لِيمَ فى ذلك، فقيلَ له: لِمَ تَبَذَّلْت هذا التَّبَذُّلَ بحضْرَةِ معاويَةَ، هَلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها! فقال:

أَرَدتُ لكَيْمَا يَعْلَمَ الناسُ أنها ... سَراويلُ قَيْسٍ والوُفودُ شهودُ
وأَلاَّ يقولُوا: غَابَ قَيْسٌ وهذه ... سَراويلُ عادى نَمَتْهُ ثمودُ
وإنى مِنَ القومِ اليَمَانِينَ سَيِّدٌ ... وما الناسُ إلاَّ سَيِّدٌ وَمَسُودُ
وبَذَّ جميعَ الخَلقِ أَصلى ومَنْصِبِى ... وجسمٌ بِهِ أَعْلُو الرِّجالَ مَديدُ

وكان قيسٌ سِنَاطًا(٢) ، فكانت الأنصارُ تقول: لوددنا أنا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا، وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء الله.

ثم وَجَّهَ إلى محمد بن الحنفيَّة، فدخلَ، فَخُبِّرَ بما دُعِىَ له، فقال: فقولوا له: إن شاءَ فَلْيَجْلسْ وَلْيُعْطنى يَدَهُ حتَّى أُقيمَهُ أو يُقْعِدَنى، وإن شاءَ فليكنِ القائمَ وأنا القاعدَ، فاختارَ الرومىُّ الجلوسَ، فأقامه محمدٌ، وعَجَزَ هو عن إقْعاده، ثم اخْتَارَ أن يكونَ محمدٌ هو القاعدَ، فَجَذَبَهُ فأقْعده، وعجزَ الرومىُّ عن إقَامته، فانْصَرَفَا مغلوبَيْن.

[معاوية يهدى ملك الروم قارورة مملوءة ماء]

وحدثنى أحدُ الهاشميِّين: أن مَلكَ الرُّوم وَجَّه إلى معاويةَ بقارورة، فقال: ابْعَثْ إلىَّ فيها من كلِّ شىء، فبَعَثَ إلَى ابنِ عباسٍ، قال: لتُمْلأْ له ماءً، فلما وَرَدَ بها على ملك الروم قال: لله أبوه ما أدهاهُ! فقيلَ لابنِ عباسٍ: كيفَ اختَرْتَ ذلك؟ فقال: لقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾(٣).

---

(١) زيادات ر: «الثندوة: ما اسود حول الحلمة».

(٢) زيادات ر: «السناط والسنوط: أن يكون فى الذقن شىء من الشعر، ولا يكون فى العارضين شىء، فإن لم يكن فيهما جميعا فهو الثط».

(٣) سورة الأنبياء ٣٠.

[طعم الماء]

وقيل لرجلٍ من بنـى هاشمٍ ـ وهو جعفـرُ بنُ محمـدِ بنِ عَلِىٍّ بن الحُسَيْن، وكان يُقَدَّم فى مَعْرِفَتِهِ ـ: ما طَعْمُ الماء؟ فقال: طعمُ الحَيَاة.

[عبد الله بن الزبير وعلاج لحيته]

وأمَّا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر فيَذْكُرُ أَهْلُهُ أنه قال: عالَجتُ لِحْيَتِى لِتَتَّصِلَ لى إلى أن بلغتُ سِتِّين سنةً، فلما أكْمَلْتُهَا يَئِسَتُ منها.

[من أخبار قيس بن سعد]

وكان قيسُ بنُ سـعد شجاعًا جَوادًا سـيِّدًا، وجاءته عجوزٌ قـد كانت تأْلَفهُ، فقال لها: كيفَ حالُك؟ فقالت: ما فِى بيتى جُرَذٌ، فقال: ما أَحْسَنَ ما سَأَلْت! أَمَا والله لأُكْثِرَنَّ جرْذَانَ بَيْتَك.

وكان سعـدُ بن عُبادةَ حيثُ تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَـسَمَ ماله بين ولَده، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به، فلما وُلِدَ له، قال له عـمرُ بن الخطَّاب ـ يعنى قَيْسًا ـ: لأَنْقضَنَّ ما فـعلَ سعدٌ، فجـاءه قيسٌ، فقال: يا أمـيرَ المؤمنين، نصيـبى لهذا المولودِ، ولا تَنْقضْ ما فَعلَ سعدٌ.

قال أبو العبـاس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيـثُ أَثِقُ به: أنَّ أبا بكر وعمرَ رحمهما الله مَـشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يَسْأَلاَنِه فى أمرِ هذا المولـود، فقال: نصيبى له، لا أُغَيِّرُ ما فعل سعد.

وكان معاويةُ كتب إلى قـيسِ بنِ سعد ـ وهو وَالِى مصرَ لعلىِّ بن أبى طالبٍ رحمه الله ـ: «أمَّـا بعد، فإنَّكَ يهودىٌّ ابنُ يهـودىٍّ، إن غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين إليكَ عزلَكَ واستَبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبْغَضُهـما إليك قَتَلَكَ، ومَثَّلَ بكَ، وقد كان أبوك فَوَّقَ سَهْمَهُ، ورمَى غَرَضَهُ، فأَكْثَرَ الحزَّ، وأَخْطَأَ المَفْصِل، حتى خَذَلَهُ قَوْمُهُ، وأدركه يومُه، فماتَ غريبًا بَحْوَرَان، والسلامَ».

فكتب إليـه قيسٌ: «أمَّـا بعدُ، فـإنك وَثَنُ ابنُ وَثَنٍ، لم يَقْـدُمْ إيمانُك، ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ، دَخَـلْتَ فى الدين كُرْهًا، وخرجتَ منهُ طوعًا، وقـد كان أبِى فَوَّقَ

سهمَهُ، ورَمَى غرَضَهُ، فَسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤُكَ، فلم تَشقُّوا غُبارَه، ولم تُدْركُوا شَأْوَه، ونحن أنصارُ الدِّين الذى خـرجتَ منهُ، وأعداء الدين الذى خرجتَ إليه، والسلامَ».

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعة قد بَذُّوا الناسَ طولاً وجمالاً، منهم: العباسُ ابنُ عبـد المطلب رحمه الله، ووَلَدُهُ، وجَـريرُ بنُ عبد الله البَـجَلِيُّ، والأَشْعَثُ بنُ قيسٍ الكِـنْدِيُّ، وعَدِىُّ بنُ حاتمٍ الطائىُّ، وابـنُ جِذْلِ الطِّعَان الكنانـىُّ، وأبو زُبَيْدٍ الطائىُّ، وزيدُ الْخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائىُّ، وكان أحَدُ هؤلاء يُقَبِّل المرأة على الهَوْدَجِ، وكان يقال للرجل منهم مُقَبِّل الظُّعْن، وكان طـلحةُ بنُ عُبيد الله موصوفًا بالتمَّام.

بابـ

[لسليك بن السلكة]

قال أبو العباس: قال السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَة ـ وهى أُمُّـه، وكانت سَوْدَاءَ حَبَشِيَّةً ـ وكان من غِرْبان العَرَب، وهو السُّلَيْكُ بن عُمَيْر السَّعْدىُّ:

أَلاَ عَـتَـبَـتْ عَلَىَّ فَـصَـارَمَـتْنِى ... وأَعْـجَـبَـهـا ذَوُو اللِّـمَمِ الطِّوَالِ

فَـإِنِّى يابْـنَةَ الأَقْـوامِ أُرْبِى ... على فِـعْلِ الوَضِىِّ مِنَ الـرِّجَـالِ

فَـلا تَصِـلِى بِصُـعْلُوك نئُـومٍ ... إذَا أَمْـسَى يُعَـدُّ مِنَ العِـيَـالِ

ولكنْ كـلَّ صُـعْلُوك ضَـرُوبٍ ... بِنَصْلِ السَّيْف هَامَاتِ الرِّجَـالِ[(١)]

أَشَـابَ الرأسَ أَنِّـى كلَّ يـومٍ ... أَرَى لِى خَـالَةً وسْطَ الرحَـالِ

يَشُقُّ علـىَّ أَنْ يَلْقَـيْـنَ ضَـيْـمًـا ... ويَعْـجِـزُ عن تخَلُّصِـهِـنَّ مَـالِى

قوله:

* وأَعجَبَها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ *

يعنى: الجُمـم، وإن شئتَ قلتَ: الجِمَـامُ، يقالُ «جُمَّـةٌ وَجُمَمٌ»، كـقولك «ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ»، ويقال «جِمامٌ» كقولك: «جُفْرَةٌ وجِفارٌ»[(٢)] و«بُرْمَةٌ وبِرامٌ».

قال الشاعر:

إِمـا تَرَىْ لِمَّتِـى أَوْدَى الزمانُ بهـا ... وشَـيَّبَ الدهرُ أَصْدَاغِى وأَفْـوَادِى

وقوله:

* على فِعْلِ الوَضِىِّ مِنَ الرِّجالِ *

يريد: الجميل، وهو «فَعِيلٌ» مِنْ «وضُؤَ يَوْضُؤ» يا فتى، تقديرُهُ «كَرُم يكْرُم، وهو كريم»، ومـصْدَرُه «الوَضَاءَةُ» وكـذلك «قَبُحَ يَقْبُحُ قَـبَاحَةً»، و«سَـمُجَ يَسْمُجُ سَمَاجةً»، ويقال: «ما كُنْتَ وَضِيئًا»، و«لقد وضُؤْتَ بعدَنا».

وقوله: «فلا تَصلى بصُعْلُوكِ»، يقول لاَ تَتَّصِلِى به، كما قال ابنُ أَحمر:

ولا تَصِـلِى بِـمطْـرُوقٍ إذا مَـا ... سَـرَى فى القوم أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا

---

(١) زيادات ر: «كل خبر ابتداء والتقدير: همك».

(٢) زيادات ر: «الجفرة: هى الحفرة العظيمة».

إذا شَــرِبَ المُرِضَّـــةَ قــال أَوْكِي - عَلَى مـا فِي سِقَائِكِ قـد رَوِينَا[1]

فالصعلوك: الذى لا مال له، قال الشاعر[2]:

كَأَنَّ الفتَى لم يَعْـرَ يومًا إذا اكْتَسَى ولم يَكُ صُـعْلُوكًـا إذا مَـا تَمَـوَّلاَ

وقوله: «نئوم» يَصِفُه بالبَلادة والكَسَلِ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بخفَّة الرءوس عن النوم، وتَذمُّ النُّوفة، كما قال عـبدُ الملك لمؤدِّبِ وَلَدِه: علِّمْهمُ العَوْمَ، وخُذْهُم بقلَّةِ النَّوْم. وإنما تَوَجَّعَ لخالاته لأنهنَّ كُنَّ إماءً.

[النجباء من أولاد السرارى]

ويُرْوَى عن رجلٍ من قُـرَيش ـ لم يُسَمَّ لنا ـ قال: كنت أُجـالسُ سعـيد بنَ المُسَيَّب، فقال لى يومًا: مَنْ أخوالُكَ؟ فـقلتُ: أُمِّى فَتَاةٌ، فكَأَنِّى نَقصْتُ فى عَيْنه، فَأَمْهَلْتُ حتى دخــلَ عليه سالمُ بنُ عبد الله بن عمرَ بن الخـطَّاب رحمه الله، فلما خَرَجَ منْ عنده قلتُ: يا عَمِّ! مَنْ هذا؟ فقال: يا سُبْحَانَ الله! أَتَجْهَلُ مثلَ هذا من قَوْمِكَ! هذا سَالمُ بنُ عبد الله بنِ عمرَ، قلتُ: فَمَنْ أُمُّهُ؟ قال: فَتاةٌ، قَال: ثم أَتَاهُ القَاسمُ بنُ محمد بنِ أبى بكر الصديق رحمه الله، فجلس عندَه ثم نَهَضَ، فقلتُ: يا عَمِّ! مَنْ هذا؟ فقـال: أتجهلُ منْ أَهْلكَ مـثْلَهُ! ما أَعْجَبَ هـذا! هذا القاسمُ بنُ محمد بنِ أبى بكر الصديق، قلتَ: فَمَنْ أُمُّه؟ قال: فَتَاةٌ، فَأَمْهَلْتُ شَيْئًا حتى جاءه علىُّ بنَ الحسين بن علىِّ بن أبى طـالب رضى الله عنه، فـسلَّم عليـه ثم نهضَ، فقلتُ: يا عَمِّ، مَنْ هذا؟ قـال: هذا الذى لا يَسعُ مسلمًـا أن يَجْهلَه! هذا علىُّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، قلتُ: فمن أُمُّه؟ قـالَ: فتاةٌ، قال: قلتُ: يا عَمِّ! رأيتَنى نَقَصْتُ فى عـينكَ لَمَّا علمتَ أنى لأُمِّ وَلَد، أَفَمَا لِى فى هؤلاء أُسْـوَةٌ! قال: فَجَلَلْتُ فى عَيْنه جداً.

وكَانَتْ أمّ علـى بن الحسين «سُـلاَفَةُ» من ولد يزْدَجَـرْدَ، معروفـةَ النَّسَبِ، وكانتْ من خيرَاتِ النِّساء.

ويُرْوَى أَنه قِـيلَ لعلىِّ بن الحُسـين رحمـه الله: إنك منْ أَبَرِّ الناسِ، ولَسْتَ تأكلُ مع أُمِّكَ فى صَحْفةٍ؟ فـقال: أَكْرهُ أن تَسبِقَ يَدِى إلى ما قد سَبَـقَتْ إليه عَيْنُها فأكون قد عَقَقْتُها.

---

(١) زيادات ر: «إذا صب لبن حليب على حامض، فهى المرضة» وأوكى: شد به بالوكاء، وهو كل شىء يسد به فم السقاء.

(٢) زيادات ر: «جابر بن ثعلبة الطائى».

وكان يقـالُ له: ابنُ الْخيَـرْتين(١) لقـول رسـول الله ﷺ: «لله مِنْ عِبَـادِه خِيرَتَانِ، فَخِيرَتُهُ من العربِ قُرَيْشٌ، ومن العَجَمِ فارسُ».

وكانت سُلاَفَةُ عَمَّةَ أُمِّ يزيد النَّاقصِ أو أُختَها.

وقال رجلٌ من وَلَد الْحَـكَمِ بنِ أبى العاصى، يقال له عُـبَيْـدُ الله بن الْحُرِّ - وكان شاعراً متقدِّمًا، وكَان لأُمِّ وَلَد، وهو من وَلَد مَرْوَانَ بن الحكَمِ -:

فـإنْ تَـكُ أمِّى مِنْ نسَـاء أَفَـاءَهَا ... جـيادُ القَـنَا والْمُرْهَفَات الـصَّفَـائح

فـتَبًّـا لِفَـضْلِ الْحُـرِّ إنْ لَم أَنَلْ به ... كَـرَائـمَ أولادِ النِّسَـاءِ الصَّـرَائح

وإنما أَخذَ هذا من قول عَنْتَرَة:

وأَنا امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا ... شَطْرِى(٢) وأَحْمِى سَائرى بالْمُنْصَلِ

وأنْشدَ لبِـلاَل بنَ جَرير - وبلغه أن مُـوسَى بنَ جَرِير كان إذا ذَكَره نسـبه إلى أُمِّه، لأنه ابنُ أمِّ وَلَدٍ، فيقولُ: قال ابنُ أُمِّ حكيم، فقال بلال:

يا رُبَّ خَـالٍ لِى أَغَـرَّ أَبْلَجَـا ... مِنْ آلِ كِـسْرَى يَـغْتَـذِى مُـتَوَّجَـا

لیس كَـخَـال لكَ يُدْعَى عَـشْنَجَـا

والعَشْنَجُ: الْمُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّئُ الْمَنْظَرِ.

وكَانَ سَـبَبُ أمّ بلال عندَ جرير أن جريراً فى أَوَّل دخـوله العرَاقَ دَخَل على الحكَم بنِ أيوب بن أبى عَقِيلٍ الثَّقَفِىِّ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاجِ، وعامِلُهُ على البصرةِ، وفى ذلك يقولُ جَرير:

أَقْـبَلْنَ من ثَهْـلاَنَ أَوْ وَادى خَـيمْ ... عَلَى قلاَصٍ مِـثل خيطَانِ السَّلَم(٣)

إِذَا قَطَـعْنَ عَـلَمًـــا بَـدَا عَلَـمْ ... حَـتَّـى أَنـخْنَاهَا إلى بـاَب الحكَمْ

خَلِيـفَـةِ الحَـجَّـاجِ غَـيـرِ الْمُتَّـهَمْ ... فى ضِئْضِئِ المَجْـدِ وبَحْبُوحِ الكَرَمْ

فكتبَ الحكَمُ بعد أن قَاطَنَهُ(٤) إلى الحجاج، وذلك فى أَوَّل سَـبَبِهِ: إنه قَدِمَ

---

(١) زيادات ر: «بتحريك الياء أفصح». (٢) زيادات ر: «شطرى، مبتدأ، والخبر فى المجرور قبله».

(٣) القلاص: جمع قلوص، وهى الناقة الفتية، وخيطان: جمع خوط وهى الغَضَّة الناعم، والسلم: ضرب من الشجر.

(٤) قاطنه: راجعه فى الكلام.

عليَّ أعرابيٌّ ياقعةٌ[1] لم أرَ مثلَهُ. فكتَبَ إليه الحَجَّاجُ أن يَحملَه معه، فلما دخلَ عليه قال له: بلَغَنى أنك ذُو بَديهة، فَقُلْ فى هذه الجارية - لجارية قائمة على رأسه - فقال جريرٌ: مَالى أَنْ أَقولَ فيها حَتَّى أتَأَمَّلَهَا، ومَالى أَنْ أتأمَّلَ جاريةَ الأمير! فقالَ: بَلَى، فتأَمَّلْهَا واسألها، فقال لها: ما اسْمُكِ يا جارية؟ فأَمْسكَتْ، فقال لها الحَجَّاجُ: خَبِّريه يا لَخْنَاءُ، فقالت: أُمَامَة، فقال جريرٌ:

وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ منكَ رَحيلُ ... إنَّ الوَدَاعَ لمَنْ تحبُّ قَليلُ
مِثْلَ الكثيبِ تمَايلَتْ أعطَافُه ... فالرِّيحُ تجْبُرُ مَتْنَهُ وتَهيلُ
هذى القُلوبُ صَوادِيًا تيَّمتِها ... وأرَى الشِّفاءَ وَمَا إليه سَبيلُ

فقال له الحَجَّاجُ: قد جعَلَ اللهُ لَكَ السَّبِيلَ إليها، خُذْهَا هىَ لَكَ. فضَرَبَ بيده إلى يَدِها، فتمنَّعَت عليه، فقال:

إنْ كانَ طِبَّكُم الدَّلالُ فإنَّهُ ... حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمَامَ جَميلُ

* * *

[ش: بنصب «الطِّبِّ» ورَفْعِ «الدَّلال»، وبالعكس، برفع «الطب» ونصب الدلال». والطِّبُّ هنا: المَذْهَبُ، والدَّلالُ: الدَّالَّة].

* * *

فاستُضْحِكَ الحَجَّاجُ، وأَمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة.

وخُبِّرْتُ أنها كانت من أهل الرَّىِّ، وكان إخْوتُها أحرارًا، فاتَّبَعُوه، فأَعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرينَ ألفًا، فلم يَفْعَل، ففى ذلك يقولُ:

إذا عَرَضُوا عشْرينَ ألفًا تعَرَّضَتْ ... لأُمِّ حكيمٍ حاجةٌ هىَ ما هيَا
لَقَدْ زِدْتِ أهلَ الرَّىِّ عندى مَوَدَّةً ... وحَبَّبْتِ أضْعافًا إلىَّ المَوَاليَا

فأولدها حكيمًا وبلالا وحَزْرَةَ، بَنى جريرٍ، هؤلاء مَن أذْكُر مِنْ وَلَدِها.

ويقال: إنْ الحِمَّانىَّ[2] قاوَلَ بلالا ذاتَ يوم فيما كان بينهما من الشرِّ، فقال: يا بنَ أُمِّ حكيمٍ، فقال له بلالٌ: مَا تَذْكُرُ من ابنَة دهقان، وأخيذَة رِماح، وعَطيَّة مَلك؟ ليست كأمِّك التى بالمَرُّوت[3]، تَغْدو على أثَر ضَأْنِها، كأنَّما عَقِبَاهَا حَافِرَا

(١) زيادات ر: «يريد داهية، والباقعة: طائر حذر».

(٢) قال المرصفى: «الحمانى اسمه أبو نخيلة، نسب إلى جده حمان». (٣) المروت: اسم واد بعينه.

حمَار، فقال له الحمَّانيُّ: أنا أَعْلَمُ بأُمِّكَ، إنما عَتَبَ عليها الحَجَّاجُ في أمر، الله أَعلمُ به، فحلَفَ أنْ يَدْفَعهَا إِلَى أَلأَمِ العربِ، فلما رَأَى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه.

قال: وأُنْشدتُ لرجلٍ من رُجَّازِ بني سعد:

أَنَا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ فَأَنا فِيما شِئْتَ من خَالٍ وعَمْ

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رحمه الله: ليس قومٌ أَكْيَسُ من أولادِ السَّرَارِيِّ، لأنهم يَجمعونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجمِ.

[كتاب محمد بن عبد الله بن حسن إلى المنصور ورده عليه]

وكَتَبَ أميرُ المؤمنين المنصورُ إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب - رحمهم الله - لما كَتَبَ إليه محمدٌ:

«واعْلَمْ أَنِّي لستُ مِنْ أولاد الطُّلَقَاء، ولا أولاد اللُّعَنَاء، ولا أَعْرَقْت فيَّ الإِمَاءُ، ولا حَضَنَتْنى أُمَّهَاتُ الأولاد. ولقد عَلمْتَ أَنَّ هاشمًا وَلَدَ عَلِيًّا مرَّتين، وأن عبدَ المطَّلبِ وَلَدَ الحسنَ مرَّتين، وأَن رسولَ الله ﷺ ولَدنى مرَّتين من قِبَلِ جَدَّيَّ الحسنِ والحسينِ».

يعني أَنَّ أُمَّ عَلِيٍّ فاطمةُ بنتُ أسَدِ بن هاشمٍ، وأُمَّ الحسنِ فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشم، وأَنَّ أُمَّهُ فاطمةُ بنتُ الحسين بن عليّ بن أبى طالبَ بن عبد المُطَّلِبَ بن هاشمٍ.

فكتب إليه المنصور:

«أَمَّا ما ذكرتَ من ولادة هاشمٍ عليًّا مرتين، وولادة عبد المُطَّلب الحسنَ مرتين، فخيرُ الأوَّلينَ والآخرينَ رسولُ الله ﷺ، لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مرةً واحدةً، ولا عبدُ المُطَّلب إلاَّ مرةً واحدةً، وله السَّبْقُ إلى كلِّ الخَيرِ. ولقد علمتَ أنه بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وعُمومَتُهُ أَرْبَعةٌ، فآمَنَ به اثنان، أَحَدهما أَبى، وكفر به اثنان أَحَدُهما أبوك، وأَمَّا ما ذَكرتَ أَنَّه لم تُعْرِقْ فيكَ الإِمَاءُ، فقد فَخرْتَ على بنى هاشم طُرًّا، أولهم إبراهيمُ بنُ رسول الله ﷺ، ثم عليُّ بنُ الحسين، الذى لم يُولَدْ فيكم بعدَ وفاة رسولِ الله ﷺ مولودٌ مثلُه».

وهذه رسالة للمنصور طَريفةٌ مُستحسَنةٌ جِداً، سَنُمْلِيهَا فى موضعها من هذا الكتاب، إن شاء اللهُ.

* * *

وأنشدَنى الرِّياشىُّ:

إنَ أَولادَ السَّرَارِىْ ... كَثُرُوا يا رَبَّ فِينا

رَبِّ أَدْخِلْنِى بِلادًا ... لا أَرَى فِيها هَجِينَا

والهَجينُ عند العرب: الذى أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعة، والأصل فى ذلك أن تكونَ أَمَةً، وإنما قيلَ: «هجِين» من أجْل البَياض، وكأنَّهم قصَدُوا قَصْدَ الرُّوم والصَّقالِبَة ومَنْ أَشبهَهم، والدليلُ على أن الهَجينَ الأَبْيَضُ أن العرب تقول: ما يَخْفَى ذلك على الأسود والأحمر، أى العَرَبى والعَجَمىّ، ويُسَمُّونَ الموالِىَ وسائرَ العجمِ الحَمْراءَ، وقد ذكرنا ذلك، ولذلك قال زيد الخَيْل:

* وأيْقَنَ أنَّنا صُهْبُ السِّبَالِ[1] *

أى كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ.

وقال ابن الرُّقَيَّات:

إنْ تَرَيْنى تَغَيَّرَ اللَّونُ مِنِّى ... وعلا الشَّيْبُ مَفْرِقى وقَذَالى

فَظِلالُ السُّيوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِى ... وطِعَانِى فى الحرب صُهْبَ السِّبَالِ

فقيل «هَجينٌ» من هاهنا.

وإذا كانت الأمُّ كريمةً والأبُ خَسيسًا قيلَ له: المذَرَّع، قال الفرزدقُ:

إذا بَاهلىٌّ تحته حَنْظَلِيَّةٌ ... لهُ ولَدٌ منها فَذاكَ المُذَرَّعُ

وقال الآخرُ:

إنَّ المُذَرَّعَ لا تُغْنِى خُئُولته ... كالبَغْلِ يَعْجزُ عن شوْطِ المَحَاضِيرِ[2]

وإنما سُمِّىَ مُذَرَّعا، للرَّقْمَتَيْن[3] فى ذِراع البغلِ، وإنما صارتَا فيه من ناحية الحمار، قال هُدْبة:

وَرِثَتْ رَقَاشِ اللُّؤْمَ عن آبائِهَا ... كَتوارُثِ الحُمُراتِ رَقْمَ الأَذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ فى كلامٍ يجيبُ به ابنَ الزُّبير: والله إنه لَمَصْلُوبُ قُرَيش، ومتى كان عَوَّامُ بنُ عَوامٍ يَطمعُ فى صَفِيَّة بنتِ عبد المُطَّلب! مَنْ أَبُوكَ يا بَغْلُ؟ فقال: خالِى الفَرَس!

---

(١) صدره كما فى حواشى ر:

* وأسْلَمَ عِرْسَه لَمَّا رآنا *

(٢) زيادات ر: «جمع محضير، وهو الفرس السريع». (٣) الرقمتان: أثر بباطن الذراعين لا ينبتان الشعر.

باب

[لأعرابى فيمن أطال لحيته]

قال أبو العباس: قال أعرابىٌّ:

كُلُّ امْـرِىءٍ ذى لـحْيَـةٍ عَـثْـولِيَّـةٍ ... يَقـومُ عـليـهـا ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَـضْـلا
ومَا الفَضْلُ فى طُولِ السِّبالِ وعَرْضِهَا ... إذَا اللهُ لم يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَـا عَقْـلا

ويُرْوى: «لحاملها».

عَثْوَلِيَّة، يقول: كَثيرةٌ، والمُسْتَعْمَلُ رجلٌ «عِثْوَالٌّ» إذَا كَانَ كَثيرَ الشَّعَر، وأصلُ ذلك فى الرأسِ واللِّحية، وبنَاهُ الأعرابىُّ بناء «جَدْوَل» كأنه «عَثْوَلٌ» ثم نَسَبَ إليه.

والسَّبَلَةُ: مُقَدَّمُ اللِّحية، يقال لِمَا أُسْبِلَ من الشاربين: سَبَلَتَان، وتقول العربُ: أَخَذَ فلانٌ شَفْرة فَلتَم بها سَبَلَةَ بعيره، أى نَحَرَهُ، واللتم: الشَّقُّ، فهذا ما أُسْبِلَ من جرانه.

[لبعض المحدثين فى ذم ذوى العى]

وقال بعض المُحْدَثين:

ومـا حُسْنُ الرِّجـال لهم بحُسْنٍ ... إذَا مـا أخطأَ الحُسْنَ البَيَـانُ
كَـفَى بِالمَـرْءِ عَـيْـبًـا أن تَرَاهُ ... لَهُ وجـهٌ وليس له لِسَـانُ

وقال آخر:

إِنِّى على مَا تَزْدَرِى من دَمَامَتِى ... إذَا قِيسَ ذَرْعى بالـرجـال طويلُ

[لرجل يصف لحيته]

ونظر يزيدُ بن مَزْيد الشَّيْبانىُّ إلى رجل ذى لحية عظيمة، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره، فإذا هو خَاضِبٌ، فقال: إنَّكَ مِنْ لِحيَتِكَ فى مئونة! فقال: أَجَلْ، ولذلك أقولُ:

لَهَا درْهَـمٌ للدُّهْنِ فى كلِّ جُمْـعةٍ ... وآخَـرُ للحنَّاء يَبْـتَـدِرَانِ
ولَولاَ نَوالٌ مـن يزيدَ بنَ مَـزْيدٍ ... لَصَوَّتَ فى حَافَـاتِها الجَلَمَانِ(١)

(١) الجلمان: مثنى جلم، وهو المقراض، ويطلق المثنى على الواحد.

[لإسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية]

وقال إسحاقُ بنُ خَلَفٍ يصفُ رجلا بالقصَر وطُول اللِّحية:

مـــا ســــرَّنى أنَّنى فـى طول دَاوُدِ ... وأنَّنـى عَلَمٌ فى الـبَـأْسِ والجُـــودِ
ماشَيْتُ دَاودَ فاسْتُضْحكْتُ من عجبٍ ... كَـــأنَّنى وَالـدٌ يَمْـــشى بمـولُود
مــا طُول داودَ إلاَّ طَول لحـيَتـــه ... يَظَلُّ داودُ فـيـهـــا غـيـرَ مَـوْجُـود
تُكنُّـهُ خُـصْـلةٌ منهـــا إذا نَفَـحَتْ ... ريح الشِّـتَـاء وجـفَّ الماءُ فى العُـود
كالأنْبَـجَانىِّ مَصْـقُولا عَوَارِضُـهَا(١) ... سَـوْدَاْء فى لين خَـدِّ الغَـادَةِ الرُّود(٢)
أجْزَى وأَغْنَى من الْخزِّ الصَّفِيقِ ومنْ ... بيض القَطَائفَ(٣) يوم القُرِّ والسُّود(٤)
إنْ هَبَّتِ الرِّيح أَدَّتْـهُ إلى عَــــدَنٍ ... إنْ كَـانَ ما لَفَّ منهـا غـيرَ مَـعقُـودِ

وفى الحديث: «من سعـادة المرْءِ خفَّةُ عارضيـه»، وليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللِّحى وإحْفاء الشَّوارب، فـقد رَوىَ أنهم قالوا: لا بأسَ بأخْذ العارضَيْنِ والتَّبْطين(٥)، وأما الإعـفاء فـهو التَّكثيـر، وهو من الأضداد، قـال اللهُ عز وجل: ﴿حتى عفَوا﴾(٦)، أى حتى كَثرُوا، ويقال: عفَا وَبَرُ الناقة إذ كثُر، قال الشاعر:

ولَكـنَّا نُعضُّ الـسَّـــيْـفَ منهـــا ... بأَسَـوُق عـافَـيــاتِ اللحْمِ كـومِ

والكُومُ: العظامُ الأسْنِمَةِ، واحـدتها كَوْماء، ويقـال: عفَا الرَّبْعُ، إذا درَس، ومِنْ ذلك:

* عَلَى آثارِ مَنْ ذَهَبَ العفَاءُ *

أى الدُّروس.

وقال مَسْلمَـةُ بنُ عبد الملك: إنى لأعْجَبُ منْ ثلاثة: من رجلٍ قَصَّـرَ شعرَهُ ثم عـاد فأطاله، أو شَـمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عـاد فأَسْـبَلَهُ، أو تَمَـتَّعَ بِالسَّرَارِيِّ ثم عـادَ إلى المَهيرَاتِ.

---

(١) الأنبجانى: كساء من الصوف، منسوب إلى منبج على غير قياس.
(٢) الرود: الحسنة الشابة.
(٣) القطائف: جمع قطيفة، وهى كساء مربع غليظ له خمل ووبر.
(٤) زيادات ر: «القر» بالقاف، يريد البرد، ويروى بالغين، يريد السحائب البيض.
(٥) التبطين: أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك.
(٦) سورة الأعراف ٩٥.

واحدة المَهيرَاتِ مهيرَة، وهى الحرةُ المَهْورَة، و«مَفْعُول» يَخْرُج إلى «فَعِيل»، كمقتول وقَتيل، ومجروحٍ وجَريح، قال الأعشى:

ومَنْكُوحـــةٍ غـيـــرِ مَـمْـــهُـورَةٍ وأخْـــرَى يُقـالُ لـهـا فَـــادهَا[١]

فهـذا المعروفُ فى كـلامِ العرب، مَهَـرْتُ المَرأَةَ فَهى ممهـورةٌ، ويقالُ وليس بالكثير ـ: أَمْهَرْتُهَا فهى مُمْهَرَةٌ، أنشدنى المَازنىُّ:

أُخِذْنَ اغْـتِصَـابًا خِطْبَةً عَـجْرَفِـيَّةً وأُمْهِرْنَ أَرْمَـاحًا من الْخَطِّ ذُبَّلا[٢]

[من ألفاظ الكنايات]

وأهلُ الحـجازِ يَرَوْنَ الـنكاحَ العَقْـدَ دونَ الفـعْلِ، ولا يُنكرونَه فى الفـعل، ويحـتجُّـون بقول الله عـزَّ وجلَّ: ﴿يأَيُّهَـا الَّذيـنَ آمَنُوا إِذَا نَكحْـتُمُ الْمُؤْمـنَات ثمَّ طَلَّقْتـموهُنَّ من قَبْلِ أَنْ تَمسُّوهُنَّ فَـمَا لَكُمْ عَلَيْهِـنَّ منْ عدَّة تَعْتـدُّونَهَا﴾[٣]، فَهذا الأَشْيَعُ فى كلَام العرب، قال الأعْشَى:

وأَمْـتَـعْـتُ نَفْـسِى منَ الغـــانِيَـا ت إمَّـــا نكـاحًـــا وإمَّـــا أُزَنْ[٤]

ومِن كلِّ بَـيْـضَـــاءَ رُعْـبُـــوبَةٍ لـهَـــا بَشَـرٌ نَـاصِعٌ كـالـلَّبَنْ[٥]

ويكونُ النِّكاحُ الجماع، وهو فى الأصل كناية، قال الراجز:

إذا زَنَيْتُ فَـــأَجِـدْ نـكَاحَـــا وأَعْـــمِلِ الغُـــدُوَّ والرَّوَاحَـــا

والكنايةُ تَقَعُ عن هذا الباب كثيـرًا، والأصل ما ذكَرْنَا لك، وقال رسولُ الله ﷺ: «أنَا مِنْ نكاحٍ لا مِنْ سِفَـاحٍ». ومِنْ خُطَب المسلمين: «إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَحلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفَاحَ».

والكناية تقعَ عن الجماع، قال الله عز وجل: ﴿أُحلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[٦]، فهـذه كنايَة عن الجـماع، قـال أكثرُ الـفقهـاءِ فى قوله تـبارك

---

(١) زيادات ر: «فادها، من فديت الأسير، وهو يصف سبيا أخذ فيه إماء وحرائر».
(٢) زيادات ر: «عجرفية: جافية، خطبة، مصدر مضى».
(٣) سورة الأحزاب ٤٩.
(٤) زيادات ر: «قوله «أزن» أراد أزنى ثم حذف الياء وخفف النون فقال: أزن».
(٥) الرعبوبة: الحسنة الخلق.
(٦) سورة البقرة ١٨٧.

وتعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[1] قالوا: كناية عن الجماع، وليس الأَمْرُ عندنا كذلك، وما أصفُ مذهب أهلِ المدينة، قد فُرِغَ من النكاحِ تصريحًا، وإنما المُلاَمَسَةُ أن يَلْمسَهَا الرجلُ بِيَدٍ أو بإدْنَاءِ جَسَدٍ من جسد، فذلك يَنقضُ الوضوءَ في قول أهلِ المدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذكرِ الجُنُب: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

وقولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَا يأكلانِ الطعَامَ﴾[2] كنايةٌ بإجماعٍ عن قَضاء الحاجة، لأنَّ كلَّ مَنْ أَكلَ الطعامَ في الدنيا أَنْجَى، يقال: نَجَّا وأنْجَى، إذا قام لحاجة الإنسان.

وكذلك: ﴿وقَالُوا لِجُلُودهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[3] كناية عن الفروج، ومثلُه: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾[4] فإنما الغائطُ كالوَادِي، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِب:

وكَمْ من غَائطٍ مِن دُونِ سَلْمَى ... قليلِ الإِنْسِ ليسَ به كَتِيعُ[5]

يقال: وَهِمَ الرجلُ يَوْهَم، إذا شكَّ، وهو الأَجْوَدُ ويجوزُ: يَيْهَمُ، ويِيَهُم، وياهَمُ؛ لعلَلٍ، وكذلك ما كان مثلُه، نحو: وَجِلَ يَوْجَلُ ووَحِلَ يَوْحَلُ، ووَجِعَ يَوْجَعُ، ويجوز في «وَهِم» أن تقول: «يَهِم» فإن المعتَلَّ منْ هذا يجيءُ على مثال حَسِبَ يَحْسِبُ، مثل: وَلِيَ الأميرُ يَلِي، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب.

[لرجل من تميم]

وقال رجلٌ أَحْسبُه من بَني تَميمٍ:

لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يا سَعْدُ مَالَهَا ... وكُنْ أُخْرَيَاتِ الْخَيْلِ عَلَّكَ تَجْرَحُ
لعلَّك تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ ... لها عَائِدٌ يَنْفِي الْحَصَا حينَ يَنْفَحُ
وأَكْرِمْ كَريمًا إنْ أَتَاكَ لحَاجَةٍ ... لعَاقِبَةٍ إنَّ العِضَاةَ تَرَوَّحُ[6]
[بِذَا فَامْدَحِيني واندُبِيني فإنَّني ... فَتَى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حينَ يُمْدَحُ][7]

(١) سورة النساء ٤٣.
(٢) سورة المائدة ٧٥.
(٣) سورة فصلت ٢١.
(٤) سورة النساء ٤٢.
(٥) يقال: ما بالدار كتيع، أي ما بها أحد.
(٦) زيادات ر: «إذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب، فيقال: أخلف الشجر وتروح».
(٧) هذا البيت من زيادات ر.

قوله:

* لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يا سَعْدُ مَالهَا *

يقول: لا تَتَخَلَّفْ عن القِتَال وتَسْأَلْ عن أخبار القومِ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِل:

ليسَ مِثْلِي يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ   بَائهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القِتَالاَ
لم أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى   حُذِيَ الوَرْدُ من دِمَاءٍ نِعَالاَ

يقول: كُنْتُ فى حَوْمَةِ القتالِ، صَلِيتُ الحَربَ أَكْثَرَ مِمَّا صَلِيَها غَيْرِى.

[طلاق ابنة عبد الله من السائب، ثم زواجها من المصعب]

ويُرْوَى عن رجلٍ من بَنِى أَسدِ بن عبد العُزَّى، يقال له: فُلان [ش: هو عبدُ الله] بنُ السَّائبِ أنه زوَّج ابنتَه عَمْرو بنَ عثمان بن عَفَّانَ، فلمَّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المَنَصَّة، فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزُّبَيْر، فقال: إنَّ عَمْرو بن عثمان طَلَّقَ ابْنَتِى على المَنَصَّة، وقد ظنَّ النَّاسُ أَنَّ ذلك لعَاهَة، وأنتَ عَمُّها، فَقُمْ فَادْخُلْ إليها، فقال عبدُ الله: أَوَ خَيْرًا منْ ذَلِكَ! جيئُونى بالمُصْعَب، فَخَطَبَ عبدُ الله فَزوَّجَها من المُصْعَب، وأَقسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها فى لَيْلَتِه، فلا تُعرفُ امرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فى لَيْلَتَيْنِ ولاَءً غَيْرُها فأَوْلدهَا المُصْعَبُ عيسَى وعُكَّاشَةَ، فلمَّا كان يَوْمُ مَسْكِنٍ(1)، وهَرَب أكثرُ الناس عن المُصْعَب، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنة الحسين بن على ابن أبى طالب، وكانت له شَديدةَ المحبَّة، وكانت تُخْفى ذلك، فَلَبِسَ غِلاَلَةً وتوشَّح عليها، وانْتَضَى السَّيْفَ، فلمَّا رأتْ ذاك علمتْ أَنَّه عَزَمَ أَلاَّ يَرْجع، فصاحت منْ ورائه: وَاحَرَبَاهْ! فالْتَفَتَ إليها، فقال: أَوَهذا لى فى قَلْبِك! فقالت: إى والله وأَكْثرُ من هذا! فقال: أَمَا لوْ عَلِمْتُ لكانَ لِى ولك شَأْنٌ. ثم خَرَجَ، فقال لابنه عيسى: يا بُنَىَّ، انْجُ إلى نَجائكَ، فإنَّ القوم لا حَاجةَ بهم إلى غَيْرِى، وَسَتُفْلِتُ بحيلَة أو بُقْيا، فقالَ: يا أَبَتَاهَ! لا أُحَدِّثُ والله عَنْكَ أبدًا، فقال: أَمَا والله لَئنْ قلتَ ذلكَ لَمَا زِلْتُ أَتَعَرَّفُ الكرَم فى أسرارِكَ، وأَنْت تُقَلَّبُ فى مَهْدِكَ.

---

(1) مسكن: موضع على نهر دجيل، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، وقتل به مصعب، وقبره هناك. (مراصد الاطلاع ١٢٧١).

[ش: الأَسْرَارُ: جمع سِرٍّ وهى الطَّرَائِقُ فى الجَبْهَة].

فَقُتِل بين يَدَىْ أَبيه، ففى ذلك يقولُ شاعرُ أَهْلِ الشَّأْمِ من اليَمَانية:

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وَعِيسَى ... وَابنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا

* عَمْدًا أذَقْنَا مُضَرَ التَّبْئِيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجُلاً:

فَلو كَانَ شَهْمَ النَّفْسِ أو ذَا حَفِيظَةٍ ... رَأَى ما رَأَى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ

[لبلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير]

وقال بلالُ بنُ جرير يَمدحُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ(١):

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْنِى العُلاَ ... كَنَفَيْه حَتَّى نَالَتَا العَيُّوقَا(٢)

وَلَوَ أنَّ عبدَ الله فَاخَرَ مَنْ تَرَى ... فَاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا

قَرْمٌ إذا ما كَانَ يَوْمُ نُفُورَة ... جَمَعَ الزُّبَيْرَ عَلَيكَ والصِّدِّيقَا

لو شئتَ ما فَاتُوك إذْ جَارَيْتَهُمْ ... ولكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبِرِّ حَقِيقَا

لكنْ أَتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ ... ولقد تَرَى ونَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا

* * *

عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدمة(٣):

قوله:

* لعلَّك تَحْمِى عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ *

يقال: حميتُ الناحيةَ أَحْميها حَمْيًا وحمايةً، كما قال الفَرَزْدَقُ:

وإذَا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمنَ جَأْشُها ... ثِقَةً لها بحِمَايَةِ الأَدْبارِ(٤)

ومعنَى ذلك: منعْتُ وَدَفعتُ، ويقال: أَحْمَيْتُ الأرض أى جعلتُها حمًى

---

(١) زيادات ر: «يقال إن بلالا لم يلحق ابن الزبير، إلا أن يكون مدحه ميتا».

(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء فى السماء فى طرف المجرة الأيمن، وفى زيادات ر: ويروى: «كفيه»، وهو أظهر لقوله: «حتى نالتا».

(٣) ص١٣٢.

(٤) جشأن: تظلمن وجزعن فزعا، وطأمن: سكن.

لا تُقْرَبُ، وأَحْمَيْتُ الحديدَ أُحْميه إحْماءً، وحَمَيْتُ أَنْفى مَحْمِيَةً يا فتى، إذَا أنْتَ أَبَيْتَ الضَّيْمَ. وصِحَابٌ: جمعُ صَاحِب، وقد يقالُ: هو جمعَ صَحْب كما تقول: تاجرٌ وتَجْرٌ، وراكِبٌ ورَكْب، ونحو ذلك، ثم تجمع صَحْبًا على صِحَاب، كقولك: كَلْبٌ وكِلَابٌ وفَرْخ وفِراخ، فهذا مذهب حَسَنٌ، ومن قال: هو جمعُ صاحب، فنظيره قَائم وقِيامٌ، وتاجِرٌ وتِجارٌ.

وقوله: «لها عَانِدٌ يَنْفى الْحَصَا» يعنى الدَّمَ، ويقال: عَنَدَ العِرْقُ، إذا خرج الدَّمُ منه بحدَّة. وينفى الحصا، يعنى الدَّمَ بشدة جَرْيه، كما قال:

مُسَحْسِحَةً تَنْفِى الْحَصَا عن طَرِيقها ... [يُقَطِّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِشارُها][(١)]

يعنى طعنة.

وقال آخرُ فى صفة طعنة:

ومُسْتَنَة كاسْتِنَان الْخَرُو ... ف قَدْ قَطَعَ الْحَبلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ هاهنا إنما هو الفُلُوُ الصَّغير.

وقولُه:

وأكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أتاكَ لحاجة ... لِعاقبة إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ

يقول: الشجرُ يُصيبهُ النَّدَى فى آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشَأُ له ورَقٌ، فيقول: لعلَّك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ.

ومثلُه:

ولا تُهِينَ الكريمَ عَلَّك أَنْ ... تَرْكَعَ يومًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

أراد «ولا تُهِيننْ» بالنون الخفيفة، فحذفها لالتقاءِ الساكنين، وهذا الحكم فيها.

ومثله فى المعنى قولُ عَبَّادِ بن عبَّاد بن حَبيب بن المُهَلَّب:

إذا خَلَّةٌ نَابَتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ ... مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ
وبادِرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا ... زَوَالَ اقْتِدارٍ أو غِنى عنك يُعْقِبُ

[زَوالَ، مفعولٌ لـ «بادِرْ». قاله ش] ومثلُ هذا كثير.

(١) ما بين العلامتين س، زيادات ر.

وقال جعفرُ بن محمد بن عليِّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ إنِّى لأُسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّى خوفًا من أن أَرُدَّهُ فيستغنِىَ عنِّى.

وقال رجلٌ من العرب: ما رددتُ رجلا عن حاجة فولَّى عنِّى إلاَّ رأيتُ الغِنَى فى قَفاهُ.

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب: ما رأيتُ أحدًا أَسْعَفْتُهُ فى حاجة إلاَّ أضاءَ ما بَيْنِى وبينهُ، ولا رأيتُ رجلا رددتُه عن حاجة إلاَّ أَظْلَم ما بينى وبينهُ.

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله؟: مَنْ يَئِسَ من شَىءٍ استَغْنَى عنه. وقال عبدُ الله بن هَمام السَّلَولِىُّ:

فأَخْلفْ وَأَتْلفْ إنما المالُ عارَةٌ ... فكُلْهُ معَ الدَّهرِ الذى هو آكلُهْ
فأَهْوَنُ مَفقَودٍ وأَيْسَرُ هالكٍ ... على الحىِّ من لا يَبْلُغُ الحىَّ نَائلُهْ

عارةٌ أى مُعارٌ، ووزنه «فَعَلَةٌ».

***

وقال أحدُ المحدَثين(١)، وليس من هذا الباب ولكنَّا ذكرناه فى الإعارة:

أَعَارَكَ مالَهُ لتقومَ فيه ... بطاعَته وتَعْرفَ فَضْل حَقِّه
فلم تَشْكرْهُ نعْمتَهُ ولكنْ ... قَويتَ على مَعَاصيه برزْقه
تُجَاهِرُهُ بهَا عَودًا وبَدْءًا ... وتَسْتَخْفى بها مِن شَرِّ خَلْقِه

وقال جريرٌ:

وإِنِّى لأَسْتَحْيِى أَخِى أَنْ أَرَى له ... عَلَىَّ من الحقِّ الذى لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحملُه قومٌ على خِلاَف معناه، وإنما تأويلُه: إنِّى لأَسْتَحْيِى أَخِى أَنْ يكونَ له علىَّ فضلٌ ولا يكونَ لى عليه فضلٌ ومنِّى إليه مُكافَأَةٌ، فأستحيى أَنْ أَرَى له علىَّ حقًّا لمَا فَعَلَ إلىَّ، ولا أفعلَ إليه ما يكونُ لِى به عليه حَقٌّ. وهذا من مذاهب الكِرَام، ومِمَّا تأخذُ به أَنْفُسَهَا.

(١) زيادات ر: «هو محمود الوراق».

[أبيات عائذ الكلب الزبيري لعبد الله بن حسن]

فأمَّا قولُ عائذِ الكَلْب الزُّبَيْرِيِّ لعبد الله بن حَسَنِ بن حَسَنٍ[1]:

لـه حَقٌّ ولـيس عـليـــــه حَـقٌّ ... ومَـهْمـا قـال فـالحَسَنُ الْجَـمِـيلُ
وقـد كَانَ الرَّسـولُ يَرَى حُـقوقًـا ... عليـــه لغـــيـــرِه وهوَ الرَّســـولُ

فإنهُ ذَكَـرَهُ بِقلَّة الإنصاف، فـقال: يَرَى له حقًّـا على النَّاس، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا من أجل نَسَبِه برسول الله ﷺ، وبيَّن ذلك بقوله:

وقـد كَانَ الرَّسـولُ يَرَى حُـقوقًـا ... عليـــه لغـــيـــرِه وهوَ الرَّســـولُ

فالذى يفْتَخِرُ بِهِ عبد الله يَرَى للناس عليه حقا، فالمُفْتَخِرُ بِهِ أَجْدَرُ.

* * *

وقـد قيل لعلـيِّ بن الحُسَين ـ وكـان بَيِّنَ الفَـضْلِ رحـمهُ الله: مـا بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نسبَكَ أَهْلَ الرُّفْقَـة؟ فقال: أكرهُ أَنْ آخُذَ برسول الله ﷺ مالاً أُعْطِى مِثْلَهُ.

وإنما يَعترِى هذا البابُ ـ منَ الظُّلمِ وقلَّة الإنصـاف والبُعْد من الرِّقَّة عليهمُ ـ الْجَهَلَةَ من أهلِ هذا النَسَب، واللهُ جَلَّ ذِكْرُه يقـول لنبيِّه ﷺ: ﴿**بِالْمُؤْمنينَ رَءُوفٌ رَحيمٌ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[3] فإذا كانَ هُوَ ﷺ يَخافُ من المعصيَة فكيفَ يأْمَنُها غيرُه بِهِ!

[لجرير يمدح هشام بن عبد الملك]

وأما قولُ جـريرٍ لهشامِ بن عبـد الملك فهو المدحُ الصحـيحُ على خلاف هذا المعنى، قال:

وأنتَ إذا نَـظَرْتَ إلـى هشـــــام ... عَـــرَفْتَ نجَـارَ مُنْـتَـحَب كـــرِيمِ
ولِىُّ الحقِّ حـيـنَ يؤُمُّ حَـجًّـا ... صـفُـوفًـا بين زَمْـزَمَ والْـحَطيمِ

---

(١) زيادات ر: اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى، وسمى عائذ الكلب بقوله:

مـالِى مـرِضتُ فلم يَعُدْنى عـائد ... منكمْ ويمرضُ كلبكم فـأعـودُ
وأشـدُّ من مـرضى علىَّ صـدودُكمْ ... وصـدودُ كلبِكمُ علىَّ شـديدُ

(٢) سورة التوبة ١٢٨. (٣) سورة الأنعام ١٥.

يَرَى للمسلمينَ عليه حَقًّا ... كفعلِ الوالد الرَّؤُف الرَّحيمِ
إذَا بعضُ السِّنينَ تَعَرَّقَتْنا[1] ... كَفَى الأَيْتامَ فَقْدَ أبى اليَتيمِ

وفى هذا الشعر:

أَميرُ المؤمنين على صِرَاط ... إذا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقيمِ
أَميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دينًا ... وحِلْمًا فاضلا لِذَوى الْحُلُومِ
لَكَ المَتَخَيَّرانِ أَبًا وَخالا ... فأَكْرِمْ بالخُؤُولَةِ والعُمُومِ
فَيَا بْنَ المُطْعِمينَ إذَا شَتَوْنَا ... ويا بنَ الذَّائدينَ عن الحريمِ
سَمَا بكَ خالدٌ وبنُو هشامٍ ... إلى العَلْيَاء فى الْحَسَبِ الْجَسيمِ[2]
وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلقى ... شُئُونُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّميمِ
تواصَتْ من تَكرُّمِها قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الْخَيْلِ داميَةَ الكُلُومِ
فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا ... بِمُقْرِفَةِ النِّجَارِ ولا عَقيمِ
وما فَحْلٌ بأَنجبَ من أَبيكمْ ... ولا خَالٌ بأَكْرَمَ من تَميمِ
سَمَا أَولادُ بَرَّةَ بنت مُرٍّ ... إلى العَلْياء فى الْحَسَبِ العظيمِ
لك الغُرُّ السَّوابقُ من قُريشٍ ... فقد عُرِقَ الأعرُّ من البَهيمِ

قولُهُ: «حينَ يؤمُّ حَجًّا» فيكون الحجُّ جمعَ حاجٍّ، كما يقال: تاجرٌ وتَجرٌ، وراكبٌ وركْبٌ، قال العَجَّاجُ:

بواسطٍ أَكْرَمُ دار دارَا ... واللهُ سمَّى نَصْرَكَ الأنْصارَا

فأخرَجَه على «نَاصر ونَصْرٍ»، قال: ويجوزُ أَن يكونَ حَجٌّ أصحابَ حَجٍّ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] يريد أَهْلَها.

وقوله:

* كفعلِ الوالد الرَّؤُف الرَّحيمِ *

يقال: «رَؤُف» على «فَعُلٍ» مثلُ يَقُظٍ وحَذَرٍ، ورَءُوفٌ على وزن «ضَرُوبٍ». وقال الأنصارىُّ[4]:

---

(١) تعرقتنا: أهزلتنا، وأصله أخذ ما على العظم من اللحم.

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس فى قوله: وبنو هشام، وإنما وقع فى شعره: وأبو هشام، وهو الصحيح، يريد إسماعيل بن هشام، وهو جده من قبل أمه».

(٣) سورة يوسف ٨٢. (٤) زيادات ر: «هو كعب بن مالك».

نُطيعُ نَبيَّنا ونُطيعُ رَبًّا هو الرَّحمنُ كان بنا رَءُوفا

وقد قُرِئ: ﴿إن الله رَؤُفٌ بالعِبَاد﴾[1]، و﴿رءُوفٌ﴾ أكثرُ، وإنما هو من الرَّأْفة، وهى أَشَدُّ الرَّحمة، ويقالُ: «رَآفَةٌ» وقُرِئ: ﴿ولاَ تَأْخُذْكمْ بِهِمَا رَآفَةٌ فِى دِينِ الله﴾[2] على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهة.

وقوله:

* إذَا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا *

يُفسَّرُ على وجهين: أحدُهما: أن يكون ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السنين سِنُونَ، كما قال الأَعْشَى:

وتَشْرَقُ بالقولِ الذى قد أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ منَ الدَّمِ

لأن صَدْرَ القناة قَناةٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه، لأن بعض الأصابعِ إصْبَع، فهذا قول.

والأجْوَدُ أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضاف إليه، فأَقْحَمَ المضافَ إليه توكيدًا، لأنه غيرُ خَارِجٍ من المعنى، وفى كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضعين﴾[3] إنما المعنى: فَظَلُّوا لها خاضعينَ، والخضوعُ بَيِّنٌ فى الأعناق، فأَخْبَرَ عنهم، فأقْحَمَ الأعناقَ توكيدًا، وكان أبو زيد الأنصارىُّ يقول: أَعناقُهم جماعاتهم، تقولُ: أتانى عُنُقٌ من النَّاسِ، والأَوَّل قولُ عامَّة النحويين.

وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خبرُ الزُّبَيْرِ تواضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

وقال أيضًا

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذَ السِّرَارُ من الهِلاَلِ

وقال ذو الرُّمَّة:

مَشَيْنَ كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّياحِ النَّوَاسِمِ[4]

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧. (٢) سورة النور ٢. (٣) سورة الشعراء ٤.

(٤) زيادات ر: «زعم بعضهم أن البيت مصنوع، والصحيح فيه: مرضى الرياح النواهم، المرضى: التى تهب بلين».

ومثل هذا كثير، وعلى مثْلِ هذا القول الثانى تقول: «يا تَيْمَ تَيْمَ عَدىٍّ» لأنك أردت: «يا تَيْمَ عَدىٍّ»، وأَقْحَمْتَ الأوَّلَ توكيدًا[1]، وكذلك: لا أبَالَكَ، لأَن الألف لا تثْبُتُ فى «الأبَ» فى النصبْ إلاَّ فى الإضافة، أو بدلا من التنوينِ، فإنَّما أرادَ «لا أبَاكَ» ثم أَقْحَمَ اللَّامَ توكيدًا للإضافة، وأنشدَ المازنىُّ:

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ ... وأَىُّ كَرِيمٍ لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ!

وقال آخرُ:

أبِالمَوْتِ الذى لاَبُدَّ أَنِّى ... مُلاَقٍ لاَ أَبَاكِ تُخَوِّفِينى!

وقولُه: «على صِرَاط» فالصِّرَاطُ: المِنْهَاجُ الواضح، وكذلك قالت العلماء فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم**﴾.

وقولُه: «سَمَا بِكَ خَالدٌ» يريدُ خالدَ بنَ الوَليد بن المُغيرةِ بن عبد الله بن عُمَرَ ابن مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْب، لأن أمَّ هشام بنتُ هشامِ بن إسماعيلَ بن هشامِ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم. وكان هشامُ بنُ المغيرة أَجَلَّ قُرَشىٍّ حِلْمًا وجودًا، وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموتِهِ، كما كانت تُؤَرِّخُ بعام الفيلِ وبمُلْكِ فلانٍ، قال الشاعر:

* زَمَانَ تَنَاعَى النَّاسَ موتَ هِشَامِ *

ومن أَجْله يقولُ القائل:

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا ... كَأَنَّ الأَرضَ ليس بها هشَامُ

يقول: هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفون فى الأرض، فقد كان يحب من أجله ألا ينالهَا جَدْبٌ، وقال الآخَرَ:

ذَرِينى أَصْطَبِحْ يَا سَلْمَ إنِّى ... رأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هِشَامِ

وقوله: «نَقَّبْ» أى طَوَّفَ حتى أصابَ هشامًا، قال الله عز وجل: ﴿**فَنَقَّبُوا فى الْبِلاَدِ**﴾[2] أى طَوَّفُوا، ومثلُه قولُ امْرِئ القَيْسِ:

وقَدْ نَقَّبْتُ فِى الآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيَابِ

(١) زيادات ر: كذا وقع «وأقحمت الأول توكيدا»، وإنما الصحيح: «وأقحمت الثانى توكيدا».
(٢) سورة ق ٣٦.

[عمر أول من أرخ في الإسلام]

فأما التاريخُ الذى يُؤَرَّخُ به اليومَ فأوَّل مَنْ فعلَه فى الإسلام عمرُ بن الْخَطَّاب رحمه الله، حيث دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ، فقيل له: لو أَرَّخْتَ يا أميرَ المؤمنين لكنْتَ تَعْرِفُ الأُمور فى أوقـاتها؟ فقـال: وما التَّأْريخُ؟ فـأُعْلِمَ ما كانـت العجمُ تفعلُه، فـقال: أرِّخُوا، فقالوا: مُذْ أيِّ سنَةٍ؟ فاجـتَمعوا على سَنَة الهجرة، لأنه الوقتُ الذى حكَمَ فيه رسول الله ﷺ على غيرِ تَقيَّة، ثم قالوا: فى أيِّ شهرٍ؟ فقالوا: نستَقْبِلُ بالناس أمورَهمَ فى شهر المحرَّم إذا انْقضَى حَجُّهُمْ، وكانت هجرةُ رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الآخر[1] فَقُدِّمَ التأريخُ على الهجرة هذه الأشهُرَ.

وجاء فى تصـحيح هذا الوقت ـ أعنى المحـرَّمَ ـ ما رُوِىَ لنا عن ابن عـباس رحمه الله، فإنه قـال فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾[2]: فأقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَة، وهو المحرَّمُ.

وقولُه:

* فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا *

يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بن كِنانَة، وهو أبو قُرَيْش، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِه فليس بقُرَشىٍّ، وتَميمُ بن مُرٍّ خالُه.

وكان يقالُ: مَنْ عَرفَ حَقَّ أخيـه دام له إخَاؤُه، ومَنْ تكَبَّرَ على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسَه.

وقيلَ: ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ، ولا لِسيِّءِ الْخُلُقِ عَيْشٌ، ولا لِمُتَكبِّرٍ صديقٌ.

وقيلَ: مَنْ بَـسَطَ بالخير لسـانَهُ انبسطتْ فى القلـوب محبَّـتُهُ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ.

[فى مدح أبى البخترى]

ويُروى أَنَّ شاعـرًا أَتَى أبا البَخْـتَرىِّ[3] وَهْبَ بنَ وَهْب، وكـان من أَجْـوَد النَّاس، وكان إذا سـمع مَدْحَ المادح ضَحك وسَـرَى السُّرُورُ فى جـوانحه، وأَعْطَى

(١) زيادات ر: «الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله ﷺ كانت فى ربيع الأول، وفيه مات ﷺ».

(٢) سورة الفجر ١، ٢.

(٣) زيادات ر: «البخترى، بفتح الباء وبالخاء المعجمة».

وزَادَ، فأتَاهُ هذا الشاعرُ فأنشده:

لكُلِّ أَخى فَضْلٍ نَصيبٌ من العُلاَ ... ورأسُ العُلاَ طُرًّا عَقيدُ النَّدَى وَهْبُ

وما ضَرَّ وَهْبًا قولُ مَنْ غَمِطَ العُلاَ ... كما لاَ يَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحهُ الكَلْبُ(١)

فَثَنى لهُ الوسَادَةَ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ، وحملهُ وأضافه، فَلَمَّا أَنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غلمان أبى البَخْترىِّ، ولا عَقَدَ لهُ ولا حَلَّ معه. فأَنْكَرَ ذلك مع جَميلِ ما فَعلَ به، وأَنهُ قد تجاوزَ به أَمَلَه، فعاتَب بعضَهم، فقال له الغلامُ: إنَّا إنما نُعين النازلَ على الإقامة، ولا نُعينُ الراحلَ على الفراق. فبلغَ هذا الكلامُ جَليلا من القُرَشيِّينَ، فقال: واللهِ لَفعلُ هؤلاءِ العَبيدِ على هذا القَصْدِ أَحْسَنُ من رِفْدِ سَيِّدِهِم.

(١) زيادات ر: «غمط (بالكسر): كفر النعمة، وغمط (بالفتح)، ويقال أيضًا: تنقَّص».

بابـ

[سؤال عبدالملك لحسان : أي المناديل أفضل؟]

قال عــبدُ الملك بن مَـرْوَانَ يومًا لجلسائه ـ وكـان يَجْتَنبُ غـيرَ الأدبَاء ـ: أَيُّ المَناديلِ أفضلُ؟ فقال قائلٌ منهم: مناديلُ مصرَ كأنها غِرْقىء البَيْض[1]. وقالَ آخرُ: مناديلُ اليمن كأنها أَنْوَارُ الربيع. فقال عبدُ الملك: مـا صَنَعْتُما شيئًا، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تَميم ـ يعنى عَبْدَةَ بنَ الطَّبيب[2]:

لَمَّا نَزلنـا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْـبِـيَـةٍ ... وَفَـارَ للقـوم بـاللَّحم المَرَاجِـيلُ
وَرْدٌ وأَشْـقَـرُ مـا يُؤْنِـيـه طَابِخُـهُ ... مَـا غَيَّـرَ الغَلْيُ منه فهْـو مأكُـولُ
ثُمَّتَ قُـمْنَـا إلى جُـرْدٍ مُـسَـوَّمَـةٍ ... أَعْـرَافُـهُنَّ لأيدينا مَنَاديلُ

قولُه: «غرقىء البيض» يعنـى القشرةَ الرقيقةَ التى تَرْكَبُ البيـضةَ دونَ قشرِها الأعلَى، وقشرُها الأعلَى يقال له: القَيْض.

وقوله: «المَرَاجيلُ» إنما حَدُّهُ «المَرَاجلُ»، ولكن لَمَّا كانت الكسرةُ لازمةً أشْبَعَهَا للضرورة، كما قال:

* نَفْىَ الدَّراهم تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ[3] *

وقد مَرَّ تفسير هذا.

وقوله:

* وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنيه طَابِخُهُ *

يقولُ: ما تَغَيَّرَ من اللحم قبل نُضْجه.

وقوله: «ما يُؤْنيه طَابِخُهُ» يقول: ما يُؤَخِّرُه، لأنه لو آنَاهُ لأنْضَجَه، لأن معنى «آنَاهُ» بلَغ به إناهُ، أى إدْراكَهُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إلى طَعَام غَيْرَ نَاظرينَ إنَاهُ**﴾[4] وتقول: أَنَى يَأْنِى إنى، إذا أَدْرَكَ، وآن يَئِينُ مثلُه. وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾[5] أى قد بلَغَ إناه.

---

(١) زيادات ر: «الغرقىء يهمز، ولا يهمز، وكذلك فعله». (٢) زيادات ر: «عبدة، بإسكان الباء».
(٣) زيادات ر: «الحجة فى الصياريف». (٤) سورة الأحزاب ٥٣.
(٥) سورة الرحمن ٤٤.

وقوله:

* مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهْو مأكولُ *

يقول: نحنُ أصحابُ صَيْدٍ، وهذا مِن فعلهم(١).

وقوله: «مُسَوَّمَة» تكونُ على ضَرْبَيْن: أحدُهما أن تكونَ مُعْلَمةً، والثانى أن تكونَ قد أُسيمَتْ فى الْمَرْعَى، وهى هاهنا مُعْلَمةٌ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ.

وإنما أَخَذَ ما فى هذه الأبيات من بيتِ امرئ القيسِ، فإنه جَمَعَ ما فى هذه الأبيات فى بيتٍ واحدٍ، مع فضلِ التقدُّمِ:

نَمَشُّ بأعْرافِ الجِيادِ أكُفَّنَا ... إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدْرِكْ، ونمشُّ: نَمْسَحُ، ويقال للمنديل المَشُوشُ. وكانت العربُ تَأْلَفُ الطِّيبَ، وتَطْرَحُ ذلك فى حالتين: فى الحربِ والصَّيْدِ، قال النابغة:

سَهِكِينَ من صَدَإِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ ... تَحْتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقَّارِ

وقال آخر:

وأَسْيافُكُمْ مِسْكٌ مَحَلٌّ أكُفِّكُمْ ... على أنَّهَا رِيح الدمَاء تَضُوعُ(٢)

معنى «تَضُوعُ» تَفُوحُ.

[وفاء ابنة هانئ بن قبيصة]

ورُوِىَ عن ابنة هانئ بن قَبيصَة. [ذَكَرَ يعقوب أنها ابنةُ قَيْس بن خَالد الشيبانى. ش]، أنه لما قُتل عنها لَقيطُ بن زُرَارَةَ بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ، فتَزَوَّجها رجلٌ من أهلها، فكان لايزَال يراها تَذْكر لَقيطًا، فقال لها ذَات مَرة: ما استحسنْتِ من لَقيط؟ فقالت: كُلُّ أموره كانتْ حَسنةً، ولكنى أُحَدِّثُكَ أنَّه خرجَ مرة إلى الصيد وقد انْتَشَى، فرجَعَ وبقميصه نَضْحٌ من دَمِ صيده، والمسْكُ يَضُوعُ من أَعْطافه، ورائحةُ الشَّراب من فيه، فَضَمَّنى ضَمَّةً، وشَمَّنى شَمَّةً، فليتَنى كنت مِتُّ ثَمَّةْ، قال: ففعل زوجُها مثلَ ذلك، ثم

(١) زيادات ر: «العرب لا تنضج اللحم، إما لاستعجالها للضيف، وإما لأن ذلك مستحب عندها، ولذلك قال: لا يؤنيه. وقيل لتعجيل القرى».

(٢) زيادات ر: «تضوع روايته».

ضمــها إليه، وقال: أَينَ أنا مِنْ لَقَـيط؟ فقالت: مـاءٌ ولا كصداء ـ مثلُ حَـمْراءَ، ووزنُها «فَـعْلاَءُ»، وموضع اللام همزةٌ، وهى بـئر مُقدَّمَـة، واسمها مـا ذكرنا عن الأصمعىِّ وأبى عبـيدة، وكذلك سمعنا العربَ تقولهُ، ومَـنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ ومثلُ ذلك: رَجلٌ وَلاَ كمالِك[1] ـ يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ، ومَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ.

[حديث بنات ذى الإصبع العدوانى]

وحدثنى علىُّ بن عـبد الله عن ابن عائشـةَ قال: كان ذو الإصْـبعِ العَدْوانىُّ رجلا غَيُورًا، وكانت له بناتٌ أربعٌ، وكان لا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً، فاسْتَمَعَ عليهنَّ يومًا، وقد خَلَوْنَ يَتَـحَدَّثْنَ، فقـالت قائلةٌ منهنَّ: لِتَقلْ كلُّ واحـدة منكنَّ ما فى نفسِـها، ولْنَصْدُقْ جميعًا. قال: فقالت كُبْرَاهُنَّ:

أَلا لَيْتَ زوْجى مـن أُنَاسٍ ذوِى غنىً … حَديثُ الشَّبـاب طيِّبُ النَّشْرِ والذكْرِ
لَصُــوقٌ بأَكْـبَـادِ النِّسَـاء كَــأَنَه … خَليـفـةُ جـانٍ لا يُقِـيمُ عَلَى هَجْـرِ

قال: وقالت الثانية:

أَلاَ لَيْـتَـهُ يُعْطَـى الجـمـالَ بَديئـةً … له جَفْنـةٌ يَشْقىَ بها الـنِّيبُ والجُزْرُ
له حكمَاتُ الدَّهْـرِ من غَيرِ كَـبْرَةٍ … تَشِينُ فَـلاَ فَـانٍ وَلاَ ضَرَعٌ غُـمْـرُ

[أَخْذُ التَّجارِبِ، وهو مأخوذٌ مـن حكَمةِ اللِّجام ش] فَقُلْنَ لها: أنتِ تُرِيدينَ سَيِّدًا، فقالت الثالثة:

أَلاَ هَلْ تَـرَاهَا مَـــرَّةً وَحَليـلُهـــا … أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّـيْفِ عَـيْنِ[2] المُهَنَّدَ
عَلِيـــمًـــا بِأَدْوَاءِ النِّسَـــاءِ وَرَهْطُهُ … إذا ما انْتمى مِنْ أهلِ بَيْـتِى ومَحْتدِى

فـقَـلْنَ لها: أنـت تُريـديـنَ ابْـنَ عَمٍّ لَك، فقـد عَرَفْـتـه، وقُـلْنَ للصغـرى: مـا تقولين؟ فـقالتْ: لاَ أَقولُ شـيئًا، فَـقُلْنَ: لا نَدَعُك وذَاكِ، إنَّكِ اطَّلَعْتِ على أَسرارنَا وتكْتُمِينَ سِرَّكِ، فقالت: زَوْجٌ من عُودٍ، خَيْرٌ من قُعُودٍ.

قال: فَخُطِبْنَ، فَـزَوَّجَهُنَّ جُمَع، ثم أمهَلَهُنَّ حولا، ثم زارَ الكُبْـرَى، فقال لها: كيفَ رأيتِ زوجَكِ؟ قالَتْ: خيرَ زَوْجٍ، يُكْرِمُ أهلَه، ويَنْسَى فَضْلَه، قال لها:

---

(١) زيادات ر: «فما يقال: فتى ولا مالك، وقد تقدم لأبى العباس: «فتى»، وهو الصواب».
(٢) زيادات ر: «حليلها، بفتح اللام وبالضم، وأشم مثله».

فَمَا مَالُكم؟ قالت: الإبلُ، قال: وما هى؟ قالت: نَأكل لُحمَانَها مُزَعا[1]، ونشربُ أَلْبَانَهَا جُرعَا، وتَحملنَا وضَعَفَتَنَا معا، فقال لها: زوجٌ كريمٌ، ومالٌ عَميمٌ.

ثم زار الثانيةَ فقال لهـا: كيفَ رأيت زوجَك؟ قالت: يُكْرِمُ الْحَليلةَ، ويُقَرِّبُ الوَسيلَةَ. قـال: فما مَالُكم؟ قـالت: البَقَرُ، قال: ومـا هى؟ قالت: تَأْلَفُ الفِنَاءَ، وتَمْلأُ الإناءَ، وتُودِكُ السِّقَاءُ، ونِسَاءُ مَعَ نِسَاءِ. قال لها: رَضيتِ وحَظِيت.

ثم زارَ الثَّالثةَ، فقال لهـا: كيفَ رأيتِ زوجَك؟ فقالت: لا سَمْحٌ بَذِرٌ، ولا بَخيلٌ حكرٌ[2]، قال: فما مالُكُم؟ قالت: الْمَـعْزَى، قال: وما هى؟ قالت: لو كنَّا نُولِّدُهَا فَطُمَا، ونَسْلَخُهَا أَدمًا، لم نَبْغِ بِهَا نَعمًا، فقال لها: جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ.

ثم زار الرَّابعةَ، فـقال لها: كـيفَ رأيتِ زوجَك؟ فقـالت: شَرُّ زَوْجٍ، يُكْرِمُ نفسَهُ، ويُهِينُ عِرْسَـهُ، قال لها: فما مَالُكمْ؟ قَالت: شَـرُّ مَـال، الضَّأْنُ، قال لها: وما هُـنَّ؟ قالت: جُـوفٌ لا يَشْبَـعْنَ، وهِيمٌ لا يَنْقَعْنَ، وصُمٌّ لا يَسْـمَعْـنَ، وأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ، فقال: «أَشْبَهَ امْرُؤٌ بعضَ بَزِّه»[3] فأَرْسَلَهَا مثلا.

قال علىٌّ بن عبد الله: قلتُ لابنِ عائشةَ: ما قولها: «وأمر مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ»؟ فقـال: أَمَا تَرَاهُنَّ يَمْرُرْنَ فـتسقطُ الواحـدةُ منهنَّ فى ماءٍ أو وَحَلٍ وما أشـبه ذلك فَيَتْبَعْنَهَا إليه.

قولُ الثانيةِ:

* له جَفْنَةٌ يَشْقَى بِهَا النِّيبُ والجُزْرُ *

فالنيبُ: جمعُ نَابٍ، وهى المُسنَّة، وإنما قيلَ لها: نَابٌ، لطُول نَابِها، قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

* تُشَبَّهُ نَابا وَهْيَ فى السِّنِّ بَكْرَةٌ *

وتقديـر «نيب» من الفعل «فُـعْلٌ»، ولكن ما كـان من ذوات الياء كُـسرَ له موضعُ الفـاءِ من الفعلِ لِتَصحَّ الياءُ، لأنَّ الـياءَ إذا سَكَنَتْ وانضمَّ ما قبلَهـا كانت

(١) مزعا: قطعا.

(٢) الحكر هنا: المقتر.

(٣) زيادات ر: «أشبه امرأ بعض بزه، رواية»، يضرب للمتشابهين أخلاقًا.

واوًا، نحو مُوقِن ومُوسِر، وإن فارَقَتْهَا الضَّمةُ عادتْ إلى أصلها، نحوُ قولك: مَيَاسِيرُ، ومثلَ ذلك أبيضُ وبِيضٌ، وإنما «بيضٌ» «فُعْلٌ» كـ«أحْمَرَ وحُمر» و«أَصْفَرَ وصُفْر»، ولكن كُسِرَتِ النون لتصحَّ الياءُ، ولو كانت واوًا فى الأصل لم تَغَيَّرْ، نحوُ: «أسودَ وسُود».

وقوله: «نَابٌ»، تقديرهَا «فَعَلٌ» متحركة العين، ولا تنقلبُ الياءُ ولا الواوُ أَلفًا إلاَّ وَهُما فى موضعِ حركة وما قبلَهما مفتوحٌ، نحو: بَاعَ وَقَالَ ورَمَى وغزَا؛ لأن التقديرَ «فعلَ»، ولو كان على «فَعْلٍ» لَصَحَّت الياءُ والواوُ، كما تقول: بَيْعٌ وقَوْلٌ، و«فَعَلٌ» قد يَجمعونَه على «فُعْلٍ» كقولهم: أَسَدٌ وأُسْدٌ، ووَثَنٌ ووُثْن.

وقولها: «تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ» فإنَّما عَطَفَتْ أحدَهما على الآخرِ؛ لأنَّ مِنَ الإبلِ ما يكون جَزُورًا للنَّحْر لا غير.

وأَمَّا قولها: «وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرٌ» فالضَّرَعُ: الضعيفُ، والغُمرْ: الذى لم يُجَرِّب الأمور.

[الحجاج والمهلب بن أبى صفرة]

ويُرْوَى أَنَّ الحَجَّاجَ لَمَّا وَرَدَ عليه ظَفَرُ المُهَلَّب بن أَبِى صُفْرَةَ وَقَتْلُهُ عبدَ ربِّه الصغيرَ، وهَرَبُ قَطَرِيٍّ عنه تَمَثَّلَ فقال: لله درُّ المُهَلَّبِ! والله لَكأنَّهُ ما وصف لَقِيطٌ الإيادىُّ حيثُ يقول:

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لله دَرُّكُمُ ... رَحْبَ الذِّرَاعِ بأَمر الحرْب مُضْطَلِعَا
لاَ مُتْرَفًا إنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا
مَازال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أَشْطُرَهُ ... يكونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا ومُتَّبَعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مريرتُهُ ... مُرِّ العَزِيمَةَ لا رَثًّا ولاَ ضَرَعَا

فقام إليه رجلٌ فقال: أَيُّها الأميرُ، والله لَكأنِّى أسمعُ هذا التمثيلَ مِنْ قطَرِيٍّ فى المُهَلَّب. فَسُرَّ الحَجَّاجُ بذلك سرورًا تَبَيَّنَ فى وجهه.

وقولها:

* كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ *

فالمهنَّدُ، المنسوبُ إلى الهِنْد.

وقولها: «مِنْ أهلِ بَيْتِى ومَحْتِدى» فالمحتدُ: الأصل، قال الشاعرُ:

وَفى السِّرِّ مِنْ قَـحْطَانَ أَوْلَادُ حُرَّةٍ عِظَامُ اللَّهَـا بِـيضٌ كِـرَامُ المَحَـاتدِ

وقولهُ: «مالٌ عميمٌ» يقولُ: جامِعٌ، أَخَذَهُ مِنْ عَمَّ يَعُمُّ.

وقولُه: «جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ» فـالجِذْوُ: جمعُ جِذْوة، وهى القطْعَة، وأصلُ ذلك فى الخشَبِ مـا كانَ منهُ فيه نارٌ، قـال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾(١) وتجمعُ أيضًا جُذا، قال ابن مُقْبِل:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَـمِسْنَ لها جَزْلَ الجُـذَا غَيْـرِ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِـرِ

الخوَّارُ: الضعيفُ، والدَّعِرُ: الكثير الثُّقَبِ، يقالُ: عُودٌ دَعِر.

وقولهـا: «جُوفٌ لا يَشْـبَعْنَ» تقـولُ: عظَامُ الأَجْوَاف. و«هِيمٌ لا يَنْـقَعْنَ»، الهِيمُ: العطَاش، يكونُ الواحدُ من هِيمٍ أَهْيَمَ، ويقال فى هذا المعنى: هَيْمَانُ. وقال بعضُ المفـسِّرينَ فى قـول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾(٢) قال: هى الإبلُ العطَاشُ، وقال ذو الرُّمَّة(٣):

فراحَتْ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائرُهَا وقـد نَشَحْنَ فـلا رِىٌّ وَلاَ هيمُ(٤)

ويقال: «قَـصَعَ صَارَّتَهُ» إذا رَوِى، والصَّـارَّةُ: شدَّةُ العطَش، والـنَّشُوحُ: أَنْ تَشْرَبَ دُونَ الرِّىِّ، يقـال: نَشَحَ يَنْشَحُ، ومثلُه: تَغمَّرَ، إذا لم يَرْوَ. ويقـال للقدَحِ الصغـير العُمَـر مِنْ هذا. وقال بعضُ المفسِّـرين: الهِيمُ: رِمـالٌ بعينها، واحـدتُها هَيْماءُ، يا فتى.

وقولها: «لا يَنْقَـعْنَ» أى لا يَرْوَيْن، يقال: ما نَقَعْتْ ماشـيةُ بنى فلانٍ بِرِىٍّ، إذا لم تَبْلُغْ من الماء حقَّها، ويقال للمـاء: النَّقْعُ، ويقال: النقع فى غير هذا موضع للغبار، ويقال: أَثارُوا النَّقْعَ بينهم. والنَّقْعُ أيضًا: اسمُ موضع بعينه، قال الشاعرُ:

لقـد حَـبَّبَتْ نُعمٌ إلـينا بوجـهِهَـا مَـسـاكِنَ ما بـين الوَتَائِرِ والنَّقْعِ(٥)

---

(١) سورة القصص ٢٩. (٢) سورة الواقعة ٥٥.

(٣) زيادات ر: «يصف حميرا».

(٤) زيادات ر: «الحقب البيض الأعجاز من الحمير».

(٥) زيادات ر: «الوتائر، بالتاء منقوطة باثنتين من فوق»، الوتائر والنقع: موضعان.

والنَّقْعُ: الصُّراخُ، قال لبيد:

فمتى يَنْقعْ صُراخٌ صادِقٌ يُخلِبُوهُ[1] ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولُها: «وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ»، طَرِيفٌ من كلام العرب، وذلك أنه يقال لكلِّ صحيحِ البَصَرَ ولا يُعْملُ بَصَرَهُ: أعمى، وإنما يُراد به أنه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لا يُبْصر ألبَتَّةَ، إذا لم يُعْملْ بَصَرَهُ، وكذلك يقالُ للسَّميعِ الذى لاَ يَقْبَلُ: أَصَمُّ، قال الله جلَّ ذكره: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[2] كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها﴾[3] وكذلك: ﴿إنَّكَ لا تُسْمعُ المَوْتَى ولا تُسْمعُ الصمَّ الدُّعَاءَ﴾[4] وقولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَثلِ الَّذِى يَنْعِقُ بمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونِدَاءً﴾[5].

وتقول العربُ: «أَبْلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ»، ويقال: أَحْمَقُ مِنْ رَاعِى ضَأْنٍ ثمانين[6].

وتحدَّثَ عمرُو بن بَحْرٍ، قال: كان يقال: لا ينبغى لعاقل أن يُشَاوِرَ واحدًا من خمسةٍ: القَطَّانُ، والغَزَّالُ، والمُعَلِّمَ، وراعى ضأنٍ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادثَةِ للنِّسَاءِ.

وقيلَ فى مِثْل هذا: لا تَدَعْ أمَّ صَبِيِّكَ تَضْرِبُهُ فإنه أَعقلُ منها وإن كان طِفْلا.

وقال الأَحْنَفُ بن قَيْس: إنِّى لأُجالِسُ الأَحمقَ السَّاعةَ فأَتَبَيَّنُ ذلك فى عَقْلِى.

وقال جلَّ ثناؤُه فى صفةِ النِّساء: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهُوَ فِى الخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ﴾[7].

---

(١) كذا فى الأصل، وفى ر: «يجلبوه».
(٢) سورة البقرة ١٨.
(٣) سورة محمد ٢٤.
(٤) سورة النمل ٨٠.
(٥) سورة البقرة ١٧١.
(٦) زيادات ر: «قوله: أحمق من راعى ضأن ثمانين، المثل لكسرى فى أعرابى خيره فاختار ذلك، ذكره أبو عبيد، وهذا غير ما أشار إليه أبو العباس».
(٧) سورة الزخرف ١٨.

[نقد كثير للشعراء]

وحُدِّثْتُ أَنَّ عُمَـرَ بن عبدِ الله بن أبى رَبيعةَ أتَى المدينة فأقـام بها، ففى ذلك يقول:

يا خَـليلَـىَّ قـــد مَـلِلْتُ ثَـوَائى ... بالمُصَلَّى وقـد شَـنِئْتُ البَـقِـيعَـا

فلمَّا أراد الشُّخُوصَ شَخَصَ معه الأَحْـوَصُ بن محمد، فلما نَزَلاَ وَدَّانَ صار إليهما نُصَيْب، فـمضى الأَحْوَصُ لبعض حاجته، فرَجَعَ إلىَ صاحِـبَيْه، فقال: إنى رأيتُ كثَيِّرًا بموضعِ كذا، فقال عمرُ: فابْعَثُوا إليه لِيصيرَ إلينا، فقال الأحْوَصُ: أَهُوَ يَصير إليكم؟ هو والله أَعْظَمُ كِـبْرًا من ذلك، قال: فإذًا نَصير إليـه، فصاروا إليه، وهو جالسٌ على جِلْدِ كبش، فوالله ما رَفَعَ منهم أحدًا ولا القُرَشىَّ. ثم أقبلَ على القُرَشىِّ، فـقال: يا أَخَا قُـرَيْشٍ، والله لقد قلت فأَحسنـتَ فى كَثيرٍ من شـعرك، ولكن خَبِّرْنِى عن قولك:

قـالتْ لهـا أُخْـتُـهـا تُعـاتِبُـهَـا ... لا تُفْـسِـدنَّ الطَّوَافَ فى عُـمَـرِ[1]
قُـومِـى تَصَـدَّىْ له لِيُـبْـصِـرَنَا ... ثم اغْـمِـزِيه يـا أخْت فى خَـفَـرِ
قـالَتْ لهـا: قـد غَـمَـزْتُهُ فـأَبَى ... ثم اسْـبَطَرَّتْ تَشْـتَـدُّ فى أَثرِى

والله لو قلتَ هذا فى هِـرَّةِ أهلكَ مـا عَـدَا، أردتَ أن تَنْسُبَ بهـا فنسَـبْتَ بنفسك، أهكذا يقـالُ للمرأة! إنما تُوصَفُ بالخَفرِ، وأنهـا مطلوبةٌ ممتَنِعةٌ، هَلاَّ قُلتَ كما قال هذا؟ وضرب بيده على كَتِفِ الأحْوَصِ:

أَدُورُ ولَوْلاَ أَنْ أَرَى أُمَّ جَـعْـفَـرِ ... بأبيـاتكمْ مـا دُرْتُ حَـيثُ أَدُورُ
ومـا كنتُ زَوَّارًا ولكنَّ ذَا الهَـوَى ... إذا لم يُـزَرْ لابُدَّ أَنْ سَـيَزُورُ
لقـد مَنَعَتْ معـروفَهـا أُمُّ جعـفرٍ ... وإِنِّى إلى مـعـروفـهـا لَفَـقِـيرُ

قال: فامتلأ الأحوصُ سرورًا، ثم أقـبلَ عليه فقال: يا أَحْوَص، خَبِّرْنِى عن قولك:

فـإِنْ تَصِلِى أَصِـلكِ وإنْ تَعُـودِى ... لِهَـجْرٍ بَـعْـدَ وَصْلِـكِ لا أُبالِى

---

(١) زيادات ر: «كذا وقـعت الرواية» «لا تفسـدن» على النهى، والصحـيح: «لتفسـدن» على القسم، كـأنها قالت: «والله لتفسدن».

أما والله لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبالَيْتَ، هلاَّ قلتَ مثلَ ما قال هذا؟ وضَرَبَ بيده على جنْب نُصَيْب:

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَظْعَنَ الرَّكْبُ ... وَقُلْ إِنْ تَملِّينا فما مَلَّكِ القلْبُ

قال: فانتفَخَ نُصَيْب، ثم أقبلَ عليه فقال له: ولكن أخبرنى عن قولك يا أَسْوَدُ:

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ وإنْ أَمُتْ ... فَوَا حَزَنَى مَن ذَا يَهِيمُ بها بَعْدِى

كأنَّك اغْتَمَمْتَ ألاَّ يُفْعَلَ بها بَعْدَك، ولا يكْنِي، فقال بعضُهم لبعض: قوموا فقد اسْتَوَتِ القِرْقَةُ. وهى لُعْبَةٌ على خُطُوطٍ، فاستواؤُها انقضاؤُها.

* * *

قال أبو الحسن: الطَّبِنُ هى السُّدَّرُ، فإذا زِيدَ فى خُطوطِه سمَّته العربُ: القِرْقَةُ، وتُسمِّيه العامَّة السُّدَّر.

[كثير والأخطل عند عبد الملك بن مروان]

قال: وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّرًا دَخَل على عبد الملك بن مَرْوَانَ وعندَه الأخطل، فأنشده، فالتفتَ عبدُ الملك إلى الأخطل، فقال: كيف تَرَى؟ فقال: حجازيٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ[1]، دَعنى أَضْغَمْهُ يا أَميرَ المؤمنين، فقال كُثَيرٌ: مَنْ هذا يا أَميرَ المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطلُ، فقال له كثير: مَهْلاً، فهلاَّ ضَغَمْتَ الذى يقول[2]:

لا تَطْلُبَنَّ خُئُولَةً فى تَغْلِب ... فالزَّنْجُ أَكْرَمُ منهم أَخْوَالاَ[3]
والتَّغْلَبِىُّ إِذَا تَنَحْنَحَ للقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأَمْثَالاَ

فسكتَ الأخطلُ فما أَجابه بحرف.

قال أبو العباس: سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعر:

* والتَّغْلَبِىُّ إِذَا تُنُبِّحَ لِلقِرَى *

وهو أبلغُ.

---

(١) مقرور: أصابه القر، وهو البرد.

(٢) حاشية الأصل: «هو جرير»، والبيتان فى ديوانه ٤٥٠، ٤٥٣.

(٣) زيادات ر: «أخوالا، منصوب على الحال، ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ».

[أبيات نصيب فى امرأة نزل عندها فأكرمته]

قال: وخُبِّـرْتُ أن نُصَيْبًا نزلَ بامرأة تُكْنَى أمَّ حَـبيب، من أهل مَلَلٍ، وكانت تُضيفُ بذلكَ الموضعِ وتَقْرى، ولايزالُ الشَّـريفُ قد نَزَل بها فأَفْضَلَ عليـها الفضْلَ الكثير، ولايزالُ الشَّـريفُ ممن لم يَحلُلْ بها يتناولُهَا بالبرِّ، ليعينَـهَا عَلَى مُرُوءتها، فنزلَ بهـا نُصَـيْبٌ ومعـه رجُـلان من قريش، فلـما أَرادُوا الرِّحْلَةَ عنـها وَصَلَهَـا القُرَشيَّان، وكان نُصَيْبٌ لا مالَ معه فى ذلك الوقت، فقال لها: إن شئت فَلَكِ أن أُوَجِّـهَ إلَيك بمثلِ ما أعطاكِ أَحـدُهمـا، وإن شئتِ قلتُ فـيكِ شعـرًا، فَغَـزلَتْ أُمُّ حَبيبٍ[1] فقَالتْ: بل الشِّعْرَ، فقال:

أَلاَ حَيِّ قَـبْلَ الْبَـيْنِ أمَّ حَـبيبِ ... وإنْ لم تكـنْ منَّا غَـدًا بقَـريبِ
وإنَّ لم يكن أنِّى أُحِـبُّكِ صـادقًـا ... فَـمـا أحـدٌ عنـدى إذًا بحَـبِـيبِ
تَهَـامٍ أَصْـابَتْ قَلْبَــه مَلِيَّــهٌ ... غَرِيبُ الهَـوَى، وَاهًا لكُلِّ غَرِيبِ!

[نصيب عند عبد الملك بن مروان]

وحُدِّثْتُ أن نُصيبًا أَتَى عبدَ الملك فَأنشدَه، فـاستحسَنَ عبد الملك شعْرَه وسُرَّ به، فوصلَه، ثم دَعَا بالغَـداء فَطَعِمَ معَه، فقال له عـبدُ الملك: يا نُصيب، هل لكَ فيما يُتَنادَمُ عليـه؟ فقال: يا أَميرَ المؤمنين، تأَمَّلْنى، قال: قد أراكَ، فـقال: يا أَميرَ المؤمنين، جلْدى أَسْوَدُ، وخَلْقى مُشَوَّهٌ، ووجـهى قَبيحٌ، ولستُ فى مَنْصب، وإنما بَلغَ بى مُجَـالَسَتَكَ ومؤاكَلَتَكَ عَقْلِـى، وأنا أَكرهُ يا أَميرَ المؤمنين أن أُدْخلَ علَيـه ما يَنْقُصُهُ. فأعجبه كَلاَمُه فأَعْفَاهُ.

[الوليد بن عبد الملك والحجاج]

وقال الوليدُ بنُ عـبد الملك للحَجَّاجِ فى وَفْدَة وفَدَهَا عليـه ـ وقد أَكَلا: هل لَكَ فى الشراب؟ فقال: يا أَميـرَ المؤمنين، ليسَ بحرام ما أَحْلَلْتَهُ، ولكنى أمنعُ أهلَ عَملى منه، وأكرهُ أن أخالفَ قـولَ العبدِ الصَّالِح: **﴿وَمَا أُرِيدَ أَنْ أُخَـالَفكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾**[2]، فأعفاه.

---

(١) زيادات ر: «أى مالت إلى أن يتغزل بها».

(٢) سورة هود ٨٨.

[مسلمة بن عبد الملك ونصيب]

وقال مَسْلَمَــةُ بن عبد الملك يومًا لنُصيب: امْـتَدَحْتَ فلانًا! لرَجُلٍ منْ أهله، فقال: قد فـعلتُ، قال: أَوَ حَرَمَكَ؟ قال: قد فعلَ، قال: فَـهلاَّ هَجَوْتَهُ؟ قال: لم أفْعلْ، قال: ولِمَ؟ قـال: لأَنِّى كنتُ أَحقُّ بالهجَاء منه! إذْ رأَيْتُهُ موضـعًا لمَدْحى! فأُعْجبَ به مسلمـةُ، فقال: اسألنى، قال: لا أفعَلُ، قـال: ولِمَ؟ فقال: لأَنَّ كَفَّكَ بالعطيَّةِ أَجْوَدُ مِن لسانِى بِالمسألة، فوهَبَ له ألفَ دينارٍ.

[فى نقد الشعر]

وحُدِّثْتُ أَنَّ الكميْتَ بنَ زيد أَنْشَدَ نُصَيْبًا فاستَمَع له، فكان فيما أَنشدَهُ:

وقـد رأينَـا بِهَـا حُـوراً منعَّـمـةً ... بيضًا تكامَلَ فـيها الدَّلُّ والشَّنَبُ(١)

فَثَنَى نُصَيبٌ خنصرَهُ، فقال له الكُمَيْتُ: مَا تَصْنَعُ؟ فقال: أحصى خطَأَكَ، تَبَاعَدْتَ فى قولك: «تَكَامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ»

هلاَّ قلتَ كما قالَ ذُو الرُّمَّة:

لَمْـيَاءُ فِـى شَفَـتَـيْهَـا حُـوَّةٌ لَعَسٌ ... وَفِى اللثَـاتِ وَفِى أَنْـيَـابِهَـا شَنَبُ

ثم أنشده فى أُخْرَى:

كَـأَنَّ الغُـطَامِطَ منْ جَـرْيِهَـا ... أَرَاجِـيـزُ أَسلَمَ تَهْـجُو غِـفَـارَا(٢)

فقال له: نصيبٌ: ما هَجَتْ أَسْلَمُ غفَارًا قَطُّ، فاستحيَا الكُمَيتُ فَسكَت.

قال أبو العباس: والذى عابه نُصيبٌ من قوله: «تكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ».

قَبِيْح جداًّ، وذلك أَنَّ الكلامَ لم يَجْرِ على نَظْمٍ، ولاَ وَقَعَ إلى جانب الكلمة ما يُشَاكلُهَا، وأَوَّلُ ما يَحـتاجُ إليه القولُ أنْ يُنْظَمَ على نَسَقٍ، وأن يُوضَعَ على رسم المُشَاكلةِ.

* * *

وخُبِّرْتُ أَنَّ عُمرَ بن لَجَإٍ قـال لابن عمٍّ له: أَنَا أَشْعَرُ منك، قال له: وكيفَ؟ قال: لأنِّى أقولَ البيتَ وأخاه، وأنتَ تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه.

(١) الشنب: عذوبة الأسنان ورقتها.

(٢) الغطامط: اضطراب موج البحر، وفى زيادات ر: «وقعت الرواية» «من جـريها»، وصوابه: «من غلبها»؛ لأنه يصف قدرًا فيه لحم، فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع».

وأنشد عَمْرُو بن بَحْرٍ:

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بينَهُ ... لِسَانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلُ

وبَعْرُ الكبش يَقَعُ مُتفرِّقًا، فمن ذلك قولُ أُبنة الحُطَيْئَة له، لما نَزَلَ فى بنى كُلَيْب بنِ يَرْبوعٍ: تَرَكْتَ الثَّروة والعَدَدَ، ونزلت فى بنى كُلَيبٍ - بَعْرِ الكَبْش.

يقال: بَعْرٌ وبَعَرٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، وشَمْعٌ وشَمَعٌ، ويقالُ للصَّدْرِ: قَصٌّ وقَصَصٌ، وكذلك نَهْرٌ ونَهَرٌ.

* * *

وزعم الأصمعىُّ أنه سَأَلَ أعرابيًّا، وهو بالموضع الذى ذكرهُ زهْيرٌ:

ثم اسْتَمَرُّوا وقالوا إنَّ مَشْرَبَكُم ... ماءٌ بِشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ

قال الأصمعىُّ: فقلتُ لأعرابىٍّ: أتعرفُ رَكَكًا؟ فقال: لا، ولكن قد كان هاهنا ماء يُسمَّى رَكَكًا.

فهذا ليستْ فيه لغتان، ولكن الشاعر إذا احتاجَ إلى الحركة أَتْبَعَ الحرفَ المتحرِّكَ الذى يليه الساكنُ ما يُشاكلُه، فَحَرَّكَ الساكنَ بتلك الحركة. قال عبدُ منافِ ابن رِبْعٍ [ش: رِبْعىٍّ] الهُذَلِىُّ:

إذا تَجاوَبَ نَوْحٌ قامَتَا معهُ ... ضَرْبًا أَليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجلدَا(١)

يريد الجِلْدَ، فهذا مُطَّرِدٌ.

ومن مَذاهبهم المطَّرِدَة فى الشِّعر أن يُلْقوا على الساكنِ الذى يَسْكن ما بَعده للتَّقييدِ حركَةَ الإعرابِ، كما قال الراجزُ(٢):

* أنا ابنُ ماوِيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقُرْ *

يريدُ «النَّقْر» يا فتى، وهو: النَّقْرُ بالخيل، فلما أَسكَنَ الرَّاءَ أَلْقَى حركتَها على الساكنِ الذى قبلَها(٣).

---

(١) زيادات ر: قال ابن القوطية: لعج الحب قلبه، والصرد جسده: أحرقه». والصرد شدة البرد.

(٢) زيادات ر: «قال ابن السيد: أحسبه لعبيد بن ماوية».

(٣) زيادات ر: «النقير»: صويت باللسان، يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه، قال امرؤ القيس:

أخفِّضُه بالنَّقْرِ لَمَّا علوتُه ... ويرفع طرفاً غيرِ جاف غَضيضِ

وشَبِيهٌ بهذا قوله:

عَــجِـبْتُ والدَّهْرُ كَـثيرٌ عَـجَـبُـهْ مِن عَنَـزِيٍّ سَــبَّنِى لـم أَضْــرِبُهْ

أراد: «لم أضرِبْهُ»، يا فتى، فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباء، وكان ذلك فى الباء أحسنُ، لخفاءِ الهاءِ.

وقال أبو النَّجْم:

* أَقولُ قَرِّبْ ذَا وهذا أَزْحِلُهْ *

يريدُ «أَزْحِلْهُ» يا فتى.

[أقول: قَرِّبْ ذَا وهذَاكَ أَزْحَلُهْ. كذا عن ش].

وقال طَرَفَة:

حَـــــابِسِــى رَبْعٌ وقــــفــتُ بِهِ لــوْ أُطِيــعُ النَّـفْسَ لــم أَرِمُـــــهْ

ولم يَلْزَمْهُ رَدُّ الياء لَمَّا تحركت الميمُ، لأن تحرُّكهـا ليس لها على الحقيقة، وإنما هى حركةُ الهاء.

* * *

وأما قولُ الشاعر:

حــديثُ بَنِى بَدْرٍ إذَا مـا لَقِيتَـهم كَنَزْوِ الدَّبَى فى العَـرْفَجِ المتَقَـارِبِ

فليس كقوله: «وشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ» ولكنَّه وصَفهم بضُئُولةِ الأصواتِ وسُرعةِ الكلامِ وإدخال بعضه فى بعض.

والذى يُحْمَدُ الجَهَارَةُ والفخامة.

[لرجل يمدح الرشيد]

وأُنْشدْتُ لرجل قال يمدحُ الرَّشيد:

جَـهِـيرُ الكلامِ جَـهِـيـرُ العُطَاسِ جَـهِــيــرُ الرُّوَاء جَـهِـيــرُ النَّغَمْ
ويَخْطُو عــلى الأَيْنِ خَطْوَ الظَّـلِيمِ ويَعْلُـو الرِّجَـالَ بِـخَلْقٍ عَــمَمْ(١)

(١) زيادات ر: «الرجل هو العمانى الشاعر، وقوله: «عمم» أى جسيم؛ والأين: الإعياء، ويكون الأين الحية، وهى الأيم».

ويروى أن الرشيدَ كان يَأتزرُ فى الطَّواف فَيُذَنبُ إزارَه ويباعد بين خُطاه، فإذا رجَعَ بيده كادَ يُفْتَنُ مَنْ يراهُ، فعند ذلك مُدِح بهذا الشِّعرِ.

[لعائشة وقد نظرت إلى رجل متماوت]

ويروى أَنَّ عائشةَ رحـمها الله نظرَت إلى رجل مُتماوت، فـقالت: ما هذا؟ فقالوا: أَحَدُ القُرَّاء، فقالت: قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئًا، فكان إذا قال أَسْمعَ، وإذا مَشَى أسرعَ، وإذا ضرب أَوْجَعَ.

[لعمر وقد نظر إلى رجل يظهر النسك]

ويروى أنَّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُّسْكِ مُتماَوِتٍ، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّةِ، وقال: لا تُمِتْ علينا دِيننَا، أَماتَكَ اللهُ.

[وفود الروم عند عبد الملك بن صالح العباسى]

ويروى أَنَّ عبدَ الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس أتته وُفودٌ من الرُّوم، وقام السِّماطَان، فأُتِىَ برجلٍ منهم، وعَطَسَ أَحَدُ مَنْ فى السِّماطَيْنِ فَأَخْفَى عَطْسَتَهُ، فقال له عبدُ المَلكِ لَمَّا انقضى أَمرُ الوَفْدِ: هَلاَّ إِذْ كنتَ لَئيمَ العُطاسِ أَتبَعْتَ عَطْستَكَ صيحةً حَتَّى تخْلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ.

[جهارة صوت العباس]

وكان العبـاسُ بن عبد المطلب رحمه الله: أجهـرَ الناسِ صوتًا، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ لَمَّا انهزمَ الناسُ يومَ حُنَيْنٍ: «يا عباسُ، اصرُخْ بالناس».

ويروى أَنَّ غارةً أَتَتْـهُمْ يومًا، فـصاح العـباسُ: يا صَبَـاحَاهْ! فـاستَـسْقطَت الحواملُ لشدةِ صوته.

* * *

وقد طُعِنَ فى قول النَّابغة الجَعْديِّ:

[وأَزْجُـــرُ الكَاشِحَ العَـــدُوَّ إذا اغْـ ـتابَكَ عنـدى زَجْرًا عَلَى أَضمِ][1]
زَجْـــرَ أَبى عُـرْوَةَ الـسِّبـــاعَ إذا أَشْــفَقَ أَنْ يَخْــتَلِطْنَ بالـغَنَمِ[2]

---

(١) هذا البيت من زيادات ر.

(٢) زيادات ر: «يروى «زجر أبى عروة السباع»، بخفض السباع، كـما قيل: قيس الرقيات»، فصار على هذا الوجه يعرف بأبى عروة السباع، مثل ذلك».

وذلك أَنَّ الرُّواةَ احتـملتْ هذا البيتَ على أنه كان يَزْجُـرُ الذِّئابَ ونحوَها مما يُغِيرُ على الغَنم، فَيَفْتَقُ مَرارَةَ السَّبُعِ فى جَوْفه.

فقال: مَنْ يَطْعَنُ فى هذا؟ السَّبُعُ أشـدُّ أَيْدًا من الغَنم، فإذَا فَعَلَ ذلك بالسبعِ هَلكت الغنمُ قـبلَه. فـقـال مَنْ يَحْتَجُّ له: إنَّ الغَـنـمَ كانتْ قـد أَنسَتْ بهـذا منه، والصوتُ الرَّائعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنِسَ به، كالرَّعْدِ القاصف الذى لَوْلاَ خَـشْيَةُ صاعقته لم يُفْزِع كَبيرَ فَزَعٍ، ولو جـاء أَقلُّ منه مِن جَوْفِ الأرَضِ لذَعَرَ، ولم يَبْعُدْ أن يَقْتُلَ إذا أتى مِنْ حيثُ لم يُعْتَد.

وجملة هذا البـيتِ أنه وَصَفَ شدَّةَ صوتِ المذكـورِ، وتأويلُه أنه مِن تكاذيبِ الأَعْرابِ.

[للحسن وقد رأى رجلا يجود بنفسه]

وحُدِّثْتُ أَنَّ الحـسنَ نَظَرَ إلى رجلٍ يَجُودُ بـنْفسه فـقال: إنَّ أمْـرًا هذا آخرُه لَجَديرٌ بأن يُزْهَدَ فى أَوَّلِـهِ، وإنَّ أمـرًا هـذاَ أَوَّلُـهُ لجديرٌ أن يُخَافَ آخرُه.

* * *

وقيلَ لرجلٍ من أشرافِ العَجَم فى علَّته التى مـاتَ فيها: ما بكَ؟ قال: فكْرٌ عَجيبٌ، وحَسْرَةٌ طَوِيلةٌ، فقيلَ: ممَّ ذَاكَ؟ فقال: ما ظَنُّكُم بمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا قَفْرا بلا زادٍ، ويسكنُ قبراً مُوحِشًا بلا مُؤْنِسٍ، ويَقْدَمُ على حكَمٍ عادلٍ بلا حُجَّةٍ!

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ، وهو محمودٌ الورَّاقُ:

بأىِّ اعـــتـــذارٍ أَمْ بـأَيَّةِ حُـــجَّـــةٍ ... يقولُ الذى يَدْرى منَ الأَمْر: لاأَدْرى!
إِذَا كـــانَ وَجْـهُ العُـــذْرِ ليس بِبَـــيِّنٍ ... فـإنَّ اطِّرَاحَ العُـذْرِ خيـرٌ من العُـذْرِ

* * *

واعـتذر رجـل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ مـن أمرٍ بلغه عـنه، فَعَـذَرَهُ، ثم قال له: يا هذا، لاَ يَحْمِلَنَّكَ الخُـروجُ من أمرٍ تَخَلَّصْتَ منه على الدُّخـولِ فى أمرٍ لعلَّكَ لا تَخَلَّصُ منه.

* * *

وقيلَ لخالد بن صَفْوَانَ: أىُّ إخـوانكَ أَحَبُّ إليك؟ فقال: الذى يَسُدُّ خَلَلِى، ويَغْفِرُ زَلَلِى، ويَقْبَلُ عِلَلِى.

[من أخبار عبد الله بن جعفر]

وافْتَقدَ عـبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَديقًـا له من مجلسه، ثم جاءه، فقال: أين كانتْ غَيْبَتُكَ؟ فـقال: خرجتُ إلى عُرْضٍ من أَعْرَاضِ المدينة معَ صديقٍ لى، فقال له: إنْ لم تَجِـدْ من صُحبة الرِّجال بُدًّا فـعليك بصحبة مَنْ إنْ صَحِـبْتَه زانَكَ، وإنْ خَفَـفْتَ له صَانَكَ، وإن احتجتَ إليـه مَانَكَ[1]، وإنْ رأَى منك خَـلَّةً سَـدَّها، أو حَـسَنَةً عَـدَّها، وإن وَعَـدَكَ لم يُجْـرِضْكَ[2]، وإنْ كَـثُرْتَ عليـه لم يَرْفضْكَ، وإن سأَلْتَه أعطاكَ، وإن أَمْسكْتَ عنه ابتَدَاكَ.

وامتدَحَ[3] نُصَيْبٌ عـبدَ الله بن جـعفر، فـأَمَرَ له بخيلٍ وإبـلٍ وأَثَاث ودنانيرَ ودراهمَ، فقال له رجل: أَمثْلُ هذا الأَسْـوَد يُعْطَى مـثلَ هذا المال؟ فقال له عبدُ الله [ابن جعفر[4]]: إنْ كان أَسَودَ فإنَّ شعْـرَهُ لأبْيَضُ، وإنَّ ثَناءَه لَعَرَبىٌّ، ولقد استحقَّ بما قَـالَ أكثَـر ممَّا نالَ، وهل أعطيناهُ إلاَّ ثِيـابًا تَبْلَى، ومَالا يَـفْنَى، ومَطايا تُنْضَى، وأَعطانا مَدْحًا يُرْوَى، وثناءً يَبْقَى!

وقيل لعبد الله بن جـعفر: إنك لَتَبْذُلُ الكثيـرَ إذَا سُئِلْتَ، وتُضَيِّقُ فى القليل إذَا تُوجِرْتَ؟ فقالَ: إنِى أَبْذُلُ مالِى، وأَضَنُّ بعقلِى.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقيل ليزيدَ بن معاويةَ: ما الجـودُ؟ فقال: إعطاءُ المالِ مَنْ لا تَعْرِفُ، فإنه لا يَصِيرُ إليه حَتَّى يَتَخَطَّى مَنْ تَعرف.

وخُبِّرْتُ عن رجلٍ من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف: ما تَرَكَ لك أبوك؟ قال: تَرَكَ لى مَالاً كـثيرًا، فقال: ألا أُعْلِمُكَ شيئًـا خيرٌ لك مما تَرَكَ لك[5] أبوك؟: إنه لا مالَ لـعاجزٍ، ولا ضَـيَاعَ على حَـازمٍ، والرِّفيقُ جَمَـالٌ وليس بمالٍ، فعليك من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُوله.

---

(١) مانك: قام بما عليك من مئونة.

(٢) يريد لم يخلف وعدك.

(٣) س: «قال أبو العباس».

(٤) تكملة من س.

(٥) كلمة: «لك» ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

وقال معاويةُ: الْخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الْخَدَمِ.

وقيل لِخُرَيْمِ المرِّى - وهو المُنَبَّزُ[1] بخُرَيْمٍ النَّاعم: ما النِّعْـمَةُ؟ فقال: الأمْنُ، فإنه ليس لخائف عيشٌ، والغِنَـى فإنه ليس لفقير عيشٌ، والصحّـة فإنه ليس لسَقيمٍ عيـشٌ، قيـلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: لا مَزِيدَ بعدَ هذا.

وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ: الشَّبَابُ الصحةُ، والسلطانُ الغِنَى، والمروءَةُ الصَّبْرُ على الرِّجالِ.

وقال المُهلَّبُ بن أبى صُـفْرَةَ: العَجَبُ لمن يَشْـترى المماليكَ بماله ولا يَشْـترى الأحرارَ بمعـروفِهِ. وكان يقولُ لِبَـنيهِ: إذا غَدَا عليكم الرجلُ وراح مُـسَلِّمًا، فكَفَى بذلك تَقاضيًا.

وقال خالدُ بن عبـد الله القَسْرِىُّ: مَحْضُ الْجُودِ ما لم تَسْبِقْـهُ مسألة، ومالم يَتْبَعْهُ مَنٌّ، ولم يُزْرِ به قِصَرٌ، ووافَقَ موضعَ الحاجة.

وقال بعض المُحْدَثين - وهو حبيب الطائىُّ:

أَسَـــائِلَ نَـصْـــرٍ لاَ تَسَلْـهُ فَـــإنه ... أَحَنُّ إلى الإرْفـادِ منكَ إلى الرِّفْـدِ

وقال آخرُ - وهو أبو العَتَاهِيَة:

لاَ تَـسْـــــأَلَنَّ المَـرْءَ ذَاتَ يَدَيـه ... فَلَيَـحْــقِـرَنَّكَ مَنْ رَغِـبْـتَ إليـه
الْمَـــــرْءُ مَــــالم تَرْزَهُ لك مُـكْرِمٌ ... فَــــإذَا رَزَأْتَ المرءَ هُنْـتَ عليـــه
وكـمــا يكون لَدَيْكَ مَنْ عـاشَـرْتَهُ ... فكَذَاكَ فَــــارْضَ بأَنْ تكـونَ لَدَيهِ

[النخار العذرى ومعاوية]

ودخل النَّخَّارُ العُذْرى على مـعاوية فى عَبَاءَة، فاحتَقَـره معاويةُ، فرأى ذلك النَّخَّارُ فى وجهـه، فقال له: يا أَميرَ المؤمنين، ليستِ الـعباءَةُ تُكَلمكَ، إنما يكلمك مَنْ فيـها، ثم تكلمَ فَمَلأَ سَـمْعَهُ، ثم نهض ولم يَسْـأَلْهُ، فقال معـاويةُ: ما رأيتُ رجلا أَحْقَرَ أَوَّلا ولا أَجَلَّ آخِرًا منه[2].

---

(١) المنبز: الملقب بلقب مكروه.

(١) كلمة «معاوية» ساقطة من ر.

[محمد بن كعب القرظى وسليمان بن عبد الملك]

ودخل محمدُ بن كَعْبٍ القُرَظىُّ على سليمانَ بن عبد الملك فى ثياب رَثَّة، فقال له سليمانُ: ما يَحْمِلُك على لُبْسِ مثلِ هذه الثياب؟ فقال: أَكْرَهُ أن أقولَ: الزُّهْدُ، فَأُطْرِىَ نفسِى، أو أقولَ: الفقرُ، فَأَشْكُوَ ربِّى.

[سالم بن عبد الله بن عمر وهشام بن عبد الملك]

وحدثنى التَّوَّزىُّ قال: دخلَ سالمُ بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك فى ثيابٍ رثَّة وعليه عمامةٌ تُخَالِفُهَا، فقال له هشامٌ: كَأَنَّ العمَامَةَ لَيْسَتْ من الثياب! قال: إنها مُسْتَعَارَةٌ، فقال له: كم سنُّك؟ قال: ستُّونَ سنةً، قال: ما رأيتُ ابنَ ستينَ أَبْقَى كِدْنَةً منك[1]، مَا طَعَامُك؟ قال: الخُبزُ والزَّيتُ، قال: أَمَا تَأْجَمُهُما[2]؟ فقال: إذا أَجِمْتُهما تركتُهما حَتَّى أَشْتَهِيهما، ثم خرجَ مِنْ عنده وقد صُدِعَ، فقال: أَتُرَوْنَ الأَحْوَلَ لَقَعَنِى بعينه، فماتَ من تلك العلَّة[3].

ونَظَرَ أعرابىٌّ إلى رجل جَيِّد الكِدْنَةِ فقال: يا هذا، إنِّى لأَرَى عليك قَطِيفَةً مُحْكَمَةً من نَسْجِ أضراسِكَ.

[من أخبار أبى الأسود الدؤلى]

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤَلِىُّ[4] على عُبيد الله بن زيادٍ فى ثيابٍ رثَّةٍ، فكساه ثيابًا حِسَانًا، فخرج وهو يقول:

كَسَاكَ وما استكسيتَهُ فَشكَرْتَه ... أخٌ لك يُعطيكَ الجزيلَ ونَاصِرُ
وإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كنتَ مَادِحًا ... بمدحك مَنْ أَعْطَاكَ والعِرضُ وَافِرُ

---

(١) زيادات ر: «كدنة: قوة الجسم، قال ابن القوطية فى الأفعال: كدنت الشفة كدونا اسودَّت: كدن البعير: كثر شحمه».

(٢) أجم الطعام: عافه وكرهه.

(٣) زيادات ر: «قال ابن الأعرابى ثم لقع فلان فلانا بعينه، وزلقه، وزلقه (بتشديد اللام) وأزلقه، وشقذه، وشوهه، ويقول الرجل إذا أجاد فى عمله: لا تشوه عنى، أى لا تقل لى: أجدت فتصيبنى بالعين، ورجل معين، إذا أصيب بالعين، وشاه وشائه وشقذ وشقذان».

(٤) زيادات ر: «اسم أبى الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن جندل بن سفيان، وأمه من بنى عبد الدار، بصرى تابعى ثقة، من أصحاب على من كتابه».

وحدثنى الرِّيَاشىُّ قال: دخل أبو الأسود الدُّؤَلى على عُـبيد الله بن زياد وقد أَسَنَّ، فقال له عُبيد الله يَهْزَأُ به: يا أبا الأسودِ، إنك لجميلٌ، فلو تَعَلَّقْتَ تميمةً تَردُّ عنك بعضَ العُيونِ، فقال أبو الأسود:

أَفْنَى الشَّـبَابَ الذى أفنيتُ جِـدَّتَهُ ... كَـرُّ الْـجَـديدَيْنِ من آت ومُـنطلق
لَمْ يتركَـا لِىَ فى طُولِ اختلافهِـما ... شـيئًـا أَخافُ عليـه لَذْعَةَ الْحَـدَقِ

قوله: «فلو تَعَلَّقْتَ تميمةً» هى: المَعَاذَةُ يُعَلِّقُها الرجُلُ.

قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات:

صَـدَرُوا ليلَةَ انْقَـضَى الحجُّ فيـهمْ ... طَفْـلَةٌ زانَهَـا أَغَـرٌّ وَسِـيمُ
يَتَّـقِى أهـلُها العـيـونَ عليـها ... فـعلَى جِيـدِها الـرُّقَى وَالتَّـمِـيمُ

وقال أبو ذؤَيْب:

وإذا المَنِيَّـةُ أَنْـشَـبَـتْ أظفـارَهَا ... أَلْفَـيْتَ كلَّ تَمـيـمـة لا تَـنْفعُ

وقوله: «لَذْعَةُ الحدَق» فهو من قولك: لَذَعَتْهُ النارُ، إذا لَفَحَتْهُ، ويقال: لَذَعَ فلانٌ فلانًا بأَدَبٍ، إذا أَدَّبَهُ أَدَبًا يسيرًا، كأَنَّهُ كالمقدار الذى وصفناه من النَّار.

وقول ابـن قيسِ الرُّقَـيَّات: «زانهَـا أَغَرٌّ وَسِـيمُ»، فالأغَـرُّ: الأبيضُ - يعنى الوَجْهَ، والوسِيمُ: الجميلُ، والمصدرُ الوَسَامَةُ والوَسَامُ.

[لبعض المحدثين فى الخضاب]

وقال بعضُ المحْدَثِينَ، ذكرناهُ بقولِ أبى الأسود:

قـد كنْتُ أرْتاعُ للبـيـضَـاءِ فى حَلَكٍ ... فـصـرتُ أرتاعُ للسَّـوداء فى يَقَق(١)
مَنْ لَمْ يَشبْ ليس مـمْـلاَقًـا حَليلَتَـهُ ... وصـاحبُ الشَّـيْبِ للنِّسْوَان ذو مَلَق
قـد كنَّ يَفْـرَقْنَ منه فى شَـبـيـبَـتـه ... فـصـارَ يَفْـرَقُ ممن كـان ذا فَـرَق
إنْ الْخِـضَــابَ لتَـدْليسٌ يُـغَشُّ به ... كَالثَّوبِ فى السُّوق مَطْويًّا على حَرَق

ويُرْوَى: «يُطْوَى لِتَدْليسٍ على حَرَق».

---

(١) اليقق: البياض.

وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبى تَمَّامٍ:

طَالَ إِنْكارِى البَيَاضَ وإن عُمِّرْتُ شيئًا أَنْكَرْتُ لونَ السَّوَادِ

وحدثنى الزِّيادىُّ قال: قيلَ لأعرابىٍّ: أَلاَ تَخْضِبُ بالوَسْمَة، فقال: لِمَ ذاكَ؟ فقال: لتَصْبوَ إليكَ النساءُ، فقال: أَمَّا نِساؤُنا فمَا يُرِدْنَ بنَا بَدِيلا، وَأَمَّا غيرُهنَّ فمَا نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ.

[للعتبى]

وقال العُتْبِىُّ:

وَقَائلَة تَبَيَّضُ وَالغَوَانى نَوَافِرُ عن مُعَالَجة القَتِير[1]
عَلَيْكَ الخِطْرَ عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى إلى بِيض تَرَائِبُهُنَّ حُورِ[2]
فقلتُ لها المَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِى ولَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

[ليزيد بن المهلبى]

وقال آخر ـ وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المُهَلَّبىُّ:

صَبَغْتُ الرَّأسَ خَتْلاً للغَوَانى كَمَا غَطَّى على الرَّيْبِ المُرِيبُ
أَعَلَّلُ مَرَّةً وأُسَاءُ أُخْرَى ولا تُحْصَى منَ الكِبَرِ العُيُوبُ
أُسَوِّفُ تَوْبَتى خمسينَ عامًا وظَنِّى أَنَّ مِثْلِى لاَ يَتُوبُ
يُقَوَّمُ بِالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا وَلاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ[3]

وقال مالكُ بن دينارٍ: جاهِدُوا أهواءَكم، كما تُجَاهِدُونَ أعداءَكم. وكان يقول: ما أَشدَّ فِطَامَ الكَبِيرِ.

* * *

وقال آخر:

دَعِى لَوْمِى ومَعْتَبَتِى أُمَامَا فإِنِّى لَمْ أُعَوَّدْ أَنْ أُلاَمَا
وكَيفَ مَلاَمتِى إِذْ شَابَ رأسى على خُلُقٍ نَشَأْتُ به غُلاَمَا

* * *

(١) زيادات ر: «ويروى «معالجة»، بكسر اللام، فمن فتح اللام جعله مصدرًا، ومن كسر اللام فهى الجماعة التى تعالج ذلك الشىء».

(٢) الخطر: نبات يخضب به. (٣) الثقاف: آلة لتقويم الرماح.

وقيلَ لأعرابىٍّ: أَلاَ تُغَيِّرُ شيبَك بالْخضَاب؟ فقال: بَلَى، فَفَعَلَ ذاك مرةً، ثم لم يُعَاوِدْ، فقيل لـه: لِمَ لا تُعاوِدُ الْخِضَابَ؟ فقـال: يا هَنَاهُ، لقـد شُدَّ لِحْيَاى فجعلتُ أَخَالُنى ميِّتًا.

[لمحمود الوراق فى الشيب]

وقال بعضُ الُمحْدَثِينَ، وهو محمودٌ الورَّاقُ:

يا خـاضبَ الشَّيْب الذى ... فـى كلِّ ثـالثـة يَعُـودُ
إنَّ الـنُّصُـولَ إِذَا بَـدَا ... فـكأنَّـه شَـيْبٌ جَـديـدُ
ولـه بَـدَاهَـةُ لَـوْعَـة ... مكروهُـهَـا أبدًا عَـتـيـدُ[1]
فَـدَعِ المَشِـيبَ لِمَـا أَرَا ... دَ فَلَـنْ يَعُـودَ كَـمَـا تُـرِيدُ

وقال محمودٌ أيضًا:

أَلَيْسَ عَـجِـيـبًـا بِأَنَّ الفَـتَى ... يُصَـابُ بِبَـعْضِ الذى فـى يَدَيه
فَـمنْ بَيْنِ بَاك لـه مُـوجَعٍ ... وَبَيْنَ مُـعَـزٍّ مُـغِـذٍّ إلَيْـه[2]
وَيَسْلُبُهُ الشَّيبُ شَرْخَ الشَّبَابِ ... فلـيس يُعَـزِّيـهِ خَلْقٌ عَـلَيْـهِ

وقال أيضًا:

يَا خَـاضبَ الشَّيْبَة نُحْ فَـقْـدَهَا ... فَـإِنَّمَـا تُدْرجُـهَـا فى كَـفنْ
أَمَـا تَـرَاهَا مُنْذُ عَـايَنْتَـهَـا ... تَزِيـدُ فِى الرَّأْسِ بِنَـقْصِ البَـدَنْ

وقال أيضًا:

اغْـتَـنِمْ غَـفْلَـة المنيَّـة واعْلَمْ ... أَنَّمَـا الشَّـيْبُ للمـنيَّـة جَـسْـرُ
كم كَـبِـيرٍ يـومَ القيـامـة يُقْـصَى ... وصـغِـيـرٍ له هُنَالِـكَ قَـدْرُ

* * *

قال أبو الحسن: يقال «جِسْرٌ وجَسْرٌ»، وهو مأخوذٌ من الناقـة الكبيرة، يقال لها: «الْجَسْرُ».

---

(١) يقال: عتد الشىء إذا حضر، فهو عتيد.

(٢) مغذ: مسرع».

[لأبى النجم العجلى]

وقال أعرابىٌّ(١):

قَالت سُلَيْمَى أنتَ شَيْخٌ أنْزَعُ(٢) فقلتُ مَا ذَاك وإنِّى أَصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ فَأَقْبَلَتْ قائلةً تَسْتَرجِعِ

* ما رأسُ ذَا إلاَّ جَبِينٌ أَجْمَعُ *

[لرؤبة]

وقال آخرُ، وهو رُؤْبة:

قد تَرَكَ الدهرُ صَفَاتِى صَفْصَفا فصارَ رأسى جَبْهةً إلى القَفَا
كأنَّه قد كان رَبْعًا فَعَفَا يُمْسِى ويُضْحِى للمَنايا هَدَفَا

[لنصر بن حجاج وقد حلق عمر رأسه]

وكان نصرُ بن حَجَّاج بن عِلاَط السُّلَمِىُّ ثم البَهْزِىُّ جميلاً، فَعثَرَ عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمرٍ ـ اللهُ أَعلم به ـ فحَلَقَ رأسَه، وكان أَصْلَعَ، لم يَبْقَ من شَعَرْه إلاَّ حُفَافٌ(٣)، كذلك قال الأصمعىُّ فقال نصرُ بنُ حَجَّاجٍ:

لَضَنَّ ابنُ خَطَّابٍ علىَّ بجُمَّة إذَا رُجِّلَتْ تَهْتَزُّ مَرَّ السَّلاَسِلِ
فَصَلَّعَ رأْسًا لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرِفُّ رَفِيفًا بعد أَسْوَدَ جَاثِلِ(٤)
لقد حَسَدَ الفُرْعَانَ أَصْلَعُ لم يكُنْ إذَا ما مَشَى بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ(٥)

قوله: «بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ» ليس أَنَّهُ جَعَلَ «بالفَرْعِ»، من صِلَةَ المُتَخَايِلِ فيكون ذلك معناه: بالذى يَخْتَالُ بالفَرْعِ، فيكون قَدْ قَدَّمَ الصِّلَةَ على الموصول، ولكنه

---

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».
(٢) أنزع، من النزع، وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبى الجبهة.
(٣) حفاف: شعر حول الصلعة.
(٤) الجائل: الشعر الكثير الملتف.
(٥) الفرعان: جمع أفرع، وهو الوافى الشعر.

جَعَلَ قوله: «بالفرع» تبيينًا، فصار بمنزلة «بك» التى تَقَعُ بعدَ «مَرْحبًا» للتبيين، وقد مَرَّ تفسيرُ هذا مستقصًى فى الكتاب «المُقْتَضَب».

***

وقال آخرُ:

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالعَمائم لُؤْمَها ... وكيفَ يُغَطى اللُّؤْمَ طَىُّ العَمائمِ
فإنْ تَضْربونا بالسِّياط فإنَّنَا ... ضَربناكُمُ بالمُرْهَفات الصَّوارمِ
وإن تَحْلقُوا منَّا الرءوسَ فإننا ... حَلَقْنا رُءوسًا باللَّهَا والغَلاصمِ[1]
وإن تَمنْعُوا منَّا السِّلاح فعندنا ... سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدَّرَاهمِ
جَلامِيدُ أَمْلاءُ الأكُفِّ كأنَّها ... رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَوَاسِمِ

[من شعر يزيد بن الطثرية وأخباره]

وكان يزيدُ بن الطَّثْرِيَّة غزلا، وكان أخوه ثورٌ ذَا مَال، فكان يزيدُ يأتى العطَّارَ فيقولُ: ادْهُنِّى دَهْنَةً بناقة من إبلِ ثَوْر، فيفعلُ ذلك، وكانَ ذا جُمَّة حَسَنَة، فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْنُ هربَ فَتَبَدَّى[2]، فإذا ذَكَر حُوشِيَّةَ - وهى امرأة كانَ يُشَبِّبُ بها[3] - قَدِمَ فاقْتَطَعَ من إبلِ أخيه ما يَقْضِى به دَيْنَه، وفى ذلك يقولُ:

قَضَى غُرَمَائى حُبُّ أَسماءَ بعدَمَا ... تَخَوَّفَنى ظُلْمٌ لهمْ وفُجورُ
فذلك دأْبى ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثَوْرٍ علَى ظَهرِ الفَلاةِ بَعِيرُ

فاسْتعْدَى عليه ثورُ السُّلطانَ، فأَمَر بحلقِ رأسه، فقال:

أقولُ لثَوْرٍ وهو يَحْلقُ لمتى ... بعَقْفَاءَ مَرْدُود عليها نصَابُهَا
ترفَّقْ بها يا ثَوْرُ ليس ثوابُهَا ... بهذا ولكنْ عندَ رَبى ثَوَابُهَا
أَلاَ رُبَّما يا ثَوْرُ فَرَّقَ بينها ... أناملُ رَخْصاتٌ حَديثٌ خِضَابُهَا

---

(١) اللها: جمع لهاة، وهى لحمة فى أقصى الفم، والغلاصم: جمع غلصمة، وهى لحمة ما بين الرأس والعنق.

(٢) تبدى: أقام بالبادية.

(٣) زيادات ر: «حوشية بنت أبى فديك بن قرة، ولها مع يزيد حديث طريف».

فتْـهلكُ مدْرَى العَاجِ في مُدْلَهِـمَّة إذا لم تُفْرَّجْ مات غَـمًّا صُؤَابُهَا[1]
فـجَـاء بهـا ثَوْرٌ ترِفٌّ كـأَنَّـهَـا سـلاسلُ بَـرْقٍ لينُهـا وانْسكَـابُهَـا
ورُحْتُ برَأْسٍ كالصُّخَـيْرَةِ أَشْرَفَتْ عليـها عُـقابٌ ثم طارتْ عُـقَابُهَـا
خُـدَارِيَّةٌ كـالشَّرْيَةِ الفَـرْدِ جَـادَهَا من الصَّيفِ أَنواءٌ مَطِيرٌ سَحَابُهَا[2]

---

(١) فتهلك، قال المرصفى. «يريد تضل» والصواب: بيض القملة، والجمع صِئْبان.
(٢) خـدارية. وصف للمـة، وهى شـدة الســواد، والشـرية: النخلة تنبت مـن النواة، والفـردة: المنفـردة (المرصفى).

بابـ

[لقيس بن عاصم المنقرى]

قال رجلٌ من المتقدِّمين، وهو قَيْس بن عاصمٍ المِنْقَرِىُّ:

أَيَا ابْنَةَ عبـد الله وابْنَةَ مـالك ... ويا ابْنَةَ ذى البُرْدَيْنِ والفرَسِ الوَرْدِ[1]
إذَا مَـا أصبْتِ الزَّادَ فـالْتَمسى له ... أَكِـيلاً فـإنِّى غَـيْرُ آكله وَحْـدى
قَـصِـيًّا كَـرِيمًا أو قَـرِيبًـا فـإننى ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَاديث من بَعْدى
وإِنِّى لَعَـبْـدُ الضَّـيْفِ مـادامَ ثَاوِيًا ... وما مِنْ خِلاَلِى غيرَهَا سِـيمَةُ العَبْدِ

«غيرَها» استثناءٌ مقدَّم. وقد مضَى تفسيرُه.

وقوله: «قَصيًّا كريمًا» من طَريف المَعانى، وذلك أنه لم يَحْتَجْ إلى أن يَشترطَ فى نسبْتـه الكَرَمَ، لأنه قد ضَمِنَ ذلك، واشترط فى الـقَصِىِّ أن يكون كريمًا، لأنه كَرِه أن يكونَ مُوَاكِلُه غيرَ كَريمٍ.

[لجرير يهجو بنى هزان]

وهذا ليس من البابِ الذى ذَكَره جريرٌ، حيثُ يقولُ فى هجائه بنى هِزَّانَ:

ضَـيْفكُمْ جَـائِعٌ إِذْ لم يَبِتْ غَـزِلا ... وجَـارُكُمْ يَا بَنِـى هِزَّانَ مَـسْـرُوقُ
رأيتُ هِزَّانَ فى أَحْـرَاحِ نِسْـوَتِهـا ... رُحْبٌ وهِزَّانُ فى أخـلاقِهَا ضِـيقُ

[يحيى بن نوفل يهجو]

وقال آخرُ من المُحْدَثِينَ، وهو يحيى بنُ نَوْفَلٍ، أَنشدَه دِعْبِل:

كنتُ ضَـيْـفًـا بِبَـرْمَـنَا يَا لعـبْـد ... الله والضَّـيْـفُ حَـقُّـهُ مـعلومُ
فـانْبَـرَى يَمْـدحُ الصِّـيَـامَ إلى أَنْ ... صُمْـتُ يومًا ما كـنتُ فيـه أَصومُ
ثم أَنْشَـا يَسْـتَـامُ بِـرذَوْنِى الورْ ... دَ مُلِحًّـا كـمَـا يُـلِحُّ الغَـرِيمُ

[قال الأخفش: يُرْوَى «بِرذَوْنِىَ الزَّرْدَ» وهو الأصفرُ]

ولَعَـمْـرِى إنَّ ابْنَ قَـيْلَـةَ إذْ يَسْـتَـامُ بِرْذَوْنَ ضَـيْـفِـه لـلَئِـيمُ

(١) البردان: ثوبان لبسهما عامر بن أحيمر فى مجلس النعمان بن المنذر. والورد، لون بين الحمرة والصفرة.

[لأبى دلامة بن الجون]

وقال رجل[١]، أَنْشَدَنيه السِّجِسْتانِىُّ، يَقُولُه لابن دَعْلَجٍ، وكان ابنُ دَعْلَجٍ يَتَوَالَى بنى تَمِيمٍ:

إذا جئتَ الأميرَ فقل سَلاَمٌ   عليكَ ورَحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأَمَّا بَعْدَ ذاكَ فلى غَرِيمٌ   منَ الأعْرابِ قُبِّحَ مِنَ غَرِيمِ!
لَزُومٌ ما عَلِمْتُ بِباب دارِى   لُزُومَ الكَهْفِ أصحابُ الرَّقِيمِ
لَهُ مائةٌ علىَّ ونصفُ أُخْرَى   ونصفُ النِّصْفِ فى صَكٍّ قَدِيمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ   حَبَوْتُ بها شُيوخَ بَنِى تَمِيمِ

* * *

روى[٢] أبو الحسن:

أَتَوْنِىَ فى العَشيرَةِ يسألونى   ولم أَكُ فى العَشيرة بالمليمِ

قال أبو الحسن: لم يَعْرِفْ أبو العباس هذا البيتَ الأَخيرَ، وهو صحيحٌ.

* * *

وجاوَرَ قَيسُ بنُ عَاصِمِ بن سِنَانِ بنِ خالد بن مِنْقَرِ بن عُبيد تاجرًا خَمَّارًا، فشرب شرابَهُ، وأَخَذَ متاعَه، ثم أَوْثَقَهُ، فقال: افْدِ نَفْسَكَ. وقال فى ذلك:

وتَاجِرٍ فَاجِرٍ جاءَ الإلَهُ بهِ   كأَنَّ عُثْنُونَهُ أَذْنابُ أَجْمَالِ

قال ذلك، لأن ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ إلى الصُّهْبَةِ، وفيه استواءٌ، وهو يُشْبِه اللِّحْيَةَ.

[للنمر بن تولب]

وقال النَّمِرُ بنُ تولَبٍ:

إذا كنتَ فى سَعْدٍ وأُمُّكَ منْهمُ   غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ منْ سَعْد
فإنَّ ابن أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إنَاؤُهُ   إذا لم يُزاحِمْ خَالَهُ بأَبٍ جَلْدِ

(١) قال المرصفى: «هو أبو دلامة بن الجون».
(٢) ر: «زاد».

[قيس بن عاصم وبنو منقر]

وَاسْتَعْمَلَ رسولُ الله ﷺ قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقات بنى سعدٍ، فتُوفِّى رسولُ الله ﷺ، فَقَسَمَهَا قيسٌ بعدُ فى بَنِى مِنْقَرٍ، وقال:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رسالةً ... إذا مَا أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الوَدَائعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا ... وأَيْأَسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامعِ

[من أخبار أبى خراش الهذلى وشعره]

وجاور عُرْوَةُ بن مُرَّةَ أخو أبى خِراشٍ الهَذَلِىِّ ثُمالَةَ من الأَزْدِ، فجلس يومًا بفناء بيته آمنًا لا يخاف شيئًا، فاستدبره رجلٌ منهم من بنى بَلاَّلٍ بسهم، فقَصَم صُلْبَهُ، فَفِى ذلك يقولُ أبو خِرَاشٍ:

لَعَنَ الإلَـهُ وُجُوهَ قَومٍ رُضَّعٍ ... غَدَرُوا بعُرْوَةَ من بنى بَلاَّلِ

وأُسِرَ خِرَاشُ بن أبى خِرَاشٍ، أَسَرَتْهُ ثُمالَةُ، فكان فيهم مُقيمًا، فدعا آسِرُهُ يومًا رجلا منهم للمنادمة، فرأى ابنَ أبى خِرَاشٍ مُوثَقًا فى القدِّ، فَأَمْهَلَ حَتَّى قَامَ الآسرُ لحاجة، فقال المَدْعُوُّ لابن أبى خِرَاشٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا ابنُ أبى خِرَاشٍ، فقال: كيفَ دلِيّلاك؟ قال: قَطَاةٌ، قال: فَقُمْ فاجْلِسْ وَرَائى، وألقَى عليه رداءَهُ، ورَجَعَ صاحبُهُ، فلمَّا رأَى ذلك أصْلَتَ بالسَّيْفِ، وقال: أَسيرى، فَنَثَلَ(١) المُجيرُ كنَانَتَهُ، وقال: والله لأرمينَّكَ إنْ رُمْتَهُ، فإنى قد أَجَرْتُهُ، فَخَلَّى عنه، فجاء إلى أَبيه، فقال له: مَنْ أَجارَكَ؟ فقال: والله ما أَعْرِفه، فقال: أبو خِرَاشٍ، وقال الرُّوَاةُ: لاَ نَعرِفُ أحدًا مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبى خِرَاشٍ:

حَمِدْتُ إلَهى بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خِراش وبعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ من بَعْضِ
فَوَاللهِ لا أنسَى قَتيلا رُزِيتُهُ ... بجانب قَوْسَى مامَشَيْتُ على الأرضِ
بَلَى إنَّها تَعْفُو الكلُومُ وإنَّمَا ... يُوَكَّلُ بالأدْنى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِى
ولم أَدْرِ مَنْ أَلقى عليه رداءَهُ ... عَلَى أنه قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ
[ولم يَكُ مَثْلُوجَ الفُؤَاد مُهَيَّجًا ... أضاع الشَّبابَ فى الرَّبِيلةِ والْخَفْضِ(٢)

(١) نثل كنانته: استخرج ما فيها من النبل.

(٢) البيتان بين علامتى الزيادات لم يردا فى نسخة الأصل، وهما فى ر، س. والربيلة: السمن. والخفض: الدعة ولين العيش.

ولكنه قــد لوَّحَــتْــهُ مُـحَــامصٌ على أنه ذُو مِــرَّة صَــادقُ النَّهْضِ]
كــأَنَّــهُمُ يَسْــعَــوْنَ فى إثْـرِ طائر خفيف المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ[1]
يُبَــادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فـَـهـو مُـهَــابِذٌ يَحُثُّ الْجَنَــاحَ بالتَّـبَـسُّطِ والـقَـبْضِ

قوله:

* قَبَحَ الإِلَهُ وُجُوهَ قَوْمٍ رُضَّعٍ *

فهــو جماعةُ راضعٍ. وقــومٌ يقولون: هو توكيــدٌ للَئِيمِ كما يقــولون: جائعٌ نائعٌ، وحَسَنٌ بَسَنٌ، وعَـطْشَان نـطْشَان، وأجمعُ أكْتَعُ. وقــومٌ يقولون: الراضعُ هو الذى يرتَضِعُ من الضَّرْعِ لِئَلاَّ يَسْمعَ الضَّيفُ أو الجارُ صوتَ الْحَلَبِ فَيَطْلُبَ منه.

وتصديقُ ذلك ما أنشدَنَاه أبو عثمانَ عَمْرُو بن بَحْرٍ لرجلٍ من الأعراب يَنْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤم والتَّوَحُّشِ:

أَحَبُّ شــىء إليــــه أَنْ يكــونَ له حُلْقُــومُ وَادٍ له فــى جَــوْفِـه غــارُ
لا تَعْـرِفُ الرِّيحُ مَسَاهُ ومُـصْبَـحَهُ ولا يُشَــبُّ إذا أَمْــــــسَى لَـه نارُ
لا يَحْلُبُ الضَّرْعَ لُؤمًا فى الإناء ولا يُرَى له فى نَـواحى الصَّــحْنِ آثارُ

وقوله: كـيفَ «دلِّيلاكَ» فـهى كثـرةُ الدِّلاَلة، و«الفعِّـيلى» إنما تُستـعمل فى الكثرة، ويقال: القتِّيتَى لكثرة النَّميمة، ويقال: الهجِّيرَى لكثرة الكلمة المتردِّدَة على لســان الرجلِ، يقــالُ: ذكْرُكَ هــجِّيـرَاى أى هو الذى يَجْـرِى على لســانى، وفى الحديث: «كــان هجِّيرَى أبى بكر الصِّــدِّيق رحمه الله بلا إلَه إلا الله» ويقــال: كان بينهم رِمِّيًّا، لكثرة الرَّمْىِ، وكذلك كلُّ ما أَشْبَه هذا.

وقوله: «بِجانب قَوْسَى» فهو بلد تَحُلُّهُ ثُمَالَةُ بالسَّرَاة.

وقــولُه: «بَلَى إنَّها تَعْفُـو الكلُومُ» فهى الجِـراحُ والآثـارُ التى تُشبهها، قال جريرٌ:

تلْقَى السَّلِيطىَّ والأبطالُ قـد كُلِموا وَسْطَ الرِّجَالِ سليمًا غير مَكْلُومٍ[2]

(١) المشاش: رءوس العظام.
(٢) السليطى: نسبة إلى سليط، وهو كعب بن الحارث بن يربوع.

وينشد: «وَسْطَ الرِّجَال»، و«تَعفُو» تَدْرُسُ.

وقولُه: «عَظْمُهُ غيرُ ذِى نَحضٍ». النَّحْضُ: اللَّحْمُ، يقالُ: يأكلُ ويُرَوِّى الرِّجال مَحْضًا.

وقولُه: «فهو مُهَابِذٌ» يقولُ: مجتهدٌ. وَهُذَيْلٌ فيها سَعْىٌ شديدٌ، وفى جماعةٍ من القبائلِ التى تَحُلُّ بأَكْنَافِ الحجاز.

[من أخبار الحطيئة وذكر المختار من شعره]

ولقى الزِّبْرِقَانُ بنَ بَدْرٍ ـ وهو قاصدٌ بصَدَقَات قومه إلى أبى بكر الصديق رحمه الله ـ الْحُطَيْئَةَ فى طريقه، فقال له الزِّبْرِقَانُ: مَنْ أنت؟ فقال: أنا أبو مُلَيْكَةَ. أَنَا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ، فقال له الزِّبْرِقَانُ: إنِّى أُريدُ هذا الوَجْهَ، ومالَكَ مَنزِلٌ، فامْضِ إلى منزلى بهذا السَّهْمِ، فَسَلْ عن القَمَرِ ابن القَمَرِ، وكُنْ هناك حَتَّى أَعُودَ إليك، فَفَعلَ، فأَنْزَلُوه وأكرموه، فأقام فيهم فحسَدَهُمْ[1] عليه بَنُو عَمِّهم مِنْ بَنِى قُرَيْعٍ، وذلك أَنَّ الزِّبْرِقَانَ من بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْف بن كعبِ بن سعد بن زيد بن مَنَاة بن تَميمٍ، وحاسدُوهُ بَنُو قُرَيْعِ بن عوف بن كعب بن سعد، ولم يَكُنْ لعَوْف إلاَّ قُرَيْعٌ وعُطَاردٌ وبهْدَلَةُ. وكان الذين حَسَدُوه منهم بنو لأَىِ بنَ شمَّاس بن أَنفَ النَّاقة بن قُرَيعٍ فَدَسُّوا إلى الحُطَيْئَة: أن تحَوَّلْ إلينا نُعطكَ مائَةَ ناقة، ونَشُدُّ كلَّ طُنُبٍ[2] من أَطْنَاب بيْتكَ بجُلَّةٍ[3] بَحْونَة، قال: فأَنَّى لى بذلك! قالوا: إنهم يريدونَ النُّجْعَة فإذا احْتَمَلُوا فَتَخَلَّفْ عنهم، ثم دسُّوا إلى امرأة الزِّبرقانَ مَنْ خبَّرَ بأَنَّ[4] الزِّبْرقَانَ إنما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ ليتَزوَّجَ ابنَته، فَقَدَح ذلك فى قَلْبهَا، فلَمَّا تحمَّل القومُ[5] تخلَّفَ الحُطَيْئَةُ، فاحْتَمَلَهُ القُرَيْعيُّونَ، فَبنَوْا لَهُ ووَقَوْا له، فلما جاء الزِّبْرقَانُ صارَ إليهم، فقال: رُدُّوا عَلَىَّ جَارِى، فقالوا: ليس لَكَ بجَارٍ وقد طَرَحْتَه، فذلك حيثُ يقولُ[6] الحُطَيْئَة:

(١) س: «فحسده».

(٢) الطنب: حبل تشد به الخيمة.

(٣) الجلة: وعاء من خوص يوضع فيه التمر.

(٤) س: «أن الزبرقان».

(٥) س: «احتمل القوم».

(٦) س: «قول الحطيئة».

وإنَّ التـى[١] نَكَّبْـتُهـا عن مَـعاشـرٍ | علَىَّ غضَاب أَنْ صَـدَدْتُ كما صَدُّوا[٢]
أَتَتْ آلَ شـمَّـاسِ بـن لأى وإنما | أَتاهُمْ بهـا الأَحْـلاَمُ والحَـسَبُ العِـدُّ
فـإِنَّ الشـقىِّ مَنْ تُعَـادى صُـدُورُهُمْ | وذا الجَدِّ مَنْ لأَنُوا إليـه ومَنْ وَدُّوا[٣]
يَسُوسُـونَ أحـلامًـا بَعيـدًا أَنَاتُهَـا | وإن غَضِبُـوا جـاء الحفيظَةُ والجِـدُّ
أَقِلُّـوا عليـهم لاَ أَبًـا لأَبيكُمُ | منَ اللَّوْمِ أَوْسُدُّوا المكَانَ الذى سَدُّوا
أُولئك قَـوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْـسَنُوا البِنَا | وإن عاهدوا أَوْفَـوْا وإن عَقَـدُوا شَدُّوا
وإن كـانت النَّعْمَـاءُ فيـهم جَزَوْا بهـا | وإن أَنعَـمُـوا لا كَـدَّرُوها ولاَ كَـدُّوا
وإن قـال مَـوْلاَهُمْ على جُلِّ حَـادث | من الدَّهْر رُدُّوا فَضْـل أَحْلامكم رَدُّوا
وتَعْـذُلُنى أَفْنَاءُ سَـعْـدٍ عليـهمُ | ومـا قلتُ إلاَّ بالذى[٤] عَلِمَتْ سعدُ

قولُه «جُلَّةٌ بَحْـوَنَةٌ»، أى ضَخْمَةٌ، يقـالُ ذلك للناقَة والنَّخلة إِذَا استَـفْحَلَتْ وطالَتْ.

وقولُه «نَكَّبْتُها» يقولُ: عَدَلْت بها.

وقولُه: «والحَسَبُ العِدُّ» معناه: الجلـيلُ الكثير، وأَصلُ ذلك فـى الماء: يقال بِئْرٌ عِدٌّ، إذا كانت ذات مادة من العيونِ لا تَنْقَطِعُ، وكلُّ ماءٍ ثابتٍ فهو عِدٌّ.

وقولُه:

* يَسُوسُونَ أحلامًا بَعيدًا أَنَاتُهَا *

يقولُ: ثقـالٌ لا يُبْلَغُ آخِـرُها، وأصـلُ الأنـاةِ من التـأنى والانـتـظار، يقولُ: لا يُبْلَغُ آخرُها فتُسَفَّهَ.

وقولُه:

* أُولئك قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنَا *

وإِن شئتَ قلتَ «البِنا» فهما مقصـورانِ، يقال: بَنَى بِنيةً وَبُنيةً فجَمْعُ بِنيةٍ بِنًى

---

(١) س: «الذى» تحريف.
(٢) نكبتها: عدلت بها.
(٣) س: الحظ والبخت.
(٤) س: «بالتى».

وجَمْعُ بُنية بُنًى فبِـنيَةٌ وبِنًى ككسْرَة وكسَر، وبُنيةٌ وبُنًى كظُلْمَـة وظُلَمٍ، فأمَّا المصدَرُ مِنْ «بنْيتُ فممدودٌ»، يقالُ: بنَيْتُه بِناءً حسَنًا، وما أَحْسَنَ بِنَاءَكَ.

وقولُه: «وإن عاهدوا أَوْفَوْا» أَوفى، أَحْسَنُ اللغتَـين، يقالُ وَفَى وأَوْفَى. قال الشاعرُ ـ فجمع [بين[1]] اللغتين:

أَمَّـا ابن بِيض فـقد أَوْفَى بـذمَّتِـه   كما وفَى بِقلاص التَّجْمِ حاديهَا[2]

وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بعَهْده﴾[3] وقال الله تبـارك وتعالى: ﴿وأَوْفُوا بعَهْدِ الله إذَا عَاهدْتُم﴾[4] وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿والموفُونَ بعَهْدهمْ إذَا عاهَدوا﴾[5].

فهذا كله على «أَوْفَى». وقـال رسولُ الله ﷺ فيما رُوِىَ مِنْ أنه قَـتَلَ مسلمًا بِمُعَاهَدٍ، وقال: «أنا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بذِمَّته».

وقال السَّمَوْءَلُ فى اللغة الأخرَى:

وفَـيْتُ بـأَدْرُعِ الكِـنْدِىِّ إنِّـى   إذا عـاهـدتُ أقـوامًـا وَفَـيْتُ[6]

وقال المُكَعْبرُ الضَّبِّىُّ:

[قال أبو الحسن: حِفظِى «المُكَعْبرُ»]:

وَفَـيْتُ وَفَـاءً لم يَرَ الـناسُ مِـثْلَه   بِتَـعْشَارَ إذْ تَحْـبُو إلىَّ الأَكَـابِرُ[7]

وقولُه:

وإنْ كانت النَّعْمَاءُ فـيهم جَزَوْا بِهَا   وإنْ أَنْعـمُوا لاَ كَدَّرُوهَـا وَلاَ كدُّوا

يقولُ ما قالَ جريرٌ مِثْلَه:

وإِنِّى لأَسَّـتَحْـيِى أَخِى أَنْ أَرَى لَهُ   علىَّ مِـن الحقِّ الَّذِى لا يَرَى لِيَـا

يقولُ: أَسَّتَحْيِى أَنْ أَرَى نعمتَه علىَّ ولاَ يَرَى على نفسِه لى مِثْلها.

---

(١) تكملة من س.

(٢) ابن بيض، بفتح الباء وكسرها: رجل تاجر مكثر، كـان لقمان بن عاد يجيـزه على خراج يؤديه إليه كل عام، فلما حضرته الـوفاة قال لولده: لا تجاورن لقمان، وسر بمالك وأهلك، فإذا صـرت إلى عقبة كذا فضع حقه عليها، فجاء لقمان فأجده وانصرف. حكاه المرصفى عن أبى زيد.

(٣) سورة آل عمران ٧٦.   (٤) سورة النحل ٩١.

(٥) سورة البقرة ١٧٧.   (٦) س: «إذا ما خان أقوات وقيت».

(٧) تعشار: موضع بالدهناء.

وقـولهُ: «على جُلٍّ حادثٍ» فـهـو الجليلُ من الأمـر، ويقال: فـلان يُدْعَى للجُلَّى، قال طَرَفَةُ:

* وإنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا *(١)

وفيهم يقولُ الحطيئةُ(٢):

لقـــد مَـــرَيْـتُكمُ لو أَنَّ درتَّـكُمْ ... يومًا يَجيءُ بهـا مَسْحِي وإبْسَاسِي
لَمَّا بَدَا لِيَ مـنكم غَـيْبُ أَنْفـسكم ... ولم يَكُنْ لجـراحي فـيكُمُ آسِي
أَزْمَـعْتُ يَأْسًا مُـبِينًا مِنْ نَوَالِكُمُ ... ولا تَرَى طَارِدًا لِلْحُـرِّ كَـاليَـاسِ
مـا كـان ذَنْبُ بَغِـيضٍ لاَ أبا لَكُمُ ... فى بَائِسٍ جـاءَ يَحْدُو آخِـرَ النَّاسِ
جَـارٍ لقَـوْمٍ أطَالُوا هُونَ مَـنْزِله ... وغَـادَرُوهُ مُـقِيـمًا بين أَرْمَـاسِ
مَلُّـوا قِـرَاهُ وهَرَّتْهُ كِـلاَبُـهُمُ ... وجَـرَّحُـوهُ بِأَنْيَـابٍ وأَضْـراسِ
دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَـتِـهَا ... واقْعُـدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْـرَ لا يَعْدَمْ جَـوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُـرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قولُه: «لقد مَرَيْتُكمُ» أصل المَرْيِ المَسْحُ، يقـال مَرَيْتُ الناقَـةَ، إذا مسـحت ضَرْعَـها لِتَـدُرَّ، ويقالُ: مَرَى الفـرسُ والناقةُ إذا قـام أحدُهما علـى ثلاثٍ ومسَحَ الأرضَ بيده الأخْرَى، قال الشاعرُ:

إِذَا حُطَّ عَنْهَا الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِهَا ... إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْصَفَنَتْ تَمْرِى(٣)

وهذا مِن أَحْسَنِ أوصافِها.

وقال بعض المحْدَثِينَ يَصِفُ بِرْذَوْنًا بحسن الأدَبِ(٤):

وإذا احْـتَـبَى قَـرَبُوسُـهُ بِـعِنَانِه ... عَلَكَ اللِّجَامَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ(٥)

---

(١) تمامه:

* وإن تَأْتِك الأعْدَاءُ بالجهدِ فاجْهَدِ *

(٢) كلمة «الحطيئة» ساقطة من س.

(٣) شذب العيدان: ما تفرق منها، الواحد شذبة.

(٤) زيادات ر: «الشعر لمحمد بن يزيد» من ولد مسلمة بن عبد الملك، يصف فرسه، وقبله:

عَـوَّدْتُهُ فِـيمـا أزور حـبـايـبى ... إهمـالَـهُ وكَـذاك كلُّ مـخـاطِرِ

(٥) القربوس: حنو السرج، العنان: سير اللجام الذى تمسك به.

ويقـال: مَرَاهُ مـائةَ سـوط ومائةَ درهمٍ، إذا أوْصَـلَ ذلك إليه، ولـ «مَـرَاهُ» موضعٌ آخرُ، ومعناه مَرَاهُ حقَّهُ، إذًا دَفَعَهُ عنه ومنعَهُ منه، وقد قُرِئَ ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾(١) أى تَدْفَعُونَهُ، و«على» فى موضع «عـن» قـال العَامِـرِىُّ(٢):

إِذَا رَضِـيَتْ علىَّ بَنُو قُـشَـيْـرٍ لعَـمْـرُ اللهِ أعْـجَـبَنِـى رِضَـاهَا

وبنو كعْبِ بن رَبيعةَ بن عامرٍ يقولون: «رضى الله عليك».

وأمَّا الإبْسـاسُ فأن تَدْعُـوَ الناقةَ باسمـهَا، أوْ تُلَيِّنَ لهـا الطريقَ إلى الحَلَب، بقولٍ أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل: ناقةٌ بَسُوسٌ، وذلك مِن صفاتِها فى حُسْنِ الخُلُقِ.

وقوله:

* ولم يكَنْ لجرَاحِى فيكُمُ آسِى *

يقول: مُدَاوٍ، الآسِى: الطبيبُ، قال الفَرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَّةً:

إِذَا نَظَرَ الآسُـونَ فـيـهـا تَقَلَّبَتْ حَمَالِيقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أنْيَابِهَا العُصْلِ(٣)

والإساء الدواءُ، ممدودٌ، وقال الحطيئةُ:

هُمُ الآسُـونَ أمَّ الـرَّأْسِ لَمَّـا تَوَاكَـلـهَـا الأَطِـبَّـةُ والإسَـاءُ

فأمَّا الأسى فـمقصورٌ، وهو: الحُـزْنُ، ومِنْ ذلك قولُ اللهِ جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٤) وقال العَجَّاجُ:

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْـمًا مُكْرَسَا قَـال نعم أعـرفـه، وأبلسـا(٥)

* وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرطِ الأسَى *

فإذا قلتَ: «الأُسَـى» قَصَرْتَ أيضًـا، وهو جَمْعُ أُسْـوة، يقالُ فـلانٌ أُسْوَتِى وقُدْوَتِى، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُم فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٦).

---

(١) سورة النجم ١٢.

(٢) زيادات ر: «هو القحيف العقيلى».

(٣) العصل: جمع أعصل، وهو المعوج من كل شيء فيه صلابة.

(٤) سورة المائدة ٦٨.

(٥) أبلسا، من الإبلاس وهو الهم والحزن.

(٦) سورة الأحزاب ٢١.

والرَّمْسُ: التُّراب، يقال: رُمِسَ فلانٌ فى قبره.

* * *

وأشعارُ الْحُطيئة فى هذا الكتاب كثيرةٌ، ولولاَ أَنَّهَا معروفةٌ مشهورةٌ لأَتَيْنَا على آخرِها، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئًا مختارًا.

فمن ذلك قولُه:

جَزَى الله خيراً والجَزاءُ بكَفِّه ... عَلَى خَيْرِ ما يَجزِى الرجالَ بَغِيضَا
فلو شاء إذ جئناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنَّا فى البلادِ عَرِيضًا[1]

يقولُ: كَثُرت مَحَاسنُه حتى كُذِّبَ ذَامُّهُ، فاستَغْنَى عن أن يُكثِّرَ مادحه، ثِقةً بأنَّ هاجيَه غيرُ مُصَدَّقٍ، فاعْتَبِرْ هذا الكلامَ، فإنك تجدُه رأسًا فى بابه.

ومن ذلك قولُهُ:

وإنِّى قد عَلِقْتُ بحَبْلِ قَوْمٍ ... أعانَهُمُ على الحسَبِ الثَّرَاءُ
إذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بجَارِ قَوْمٍ ... تَجنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشتاءُ
هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لَمَّا ... تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإسَاءُ

ثم قال يخاطبُ الزِّبرِقَان ورَهْطَهُ:

ألم أكُ نَائِيًا فَدعَوتُمونى ... فجاءَ بِىَ المَوَاعِدُ والدُّعَاءُ
فلمَّا كنتُ جارَكُمُ أَبَيْتُمْ ... وشَرُّ مَوَاطِنِ الْحَسَبِ الإباءُ
ولمَّا كنتُ جارَهُمُ حَبَوْنى ... وفيكم كانَ لَو شئتمْ حَبَاءُ
فلمَّا أَنْ مدحتُ القَوْمَ قلتم ... هجوتَ، وهل يَحِلُّ لِىَ الهِجَاءُ!
ولم أَشْتِمْ لكم حَسَبًا ولكنْ ... حَدَوْتُ بِحَيثُ يُسْتَمَعُ الحُدَاءُ

ويُرْوَى أَنَّ الْحُطَيْئَةَ ـ واسمه جَرْوَلُ بن أَوْسٍ ويُكْنَى: أبا مُلَيْكَةَ ـ مرَّ بِحَسَّانَ ابن ثابتٍ وهو يُنْشِدُ:

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «منا» والصواب: «منأى»، أى بعدا، مأخوذ «نأيت» إذا بعدت. ومنه النأى».

لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَـلمعَنُ بالضُّحَى   وأسْيَـافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجْـدَةٍ دَمَـا

[ش: أدخلَه سيبويهِ رحمه الله على أَنَّ «الجَفَنَات» من الجَمْعِ الكثيرِ].

فالتفت إليه، فقال: كيفَ تَرَى فقال: ما أَرَى بَأْسًا، قال حَسَّانُ: انظرُوا إلى [هذا[1]] الأعرابيِّ يقولُ: ما أَرَ بـأسًـا، أبـو مَـنْ؟ قال: أبو مُـلَيْكَةَ، قـال حسان: ما كنتَ علـيَّ أهونَ منكَ حيثُ اكْتَنَيْتَ بـامرأةٍ! ما اسـمُكَ؟ قال: الْحُطَيْئَةُ، قال: امْضِ بسلاَمٍ.

وكان الْحُطَيْئَةُ فى حَبْسِ عُمَرَ بن الخطاب رحمه الله، باستدعاء الزِّبرْقَانِ عليه فى هذه القصة، ولعُمَرَ يقولُ:

مـاذا تقـولُ لأفْـرَاخٍ بذى مَـرَخٍ   حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ[2]

أَلقَيْتَ كَـاسِبَـهمْ فى قَعْرِ مُـظْلِمَةٍ   فاغْـفِرْ عليـكَ سلامُ الله يا عُـمَرُ

أَنْتَ الإمامُ الذى مِنْ بَعْدِ صـاحبِه   ألقْت إليك مَـقاليـدَ النُّهَى البَشَـرُ

مـا آثَرُوكَ بهـا إِذْ قَـدَّمـوكَ لهـا   لكنْ بكَ اسْـتَأْثَرُوا إذْ كـانت الأَثَرُ

ويُروى عن أبى زيد الأنصاريِّ أنه قال: ويُروَى «الأُثَرُ» والواحدةُ أُثْرَةٌ وإِثْرَةٌ، ومعناه الاستئثارُ.

فَرَقَّ له عمر فأخرجه، فَيُرْوَى أَنَّ عمرَ رحمه الله دَعَا بكرسيٍّ فجلسَ عليه، ودَعَا بالْحُطَيْئَة فأجلسـه بيَن يديه، ودَعا بإشْفى وشَـفْرَةٍ[3]، يُوهِمُـه أنه على قَطْعِ لسانه، حتى ضَجَّ من ذاكَ، فكان فيما قال له الْحُطَيْئَةُ: يا أَميرَ المؤمنين، إنى والله قد هَجَوْتُ أَبى وأُمِّى، وهَجَوْتُ امرأتى، وهَجَوْتُ نفسى. فَتَبَسَّمَ عمرُ رحمه الله، ثم قال: فما الذى قُلتَ؟ قال: قلتُ لأبى وأمِّى ـ والمخاطَبَةُ للأُمِّ:

ولقـد رأيتُكِ فى النسَـاءِ فَسُـؤْتِنِى   وأَبَا بَنِيـكِ فسـاءَنى فـى المَجْلِسِ

---

(١) تكملة من س.

(٢) ذو مرخ: واد بالحجاز.

(٣) الإشفى: مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد، والشفرة: السكين العريضة.

وقلتُ لها:

تنحَّىْ فاجلسى منِّى بَعيدًا ... أَرَاحَ اللهُ منك العالَمينَا
أغِربالا إذا استُودِعت سِراًّ ... وكانُونًا على المُتحدِّثينا[(١)]

وقلتُ لامرأتى:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ

فقال له عمرُ رحمه الله: فكيف هَجَوْتَ نفسَكَ؟ فقال: اطَّلَعْتُ فى بئرٍ فرأيتُ وجهى فاستقبحتُه، فقلتُ:

أَبَتْ شَفتاىَ اليومَ إلاَّ تَكلُّمًا ... بسُوء فما أَدْرى لمَنْ أَنَا قائلُهْ
أرى لِىَ وجْهاً قَبَّحَ اللهُ خَلْقَه ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ

[المثنى بن معروف مع أبى جبر الفزارى]

ونزَلَ أعرابىٌّ من طَيِّئ، يُقالُ له المُثَنَّى بنُ معروف بأبى جَبْرٍ الفَزارىِّ، فسمعه يومًا يقول: والله لوَدِدْتُ أَنى أَبيتُ الليلةَ خاليًا بابنة عبد الملك بنِ مَرْوَانَ، فقال له المثنى: أَحَلاَلا أم حرامًا؟ فقال: ما أُبَالِى، فَوَثَبَ عَليه فضرب رأسَه بِرِحَالةٍ[(٢)]، ثم انتقلَ وهو يقولُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ المؤمنيَن رسالة ... عَلَى النأْىِ أَنِّى قد وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ
كسرتُ على اليافوخِ منه رِحَالة ... لِنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرى
على غيرِ شىءٍ غيرَ أَنِّى سمعتُهُ ... بَنَى بنساءِ المسلمِيَن بلا مَهْرِ

[من أخبار الحجاج]

ويُرْوَى: أَنَّ الحَجَّاج [بن يوسفَ[(٣)]] جلسَ لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَث، فقامَ رجلٌ منهم فقال: أصلحَ اللهُ الأَميرَ! إنَّ لِىَ عَلَيك حَقًّا، قال: وما حَقُّكَ؟ قال: سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرددتُ عليه، قال: مَنْ يعلمُ ذاكَ؟

(١) زيادات ر: «قوله: كانونا، قيل: الكانون: التنمام، وقيل: الثقيل، وقيل: الذى إذا دخل على قوم كنوا حديثهم منه، وقيل: هو المصطلى، وقيل: هو كانون النار؛ لأنه... ويحرقهن».
(٢) الرحالة: ثوب يغشى بالجلد.
(٣) تكملة من س.

قال: أَنْشُدُ اللهَ رجلاً سمعَ ذاكَ إلاَّ شَهِدَ به، فقام رجلٌ من الأَسَرَاء[1] فقال: قد كان ذاكَ أَيُّهَا الأَميرُ، قال: خَلُّوا عنه، قال للشاهد: فما منعك أن تُنْكِر كما أَنْكَرَ؟ قال: لقَدِيم بُغْضى إيَّاكَ، قال: ويُخَلَّى عنه لصِدْقِه.

* * *

وقال عمرُ بن الخطاب لرجلٍ - وهو أبو مريَم السَّلُولِىُّ -[2]: والله لا أُحِبُّكَ حَتَّى تحبَّ الأرْضُ الدَّمَ، قال: أَفَتَمْنَعُنى حقًّا؟ قال: لا، قال: فلا بأس، إنَّمَا يأسَفُ على الحُبِّ النساءُ.

* * *

وقال الحَجَّاجُ لرجلٍ من الخوارج: واللهِ إنِّى لأُبْغِضُكُم، فقال له الخارجىُّ: أدْخلَ اللهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لصاحبه الجنَّة.

* * *

وأُتِىَ الحَجَّاجُ بامرأة من الخوارج، فجعلتْ لا تَنْظُر إليه، وكان يزيد بن أبى مُسْلمٍ يَرَى رأى الخوارجِ ويَكْتُمُ ذاك[3]، فَأَقْبَلَ على المرأة فقال: انظُرِى إلى الأمير، فقالت: لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللهُ إليه. فكلَّمها الحَجَّاجُ وهى كالسَّاهيَة، فقالَ لها يزيد: اسْمَعِى وَيْلَكِ من الأَمير! فقالت: بل الويل لك أيها الكافرُ الرِّدِّىُّ!

قال أبو العباس: والرِّدِّىُّ عند الخوارج الذى له عَقْدُهُمْ ويُظْهر خلافَه رغبةً فى الدنيا.

* * *

وكان صالحُ بن عبدِ الرَّحمنِ كاتب الحَجَّاجِ وصاحبَ دواوينِ العراق. والذى قَلَبَ الدَّواوين إلى العربية، ثم كان على خَرَاجِ العراقِ أيامَ وَلِىَ يزيدُ بن

---

(١) س: «الأسرى».

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله: «أبو مريم السلولى، إنما هو أبو مريم الحنفى؛ وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب؛ واسم أبى مريم إياس بن صبيح، ثقة كوفى، واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة، من الصحابة، روى عنه ابنه يزيد وغيره».

(٣) س: «ذلك».

المُهَلَّب [العراق(١)] فأشْجى(٢) يزيدَ، وقـد كان يرَى رأْى الخـوارج فكايَدَهُ يزيدُ بن أبى مُسْلمٍ مَوْلى الحَجَّاج، فأشارَ على الحَـجَّاج أنْ يأمُرَهُ بقتل جوَّاب الضَّبِّىِّ، وهو رأسٌ من رءوسِ الخَوارجِ، وقـال يَزيدُ: إنْ فَعَلَ بَرئـتْ منه الخَوارجُ وقَتَـلَتْهُ، وإنْ أمْسَكَ قَتَله الحَجَّاجُ فقتله.

وخُبِّرْتُ أنه قال: والله ما قتلتُه رغبةً فى الحياة، ولكنِّى خفْتُ يَسْبِى الحَجَّاجُ بَنَاتى، وكان يقول [بَعْدُ(٣)]: إنِّى حينَ أَقْتلُ جوَّابًا لَحَريصٌ علـى الدنيا، فلما عَذَّبه عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فى خلافـةِ يزيدَ بنِ عَاتكَةَ رُمِىَ به على قِمامَةٍ، وهو لِمآبِه(٤) فَسُمِعَ يُحكِّمُ عليها(٥)، وحكَّمَ مـالكُ بن المنذر بن الجـارودِ، وهو بآخر رَمَقٍ فى سـجن هشام بن عبد الملك.

* * *

ودخلَ يزيدُ بن أبى مُسلمِ على سليـمانَ بن عبد الملك، وكان دَميـمًا، فلما رآهُ [سليمانُ(٦)] قال: قَبَّحَ اللهُ رجلاً أجَرَّكَ رَسَنَهُ(٧)، وأشْرَكَكَ فى أمانتَه! فقال له يزيدُ: يا أمير المؤمنين، رأيتَنى والأمْرُ لكَ وهو عَنِّى مُدْبرٌ، ولو رأيتَنى والأمْرُ علىَّ مُقبلٌ لاَسْتكْبَرْتَ مِنِّى ما استصغرتَ، واستعظمتَ مِنِّى ما استحقرتَ، فقالَ: أتُرَى الحجـاجَ اسْتَقَرَّ فى قـعر الجحيم بَعْـدُ! فقال: يا أمـير المؤمنين، لا تَقلْ ذَلكَ [فى الحَجَّاجِ]، فإنَّ الحَجَّاج وطَّأَ لكم المنابرَ، وأذَلَّ لكم الجَبَابرَ، وهو يجِىء يومَ القيامةِ عن يمين أبيكَ، وعن يسارِ أخيكَ فحيثُ كانَا كانَ.

---

(١) تكملة من س.
(٢) أشجاه: أحزنه.
(٣) تكملة من س.
(٤) لمآبه: لعاقبته.
(٥) يحكم، أى يقول بقول الخوارج: لا حكم إلا لله.
(٦) تكملة من س.
(٧) الرسن فى الأصل: الحبل يقاد به البعير، وأجرك: جعلك تجره، والكلام هنا على الكناية.

بابـ

[من تكاذيب الأعراب]

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذيب الأعراب.

حدثنى أبو عُمَر الجَرْمِىُّ قال: سأَلتُ أبا عُبيدةَ عن قول الرَّاجِز:

أَهَدَّمُــــوا بيــــتَكَ لاَ أَبَالَـكا   وأَنَا أَمْـــشى الدَّأَلى حَــــوَالَكا!

فـقلتُ: لِمَنْ هذا الشعــرُ؟ فقــال: [تقولُ العــربُ(١)]: هذا يقــولُه الضَّبُّ للحِسْلِ، أَيَّامَ كانَت الأشياءُ تتكلَّمُ.

الدألى: مَشْىٌ كَمشْىِ الذِّئْـب، يقالُ: هو يَدْأَلُ فى مشيَتِه، إِذَا مَشَى كَـمِشْية الذِّئب، من قول امرىءِ القيس:

* أَقَبَّ حَثِيثَ الرَّكْضِ والدَّأَلاَنِ(٢) *

ومَنْ قال فى بيت ابنِ عَنَمَةَ الضَّبِّىِّ:

[حَـقِيـبَـةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَـرْجٌ](٣)   تُعَـــارِضُـــهُ مُـــرَبَّـــةٌ دءُولُ

فإنما أرادَ هذا، ومن قال «دَءُولُ» فَإنما أراد السُّـرعَةَ، يقالُ: مَرَّ يَدْأَلُ، إذا مَرَّ يُسْرِعُ.

وقــولُهُ «حَوَالَكَـا» يقالُ: هو يطوف حَــوَالَهُ وحَــوْلَهُ وحَــوَالَيْه. ومَنْ قــال: «حواليه» بالكسر: فـقد أَخطَأَ، وفى القرآن: ﴿**نُودِىَ أَنْ بُـورِكَ من فى النَّـار وَمَنْ حَوْلَها**﴾(٤) وحَوَالَيْه: تثنيةُ حَوَال، كما تقولُ: حَنَانَيْه، الواحدُ حَنانٌ، قال الشَّاعِرُ:

فـقالتْ: حَنَانٌ مـا أَتَى بكَ هاهُنا   أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالْـحَىِّ عـارِفُ

والحَنَانُ: الرحمةُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا**﴾(٥). وقال الشاعر: [وهو الْحطَيْئَةُ(٦)] لعمرَ بن الخطاب رحمه الله:

---

(١) تكملة من س.

(٢) صدره:

* عَلَى رَبِزٍ يَزْدَادُ عفْوًا إذَا جَرَى *

(٣) ما بين العلامتين تكملة من ر.

(٤) سورة النمل ٨.

(٥) سورة مريم ١٣.

(٦) تكملة من س.

تحَـنَّـنْ عَـلـىَّ هَــدَاكَ المَـلـيـك   فــإِنَّ لِكـلِّ مَــقَـــامٍ مَــقَـــالاً

وقال طَرَفَةُ:

أبَا مُنْذرٍ أفْنَيْتَ فـاسْـتَـبق بعـضَنا   حنَانَيْكَ بعضُ الشَّـرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

* * *

قـال أبو العبـاس: وحدَّثنى غيرُ واحـدٍ من أصـحـابِـنا، قال: قـيلَ لرُؤْبـة: مـا قولُكَ:

لَوْ أَنَّنِى عُــمِّـرْتُ سِنَّ الْحِــسْلِ   أو عُـــمْـــرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِـطَحْلِ

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ *

ما زمنُ الفِطَحْلِ؟ قال: أيامُ كانت السِّلاَمُ رِطَابًا[1].

قولُه: «سِنَّ الْحِسْلِ» مَثَلٌ، تَضربُه العربُ فى طول العُمُرِ[2].

وأنشدنى رجلٌ من بنى العَنْبَرِ، أعرابىٌّ فصيح، لعُبَيْدِ بن أيوبَ العَنْبَرِى:

كَـأَنِّــى ولَيْلَى لم يكنْ حَـلَّ أهْلُنَا   بوادٍ خَـصِـيبٍ والسِّــلاَمُ رِطَابُ

* * *

وحدثنى سليـمانُ بن عبد الله عن أبى الـعَمَيْثَلِ مَـوْلَى العباسِ بن محـمد: تَكاذَبَ أعرابيَّان فـقال أحدُهما: خرجتُ مـرةً على فرسٍ لى، فإذا [أنا[3]] بظُلْمة شديدة، فَـيَمَّمْـتُها حتىٰ وصلـتُ إليها، فإذا قِطْـعٌ من اللَّيْل لم تَنْتبه، فـما زلـتُ أَحْمِـلُ بفرسى عليـها حتى أنْبَهْتُهُا، فـانجابتْ. فقال الآخرُ: لقد رَمَـيْتُ ظَبْياً مَرَّةً بسهمٍ فَـعَدَلَ الظَّبىُ يَمْنَةَ، فـعدلَ السهمُ خلفَـه، فتيَـاسَرَ الظبىُ، فـتَيَاسَـرَ السهمُ خلفَه، ثم عَلاَ الظبىُ فعَلا السهمُ خلفَه، فانحَدَرَ فانحدر عليه حتى أَخَذَه.

* * *

وتزعمُ الرُّواةُ أن عُـرْوةَ بن عُـتْبَـةَ بن جـعفـرِ بن كـلابٍ قال لابنَي الجَـوْنِ الكِـنْدِيَّيْنِ يومَ جَبَلَةَ: إن لى عليكما حَقًّا لرِحْلَتِى ووفَادَتِى، فَدَعُونى أُنْذِرْ قومى من

(١) السلام: جمع سلمة، وهى الحجارة الصلبة.

(٢) زيادات ر: «ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلاثمائة سنة»، والحسل: ولد الضب.

(٣) تكملة من س.

مَوضعِى هذا، فقالـوا: شَأْنَكَ، فصَرَخَ بقومه بعد أن قالا له: شـأنَكَ، فأَسْمَعَهُمْ على مسيرةِ ليلةٍ.

* * *

ويُرْوَى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَة قال: قالتْ ليلَـى بنتُ عروةَ بن زَيْدِ الْخَيْل لأبيها: أرأيت قولَ أَبيك:

بَنِي عـامـرٍ هل تَعـرفونَ إذا غَـدَا ... أبو مكْنَف قـد شـدَّ عَقْـدَ الدَّوَايِرِ
بجَـيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَـجَـرَاته ... ترَى الأُكْمَ منه سُـجَّـدًا للحوَافـرِ
وَجَمْعٍ كَمثْلِ الليلِ مُرْتَجسِ الوَغَى ... كَـثـيـرٍ تَوَاليـه سَـريـعِ البَـوَادرِ
أَبَتْ عـادةٌ للـوَرْدِ أَنْ يكْرَهَ الوغَى ... وحَاجـةُ رُمْحِى فى نُمَيرِ بن عَـامرِ

فـقلتُ لأبِى: أَحَـضَرْتَ هذه الوَقْـعَـةَ؟ فقـال: نعم، فـقلت: فكم كـانت خيـلُكم؟ قال: ثلاثةُ أفـراس، أحدُها فَـرَسُه، قـال: فذكـرتُ هذا لابن أبى بكرٍ الهُذَلِيِّ، فحـدَّثنى عن أبيه قال: حضـرتُ يوم جَبَلَةَ، قال: وكان قـد بَلَغَ مائَةَ سنة، وكان قـد أَدْرَكَ أَيَّامَ الحَجَّاجِ، قال: فـكانت الخيلُ فى الفريقْين، مع مـا كان مع ابْنَى الْجَوْن، ثلاثين فرسًا، قال: فحدَّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَمِى - وكان راوية أهلِ الكوفة - فحدثنى: أَنَّ خَثْعَمَ قَتَلَتْ رجلا من بنى سُلَيْمِ بن منصور، فقالت أختُه تَرْثِيه:

لَعَـمْرِى ومـا عَـمْرِى علىَّ بهَـيِّنٍ ... لَنعْمَ الفـتَى غـادَرْتُمُ آلَ خَثْـعَمَـا
وكـان إذا مـا أَوْرَدَ الخَـيلَ بيـشَـةً ... إلى جَنْب أَشْـرَاجٍ أَنَاخَ فَـأَلْجَـمَـا
فـأَرْسَلَـهَـا رَهْوًا رِعـالا كـأَنَّهـا ... جَـرادٌ زَهَتْـهُ ريحُ نَجْـدٍ فأَتْهَـمَـا

فقيلَ لها: كم كانت خيلُ أخيك؟ فقالت: اللهم إنى لا أَعْرِفُ إلا فرسَهُ.

قوله: «قد شدَّ عَقْدَ الدَّوَايِرِ» يريدُ عَقْدَ دوايرِ الدرْع، فـإنْ الفارسَ إذَا حَمى فَعَلَ ذلك.

وقولُه: «تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاته» يقولُ: لكثرته لا يُرَى فيه الأبْلَق، والأبلقُ مشهورُ المَنْظَرِ، لاختلاف لَوْنَيْه، من ذَلك قولُه:

فلَئِنْ وَقَـفْتَ لَتَـخْـطِفَنْكَ رِمـاحُنا ... وَلَئن هَـرَبْتَ لَيُـعْـرَفَـنَّ الأَبْلَق

وحَجَرَاتُه: نواحِيه.

وقولُه:

* ترَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحَوَافِرِ *

يقول: لكثرةِ الجيش تطْحن الأُكْمَ تُلْصِقُهَا بالأرضِ.

وقولُه: «كَمثْلِ الليلِ» يقول: كثْرَةً، فيكاد يسُدُّ سوادُهُ الأُفْقَ، ولذلك يقال: كَتيبةٌ خضراءُ، أى سوداء، وكانت كَتيبةُ رسول الله ﷺ التى هو فيها والمهاجرون والأنصارُ يقالُ لها: الْخَضْرَاءُ.

والمُرْتَجسُ: الذى يُسْمَعُ صوتهُ ولا يَبِينُ كلامهُ، يقال: ارتَجَسَ الرَّعْدُ، من هذا. والوَغَى: الأصواتُ.

والتَّوَالِى: اللَّواحق، يقال: تلاَهُ يَتلُوهُ، إذا اتَّبعَهُ، وتلَوْتُ القرآنَ، أى أتْبَعْتُ بعضُه بعضًا، والمُتْلِيَةُ: التى معها أولادُها.

وقولُه: «فأرْسَلَهَا رَهْوًا»، يقول: ساكنةً، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا**﴾[(١)]، ويقال: عيشٌ رَاهٍ يا فتى، أى ساكنٌ.

ورعالٌ: جمعُ رَعِيلٍ، وهو ما تَقَدَّم من الخيل، يقالُ: جاءَ فى الرَّعيلِ الأوَّلِ، قال عَنْتَرَةُ:

إذْ لاَ أُبادِرُ فى المَضِيقِ فَوَارِسِى ... وَلاَ أُوَكِّلُ بالرَّعِيلِ الأوَّلِ

وقولُه: «زَهتْهُ ريحَ نَجْد فأَتْهَمَا» يقول: رفعته واستَخَفَتْهُ، قال ابنُ أبى رَبيعة:

فلما تَوَاقَفْنَا وسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعا

ومعنى أَتْهَمَ أَتَى تِهَامَةَ.

* * *

وزَعَمَ أبو عُبَيْدَةَ [مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[(٢)]] عَمَّن حَدَّثَهُ أَنَّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ أرادت الغارة على قبائِلِ بنى تَمِيمٍ، فقالوا: إنْ عَلِمَ بِنَا السُّلَيك أَنْذَرَهمْ، فبعَثُوا فارسَيْنِ

(١) سورة الدخان ٢٤.

(٢) تكملة من س.

على جوادَيْنِ يُريغَانِ[1] السُّلَيْكَ، فَبصرَا به فَقَصَدَاهُ، وخَرج يَمْحَصُ[2] كأنه ظَبْيٌ، فَطارَدَاهُ سَحَابَةَ يومهِمَا، فقالا: هذا النهارُ، ولو جنَّ عليه اللَّيلُ لقد فَتَرَ، فَجَدَّا فى طلبه، فإذا بِأَثَرِه قد بال فَرَغَا فى الأرْضِ وخَدَّهَا، فقالاَ: قاتَلَهُ اللهُ! ما أَشَدَّ مَتْنَيْه! ولعلَّ هذا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الليل فلما امْتَدَّ به الليلُ فَتَرَ، فاتَّبَعَاهُ، إذا به قد عَبَرَ بأَصْلَ شَجَرة فَندرَ[3] منها كَمكَانَ تلك، وانكسرتْ قوسُه، فارتزَّتْ قِصْدَةٌ منها فى الأرض فَنَشَبَتْ، فقالا: قاتَلهُ اللهُ! واللهِ لاَ نَتْبَعُهُ بعدَ هذا، فرجَعَا عنه، وأتمَّ إلى قومِه.

* * *

ش: يُرْوَى «أَتَمَّ» بأَلِفٍ، و«تَمَّ» بغيرِ الألفِ «ونَمَّ» بالنون، ومعنى «تَمَّ إلى قومه» أى نَفَذَ.

* * *

فأنذرهم، فلم يصدِّقُوه لبُعْدِ الغاية، ففى ذلك يقولُ:

يُكَذِّبنى العَمْرَانِ عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ ... وعمرُو بنُ كَعْبٍ والمكَذِّبُ أَكْذَبُ
ثَكِلْتُكمَا إِنْ لم أَكُنْ قد رأيتُهَا ... كَرَاديسَ يَهْديها إلى الحَىِّ مَوْكبُ[4]
كَراديسُ فيها الحَوْفَزَانُ وحولَه ... فوارسُ هَمَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا

فصدَّقَه قومٌ فَنَجَوْا، وكذَّبه قَوْمٌ فَوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَسَحَهُمْ.

* * *

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال: سألتُ أبا عُبيدَةَ عن مثل هذه الأخبارِ من أخبارِ العرب؟ فقال لى: إن العجَم تكْذِبُ فتقولُ: كان رجلٌ ثُلُثُهُ من نُحاسٍ، وثُلُثُهُ من رَصاصٍ، وثُلُثُه من ثَلْجٍ، فتَعارِضَها العربُ بهذا وما أشبه.

ومن ذلك قولُ مُهَلْهِل بن رَبيعةَ:

فلو نُشِرَ المَقَابِرُ عن كُلَيْبٍ ... فَتُخْبِرَ بالذَّنَائبِ أَىُّ زِيرِ!
بيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لقَرَّ عَيْنًا ... وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبُورِ

(١) يريغان: يطلبان.

(٢) يمحص: يعدو عدوا شديدا.

(٣) ندر: سقط.

(٤) الكراديس: جمع كردوس، وهو القطعة العظيمة من الخيل.

كـــأنَّـا غُـــدْوَةً وبَنـى أَبِينَا ... بجَنْـب عُنَيْــزَة رَحَـيَـا مُـدير
كـأنَّ رِمَـاحَـهـم أشْطَانُ بِئْـرٍ ... بَعـيـد بَيْـنَ جَـالَيْـهَـا جَـرُورِ[١]
فلولاَ الرِّيحُ أَسْـمِعَ مَنْ بِحَـجْـرٍ ... صَلَيلَ الـبـيضِ تـقـرَعُ بالذُّكـورِ

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ فلانٌ: زيرُ نسَاء، وطِلْبُ نسـاء، وتِبْعُ نساء، وخِلْوُ نساء، إذا كـان صاحبَ نساء؛ وذلك أن مُـهَلْهِلا كان صـاحبَ نساء، فكَانَ كُلَيْبٌ يقولُ: إنَّ مهلهلا زيرُ نساء ولا يُدرِكُ بثَأْرٍ، فلمَّا أَدْرَكَ مهلهلٌ بثأر كليبٍ، قال: أَيٌّ زيرٍ! فَـرَفعَ «أيا» بالابتـداء، والخـبرُ مـحـذوفٌ، فكأنه قـال: أَيُّ زِيرٍ أنا في هذا اليوم!].

قال أبو العباس: وحدثني عـمرُو بن بَحْر قال: أتيتُ أبا الربيع الغَنَوى وكان من أفصح الناس وأَبلغهم، ومعي رجلٌ من بني هاشمٍ، فقلتُ: أأبو الرَّبيع هاهنا؟ فخرجَ إليَّ وهو يقولُ: خَرَجَ إليك رجلٌ كريمٌ فلمَّا رأى الهاشميَّ استحيَا من فَخْرِه بحضـرته، فقال: أكْـرَمُ الناس رَديفًا، وأشرفُـهم حَليفا، فـتحدثنـا مَلِيًّا، فنهضَ الهاشـميُّ، فقلتُ لأبي الرَّبيع: يا أبا الرَّبيعِ مَنْ خَـيْرُ الخلق؟ فـقال: الناسُ والله. فقلتُ: مَنْ خَيْرُ الناسِ؟ قال: العربُ والله، فقلتُ: فَمَنْ خيرُ العربِ؟ قال: مُضَرُ والله، قلتُ: فَمَنْ خَـيْرُ مُضَرَ؟ قال: قَـيْسُ والله، قلتُ: فَمَنْ خَيْرُ قَـيسٍ؟ قال: يَعْصُـرَ والله، قلتُ: فَمَنْ خيـرُ يَعْصُرَ؟ قـال: غَنِيٌّ والله، قلتُ فمن خـيرُ غَنـيٍّ؟ قال: المُخَـاطَبُ لك والله، قلتُ: أَفأَنْتَ خيـرُ النَاسِ؟ قال: نَعَمْ إي والله، قلتُ: أَيَسُـرُّكَ أَنَّ تَحتَك بِـنتَ يَزيدَ بن المُهَلَّبِ؟ قـال: لا والله، قلتُ: ولك أَلفُ دينارٍ؟ قـال: لا والله، قلتُ: فـألفَـا دينارٍ؟ قـال: لا والله، قلتُ: ولك الجَنَّةَ! فـأطرقَ [مَلِيًّا[٢]] ثم قَال: على أَلاَّ تَلدَ منِّي، وأَنْشَدَ:

تَأْبى لأَعْـصُـرَ أَعْـرَاقٌ مُـهَـذَّبَةٌ ... منْ أَنْ تُناسبَ قَـومًا غـيـرَ أَكفـاءِ
فَـإن يَكنْ ذاكَ حَـتْمًـا لا مَـرَدَّ لَهُ ... فَـاذْكُـرْ حُـذَيْفَ فـإِنِّي غـيـرُ أَبَّاءِ

وقولُهُ: «أكرمُ الناسِ رديفًا» فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَويَّ كانَ رديفَ رسولِ الله ﷺ.

(١) أشطان البئر: حبالها.
(٢) تكملة من س.

وقولُه: «وأشرفُهم حَليفًا»، كانَ أبو مَرْثَد حليف حمزةَ بن عبد المطَّلب.

وقوله: «فاذكُـرْ حُذَيْفَ»، أرادَ حُذَيْفَةَ بن بَدْرِ الفَـزاريَّ، وإنما ذكره مِنْ بين الأشراف لأنه أقربُهم إليـه نسبًا، وذاكَ يَعْصُرَ بنُ سَـعْد بن قيس، وهؤلاء بنو رَيْث ابن غَطَفَانَ بن سعد بن قـيسٍ، وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يَهْـجُو وَلَدَ يَعْصُرَ، وهُمْ غَنِيٌّ وباهِلةُ والطَّفَاوَةُ:

أَبَاهِلَ مـا أَدْرِى أَمِنْ لُؤْمِ مَنْصِبى ... أُحِــبُّـكُمُ أَمْ بِى جُنُونٌ وأَوْلَقُ[1]
أُسَـيِّدُ أَخْـوَالِى وَيَعْـصُرُ إِخْـوَتِى ... فَـمَنْ ذَا الَّذِى مِنِّى معَ اللُّؤْمِ أَحْمَقُ!

فقال الباهليُّ يُجِيبُهُ:

وكيف تحِبُّ الدهرَ قـوماً هُمُ الأولَى ... نَوَاصِيكُمْ فى سـالف الدَّهْرِ حَلَّقوا
أَلَسْتَ فَـزَارِيًّا عـليك غَـضَاضَـةٌ ... وإِن كنتَ كِـنْدِيًّا فـإنك مُـلْصَقُ

***

وتحَدَّثَ الرواةُ بأنَّ الحَجَّـاجَ رَأَى محمدَ بن عـبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّـقَفِىَّ، وكان يَنْسبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ، فارْتَاعَ مِن نظرِ الحَـجَّاجِ [إليه[2]] فَدَعَا به، فلمَّا عَرَفَهُ قال مُبْتَدِئًا:

هاكَ يَدِى ضَـاقتْ بِىَ الأَرْضُ رَحْبُهَا ... وإن كنتُ قـد طَوَّفْت كـل مكَان
ولو كنتُ بالعَنْقَـاءِ أَوْ بِيَسْـومِهَـا ... لَخِلْـتُكَ إِلاَّ أَنْ تَصُـدَّ تَرَانِى[3]

ثم قال: والله إِنْ قلتُ إلاَّ خيرًا، إنما قلتُ:

يُخَـبِّـئن أطراف البَنَانِ مِنَ التُّـقَى ... ويَخْـرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْـتَجِـرَاتِ

قال: أَجَلْ، ولكن أخبرنى عن قولكَ:

ولَمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْـرِىِّ أَعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنْ أن يَـلْقَـيْنَـهُ حَـذِرَاتِ

فى كَمْ كُنْتَ؟ قال: والله إِنْ كنتُ إلاَّ عـلى حمارٍ هزيل، ومـعِى رَفيق على أَتَانٍ مثلِه.

***

(١) الأولق: الجنون. (٢) تكملة من س. (٣) يوم: جبل بعيد.

ومن ذلك ما يَحْكُونَ فى خبر لُقْمانَ بن عَاد، فإنهم يَصفونَ أنَّ جاريةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِىَ منْ بَصَرِه، لدخوله فى السِّنِّ؟ فقالَتْ: والله لقد ضَعُفَ بَصَرُه، ولقد بَقِيَتْ منه بقيَّةٌ، إنَّهُ لَيَفْصلُ بين أَثَرِ الأُنثَى والذَّكر من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا، فى أشْيَاءَ تُشَاكِلُ هذا من الكَذِب.

* * *

وحُدِّثْتُ أَنَّ امرأةَ عِمْرَان بن حِطَّانَ السَّدُوسيِّ قالت له: أمَا حَلَفْتَ أَنَّكَ لا تَكْذِبُ فى شعرٍ؟ فقال لها: أَوَكانَ ذَاكَ؟ قالت: نعَم، قلتَ:

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثوْ ... رٍ كانَ أَشْجَعَ من أُسَامَهْ

أيكونُ رجلٌ أَشْجَعَ من أَسَدٍ! فقال لها: ما رأيتُ أسدًا فَتَحَ مدينةً قَطُّ، ومَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ قد فَتَح مدينةً(١).

* * *

ومرَّ عِمرَانُ بن حِطَّانَ بالفرزدقِ وهو يُنْشِدُ، فوقف عليه فقال:

أَيُّها المادحُ العبادَ ليُعْطَى ... إنَّ لله ما بأيدى العِبَاد
فاسأل اللهَ ما طلبتْ إليهم ... وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوَّادَ
لا تَقُلْ لِلْجَوَادِ ما ليس فيه ... وتُسَمِّ البَخيلَ باسْمِ الجَوادِ

وأنشدنى الحسنُ بن رَجَاء لرجلٍ من المُحْدَثِينَ لم يُسَمِّهِ(٢):

أبا دُلفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهمْ ... سِوَايَ فإنِّى فى مَدِيحكَ أكْذَبُ

* * *

وأنشدنى آخرُ لرجلٍ من المُحْدَثِينَ:

إنىِّ امتَدَحْتُكَ كاذبًا فأَثَبْتَنِى ... لَمَّا امتَدَحْتكَ ما يُثَابُ الكاذبُ

قال الأصمعىُّ: قلتُ لأعرابىٍّ كنت أعرفُه بالكذبِ: أَصَدَقْتَ قَطُّ؟ قال: لولا أَنِّى أخافُ أنْ أَصْدُقَ فى هذا لقلتُ لَكَ: لا.

* * *

---

(١) زيادات ر: «مجزأة بن ثور، جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر، فلما أسن مجزأة فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذاك مع ابنه شقيق بن مجزأة، وقتل رحمه الله على شتر، هو والبراء بن مالك، وكانا من أبطال المسلمين». (٢) زيادات ر: «وهو بكر بن النطاح فى أبى دلف».

وتَحَدَّثوا من غير وجه أَنَّ عَمْرَو بن مَعْدى كَرِبَ كان معروفًا بالكذب، وقيلَ لِخَلَفَ الأحمرِ ـ وكانَ شديدَ التعصُّبِ للْيَمَن: أكان عَمْرُو بن معدى كرب يكذبُ؟ فقال: كان يكذبُ فى المَقال، ويَصْدُقُ فى الفَعَال.

وذَكَرُوا من غيـرِ وجه أنّ أهلَ الكوفة من الأشراف كانوا يَـظْهَرُونَ بالكنَاسة فَيَـتَحدّثُونَ على دوَابِّهم، إلى أن يَـطْرُدَهمْ حَرُّ الشَّمسِ، فـوقفَ عمروُ بن مـعدى كربَ وخالدُ بن الصَّقْعبِ النَّهْدىُّ، فأقبلَ عمروٌ يُحَدِّثه، فقال: أَغَرْنَا مَرَّةً عَلَى بنى نَهْد، فخرجوا مُسْتَرْعفين بخالد بن الصَّقْعَب، فحملتُ عليه فطعنتُه فأذريته[1]، ثم ملْتُ عليه بالصَّمْصَامَة، فأخذتُ رأسهُ، فقالَ له خالدٌ: حلاًّ أبا ثور، إنَّ قَتيلَكَ هو المُحدِّثُ. فقال: يا هذا، إذا حُدِّثْتَ فاستَمِعْ، فإنما نَتحَدَّثُ بمثلِ ما تَسمعُ لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَةُ[2].

قولُه: «مُسْتَرْعفينَ» يقولُ: مُقَدِّمين له، يقال: جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيش ويَؤُمُّ الجيشَ، إذا جـاءَ متقـدِّمًا لهم، ويقالُ فى الـرُّعاف: رَعَف يَرْعَفُ، لا يقال غـيرُ «رَعَفَ»، ويجوز «يَرْعَفُ» من أَجْلِ العَيْنِ، وليس مِن الوَجْـهِ. وسنذكرُ هذا البابَ بعدَ انقضاء هذه الأخبارِ، إن شاء الله.

وقولُـه: «حِلاًّ أبا ثَوْرٍ» يقـول: استَـثن، يقال: حَلَفَ ولم يَتَـحَلَّلْ، أى لم يَسْتَثْنِ.

* * *

وخُبرْتُ أَنَّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديث عن هَرِمِ بن حَيَّانَ[3] فاتفق هرمٌ [مرةً][4] معه فى مسجد وهو يقول: حَدَّثَنا هرم بن حيـان، مرةً بعدُ مرة، بأشياءَ لا يعرفُها هرمٌ، فقال لـهُ: يا هذا، أَتَعرِفُنى؟ أنا هرمُ بنُ حيان، [والله] مـَا حدثْتُكَ من هذا بشىء قطُّ، فقال له القاصُّ: وهذا أيضًا من عجائبكَ، إنَّه لَيُصَلِّى معنا فى مسجدنا خمسةَ عشَرَ رجلا، اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ، كيفَ تَوهمتَ أنه ليس فى الدنيا هرمُ بن حيانَ غيرُكَ!

(١) أذريته: رميته. (٢) المعدية: المنسوبون إلى معد.

(٣) زيادات ر: «الهرم: الضب، يقال إنه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج، قال الشاعر:

* كما أكبَّ على ذى بطنه الهرِم *

قيل إن هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين: ولذلك سمى هرما».

(٤) من س.

وكان بالرَّقَّة قاصٌّ يُكْنَى أبا عقيلٍ، يُكْثِرُ التحدثَ عن بنى إسرائيلَ فيُظَنُّ به الكذبُ، فقال لـه يومًا الحَجَّاجُ بن حَنْتَـمَةَ: ما كان اسمُ بقرة بنـى إسرائيلَ؟ قال: حَنْتَمَةُ، فقال له رجلٌ من ولد أَبِـى موسى الأشعرىِّ: فى أَىِّ الكتب وَجَدْتَ هذا؟ قال: فى كتاب عَمرو بن العاصِ.

وقال القَـيْنىُّ: أَنَا أَصْدُقُ فى صغيـرِ مَا يَضرُنّى، ليجـوزَ كَذِبى فى كبيـر ما ينفعُنى.

وأنشد المازنىُّ للأعشى - وليس مما رَوَتِ الرواةُ متَّصلا بقصيدة:

فَصَدَقْتُهُمْ وكَذَبْتُهُمْ والمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

* * *

ويروى أَنَّ رجـلا وَفَدَ على رسـول الله ﷺ، فسـأله [عن بعضِ شىء](١)، فكذَبَهُ، فقـال له رسول الله ﷺ: أأسألك فَـتكْذِبُنى؟ لولا سَخاءٌ فـيكَ وَمِقَكَ اللهُ عليه لَشَرَّدْتُ بكَ منْ وافدِ قَوْمٍ.

معنى «وَمِقَكَ» أَحَبَّـكَ، يقال وَمِقْتُه أَمِقُهُ، وهو على «فَـعِلْتُ أَفْعِلُ» ونظيرُه من هذا المُعْتَلِّ وَرِمَ يَرِمُ، ووَلِىَ يَلِى. وكذلك وَسِعَ يَسَعُ، كـانت السِّين مكسورةً، وإنما فُـتحَت للعين، ولو كـان أصلُهـا الفتح لـظَهَرَت الواوُ، نحـو وَجِلَ يَوْجَلُ، ووَحِلَ يَوْحَلُ. والمصدرُ «مِقةٌ» كقولك: وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً، ووَجَدَ يَجِدُ جِدَةً.

ويُروى: أَنَّ رجـلا أَتَى رسـولَ الله ﷺ فأسلم، ثم قـال: يَا رسـولَ الله، [إنى](١) إنما أُوخَذُ من الذُّنُوب بما ظهَرَ، وأنا أَسْتَـسِرُّ بخلاَلٍ أربعٍ: الزنا والسَّرَق(٢) وشرْبِ الخـمرِ والكذب، فـأَيَّهُنَّ أَحْبَبَتَ تركتُ لَـكَ سِرًّا، فقـال رسولُ الله: دَعِ الكَذِبَ، فلما تولَّى منْ عند رسول الله ﷺ هَمَّ بالزنا، فقال: يسألنى رسولُ الله، فـإنْ جَـحَدْتُ نَقَـضْتُ مـا جَـعلتُ له، وإن أقـررتُ حُـدِدْتُ، فلم يزل، ثم هَمَّ بالسَّرق(٢)، ثم هَمَّ بشرب الخمرِ، ففكَّرَ فى مثل ذلك، فرجَعَ إلى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، قد تَركتهنَّ جُمع.

* * *

(١) تكملة من س.
(٢) السرق: السرقة.

وشهِدَ أعرابىٌّ عند معاويةَ بشهادة، فقال له معاويةُ: كذبتَ، فقال له الأعرابىُّ: الكاذبُ مُتزمِّلٌ فى ثيابكَ، فقال معاويةُ: هذا جزاءُ مَنْ عَجَّلَ.

وقال معاويةُ يومًا للأحْنَف ـ وحدَّثهُ حديثًا: أتكذِبُ؟ فقال: والله مَا كذبتُ مُذْ علمتُ أَنَّ الكذبَ يَشِينُ أهلَهُ.

* * *

ودخلَ عبد الله بن الزبير يومًا على معاوية، فقال: اسمع أبياتًا قُلْتهُنَّ ـ وكان واجدًا عليه، فقال معاويةُ: هَاتِ، فأنشدَهُ:

إذا أنتَ لم تُنْصفْ أَخاكَ وجَدتَهُ ... على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كان يَعْقِلُ

ويركبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضيمَهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ

فقال له معاويةُ: لقد شَعُرتَ بعدنَا يا أبا بكرٍ، ثم لم يَنْشَب معاوية أنْ دَخَل عليه مَعْنُ بن أَوْسٍ المزَنِىُّ، فقال له: أَقُلْتَ بعدَنا شيئًا؟ قال: نَعَمْ، فأنشدَهُ:

لَعَمْرُكَ مـا أَدْرِى وإنِّى لأَوْجَلُ ... علـى أَيِّنَا تَعْدُو المَنيَّةُ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبيات التى أَنْشَدَها ابنُ الزبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أمَا ذَكَرْتَ آنفًا أنَّ هذا الشِّعرَ لك؟ قال: أنا أَصْلَحْتُ مَعَانِيَهُ، وهو أَلْفَ الشعرَ، وهو بَعْدُ ظِئرِى، فما قالَ منْ شىءٍ فهو لِى.

وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ مُسْتَرْضَعًا فى مُزَيْنَةَ.

* * *

وحُدِّثْتُ أن عُمرَ بن عبد العزيز [بن مَرْوانَ(١)] كَتَبَ فى إشْخاص إيَاس بن معاويةَ المُزنِىِّ وعَدِىِّ بن أرْطأةَ الفَزَارِىِّ أَمير البَصْرَة وقاضيها يومئذ، فصار إليه عدىٌّ، فَقَرَّبَ أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفة، فقال: يا أبا واثلَةَ، إنَّ لنا حقًّا ورَحمًا، فقال إياسٌ: أَعَلَى الكذب تريدُنى؟ والله ما يَسُرُّنى أنى كَذَبْتُ كَذْبةً يغفرُها اللهُ ولا يَطَّلِعُ عليها إلاَّ هذا ـ وأَوْمأَ إلى أَبيه ـ ولِى ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ.

[قال أبو الحسن(١): «التَّمْزِينُ» المَدحُ، ولم أَسْمَعْ هذه اللفظةَ إلاَّ من

(١) تكملة من س.

أبى العبـاس، وهى عندى مشتـقَّةٌ مِن «المازنِ» وهو بيض[1] النَّمْلُ، وبهذا سُمِّيتْ «مازنٌ» كأنه أرادَ منه أن تُكَبِّرَهُ.

ويروى يُكَثِّرَه. قال القُتَبِىُّ: المَازِنُ: بَيْضُ النَّمل.

قال الشيخُ: قولَهُ: «أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفة»، أى كأنه يَجْعله سيِّدَ مُزَيْنَةَ، لأنه كان مُزَنِيًّا، والصوابُ: «يَمَزِّرَهُ» قال المَوْصِلىُّ:

* وَإِنِّىَ مَعْ ذَا الشَّيْبِ حُلْوٌ مَزِيرُ *

ولم يكنْ فى القُضَاة، وإنَّمَا كان أميرًا على البصرة... إن مات عمرو...

وكتـب عُمَـرُ إلى عَدِىٍّ: اجْـمعْ ناسًا مِّـمْن قَبلكَ وشـاورْهُمْ فى إياس بن معاويةَ والقاسمِ بن رَبيعةَ، واستَقْضِ أَحَدَهما، فَوَلَّى عَدِىٌّ إياسًا[2]].

* * *

ويُرْوَى أَنَّ أخا إياسٍ صارَ إلى ابن هُبَيْرَةَ فقـال: طَرَقَنِى اللصوصُ فحارَبْتهم فهَزَمْتُهم، وظفرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ[3]، فجعله ابن هُبَيـرةَ تحتَ مُصَلاه، ثم بعثَ إلى الصَّياقلَة فأحضرَهم، فقـالَ: أيَعْرِفُ منكم الرجلُ عملَه؟ قالوا: نعم، فأخرج المِغْوَلَ فقـالَ: من عَمَلَ أَيُّكُمْ هذا[4]؟ فقـال قائلٌ منهم: أنا عملتُ هذا، واشـتراهُ مِنِّى هذا أَمْس.

(١) كلمة «بيض» ساقطة من ر، س، وهى فى الأصل.

(٢) ما بين العلامتين زيادة فى نسخة ر، وذكر المصحح أنها من إحدى النسخ التى رجع إليها، وموضع النقط مقطوع من الأصل المنقول عنه، وهذه الزيادة ليست فى الأصل، وليست فى س أيضا.

(٣) زيادات ر: «المغول سيف صغير».

(٤) س: «أيكم عمل هذه».

بابـ

[ما يجوزُ فيه «يَفْعَلُ» فيما ماضيه «فَعَلَ» مفتوح العين]

اعلم أَنَّ كلَّ فعلٍ على «فَعُلَ» فهو غيرُ متعدٍّ إلى مفعول، لأنَّه فعْلُ الفاعِلِ في نفسه، وتأويلُه الانتقالُ، وذلك قولك: كَرُمَ عبدُ الله، وظَرُفَ عبدُ الله.

وتأويلُ قولي: «الانتقالَ»، إنما هو انتقالٌ من حال إلى حال، تقولُ: ما كَان كريمًا ولقد كَرُمَ، وما كان شريفًا ولقد شَرُفَ، فهذا تأويلُه، فأمَّا قولهم: كِدْت أَكادُ، فإنما كِدْتُ معترضةٌ على أكادُ.

وما كَان من «فَعِلَ» [من][1] الصحيح فإنهُ «يَفْعَلُ» نحو: شَرِبَ يَشْرَبُ، وعَلِمَ، وفَرِقَ، ويكونُ متعديًا وغيرَ متعدٍّ، تقولُ: حَذِرْتُ زيدًا، وعَلِمْتُ عبدَ الله، ويكون فيه مثلُ سَمِنْتُ، وبَخِلْتُ، غيرَ متعدٍّ، وكلُّه على «يَفْعَلُ» نحو يَسْمَنُ، ويَبْخَلُ، ويعْلَمُ، ويَطْرَبُ.

فأمَّا قولهم في الأربعة من الأفعال: «يَحْسِبُ»، و«يَيْئِسُ»، و«يَنْعِمُ»، و«يَيْبِسُ»، فهي معترِضةٌ على «يَفْعِلُ» تقولُ في جميعها: «يَحسَبُ»، و«يَنْعَمُ»، و«يَيْئَسُ»، و«يَيْبَسُ».

وما كان على «فَعَلَ» فَبابُه «يَفْعل» و«يَفْعِل» نحو قَتَل يَقتُل، وضَرَبَ يضرِبُ، وقَعَد يقعُد، وجلس يجلسُ، فقد أنبأْتُكَ أن يكونُ متعديًا وغيرَ متعدٍّ. فأمَّا يَأْبَى، ويَقْلَى فلهما علَّةٌ تُبيَّنُ عندَما أَذْكرُهُ لكَ إن شاء اللهَ.

ولا يكونَ «فَعَلَ يَفْعَلُ» إلاَّ أن يكُونُ يعرض له حرفٌ من حروف الْحَلْقِ الستة في موضعِ العينِ أو موضعِ اللام، فإن كان ذلك الحرفُ عينًا فَتَحَ نَفْسَه، وإن كَان لامًا فتح العينَ.

وحروفُ الحَلْقِ: الهمزةُ، والهاءُ، والعيْن، والحاءُ، والغيْن، والخاءُ.

وذلك قولهم: قَرَأَ يَقْرَأُ قَرْأً، يَا فتَى، قراءَة، وسأَلَ يَسْأَلُ، وجَبَهَ يَجْبَهُ، وذَهَبَ يَذْهَبُ، وتقولُ: صَنَعَ يصنَعُ، وظَعَنَ يَظْعَنُ، وضَبَحَ يَضْبَحُ، وكذلك فَرَغَ يَفْرَغُ، وسَلَخَ يَسْلَخُ.

---

(١) من س.

وقد يجوزُ أَنْ يجيء الحرفُ على أصله وفيه أحدُ السِّتة، ويجوزُ: زَأَرَ يَزْئِرُ، وفَرَغَ يَفْرَغُ، وصَبَغَ يَصْبُغُ، إلاَّ أَنَّ الفتحَ لا يكونُ فيما ماضيه «فَعَلَ» إلاَّ وأَحَدُ هذه الحروف فيه.

وأما «يأْبَى» فله علَّةٌ، وأما «يَقْلَى» فليس يَثْبُتُ. وسيبويه يذهبُ فى «يَأْبَى» إلى أنه إنما انفتَح من أجلِ أَنَّ الهمزةَ فى موضع فائه، والقولُ عندى على ما شَرَحْتُ لك، من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق، فإنما انفتح لأنهُ يصيرُ إلى الألف، وهى من حروف الحلق، ولكن لم نَذْكرها لأنها لا تكون أصلا، إنما تكونُ زائدةً أو بَدَلا، ولا تكونُ متحركةً، فإنما هى حرفٌ ساكنٌ، ولا يَعْتَمدُ اللِّسان به على موضعٍ، فهذا الذى ذكرتُ لك مِن أَنَّ يَسَعُ، ويَطَأُ، حَدُّهما «فَعِلَ يَفْعِل» فى المعتلِّ، كحسِبَ يَحْسِب، من الصحيح، ولكنْ فَتَحَتْهما العينُ والهمزةُ، كما تقول: وَلَغَ الكلبُ، يَلَغَ، والأصلُ «يَلِغُ» فحرفُ الحلقِ فَتَحَهُ.

بابـ

[من أخبار عبد الله بن العباس وابنه]

يُرْوَى عن عليٍّ بن أبى طالب رحمةُ الله عـليه أنه افْتَقَدَ عبـدَ الله بنَ العباس رحمه الله [فى وَقْت صلاة الظُّهْرِ(١)]، فقال [لأصحابه(١)]: ما بَالُ أبى العباسِ لم يَحْضُرْ؟ فقـالوا: وُلِدَ له مولودٌ، فلما صلَّى علىٌّ رحمه الله قـال: امضُوا بنَا إليه، فأتاه فَهَنَّأَه، فقال: شَكَرْتَ الواهبَ، وبُورِكَ لك فى الموهوب، ما سَمَّيْتَهُ؟ قال: أَوَ يَجُوزُ لى أَنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه! فـأَمَرَ به فَأُخْرِجَ إليه، فأخذَه وحنَّكَه ودعَا له، ثم رَدَّه إليه، وقال: خُذْه إليك أبا الأمْـلاَك، قد سَمَّيْتُه عليًّا، وكَنَّيْـتُهُ أبا الحسنِ، فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ: ليس لكم اسمُه وكنيتُه، فقد كَنَّيْتُهُ أبا محمدٍ، فَجَرَتْ عليه.

* * *

وكان علىٌّ سيـدًا شريفًا بليغًـا، وكان له خَمْسُمـائَة أصل زَيْتُونٍ، يصلى فى كل يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين، فكان يُدْعَى ذَا الثَّفِنَاتِ(٢).

* * *

وضربَ بالسَّوْطِ مـرتين، كلتاهُما ضربَهُ الوليد، إحداهُمـا: فى تَزَوُّجه لُبَابَةَ بنتَ عبد الله بن جعفرٍ، وكانت عـندَ عبد الملك، فَعَـضَّ تُفَّـاحَةً ثم رَمَـى بها إليها ـ وكان أَبْخَرَ ـ فَدَعَتْ بسكينٍ، فـقال: ما تَصنعينَ به؟(٣) قالتْ أُميطُ عنها الأذى، فطلَّقَهـا، فتزوَّجهـا علىُّ بنُ عبد الله، فضـربه الوليدُ، وقال: إنما تَتَزَوَّجُ بـأُمَّهَات الخلفاء لِتَضَعَ منها، لأنَّ مَرْوَانَ بن الحكَمِ تَـزوَّجَ أمَّ خالد بن يزيد بن معاوية لِيَضَعَ منه، فقـال علىٌّ بن عبد الله: إنما أرادتِ الخـروج من هذه البَلْدَة، وأنا ابنُ عَمِّـها فتزوجتُها لأكُونَ لها مَخْرَجًا.

وأمَّا ضـربُه إيَّاه فى المرَّة الثانية فـإنَّا نرويه من غَيْرِ وَجْـه، ومن أَتَمِّ ذلك ما حَدَّثنيـهِ أبو عبـد الله محـمدُ بن شُجَـاعٍ البَلْخِيُّ(٤) فى إسنادٍ له مُـتَّـصِلٍ، لستُ

(١) من س.

(٢) الثفنات: جمع ثفنة، وهى من كل ذى أربع ما يصيب الأرض منه.

(٣) أى بالسكين، والسكين تذكر وتؤنث.

(٤) زيادات ر، «هو محمد بن شجاع الثلجى، كذا صوابه».

أَحفظُه، يقولُ فى آخر ذلك الإسناد: رأيتُ عليًّا مضروبًا بالسَّوْط يُدَارُ به على بعيرٍ ووجههُ مما يَلِى ذَنَبَ البعيرِ، وصائحٌ يَصيحُ عليه: هذا علىُّ بن عبد الله الكذابُ! قال: فأتيتُه فقلتُ: ما هذا الذى نَسبُوكَ فيه إلى الكذب؟ قال: بلَغهم قولى: إنَّ هذا الأَمْرَ سيكونُ فى ولدى. والله ليكونَنَّ فيهم حتى يَملكَهُمْ عَبيدُهم الصِّغَارُ العيونِ، العِرَاضُ الوُجُوهِ، الذين كَأَنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ.

* * *

ومع هذا الحديث آخَرُ شَبِيهٌ بإسناده، أن علىَّ بن عبد الله دخلَ على سليمانَ ابن عبد الملك، ومعه ابْنَا ابْنه، الخليفتان: أبو العباسِ، وأبو جعفر - قال أبو العباس: وهذا غَلَطٌ، لمَا أَذْكُرُهُ لك، إنما ينبغى أن يكونَ دخلَ على هشامٍ - فأَوْسَعَ لَهُ على سَرِيره، وسأله عن حاجته، فقال: ثلاثون أَلْف درهمٍ علىَّ دَيْنٌ، فَأَمَرَ بقَضَائِهَا، قال له: وتَسْتَوصِى بابْنَىَّ هذين خيرًا، ففعلَ، فشكَرَهُ، وقال: وَصَلَتْكَ رَحِمٌ، فلما وَلَّى علىٌّ قال الخليفةُ لأصحابه: إنَّ هذا الشيخَ قد اخْتَلَّ وأسَنَّ وخلطَ فصار يقول: إن هذا الأمْرَ سينتقلُ إلى وَلَدِه، فَسَمعَ ذلك علىٌّ فالتفت إليه فقال: والله ليكونَنْ ذَاكَ، ولَيَمْلِكَنَّ هذان.

* * *

قال أبو العباس: أَمَّا قولى: «إن الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمانَ»، فلأنَّ محمد بن على بن عبد الله كان يُمْنَعُ من تَزَوُّج الحارثيَّةَ، للحديث المَرْوِىِّ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءهُ محمدٌ، فقال له: إنى أَردتُ أن أتزوج بنتَ خالى من بنى الحارث بن كَعْبٍ، أَفتَأْذَنُ لى [يا أَمِيرَ المؤمنين(١)]؟

فقال عمرُ: تَزَوَّجْ - رحمكَ اللهُ - مَنْ أحببتَ، فتزوَّجَها، فأَوْلَدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين، وعُمَرُ بعدَ سليمانَ، فلا ينبغى أن يكون تَهَيَّأَ له أن يدخل على خليفةٍ حتى يَتَرَعْرَعَ.

[ش: كذا وقعَ فى الأُمِّ والروايةِ، والصحيحُ «لهما أن يدخلاَ على خليفةٍ حتى يترعرع»].

فلا يَتِمُّ مِثلُ هذا إلاَّ فى أيامِ هشامٍ.

* * *

(١) تكملة من س.

وكان عبدُ الملك يُكْرِمُ عليًّا ويقدِّمُه، فحدثنى التَّوَّزِىُّ، قال: قال علىٌّ بن عبد الله: سايَرْتُ يومًا عبد الملك، فما جاوَزنا إلاَّ يسيرًا حتى لَقِيَهُ الحَجَّاجُ قادمًا عليه، فلما رآه تَرَجَّلَ ومَشَى بين يديه، فخَبَّ عبدُ الملك، فأسرع الحَجَّاجُ، فزادَ عبدُ الملك، فَهَرْوَلَ الحَجَّاجُ، فقلتُ لعبد الملك: أبِكَ مَوْجِدَةٌ على هذا؟ فقال: لا، ولكنَّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ، فأحببتُ أن أَغُضَّ منه.

* * *

وحدَّثنى جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشمىُّ، قال: حضر علىٌّ عبَد الملك وقد أُهْدِىَ له من خُراسانَ جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ، فقال: يا أبا محمد، إنَّ حاضرَ الهديَّة شَريكٌ فيها، فاخْتَرْ منَّ الثلاثة واحدًا، فاختارَ الجاريةَ، وكانت تُسَمَّى سُعْدَى، وهى من سَبْىِ الصُّغْدِ[1] من رَهْطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ، فأولدها سليمانَ وصالحًا ابْنَىْ علىٍّ.

* * *

وذَكَرَ جعفرُ بن عيسى أنه لَمَّا أَوْلَدَهَا سليمانَ اجتنبَتْ فِرَاشَه، فمرض سليمان من جُدَرِىٍّ خرج عليه، فانصرفَ علىٌّ مِنْ مُصَلاَّه، فإذا بها على فراشه، فقال: مرحبًا بك يا أُمَّ سليمانَ، فوقَعَ بها، فأولدها صالحًا، فاجتنبت بَعْدُ، فسألهَا عن ذلك؟ فقالت: خفْتُ أن يَموتَ سليمانُ فينقطع النَّسَبُ بينى وبين رسول الله ﷺ، فالآنَ إذْ وَلَدْتُ صالحًا فَبِالْحَرى إنْ ذهبَ أحدُهما أن يَبْقَى الآخَرُ، وليس مثلى اليومَ مَنْ وطِئَهُ الرجالُ.

وزَعم جعفرٌ أنه كانت فيه رُتَّةٌ.

فالرُّتَّةُ: تَعَذُّرُ الكلام إذا أراده الرجلُ، فهى الآن معروفةٌ فى ولدِ سليمان وولدِ صالحٍ.

* * *

وكان علىٌّ يقولَ: أَكره أن أُوصىِّ إلى محمد ـ وكان سَيِّدَ ولده ـ خوفًا من أن أَشِينَهُ بالوصيةِ، فأَوْصَى إلى سليمان، فلما دُفِنَ علىٌّ جاء محمدٌ إلى سُعْدَى

---

(١) الصغد: كورة قصبتها سمرقند.

[ليلا(١)] فقال [لها](١): أَخْرِجي إليَّ وصيةَ أبى، فقالت: إن أباكَ أَجَلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلا، ولكنَّها تأتيكَ غدًا، فلمَّا أصبحَ غَدَا بها عليه سليمانُ، فقال: يا أبى ويا أخى، هذه وصيةُ أبيك، فقال محمدٌ: جزاكَ اللهُ مِن ابنٍ وأخٍ خيرًا، ما كنتُ لأُثَرِّبَ على أبى بعدَ موتِه، كما لم أُثَرِّبْ عليه فى حياته.

* * *

قال أبو العباس: التَّمْتَمةُ: الترددُّ فى التَّاء، والفأْفَأَةُ: الترددُ فى الفاء، والعُقلَةُ: التواءُ اللسان عندَ إرادة الكلام، والحُبْسَةُ: تَعَذُّرُ الكلامِ عند إرادته، واللَّفَفُ: إدخالُ حرف فى حرف، والرُّتَّةُ: كالرَّتَجِ تَمنعُ أَوَّلَ الكلامِ، فإذا جاء منه شىءٌ اتَّصَلَ. والغَمْغَمةُ: أن تسمع الصوتَ ولا يَتَبَيَّنَ لك تقطيعُ الحروف. والطَّمْطَمَةُ: أن يكونَ الكلام مُشْبِهًا لكلامِ العجمِ. واللُّكْنَةُ: أن تَعْتَرِضَ على الكلامِ اللغة الأعجميةُ. وسَنُفَسِّرُ هذا بحججه حرفًا حرفًا، وما قيل فيه، إن شاء الله. واللُّثْغَةَ: أن يُعْدَل بحرف إلى حرف. والغنَّةُ: أن يُشْرَبَ الحرفُ(٢) صوتَ الخَيْشُومِ. والخُنَّةُ: أشدُّ منها. والتَّرْخيمُ: حَذْفُ الكلامِ، يقالُ: رجلٌ فأفاءٌ يا فَتَى! تقديرُه «فَاعَالٌ» ونظيرُه من الكلامِ: سَاباطٌ وخاتام، قال الراجزُ:

يامَىَّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ أَخَذْتِ خَاتَامِى بِغَيْرِ حَقِّ(٢)

[لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم]

وقال رَبيعة الرَّقِّىُّ فى مَدْحه يزيدَ بنَ حاتِم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّب وربيعةُ احتجَّ به الأصمعىُّ ـ وذَمِّه يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِىَّ:

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدَيْن فى النَّدَى يزيدُ سُلَيْمٍ والأغرُّ بنُ حاتِمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأزْدِىِّ إتْلافُ ماله وهَمُّ الفتى القَيْسىِّ جمعُ الدَّراهِمِ
فلا يَحْسبِ التَّمْتَامُ أَنِّى هَجَوْتُه ولكنَّنى فَضَّلْتُ أهلَ المَكارِمِ

(١) تكملة من س..
(٢) زيادات ر: كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى، والصحيح أنه بالهمز على «فعلال» مثل «خضخاض»، و«قمقام»، فالذى حكى أبو العباس غلط؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: ليس فى الصفات «فاعال». قال أبو الحسن. يقال: «خانم» على وزن «دانق» و«خاتم» على وزن ضارب، و«خيتام» على وزن «ديان» و«خاتام» على وزن «ساباط».

وقال آخرُ أيضًا:

ليس بفَأْفَاءِ ولا تَمْتَامِ ... ولا مُحِثَّ سَقِطِ الكلامِ

وقال الشاعرُ:

وقد تَعْتَرِيه عُقْلَةٌ فى لسانِه ... إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غَيْرَ قريبِ

وزعم عمرُو بن بحرٍ الجاحظُ عن محمد بن الجهْمِ قال: أقبلت على الفكْرِ فى أيامِ محاربة الزُّطِّ، فاعتَرَتْنى حُبْسةٌ فى لسانى، وهذا يكونُ لأنَّ اللسانَ يَحْتَاجُ إلى التَّمْرينِ على القولِ، حتى يَخِفَّ له، كما تحتاجُ اليد إلى التمرينِ على العملِ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْى، وكما يعانيه مُوَتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلُبَ ويشتدُّ، قال الراجزُ:

كأنَّ فيه لَفَفًا إذا نَطَقْ ... مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

وقال ابنُ المُقفَّع: إذا كَثُرَ تقليبُ اللسان رَقَّتْ جوانبُه ولانَت عَذَبَتُهُ.

وقال العتَّابىُّ: إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدت عليه مَخارِجُ الحروف.

وأما الرُّتَّةُ فإنها تكونُ غَرِيزة، قال الراجزُ:

* يأَيُّهَا الخَلِّطُ الأرتُّ *

ويقال: إنها تكثُر فى الأشْرَافِ، ولم تُوجدْ تَخْتَصُّ واحدًا دون واحد.

وأما الغَمغَمةُ فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِه، لأنه صوتٌ لا يُفْهَمُ تقطيعُ حروفِه.

[أفصح الناس]

وحدثنى مَنْ لا أُحْصِى من أصحابنا عن الأصْمَعِىِّ عن شُعبة عن قتادةَ، قال: قال معاويةُ يومًا: مَنْ أَفْصَحُ الناس؟ فقام رجلٌ من السِّماط فقال: قومٌ تَباعَدُوا عن فُرَاتِيَّة العراق، وتَيَامَنُوا عن كَشْكَشَة تَميمٍ، وتَيَاسَرُوا عن كَسْكَسَة بكْرٍ، ليس فيهم غَمْغَمَةُ قُضاعةَ، ولا طُمْطُمَانِيَّةُ حَمْيَرٍ. فقال له معاوية: مَنْ أُولئكَ؟ فقال: قَوْمى يا أَميرَ المؤمنين، فقال له معاويةُ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رجلٌ من جَرْمٍ. قال الأصمعىُّ: وجَرْمٌ من فُصَحَاءِ الناسِ.

قولُه: «تَيامَنُوا عن كشكشة تَميمٍ»، فإنَّ بنى عَمرِو بنِ تَميمٍ إذا ذَكرتَ كافَ المؤنَّث فوقفتْ عليها أبْدَلَتْ منها شينًا، لقرْبِ الشين من الكاف فى المَخْرَجِ، وأنها مهموسةٌ مثلَها، فأرادُوا البيانَ فى الوقف، لأنَّ فى الشِّين تَفَشِّيًا، فيقولون للمرأة: جَعَلَ الله لك البركةَ فى دَارِشْ، وَيْحَكِ مالَشْ، والتى يُدْرِجُونها يَدْعُونَهَا كافًا، والتى يَقعُون عليها يُبْدلونها شينًا.

وأما بكْرٌ فتختلفُ فى الكسكسة، فقومٌ منهم يُبْدلون من الكاف سينًا، كما يفعلُ التميميون فى الشين، وهم أقلُّهم، وقَوْمٌ يُبِيِّنُونَ حركة كافِ المؤنَّثِ فى الوقْفِ بالسين، فيزيدونَها بعدَها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِسْ.

أما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك.

وقال الهاربُ[1] لامرأته يومَ الْخَنْدَمَةِ، وذاكَ أنها نَظَرَتْ إليه يَحُدُّ حَرْبَةً فى يوم فتح مكةَ، فقالتْ: ما تَصْنَعُ بهذه؟ قال: أَعْدَدْتُها لمحمد وأصحابه، فقالت: والله إنْ أَراهُ يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شىءٌ، فقال لها: إنِّى لأرْجو أن أُخْدِمَكِ بعضهم، وأنشأَ يقولُ:

إنْ تُقْبِلُوا فَمَا بِىَ عِلَّه ... هذا سلاحٌ كاملٌ وأَلَّهْ

* وذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّة *

الأَلَّةُ: الْحَرْبَة، والغَرارُ هاهنا: الْحَدُّ، يعنى «بذى غرارين» السَّيْفَ.

فلمَّا لقيَهم خالدٌ يَوْمَ الْخَنْدَمَة انهزَم الرجلُ، فَلامَتْهُ امرأتُه، فقال:

إنَّك لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ ... إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وفَرَّ عِكْرِمَهْ

ولحِقَتْنا بالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ ... يَفْلقْنَ كلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ

ضَرْبًا ولا تَسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ ... لهم نَهِيتٌ[2] حولَنا وَجَمْجَمَهْ

* لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أَدْنى كَلِمَهْ *

---

(١) زيادات ر: «الهارب هو أبو عثمان الهذلى»، ويقال له الرعاش، ويقال إن الرجز المذكور بعد هذا لحماس ابن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة، أنشده له أبو إسحاق، والخندمة: جبل دخل منه النبى ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل: الخندمة مشى فيه إسراع، فأضيف إلى اليوم لما كثر فيه.

(٢) النهيت: صوت الأسد دون زئيره.

وأما الطُمْطُمَانِيَّةُ، ففيها يقولُ عَنْترةُ:

تبْـرِي لــه حُـولُ النَّعَـامِ كــأنَّهَـاَ   حِـزَقٌ يمــانِيَـةٌ لأَعْـجَـمَ طِمْطِمِ

وكــان صهُـيَبٌ أبو يحـيى صـاحِبَ رسول الله ﷺ يرْتَضِخُ لُـكْنَةً رُوميَّـةً، ويَذْكرون أنَّ نَسَبَهُ فى النَّمرِ بين قاسط صحيحٌ.

وقد قـال رسولُ الله ﷺ: «صُهَـيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ، وسلْمَانُ سـابِقُ الفُرْسِ، وبِلال سابقُ الحَبَشَةِ».

وقال عمـرُ لصهيْب فى قوله: إنه من النَّمـرِ بن قاسط: قد سمـعتَ ما قال رسولُ الله ﷺ فيـمن انْتَمى إلى غيرِ نَسَـبِهِ، فقال صهـيبٌ: أنا مِنْ القَوْمِ، ولكِنْ وَقعَ علىَّ سِباءٌ.

وكان عَبْدُ بَنِى الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشيةً، فلما أنشدَ عمرَ بن الخَطَّاب:

عَـمْيـرةَ وَدِّعْ إنْ تَجَـهَّزْتَ غـاديَا   كفى الشيبُ والإسـلامُ للمرءِ ناهِيَا

فـقال عـمرُ: لو كنتَ قَـدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّـيبُ لأَجَزْتُكَ، فـقال: مـا سَعَرْتُ، يريدُ: ما شَعَرْتُ.

وكان عُـبَيْدُ الله بن زِيَادٍ يرتضخُ لُكنةً فـارسية، وإنما أَتَتْه مِنْ قِـبَلِ زوج أمه شيرَوَيْه الإِسْوَارِىِّ.

ويقالُ: إن علياً عليه السلام عادَ زيَادًا فى منزل شيرَوَيْه، فقال عبيدُ الله يومًا لرجل كلَّمه فَظنَّ به رأْىَ الخوارجِ[1]: أهَرُورِىٌّ مُنْذ اليومِ؟ يريدُ: أَحَرُورِىٌّ، وهذه الهاء تَشْتَرِك فى قلبها من الحاء أصنافٌ من العجَم.

وكان زيادٌ الأعْـجَمُ ـ وهو رجلٌ من عَبْدِ القَـيْسِ ـ يَرْتَضِخُ لُكْنةً أعجمـيَّةً، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قَوْمٍ بأعيانهم من العجم.

وأنشدَ المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرةَ فى مَدْحه إياهُ:

فتًى زَادَه الـسُّلْتَانُ فى المدحِ رَغْبة   إذا غَـيَّــرَ السُّلْتــانُ كل خـليلِ

(١) زيادات ر، «الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانىء بن قبيصة».

يريد «السلطان»، وذلك أن بين التـاء والطاء نَسَبًـا، فلذلك قَلَبَـها تاءً؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فقال: «السُّلْتَان».

أمَّا الغُنَّةُ، فَتُسْـتَحْسَنُ من الجارية الحديثة السِّنِّ، لأنهـا مالم تُفْرِطْ تَمِيلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمَةِ، قال ابنُ الرِّقَاعِ العامليُّ يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها:

تُزْجِـي أغَنَّ كــأَنَّ إبْرَةَ رَوقِــهِ ... قَلَم أصــابَ من الدَّوَاةِ مِـدَادَهَا

بابـ

[لمحمد بن عبد الله الثقفى]

قال محمدُ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ:

لم تَرَ عَيْنِى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ من التَّنْعِيم مُعْتَجِرات
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً ... يُلَبِّينَ للرَّحمن مُؤْتَجِرَات
تَضَوَّعَ مسكًا بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِرات
وقامتْ تَرَاءى يومَ جَمْعٍ فأَفْتَنَتْ ... برؤيتها مَنْ راح منْ عَرفات
ولَمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرضتْ ... وكنَّ منَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذرات
دَعَتْ نسوةً شُمَّ العَرانين بُدَّنًا ... نَوَاعِمَ لا شُعْثًا ولا غَبِرات(١)
فأدْنَيْنَ لَمَّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونَها ... حجابًا من القَسِّيِّ والْحَبَرَات
أَحَلَّ الَّذى فوقَ السَّمَاوَات عرشُهُ ... أَوَانسَ بالبَطْحاء مُعْتَمِرَات
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ مِن التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيلِ مُخْتَمِرات

قولُه: «مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ»، هو القطْعة من النِّساءِ، أو من الظِّباءِ، أو من البقَر، أو من الطَّير، كما قال:

لم تَرَ عَيْنِى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقفِ

فهذا يعنى نساء(٢)، ويقال: مَرَّت بنا سُرْبةٌ من الطَّير، فى هذا المعنى، قال ذُو الرُّمَّة:

سِوَى ما أصاب الذِّئْبُ منه وسُرْبةٌ ... أطافتْ به مِنْ أُمَّهَات الجوَازِل

ويقالُ: فلانٌ واسعُ السَّرْبِ، يعنى بذلك الصَّدْرَ، ويقال: خلِّ لفلانٍ سَرْبَهُ، أى طريقَه الذى يَسْرُبُ فيه، ويقالُ للإبل كذلك بالفتح: لأذْعَرَنَّ سَرْبَكَ.

ويقالُ: حَذِراتٌ، وحَذِرَاتٌ، ويَقِظٌ، ويَقُظٌ، قال ابنُ أَحْمَرَ:

هل يُنْسِئَنْ يَوْمِى إلى غَيْرِهِ ... أنى حَوَالِيٌّ وأَنِّى حَذِرُ

---

(١) زيادات ر، «ولا غفرات»، بالفاء أخت القاف، من الغفر وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين؛ يقال: غفرت المرأة إذا نبت لها ذاك الشعر».

(٢) زيادات ر، «القطيع من السباع يقال له سرب، قاله ابن جنى، وكذا من الماشية كلها».

وقوله:

* وكنَّ منَ أَنْ يَلْقيْنَهُ حَذِرات *

الأصلُ «منَ أن يلقينه» ولكنَّ الهمزةَ إذا خُففَتْ وقبلَها ساكنٌ ليس من حروف اللِّين الزوائد، فتخفيفُها ـ متصلة كانت أو منفصلةٌ ـ أن تُلْقى حركتَها على على ما قبلَهَا وتَحْذفَها، تَقول: مَنَ ابوك؟ فتفتحُ النُّونَ وتحذفُ الهمزةَ، ومَنِ اخْوَانُك؟، ومَنُ أمُّ زيد؟ فَتضمُّ النونَ وتَكْسرُها وتَفتحُها، على ما ذكرتُ لك، وتقولُ: ﴿الَّذى يُخْرِجُ الْخَبَّ فى السَّموَات﴾[1] وفلانٌ له هيَةٌ، وهذه مَرَةٌ، إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ فى «الْخَبْء» وَ«الهَيْئَة» و«المرأَة»، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿سَلْ بَنى إسْرائيل﴾[2] لأنهَا كانت «اسأل» فلمَّا حُرِّكَتْ السينُ بحركة الهمزة سَقَطَتْ ألفُ الوصْلِ، لتَحرُّك ما بعدها، وإنما كان التخفيفُ فى هذا الموضع بحذف الهمزة؛ لأن الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ قَرُبَتْ من الساكن، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدَأ إلاَّ مُحَقَّقَةً، كما لا يُبْتَدَأْ إلاَّ بمتحرِّك، فلما الْتَقَى الساكنُ وحروفٌ تجرى مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منها، كما تَحْذف لالتقاء الساكنَيْن.

وقولُه: «دعَتْ نِسوةً شُمَّ العَرانين»، الشماء السائغَةُ الأنفِ والمصدرُ الشَّمَمُ.

وقال أحد الشعراء يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاس:

نَجَوْت منْ حِلٍّ وَمِنْ رِحْلَة ... يَا نَاقَ إنْ قَرَّبتنى منْ قُثَمْ
إنَّك إنْ قَرَّبْتِنَيه غَداً ... عاشَ لَنا اليُسْرُ وَمَاتَ العَدَمْ
فى باعِه طَولٌ وفى وجهِه ... نُورٌ وفى العِرْنين منهُ شَمَمْ
لم يَدْرِ مَا «لاَ» و«بَلى» قَدْ دَرَى ... فعافَها واعْتَاضَ منه «نَعَمْ»

قال أبو الحسن: أنشدنيه أبى لسليمانَ بن قَتَّةَ، وزادنى:

أَصَمُّ عن ذكْرِ الْخَنَا سَمْعُهُ ... ومَا عَنِ الْخَيْرِ به مِنْ صَمَمْ

والعِرْنينُ والمَرْسنُ والأَنْفُ واحدٌ، لمَا يُحيط بالجميع.

والبُدَّنُ: واحدُها بادِنٌ كقولك: شاهدٌ وشُهَّدٌ، وضامِرٌ وضُمَّرٌ، وهو العظيمُ

---

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢١١.

البَدَن، يقالُ: بَدُنَ فلانٌ، إذا كثر لحمُه، وبَدَّنَ، إذا أسنَّ. وفى الحديث عن رسول الله ﷺ: «إنى قد بَدَّنْتُ، فلا تَسبِقُونى بالركوع والسجود(١)».

والأشْعَثُ والشَّعْثَاءُ: الخاليانِ من الدُّهْنِ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يَتَمَثَّلُ:

مَنْ كان حينَ تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه ... أو الغُبَارُ يخَاف الشَّيْنَ والشَّعَثَا
ويَأْلَفُ الظِّلَّ كَىْ تَبْقَى بَشَاشَتُه ... فسوفَ يَسكُنُ يومًا راغِمًا جَدَثَا

[قال أبو الحسن، وزادَنى أَبى:

فى بَطْنِ مُظْلِمَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ ... كيْما يُطيل بها فى بطنها اللَّبَثَا
تَجَهَّزِى بجَهَازٍ تَبْلُغِينَ به ... يا نَفْس واقْتَصِدِى لم تُخْلَقِى عَبَثَا]

[لعمر بن أبى ربيعة فى أم عمر بنت مروان]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعة(٢): ونَظَرَ إلى أُم عمرَ بنت مَرْوانَ بن الحكَم، وكانتْ صارتْ إليه متنكِّرَةً، فَرَأَتْهُ وقَضَتْ من مُحادثته وَطَرًا، ثم انصرفتْ، فلما رجعَتْ منْ منًى عرفَهَا، فعلمتْ ذلك، فبعثَتْ إليه: لا تَرْفَعْ بى صوتًا، وأهدتْ له ألفَ دينار، فاشترَى بها عطْرًا وبزًّا وأهداهُ لها، فأَبَتْ أن تَقْبَلَه، فقال: إذًا والله أُنْهِبَهُ فيكونَ أَذْيَعَ له فقبلَتْه، وفى ذلك يقولُ:

وكَمْ منْ قَتيلٍ لا يُبَاءُ به دَمٌ ... ومن غَلَقٍ رَهْنًا إذا ضَمَّهُ منىً
وكَمْ مَالِىءٍ عينيه منْ شَىْءِ غيْرِه ... إذا راح نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى
يُجَرِّرْنَ أذْيالَ المُرُوطِ بأَسْوُقٍ ... خِدَالٍ إذا ولَّيْنَ أعجَازُها روَى
أوانسُ يَسْلُبْنَ الْحَلِيمَ فُؤَادَهُ ... فَيَا طولَ ما حزْنٍ ويا حُسْنَ مُجْتَلَى!
فلمْ أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كَلَيَالِى الْحجِّ أفتَنَّ ذا هَوَى

وفيها أيضًا يقول:

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتكارا ... قد قَضَى من تِهامةَ الأوْطارَا
لَيتَ ذا الحَجِّ كان حَتْمًا علينا ... كلَّ شَهْرَيْنِ حِجَّةً واعْتِمارَا

(١) زيادات ر: «من رواه: «بدُنت»، بضم الدال فقد أخطأ؛ لأن «بدن» بمعنى ضخم، ولم يكن من صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم، ولكنه الرجل بين الرجلين، ومعنى «بدن» بالتشديد، أسن.

(٢) ر: «عمر بن أبى ربيعة» وما أثبته عن الأصل، س.

قوله:

* وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ *

يقولُ: لا يُقادُ به قاتلُهُ، وأصلُ هذا أنه يقال: أبَأْتُ فلانًا بفلان، فباء به، إذا قتلْتَه به، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاَّ والثانى كُفء للأوَّل. فمن ذلك قولُ مُهَلْهِلِ ابن ربيعةَ، حيثُ قَتَلَ بُجيرَ بنَ الحارث بن عُبَاد، فقيلَ للحارث - ولم يكنْ دَخَلَ فى حربهم: إنَّ ابنَك قُتلَ، فقال: إنَّ ابنَى لأعظَمُ قتيلٍ بركةً، إذْ أَصلَحَ اللهُ به بَيْنَ ابْنَى وَائلٍ، فقيلَ له: إنه لَمَّا قُتِلَ قالَ مُهَلْهِلٌ: بُؤْبِشسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ[١]، فعندَ ذلك أدْخل الحارثُ يدَه فى الحرب، وقال:

قَربَا مَربْطَ النَّعَامَةِ مِنِّى ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[٢]
لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتِيلاً ولاَ رَهْـ ... ـطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلاَلِ
لم أكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ ... وإِنِّى بِحَرِّهَا اليومَ صَالِى

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّةُ:

فَإِنْ تكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فَإنكم ... فَتًى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بن عَامِرِ

وقال التَّغْلَبىُّ[٣]:

ألا تَنْتَهِى عَنَّا مُلُوكٌ وتَتَّقى ... مَحَارِمَنَا لا يَبْؤُ الدَّمُ بالدَّمِ

ويقالُ: بَاءَ فلانٌ بذَنْبِه، أى. بَخَعَ به وأقرَّ، قال الفرزدقُ لمعاويةَ:

فلو كان هذا الحكمُ فى غير مُلْكِكُم ... لبُؤْتُ به أوْ غَصَّ بالماء شَارِبُه

ويقالُ: باءَ فلانٌ بالشىء، من قولٍ أو فعلٍ، أى احتمله فَصَارَ عليه.

وقال المفسِّرون فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿**إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وإِثْمِكَ**﴾[٤]، أى يَجتمعَا[٥] عليك فَتَحْمِلهما.

---

(١) الشسع: الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها.

(٢) مربط: اسم مكان الربط، والنعامة: اسم فرسه.

(٣) هو جابر بن حنى؛ وفى ر: «عمر بن حبى»، وهو خطأ صوابه من الأصل، س.

(٤) سورة المائدة ٢٩.

(٥) كذا فى الأصل، ر، وفى س: «يجتمعان».

وأما قولُه: «ومنْ غَلق رَهْنٍ[(١)]» فَمنَ جَرَّ فهـو منْ قولهم: رَهْنٌ غَلَق، فلما قَدَّمَ النعـتَ اضطراراً أَبْدَلَ منه المنعوتَ، ولو قـال: «ومنْ غَلقٍ رَهْنًا» فنصَبَ على الحال من المعرفة بَقِيَ الاسمُ المضمَرُ فى «غَلقٍ».

وقولُه: «إذا ضَمَّهُ منًى» فإنما سُمِّـيَتْ «منًى» لما يُمْنَى فيها من الدَّم، يقالُ فى المنىِّ - وهى النُّطْفَة - مَنَى الرجلُ وأمْنَى، والقراءةُ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ﴾[(٢)]. ويقالُ: مَذَى الرجلُ وأَمْذَى، ووَدَى وأَوْدَى، فقولهم: وَدَى، يعنى البِلَّةَ[(٣)] التى تكونُ فى عَقبِ البَوْلِ كالَمْذِى، وأمَّا المذى فيَعْتَرِى من الشَّهْوَةِ والْحَرَكةِ.

وقال علىُّ بن أبى طالب رحمه الله: كلُّ فَحْلٍ مَذَّاءٌ.

ومن كلامِ العَـربِ: كلُّ فحلٍ يَمْـذِى وكلُّ أُنْثَى تَقْذِى، وهو أن يكـونَ منها مثلُ المَذْى، والـ «مَنَى» موضعٌ آخرُ، يقالُ: مَنَى اللهُ لك خيرًا، أى قدَّر لك خيراً، ويقال: منَى اللهُ أَنْ أُلْقَى فلانًا، أى قَدَّرَ، والمَنِيَّةُ منْ ذَا، يقال: لَقِيَ فلانٌ مَنِيَّتَه، أى ما قُدِّرَ له من الموت، فأمَّا المَنِيئَةُ (بالهمز) فهى المَدْبَغَةُ، وهى المكانُ الذى يُدْبَغُ فيه.

وقولُه:

* إذا راح نحوَ الجَمَرَةِ البيضُ كالدُّمَى *

الجمرةُ إنما سُمِّيَتْ لاجتماعِ الْحَصَى فيها، ومنَ ثَمَّ قيلَ: لا تجمِّرُوا المسلمين فتَـفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نسـاءَهم، أى لا تجمَعُـوهم فى المَغَازِى، والتَّجـميرُ التَّجـميعُ. وكذلك قـيل فى جَـمَرَات العـرب. وهم: بنو نُمَـير بـن عـامـر بـن صَعْصَـعَةَ، وبـنو الحارث بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْد، وبنو ضَـبَّةَ بن أدِّ بن طَابخَةَ، وبنو عَبْسٍ ابن بغيض ريْث. لأنهم تجَمَّعُوا فى أنفسهم ولـم يُدْخلُوا معهم غيرهم. وأبو عُبيدةَ لم يعْدُدْ فيهم عَبْسًا فى كتاب «الديبـاجِ» ولكنه قال: فَطَفِئَتْ جَمْرَتان، وهما بنو ضَبَّةَ - لأنها صـارَتْ إلى الرِّباب فحـالفَتْ - وبنو الحارث، لأنها صـارتْ إلى مَذْحِجٍ، وبَقِيَتْ بنو نُمَيْرٍ إلى الساعة، لأنها لم تُحالفْ، وقالَ النُّمَيرىُّ يُجيبُ جريراً:

نُمَـيْـرٌ جَـمْـرَةُ الـعَـرَبِ التى لم ... تَزَلْ فى الحـرْب تلْتَـهِب الْتِـهَـابَا
وإنِّى إذْ أسُـبُّ بهــا كُـلَيْــبًــا ... فَـتَـحْـتُ عليـهمُ لِلْخَـسْفِ بَابَا

(١) رسمت فى ر، وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان.

(٢) سورة الواقعة ٥٨.

(٣) زيادات ر: «بكسر الباء رواية عاصم، وبفتحها رواية ابن سراج».

وقال فى هذا الشعر:

ولولا أنْ يقـــالَ هَجَــا نُمَــيْــرًا ... ولم تَسْــمَعْ لشــاعـرِها جَــوَابَا
رَغِــبْنَا عــن هِجَــاءِ بنى كُــلَيْبٍ ... وكــيفَ يُشَــاتِمُ الناسُ الـكِلاَبَا!

[لعمر بن أبى ربيعة فى الثريا بنت على]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبِيعَةَ:

لَيْتَ شِـعْـرِى هـلْ أقُـولَنْ لِرَكْبٍ ... بفَــلاَةٍ هُمْ لديـهــا هُجُـــوعُ
طالما عَـــرَّسْــتُمُ فَــاسْــتَــقِلُّوا ... حَــانَ من نَجْمِ الـثُّــرَيَّا طُـلوعُ
إنَّ هَمِّــى قَـــد نَفَــى النَّومَ عَـنِّى ... وحَـــــديثُ الـنـفسِ شَــىءٌ وَلُوعُ
قَــال لى فِــيـهـا عَــتـيقٌ مَـقَـالاً ... فَــجَــرَتْ مِمَّا يَـقُــولُ الدُّمُـــوعُ
قَــال لى: ودِّعْ سُلَيْـمَى، وَدَعْهَـا ... فَــأَجـابَ القَـلْبُ: لا أسْـتَـطيعُ
لا تَلُمْنِى فــى اشْـتِـيَـاقِى إليــهــا ... وابْـكِ لى مِمَّـا تُـجِـنُّ الضُّـلُـوعُ

قولَه:

* حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلوعُ *

كنايةٌ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنت علىٍّ بن عـبد الله بن الحارث بن أُمَيَّـةَ الأصغَر، وهُـم العَـبَلاَتُ، وكـانت الثريا وأختُها عـائشةُ أَعْتَـقَتَـا الغَـرِيضَ المُغَنِّى، واسمُـه عـبـدُ الملك، ويُكْنَى أبا يزيدَ، ويقـولُ إسـحـاق بن إبراهيمَ المُوصِلىُّ: إنما سُـمِّىَ الغَرِيضُ بالطَّلْع؛ لأن الطَّلْعَ يـقالُ له الإغرِيضُ، وليس هو عندى كمـا قال، وإنما سُمِّى الغَـرِيضَ لطَرَاءَته، يقال: لَحْمٌ غَـرِيضٌ. وكانت الثُّرَيَّا مـوصوفة بالجَـمال، وتَزَوَّجها سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ الزُّهْرِىُّ، فَنَقَلَها إلى مصرَ، فقال عمرُ، يَضْرِبُ لهما الْمَثَلَ بالكَوْكَبَيْن:

أَيُّهَـــا الْمُنْكِحُ الثُّــرَيَّا سُــهَـيْــلاً ... عَـمْـرَكَ اللهَ، كـيفَ يَلْتَـقِـيَـان!
هى شَـامِـيَّـةٌ إذا مــا اسْـتَـقَلَّتْ ... وسُـهَــيْلٌ إذا اسْــتَـقَلَّ يَمَــانِى

وقولُه:

* قال لى فيها عَتِيقٌ مَقَالاً *

يَزْعُمُ الرواة أَنَّ كلَّ شىءٍ ذَكَرَ فيه عَتِيقًا أو بكْرًا فإنما يَعْنِى ابنَ أَبى عَتِيقٍ.

[طرف من أخبار ابن عتيق]

وكان ابنُ أبِي عتيق من نُسَّاك قريشٍ وظُرَفائهم، بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفًا، وله أخبارٌ كثيرةٌ، سَيَمُرُّ بعضُها فى الكتابِ، إنْ شاء اللهُ.

* * *

فَمِنْ طَرِيفِ أخباره أنهُ سَمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابن أبى ربيعةَ:

فَمَا نِلْتُ منها مَحْرَمًا غيرَ أَنَّنَا كِلاَنَا من الثَّوْبِ الْمُطَرَّفِ لابس

فقال: أَبِنَا يَلْعَبُ ابنُ أبى ربيعةَ! فأَىُّ مُحَرَّمٍ بَقِىَ! فركبَ بغلتَه متوجهًا إلى مكة، فلما دَخَل أنْصَابَ الحَرَم، قيل له: أَحْرِمْ، قال: إن ذا الحاجة لا يُحْرِم، فَلقِىَ ابنَ أبى ربيعةَ فقال: أَمَا زعمتَ أنك لم تَرْكَبْ حرامًا قَطُّ! قال: بَلَى، قال: فما قولُك:

* كِلاَنَا من الثَّوْبِ الْمُطَرَّفِ لابس *

فقال له: إذًا أخبرِكَ! خرجَتْ بعلَّة المسجد، فصرنا إلى بعض الشعَاب، فأخذَتْنا السماء، فأمَرْتُ بمُطْرَفِى فَسَتَرَنَا الغِلْمانُ به، لئلاَّ يَرَوْا بها بلَّةً فيقولوا: هلاَّ استَتَرَتْ بسقائفِ المسجدِ! فقال له ابنُ أبى عتيق: يا عَاهِرُ! هذا البيتُ يَحْتَاجُ إلى حاضِنَةٍ.

* * *

وهو الذى سَمِع قولَ عمر بن أبى ربيعةَ:

مَنْ رَسُولى إلى الثُّرَيَّا بِأَنِّى ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتَابِ!

فلبسَ ثيابَه وركبَ بغلتَه وأَتَى بابَ الثُّرَيَّا، فاستأذنَ عليها، فقالتْ: واللهِ ما كنتَ لنا زَوَّارًا، فقال: أَجَلْ، ولكنِّى جئتُ برسالةٍ، يقولُ لكِ ابنُ عمِّكِ عُمَرُ بن أبى ربيعةَ:

* ضِقتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتَابِ *

فلامَهُ عمرُ، فقال له ابنُ أبى عَتيق: إنما رأيتك مُتَلَدِّدًا تلتمسُ رسولا، فخففتُ فى حاجَتِك، فإنما كان ثوابى أن أشكرَ.

* * *

ومن طَرِيف أخبـاره أن عائشـةَ بنتَ طلحةَ عَتَـبَتْ على مُصْـعَبِ بن الزُّبير فَهجَرَتْهُ، فقال مصعبٌ: هذه عشَرَةُ آلافِ درهمٍ لمنِ احتَالَ لى أن تُكلِّمَنى، فقال له ابنُ أبى عتيق: عَدِّلِ المالَ، ثم صار إلى عائشةَ، فجعلَ يَسْـتَعْتِبُها لمصعب، فقالت والله ما عَزْمِى أن أكلمه أبدًا. فلما رأَى جدَّها قال لها: يا بنتَ عَمٍّ، إنه قد ضمِنَ لى إِنْ كلَّمْتِه عشَرَةَ آلافِ درهمٍ. فكلِّميه حَتَّى آخذَها، ثم عُودِى إلى ما عوَّدَكِ اللهُ.

* * *

ومن أخبـارِه أَنَّ مَرْوانَ بنَ الحكَـم قال يومًا: إنِّـى لَمَشغـوفٌ ببغلـة الحسنِ رحمهما الله، فقال له ابنُ أبى عتـيق: إن دَفَعْتُها إليك، أتقْضى لى ثلاثين حاجةً؟ قال: نعم، قـال: إذا اجْتَمَـعَ الناسُ عندك العَشِيَّـةَ إنى آخُذُ فى مَـآثِر قُرِيش، ثم أُمْسِك عن الحـسنِ، فَلمْنى على ذلك، فلمَّا أَخذ الناسُ مـجالسَهم أَخَـذَ فى مآثِرْ قريش، فقـال له مروانُ: ألا تَذْكُرُ أوَّلِيَّةَ أبى محمـد، وله فى هذه ما ليسَ لأحَدَ؟ فقال: إنما كُنَّا فى ذكْـرِ الأشراف، ولو كُنَّا فى ذكر الأنبياء لقَدَّمْنَا مـا لأبى محمدً! فلمَّا خـرجَ الحسنُ ليركبَ تَبِـعَهُ ابن أبى عتـيق، فقال له الحـسنُ ـ وتبَسَّمَ ـ: أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال: ذكرتُ البغلة، فنزل الحسنُ ودفعَها إليه.

* * *

ومنْ طَرِيف أخبـاره أَنَّ عثـمانَ بنَ حَيَّـانَ المرىَّ لَمَّا دخلَ المدينةَ واليًا عليـها اجتمعَ الأشرافُ عليه من قريشٍ والأنصـارُ، فقالوا له: إنك لا تَعْمَلُ عملا أَجْدَى ولا أَوْلَى من تحريمِ الغنَاء والرِّثاء، فَـفَعَلَ، وأجَّلَهُم ثلاثًا، فقدَمَ ابنُ أبى عـتيق فى الليلة الثالثة، فَحَطَّ رَحْلَهَ بباب سَلاَمـةَ الزَّرْقاء، وقال لها: بَدَأْتُ بك قبل أن أصيرَ إلى منزلى، فقـالت: أَوَ ما تَدْرى ما حَـدثَ؟ وأخبرَتْه الخـبرَ، فقال: أقـيمى إلى السَّحَرَ حَتَّى ألقاه، فقالت: إنا نَخافُ ألا تُغنِّىَ شيئًا ونُنْكَظَ(١)، فقال: إنه لا بأسَ عليكِ، ثم مَضَى إلى عثمـانَ فاستأذنَ عليه، فأخبره أَنَّ أَحَبَّ مـا أَقْدَمَهُ عليه حُبُّ التسليم عليه، وقال له: إنَّ منْ أفضـلِ ما عَملْتَ به تحريم الغنَاء والرِّثاء. قال: إنَّ أَهْلَكَ أشاروا علىَّ بذلك، قال: فإنك قد وُفِّقْتَ، ولكنِّى رسولُ امرأَة إليكَ تقول: قد كانت هذه صِنَاعَـتى فتُبْتُ إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأمـيرُ ألا تحُولَ بينَها

(١) زيادة ر: «تعنى تنالنا شدة».

وبينَ مجاورةِ قـبرِ النبيِّ ﷺ، فقال عـثمانُ: إذَنْ أدَعَها لك، قـال: إذَنْ لا يَدَعها الناسُ، ولكن تَدْعُو بها فنَنْظُرُ إليـها، فإن كان ممَّنْ يُتْرَك تَرَكْتَهـا، قال: فادْعُ بها، قال: فـأمَرَها ابن أبى عتيقٍ فـتَقَشَّفت، وأخَـذَتْ سُبْحَةً فى يدها، وصـارتْ إليه، وحَدَّثَتْهُ عن مآثر آبائه، فَفَكِهَ لها. فقال لها ابنُ أبى عتيق: اقرئى للأمير، ففعلتْ، فأُعْجِب بذاك، فـقال لها: فاحْدى للأميـر، فَحرَّكه حُدَاؤُها، ثم قال لهـا: غيِّرى للأمير، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ، فقال له ابنُ أبى عتيق: فكيفَ لو سمعتَها فى صناعتها! فقال: قُلْ لها فَلْتَقُلْ، فأمَرَها فتَغَنَّتْ:

سَـدَدْنَ خَصَـاصَ الخَـيْمِ لَمَّا دَخَلْنَه ... بكـلِّ لَبَـانٍ واضِحٍ وجَـبِينِ

فنزل عثمانُ بن حَيَّـانَ عن سريره حَتَّى جلس بين يديها، ثم قال: لا والله، ما مِثْلُكَ يُخْـرَجُ عن المدينة! فقال له ابنُ أبى عتيق: إذَن يقـولُ الناسَ أَذِنَ لِسَلاَمَةَ فى المَقَامِ ومَنعَ غيرَها! فقالَ له عثمانُ: قد أذِنتُ لهم جميعًا.

[لابن نمير الثقفى]

وقال ابنُ نُمَيْر الثَّقَفىُّ:

أَشَـاقَـتْكَ الظَّعَـائِنُ يَـوْمَ بانُوا ... بذى الزِّىِّ الجَـمِـيلِ من الأثَاثِ
ظعـائـنُ أُسْلِكَتْ نَـقْبَ المُنَـقَّى ... تَحُثُّ إذا وَنَتْ أيَّ احْـتِـثَـاثَ
كـأنَّ على الظَّعـائِنِ يَـوْمَ بَانُوا ... نعَـاجًـا تَرْتَعى بَقْـلَ البِـرَاثَ
يُهَـيِّـجُنى الحَـمـامُ إذا تَـغنَّى ... كَـمـا سَـجَعَ النَّوائحُ بـالمَرَاثِى

قولُه: الظعائنُ» واحدتها ظَعينةٌ، وإنما قيلَ لها: ظَعينةٌ، وهم يريدون مَظْعُونًا بها، كقـولك: قتيلٌ، فى معنى مـقتول، ثم استُـعمل هذا وكَثُرَ حتى قـيل للمرأة المقيمة: ظعينةٌ.

وقوله:

* بِذى الزِّىِّ الجميلِ من الأثَاثِ *

هى الروايةُ الصحيحـة، وقد قيلَ بذى «الرِّىِّ الجميلِ» واستَـهْوَاهُمْ إليه قولُ الله جلَّ ثناؤُه: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِيًّا﴾(١) فالأثاثُ مَتَاعُ البيت، والرِّى ما ظَهَرَ من

(١) سورة مريم ٧٤.

الزِّينة، وإنما أُخذَ من قـولك: رَأَيتُ، فالرِّيُّ غيـرُ الأثاث والزِّيِّ من الأثاثِ، فمن هاهنا غلطوا.

وقولُه: «أُسْلكَتْ نَقْبَ المنَقَّى»، فالمُنَقَّى مـوضعٌ بعينه، والنَّقب: الطريقُ فى الجبل، والخلُّ: الطَّريقُ فى الرَّمْلِ، فإن اتَّسَعَ الطريقُ فى الجبل وعَلاَ فهو ثَنِيَّةٌ، قال ابنُ الأيهَمِ التَّغْلَبىُّ:

وتَرَاهُنَّ شُـزَّبًـا كـالسَّـعَـالى   يتـطَلَّعْنَ مِـن ثَنايـا النِّقـابِ[1]

وقولُه:

* نعَاجًا تَرْتَعِى بَقْلَ البرَاثِ *

فالنعجةُ عند الـعرب البقرةُ الوَحْشيَّةُ، وحُكْمُ البـقرةِ عندَهم حُكْمُ الضَّائنة، وحُكْمُ الظَّبية عندهم حُكْمُ الماعزَة، والعـربُ تَكْنى بالنعجة عن المرأة وبالشاة، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هذَا أَخِى لهُ تِسعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[2] وقال الأعْشَى:

فَـرَمَـيْتُ غَـفْلَةَ عَـينه عن شـاته   فـأصبت حَـبَّةَ قلـبِهـا وطِحَالهَـا

يريد المرأة، وأمَّا البَـرَاثُ، فهى الأماكنُ السَّـهلةُ من الرَّمْلِ، واحدُها بَرْثٌ، مفتوحُ موضعِ الفاءِ من الفعْلِ، وتقديرُها: كلْبٌ وكلاَبٌ، والسَّجْع من الكلام: أَنْ تأتَلفَ أواخرُه على نَسقٍ، كما تأتلفُ القـوافِى، وهو فى البهائِمِ: مُوالاَةُ الصَّوْتِ، قال ابنُ الدُّمَيْنَة:

أأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحَى   على فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْد[3]

[لعمر بن أبى ربيعة]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ:

قـال لى صـاحـبى لِيَـعْلَمَ مَـابى   أَتُحبُّ الـقَـتُـولَ أُخـت الرَّبَاب؟
قلتُ: وَجْـدى بهـا كوَجْـدكَ بالما   ء إذَا مَـا مُـنعْت بردَ الـشَّـرَابِ
مَن رَسـولِـى إلى الثُّـرَيَّـا بأنى   ضِـقْتُ ذَرْعًـا بهجـرِها والكتـابِ

(١) الشذب: الضوامر.
(٢) سورة ص ٢٣.
(٣) زيادات ر: «الرند»: صغار الآس.

سَلَبَتْنى مُجاجَةُ المسْك عَقْلى — فسَلُوها بما تحلُّ اغْتصابى[1]؟
أَزْهقَتْ أمُّ نوفَلٍ إذْ دَعَتْها — مُهجَتى ما لقَاتلى من متَاب
حين قالتْ لها أجيبى فقالتْ — مَنْ دَعانى؟ قالت أبو الخطَّاب
فاستجابتْ عندَ الدُّعاء كما لَبَّى — رجالٌ يرجُونَ حُسْنَ الثَّواب
أبرَزُوها مثلَ المَهاةَ تَهادَى — بينَ خَمْسٍ كَواعبٍ أتْراب
وَهْىَ مكْنُونةٌ تحَيَّرَ منها — فى أديم الخَدَّين ماءُ الشَّباب
ثم قالوا: تحبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا — عَددَ النَّجْم والحَصَى والتُّراب
دُمْيَةٌ عندَ راهبٍ ذِى اجتهادٍ — صَوَّرُوها فى جَانبِ المحراب

قوله:

* قلتُ: وَجْدى بها كوَجْدكَ بالماء *

معنًى صحيحٌ، وقد اعْتَوَرَهُ الشعراءُ، وكلُّهم أجادَ فيه.

وقوله:

* إذَا مَا مُنعْتَ بردَ الشَّرَاب *

يريد: عندَ الحاجَة، وبذلك صَحَّ المعنَى. ويُرْوَى عن على بن أبى طالب رحمه الله أنَّ سائلاً سألَه، فقال: كيفَ كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ؟ فقال: كانَ والله أَحَبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمَّهاتنا ومن الماء البارد على الظَّمأ.

وقالَ آخرُ - وأحْسَبُه قَيْسَ بن ذَرِيحٍ:

حلفت لها بالمشعرين وزمزمٍ — وذُو العرش فَوْقَ المُقْسمينَ رَقيبُ[2]

[قال أبو الحسن: ويُرْوَى: «واللهُ فوقَ المُقْسمينَ»، وهو أحبُّ إلىَّ].

لَئنْ كان بَرْدُ الماء حَرَّانَ صَاديًا — إلىَّ حبيبًا إنَّها لحَبيبُ

وقال القُطَامىُّ:

يَقْتُلْنَنَا بحَديث ليس يَعْلَمُه — مَنْ يَتَّقينَ ولا مَكنُونُهُ بَادى
فهنَّ يَنبِذْنَ منْ قَولٍ يصِبْنَ به — مَوَاقعَ الماء من ذى الغُلَّة الصَّادى

والقولُ فيه كَثيرٌ.

(١) قال المرصفى: مجاجة المسك: ومجتها التى تنفح رائحة المسك.

(٢) أراد بالمشعرين، المشعر الحرام فثناه، وهو موضع بالمزدلفة، قاله المرصفى.

وقولُهُ:

* ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ[1] *

قوله: «والكتابِ» قَسَمٌ.

وقولُهُ:

* أَزهَقَتْ أمُّ نوفَلٍ إذْ دَعَتْها مُهْجَتِى *

تأويلُه: أَبْطَلَتْ وأَذْهَبَتْ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فيَدْمَغُهُ فإذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2] ولِلزَّاهِقِ موضع آخرُ، وهو السَّمين المُفْرِطُ، قال زُهَيْرٌ:

القائد الخيل منكوبا دوائرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم[3]

وقولُهُ: «ما لقَاتلى من مَتاب» يقولُ: من توبة، والمصدَرُ إذا كان بزيادة الميم من «فَعَلَ يَفْعُلُ» فهو على «مَفْعل» قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فإنَّهُ يَتُوبُ إلى الله مَتَابًا﴾[4]، وأما قولُهُ جلَّ ذكره: ﴿غَافِرِ الذَّنْب وَقَابِلِ التَوْبِ﴾[5] فيكونُ على ضَرْبَيْنِ، يكونُ مصدراً، ويكون جمَاعًا. فالمَصدرُ قَوْلُكَ: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا، كقولك: قال يقولُ قولا.

والجمعُ تَوْبَةٌ وتَوْبٌ، مثلُ تَمْرةٍ وتَمْرٍ، وجَمْرَةٍ وجَمْرٍ.

وقولُهُ:

* أبْرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهَادَى *

المَهَاةُ: البقرةُ فى هذا الموضعِ، وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرةِ من الوَحْشِ لِحُسنِ عينيها ولمشْيَتِها، والبقرة يقالُ لها: العَيْنَاءُ، والجِماعُ، العِينُ، وكذلك يقالُ للمرأةِ. وتكونُ المَهَاةُ البِلَّوْرَة فى غير هذا الموضعِ.

وقولُه: «تهَادَى» يريدُ: يَهْدِى بعضُها بعضًا فى مِشْيَتِهَا، ومِشْيَةُ البقرةِ تستَحْسَنُ، قال ابنُ أبى ربيعةَ:

---

(١) الذرع: الطاقة.

(٢) سورة الأنبياء ١٨.

(٣) قال المرصفى: منكوبا، من نكبت الحجارة الحافر تنكب أصابته فأمسته.

(٤) سورة الفرقان ٧١.

(٥) سورة غافر ٣.

أبْصَـرْتُـهَـا لَيْلَة ونِسْـوَتَهَـا يَمْـشِينَ بين المَقَـامِ والْحَـجَـرِ
يَمْـشِينَ فى الـرَّيْطِ والمُرُوطِ كـمـا تمشِى الهُـوَيْنَى سـواكِنُ البَـقَـرِ

وقولـه: «كواعب» الواحـدةُ كاعِبٌ، وهى التى قـد كَعَّبَ ثَدْيَاهَا للنُّهُود. أتراَبٌ أقرانٌ، ويقال: تربُ فلانٍ.

والمكْورةُ: المكتَنزَة.

وقولُه:

* ثم قالوا: تحبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا *

قال قومٌ: أراد بقوله: «تُحبُّهَا» الاستفهامَ، كما قال امرؤ القَيْسِ:

* أحارِ تَرَىَ بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ *

فحذَفَ ألفَ الاستفهامِ، وهو يريدُ «أتَرَى»، وقالوا: أرادَ «أتُحِبُّها»، وهذا خَطأ فاحشٌ، إنما يجوز حذفُ الألفِ إذا كان فى الكلامِ دليلٌ عليها، وسنفسرُ هذا ونذكُرُ الصَّوابَ منه إن شاء الله.

قوله: «تُحِبُّهَا» إيجـابٌ عليه، غيرُ استفهامٍ، إنما قـالوا: أَنْتَ تُحبها، أى قد علمنا ذاكَ، فهذا معنًى صحيحٌ لا ضرورةَ فيه.

وأمَّا قولُ امرؤ القيسِ فإنما جازَ لأنه جَعَلَ الألف التى تكونُ للاستفهامِ تنبيهًا للنِّداء، واستَغْنَى بها، ودلَّتْ على أنَّ بعـدها ألفًا منويَّةً، فحُذفَتْ ضرورةً، لدلالَة هذه عليهـا، ونظيرُ قولِ امـرئ القيسِ: «أحَـارِ تَرَى بَرْقًا» فاكتفى بالألفِ عَن أن يُعيدَها فى «تَرَى» قولُ ابنِ هَرْمَة:

وَلاَ أرَاهَـا تَـزَالُ ظَـالِمَـةً تُظْهِـرُ لى قَـرحَـةً وتَنْكَؤُهَا

اسْتَغْنَى بلا الأولى عن إعادتها، كما قال التَميميُّ، وهو اللَّعِينُ المِنْقَرِىُّ:

لعَـمْرُكَ مـا أَدْرى وإنْ كنتُ دارِيًا شُعَيْثُ بنُ سَـهْمٍ أم شُعَيْثُ بنُ مِنْقَرِ

يريدُ «أشُعَيْث» فدلَّتْ «أَمْ» على ألف الاستفهام، وقال ابن أبى ربيعةَ:

لَعَـمْرُكَ مـا أَدْرى وإنْ كنتُ دَارِيًا بِسَـبْعٍ رَمَـيْنَ الْجَـمْـرَ أَمْ بِثَـمـانِ

مثل ذلك: وبيتُ الأخْطَلِ فيه قَوْلاَنِ، وهو:

كَـذَبَتْكَ عـيـنُكَ أمْ رأيتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلاَمِ مـن الرَّبَابِ خَـيَـالاَ

قال: أراد: «أكَذَبَتْكَ عينُكَ» كما قلنا فيما قبلَه، وليس هذا بالأجوَد، ولكنَّه ابْتدأ مُتَيقنًا ثم شَكَّ، فأدخلَ «أم» كقولك: «إنها لإبلٌ» ثم تَشُكُّ فتقولُ: «أمْ شاءٌ» يا قَوْمِ.

وقولُه: «قلتُ بهرًا» يكونُ على وجهين: أحدُهما: حُبًّا يَبْهَرُنى بَهْرًا.

أى يَمْلَؤُنى، ويقالُ للقمر ليلةَ البدرِ: بَاهِرٌ، أى يَبْهَرُ النُّجوم، يَمْلَؤُها، كما قال ذو الرُّمَّة:

* كما يَبْهَرُ البدرُ النُّجومَ السَّوَارِيَا *

وقال الأعشَى:

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بينَكُمْ أبْلجُ مِثْلُ القَمَرِ الباهِرِ

والوجهُ الآخرُ: أن يكونَ أرادَ «بَهْرًا لكم» أى: تَبًّا لكم حيث تلومونَنِى على هذا، كما قال ابن ميادة[1]:

تَفَاقَدَ قَوْمِى إذْ يبيعونَ مُهْجَتِى بجارِيةٍ بَهْرًا لهم بَعْدَهَا بَهْرَا

وقولُه:

* عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرَابِ *

فيه قولان: أحدُهما أنه أراد بالنَّجم النجومَ، وَوَضَعَ الواحدَ فى موضعَ الجمع، لأنه للجنس، كما تقولُ: أهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ، وقد كَثُرَت الشَّاةُ والبعيرُ، وكما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ﴾[2].

وقال الشاعر:

فباتَ يَعُدُّ النَّجمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ سريعٍ بأيدى الآكلين جُمودُها

يريدُ النجومَ، ويعنى بالمستحيرة إهالةً[3]. والوجهُ الآخرُ أن يكونَ النجمُ ما نَجَمَ من النَّبْتِ، وهو ما لم يَقُمْ على ساقٍ، والشجرُ ما يقومُ على ساقٍ.

---

(١) فى ر، س: «ابن مفرع» وصوابه من الأصل.
(٢) سورة العصر ٢، ٣.
(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم.

واليَقطينُ: ما انتشر على وجه الأرض. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾(١)، وقال الحرث بن ظالمٍ، للأسوَد بن المُنْذر بن ماء السماء:

أَخُصْـيَىْ حِمَارٍ بات يَكْدِمُ نَجْـمَةً ... أَيُؤْكَلُ جِـيرانِـى وجارُكَ سَـالِمُ !

ومن طريف شعره وله:

فلمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ منهم وأُطْفِئَتْ ... مَـصَـابِيحُ شُبَّتْ بالعِشَـاء وأَنْؤُرُ
وغـابَ قُمَـيْرٌ كنتُ أرجـو غُيُـوبَهُ ... وروَّحَ رُعْـيَـانٌ ونَوَّمَ سُـمَّـرُ
ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ أقبلتُ مِـشْيَةَ الْـ ... ـحُبَـاب ورُكْنِى خيفـةَ القَوْمِ أَزْوَرُ
فَـحَيَّـيتُ إذْ فـاجَـأْتُها فَـتَـوَلَّهَتْ ... وكـادتْ بمكنونِ التَّـحِـيَّة تَجْـهَـرُ
وقالت وعَضَّتْ بالبَنَانِ: فَـضَحْتَنِى ... وأَنْتَ امْرُؤٌ مَـيْسُـورُ أمْرِكَ أَعْـسَرُ
أَرَيْتَـكَ إذْ هُنَّا علـيكَ ألم تَـخَفْ ... رَقِيـبًا وَحَـوْلِى منْ عَدُوِّكَ حُـضَّرُ
فـوالله ما أدْرِى أَتَعْـجِـيلُ حاجـةٍ ... سَرَتْ بكَ أم قد نامَ مَنْ كنتَ تَحْذَرُ
فقلتُ لَها: بل قادَنِى الشَّوْقُ والهَوَى ... إلَيْكِ ومَـا عَـيْنٌ من الـناس تَنْظُرُ
فَـيـالَكَ من ليلٍ تَقَـاصَـرَ طُولُهُ ... ومـا كانَ لَيْـلِى قبلَ ذلك يَـقْصُـرُ
ويا لَكَ من مَلْهًى هُناكَ ومَـجْلِسٍ ... لَـنَا لـم يُـكَـدِّرْهُ علـيـنـا مُكَـدِّرُ
يَمُجُّ ذَكِىَّ المِسْك منهـا مُـفَلَّجٌ ... رقيقُ الْحَـوَاشِى ذو غُرُوب مُـؤَشَّرُ
يَرِفُّ إذا يَـفْـتَـرُّ عـنه كـأَنَّه ... حَـصَى بَرَدٍ أو أُقْحُـوَانٌ مُـغَـوِّرُ
وتَرْنُو بعَـيـنيـهـا إلىَّ كـمـا رنَا ... إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخَمِـيلَةِ جُـؤْذَرُ
فلمـا تَقَـضَّى اللَّيـلُ إلا أَقَلَّهُ ... وكـادتْ تَوَالـى نجمـه تَتَـغَـوَّرُ
أَشـارتْ بأَنَّ الحىَّ قـد حَـانَ منهمُ ... هُبُـوبٌ ولكنْ مَـوْعِـدٌ لَكَ عَـزْوَرُ
فـمـا راعَنِـى إلاَّ مُنَادٍ بِرِحْـلَةٍ ... وَقد لاحَ مَفْتُـوقٌ من الصُّبح أشْقَرُ
فلمَّـا رأتْ مَنْ قَـدْ تَثَـوَّرَ منهمُ ... وأَيْقَـاظَهُمْ قالت أشِـرْ كيفَ تَأمُـرُ
فـقلـتُ: أُبَادِيهم فـإمَّـا أفُـوتهمْ ... وإمَّـا يَنَالُ السَّـيفُ ثَأْرًا فَـيُـثْأَرُ
فَقَـالتْ: أَتحقيـقًا لمَا قـال كاشِحٌ ... علَينا، وتَصْـدِيقًا لمَـا كانَ يُؤْثَرُ !
فـإنْ كـانَ مـالا بُدَّ مـنه فـغَـيْـرُهُ ... من الأمـرِ أَدْنَى للخَـفَـاء وأَسْتَـرُ
أَقُصُّ عَلَـى أُخْـتَىَّ بَـدْءَ حـديـثِنَا ... وَمَـالِىَ من أنْ تَعْـلَمَـا مُـتَـأَخَّـرُ

(١) سورة الرحمن ٦.

لَعَلْهُـمَا أَنْ تَبْـغِـيا لَكَ مَـخْرَجـا وأَنْ تَرْحُبَـا سَرْبًا بما كُنْتُ أَحْـصَرُ
فقامت كَـئيبًا ليس فى وجـهها دَمٌ من الحـزنِ تُذْرى عَـبْـرَةً تَتَـحَـدَّرُ
فقالت لأخْـتَيْهَا: أعـينَا على فَتًى أتىَ زائرًا والأَمْــرُ للأمْـرِ يُـقْـدَرُ
فـأقْـبَلَتَـا فـارتَاعَـتَـا ثم قـالتَـا: أَقلىِّ عليك الهَمَّ فـالْخَطْبُ أيْسَـرُ
يَقُـومُ فَـيَـمْـشى بيننا مُـتَنَكِّرًا فَـلا سِرُّنَـا يَفْشـو ولا هُوَ يَظْهَـرُ
فكان مَـجَنِّى دُونَ مَـنْ كنت أتَّقِى ثلاثُ شُخُـوص كاعِبَان ومُعْـصِرُ
فلمَّـا أجَزْنَا ساحـةَ الحَىِّ قُلْنَ لِى: ألْم تَتَّقِ الأعـداءَ واللَّيلُ مُـقْمِـرُ!
وَقُلْنَ: أهـذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَـادِرًا أمَا تَسْتَـحِى أو تَرْعَوى أو تُفَكِّرُ!

* * *

قوله« شُبَّتْ» يقول: أُوقِدَتْ، يقالُ: شَبَبْت النار والحرْبَ، أى أوْقَدْتُهما.

وقوله: «وأنْؤُر» إنْ شئتَ همَزْتَ، وإن شئتَ لم تهمْزِ، وإنما الهمزُ لانضمامِ الواوِ، وقد مضى تفسيرُ هذا.

وقوله: «قُمَيرٌ»، إنما صَغَّـره؛ لأنهُ نَاقصٌ عن التَّمام، وهذا فى أول الشهر، وكذلك يُصَغَّرُ فى آخر الشهر؛ لأن النقصانَ فيهما واحدٌ، قال عُمَرُ:

وقُـمَيْـرٌ بَدَا ابْنُ خَـمْسٍ وعشـريـ ـنَ له قـالت الفَتَـاتَان قُــومَـا

وقـوله: «رُعْـيَانٌ» يـريد جمعَ الـرَّاعِى، ومثلُـه: راكبٌ ورُكْبـانٌ، وفـارِسٌ وفُرْسانٌ.

والسُّمَّرُ: جمعُ السَّامِرِ، وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلاً.

والحُبَابُ: حَيَّةٌ بعينه.

وقوله: «ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ» يقول: احترستُ منها وأمِنْتُها، والنَّفَضَة: أمَامَ العَسْكرِ: القومُ يتقدَّمون فيَنْفُضُونَ الطريقَ.

وقوله: «أزْوَرُ»، يعنى متجافيًا، يقال: تزاور فلانٌ، إذا ذهبَ فى شِقٍّ.

وقوله: «ذُو غُرُوب»، غَرْبُ كلِّ شىء: حَدُّهُ، وإنما يعنى الأسنانَ.

وقوله: «مُؤَشَّرُ» يعنى له أُشُرٌ، وهو تشْـريرُ الأسْنان فى قول الناس جميعًا، يقال: لأسنانه أُشُرٌ، فهذا الشائعُ الذائعُ، وأمَّا الـشَّنَبُ، فهو عندهم جميعًا بَرْدٌ فى الأسنان.

وحدَّثنى الرِّيَاشِيُّ عن ابنِ عائشـةَ قال: أخذَ أبى حَبَّةَ رُمَّانٍ بين إصبْـعَيَهْ فإذا هى تَرِفُّ، فقال: هذا الشَّنَبُ.

وقولُه:

* وكادتْ تَوَالِى نجمه تَتَغَوَّرُ *

التَّوالِى: التوابعُ، وتَتَغَوَّرُ: تَغُورُ فَتَذْهَبُ، وهو مأخوذ من الغَوْرِ.

وقوله: «أَشارتْ بأَنَّ الحىَّ قـد حَانَ منهمُ هُبُوبٌ» يقول: انتبـاهٌ، يقال: هَبَّ من نومه يَهُبُّ، قال عمرُو بن كُلْثُومٍ:

أَلاَ هُبِّى بِصَـحْنِـكِ فَـاصْبَـحِـينَا ... ولا تُبْـقِى خُـمُـورَ الأنْـدَرِينا

وقال الآخرُ:

هَبَّتْ تلُومُ وليستْ سـاعةَ اللَّاحِى ... هَلا انتظرتِ بهـذا اللَّومِ إِصْبَـاحِى

وعَزْوَرُ: موضع بعينه.

وقوله: «وأَيْقَاظَهُمْ» جمعُ يَقُظ.

وقوله: «فقـالتْ أتَحْقِيقًا» أى أَتَفْـعلُ هذا تَحقيقًـا، ومن كلام العربِ: أَكُلَّ هذا بخْلاً! وذاكَ أنهُ رآهُ يفعلُ شيئًا أنْكَرَهُ فقال: أتفعلُ كلَّ هذا بخلاً!

وقوله: «أباديهِمْ» أظْهَرُ لهم، غيرَ مهمـوز يقال. بَدَا يَبْدُو، غيرَ مهموزٍ، إذا ظَهر، وبَدَأْتُ بهذا مهموزٌ، إِذَا أردتَ به معنى الأَوَّل.

وقوله: «بَدْءَ حديثِنا» يريد أوَّلَ حديثِنا.

وقوله: «أَنْ تَرْحُبا» يريد: أن تَتَّسِعَـا أى تَتَّسِعَ صدورُهما، من قولهم: فلانٌ رَحيبُ الصَّدْرِ.

وقوله: «أَحْصَرُ» أضيقُ به ذَرْعًا، قد مضى تفسيرُه.

وقول: «مِجَنِّى» يريد تُرْسِى.

وقوله: «ثَلاَثَ شُخُوصٍ» والوجهُ «ثلاثةَ أشْخُصٍ» ولكنه لَمَّا قَصَدَ إلى النساء أَنَّثَ على المعنى، وأبانَ ما أرادَ بقوله: «كاعِبَانِ ومُعْصِرٌ».

ومثلُه قولُ الشاعرِ:

فـــإنَّ كِــلابًا هذه عَـــشْـــرُ أبْطُنٍ وأنتَ بريءٌ من قَـبـائلها الـعشْـرِ

فقال: «عـشْرُ أبْطُنٍ»؛ لأن البطنَ قبيلةٌ، وأبانَ ذلك في قوله: «منْ قـبائلها العَشْرِ»، وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] لأن المعنى حسناتٌ.

ويُرْوَى أن يزيدَ بن مـعاوية لَمَّا أرادَ توجـيهَ مُسْلِمِ بـن عُقْبَـةَ المرِّيِّ إلى المدينة اعترضَ الناسَ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيحٌ، فقال له: يا أخا أهلِ الشأمِ، مَجنُّ ابن أبى ربيعةَ أحسنُ من مَجنِّكَ! يريدُ قولَ ابن أبى ربيعة:

فكانَ مَـجنِّى دونَ مَـنْ كنتُ أتقِى ثلاثَ شخـوصٍ كاعِـبَانِ ومُعْـصِر

وقوله: «أما تستحى»، يريد: «تستحيى» وله تفـسير يبعد فى العربية قليلا، وسنذكره بعد هذا، إن شاء الله.

---

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

بابـ

[عمر الوادى والعبد الأسود]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن عُمَرَ الوَادِىَّ قال: أَقبلتُ من مكةَ أُريدُ المدينةَ، فجعلتُ أَسيرُ فى صَمْدٍ(١) من الأرضِ، فسمعتُ غناءً من القَرارِ(٢) لم أَسمعْ مثلَه، فقلتُ: واللّه لأتوصَّلَنَّ إليه ولو بذَهابِ نفسِى، فانحدرتُ إليه، فإذَا عَبدٌ أَسْوَدُ، فقلتُ له: أَعِدْ علىَّ ما سمعتُ، فقال لى: واللّه لو كان عندى قِرًى أَقْرِيكَ ما فعلتَ، ولكنِّى أَجعلُه قِراكَ، فإنِّى [واللّه(٣)] رُبَّمَا غَنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ، وربُما غنيتُه وأنا كَسْلانُ فأنْشَطُ، وربَما غنيتُه وأنا عطشانُ فأَرْوَى، ثم انْبرَى يُغَنِّينِى(٤):

وكنتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأَرْضِها ... أَرَى الأرض تُطْوَى لى ويَدْنُو بَعيدُها

مِنَ الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما انقضت أَحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُهَا(٥)

[وبعدَهُ:

تُحَلِّلُ أَحْقَادى إذا مَا لَقِيْتُها ... وتَبْقَى بلا ذَنْب علىَّ حُقُودُها

وكيفَ يُحِبُّ القَلْبُ مَن لاَ يُحِبُّهُ ... بَلَى قد تريدُ النَّفسُ مَنْ لا يُرِيدُها](٦)

قال عمرُ: فحفظتُه عنه، ثم تَغَنَّيْتُ بِهِ على الحالاتِ التى وَصَفَ، فإذَا هو كما ذكَرَ.

[خالد صامة والوليد بن يزيد]

وتَحَدَّثُ الزبيْريُّونَ عن خالد صَامَةَ أنهُ كَانَ مِنْ أَحسنِ الناسِ ضربًا بعُود(٧)، قال: فَقَدِمْتُ على الوَليد بن يزيدَ، وهو فى مجلسٍ ناهيكَ به مجلسًا! فألفَيْتُه على سَريره، وبين يديه مَعْبَدٌ، ومالكُ بن أبى السَّمْحِ، وابنُ عائشَةَ، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِّمَشْقِىُّ، فجعلُوا يُغَنُّونَ، حتى بلغتِ النَّوْبَةُ إلىَّ فَغَنَّيْتُه:

---

(١) الصمد: المكان المرتفع من الجبال، وفى ر: «صرد».

(٢) القرار: المطمئن من الأرض.

(٣) تكملة من س. (٤) س: «يغنى».

(٥) ر: «إذا ما قضت أحدوثة».

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٧) كذا فى الأصل، ر، وفى س: «بالعود».

سَـرَى هَمِّى وهَـمُّ المَرْءِ يَسْـرِى - وغـارَ النَّجْمُ إلاَّ قِـيـدَ فِـتْـرِ
أُرَاقِبُ فـى المَجَـرَّةِ كلَّ نَـجْمٍ تَعَـرَّض أَوْ عَلَى المَـجْـراة يَجْـرِى
لِـهَـمٍّ مَـا أَزالُ له قَـريـنًـا كـأنَّ القـلبَ أُبْطِنَ حَـرَّ جَـمْـرِ
عَلـى بَكْرٍ أخِـى فَـارَقْتُ بَـكْرًا وأَىُّ العَـيْشِ يَصْلُحُ بَعْـدَ بَكْرِ!

فقال لى: أَعِدْ يا صامُ[1]، ففعلتُ، فقال لى: مَنْ يقولُ هذا الشعرَ؟ فقلتُ: هذا يقولُه عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ يرثى أَخَاهُ بَكْرًا، فقال لى الوليدُ:

* وأَىُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ *

هذا العيش الذى نحنُ فيه، والله قد تَحَجَّرَ واسعًا على رَغْمِ أَنْفِه.

وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنَةَ بنت الحسين أُنْشِدَتْ هذا الشعرَ، فقالت: ومَنْ بَكْرٌ؟ فوُصِف لها، فقالت: أَذَاكَ الأُسَيِّدُ الذى يَمُرُّ بنا؟ والله لقد طاب كلُّ شىءٍ بعدَ ذاكَ، حَتَّى الخبزُ والزيتُ.

[من أخبار يزيد بن عبد الملك]

ورَوى أصحابُنا أَن يزيدَ بنَ عبد الملك ـ وأُمُّهُ عاتكَة بنتُ يزيدَ بن معاويةَ، وإليها كان يُنْسَبُ ـ قال يومًا: يقالُ: إنَ الدنيا لم تَصْفُ لأحد قَطُّ يومًا، فإذا خَلَوْتُ يومى هذا فاطْوُوا عَنِّى الأخبار، ودَعُونى ولَذَّتى وما خَلَوْتُ له، ثم دعا بحَبَابَةَ، فقال: اسْقِينى وغَنِّينى، فَخَلَوَا فى أطيب عَيْشٍ، فتناولتْ حَبَابَةُ حَبَّةَ رُمَّان، فوضعتها فى فيها، فَغَصَّتْ بها فماتت، فَجَزِعَ يزيدُ جَزَعًا أَذْهَلَه ومَنَعَ من دَفْنِهَا، حتى قال له مشايخُ بنى أُمَيَّةَ: إن هذا عيبٌ لا يُسْتقالُ، وإنما هذه جيفة، فأَذِنَ فى دفنها، وتَبِعَ جنازَتَهَا، فلمَّا وَارَاها قال: أَمْسَيْتُ والله فيك كما قال كُثَيِّرٌ:

فإن تسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهَوَى فـباليـأسِ تَسْلو عنك لا بالتَّـجَلُّد
وكلُّ خليـلٍ راءَنى فـهـو قـائلٌ من اجْلِكِ: هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدِ

فَعُدَّ بينهما خمسةَ عشرَ يومًا.

---

(١) صام، بالترخيم.

وقوله: «راءَنى» يريد «رآنى»، ولكنه قـلَبَ، فأخَّرَ الهمـزةَ. ونظيرُ هذا من الكلامِ «قسىٌّ» فى جمعِ «قَوْسٍ» وإنما الأصلُ «قووسٌ» ولَمَّا أخَّرَ الواوَيْنَ أبْدَلَ منهما ياءَيْنِ، كمـا يجب فى الجمعِ، وتقولُ دَلْوٌ ودُلِىٌّ، وعات وعُـتىٌّ وإن شئتَ قلتَ: عِتىٌّ ودِلِىٌّ من أجل اليـاء، فإن كان «فُعُـول» لواحد قلتَ: عُتُـوٌّ. ويجوز القلبُ، والوجهُ فى الواحـد إثباتُ الواو، كما تقـولُ: «مَغْزُوٌّ» و«مَدْعُوٌّ» ويجـوز «مَغْزِىٌّ» و«مَدْعِىٌّ» وفـى القرآن ﴿**وَعَتَوْا عُتوًّا كَبيرًا**﴾[1] وقال: ﴿**أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتيًّا**﴾[2] وقال: ﴿**ارجعى إلَى ربِّك رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾[3] والأصل «مَرْضُوَّةً» لأنه من الواو، من الرضـوان، ومن القلبَ قولُـهم: «طَأمن» ثم قالُوا: اطْمَـأَنَّ، فأخَّـرُوا الهمزةَ وقَدَّمُوا الميمَ، ومثلُ هذا كثيرٌ جداً.

وقولُه: «هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدٍ»، يقول: ميِّتٌ فى يومـه أو فى غَده، يقالُ: إنما فلانٌ «هامـة» أى يَصِيرُ فى قبـره، وأصلُ ذلك شىءٌ كانت العربُ تقَـوله، قد مَضَى تفسيرُه.

[إسحاق الموصلى والرشيد]

وحدثنى عبـدُ الصمد بنُ المُعذِّل قال: سمـعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المَوْصلىَّ يتحدَّثُ قال: حَجَجْتُ مع أمير المؤمنينَ الرشيد، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينةَ آخَيْتُ بها رجلا كان له سنٌّ ومـعرفةٌ وأَدَبٌ، فكان يُمتِـعُنى، فَإِنِّى ذاتَ ليلة فى منزلى إذا أنَا بصوته يَسْتَأْذنُ علىَّ، فظننتُ أمـرًا قد فَدَحَهُ ففَزَعَ فيه إلىَّ، فـأسرعتُ نحوَ الباب، فقلت: ما جـاك بك؟ فقال: إذَنْ أُخبِـرَكَ، دعانى صديقٌ لى إلى طعام عـتيد[4]، وشراب قد الْتَقَى طَرَفَاهُ، وشواءٍ رَشْرَاشٍ، وحديث مُمْتِعٍ، وغناء مُطْرِبٍ، فأجَبتُه، وأقمتُ معه إلى هذا الوقت، فأخذت مِنِّى حَـمَيًّا الكأسِ مأخذَهَا، ثم غَنَّيتُ بقول نُصَيْبٍ:

بزينبَ أَلْمْ قَـبْـلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ　　　وقل إنْ تَمَلِّينا فَـمَـا مَلَّكِ القَلْبُ

فكدت أُطيرُ طَرَبًا، ثم وجَـدتُ فى الطرب نَقْصًا إذ لم يكنِ مـعى مَنْ يفْهَمُ هذا كمـا فهمتُـه، ففَزِعْتُ إليك لأصفَ لك هذه الحالَ، ثم أَرْجعُ إلى صـاحبى، وضَرَبَ نَعْلَيْهِ مُوَلِّيًا عَنِّى! فقلتُ: قِفْ أُكَلِّمكَ، فقال: ما بى إلى الوقوفِ إليكَ من حاجة.

---

(١) سورة الفرقان ٢١.　　(٢) سورة مريم ٦٩.
(٣) سورة الفجر ٢٨.　　(٤) عتيد: معتد.

[من أخبار حسان بن ثابت]

وحدثنى غيرُ واحد من أصحابنا عن أبى زيد سَعيد بن أَوْسٍ الأنصارى، يُسْنِدُهُ، قال: كانت وَليمةٌ فى أَخْوَالِنَا، وهم حَىٌّ يقال لهم بَنُو نُبيْط من الأنصار، قال: فحضرَ الناسُ وجاء حَسَّانُ بن ثابت وقد ذَهَب بصرُه، ومعه ابنُه عبد الرحمن يقودُه، فَلمَّا وُضعَ الطعامُ وَجِيءَ بالثُّرِيد قال حَسَّانُ لابنه: يا بُنَىَّ، أَطعَامُ يَد أَمْ طَعَامُ يَدَيْنِ؟ فقال: بل طعامُ يد، فأَكَلَ ثم جِيءَ بالشواء، فقال: أطعامُ يدٍ أم طعامُ يَدَيْنِ؟ فقال: طعامُ يدين، فأمسك، وفى المجلس قَيْنتان تُغَنِّيان بشعر حسانَ:

انْظُرْ خليلى بِبَابِ جِلَّقَ هَلْ ... تؤنِسُ دُونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ؟[1]

قال: وحَسَّانُ يبكى، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب، وعبد الرحمن يُومئُ إليهما أَنْ زيدًا قال أبو زيد: فَلأَعْجبنى ما أعجبهُ من أن تُبْكِّيَا أباهُ.

يقول: عَجِبْتُ ما الذى اشتهى من أن تُبْكِّيَا أباهُ، فقوله: «أَعْجَبَنِى» أى تركنى أَعْجَبُ، ومثلُه قولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات:

أَلاَ هَزِئَتْ بنا قُرَشِيَّـ ... ـةٌ يَهْتَزٌّ مَوْكِبُهَا
رأتْ بى شَيْبَةً فى الرأْ ... سِ عَنِّى مَا أُغَيِّبُهَا
فَقَالَتْ: أَبْنُ قَيْسٍ ذَا؟ ... وبعضُ الشَّيبِ يُعْجِبُهَا

أى تتعجب منه.

[خليلان الأموى يغنى لأمير البصرة]

وحدثنى عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّل، قالَ: كان خَليلانُ[2] الأُمَوِىُّ يتغنَّى، ويَرَى ذاكَ زائدًا فى الفُتُوَّة، وكان خَليلانُ شريفًا وذا نعمة واسعة، فحضرَ يومًا منزلَ عُقْبَةَ بْنِ سَلْمِ الهُنَائىِّ وهو أميرُ البصرة، وكان عاتيًا جبَّارًا، فلما طَعمَا وخَلَوَا نَظَرَ خَليلانُ إلى عودٍ موضوعٍ فى جانب البيت، فَعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به، فأخذه فَتَغَنَّى:

(١) جلق: إحدى قرى دمشق.

(٢) خليلان، كان يعرف به خليل بن عمرو، مولى بنى عامر بن لؤى، كان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد. (رغبة الآمل).

بابـنةِ الأزْدِيِّ قلبـى كَـئـيـبٌ مُـسْـتـهـامٌ عندها مـا يَؤُوبُ
ولقـدَ لامـوا فـقلتُ: دَعُـونى إنَّ مَنْ تَلْحَـوْن فِـيـهِ حَـبـيبُ

فَجعَلَ وَجهُ عُقْبَةَ يَتَغيّرُ، وخليلانُ فى سَهْوٍ عمَّا فيه عقبةُ، يَرَى أنه محسن. ثم فَطنَ لتغَيُّر وجهِ عُـقبةَ، فعلم أنه كاره[1] لِمَا تَغَنَّى به، فَـقَطَعَ الصَّوْتَ، وجَعَلَ مكَانَهُ:

أَلاَ هَزِئَتْ بنَا قُرَشيةٌ يهتزُّ مَوْكِبُهَا

فَسُرِّىَ عن عُـقْبَة، فلما انقضى الصـوتُ وَضَعَ خليلانُ العودَ، و وكَّدَ على نفسه الْحِلفَ أَلاَّ يُغنِّىَ عِندَ مَنْ يَجُوزُ أَمْرُه عليه أبدًا.

[غضب الرشيد لشعر مدح به أخوه]

وحُدِّثْتُ أن رجلا تَغَنَّى بحـضرة الرشيد بشعـرٍ مُدِحَ به علىُّ بْنِ رَيْطَةَ، وهو علىُّ بْنُ أمير المؤمنين المَهْدىِّ، وتَغَنَّاهُ المُغَنِّى على جهلٍ، وهو:

قُلْ لِـعَلِّى: أَيَا فَـتَى العَـرَب وخَـيْـرَ نَام وخَـيْـرَ مُنْتَـسب
أَعْـلاك جَـدَّاكَ يا عـلىُّ إِذَا قـصَّـرَ جَـدٌّ فى ذِروة الْحَـسَب

ففَتَّشَ عن المغنى فوجده لم يَدْرِ فيمن الشِّعرُ، فَبُحثَ عن أول مَنْ تَغَنَّى فيه، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقَاص، فأمر فضُرِبَ أربعمائة سوط.

[معاوية وابنه يزيد]

وحُـدِّثْتُ أن معـاويةَ اسـتـمعَ على يزيدَ ذاتَ ليلة، فـسـمع منْ عنده غنَاءً أعجبه، فلما أصبح قال ليزيد: مَنْ كان مُلْهيكَ البارحة؟ فقال له يزيد: ذاكَ سائِبُ خاثِر، قال: إذًا فأخْثِرْ له من العطاء.

[معاوية عند عبد الله بن جعفر]

وحُدِّثْتُ أن معـاويةَ قال لعمرو: امْضِ بنا إلى هذا الذى قـد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَىَ فى هدم مُروءته، حَتَّى نَنْعَى عليه، أىَ نَعيبَ عليه فعله ـ يريدُ عبدَ الله بنَ جعـفرِ بن أبى طـالب ـ فدخـلاَ إليه، وعنده سائبُ خـاثر، وهو يُلْقِى على جَوارٍ لعبدِ الله، فأمر عبدُ الله بتنحيةِ الجوارِى لدخول معاوية وثبتَ سائبٌ مكانَه، وتَنَحَّى

(١) كلمة «كاره» ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

عبدُ الله عن سريره لمعاوية، فرفَع معاويةُ عمرًا فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أَعدْ ما كنتَ فيه، فأمر بالكراسيِّ فأُلقيَت، وأخْرجَ الجوَارِي، فتَغَنَّى سَائِبٌ بقولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

دِيارُ التى كَادَتْ ونحنُ عَلَى منًى ... تَحُلُّ بِنَا لولاَ نَجَاءُ الرَّكَائب
ومِثلك قد أصْبَيْتُ ليست بكَنَّة ... ولا جَارَة وَلاَ حَليلَة صَائِبِ[1]

ورَدَّدَهُ الجوارى عليه، فحرَّكَ معاويةُ يديه وتحرَّك فى مجلسه، ثم مَدَّ رجليه، فَجعَلَ يضربُ بهما وجه السرير. فقال له عمرٌو: اتَّئِدْ يا أميرَ المؤمنين، فإن الذى جئتَ لتَلْحاهُ أحسنُ منكَ حالا وأقلُّ حركةً. فقال معاويةُ: اسكُتْ لا أَبَالك! فإن كلَّ كريمٍ طَرُوبٌ.

[سفيان بن عيينة وجاره السهمى]

وحُدِّثْتُ منْ غير وجه أن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ قال لجلسائه يومًا: إنِّى أَرَى جارَنا هذا السَّهْمىَّ قد أَثْرَى وَانْفَسَحَتْ له نعمةٌ. وصار ذا جاه عند الأمراء، ووافدًا إلى الخلفاء، فَمِمَّ ذاكَ؟ يَعنى يحيى بنَ جَامعٍ، فقال له جلسَاؤُه: إنه يَصيرُ إلى الخليفة فيَتَغَنَّى له، فقال سفيانُ: فيقولُ ماذا؟ فقال أحدُ جُلَسائه: يقول:

أَطوفُ نَهَارِى معَ الطائفينَ ... وأَرْفَعُ من مِئزَرِى المسْبَلِ

فقال سفيانُ: ما أحسنَ ما قال! فقال الرجلُ:

وأَسْهَرُ لَيْلِى معَ العَاكفينَ ... وأَتْلُو مِنَ المُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال: حَسَن والله جميلٌ، قال: إنَّ بعدَ هذا شيئا، قال سفيانُ: وما هو؟ قال:

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسُفَ ... يُسَخِّرُ لى رَبَّةَ المحْمَلِ

فَزَوَى سفيانُ وجهَهُ، وأومأ بيده أَنَّ كُفَّ، وقال: حلالاً حلالاً!

[ابن أبجر يغنى لعطاء بن أبى رباح]

ولَقِى ابنُ أَبْجَرَ عَطَاء بنَ أبى رباحٍ وهو يطوفُ، فقال: اسمعْ صوتًا للغَرِيض، فقال له عَطاءٌ: يا خَبِيثُ، أفى هذا الموضعِ! فقال ابن أَبْجَرَ: ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنه خُفْيَةً، أو لأُشيدَنَّ به، فوقف له، فتَغَنَّى:

---

(١) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

عُـــوجِى عــلينا ربَّــةَ الهَـــوْدَجِ ... إنَّك إلاَّ تَفْــعَلى تَحْــرَجِى[1]
أنِّى أُتيــحَــتْ لى يَمـــانيَـــةٌ ... إحْـدَى بنى الحـارث من مَـذْحِجِ
تَلْبَثُ حَـــوْلا كـــامـــلا كـلَّهُ ... لا نَلْتَـــــقى إلاَّ عَـلى مَنْهَـجِ
فى الحَجِّ إن حَـجَّتْ، ومـاذا مِنًى ... وأهْلُـهُ إن هِىَ لم تَـحْـــجُجِ !

فقال له عطاء: الكثيرُ الطَّيِّبُ يا خبيثُ!

[سليمان بن عبد الملك فى عسكره]

وسَمعَ سليمان بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره، فقال: اطْلُبوه، فجاءوا به، فقــال: أَعِدْ مـا تغنيتَ، فتـغَنَّى واحْتَـفَلَ، وكَانَ سليـمانُ مُـفْرِطَ الغَـيْرَةِ، فـقال لأصحابه: والله لكأنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ فى الشَّوْلِ[2]، وما أَحْسِبُ أُنْثى تسمعُ هذا إلاَّ صَبَتْ. ثم أمَر به فخصِىَ.

[الفرزدق يسمع الأحوص يغنى بشعر جرير]

وحُدِّثْتُ أن الفرزدقَ قَدِمَ المدينةَ فنزل على الأحْوصِ بن مـحمد بن عبد الله ابن عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَحِ، فقال له الأحوصُ: أَلاَ أُسْمِعُكَ غِناءً من غِناءِ القرَى؟ فأتاه بمغَنٍّ فجعل يُغَنيه، فكان مما غَنَّاه:

أتَنْسَى إذ تُـودِّعُنـا سُلَيْـــــمى ... بفَـرْعِ بَشَامَـة، سُـقىَ البَشَـامُ![3]
ولو وَجَـدَ الحـمامُ كـمـا وَجَـدْنا ... بسُلمـانَيْنِ لاَ كْـتَـأَبَ الحَـمـامُ[4]

فقال الفرزدق: لِمَن هذا [الشعرُ]؟ فقالوا: لجريرٍ، ثم غنَّاه:

أَسْـرَى لخـالدةَ الخـيـالُ ولا أرَى ... شَـيـئـا أَلَذَّ مـنَ الخـيـال الطَّارق
إنَّ البَلـيَّـــةَ مَنْ تَمَلُّ حـــديثَـــهَ ... فانْقَعْ فُؤَادَكَ من حديثِ الوَامِقِ[5]

---

(١) تحرجى: من الحرج وهو الإثم.

(٢) الجرجـرة: هدير الفحل، والشول: جمـع شائلة، وهى من الإبل التى أتى عليهـا من حملها أو وضعـها سبعة أشهر فجف لبنها به.

(٣) سلمانين: واديا فى جبل لغنى.

(٤) تكملة من س.

(٥) الوامق: المحب.

فقال: لمن هذا؟ فقيلَ: لجريرٍ، ثم غنَّاه:

إنَّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلا بعَيْنِكَ مايَزَالُ مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهنَّ وَقُلْنَ لى ماذَا لَقيتَ من الهوَى ولَقِينَا؟

فقال: لمن هذا؟ فقالوا: لجريرٍ، فقال الفرزدق: ما أَحْوَجَهُ مع عَفافِه إلى خُشونة شِعْرِى، وأَحْوَجَنى مع فسُوقِى إلى رِقَّة شِعرِه!

[الأحوص ومعبد عند عقيلة المغنية]

وقال الأحوَصُ يومًا لمَعْبَد: امْضِ بنَا إلى عَقيلَة حتى نتحدَّثَ إليها، ونسمعَ من غنائها وغناء جواريها. فمضيا، فأَلْفَيَا على بابها مُعاذًا الأنصارىَّ، ثم الزُّرَقىَّ، وابنَ صائد النَّجَّارى، فاستأذَنُوا عليها جميعًا، فأذنتْ لهم إلاَّ الأحوصُ، فإنها قالت: نحن غِضَابٌ على الأحوصِ، فانْصَرفَ الأحوصُ وهو يَلُومُ أصحابِه على استبدادهم، فقال:

ضَنَّتْ عَقيلةُ لَمَّا جئتُ بالزاد وآثرَتْ حاجةَ الثَّاوى على الغَادى
فقلت: والله لولا أن تقولَ له قد باح بالسِّرِّ أعدائى وحُسَّادى
قلنا لمنزلها: حُيِّيتَ من طَلَلٍ وللعَقيق: أَلاَ حُيِّيتَ من وَادى!
إنِّى جعلتُ نَصيبى من مَوَدَّتها لمَعْبَد ومُعاذ وابنِ صَيَّاد
لابنِ اللَّعين الذى يُخْبَا الدُّخانُ له وللمُغَنِّى رسولَ الزُّور قَوَّادى
أمَّا مَعَاذٌ فإنى لستُ ذَا كَرَهٍ كذاكَ أجدادُهُ كانوا لأجدادى

قال الزُّبيرىُّ: وكان مُعاذٌ جَلْدًا، فخافَ الأحوصُ أن يضربَه، فحلف مَعَبَدٌ أَلاَّ يكلِّمَ الأحوصَ ولا يَتَغَنَّى فى شعره، فشقَّ ذلك على الأحوص، فلما طالتْ هْجرتُه إياه رَحَلَ نَجيبًا له وجعلَ طلاءً(١) فى مِذْرَعٍ(٢) فى حقيبة رَحْله، وأَعَدَّ دنانيرَ، ومضَى نحوَ معبد فأناخَ ببابه ـ ومعبدٌ جالسٌ بفنائه ـ فنزل إليه الأحوص فكلَّمه، فلم يكلمه معبدٌ، فقال: يا أبا عَبَّاد، أَتَهجرُنى! فخرجت إليه امرأتُه أُمُّ كرْدَم، فقالت: أَتهجرُ أبا محمد! والله لتكلِّمَنَّهُ، قال: فاحتملَهُ الأحوصُ فأدخله البيتَ، وقال: والله لا رِمْتُ هذا البيتَ حتى آكُلَ الشِّوَاء وأشرب الطِّلاءَ واسمعَوا

(١) الطلاء: اسم لما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه.
(٢) حاشية ر: «والمذرع: فزق سلخ حين سلخ مما يلى الذراع».

الغناء، فقال له معبدٌ: قد أَخزَى اللهُ الأبْعدَ هذا الشِّواء أكَلْتَهُ، والغناء سمعتَهُ، فأَنَّى لَكَ بالطِّلاء! قال: قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ ومعه دنانيرُ، فأَصْلِحْ بها ما نُرِيدُ من أمرنا، ففعل كلَّ ما قال، فقالت أُمُّ كَرْدَم لمعبد: أَتَهجُرُ مَنْ إن زارنا أَغْدَرَ[1] فينا فَضْلا ونَيْلا، وإن فارقَنَا خلَّفَ فينَا عَقْلاً ونُبْلاً! فانصرفَ الأحوصُ مع العصر، فمرَّ بيْن الدارَيْنِ وهو يَميلُ بين شُعْبَتَيْ رَحْله.

[هجاء الأحوص لسعد بن مصعب]

وحُدِّثْتُ أن سعدَ بن مُصْعَبِ بن الزُّبير اتُّهِمَ بامرأة فى ليلة مَناحة أو عُرْسٍ، وكانت تحتَه ابنةُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير، فقال الأحوصُ ـ وكان بالمدينة رجلٌ يقال له: «سَعْدُ النَّارِ»:

ليس بسَعْدِ النَّار مَنْ تَذْكرونَه ... ولكنَّ سَعْدَ النَّار سَعْدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَرَ أَنَّ القَومَ ليلةَ جَمْعِهِم ... بَغَوْهُ فَأَلْفَوهُ لَدَى شَرِّ مَرْكَبِ
فما يَبْتَغِي بالشَّرِّ لا دَرَّ دَرُّهُ ... وفى بيتِهِ مِثلُ الغزالِ المَرَبَّبِ

فأَمر سعدُ بن مصعب بطعامٍ فَصُنِعَ، ثم حُمِلَ إلى قباب العرب، وقال للأحوصِ ـ وكان له صديقًا: تعالَ نَمْضى فنُصيب منه، فلما خلاَ به أَمَرَ به فَأُوثقَ، وأرادَ ضَرْبَه، فقال له الأحوصُ: دَعْنى، فلا والله لا أهْجُو زُبَيْريًّا أبدًا، فَحَلَّهُ، ثم قال: إنى والله ما لُمتُكَ على مَزْحِكَ، ولكنِّى أنكرتُ قولَكَ:

* وفى بيتِهِ مِثلُ الغزالِ المَرَبَّبِ *

* * *

وحُدِّثْتُ أن ابنَ أبى عَتيقٍ ذُكِرَ له أن المُخَنَّثين بالمدينة خُصُوا، وأنه خُصِى الدَّلاَلُ فيهم، فقال: إنَّا لله! أمَا والله لئن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحْسِنُ:

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيشِ أَمْسَى دَارِسًا خَلَقًا

ثم استقبلَ ابنُ أبى عَتيقٍ القِبلةَ يصلِّى، فلما كبَّر سَلَّمَ، ثم التفتت إلى أصحابهِ، فقال: اللهم إنهُ كان يُحْسِنُ خَفيفَهُ، فأمَّا ثقيلهُ فَلاَ ـ الله أكبَرَ!

---

(١) أغدر: ترك.

وحُدِّثْتُ أن مَدَنيًّا كان يصلِّى مُذْ طلعت الشمسُ إلى أن قارب النهارُ أن يَنْتَصِفَ، ومن ورائه رجلٌ يَتَغَنَّى، وهما فى مسجد رسول الله ﷺ، فإذا رجلٌ من الشُّرَطة قد قَبَضَ علَى المُغَنِّى، فقال: أَتَرْفَعُ عقيرَتَكَ بالغناء فى مسجد رسول الله ﷺ؟ فأخذه، فانْفَتَلَ المدنىُّ من صلاته، فلم يَزَلْ يَطْلُبُ إليه فيه حتى اسْتَنْقَذَهُ، ثم أقبلَ عليه فقال: أتدرى لِمَ شَفَعْتُ فيك؟ فقال: لا والله، ولكن إخالُكَ رحمتَنى، قال: إذًا فلا رحمنى **الله!** قال: فأَحْسِبُكَ عرفتَ قَرَابَةً بيننا؟ قال: إذًا فقطَعَهَا **الله!** قال: فَلَيَد تَقَدَّمَتْ منِّى إليك؟ قال: لا والله، ولا عَرَفْتُكَ قبلَهَا، قال: فَخَبِّرْنى، قال: لأنِّى سمعتُكَ غَنَّيْتَ آنفا، فأَقَمْتَ وَاوَاتِ مَعْبَدٍ، أَمَا واللهِ لو أسأتَ التأْدية لكنتُ أحدَ الأعوانِ عليكَ!

والصوتُ الذى يُنْسَبُ إلى واوات معبدٍ شِعْرُ الأعَشى الذى يعاتبُ فيه يَزيدَ ابن مُسْهِرٍ الشَّيْبَانىَّ، وهو قولُه:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإِنْ لامَ لائمُ ... غَداةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبيْنِ وَاجِمُ
لقد كان فى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ ... تُقَضَّى لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

قوله: «هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإِنْ لامَ لائمُ» منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيرُه «وَدِّعْهَا» كأنه قال: «وَدِّعْ هريرةَ»، فلمَّا اخْتَزَلَ الفعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه، وكان ذلك أجود من أَلاَّ يُضْمَرَ؛ لأن الأمرَ لا يكون إلاَّ بفعل، فأَضمرَ الفعلَ إذْ كان الأمرُ أحقَّ به، وكذلك «زيدًا اضْرِبْهُ» و«زيدًا فأَكْرِمْهُ» وإن لم تُضْمِرْ ورَفَعْتَ جاز، وليس فى حُسْنِ الأوَّل، تَرْفَعهُ على الابتداء وتُصَيِّرُ الأمرَ فى موضع خبره، فأمَّا قولُ الله جلَّ وعزَّ: ﴿**والسَّارقُ والسَّارقَةُ فاقْطَعوا أَيْديَهُما**﴾(١) وكذلك: ﴿**الزَّانيَةُ وَالزَّانى فاجْلدُوا كُلَّ واحد منْهُمَا مائَةَ جَلْدَة**﴾(٢) فليس علَى هذا، والرفعُ الوَجْهُ؛ لأَنَّ معناهُ الجزاءُ، كقولهِ: «الزانيةُ» أى التى تزنى، فإنما وجبَ القطعُ للسَّرَق والجَلْدُ للزنا، فهذا مُجَازَاةٌ، ومن ثَمَّ جازَ: الذى يأتينى فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه استَحقَّ الدرهمَ بالإتيانِ، فإن لم تُرد هذا المعنى قلتَ: الذى يأتينى له درهمٌ، ولا يَجوزُ:

---

(١) سورة المائدة ٣٨.

(٢) سورة النور ٢.

زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلتَ: زيدٌ فله درهمٌ، على معنى: هذا زيدٌ فله درهمٌ، أو هذا زيدٌ، فحسنٌ جميلٌ، جازَ، على أنَّ «زيدًا» خبرٌ، وليس بابتداء، وللإشارة دخلت الفاءُ، وفى القرآن: **﴿الَّذين يُنْفقُونَ أَموالَهمْ بالليْل والنَّهارِ سراً وعلانَيَة فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عنْدَ ربِّهِمْ﴾**(١)، ودخَلت الفاءُ لأن الثوابَ دَخَلَ للإنفاقِ. وقد قرأت القُرَّاءُ: **﴿الزَّانيةَ والزَّانىَ فاجْلدُوا﴾** **﴿والسارقَ والسارقةَ فاقطَعُوا﴾** بالنصب، على وجه الأَمرِ، والوجهُ الرَّفْعُ، والنصبُ حسنٌ فى هاتين الآيتين، وما لم يكنْ فيه معنى جَزَاءِ فالنصبُ الوَجْهُ.

[فخر معبد بخمسة أصوات من غنائه]

ويُرْوَى أَنَّ مَعْبَدًا بلغه أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلمٍ فَتح خَمْسَ مَدَائنَ، فقال: لقد غَنَّيْتُ خمسةَ أَصْوَاتٍ، هُنَّ أَشَدُّ منْ فَتْحِ المدائنِ التى فتحها قتيبةُ، والأصواتُ:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرتَحِلُ ... وهلْ تُطيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقولُه:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لاَمَ لاَئمُ ... غداةَ غدٍ أَمْ أنت للبَيْنِ واجمُ

وقولُه:

رأيتُ عَرَابَةَ الأوْسِىَّ يَسْمُو ... إلى الخيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القرِينِ

وقولُه:

وَدِّعْ لبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلاَ ... واسْأَلْ فإِنَّ قَليلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

وقولُه:

لَعَمْرِى لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا ... لقدْ كنتُ من خَوْفِ الفرَاقِ أَليحُ

* * *

أما قولُه:

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٧٤.

وقوله:

* هُرَيْرَةَ ودَعِّهَا وإن لامَ لائمُ *

فللأعْشَى، يُعاتبُ فيهما يَزيدَ بن مُسْهِر الشَّيْبانيَّ، يقولُ:

أَبْلغْ يَزِيدَ بَنِى شَيْبانَ مَأْلُكَةً ... أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تنفكُّ تأْتكلُ[1]

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْت أَثْلَتِنَا ... ولست ضائرَها ما أَطَّت الإِبلُ[2]

كنَاطِحِ صَخْرَةً يومًا ليَفْلقَها ... فلم يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

ويقولُ فى الأُخرى يعاتبه أيضًا:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كَأَنَّمَا ... زَوَى بين عَيْنَيْه علىَّ المحَاجِمُ

فلا يَنْبَسِطْ من بيْنِ عينيكَ ما انْزَوَى ... ولا تَلْقَنِى إلاَّ وأَنْفُك رَاغِمُ

فأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التقاطُعُ بيننَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يَوْمًا عليكَ المآتمُ[3]

وتُلْفَى حَصَانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كما كَانَ يُلْفَى الناصفَاتُ الْخَوَادمُ[4]

إذا اتَّصلَتْ قالت: أَبَكْرَ بنَ وائلٍ! ... وبكْرٌ سَبَتْهَا والأُنوفُ رَوَاغِمُ

* * *

فأمَّا الشعرُ الثالثُ فللشَّمَّاخِ بن ضِرَارِ بن مُرَّةَ بن غَطَفَانَ، يقولُه لعَرَابَةَ بن أوسِ بن قَيْظِيٍّ الأنصاريِّ:

رأيت عَرَابَةَ الأوْسِىَّ يَسْمُو ... إلى الخيرات منقطعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَة رُفِعَت لمَجْد ... تَلَقَّاهَا عَرابةُ باليَمينِ

إذا بَلَّغْتنى وحَمَلْتِ رَحْلِى ... عَرابةَ فاشْرَقِى بِدَمِ الوَتِينِ

* * *

والرابعُ لعمرَ بن عبد الله بن أبى رَبيعَةَ، يقولُه فى بعضِ الرِّوايات:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تَتَرحَّلاَ ... واسْأَلْ فإن قَليلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

امْكُثْ لَعَمْرُكَ ساعةً فَتَأَنَّها ... فعَسى الذى بَخلَتْ به أَن يُبْذَلاَ

لَسْنَا نُبَالِى حِينَ نُدْرِكُ حَاجَةً ... إنْ باتَ أو ظَلَّ المَطِىُّ مُعَقَّلا[5]

والشعر الخامس لا أعرفُهُ.

* * *

---

(١) المألكة: الرسالة، وتأتَلِ: تغضب. (٢) أثلتنا: أصلنا، وأطيطُ الإبل: أنينُها.

(٣) الاصطفان: الاضطراب. (٤) الحصان: العفيفة. وتنصف: تخدم.

(٥) معقلا، من عقلت الإبل إذا شددتها بالعقال.

ولم يَتَغَنَّ معبد فى مدحٍ قَطُّ إلاَّ فى ثَلاثةِ أشعارٍ، منها ما ذكرنا فى عَرَابَةَ، ومنها قولُ عبد الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّات فى عبدِ الله بن جعفر بن أبى طالبٍ:

تَقَدَّتْ بِىَ الشَّهْبَاءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ   سَوَاءٌ عليها لَيْلُها ونهارُهَا

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتِ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

حمزةُ المُبْتَاعُ بالمالِ الثَّنَا   ويَرَى فى بَيْعِهِ أَنْ قد غَبَنْ
وَهْوَ إِنْ أَعْطَى عَطاءً كاملا   ذا إِخاءٍ لَم يُكدِّرْهُ بمَنْ

ونحنُ ذاكِرُو قِصَصِ هذه الأشعارِ التى جَرَتْ فى عَقِبِ ما وصفنا إن شاء اللهُ.

قال أبو العباسِ: كان عبدُ الله بنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات منقطعًا إلى مُصْعَبِ بن الزبير، وكان كثيرَ المدحِ له، وكان يُقاتِلُ معه، وفيه يقولُ:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهابٌ منَ   اللهِ تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قوَّةٍ ليس فيه   جَبَرُوتٌ منه ولا كِبْرياءُ
يَتَّقِى اللهَ فى الأُمورِ وقد أفْـ   ـلَحَ من كان هَمَّهُ الاتِّقَاءُ

[قال أبوالعباس(1)]: وله فيه أشعار كثيرةٌ، فلمَّا قُتِلَ مصعبُ [بن الزبير](1) كان عبدُ الملك على قتل عبد الله بن قيس، فَهَرَبَ فلَحِقَ بعبد الله بن جعفر، فَشَفَعَ فيه إلى عبد الملك، فَشَفَّعَهُ فى أنْ تَرَكَ دَمَهُ، فقال: ويَدْخُلُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين فتَسْمَعَ منه! فأَبَى، فلم يَزَلْ به حتى أجابه، ففى ذلك يقولُ لعبد الله بن جعفرٍ:

أَتيناكَ نُثْنى بالذى أَنْتَ أهلُهُ   عليكَ كما أَثْنَى على الأرضِ جارُهَا
تَقدَّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ   سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُهَا
تَزُورُ فَتًى قد يَعْلَمُ الناسُ أنه   تجُودُ له كَفٌّ قليلٌ غِرَارُهَا
فو اللهِ لولا أَنْ تَزُورَ ابنَ جعفرٍ   لكانَ قليلا فى دِمَشْقَ قَرَارُهَا

(1) من س.

والشعرُ الذى مَدَح به عبدَ الملك:

عـادَ لَهُ من كَـثـيـرَةَ الطَّرَبُ ... فـعـينُهُ بالدمـوعِ تَنْسَكِبُ

وفيها يقول:

مـا نَقَـمُوا من بنى أُمَـيَّـةَ إلاَّ ... أنهم يَـحْلُمُـونَ إنْ غَـضِـبُـوا
وأَنَّهُـمْ سـادَةُ الملـوك فـلا ... تَصْلُحُ إلاَّ عليـهمُ العَـرَبُ
إن الـفَنـيقَ الـذى أبوه أَبـو العَـ ... ـاصى عـليـه الوَقـارُ والحُـجُبُ
خليـفَـةُ الله فى رَعِـيَّـتِـه ... جَـفَّتْ بذاكَ الأقْـلامُ والكـتُبُ
يَعْـتَـدِلُ التَّـاجُ فـوقَ مَـفْـرِقِـه ... علـى جَـبينٍ كـأنَّه الـذَّهَبُ

فقال له عبدُ الملك: أتقولُ لمُصْعَبٍ:

إنَّمـا مُـصْـعَبٌ شِـهـابٌ منَ اللهِ ... تَجَلَّـتْ عن وجـهـه الظَّلْمـاءُ

وتقولُ لى:

يعـتـدلُ التَّـاجُ فـوقَ مَـفْـرِقِـهِ ... علـى جَـبينٍ كـأنَّه الـذَّهَبُ!

* * *

وأما شِعْرُ الشَّمَّاخِ فى عَرَابَةَ فقد ذُكِر فى موضعه بحديثِه.

* * *

وأما الشِّعرُ فى حـمزةَ بن عبـد الله بن الزبير فـإنه لموسى شَهَـوَات، وكان موسى قال لمعبد: أقولُ شعرًا فى حـمزةَ وتَتَغَنَّى أَنْتَ به، فما أعطاك من شىءٍ فهو بَيْنَنَا! فقال هذا الشعرَ:

حـمـزةُ المُبْـتـاعُ بالمال الـثَّنَا ... ويَرَى فى بـيـعـه أَنْ قَـدْ غَـبَنْ
وَهْوَ إنْ أَعْطَـى عطاءً كـامـلاً ... ذا إخـاء لـم يُـكَـدِّرْهُ بـمَـنْ
وإذا مـا سَنَـةٌ مُـجْـحِـفَـةٌ ... بَرَت المـالَ كَـبَـرْى بـالسَّـفنْ
حَـسَـرَتْ عـنه نَقـيًّـا لَوْنُهُ ... طاهِرَ الأخْـلاق مـا فـيـه دَرَنْ

فأعطاه مالا، فقاسَمَهُ موسى.

باب

[لعتبة بن شماس في عمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: قال عُتْبة بن شمَّاس:

إنَّ أَوْلَى بالحقِّ في كلِّ حقٍّ ... ثم أحْرَى بأن يكونَ حقيقا
مَنْ أبوه عبدُ العزيز بنُ مَرْوا ... نَ ومَنْ كان جَدُّه الفارُوقا
رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ ... في ذُرَا شاهق يفُوتُ الأنُوقَا

يقولُ هذا الشعرَ في عمرَ بن عبدِ العزيز، وأُمُّ عمرَ أمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطاب، رحمه الله.

والأنوقُ: الرَّخَمَةُ، ولا يقالُ: الأنوقُ إلا للرَّخمة الأنثى. ومن أمثال العرب: «هو أعزُّ من بَيْضَ الأنوق»، وتقول العرب لمن يطلب الأمر العَسير: «سألْتَني بَيْضَ الأنوق» وذاكَ أنها تبيضُ في رُءوس الجبال، فلا يكادُ يُوجَدُ بَيْضُها، لبُعْد مطلَبه وعُسْره. فإن سأله مُحالا قال: «سألْتَني الأبْلَقَ العَقُوقَ»، وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل، ويقال: فرسٌ عَقوقٌ، إذا حملتْ فامتلأ بطنُها، فالأبلَقُ العقُوقُ محال.

ويُرْوَى أن رجلا سألَ معاويةَ أمرًا لا يُوجَدَ، فأعلمه ذلك، فسأل أمرًا عَسِرًا بعدَه، فقال معاويةُ:

طلَبَ الأبلَقَ العَقُوقَ فلمَّا ... لم يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأنوقِ

وإنما الأبلقُ الذكر من الخيل، يقال: فرس عَقُوقٌ إذا حَمَلت فامتلأ بطنها، فالأبلقُ العَقُوقُ محالٌ.

(لجرير في عمر بن عبد العزيز)

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز:

ما عَدَّ قومٌ كأجداد تعُدُّهُمُ ... مَرْوان ذو النور والفارُوقُ والحكَمُ
أَشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ ... قادَ البَرِيَّةَ وائتَمَّتْ به الأُمَمُ
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ النبيِّ له ... أن يُمتَعُوا بأبِي حَفْصٍ وما ظَلَموا

وفيه يقولُ جريرٌ أيضًا:

يعُــودُ الْحلْمُ منكَ على قُــرَيشٍ ... وتَفْــرُجُ عنهــمُ الكرَبَ الشِّــدَادَا
وقــد آمَـنْتَ وحْــشَــهُــمُ برفْقٍ ... ويُعْـيى الناسَ وَحْشُكَ أَن يُصَادَا
[وتبنى المجـدَ يا عــمــرَ بن لَيْلَى ... وتكفى المحـلَ السَّنَةَ الجـمـادا](1)
وتَدْعُـو اللهَ مـجـتـهـدًا لِيَـرْضَى ... وتَذْكُــرُ فى رَعِــيَّــتِكَ المَعَــادَا
[فمـا كعب بن مامة وابن سـعدى ... بأجـودَ منك يا عــمــرَ الجـوادا](1)

وقال أيضًا ـ وكان ابنُ سعدٍ الأزْدِىُّ قـد تَوَلَّى صَدقات الأعرابِ وأَعْطِيَاتِهم، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ ـ:

إنَ عِــيَــالى لا فــوَاكِــهَ عندَهم ... وعندَ ابــنِ سَـعْــدٍ سُكَّــرٌ وزبيبُ
وقد كــان ظَنِّى بابنِ سَعْدٍ سَعادة ... ومــا الظنُّ إلاَّ مُــخْطِئٌ ومُـصِـيبُ
فــإن تَرْجِــعُــوا رزقِى إلَىَّ فــإنَّه ... مــتَــاعُ لَيَــالٍ والأداءُ قَــرِيبُ
تَحَنَّى العِظَامُ الزاحِـفَاتُ من البِلَى ... وليس لِـداءِ الرُّكْــبَــتين طبِــيبُ

* * *

وقال يرثيه أيضًا:

نَعَى النُّعــاةُ أمــيــرَ المؤمــنين لنا ... يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعـتَمَرا
حَملْتَ أَمرًا جَسِيـما فاصْطَبرتَ له ... وقـمْتَ فـيـه بحقِّ اللهِ يا عُـمَـرَا
فالشـمسُ طالعةٌ لـيستْ بكاسِـفَةٍ ... تَبْكى عليكَ نجـومَ الليلِ والقَـمَـرَا

قولُه: «يا عــمرَا» نُدْبَةٌ، أراد: يا عُمَراه! وإنما الألفُ للنُّدبة وحـدها، والهاءُ تزادُ فى الوقف لخفــاء الألف، فإذا وصَلْتَ لم تَزِدْها، تقول: يا عمــرَا ذَا الفضلِ، فإن وقفتَ قلتَ: يا عمَراه، فحذَفَ الهاءَ فى القافية لاستغنائه عنها.

فأما قوله: «نجـومَ الليلِ والقمرَا»، ففيه أقاويلُ كلُّها جـيدٌ، فمنها أن تَنْصِبَ «نجومَ، والقــمرَ» بقوله: «بكاســفةٍ»، يقولُ: الشمسُ طالعــةٌ ليست بكاسفــةٍ نجومَ

(1) ما بين العلامتين من زيادة ر.

الليلِ والقَمَـرَ، يقولُ: إنما تكسفُ النجومَ والقمـرَ بإفْراط ضيائهـا، فإذا كانت من الحُزْن عليه قد ذَهَبَ ضِـياؤُها ظهرتِ الكواكبُ. ويقال: إن الغُبَـارَ يوم حَليمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمس فظهرت الكواكب المتباعِـدةُ عن مَطْلعِ الشمسِ، ويومُ حَليمةَ هو اليومُ الذى سافـرَ فيه المُنْذرُ بن المنذر بعَـرَبِ العراق إلى الحارثِ الأعرجِ الغَسَّانِىِّ، وهو الأكبر، والحـارثُ فى عَرَبَ الشَّأْم وهو أشهر أيام العربِ، ومن أمـثالهم فى الأمر الفاشى: «ما يَوْمُ حَليمةَ بِسِرٍّ»، وفيه يقولُ النابغةُ:

تُخُـيِّـرْنَ من أزمـانِ يومِ حَليـمـةٍ إلى اليوم قد جُـرِّبْنَ كلَّ التَّجَاربِ

وأَظُنُّ قول القـائلِ من العربِ: «لأرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهْـرًا»؛ إنما أُخِذَ من يومِ حليمةَ، قال طَرَفَةُ:

إنْ تُنَـوِّلْه فـقـد تَمْنَـعُـه وتُريهِ الـنَّجْمَ يجْـرِى بـالظُّهُـرْ

وقال الفرزدقُ لخالد بن عبد الله القسْرِىِّ:

لَعَمْرِى لقـد سارَ ابْنُ شَيْبَـةَ سِيرَةً أَرَتْكَ نجـومَ الليـلِ مُظْهِـرَةً تجْـرِى

ويجـوزُ أن يكونَ: «نجومَ الليلِ والقـمرَا» أرادَ بهـما الظرْف، يقـولُ: تبكى الشمسُ علـيكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقـمرِ، كـقولك: تَبْكِى عليك الدهْرَ والشَّـهْرَ، وتبكى عـليك اللـيلَ والنهارَ، يا فـتى. ويكونُ: تُبْكى علـيـك الشمس النجـومَ، كقولك: أبْكَيْتُ زيدًا على فلانٍ لمَا رأيتُ به.

وقد قال فى هذا المعنى أَحَدُ المُحَدثينَ شيـئًا مليحًا، وهو أحمد أخو أَشْجَعَ السُّلَمِّى، يقوله لنَصْـرِ بن شَبَث العُقَيْلِىِّ، وكـان أوقعَ بقومٍ مِنْ بنى تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّوَاجِيرِ، وهو أشبهُ بالشِّعْر، قال:

للهِ سَـيْـفٌ فى يَـدى نَصْـرِ فى حَـدِّه مـاءُ الـرَّدَى يجْـرِى
أَوْقَعَ نَصْـرٌ بالسَّـوَاجِيـرِ مَـا لم يُوقِـعِ الجَحَّـافُ بالبِـشْـرِ
أَبْـكَى بَـنِـى بكْـر علـى تَـغْلِـبٍ وتَـغْلِـبًـا أَبْكـى علـى بكْـرِ

ويكون: «تبكى عليك نجـومُ الليلِ والقَمَرَ»، على أن تكـون الواوُ فى معنى «مع»، وإذا كانت كذلك فكانَ قبلَ الاسم الذى يليه أو بعدَه فعْلٌ انتصب لأنه فى المعنى مفعول وَصَلَ الفعلُ إليه فنَصَبَـه. ونظيرُ ذلك: «اسْتَوَى الماءُ والخَشَبَةَ» لأنك

لم تُردْ استوى الماءُ واستوت الخشبةُ، ولو أردتَ ذلك لم يكن إلا الرفعُ، ولكنَّ التقديرَ: ساوى الماء الخشبةَ، وكذلك «مازلْتُ أسيرُ والنِّيلَ» يا فتى؛ لأنك لسْتَ تخبرُ عن النيِّلِ بسير، وإنما تريدُ أنَّ سَيْرَك بحذَائه ومعه، فوَصَلَ الفعلُ. وهذا بابٌ يطولُ شرحُه. فإن قلتَ: «عبدُ الله وزيدٌ أَخَوَاكَ» وأنت تريدُ بالواو معنى «مع»، لم يكن إلاَّ الرفعُ، لأن قبلَها اسمًا مبتدأ، فهى على موضعه.

وأَجْوَدُ التفسيرِ عندنَا فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿**فأَجْمعُوا أَمْرَكُم وشُرَكَاءَكُم**﴾[1] أن تكونَ الواوُ فى معنى «مع»، لأنك تقولُ: أَجْمَعْتُ رأيِي وأمرِي، وجَمَعْتُ القومَ، فهذا هو الوجهُ. وقومٌ ينصبونه على دخوله بالشَرْكةِ مع اللام فى معنى الأوَّل، والمعنى الاستعدادُ بهما، فيجعلونه كقولِ القائلِ:

يا ليتَ زَوْجَك قد غَدَا ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحًا

والرمحُ لا يُتَقَلَّدُ، ولكنْ أدخلَه مع ما يُتَقَلَّدُ، فتقديرُه: «متقلدًا سيفًا وحاملا رمحًا»، ويكون تقديرُ الآية: فأجْمِعُوا أمركم وأعِدُّوا شركاءَكم، والمعنى يَئُولُ إلى أمر واحدٍ. ومن ذلك قولُه:

* شرَّابُ أَلْبَانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ *

فأمَّا ما جاء فى القرآن على هذا خاصةً، فقوله جلَّ وعزَّ: ﴿**واللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّة منْ مَاء فمنهم مَنْ يَمْشى عَلَى بَطْنه ومنهم مَنْ يَمشى عَلَى رِجْلَيْنِ ومنهم مَنْ يَمشِى علىَ أَرْبَعٍ**﴾[2] فأَدخلَ «مَنْ» هاهَنا؛ لأن الناسَ مع هذه الأشياء، فَجرَتْ علىَ لفظٍ واحدٍ، ولا تكون «مَنْ» إلاَّ لمن يَعْقِلُ إذا أَفْرَدتها.

(لرجل يشكو إلى عمر بن عبد العزيز عماله)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمَّالَهُ:

إنَّ الذينَ أَمَرْتَهُمْ أن يَعْدلُوا ... نَبَذَوا كِتَابَكَ واسْتُحِلَّ المُحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِىَ الأمانَةَ منهمُ ... بَرٌّ وهيهاتَ الأَبَرُّ المُسْلِمُ
طُلْسُ الثِّيابِ على مَنابرِ أَرْضِنَا ... كلٌّ بِنَقْصِ نَصِيبنا يتكَلَّمُ

أنشدنيه الرِّياشِيُّ عن الأصمعيِّ.

---

(١) سورة يونس ٧١. (٢) سورة النور ٤٥.

ونظيرُ هذا قولُ ابن هَمَّامٍ السَّلُولى:

إذا نَصبَوا للقول قالوا فأَحْسَنُوا ... ولكنَّ حُسْنَ القول خالَفَهُ الفعلُ
وذَمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعُونَها ... أَفاويقَ حَتَّى ما يَدِرُّ لها ثُيْلُ

وقد مَرَّ تفسيرُ هذا الشعر، والأطْلَسُ: الأغْبَرُ، وربَّما اشتَّدتْ غُبْرَتُهُ حتى يَخْفَى فى الغُبَار، وإنما أراد بقوله: «طُلسُ الثياب» أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا، ويكونُ أن يكونَ جعَلَهم بمنزلة الذئب، وهو أحسن.

(عمر بن الخطاب مع أحد ولاته)

ويُرْوَى أَنَّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله وَلَّى رجلا بلدًا، فوَفَدَ عليه، فجاءهُ مُدَّهِنًا حسنَ الحال فى جسمه، عليه بُرْدَان، فقال له عمرُ: أهكذا ولَّيْنَاك! ثم عزلَهُ، ودَفعَ إليه غُنَيْمَات يرعاها، ثم دَعَا به بعدَ مُدَّة، فرآه باليًا أشْعَثَ فى ثوبين أطْلَسَيْنِ، وذُكِرَ عندَ عمرَ بخير، فردَّه إلى عمله، وقال: كلُوا واشربوا وادَّهنُوا، فإنكم تعلَمُونَ الذى تُنْهَوْنَ عنه.

* * *

ويُرْوَى عن الحسن أنه قال: اقْرِبُوا من هذه الأعوادِ[١]، فإنهم إذا رَقُوهَا لُقِّنُوا الحكمْةَ، لتكون عليهم حجةً يومَ القيامة.

(لرجل يرثى عمر بن عبد العزيز)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثِيه، أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ:

قد غَيَّبَ الدافنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا ... بدَيْرِ سَمْعانَ قِسطَاسَ الموازينِ[٢]
مَنْ لَم يكن هَمُّهُ عينًا يُفَجِّرُهَا ... ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَرَاذِينِ
أقولُ لَمَّا أتانى ثَمَّ مَهْلَكهُ ... لا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ المُلْكِ والدِّينَ

يقالُ: هذا قِوَامُ الأمرِ وملاكُهُ لا غيرُ، وتقولُ: فلانٌ حَسَنُ القَوام، مفتوحٌ، تُرِيدُ بذلك الشَّطَاطَ[٣]، لا يكونُ إلاَّ ذاكَ، وقِوَام إذَا كان اسمًا لم تنقلب واوُه ياءً

---

(١) الأعواد هنا: المنابر.
(٢) دير سمعان: بلد بنواحى دمشق.
(٣) الشطاط: حسن القوام.

من أَجل الكسرة، لأنهـا متحركة، إلاَّ أن يـكونَ جمعًا قد كَـانت الواوُ في واحده ساكنةً، فتنقلبُ في الجمع، لأن حركتَـها لعلة، تقولُ: سَوْطٌ وسياطٌ وثوبٌ وثِيابٌ وحَوْضٌ وحِياضٌ، فإن كانت الواوُ فـي الواحد متحـركةً ثَبَتَتْ في الجـمع، نحو طويلٍ وطوال، وكـذلك «فعـالٌ» إذا كانَ مصـدرًا صَحَّ إذا صحَّ فعلُـه، واعْتَلَّ إذا اعْتَلَّ فـعلُه، فما كانَ مـصدرًا لـ «فاعَلْتَ» فـهو «فعَـالٌ» صحيحٌ، تقولُ: قَـاوَلْتُهُ قِـوَالا، ولاَوَذْتُه لِوَاذًا، كقـوله تعـالى: ﴿قَـدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّـذِينَ يَتَـسَلَّلُونَ مِـنْكُمْ لِوَاذًا﴾[1]، أى مُلاوَذَةً، وإذا كـانَ مصدرَ «فَـعَلْتُ» اعْتَلَّ لاعْـتلالِ الفـعل فقلتَ: قُمتُ قِيامًا، ونمتُ نِيامًا، ولُذْتُ لِيَاذًا، وعُذْتُ عِيَاذًا.

[لعويف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك]

وقال عُوَيْفُ القَـوافِي شعرًا، يَرْثِي سليـمانَ بن عبد الملك، ويذكـر عمرَ بن عبد العزيز، هذا ما اخترنا منه:

لاحَ سَـــحَـــابٌ فـــرأَيْنَـا بَرْقَـــهُ ... ثم تَدَانَى فَـــسَـمِـعْنَا صَـــعْـقَـهُ
وراحت الـرِّيحُ تـزَجِّي بُلْـقَـــهُ ... ودُهْمَـــهُ ثم تُـزَجِّي وُرْقَـــهُ
ذاكَ سَـقَـى وَدْقًـا فَـــرَوَّى وَدْقَـهُ ... قَـبْـرَ امْـرِئٍ أَعْظَمَ ربِّى حَـقَّـهُ
قـبـر سليـمـانَ الذى مَنْ عَـقَّـهُ ... وجَـحَـدَ الخَـيـرَ الذى قـد بَقَّـهُ
فى الـعَــالَمـين جِلَّـهُ ودِقَّـــهُ ... لَمَّا ابتـلَى اللهُ بخَـيـرٍ خَلْـقَـهُ
وكـادت الـنفسُ تُسـاوى حَلْـقَـهُ ... أَلْقَى إلى خَيـرِ قـريشٍ وَسْـقَـهُ
يا عـمَـرَ الخَـيْـرِ المُلَقَّى وَفْـقَـهُ ... سُـمِّيتَ بـالفاروق فـافْـرُقْ فَرْقَـهُ
وارْزُقْ عِـيَـالَ المسلمين رَزْقَـهُ ... واقْـصِـدْ إلى الخَـيـرِ ولا توَقَّـهُ
بحـرُكَ عَـذبُ الماءِ مـا أعَـقَّـهُ ... ربُّكَ، والمحـرومُ من لـم يُسْـقَـهُ

يقالُ: لاَحَ البرقُ، إذا بَدَا، وأَلاَحَ إذا تلألأ، وهذا البيت يُنْشَدُ:

* مَنْ هَاجَهُ الليلةَ بَرْقٌ أَلاَحْ *

ويقالُ: شَرَقَت الشمسُ، إذا بَدَتْ، وأَشْرَقَت إذا أضاءتْ وصَفَتْ.

ويقالُ: صاعقَةٌ وصاقعَةٌ، وبنو تَمـيمٍ تقولُ: صاقعَةٌ، والصَّعْقُ شِدَّةُ الرَّعْد، ويعْنَى فى أَكثرِ ذلكَ ما يَعْترَى مَنْ يسْمعُ صوتَ الصاعقةِ.

---

(١) سورة النور ٦٣.

وقوله: «تُزَجِّى» يقول: تسوقه وتَسْتَحثُّهُ.

والأَبْلَقُ من السحاب: ما فيه سوادٌ وبياضٌ، وفى الخيل: كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو بَلَقٌ.

والأَوْرَقُ: الذى بين الخُضْرَةِ والسَّوادِ، وهو أَلأَمُ ألوانِ الإبلِ، ويقال: إن لحم البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمَانِ الإبلِ.

والوَدْقُ: المطرُ، يقال: ودَقَت السماءُ يَاَ فتى، تدقُ وَدْقًا، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**فترى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خلاَلِه**﴾(١)، وقال عامرٌ بن جُوَيْنِ الطائىُّ:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ ودْقَها ... ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَهَا

وأصلُ العَقِّ القطعُ فى هذا الموضع، ولِلْعَقِّ مواضعُ كثيرة، يقال: عَقَّ والديه يَعُقُّهما إذا قَطَعهما، وعَقَقْتُ عن الصبىِّ(٢) مِنْ هذا، وقالوا: بل هو من العَقيقَةَ وهى الشَّعَرُ الذى يولَدُ الصبىُّ به، يقال: فلان بعَقيقته إذا كان بشعر الصِّبا لم يَحْلقْهُ، ويقال: سيفٌ كأَنَّهُ عَقيقة، أى كأنَّه لَمعْةَ بَرْقَ، يقَال: رأيتُ عَقيقَةَ البَرْقِ يا فتى، أى اللَّمْعَةَ منه فى السحاب، ويقال: فلانٌ عُقَّتْ تميمتُهُ ببلَد كذا، أى قُطعَتْ عنه فى ذلك الموضع، قال الشاعرُ:

ألم تَعْلَمى يا دَارَ بَلْجَاءَ أَنَّنى ... إذا أَخْصَبَتْ أو كان جَدْبًا جَنَابُهَا
أَحَبَّ بلاد الله ما بين مُشْرِف ... إلىَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُهَا
بلادٌ بها عَقَّ الشَّبابُ تَميمَتِىَ ... وأَوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلدِى تُرَابُهَا

وقوله:

* وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ *

يقال: بَقَّ فلانٌ فى الناس خيرًا كثيرًا، وبقَّ ولدًا كثيرًا، وأَبَقَّ كلامًا كثيرًا.

وقوله:

* أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ *

فهذا مثلٌ، يريد: قلَّدَهُ أَمره، والوَسْقُ الْحِملُ.

---

(١) سورة النور ٤٣.

(٢) أى ذبحت عنه عقيقة.

وقوله: المَلَقَّى وَفقــهُ، يقال: لُقِّيَ فلانٌ خيرًا، أى جُـعلَ يَلْقاهُ، والوَسَقْ من الكيل: مقدارُ خمسة أَقفزةٍ بقَفيزِ البصرةِ، وهو قفيزَانِ ونصفٌ بقفيز مدينة السَّلامِ.

وقوله: «ليـس فى أَقَلَّ من خمسـة أَوْسُقٍ صَدَقَـةٌ» إنَّمَا مـبلغ ذلك خمـسة وعشرون قفيزًا بالبصرى، والوَفْق: التوفيقُ.

وقـوله: «سـمِّيتَ بـالفاروق» فـتـأويلُ الفـاروق هو الذى يَفْـرِقُ بين الحقِّ والباطِلِ، وكـذلك قال المفـسرون فى «الفُـرْقان»، وقـد أبانَ ذلك بقوله: «فـافْرُقْ فَرْقَهُ».

وقولُه:

* وارْزُقْ عِيالَ المسلمينَ رَزْقَهُ *

يقال: رَزْقَه يرزْقُهُ رَزْقًا، والاسم الرِّزْقُ.

وقولُه:

* بَحرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ *

مقلوبٌ، إنما هو مـا أَقَعَّهُ ربُّكَ. يقال: ماءٌ قُـعَاعٌ، وماءٌ حُرَاقٌ، فـالقَعَاعُ: الشديدُ الملوحة، يقولُ: ما أَمْلَحَه ربُّك، والحُرَاقُ: الذى يُحْرِقُ كلَّ شيءٍ بمُلوحَته، والمـاء الـعذبُ يقـالُ له: النُّقَـاخُ، وما دونَ ذلك شيئًا يقـالُ له: المَسُوسُ. أنشـد أبو عُبيدةَ:

لـو كُنْـتَ مـــــاءً كنـتَ لا عَــذْبَ المَذَاقِ ولا مَـسُــوسَـا

يقالُ: ماءٌ عذبٌ، وماءٌ فُـراتٌ، وهو أَعْذَبُ العذْبِ، ويقال: ماءٌ مِلْح، ولا يقـالُ: مَـالِحٌ، وسَمَكٌ مَـمْلوحٌ ومَلِـيحٌ، ولا يقالُ: مـالِحٌ، وأشـدُّ الماء ملوحـةً الأُجَاجُ، قال الفَرَزْدَقُ:

ولو أَسْـقَـيْتَـهُمْ عَـسَلا مُـصَـفَّى بماء الـنيِّلِ أو مـــاء الـفُــرَاتِ
لقـــالــوا إنـه مِـلْـح أُجَـــاجٌ أَرادَ به لَـنَا إِحْـــــدَى الـهَنَـاتِ

وقوله:

* ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ *

يقالُ فيه قولان: أحدُهما: فَرَوَّى الغَيْمُ وَدْقَه هذا القبرَ، يريدُ: منْ وَدْقه، فلمَّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ عَملَ الفعْل. والآخَرُ كقولك: «رَوَّيتُ زيدًا ماءً»، ورَوَّى أكثرُ من أرْوَى، لأن «رَوَّى» لا يكونُ إلا مَرَّةً بعدَ مرَّة، يقولُ: «فروَّى اللهُ وَدْقَه» أى جَعَلَه رِوَاءً، فأضمرَ لعلمِ المخاطَبِ، لأنَّ قوله: «لاَحَ سحابٌ»، إنما معناه: أَلاَحَهُ اللهُ، فالفاعلُ كالمذكور، لأن المعنَى عليه، ونظيره قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿**إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾[1] ولم يَذكر الشمسَ، وكذلك: ﴿**ما تَرَكَ على ظَهْرِها منْ دَابَّة**﴾[2] ولم يَذكر الأرضَ، وقال قومٌ: وَدْقَه، يريد وَدْقَةً واحدةً، وهذا رَدِىءٌ فى المعنَى، ليس بمُبَالِغ.

[لإسحاق بن إبراهيم الموصلى]

قال ابن الموصلى:

لَعَمرى لئَنْ حُلِّئْتُ عن مَنْهَلِ الصِّبَا ... لقد كنْتُ وَرَّادًا لَمْنهله العَذْبِ
لَيَالِىَ أَمشِى بين بُرْدَى لاهيا ... أَميسُ كغُصْنِ البانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سَيْرِ القِلاَصِ مع الرَّكْبِ ... ووَصْلِ الغَوَانِى والْمُدامَةِ والشَّرْبِ
سلامُ امْرِئٍ لم تَبْقَ منه بَقِيَّةٌ ... سِوَى نَظَرِ العينين أو شَهْوَةِ القلبِ

قوله: «والشَّرْب»، يريد جمعَ شارب، يقال: شاربٌ وشَرْبٌ، وراكبٌ ورَكْبٌ، وتاجرٌ وتَجْرٌ، وزائرٌ وزَوْرٌ، قال الطِّرِمَّاحُ:

حَبَّ بالزَّوْرِ الذى لا يُرَى ... منه إلاَّ صَفْحَةٌ عن لمام

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ، قال العَجَّاجُ:

بِوَاسِطٍ أكْرَمُ دَارٍ دَارَا ... واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأنصارَا

يريد أنصارَكَ، فأخرجه على «ناصرٍ ونَصْرٍ».

وقوله: «سلامُ امْرِئٍ» على البدل من قوله: «سلامٌ على سَيْرِ القِلاَص» وإن شئت نصبتَ بفعلٍ مضمرٍ، كأنك قلتَ: اسَلِّمُ سَلاَمَ امْرِىءٍ، لأنك ذكرت سلامًا

---

(١) سورة ص٣٢.

(٢) سورة فاطر ٤٥.

أولا، ومَثَلُ ذلك: له صوْتٌ صوت حمار، لأنك لمَّا قلتَ: «له صوتٌ» دللتَ على أنه يُصَوِّتُ، كأنك قلت: يصوِّتُ صَوتَ حمارٍ، وكذلك: «له حَنِينٌ حَنِينَ ثَكْلَى»و:

* له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ *

أى: يَصْرِفُ صَرِيفًا، فما كان من هذا نكرةً فنَصْبُه على وجهين: على المصدر، وتقديرُه: يَصْرِفُ صريفًا مثلَ صريف جَملٍ، وإن شئتَ جعلتَه حالا، وتقديره: يُخْرِجُه فى هذه الحال. وما كان معرفةً لم يكن حالا ولكن على المصدر، فإن كان الأولُ فى غير معنى الفعلِ لم يكن النصبُ ألبَتَّة ولمْ يصلُح إلاَّ الرفعُ على البدل، تقول: له رأسٌ رأسُ ثورٍ، وله كفٌّ كفُّ أسد، فالمرتفعُ الثانى إذا كان نكرةً كان بدلا أو نعتًا، وإذا كان معرفةً كان بدلا ولم يكن نعتًا، لأن النكرةَ لا تنْعَتُ بالمعرفة، وكذلك إذا كان الأوَّلُ ابتداء لم يجزْ إلاَّ الرَّفعُ، لأن الكلامَ غيرُ مُسْتَغْنٍ؛ وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء، تقول: صوته صوتُ الحمار، وغناؤه غنَاءُ المجيدين، وكذلك إن خَبَّرْت بأمرٍ مُستَقرٍّ فيه اختيرَ الرَّفع، تقول: له علْم عَلْمُ الفقَهاء، وله رأىٌ رأىُ القضاة؛ لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرَّ له، وليس الأبلغُ فى مدحه أن تخبر بأنك رأيتَه فى حال تَعَلُّمٍ، ويجوز النصبُ على أنك رأيتَه فى حالِ تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه فهذا يَصْلحُ، والأجودُ الرفعُ، فإذا قلتَ: «له صَوتٌ صَوتَ حمارٍ»، فإنما خَبَّرتَ أنه يُصَوِّتُ، فهذا سوى تلك المعنى.

ومِمَّا يُختارُ فيه الرفعُ قولُك: عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحمامِ، وإنما اختيرَ الرفعُ؛ لأنَّ الهاءَ فى «عليه» اسمُ المفعول له، والهاءَ فى «له» اسمُ الفاعلِ، ويجوز النصبُ على أنك إذا قلتَ: عليه نَوْحٌ دَلَّ النَّوْحُ على أن معه نائحًا، فكأنك قلتَ: يَنُوحون نَوْحَ الحمامِ، فهذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبواب.

[لابن الخياط المدنى]

وقال ابنُ الْخَيَّاط المَدِينىُّ، يعنى مالكَ بنَ أنسٍ:

يَأَبَى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً ... والسائلون نَوَاكسُ الأذْقَانِ
هَدْىُ التَّقِىِّ وعِزُّ سُلْطانِ النُّهَى ... فهو العزيزُ وليس ذا سلْطانِ

أراد: له هدىُ التَّقِىِّ، أو معه هدىُ التَّقِىِّ.

بابـ

قال أبو العباس: نَذْكُرُ فى هذا الباب من كل شىء شيئًا، ليكونَ فيه استراحةٌ للقارئ، وانتقالٌ يَنْفى المَلَلَ؛ لِحُسْنِ[١] مَوْقِعِ الاستطراف، ونَخْلطُ مـا فيه من الجِدِّ بشَىْءٍ يسيرٍ من الهزْلِ، ليستريحَ إليه القلبُ، وتَسْكُنَ إليه النفسُ.

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

قال أبو الدَّرْداء رحمه الله: إنى لأَسْتَجِمُّ نفسى[٢] بشىءٍ[٣] من الباطلِ ليكونَ أَقْوى على الحقِّ.

وقال علىٌّ بن أبى طالبٍ رحمه الله: القَلْبُ إذا أُكْرِهَ عَمِىَ.

وقال ابنُ مسعودٍ[٤] رحمه الله: القلـوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ فابتـغوا لها طَرَائفَ الحِكْمة.

وقـال ابنُ عـبـاسٍ رضى الله عنه: العلْمُ أكـثـرُ من أنْ يُؤْتَى على آخِـرِه، فخذوا[٥] من كل شَىءٍ أَحْسَنَهُ.

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذى ذكـرنا. ولكن نذكر الشىء بالشىء، إمَّا لاجتماعهما فى لفْظٍ، وإمَّا لاشتراكهما فى معنى.

وقال الحسنُ - وليس من هذا الباب -: حادثُـوا هذه القلوبَ، فإنها سَريعةُ الدُّثُورِ، واقْدعُـوا هذه الأنفُسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنكم إلاَّ تَزَعُـوها تَنْزِع بكم إلى شَرِّ غاية، وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ.

وقـال أرْدَشـيرُ بن بَابَـك: إن لِلآذَانِ مَجَّـة، وللقلوب مَـلَلاً، فَفَـرِّقُـوا بين الحِكْمَتَينِ يكُنْ ذلك استِجْمَامًا.

وكان أَنُوشَـرْوان يقول: القلوبُ تحـتاجُ إلى أقـواتِها من الحِكْمةِ كـاحتـياج الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذَاء.

---

(١) س: «بحسن».

(٢) أستجم نفسى، يريد أريحها، وأصله فى البئر؛ تترك بعد الاستقاء ليتراجع ماؤها.

(٣) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «لشىء».

(٤) س: «عبد الله بن مسعود».

(٥) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «فخذ».

وُيُرَوى أنه أصيبَ فـى حكْمَة آل داود(١) : لا ينبغى للعاقـل أن يُخْلىَ نفسه من واحدة من أربعٍ: من عُدَّة(٢) لمعَاد، أو إصلاحٍ(٣) لَمعاشٍ، أو فكْرٍ يَقف به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسدُه، أو لَذَّةٍ فى غير مُحَرَّمٍ يستعين بها على الحالاَتِ الثلاثِ.

* * *

وقال عـبدُ الله بن عـمرَ بن عـبد العـزيز لأبيه يومًـا: يا أَبَة، إنك تنامُ نومَ القائلة، وذو الحاجة على بابكَ غيُر نائمٍ؟ فـقال له: يابُنَىَّ، إنَّ نفسى مَطِيَّتى، فإن حَمَلْتُ عليها فى التَّعَبِ حَسَرْتُها.

تأويلُ قوله: «حَسَرْتُها»: بَلَغْتُ بها أقـصى غاية الإعْيَاء، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(٤). وأَنْشَدَ أبو عُبيدةَ:

إنَّ العَـسيـرَ بهـا دَالاً مُـخَامـرُهَا ... فَـشَطْرَهَا نَظَرُ العَـيْنَيْنِ مَـحسُـورُ

قوله: «فَـشَطْرَهَا» يريد قَصْدَها ونحوَها، قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شطرَ المسجد الْحَرَامِ﴾(٥) [و](٦) قال الشاعر(٧):

لهُنَّ الوَجا لِمْ كنَّ عَوْنًا على النوَى ... ولا زالَ منهـا ظالِعٌ وحَسِـيـرُ

يعنْى الإبلَ، يقول: هى الْمُفَرِّقَةُ، كما قال الآخَرُ:

مـا فَـرَّقَ الآلاَّفَ يَـعْــ ... ـدَ الله إلاَّ الإبِـلُ
ولا إذا صـاحَ غُـرَاَ ... بٌ فى الديار احْـتَـمَلوا
ومـا غـرابُ البَـيْنِ إلاَّ ... نـاقـةٌ أوَ جَـمَلُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى فيه غيرُ أبى العباسِ:

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «داءد» بالهمزة والأوجه ما أثبتناه.
(٢) ر: «غدو»، وما أثبته عن ر والأصل.
(٣) س: «صلاح».
(٤) سورة الملك ٤.
(٥) سورة البقرة: ١٤٤.
(٦) من س.
(٧) هو جميل بن معمر العذرى، قاله المرصفى.

والناسُ يَلْحَونَ غُرا ... بَ البَيْنِ لمَّا جَهِلُوا
والبائسُ المسكينُ ما ... يُطْوَى عليه الرَّحَلُ

ويقال: إنه لأبى الشيصِ].

* * *

فمن قال: «آلفٌ» للواحد قال للجميع[1] «أُلاَّفٌ» كعاملٍ وعُمَّال، وشاربٍ وشُرَّاب، وجاهلٍ وجُهَّال. ومن قال للواحد: إلْفٌ. قال للجميع: آلافٌ، وتقديرهُ: عِدْلٌ وأعْدالٌ، وحِمْلٌ وأحْمَالٌ. وثِقْلٌ وأثقالٌ.

[فى وصف الإبل]

وقد أنصفَ الإبلَ الذى يقولُ:

أَلاَ فَرعَى الله الرَّوَاحِل إنما ... مَطَايا قلوبِ العاشقينَ الرَّوَاحِلُ
على أنهنَّ الواصِلاتُ عُرَى النَّوَى ... إذا ما نَأَى بالآلفينَ التَّواصُلُ

وقال الآخر:

أقولُ والهَوْجَاءُ تمْشِى والفُضُلْ: ... قطعَتِ الأحْداجُ أعناقَ الإبِلْ

الهَوْجَاءُ: التى تُجِدُّ فى السَّيْر وتَرْكَبُ رأسَهَا، كأن بها هَوْجًا.

كما قال:

* للهِ دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهَوْجِ *

وكما قال الأعشى:

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتَ حِرْباءَ الوَدِيقةِ أَصْيَدَا

والفُضُلُ: مشْيَةٌ فيها اختيالٌ، كأَنَّ مشْيَتَهَا تَخْرُجُ عن خطامها فتَفْضُلُ عليه، والأصلُ فى ذلك أن يمشىَ الرجلُ وقد أَفْضَلَ منْ إزاره، وتمشىَ المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيْلِها، وإنما يُفعلُ ذلك من الخُيَلاء، ولذلك جاء فى الحديث: «فَضْلُ الإزار فى النار»، وقال رسول الله ﷺ لأبى تَميمةَ الهُجَيْمىِّ: «وإيَّاكَ والمَخِيلَةَ»[2]، فقال: يا رسولَ اللهِ، نحن قومٌ عَرَب، فما المَخيلَةُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «سَبَلُ الإزارِ».

---

(١) كذا فى س، وفى الأصل، س: «قال آلاف». (٢) المخيلة: الكبر والعجب والخيلاء.

وقال الشاعر[1]:

ولا ينْسِينِىَ الحَدَثَان عِرْضِى ... ولا أُرْخِى من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيس بن الأَسْلَت الأنصارىّ:

تَمْشِى الهُوَينى إذا مَشَتْ قُطُفًا[2] ... كأنَّهَا عُودُ بانَةٍ قَصِفُ

* * *

[قال أبو الحسن: هذا وهم من أبى العباس، ما تروى إلاَّ لقيس بن الخطيم الأنصارىّ].

* * *

وقال الوَليدُ بن يزيد:

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخِرًا ... أُنْعِمُ بَالِى وأَتْبَعُ الغَزَلاَ[3]

أَنْقُلُ رِجْلى إلى مَجالِسِها ... ولاَ أُبالِى مَقالَ مَنْ عَذَلاَ

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ يُسْتَضَاءُ بها ... تمشى الهُوَيْنَى إذا مَشتْ فُضُلاَ

* * *

ثم نعود إلى الباب، قال الراجزُ يصف إبلا أو نوقا[4]:

إِنَّ لها لَسَائِقًا خَدَلَّجَا ... لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أَدْلَجَا

الخَدَلَّجُ: المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ: وإنما عَنَى المرأة التى ساقه حبُّه إليها.

[ضروب الكلام]

والكلامُ يجرى على ضروب، فمنه ما يكونُ فى الأصل لنفسِه، ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يَقَعُ مَثَلاً، فيكونُ أبلَغَ فى الوصفِ.

---

(١) زيادات ر: «ويقال إنه لقيس بن الخطيم».

(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «فضلا».

(٣) كذا فى الأصل، وفى ر، س: قال على بن سليمان: ما نعرف هذا البيت إلا لقيس بن الخطيم الأنصارى، يعنى: «تمشى الهوينى».

(٤) كذا فى الأصل: س، وفى ر: «يعنى إبله أو ناقته».

والكنايةُ تَقعُ على ثلاثة أَضْرُب:

أحدها: التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِية، كقول النابغة الجَعْدىِّ:

أَكْنى بغَـيرِ اسـمِـهَا وقـد عَلِمَ الله ... خَـفِـيَّـاتِ كلِّ مُكْتَـتمِ[1]

وقال ذو الرُّمَّة، استراَحةً إلى التصريح من الكناية:

أُحِبُّ المكانَ القَـفْـرَ من أجْل أَنَّنى ... به أَتَغَنَّى باسـمـها غـيـرَ مُعْـجَمِ

وقال أحدُ القرشيين[2]:

وقد أَرْسَلَـتْ فى السرِّ أَنْ قـد فَضَحْـتنِى ... وقد بُحْتَ باسمى فى النَّسيبِ وما تَكْنِى

ويُرْوَى أن عمـرَ بن عبد الله بن أبى ربيعـةَ قال شعرًا، وكـتب به إلى امرأةٍ مُحرِمَةَ[3] بحضرة ابن أبى عتيق، وهو:

أَلِمَّـا بذَات الخَـال فـاسْـتَطْلِعَـا لَنَا ... على العَـهْد بَاقٍ وُدهَا أَمْ تَصَـرَّما

وَقُـولاَ لهـا إِنَّ النَّـوَى أَجْنَبِـيَّـةٌ ... بنَا وبِكُمْ قـد خِفْـتُ أَنْ تتيَـمَّمَـا

قال: فقـال له ابنُ أبى عتيق: ماذا تُريدُ إلى امـرأة مسلمة[4] مُحْرِمة تكتُبُ إليها بمثل هذا الشعر! قال: فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ قال له ابنُ أبى ربيعةَ.

أعلمتَ[5] أَنَّ الجوابَ جاء[6] من عندِ ذاك الإنسان؟ فقال له: ما هو؟ فقال: كَتَبَتْ:

أَضْـحَى قَرِيـضُك بالهَوَى نَـمَّامَـا ... فـاقْـصِدْ هُديتَ وكُـنْ له كتَّـامَـا

واعْلَمْ بـأَنَّ الخَـال حين ذَكَـرتَهُ ... قَـعَـدَ العَـدُوُّ به عليكَ وَقَـامَـا

ويكونُ من الكناية - وذاكَ أحسنها - الرغبةُ عن اللفظ الخسيسِ المُفْحش إلى ما يدلُّ على معناه من غـيرِه، قال اللهُ ـ وله المَثَلُ الأعلى: ﴿أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصِّيَامِ

(١) ر «مكتتم» بفتح التاءين.

(٢) زيادات ر «هو محمد بن نمير الثقفى».

(٣) ر: «وكتب به محضرة ابن أبى عتيق إلى امرأة محرمة».

(٤) كلمة «مسلمة» ساقطة من س.

(٥) كذا فى الأصل، ص، وفى س: «أما علمت».

(٦) كذا فى الأصل، وفى س: «قد جاء»، وفى ر: «جاءنا».

الرَّفَثُ إلى نسائكم﴾[١] وقال: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النساءَ﴾[٢] والمُلاَمَسَةَ فى قول أهَلِ المدينة - مالك وأصحابه - غيرَ كناية، إنما هو اللَّمْسُ بعينه، يقولونَ فى الرجلِ تقَعُ يدهُ على امرأته أو على جاريته بشهوةٍ[٣] : إنَّ وضوءَه قد انْتَقَضَ.

وكذلك قولُهم فى قضاء الحاجة: جاء فلانٌ من الغائط، وإنما الغائط الوادى، وكذلك المرأةُ، قال عمرُو بن مَعْدَى كَرِب الزُّبَيْدىُّ:

فكَمْ مِّنْ غائطٍ من دُون سَلْمَى　　　قَلِيلِ الإِنْس ليس به كَتِيعُ

وقال الله جلَّ وعزَّ فى المسيحِ ابنِ مريمَ وأمِّهُ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[٤] . وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة. وقال: ﴿وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ علينَا﴾[٥] ، وإنما هى كنايةٌ عن الفُرُوج. ومِثْل هذا كثيرٌ.

والضربُ الثالثُ من الكناية: التفخيمُ والتعظيمُ، ومنه اشْتُقَّتْ «الكُنْيَةُ» وهو أن يُعَظَّمَ الرجل أَنْ يُدْعَى باسمه، ووقَعَتْ فى الكلام على ضربين: وقعتْ فى الصَّبىِّ على جهة التَّفَاؤُل: بأن يكون له ولدٌ ويُدْعَى بولده كنايةً عن اسمه، وفى الكبير أَنْ يُنادَى باسم ولده صيانَةً لاسمه، وإنما يقال: كُنِىَ عن كذا بكذا، أى تُرِكَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا.

وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرىُّ لعنه الله يَلْعَنُ علياً رضى الله عنه على المنبرِ فيقول: فَعَلَ اللهُ عَلَى علىِ بن أبى طالب بن عبد المُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد مناف ابنِ عَمِّ رسول الله ﷺ وزوجِ ابنته فاطمةَ وأبى الحسنِ والحسين. ثم يُقْبِلُ على الناسِ ويقولُ: أكَنَيْتُ! فهذا تأويلُ هذا.

[لأعرابى]

ونرجعُ إلى الباب الذى قَصَدْنَا له:

وقال أعرابىٌّ:

وحُقَّهِ مِسْكٍ من نساءٍ لبِسْتُها　　　شَبَابى وكَأْس باكَرَتْنى شَمولُها[٦]

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧ .

(٢) سورة النساء ٤٣ .

(٣) ر : «بشهوة» .

(٤) سورة المائدة» ٧ .

(٥) سورة فصلت: ٣١ .

(٦) حقة مسك هنا، كناية عن المرأة.

جـدَيدَة سـرْبال الشَّـبـاب كـأنَّهـا أَباءَةُ بَرْدِيٍّ سـقَـتْـهـا غُـيـولُهـا
مُحَـمَّلَةٍ باللَّحْمِ مِنْ دُونِ خَـصْرِهَا تَطولُ القِـصـارَ والطِّوالُ تطولُهـا

قوله: «باكَرَتْنى شَمولها»، زعمَ الأصمـعىُّ أنَ الخمر إنما سُميت شمولا؛ لأن لها عصفةً كعصفة الرِّيح الشِّمال.

وقوله: «أَبَاءَةُ بَرْدِيٍّ»، الأَبَاءةُ: القَصبَةُ، وجمعُها الأبَاءُ. يافتى[١].

قال كعبُ بن مالك الأنصارىُّ:

مَنْ سـرَّه ضَـرْبٌ يُرَعْـبِلُ بعـضُـهُ بعضًـا كَمَعْـمَعـةِ الأباءِ المُحْرَقِ[٢]

المَعْمَـعَةُ: صوتُ إحْراقه، يقـال: سمعتُ معـمعةَ القَصَب. والقَـوْصَرَّة فى النار، أى صوتَ احتراقها.

وإنما شَبَّهَ المرأةَ بالبَرْدية والقَصبةِ لنقاءِ اللونِ المستترِ منها وما وَالاَهُ ورِقَّته.

قال حُمَيْدُ بن ثَوْر الهلاَلِىُّ:

لم أَلْقَ عَـمْـرةَ بـعْـدَ إذْ هِىَ ناشِئٌ خـرجتْ مُـعَطَّفَـةً عليـها مـئـزرُ
بَرَزَتْ عـقِـيلَةَ أَربَعٍ هَادَيْـنَهَـا بِيضِ الوجـوه كَـأنَّهُنَّ العُنْقَـرُ

العطاف: الوشاح للناس، والعُنْقَـرُ: أصولُ القَصبِ، يقال: عُنْقَـرٌ وعُنْقُرٌ، وفى هذا الشعر:

ذهبـتْ بعـقلك رَيْـطةٌ مَطْـوِيةٌ وهْىَ التى تُهْـدَى بها لو تنْشَـرُ[٣]

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنيه ثَعْلَبٌ فى قوله: «لو تُنْشَرُ»: «تَشْعُرُ»].

* * *

فَهَمَـمْتُ أَنْ أَغْشَى إليها مـحْجَرًا ولِمَـثْلُهَا يُغْـشَى إليـه المَحْجَـرُ[٤]

وقوله: «سَقَتْهَا غُـيُولَها» الغَـيلُ: هاهنا: الأجَمَةُ، ومن هذا قـولُهم: أُسْدُ غَيل، قال طَرَفَة:

(١) ساقطة من ر. (٢) يرعبل: يمزق.
(٣) الريطة: الملاءة البيضاء.
(٤) المحجر: المحرم.

أُسْــدُ غَيـلٍ فـإذا مـا شَــرِبُوا   وهَبُــوا كـلَّ أَمُــونٍ وَطِمِــرِ[1]

وقد أملينا جميعَ ما فى الغَيْل والغِيلِ.

وقوله:

* تَطولُ القِصارَ والطِّوالُ تطُولَها *

طال: يكون على ضَرْبيــن: أحدُهما تقـديرُه: فَعَلَ، وهو ما يقع فى نفـسه انتقالا لا يتـعدى إلى مفعـول، نحو ما كان كريمًـا فكَرُمَ، وما كان وضيـعًا ولقد وَضَعَ، وما كان شريفًا ولقد شَرُفَ، وكان الشيءُ صغيراً فكَبُرَ، وكذلك كان قصيراً فطال، وأصله «طَوُلَ».

وقد أخبَرْنـا بقصة الياء والواو إذا انفتح ما قـبلَهما وهما مُتَحَـرِّكتان، وعلى ذلك يقال فى الفاعل: «فَعيلٌ» نحو شَرِيف، وكريم، وطويل. فإذا قلتُ: طَاوَلَنى فطُلْتُهُ، أى فـعَلَوْتُه طُولا، فتقـديرُه «فَعَلَ» نحو خـاصمنى فَخَـصمْتُـهُ، وضَارَبَنى فضَرَبْتُه، وفاعلُهُ طائلٌ، كقولك ضاربٌ، وخاصمٌ. وفى الحديث: «كان رسولُ الله ﷺ فَوْقَ الرَّبْعَةِ، وإذا مَشَى مع الطوَال طَالَهُمْ».

[بين رياح بن سنيح وجرير]

وقال رياحُ بـن سُنيح الزَّنْجِىْ مولَى بنى نَاجِـيَةَ - وكـان فصيحًا، يُـجيبُ جَريرًا، لما قال جريرٌ:

لاَ تَطْـلُبَنَّ خَــؤولَـة فى تَغْـلِبٍ   فَــالزَّنجُ أكــرمُ مـنهمُ أَخْــوَالاَ

فتـحركَ رِيَاحٌ فـذَكَر أَكْثـر مَنْ وَلَدَتْهُ الزَّنْجُ من أشراف العـربِ فى قصـيدةٍ مشهورة معروفةٍ، يقول فيها.

والزَّنْجُ لو لاَقَـيتهمْ فى صَـفِّـهِمْ   لاَقَـيْتَ ثَمَّ جَـحـاجِـحًـا أَبْطَالاَ
مـا بالُ كلبِ بَنِـى كُلَيْب سَـبَّـهُمْ   إنْ لَم يُوَازِن حـاجِـبًـا وَعِـقَـالاَ
إِنَّ الفــرزدقَ صَـخْــرةٌ عــادِيةٌ   طَالتْ فلـيس تَنَالهَـا الأجْـبَـالاَ

يريدُ: طالتِ الأجبالَ وعَلَتْ[2] فليس تنالهَا.

---

(١) الأمون: الناقة الوثيقة الخلق.

(٢) ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

ثم نعودُ إلى ذكرِ البابِ.

وقال مَرْوانُ بن أبى حَفْصةَ، وهو مـروانُ بن سليمانَ بن يحيى بن يحيى بن أبى حفصةَ، واسمُ أبى حفصة يَزيدُ:

إنَّ الغَـــوانِىَ طـالما قَـــتَّلْنَنا بعُـــيـونـهنَّ ولا يَدِينَ قَـتـيـــلاَ

من كلِّ آنســة كـأنَّ حـجـالهـا ضُـمِّنَّ أَحْوَرَ فى الكِنَاسِ كَـحيـلاَ

أَرْدَيْنَ عُـــرْوَةَ والمرَقَّشَ قـبـلَه كلٌّ أُصـيـبَ ومـــا أطاقَ ذُهُولاَ

ولقـــد تَـركْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هـائمًـــا ولقـد تبَلْـنَ كُـثَـيِّـرًا وَجَـمـيـلاَ

وتَرَكْنَ لابن أبى ربَـيـعَـةَ مَنْطقًـا فـيـهنَّ أَصْبَحَ سائـرًا محـمـولاَ

إلاَّ أَكنْ ممَّــنْ قَـــتَلْـنَ فـــإنَّـنى ممَّنْ تَرَكْـنَ فُـــؤادَهُ مَـــخْـبُـــولاَ

قوله: «ولا يَدينَ قَتيلاَ» يقال: ودَى يدى، وكلُّ ما كـان من «فَعَلَ» ممَّا فاؤه واوٌ ومضارعُه «يَفْعِل»، فالواوُ ساقطةُ منه[1]، لوقوعها بين ياء وكسرة، وكذلك ما كان منه على فَـعِلَ يَفعِلُ؛ لأنَّ العلةَ فى سـقوط الواو كَسْـرَةُ العين بعـدَها. وقد مضى تفسيرُ هذا.

ولكنْ فى «يَدين» علةٌ أخرى، وهى أن الياءَ التى هى لامُ الفعلِ بعدَ كسرة، فهى تَعْتَلُّ اعتلالَ آخرِ «يرْمى»، وأوَّلُه يعتلُّ اعتلالَ واو «يَعدُ»، واحتَمَلَ علَّتين لأنَّ بينهمـا حاجزًا، ومـثْلُ ذلك وَعَى يَعِى، ووَقَى يَقِى، ووَفَى يَفِى، ووَشَـى يَشِى، ووَنَى فى أمْرٍ[1] يَنِى، وما أَشْـبَهَ ذلك. ويَقَعُ فى «فَـعِلَ»، نحو ولِىَ الأمـيرُ الآنَ يَلِى.

فإذا أمـرتَ كان الفـعلُ على حرف واحـد فى الوصلِ، لاتِّصاله بمـا بعدَه، تقـولُ: يا زَيْدُ عِ كلامًـا، وشِ ثوبًا، وتقـولُ: لِ عمـرًا يا زيدُ، من وَليتُ، فـإذا وَقَـفْتَ قلت: لهْ، وشـهْ، وقـهْ، لا يكونُ إلاَّ ذلك، لأن الواوَ تَسْـقُطُ فَـتبْـتَـدئ بمتحرِّكٍ، فلا تحتاجُ[2] إلَى ألفِ وصل[3]، فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفَ عليه

(١) س: «فى أمره».

(٢) س: «يحتاج».

(٣)س: «الوصل».

فأدخلتَ الهاءَ لبيانِ الحركة[1] فى الأوّلَ، ولم يَجُزْ إلا ذلك. ومن قال لك: الفظْ «لِى» بحرف واحدَ غيرِ موصول فقد سألك[2] محالا، لأنك لا تبتدئ إلاَّ بمحرَّكٍ. ولا تقفُ إلاَّ على ساكنٍ، فقد قال لك الفظْ «لِى» بساكنٍ متحرك فى حالْ.

وقوله: «ضُمِّنَ» يقالُ: ضُمِّنَ القبرُ زيدًا، وضُمِّنَ القبرَ زيدٌ، كلٌّ صحيحٌ. فمن قال: ضُمِّنَ القبرُ زيدًا، فإنما أرادَ جُعِلَ القبرُ ضَمين زيد. ومن قال: ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ، فإنما أراد: جُعِلَ زيدٌ فى ضِمْنِ القبر، ويُنْشَدُ هذا البيت على وجهين:

وَمَا غَائِبٌ مَنْ غَابَ يُرْجَى إيابُهُ ... ولكنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائِبُ[3]

ومن روى «ضُمِّنَ اللَّحْدُ غائبُ» يريدُ من ضُمِّنَهُ اللَّحْدُ، وحَذَفَ الهاءَ من صِلة «مَنْ»، وهذا من الواضح الذى لا يَحتاج إلى تفسير.

وقوله: «أَحْور» يعنى ظَبيًا، وأهلُ الغَريب يذهبون إلى أن «الْحَوَرَ» فى العين شدَةُ سوَادها وشَدَّةُ بياض بيَاضِها، والذى عليه العرب إنما هو نَقاءُ البياضِ، فعندَ ذلك يَتَّضِح السوادُ. وقد فَسَّرنا الحَوَرَ والحَوَارِىَّ.

والكنَاسُ: حيثُ تكْنسُ البقرة والظَّبْيَةُ، وهو أن تَتَّخذَ فى الشجرةِ العَادِيَّة كالبيت تأوِى إليه وتَبْعَرُ فيه. فيقال إنَّ رائحتَه أَطْيَبُ رائحة، لِطيبِ ما تَرْتَعِى، قال ذو الرُّمَّة:

إذَا اسْتَهَلَّتْ عليه غَبْيَةٌ أَرِجَتْ ... مَرَابِضُ العينِ حَتَّى يأْرَجِ الخَشَبُ
كَأنه بيتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ ... لَطائمَ المِسْكِ يَحْوِيهَا وتُنْتَهَبُ[4]

قوله: «غَبْيَةٌ» هى الدَّفْعةُ من المطرِ، وعند ذلك تتحرَّكُ الرائحةَ.

والأرَجُ: توَهَّجُ الرِّيحِ، وإنما يُسْتَعْمَلُ [ذلك] فى الريح الطيبةِ.

والعِين: جمعُ عيْنَاءَ، يعنى البقرةَ الوحشيةَ، وبها شُبِّهَتِ المرأة، فقيل: حورٌ عِينٌ.

واللَّطِيمَةُ: الإبلُ التى تَحملُ العِطْرَ والبَزَّ، لا تكونُ لغيرِ ذلك.

---

(١) س: «حركة الأول».

(٢) س: «سأل».

(٣) زيادات ر: «لأبى حبة النميرى».

(٤) من س.

فيقولُ: ضُمِّن ظَبْيًا أَحْورَ العَيْنِ أَكْحَلَ، وجَعَلَ الْحِجَالَ كالكنَاسِ. وقال ابنُ عباسٍ فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بالخُنَّس * الجَوار الكُنَّس﴾[1]. قال: أقْسَمَ[2] ببَقَرِ الْوَحْشِ لأنها خُنْسُ الأنُوفِ، والكُنَّسُ: التى تَلْزَمُ الكنَاسَ. وقال غيرُه: أَقْسَمَ بالنجُومِ التى تَجْرى بالليلِ وتَخْنَسُ بالنهارِ، وهو الأكثر.

وقوله: «أَرْدَيْنَ». يقول[3]: أَهْلَكْنَ. والرَّدَى الهلاكُ والموت من ذا.

والذهُولُ الانصراف. يقال: ذَهَل[4] عن كذا وكذا: إذا انصرف عنه إلى غيره. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أى تسلى وتنسى عنه إلى غيره.

قال كثيِّر:

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزَّ أو كاد يَذْهَلُ ... وَأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أو يَتَدلَّلُ

وقوله:

* ولقد تبَلْنَ كُثَيِّرًا وَجَميلاَ *

أصلُ التَّبْلِ التِّرَةُ. يقال: تَبْلِى عندَ فلانٍ، قال حَسَّانُ بن ثابت:

تَبَلتْ فُؤَادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ ... تَشفِى الضَجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

والخَرِيدة: الحَيِيَّةُ.

وقوله:

* مِمَّنْ تَركنَ فُؤَادَهُ مَخْبُولاَ *

يريد: الخَبْلَ، وهو الجنون، ولو قال: «مَحْبولا» لكان حسنًا يريدُ مصيدًا واقعًا فى الْحِبَالة، كما قالَ الأعشَى:

فكلُّنَا هائمٌ فى إِثْرِ صاحبِهِ ... دَانٍ ونَاءٍ ومَخْبَولٌ ومحتبِلُ

---

(١) سورة التكوير ١٥ ، ١٦ .

(٢) كذا فى الأصل، وفى ر : «أقسم» على المضارع .

(٣) كذا س، والأصل: أردين: أهلكن.

(٤) كذا الأصل، وفى ر. «ذهل»، بكسر الهاء.

وخُبِّرْتُ أن رجلا جافيًا عَشِقَ قَيْنَةً حَضريَّةً، فكلمها يومًا على ظَهرِ الطَّريقِ فلم تكلمه، فظَنَّ أن ذاك حَيَاءٌ منها، فقال: يا خَريدةُ! قد كنتُ أَحْسبكِ عَرُوبًا، فما بَالنا نمقك وتَشْنَئينا! فقالت: يا بْنَ الخبيثَة! أتجمِّشُنى بالهمْزِ!

الخَرِيدَةُ: الحَيِّية. والعَروبُ: الحسنةُ التَبَعُّل، وفسِّرَ فى القرآنِ على ذلك فى قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[١] . فقيلَ: هُنَّ المُحِبَّاتُ لأزواجهنَّ.

قال أَوْسُ بن حَجَر[٢] :

* تَصْبِى الحَلِيمَ عَرُوب غَيرِ مِكْلاَحِ[٣] *

* * *

وذكر الليثىُّ أن رجلا كان يحب[٤] جاريةً ولم يكنْ يُحْسنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساء شيئًا، إلاَّ أنه كان يحفظُ القرآنَ، فكانَ يَتَوَصَّلُ إليها بالآية بعدَ الآية، فكانَ إنْ وَعَدَتْهُ فأَخْلَفَتْهُ تَحَيَّنَ وقتَ مرورها، فقال: ﴿يا أيُّهَا الَّذين آمَنُوا لم تَقُولُونَ ما لاَ تَفْعَلُون﴾[٥] وإن خَرَجَت خَرْجَة ولَم يَعْلَمْ بها فينتظر تَحَيُّنَهَا فى أُخْرَى فتَلا: ﴿ولَوْ كنْتُ أَعْلمُ الغيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ من الْخَيْر﴾[٦] . وإن وَشَى به إليها واشٍ كَتَبَ إليها: ﴿يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إِنْ جاءكُمْ فَاسِقٌ بنبإٍ فَتَبيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بجَهَالَةٍ﴾[٧] .

* * *

وذكروا أن أبا القمقام[٨] بن بَحْر السَّقَّاء عَشقَ جارية مَدينيَّة، فبَعَثَ إليها: إنَّ إخوانًا لِى زارونى، فابعثِى إلىَّ برءوسٍ حَتَّى نتغَدَّى[٩] ونَصْطَبحَ [اليوم][١٠] على ذكْرِكِ، ففعلتْ، فلما كان فى[١١] اليومُ الثانى بَعَثَ إليها: إنَّ القَوْمَ مُقيمونَ لم

(١) سورة الواقعة ٣٧.

(٢) زيادات ر: «ويقال عبيد بن الأبرص» وصدره كما فى الزيادات.

* وقدْ لَهَوْتُ بمثل الرئْم آنسة *

(٣) أى غير عبوس.

(٤) ر: «أحب جاريةً».

(٥) سورة الصف ٢.

(٦) سورة الأعراف ١٨٨.

(٧) سورة الحجرات ٦.

(٨) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «القماقم».

(٩) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «تأكلها».

(١٠) تكملة من س.

(١١) ساقطة من ر.

نَفتَرِقْ، فابعثى إلىَّ بِقَلِيَّةٍ جزَورِيَّةٍ وبَقَرِيَّةٍ قَدِيَّة[1] حَتَّى نَتَغدَّاها ونَصطَبِحَ على ذكْرِك. فلما كان فى اليوم الثالث بَعَثَ إليها: إنَّا لم نَفترقْ، فابعثى إلىَّ بسَنْبُوسَك[2] حتى نصطبحَ اليومَ على ذكْرِك، فقالت لرسوله: إنى رأيتُ الْحُبَّ يَحُلُّ فى القَلْبِ، ويَفيضُ إلى الكَبدِ والأحشاءِ. وإنَّ حُبَّ صاحبِنا هذا ليس يُجَاوِر المَعدَةَ.

* * *

وَخُبِّرْتُ أن أبا العَتَاهِيَة كان قد استأذنَ فى أن يُطْلَقَ له أن يُهْدىَ إلى أمير المؤمنينَ المَهْدىِّ فى النَّيْرُوزِ والمِهْرَجَانِ، فأَهْدَى فى أَحدِهما بَرْنيَّةً ضَخْمَةً، فيها ثوبٌ ناعمٌ مُطَيَّبٌ، قد كَتَبَ فى حَوَاشيه:

نَفْسى بشىءٍ من الدُّنيا معلَّقةٌ ... اللهُ والقائمُ المَهْدىُّ يَكفيها

إنِّي لَأَيْئَسُ منها ثم يُطْمِعُني ... فيها احتقارُكَ للدنيا بما فيها[3]

فَهَمَّ بدفع عُتْبَةَ إليه، فَجَزِعَتْ، وقالت: يا أميرَ المؤمنين، أبعد حُرْمَتى وخدمَتى تَدْفَعُنى[4] إلى رجلٍ قبيحِ المَنْظَرِ بائعِ جِرَارٍ ومُكْتَسِبٍ بالعِشْقِ! فأَعْفَاها، وقال: امْلَئُوا له[5] هذه البرنيةَ مالاً، فقال للكُتَّاب: أَمَرَ لى بدنانيرَ فقالوا ما نَدْفعُ ذلك، ولكنْ إن[6] شئتَ أعطيناكَ دراهمَ إلى أن يُفْصِحَ بما أرادَ، فاختَلَفَ فى ذلك حولاً، فقالتْ عُتْبةُ: لو كان عاشقًا كما يزعمُ لم يكنْ يختلفُ مُنْذُ حَوْلٍ فى التمييز بين الدراهِمِ والدنانير، وقد أَعْرَضَ عن ذِكرِى صَفْحًا.

* * *

ودَعَتْ أبا الحارثِ جُمَّيْن[7] واحدةٌ كان يحبُّها، فجعلَتْ تحادثه ولا تَذْكُر

---

(١) القلية الجزورية: مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها: وبقريَّة: قطيعة من لحم البقر، وقدية: طيبة الطعم، طيبة الريح.

(٢) سنبوسك، فارسى معرب، وهو من ضروب الأطعمة.

(٣) ر، س: «وما فيها» وما أثبته من الأصل.

(٤) ر: «حرمتى وخدمتى أتدفعنى»، وما أثبته عن الأصل.

(٥) ساقطة من ر .

(٦) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «إذا».

(٧) ر، س: «جميز»، وصوابه ما فى الأصل، وهو جمين المدنى صاحب النوادر والمزح» وانظر المشتبه ١٧٥ .

الطعامَ، فلما طالَ ذلك به قال: جعلنى الله فداك! لا أَسْمَعُ للغداء[1] ذكْرًا. قالت: أَمَا تستحيى! أَمَا فى وَجْهِى ما يَشْغَلُكَ عن ذَا؟ فقال لها: جَعَلَنى اللهُ فدَاكِ! لو أَنَّ جَميلا وبُثَيْنَةَ قعدا ساعةً لا يأكلان شيئا لَبَزَقَ كلٌّ واحدٍ منهما فى وجهِ صاحبه وافترَقا.

* * *

وأنشدتُ لأعرابىٍّ:

وقد رابنى من زَهْدَمٍ أَنَّ زَهْدَمًا ... يَشُدُّ على خُبْزِى ويَبْكى على جُمْلِ
فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاَقَةِ لم تكنْ ... سَمِينًا وأَنسَاكَ الهَوَى كثرةَ الأَكْلِ

وقال أعرابىٌّ:

ذَكَرْتُكِ ذكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا ... وكنتُ إذا ذكرتكِ لا أَخِيبُ

[لذى الرمة فى مى]

وقال ذو الرُّمَّة:

ألم تعْلَمى يامىَّ أَنَّا وَبينَنَا ... مَهَاوٍ لطَوْفِ الْعَيْنِ فيهنَّ مَطْرَحُ
ذكرْتُك إنْ مَرَّتْ بنا أُمُّ شَادنٍ ... أَمَامَ المطَايَا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ
من المؤْلفَاتِ الرملَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ ... شعَاعُ الضُّحى فى لَوْنِهَا يتَوَضَّحُ
هيَ الشِّبْهُ أَعطافًا وجيدًا ومُقْلةً ... ومَيَّةُ أَبْهَى بَعْدُ منها وأَمْلَحُ
كأَنَّ البُرَى والعاجَ عيجتْ مُتُونَه ... على عُشَرٍ نَهَى به السَّيْلُ أَبطَحُ
لئنْ كانت الدُّنيا علىَّ كما أَرَى ... تَبَاريحَ من ذِكْرَاكِ لَلْمَوْتُ أَروحُ

قوله: «مَهَاوٍ»، واحدتُها مَهْوَاةٌ، وهو الهَوَاءُ بين الشيئين.

ويقال: لفلان فى دارِه مَطْرَحٌ إذا وصفها بالسَّعَةِ، يقال: فلانٌ يَطْرَحُ بصرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً، وأنشد سيبويه:

نَظَّارَةٌ حين تَعْلُو الشمسُ راكبَها ... طَرْحًا بِعَيْنَىْ لَيَاحٍ فيه تَحْدِيدُ

اللِيَاحُ من البياض، واللَّوْحُ: العطش، واللَّوحُ: الهواء.

والشَّادِنُ: الذى قد شدَنَ، أى تحرَّك.

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «للغداء».

وقوله: «تَشْـرَئِبُّ»، يقال: إذا وقَفَ ينظرُ كـالمتَحـيِّر: قد اشْـرَأَبَّ نحوى، ويقال: هو يَسْرَحُ فى المَرْعَى.

وقوله: «من المُؤْلَفَـات»، يقال: «آلَفْتُ المكانَ أُولفُـهُ إيلافًا»، ويقال: أَلِفْـتُه إِلْفًا، وفى القرآن الكريم: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ﴾[1] وقرءوا: ﴿إِلافِهِمْ﴾ على القصْرِ.

وقوله: «الرَّمْلَ» النصبُ فيه أَجْوَدُ بالفِعْلِ، ويجوز الخفضُ على شيءٍ نذكره بعدَ الفراغِ من هذا البابِ، إن شاء الله.

وأصلُ الْهِجَانِ الأبيضُ.

والعِطْفُ: مـا انثَنى من العُنقِ، قـال تعـالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[2]. ويقال للأَرْدِيَةِ: العُطُفُ؛ لأنها تَقعُ على ذلك الموضِع.

وفى الحديث: أنَّ قومًـا يزعمون أنهم من قريشٍ أَتَوا عمـرَ بن الخطابِ رحمه الله، وكان قَائِفًا[3]، ليُثْبِتَهمْ فى قُرَيشٍ. فـقال: اخْرُجُوا بنا إلى البَقِيعِ. فنظَرَ إلى أَكُفِّهِمْ، ثم قال: اطْرَحُوا العُطُفَ - واحدهَا عِطَاف - ثم أمَرَهُم فأَقبَلُوا وأدْبرُوا. ثم أقبل عليهم فقال: لَيستْ بأكفِّ قريشٍ ولا شمَائِلِها، فأعطاهم فيمَن هُم منه.

والجِيُد: العُنُق.

والبـرَى: الخَـلاخيلُ، واحـدتُهـا بُرَةٌ، وهىَ من الناقَـةِ التى تَقَعُ فى مـارنِ الأنْف، والذى يَقَعُ فى العَظْمِ يقالُ له الْخِشاش.

والعاجَ كان يُتَّخَذَ مكانَ الأَسْورَةِ، قال جَرِيرُ:

تَرَى العَبَسَ الْجَوْلِىَّ جَوْنًا بِكُوعِها لها مَسَكًا منْ غيـر عَاجٍ ولا ذَبْلِ

العَبَسُ: ما تعلَّق[4] من الأبعْارِ والبـولِ بأذناب الإبلِ، والوَذَحُ: الذى تعلّق بأَطرافِ إِلاءِ الشّاء. ويكون العَبَسُ فى أذنابِ الإبل من البول إذا خثَرَ.

---

(١) سورة قريش: ١ .

(٢) سورة الحج: ٩ .

(٣) القيافة: تتبع الآثار ومعرفتها.

(٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «ما يتعلق» .

والجَوْن هاهنا: الأسودُ وهو الأغْلَبُ فيه، والكوعُ: رأسُ الزَّنْد الذى يَلِى الإبهام. والكُرْسُوعُ: رأسُه الذى يلى الْخنْصَرَ. والمَسكَةُ. السِّوارُ. والذَّيل: شىءٌ يُتَّخَذ من القُرون كالأسوِرَة، يقال: سِوَارٌ وسُوَارٌ، وإسْوَارٌ، قالت الْخنساءُ:

* كأنه تحتَ طَيِّ البُرْدِ إسْوَارُ *

والعُشَرُ: شجرٌ بعينه.

والأبْطَحُ: ما انبطحَ من الوادِى، يقال: أبطَحُ وبَطْحَاءِ يافتى، وأبْرَقُ وبَرْقَاءُ، وأمْعَزُ ومَعزَاءُ، وهذا كثيرٌ.

والتَّباريحُ: الشدائدُ. يقال: بَرَّح به، وفى الحديث: «فأيْنَ أصحابُ النَّهْرِ؟» قال: لَقُوا بَرَحًا، والعربُ لا تعرفه إلاَّ ساكنَ الراءِ، قال جريرٌ:

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْغوفٍ أضر به بَرْحُ الهَوَى وعَذابٌ غيرُ تَفْتيرِ

* * *

[قال أبو الحسن. وقد سمعنا من غير أبى العباس. يقال: لقيتُ منك برَحًا. بالفتح. ويقال: لَقِىَ منه البَرْحَيْن. أى الدَّوَاهِىَ الشِّدَادَ التى تُبَرِّحُ].

[ما قيل فى السر وكتمانه]

قال أبو العباس فى المثل السائر: قيلَ لرجل: مَا خَفِى؟ قال: ما لم يكنْ.

وفى تفسير هذه الآية: ﴿يعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفى﴾(١). قال: ما حَدَّثْتَ به نفسَك. كما قال: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسكم﴾(٢) تقديرُه فى العربية: وأَخْفَى منه.

والعربُ تحذفُ مثل هذا، فيقولُ القائلُ: مررتُ بالفيلِ أو أعْظَمَ، وإنه كالبَقَّة(٣) أو أصغَرُ، ولو قال: رأيتُ زيدًا أو شَبيهًا لجازَ؛ لأنَّ فى الكلام دليلا، ولو قال: رأيتُ الجملَ، أو راكبًا، وهو يريدُ: «عليه»: لم يَجُزْ لأنه لا دليلَ فيه، والأوَّل إنما قَرَّب شيئًا من شىء، وهاهنا إنما ذكر شيئًا ليس من شكْلِ ما قَبلَه.

فأمَّا قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وهُوَ أهونُ عَلَيْه﴾(٤) ففيه قولان: أحدُهما - وهو

---

(١) سورة طه ٧.

(٢) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٢) ر: «لكالبقة»، وما أثبته عن الأصل، س .

(٤) سورة الروم ٢٧ .

المَرْضِيُّ عندنا ـ : إنما هو: وهو عليه هَيِّنٌ، لأن اللهَ جَلَّ وعـزَّ لا يكونُ عليه شيءٌ أَهْوَنَ من شيء آخر، وقد قال مَعْنُ بن أَوْسٍ:

لعَـمْـرُكَ مـا أَدْرى وإِنِّى لأَوْجَلُ ... علـى أَيِّنا تَغْـدُو المَـنِيَّـةُ أَوَّلُ

أراد: وإنى لَوَجِلٌ، وكذلك يُتَأَوَّلُ ما فى الأذان: «اللهُ أكبَرُ الله أكبَرُ»، أى الله كبيرٌ، لأنه إنما يُفاضِلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ واحدٍ[1]، يقال: هذا أكبَرُ من هذا، إذا شاكلَهُ فى باب.

فأَما «اللهُ أجوَدُ مِنْ فـلان» و«الله أعلَم بذلك منك»، فوجهٌ[2] بيِّنٌ، لأنه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإعطاء.

وقـومٌ يقـولون: «الله أكـبَـرُ من كلِّ شيء»، وليس يـقع هذا على مَـحْضِ الرويّة[3]، لأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيءٌ[4]، وكذلك قول الفَرَزْدَق:

إِنَّ الذى سَـمَكَ السـمـاءَ بَنَى لنا ... بَيْـتًـا دعَـائِمُـه أَعَـزُّ وأَطْوَل

جائزٌ أن يكونَ قال للذى يخـاطبُه: «مِنْ بيتكَ»، فاسـتغنى عن ذكرِ ذلك بما جَرَى من المخـاطَبةِ والمفـاخَرَةِ، وجائزٌ أن تكـون دَعَائمُه عـزيزة طويلةً، كمـا قال الآخر[5]:

قُـبِّـحْـتُـمُ يا آلَ زيدٍ نَفَـرَا ... أَلأَمُ قَـوْمٍ أَصْـغَـرًا وأَكْـبَـرَا

يريدُ: صِغارًا وكِبارًا.

فأما قولُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ فى ذؤَابِ بن رَبيعةَ حـيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ بن الحارثِ بن شهابٍ، وفَخَرَ[6] بنى أسدٍ بذلك، مع كثرة من قَتَلَتْ بنو يَرْبوعٍ منهم:

فَـخَـرَتْ بَنُو أَسَـدٍ بمَقْـتَلِ واحـدٍ ... صَـدَقَتْ بنو أسَد عُـتَيْـبَةُ أفـضَلُ

فإنما مـعناه أفضلُ ممن قـتَلَوا، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ، وقد أبانَ مـا قلنا فى بيته الثانى بقوله:

(١) ساقطة من ر.
(٢) ر: «توجهه».
(٣) ر: «الرؤية»، وما أثبته عن الأصل، س.
(٤) ساقطة من ر.
(٥) ر: «قال الراجز»، وما أثبته عن الأصل، س.
(٦) ر: «وفخر» بالرفع، وما أثبته عن الأصل.

فَـخَـروا بمَقْـتَلِهِ ولا يُـوفِى بهِ مَـثْنَـى سَـرَاتِهمُ الذينَ نُـقَـتلُ

والقَـولُ الثـانى فى الآية: وهوَ أهونُ عليـه عندَكم، لأن إعـادة الشىء عندَ الناس أهونُ مِنَ ابتدائِهِ حتى يَجعلَ شيئًا مِنْ لا شىءٍ.

* * *

ثم نعودُ إلى الباب.

قال زُهَيْرٌ:

ومَهْما تَكُنْ عنـد امرئٍ من خَليقةٍ ولو خالَهَا تَخفَى على الناس تُعْلمِ

فهذا مثْلُ المَثَل الذى ذكرناه.

وقال عمـرُو بن العاص: إذا أنا أفْشَيْتُ سـرِّى إلى صَديقى فأذاعَـهُ فهو فى حل، فقيل له: وكيف ذاكَ؟ قال: أنا كنتُ أحَقُّ بصِيانتهِ.

وقال امْرُؤَ الْقَيْس:

إذا المَرْءُ لم يخْـزُنْ عليـه لِسَـانَهُ فَلَيْسَ عـلى شىءٍ سِـوَاهُ بـخـزَّان

وأحْسَنْ مـا سُمعَ فى هذا ما يُعْـزَى إلى علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقائلٌ يقولُ: هُو لَهُ، ويقـولُ آخرونَ: قاله مُتَمَثِّلا، ولم يُخْـتَلَفْ فى أنه كان يكثِرُ إنشادَهُ:

فـلا تُـفْشِ سِـرَّكَ إلاَّ إلـيكَ فـإنَّ لكُلِّ نَصـيحٍ نصـيحـا

وإنِّى رأيـتُ غُـوَاةَ الرِّجَـا لِ لاَ يَتْـركـونَ أَدِيمًـا صَحِـيحـا

وذَكر العُـتْبىُّ أنَّ معاويةَ بن أبى سـفيانَ أَسَـرَّ إلى عثمان بن عَنْبَـسَةَ بن أبى سفيـانَ حديثًا، قـال عثمانُ: فـجئتُ إلى أبى، فقلتُ: إنَّ أميـرَ المؤمنين أَسَرَّ إلىَّ حديثًا، أَفـأُحَدِّثُكَ به؟ قال: لا، إنه مَنْ كَتَمَ حـديثَه كان الخِيـارُ إليه، ومَنْ أَظْهره كان الخيارُ عليه، فلا تجعلْ نـفسَك مملوكًا بَعْدَ أنْ كنتَ مالكا، فقلت له: أَوَ يَدْخُلُ هذا بين الرَّجلِ وأبيه؟ فقال: لا. ولكنى أكره أن تُذَلِّلَ لسَـانَك بإفشاء السِّرِّ، قال: فرجعتُ إلى معاويةَ، فذكرتُ ذلك له، فقال معاوية: أَعْتَقَك أخى من رقِّ الْخَطأ.

وقال معـاويةُ: أُعِنْتُ علَى علىٍّ رحمه الله بأَربعٍ: كنتُ رجـلا أَكْتُمُ سِرِّى،

وكان رجلا ظُهَرَةً[١] ، وكنتُ فى أطوعَ جُنْد وأصلَحه، وكان فى أخبث جند وأعصاه، وتركته وأصحابَ الجملِ وقلتُ: إنْ ظَفرُوا به كانوا أهْوَنَ علىَّ منه، وإنْ ظَفرَ بهم اعْتَدَدتُ بها عليه فى دينه، وكنت أحبَّ إلى قُرَيْشٍ منه، فَيَالَك من جامعٍ إلىَّ ومُفَرِّق عنه، وعَوْنٍ لى وعَوْنٍ عليه!

وقال أرْدَشيرُ: الدَّاءُ فى كلِّ مكتومٍ.

وقال الأخطلُ:

إن العداوةَ تَلْقاها وإن قَدُمتْ ... كَالعُرِّ يكْمنُ حينًا ثمَّ يَنْتَشِرُ

وقال جَميلٌ:

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّك ثالثٌ ... أَلاَ كلُّ سِرٍّ جاوَزَ اثنينِ شائعُ

* * *

وقال آخرُ، وهو مِسْكِينُ الدارِمىُّ:

وفتْيَان صدْق لستُ أُطْلِعُ بعضَهم[٢] ... على سرِّ بعضٍ غيرَ أَنِّى جِمَاعُهَا
يَظَلُّونَ فى الأرض الفَضاء وسِرُّهُمْ ... إلى صَخْرَة أَعْيَا الرجالَ انصداعُها
لكُل امرئ شِعْبٌ من القَلْبِ فارغٌ ... ومَوْضِعُ نَجْوى لا يرام اضطلاعُها

وقال آخرُ:

سأَكْتُمه سِرِّى وأحفظُ سِرَّهُ ... ولا غَرَّنِى أَنى عليه كريمُ
حَليمٌ فَيَنْسَى أو جَهولٌ يُضيعُهُ ... وما الناسُ إلاَّ جاهلٌ وحَليمُ

وكان يقال: أصبرُ الناسِ مَنْ صبَرَ على كِتْمَانِ سِرِّهِ ولم يُبْدِه لصديقه فيوشِكَ أن يصير عَدُوًّا فيُذيعَهُ.

* * *

وقال العُتْبىُّ:

ولى صاحِبٌ سِرِّى المُكَتَّمُ عنده ... مَخاريقُ نيرانٍ بلَيلٍ تُحَرَّقُ[٣]

---

(١) أى يظهر أمره للناس.

(٢) ر: «لست مطلع بعضهم»، وما أثبته عن الأصل، س .

(٣) مخاريق: جمع مخراق، وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة، يضرب بعضهم بعضا، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره. قاله المرصفى.

عَطَفْتُ على أسراره فكسَوْتُها ... ثيابًا من الكتمان لا تَتَخَرَّقُ
فَمَنْ تكُنِ الأسرارُ تَطفُو بصدره ... فأسرارُ صَدْرى بالأحاديث تُغْرَقُ
فلا تودعَنَّ الدهرَ سِرَّكَ أحمقًا ... فإنك إن أودعتهُ منه أحمقُ
وحَسْبُكَ فى سَترِ الأحاديث واعظًا ... من القول ما قال الأريبُ المُوَفَّقُ
«إذَا ضاق صَدْرُ المرْءِ عن سِرِّ نفسه ... فَصَدْرُ الذى يُسْتَوْدَع السِّرَّ أَضْيَقُ»

* * *

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوىُّ:

ولستُ بمُبْدٍ للرجال سَرِيرَتى ... ولا أنا[1] عن أسرارهم بسَئُول
[ولا أنا يومًا للحديث سَمِعْتُهُ ... إلى هاهنا مِنْ هاهنا بنَقُول[2]]

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بن عبد المُطَّلب رحمه الله لابنه عبد الله: إن هذا الرجلَ قد اختَصَّكَ دونَ أصحابِ رسول الله ﷺ، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِبًا، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا، ولا تَغْتَبْ عندَه أحدًا. فقيلَ لابن عباس: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ، فقال: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ.

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ:

لِى حِيلةٌ فيمن يَنـ ... ـمُّ وليس فى الكَذَّابِ حِيلَهْ
مَنْ كان يكذب ما يريـ ... ـد فحيلتى فيه قَلِيلَهْ[3]

وقال آخرُ [قال أبو الحسن: هو أبو العباس المُبَرِّدُ]:

إِنَّ النَّمُومَ أُغَطِّى دونَه خَبَرِى ... وليس لى حِيلَةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال بعضُ المحْدَثِينَ:

كَتَمْتُ الهَوَى حتَى إذَا نَطقَتْ به ... بوادرُ من دَمعٍ يَسيلُ على خَدِّى[4]
وشاعَ الذى أضمرتُ من غير مَنْطِقٍ ... كَأَنَّ ضميرَ القلبِ يرْشَحُ من جِلْدى

(١) ر: «وما أنا».
(٢) حاشية الأصل: «البيت الثانى سقط من الأصل، وثبت عند ش».
(٣) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «من كان يخلق ما يقول».
(٤) ر: «تسيل على الخد».

وقال جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَرِ العُذْرِيُّ(١) :

إذا جاوزَ الإثنينِ سرٌّ فإنه ... بِنثٍّ وَإفْشاءِ الحديثِ قَمينُ

وتأويل قمين، وحَقيق، وجَدير، وحَلَق، واحدٌ، أى قريبٌ من ذاكَ، هذه حقيقتُه، يقال: قَمينٌ، وقمنٌ، فى معنى. قال الحارث بن خالد المخزوميُّ:

مَنْ كان يسألُ عنَّا أينَ منزلَنا ... فالأُقْحُوانةُ منَّا منزلٌ قَمِنُ

وفى الحديث أن رسولَ الله ﷺ قال: «من باعَ داراً أو عقاراً فلم يَرْدُدْ ثمنه فى مثله فذلك مالٌ قَمَنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه».

وقال الرَّقَاشيُّ:

إذا نحنُ خِفْنَا الكاشحينَ فلم نُطِقْ ... كلاماً تكلَّمْنَا بأعيُننا سِرّاً
فَنَقْضِى وَلم يُعْلَمْ بنا كلّ حاجةٍ ... ولم نكْشفِ النَّجْوَى ولم نَهْتكَ السِّتْرَا

وقال معاويةُ لعباس(٢) بن صُحَار العَبْدِيِّ: ما أَقْرَبُ الاختصارِ؟ فقال: لَمحةٌ دَالَّةٌ.

وقيلَ: خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إكثارِه.

وقيل: النمام سهمٌ قاتلٌ.

وقال أحدُ المُحْدَثينَ:

لا أَكْتُمُ الأَسْرَارَ لكنْ أُذيعُها ... ولا أَدَعُ الأَسرارَ تَغْلِى على قَلبى
وَإن قَليلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلةً ... تَقلَّبُهُ الأَسْرارُ جَنْبًا على جَنْبِ

وقال آخرُ:

وأمْنَعُ جارَتى من كلِّ خَيرٍ ... وأَمشِى بالنَّميمةِ بين صَحْبى

ويقالُ للنَّمَّامِ: القَتَّات.

وفى حديث: «لا يَرَاحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنَّة».

وفى الحديثِ عن النبى ﷺ «لَعنَ الله المُثَلِّثَ» فقيلَ: يا رسولَ الله، ومَنِ

(١) المرصفى: هذا غلط، وصوابه: وقال قيس بن الخطيم».

(٢) ر: «عباس»، وما أثبته عن الأصل، س، وهو الصواب.

المُثَلِّثُ؟ فقال: «الذى يَسْعَى بصاحِبِه إلى سُلْطَانه، فيهْلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه».

وقال معاويةُ للأَحْنَف فى شيء بلغه عنه، فأنكر ذلك الأحنفُ، فقال له معاويةُ: بَلَّغَنى عنك الثقةُ، فقال له الأحنفُ: يا أمير المؤمنين، إن الثقةَ لا يُبلِّغُ.

وقال أحدُ الماضين[1]:

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سَمِعوا شَرًّا أُذِيعَ، وإن لم يَسْمَعوا كَذبُوا

وقال المُهَلَّب بن أبى صُفْرَةَ: أَدْنَى أخلاق الشريف كتمانُ السرِّ، وأَعْلى أخلاقِه نسيانُ ما أُسِرَّ إليه.

***

ويقالُ للنكاح: السرُّ، على غيرِ وجهه، وهذا ليس من الباب الذى كُنَّا فيه، ولكن يُذْكَرُ الشيءُ بالشيءِ، وهذا حرف يُغْلَطُ فيه، لأن قومًا يجعلونَ السِّرَّ الزِّنا، وقومٌ يجعلونَه الغشْيانَ، وكلاَ القولين خطأ، إنما هو الغشيانُ من غير وجهه. قال الله جل وعز: ﴿**وَلَكِنَ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِراًّ إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا**﴾[2]، فليس هذا مَوْضِعَ الزِّنَا.

وقال الْحُطَيْئَةُ:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهمْ عليهم ويأكُل جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ

وقال الأعْشَى لسَلامةَ ذِى فائشٍ الْحِمَيَرِىِّ:

وقَومُك إن يضمَنُوا جارةً وكانوا بِموضعِ أنضادها[3]
فلنْ يطلبُوا سِرَّهَا للغنَى ولن يُسلِمُوها لأزهادِها[4]

فى هذا قولان:

---

(١) زيادات ر: «هو طريح بن إسماعيل الثقلى».
(٢) سورة البقرة: ٢٣٥.
(٣) الأنضاد: الأعمار والأخوال المتقدمون إلى الشرف. قاله المرصفى.
(٤) يقول: لا يتركونها لقلة ما لها، وهو الإزهاد، قاله صاحب اللسان - زهد.

أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارها إليهم على رغم أوليائها من أجل ما لها، غضبًا[1] للجوار، ولا يسلمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة.

والآخر أنهم لا يرغبون فى ذواتِ الأموال، إنَّمَا[2] يرغبون فى ذواتِ الأحساب، اختياراً للأولاد، وصيانةً للأصهار، أن يطمع فيهم من لا حسب له.

وقول الْحُطَيْئَة:

* ويأكُل جارهم أنفَ القصاع *

وإنما يريد المستأنف الذى لم يؤكل منه شىء، يقال: روضة أُنف، إذا لم ترْعَ، وكأس أنف، إذا لم يشرب منها شىء قبل، قال لقيط بن زرارة:

إنَّ الشواء والنَّشيل َوالرُّغُفْ[3] والقينةَ الحسناءَ والكأس الأنُفْ

* للطاعنينَ الخَيْلَ والخَيْلُ خُنُفْ[4] *

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «غصبا».
(٢) ر: «وإنما».
(٣) النشيل: لحم يطبخ بلا توابل.
(٤) الخنف: جمع خنوف، من خنف الفرس إذا لوى حافره.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

باب

باب

الموضوع	الصفحة

الكامل

في

اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

باب[1]

قال أبو العباس: وهذا باب اشترطنا أن نخْرُجَ فيه من حزْن إلى سَهْلٍ ومن جدٍّ إلى هَزْلٍ. ليستريحَ إليه القارئ. ويَدْفَعَ عن مُسْتمعِه الملالَ. ونحنُ ذاكرون ذلك إن شاءَ الله.

[لبكر بن النطاح يمدح مالك بن على الخزاعى]

قال بَكْرُ بن النَّطاح فى كَلِمة يمدحُ فيها[2] مالك بن علىّ الخُزَاعِىّ:

عَرضتُ عليهَا ما أرادت من المُنَى ... لتَرْضَى. فقالتْ قُمْ فجئْنَا بكوْكَبِ
فقلتُ لها هذا التَّعَنُّتُ كلّهُ ... كمن يَتَشَهى لحم عَنقاءَ مُغْرِبِ[3]
فلو أننى أَصْبَحتُ فى جُودِ مالكٍ ... وعِزّته ما نالَ ذلك مَطْلَبى[4]
فَتًى شَقيتْ أموالهُ بسماحِهِ ... كما شَقِيَتْ قَيْسٌ بأَسيافِ تَغْلبِ

[للخليع يمدح عاصما الغسانى]

وقال الخَليع[5] فى كلمةٍ له[6] يمدح بها عاصما الغَسَّانىَّ:

أقولُ ونفسى بين شوقٍ وحَسْرَةٍ ... وقد شَخَصتْ عينى ودَمْعى على خَدِّى[7]
أريحى بقَتْلٍ مَنْ تَرْكتِ فُؤَادَهُ ... بِلَحْظِتِه بينَ التَأَسُّفِ والجهْدِ

---

(١) هذا العنوان ثابت فى الأصل. س، وهو ساقط من ر.
(٢) ر: «مدح». وما أثبته عن الأصل. س.
(٣) قال فى اللسان: «العنقاء: طائر ضخم ليس بالعقاب. وقيل: العنقاء المغرب. كلمة لا أصل لها، يقال إنها طائر عظيم لا ترى إلا فى الدهور. ثم كثر ذلك حتى سموا الداهية عنقاء مغربا ومغربة». مادة ـ عنق.
(٤) فى س. هذا البيت قبل سابقه.
(٥) الخليع لقب الحسين بن الضحاك. أحد شعراء الدولة العباسية.
(٦) كلمة «له» ساقطة من ر.
(٧) شخصت عينى: ارتفع جفناها من كثرة السهاد.

فقالت: عـذابٌ بالهوى[1] قبل مـيتَةٍ … وموتٌ إذا أَقْرَحْتَ قلبكَ من بعْدى[2]
لقـد فَطَنَتْ للجَـورِ فَطْنَةَ عـاصمٍ … لِصُنْعِ الأيادى الغُـرِّ فى طَلَبِ الحمْـد
سأشْـكوكِ فى الأشْعَـارَ غيـرَ مُقَـصِّرٍ … إلى عاصمٍ ذى المكُرمَـات وذى المَجْد
لعلَّ فـتَى غَـسَّـانَ يجـمعُ بيـننا … فَـتـأْمَنَ نفـسى مـنكمُ لَوْعَـةَ الصَّـدِّ

[لأبى العتاهية فى العتاب]

وقال إسماعيل بن القاسم[3]:

إن السَّـلاَمَ وإنّ الْبِـشْـرَ من رَجُلٍ … فى مِـثْلِ ما أَنْـتَ فيـه ليس يكفـينى
هذا زمـانٌ أَلَحَّ الـناسُ فـيـه على … زَهْوِ الملـوكِ وأَخْـلاقِ المسـاكـينِ
أمَـا علمتَ جـزاك الله صـالحـةً … عنِّى وزادكِ خـيـراً يـابْنَ يَقْطـينِ
أنِّى أريدكَ لـلدنيـا وعـاجلـهـا … ولا أريـدكَ يـومَ الدِّيـنِ لِـلـدِّيـنِ

[ليزيد بن محمد بمدح إسحاق بن إبراهيم]

وقال يَزيدُ بن محمد [بن الْمُهَلَّبِ][4] المهَلبىُّ فى كلمة يمدحُ بها إسحاق بن إبراهيم:

إنْ أَكنْ مُـهْـدِيًا لكَ الشعـر[5] إنّـى … لاَبنُ بيـت تُهْـدَى له الأشـعـارُ
غـيـرَ أنـى أراكَ من أهل بَـيْتٍ … مـا على الحُـرِّ ـ أَنْ يسُـودُوهُ ـ عـارُ

* * *

وقال فى كلمةٍ أخرى له[6]:

وإذا جُـدِدْتَ فـكلُّ شـيءٍ نافـعٌ … وإذا حُـدِدتَ فكلُّ شىءٍ ضـائرُ[7]
وإذا أتـاكَ مُـهَلَّبىٌّ فـى الوغـى … والسَـيفُ فى يده فـنِعْمَ النّـاصِـرُ

(١) ر: «فى الهوى». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) يقال: قرح قلب الرجل من الحزن وأقرحه غيره.
(٣) هو المكنى أبا العتاهية.
(٤) من س.
(٥) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «المدح».
(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. س.
(٧) حددت: منعت، يقال: حده عن الأمر يحده حدا. منعه عنه خيرا كان أم شرا. وجددت. أى رزقت الجد. وهو الحظ.

[في مقتل مصعب بن الزبير]

وقـال عبـدُ الله بن الزُّبَيـر لما أتاه قتلَ مُصْعَب بن الزبيـر: أَشَهِدَهُ المَهَلبُ بن أبى صُفْـرَةَ؟ قالوا: لا. كان المُهَلَّب فى وجُـوه الخَوارج. قال: أفَـشَهِدَهُ عَـبَّادُ بن الحُصيْن الحَبَطىُّ؟ قالوا: لا. قال: أفَشَـهِدَهُ عبدَ الله بن خازمٍ السُّلَمِىّ؟ قالوا: لا. فَتَمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ.

فـقلتُ لهـا عِـيثى جَعَـارِ وجَـرِّرى بلحْمِ امرئٍ لم يَشهَـدِ اليومَ ناصِرُه[1]

جَعَارِ: اسمٌ من أسمـاء الضَّبُع. وهى صفةٌ غالبةٌ؛ لأنه يقـال لها: جاعِرَة. فهذا فى بابه كَفَـسَاقِ. ولَكَاعِ. وحَلاَقِ. للمَنِيَّةِ. وقد فَسَّرنا هذا البابَ مُـسْتَقْصًى على وجوهه الأربعة.

[ابنة جارية همام بن مرة]

ويُرْوَى أن ابنةَ جاريةٍ لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبَان قالتْ له يومًا:

أَهَمَّـــــامُ بن مُـــــرَّةَ حَـنَّ قَلْـبى إلى الـلائى يَـكُنَّ مَـعَ الرجـــــالِ

فقال: يا فَسَاقِ! أردت صفيحةً[2] ماضية. فقالتْ:

أَهَمَّـــــامُ بن مُـــــرَّةَ حَـنَّ قَلْـبى إلَى صلْعَـــاءَ مُشْـرِقَـةِ الـقَـذَالِ[3]

فقال: يا فَجارِ! أردت بَيْضَةَ حصينةً[4]. فقالتْ:

أَهَمَّـــــامُ بن مُـــــرَّةَ حَـنَّ قَلْبى إلى أَيـرٍ أَسُـــــدٌّ به مَـــبَـــــالِى

قال: فقتلها.

[من أخبار سعيد بن سلم الباهلي وما قيل فيه من الشعر]

قال أبو العباس: قال أبو الشَّمَقْـمَق ـ وهو مَرْوَانُ بن محمد، وزَعَم التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيدةَ قال: أبو الشَّمَـقْمَقِ ومنصورُ بن زياد ويَحْيى بن سُلَيْمٍ الكاتِبُ. مِن

(١) من أبيات الكتاب ٢: ٣٨؛ وينسب إلى النابغة الجعدى.

(٢) الصفيحة: واحدة الصفائح، وهى السيوف العريضة.

(٣) القذال فى الأصل: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس.

(٤) البيضة من الحديد. تلبس على الرأس تقيه السلاح.

أهل خراسانَ. من بُخاريَّة عُبَيْد الله بن زياد. وكان أبو الشمقمق ربَّما لَحنَ، ويَهْزِلُ كثيراً ويُجدُّ. فيكْثُرُ صوابُه ـ قال يمدحُ مالكَ بْنَ علِيٍّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سَعيدَ ابن سَلْمٍ الباهليَّ:

قد مَررْنا بمالكٍ فوجَدْنا ه جواداً إلى المَكارِمِ يَنْمى[1]
ما يبالِى أتاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ أم أتاهُ يأجُوجُ مِنْ خَلْفِ رَدْمٍ[2]
فارْتَحلنا إلى سَعيدِ بنِ سَلْمٍ فإذا ضَيْفُه من الجوعِ يَرْمِى[3]
وإذا خبزُهُ عليه « سَيكْفِيكَهُمُ الله » ما بَدَا ضوْءُ نَجْمِ
وإذا خاتمُ النبى سُلَيْمَا نَ بن داودَ قد عَلاهُ بِخَتْمِ
فارتَحَلْنَا منْ عِنْدِ هذا بحَمْدٍ وارتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هذا بِذَمِّ

* * *

وقال عبدُ الصمد بنْ المعَذَّلِ يرثى سَعيدَ بن سَلْمٍ:

كَمْ يتيمٍ جَبَرْتَهُ بعدَ يُتْمٍ وفَقيرٍ نَعَشْتَهُ بعدَ عُدْمٍ[4]
كُلَّما عَضَّتِ الحوادثْ نادَى رضِيَ الله عن سَعيدِ بنِ سَلْم

* * *

وقال سعيدْ بن سَلْمٍ: عَرَضَ لى أعرابىٌّ فمدَحَنى فَبَلَغ[5]. فقال:

أَلاَ قلْ لسارى الليلِ لا تَخْشَ ضَلَّة سعيدُ بن سَلْمٍ ضَوْءُ كلِّ بلاَدِ
لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سَيِّدٍ جَوادٌ حَثَا فى وَجهِ كلِّ جَوادِ[6]

قال: فتأخَّرتُ عن برِّه قليلا. فهجانى فَبَلَغ[7]. فقال:

لِكلِّ أَخِى مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ وليس لِمَدْحِ الباهلىِّ ثَوابُ
مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمَديحُ مَهَزَّةٌ فكانَ كَصَفْوانٍ عليه تُرابُ[8]

---

(١) ر: «كريمًا». وما أثبته عن الأصل. س. (٢) ر: «أم اتقه». أثبته عن الأصل. س.
(٣) ر: «فانتهينا». (٤) ر: «كم صغير». (٥) س: «أبلغ».
(٦) أى حثا التراب فى وجوه الأجواد؛ وذلك كناية عن تقصيرهم.
(٧) س: «أبلغ». (٨) الصفوان: الحجر الأملس.

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ:

قَال لِي الناسُ زُرْ سَعِيدَ بن سَلْم ... قلتُ للناسِ لا أَزُورُ سَعِيدَا
وأَمِيرِي فَتَى خُزَاعَةَ بالبَصْـ ... ـرَةِ قد عَمَّها سماحًا وجُودَا
ولَنِعْمَ الْفَتَى سَعِيدٌ ولكنْ ... مالكٌ أَكْرَمُ البَرِيَّةِ عُودا

فقال سعيدٌ: لَوددتُ أنه لم يكنْ ذَكَرنِي مع مالك، و [أنه][1] أَخَذَ منِّى أُمْنِيَّتَهُ.

* * *

وقال أبو الشمقمق أيضا:

هيهاتَ تَضْرِبُ فى حَدِيدٍ بارد ... إن كنتَ تَطْمَعُ فى نوالِ سعيدِ
والله لو ملَكَ البحار بأَسْرِها[2] ... وأتاهُ سَلْمٌ فى زمانٍ مُدُودِ
يَبْغِيهِ منها شَرْبَةً لِطُهُوره ... لأَبَى وقال: تَيَمَّمَنْ بصَعِيدِ

* * *

ومثْلهُ قولُ الآخرِ:

لو أنَّ قَصْرَكَ يابْنَ يوسفَ كُلَّهُ ... إِبَرٌ يَضِيق بها فَضَاءُ الْمَنْزِلِ
وأَتاكَ يوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً ... ليَخيطَ قَدَّ قميصِهِ لم تَفْعَلِ

* * *

وقال مُسْلمُ بن الوَلِيدِ:

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ غَرِيمُها ... وبُخْلُكَ بُخْلُ الباهليِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بن سَلْمٍ أَلأَمُ الناسِ كُلِّهِمْ ... وما قومُهُ من لؤمه ببعيدِ[3]
يزيدُ له فَضْلٌ ولكنَّ مَزْيدًا ... تَدَارَكَ منّا مَجْدَهُ بِيَزِيدِ
خُزَيْمَةُ لا بَأْسٌ بِهِ غيرَ أنهُ ... لِمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبابُ حَدِيدِ

---

(١) تكملة من س.

(٢) س: «لو ملك البحور».

(٣) ر: «من نجله». وما أثبته عن الأصل. س.

وقال عبدُ الصمد بن المعَذَّلِ، يرثِي عمرَو بن سعيدٍ، وكان عمرٌو هَلَك بُعَيْدَ[1] سَعيدٍ بيسير:

رُزِينا أبا عَمْرٍو فقلنا: لنا عَمْرٌو ... سَيَكْفيكَ ضَوْءُ البَدْر غَيْبوبَةَ البَدْر
وكانَ أبو عمرو معُارًا حَياتَهُ[2] ... بعمرٍو فلمَّا ماتَ ماتَ أبو عَمْرو

* * *

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسعيد بن سَلْمٍ: يا سَعيدُ مَنْ بَيْتُ قَيَسٍ فى الجاهلية؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، بنو فَزارَةَ، قال: فَمَنْ بيتُهم فى الإسلام؟ قال: يا أمير المؤمنين، الشريفُ[3] مَنْ شَرَّفْتُمُوه، قال: صدقتَ أنتَ وقومُكَ.

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم بن علىّ بن سليمان الهاشمىُّ، قال: حدثنى رجلٌ من أهل مكَّة، قال: رأيت فى منامى سعيَد بن سَلْمٍ فى[4] فى حياته و [فى][5]. نعْمَته، وكثرة عَدَد ولَده، وحُسْن مذهبه، وكمال مُرُوءَته، فقلتُ فى نفسى: ما أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيَد بن سَلْمٍ! فقال لى قائلٌ: وما ذَخَره الله له فى الآخرة أكثرُ.

* * *

وكان سعيدٌ إذا استَقْبَلَ السَّنَةَ التى يستقبل[6] فيها عدَدَ سنيه أعتقَ نَسَمة وتصدَّقَ بعشَرَة آلاف درهمٍ، فقيل لمدينىٍّ: إنَّ سعيدَ بن سَلْم اشترى نفسَه من ربه[7] بعشرة آلاف درهمٍ، فقال: إذًا لا يَبيعه.

[مما قالته العرب فى ذم باهلة]

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتبُ لولد سعيد:

أبنِى سعيدٍ إنّكمْ من مَعْشَرٍ ... لا يَعْرِفونَ كرامةَ الأضيافِ

(١) ر: «وهلك عمرو بعد». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) ر: «حياته». بفتح التاء.
(٣) كلمة الشريف ساقطة من ر.
(٤) ر: «أريت سعيد بن سلم فى النوم».
(٥) تكلمة من ر. س.
(٦) ر: «يستأنف». وما أثبته عن الأصل. س.
(٧) كذا فى الأصل، س وفى ر: «إن سعيدا يشترى نفسه....».

قَـومٌ لبـاهِلَةَ بنِ يَعْـصُـرَ إنْ هُمُ ... نُسبوا حَسِبْتَهُمُ لعبدِ منافِ
قَرنُوا الغَداءَ إلى العَشاء وقَرَّبوا ... زَادًا لَعَمْرُ أبيكَ ليس بِكافِ
وكَأنَّنى لمَّا حطَطْتُ إليهمُ ... رَحْلِى نَزَلْتُ بأَبْرَقِ العَزَّافِ(1)
بَيْنَا كذاكَ أتاهمُ كُبَرَاؤُهُمْ ... يَلْحُونَ فى التبذير والإسْراف

وأنشدنى المازنىُّ:

سَلِ اللهَ ذَا المَنِّ مِن فَضْلِه ... ولا تسألنَّ أبا وائلِه
فما سألَ اللهَ عبدٌ له ... فخابَ ولوْ كان من باهِلَهْ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى بعضُ أصحابنا:

تَرى الباهِلىَّ على خُبْزِهِ ... إذا رامَهُ آكلٌ آكِلَهُ]

وأنشدنى رجل(2) من عبد القَيْسِ:

أباهِلَ يَنْبَحُنِى كلبُكُم ... وأسْدُكُمُ ككِلاَبِ العَرَبْ
ولو قِيلَ للكلب يا باهِلى ... عَوَى الكلبُ من لُؤْمِ هذا النَّسَبْ

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم قال: حدثنى أبو قلاَبَةَ الجُرْمىُّ قال: حججنا مرَّة مع أبى جَزْءِ بن عَمرو بن سعيد، قال: وكُنَّا فى ذُرَاهُ(3). وهو إذ ذاكَ بَهِىٌّ وضىٌّ، فجلسنا فى المسجد الحرام إلى أقوامٍ(4) من بنى الحارث بن كَعْبٍ، لم نَرَ أفْصَحَ منهم، فرَأَوْا هيئَةَ أبى جَزْءٍ وإعظَامَنَا إيَّاه مع جماله، فقال قائلٌ منهم له: أمِنْ أهل بيت الخليفة أنتَ؟ قال: لا، ولكن رجلٌ من العَرب، قال: ممن الرجلُ؟ قال: رجلٌ(5) من مُضَرَ، قال: أَعْرَضَ ثَوبُ المُلبسِ! من أيِّها عافاك اللهُ؟ قال: رجلٌ

---

(1) العزاف. بتشديد الزاى: جبل من جبال الدهناء.

(2) ر: «وأنشد أبوالعباس لرجل». وما أثبته عن الأصل، س.

(3) ذراه: كنفه. (4) ر: «قوم».

(5) ساقطة من ر.

من قيسٍ، قال: أينَ يُرادُ بكَ، صِرْ إلى فصيلتكَ التى تُؤْوِيكَ! قال: رجلٌ من بنى سعد بن قيسٍ، قـال: اللهم غَفْرًا! من أَيِّهَا عافاكَ الله؟ قـال رجل من بنى يَعْصُرَ، قال: منْ أيهاً؟ قال: رجلٌ من باهلَةَ، قال: قُمْ عَـنَّا! قال أبو قلابةَ: فَأَقبلتُ على الحارثىِّ فـقلتُ: أتعرفُ هذا؟ قال: هذا ذكـر أنه باهلىٌّ، قال[1] فقلتُ: هذا أميرٌ ابنُ أميرٍ ابنُ أميرٍ. . . قال: حتى عَدَدتُ خمسةً.

هذا أبو جَزْءٍ أميـرٌ، بنُ عمرو ـ وكان أمـيرا ـ بنُ سعيدٍ ـ وكـان أميرا ـ بن سَلْمٍ ـ وكان أَميرا ـ بن قتيبةَ ـ وكان أميرا.

فقـال الحـارثـىُّ: الأمـيرُ أَعْظَـمُ أم الخليـفةُ؟ فقلـتُ: بَـلِ[2] الخليفةُ. قال: أفا الخليـفةُ أعظم أَم النَّبىُّ؟ قلتُ: بَـلِ النبىُّ. قال: والله لو عَدَدتَ له فـى النبوّةِ أضعـاف مَا عـددتَ له فى الإمْرةِ[3]، ثم كان باهليًّـا ما عَبَـأَ اللهُ به شيئـا. قال: فكادَتْ نفسُ أَبى جَزْءٍ تفيض[4]. فقلتُ له[5]: انْهَضْ بنا، فإنَّ هؤلاء أَسوأُ الناسِ أدبا[6].

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ للرجلِ إذا سُئِل عن شىء فـأجابَ عن غيرِه «أَعْرَضَ ثوبُ الـمُلْبِسِ» أى أَبْدَى غيرَ ما يُرَادُ منه].

* * *

وحُـدّثتُ أَنْ أَعرابيًّـا لقى رجلا مـن الحاجِّ. فـقال له: ممن الرجلُ؟ قـال: باهلىٌّ، قال: أُعيذك بالله من ذلك. قال: إى والله. وأَنا مع ذلك مولى لهم.

فأقبل الأعرابىُّ يقبِّلُ يديه ويتمسَّحُ به، قال له الرجلُ: ولِمَ تفعلُ ذاك؟ قال: لأنى أثِقُ بأنّ اللهَ عَزّ وجلّ لم يَبْتَلِكَ بهذا فى الدنيا إلاَّ وأنتَ من أهلِ الجنة.

[فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلى]

ويَزعمُ الرواة[7] أن قُتيبَةَ بن مُـسْلمٍ لما فتحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى[8]. إلى أَثَاثٍ لم

---

(١) ساقطة من ر.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «الإمارة».
(٤) ر: «تخرج».
(٥) ساقطة من ر.
(٦) ر: «آدابا».
(٧) ر: «الرقاشى».
(٨) يريد اتسع وسار عريضا.

يرَ مثلهُ، وإلى آلات لم يرَ مثلها[1]. فأرادَ أن يُرىَ الناسَ عظيمَ ما فتحَ الله عليه، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القــوم الذين ظَهرَ عليهم. فأمَرَ بدار ففــرِشَتْ، وفى صَحْنها قُدُورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالم. فـإذا بالحُضَيْنِ بن المنذر بن الحارثِ بن وَعْلَةَ الرُّقَـاشيِّ قد أقبلَ، والناسُ جُلُوسٌ على مراتبهم، والحُضَيْنَ شيخٌ كبيرٌ، فلما رآه عبدُ الله بن مسلمٍ قال لقُتيبةَ: ائذنْ لــى فى معاتَبته. قال: لا تُرِدْهُ فإنه خبيثُ الجواب، فأبى عبدُ اللهِ إلاَّ أن يأذنَ له ـ وكان عــبدُ الله يُضعَّفُ، وكان قــد تَسَوَّرَ حائطًا إلى امــرأة قبلَ ذاك ـ فأقبلَ على الحُضَيْن [بن المنذر][2]. فقال: أمِنَ الباب دخلــتَ يا أبا ساسانَ؟ قال: أجَلْ أسَنَّ عمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحيطانِ، قال: أرَأَيتَ هذه القدورَ؟ قال: هى أعظمُ من ألاّ تُرَى، قال: ما أحْــسبُ بكرَ بنَ وائلٍ رأَى مثلَها! قــال: أجَلْ، ولا عَيْلانَ، لو كان رآها سُمِّىَ شَبْعانَ، ولم يُسَمَّ عَيْــلانَ، قال لَهُ عبدُ الله: يا أبا ساسان، أتَعرِفُ الذى يقولُ:

عَــزَلْنـا وأمَّــرْنَا وبكْــرُ بن وائلٍ — تَجُــرُّ خُصَـاها تَبْـتَغِى من تُحَـالِف

قال: أعْرِفَه، وأعرفُ الذى يقولُ:

وخَــيْــبَــةَ مَنْ يَخِــيــبُ على غَنِيٍّ — وباهِلَــةَ بن يَعْــصُــرَ والرِّكَــاب

يريدُ يا خَيْبَةَ من يخيب. قال: أفتعرفُ الذى يقولُ:

كَأَنَّ فِـقَاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابن مِـسْمَعٍ — إذا عَـرِقَت أفْـواهُ بَكْرِ بن وائلِ[3]

قال: نعم[4]. وأعرفُ الذى يقولُ:

قــومٌ قُــتَـيْــبَـةُ أُمُّــهُمْ وأبوهُمُ — لــولا قُتَيْبَةُ أصْبحـوا فى مَجْـهَلِ

قال: أما الشعــرُ فأراكَ تَرْويه، فهل[5] تقرأُ من القرآن شيـئا؟ قال: أَقرأُ منه الأكثر الأطيَبَ: ﴿**هَلْ أَتى عَلَى الإنْسَانِ حينٌ منَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾[6]. قال[7]: فأغْضَبَه. فقال: واللهِ لقد بــلغنى أنَّ امرأَةَ الحُضَيْنِ حُملَتْ إليه وهى حُبْلَى

---

(١) ر: «لم يسمع بمثلها». (٢) من س.

(٣) ر: «وقد عرقت».

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أعرف هذا».

(٥) ر: «ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا».

(٦) سورة الإنسان آية: ١ .

(٧) كلمة «قال» ساقطة من الأصل.

مـن غيـره. قـال: فما تحرَّكَ الشَّـيـخْ عن هَيْئَتـه الأُولَـى، ثـم قال علـى رِسْلـه: ومـا يكونُ! تَلدُ غلامًا على فِرَاشى فيقالُ: فـلانُ بن الحُضَيْنِ. كما يقالُ: عَبدُ الله ابنُ مسلمٍ. فأقبلَ قتيبة على عبد الله فقال: لا يُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ.

[قال أبو العبـاس[1]]: الحُضَيْنُ[2] بن المنذر بـن الحـارث بن وَعْلَـةَ. وكـان الحضينُ بيده لواءُ علىّ بن أبى طالب رحمه الله على ربيعَة، وله يقولُ القائلُ:

لِمَنْ رايةٌ سَـوْداءُ يَخْـفقُ ظِلُّهَـا ... إذَا قـيلَ قَدِّمْـهَا حُـضَـينُ تَقدَّمَـا

[للأعشى يمدح هوذة بن على]

وللحارث بن وَعْلَةَ يقولُ الأعشَى ـ وكان قَـصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ. فعَرَج[3] عنه إلى هَوْذَةَ بن علَىٍّ ذى التَّاج. وهوذة مـن بنى حَنيفَةَ بن لُجَـيمِ بن صَعْبِ بن عَلَىٍّ ابن بكْرِ بن وَائلٍ، والحـارثُ بن وعْلَةَ من بنى رَقَاش، وهى امـرأةٌ، وأَبوهم مالكُ ابن شَيْبَانَ بن ذُهْلِ بن ثَعْلَبَـةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن عَلىّ بن بكرِ بن وَائل. فقال الأعشَى يَذْكر الحارِثَ بن وَعْلة وهَوذة بن علىٍّ:

أَتَيْتُ حُـرَيْثًـا زائرًا عن جَنـابَةٍ ... فكانَ حـرَيْثٌ عـن عَطائىَ جـامـدَا
إذَا مـا رأَى ذا حـاجَـة فـكأَنما ... يرَى أَسَـدا فى بيـتـه وأسـاودَا
لَعَمْـرُكَ ما أَشْبَـهْتَ وَعْلَة فى النَّدَى ... شَـمَـائلُه ولا أَبَاه مُـجَـالدَا
وَإِنَّ امْـرأً قـد زُرْتُه قـبلَ هذه ... بجَـوٍّ لَخَـيْـرٌ منك نَفْـسًـا ووالدَا
تَضَـيَّـفْـتُه يومـا فَـقَـرَّبَ مَـجْلِسى ... وَأَصْـفَـدَنى عَلى الـزَّمـانَة قـائدَا
وأَمْـتَـعنى على الـعَـشَـا بولَـيـدَةٍ ... فـأُبتُ بخـير منك يَا هَـوْذَ حامـدَا
فتى لو يبارِى الشَّـمسَ أَلقَتْ قناعَها ... أَو القَـمرَ السَّـارِى لأَلْقَى الـمقَـالدَا
يَرَى جَمْعَ مـا دُونَ الثلاثين قُـصْرةً ... ويَعْـدُو على جمـع الثلاثينَ واحـدَا

وهى كلمةٌ.

---

(1) من س.
(2) ر: «هذا الحضين».
(3) ر: «وعرج».

قوله: «أتيتُ حُرَيْثًا» يريدُ الحارث. تصغيرُه على لفظه[1]: حُوَيرِثٌ.

وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له تصغيرُ التَّرْخِيم، وهو أن تَحْذفَ الزوائدَ من الاسم ثم تصغِّر حروفَه الأصليةَ. فتقولَ فى تصغير أحمدَ: حُمْيد لأنه من الحَمد. وفى الحارث: حُرَيْثٌ، لأنه من الْحَرْث. وفى غَضْبَانَ: غُضَيْب، لأنه من الغَضَب، لأن الألف والنونَ زائدتان، وكذلك ذواتُ الأربعة، تقول فى تصغير «قنْديلٍ» على لفظه «قُنَيديل». فإن صَغَّرتَه مرخَّمًا حَذفْتَ الياءَ فقلتَ: «قُنَيْدِل»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

وقوله: «عن جَنَابَة»، يقولُ: عن غُرْبَة وبُعْد. يقالُ: هُمْ نِعْم الحىُّ لجارهم جار الجنَابَة. أى الغُرْبَة. يقال: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلٌ جانب، أى غريبٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَالْجَارِ ذى الْقُرْبى والْجَارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[2]. وقال الْحُطَيْئةُ:

والله ما مَعْشَرٌ لامُوا امرَأ جُنُبًا ... فى آل لأىِ بن شَمَّاسٍ بأكْيَاس

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ:

فَلا تَحْرِمَنِّى نَائلا عن جَنَابَةٍ ... فإنِّى امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحد: جُنُبٌ قال للجميع: أَجْنَابٌ، كقولك: عُنُقٌ وأعناقٌ، وطُنُبٌ وأطنابٌ. ومن قال للواحد: جَانب، قال للجميع: جُنَّابٌ. كقولك: راكبٌ ورُكَّابٌ، وضاربٌ وضرَّاب. قالت الْخَنْساءُ:

ابْكى أَخَاكِ لأَيتَامٍ وأَرْمَلةٍ ... وابْكِى أَخَاكِ إذا جَاوَرْتِ أَجْنَابا

وإن كان من الْجَنَابَة التى تُصيب الرجلَ قلتَ: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأةُ والجميعُ، وقد تجوزُ وليس بالوجْه. رجُلان جنبان، وامرأةٌ جُنُبةٌ، وقومٌ أَجْنَابٌ.

وقوله:

* يَرَى أسدًا فى بيته وأساودا *

(١) س: «على اللفظ». (٢) سورة النساء: . آية ٣٦ .

يريد جَمْع أسْوَدَ سالخ، وأسوَدْ هاهنا نعتٌ، ولكنّه غالبٌ، فلذلك جَرَى هاهنا مَجْرى الأسماء، لأنه يَدُلُّ على الْحَيَّة، و «أفعل»، إذا كان نعتًا بنفسه فجمعهُ: «فُعْلٌ»، نحو: أَحْمَر وحُمْر، وأَسْودَ وسُود، وإذا كان نعتًا فأُجْرِىَ مُجْرَى الأسماء فجمعُه: «أفاعل» نحو أَساوِد، وأَجادلَ، وأَدَاهمَ، إذا أردت القَيْد، لأَنَّهُ نعتٌ غالبٌ يَجرى مَجْرَى الأسماء، وإن أردت أَدْهَمَ ـ الذى هو نعتٌ محضٌ ـ قلتَ: دُهْمٌ، قال الأشهَبُ بن رُمَيْلَة:

أُسُودُ شَرًى لاَقتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَساقَوْا على حَرْد دماءَ الأساوِدِ

فأجراه مجرى الأسماء. نحو: الأصاغر، والأكابر، والأحامد.

وقوله:

لَعَمْرك ما أشبَهْتَ وعْلَةَ فى النَّدى شمائله . . . .

فإنه جعل: «شمائلَه»، بدلا من: «وَعْلَةَ»، والتَّقديرُ: ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وعْلَة.

والبدلُ على أربعة أضرب:

فواحد منها أن يُبْدَلَ أَحدُ الاسْمَيْن من الآخر إذا رجعَا إلى واحد. ولا يُبَالى أَمَعْرفَتَيْن كانا أم معرفةً ونكرة، وتقولُ: مررت بأَخيك زيد، لأنَّ «زيدًا» هو الأخُ، وكذلك: مررتُ برجلٍ عبد الله، فهذا واحدٌ.

وآخرُ أن يُبْدَلَ بعضُ الشىء منه. نحو: ضربتُ زيدا رأسَهُ، لمَّا قلتَ: ضربتُ زيدًا، أردتَ أن تُبَيِّنَ موضعَ الضربِ منه.

فمثْلُ الأوَّل قولُ الله تباك وتعالى: **﴿اهْدنا الصِّرَاطَ الْمستَقيمَ * صراطَ الذينَ أَنْعمْتَ علَيهم﴾**(١). وَقولُه: **﴿وإنَّكَ لتهْدَى إلى صراط مستَقيمٍ * صراطِ الله﴾**(٢). و **﴿لَنَسْفَعًا بالنَّاصيَة * ناصيَة كَاذبَة خاطئَة﴾**(٣).

ومثْلُ البدَل الثانى قوله: **﴿ولله عَلى الناسِ حجُّ الْبَيْت مَنِ استَطاعَ إليْه سَبيلا﴾**(٤).

---

(١) سورة الفاتحة ٦، ٧ .
(٢) سورى الشورى ٥٢, ٥٣ .
(٣) سورة العلق ١٥، ١٦ .
(٤) سورة آل عمران ٩٧ .

مَنْ، فى موضع خفض، لأنها بدلٌ من«الناس»، ومِثْلُه، إلا أنه أُعيدَ حرفُ الخَفْض: ﴿قال المَلأُ الّذينَ استَكْبَرُوا منْ قَوْمه للّذينَ اسْتُضْعفُوا لِمَنْ آمَنَ منْهُمْ﴾(١).

والبدَل الثالث مِثْلُ ما ذكرنا فى البيت، أَبْدَل: «شمائله» منه. وهى غيرُه، لاشتمال المعنى عليها، ونظيرُ ذلك: أَسْأَلُكَ عن زيد أَمرِه. لأَن السؤالَ عن الأَمْر. وتقولُ على هذا: سُلِب زيدٌ ثوبه، فالثوبُ غيرُهُ، ولكن به وقعَ السَّلْبُ. كما وقعت المسأَلَة عن خبرِ زيد، ونظيرُ ذلك من القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهر الْحَرَامِ قتَال فيه﴾(٢). لأنَّ المسأَلةَ إنما كانت عن القتال: هل يكون فى الشهر الحرام؟ وقال الشاعر [وهو الأخْطَلُ](٣):

إنَّ السُّيُوفَ غُدُوَّها وَرَوَاحَها ... تَرَكَتْ هَوَازنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ(٤)

وبدَلٌ رابعٌ. لا يكونُ مثْلُه فى القرآن ولا فى الشِّعْر، وهو أن يَغْلَطَ المتكلِّمُ فيستدرك(٥) غَلَطَهُ، أَو يَنْسَى فيذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقة ما يَقْصدُ له، وذلك قوله: مررتُ بالمسجد دارِ زيد، أراد أن يقولَ: مررتُ بدار زيد، فإمَّا نَسِيَ، وإمَّا غلِطَ، فاستَدْرَكَ فوضَعَ الذى قَصدَ له فى موضع الذى غَلِطَ فيه.

وقوله: «بِجَوٍّ» فهى قصبةُ اليمَامَة.

وقوله: «تَضَيَّفْتُه يومًا»: إما هو «تَفَعَّلْتُهُ»، من الضِّيافة. يقال: ضِفْتُ الرجلَ، أىْ نزلتُ به، وأَضافَنِى، أى أَنْزَلَنِى.

وقوله: «وأَصْفدَنِى»: يقولُ: أعطانى، وهو الإصْفَادُ، والصَّفَدُ الاسمُ، والإِصْفَادُ المصدرُ، قال النابغة:

* فلم أعرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ *

ويقال: صَفَدت الرجلَ فهو مَصْفُودٌ، من القَيْد، ولا يقال فى القيد أصفدت، ولكن صفَدْتهُ صفْدًا، واسمُ القَيْد الصَّفَدُ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿مُقَرَّنِينَ فى الأصفادِ﴾(٦). كقولك: جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وَأَصْنَامٌ.

---

(١) سورة الأعراف ٧٥ .

(٢) سورة البقرة ٢١٧ .

(٣) من س .

(٤) الأعضب: الكبش المكسور القرن.

(٥) ر: «فيدرك».

(٦) سورة ص ٣٨ .

وقوله: «فتى لو يبُارى الشمسَ»، يقــول: يُعارض، يقالُ: انْبَرَى لى فلان، أى اعترضَ [لى[1]] فى هذا المعنى، وفـلاَنٌ يُبَارى الرِّيحَ، مِنْ هذا، أى يـعارضُ الريح بِجُوده، فهذا غير مهمـوز. فأمَّا: بَارَأْتُ الكَرِيَّ فهو مهموز، لأنَّه من أَبْرَأَنى وأبرأتُه. ويقال: بَرَأَ فلانٌ من مَـرضه، وبَرِئَ يافتَى؛ والمصدرُ منهمـا البُرْءُ فاعلمْ، وبريْتُ القلمَ غيــرُ مهمــوز. واللهُ البَارئ المصَــوِّرُ. ويقال: ما بَرَأَ اللهُ مـثلَ فلان، مهمــوز، وقولك: «البَرِيَّةُ»، أصلُه من الهمزِ، ويُخْـتارُ فيه تخفـيفُ الهمزِ، ولَفظ التخفيف والبدل واحد، وكذلك يُخْتارُ فى «النَّبىِّ» التخفيفُ، وَمن جعلَ التخفيفَ لازمًا قــال فى جمــعه: أنبــياء، كــما يُفْــعَلُ بُذوات الياء والواو، وتقــول: وَصىٌّ وأوصياءُ، وتقىٌّ وأتقياءُ، وشقىٌّ وأشقياءُ. ومَن هَمزَ الواحدَ قال فى الجمع: نُبآء، لأنه غيــرُ مُعْتَلٍّ، كمــا تقول: حكيمٌ وحكماءُ، وعليمٌ وعــلماءُ وأنبياءُ لغــة القرآنِ والرسولِ ﷺ. وقال العباسُ بن مِرداس السُّلَمىُّ:

يا خــاتَم الــنّبَــآءِ إنكَ مُــرْسَلٌ ... بالحقِّ كلُّ هُدَى السَّـبيل هُدَاكـا[2]

وقوله:

* أو القَمَرَ السَّارى لألْقَى المَقَالدَا *

إنما سكّنَ[3] اليـاءَ ضرورةً، وإنما جـازَ ذلك لأنَّ هذه اليـاءَ تَسْكُنُ فى الرفع والخَفْض، فـإذا احتـاجَ الشاعـرُ إلى إسكانها فى النصـب قاسَ هذه الحركـةَ على الحركتين: الضَّمَّــةِ والكَسرةِ الساقطتين؛ فشَبَّهَها بهمـا، فَجَعَلَها كالألف التى فى: «مثنى» التى هى على هيئةٍ واحدةٍ فى جميع الإعراب، قال النابغة:

رَدَّتْ عليــه أقــاصيــهِ ولبَّــدَهُ ... ضَرْبُ الوَليدَةِ يا مِـسْحاةُ فى الثأدِ[4]

فأسْكنَ الياء فى: «أقاصيه». وقال رُؤْبَةُ:

كـأنَّ أيــدِيهنَّ بالقَـاعِ الــقَـرِقْ[5] ... أيْدِى جَـوَار يَتَــعَـاطين الوَرِقْ[6]

---

(١) تكملة من س.

(٢) س: «كل هدى السماء».

(٣) ر: «فأسكن». (٤) الثأد: الثرى.

(٥) القاع والقاعة ما انبسط من الأرض. والقرق: القاع لا حجارة فيه.

(٦) من زيادات ر: «والورق هو ورق الشجـر، يضرب بالعصا فيـتناثر فتلتقطه الجوارى بسـرعة لعطف الإبل وغيرها».

وقال:

* سَوَّى مَسَاحِيهنَّ تقْطيط الحُقَقْ[١] *

[ويُروَى: «تقطيطَ»، بالنصب، وهو أجودُ، لأن بعدَه:

* تفْليلُ مَا قارَعْنَ مِنْ سُمْر الطُّرَقَ *

والطُّرَقُ: جمع طُرْقة][٢].

وقال آخرُ:

كـفَى بالنَّـأى من أسـمـاء كـاف ... وليس لِحُـبِّـهـا ما عِـشْتُ شـافِ

وأما قوله:

وأمْـتَـعَنِى علـى العَـشَـا بوليـدةٍ ... فـأُبْتُ بخيـرٍ منك يا هَوْذَ حَامِـدا

فإنه كان يتحدّث عنه. ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المُخاطبة.

والعرب تتْرُك مخـاطبةَ الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومـخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**حتَّى إذَا كُنْتمْ فى الْفُـلْك وجَرَيْنَ بهمْ بريح طَيِّبة**﴾[٣]. كانت المخاطبةُ للأُمَّةِ، ثم صُرِفت[٤] إلى النبى ﷺ إخْبارًا عنهم. وقال عَنْتَرَةُ:

شَطَّتْ مَزَارُ العـاشِقِينَ فَأَصـبحت ... عَـسَـراً عَلَىَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَـخْـرَمِ

فكان يحدِّث[٥] عنها ثم خاطبها. ومثلُ ذلك قول جرير:

وتَرَى العَـواذلَ يَبْـتَدِرْنَ مَـلامَـتِى ... فـإذا أَرَدْنَ سِـوى هَواكِ عُـصِـينَا

وقال الآخر:

فـدى لك والدى وسـراة قـومى ... ومـــــا لـى إنه مـنـه أتانـى

وهذا كثيرٌ جداً.

---

(١) المساحى هنا: الحوافر، على التشبيه.

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر. وتفليل: تكسير. مـا قارعن. ما ضربن بها. والطرق: حـجارة طارقة بعضها فوق بعض.

(٣) سورة يونس ٢٢ .

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «انصرفت».

(٥) ر: «يتحدث».

وقوله :

* يَرَى جَمْعَ ما دون الثلاثين قَصْرَةً *

أى قليلا. من الاقتصار. ويُرْوَى: «ويَغدو». و «يَعْدُو» جميعًا.

[من أخبار هوذة بن على]

وكان هَوْذَةُ بن علىٍّ ذا قَدر عالٍ، وكان(١) له خَرَزاتٌ تنظَمُ فتُجْعَلُ على رأسِه. تَشَبُّهًا بالملوك.

وحدثنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيْدةَ. قال: ما تَتَوَّجَ مَعَدِّىٌّ قطُّ، إنما كانت التيجانُ لليمَن، قال: فسألْتُه عن قول الأعشى لهْوذة(٢).

مَنْ يرَ هَوذَة يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئبٍ إذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعَا

قال: إنما كانت خرَزَاتٌ تُنْظَمُ له(٣).

* * *

وكتبَ رسولُ الله ﷺ. إلى هوذةَ. كما كَتَبَ إلى الملوك.

وكانت بنو حَنيفةَ بن لُجيْم أصحابَ اليمامةِ، ويقولُ بعض النسَّابين:

إنَّ عُبَيْدَ بن حنيفةَ كان أَتَى اليمامةَ وهى صَحْراءُ، فاخْتَطَّهَا، فجعل يَرْكُض حوالَيْهَا برمحه فى الأرض على ما أصاب من النخلِ، وأنهم أكلوا ما أصابوا تحتَه من التَّمر، فلما طَلَعَ لهم التَّمرُ بَعدُ لم يهتَدُوا لصُعود النَّخْل، فأقبلوا يَجُدُّونَه، حتى فَكَّرُوا فأعَدُّوا له السَّلالم، فلما عَمرَت اليمامَةُ جَعَلت العربُ تَنْجعُهمْ لموضع التمر فيُجَاوِرُونَ العَزِيزَ منهم، وكان يقالُ لمن دخلها من هؤلاء: السَّوَاقِط؛ ممن كانوا.

* * *

ويقالُ إن اليمامة والبَحْرَيْن والقَرْيَتَيْن ومواضعَ هناك كانت لِطَسْمٍ وجَدِيس، والخبرُ فى ذلك مشهورٌ بزَرْقاءِ اليمَامةِ، وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله:

---

(١) ر: «وكانت». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ذكر ابن الأثير أن كسرى أنو شروان لما دخل عليه هوذة بن على أعجب به. فدعا بعقد من در فعقد على رأسه، ومن ثم سمى هوذة ذا التاج. نقله الموصفى.

[مـا نَظَـرَتْ ذاتُ أَشْـفَـارٍ كَنَظْـرَتِهـا حَقًّـا كما نطَقَ الذِّئبىّ إذْ سَجَـعَا][(١)]
قـالتْ أرَى رَجُـلا في كَـفِّـه كـتِفٌ أ يَخْـصفُ الـنعلَ لَهـفى أَيَّة صَـنَعَـا
وكـذَّبُوها بمـا قـالت فَـصَبَّـحَـهُمْ ذو آل غَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشِّرَعَا[(٢)]

* * *

وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبي عُبيدةَ والأَصْمَعى عن أبى عَمْرو قال: قال لى رجلٌ من أهل القريتين: أُصِبْتُ هاهنا دَراهمَ، وَزْنُ الدرهم ستـة دراهمَ وأربعة دَوانيقَ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيسٍ، فخفتُ السلطانَ فأَخفيتُها.

وقد ذكر ذلك زهَيْرٌ فى قوله:

عَهِدى بهم يومَ بـاب القريتين وقد زالَ الهمَاليجُ بالـفرُسْان واللُّجُمِ[(٣)]
فـاسـتبـدلتْ بعـدَنا دَارًا يَمَـانِيَـةً تَرْعَى الخَرِيفَ فأَدْنى دارِها ظَلَمُ[(٤)]

[لجرير يهجو بنى حنيفة]

وقال جرير يهجو بنى حنيفة:

هَجَـانِىَ الناسُ م الأحْـيَـاء كُلهِم حتى حنَيـفة تَفْسُو فى مَنَاحِـيهَا[(٥)]
أصحـابُ بخلٍ وحيطان ومَـزْرَعَةٍ سُيـوفهمْ خُشُبٌ فـيها مَـسَاحِيـهَا
دَلَّتْ وأعطتْ يدًا للسِّلْم صـاغرةً منْ بعد مـا كاد سيفُ الله يُفْنِيـهَا
صـارت حنيـفـةُ أثـلاثًا فَـثُلْثُـهُمُ أَضْحَوْا عَـبِيدًا وثلْثٌ من مَوَالِـيهَا

قوله: «مَناحِيـهَا»، المَنْحَاةُ: مَقَامُ الـسَّانيةِ على الحوض، والحائطُ: البـستان وقوله:

---

(١) ما بين العـلامتين من زيادات ر. والذئبى هو سطيح الكاهن؛ وهو ربيع بن ربيـعة بن مسعـود بن عدى؛ وكان ضعيفا منبسطا لا يقدر أن يقعد (من شرح ديوان الأعشى ٧٤).

(٢) الشرع: الأوتار. واحده شرْعة.

(٣) ر: «عهد بها»، وما أثبته رواية الديوان ١٥٠، والأصل، س. وباب القريتين، التى فى طريق مكة؛ وهى قرية كانت لطسم وجديس، والهماليج: جمع الهمـلاج؛ وهى الدالة فى سيرها سرعة ويخترة؛ يريد بها هنا الإبل.

(٤) يمانية: ناحية ا ليمن، وظلم: اسم جبل.

(٥) زيادات ر: «تعبر بنو حنيـفة بالفسو؛ لأن بلادهم بلاد نخل، فـيأكلون ويحـدث فى أجوافـهم الرياح والقراقير».

* مِنْ بعد ما كاد سيف الله يُفنيها *

يعنى خالدَ بن الوليـد بن المغيرة بن عبد الله بن عـمر بن مخزوم فى وقـعته بمسُيْلمَةْ الكذَّاب. وللنَّسَّابِينَ بعد هذا قولٌ مُنْكَرٌ.

* * *

وقال جَرِير:

أبَنِى حَنِيـفَـةَ نَهْنِهُـوا سُفَـهَـاءَكُمْ ... إني أخـاف عليكُمُ أن أَغْـضَبَـا[1]

أبنى حـنيـفـــةَ إننى إن أَهْـجُكُمْ ... أَدَعِ اليــمَـامَـــةَ لا تُوَارِى أَرْنَبَـــا

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنفية]

وقال عُمَارَة بنُ عقيل:

بَلْ أيُّهَـــا الراكبُ الماضى لطيَّـتِـــه ... بَلِّغ حنيـفـةَ وانْشـرْ فيـهـمُ الخَـبـرا

أكـان مَـسْلَمـةُ الـكذّابُ قـالَ لَكم ... لن تُدْرِكُوا المَجْد حتى تُغضبُوا مُضَرا

مَهْـلا حنيفـةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ ... عليكمُ بَرْكَـهَـا أَسْـرعْتُم الـضَّجَـرا

البَرْكُ: الصَّـدْرُ، إذا فتحت الباءَ ذَكَّـرْتَ، وإن أردتَ التأنيثَ كسـرتَ الباءَ، قلتَ: بِرْكة، قال الجَعْدىُّ:

ولوْحَـــا ذِرَاعَـــيْن فى بِرْكَـــةٍ ... إلى جُـــؤْجُـــؤٍ رَهِلِ المُـنْكِبِ[2]

* * *

وزَعم الأصمعىُّ أن زِيادًا كان يُقال له: أَشْعَرُ بَرْكا لأنه كان أَشْعَرَ الصَّدْر.

وغيرُ الأصمعىّ زعم[3] أن هـذا كان يقال للوليد بن عُـقْبَة بن أبى مُعَيْطِ بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّةَ.

---

(١) نهنهوا سفهاءكم: كفوهم وازجروهم.

(٢) الجـؤجؤ: الصـدر. أو مجـتمع رءوس عظام الصـدر، والمنكب: مـجتـمع العضـد والكتف. ورهله: . استرخاؤه من السمن.

(٣) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «يزعم».

وذكروا أن عَدِىَّ بن حاتم بن عبد الله الطائىَّ قال يومًا: ألاَ تَعْجَبُونَ لهذا، أَشْعَرُ بَرْكًا! يُوَلَّى مثلَ هذا المصر! والله ما يُحْسِنُ أَنْ يَقْضِىَ فى تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المِنْبَر: أنشد اللهَ رجلا سمّانى أشعر بركا إلا قام! فقامَ عدىُّ بن حاتمٍ فقال: أيها الأميرُ، إن الذى يقومُ فيقولُ: أنا سميتُكَ أَشْعَرَ بَرْكًا لَجرىءٌ، فقال: اجلس يا أبا طَرِيفٍ؟ فقد بَرّأَكَ اللهُ منها. فجلسَ وهو يقولُ: والله ما بَرَّأنى اللهُ منها.

* * *

وكانت أمُّ الوليد بن عُقْبَةَ أُمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمهما الله، وهى أَروَى بنتُ كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بْن عبد مناف. وأُمُّها البَيْضَاءُ بنت عبد المُطَّلب بن هاشم، ومن ثمَّ قال الوليد لعلىّ بن أبىٍ طالب رحمه الله: أنا أَلْقَى رسولَ الله ﷺ بأُمِّى من حيثُ تَلْقَاه بأبيك.

وكان يقال للبَيْضَاء بنتِ عبد المطلب: قُبَّةُ الديبَاجِ. واسمها أُمُّ حكِيمٍ، ولذلك قيل لعثمان وللوليد[1] يابن أرْوَى، ويَا بنَ أُمِّ حكيم.

* * *

وقال الوليد لبنى هاشمٍ لهذا النّسب[2] حين قُتلَ عثمان رحمه الله:

بنى هاشمٍ رُدُّوا سلاَحَ ابنِ أُختكمْ ... ولا تُنْهِبُوهُ لا تحلُّ مَنَاهِبُهْ
بنى هاشمٍ كيفَ الهَوَادَةُ بيننا ... وعندَ علىٍّ درْعُهُ ونَجَائبُهْ
هُمُ قَتلوه كَىْ يكونوا مكانَه ... كما غَدَرَتْ يومًا بكسْرَى مَرَازِبُهْ

وهذا القول باطلٌ. وكان عُرْوَة بن الزبير إذا ذَكر مقْتَلَ عثمان يقولُ: كان علىٌّ أَتْقَى لله مِن أَن يقتل عثمان[3]. وكان عثمانُ أَتْقَى لله مِن أَن يقتله علىّ[4].

(١) كذا فى الأصل: س. وفى ر: «أو للوليد».
(٢) كذا فى الأصل س. وفى ر: «السبب».
(٣) ر: «من أن يعين فى قتل عثمان».
(٤) ر: «من أن يعين فى قتل».

وقال الوليدُ بن عُقْبَةَ:

أَلاَ إِنَّ خَـيْــرَ النَّاسِ بعــد ثلاثة ... قَتيلُ التّجيبىّ الذى جاء من مصر(١)
ومــا لىَ لا أَبْـكِى وتَبكِـى أَقــاربى ... وقد حُـجِبَتْ عنا فُصولُ أَبى عَـمْرو!

[لليلى الأخيلية ترثى عثمان بن عفان]

وقالت ليَلْىَ الأخْيَلِيَّةُ، أنشدنيه الرِّيَاشىُّ عن الأصْمعىِّ:

أَبْعَـدَ عثـمان تَرْجُـو الخيـرَ أُمَّتُـه ... وكـانَ آمَنَ مَنْ يمشـى على سـاقِ
خَليــفــة الله أَعطاهُمْ وخَــوَّلَهمْ ... مــا كـان مـن ذَهبٍ جَمٍّ وأوراقِ
فـلا تُكَذِّبْ بـوعـد الله وارْضَ به ... ولا تُوَكِّلْ علـى شىءٍ بإشْـفـاقِ
ولا تقـولنْ لِشَىْءٍ: سـوف أَفْعَلُه ... قـد قـدَّرَ اللهُ مـا كلُّ امـرئٍ لاقِ

[لآخر يرثيه أيضا]

وقال الآخرُ:

أَلاَ قُلْ لقـوم شاربى كـأس عَلْقَمٍ ... بقـتْلِ إمـامٍ بالمدينة مـحْـرِمِ
قـتَلْتُمْ أَمين الله فـى غيـر ردَّةٍ ... ولا حدِّ إحْـصان ولاَ قَتْلِ مُسْلم
تَعـالَوْا فَـفَـاتُونا فـإن كـان قَتْلَه ... لواحـدة منهـا يَـحِلُّ لكم دَمى(٢)
وإلاَّ فـأَعظِمْ بالذى قـد أتيـتُمُ ... ومَنْ يأتِ مـا لم يَرْضَـهُ اللهُ يَظْلِمِ
فـلا يَهْنِـئَنَّ الشـامـتين مُـصـابُهُ ... فحَظُّهُمُ من قـتله حَرْبُ جُرْهُمِ(٣)

* * *

وَأنشدنى الرِّياشىُّ عن الأصمعىِّ:

[قال أبو الحسن: هذا الشعر لابن الغريرة الضبى:]

لعَـمْـرُ أبيـكَ فـلا تَذْهَـلَنْ ... لقـد ذَهَبَ الخَيْـر إلا قليـلا
وقـد فـتن الناسُ فـى دِينـهمْ ... وخلَّى ابنُ عَـفَّـانَ سـرًّا طويلا

---

(١) ر: «التجوبى» صوابه فى الأصل. س. منسوب إلى تجيب. قبيلة.

(٢) ففاتونا، فحاكمونا، وفى ر: «فحل»، على الفعل الماضى، وما أثبته عن الأصل.

(٣) نقل المرصفى عن الطبرى أن الشعر لحنات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق.

ومثله قول الراعى:

قتَلوا ابنَ عفَّانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... ودَعَا فلم أرَ مثلَهُ مَخْذولا
فتفرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذاكَ عَصَاهُمْ ... شِقَقًا وأصبح سَيْفُهمْ مسلولاَ(١)

قوله: «مُحْرِمًا» يريد فى الشهرِ الحرام، وكان قُتلَ فى أَيَّام التشريق. رحمه الله.

[لأيمن بن خريم يرثيه أيضا]

وقال أَيْمن بن خُرَيْم بن فاتك الأسَدىُّ. وكانت له صحبةٌ:

تفَاقدَ الذَّابحُو عثمان ضاحيَةً(٢) ... أىَّ قتيل حَرام ذُبِّحوا ذَبَحوا
ضَحَّوْا بعثمانَ فى الشهر الحرام ولم ... يخْشَوْا على مطمح الكفِّ الذى طَمَحُوا
فأىَّ سُنَّة جَوْر سنَّ أوَّلُهمْ ... وباب جَوْر على سُلْطانهم فَتَحُوا
ماذا أرادوا أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... منْ سَفْح ذاك الدَّم الزَّاكى الَّذى سَفَحُوا
فاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمِينَ على ... ظمْء كما يسْتَوْرِدُ النَّضَحَ(٣)
إنَّ الذين تَوَلَّوا قتله سَفَهًا ... لُقُّوا(٤) أَثَامًا وخُسْرَانًا فما رَبحُوا

الظِّمْءُ: ما بين الشَّرْبَتَيْن، وقولُه: «ضَحَّوا بعثمان»: إنما أصله فُعِلَ فى الضُّحَى، قال زهيرٌ:

ضَحَّوْا قليلا على كُثْبَان أَسْنُمة ... وَمنهم بالقَسُومِيَّات معتَرِك(٥)

أى نزلوه ضُحًى. ويقال: بيَّتوا ذاك. أى فعلوه ليلا. قال الله جل وعز: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾(٦). وأنشد أبو عبيدة:

---

(١) شققا: جمع شقة، بالكسر، وهى الشطبة.
(٢) ضاحية: علانية.
(٣) استوردتهم: من استورد الماء؛ أى ورده، يريد درات سيوفهم دم عثمان على عطشها.
(٤) رواية الديوان ١٦٥:

* وعَرَّسُوا ساعة فى كُثْب أَسْنَمَة *

وما أورده المبرد، هى رواية الأصمعى أسنمة: موضع بعينه. كذلك القسوميات، مواضع، والمعترك المزدحم.
(٦) سورة النساء ١٠٨.

أَتَوْنى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا وكانوا أَتَوْنى بأَمرٍ نُكَرْ
لأُنْكِحَ أَيِّمَهُم مُنْذرًا وهل يُنكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لِحُرّ!

وقوله:

* من سَفْح ذاكَ الدمِ الزاكى الذى سَفَحُوا *

أى فى صَبِّ ذاك الدم، يقال: سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دَمَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿إلاَّ أَنْ يكونَ مَيْتة أَوْ دمًا مَسْفُوحًا﴾[1].

وقوله: «على تَمام ظِمْءٍ» فهذا مَثَلٌ، وأَصلُ الظِّمْءِ: أن تشربَ الإبل يومًا ثم تُغَبَّ يومًا لا تَرِدُ الماء، فما بين الشَّرْبتين ظِمْءٌ، فيكون الظِّمْءُ يومين، فيقال له: الرِّبْعُ، كما يقال فى الحُمَّى، لأنهم يَعْتَدُّونَ بيَوْمَىْ شَرْبها. والْخِمْسُ: أَن تَظْمأَ ثلاثةَ أيامٍ، والنَّضَحُ: الحوْضُ.

والأثام: الهلاكُ، قال الله عَزَّ ذكْرُه: ﴿وَمَن يفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أثامًا﴾ ثم فسَّرَ فقال: ﴿يضاعَفْ لَه الْعذابُ يوْمَ الْقيامَة ويَخْلُدْ فيه مُهانًا﴾[2]. فجزم «يُضَاعفْ» لأنه بدَلٌ من قوله: «يلْقَ أَثامًا» إذْ كان إيَّاه فى المعنَى، وأَنشدنى أبو عبيدة:

جَزَى اللهُ ابنَ عُروَةَ إذ لَحِقْنَا عُقُوقًا والعُقُوق من الأثام

وقوله: «على مطْمَح الكَفِّ» يقول: على رَفْعها وإبعادِها، يقال: طَمَحَ بَصَرُه، إذا ارتفع فَأَبْعَدَ النَّظرَ، قال امرؤ القيس:

لقد طَمَحَ الطمَّاحُ من بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنى من دَائه مَا تَلَبَّسَا

---

(١) سورة الأنعام ١٤٥ .

(٢) سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .

بـاب

فى التَّشْبيـه

قال أبو العـباس: وهذا بابٌ طريفٌ نَصل به هذا البابَ الجـامعَ الذى ذكرناه وهو بعضُ ما مرَّ للعرب من التشبيه المُصيب، وللمحدثين(١) بعدهم.

* * *

فأَحْسنُ ما جاء بإجماع الرُّواة ـ: ما مَرَّ لامرئ القيس فى كلامٍ مختصر، أى بيتٍ واحد، من تشبيه شيء فى حالتين مختلفتين(٢) بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كـأَنَّ قـلوب الطَّيْـــرِ رَطبًـا ويابـسًـا   لَدى وَكْرِهَا العُنابُ والْحَـشفُ البَالى(٣)

فهذا مـفهومُ المعنَى، فإن اعتـرضَ معترضٌ فـقال: فهَلاَّ فَصَلَ فـقال: كأنه رطبًا الْعُـنابُ وكأَنه يابسا الحـشَفُ! قيل له: العـربىُّ الفصـيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمى بالقول مفـهومًا، ويَرَى ما بعد ذلك من التكرير عيّـا، قال الله جل وعزَّ، وله المثلُ الأعلى: ﴿**وَمِنْ رَحْـمَـته جَـعَل لكُم الليلَ وَالـنَّهَارَ لتَـسْكُنُوا فـيـه ولَتَـبْتَـغُـوا منْ فَضْله**﴾(٤)، علَمًا بأَن المخاطَبِينَ يعلمون(٥) وقتَ السُّكون ووقتَ الاكتساب.

* * *

ومنْ تمثيلِ امرئ القيس العجيبِ قوله:

كأَنَّ عُـيونَ الوَحْش حَـوْلَ خِبَـائِنَا   وأَرْحُلِنَا الجَـزْعُ الـذى لم يثـقَّبِ(٦)

ومن ذلك قوله:

إِذا ما الثَّـريَّا فى السمـاءِ تعرَّضَتْ   تَعَـرُّضَ أَثْنَاءِ الْـوِشَـاحِ المفـصَّلِ(٧)

---

(١) ر: «والمحدثين»: وما أثبته عن الأصل، س.   (٢) ساقطة من ر.

(٣) الحـشف البـالى: ردىء النمر؛ قـال شـارح الديوان ٣٨: «وإنما خص قلوب الطيـر جـاءت بقلوبهـا إلى أفراخها».

(٤) سورة القصص ٢٣ .   (٥) ر: «يعرفون».

(٦) الجزع: خرز فـيه بياض وسـواد. شبه عيـون الوحش لما فيهن من السواد والبـياض بالخرز. وجعلـه غير مثقب؛ لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه.

(٧) تعرضت: أى أرتك عـرضها. أى ناحيـتها، والوشاح المفـصل: الذى جعل بين كل خرزتين فـيه لؤلؤة. والأثناء: جمع ثنى.

وقد أَكْثَرُوا فى الثُّرَيَّا(١). فلم يأتُوا بمن يقــاربُ هذا المعنى، ولا بما يقــاربُ سُهولةَ هذه الألفاظ.

* * *

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغة:

فــإنَّكَ كــالليل الَّذِى هُوَ مُــدْرِكى وإِنْ خلْتُ أَنَّ المُــنْتَــأَى عــنك واسِعُ

وقوله:

خَطاطِيفُ حُجْــنٌ فى حِبَالٍ مَــتينةٍ تَمُــدُّ بــهــــا أيْــدٍ إلىَّ نَــوَازِعُ(٢)

وقوله:

فــإنــكَ شَــمسٌ والملوكُ كــواكبٌ إذا طَلَعَتْ لــم يَبْــدُ منهنَّ كــوكبُ

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّةِ:

ورَدْتُ اعْــتِــسَافًــا والثــريَّا كــأنهــا على قِــمَّةِ الرأس ابنُ مَاءٍ مُــحَلِّقِ(٣)

وقوله:

فــجــاءَت بنَسْجِ العَنكبــوتِ كــأنَّه على عــصَوَيْهــا سَابِرىٌّ مُــشَبْــرُقِ(٤)

وتأويله(٥) أنه يَصِفُ مــاءً قديمًا لا عَهْــدَ له بالورَّادِ(٦). فقد اصــفرَّ واسْوَدَّ، فقال:

وماء قديم العــهد بالناس(٧) آجن كأن الدَّبا مــاء الغضــا فيــه تبصق(٨)

---

(١) ر: «وقد أكثر الناس فى الثريا».

(٢) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو حديدة معقوفة الرأس. ونوازع: جواذب، يقول: ولك خطاطيف أُجَرُّ بها إليك. فليس عنك مهرب.

(٣) الاعتساف: السير على غير هدى، وابن الماء: طير من الطيور محلق على مرتفع (من شرح ديوانه٤٠١).

(٤) العصوان: عرقوبا الدلو، والعرقويان: خشبتان.

(٥) ر: «وتأويل هذا». (٦) ر: «بالواردة».

(٧) ر: «قديم العهد بالإنس»، وما أثبته هو رواية الديوان والأصل: س.

(٨) آجن، متغير الطعم واللون. والدبا. الجراد. والغضا: شجر له هدب إذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الْفَحْلُ فى وصف الماء الآجن، حيث يقول:

إذا وَرَدَتْ مـاءً كَـأَنَّ جِـمَـامَـهُ   من الأَجْنِ حِنَّـاءٌ مَـعًـا وصَـبِـيبُ

فقال ذو الرُّمَّة فى وصف هذا الماء، فَقَرنَ بتغيُّره بُعْدَ مَطْلبه. فقال:

فـأَدْلَى غُـلاَمِى دَلْوَهُ يَبْـتَـغِى بهـا   شِـفَـاءَ الصَّـدَى واللَّـيلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريدُ أَنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيـه، فجاءَتْ ـ يعنى الدَّلْوَ ـ بنَسج العنكبوت. كأنه عَلَى عَـصَوَيْـها سَـابرِىٌّ مُـشَبْـرَقٌ. والسـأَّبرِى: الرقَّيق مـن الثيـاب والدروع[1]. والمشبرق: الممزق. وأنشد أبو زيد:

لهَـوْنا بسرْبالِ الشَّـبَابِ مُـلاوةَ[2]   فـأصبَحَ سِـرْبالُ الشَّـباب شبارِقًـا

* * *

ومن التشبه العجيب قولُ ذى الرُّمَّة فى صفة الظليم:

شَخْتُ الجِـرازة مِثْلُ البـيت سائرُهُ   مِن المسـوح خِدَبٌ شَـوقَبٌ خَـشِبُ

الشَّخْتُ: الضَّـئِيلُ اليابسُ الضَعـيفُ. الجُزارةُ القوائم. وقوله: «مـثْلِ البيتِ سائِرْه مِن الْمسوحِ». يعنى إذا مدَّ جَنَاحَيْه. وإنما أخذه من قول علقمة بن عَبَدَةَ:

صَـعْلٌ كـأنَّ جَنَاحَـيْه وجُـؤْجُـؤَهُ   بيتٌ أَطافتْ به خَـرْقـاءُ مَـهْـجُـومُ

الصَّعْلُ: الـصغيـرُ الرأسِ. الخَرْقـاءُ التى لا تُحسِن شـيئًا. فـهى تُفْسِـدُ ما عرَضتْ له. قال الحُطَيْئَة:

هُم صَنَعْــوا لِجَـارِهِمُ ولـيـستْ   يَدُ الخَــرقـــاءِ مِــثلَ يَدِ الـصَّنَاع

والمهجومُ: المـهدُوم، وفى الخبر أنه لما قُتِـل بِسْطامُ بن قَيْس لم يبْقَ بيتٌ فى بكر بن وَائـلٍ إلاَ هُجم، أى هُدِمَ، والْخـدَبُّ: الـضّـخمُ. والشّـوقَـبُ الطويلُ. والخِشْب: الذى ليس بَلينٌ على مَنْ نزل به.

* * *

ومن التشبيه الْمصِيب قوله فى صفة رَوْضَةٍ:

---

(١) قال صاحب اللسان: «الدروع السابرية منسوبة إلى سابور». واستشهد ببيت ذى الرمة.

(٢) الملاوة: الحين من الدهر.

قَـرْحَـاءُ حَوَّاءُ أَشْـرَاطِيَّـةٌ وَكَـفَتْ ... فيهـا الذِّهَابُ وَحَـفَّتْـهـا البرَاعِـيمُ

قَرْحَاءُ: يريدُ الأنْوَاءَ. وقوله: «حَوَّاءُ» يقول: تضرب إلى السَّوَاد لشدة ريها وخُضْرَتِها، وكـذلك قال المفسرون[1] في قـول الله جلَّ وعـزَّ: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[2]. تَضربان إلى الدهمة، لشدة خُضْرَتِهِمَا وريِّهما.

وقوله: «أشْـراطيَّةٌ» ليس مما قَصَـدْنَا له، ولكنه مِمَّا يَجْرِي فنفسّـره. ومعناه: أنَهَا مُطِرَتْ بنَوءِ الشَّرَطَيْنِ[3].

وحدثني الزِّيادِيُّ قال: سـمعتُ الأصمعيَّ ـ وسُئِل بحَضْـرَتي، أو سألتُه عن قوله: «أشراطيـةٌ» ـ فقال: باسْتِـه واسْتِ عِرْسِه! وذاكَ أَنَّ الأصمعـيَّ كان لا يُنْشِدُ ولا يُفَسِّـر ما كـان فيـه ذِكْرُ الأنْوَاء، لقَـولِ رسول الله ﷺ: «إذَا ذُكِرَت الـنجُومُ فأَمْسِكُوا». لأنَّ الْخَـبَرَ فِي هذا بعينه. «مُطِرْنَا بنَوْءِ كذا وكذا»، وكـان لا يُفَسِّرُ ولا يُنْشِدُ شعرًا فيـه هجاءٌ. وكان لا يفسِّرُ شعرًا يوافقُ تفسيـرُه شيئًا من القرآن، هكذا يقولُ أصحابه، وسُئِلَ عن قول الشَّماخِ:

طَوَى ظِمْأَها في بَيْضَةِ القيظِ[4] بعدَمَا ... جَـرَى في عِنَانِ الشِّعْـرَيَيْنِ الأَمَاعِـزِ[5]

فَأَبَى أن يفسرَ «في عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ».

قوله[6]: «الذِّهَابُ[7]» فهي الأمْطَـارُ اللَّيِّنةُ الدّائمـةُ، ويقالُ: إنها أنْجَعُ المطرِ في النَّبْت، وكذلك العِهادُ، وأَنْشَدَ الأصمعيُّ:

أمـيـرٌ عَمَّ بالنَّعْـمَـاء حـتى ... كَـأَنَّ الأرْضَ جَلَّلَهـا العِـهَـادُ[8]

والبَرَاعِيمُ؛ واحدها[9] بُرْعـومَة، وهي أَكمـةُ الرَّوْض قبلَ أَن تَـتَفَتَّقَ، يـقال

(١) ر: «وكذا المفسرون يقولون».
(٢) سورة الرحمن ٦٤ .
(٣) الشرطان: مثنى شرَط بالتحريك وهي من الحمل قرناه.
(٤) ر: «بيضة الصيف».
(٥) طوى ظمأها: فقطع بها مقدار ظمئهـا في السير. والظمء: ما بين الشربتين؛ يريد أنه سار بها فلم يوردها الماء، وبيضة القيظ: شدته. وقوله: «جرى في عنان الشعريين الأماعز» جعل للشعريين الصور والغميصاء ـ وهما كوكبان يطلعان في القيظ ـ عناناه طرفـاه محيطان برأس الأماعز، وهي الأمكنة الغليظة (من رغبة الآمل).
(٦) ر: «وأما قوله».
(٧) الذهاب: جمع ذهبة.
(٨) جمع عهدة.
(٩) ر: «واحدتها».

لواحدها: كُمٌّ[1]. وكمام، فمن قال: كِمَامٌ، فجمعه أَكِمَّةٌ، مثلُ صمام وأصمّة، وزمام وأزمّة، ومن قال: كِمٌّ، فالجماع أكمامٌ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكمام﴾[2].

* * *

ومن ذلك قولُ الآخرِ، أَحسبُه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر:

[قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ، وهو الصواب]:

كَأَنّ القلبَ لَيْلَةَ قيلَ يُغْدَى ... بليْلَى العامريَّة أو يُرَاحُ[3]

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تجاذبه وقد عَلقَ الجناحُ

[لها فَرْخَانِ قد غَلقا بوكْرٍ ... فَعُشُّهُما تُصَفِّقُه الرِّياحُ[4]

فلا بالليلِ نالتْ ما تُرَجّي ... ولا بالصبحِ كان لها بَراحُ][5]

وقد قال الشعراءُ قبله فلم يبلغوا هذا المقدارَ.

وقال الشَّيْبَانيُّ[6] للحَجَّاجِ:

هَلا بَرَزْتَ إلى غَزَالَةَ في الوَغَى ... بل كانَ قَلْبُكَ في جَنَاحَيْ طائر

فهذا يجوز أن يكونَ فى الخفقانِ وفى الذهابِ ألبتَةَ.

* * *

ومن التشبيه المحمود قول الشاعرِ:

طَليقُ الله لم يَمْنُنْ عليه ... أبو داوُدَ وابنُ أبي كثيرِ

ولا الحجّاجُ عَيْنَيْ بنتِ ماءٍ[7] ... تقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُقورِ

وهذا غاية في صفة الجبانِ.

---

(١) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور. (٢) سورة الرحمن ١١ .

(٣) ر: «تعالجه»، وفى نهاية الأبيات. و«يروى: «تجاذبه»، فهذا غاية الاضطراب».

(٤) غلقا: من الغلق. وهو الحبس.

(٥) البيتان الواقعان بين العلامتين من زيادات ر .

(٦) هو عمران بن حطان.

(٧) بنت الماء: ما يصاد من طير الماء إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذرا منه.

ونَصَبَ «عَيْنَى بنت ماء» على الذّمِّ، وتأويلُه: إنه إذا قـال: «جاءنى عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ» فليس يقوله[1] إلا وقد عَرفـهُ بالفسق والخبث[2]. فَنَصْبه «أعنى» وما أَشبَـهه من الأفعال، نحـو «أَذْكُر»، وهذا أبلغُ فى الذمِّ، أن يُقيمَ الصفـةَ مقامَ الاسم، وكذلك المدحُ. وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمقيمينَ الصَّلاَةَ﴾ بعد قوله: ﴿لكنِ الرَّاسخـونَ فى العلْم منْهُمْ﴾[3]. إنما هو عـلى هذاَ. ومَنْ زعـم أنه أَرادَ: «ومنَ المقيمينَ الصَّلاَة» فمخـطئٌ فى قول البصريين، لأنهم لا يَعْطفون الظاهر على المضمـرِ المخْفُوض، ومَن أجـازه من غيرهم فـعلى قبحٍ، كالضـرورَة. والقرآنُ إنما يحمل على أشـرف المذاهب. وقرأَ حـمزَة: ﴿الَّذى تَساءلُـونَ به والأَرْحَامِ﴾[4]. وهذا مما لا يجوزُ عندنا إلا أَن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ، كَما قال:

فـاليومَ قَـرَّبْتَ تَهْجُـونا وتشْتـمُنَا فاذْهَب فـما بِك والأَيَّام مِـن عَجَبِ

وقرأ عيـسى بن عُمر: ﴿وامْرَأَتُهُ حَـمَّالةَ الْحطَب﴾[5]. أرادَ: وامـرأَتُهُ في جِيدهَا حَبْلٌ منْ مَـسَد، فنصبَ «حَمَّالَةَ» على الذَّم. ومَن قالَ إنَّ «امـرأَتُهُ» مرتفعةٌ بقوله: ﴿سَيَصْلَى ناراً ذَاتَ لَهَب﴾ : فهو يجـوزُ. وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المظْهَرُ المرفوعُ عـلى المضمـرِ حتى تؤكِّـدَ، نحو: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَربُّكَ فَـقَـاتلاَ﴾[6]. و: ﴿اسكُـنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجـنَّةَ﴾[7]. فأمَّـا قولُه: ﴿لَوْ شَـاءَ الله مَـا أَشْـرَكْنا وَلا آبَاؤُنَا﴾[8]. فإنه لـمَّـا طَالَ الكلامُ وزيدتْ[9] فيـه «لا» احتَمـلَ الحذَفَ وهذا على قبحه جائزٌ فى الكلام[10]. أعنى: ذهبتُ وزيدٌ، وأَذْهَبُ وعمرو، قال جَرير:

وَرَجَـا الأُخَيْطِلُ مِـن سَفَـاهَةِ رَأْيِهِ مَـــــا لـم يكُـنْ وأبٌ له لِـيَنَـالا

وقال ابنُ أَبى ربيعة :

قلت إذْ أقْـبلَـتْ وَزُهْرٌ تَهَـادَى كَنِعَـاجِ المَلا تَعَـسَّـفْنَ رَمْـلا[11]

---

(١) ر: «يقول» .
(٢) ر: «بالخبث والفسق».
(٣) سورة النساء ١٦٢ .
(٤) سورة النساء ١ .
(٥) سورة المسد ٤ .
(٦) سورة المائدة ٢١ .
(٧) سورة البقرة ٣٥ .
(٨) سورة الأنعام ١٤٨ .
(٩) ر: «وزادت»، وما أثبته عن الأصل، س .
(١٠) لفظ «فى الكلام» ساقط من ر .
(١١) الملا: الفلاة .

ومما يُنصبُ على الذمِّ قولُ النابغةِ الذُّبْيانِّي[1]:

لَعَمْرى وما عَمْرى علىَّ بهَيِّن لقد نَطَقَتْ بُطَلا علىَّ الأقارعُ[1]
أقَارِعُ عَوْفٍ لا أُحَاوِلُ غيرها وُجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغى مَنْ تُجادِعُ[2]

وقال عُرْوَةَ بن الوَرْدِ العَبْسيُّ:

سقَوْنى الخمرَ ثم تكَنَّفُونى عُداةَ اللهِ من كَذِبٍ وزورِ

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمٍ الطائيِّ رفعًا ونصبًا:

إن كنْتِ كارهةً مَعيشَتنا هَاتَا فَحُلِّى فى بَنى بَدْرِ
الضاربين، لَدَى أعِنَّتهم والطاعِنينَ وخَيْلُهُمْ تَجْرِى

وإنما خَفَضُوهما على النعت، وربّما رفَعوهما على القطعِ والابتداء.

وكذلك قولُ الْخِرْنِقِ بنتِ هَفَّانَ الْقَيْسية، من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَب:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِى الذين هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبينَ معاقدَ الأزْرِ

وكل ما كان مِن هذا فعَلى هذا الوجه[4].

وإن لم يُرِدْ مَدْحًا ولا ذَمًّا قد استَقَرَّ له فَوَجْهُهُ النعتُ. وقرأ بعضُ القرَّاءِ: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[5].

وأكثرُ ما تُنشِدُ العربُ بيتَ ذى الرُّمَّة نصبًا، لأنَّه لمَّا ذكر ما يَحِنُّ إليه ويصبُو إلى قُرْبه أشادَ بذكْر ما قد كان يَبْغِى، فقال:

دِيارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنَا ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولاَ عَربُ

وفى هذه القصيدة من التشبيهِ المُصِيبِ قولُه:

---

(١) ساقط من ر .
(٢) البطل : ضد الحق. والأقارع: هم بنو قريع بن عوف بن كعب.
(٣) تجادع: تشاتم، وفى ر: «تخادع».
(٤) كذا فى الأصل. س ، وفى ر: «فعلى هذا أكثر إنشاده».
(٥) سورة المؤمنون ١٤ .

بُيْضَاءُ فى دَعَجٍ، صَفْرَاءُ فى نَعَج   كأنها فِضَّة قد مَسَّها ذَهَبُ(١)

وفيها من التشبيه المصيب قولُه(٢) :

تَشْكُو الخِشَاش ومَجْرَى النَّسْعَتَيْن كما   أَنَّ المريضُ إلى عُوَّادِهِ الوصِبُ(٣)

والْخشاشُ(٤): ما كان فى عَظْمِ الأَنْف، وما كانَ فى المَارِنِ فهو بُرَةٌ، يقالُ: أَبْرَيْت الناقَةَ ، فهى مُبْرَاةٌ، قال الشَّماخُ ـ وهذا من التشبيه العجيبِ:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَاَة تخَالُ ضُلُوعَها   من الماسِخياتِ القِسىَّ المؤطّرا(٥)

ومَاسِخة، من نصرِ(٦) بن الأزْدِ، وإليهم تنسب(٧) القِسِىُّ الماسِخِيَّة.

وأحسنُ ما قيل فى صفة الضلوع واشتباكها قولُ الراعى:

وكأنما انتَطَحَتْ على أَثْبَاجِها   فُدرٌ بِشَابَةَ قد يَمَمْنَ وُعُولا(٨)

الفَادِرُ: المسنُّ من الوُعولِ.

وذو الرُّمَّة أخذ ذلك من المُثَقَّبِ العبدىِّ، قال المثقّب(٩):

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ   تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ

* * *

ومن التشبيه المستحسنِ قولُ عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ:

كأنَّ إبريقَهم ظَبْىٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بسبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ(١٠)

فهذا حسن جدا.

* * *

(١) الدعج: سواد العين. والنعج: البياض الخالص. ورواية الديوان ٥ : «كحلاء فى برج»؛ والبرج: سعة فى بياض العين.   (٢) ساقطة من ر .

(٣) النسعة والنسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره، وأن من الأنين.

(٤) ر : «الخشاش» بحذف الواو .

(٥) أصل الإطر: عطف الشىء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه. وفى ر : «الموترا»، والموتر: المشدود.

(٦) ر: «نصر من الأزد».   (٧) ر: «نسبت».

(٨) الأثباج: جمع ثبج، وهو معظم الظهر. وفيه محانى الضلوع. وشابة: جبل بعينه. يَمَمْنَ: قصدن، وخفف فى البيت للشعر.   (٩) ر: «أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى».

(١٠) الشرف: ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله. مفدم: مغطى بالفدام، وهو من وصف الإبريق. وسبا الكتان، يريد سبائب الكتان؛ والسبائب: جمع سبيبة؛ وهى شقة بيضاء. ملثوم؛ من اللثام؛ وهو ما يوضع على الفم؛ واستعاره للإبريق.

وقال أبو الهنْدِى، وهو عبدُ المؤمنِ بن عبد القُدُّوسِ بن شَبَثٍ بن ربْعِىٍّ الرِّيَاحِىُّ، مِن بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوعٍ. وكان شَبَثٌ سَيِّدَ بنى يربُوعٍ بالكوفةِ:

مُفدَّمةٌ قَزًّا كأنّ رِقابَها ... رِقابُ بَنَاتِ الماء أَفزعَها الرَّعْدُ

[من أخبار أبى الهندى]

وكان أبو الهندىِّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ، على كرم مَنْصِبِه، وشرف أسْرَتِهِ، حتى كاد يُبْطِلهُ.

وكان عَجيبَ الجوابِ، فجلس إليه رجلٌ مَرَّةً يُعْرَفُ ببرزينِ المناقير، وكان أبوه صُلِبَ فى خرابة، والخِرَابة عندهم: سَرقُ الإبل خاصَّة. فأقبلَ يُعَرِّضُ لأبى الهنْدىِّ بالشراب، فلما أكْثَرَ عليه قال أبو الهندى: أحدهم يَرَى القَذَاةَ فى عين أخيه ولا يَرَى الجِذْعَ فى إست أبيه.

وفى الخِرَابَة يقول الراجزُ:

والخاربُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخاربا ... وتلك قربى مثلَ أَنْ تُناسَبا

أن تُشْبِهَ الضرائِبُ الضَّرائِبَا(١)

وقال الآخر:

إيتِ الطريقَ واجْتَنبْ أَرْمَامَا ... إنَّ بها أكْتلَ أَو رِزامَا(٢)

خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الهَامَا(٣)

[زاد أبو الحسن: * لم يَتْرُكا لِمُسْلِم طَعَامَا *]

نَصَبَ «خُوَيْرِبَيْن» على «أعْنِى» لا يكون غيرُ ذلك، لأنه إنما أَثْبَتَ أحدَهما بقوله: «أو».

(١) الضرائب: جمع ضريبة، وهى السجية والطبيعة.

(٢) أرمام جبل بعينه، وأكتل ورزام: لصان من لصوص البادية.

(٣) نقف الهامة: شجها حتى يخرج الدماغ.

ومَرَّ نصرُ بن سَيَّار الليثيُّ بأبى الهندى وهو يَميلُ سُكْرًا، فقال له: أَفْسَدْتَ شرفَك! فقال أبو الهندىِّ: لو لم أفْسِد شرفى لم تكنْ أنتَ والىَ خراسانَ.

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّار مرة، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ: إنك بفناء بيت الله ومَحلِّ حرمه[1] فَدَعْ لى الشرابَ حتى يَنْفِرَ الناسُ، واحْتَكِمْ علىَّ، فَفَعَلَ. فلما كان يومُ النّفرِ أخذ الشرابَ فوضَعَه بين يديه. وأقبل يشرب ويبكى، ويقول:

رَضيع مدامٍ فارَقَ الرَّاحَ رُوحُه ... فَظل عليها مُسْتَهِلَّ المَدَامِعِ
أَديرَا علىَّ الكأْسَ إنى فقَدْتُها ... كما فَقَدَ المفْطُومُ دَرَّ المَرَاضعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَليد الكنانىِّ، وكان أبو الوليد ناسكًا فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنه، فَهَربا منه. وقال أبو الهندى:

قلْ للسَّرىِّ أَبى قيس: أَتُوعدُنا ... ودارنا أصبحتْ من داركم صَدَدَا[1]
أبا الوَليد أَمَا والله لَو عَمَلَتْ ... فيكَ الشمولُ لما حَرَّمْتَها أبدا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاها ولذَّتَها ... ولا عَدَلْتَ بها مالا ولا وَلَدَا

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه، وربما عَرَضَ الشىء والمقصودُ غيره، فيذكر للفائدةِ تقع فيه، ثم يُعادُ إلى أصلِ الباب.

قال أبو العباس: وقال عُرْوَةُ بن حزامٍ العُذْرىُّ:

كأنَّ قطاةً عُلِّقَتْ بجناحِها ... على كَبِدِى من شِدَّةِ الخفَقَانِ

ويقال: إن المرأةَ إذا كانت مُبْغضَةً لزوجها، فآية ذلك أن تكون عند قرْبه منها مُرْتَدَّةَ النَّظر عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراء[2]، وإذا كانت محبَّة له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه، وإذا نَهَضَ نظرت من وَرائه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها، فقال رجلٌ: أردتُ أن أعلمَ كيف حالى عند امرأتى، فالتفتُّ وقد نهَضْت من بين يديها فإذا هى تُكَلِّح[3] فى قفاىَ.

(١) ر: «ومحمل «وفوده».
(٢) داركم صددا؛ منصوب على الظرفية؛ أى قريبة.
(٣) ر: «من ورائه»؛ وما أثبته عن الأصل.
(٤) التكليح: التكشير فى عبوس.

وقال الفَرَزْدَقُ فى هذا المعنى، والنَّوَارُ تخاصمهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْر بن العوام:

فَدُونَكَها يابنَ الزُّبَيْرِ فإنّها ... مُولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قيلُهَا
إذا جَلَسَت عند الإمامِ كأنما[1] ... تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِها تَسْتَحِيلها

قوله: «مُولَّعَة». يقول: كأنها[2] مُولَّعَةٌ بالنظر مرة هاهنا ومرّة هاهنا. وقوله: «تَرَى رُفقةً يقال: رِفْقَةٌ ورُفْقَةٌ. ومعنى «تَسْتَحِيلُها» تَتَبَيَّنُ حالاتها، قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

إذا خرجت تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ[3] ... من الخوفِ تَسْمَعُ ما لا تَرَى[4]

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ جرير مما يُكْنَى عن ذكره:

تَرَى الصِّبْيَانَ عاكِفَةً عليها ... كعَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شَابا[5]

ويقالُ: إن الفرزدقَ حين أنْشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عنْفَقته توَقُّعا لعَجُزِ البيتِ.

ومن التشبيه الحَسَنِ قولُ جرير فى صفة[6] الخيل:

يَشْتَفْنَ للنَّظَرِ البَعِيد كأنما ... إرْنانُهَا بِبَوائِنِ الأشْطَانِ

قوله: «يَشْتَفْنَ» و «يَتَشَوَّفنَ» فى معنى واحد. وقوله: «كأنما إرْنَانُها بِبَوائن الأشْطَان»، أَراد شدة صَهِيلها. يقول: كأنما يَصهلْنَ فى آبارٍ واسعةٍ تَبينُ أشطانُهَا عنَ نواحيها.

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجَعْدِيِّ:

وَيصْهَلُ فى مثلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ ... صَهِيلا يُبَيِّن للمعْرِب

---

(١) ر: «كأنها»؛ وما أثبته عن الأصل؛ س.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) كذا فى الأصل س؛ وفى ر: «مروعة تستحيل الشخوص» وهى رواية الديوان ٤٧ .
(٤) وفى زيادات طبعة المرصفى: قوله: «مروعة» يقول: كل شىء يدنينى من الظفر بها يروعها وينفرها.
(٥) العنفقة: ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر.
(٦) قال المرصفى: «هذا خطأ؛ صوابه قول الفرزدق يهجو جريرا ويمدح بنى تغلب، وهو فى ديوانه ٨٨٢ .

المُعْرِب: العالمُ بالخيلِ العِرَاب.

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْتَرة:

غـــادَرْن نَضْلَةَ فـى مَـعْــرَكٍ يَجُـرُّ الأسِنَّـةَ كـالمُـحْـتَطِبْ[1]

يقول: طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه، فَظَلَّ يَجُرُّها، كأنه حاملُ حطبٍ.

* * *

ومن التبشبيه المتجاوز المُفْرِط قولُ الخَنْسَاء:

وإنَّ صَـخْـرًا لتَـأْتَمُّ الهُـدَاةُ به كـأنه عَلَـمٌ فى رأسـه نارُ

فَجَعَلت المهتَدِى يأتَمُّ به، وجعلته كنار فى رأسِ عَلَمٍ، والعَلَم: الجبلُ، قال جريرٌ:

* إذا قَطَعْن عَلَمًا بَدا عَلَمْ *

وقال الله جلَّ ثناؤه: **﴿وله الجَوَار المنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلام﴾**[2].

ومن هذا الضرب من التشبيه قولُ العَجَّاج:

* تَقَضِّىَ البازِى إذا البَازِى كَسَرْ *

والتَّقَضِّى: الانقضاض. وإنما أراد سرعتَها، والعربُ تُبْدلُ كَثيرًا الياءَ من أحد التَّضْعيفَيْن، فيقولون: تَظَنَّيتُ والأصلُ: «تظَنَّنْتُ»، لأنه «تَفَعَّلْتُ» من الظَّنِّ، وكذلكَ: تَقَضَّيْتُ؛ من الانقضاض، أى تقَضَّضْتُ، وكذلك تسَرَّيْتُ، ومثل هذا كثيرٌ.

[من تشبيهات المحدثين]

ومن تشبيه المحدثين المسْتَطْرَف قولُ بَشَّار:

كـأنَّ فُـؤادَهُ كُـرَةٌ تَـنَزَّى حِـذارَ البَـيْنِ إنْ نَـفَعَ الْحِـذارُ

(١) الضمير فى «غادرن» يعود إلى الخيل ولم يجر لها ذكر. ونضلة بن الأشتر قتله ورد بن حابس العبسى؛ قال المرصفى.

(٢) سورة الرحمن ٢٤ .

[يُرَوِّعُـــهُ السِّـــرَارُ بكـلِّ أمْـــر مـحَافَـةَ أن يكونَ به السِّـرَارُ](١)

وفي هذه القصيدة:

جَفَتْ عـينى عن التَّغْمـيض حتى كـأنَّ جُـفُـونَهـا عنهـا قِـصَـارُ
أقـــولُ وليْلَـتى تَـزدَادُ طولا ! أمــا لِلَّـيلِ بعـــدَهُـمُ نَهَـــارُ

* * *

وقال الحسن بن هانئ في صفة الخمر:

فـإذا مـا لَمَسْـتَهـا فَـهَـبـاءٌ تَمْنعُ اللَّمْـسَ مـا يُبيحُ الْعُـيـونَا
درسَ الدَّهْرُ مـا تَحَـسَّـمَ منهـا وتَبَـــقَّـى لُبَـــابُـهَـــا المكنـونا
فــهيَ بِكْـرٌ كـأنـهـا كلُّ شيء يتَــمَـنَّى مُــخَــيَّــرٌ أَن يـكونَا
في كُـــؤوسِن كــأنهـنَّ نجــومٌ جــاريـاتٌ بُرُوجُـــهـا أيديـنَا
طالعـــات مع السُّـــقـــاة علـينا فـإذا مـا غَـرَبْـنَ يَغْـرُبْنَ فِـينَا

فهذه قطعة من التشبيهِ غايةٌ، على سُخَفِ كلامِ المُحْدَثِينَ.

* * *

وقال الحنفيُّ: وهو إسحاق بن خَلَف ـ في صفةِ السيف:

أَلقـى بجـــانـب خَـصْـــرِهِ أَمْـضَـى منَ الأجَلِ المتـــاحِ(٢)
وكـــأنما ذَرَّ الـهَـــبـــا ءَ علـيـــه أنـفـــاسُ الـرِّياح

* * *

وقال مُسْلم بن الوليد الأنصاريُّ في مدحِهِ يَزيد بن مزْيَد:

يمْضى المَنايَـا كـمـا تمضى أسنَّتُـه كأن في سَرْجِهِ بَـدرًا وضِرْغامًا(٣)

* * *

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر: والسرار: آخر ليلة من الشهر. وهى التى يستتر فيها القمر ويختفى.
(٢) ر: «فكأنما» وما أثبته عن الأصل.
(٣) ر: «تمضى»، وما أثبته عن الأصل.

وقال دِعْبِلُ بن عليٍّ فى صفة المصلوب[1]:

لم أرَ صَـفًّـا مـثـلَ صَفِّ الزُّطِّ ... تِسْعِين منهـمْ صُلِبـوا فى خَطِّ[2]
من كلِّ عـالٍ جِـذْعُـه بـالشطِّ ... كـأنه فى جِـذْعِـه المشـتطِّ[3]
أخـو نُعـاس جَـدَّ فى التَّـمَطِّى ... قـد خـامَـرَ النَّوْمَ ولـم يَغِطِّ[4]

* * *

وقال يَزيدُ المُهَلَّبىُّ فى مثله[5]:

قـامَ ولـمَّـا يَسْـتَعِنْ بسـاقِـهِ ... آلفَ مَـثْـواهُ على فِـرَاقِـه

* كأنما يضحك فى أشداقه *

أراد بياضَ الشريط فى فيه.

* * *

وقال أعرابىٌّ فى صفةِ مصلوبٍ، وهو الأخْطَل:

[قـال أبو الحسن: الأخطلُ الذى يعنى رجلٌ مُـحْـدَثٌ من أهل البـصـرة، ويعرفُ بالأخَـيْطلِ، ويُلَقبُ بِبَرْقوقَـا، وذكر أبو الحسن أن أبا العبـاس كان يُدَلِّسُ به].

كـأنَّه عـاشقٌ قد مَـدّ صـفْـحَتَـه ... يومَ الفـراقِ إلى تـوديع مُـرْتَحِلِ
أو قـائمٌ من نُعـاس فـيـه لُوثُتـه ... مُـوَاصِلٌ لِتَـمَطِّـيـه من الكَسَلِ[6]

[وقال مسلمُ بن الوَليدِ:

وضـعتـه حـيث ترتاب الرياح به ... وتحسـد الطير فيـه أضبع البلد][7]

وقـال حَـبـيبُ بن أوْس [قـال أبو الحـسن: يعنـى به إسـحـاق بن إبراهيمَ الطاهَرِىَّ]:

---

(١) ر: «مصلوب». (٢) الزط: جيل أسود من السند أو الهند.
(٣) كذا فى الأصل، ويريد بالمشتط الطويل، وفى ر: «المشتط».
(٤) الغطيط: صوت نفس النائم.
(٥) فى زيادات ر: «وقال آخر فى صفة مصلوب، وهو يزيد المهلبى»، وما أثبته من الأصل.
(٦) اللوثة: الاسترخاء والبطء. (٧) ما بين العلامتين من زيادات.

قَـد قَلَّصَتْ شَفَـتاهُ من حَـفيظته فَخيلَ من شدَّة التقليص مُبْتَسما(١)

وقال أيضًا فى رجل يَنْسُبُه إلى الدَّعْوَة(٢):

وتَنَقُّلٌ من مَـعْـشَـرٍ فى مَـعْـشَـرٍ فـكـأنَّ أمَّـكَ أَوْ أبـاكَ الـزِّئـبـقُ

يقال: زئْبَقٌ، وزئبرٌ، مهموزان، ودرهمٌ مُزأْبَقٌ، وثوبٌ مُزَأْبَرٌ(٣).

* * *

ومن إفراطِ التشبيه قولُ أبى خِراشٍ الهُذَلىِّ يصفُ سرعةَ إبله فى العَدْو:

كـأنَّهُم يَسْـعَـوْنَ فى إثْـر طائر خَفيف المَشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ
يُبـادِرُ جُنْـحَ الليلِ فـهـو مـهـابِذٌ يحُثُّ الجنـاحَ بالتـبـسُّطِ والـقَـبْضِ

وقـال أوْسُ بن حَـجَر [قـال أبو الحـسن: أهلُ الكوفـةِ يَرَوْنهـا لعَبـيـدِ بن الأَبْرصِ]:

كأنَّ ريقَـتَهَا بعـدَ الكرَى اغْتـبقَتْ من مـاء أدْكَنَ فى الحانوت نضَّـاحِ
أو من مُـعـتَّـقَـةٍ وَرْهَاءَ نَشْـوَتُهـا أو من أنابيـبِ رُمَّـان وتفَّـاحِ(٤)

وقال ابنُ عَبْدَلٍ يهْجو رجلا بالْبَخر:

نكَـهْتَ علىَّ نَـكْهَــةَ أَخْــدَرىٍّ شَتِـيم شـابك الأنيَـابِ وَرْدِ(٥)

وفى هذا الشِّعْر:

فـمـا يَدْنُو إلـى فـيـه ذُبابٌ ولو طُلـيت مَـشـافِـرهُ بـقنْد(٦)
يَرَيْنَ حَـلاوةً ويَـخَـفْن مَـوتًا وَشِـيكًا إنْ هَمَـمْن لـه بِوردِ

---

(١) التقليص: التقبض. وفى ر: «من شدة التعبس».

(٢) فى زيادات ر: «وهو إسحاق بن إبراهيم الطاهرى» ودفعها المرصفى، وقال: هو عتبة بن أبى عاصم؛ وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه حتى انصرف أبو تمام؛ فأخذ يتشدق بهجائه، فبلغ أبا تمام؛ فقال كلمة منها هذا البيت.

(٣) الزئبر: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز.

(٤) الاغتباق: شرب العشى. والأدكن: ما تعلوه الدكنة؛ وهى لون بين الحمرة والسواد أراد به الزق. والورهاء: الريح التى فى هبوبها خرق وعجرفة. والنشوة: الرائحة الطيبة.

(٥) النكهة: ريح الفم. والأخدرى من وصف الحمار الوحشى.

(٦) القند: عسل قصب السكر.

الذُّبابُ: الواحد من الذِّبَّان، وأدنى العَدَدَ فيه أذِبَّةٌ، والكثيرفى الذِّبَّان، ولكنه ذكر واحدًا ثم خَبَّرَ عن سائر الجنس، والأسدُ أنتنُ السِّباعِ فمًا، كما أن الصَّقْرَ أَنْتَنُ الطير فمًا.

قال بعضُ المحدَثين فى رجل يهجوه، والمَهْجُوّ داود بن بكر، وكان وَلِىَ الأهْوازَ وفارسَ، والشعرُ لأبى الشَّمَقْمَق:

ولـه لحيـــــةُ تَيْس ... ولـه منْقـــارُ نَسْـــر
ولـه نَكْهَـــةُ لَيْث ... خـالطَتْ نكْهَـةَ صَقْـرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة:

من يكن إبْطَه كـآباطِ ذا الخَلْقِ فـإبطَـاىَ فى عِـدَادِ الفِـقَـاحِ[1]

لِىَ إبْطـانِ يَرْمِيانِ جَليسى ... بشبيـه السُّلاحِ[2] أو بالسُّلاح
فـكأنِّى من نَتْنِ هـذا وهـذا ... جـالسٌ بين مُصْعبٍ وصُبـاح

يعنى مصْعَبَ بن عبد الله الزُّبيْرىَّ، وصباحَ بن خَاقَانَ المنْقَرىّ. وكانا جليسين لا يكادان يفترقان، وصديقَين مُتَوَاصلَين، لا يكادان يتصارَمَانَ. فَحُدِّثْتُ أنّ أحمدَ بن هشَامٍ لقيهما يومًا، فقال: أمَا سمعتما ما قال فيكما هذا؟ يعنى إسحاق بن المَوْصلىّ، فقالا: ما قال فينا إلا خيرًا، قال: قال:

لامَ فيـها مُصْعَبٌ وصُبَاحٌ ... فعصَينا مُصعبًا وصُباحا
وأبينَا غيرَ سَعْىِ إليـها ... فاسْتَرَحنَا منهما واستراحا

قالا: ما قال إلا خيرًا، ولكنَّ[3] المكروهَ ما قال فيك، إذْ يقول:

وصافيـةً تُعْشى العُيونَ رَقيقة ... رَهينة عامٍ فى الدِّنَان وعامِ
أدرنَا بها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنًا ... من الليل حتى انجابَ كلُّ ظلام[4]
فما ذَرَّ قرن الشمس حتى كأنّنا ... من العِىِّ نحكِى أَحْمَدَ بنَ هِشَام

* * *

(١) الفِقاح: جمع فقحة. وهى حلقة الدبر.
(٢) السُّلاح: العذرة.
(٣) ساقطة من ر.
(٤) الموهن: نحو نصف الليل.

واعلمْ أن للتشبيه حَدّاً؛ لأن الأشياء[١] تَشَابَه من وجوه، وتباينُ من وجوه؛ فإنما يُنْظَرُ إلى التشبيه من أين وقع[٢]، فإذا شُبِّه الوجْه بالشمسِ والقمر[٣] فإنما يُرادُ به[٣] الضِّيـاءُ والرَّوْنقُ، ولا يُرادُ به[٣] العظَمُ والإحْـراقُ. قـال اللهُ جل وعـز: ﴿كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مكْنُونٌ﴾[٤]، والعربُ تُشَبّـهُ النساءَ ببيْضِ النَّعَام، تـريدُ نقَاءَه ورقّة لونه[٥]، قال الراعى:

كـأنَّ بَيْضَ نعَـامٍ فى مَـلاحِفِـهـا ... إذا اجْـتبلاهُنَّ قَـيْظٌ لَيلُهُ وَمِـدُ[٦]

وَقيلَ للأوْسيَّة ـ وهى امْرَأَةٌ حكيمةٌ فى[٧] العرب ـ بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله: أىُّ مَنْظَرَ أحسن؟ فقالت: قُصُورٌ بِيضٌ، فى حدَائق خُضْر، فأنشدَ عمرُ ابن الخطاب لِعدى بن زيدٍ:

كَـدُمَى العـاجِ فى المَحـاريب أَو ... كالبَيْضِ فى الرَّوْض زَهْرُهُ مُـسْتَنِيرُ

وقال آخرٌ:

كالبَيْضِ فى الأدْحى يَلمَعُ بالضُّحى[٨] ... فـالحُـسْنُ حُـسْنٌ والـنَّعِـيمُ نعــيم

وقال جريرٌ:

ما استَوْصَفَ الناسُ من شَىْءٍ يَروقُهُم[٩] ... إلا رَأَوْا أمَّ نُوحٍ فـوقَ مـا وصَـفُـوا

كـأنهـا مَـزْنَةٌ غَـرَّاءُ رائحـةٌ ... أو دُرَّةٌ ما يُوَارِى ضوءها الصدف[١٠]

المُزْنة: السحابة البيـضاءُ خاصة، وجمعُهـا مُزْنٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿أأَنْتُم أنْزَلْتمـوهُ مِنَ المُزْنِ﴾[١١]، فالمرأةُ تُشَـبَّهُ بالسـحابة لِتَـهاديها وسُـهولة مـرِّها، قال الأعْشَى:

---

(١) ر: «فالأشياء»، وما أثبته عن الأصل.
(٢) ر: «من حيث وقع».
(٣) ساقطة من ر.
(٤) سورة الصافات ٤٩ .
(٥) ر: «ونعمة لونه».
(٦) الملاحف: الأغطية، والومد: ندى يجىء فى صميم الحر؛ من قبل البحر مع سكون الريح.
(٧) كذا فى الأصل، وفى ر، س: «من العرب».
(٨) الأدحى: مبيض النعام تدحوه برجلها، ثم تبيض فيه.
(٩) ر: «عن شىء بروقهم»، وما أثبته عن الأصل، س.
(١٠) ر: «لا يوارى لونها» .
(١١) سورة الواقعة ٦٩ .

كـأنَّ مِشْـيَتَـهـا من بيتِ جارتهـا مَـرُّ السَّحـابةِ لا رَيثٌ ولا عـجلُ

الرَّيْثُ: الإبطاءُ، فهذا ما تَلْحَـقُه العَيْنُ منها، فأما الْخِفَّةُ فـهي كأسرعِ مارٍّ، وإنْ خفى ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿**وتَرى الجبالَ تحْسَبُها جامدةً وهى تُمُرُّ مَرَّ السَّحَاب**﴾(١).

* * *

والعرب تُشَبِّـهُ المرأةَ بالشمس، والقمر، والغـصن، والكثيب(٢). والغَزال، والبقرةِ الوحشيَّةِ، والسحابةِ البـيضاء، والدُّرَّةِ، والبَيْضَةِ، وإنما تَقْصد من كل شيءٍ إلى شيءٍ.

قال ذو الرُّمَّة:

ومَـيَّـةُ أَحْسَنُ الثَّـقَلَيْن جـيـدا(٣) وسـالفَـة وأحْـسَنُهُم قَـذالا(٤)
فلم أرَ مـثْلَهَـا نَظَرا وعـيْنًا ولا أمَّ الغَـزال ولا الـغـزالاَ
تريكَ بيـاضَ غُـرَّتِهـا ووَجْـهًـا كَـقَـرْنِ الشَّـمْسِ أَفْـتَقَ ثم زالاَ
أصـابَ خَـصاصَـةً فـبَـدَا كلِيـلا كـلاَ وانْغَلَّ سـائرُه انْغـلالاَ(٦)

الجِيدُ: العُنُقُ، والسالفة: ناحيةُ العُنُق، والقَذالاَن: ناحيتَا القفَا من الرأس.

وقوله: «أفتقَ ثم زَالا»، يقال: أَفتقَ السـحابُ، إذا انكشفَ انكشافةً فكانت منه(٧) فُرْجَةٌ يسيـرةٌ بين السحابتين. تقول العرب: دامَ علينا الغَـيْمُ ثم أَفتقْنا، وإذا نُظر إلى الشمس والقمر من فتْقِ السحاب فهو أحسنُ ما يكونُ وأشدُّه استنارةً.

وقوله: «كلاَ» يريدُ فى سرعةِ ما بدا ثم غاب.

---

(١) سورة النمل ٨٨ .

(٢) كلمة «الكثيب»، ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

(٣) الديوان: «خدا».

(٤) الديوان: «وأحسنه».

(٥) الديوان: «تريك بياض لبتها».

(٦) أصاب قرن الشمس خصاصة، أى تقف السحاب فبدا منها كليلا، أى ضعيفا؛ ليس مبين الضوء، وانغل: دخل، والانغلال: الدخول، يقول: دخل فى الحساب. (من شرح الديوان).

(٧) ر. «صفه» وما أثبته عن الأصل، س.

وقال الله عز وجل: ﴿كأنَّهُنَّ اليَاقوتُ والمَرْجَانُ﴾(١). وقال تبارك وتعالى: ﴿كأمْثَالِ اللُّؤلؤ المَكْنُون﴾(٢).

والمكنونُ: المَصُونُ، يقال: كَنَنْتُ الشيءَ، إذا صُنْتَه. وأكْنَنْتُه، إذا أخفيته، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فى أنفسكمْ﴾(٣). وقد يقالُ: كَنَنْتُهُ، أخفيتُه.

وقد قال جريرٌ فى يَزيدَ بن عبدِ الملك، وأمُّه عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية بن أبى سُفْيان:

الحَـزْمُ والجـودُ والإيمانُ قـد نزَلوا ... على يَزيدَ أمين الله فـاخْتَلَفْـوا(٤)
ضَـخْمُ الدَّسيـعَةِ والإيمان، غُـرَّتُه ... كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الـشهرُ يَنتَصِفُ(٥)

وقال ذو الرُّمَّة:

فـياظَبْـيَةَ الوعْـسَاء بَيْنَ جُـلاجلٍ ... وبَيْنَ النَّـقـا آأَنْت أَمْ أمُّ سَـالم(٦)

وقال ابنُ أبى ربيعةَ:

أَبْصَـرْتُـهـا ليلة ونـسْـوتُهـا ... يَمْـشينَ بين المـقَـام والحَـجَـر
يَرْفُلْنَ فـى الرَّيْطِ والمُرُوط كـمـا ... تَمشِى الهُـوَيْنَى سـوَاكِنُ البَـقَـر(٧)

فهذه تشبيهاتٌ غَريبات مفهومةٌ.

وقال أبو عبد الرحمن العطوى(٨):

قـد رأينا الـغـزال والغُـصْنَ والنَّجْـمَـيْنِ شـمْسَ الضُّـحى وبدْرَ الظلاَم

فـوَحَقِّ البَـيَـانِ يَعْـضُـدُه البُـرْ ... هان فى مَـاقِطٍ أَلَدَّ الْـخِـصَـام

(١) سورة الرحمن ٥٨. (٢) سورة الواقعة ٢٣.

(٣) سورة البقرة ٢٣٥.

(٤) احتلفوا، بالحاء المهملة، من الحلف، أى تحالفوا، وفى س: «اختلفوا» تصحيف.

(٥) الدسيعة: العطية. سميت دسيعة لدفع المعطى إياها مرة واحدة كما يدفع البعير جربه دفعة واحدة.

(٦) الوعساء: الأرض اللينة، وجلاجل: جبل بعينه.

(٧) الريط: جمع ريطة؛ وهى الملاءة غير ذات لعفين كلها نسيج واحد. والمروط: جمع مرط، وهو كساء من صوف أو كتان.

(٨) س: وقال أحد الشعراء المكلمين المحدثين.

مـا رأَيْنَا سِوَى الحـبيـبة شـيْئًـا[١] جَـمع الحُـسْـنَ كلّه فى نـظام
فهى تجْرِى مَجْرَى الأصَالة فى الرَّأْ ى ومجْـرَى الأرْواحِ فى الأجـسام

البـرهان: الحـجـةُ، قـال الله عـز وجل: ﴿قُلْ هَـاتُوا بُـرْهَانكـم إنْ كنـتم صَادقين﴾[٢]. أى حجَجكم. والمَاقِطُ: موضعُ الحرب، فضربه مَثَلا لموضعِ المناظرة والمحَاجَّـة. والألد: الشديدُ الخصـومة، قال الله تبـارك وتعالى: ﴿وتُنْذر به قـوْمًا لُدًّا﴾[٣]. وقال: ﴿وَهوَ أَلَدُّ الخصَام﴾[٤].

* * *

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة[٥]:

كـأنَّ فَـتَى الفـتْـيَـان تـوبةَ لم يُنِخْ بنجْـد ولم يَـطْلُعْ مع المتَـغِّـورِ
ولم يَقْـدَعِ الخَـصْـمَ الألدَّ ويملأ الـ ـجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نكْباءَ صَرْصَرِ[٦]

السَّدِيفُ: شِقَقُ السنام.

[الرياح ومواقعها]

والنَّكْباءُ: الريحُ بين الرِّيحينِ، لأن الرياحَ أربعٌ، ومـا بين كلّ ريحين نكباءُ، فهى ثمان فى المعنى.

فما بين مَطْـلعِ سُهَيْل إلى مَطْلعِ الفجـرِ جَنوبٌ، وإنما تأتى الجنوبُ من قِبَلِ اليمَنِ، قال جريرٌ:

وحَـبَّـذَا نَفَـحـاتٌ مـن يَمـانِيَـةٍ تأتيك من جـبل الرَّيَّانِ أَحْيـانا[٧]

وإذا هبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهى الصَّبَا تقابِلُ القِبْلَةَ، فالعرب تسميها القبُولَ، قال الشاعرُ[٨]:

إذ قلتُ هذا حِينَ أَسْلُو يَهـيـجُنى نَسيمُ الصَّبا من حيثُ يطَّلع الفجْرُ

---

(١) ر: «سوى المليحة».
(٢) سورة البقرة ١١٠ .
(٣) سورة مريم ٩٧ .
(٤) سورة البقرة ٢٠٤ .
(٥) من كلمة ترثى بها توبة بن الحمير.
(٦) لم يقدع: لم يكف.
(٧) الريان: جبل من بلاد طيئ؛ وفى ر: «من قبل الريان».
(٨) هو أبو صخر الهذلى.

وإذ أَتَتْ من قبل الشَّأْمِ فهى شَمَالٌ، قال الفرَزْدَقُ:

مُسْتَقْبِلِين شَمَالَ الشَّأْم تَضرِبُنا بحَاصِب كنَديفِ القطْن مَنشورِ

* وهى تقابلُ الجنوب، وكذلك قال امرؤ القيس:

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَل

وإذا جاءت من دُبُر البيتِ الحرامِ فهى الدَّبُورُ، وهى تهُبُّ بشدة، والعربُ تسميها مَحْوَة. عن أبى زيد، لأنها تمحو السحابَ. ومَحْوَةُ معرفةٌ لا تنصرفُ، فأما الأصمعىُّ فَزعمَ أن «مَحْوَةَ» من أسماء الشَّمال. وأنشدا جميعًا:

قد بكَرتْ مَحْوَةُ بالعجَاجِ فَدَمَّرتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ

الرَّجَاجُ: حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها. وقال الأعْشَى:

لها زَجَلٌ كَحَفِيفِ الحَصا دِ صادَفَ بالليلِ ريحًا دَبورا

* * *

ولهذه الرياح أسماءٌ كثيرةٌ، وأحكامٌ فى العربية، لأن بعضَهم يجعلها نعوتًا، وبعضَهم يجعلُها أسماءً، وكذلك مَصادرُها تحتاجُ إلى الشرح والتفسيرِ، ونحن ذاكرون ذلك فى عَقبِ هذا البابِ، إن شاء اللهُ.

يقالُ: جَنَبَت الرِّيحُ جُنُوبًا، وشَمَلَتْ شمُولا، ودَبَرَتْ دُبُورًا، وصَبَتْ صُبُوًّا، وسَمَّتْ سُمُومًا، وحَرَّتْ حُرُورًا، مضموماتُ الأوائل.

فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائلها، فقلتَ: جَنُوبٌ، وشَمولٌ، وسَمومٌ، ودَبُورٌ، وحَرُورٌ.

ولم يأتِ من المصادر شىءٌ مفتوحُ الأول، إلا أشياءُ يسيرةٌ، قالوا: توضَّأتُ وَضُوءًا حسنًا، وتطهرت طَهُورًا، وأُولعْتُ بشىء وَلُوعًا، وإنَّ عليه لقبُولا، ووقَدَتِ النارُ وَقُودًا، وأكثرُهم يجعلُ الوَقودَ الحطبَ، والوُقُودَ المصدرَ.

ويقال: الشِّمالُ، على لغاتٍ ستٍ، يقال: شَمَالٌ، وشَأْمَل، وشمالٌ، وشمَلٌ، وشَمْلٌ، وشَامَلٌ، غير مهموزٍ.

ويقال للشّمال: الجِرْبِيَاءُ، قال ابن أَحْمَرَ:

بجَوٍّ مِن قَسًا ذَفِرِ الخُزَامَى ... تَدَاعَى الجِرْبِيَاءُ بهِ الحَنِينَا(١)

ويقال للجَنُوبِ: الأَزْيَبُ.

ويقال للصَّبَا: القَبُولُ، وبعضهم يجعلُه للجنُوب، وهو فى الصَّبا أشهرُ، بل هو القولُ الصحيحُ والإيرُ، والهِيرُ، والأَيِّرُ، والهَيِّرُ، قال الشاعرُ:

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّت *

فهذا يدلُّ على أنه الصَّبا، وذاك أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ بالإطْعام فى المشتاة(٢) وشِدَةِ الزمان، كما قال طَرَفَةُ:

نحنُ فى المَشْتاة نَدْعُو الجفَلَى ... لا تَرَى الآدِبَ فِينا يَنْتَقِرْ

الجَفَلَى: العامَّةُ، والنَقَرى: الخاصَّةُ، والآدبُ: صاحب المْأدُبة، يقال: مأْدَبَةٌ ومأْدُبَةٌ لِلدَّعْوَةِ، وفى الحديث: «إنَّ القرآنَ مأْدُبَةُ الله».

قال أهلُ العلمِ: معناه مَدْعاةُ الله، وليس من الأدَبِ. وأكثرُ المفسرين قالوا القولَ الأولَ، وكلاهما فى العربية جائز ويدل على القول الأول قولُ رسول الله ﷺ: «أنا الجَفْنَةُ الغَرَّاءُ»، أى التى يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها، ويقال فى الدَّعوة: أَدَبَهُ يَأْدُبُه أَدْبًا، إذا دعاه، قال الشاعرُ:

وما أَصْبَحَ الضَّحَّاكُ إلا كخالع ... عصانا فأَرْسَلْنَا المَنِيَّةَ تَأْدُبُهْ

* * *

وقولُنا فى الرياح: إنها تكونُ أَسْماءً ونُعُوتًا نُفَسِّره إن شاء اللهُ.

يقولُ أكثرُ العرب: هذه ريحٌ جَنُوبٌ، وريحٌ شَمَالٌ، وريحٌ دَبُور، فتجعلُ جَنُوبًا، وشَمَالا، ودَبُورًا، وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا قال الأعشى:

لها زَجَلٌ كحفيف الحَصَا ... دِ صادَفَ بالليْلِ ريحًا دَبُورًا

---

(١) قسا: موضع بالعالية، وذفر، من ذفر الطيب، وهو اشتداد رائحته، والخزامى: نوع من العشب، طويل العيدان، صغير الورق.
(٢) ر: «المشتى».

وقال زهيرٌ:

مكَلّلٌ بأُصولِ النَّبتِ تَنْسِجُه ... ريحٌ شَمالٌ لضاحِي مائِه حُبُكُ(١)

وقال جريرٌ:

* ريحٌ خَرِيقٌ شَمَالٌ أو يَمانيَةٌ *

فهذا يكونَ على النعت أجود، لأنه أوضحه بـ «يمانية»، ولا تكون اليمانية إلا نعتًا، لأنها منسوبةٌ، فأما الحريق فهى الشَّديدةُ من كل ريحٍ. قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

بمثْوى حَرامٍ والمطِيُّ كأنه ... قنًا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهنَّ حَريق

والبَلِيلُ: الباردة من كل ريح(٢). وأصلُ ذلك الشمالُ.

[لجرير فى بنى مجاشع]

قال جريرٌ يُعَيِّرُ بنى مجاشعٍ بخذلانهم الزُّبَيْرَ بن العوَّام فى كلمةٍ يقول فيها:

إنى تُذَكِّرنى الزُّبيرَ حَمامةٌ ... تَدْعُو بأَعْلَى الأيكَتَيْنِ هَديلا

يالهْفَ نفسى إذْ يَغُرُّكَ حَبْلُهُمْ ... هَلا اتَّخَذْتَ على القُيُون كَفيلاَ

قالت قريش ما أذلَّ مُجَاشعًا ... جارًا وأكْرَمَ ذا القتيل قَتيلاَ!

أَفَبَعْدَ مَتْرَكِكُمْ خَليلَ مُحَمَّد ... ترجو القُيُونُ مع الرسول سَبيلاَ!

أَفَتَى النَّدَى وفَتى الطعان غَرَرْتُمْ ... وأخَا الشَّمال إذا تَهُبُّ بَلِيلا

ويُروَى أن أحَيْحَةَ بن الجلاَحِ الأنصاريَّ ـ وكان يُبَخَّلُ ـ كان(٣) إذا هَبَّت الصَّبا طَلَعَ من أُطمه(٤) فنظرَ إلى ناحية هبُوبها، ثم يقولُ لها: هُبِّى هُبُوبَك، فقد أَعددتُ لك ثلثمائة وستين صاعًا من عَجْوَة، أَدْفَعُ إلى الوليد منها خمسَ تَمَرات، فَيردُّ علىَّ منها ثلاثًا ـ أى لصلابتها ـ بعد جهْد مَا يلوك منها اثنتين.

(١) مكلل: محاط، وضاحى مائه: ظاهره، وحبك: جمع حبيكة؛ وهى الطريقة، يصف ماء أحاط به النبت، وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسرا.

(٢) ر: «الرياح».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الأطم: الحصن يبنى بالحجارة.

[من أخبار لبيد بن ربيعة]

وكان لَبيد بن رَبيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاَب شريفًا فى الجاهلية والإسلام قد نَذَرَ ألاّ تَهبَّ الصَّبا إلاَّ نَحَرَ وأطْعَمَ حتى تَنْقضىَ. فهبت فى الإسلام[1] وهو بالكوفة مُقْتِرٌ مُمْلِقٌ، فعلم بذلك الوليدُ بن عقْبَةَ بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أميَّةَ بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان وَاليَهَا لعثمانَ بن عفَّان، وكان أخاه لأمِّه، وأُمُّهُما أَرْوَى بنت[2] كُرَيْز بن حبيب بن ربيعةَ بن عبد شمس[3]. وأمُّ أرْوَى البيضاء بنت عبد المطلب - فخطب الناسَ وقال: إنكم قد عرفتم نَذْرَ أبى عَقيل، وما وكَّد على نفسه، فأعينوا أخاكم، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة[4]. وبَعَثَ الناسُ، ففضى نَذْرَه، ففى ذلك تقول ابنةُ لَبيد:

إذا هبَّتْ رياح أبى عَقِيل ... دَعَونا عِنْدَ هبَّتِها الوَليدا[5]

* * *

(١) ر: «بالإسلام».

(٢) ر: «ابنة».

(٣) حاشية الأصل: «غلط أبو العباس بتقديم حبيب وتأخير ربيعة».

(٤) زيادات ر: «وأبيات يقول فيها:

أرَى الجَزَّارَ تُشْحذُ مُدْيَتَاهُ ... إذا هَبَّتْ رياح أبى عَقيل

طويل الباع أبيض جعفرىٌّ ... كريم المجد كالسيف الصقيل

وفى ابنُ الجعفرىِّ بما لَدَيْه ... على العِلاَت والمال القليل

فلما أتته قال: جزى الله الأمير خيرا. قد عرف الأمير أنى لا أقول شعرا، ولكن اخرجى يابنية. فخرجت خماسية، فقال لها: أجيبى الأمير، فأقبلت وأدبرت.

(٥) بعده فى زيادات ر:

طويل الباعِ أبيض عَبْشَميًّا ... أعان على مُرُوءَته لبيدا

بأمثال الهِضابِ كأنَّ ركبًا ... عليها من بنى حامٍ قعودا

أبا وهبٍ جزاك الله خيرًا ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعُدْ إن الكريم له معادٌ ... وَظنى بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيد: أحسنت يا بنية. لولا أنك سألت. فقالت: إن الملوك لا يستحى من مسألتهم. فقال لها: يابنية، وأنت فى هذا أشعر».

ومَنْ جَعَلَ الشَّمالَ والجنوبَ أسماءً لم يـصْرِفْهَا إذا سُمِّيَ بشيء منها رجلٌ؛ لأنك إذا سمـيتَ رجلا مذكـرًا باسم مؤنَّث على أربعة أحـرف فصاعدًا لا عـلامةَ للتـأنيث فيـه لم تَصْرِفْـهُ فى المعرفـة، وصرفـته فى النكرة، نحـوَ عَنَاق، وأَتان، وعقرب. وإن كـان نعتًا انصرفَ، لأنك إذا سـميتَ رجلا مذكـرًا بنعت مؤنث لا علامـةً فيه صـرفتَه لأنـه مذكَّرٌ نُعِتَ به المؤنَث. نحـو حائِض. وطالق. ومُـتْئِم. ومُرْضِعٍ.

وإذا ذكرنا من البـاب شيئا فـما لم نذكره منه فـعلى مَجْرَاه ومِنْهاجـهِ، قال الشاعر، فجعلَ ما وصَفْنا أسماءً:

حـالتْ وحـيل بهـا وغَـيَّـرَ آيَّهَـا ... طول البلَى تَجْـرِى به الرِّيحَـان[1]
ريحُ الشَّـمَـــال مع الجنوب وتارَةً ... رِهَمُ الرَّبيع وصبَـائبُ التَّـهتَـانِ[2]

وقد أنشدوا بيتَ زُهَيْر:

* رِيحُ الجَنَوب لِضَاحِى مَائِهِ حُبُكُ *

وَقولُنا: لاَ عَلامَةَ فيه للتأنيث لتَـعْرِفَ كيف حُكم علاماتِ التأنيت لأنَّ ذلك إنما يكونُ على ضربَيْن:

فما كانت فيـه ألفُ التأنيث مقصورةً أو ممدودة فغير مـنصرف فى مَعْرفة ولا نكرة. لمذكَّـر كان أو مؤنث. فـالمقصـور نحوُ حُـبْلَى وسَكْرَى، ومَا أشـبه ذلك. والممدودُ نحوُ حمراءَ، وصفراءَ، وصحراءَ، وما أشبه ذلك.

فإن كـانت ممدودة لغيرِ التأنيث انـصرف إذا كان لمذكر فى المعـرفة والنكرة، زائدًا كان أو أصليًّا، فالأصلىُّ نحو سَـقَاء، وغذاء، وحذاء، ورداَء ـ والزائدة نحو علْبَاء، وحرباء، وقـوباء، يافتى، ومَن قالَ: قُوَباءٌ يافـتى ـ أَنَّثَ ولَم يصْرِف. لأن الأَوىً مُلْحَقَةٌ، وهذه للتَّـأنيث، فأَمَّا الألفُ المقصورة التى لغير الـتأنيثِ، فإن كانت أصليةً انصرفتْ فى المذكر، ، نحوُ مَلْهًى، ومَغْزًى، ومُشْتَرًى.

وإن كانت زائدة لغير التأنيثِ انصرفتْ فى النكرة. ولم تنصرف فى المعرفةِ، نحو أَرْطَى، وعَلْقَى، فيمن جعل الواحدة عَلْقاةً.

---

(١) حالت: أتى عليها حول .حيل بها: . أى أحيلت عما كانت عليه. والآى: جمع آية.
(٢) الرهم: جمع رهمة. وهو المطر الضعيف.

وأمَّا ما كـانت فيه هاءُ التأنيث فـهومنصرفٌ فى النكرة، وغيـرُ منصرف فى المعرفة، لمذكَّر كان أو مؤنَّث، عربيًّا كَانِ أو أعجميًّا.

فهـذه جملة هذا البـابِ، فأمَّا قـياسُه وشـرحُه فـقد أتينا عليـه فى الكتاب (المقْتَضَب).

* * *

ويقال[1] فى أكْثر الكلام: هَبَّتْ جَنوبًا، وهبَّتْ شَمالا، فُيسْتَغْنَى[2] عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ، لأن الحاَل إنما بَابُها أن تقعَ فيما يكون وصفًا[3]. قال جريرٌ:

هَبَّتْ شَمـالا فذكرِى مـا ذكرتُكُم عند الصَّفاة إلـى شرْقِيِّ حَـوْرانَا

وقال الآخرُ:

فـأَىُّ حىٍّ إذا هَـبَّت شـآمِـيَـة واسْتَدْفـأَ الكلْبُ بالمأسُور ذِى الذئَب

المأسُورُ، يعنى قَتَبًا[4]. وإنما الأَسْرُ الشّـدُّ بالقدّ[5] حتى يُحْكَـم، وإنما قيل الأسيرُ مِنْ ذا. لأَنَه كان يُشَدُّ بالقدِّ. ثم قـالت العربَ لكلِّ مُحكم شديد أسير[6]. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**نحنُ خَلَقْنَاهُم وَشَدَدْنا أَسْرَهم**﴾[7].

وقولُه: «ذى الذأَب» يعنى الفضولَ التى وسَّعَتْه وأَسْبَغَتْه. يُقالُ: غَبِيطٌ مُذَأَبٌ أى ذو ذِئَبٍ. أى مُوَسَّعٌ، والغَبيطُ: مركَبٌ من مَرَاكب النساء.

[لأوس بن حجر]

وقال أوْسُ بن حَـجَرَ فى شـدة البرد وغَلَبَـة الشمـال يَرْثى فَضَـالةَ بن كلْدة الأسَدِى :

وَالحـافظ النـاسَ فى قَـحُـوطَ إذا لم يُـرسُلوا تحتَ عـائذ ربعَـا
وَعَـزَّتِ الـشَّـمْـاَلُ الرِّيـاحَ وقـد أَمْـسَى كَمِـيعُ الفـتـاة ملتَّـفْعَـا[8]

(١) ر: «تقول».
(٢) ر: «فتستغنى».
(٣) ر: «تعتا».
(٤) القتب: رحل على قدر السنام.
(٥) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ.
(٦) ر: «شديد الأسر».
(٧) سورة الإنسان ٢٨ .
(٨) الكميع: الضجيع.

وكانت الكاعبُ المَنَعَّمة الحسـ ... ـناء فى زادِ أهلِها سُبُعَا

تحوط، وقَحُوط، وكَحْل، وحَجْرَة: أسماءٌ للسَّنة المجْدبَة. والعائذ: الحديثة النِّتاج، فتنْحَر أولادها فى السَّنة المُجْدبَة إبقاءً على ألْبانها وشحومها. والرُّبَعُ الذى يُنْتج فى الربيع. والهبع: الذى يُنْتج فى الصيف. يقالُ: ما لهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ. وإنما سمى: هبَعًا. لأن الرُّبعَ أسنٌّ منه فيمشى مع أمهاته(١). ولا يلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ فيستعينُ بعنقه فى المشى، يقالُ إذا فعل ذلك: هَبَع يهْبَعُ.

* * *

ويقال للريح الشمال: مؤْوبة ومُسْع، قال الهُذَلىُّ:

قد حال دونَ دَريسيْه مُؤَوِّبَةٌ ... نِسعٌ لها بِعضاهِ الأرض تَهزِيرُ(٢)

الدَّريسَان: ثوبان خَلقَان. ومُؤَوِّبَةٌ، مُفَعِّلةٌ، من التأْويب، وهو سَيْرُ النهار لا تعريجَ فيه. قال أبو عبيدة: هو سير النهار، والإسآد: سيرُ الليل لا تعريس فيه، وأَنشدَ لسَلاَمَة بن جَندَل:

يومان يوم مَقاماتٍ وأندية ... ويومُ سْير إلى الأعداء تأويب

وإنما يعْنى ريحًا، وقوله: نسعٌ: أى شَمالٌ. والعضَاهُ: شجر ضخام(٣)، فبعض العرب يقول للواحدة: عِضَاهَةٌ، وللجميع: عِضَاهٌ. على وزن دجاجة ودَجاجٍ، وبعضهم يقول للواحدة: عِضَةٌ، فيقول فى الجمع عِضَيَاتٌ. وعِضَهاتٌ. فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعرُ:

هذا طريق يَأزِمُ المآزما ... وَعِضَوَاتٌ تقطعُ اللهَازِما(٤)

ونظيرُ عِضَة سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب، والواو فى قول بعضهم، تقول فى جمعها سنوات، وسانيتُ الرّجل. وبعضهم يقول: سنهات. وأكرينه مسانهة.

---

(١) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أمهاتها».

(٢) للمتنخل. دبوان الهذليين: ١٦ .

(٣) ر: «شجرة ضخمة».

(٤) المآزم: جمع مأزم؛ وهو الطريق بين جبلين، واللهازم: جمع لهزمة وهى ما تحت الأذن من أعلى اللحيين.

وهذا الحرفُ في القرآن يُقْرَأ على ضـروب فمن قرأ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ﴾[1]. فوصلَ بالهاء ـ فهو مأخوذٌ من: سانَهْتُ. التى هى سُنَيْهة ومَن جعله من الواو قال فى الوصل: ﴿ لم يتَسَنَّ وانْظُرْ ﴾[2]. فإذا وقفَ قال: ﴿ لم يتَسَنَّهْ ﴾ فكانت الهاءُ زائدة لبيان الحركة. بمنزلة الهاء فى قوله: **﴿فبهُدَاهم اقْتَده﴾**[3] و **﴿كتابيَهْ﴾**[4]. و **﴿حسَابيَهْ﴾**[6]. والمعنى واحدٌ. وتأويله: لـم تُغَيِّرْهُ السِّنون، ومن لَم يَقْـصدْ إلى السَّنَة، قال: لم يتأَسَّنْ. والآسِنُ: المتغيِّر، قال الله جلَّ وعزَّ: **﴿فيها أنهارٌ من ماء غير آسِنٍ﴾**[7]. ويقال: أَسِنٌ فى هذا المعنى، كما يقال: رجل حَاذِرٌ وحَذِرٌ.

* * *

ويقال للرِّيح الجَنُوب: النُّعَامَى، قال أبو ذُؤَيْب:

مَــرَتْهُ النُّعَــامى فلم يَـعْـتَــرِفْ   خِـلافَ النُّعَامَى مـن الشَّأْمِ ريحَـا

ومعنى «مَـرَتْه» استَـدَرَّتْه، وفى الحديث: «ما هَبَّت الـريحُ الجَنوبُ إلا أَسالَ اللهُ بهَا وَاديًا».

وقال رجلٌ يمدحُ رجلا:

فَـتى خُلِـقَتْ أخـلاقُـه مُطمــئنةً   له نفَــحَــاتٌ ريحُــهُــنَّ جَنوبُ

يريدُ أن الجنوبَ تأتى بالمطر والندى.

والعـربُ تكرَهُ الدَّبُـورَ، وفى الحـديث أَنَّ رسـول الله ﷺ قـال: «نُصِـرْتُ بالصَّبا، وأهْلكَتْ عادٌ بالدَّبُور».

وقَلَّمَـا يكون بالدَّبور المطَرُ، لأنّهـا تُجَـفِّل السحـابَ، ويكونُ فـيهـا الرَّهَجُ والغَبَرَة. ولا تهُبُّ إلا أقلَّ ذاك إلا بشدة. فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتى على الزُّروع.

[لرجل فى الهجاء]

وقال رجلٌ يهجو رجلا:

---

(١) ر: «فى قول بعضهم».

(٢) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) سورة الأنعام ٩٠ .

(٣) سورة الحاقة ١٩ .

(٥) سورة الحاقة ٢٠ .

(٦) سورة محمد ١٥ . .

لو كنتَ ريحًا كانت الدَّبُورا | أو كنتَ غَيْمًا لم تكُنْ مطيرَا
أو كنتَ ماءً لم تكونْ طهورًا | أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا

* أو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا *

الرِّيرُ: المخُّ الرقيق، يقال: مُخٌّ رَيرٌ ورَارٌ، فى معنًى واحدٍ، وقال السُّلَيْكُ:

* يَصيدُكَ قافلا والْمخُّ رارُ *

وقال آخرُ:

لو كنت ماء لم تكن بعذب | أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب | أو كنت عيرا كنت غير ندب(١)

[للسليك يرثي فرسه]

فأمَا قولُ السُّلَيْك فإنه يرثى فرسَه. وكان يقال له النَّحَّامُ، فقال:

كأنَّ قوائمَ النَّحَّامِ لَمَّا | تحَمَّلَ صُحْبتى أُصُلا محَارُ
على قَرْمَاءَ عاليةً شَوَاهُ | كأن بياضَ غُرَّته خمَار
وما يُدْرِيكَ ما فقْرى إليه | إذا ما القوْمُ وَلَّوا أو أغَاروا
ويُحْضِرُ فوق جُهْدِ الْحُضْرِ نصًّا | يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رَارُ

قوله:

* كأن قوائمِ النحَّامِ لمَّا *

المحارة: الصَّدَفَة. يريدُ المَلاَسَة، وأنه قد ارتفعتْ قوائمُه للموت. والأصلُ: جمع أَصيل، والأصيلُ العَشيُّ، يقال: أَصِيلٌ وأُصُلٌ، مثل: قضيب وقَضُب، وجمع أَصُل آصالٌ. وهو جمعُ الجمع، وتقديرُه: عُنُق وأَعْنَاق. وطُنُبٌ وأطنابٌ. ويقال فى جمع أصِيلة أصائل، مثلُ خَلِيفةٍ وخَلائف. قال الأعْشَى:

* ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنا الأصُلُ(٢) *

---

(١) الندب : الخفيف السريع .

(٢) وصدره . * يوما بأطيب منها نشر رائحة *

وقال أبو ذؤَيْب :

لعَـمْرِى لأنَت َالبـيتُ أُكْـرِمُ أَهْلَه وأَقـعُــدُ فى أَفْـيَـائه بـالأصـائل

وقَرْمـاءُ. ممدودةٌ: اسم موضعٍ. وشَـوَاهُ: قوائمُه. وقـد فسـرناه قبلَ هذا. وقوله: «ولَّـوْا أو أغارُوا» إذا طَلَبُـوا أو هَرَبوا. وقوله: «يَصيـدُكَ» أى يَصـيدُ لك يقال: صدْتُكَ ظَبْيًا. قال الله عز وجل: ﴿وإذا كَالُوهُمْ أوْ وزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]. أى كالُـوا لهم، أو وزَنُوا لهم. يقال: كلْتك ووزَنْتك. لأنـه قد قال تعـالى أوَّلا: ﴿إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفون﴾[2].

فـأما مـا جاء فى الحـديث من قول رسـول الله ﷺ عند الهُبُـوب: «اللهمَّ اجْعَلْهـا رياحًا وَلا تجْعَلْهـا ريحًا»، فإن الـعربَ تقولُ: لا تَلْقحُ السـحابُ إلا من رياحٍ. وتصــديقُ ذلك قـول الله عـــز وجل: ﴿اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فتُثِيرُ سَحابًا﴾[3]. وقول النبى ﷺ: «إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تذَاءَبَتْ» قال الشاعر:

* تَسُحُّ إذا تذَاءَبَتِ الرِّياحُ *

يقول: إذا تقابلت: يقـال: تذاءَبَتِ الرياحُ، وتَناوَحَتْ، أى تقابلتْ، وتَنَاوَحَ الشجرُ، إذا قابلَ بعضه بعضًا، وإنما سميت النائحة نائحةً لأنها تُقابلُ صاحبتهَا.

فإذا خَلَصت الريحُ عندهم دَبُورًا فهى من جنس البَوار، وإذا خَلَصَت شَمالا شَتْوِيَّة فـهى من آيَات الجدْب. ومن ثَمَّ تقولُ العربُ: فلا يُطْعَمُ فى الشَّـمال، كما تقولُ: يطْعم فى الْمحل: قال أَوْسُ بن حَجَرٍ: «وعَزَّت الشَّمْالُ الرِّياح» أى غَلَبَتْها، فكانت أقوى منهـا، فلم تَدَعْ لها موضعًـا وقوله: ﴿وعَزَّنى فى الْخطَاب﴾[4] أى غلبنى فى المخاطبة والخصومة، ومن أمثالِ العربِ: «من عَزَّ بزَّ» وتأوِيلُه: من غَلَبَ استلب[5]. قالت الخنْسَاء:

كَـأنْ لم يكونوا حِـمًى يُتَّـقَى إذِ النـاسُ إذْ ذَاكَ مَنْ عَـزَّ بَزَّا

[بين غنوى وفزارى]

قال أبو العـباس : وحدثنى عمْـرو بن بحرٍ الجاحظُ قـال: رأيتُ رجلا من غَنِىٍّ يُفاخِرُ رجلا من بنى فَزَارَةَ. ثمَّ أَحدَ بَنِى بَدْرِ بن عمرو، وكان الغَنَوى متمكنًا

(١) سورة المطففين ٣ .
(٢) سورة المطففين ٢ .
(٣) سورة الروم ٤٨ .
(٤) سورة ص ٢٣ .
(٥) ر: «سلب» .

من لسانه؛ وكان الفزاريُّ بكيئًا[١]. فقال[٢] الغنويُّ: ماؤُنا من بين الرَّقَمِ إلى كذا. وهم جيرانُنا فيه، فنحن أقصرُ منهم رشاءً، وأعذبُ منهم ماءً، لَنَا ريفُ السُّهُول ومعاقلُ الجبال، وأرضُهم سَبخةٌ، ومياهُهم أَمْلاحٌ، وأَرْشيَتُهم طوَال، والعربُ[٣] مَن عَزَّبَزَّ. فبِعزِّنا ما تَخيَّرنا عليهم، وبِذلِّهِمْ ما رَضُوا منّا[٤] بالضَّيْم.

وقوله: «كان الفزاريُّ بكيئًا» يقول: غيرَ قادر على الكلام، وأصلُ ذلك في الحَلَب، يقالُ: ناقة غَزِيرةٌ وناقةٌ بكيءٌ، وهى ضدُّ الغَزيرة، أى قليلةُ اللبن، ودَهينٌ وصِمْرِد. فى معنى، يقالُ: بكَأَت الشاة والناقة، وبكؤتْ. قال الشاعرُ:

فإذا ما حَارَدتُ أو بكُؤَتْ ... فُضَّ عن خاتَمِ أُخرَى طِينُهَا[٥]

وقال سَلاَمة بنُ جَنْدل:

يقولُ: مَحْبِسُها أَدْنَى لِمرْتَعِها ... ولو تَدَاعى بِبُكْءٍ كلُّ مَحْلوب[٦]

يقولُ: إنْ نَحْبِس الإبلَ على ضرٍّ ونقاتلْ عنها فهو أَدْنى بأن تَعزَّ فتَرْتَعَ فيما تَسْتَقْبل، وإن ذهبت أَلبانُها، لأنا إنْ أَطْرَدْناها[٧]. وهَرَبنَا طمِعَ فينا واسْتُذْلِلنا، ويقال فى الكلامِ: رجلٌ عَييٌّ بَكِيّ.

وقال أبو العباس: وهذا الغنويُّ: إذا قابل[٨] بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أَعظَمَ الفِرْيَةَ، وبلغ فى البُهْتِ، وأَشْمَتَ العَدُوَّ بجمْهُور قَيْس، وصارَ بهم إلى قول[٩] الأَخْطل:

وقد سَرَّنى من قَيْسِ عَيْلانَ أننى ... رأيتُ بنى العَجلانِ سادوا بنى بَدْرِ

---

(١) ر: «بكيا». وما أثبته عن الأصل.

(٢) ر: «قال» وما أثبته عن الأصل.

(٣) ر: «والعرب عن عز بز»، س: «والعرب إذ ذاك من عزَّ بزَّ»، وما أثبته عن الأصل.

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «عنا».

(٥) هو عدى بن زيد؛ وقبله:

ولنا باطية مملوءة ... جونة يتبعها برزينها

البرزين: إناء يتخذ من قشر الطلع، والحرد داء فى القوائم؛ إذا مشى البعير نفض قوائمه، فضرب بهن الأرض كثيرًا، وانظر اللسان ٤ : ١٢٣ . ١٨ : ١٩٦ .

(٦) ر: «وإن تداعى».

(٧) أطردناها: أمرنا بطردها. وفى ر: «طردناها».

(٨) ر: «حاول».

(٩) ر: «إلى ما قال».

وكان زيادٌ يقولُ ـ وهو الغايةُ فى السياسة ـ أوصيكم بثلاثة: العالم[1]، والشريف، والشَّيْخ. فوالله لا أوتى بوَضيعٍ سَبَّ شريفًا، أو شابٍّ وَثَبَ بشيخ، أو جاهلٍ امتهن[2] عالمًا إلا عاقبتُ وبالغْتُ.

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى أسد]

وقال عُمارة لبنَى أَسَدِ بن خُزَيْمةَ:

يأَيُّها السَّائلى عَمْدًا لأُخْبِرَهُ ... بذات نفسى وأَيْدى الله فوقَ يَدى
إنْ تَسْتَقِمْ أَسَدٌ تَرْشَدْ وإن شَغَبَتْ ... فلا يَلُمْ لائمٌ إلاّ بَنى أَسَدِ
إنى رأيتكمُ يعْصَى كبيرُكُمُ ... وتكنَعونَ إلى ذى الفَجْرَةِ النّكدِ[3]
فباعدَ الله كلَّ البُعْدِ داركُم ... ولا شفاكمْ من الأضْغانِ والحَسدِ

فرأى عصيانهم الكبيرَ من أقبح العيبِ، وأَدَلَّه على ضِغْنِ بعضهم لبَعض. وحَسَد[4] بعضَهم بعضًا. والوضيعُ يَنْقَلِبُ إلى الشَّريف؛ لأنه يَرَى مُقاولته فَخرا، والاجتراء عليه رِبْحًا. كما أن مُقاولة الشريف للّئيم ذُلٌّ وَضَعَة. قال الشاعرُ:

إذا أنتَ قَاوَلْتَ اللَّئيمَ فإنما ... يكونُ عليك الفضل حين تُقاولُهْ[5]
ولستَ كمن يَرْضَى بما غيْرُهُ الرِّضَا ... ويمسح رأس الذِّئْبِ والذّئبُ آكلُهْ

وسَنُشْبِع هذا المعنى إن شاء الله.

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ فى باب الفَتْك. وهو:

فلا تَقْرَبَنْ أَمْرَ الصَّرِيمة بامْرِئٍ ... إذا رام أَمْرًا عَوَّقَتهَ عواذُله
[وقل للفؤادِ إنْ تُرَى بك نَزْوةٌ ... من الرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثُر الرَّوعِ باطِلُهْ][6]

الصَّريمة: العَزِيمة.

* * *

(1) ر: «بالعالم». (2) ر: «امتحن».
(3) تكنعون: تخضعون، والفجرة: الفجور، والنكد: اللئيم.
(4) ر: «وحسد» بسكون السين؛ والصحح ما أثبته عن الأصل.
(5) ر: «يكون عليك العتب».
(6) ما بين العلامتين من زيادات ر. وأفرخ: أى أخرج روعك وفزعك.

وقد امتنَعَ قوم من الجواب تَنَبُّلا، ومواضعُهم تُنْبئُ عن ذلك، وامتنع قومٌ عيًّا بلا اعتلال. وامتـنع قومٌ عَجْزًا[١]. واعتلُّوا بكرهة السَّـفَه، وبعضُهم مُعْـتَلٌّ برفعة نفسه[٢] عَن خصـمـه، وبعضُهم كان يَسُـبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَـشيرة فَيُـعْرِضُ عنه[٣] ويَسُبُّ سـيـدَ قومـه، وكانت الجـاهليةُ ربما فـعلته بِقَى الـذُّحُول[٤]. قال الراجزُ:

إنَّ بَجِـيـلا كلَّمَـا هَجـانى ... مـلْتُ عـلـى الأغـطش أَو أَبَـانِ
أو طَلْحَـةِ الخَيـرِ فَتَى الـفتْـيَان ... أَولاكَ قـومٌ شَـأنُهُـمْ كَشَـانِى
مـا نلْت مَن أعـراضِـهم كَـفـانِى ... وإن سكَتُّ عـرَفـوا إِحْسـانى

وقال أحدُ المحْدَثينَ:

إنّى إذا هَرَّ كَلبُ الْـحَى قلتْ له: ... اسلِمْ. وربَكَ مَخْـنُوقٌ على الجِرَرِ

قوله: «اسْلَمْ» فاستأنف بألف الوصل؛ لأن النصفَ الأول موقوفٌ عليه.

قال الشاعرُ:

ولا يبُـادِرُ فى الشّـتـاءِ وليـدنا[٥] ... القِــدْرَ يُنْزلهـا بغـيـر جِـعَـالِ

الجِعَالُ: الذى تنْزَل[٦] به البُرْمَة، وربما تُوقّيَتْ به حرارتها.

قال الراجز:

لا نَـسَبَ الـيــــومَ ولا خُلَّـةٌ ... اتَّـسَعَ الخَـــــرقُ على الراقِـعِ

وهذا كثير غيرُ مَعيبٍ.

* * *

وفى مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض[٧] قول الأخطل:

---

(١) ر: «عجزوا». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) ر. س: «برفعة نفسه»، وهذه رواية الأصل.
(٣) كلمة « عنه » ساقطة من ر .
(٤) الذحول: «جمع ذحل» وهو الثأر.
(٥) ر: «وليدها».
(٦) ر: «الذى بوضع فيه البرمة». وما أثبته عن الأصل. س.
(٧) ر: «لتتكافأ» . وما أثبته عن الأصل . س .

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى من سُلَيْمٍ وعامرٍ ... ولم يَشْفِها قَتْلى غَنيٍّ ولاجَسْر
ولا جُشَمٍ شَرِّ القبائلِ إنها ... كبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ
ولَوْ ببَنِي ذُبْيَانَ بُلَّتْ رِمَاحُنا ... لَقَرَّتْ بهمْ عيني وباءَ بهمْ وتْرِى

* * *

وقال رجلٌ من المحْدَثِينَ. وهو حمْدانُ بن أَبانَ اللاحقىُّ:

أَلَيْسَ من الكبائر أَنَّ وَغْدًا ... لآل مُعَذَّل يهجو سَدُوسَا
هجا عرْضًا لهمْ غَضًّا جَديدًا ... وأَهْدَفَ عِرْضَ والدِه اللَّبِيسَا

* * *

وقال آخر:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالده ... واللؤْم أَكرم من وَبرٍ ومَا وَلَدَا
قَوْمٌ إذا جَرَّ جانِى قومِهمْ أمنُوا ... من لؤم أَحْسابهمْ أن يُقتلُوا قَوَدَا
اللُّؤْم داءٌ لوَبْرٍ يُقْتَلونَ به ... لا يُقْتلون بداءٍ غيرِه أبَدَا[1]

* * *

وقال رجل من المحْدَثين[2]:

أمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... والمدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جَليلُ
فاذهبْ فأَنت طليق[3] عِرْضِكَ إنَّه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأَنتَ ذَليلُ

* * *

وقال آخرُ:

نُبِّئْتُ كلبًا هاب رَمْيِى له ... يَنْبِحُنِى من موضعٍ نائى
لَوْ كنتَ من شيءٍ هَجَوْناكَ أَو ... لَوْ بِنْتَ لِلسَّامع والرائى
فعدِّ عن شتمى فإِنى امرُؤٌ ... حَلَّمنى قِلَّةُ أكفائى

---

(١) ر: «اللؤم».

(٢) ر: «وقال أحد المحدثين»؛ وفى الزيادات: «هو دعبل».

(٣) ز: «عقيق عرضك».

وقال آخرُ[1]:

فلــو أنى بُلـيتُ بهـــاشـــمىٍّ ... خَــؤُولَتــهُ بنو عَــبْــدِ المَدَانِ
صَـــبَــرْتُ عـلى عـداوتـهِ ولكنْ ... تَعــالىْ فــانظـرى بمن ابتــلانِى

* * *

[من أخبار ذوى الحلم]

ووقف رجل عليه مُقَطَّعَـاتٌ على الأحْنَف بن قَيْسٍ يسبُّهُ - وكـان عَمرُو بن الأهْتمِ جعل له ألفَ درهمٍ علـى أن يُسَفِّه الأَحنفَ - فجـعل لا يأْلو أن يسبّه سـبًّا يُغْضب، والأحنفُ مُـطْرِقٌ لا يكلمه[2]. فلمـا رآه لا يكلمـه أقـبلَ الرجلُ يعضُّ إبهامه[3] ويقولُ: يا سَوْأَتاه! والله ما يمنعه من جوابى إلا هوَانى عليه!

* * *

وفعَلَ ذلك آخرُ. فأمسكَ عنه الأحنفُ، فأَكْثرَ الرجل، إلى أن أراد الأحنفُ القيامَ للغَداء؛ فـأقبل على الرجل، فقال له: يا هذا! إن غَداءَنَا قـد حضَرَ فانْهَضْ بنا إليه إن شئْتَ، فإنكَ مُذُ اليوم تحْدُر بحمل ثِفَال.

والثِّفَالُ من الإبل: البطِيءُ الثقيلُ الَّذى لا يكادُ ينْبَعث.

* * *

وعُدَّتْ على الأَحنف سَـقْطةٌ فى هذا الباب، وهو أن عـمرَو بن الأَهْتَم دَسَّ إليه رجلا ليسفهه، فقال له: يا أبا بَحْرٍ[4]، ما كان أبوكَ فى قومه؟ قال: كان من أوسطهم، لـم يسدْهُم، ولـم يتخلَّفْ عنهم، فرجع إليه ثانية، ففطنَ الأحنفُ أنه من قبل عمرو. فقال: ما كان مالُ أبيك؟ فقال: كانت له صِرْمَةٌ[5] يمنح منها ويقرى، ولـم يك أَهْتمَ سلاحًا[6].

* * *

(١) زيادات ر: «هو دعبل».
(٢) لفظ «لا يكلمه» ساقط من ر.
(٣) ر: «إيهامه».
(٤) ر: «أبا بحر».
(٥) الصرمة: القطعة من الإبل لم تبلغ السنين.
(٦) السلاح: كثير السلح. يعرض بأبى عمرو.

وجُعلَ لرجل ألفُ درهم على أن يسألَ عمرَو بن العاص عن أُمِّه ـ ولم تكن فى موضعٍ مَـرْضىٍّ [إنما كانت من عَنَزَة، ثم مـن بنى جلاَّنَ][1] ـ فأتاه الرجل، وهو بمصر أمـيرًا عليهـا. فقال: أردت أن أعرفَ أمَّ الأمـير، فقـال: نعم، كانت [امرأة][1]، من عَنَزَةَ. ثم مـن بنى جـلاَّن. تُسَـمَّى ليْلى وتلقَّـبُ النابغـة، اذْهَب فخذ[2] مَا جُعِل لك.

* * *

وقال له مرةً المنذر بن الجارود: أى رجل أنتَ لولا أمُّك! قـال: فإنى أحمدُ اللهَ إليك، إنى فكَّرْتُ فـيهـا[3] البارحـةَ. فأقبلتُ أَنقُلُهـا فى قبائلِ العرب. فـما خَطَرَتْ لى عبدُ القيس ببال[4].

* * *

ودخل عمرو مكةَ فـرأى قومًا من قريش قد جلسوا حَلْقَـةً، فلما رأوه رَمَوهُ بأبصارهم، فَعَـدل إليهم فقال: أَحْسبُكُـم كنتم فى شىء من ذكرى! قالوا: أجَل. كنا نمثل[5] بينك وبين أخيـك هشام أيُّكما أَفـضل؟ فقال عـمرٌو: إنَّ لهـشام علىَّ أربعةً: أمُّه ابنة هشام بن المغيرة، وأمِّى مَـنْ قد عرَفتم، وكان أحبَّ إلى أبيه منى، وقد عرفتم معرفة الوالدِ بالولدِ، وأَسلمَ قبلى، واستُشْهدَ وبَقيتُ.

* * *

قال أبو العـباس: وقـد أكثر النـاس فى الباب الذى ذكرناه، وإنمـا نذكُر من الشىْء وجوهه ونوادرَه.

قال رجلٌ لرجل من آل الزبير كلامًا أَقْذَعَ لـه فيه. فأعرضَ الزبيرىُّ عنه. ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيـرىُّ علىَّ بن الحسين. فأَعرضَ عنه. فـقال له الرجل الزبيرى: ما يمنعك من جوابى؟ فقال على: ما منعكَ من جواب الرجل!

* * *

---

(1) تكملة من الأصل. س.
(2) ر: «وخذ».
(3) ر: «فى هذا».
(4) ر: «على بال».
(5) ر: «نميل».

وقد رُوى قولُ القائل: لو قلتَ واحدة لسمعتَ عشرًا. فقال له: ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدة.

وقال الشاعرُ:

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسُبّنِى ... فأَجوزُ ثُمَّ أقولُ لا يَعْنينى

* * *

وقال رجلٌ لرجلٍ - وسَبَّه فلم يلتفتْ إليه -: إياك أعنى. فقال له الرجلُ: وعنكَ أُعْرِض.

* * *

فأما قولُ الشَّعْبىِّ للرجلِ ما قال فمنْ غَيْرِ هذا الباب، وإنما مَخْرَجُه الدِّيانةُ. وذاك أن رجلا سبَّ الشعبىَّ بأمور قبيحة نسبه إليها. فقال له[١] الشعبىُّ: إن كنتَ كاذبًا فغفر اللهُ لك. وإن كنتَ صادقًا فغفر اللهُ لى.

* * *

وقال أبو العباس: قال رجلٌ لأبى بكر الصديق رحمه اللهُ: لأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يَدخلُ معك قبرَك. فقال: معكَ واللهِ يدخلُ لا معى.

* * *

[ويُحَدِّثُ ابنُ عائشة عن أبيه: أن رجلا من أهل الشام دخل المدينةَ. فقال: رأيت رجلا على بغلة لم أرَ أحسنَ وجهًا ولا أحسنَ لباسًا ولا أفْرَهَ مَرْكبًا منه. فسألت عنه. فقيل لىَّ: الحسنُ بن على بن أبى طالب. فامتلأتُ له بُغْضًا. فَصِرْتُ إليه. فقلتُ: أأنت ابنُ أبى طالب؟ فقال: أنا ابنُ ابنه. فقلتُ له: فيك وبك وبأبيك. أسُبُّهما. فقال: أحُسبك غريبًا! قلتُ: أَجَلْ. فقال: إن لنا منزلا واسعًا، ومعونَةً على الحاجة ومالا نُوَاسِى منه. فانطلقْتُ وما أَجِدُ على وجهِ الأرض أَحبَّ إلىَّ منه][٢].

* * *

---

(١) ساقطة من ر. (٢) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ من رغِبَ برجلٍ عن إرثِ رجلٍ لا يُشَاكله. وولاية رجلٍ لا يشابهُه. قال الشاعرُ[1]:

بكتْ دار بِشْر شَجْوَها أَنْ تبدَّلَتْ ... هلالَ بن قَعْقَاع ببشْرِ بن غالب
ومـا هيَ إلا كالعروس تنقَّلتْ ... على رَغمها من هاشمٍ في محاربِ[2]

[للفرزدق حين ولي ابن هبيرة العراق]

وقال الفرزدقُ حين وَلِي العِراقَ عمرُ بن هُبَيْرَة الفزاريُّ بَعقِب مَسْلَمة بن عبد الملك[3]:

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغال عُشَيَّةً[4] ... فارْعَيْ فزارةُ لا هَناك المَرْتَعُ!
ولقد علمتُ إذا فزارة أَمَّرتْ[5] ... أنْ سوفَ يطمَعُ في الإمارة أَشْجَعُ[6]
فأرى الأمور تنكرتْ أعلامُهَا[7] ... حتى أمَيَّة عن فزارةَ تُنْزَعَ
عزل ابنُ بِشْر وابنُ عمرو قبلَه ... وأخو هراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ

فلما وَلِي خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ على عُمَر بن هُبَيْرَة. قال رجلٌ[8] من بني أسد يجيب الفرزدق:

عجبَ الفرزدقُ من فَزارة أن رأى ... عنها أُمَيَّة بالمشارق تُنْزَعَ

(١) هو إسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدي؛ نسبه أبو تمام إليه في الحماسة ص ١٥١٣ - بشرح المرزوقي.
(٢) قال المرزوقي: شجوها. انتصب على أنه مفعول به. والشاعر يفضل بشرا على هلال؛ يقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشر لما رحل عنها وصار فيها بدلا منه هلال - بكت وتحسرت. وحق لها ذلك؛ فما هي في استبدالها إلا كعروس زوجت من بني هاشم ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب: قبيلة فيها ضعة وخمول.
(٣) ديوانه ٥٠٨ : «حين عزل عبد الملك بن بشر بن مروان عن البصرة وسعيد بن عمرو بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص عن الكوفة. وسار مسلمة من العراق إلى الشام، وولي العراق عمر بن هبيرة الفزاري». مع اختلاف في ترتيب الأبيات.
(٤) الديوان:

* ومَضَتْ لِمَسْلَمَةَ الرِّكابُ مُوَدَّعًا *

(٥) الديوان: «لئن فزارة أمرت».
(٦) ر: «يطمع».
(٧) الديوان:

* إنَّ القيامةَ قدْ دَنَتْ أَشْرَاطُها *

(٨) نسبها المرصفي إلى إسماعيل بن عمار الأسدي.

فَلَقَـد رأَى عجـبًـا وأُحْدِثَ بعـدَه ... أمـــرٌ تَضـجُّ له القلـوبُ وتَفْــزَعُ
بكَت المنابـرُ من فَـزارة شَـجْـوهَا ... فـاليـومَ من قسْـر تَذُوبُ وتجـزَع
وملوكُ خنْدفَ أَسلَمـونَا للعدَى[(١)] ... لله درُّ ملـوكنـا مــــا تَصْـنَعُ!
كـانوا كـتَـاركَـة بَنيـهـا جَـانبًـا ... سَـفهًـا وغيْـرَهُمُ تَصُـونُ وترْضِعُ

[للفرزدق أيضا فى هجاء عمرو بن هبيرة]

قال أبو العبـاس: وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعـمرَ بن هُبَيْرَة عند ولايـته العراقَ، وفى ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك:

أمـــيـــرَ المؤمـنينَ وأَنـت بَرٌّ ... أَمـــيْن لـستَ بالطَّبَـع الحَـريص
أَأَطْعَـــمْتَ العـــراقَ ورافـــدَيْه ... فـــزاريًّا أحَـذَّ يد الـقَـمـيص[(٢)]
تَفَـــــهَّقَ بالعـــرَاق أبو المُثـنَّى ... وعَلَّم قـــومَـــهُ أَكْلَ الخَـبـيصِ
ولم يَك قـبلَـهـا راعِى مَـخَـاضٍ ... ليـــأمَـنه علـى وَرَكَىْ قَـلوص

قوله: «لست بالطَّبع الحْريص». فالطبع: الشديد الطمع الذى لا يفهمُ لشدة طمعه. وإنما أخـذ هذا من طبع السيف، يقال: طَبعَ السيـفُ، يا فتى! وهو سيفٌ طبعٌ، إذا ركبه الصَّدَأ حتَّى يُغَطِّيَ عليه. والمَثلُ من هذا فى الذى طبع على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ. يقال: طَبَع الله على قلب فـلان. كما قال جلَّ وعزَّ: **﴿ختَمَ اللهُ على قُلوبهم وعَلى سَمْعـهم﴾**. هذا الوقف. ثـم قـال: **﴿وعَلى أَبصارهْم غشَاوَةٌ﴾**[(٣)] وكذلك: رينَ عـلَى قلبه، وغينَ على قلبـه؛ فالرَّيْنُ يكونُ من أشـياءَ تَأَلَفُ عليـه فتـغطيه. قـال الله جلَّ وعزَّ: **﴿كـلا بل رَان علَى قُلـوبهم مَـا كـانُوا يكْسُبون﴾**[(٤)]. وأما «غينَ على قلبه». فـهى غِشاوةٌ تعترِيه. والـغَيْنَةُ: القطعة من الشجَر الملتفِّ تُغَطى ما تحتهَا، قال الشاعر:

كـأَنِّى بَيْـنَ خـافِـيَـتَىْ عُــقَـابٍ ... أَصـابَ حَـمامـةً فى يومِ غَـيْنِ[(٥)]

---

(١) ر: «ذللتنا للعدى».

(٢) ر: «أأطمعت». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) سورة البقرة ٧ . وفى ر: «طبع الله على قلوبهم». وهو مخالف للتلاوة.

(٤) سوة المطففين ١٤ .

(٥) نسبه المرصفى إلى رجل من تغلب يصف فرسا. وذكر قبله: =

وقالَ بعضُهم: أرادَ فى التفاف من الظُّلْمة. وقال آخرونَ: أراد فى يوم غيم. فأبدل من الميم نونًا. لاجتماع الميم والنون فى الغُنَّة. كما يقالُ للحيَّة: أيْمٌ. وأيْنٌ. واستجازت الشعراءُ أن تَجْمعَ الميم والنونَ فى القوافى. لما ذكرتُ لك من اجتماعهما فى الغُنَّة. قال الراجز:

بُنىَّ إن البِرَّ شىءٌ هَيِّنْ ... الْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ

وقال آخرُ[1]:

ما تَنْقِمُ الحربُ العَوَانُ منِّى ... بازلُ عامَيْن حديثٌ سِنِّى[2]

* لِمِثْلِ هذا وَلَدتنْى أمِّى *

والعِرَاقَانِ: البصرة والكوفة. والرَّافِدَانِ: دِجْلُة والفراتُ.

وقوله: «أَحَذَّ يدِ القميصِ»، الأحَذ: الخفيفُ. قال طَرَفَة:

* وأَتْلَعُ نهَّاضٌ أَحَذ: مُلَمْلَمُ *[3].

وإنما نَسَبه بالخفة فى يده إلى السرقة[4].

وقوله: «تَفهَّقَ»، أى امتلأ مالا[5]. يقال: بئر تَفْهَقُ. وغَديرٌ يَفْهَقُ، إذا امتلأ ماءً. قال الراجزُ:

لا ذَنْبَ لِى قد قلتُ للقومِ استَقُوا ... والقَوْمُ فى عُرْض غَديرِ يَفْهَقُ

وقال الأعشى فى مدحه المحلق بن حنتم أحد بنى أبى بكر بن كلاب:

نفَى الذَّمَّ عن رَهْطِ المَحلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابِيَةِ الشيخِ العِرَاقِىَ تَفْهقُ

=
فداءٌ خالتى وَفدًا صديقى ... وأَهْلى كُلُّهم لِبَنى قُعَيْن
فأَنْتَ حَبَوْتَنى بعنانِ طِرْف ... شديد الشدِّ ذى بذل وَصَوْن

(١) نقل المرصفى عن ابن سيده. أنه أبو جهل بن هشام.

(٢) البازل من الإبل: ما استكمل السنة الثامنة. وطعن فى التاسعة. فإذا جاوز البزول قيل بازل عام أو عامين؛ وكذلك ما زاد؛ فإذا قيل ذلك للرجل فإنه يراد استكمال شبابه. قاله المرصفى.

(٣) رواية البيت بتمامه. كما فى ديوانه (٥٦ ـ مجموعة العقد الثمين).

وأَرْوَعُ نباضٌ أحَدُّ مُلَمْلَمٌ ... كمِرْداةِ صَخْرٍ مِنْ صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

(٤) ر: «السرق». (٥) ر: «ماء».

هكذا فى رواية أبى عُبيدة.

وقوله:

ولم يَك قبْلَهـا راعِى مَخاضٍ ... لِيَأْمَنَهُ على ورِكَىْ قَلوص

كانت بنو فَزارَةَ تُرمَى بِغشيانِ الإبل. ولذلك قال ابنُ دارَةَ:

لا تأْمَنَنَّ فَزارِيًّا خَلَوْتَ به ... على قُلوصِكَ واكتُبْها بأَسْيَارِ

[للفرزدق أيضا فى حبس عمر بن هبيرة]

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق:

لعمرى لئن نابتْ فَزارَةَ نَوْبَةٌ ... لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تَحبِسُها قَسْرُ
لقد حَبَس القَسْرِىُّ فى سجن واسط ... فتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
فَتى لم تربِبْهُ النصارَى ولم يكنْ ... غِذاءً له لحمُ الخنازيرِ والخمْرُ

قوله: (١فتى شيظميا١) . الشَّيْظمىُّ: الطويلُ. قال ذو الرُّمَّة:

إذا ما رَمَيْنا رَمْيَةً فى مفَازَةٍ ... عَرَاقِيبَها بالشَّيْظَمِىِّ المواشِكِ(٢)

يريدُ حاديًا يَسُوقُها، وقوله: «ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجرُ». يقول: ما يُحَرِّكه.

وقوله: «فَتى لم تُرَبْهُ النصارى» يُنَبِّه به على أمِّ خالد، وكانت نصرانيةً روميَّة، وكان أبوه استَلَبها فى يوم عيد للرُّوم، فأَوْلدها خالدًا وأَسَدًا، ولذلك يقولُ الفرزدقُ:

ألا قطَعَ الرحمنُ ظهرَ مَطيَّة ... أتتْنا تَهادى من دمَشقَ بخالد
وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَنْ كانت امُّهُ ... تَدينُ بأَنَّ اللهَ ليس بواحد!
بَنى بيعَةً فيها النَّصارَى لأمِّه ... ويَهْدِمُ من كُفْر مَنارَ المَساجدِ

وقال:

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالد ... وأصحابه لا طهَّر اللهُ خالدَا
بَنَى بيعةً فيها الصَّليبُ لأمِّهِ ... ويَهْدِمُ مِنْ بُغْضِ الصلاةِ المساجدَا

(١ ـ ١) ساقط من ر .

(٢) ديوانه ٤٢٦ . والمواشك: السريع.

وكان سببُ هَدم خالد مَنار المساجد حتى حَطها عن دُورِ الناس أنه بلغه شعرٌ لرجلٍ من الموالى. موالى الأنصار. وهو :

ليتنى فى الْمُؤَذِّنِينَ حَيَاتِى ، إنهم يُبْصِرونَ مَنْ فى السُّطوح
فَيُشِيرونَ أو تُشيرُ إليهم بالهَوى كلُّ ذاتِ دَلٍّ مَليح

فحطها عن دُور الناس. ويُرْوَى عنه فيما رُوِىَ من عُتُوِّه أنهُ استُعْفِىَ من بيعة بناها لأمِّه. فقال لملإ مِنَ المسلمين: قَبحَ اللهُ دينهم، إن كان شَرًّا من دينكم!.

* * *

[للفرزدق عند هروبه من سجن ابن هبيرة]

وقال الفرزدقُ لابن هُبَيْرَةَ حين[1] نُقِبَ له السجنُ وهرب، فسار[2] تحت الأرض هو وابنه حتى نَفَذَا[3]:

لَمَّا رأيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظهُرها ولم يَبْقَ إلا بطنَها لك مَخْرَجا
دعَوْتَ الذى ناداه يونُسُ بعدَ ما ثوَى فى ثلاث مُظْلمات فَفرَّجَا
فأصبحتَ تحتَ الأرض قد سرْتَ سيرةً وما سار سارٍ مثلها حيِن أَدْلَجَا[4]
خرجتَ ولم يَمْنُنْ عليكَ طَلاَقَةً سوى رَبد التَّقْريبِ من نَسْلِ أعْوَجَا[5]

فقال ابنُ هُبَيرة: ما رأيتُ أشرفَ من الفرزدق! هجانِى أميرًا. ومدحَنِى أسيرًا.

قولُه: «حيثْ أَدْلَجَا». تقولُ: أَدْلجْتُ، إذا سرتَ فى[6] أول الليل. وادَّلجْتُ، إذا سرتَ من آخره فى السَّحر. قال زُهَيْرُ:

---

(١) ر: « حيث » .
(٢) ر: «وسار».
(٣) وانظر أيضا خبر هذه الأبيات بتفصيل أوسع فى الديوان ١٤١ .
(٤) ر: «حيث أدلجا». وهذه رواية الأصل والديوان.
(٥) ر: الديوان: «من آل أعوجا».
(٦) ر: «من».

بكَرْنَ بُكوراً وادّلَجن بسُحْرَةٍ فهنَّ لِوَادى الرَّسِّ كاليدِ للفَم

وأعْوَجُ فرسٌ كان لغَنىٍّ، وقالوا: كان لبنى كلابٍ. ولا يُنْكَرُ هذا. لأن خبيبة[1] بنت رِيَاح الغَنَوِيَّة ولدَتْ لبنى جعفر بن كلاب. فلعله أن يكونَ صارَ إلى بنى جعفر بن كلابٍ من غَنىٍّ.

والعربُ تَنْسُبُ الخَيْلَ الجيادَ إلى أعْوجَ، وإلى الوَجِيه، ولاحِق. والغرابِ. واليَحْموم. وما أشبهَ هذه الخيلَ من المتقدمات. قال زَيْدُ الخَيْل:

جلَبْنَا الخيل من أجأ وسَلمى تخَبُّ نَزائعًا خَبَبَ الذئاب[1]
جلَبْنا كلَّ طِرفٍ أعْوَجىٍّ وسَلْهَبةٍ كخافيَّةِ العُقَابِ[2]

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيب؛ قال امرؤُ القيس فى طول الليل:

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

فهذا فى ثَبات الليل وإقامته. والمصَامُ: المقَامُ. وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك، ويقال: صامَ النهارُ إذا قامت الشمسُ. قال امرؤُ القيس:

فَدَعْها وسل الهمَّ عنك بِجَسْرةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا

وقال النابغة:

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العَجَاج وخيلٌ تَعْلَكُ اللُّجَما

والأمراسُ: جمع مَرَس. وهو الحبلُ. قال أبو زُبيدٍ يرثى غلامهَ ويذكر تعرضه للحرب[4]:

إمَّا تُقَارَنْ بكَ الرِّماحُ فلا أبكيكَ إلا لِلدَّلْوِ والمرَس[5]

* * *

(١) ر: « حبيبة ». وما أثبته عن الأصل.
(٢) النزائع: جمع نزيعة، وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه.
(٣) السلهبة، والسلهب أيضا الفرس الطويل.
(٤) ر: «وتعرض للحرب فقتل».
(٥) ر: «إما تعلق». وما أثبته رواية الأصل. س.

وقال فى ثَبات الليل:

فَيَالَكَ من لَيلٍ كأنّ نُجومَهُ بكل مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بيَذْبُلِ

المُغارُ: الشديدُ الفَتْلِ. يقال: أَغَرْتُ الحبلَ. إذا شددتَ فتْله. ويَذْبُلٍ: جبلٌ بعينه.

* * *

وقال أيضًا:

كأنَّ أبانًا فى أفانين وَدْقه كبيرِ أناسٍ فى بجَادٍ مُزمَّل

أبانٌ جبل. وهما أبانَان: أبانٌ الأسْوَد. وأبانٌ الأبيض، قال المُهَلْهِلُ[1] - وكان نزَلَ فى آخرِ حربِهم - حربِ البَسوسِ - فى جَنْب بنِ عَمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مالك، وهو مَذْحجٌ. وجَنْبٌ حَىٌّ من أحيائهم وَضيعٌ - فخُطبَت ابنتُه ومُهِرَت أَدَما. فلم يقدر على الامتناع، فزوَّجَها، وقال:

أنْكَحَها فَقْدُها الأراقِم فى جَنْب وكان الحِباءُ من أَدَم[2]

لو بِأَبانَيْنِ جاءَ يخْطُبُها ضُرِّجَ ما أَنْفُ خاطبٍ بدَمِ

وقوله: «فى أفانين ودقه» يريد ضروبا من ودقه. والودق: المطر. قال الله تبارك وتعالى: **﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾**[3].

وقال عامر بن جوين الطائى:

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أَبْقَلَ إبْقالَها

وقوله:

* كَبيرُ أُنَاس فى بجَاد مُزَمَّلِ *

يريدُ مُزَمَّلا بثيابه. قال الله تبارك وتعالى: **﴿يأَيُّها المُزَّمِّلُ * قُم اللَّيلَ إلا قليلا﴾**[4]. وهو المُتَزَمِّل. بثيابه[5] والتاء مدغمةٌ فى الزاى. وإنما وَصَفَ

---

(١) ر: «مهلهل».

(٢) الأراقم: قبائل من تغلب؛ ويريد بالحباء هنا المهر. والأدم: الجلد.

(٣) سورة النور ٤٣. (٤) سورة المزمل ١، ٢.

(٥) ساقطة من ر.

امرؤُ القيس الغيثَ. فقال قومٌ: أراد أنَّ المطر قد حَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتَزَمِّل.

وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطَرُ من خُضرة النبت. وكلاهما حَسَنٌ، وذَكر الوَدْق لأن تلك الخضرة من عمله.

* * *

وقال الراجزُ يصفُ غيْمًا:

أقْبَلَ فى المسْتَنِّ من رَبابِهِ أَسنِمَةُ الآمال فى سَحابِهِ

أراد أنّ ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكله الإبل، فتصيرُ شُحومُها فى أَسنمتها.

والرَّبابُ سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم من السحاب، قال المازنىُّ(١):

كأنَّ الربابُ دُوينَ السَّحَابِ نَعامٌ يُعَلَّقُ بالأرْجُل

وقوله جل وعزَّ: ﴿**إنِّى أرانِى أعْصِرُ خَمرًا**﴾(٢) أى أعصرُ عِنبًا فيصيرُ إلى هذه الحال.

* * *

وقال زُهَيرٌ:

كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كل مَنزلٍ نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

الفَنا: شجرٌ بعينه، يُثْمِرُ ثمرًا أَحمرَ ثم يتفرَّقُ فى هيئة النَّبِق الصّغار. فهذا من أحسن التشبيه. وإنما وصف ما يسقُطُ من أَنماطِهِنَّ إذا نَزلْنَ.

والْعِهْنُ: الصُّوف المُلَوَّن فى قول أكثر أَهل اللغة. وأما الأصمعىُّ فقال: كلُّ صوف عِهنٌ. وكذلك قال أهلُ اللغة: الحنْتَمُ الخَزَفُ الأخضرُ. وقال الأصمعىُّ: كلُّ خَزَفٍ حنتمٌ. قال القُرَشِىُّ(٣):

مَنْ مُبْلغُ الحسْناءِ أَنَّ حَليلَها بمَيْسَانَ يُسْقَى فى زُجاج وحَنْتَم

---

(١) نقل المرصفى من الأغانى أنه زهير بن عروة بن جلهمة.

(٢) سورة يوسف ٣٦ .

(٣) نسبه المرصفى إلى النعمان بن عدى بن نضلة.

وقال جريرٌ :

ما فـى مَقامِ ديار تَـغْلِبَ مَسْـجدٌ وبهــــــا كنـائِسُ حَـنْتـمٍ ودِنان

* * *

والتشبيهُ جـار كثيرٌ فى كلام العربِ، حتى لو قالَ قـائلٌ: هو أكثر كلامِهِمْ، لم يُبْعِدْ.

قـال الله عـز وجلَّ وله المَثَلُ الأعلَى: ﴿الزُّجاجَةُ كـأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾[١]. وقال: ﴿طَلْعُهـا كأَنَّهُ رءُوسُ الشَّـياطين﴾[٢]. وقد اعـترضَ معتـرضٌ من الجهلة المُلْحدين، فى هذه الآية. فـقال: إنما يَمَثَّلُ الغائبُ بالحاضِـرِ، ورءوس الشياطين لم نَرَهَا، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها!

وهؤلاء فى هذا القـول كما قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿بل كَذَّبوا بمَا لـم يُحيطُوا بعلْمـه ولَمَّـا يَأتهمْ تأويلُهُ﴾[٣]. وهذه الآيةُ قـد جاء تفـسيرها على ضـربين[٤]. أحدَهمَا أن شجرًا يقال له الأَسْتَنُ[٥]. منكَرُ الصورة يقالُ لثمره: رءوس الشياطين، وهو الذى ذكره النابغةُ فى قوله:

* تَحِيدُ مِن أَسْتَنٍ سُودٍ أسَافِلُهُ *[٦].

وزعم الأصمعىُّ أن هذا الشجَرَ يسمى الصَّوْمَ.

والقولُ الآخرُ ـ وهو الذى يَسْـبقُ إلى القلب ـ أن الله جَلَّ ذكُره شَنَّعَ صورةَ الشياطِين في قُلوب العبادِ. فكان[٧] ذلك أبلغَ من المعايَنةِ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرةَ مما تَنْفُرِ منه كلُّ نفس.

---

(١) سورة النور ٣٥ . (٢) سورة الصافات ٦٥ . (٣) سورة يونس ٣٩ .

(٤) ر : «فى ضربين». وما أثبته عن الأصل. س.

(٥) نقل المرصفى عن أبى حنيفة الدينورى أنالأستن شجر يفشـو فى منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس.

(٦) بقيته :

* مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما *

(٧) ر : «وكان».

[حديث أبى النجم العجلى مع هشام بن عبد الملك]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ فى إسنادٍ متصل أن أبا النَّجْمِ العِجْلىَّ أنشدَ هشاما[1]:

* والشمسُ قد صارتْ كَعَيْنِ الأحْوَلِ *

لما ذهبَ به الرَّوِىُّ عن الفكر فى عين هشامٍ، فأغضبَه، فأمَرَ بطرده. فطُرد[2]. فأقَلَ أبو النَّجم رَجْعتَهُ. فكان[3] يأوى المسجد[4]، فأَرِقَ هشامٌ[5] ذات ليلة فقال لحاجبه: أبْغنى رجلا عَرَبيًّا فصيحًا يحادثُنى ويُنْشدُنى. فطَلَبَ له ما طَلَبَ، فوَقَفَ على أبى النَّجم، فأُتى. فلما دُخِل به إليه قال: أين تكون منذُ أقصيناكَ؟ قال: بحيثُ ألفتْنى رُسُلكَ، قال: فمن كان أبا مَثْوَاكَ؟ قال: رَجُلين: كَلْبيًّا وتَغْلَبيًّا. أَتَغدَّى عند أحدهما. وأتعشىَّ عند الآخرِ. فقال له: مالَكَ منَ الوَلَد؟ قال: ابنتان. قال: أَزَوَّجْتَهما؟ قال: زوَّجتُ إحداهما. قال: فيم أوصَيْتَها؟ قال: قلتُ لها ليلةَ أَهْدَيْتُها:

سُبِّى الحماةَ وابْهَتى عليها ... وإنَّ أَبَتْ فازْدَلفى إليها
ثم اقْرَعِى بالوُدِّ مِرْفَقيها[6] ... وجَدِّدِى الحِلْفَ به عليها

* لاَ تُخْبِرى الدهرَ بذاكَ ابْنَيْهَا *

قال: أفأوصيتَهَا بغيرِ هذا؟ قال: نَعم، قلت:

أَوْصَيْتُ من بَرَّةَ قلبًا حُرًّا ... بالكَلْب خيرًا والحماة شرًّا
لا تَسْأَمِى نَهكا لها وضَرًّا ... والحَىَّ عُمِّيهمْ بِشَرٍّ طُرًّا
وإن كَسَوكِ ذهبًا ودُرًّا ... حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياة مُرًّا

---

(١) ر: «هشام بن عبد الملك». من أرجوزته التى مطلعها.

* الْحَمْدُ للهِ الْعَلِىِّ الأَجْلَلِ *

(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «وكان».
(٤) ر: «المساجد».
(٥) ر: «أرق هشام ليلة».
(٦) الود: الوتد.

قـال هشـامٌ : مـا هكذا أوْصَى يعـقـوبُ ولـدَه، قـال أبو النجم: ولا أنا كيعقـوبَ، ولا بنتى كولده. قال: فما حالُ الأخـرى؟ قال: قد دَرَجَتْ بين بيوت الحىِّ، وتنفعنا[1] فى الرسالة والحاجة. قال: فما قلتَ فيها؟ قال: قلتُ:

كـأنَّ ظَلامَـةَ أختَ شَـيبَـانْ يَتـيـمـةٌ ووالـداهَا حَـيَّـانْ
الرأسُ قَـمْلٌ كلـه وصئْـبَـانْ وليس فـى الرِّجْلَيْن إلا خَـيْطَانْ

* فَهْىَ التى يُذْعر منها الشيطانْ *

قال: فـقال هشـام: يا غلام[2]، ما فـعلت الدنانير المخـتومة الـتى أمرتُك بقبـضها؟ قال: ها هى عندى، ووزْنُهـا خمسمـائة. قال: فادفعْـها إلى أبى النجم ليجعلهَا فى رِجْلَىْ[3] ظَلاَّمةَ مكانَ الخيْطَيْن، أفلا تراهُ قال:

* فهْىَ التى يُذْعَرُ منها الشيطانْ *

وإن لم يَرَه. لما قرَّرَ فى القلوب من نكارَته وشَناعَته! وقال آخرُ:

وفى البَـقْلِ إن لم يَدْفَعِ الله شَـرَّهُ شَيَاطين يَعْـدُو بَعْضُهُنَّ على بعض

وزعَم أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمردٍ من جنٍّ أو إنس أو سَبُعٍ[4] أو حية[4] يقال له شيطانٌ. وأن قـوله: «تَشَيْطَنَ» إنما معـناه تخَبَّثَ وتنكَّر. وقد قـال الله جل وعزَّ: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجنِّ﴾[5]. قال الراجز:

أبْصَـرتُهـا تَلْتَـهم الثُّـعْبـانَا شـيطانةٌ تَزَوَّجَـتْ شـيطـانًا

وقال امرؤُ القيس:

أتوعِـدُنى والمشْـرَفِىُّ مُضَـاجـعى ومَـسْنُونَةٌ زُرْقٌ كـأَنيـابِ أَغْـوَالِ!

والغولُ: لم يَخْبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها.

* * *

ثم نرجعُ إلى تفسير شعر أَبى النجم[6]:

---

(١) ر : «ونعتنا» . (٢) ر : «الحاجيه».
(٣) ر : «رجل». (٤) ساقطة من ر .
(٥) سورة الأنعام ١١٢ . (٦) ر : «وأقول أبى النجم».

قوله: * سُبِّى الحماةَ وابْهَتِى عليها *

إنما يريد: ابهَتيـهـا، فوضَـعَ «ابهتـى» فـى موضع «اكْـذبى» فمن ثَمَّ وصلَها بـ «على».

والذى يُستعملُ فى صِـلَةَ الفعل اللام، لأنهـا لام الإضافة، تقـول: «لزيدٍ ضـربتُ» و «لعمـرٍو أكرمتُ» والمعنى: عـمرًا أكْـرَمتُ، وإنما[1] تقديـرُه: إكرامى لعَمْرو. وضـربى لزيد. فأجْرَى الفعلَ مُجْرَى المصـدر، وأَحسنُ ما يكون ذلك إذا تَقَدَّمَ المفـعول. لأن الفعل إنما يجىء وقـد عَملَت اللامُ. كما قـال الله جلَّ وعزَّ: **﴿إنْ كُنْتُمْ للرُّؤيَا تَعْبُرُونَ﴾**[2]. وإن أُخِّرَ المفـعولَ فهـو عربى[3] حسنٌ. والـقرآنُ محيطٌ بجميع[4] اللغات الفصيحة، قال الله جل وعزَّ: **﴿وَأُمِرْتُ لأنْ أَكُـونَ أَوَّلَ المُسْلمينَ﴾**[5] والنحويون يقـولون فى قوله جل ثناؤه: **﴿قُلْ عَـسَى أنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكمْ﴾**[6]: إنما هو: رَدِفَكُمْ. وقال كُثَيِّرٌ:

أريد لأنـسى ذكـــرهـا فكـأنما ... تمثـل لى ليلـى بكل سـبـيـل

وحروفُ الخـفضِ يُبْدلُ بعـضها مـن بعضٍ، إذا وقع الحرفان في مـعنًى فى بعض المواضع، قـال الله جل ذكـره: **﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوع النَّخْلِ﴾**[7]، أى «عَلَى» ولكنَّ الجذوعَ إذا أحـاطت دخلتْ «فى». لأنها للوعاء. يقـال: «فلانٌ فى النَّخْل». أى قد أحاطَ به. قال الشاعر[8]:

هُمُ صَلَبُوا العَبْـدِىَّ فى جذْعِ نخلة ... فلا عَـطَسَت شَيْـبانُ إلا بأَجْـدَعَا

وقال الله جل وعز: **﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمعُونَ فيه﴾**[9] أى عليه. وقال تبارك وتعالى: **﴿لَهُ مُعَـقِّبَاتٌ منْ بَـيْنِ يَدَيْه وَمِنْ خَلْفِه يَحْفَـظُونهُ منْ أَمْرِ الله﴾**[10]، أى: بأمرِ الله. وقال ابنُ الطَّثْرِيَة:

---

(١) ر: «فإنما».
(٢) سورة يوسف ٤٣.
(٣) ر: «فعربى».
(٤) ر: «بكل».
(٥) سورة الزمر ١٢.
(٦) سورة النحل ٧٢.
(٧) سورة طه ٧١.
(٨) هو سويد بن أبى كاهل. اللسان ٤: ٢٦٧. وبأجدع. أى بأنف أجدع.
(٩) سورة الطور ٣٨.
(١٠) سورة الرعد ١١.

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْفُضُ الطَّلَّ بعدَمَا　　رأتْ حاجبَ الشمسِ استَوَى فَتَرفعَا

وقال الآخرُ :

غَدتْ مِن عليه بعدَما تَمَّ خمسُها　　تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بزيزاءِ مَجْهَل[1]

أى من عنده.

وقال العامرى[2]:

إذا رضيتْ علىَّ بنو قُشَيْر　　لعمرُ اللهِ أعجبنى رضَاها

وهذا كثيرٌ جداًّ .

وقوله :　　* وَإِنْ أَبَتْ فازدَلِفِى إِلَيْهَا *

يقول: تقربى، ومن ذا سُمِّيت المزْدلفةُ، قال العَجَّاج:

نَاج طَواهُ الأيْنُ مِمَّا وجَفا　　طَىَّ اللَّيالى زُلَفًا فَزُلُفا

* سَمَاوَةَ الهلالِ حتى احقَوْقَفَا *

يقال[3]: زُلفةٌ وزُلَفٌ. كقولك: غُرْفةٌ وغُرَفٌ.

وقوله:　　* بالكلب خيراً والحماة شرّاً *

كلامٌ مَعيبٌ عندَ النحويين، وبعضُهم لا يُجيزه؛ وذلك لأنه[4] عطَفَ على عاملَين. على الباء[5] وعلى الفعل. ومنْ قال هذا قال: ضربتُ زيدا فى الدار، والحُجْرة عمراً.

قال أبو العباس: وكان أبو الحسن الأخفشُ يراهُ ويقرأُ: **﴿واخْتَلاف اللَّيْل وَالنَّهار وَمَا أَنْزل اللهُ مِنَ السَّمَاء من رزْق فأَحْيَا به الأرْضَ بَعْد مْوتها وتَصْريف**

(١) لمزاحم العقيلى فى وصف القطا، اللسان ١٣ : ٤٠٦ . وقال فى شرحه: «قال ابن السكيت فى قوله: «من عليه»: من فوقه. يعنى من فوق الفرخ. ومعنى: «تصل»، أى هى يابسة من العطش»

(٢) حاشية الأصل: «هو القحيف العقيلى».

(٣) ر: «تقول».

(٤) ر: «وذاك أنه».

(٥) ر : «بالباء».

الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾[١]. فعطف على «إنَّ» وعلى «فى» وقال عدىُّ بن زيد:

أَكُلَّ امْـرِئٍ تَحْـسِبِـينَ أمْـرأً ... ونـار تَوَقَّـدُ بالـلـيل نَـاراً

فعطفَ على «كلّ» وعلى الفعل.

وأما قوله:

* غَدَتْ مِنْ عليه بعد ما تمَ خِمْسُهَا *

فالخِـمْسُ: ظمءُ من أَظْمَائِهـا، وهو أن تَرِدَ ثم تُغَبَّ ثلاثا. ثم تَرِد. فـيُبْـتَدُّ بيَوْمَىْ ورْدِها مع ظمْئها. فيقال: خمْسٌ، والرِّبْع كحُمَّى الرِّبْعِ.

وقوله: «تَصِلُّ» أى تَسْمَعُ لأجوافها صَلِيلا من يُبْس العطَش، يقال: المسمار يصِلُّ فى الباب إذا أُكْرِهَ فيه. قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَته فى هجَائه الفرزدق:

لو كنتَ حين غُـرِرْتَ بَـيْنَ بُيُـوتِنَا ... لَسَمِـعْتَ من وَقْع الحَديدَ صَـلِيلا

ويقال للحمارِ: الْمصَلْصِل. إذا أخرج صوتَه من جوفه حاداً خفيًّا.

قال الأعْشَى:

عَنْتـريس تَعْـدُو إذا حُـرِّكَ السَّـوْ ... طُ كـعَـدْو المصَـلْصِلِ الجَـوَّالِ[٢]

وقال المفسـرون فى قوله عز و جل: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[٣]. قالوا[٤]: هو الطين الذى قد جَفَّ، فـإذا قَرَعَهُ شىءٌ كان له صَلِيلٌ. وتفـسيرُ ذلك عند العربِ التِّقْنُ[٥] الذى يَذهب عنه الماءُ فى الغدرانِ فيتَشَقَّقُ ثم يَيْبَسُ.

والقَيْض: قشْرُ البيضة[٦] الأعلى، والذى يَلْبَسُ البيضـةَ فيكونُ ما بينها وبين قشرها الأعلى. يقال له: الغرْقِىءُ. يقال: ثوبٌ كأنه غِرْقِىءُ البيض[٧].

والزِّيزَاءُ: ما ارتفعَ من الأرض: وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة والنكرة، إذا كان لمذكر. كالـعِلْباء والحِرْباء، وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مُـفَسَّرًا، على أنَّا قد استقصيناه فى الكتابِ (المقْتَضَب).

---

(١) سورة الجاثية ٥ . بنصب «آيات». وهى قراءة حمزة والكسائى والباقون بالرفع وانظر الكشاف ٤ : ٢٢٥.

(٢) ديوانه ٨ قال فى شرحه: «عنتريس: صلبة قوية، أخذه بالعرندسة. إذا أخذه بالجفاء والغلظ، والمصلصل: الصافى الصوت: قال: وليس هذا بالوصف الجيد».

(٣) سورة الحجر ٢٦ .

(٤) ر : «قال».

(٥) التقن: اسم للطين الذى يذهب عنه الماء.

(٦) ر: «البيض».

(٧) ر: «بيض».

والمَجْهَلُ: الصحراء التى يُجْهَلُ فيها، فلا يُهْتَدى لسَبيلها.

ويقال للشىء إذا غَبَّ وتغيرت رائحتُه. صَلَّ وأَصَلَّ. فهوَ صالٌّ ومُصَلٌّ ويقال: نَتَنَ وأنْتن. ويقال: خَمَّ وأخَمَّ. وذاك إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ. ويقال إذا عَتَقَ اللحم فتغير: خَنِزَ وخزِنَ. وبيتُ طَرَفَة أحسنُ ما يُنْشَدُ:

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها إنما يَخْنز لَحْمُ المدَّخرْ

ويقال لربِّ البيت وربَّة البيت اللَّذَين ينزل بهما الضَّيفُ: هى أُمُّ مَثْوَاهُ. وهو أبو مَثْوَاهُ. وأنشد أبو عُبيدةَ:

مِن أُمِّ مَثْوَى كريم قد نزلْتُ بها إنَّ الكريم على عِلاتِهِ يسعُ

وفى كتاب الله جل وعزَّ: ﴿أَكْرِمى مَثْواهُ﴾ معناه عند العربِ إضافتُه.

* * *

ومن التشبيه المطردِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيرِ الناقةِ وحركة قوائمها، قال الراجزُ:

كأنها ليلة غب الأزرق وقد مددنا باعها للسُّوَّق

* خَرْقاء بين السُّلَّمَيْن تَرْتَقى *

قوله: «ليلة غبَّ الأزْرَق»، إنما يعنى موضعًا، وأَحْسِبُه ماءً، لأنهم يقولون: نَطْفَةٌ زَرقاءُ. وهى الصافيةُ، قال زهير:

فلمَّا وَرَدْنَا الماءَ زُرْقًا جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ(١)

وقال آخرُ:

فأَلْقَتْ عصا التَّسْيار عنها وخيَّمَتْ بأَرْجاءِ عَذْبِ الماءِ زُرْقٍ مُحافِرُ

وقوله:

وقد مددنا باعها للسُّوَّق

(١) ديوانه ١٣ : الجمام: ما اجتمع من الماء الواحدة جم وجمة، وضعن. أى أقمن، والحاضر. الذين حضروا الماء. والمتخيم. المقيم (من شرح الديوان).

يقول: استفرغنا ما عندَها في[1] السَّير. يقال: تَبَّوعَتْ وانْبَاعَتْ، إذا مدَّتْ باعَها.

وقوله: خرْقاءُ بين السُّلَّمَيْن تَرْتقى

يقول: لكثرةِ حركة الخرقاء وقلةِ حذْقها بالصُّعود.

وقال الآخرُ:

كــأنَّهَــا نائحــةٌ تَفَــجَّع تَبْكِي بشجوٍ وسِواهَا الموجع[2]

* * *

وقال الشَّماخُ:

كــأنَّ ذِرَاعَــيْهــا ذراعــا مُــدِلَّة بُعَيْدَ السِّبَاب حاولَتَ أَنْ تَعَـذَّرَا[3]
من البيضِ أعطافًا إذَا اتَّصلَتْ دَعَتْ فرَاش بن غَنْمٍ أو لَقيطَ بَن يَعمرَا[4]
بهَـا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَان وَعَنْبَر أطارتْ من الحسْنِ الرِّداءَ المُحَبَّرا[5]
تقولُ وَقد بَلَّ الدُّموعُ خِمارَهَا أَبَى عِفَّتي ومَنْصِبِي أن أُعَيَّرا
كأنَّ بذِفْرَاها مَنَاديلَ فَارقَتْ أَكُفَّ رجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبرَا
كـأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِهـا إذا هو لم يكْلِمْ بِنَابَيْهِ ظَفَّرَا

شَبَّه يديها بيدَىْ مُدلَّة بجمال ومنصب قد سابَّتْ وأقبلتْ تعتذر وتشير بيديها. فَوصَف جمالهَا الذى به تُدلُّ؛ ومَنْصِبَها المتصلَ بمن ذَكَرَتْهُ.

وقوله:

* أطارتْ من الحسن الرداء المحَّبرا *

---

(١) ر: «من السير». (٢) ر: «لشجو».

(٣) ديوانه ٢٩. قال فى شرح الديوان: شبه ذراعيها وهى تتذرع فى سيرها بذراعى امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقوله: «بعيد السباب». أى فى عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس».

(٤) قال فى شرح الديوان: «البيض: جمع بيضاء. وهى نقية العرض من الدنس. والأعطاف: الجوانب واتصلت: انتسبت؛ وفراس: رجل عزيز. بالفتح. وهو ابن تغلب. ولقيط بن يعمر رجل أيضا عزيز. و «أو» بمعنى الواو. أى أنها شريفة النسب. فهى لا تقصر عن نفى ما رميت به».

(٥) الديوان: «لها شرق». والشرق: الضمخ. وأطارت: رمت. والمحبر: المزين. أى أنها مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر؛ لأنها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها. (من شرح الديوان).

يقول: هى مُدِلَّةُ بجمالهـا. فلا تَخْتَمِر فَتسْتُرَ شيـئا عن الناظر. لأنها تَبْتَهج بكل ما فى وجهها ورأسها.

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبى ربيعةَ المخزوميُّ حيثُ يقولُ:

فلمـا تَوَاقَـفْنا وسَلَّمْت أقـبلتْ   وجُـوهٌ زَهاها الحُسْن أن تَـتَـقَنَّعَـا
تَبَـالَهْنَ بالعـرفـان لَمَّا عَـرَفْنَنى   وقلْنَ امـرؤٌ باغ أكَلَّ فـأَوْضَـعَـا
وقـرَّبن أسبـابَ الهـوَى لمـقَـتَّلٍ   يَقـيسُ ذراعًا كـلما قـسْن إصْبَعَـا
[فـقلـتُ لِمُطْرِيـهنَّ ويْحَـكَ إنما   ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفعاً فتَنفْعَا](١)

قوله:

كـأَنَّ بذفْـرَاهـا مناديل فـارقتْ   أَكُفَّ رحالٍ يعْـصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا(٢)

يقول: لسَوَادِ الذِّفْرَى. وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بن حَجَر:

كَـأَنَّ كُـحَـيْـلا مُـعْـقَـدًا أَو عَنِيَّـةً   على رَجْع ذِفْراها مِنَ اللِّيت واكِفُ(٣)

وهذا معنَى يُسألُ عنه لأن اللِّيـتْين صفحتَا العُنُق. والذَّفْـرَى فى أعلى القفا، فكيف يكفُ على الذفْرى مـن اللِيت! والمعنى إنما هو كأنَّ كُحَـيْلا مُعْقَـدًا أو عَنِيَّةً واكفٌ على رجْعِ ذِفْرَاها.

وقـوله: «من الليت» كقـولك: كـموضع دجْلة مـن بغدادَ، إنما هو للحَـدِّ بينهما، لا أنه وَكَفَ من شيءٍ على شيءٍ.

وأما قوله:

كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحْتَ غَـرْضِها   إذا هو لم يَكْـلِمْ بنابيْـهِ ظَـفَّـرَا(٤)

يقـول: ليستْ تَسْتَـقِرُّ. فكأنَّ ابنَ آوَى يَكْلِمُهَا بنَابَيْه أو يَخْلِبهـا بظُفْره. فهى لا تستقرُّ. وقال أوس بن حَجَرٍ:

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٢) الذفرى: من نصف المقذ إلى أصول الأذنين. وقارفت: قاربت. وبعصرون الصنوبر: يستخرجون ما فيه. (من شرح الديوان).

(٣) زيادات ر «الكحيل: القطران. والعنية: ضرب منه».

(٤) موثق: مكتوف. ويكلم: يجرح. وظفر؛ أصابها بأظافيره..

كـأنَّ هراًّ جَنِيـبًا تحتَ غَـرْضَـتِهـا والْتَفَّ دِيكٌ برجليـهـا وخنزيرُ(١)

والغَرْضُ والغُرْضَةُ واحدٌ. وهو حزَام الرَّحْلِ.

* * *

وقال آخرُ:

كـــأنَّ ذراعــيــهــا ذراعـــا بَذِيَّة مُفَجَّعَـة لاقَتْ خَلائِلَ عن عَفْرِ(٢)

سَمعْنَ لَها واستفرغَتْ فى حديثها فلا شىءَ يَفْرِى باليَـدَيْنِ كما تَفرِى

[قال أبو العبـاس: أنشدنيهما عبدُ الصـمد بن الْمعَذَّل. وأنشدنيـه سعيدُ بن سَلْم](٣). ولو قيل إن هذا من أبلغ مـا قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بـعيدًا. وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ وقد فُجِعَتْ بما أَسْـمعَتْ ونيل منها؛ ولقِيَتْ خلائلها بعدَ زمان. وتلك الشكوى كامنة فيها. وأصْغَيْنَ لهَا فتسمّعن(٤).

والفَرْىُ: الشَّقُّ. يقال: فَرَى أوْدَاجهُ، أى قَطَعَ، وفَرَيْتُ الأديم. وإذا قلتَ: أفرَيْتُ. فمعناه أصلحتُ. وقولُ الحـجَّاج: إنى والله ما أهَمُّ إلا مَضَيْتُ ولا أَخْلُق إلا فَرَيْتُ. يقول: إذا قَدَّرْتُ قطعتُ. يقال: فَرَيْتُ القِـرْبة والمزادةَ، فهما مفْرِيتَّانِ، قال ذو الرمة(٥):

* كأنه مِن كُلَى مَفرِيَّة سَرَبُ *

* * *

وقال امرؤُ القيس:

كأنَّ الحَـصَى مِن خلفهـا وأمامـها إذا نَجلَتْهُ رِجْـلُها حَذْفُ أَعْـسَرَا(٦)

---

(١) ر: «ديك بحقوبها».

(٢) الخلائل: جمع خليلة؛ وهن اللائى أصفين الود.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٤) ر: «إليها يتسمعن». (٥) ديوانه؛ وصدره:

* ما بالُ عينك منهَا الماءَ يَنْسكبُ *

والكلى: جمع كلية؛ وهى رقـعة تكون فىَ أصل عروة المزادة. ومفرية: مقطـوعة، وسرب: سائل. (من شرح الديوان).

(٦) ديوانه ٦٤؛ قال فى شرحه: «يقـول: إذا سارت فرقت الحصى إلى كل جهة لشدة سيرهـا، وشبه فعلها ذلك برمى الأعسـر؛ وهو الذى يرمى برجله اليـسرى. وخصـه لأن رميه لا يذهب مـستـمكا. وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به. ومعنى «نجلته» فرقته ورمت به. والحذف: بالحصى ونحوها؛ فإن كان بالعصا وشبهها فهو الخذف. بالحاء غير معجمة.

كَـأَنَّ صَـلِيلَ المَرْوِ حِينَ تُـشِــدُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَـقَـدْنَ بعَـبْقَـرَا(١)

قولـه: «خَذْفُ أعـسَرَا» يريد أنه يذهب على غـير قـصدٍ. وقـوله: «صَلِيلُ زُيُوف» يقال: إن الزائف(٢) شَديدُ الصوت صَافيه.

* * *

وقال آخر:

كَـأَنَّ يَدَيْهَـا يَدَا مَـاتِحٍ(٣) أَتَـى يَـوم وِرْد لِـغِـبّ زرَودا
يخَـافُ الـعِـقَـابَ وفى نفـسِـه إذا هـو أَنْهَـلَ أَلَّا يَـعُـودا

يقول: هذا السـاقى يخافُ العقابَ إن قَـصَّرَ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيـةً، فهو يستسقى(٤) سقية فى مرة واحدة.

* * *

وقد أكثروا فى هذا. فمن الإفراطِ فى السرعة قولُ ذى الرُّمَّة:

كَـأَنَّه كَـوكَبٌ فِـى إثْرِ عِـفْـرِيَةٍ مُـسَوَّمٌ فى سَـوادِ اللَّيل مُنْقَـضِبُ

يقال: عِـفْريتٌ وعِفْرِيَةٌ فى مـعنًى واحد. والتاء فى «عـفريت» زائدةٌ. وهو ملحقٌ بـ «قنديل». يقال: فلانٌ [عِـفْرِيَةٌ زِبْنِيَةٌ، والزِّبْنِيَة: المُنكَر، وجمـعه زَبَانِيَةٌ. وأصله من الحركة. يقال: زَبَنه، إذا دَفَعَهُ، ويقال](٥): عِفْرِيَة نِفْرِيَةٌ، على التوكيد. [وعِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ. ويقال: عُفَارِيةٌ، ولم يُتْبَعْ بِنُفَارِيةٍ](٦).

* * *

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئَة:

(١) قال فى شـرح الديوان؛ «شبـه صوت الحجـارة إذا رمت بها ووقوع بعـضها على بـعض بصوت الدراهم الزيوف؛ إذا انتقدها الصيرف وقلبها. والزيوف: الرديئة. واحدها زائف وزيف. وإنما خصها لأن صوتها أشد من صـوت غيرها لكثرة نحـاسها. والصليل: الصوت. والمرو: الحـجارة. ومعنى «تشده» تـفرقه. وعبقر: موضع باليمن. وكانت دراهمه زيوفا».

(٢) ر: «الزيف».

(٣) الماتح: المستقى بالدلو من أعلى البئر. وزرود: اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٤) ر: «فهى تستقى».

(٥) ما بين العلامتين من زيادات نسخة ر.

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

وإن نَظَرَتْ يومًا بمؤْخِرِ عينها   إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له ابْعَدِ

ومن الإفراط قوله :

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الْحبارَى كأنه   بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ[1]

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأطْواءِ أطْواء ضَارجٍ   تساقِطني والرَّحْلَ مِن صوتِ هُدْهَدِ

وقال آخر :

مَروحٌ برجليها إذا هى هَجَّرتْ   ويمنعُها مِن أن تَطِيرَ زمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَرْوحٌ تَغْتَلى فى البِيدِ حَرْفٌ   تكاد تَطيرُ مِن رأْيِ القَطيع

وكذلك الأعرابىُّ الذى يقول :

* لو تُرْسَلُ الرِّيحْ لَجِئْنَا قبلَها *

وقد مضى خبَرُه .

وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأجْوَده قولُ امرئِ القيسِ :

وقدْ أَغْتَدِي والطير فى وكُناتِها   بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْد.

* * *

وحُدِّثْتُ أَن رجلا نظر إلى ظبيةٍ تَرُودُ فقال له أعرابىٌّ: أتحبُّ أَن تكون لك؟ قال: نعم، قال: فأعطنى أربعَ دراهمَ حتى أردَّها إليك. ففعل. فخرجَ يَمْحَصُ[2] فى إثْرِها. فَجدَّتْ وجَدَّ، حتى أخذ بقَرْنَيْها. فجاء بها وهو يقولُ:

وَهْيَ على البُعْدِ تُلَوِّى خَدَّها   تُرِيغُ شَدِّى وأُرِيغُ شَدَّهَا

* كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّهَا *

---

(١) القردد : ما غلظ من الأرض .

(٢) يقال: محص الظبى فى عدوه يمحص محصا: أسرع وعدا عدوا شديدا، وفى ر : «يفحص» .

قال أبو العباس: ومن حُـلوِ التشبيه وقريبِه، وصـريحِ الكلامِ وبليغه[1] قولُ ذى الرُّمَّة:

ورَمْلٍ كـأوراكِ العَـذارَى قطعـتُـه   وقـد جلَّلَتهُ المُظْلِمـاتُ الحنادِسُ[2]

الحِنْدسُ: اشتداد الظُّلمَة، وهو توكـيدٌ لها، يقال: ليلٌ حِنْدِسٌ. وليلٌ أَلْيَلُ. كما يقالَ: ليل[3] مُظْلِمٌ.

* * *

وقال الشَّماخُ فى صفة الفَرَس:

مُـفِجٌّ الحَـوَامِى عن نُسُـور كـأَنَّهـا   نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

قولـه: «مُفِجُّ الحوامِـى» يريد مُفَـرِّقُ الحوامى. فالحـوامى: نواحى الحـافر. والنسُورُ. واحـدُها نسْرٌ. وهى نُكْتَةٌ فى داخل الحـافر. ويُحْمَـدُ الفرسَ إذا صَلُبَ ذلك منه، ولذلك شُـبِّهَ بنَوَى القَـسْب[4]. وتَرَّتْ: سَقطتْ. والجَـرِيمُ: المَصْرُومُ. والمُلجْلَجُ: الذى قد لُجْلجَ مَضْغًا فى الفمِ ثم قُذِفَ لصلابته.

وقوله: «مُـفِجٌّ» ليس يريدُ الذى هو شـديدُ التَّفـرقة. ولكن الانفـصال عن النَّسْر. فـإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسـفلُه فذلك الرَّحَحُ[5]. وهو مذمـومٌ فى الخيل. وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له: مُضْطَرٌّ. وكان عيبًا قبيحًا. قال حُمَيْدُ الأرْقَطُ:

لا رحح فـيـهـا ولا اضطرار   ولم يقلـب أرضـهـا البـيطار[6]

[* ولا لِحَبْلَيْه بها حَبَارُ *]

الحبـار: الأثَـر][7]. ويـروى: «ولم يقلم[8]». وتأويل ذلك: أن حـوافرَها

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) يقول: هذا الرمل حقف كأوراك العذارى. جللته: لبسته. الحنادس. الليالى المظلمة. والحندس: الظلام. (من شرح الديوان).

(٣) ر: «وليل أليل مظلم». س: «وليل أليل. وهويم. كما يقال: ليل مظلم». وما أثبته عن الأصل.

(٤) القسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم. ونواه أصلب النوى.

(٥) الرحح: انبساط الحافر فى رقة.

(٦) ر: «ولم يقلم».

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٨) ر: «ولم يقلب».

لا تَتَشَعَّثْ فيقلِّمها البَيْطار. لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شيءٌ بعدَ شيء فمَحقَها. وقال عَلْقَمةُ بن عَبَدَة:

لا فى شظاهَا ولا أَرْساغِها عَنَتٌ ولا السَّنابِكُ أفناهن تَّقليم(١)

وإنما يُحْمَدُ الحافرُ المُقَعَّبُ. وهو الذى هَيْئَتُهُ كهيئة القَعْبِ. وإن كان كذلك قيلَ: حافِرٌ وأَبٌّ(٢). قال ابن الخَرِع(٣):

لها حافرٌ مثل قَعْبِ الوَليدِ يَتَّخِذُ الفَأرُ فيه مَغَارَا

يريدُ: لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ. كقول القائل: فأتى بَجفنَةٍ يقْعدُ عليها عَشرةٌ. أى لو قعَد عليها عشرة لصَلَحَ. وقال الراجزُ:

* وأبٌ حَمَتْ نُسُورُه الأوْقارَا *

[يقال: حافرٌ مَوْقُورٌ. وهو أن يُصيبَه داءٌ يشبهُ الرَّهْصةَ](٤) وفى كلِّ حافرٍ حاميَتان. وهما حرفاهُ مِنْ(٥) عَنْ يمين وشمال. ومُقَدَّمُه السُّنْبُكُ. ومؤُخَّرُه الدابِرَةُ.

ومثل قوله: «عن جَريم ملجج» قولُ عَلْقَمَة بن عَبَدَة:

سُلاَّءَةٌ كعَصَا النَهْدِىِّ غُلَّ بها ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ(٦)

شبَّهها بالشَّوكة من شوك النخل؛ لأن الفرسَ الأنثى يُحْمدُ منها أن يدقَّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاء إلى مؤخَّرها. والحَمَامُ يُحْمَد منهنَّ أن يَعْرُضَ الصَّدْرُ ثم ينخرط إلى ذنبه ضُمورًا. فيقال فى صفته: كأنه جلَمٌ.

وقوله: «كعَصَا النّهدىّ». يريدُ فى الصلابة. كما قال:

* وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِرَاوةِ صلدم *

وقوله: «ذو فيْئَةٍ من نَوى قُرَّان» يقول: ذو رَجْعةٍ. يقول: مَضَغَتْه الإبلُ فلم

---

(١) رواية المفضليات ٤٠٣ : «ولا أرساغها عتب»؛ والعتب: العيب. والشظى: عظم لاصق بالركبة. والسنابك: مقاديم الحوافر؛ يقول: هى وافية السنبك لم تأكله الأرض.

(٢) حافر وأب: صلب قوى.

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع. من بنى تيم من عبد مناة.

(٤) ما بين العلامتين تكملة من س وزيادات ر .

(٥) ساقطة من ر .

(٦) السلاءة : شوكة النخل .

تَكْسِرُه ثم بَعَرَتَهُ صَحَاحًا. ومعجومٌ: ممضُوغٌ. يقـال: عَجَمْتُه أعْجُمه عَجْمًا[1] إذا مضغـتهَ. فالعَجمُ، ويقـال للنَّوى من كلّ شىء: العَجَمُ، متـحرِّكُ الجيم[2]. قال الأعشى:

* وجُذعانُها كلَقيطِ العَجَمْ *

وقال النابغةُ:

وظلَّ يَعْـجُمُ أَعلى الرَّوْق مُنْقَـبِضًـا في حَالِك اللَّوْن صَـدْق غيرِ ذى أوَدِ

ومثلُ البيت الأول قولُ عُقْبة بن سبقٍ العَنَزيّ:

لهُ بَـيْنَ حَـــواشـــيِـــه نُسُـــورٌ كَـنَوَى الـقَـــسْبِ

فهذا تشبيه مقاربٌ جداً.

* * *

ومن التشبيه الحسن قولُ الشاعر[3]:

كــأَنَّ الَمـتَن والشَّــرْخَــيْن منه خـلافَ النّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ

يريدُ سهـمًا رُمِيَ به فأنفذَ الرَّمـيَّةَ وقد اتصَلَ به دمُهـا. والمتن: متن السهم. وشَرْخُ كلِّ شىء: حَـدُّه. فأرادَ شَرْخَى الفوق. وهمـا حرفاه. والَمشِيجُ: اخـتلاط الدَّم بالنُّطفَة. هذا أصلُه. قال الشماخ:

طَوَتْ أَحْـشَـاءَ مُـرْتَجَـةٍ لوقْتٍ على مَـشَجٍ سُـلالُتـه مَـهِينُ

وقال الله جـل وعز: ﴿منْ نُطْفَة أَمْشَـاجٍ نبتَليه﴾[4]. وفي الحديث: «اقتلوا مَسَّانَ المشركين واستَبْقُوا شَرْخَهُمْ»[5]. أى الشَّبَابَ، لأن الشرْخَ الحَـدُّ. قال حَسَّانُ ابن ثابت:

---

(١) ساقطة من ر. وهى فى الأصل. س. (٢) ر: «العين» وهما بمعنى.

(٣) فى زيادات ر: «هو الشماخ». والبيت ليس فى ديوانه؛ وهو لـعمر بن الداخل الهذلى؛ ديوان الهـذليين ٣ : ١٠٤، وروايته:

كـــأن الـريش والفــــوقين مـنه خـــلاف النصل ســيط به مـــشـــيح

وهو أيضا بهذه الرواية فى ١٢ : ١٩٥ من غير نسبة.

(٤) سورة الإنسان.

(٥) أورده ابن الأثير فى النهاية ٢ : ٢١٠. وقـال فى شرحه: «أراد بالشيـوخ الرجال، المسَّان هو هل الجلد والقوة على القتال. ولم يرد الهرمى. والشرخ: الصغار الذين لم يدركوا».

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْودَ ما لم يُعاصَ كان جنُونًا

قال أبو العباس: وأنشدنا عمرو بن مرزوق. قال: أنشدنا شعْبَة. قال: أنشدنا سمرأ بن حرب فى هذا الحديث:

إنَّ شرْخ الشباب تألفُهُ الْبيضُ ... وشيْبُ القذالِ شىءٌ زهيد

فأما قولُ الشَّنْفَرى:

كأنَّ لها فى الأرض نسْيًا تَقُصُّهُ ... على أمِّها وإنْ تُحدِّثْكَ تَبْلتِ

فإنما أرادَ شدَّةَ استحيائها. يقول: لا تَرْفعُ رأسَها، كأنها تُطلبُ شيئًا فى الأرض.

والنِّسيُ على ضربين: أحدُهما ما تقادم عَهْدُهُ حتى يُنْسى. والآخر ما أضلّهُ أهلهُ فيْطُلبُ ويُطمعُ فيه. وتَقُصُّهُ: تَتَّبعُهُ. قال الله جل وعز: ﴿**وقالتْ لأخْتهِ قُصِّيه**﴾(١) أى اتّبعِى أثَرَهُ؛ والأمّ: القصد.

وقولُه: «وإن تُحَدِّثك تَبْلتِ»: تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائها.

وأنْشدَ بشَّارُ بن بُرْد الأعمى قولَ كُثَيِّر:

ألا إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرانةٍ ... إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تلينُ(٢)

قال: فقال: لله أبو صَخْرٍ! جلعها عصا. ثم يَعْتَذرُ لها! والله لو جعلَها عصًا من مُخٍّ(٣) أو زُبْدٍ لكان قد هَجَّنها بالعَصَا. ألا قال كما قلتُ:

وبَيْضاء المَحَاجِر من مَعَدّ ... كأنَّ حديثَها قطَعُ الجنَان
إذا قامت لسُبْحتِها تثنَّتْ ... كأن عِظامَها من خيزَرَانِ(٤)

والخيزُرانةُ: كلُّ غُصْنٍ لِيِّنٍ يَتَثَّى. ويقال للمُرْدِيِّ: خيزرانةٌ؛ إذا كانَ يتثَّنى إذا اعْتُمدَ عليه. قال النابغةُ:

---

(١) سورة القصص ١١ .

(٢) قبله .

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا ... وتطمع فينا ألسن وعيون

(٣) ر : «من مخ» .

(٤) السبحة : صلاة النافلة.

يَظَلُّ من خوفِه الملاح معتصما[1] بالخَيْزُرانَةِ بعد الأيْنَ والنَّجدِ[2]

الأيْنُ: الإعياءُ. والنَّجَد: العَرَقُ[3].

* * *

وقد عاب بعض الناس قول كُثَيِّر:

فما رَوْضَةٌ بالحَزْن طَيِّبَةُ الثَّرى يَمجُّ النَّدَى جَثْجَاثها وعَرَارُها[4]

بمُنْخَرَق من بَطْن واد كأنَّما تلاقَتْ به عطَّارَةٌ وتجارها

بأطْيَبَ من أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنا وقد أوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُهَا

وحكى الزُّبيريون أن امرأةً مدينية عَرَضَتْ لكُثَيِّر فقالت: أأَنْتَ القائلُ هذين البيتين؟ قال: نعم. قالت: فَضَّ اللهُ فاكَ! أرأيتَ لو أَنَّ زَنْجيَّةً بخَرَت أردانَها بَمنْدلٍ رَطْبٍ أمَا كانت تطيبُ! ألا قلتَ كما قال سَيِّدك[5] امرؤ القيس:

ألم تَرَ أَنِّى كلما جِئْتُ طارِقًا وَجَدْتُ بها طِيبًا وإن لمْ تَطَّيبِ[6]

قوله: «جثجاثها وعرارها» الجثجاث: ريحانة طيبة الريح برية؛ من أحرار البقل؛ قال جرير يهجو خالد عينين العبدى:

كم عَمَّة لك يا خُلَيْدُ وخالة خُضْرٌ نَواجِذها من الكُرَّاثِ

نَبَتَتْ بمَنْبِتِه فطابَ لِريحهَا ونأَتْ عن القَيْصُومِ والجَثْجَاثِ

وإنما هجاه بالكُرَّاث لأن عبد القيس يسكنون البَحْرَيْن. والكُراثُ من أطعمَتهم. والعامة يُسَمُّونَهُ الرَّكْلَ والرَّكَّالَ. قال أحدُ العَبْديِّينَ:

ألاَ حَبَذا الإحْسَا وطِيبُ تُرابها ورَكَالها غادٍ علينا ورائحُ[7]

---

(١) ر: «معتمدا»؛ وما أثبته رواية الأصل والديوان.

(٢) الملاح: صاحب السفينة. والخيزرانة: السكان؛ وهو ذنب السفينة.

(٣) النجد: العرق والكرب.

(٤) الحزن: موضع لبنى يربوع. فيه رياض كثيرة.

(٥) ساقطة من ر.

(٦) قبله:

خليليَّ مُرَّا بى علَى أمِّ جُنْدَبِ لنَقْضِى لبانات الفؤاد المعذَّبِ

وانظر تفصيل الخبر فى الأغانى ١٤: ٥٧ طبعة الساسى. والموشح للمرزبانى ١٥١ - ١٥٣.

(٧) الإحساء: مدينة بالبحرين.

وقولُ كُـثير: «وعَـرَارُها» فالعَـرَارُ البَهارُ البَـرّيُّ. وهو حَسَنُ الصُّـفْرَةِ طيِّب الرِّيحِ. قال الأعشَى:

بَيـضاءُ ضَـحْوَتَهـا وصَفْـــــــــ ـــــــــراء العَـشيَّـة كـالعَـرَارَه[1]

وقولُـه: «مَوْهنًا» يريد بعـدَ هدْى من الليل[2]. يقـالُ: أتَانَا بعـد هدئٍ من الليلِ. وبعد وَهْنٍ منَ اللَّيْل[3]. أَىْ بعدَ دخولنا فى الليل. وأنشدَ أبو زيد:

هَبّتْ تَلومُك بعـد وَهْنٍ فى النَّدَى بَسْلٌ عليـك مـلامـتِى و عِـتـابى

والمَنْدَلُ: العُودُ. يقال له: المَنْدَلُ والمَنْدَلِىُّ. قال الشَّاعِرُ[4]:

أَمِـــنْ زَيـــنـبَ ذى الـــنَّـــار قـبَـيْـل الصبح مـا تخـبُـو
إذَا مــــا خَــمَــــدَتْ يُلْـقَى علـيــــهــــا المَنْدَلُ الـرَّطْبُ

قال أبو العباس: «ذى» معناه «ذه» يقال: ذَاَ عبدُ الله، وذى أَمَةُ الله. وذهْ أَمَةُ الله. وتهْ أَمَـةُ الله. وتَا أمَةُ الله؛ فـإذا قلتَ: هذا عـبد الله: فَـالاسمُ «ذا» و «ها» للتنبيه. وعلى هذا القول[5]: هذى أَمَةُ الله [وهذه أمَةُ الله][6]. وإن شئتَ أسكَنت فى الوصل فـقلتَ: هذه أَمَةُ الله. وإذا قلت: هذهِى أَمَـةُ الله. فاليـاءُ زائدةٌ. لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لَفظ المضـمرِ شبَّهوها به فى زيادة اليـاء، نحوَ: مررتُ بِهِى يافتى! ولا[7] يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءَ فى «هذه» على قـول مَنْ قالَ: مررتُ بهُو. لأن هاءَ الإضمارِ أصلها الضم. تقولُ: رأيتَهو يافَتى. ورأيتُهُم يافتى! وهذه الهاءُ ليستْ مِنْ هذه. إنما هى مـشبَّهـةٌ، وتقولُ: هاتِهِ هـندٌ. وهاتى هند. وهاَتَا هندٌ. على زيادة «ها» للتنبيه. قال جريرٌ:

---

(١) العرار: شجر له نور أصفر قدر شبر؛ وقبله:

يا جـــارتى مـــا كنت جـــاره بانـت لتـــحـــزننا عـــفـــاره
تـرضـــــــــيك مـن دل ومـن حـــسـن مـــخـــالطـه غـــراره

وانظر ديوانه ١١١.

(٢) من الليل. ساقط من ر.

(٣) «من الليل». ساقط من ر.

(٤) ينسب البيتان لعمر بن أبى ربيعة. وهما فى ملحق: ديوانه ٤٧٨.

(٥) ر: «تقول».

(٦) تكملة من نسخة الأصل.

(٧) ر: «لا يجوز» بدون الواو.

هذى التى جدعت تيما معاطسها ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى[1]

وقال عِمْرانُ بن حِطَّان:

وليس لِعَيْشِنَا هذا مَهَاهٌ وليستْ دارُنَا هاتَا بِدَار

قال أبو العباس: النحويون يُثْبِتون الهاءَ فى الوصلِ فيقولون: مَهَاهُ. وتقديرُه: «فَعَالٌ». ومعناه اللمْعُ والصَّفَاء[2]. يقال: وَجْهٌ له مَهَاهٌ يافتى! والأصمعىُّ يقولُ: مَهَاة. تقديرُها «حَصَاة». يجعلُ الهاءَ زائدة. وتقديرها فى قوله[3]: «فَعَلَةٌ» والمَهَاةُ: البِلَّوْرةُ. والمَهَاةُ: البقرة الوحشيةُ. وجمعُها «المَهَا»[4].

فإذا صغَّرتَ: «ذهْ». قلتَ: تَيَّا. كأنك صغَّرتَ «تَا». ولا تُصَغِّر «ذهْ» على لفظها. لأنك إذا صغَّرتَ «ذَا» قلت: «ذَيَّا». فلو صغَّرتَ «ذى». فقلت: «ذَيَّا». لالْتَبَسَ المؤنث بالمذكر. فصغَّرُوا ما يخالف فيه المؤنث المذكَّر.

وهذه المبهمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك فى باب نُفْرِدُه له إن شاء الله.

* * *

عاد القولُ إلى التشبيه.

أَنشدَتْنِى[5] أمُّ الهَيْثَم فى صفة جَمَلٍ:

كأَنَّ صوتَ نابِه بنابِهِ صَرِيرُ خُطَّافٍ عَلى كُلاَّبِهِ

أرادتِ الصريفَ. وهو أن يَحُكَّ أحدَ نابَيْه بالآخرِ.

---

(١) يهجو التيم. وقبله:

ما بين تيم وإسماعيل من نسب إلا القرابة بين الزنج والروم
إن ابن تيم لمنسوب لوالده دانى القرابة من حام ويحموم

وانظر ديوانه ٤٨٩ ـ ٤٥٠.

(٢) ر: «والبهاء».

(٣) «فى قوله» ساقط من ر.

(٤) زيادات ر: «حكى يعقوب بن السكيت: «مهاة». من أسماء الشمس. وأنشد:

ثم تجلو الظلام رب رحيم بمهاة ضياؤها منشور

(٥) ر: «وأنشدتنى».

وقوله: «صريرُ خطافٍ على كُلابِهِ» فالخُطَّافُ ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ. والكُلاَّبُ ماوَلِيه.

وقد قال النابغةُ:

مـقذوفـةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُهـا ... له صَـرِيفٌ صَرِيفَ القـعْوِ بالمَسَـدِ

القعْـوُ: ما تدورُ عليه البَكْرةُ إذا كان من خَـشَب. فإن كان من حديـدٍ فهو خُطَّاف. وإن دارت على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى الدَّرَكَ.

وقوله: «مقذوفـة» يقول: مَرَمِيَّةٌ باللحم. والدَّخيسُ: الـذى قد رَكبَ بعضهُ بعضًـا. والنَّحْضُ: اللَّحْم. وبازلهَا: نابُها. ومـعنى بزَلَ، وفطَرَ. واحدٌ. وهو أن ينشقَّ الناب؛ قال ذو الرُّمَّة:

كــأنَّ على أنيــابهـــا كلَّ سُـدفـــةٍ ... صِياحَ البَوَازِى من صَرِيفِ اللَّوائك(١)

ويقولُ: مما تَـلُوكهُ. ويقال في الغـضَب: تركتُ فلانًا يَصْـرِفُ نابُهُ عليكَ. ويَحْـرُق ويَحْرُقُ. ورأيتُـه يَعَضُّ عليك الأرَّمَ. قـال زهيـرٌ في مـدحه حـصْنَ بن حُذَيْفَةَ(٢):

أَبَى الضَّيْـمَ والنُّعْمانُ يحْـرِق نابُهُ ... عليه فـأَفْضَى والسُّيوف مَـعاقِلُهُ(٣)

وقال آخرُ:

نُبِّــئْتُ أَحْـمَــاء سُلَيْـمَى أَنَّـمـا ... ظَلُّوا غِــضَــابًا يَعْلُكُونَ الأرَّمَـــا

وقال بعضُ النحويين: يعنى الشِّفَاهَ. وقال بعضُهم: يعنى الأصابعَ.

فأما قـولُهم: «عَضَّ على ناجذه» وهو آخرُ الأسنان، فـيكونُ على وجهين: أحدُهما أنه قد احتَنَكَ وبَلَغ، والآخرُ: أن يكونَ للإطْراق والتَّشَدُّد.

ويُروى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقولُ: إذا لقيتُم القومَ فاجمَعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّواجِذِ، فإن ذلك يُنْبِى(٤) السيوفَ عن الهَامِ.

---

(١) السدفة: بقية من سواد الليل؛ فشبه أنيابه بأصوات البزأة؛ يقال: لاك يلوك؛ إذا مضغ (من شرح ديوانه).

(٢) زيادرات ر: «ابن بدر الفزارى».

(٣) أفضى: سار إلى الفضاء. وقبله:

من مـثل حـصن في الحـروب ومـثله ... لإنكـار ضـيم أو لأمـر يحـاوله

(٤) ر: «يثنى».

ثم نعود إلى التشبيه.

قال الراجز[١]:

كـأنَهَّـا حين بنـاها الْبَـاس[٢] جِنِّيَّـة فى رأسـها أَمْـرَاسُ
بهـا سُكُونٌ وبهـا شـمَـاس[٣] يَخْـرُجُ منهـا الحَـجّرُ الـكُبَـاسُ
يَمُـرُّ لا يحْـبِسُـهُ حَبَّـاسُ لا نَـافِـذُ الطّـعْنِ ولا تَـرَّاسُ

يصفُ المَنْجَنيقَ. والأمراسُ: الحبالُ، والواحدُ مَرَس[٤]، والكُبَاس: الضخم. قال: هامةٌ كبْسَاءُ يا فتى؛ ورأسٌ أَكبَسُ. والحبَّاسُ: الذى من شأنه أن يَحْبس. يقال: رجلٌ ضاربٌ للذى يضربُ كثيراً كان منه ذلك أو قليلا، فإذا قلتَ: ضَرَّابٌ وقَتَّالٌ. فإنما يُكثِرُ الفعلَ، ولا يكونُ للقليل.

قال الراجز:

أَخْـضَـرُ مِن مَـعْدنٍ ذى قُسَـاسِ كـأنه فى الحَـيْـدِ ذى الأضْـراس

* يُرْمَى به فى البلدِ الدَّهَّاس *

يصفُ معْولا. وذو قُسَاسٍ: مَعدنٌ للحديد الجيِّد. وهو يقْربُ من بلاد بنى أَسَد. والحَيْدُ: ما أشرفَ من الجبلِ أو غيرِ ذلك، يقال للطُّنُف حَيْدٌ. وهو الذى يسمِّيه أهلُ الحَضَرِ الإفْريزَ؛ يقالُ: طَنِّفْ حائطَك، ويقال للنَّاتِئ فى وسَط الكَتف: حَيْدٌ وعَيْرٌ. وكذا الناتئُ فى القَدَمِ. وقوله: «ذى الأضراس» يريد الموضعَ الضَّرسَ الخشنَ ذا الحجارة. فيقولُ: هذا المعْوَلُ لحدَّته يَقعُ فى الخشونة فيَهْدمُها كما يهدمُ الدَّهَّاسَ. والدهاس: ما لان من الرملِ. قالَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةَ فى يوم حُنَيْنٍ: أينَ مُجْتَلَدُ القوم؟ فقالوا: بأَوْطاس[٥]. فقال: نِعْمَ مَجَالُ الخيلِ. لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[٦]. ولا لَيِّن دَهِسٌ!

---

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».
(٢) ر: «تناهى».
(٣) الشماس والشموس. شرود الدابة ونفارها.
(٤) ر: «مرسة».
(٥) أوطاس: موضع فى ديار هوازن.
(٦) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الشديد خشونة.

وقال العَجَّاجُ يصفُ حمارًا :

كـأَنَّ فى فـيـه إذا مـا شَـحَـجَـا　　　عُـودًا دُوَينَ اللَّهَـوَاتِ مـوُلجـا[1]

هذا يصف العَيْرَ[2] الوحْشِىَّ الـذىْ قد أسنَّ[3] تَرَاهُ لا يشتدُّ نهـيقُهُ. وكأنه يعالجه علاجًا. قال الشَّمَّاخ:

إذا رَجَّعَ التَّـعـشـيرَ عَـجًّـا كـأنه　　　بناجذِه من خَلْفِ قَـارِحِهِ شَجِى[4]

فأما قولُ عَنْتَرَة:

بَرَكَتْ علـى مـاءِ الرِّدَاعِ كـأَنَّـمـا　　　بَرَكَتْ على قَـضبٍ أجشَّ مُهَـضَّم

فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها. يقال: إنه يخرجُ منها كأَشْجَى صوت.

فإنما شَبَّهه بالزَّميـر. وأراد القَصَبَ الذى يُزْمَرُ به. قال الأصمعىُّ: هو الذى يقال له بالفارسية «نَاىْ» قال الراعى يصفُ الحادى:

زجلُ الحُـدَاء كـأَنَّ فى حَيْـزُومِـهِ　　　قَـصَـبًا ومـقْنِعَـةَ الحنينِ عَـجُـولا

المَقْنِعُ: الرافعُ رأسَـه فى هذا الموضع. ويقـال فى غـيره: الذى يَحُطُّ رأسَـه استخذاءً وندمًا؛ قال الله عز وجل: ﴿**مُقْنِعى رءوسهم**﴾[5]. ومن قال: هو الرافعُ رأسَـه. فتـأويلُه عندنا أنه يتطاولُ فـينظرُ ثم يُطَأْطِئَ رأسَـه. فـهو بَعْـدُ يَرجعُ إلى الإغْضاء والانكسار.

* * *

والبعيـرُ يحـنُّ كأشـد الحنيـن إلى أُلاَّفِـه إذا أُخِـذَ من القطيـع. قال: وأكثَرُ ما يَحِنُّ عند العطشِ. قال الشاعر[6] :

وتفـرَّقُـوا بعـد الجـمـيـع لنيَّـة　　　لابُدَّ أن يتـفـرَّقَ الجـيـرانُ
لا تصـبـرُ الإبلُ الجـلادُ تفـرَّقَتْ　　　بعـدَ الجـمـيع ويَصْـبـرُ الإنسـانُ

* * *

(١) الشحيج: صوت البغل والحمار إذا أسن.
(٢) ر : «هذا يوصف به العير». وما أثبته عن الأصل. س .
(٣) ر : «إذا أسن».
(٤) التعشير: نهيق الحمار.
(٥) سورة إبراهيم ٤٣ .
(٦) هو مالك بن الصمصامة الجعدى.

وقال آخرُ :

وهل ريبةٌ فى أن تَحِنَّ نَجِيبةٌ إلى إلْفِها أو أن يَحِنَّ نَجِيب!

وإذا رَجَّعَت الحنينَ كان ذلك أحسن صوتٍ يهتاج له المُفارِقون، كما يهتاجون لنَوْحِ الحمام، ولالْتِيَاح البُروقِ.

***

وقال عَوْفُ(١) بن مُحلِّم وسمع نَوْح حمامةٍ:

ألاَ يا حَمَامَ الأَيْك إلْفُكَ حاضِرٌ وغُصنُكَ مَيَّادٌ ففيمَ تنوُحُ(٢)

أَفِقْ لا تَنُحْ من غيرِ شيء فإننى بكيتُ زمانًا والفؤادُ صحيح

وَلُوعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دارُ زَينبٍ فها أنا أَبْكى والفؤادُ قَريحُ!

وكلُّ مُطَوَّقَة عند العربِ حمامةٌ. كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك؛ قال حُمَيْد بن ثْورٍ:

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إلا حمامةٌ دَعَتَ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرنَّمَا(٣)

إذا شئتُ غَنَّتْنى بأَجْزاع بيشَة أو النَّخْلِ من تَثْليثَ أو بيَلَمْلَمَا

مُطوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كلَّمَا(٤) دَنَا الصيفُ وانجالَ الربيعُ فأَنْجَمَا

مُحلاَّةُ طَوْق لم يكُن من تميمة ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْه درْهَمَا

تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عشاءً فلم تَدَعْ لنائحة فى شَجْوِها مُتَلَوَّمَا

إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أو مال مَيْلَةً تغنَّتْ عليه مائلا ومُقَوَّمَا

عجبتُ لها أنَّى يكونُ غناؤُها فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمنْطِقهَا فَمَا!

---

(١)قال المرصفى: الشعر لأبى كبير الهذلى. لا لعوف؛ وإنما ذكر لعبد الله بن طاهر العندليب. فالتفت إلى ابن محلم وقال: هل سمعت بأشجى من هذا؟ فقال: لا والله؛ قاتل الله أبا كبير حيث يقول. وذكر الأبيات.

(٢) ر : «ميال». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) من قصيدة طويلة فى ديوانه ١ ـ ٣ مطلعها :

سل الرَّبْعَ أَنَّى يَمَّمَتْ أم سالمٍ وَهَلْ عَادَةٌ للرَّبْعِ أن يتكلَّمَا!

وترحة : حزنا. وترنما : صوتا لا يفهم.

(٤) الديوان «تصدح».

فلم أر مـثلى شاقَـهُ صوتُ مِثلـها ... ولا عَرَبِـيًّا شـاقَهُ صـوتُ أعجَـمَا

وقال ابن الرِّقَاع ، وذكرَ حمامةً :

[قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أنه لنصيب] :

[ومَّا شَـجـانى أننـى كنتُ نائمًـا ... أُعَلَّـلُ من بَـرْدِ الكَـرَى بالـتَّنَـسُّمِ
إلى أن بَكَتْ ورقاءُ فى غُصْنِ أيْكة ... تُرَدِّدُ مَـبْكاها بحُـسْنِ التـرنُّم][1]
فلو قَـبْلَ مَـبْكاهَا بكيتُ صَـبَـابَةً ... بليلى[2] شَفَـيْتُ النفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ
ولكنْ بكتْ قـبلِى فهـاجَ لِىَ البُكا ... بُكاها فـقلتُ الفَـضْلُ للمـتـقـدِّمِ

أما قولُ حميد «دعَتْ ساقُ حُرٍّ» فإنما حكى صَوْتَهَا، ويقال للواحد ذكرًا كان أو أنثى: حمامةٌ والجَمعُ الحمامُ، والحماماتُ، فإذا كان ذكرًا قلتَ هذا حمامةٌ، وإذا كـانت أُنثى قلت هذه حمـامةٌ. وكـذلك هذا بَطَّةٌ وهذه بَطَّةٌ. ويقـال بقرةٌ للذكـر والأنثى، ودجاجـةٌ لهما، فـإذا قلتَ: ثَوْرٌ، أو ديكٌ بَيَّنْت الذَّكَرَ، واسـتغنيتَ عن تقديم التذكير.

ويقال للحمامة: تَغَنَّتْ وناحتْ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيـرُ مفهومٍ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا، قال قَيْسُ بن مُعاذٍ :

ولو لم يَشُـقْنى الظاعنونَ لَشَـاقَنى ... حـمـــائمُ وُرْقٌ فى الديـار وُقُـوعُ
تَجَاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كان ذَا هَوًى ... نَوَائِحَ مـــا تَجْـرِى لهنَّ دمـــوعُ

قوله: «وانجَالَ الربيعُ» يقال: «انجالَ عنَّا»، أى أَقْلَعَ، ومثلُ ذلك «أَنْجَمَ عنَّا»، وإن قلتَ: «أثجَمَ»، فمـعناه لَزِمَ ووقع، فهو خـلافُ «أَنجَمَ». وإن قلتَ: «انجَابَ» فمعناه انشَق. يقـال: «الْمجْوَبُ» للحديدة التى يُثْقَبُ بها المَسـينبُ. ويقال: «جُبْتَ البلادَ» أى دخلْتُها وطَوَّفْتُهَا. وفى القرآن: ﴿**وثَمود الَّذِينَ جابَوا الصَّخْرَ بالْوَادِ**﴾[3] أى شَقُّوهُ.

وقوله: «لم يكُن من تَميمةٍ» «التميمة» المعاذةُ. وقد مضى هذا.

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ر : «سعدى»، وما أثبته عن الأصل .

(٣) سورة الفجر ٩ .

وقوله: «وما تَفْغَرْ بمنطقِها فَمَا». يقولُ: لم تَفْتحْ. يقال: «فَغَرَ فَاه» إذا فَتَحه[١].

وقوله:

* ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجما *

يقولُ: لم أَفهم ما قالتْ. ولكنى استحسنتُ صوتَها واستَحْزَنْته. فَحَنَنْتُ له.

ويُرْوَى أن بعضَ الصالحين كان يسمعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدرِى ما تقولُ، فيُبكيه ذلك ويُرَقِّقه. ويَذكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له.

* * *

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن بعض المحْدَثين[٢] سمع غناءً بخُرَاسان بالفارِسيَّة فلم يَدْرِ ما هو غيرَ أنه شَوَّقَهُ لشَجَاهُ وحُسْنه. فقال فى ذلك:

حَمِدتُك ليلةً شَرُفَتْ وطابَتْ ... أقامَ سُهادُها ومَضى كَرَاهَا
سَمِعتُ بها غِناءً كان أَوْبَى ... بأن يَقتادَ نفسى من غِنَاها

الغناء الأولُ الممدودُ من الصوت. والذى ذكره بعدُ فى القافية من المالِ مقصورٌ:

ومُسْمِعَةٍ يَحَارُ السَمْعُ فيها ... ولا تصْمِمْه لا يَصْمِمْ صدَاهَا[٣]
مَرتْ أَوتَارَها فَشَفَتْ وشَاقَتْ ... فلو يَسْطِيعُ حاسِدُها فَدَاهَا
ولم أفهم معانيهَا ولكنْ ... وَرَتْ كَبِدى فلم أَجْهَل شَجَاهَا
فكنتُ كأنَّنِى أَعْمَى مُعَنًّى ... بحُبِّ الغَانياتِ ومَا يَرَاهَا

[وقال عَبْدُ بنى الحسْحاسِ:

وَرَاهُنَّ رَبِّى مثل ما قد وَرَيْنَنِى ... وأحْمَى على أكبادهنَّ المكاويا][٤]

---

(١) زيادات ر: «حكى ثعلب: «فغر فاه» و «فغر نفسه». وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه».
(٢) هو أبو تمام.
(٣) قال المرصفى: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صداه. تريد أهلكه. وإذا مات قالت: صم صداه. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.
(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: والشيءُ يُذْكر بالشيءِ وإن كان دونَه. فَنَجرِى لاحتواءِ البابِ والمعنَى عليهما.

وفى شعرِ حُمَيْد هذا ما هو أحْكم مما ذكرنا وأوعظُ. وأحْرَى أن يُمثَّل به الأشرافُ. وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ. وهو قولُه:

أَرَى بَصرى قد رَابنى بعدَ صحَّة ... وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلمَا
ولا يَلْبَثُ العَصْرَانِ يومٌ وليلةٌ ... إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبى ﷺ أنه قال: «كَفَى بالسَّلامَةِ داءً».

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه.

قال أبو العباس: والعربُ تُشَبِّهُ على أربعة أضرُبٍ: فتشبيهٌ مُفْرِطٌ، وتشبيهٌ مُصيبٌ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه. وهو أخْشَنُ الكلام.

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للمَخِّىِّ: هو كالبَحْر. وللشجَاع: هو كالأسد. وللشريف: سما حتى بَلَغَ النجمَ. ثم زادُوا فوق ذلك. فمن ذاك قولُ بعضهمَ ـ وهو بكْرُ بنُ النَّطَّاح، يقوله لأبى دُلَف القاسمِ بن عيسى:

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبارِها ... وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ
له راحةٌ لو أن مِعْشارَ جودها ... على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحر
ولو أنَّ خَلْقَ الله فى مَسْك فارسٍ[1] ... وبارَزَهُ كانَ الخَلِيَّ من العُمْرِ

وقد قيل: إن امرأةَ عمْرانَ بن حطَّانَ قالت له: أما زعمتَ أنك لم تكذب فى شعرٍ قَطُّ! قال: أوَ فَعَلْتُ؟ قالت: أنت القائلُ:

فهُناك مَجْزأَة بن ثَوْ ... ر كان أَشْجُعَ من أُسامَهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ! قال: فقال: أنا رأيتُ مجزأَة بن ثور فتح مَدِينة، والأسدُ لا يفتحُ مدينة.

* * *

(١) المسك: الجلد.

ومن عجيب التشبيه فى إفـراط، غيرَ أنه خَرَجَ فى كلامٍ جيِّدٍ وعنى به رجلٌ جليلٌ، فَخَرج من باب الاحـتمال إلى باب الاستحسان، ثم جُـعِلَ لجوْدة ألفاظه، وحسن رَصْفه، واستواء نظمه، فى غاية ما يُسْتَحْسَنُ ـ قولُ النابغة يعنى حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر بن عَمْرٍو الفَزَارىّ:

يقولون حِـصْنٌ ثم تأبى نفـوسُهمْ وكيفَ بـحصْنٍ والجبـال جُنُوح[1]
ولـم تَلْفظ الموْتى القُـبـورُ ولم تَزُلْ نجـومُ السـمـاءِ والأديمُ صـحـيحُ
فـعــمَّـا قليـلٍ ثمَّ جـاء نعـيُّـهُ فَـظَـلَّ نَـدِىّ الحـىِّ وهْـو يَـنُـوحُ

* * *

ومن تشبيههم المتجاوز الجيِّدِ النَّظْم ما قد[2] ذكرناه، وهو قولُ أبى الطَّمَحَانِ القيْنى:

أضاءتْ لهـم أحسابُهم ووجُـوهُهُمْ دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجزْع ثاقبُهْ[3]

* * *

ويروى عن الأصـمـعى أنه رأى رجلا يختـالُ فى أُزَيِّر[4] فى يوم قُـرٍّ فى مشْيَته، فـقال له: ممن أنت يا مَقْرُور؟ فقال: أنا ابنُ الوَحيـد، أمشى الْخيْزَلى[5]، ويُدَفِّئنى حَسَبى.

وقيل لآخـرَ فى هذه الحال: أمَـا يُوجعُكَ البَـرْد؟ فقـال: بَلى والله، ولكنى أذكرُ حَسَبى فأدْفأ.

وأصوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذى سُئلَ فى يوم قُرٍّ عمَّا يَجدُ. فقال: ما علىَّ من كبير مؤونة، فقيل[6]: وكيفَ ذلك[7]؟ فقال: دَامَ بى العُـرْى، فاعْتَـادَ بدنِـى ما تعتادُه وجوهُكم!

* * *

(١) جنوح: مصدر جنح إليه، إذا مال وسكن. (٢) ساقطة س ر.
(٣) الجزع: ضرب من الخرز؛ وقيل: هو الخرز اليمانى؛ الذى فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين.
(٤) الأزير: تصغير إزار؛ قال المرصفى: يريد أنه يختال فى إزار قصير.
(٥) الخيزلى: مشية فيها تبختر وتثاقل وتراجع وتفكك.
(٦) ر: «وقيل». (٧) ساقطة من ر.

ومن التشبيهِ القاصد[1] الصحيح قولُ النابغةِ :

وَعيدُ أبى قابُوسَ فى غير كُنْهه — أتانى وَدُونى رَاكسٌ فالضَّوَاجعُ[2]
فبتُّ كأنى سَاوَرَتْنى ضَئيلةٌ — من الرُّقْشِ فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ[3]
يسَهَّدُ من نوم العشاء سَليمُها — لحلْى النساء فى يَديْه قعاقعُ
تَنَاذَرَها الرَّاقُون من سُوء سُمِّها — تُطَلقهُ طَوْراً وطَوْراً تَرَاجعُ[4]

فهذه صفةُ الخائف المهموم. ومثلُ ذلك قول الآخرَ[5] :

تَبِيتُ الهُمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَنى — كما تعترِى الأوْصافُ رأسَ المطَلَّقِ

والمُطَلَقُ هو الذى ذكره النابغة فى قوله :

* تُطلقه طوراً وطوراً تُرَاجعُ *

وذاك أن المنهوشَ إذا ألحَّ الوجعُ به تارة، وأَمْسكَ عنه تارة، فقد قارب أن يُوأَس من بُرْئه.

وإنما ذكَرَ خوفَه من النعمان وما يَعْتريه من لَوْعَة فى إثر لوعة، والفَتْرَة بينهما، والخائفُ لا ينامُ إلاّ غِرَارًا، فلذلك شبَّهَه بالملْدوغ المسَهَّدِ.

وقوله :

* لحَلْى النساءِ فى يديه قَعَاقِعُ *

لأنهم كانوا يُعلقون حُلِيَّ النساء على الملدوغ، يزعمون أن ذلك من أسبابِ البُرْء، لأنه يسمعُ تَقَعْقُعَهَا فيمنعُه النوم فلا ينامَ، فَيدِبُّ السُّمُّ فيه، ويُسَهَّدُ لذلك.

* * *

وقال الآخرُ:

(١) القاصد : المستقيم الواضح القريب .
(٢) راكس والضواجع : موضعان فى بلاد غطفان .
(٣) من المساورة؛ وهى المواثبة. والضئيلة : الحية الدقيقة. والرقش : جمع رقشاء؛ وهى الحية التى فيها نقط سود وبيض.
(٤) تناذرها الراقون، أى أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرض لها.
(٥) هو شأس بن نهار العبدى .

كأنَّ فـجاعَ الأرض وهى عـريضةٌ على الخـائف المطلوب كفَّـةُ حابلِ
يُؤْتَـى إليـــــه أنَّ كلَّ ثـنيَّـــــةٍ تَيَـمَّـمـهـا تَرْمـى إليـهَ بقـاتلِ(١)

يقال: لكل مستطيل كُفَّةٌ. يقال كُفَّةُ الثوبِ لحاشيته، وكُفَّةُ الحابلِ، إذا كانت مستطيلةً. ويقـال: لكل شيء مستدير كفَّـةٌ. ويقال: ضَعْهُ فى كفَّة الميـزان، فهذه جملة هذا. وكِفَّةُ الحابل، يعنى صاحبَ الحَبَالةِ التى يَنْصِبُها للصَّيد.

* * *

وأما التشبيه البعيدُ الذى لا يقومُ بنفسه، فكقوله:

بل لـو رَأَتْنى أُخْتُ جـيـــرانـنا إذْ أنا فى الـدار كـأنى حـمـــارْ

فإنما أراد الصحة، فهذا بعيدٌ، لأن السـامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره. وقال الله جل وعـز، وهذا البّـينُ الواضح: ﴿كَمَـثَلِ الحمَار يَحْملُ أَسْـفارًا﴾(٢) والسِّفْرُ الكتابُ، وقال: ﴿مثلُ الذينَ حُمِّلوْا التَّوْراةَ ثمَّ لم يَحْملُوهَا كَمثَلِ الْحمَارِ﴾(٣) فى أنهم قد تعاموْا عنها، وأضْرَبُوا عن حدودها وأمْرِها ونَهـيها، حتى صَاروا كالحمار الذى يَحْمِلُ الكتب ولا يعلمُ ما فيها.

وهَجَا مروان بن سليمانَ بن يَحْيى بن أبى حَفْصةَ قومًا من رواةِ الشِّعر بأنهم لا يعلمون ما هو، على كثرة استكثارِهم روايتَه، فقال:

زَواملُ للأشـعــار لا عِـلْـمَ عندَهمْ بجَـيِّــدها إلاَّ كــعِلْمِ الأباعِـــرِ
لَعَمْـرُكَ ما يدْرى البَـعِيـرُ إذا غدَا بأوسـاقِـهِ أو رَاحَ مـا فى الغَـرائرِ

* * *

والتشـبيهُ كما ذكـرنا من أكثر كـلام الناس. وقد وَقع على أَلْسُنِ الناس من التشبيه المستحسَنِ عندهُم، وعن أصلٍ أخَذوه - أن يشبهوا(٤) عين المرأة فى الكحل بعين الظبية(٥) أو البقرة الوحـشيَّة. والأنْفَ بحَدِّ السيف، والفَمَ بالخـاتم، والشعر بالعناقيد، والعُنُقَ بإبريق فضةٍ. والساقَ بالجُمَّار(٦). فهذا كلامٌ جارٍ على الألْسُن.

(١) يؤتى إليه . أى يجىء إليه فى وهمه . (٢) سورة الجمعة ٥ .

(٣) الزوامل : جمع زاملة. وهى البعير بحمل المتاع والطعام. والغرائر: جمع الغرارة؛ وهى الأوعية، التى تسمى بالجوالق.

(٤) ر : «أن شبهوا. وما أثبته عن الأصل . س».

(٥) ر : «الظبى» . (٦) الجمارة: شحمة بيضاء فى رأس النخلة وفى س «الجمار».

وقد قال سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم: فرأيتُ رسول الله ﷺ وساقاهُ ناديتان في غَرْزه كأنهما جمَّارتان، فأردَتْه فوقَعْتُ في مِقْنَب(١)، مِن خَيْل الأنصار، فقرَّعُوني بالرِّماح. وقالوا: أين تريدُ؟

وقال كعبُ بن مالك الأنصاريُّ: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه الْبَدْرُ.

وعينُ الإنسان مشبَّهةٌ بعين الظبي والبقرةِ في كلامهم المنثور. وشعرِهم المنظومِ، مِنْ جاري ما تكلمتْ به العربُ، وكثُرَ في أشعارها، قال الشاعرُ(٢):

فَعَيْنَاكِ عَيْناها وجيدُكِ جيدُها ... ولكنَّ عظمَ السْاقِ منك رقيق(٣)

[وقال ذو الرُّمَّة :

أَرَى فيكِ مِن خَرْقاء يا ظَبْيَةَ اللِّوى ... مَشابهَ جُنِّبْت اعْتلاقَ الحبائل

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ... ولونُكِ. إلاَّ أنها غَيْرُ عاطلِ](٣)

وقال آخر(٥) :

فلم تَرَ عيني مثلَ سِرْب رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زقاق ابن واقف

طَلَعْنَ بأعْناق الظِّباءِ وأعْيُنِ الْـ ... ـجآذرِ وامتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادفُ(٦)

ويقالُ للخطيب: كأنَّ لسَانه مبْرَدٌ. فهذا الجاري في الكلام، كما يقال للطويل: كأنه رُمْح. ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكَرَم: كأنَّه غصنٌ تحت بارِحٍ.

ومن عجيب(٧) التشبيه قولُ القائلِ :

لعَيْنُك يومَ البَيْنِ أسْرَعُ واكفًا ... من الفَنَنِ المَمْطُور وهْو مَرُوح(٨)

---

(١) المقنب: جماعة الخيل والفرسان.

(٢) هو مجنون بني عامر. وقبله:

وَيَاشِبْهَ لَيْلَى لوْ تَلَبَّثْتَ ساعةً ... لعلَّ فؤادي مِنْ جواه يفيقُ

(٣) ر : «دقيق». وما أثبته عن الأصل. س . (٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «الآخر». ونسبه المرصفي إلى هدبة بن خشرم العذري .

(٦) في البيت إقواء . (٧) ر : «من مليح».

(٨) نسبه القالي في أماليه (١ : ٧٠) . إلى أبي حية النميري. ورواه: «لعيناك». والفنن: الغصن. وجمعه أفنان.

وذاك أن الغُصْنَ يقعُ المطُر فى وَرَقِةٍ فيصير منها فى مِثْلِ المدَاهِنِ، فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تقطِّرُه.

[طرائف من تشبيهات المحدثين]

ثم نذكُر بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحْدثين ومَلاَحاتهم، فقد شرطناه فى أول الباب، إن شاء الله .

قال أبو العباس: ومن أكثرهم تشبيهًا، لاتِّساعه فى القول، وكثرة ثقبه[1]، واتِّساع مذهبه[2] الحسنُ بن هانئ، قال فى مَديحه الفَضْلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك :

وكنَّا إذا ما الحائنُ الجَدِّ غَرَّهُ ... سَنَا بَرْقِ غاوٍ أو ضَجيجُ رعَادِ
تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بنِ خالد ... بماضِى الظُّبَا أزهاهُ طُولُ نجَادِ
أمامَ خميسٍ أرْجُوان كأنه ... قميصٌ مَحُوكٌ من قنًا وجيَادِ
فما هو إلاَّ الدَّهرُ يأتى بصَرْفِهِ ... على كل منْ يَشْقَى به ويُعَادِى

قوله: «الحائنُ الجدِّ» يقال: حانَ الرجلُ إذا دنَا موتُه، ويقال: رجلٌ حائنٌ. والمصدرُ الحَيْن. والجدُّ: الحظُّ، والجدُّ والجَدَّةُ، مفتوحان، فإذا أردتَ المصدرَ من جَدَدْتُ فى الأمْر، قلتَ: «أجدُّ جدًّا» مكسورَ الجيم، ويقال: جَدَدْتُ النخلَ أجُدُّهُ جَدًّا [وجَدَادًا][3] إذا صرَمْتَهُ. ويقال: جَذَذْتُهُ جَذًّا. وتركتُ الشىء جُذَاذًا، إذا قَطَعْتَه قطَعًا. ويُرْوَى هذا البيتُ لجرير على وجهين:

آلُ المهلَّبِ جَذَّ الله دَابرَهمْ ... أضْحَوْا رَمادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى «جَدَّ» . وقرأ بعضُ القُرَّاء: **﴿عطاءً غَيْرَ مَجْدُود﴾**[4] فأما قوله: **﴿فَجعَلَهُمْ جذاذا﴾**[5] فلم يُقْرأ بغيره. ويقالُ: كم جَذاذُ نَخْلكَ. أى كم تَصرَّم منها. ويروى فى قوله الله جل وعز: **﴿وأَنه تَعَالى جَدُّ ربِّنَا﴾**[6] عن أنس بن

---

(١) كذا فى س والأصل، وفى ر : «تفننه».
(٢) ر : «مذاهبه».
(٣) تكملة من س .
(٤) سورة هود ١٠٨ .
(٥) سورة الأنبياء ٥٨ .
(٦) سورة الجن ٣ .

مالك: «غنَى ربِّنَا». وقرأَ سعيدُ بن جبير: «جَدًّا ربُّنا». [ولو قرأ قارئ «جداً ربُّنا» على معنى: جدِّ ربِّنا لم يُقرأ به لتغيُّر الخَطِّ. وكذا قراءةُ سعيدٍ مخالفةٌ الخَطَّ][(1)].

وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر:

أجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ ليْلةً ... فترْقُدَها مَعَ رُقَّادِهَا

ومثلُه[(2)]:

أجِدَّكَ لم تَسمعْ وَصَاةَ محمدٍ ... رسول الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَدَا

لأن معناه أجداً منك، على التوقيف، وتقديُره في النصب: «أتجدُّ جدًّا»، ويقال: امرأةٌ جَدَّاءُ، إذا كانت لا ثَدْيَ لها، فكأنه قُطِعَ منها، لأنَّ أصلَ الجَدِّ القطعُ، ويقال: بلدةٌ جَدَّاءُ، إذا لم تكن بها مياهٌ. قال الشاعرُ:

وجَدَّاءَ ما يُرْجَى بها ذو هَوَادةٍ ... لِعُرْفٍ ولاَ يَخْشَى السُّماةَ رَبِيبُها[(3)]

* * *

[القَرَابةُ والهوادة في المعنى واحدٌ. قال أبو الحسن: «السُّماة» هم الصَّادَةُ نصفَ النهار، وروى عن بعض أصحابنا، عن المازنيِّ قال: إنما سُمِّي «ساميًا» بالمسمَّاة، وهو خُفٌّ يلْبَسُهُ لئلا يَسمَعَ الوحش وَطْأَه، وهو عندى مِن «سَمَا للصيد»].

* * *

يُنْشَدُ هذا البيت:

أَبَى حُبِّى سُلَيْمَى أن يَبِيدَا ... وأَصْبَحَ حبْلُها خلَقًا جَديدًا

يقولُ: أصبَحَ خَلَقًا مقْطوعًا، لأن «جديدًا» فى معنى «مَجْدودٍ» أى مقطوع، كما تقولُ: «قتيلٌ ومقتولٌ» و «جَرِيحٌ ومَجْرُوحٌ».

---

(1) ما بين العلامتين زيادة من ر.

(2) زيادات ر: «قول الأعشى». والبيت فى ديوانه ١٠٣. وروايته: «نبى الإله».

(3) البيت فى الكتاب ١: ٢٩٤: ٢ ١٤٤. ونسبه إلى العنبرى، وروايته.

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة ... لعطف وما يخشى السماة ربيبها

إلى العنبرى.

ويقال فى غـير هذا المعنى: رجلٌ مَجْـدودٌ. إذا كان ذَا خَطَر وحَظٍّ[1]، وفى الدعاء «ولا يَنْفَعُ ذَا الجَـدِّ منك الجَدُّ»، أى مَنْ كان له حـظٌّ فى دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قـال قائلٌ: ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ ـ يريدُ الاجـتهاد ـ لكان وجهًا.

وقوله: «سَنَـا بَرْق غاو» والسَّنا: من الضِّـياء مقـصورٌ. قـال الله جل وعز: ﴿يكَاد سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأَبْصَار﴾[2]. والسَّناءُ: من المجد ممدودٌ، وقال الشاعرُ:

وهم قـــومٌ كـــرام الحَـىِّ طُرًّا ... لهُـم خَـــولٌ إذا ذُكِــرَ السَّـناءُ

وضَربه الحسنُ[3] هاهنا مَثَـلا وجَمَعَ الرَّعْدَ فـقال: رِعادٌ، كـقولك: كَلْبٌ وكِلاَبٌ، وكعْبٌ وكِعابٌ.

وقوله: «بمَاضِى الـظُّبى». ظُبةُ كلِّ شىءٍ حَدُّهُ، يقال: وخَزَهُ بـظُبَةِ السيفِ، يرادُ بذلك حَدُّ طَرَفه.

وقوله: «أَزهاهُ طولُ نجَاد»، النجاد: حَمَائلُ السيف، وأزهاه: رفَعَه وأعْلاهُ، والرجلُ يُمْدَحُ بـالطُّولِ، فلَذلكَ يُذْكَر طولُ حـمائِله، قال مَـرْوانُ بن أبى حَفْـصةَ يمدحُ المْهدىَّ:

قَـصُرَتْ حـمائِلُـهُ عليه فـقَلَّصَتْ ... ولقــد تَأَنَّقَ قَـيْنُهــا فـأطالهَــا

* * *

وقال الحسنُ بن هانئ يمدحُ محمدًا الأمينَ:

سَـبْطُ البَنانِ إذَا احْـتَـبَى بنِجَـادهِ ... غمَـرَ الجماجمِ وَالـسِّماطُ قِـيامُ[4]

* * *

وقال جريرٌ للفرزدق:

تعـالوا ففـاتونا فـفى الحكم مـقنع ... إلى الغـر من أهل البطاح الأكـارم
فإنى لأرضى عبد شمس وما قضت ... وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

---

(١) ر: « أى حظ ». (٢) سورة النور ٤٣.

(٣) يريد الحسن بن هانئ.

(٤) غمر الجماجم. أى فرع القوم وعلاهم بطول قامته.

وقال الآخر :

لما التـقى الصفـان واخـتلف القنا ... نهـالا وأسـبـاب المنايا نهـالهـا
تبـين لى أن القـمـاءة ذلة ... وأن أشـداء الرجـال طـوالهـا

وقولُه: «أمَـامَ خَميسٍ»، الخـميسُ هاهنا: الجـيشُ، وكذلك قال رَبِيئةُ أهلِ خَيْبَرَ، لَمَّا أطَلَّ رسـولُ الله ﷺ عليهم: محمـدٌ والخميسُ، أى والجـيشُ. وقال الشاعرُ، وهو طَرَفَةُ:

وأى خـمـيس لا أفـأنا تهـابه ... وأسـيافنا يقطـرن من كبـشه دمـا

أَفأْنا: رَدَدْنَا، يقال: أفاءَهُ يُفِيءُ إذا رَدَّ. والأُرْجُوَان: الأحمرُ[1] قال الشاعرُ:

عَشِيَّةَ غـادَرَتْ خَـيْلِى حُـمَيْدًا ... كـأنَّ عليـه حُلةَ أُرْجُـوَانِ

والجِـيادُ: الخـيلُ. وفى القـرآن: ﴿إذ عُـرِضَ عَلَيْـهِ بالعَـشِيِّ الصَّـافِنَاتُ الجيادُ﴾[2].

* * *

ومن تشبيهه[3] الجِّيدِ فى هذا الشعرالذى ذكرنا قوله:

تَرَى الناسَ أفـواجًـا إلى باب داره ... كـأنهـمُ رِجْـلا دبًا وجَـرَاد[4]
فَيَـوْمٌ لإلحاقِ الفـقيـر بذى الغِنَى ... ويومُ رِقَـابٍ بُوكِـرَتْ لِحَـصَادِ

* * *

ومن التبشبيهِ الجيد قوله[5]:

فـكأنـى بما أُزَيِّـنُ منـهـا ... قَـعَـدِىّ يزيِّن التَّـحْكِيـمَا

وكان سبب هذا الشعـرِ أن الخليفة تَشَدَّدَ عليه فى شربِ الخمـرِ، وحَبَسه من أجل ذلك حبسًا طويلا، فقال:

---

(١) الأرجوان: صبغ أحمر شديد الحمرة.
(٢) سورة ص ٢١.
(٣) أى الحسن بن هانئ.
(٤) الدبا: مقصور الجراد قبل أن يطير.
(٥) زيادات ر: «أى الحسن بن هانئ».

أيُّهـا الرائحَـانِ بـاللَّوْمِ لُومَـا ... لا أذوقُ المُدامَ إلا شـمـيـمـا
نالَنـى بالملاَمِ فـيـهـا إمـامٌ ... لا أرَى لى خـلاَفَـهُ مُسْـتَـقـيما
فـاصْـرِفـاها إلى سـوَاىَ فـإنّى ... لسْـتُ إلاَّ على الحـديث نَـديمَا
كُـبْـرَ حَظِّـى منهـا إذا هى دَارَتْ ... أنْ أراها وأن أشمَّ الـنَّـسـيـمـا
فـكأنـى بمـا أُزَيِّـنُ منـهـا ... قَـعَـدىٌّ يُزَيِّنُ التَّـحكيـمـا(١)
لَمْ يُطِقْ حَـمْلهُ السِّلاحَ إلى الحَـرْ ... بِ فَـأَوْصَى المـطِيقَ ألاَّ يُقِـيـمـا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد.

* * *

قال: وحدثت أن العمانى(٢) الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس:

كـأنَّ أَذْنَيْـه إذا تَـشَـوَّفَـا ... قـادمـةً أو قَلَمًـا مُـحَـرَّفَـا(٣)

فعلمَ الـقومُ كلُّهم أنه قـد لَحنَ، ولم يهتـد منهم أحدٌ لإصلاح الـبيت إلا الرشيدُ. فـإنه قال له: قُلْ: «تَخالُ أُذْنَيْـه إذا تَشَوَّفَا». والراجزُ وإن كان لَـحَنَ فقد أحسنَ التشبيه.

* * *

ويروى أن جـريرًا دخلَ إلى الـوليـدِ وابنُ الرقـاع(٤) العـاملىُّ عنده يُنْشِـدُهُ القصيدةَ التى يقولُ فيها:

غَلَبَ المَسَـاميحَ الـوليدُ سَـمَاحَـةً ... وكَفَى قُـرَيْش المعْضِـلاَتِ وَسَادَها

قال جرير: فحسدته على أبياتٍ منها، حتى أنشد فى صفة الظبيةِ:

* تزْجِى أغَنَّ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِه *

قال: فـقلتُ فى نفسى: وَقعَ والله، ما يَقْـدِرُ أن يقول أو يُشَبِّـهَ به، قال: فقال:

---

(١) القعدى: من يرى رأى القعد؛ وهم الخوارج الذين يرون القعود والتحكيم ولا يخرجون إلى القتال.
(٢) العمانى: هو محمد بن ذؤيب بن محجن البصرى.
(٣) قادمة: واحدة القوادم؛ وهن أربع ريشات فى مقدم الجناح. واللواتى بعدهن المناكب إلى أسفل الجناح.
(٤) هو الوليد بن عبد الملك، وابن الرقاع هو عدى.

* قَلَما أصَابَ مِنِّ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقِيمَ حتى انصرفتُ.

* * *

ومن التشبيه[1] الحسن الذى نَستطرِفُه قوله:

تعـــاطيكهَـا كـفٌّ كـأن بَنَانـهَـا ... إذا اعتَـرَضْتها العَـيْنُ صَفٌّ مَدَارِى

* * *

ومن التشبيه المليح قوله:

وكــــأنَّ سـلمـى إذْ تُوَدِّعُـنَا[2] ... وقـد اشْـرأَبَّ الدمّـعِ أن يكفَـا[3]

رَشَـــأٌ تَوَاصَـــيْنَ الـقِـيَـــانُ به ... حـــتى عَـقَـدنَ بأُذْنه شُنُفَـــا[4]

* * *

وفى هذا الشعرِ من التشبيه[5] الجِّيد قوله[5]:

خَـيِّـــرْ فـؤادَكَ أو سَـتُـخْـبِـرهُ ... قَـسَـمًـــا لَيَنْتَـــهِيَنَّ أو حَلَفَـــا

الحبُّ ظـهْـــرٌ أنت راكِـــبُـــهُ ... فـــإذا صـرَفْتَ عِنَـانَهُ انصَـرَفَـــا

* * *

ومن التشبيهِ الجيدِ قوله[6]:

إليكَ رَمَتْ بالقَـوم خـوصٌ كـأنما ... جَمَـاجِمُـها فـوقَ الحجـاجِ قُبُـورُ

* * *

(١) ر: «تشبيهه».

(٢) ر: «كأن سعدى» وما أثبته عن الأصل، س.

(٣) زيادات ر: «يقال: اشرأب لأن يكلمنى» إذا تهيأ لكلامك. واشرأب الدمع، إذا تهيأ للوكف».

(٤) الرشأ: الظبى إذا قوى واشتد، وتواصين، أوصى بعضهم بعضا.

(٥-٥) ساقط من ر.

(٦) من كلمة يمدح بها الخصيب، أمير مصر، وقبله:

ومـازلتَ توليـه النَّصيـحـةَ يافـعًـا ... إلى أن بدا فى الـعـارضَـيْـن قـتـيـرُ

إذا غـالـهُ أمْـرٌ فـإمَّـا كَـفَـيْـتَـهُ ... وإمَّـا عـليـه بالـكُفَـاة تشـيـرُ

وله أيضًا :

سَأَرْحَلُ من قُود المَهارَى شِملَةً مُسَخَّرَةً ما تَسْتَحِثُّ بحَادِى(١)
معَ الرِّيح ما راحتْ فإن هىَ أَعْصَفَتْ نَهُوزٌ برأسٍ كالعَلاَةِ وَهَادِى(٢)

العَلاَة : السِّنْدانُ، قال جريرٌ :

أَيَفْخَرُ بالمُحمَم قَيْنُ لَيْلَى وَبالكيرِ المرَقَّعِ والعَلاَة

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ وَلاءَمَ بَيْنَها طَبَقَان من قَيرٍ ومن أَلْوَاحِ
فكأَنَّها والماءُ يَنْطَحُ صَدْرَها والخَيْزُرانَةُ فى يد المَلاَّحِ
جَوْنٌ من العِقْبَانِ يَبْتَدِر الدُّجَى يَهْوِى بصَوْتٍ واصْطِفاقِ جَنَاحِ

* * *

وقال فى شعرٍ آخر ، يصفُ الخمرَ، ويذكرُ صفاءَها ورِقَّتَها، وضياءها وإشراقَها:

إذا هَبَّ فيها شاربُ القومِ خلْتَهُ يُقَبِّل فى داجٍ من اللَّيْل كَوْكَبا(٣)

* * *

فأما قوله:

بَنيْنَا عَلَى كِسْرَى سماءَ مُدَامَة جَوَانِبُها مَحفُوفَةٌ بنُجومِ
فلو رُدَّ فى كِسْرَى بنِ ساسانَ رُوحُه إذًا لاصْطَفانِى دونَ كلِّ نديمِ

---

(١) قود المهارى. القود: جمع قوداء، وهى الطويلة الظهر والعتق، والمهرى: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان. أى حى من العرب .

(٢) النهوز، مبالغة من النهز، وهو الدفع .

(٣) قبله .

وقُلْتُ لساقِيها أَجزْهَا فلَمْ يَكنْ لِيَأْبى أميرُ المؤمنين وأشربا
فجوَّزها عنِّى سُلافًا تَرَى لَهَا إلى الأفُقِ الأعلى شعَاعًا مُطَنَّبا

فإنما كانت صورةُ كسرى فى الإناء وقوله:

جوانْبها محفوفةٌ بنجوم

فإنما يريد ما تَطوَّقَ به من الزَّبَدِ .

* * *

وقد قال فى أخرى :

[أولُ الشعرِ من غير الأمّ[1] :

وَدَارِ نَدَامَى خَـلَفُـوهـا وأَدْلجـوا ... بهـا أثرٌ منـهم جـديد ودارِسُ

مَسَاحبُ من جَرِّ الزِّقَاق على الثَّرَى ... وأضـغـاثُ رَيْحَـانِ جَـنِىٌّ ويابسُ

حَبَسْتُ بها صَـحْبى فألَّفْتُ شملَهْم ... وإنى على أمـثال تلك لحـابسُ][2]

أقـمنا بهـا يومـا ويومًـا ولـيلة ... ويومًـا له يومُ التَّـرَحُّلِ خـامسُ

تدارُ علينا الرَّاحُ فى عَـسْـجَـدِيَّة ... حَـبَـتْهـا بأنواع التـصاوير فـارسُ

قَرارَتَها[3] كـسْرَى وفى جَنَبـاتهـا ... مَـهًـا تَدَّريهَـا بـالقِـسِى الفـوارسُ

فلَلْخَـمْـرِ مـازرَّت عليـه جُيُـوبُهـا ... ولِلْمـاء مـا دَارَتْ عليـه القَـلانِسُ

العسجديةُ: منسوبةٌ إلى العَسْجَد، وهوالذَّهب.

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِىُّ :

قـالت ألا تَشْـتَـرى ذاكمُ ... إلاَّ بما شِـئْـنا ولـم يُوجَـدِ

إلاَّ بِبَـدْرَىْ ذهب خـالصٍ ... كلَّ صَـبَـاحٍ آخـرَ المُسْنَدِ

مِنْ مـالِ مَـنْ يَجْنِى ويُجْنَى له ... سـبـعـون قِنطاراً من العـسـجـدِ

وقـوله: «تَدَّريهـا» أى تَختِـلها. يقـال: دَرَيْتُ الصَّـيْـدَ. إذا خَتلـتَه. قـال الأخطلُ:

---

(١) الأم هنا أصل الكتاب .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) قرارتها : منصوب على الظرفية .

وإن كنت قد أقْصَدتنى إذْ رَمَيْتِنى بسهمِك والرامى يصيدُ وما يَدرى

* * *

وقال الحسن بن هانئ :

مَا حطَكَ الواشونَ من رُتْبَة عندى ولا ضَرَّك مغتابُ[1]
كأنما أثْنوْا ولم يَعْلَمُوا[2] عليكَ عندى بالذى عابُوا

وهذا المعنى عندى مأخوذٌ من قول النُّعمان بن المُنْذر لحَجْلِ بن نَضْلَة، وقد ذكر معاويةَ بن شكَلٍ، فقال: أبيْتَ اللَّعْنَ! إنَّهُ لقَعْوُ الألْيتَيْنِ، مُقْبَلُ النَّعلين، فحجُ الفَخِذَيْن، مَشَّاءٌ بأقْراءٍ، تبَّاعُ إماءٍ، قَتَّالُ ظبَاء. فقال النعمانُ: أردتَ أن تذيمه فَمَدَهْتَهُ.

قوله: «مُقْبَلُ النعلين»، يقولُ: لنعله قِبَالٌ. يَنْسُبُهُ إلى التَّرَفِهِ. وتباع إماء. وقَتَّالُ ظبَاء . من ذلك.

والقَعْوُ: ما تَدُورُ فيه البكرَةُ إذا كان من خشب.

وقوله: «تَذيمه» معناه تذمُّهُ. يُقالُ: ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وذَامَهُ يَذيمهُ ذَيْماً، وذَأَمَه يَذْأَمُهُ ذَأْمًا. والمعنى واحد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُوراً﴾[3]. وقال الحارث بن خالد المخْزوميُّ لعبد الملك:

صَحِبْتُك إذ عَيْنى عليها ترودُها فلمَّا انجلتْ قَطَّعْتُ نفسى أذيمُها

وقوله: «فَمَدَهْتَهُ» يريدُ «مَدَحْتَهُ». فأبدلَ من الحاء هاءً، لِقُرب المَخْرَج، وبنو سَعْد بن زيد مَناة بن تميمٍ كذلك تقولُ. ولخمٌ ومَن قارَبهَا.

قال رُؤْبة :

لله در الغانيات المدَّه[4] سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تألُّهِى[5]

يريد «المُدَّح»، وفى هذه الأرجُوزَة :

---

(١) ر : «ما اغتابوا» . وهذه رواية الأصل .
(٢) ر : «كأنهم» .
(٣) سورة الأعراف ١٨ .
(٤) المده : اللاتى يتمدحن بالجمال .
(٥) استرجعن : قلن : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

* بَرّاقُ أصْلادِ الجبين الأَجْلَه[1] *

يريدُ الأجْلَحِ، والعـربُ تقـولُ: جَلَحَ الرجلُ جَلَحًـا. وجَلِه يَجْلَهُ جَلَهًـا. وجَلِيَ يَجْلَى جلًى، والمعنى واحدٌ، قال العجاجُ:

* مَعَ الجَلاَ ولائحِ القتير *

ومثلُ بيت الحسنِ وكلام النعمانِ قولُ عمرو بن مَعْديكرب:

كـأنَّ مُـحَرَّشًـا فى بيتِ سُـعْـدَى ... يُعَلُّ بِعَـيْـبِـهِـا عِنْدى شَـفِـيعُ[2]

وفى قصيدة الحَسَن هذه:

إن جـئت لـم تأتِ وإن لمْ أَجِئْ ... جـئـتَ، فـهــذا منكَ لى داب!
كـــــأنما أنـت - وإنْ كنـت لا ... تَكْذِبُ فـى الميــعــادِ - كـذَّابُ

وهذا كلام طَريفٌ.

* * *

ومن حَسَنِ تشبيه المحدَثِينَ قولُ بشَّارِ بن بُرْدٍ العقيلى[3]:

وكـــأنَّ تحتَ لســـانـهـــا ... هاروتَ يَنْفُثُ فـيـه سحْـرًا[4]
وتَخـالُ مــا جَـمَـعَتْ عـليـه ... بَنَـانَهَـــا ذَهَـبًـــا وعِـطرًا[4]

وهذا التشبيهُ الجامعُ.

ونظيرهُ فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لكَ من قول مُسْلمِ بن الوليد:

كأنَّ فى سَرْجهِ بَدْرًا وَضِرْغامَا

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه من قول المُحْدَثين قولِ عباس بن الأحْنَفِ:

---

(١) أى لا شعر فوق جبينه. تشبيها بالحجر الصلد.
(٢) يعل، من العل، وهو السقية الثانية.
(٣) ساقطة من ر.
(٤) قبلهما:

حَـــــــوْراءُ إن نَـظَـرَتْ إِلَـيْـكَ ... سَـــقَـتْكَ بـالعـيـنين خـمْــرًا
وكَـــأنَّ رَجْعَ حَـــدِيثِـــهـــا ... قِـطَعُ الـريـاض كُـــســينَ زَهْـرًا

أحْــرَمُ منكــم بما أقــولُ وَقَــدْ ... نالَ به العــاشــقــونَ مَنْ عَشــقُــوا
صِــرْتُ كــأنى ذُبالــةٌ نُصِــبَتْ ... تُضىءُ للنــاسِ وَهْــىَ تَحْــتَــرِقُ(١)

فهذا حسنٌ فى هذا جدًا .

* * *

ومن حَسَنِ مـا قالوا فى التـشبيـهِ قولُ إسـماعيلَ بن القـاسم أبى العَتَـاهيَة للرَّشيـد :

أمينَ الله أَمْـنُكَ خَــيْــــرُ أَمْنٍ ... عليك مـن التُّـقَى فــيــه لـبَـاسُ
تُســاسُ من السَّمـاء بكل فَـضْلٍ ... وأنتَ به تَسُــوسُ كــمــا تُســاسُ
كــأن الخلْـقَ رُكِّبَ فــيـــه رُوحٌ ... له جَــسَــدٌ وأنـت عليـــه رَاسُ

وقد أخَذَ هذا المعنى علىُّ بن جَبَلَة. فقال فى مدحه حُـمَيْد بن عبدِ الحميد. وزَادَ فى الشرح والترتيب. فقال:

يَرْتُــقُ مـــا يَفْـــتُـقُ أعـــداؤُهُ ... وَلَيْسَ يَـأْسُـو فَــتْــقَــهُ آسى(٢)
فــالنــاس جـسمٌ وإمـامُ الــهـدى ... رأْسٌ وأنت الـعَــيْنُ فــى الرَّاسِ

والعربُ تَخْتَصرُ فى التشبيه، وربَّما أومأَتْ به إيماءً، قال أحدُ الرُّجَّاز:

بتْنـا بِحَــسَّــانَ ومــعْــزَاهُ تَئطّ(٣) ... مـازِلْت أَسْـعَى بيـنهم وأَلْتَـبِطْ(٤)
حـتى إذا كـاد الظَّلاَمُ يخـتَلِطْ(٥) ... جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ!

يقول فى لَوْنِ الذئب. واللبَنُ إذا جُـهِدَ(٦) وخُلِطَ بالماءِ ضَرَبَ إلى الغـبْرة. وأَنشدَ الأصمعىُّ:

وَتَشْـرَبُهُ مَخْـضًا وتَسْقِـى عِيالَــهَا ... سَجَـاجا كأَقْـرَابِ الثعــالِبِ أَوْرَقَا

---

(١) الذبالة : الفتيلة .
(٢) الرتق: ضد الفتق؛ وهو لأم الفتق وإصلاحه.
(٣) تئط : من الأطيط؛ وهو صوت الأمعاء من الجوع.
(٤) الالتباط : العدو والوثوب.
(٥) ر : «كان الظلام». وما أثبته من الأصل. س .
(٦) جهد اللبن : أخرج زبده كله .

السَّجَاج: الرقيق المَمْذُوقُ. والقربانِ: الجَنْبَانِ. والواحدُ قرْبٌ.

(١والجَميعُ أقرابٌ١)، ومن ذلك قول عمر بن الخطابِ رحمه الله لرسول الله ﷺ - وقد شاوَرَ في رجل جَنَى جِنَايَة، وجاء قومهُ يَشْفَعونَ له، فشَفع له قومٌ آخرون، فقال له عمر: يا رسولَ الله. أَرى أن تُوجعَ قُرْبَيْه، فقال القومُ: يا رسول الله، إنَّك لن تَشْتَدَّ على أمَّتكَ بقولِ عمرَ. فنزل إليه جبريلُ ﷺ فقال له ثلاثا: يا محمدُ، القولُ قولُ عُمرَ، شُدَّ الإسلامَ بعمر. فخرجَ رسول الله ﷺ فضَرَبَ الرَّجلَ.

والأوْرَقُ: لونٌ بين الخضْرَةِ والسَّوادِ، يقال: جَملٌ أَوْرَقُ بَيِّنُ الوُرْقَةِ، وهو ألأمُ ألوان الإبل عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا.

* * *

ومن مَليح التشبيه لِلمُحْدَثِين(٢) قولُ عبد الصَّمد بن المعَذلِ في صفة العقربِ:

تُبْرزُ كالْقَرْنَيْنِ حين تُطْلعُهُ ... تُزْحِلُه مَراً وَمراً ترْجِعه(٣)
في مِثْل صَدْر السِّبْت خَلْقٌ تُفْظعهُ ... أَعْصَلُ خَطَّارٌ تلوح شُنَعُهْ(٤)
أَسْوَدُ كالسُّبَجَة فيه مبْضَعُهْ ... لا تَصنعُ الرَّقْشَاءُ ما لا يَصْنَعُهْ(٥)

وفى هذه الأرجوزة أيضًا:

باتَ بها حَينُ حُبَيْش يَتْبَعُهْ ... وَبَاتَ جَذْلانَ وَثيراً مَضْجَعُه(٦)
ذَا سنَة آمنَ ما يُرَوِّعُه ... حَتى دَنَت منه لحتْف تزْمعُه
فاظَتْ تَجمُّ سَمَّها وَتجْمَعُهْ ... يا بُؤْس للمُودعه ما يُودعُهْ(٧)
فَشَرعَتْ أمَّ الحمَام إصْبَعُه ... أنحتْ عليه كالشهاب تلْذَعُه(٨)

(١-١) ساقط من ر.

(٢) ساقطة من ر. (٣) تزحله: تنحيه.

(٤) السبت: الجلد المدبوغ. وخلق. مخلوق. يريد ذنبها. تفظعه: تراه فظيعا. أعصل. من العصل، وهو الالتواء في الشيء. وخطار: كثير الحركة يمينا وشمالا. (من رغبة الآمل).

(٥) السبجة: بردة من صوف فيها سواد وبياض، والرقشاء: الحية فيها نقط سود وبيض.

(٦) حبيش هنا: اسم اللديغ، والحين: الهلاك.، ووثيرا، من الوثارة. وهى لين الفراش.

(٧) فاظت: أخرجت سمها. (٨) شرعت: دنت.

عَطَّك سِـــرْبَالَ حَـــرير تخْلعُـــهْ فكلَّ خـلٍّ ظاهرٍ تَفَـــجُّـــعـــهْ[1]
يَزدادُ من بَغْتِ الحِـــمَامِ جَـزَعِـه واليـأسُ مِن تـيْـسـيـره تَوَقُّـــعُـه

وكذلك قال يزيدُ بن ضبَّة [أو يزيد بن الصمة[2]] .

[قال أبو الحسن : شك العباس فى أنه لأحدهما . أعنى هذا البيت] .

ولكـنَّهُم بَانـوا ولـم أدرِ بَغْـــتَـــةً وَأفْظَعُ شيءٍ حينَ يَفْجَـؤكَ البَغْتُ[3]

* * *

ومن أحسن التشبيه ومَليحِه قولُ رجل يَهْجُو رَجُلا برَثاثة الحال :

يأتيك فـى جُـبَّـة مـحـــرَّقَـة أَطْوَلُ أعــمـار مــثْلهَـــا يَوْمُ
وُطَيْلَسَـــانٍ كـــالآلِ يَلْبَـسُـــهُ على قَـــمـيـصٍ كـأَنَهُ غَـــيمُ

* * *

والتشبيه كثيرٌ، وهو بابٌ كأنه لا آخرِ له، وإنما ذكرنا منه شيئًا لئلا يخلوَ هذا الكتابُ من شىء من المعانى.

ونختمُ ما ذكرنا من أشعار المحْدَثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيِّد. ثم نأخذُ فى غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقْـريبــهُ المَرطَى والجـوْنُ مُعْـتَـدِلٌ كـأنـه سُـبَـدٌ بـالماء مَـغْــسُـولُ

السُّبد: طائرٌ بعينه. وقد قالوا : الخطفة التى توضعُ عند البئر ، وهو بالطائرِ أشبه، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ، وخيرُ الخـيل ما لم يُسْرع عَرَقُهُ ولم يُبْطئ، فإذا جاء فى و قته شَمَلَهُ.

قال الرَّاجزُ :

كــــأَنَّه والـطَّرْفُ منـه سَـــامِى مُـشْـتَـمِلٌ جـاء مِنَ الحَـمَّـامِ

وقال الأعشى :

(١) العط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين.

(٢) تكملة من س ، وفى ر : «أو للعرجم» ، ولعله : «أو للعرجى» .

(٣) حاشية الأصل : «فى غيرهذا الموضع إنه لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى».

يُعَادِى النحُوصَ ومسْحَلَهَا وعِفْوَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِم

النَّحْوص، جماعُها نحُصُ، وهى التى لم تَحْملْ فى عامها، والمِسْحَلُ: العَيْرُ، والعِفْوُ: الوَلَدُ وجمعُه عِفَاءٌ. فاعلم؛ وهو أَسْعَى له إذا لم يكن لعامه. ويَسْتَحِمُّ: يَعْرَقُ. وفى حديث أمِّ زَرْعٍ: «مضْجَعُه كَمَسلِّ الشَّطْبَة[1] وتكْفيه ذِرَاعُ التجفْرَة»[2]. ومعناه أنه خَمِيص البطنِ، وهذا تمْدَحُ به العربُ وتَستحسنه، فأما قولُ مُتَمَّم بن نُوَيْرة:

* فتى غَيْرَ مبْطان العَشيَّات أَرْوَعَا[3] *

فإنما أرَاد أنه لا يسْتعجلُ بالعشاء لانتظاره الضيفَ، كما قال:

وضَيْف إذا أَرقَى طُرُوقًا بَعِيرهُ وعان نآهُ الغلّ حتى تكَنَّعا[4]

وقالوا فى قول الخنساء:

يُذكّرُنى طُلوعُ الشمسِ صَخْرًا وأذكُره لكلِّ غُروبِ شمسِ

قالوا: أرادتْ بطلوعِ الشمس وقت الغَارَةِ. وبغروب الشمس وقت الأضْيافِ.

* * *

وقال رجلٌ لبعض أهله[5]: واللهِ ما أنتَ بعَظيم الرأس فتكون سَيِّدًا، ولا بأرْسَحَ[6] فتكون فارسًا.

وقال رجلٌ من بنى أَسدِ لرجل من قَيْس: واللهِ ما فُتِقْت فَتْق السَّادَةِ. ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ.

---

(١) الشطبة: السعفة التى تشطب من الجريد.

(٢) التجفرة: ما بلغ أربعة أشهر من ولد الشاة.

(٣) المبطان: العظيم البطن من كثرة الأكل. وصدره:

* لَقَدْ كفَّنَ الْمنَهالُ تَحْتَ ردائه *

(٤) قال الأصمعى: إذا ضل الرجل أرغى بعيره. أى حمله على الرَغاء لتجيبه الإبل برغائها، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى». والعانى: الأسير، والطروق. الإتيان ليلا. وتكنع الأسير: تقبض واجتمع.

(٥) ر: «لابن له».

(٦) الأرسح: قليل لحم الفخذين والأليتين.

فهذه كلُّها نعـوت قد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنها سِـمَاتٌ لهم. وكانوا يقولون: ينْبَـغى أن يـكون الفـارس[1] مُهَـفْهَفَ الخَـصْرَيْن[2]، مُـتَوَقِّـدَ العينين، حَـمْشَ الذِّراعين[3]. وأنشد الأصمعىُّ:

* كأنما سَاعِداه ساعدَا ذيب *

قالوا: ومن نعت السَّيِّد أن يكونَ لحيمًا، ضَـخْمَ الهامة، جهيرَ الصَّوْت، إذا خطا أَبْعدَ، وإذا تُؤمِّلَ مَـلأَ العيْنَ؛ لأنَّ حقَّه أن يكونَ فى صَـدر مجلس، أو ذِرْوَةِ مِنْبر، أو منفردًا فى مَوْكِب.

وكانوا يقولون فى نعت السيِّد: يملأ العَينَ جمالا، والسَّمعَ مَقالا.

* * *

وقال أبـو علىٍّ دِعْبل بن على فى رجلٍ نَسَـبَهُ إلى السُّؤدَد، بقوله لمعـاذ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِىِّ، وهو من ولد حُمْيدِ بن عبد الرحمن الفَقيه:

فــإذا جـالَـسْـتَـهُ صَـدَّرْتَهُ ... وتَنحـيَّتْ له فى الحـاشـيـهْ[4]
وإذا سَـايَرْتَهُ قَـدَّمْـتَـهُ ... وتأخْـرتَ مـعَ المسـتأنـيَـهْ[5]
وإذا ياسَـرْتَـهُ صَـادفـتَـه ... سَلسَ الخلق سَليمَ الـناحيَـهْ[6]
وإذا عـاسَـرْتهُ صـادفـتَـه ... شَـرِسَ الرَّأْى أَبيًّـا دَاهِيَــهْ[7]
فـاحْـمَدِ الله عـلى صُحـبتـه ... واسْـأَلِ الرَّحمنَ منه العـافِيَـهْ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ فى قوله:

بِشْـرٌ أبو مَـرْوانَ إن عـاسَـرْتهُ ... عَـسِرٌ وعندَ يَسَـاره مَـيْسـورُ[8]

---

(١) ر: «ينبغى للفارس أن يكون».
(٢) مهفهف الخصرين: ضامرهما.
(٣) حمش الذراعين. أى دقيقهما.
(٤) حاشية كل شىء طرفه وجانبه.
(٥) المستأنية: المتمهلة البطيئة.
(٦) ياسرته: لاينته وساهلته.
(٧) شرس الرأى: سيئ الخلق.
(٨) هو بشر بن مروان، أخو عبد الملك بن مروان.

بـاب

تجتمعُ فيه طَرَائفُ من حَسَن الكلام، وجيـدِ الشعر، وسائرِ الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله .

[الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك]

كان الحجَّاجُ بن يوسف يَسْتَثْقِل زيادَ بن عمرو العَتَكيَّ، فلما أَثْنت الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليد بن عـبد الملك، والحجاجُحاضرٌ، قال زيادُ بن عَـمرو: يا أمير المؤمنين، إنّ الحجـاجَ سيفُكَ الذى لا يَنْـبُو، وسَهْمُـكَ الذى لا يَطيشُ، وخادمُك الذى لا تأْخذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ، فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أَخَفّ على قلب الحجاج منه.

[لابن قيس الرقيات فى معاتبة المهلب]

ولزيادٍ يقول ابنُ قيس الرُّقَيَّات فى معاتبته المهَلَّبَ بن أبى صُفْرة :

أَبْلـغـا جَـارىَ المهَلَّبَ عَـنِّى — كلُّ جـار مُـفـارقٌ لا مَـحَـالَه
إنَّ جَـارَاتكَ الـلواَتى بَـتْكـرِ — يتَ لتَنْبـيـذ رَجْلهنَّ مـقَـالَهْ(١)
لو تَعَـلَّقْنَ من زياد بن عـمـرو — بحـبَـال لَمَـا ذَمَـمن حبَـالَه
غَلَـبَتْ أَمُّـهُ أَباهُ عـليــه — فَـهـوَ كـالكابُلىِّ أَشْبَـهَ خَـالَهْ(٢)
ولقــد غَـالنى يزيـدُ وكـانتْ — فى يَزيـد خـيـانةٌ ومَـغَـاله(٣)
عَـتكِـىٌّ كـأنَّـه ضَـوْءُ بَدْرٍ — يَحْـمَـدُ النَاسُ قَـولَه وَفَـعـالَهْ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ الفَزَارىُّ : لا أُشاتُم رجلا، ولا أَرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أَسَدُّ خُلَّتهُ، أو لئيمٌ أَشترى عِرضى منه.

* * *

وقال سَـهْلُ بن هارون : يجب على كل ذى مَقـالةِ أن يَبْدَأَ بحمـدِ الله قبلَ استفتاحِها، كما بُدِئَ بالنعمةِ قبل استحقاقِها.

---

(١) تكريت: بلد بين بغداد والموصل .

(٢) قال المرصفى: «يريد أن شهـوة أمه سبقت شهوة أبيه فـسرت أعراقها فيه» فلم يشـبه أباه فى صلابة عوده ونجابته. والكابلى: منسوب إلى كابل؛ وهو ثغور طخارستان، نسبة إلى العجم».

(٣) المغالة : الخيانة .

وكان يقولُ عند التَّعْزِيةِ : التَّهْنِئَـةُ بآجلِ الثواب أوْلَى منَ التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

* * *

وأراد رجلٌ الحجَّ، فأتى شعْبَةَ بن الحجاجِ يُوَدِّعُه، فقال له شعبة: أمَا إنك إنْ لم ترَ الحلْمَ ذُلا، والسَّفَه أنَفًا! سلِمَ لك حَجُّكَ.

وقالَ أُوَيْس القرَنىُّ : إنَّ حقوقَ الله لم تَتْرُكْ عند مُسْلِمٍ دِرْهَمًا .

[لدعبل يذم رجلا]

وقال دِعبلُ بن علىٍّ الخَزاعىُّ يذمُّ رجلا :

رأيتُ أبا عِـمْـرَان يَبْذلُ عِـرْضَـهُ ... وخُبْزُ أبى عمـران فى أحْرَزِ الحرز
يحِنُّ إلى جـاراتـهِ بعـد شِـبْـعِـه ... وجـاراتُه غَـرْثَى تَحِنُّ إلى الخُـبـزِ

[لبعض آل المهلب]

وقال آخر[1]:

قَـوْمٌ إذا أكلوا أَخْـفَــوْا كـلامَـهُـمُ ... وَاسْتَـوْثَقوا من رِتاجِ البـاب والدار
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِم[2] ... ولا تكُفُّ يَدٌ عن حُـرْمـةِ الجـار[3]

[لرجل من طيئ وكان قتل رجلا من بنى أسد]

وقال رجلٌ من طَيِّـئ ، وكان رجلٌ منهم، يقال له زيـدٌ، من وَلَد عُرْوَةَ بن زَيْدِ الخيْلِ ، قَتَلَ رجلا من بنى أَسَد يقال له زيدٌ، ثم أُقِيدَ به بَعْدُ :

علا زَيْدُنا يوم الْحمى رأسَ زَيْدِكمْ ... بأَبْيَضَ مَـصْـقُـول الغـرَار يَمَـانِ
فــإنْ تَقْــتُلُوا زَيْـدًا بَزيدٍ فــإنما ... أَقَــادكُمُ السُّلْطانُ بعــد زمَــانِ

* * *

(١) نسبه أبو تمـام فى الحماسة ٤ : ٩٠ إلى بعض آل المهلب. وقـال التبريزى فى شرحـه: «هو عبد الله بن عبد الرحمن، ولقبه أبو الأنوار».

(٢) القبس : الشعلة من النار ، والقابس: طالب النار .

(٣) زيادات ر : أظن تمامه :

حتى إذا استنبح الأضيـاف كَلبَـهم ... قـالـوا لأمِّــهمُ بولـى على النـار
قـامت بأحـمـرها تبـدى مـشـافـرَه ... كـــأنه رئـةٌ فى كـفّ جـــزار

والبيت الأول للأخطل ، وروايته فى ديوانه «قوم إذا استنبح. . .»

[قال أبو الحسن . وأنشدنا غيره :

عَلا زيدُنا يوم النّقى رأْسَ زيدكمْ ... بأبْيَضَ مِن مـاءِ الحـديد يَمَانِ]

[لشمعل التغلبى حين ضربه عبد الملك بن مروان]

قال : كلم شمعل التغلبى عبد الملك كلاما لم يرضه، فرماه عبد الملك بالجرز(١) فخدش وهشم ، فقال شمعل :

أَمِنْ جِذْبَةٍ بالرِّجْلِ مِنِّى تَباشَرَتْ ... عُدَاتى، فلا عَيبٌ علىَّ ولا سُخْرُ
فَإنَّ أميرَ المؤمنين وسَيْفَهُ ... لكالدَّهْر ، لا عارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ!

* * *

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد.

* * *

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا أن اسمه لم يقع فى حمد قط ، وكفى بالجود مجدا أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

* * *

وقال آخر :

ألا تَرينَ وقد قَطَّعْتنى عَذلا ... ماذا من الفَضلِ بَيْنَ البُخلِ والجودِ!
لا يَعْدَمُ السائلون الخَيرَ أفعلُه ... إمَّا نَوالا وإمَّا حُسنَ مَردودِ
إلا يكُنْ ورَقٌ يومًا أَراحَ به ... لِلْخَابِطين فإنى لَيِّنُ العُودِ

قوله: «إلا يكُنْ وَرَقٌ» يريد المالَ، وضَرَبه مَثَلا. ويقال: أتى فلانٌ فلانا يَخْتَبِطُ ما عندَه. والاخْتِبَاطُ: ضربُ الشجرِ ليَسْقُطَ الورقُ، فجعلَ الخابِطَ الطالبَ، والوَرَقَ المالَ، كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مَانِعَ ذى قُربى ولا رَحِمٍ ... يومًا ولا مُعْدِمًا مِن خابطٍ وَرَقَا

[بخل الحطيئة]

وَيُروَى أن ضيفًا نزل بالحُطَيْئةِ، وهو يَرعى غنمًا له ، وفى يده عصًا، فقال

(١) الجرز : عمود من حديد .

الضَّيفُ: يارَاعِى الغَنَم [ما عندك؟][(١)]، فأومأ إليه الحطيئـة بعصاهُ، وقال: عجْرَاءُ من سَلِمٍ[(٢)]، فقال الرجلُ: إنى ضَيْفٌ، فقال الحطيئةُ: للضّيفان أَعْدَدْتُها!

[متفرقات من شعر دعبل]

وقال دِعْبلٌ :

وابنُ عِـمْـرَانَ يَبْـتَـغِى عَـرَبِيًّـا ... لَيس يَـرْضَى البَنَاتَ لـلأكْـفـاء
إنْ بَدَتْ حـاجـةٌ له ذَكـر الضَّـيْـ ... ـفَ ويَنْسَـاه عندَ وقتِ الـغَـدَاءِ

* * *

وقال أيضا :

أضيافُ سالمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَة ... وفى شَـرَابٍ ولحمٍ غـيـرِ ممنوعِ
وَضْيفُ عَمْرو وَعمرو يَسْهَرَان معًا ... عـمْرٌو لبطْنته والضـيفُ للجُـوع

* * *

وقال أيضا :

ما يرحل الضيف عـنى بعد تكرمة ... إلا برفـد وتشـيـيع ومعـذرة

* * *

وقال أيضا :

لم يُطيـقـوا أن يَسمـعُـوا وَسَمِـعْنا ... وصـبَـرْنـا على رَحى الأسْنَانِ
صوت مَضْغ الضُّيوفِ أحسن عندى ... من غِنـاءِ القِـيَـان بالعِـيـدانِ

[وقال القرَشىُّ من بنى أميَّةَ :

إذا مـا وترنَـا لم نَنـمْ عَنْ ترَاتـنا ... ولم نَكُ أَوْغَـالا نقـيمُ البْـوَاكيـاَ[(٣)]
ولكنَّـنا نمضى الجـيـادَ شَـوازبا ... فنرمى بهـا نحو التِّـرَات المراميَـا[(٤)]

---

(١) تكملة من س .
(٢) العجراء : التى فيها عقد . والسلم : شجر من العضاه .
(٣) وترنا : قتل منا قتيل، والترات : جمع ترة. وهى النسل، والأوغال: جمع وغل ، وهو النذل الضعيف من الرجال .
(٤) الشوازب من الخيل : الضوامر .

وقال جرير :

إنَّ الذى حرمَ الخلافة تَغْلبًا ... جَعَلَ النُّبُّوةَ والخلافةَ فينا[1]
مُضَرٌ أبى وأبو الملوكِ وَهَلْ لكم ... يا خُزرَ تَغْلبَ من أب كأبينا !
هذا ابن عمِّى فى دمَشقَ خَليفةً ... لو شِئْتُ ساقكمُ إلىَّ قطينا[2]
إنَّ الفرزدقَ إذْ تحَنَّفَ كارها ... أَضْحى لتَغْلبَ والصَّليبِ خَدينا[3]
ولقد جَزِعْتَ إلى النصارَى بَعْدَمَا ... لَقِىَ الصليبُ من العذابِ مُهينا
هَلْ تَشْهَدُونَ من المشَاعِرِ مَشْعَرًا ... أَو تَسْمعون من الأذان أذينا![4]

* * *

قال أبو العباس : حدثنى عُمارةُ بن عقيلِ بن بلال بن جَرير، قال: لَمَّا بلغ الوليد قولُه :

هذا ابن عمى فى دمَشْقَ خَليفةً ... لو شئت ساقكُم إلىَّ قَطينًا

قال الوليد : أَمَّا والله لو قال: «لو شاء ساقكم»، لفعلتُ ذاك به، ولكنه قال: «لو شئتُ» فجعلنى شُرْطيًّا له.

* * *

ويُرْوَى أن بلالا[5] قعد يومًا ينظرُ بين الخصومِ، ورجل منهم ناحيًا يَتَمَثَّلُ قولَ الأخطَلِ على غير معْرفة[6]:

وابن المرَاغَة حابسٌ أَعْيَارهُ ... مَرْمَى القصيَّةِ ما يذُقْنَ بِلالا[7]

(١) الخرز : ضيقو الجفون ، يصفهم بأنهم ينظرون بمؤخر عيونهم حقدا وغيظا وعداوة .
(٢) القطين: الخدم والمماليك .
(٣) تحنف : تنسك وتأله .
(٤) الأذين : المؤذن .
(٥) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى القاضى .
(٦) فى هجاء جرير .
(٧) المراغة فى الأصل : الموضع تتمرغ فيه الدواب ،وتقال أيضا للأتان التى لا تمتنع من الفحول. والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار، والقصية: الموضع المتنحى البعيد. والبلال: ما بل الحلق من ماء وغيره.

فسمعه بلالٌ، فلمَّا تَقدَّمَ مع خصْمه قال له بلالٌ: أَعدْ عليَّ[1] إنشادَكَ، فَغَمزَه بعضُ الجلساء، فقال الرجلُ: إنى والله ما أدرى مَنْ قالَه، و لا فيمن قيلَ؟ فقال بلالٌ: أَجَلْ، هو أَسْيَرُ منْ ذاك، هلمَّا فَاحْتَجَّا.

* * *

وقال جرير:

مَررْتُ عَلى الديارِ فما رأَيْنَا ... كَدَارٍ بين تَلْعَةَ والنَّظيمِ
عَرَفْتُ الْمُنتَأى وعرفتُ منها ... مَطايَا القِدْرِ كالْحِدَأ الجُثُومِ[2]

* * *

وقال آخر:

لقد تَبَلَتْ فُؤادكَ إذْ تولَّتْ ... ولمْ تَخْشَ العُقوبةَ فى التَّولّى[3]
عَرَفْتُ الدارَ يومَ وقفتُ فيها ... بريحِ المِسْكِ تَنْفَحُ فى المَحَلِّ

* * *

(١) ساقطة من ر .
(٢) جثوم: جمع جاثمة ؛ من جثم الطائر إذا لصق بالأرض فلم يبرح.
(٣) تبلت فؤادك: أسقمته وأدنفته.

بـاب

من أخبار الخوارج

[فى بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبى]

قال أبو العباس: ذَكَـر أهلُ العلم من الصُّفْرِيَّة أنَّ الخوارج(١) لَمَّا عَزَموا على البَيْـعَة لعـبد الله بن وهْب الرَّاسِـبىِّ من الأزد، تكَرَّهَ ذلك. فَأَبَوْا مَـنْ سواه، ولم يُريدُوا غـيرَه. فلمَّـا رأى ذلك منهم قال: يا قَـوم، استَـبِيـتُوا الرأى ، أَىْ دَعُـوه يَغِبّ(٢).

وكان يقول: نعوذ بالله من الرأى الدبرِى.

قوله: «استبيتوا الرأى» يقول: دَعوا رَأيكم تأتى عليه ليلة ثم تَعَقَّبُوه. يقال: بَيَّت فـلانٌ كذا كذا، إذا فـعله ليلا، وفـى القرآن: ﴿**إذ يُبَيِّـتُونَ مـا لا يَرْضَى مِن القَوْل**﴾(٣)، أى أَدَارُوا ذلك بينهم لَيْلا(٤). وأنشدَ أبو عُبيدةَ :

أَتونى فـلم أَرْضَ مـا بَيَّـتُوا ... وكـانوا أَتَـوْنى بأمْـر نـكَرْ
لأنْكِح أَيِّـمَـهُم مُـنْـذِرًا ... وهل يُنْكِـحُ العَـبْـدَ حُـرٌّ لحـرّ!

والرأىُ الدَّبَرِّىُّ: الذى يَعْرُض(٤) بعد وقُوع الشىء، كما قال جريرٌ(٥):

ولا يَعرفـونَ الشرَّ حـتى يُصِيـبَهمْ ... ولا يعـرفـون الأمْـرَ إلاَّ تَدَبُّرا

وكان عـبدُ الله بن وَهْب ذا رأى وفَهْمٍ، ولسانٍ وشَـجاعةٍ، وإنما لجئـوا إليه وخلَعوا مَعْدَانَ الإيادى ، لقول مَعْدانَ :

---

(١) من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا. سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بـعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمـان. والصفرية: طائفة من الخوارج؛ تابعوا زياد بن الأصفر، ويقال لهم: الزيادية أيضا. الملل والنحل للشهرستانى ١: ١٢٣ .

(٢) يغب : أى يبيت .

(٣) سورة انساء ١٠٨ .

(٣) ر : «ليلا بينهم».

(٤) ر: «من بعد».

(٥) فى هجاء الفرزدق وقومه من بنى مجاشع.

سلامٌ على مَنْ بـايَعَ اللهَ شَارِيًا[١]   وليس على الحِـزْبِ المقـيم سَـلامُ

فبرئت منه الـصُّفْرِيَّةُ، وقالوا: خالفتَ، لأنَّكَ بَـرِئْتَ من القَعَدِ[٢] والخوارج في جميع أصنافِهَا تَبرأ من الكاذب . ومن ذِى المعصيةِ الظَّاهرةِ .

[شأنهم مع واصل بن عطاء]

وحُدِّثْتَ أَنَّ واصلَ بن عطاء أبا حُذَيفَـةَ أَقْبَلَ فى رُفقة ، فأَحَـسُّوا الخوارج، فقال واصـلٌ لأهـل الرِّفقة: إنَّ هذا ليس مـن شأنكم، فاعتَـزِلُوا وَدَعُونـى وإيَّاهـم ـ وكانوا قد أَشْرَفُوا على العَطَب ـ فقالوا: شـأْنَكَ، فَخَرَجَ إليهم، فقالوا: ما أنتَ وأصحابُكَ؟ قال: مشْركونَ مُسْتَجِـيرونَ، ليَسْمَعُوا كلام الله، ويفهموا[٣] حُدُودَه. فقالوا: قد أَجَرْناكم، قال: فعَلِّمُونا، فجعلُوا يعلمونه أحكامهم. وجَعل يقول: قد قبلتُ أنا ومَن معى، قـالوا: فامْضوا مُصاحَبين، فـإنكم إخواننا ! قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وإنْ أحدٌ منَ المشْركينَ استَجَارَكَ فأجِرهُ حتَى يَسْمَعَ كلامَ الله ثم أَبْلغْهُ مأْمَنَهُ**﴾[٤]، فأَبْلغُونَا مأْمَنَنَا. فنظَـرَ بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فساروا بجمعهم[٥] حتى بَلَّغُوهم المَأْمَنَ.

[مناظرة عبد الله بن عباس لهم]

وذكر أهلُ العلمِ من غـير وجه أنَّ عليًّـا رضى الله تعالى عنه لما وَجَّـهَ إليهم عبد الله بن عبَّاسٍ رحمة الله عليه، لِيُنَاظِرَهم، قال لهم: ما الذى نقَمْتُمْ على أمير المؤمنين؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميرًا، فلمَّا حكَّم فى دين الله خرجَ من الإيمان، فليُتبْ بعدَ إقـراره بالكفر نعد لهُ. فقال ابن عبـاس: ما ينبغى[٦] لمؤمنٍ لـم يَشُبْ إيمانَهُ شكٌ أن يُقِرّ على نفسه بالكفْر! قالوا: إنه قـد حكَّمَ، قال: إن الله عزَّ وجلَّ قد أَمرَنا بالتحكيم فى قتلِ صَيد، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يَحكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم**﴾[٧]، فكيفَ فى إمامةٍ قد أشْكلتْ على المسلمين! فـقالوا: إنه قد حُكمَ عليه فلم يَرْضَ، فقال: إنَّ الحكومة كالإمامةِ، ومتى فَسَق الإمـامُ وَجَبَتْ معصيتُه، وكذلك الحكمان

---

(١) شاريا، أى بائعا نفسه فى طاعة الله .

(٢) القعد: طائفة من الخوارج يرون التحكيم حقا؛ غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس.

(٣) ر : «ويعرفوا» .

(٤) سورة التوبة ٦

(٥) ر : «بأجمعهم».

(٦) ر : «لا ينبغى» .

(٧) سورة المائدة ٩٥

لَمَّا خالفا نُبِذت أقاويلهما فقال بعضُهم لبعض: لا تَجعلوا احتجاجَ قريشٍ حُجَّةً عليكم، فإنَّ هذا من القوم الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(1)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾(2).

[الفتوى فيمن أصاب صيدا وهو محرم]

وَالشيْءُ يذْكَرُ بالشيء، وجاء في الحديث أن رجلا أعرابيًّا(3) أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إنى أَصَبْتُ ظَبْيًا وأنا مُحْرِمٌ، فالتفتَ عمرُ إلى عبدالرحمن بن عَوْف، فقال: قل، فقال عبدُ الرحمن: يُهْدِى شَاةً، فقال عمرُ: أَهْدِ شَاة. فقال الأعرابىُّ: والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استَفْتَى غيرَهُ! فَخفَقَهُ عمرُ رضوان الله عليه بالدرَّة، وقال: أَتَقْتُلُ فى الحرَمِ وتَغْمِصُ الفُتْيا! إنَّ الله عز وجلَّ قال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾(4)، فأنا عمرُ بن الخطاب، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ.

* * *

وفى هذا الحديث ضُروب من الفقه؛ منها ما ذكروا أنَّ عبد الرحمن بن عوف قال أوَّلا، ليكون قولُ الإمام حُكْمًا قاطعًا، ومنها أنه رأى أنَّ الشاةَ مثلُ الظبيةِ، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾(4). وأنه لم يسأله: أَخطَأً قتلته(5) أم عمدًا؟ وجعل الأمرينَ واحدًا. ومنها أنه لم يسأله: أقتلت صيدًا قبله وأنتَ مُحْرِمٌ؟ لأنَّ قومًا يقولون: إذا أصابَ ثانية لم يُحْكَم عليه، ولكنَّا نقولُ له(6): اذهبْ فاتَّقِ الله، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنه﴾(7).

[قول قطرى بن الفجاءة لأبى خالد القنانى ورد أبى خالد عليه]

مِنْ طَرِيف أخبار الخوارج قولُ قطَرِيِّ بن الفُجاءَةِ المازنىِّ لأبى خالد القَنَانىِّ - وكان مِن قَعَدِ الخوارجِ:

---

(1) سورة الزخرف 58 . (2) سورة مريم 97 .

(3) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه قبيصة بن هانئ أحد التابعين .

(4) سورة المائدة 95 .

(5) ر : «قتله». وما أثبته عن الأصل.

(6) كلمة «له» ساقطة من ر . (7) سورة المائدة 65 .

أبا خـالد إنْفـرْ فَـلَسْتَ بخَـالد[1] وَمَا جَـعَلَ الرحمـنُ عذْراً لقـاعد
أتزْعُمُ أنَّ الخَـارجيَّ عـلى الهـدَى وأنتَ مُـقـيمٌ بين لِصٍّ وجـاحِـدِ!

فكتبَ إليه أبو خالد :

لقــد زادَ الحـيــاةَ إلىَّ حُـبًّـا بنـاتى، إنهنَّ مـن الضّـعَــاف
أُحــاذُر أنْ يَرَيْنَ الفَــقْـرَ بَعْـدى وأن يَشْـرَبْنَ رَنْقًـا بعـد صـاَفِ[2]
وأن يَعْـرَيْن إنْ كُـسِىَ الجـوارى فـتنْبُو العَـيْنُ عن كُـومٍ عجَـاف[3]
ولولا ذاكَ قـد سَوَّمْتُ مُـهْرى وفى الرحـمن لـلضّعَـفـاء كـاف
[أبانَـا مَنْ لـنا إنْ غِـبْتَ عـنَّا وصارَ الحىُّ بعدكَ فى اختلاف][4]!

[من أخبار عمران بن حطان وأشعاره]

هذا خلافُ ما قال عِمْرَانُ بن حطانَ، أحـدُ بنى عمرِو بن شَيْبان بن ذَهْلِ بن ثعْلَبَـةَ بن عُكابَةَ بن صَـعْبَ بن علىٍّ بن بكْرِ بن وائلٍ، وكـان[5] رأْسَ القعَـد من الصُّفْـرِية وخَطِيبِهُم وشاعـرِهم، قال: لـمَّا قُـتِلَ أبو بلال، وهو مِرْدَاس بن أُدَيَّةَ - وهى جدَّتُه. وأبُوهُ حُدَيْر. وهو أحدُ بنى رَبِيعةَ بن حَنْظَلَةَ بن مالكَ بن زيد مَنَاة بن تميمٍ، قال عِمران بنُ حطان:

لقــد زادَ الحـيــاةَ إلىَّ بُغْـضـا وحُـبًّـا لـلخـروجِ أبـو بلال
أُحَـاذرُ أن أمـوت عـلى فـرَاشى وأَرْجُـو الموتَ تحتَ ذُرَا الـعَـوَالى
ولو أنى عَـلِمْتُ بأَنَّ حَـتْـفى كَـحَـتْـف أبى بلالٍ لـم أبالِ
فـمنْ يك هَمُّـهُ الـدنيـا فـإنى لَهَـا والله ربِّ البـيتِ قـالى

وفيه يقولُ:

يا عَـيْنُ بكَى لِمرْدَاسٍ ومَـصْـرَعِـهِ يا رَبَّ مِرْدَاس اجـعَلْنى كـمرداسٍ

---

(١) ر : «يا انفر»، وما أثبته عن الأصل. س .
(٢) الرنق : الكدر .
(٣) العجاف : جمع عجفاء. وهى الهزيلة التى ذهب سمنها.
(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .
(٥) ر : «وقد كان».

تركْـــتنــى هائمًـــا أبكى لِمــرزئَتى | فى منْزلٍ مُـوحَشٍ من بعـد إيناس
أنكرتُ بَعدَكَ مَنْ قـد كنتُ أَعْرِفُه | ما الناس بعـدَكَ يا مِرْداسُ بالناسِ
إمَّـــا شَـــربْتَ بكأس دَارَ أَوَّلُهـــا | على القرون فذاقُـوا جُرْعَةَ الكاسِ
فَكلُّ مَنْ لم يَذقـهَا شاربٌ عَـجلا | منهـا بأنـفـاسِ وردٍ بعـدَ أَنْفـاسِ

* * *

وكان من حديث عـمرانَ بن حطّانَ فيما حدثنى العباسُ بن الفَرجِ الرِّيَاشِىُّ عن محمد بـن سَلام أنه لـمَّا أَطْرَدَهُ الحجاجُ كان ينتـقلُ فى القبائل، فكان إذا نزل فى حيٍّ انْتَسَب نَسبًا يَقْرُب منه، ففى ذلك يقول:

نَزَلْنَـا فى بَنى سَـــعْـــد بـن زَيدٍ | وفى عَكٍّ وعــامــرِ عـوبْـثـان[١]
وفى لَخْم وفــى أددِ بن عـمــروٍ | وفى بَـكْرٍ وحَىّ بـنى العَــــدَانِ

ثُمَّ أخـرج حـتـى نزل عند روح بن زنبـاعٍ الجُـذامـىّ. وكـان رَوحٌ يَقْـرِى الأضيافَ، و كا مسامراً لعبد الملك بن مروانَ أثيراً عنده[٢]، فانْتَمَى له من الأزْد.

ـ وفى غيـرهذا الحديث أنَّ عبد الملك ذكـر رَوْحا فقال: مَنْ أُعْطِى مـثلَ مَا أُعطِىَ أبو زُرْعةَ! أُعْطِىَ فقْهَ أهل الحجَاز ودَهاءَ أهلِ العراق، وطاعة أهل الشامِ.

رجع الحديثُ. وكـان رَوحُ بنُ زنْباعٍ لا يسمع شـعرًا نادرًا ولا حديثًا غـريبًا عند عبد الملك. فـقال: إن لى جارًا من الأزد ما أسمعُ من أميـر المؤمنين خَبَرًا ولا شعرًا إلا عَرَفَهُ وزاد فيه. فقال: خَبِّـرْنى ببعض أخباره. فَخَبَّرهُ وأنشده. فقال: إن اللغةَ عَدْنانيةٌ. وأنّى لأَحْسِبُهُ عـمرانَ بن حِطان؛ حتى تذاكروا ليلة قول عِمران بن حطان يمدحُ ابن مُلْجَم لعنه الله :

يا ضَـــرْبةً منْ تَقىٍّ مـا أرادَ بـهـا | إلا لِيَـبْلُغَ من ذى العرش رِضْـوانَا
إِنّى لأذكُـره حـــينًا فَـأَحْـسِـبـهُ | أَوْفى البَـرِيَّةِ عـند الله مـيـزَانَا[٣]

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لِمَنْ هو. فرجعَ روحٌ إلى عمرانَ بن حطانَ، فسأله عنه.

---

(١) فى الأصل : «عوثبان»، وما أثبته عن ر . وهو يوافق ما فى القاموس .
(٢) أثيرا : مكرما .
(٣) زيادات ر : «قلبه الفقيه الطبرى» فقال :

=

فقال عمرانُ: هذا يقولُه عمرانُ بن حطّانَ، يَمدح به عبد الرحمن بن مُلْجَم، قاتلَ علي بن أبى طالب، فـرجعَ روحٌ إلى عبـد الملك فأخـبره، فـقال له عبـدُ الملك: ضَيْفُكَ عمرانُ بنُ حطّان اذهب فجئنى به، فـرجَع إليه، فقال: إن أميرَ المؤمنين قد أحبَّ أن يراكَ، قالَ عمـرانُ: قد أردتُ أن أسأَلَك ذلك فاستحـييتُ منكَ، فامْضِ فإنى بالأثَر، فرجَع روْحٌ إلى عبد الملك فـأخبره، فقال له[1] عبد الملك: أَمَا إِنَّكَ سترجعُ فلا تجدُه! فرجع وقد ارتحلَ عمرانُ، وخَلَّفَ رُقْعَة فيهَا:

يارَوْحُ كم من أَخى مَـثْوًى نزلتُ به ... قـد ظَنَّ ظَنَّكَ مـن لَخْمٍ وَغَـسَّـان
حـتى إذا خِــفْتُــهُ فـارَقْـتُ منزلَهُ ... من بَعْد مـا قيلَ عـمرانٌ بنُ حطّانَ
قد كنـتُ جَارَكَ حَوْلا مـا تَرَوِّعُنى ... فـيــه روائعُ من إنْسٍ ومـنْ جـان
حـتى أردتَ بىَ العُظْـمَى فـأدركنى ... ما أَدْرَكَ الناسَ من خوف ابنِ مَرْوَان
فـاعْـذرْ أخـاك ابْنَ زِنْبَـاعٍ فـإنَّ له ... فى النـائبــات خُطـوبًا ذاتَ ألوان
ومَــا يمان إذا لاقـــيتُ ذا يَـمَنٍ ... وإن لَقــيتُ مَـعَــدِّيًّا فَـعَــدْنانى
لو كنتُ مـسـتـغفـرًا يومًـا لطاغيَـةٍ ... كنتَ المُقَـدَّمَ فـى سـرِّى وإعْـلانى
لكــنْ أبَتْ لِـىَ آياتٌ مُـطَهَّــــرَةٌ ... عنـد الولاية فى طـهَ وَعِـمْــرانِ

ثم ارتحل حتـى نزلَ بُزفَرَ بن الحارث الـكلابىِّ، أَحَد بنى عَـمرو بن وهب. فانتـسبَ له أَوْزاعيًّـا ـ وكان عـمرانُ يُطيلُ الصـلاةَ، وكانَ غلْمـانٌ من بنى عـامر يضحكونَ منه، فأَتاه رجلٌ يومًا ممّن رآه عند رَوح بن زنْباعٍ فسَلَّم عليه، فدعاه زُفَرُ فقال: منْ هذا؟ فقال: رجلٌ من الأزْد، رأيتُهُ ضيفًا لرَوْحِ بن زنباعٍ، فقال له زفَرُ: يا هذا، أأَزديًّا[2] مرةً وأَوْزَاعـيا مـرةٌ! إن كنتَ خائفًـا أمَنَّاكَ[3]، وإن كنتَ فقـيرًا جَبَرْنَاكَ. فلما أَمْسَى هَرَبَ وخَلَّفَ فى منزله رُقعةً فيها:

= يا ضَـــربةً من شـــقىٍّ مــا أراد بهـــا ... إلا لِيَـهْــدمَ من ذى الْعَـرْش بُنْيـانَا
إنى لأذكُـــرُه يومًــــا فـــــألعـنُه ... إِيهًـــا وألْـعَنُ عِـمْـــران بنَ حِـطانَا

قال محمد بن أحمد الطبيب يرد على عمران بن حطان :

يا ضَـرْبة منْ غَــدُور صـار ضَـاربُهَـا ... أَشْــقَـى البـريـة عنْدَ الله إنْسَــــانا
إِذَا تفـكَّرْتَ فـــيـــــهِ ظِـلْتُ أَلعـنُه ... وأَلْعَنَ الْـكَلْبَ عَــمْــرانَ بن حـطّانا

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) ر : «أزديا؟».

(٣) ر : «آمناك».

إن التى أصبحت يعيا بها زفر أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس: أنشدنى[1] الرِّياشِيُّ:

* أَعْيَا عَيَاهَا على روْحِ بن زِنْباع *

ـ وأنكَره كما أنكَرناه، لأنه قَصرَ الممدود، وذلك فى الشعر جائز، ولا يجوز مَدُّ المقصور ـ

مـا زَالَ يَسـأُلنى حَـوْلا لأخْـبِـرَهُ والناسُ من بين مَـخْـدوعٍ وخَـدَّاع
حـتـى إذا انقطعتْ عنى وَسَـائِلُهُ كَفَّ السـؤالَ ولم يُولعْ بـإهْلاعى
فاكـفُفْ كمـا كَفَّ عَنِّى إننى رجَلٌ إمَّـا صَـمـيمٌ وإمـا فَـقْـعـةُ القـاعِ
واكفُفْ لسانَكَ عن لوْمى ومسألتى مـاذا تُـريدُ إلى شَـيْخٍ لأوْزاع !
أما الصـلاةُ فإنى لَسْتُ تاركَـها[2] كلُّ امْـرِئ للذى يُعْنَى به سـاعى
أكْـرِمْ بـروْحِ بن زِنْبـاعٍ وأُسْـرته قـومٌ دَعَـا أَوَّلِيـهم للعـلا داعى
جـاورْتُهـم سنة فـيـمـا أُسَـرُّ به عِرْضى صحيحٌ ونَوْمى غـيرُ تَهجاع
فـاعْـمَلْ فـإنك مَنْعِيٌّ بواحــدةٍ حَسْبُ اللبيب بهذا الشَّيْبِ من ناعى

ثم ارتحل حـتى أتى عُمان. فـوجدهم يُعَظِّمُـونَ أمر أبى بلال ويُظْـهرونه، فـأَظهَرَ أمرَه فيهم، فبلغ ذلك الحجَّاجَ، فكتبَ إلى عامل[3] عُمان، فارْتحلَ عمرانُ هاربًا، حتى أتَى قومًا من الأزْد، فلم يَزَلْ فيهم حتى مات، وفى نزوله بهم يقولُ:

نزلْنَا بحـمــد الله فى خَـيْـر مَنْزِل نسَـرُّ بما فـيـه من الإنْسِ والخَـفَـرْ
نزلْنَا بـقـوم يَجـمَـعُ الله شَـمْلَهُمْ وليس لهم عُودٌ سوَى المَجْد يُعْتَصَرْ
من الأزْد إنَّ الأَزْدَ أكـرم أُسـرةٍ[4] يَمـانِيَـةٌ طابـوا إذا نسبَ البَـشـرْ
فأصـحبتُ فـيهم آمنًا لا كَـمَعْـشَرٍ أتَوْنى فـقالوا من رَبِيعـةَ أَوْ مضَـرْ
أَمِ الحَىِّ قَـحطَانَ؟ فَـتلْكُمْ سَـفـاهةٌ كمـا قال روح لى وصاحِبُهُ زفرْ[5]
وَمَـا مـنهـمـا إلا يُـسَـرُّ بنسْـبَـةٍ تُقَـرِّبنـى منْهُ وإنْ كـانَ ذَا نَفَـرْ
فَنحْـنُ بَنُو الإسْـلامِ واللهُ وَاحِـدٌ وَأَوْلَى عِـبَـادِ اللهِ باللهِ مَـنْ شكَرْ

---

(١) ر : «أنشدنيه».
(٢) ر : «غير تاركها».
(٣) ر : «أهل» .
(٤) ر : «معشر» .
(٥) ر : «لى روح».

قوله:

* يا روحُ كم مِن أَخِى مَثْوَى نَزَلْتُ به *

قد مَرَّ تفسيرُه. يقالُ: هذا أبو مَثْوَايَ. وللأُنثى: هذه أمُّ مثْوايَ، ومنزلُ الإضافة[1] وما أَشْبَهَها المَثْوَى. وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل: ﴿أكرمى مَثْوَاهُ﴾[2]، أىْ إضَافَتَه. ويقال مِنْ هذا: «ثَوَى يَثْوى ثويًّا» كقولك: مَضى يَمْضى مُضيًّا، ويقال: ثواءً،ومَضاءً، كما قال الشَّمَّاخُ:

طال الثَّواءُ على رَسْم بِيَمْؤُودِ أوْدَى وكلُّ جَديدٍ مَرَّةً مُودِى

وقوله:

* فيه رَوَائعُ مِن إنسٍ ومِن جَانِ *

الواحدةُ رائعة، يقال: رَاعَنى يروعُنى رَوْعًا، أى أفْزَعَنى، قال الله تعالى ذكْره: ﴿فلمَّا ذَهَبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ﴾[3]. ويكونُ الرائعُ الجميل، يقال: جَمالٌ رائعٌ، يكون ذلك فى الرجل والفرسِ وغيرهما، وأحْسبُ الأصلَ فيهما واحدًا؛ أنه يفْرُط حتى يَروع، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿يكادُ سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأبْصار﴾[4]. للإفراط فى ضيائه. والرائع؛ مهموزٌ، وكذلك كلُّ فعل من الثلاثة ممَّا عيْنُه واو أو ياءٌ، إذا كانت معتلة ساكنة، تقولُ: قال يقول، وباع يبيع، وخَافَ يخافُ، وهابَ يهابِ، يَعْتَلُّ اسمُ الفاعل فَيُهْمزُ موضع العين، نحو قائل،، وبائع، وخائف، وصائب. فإن صَحَّت العين فى الفعل صحَّت فى اسم الفاعل، نحو: عَوِر الرجلُ فهو عاوِرٌ، وصيدَ فهو صايدٌ، والصَّيَدُ: داءٌ يأخذُ فى الرأس والعينين والشُّئون. وإنما صحت فى «عورَ» و «حَولَ» و «صَيدَ» لأنه منقولٌ من «أحْوَل» و «أعْوَر». وقد أحكمنا تفسيرَ هذا فى الكتاب المُقْتَضب.

وقوله:

بومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ وإن لقيتُ مَعَدِّيًّا فعدْنانى

---

(1) ر: «الضيافة».

(2) سورة يوسف ٢١.

(3) سورة هود ٧٤.

(4) سورة النور ٤٣.

يريد أنا يومًا يمان، ولولا أنَّ الشِّعـر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا، علي معنى أتَنَقَّلُ يَومًـا كذا ويوما كذا. والرفع حـسنٌ جميلٌ. وهذا الشعـرُ يُنْشَدُ نصبًا.

أفِى السلم أعـيـــارًا جَـفـاءً وغَلْظَةَ وفى الحرب أمثالَ النساءِ العوارِكِ![1]

العوارك. هُنَّ الحوائضُ. وكذلك قوله:

أفى الـولائمِ أولادًا لـواحــــدةٍ وفى المحـــافـل أولادًا لَعَـــلات!

قال: العلاتُ، سُميتْ لأن الواحدة تُعَلُّ بعدَ صاحبتها. وهو من العَلَلِ، وهو الشُّربُ الثـانى. أى يختلفـون ويتحـولَّون فى هذه الحالات، ومن كـلام العرب: أتميميًّا مرةً وقـيسيًّا أخرى! وكذلك إن لم تستفهم وأخبـرتَ قلت: تميميا مرةً عَلمَ الله وقَيْسيًّا أخرى. أى تنتقلُ. ومن ثَـمَّ قال له زُفَرُ بن الحارث: أزديًّا مرةً وأوْزاعيًّا أخرى؟ والرفع على «أنتَ» جَيِّدٌ بالغُ.

وقولُه:

* لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغية *

يكون على وجهين: لنفْسِ طاغـية . والآخرُ للمذكَّر . وزاد الهاء للتـوكيد للمبالغة. كـما يقالُ: رجل راويةٌ وعَلامَةٌ ونَسَّابةٌ. وكلاهمـا وَجْهٌ. ويقال: جاءت طاغيــةُ الرُّوم. تريد الجماعــة الطاغية. كـما قال رسـول الله ﷺ: «تقْتُلك الفِتـئةُ الباغِيَةُ».

وقوله: «عندَ الولاية» إذا فـتحتَ فهـو مصدرُ «الوَلِىِّ» وفى القرآنِ المجـيد: ﴿**ما لكُم من وَلايَـتهم منْ شَىء**﴾[2]. والوِلايةُ مكسورةٌ. نحو السِّـياسة والرِّياضة والإيالةِ، وهى الوِلَايةُ. وأصلُهُ من الإصلاحِ. يقال: آلهُ يَؤُولُه أوْلا، إذا أصلَحه. قال عـمرُ بن الخطاب: قـد ألنَا وَإيلَ علينَا؛ تأويلُ ذلك : قـد ولينَا ووُلِىَ علينا. وهذه كلمةٌ جامعةٌ. يقول: قد وَلِينَا فَعَلِمنا ما يُصْلِح الوالِىَ، ووُلِىَ علينا فَعلمنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ.

(١) الأعيار: جمع عير ، وهو الحمار. والبيت من شواهد الكتاب ١ ـ ١٧٢ .
(٢) سورة الأنفال ٧٢ .

وقوله:

* حتى إذا ما انْقَضَتْ منِّى وَسائلُه *

وهى الذَّريعةُ والسَّببُ، يقال: قد تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رؤْبَةُ بنُ العَجَّاج:

والناس إن فصلتهم فصائلا كل إلينا يبتغى الوسائلا

وقوله: «ولم يُولَعْ بإهْلاعى»، أى بإفزاعى وترويعى، والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاة الأقران. يقال: نعوذ بالله من الهَلَعِ، ويقال: رجلٌ هَلُوعٌ، إذَا كان لا يَصْبرُ على خيرٍ ولا شَرٍّ، حتى يفعلَ فى كل واحد منهما غيرَ الحَقِّ، قال اللهُ عز وجل[1]: **﴿إنَّ الإنسان خُلقَ هَلُوعًا * إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعًا * وَإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا﴾**[2]. وقال الشاعرُ:

وَلِى قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو ونفْسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاعِ

وقوله:

* إما صَمِيمٌ وَإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ *

الصميم: الخالصُ من كل شىء، يقال: فلانٌ من صميم قومِه، أى من خالصهم. وقال جريرٌ لهشام بن عبد المَلِك:

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى شُئونَ الرأس مُجْتَمِعَ الصَّمِيم

وقوله: «وإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له: هو فَقْعة بقَاع، وذلك لأن الفقعةَ لا عُروقَ لها ولا أغصان. والفَقْعَةُ الكمأةُ البيضاءُ، ويقال: حمَامٌ فِقِّيعٌ لبياضه، ومن ذا قولُ الشاعر:

قومٌ إذا نسِبُوا يكونُ أبوهُمُ عند المَنَاسِبِ فُقْعَةَ فى قَرْقَرِ[3]

وقال بعضُ القرشيين:

إذا ما كنتَ مُتَّخذًا خليلا فلا تَجْعَلْ خليلَكَ منْ تَميمِ
بَلَوْتُ صميمَهُمْ والعبد منهم فما أدْنَى العَبِيدَ من الصَّمِيمِ!

---

(١) ر: «وهو أصدق القائلين».

(٢) سورة المعارج ١٩ ـ ٢١.

(٣) القرقر: الأرض المطمئنة اللينة.

وقوله :

* نسرٌّ بما فيهِ منَ الإنْسِ والخَفَرْ *

فأصل الخَفَرِ شدَّةُ الحياءِ، يقال: امرأةٌ خَفِرَةٌ، إذا كانت مستترةً لاستيحائها، قال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقفيُّ :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطْنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ به زينبٌ فى نسْوَةٍ خَفِرات

وقوله :

* منَ الأزْدِ إنَّ الأزْدَ أكْرَمُ أُسْرَةٍ *

يقولُ: عصابة وقبيلة، ويقالُ للرجل: من أىِّ أُسْرَةٍ أنتَ؟ وأصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقَتَب: مأسُورٌ، وقد مضى تفسيره.

ويُنْشَدُ :

* يمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشرْ *

يريدُ «قَرُبُوا»، وهذا جائزٌ فى كلِّ شىءٍ مضمومٍ أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب، تقولُ فى الأسماء فى فَخِذٍ، فَخْذٌ، وفى عَضُد، عَضْدٌ. وتقولُ فى الأفعال: كَرْمَ عبدُ الله، أى كَرُمَ، وقد علْمَ اللهُ ، أى عَلِمَ اللهُ، قال الأخْطَلُ(١) :

فإن أهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بَازِلٌ من الإبْلِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهلُه(٢)

وقال آخرُ:

عَجِبتُ لمولودٍ وليس له أبٌ وذى وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أبَوَانِ

ولا يجوز فى «ضَرَبَ» ولا فى «حَمَلٍ» أن يسكّنَ، لخفة الفتحة.

وقوله:

* أتَوْنى فقالُوا من ربيعةَ أو مُضَرْ *

يقول: أمِنْ رَبيعةَ أم من مُضَرَ؟ ويجوزُ فى الشعر حذفُ ألف الاستفهامِ، لأن «أم» التى جاءتْ بعدَها تدلُّ عليها، قال ابنُ أبى ربيعةَ:

---

(١) يهجو كعب بن جعيل .

(٢) البازل من الإبل : ما دخل فى التاسعة. ودبرت. من الدبر؛ وهو الجرح فى ظهر الدابة. والصفحتان: الجانبان.

لعَمْرُك ما أدرِى كنتُ دَارِيًا　　　　بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمْرَ أمْ بثمان

يريدُ: أبِسْبعٍ؟ وقال التَّميمىُّ:

لعَمَرُكَ ما أدرى وإنْ كنتُ داريًا　　　　شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شَعْيثُ بن مِنْقَر!

الروايةُ على وجهين: أحدُهما: أمن رَبِيعة أم مُضَرْ، أم الحىِّ قَحطان، يريدُ أذا أم ذا؟ والأملح[1] فى الرواية: من ربيعَة أو مضرْ، أم الحىِّ قَحطان، لأن ربيعةَ أخو مُضرَ، فأرادَ من أحد هذين أم الحىِّ قَحْطانَ؟ لأنَّهُ إذا قال: أزيدُ عندك أم عمرٌو؟ فالجوابُ: نَعَمْ أو لا، لأن المعنى أحد هذين[2] عندَك، ومعنى الأول: أيُّهما عندك؟

ويُروَى - وحدَّثنيه المازنىُّ - أنَّ صَفيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلب أتاها رجلٌ، فقال لها: أينَ الزُّبَيْرُ؟ قالت: وما تُرِيدُ إليه؟ قال: أُريد أنْ أُباطِشَهُ! فقالت: ها هو ذاك. فصار إلى الزبير فباطشه. فغلبه الزبيرُ، فمرَّ بها مَفْلُولا[3] فقالت صفيةُ:

كيف رأيتَ زَبْرَا　　　　أأقطًا أو تَمْرًا

أم قُرشيًّا صَقْرا

لم تَشْكُكْ بينَ الأَقط والتَّمر فتقول: أيُّهما هو؟ ولكنها أرادتُ: أرأيتهُ طعامًا أم قُرشيًّا صقرًا؟ أى أأحدَ هذين رأيتهُ أم صقْرًا؟ ولو قالت: أأقطًا أم تمرًا؟ لكَان[4] محالا على هذا الوجه.

وقوله:　　　　* وما منهما إلا يُسَرُّ بنسْبةٍ *

معناه وما منهما واحدٌ فَحَذَفَ لعلم المخاطَب. قال الله جل اسْمُه: ﴿**وإن من أهْلِ الكتَاب إلا لَيُؤْمنَنَّ به قَبْل موْته**﴾[5]. أى وإن أحدٌ، ومعنى: «إنْ» معنى «ما» قال الشاعر[6]:

ومـا الدَّهْرُ إلا تارَتَانِ فمنهما　　　　أموتُ وأُخرى أبْتَغِى العيشَ أكْدَحُ

يريدُ فمنهما تارةٌ.

---

(١) ر: «والأصلح».
(٢) ر: «لأن أحد هذين عندك».
(٣) مفلولا: مهزوما.
(٤) ر: «كان».
(٥) سورة النساء ١٥٩.
(٦) هو تميم بن أبى بن مقبل.

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ … وأولَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شكَرْ

يقول: انقطعت الوَلايةُ إلا وَلايةَ الإسلام، لأن وَلايةَ الإسلام قد قاربتْ بين الغُرَباء. وقال الله عَزّ وجلّ: ﴿إنَّمَا المُؤْمنُون إخْوةٌ﴾(١). وقال عزّ وجلّ - فباعد به بين القرابة: ﴿إنَّهُ ليس مِنْ أهْلك إنَّه عملٌ غَيْرُ صالح﴾(٢). وقال نَهارُ بن تَوْسِعَةَ اليَشْكُرِىُّ :

دعِىُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعيه … لِيُلْحِقَهُ بذى الحسَبِ الصَّميمِ

أبى الإسلامُ لا أبَ لِى سِوَاهُ … إذا افتخَرُوا بقيسٍ أو تميمِ

[أول من حكم من الخوارج]

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبارِ أنَّ أوَّلَ مَنْ حكَّمَ عُرْوَةُ بن أُدَيَّةَ - وأُدَيَّة جَدَّةٌ له فى الجاهلية(٣) - وهو عروةُ بن حُدَيْرٍ أحدُ بنى ربيعة بن حنظلة. وقال قومٌ: بل أولُ مَنْ حكَّمَ رجلٌ يقال له سَعيدٌ من بنى مُحارِب بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَرَ. ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهب الراسِبىّ، وأنه امتنع عليهم، وأومأ إلى غيره. فلم يَقْتَنِعُوا إلا به، فكان إمام القوم، وكان يوصَفُ بالرَّأْى.

[أول سيف سل من سيوفهم]

فأما أولُ سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ. وذلك أنه أقبل على الأشْعَث فقال: ما هذه الدنيَّة(٤) يا أشعثُ! وما هذا التحكيمُ؟ أشرطٌ أوْثَقُ من شَرْط الله عزَّ وجلَّ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ، والأشعثُ مُولٍّ، فضربَ به عَجُزَ البغلة، فَشَبَّت البغلة فنَفَرَت اليَمَانيَةُ - وكانوا جُلَّ أصحاب علىٍّ صلوات الله عليه - فلما رأى ذلك الأحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قدامة ومسعود بن فَدَكىٍّ بن أَعْبَدَ، وشَبَثُ بن رِبعىٍّ الريَاحىُّ إلى الأشعثِ. فسألوه الصَّفْحَ، ففعلَ.

* * *

(١) سورة الحجرات ١٥ .
(٢) سورة هود ٤٦ .
(٣) ر : «جدة له جاهلية».
(٤) ر : «الدنيئة».

وكان عروة بن أُدَيَّة نَجَا من حرب النَّهْرَوان، فلم يَزَلْ باقيًا مدة من خلافة معاوية ، ثم أتىَ به زيادٌ ومعه مولًى له، فسأله عن أبي بكر وعمرَ، فقال خيرًا، ثم سأله فقال: ما تقولُ في أميـر المؤمنين عثمانَ بن عفَّان وأبي تُرَاب عليٍّ بن أبي طالب؟ فتولَّى عثمان ستَّ سنينَ من خلافته، ثم شَهِد عليه بالكفر! وفصَل في أمر عليٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاويةَ. فسبَّه سبًّا قبيحا! ثم سأله عن نفْسه؟ فقال: أوَّلُكَ لزنْيَة وآخرُكَ لدعْوَة. وأنت بعد عاصٍ لربك! ثم أمرَ به فضربَتْ عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صِفْ لي أموره؟ فقال: أأطْنبُ أم أختصرُ؟ فقال: بل اختَصَر، فقال: ما أتيتُه بطعامٍ بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فراشًا بليل قطُّ.

[مناظرة على بن أبي طالب لهم]

وكان سببُ تسميتهم الحرُورية أن عليًّا رضوان الله عليه، لَمَّا ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما[1] قال لهم: ألا تعلمون أنَّ هؤلاء القوم لَمَّا رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم: إن هذه مكيدةٌ ووَهْنٌ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحف لم يأتوني، ثم سألوني التحكيمَ، أفَعَلِمْتُم أنه كان منكم أحدٌ أكْرَه لذلك منِّي؟ قالوا: اللهمَّ نَعَمْ، قال: فهل علمتُمْ أنكم استكرهتُموني على ذلك حتى أجبتُكم إليه، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكما بحُكْم الله عزَّ وجلَّ. فمتى[2] خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرَءاء، وأنتُم[3] تَعلمون أنَّ حكم الله لا يعدوني؟ قالوا: اللهم نعم ـ وفيهم في ذلك الوقت ابن الكَوَّاء، وهذا من قَبْل أن يَذبحوا عبدَ الله بن خَبَّاب؟ فإنما ذبَحوه بكَسْكَر في الفرْقة الثالثة ـ فقالوا: حكَّمْتَ في دين الله برأينا، ونحنُ مُقرُّون بأنَّا قد كفَرنا، ونحن تائبون! فأقْرِرْ بمثل ما أقررنا وتُبْ نَنْهَضْ معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أن الله جلَّ ثناؤه قد أمرَ بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأته[4]. فقال تبارك وتعالى: ﴿**فابعثُوا حكمًا من أهْله وحكمًا من أهْلها**﴾[5]. وفي صيد أصيبَ في الحرَم، كأرنب تساوي رُبْعَ درهم[6]، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يَحكُمْ به ذَوا عدْلٍ منْكُم**﴾[7]؟ فقالوا: إن عمرًا لَمَّا أبى عليكَ

(١) ر : «فكان مما».
(٢) ر : «فإن».
(٣) ر : «أو أنتم».
(٤) ر : «وامرأة».
(٥) سورة النساء ٣٥ .
(٦) ر : «يساوي ربع دينار».
(٧) سورة المائدة ٩٥ .

أن تقولَ في كتابك: «هذا مـا كتبه عبدُ الله عليٌّ أميـرُ المؤمنين» محوْتَ اسمكَ من الخلافة، وكتبتَ «علـيّ بنُ أبي طالب». فقال لهم رضي الله عنه: لي برسول الله ﷺ أُسْوَةٌ، حيثُ أبَى عليـه سُهَيْلُ بن عمرو أن يكتبَ: «هذا كـتابٌ كتبه مـحمدٌ رسول الله وسهيلُ بن عمرو» فقال: لو أقررتُ[1] بأنك رسول الله ما خالفُتك[2]، ولكني أُقدِّمك لفضلـك. ثـم قال: اكْتُبْ: «محمـدُ بن عـبـد الله»، فقال لي: «يا عليُّ، امْحُ رسَولَ الله»، فقلتُ: يارسول الله، لا تَسْخو نفسي بمَحْوِ اسمك من النبوَّة، فقال عليـه السلام: «فقفني[3] عليه» فـمحـاهُ بيده ﷺ، ثم قـال: «اكْتُبْ محمد بن عبد الله». ثم تَبسَّم إليَّ فقال: «يا عليُّ، أمَا إنكَ سَتسامُ مِثْلها فتُعْطي». فَرَجَعَ مـعه منهم ألفـان من حَرُوراءَ[4]. وقد كـانوا تجمَّعـوا بها، فـقال لهم عليٌّ صلواتُ الله عليه: مَا نسَمِّيكُمْ؟ ثم قال: أنتم الحروريةُ، لاجتماعكم بحَرُوراءَ.

وَالنَّسَبُ إلى مثلِ «حَـرُوراءَ» «حَرَوْرَاويٌّ»، فاعْلَم، وكذلك كلُّ مـا كان في آخره ألفُ التأنيث المَمْدُودَةِ لكنَّهُ نسبَ إلى البلد بحذف الزوائد، فقيل: الحروريُّ.

[للصلتان العبدي]

وقال الصَّلْتَانُ العَبْديُّ في كلمة له :

أرَى أمَّـة شـهَـرَتْ سـيـفـهَـا ... وقد زيدَ في سَوْطِها الأصْبَحي
بنَـجْــدِيَــة وحَــــرُوريَّة ... وأزْرَقَ يَدْعُــــو إلـى أزرقي
فَـــمِلَّـتُناَ أنَّـنَا المسـلمــون ... علـى دين صِـدِّيـقنَا والنَّبي

وفي هذا الشعرِ مما يُسْتَحْسَنُ قوله :

أشـابَ الصـغيرَ وأفْنى الكبيـرَ ... مـرّ الغـداة وكَـرُّ العَـشي[5]
إذا ليـلَةٌ هَـرَّمَتْ يومَـــهـــا ... أتى بـعـــدَ ذلـك يومٌ فَــتِي
نَروحُ ونَـغْــدُو لحـاجَـاتـنا ... وحـاجـةَ من عـاشَ لا تَنْقـضي
تموتُ مـع المرءِ حـــاجَـــاتُه ... وتبــقى لـه حـاجـة مَـا بقي

(١) ر : «أقررنا».
(٢) ر : «ما خلفناك».
(٣) ر : «قفني».
(٤) حروراء : قرية من الكوفة.
(٥) ر :

* مُرُورُ الليالي وكَرُّ العَشي *

قوله :

* وقد زيد فى سوطها الأصْبَحِى *

فإنه تُسمّى هذه السياط التى يُعَاقبُ بها السلطانُ الأصْبَحيَّةَ، وتُنْسَبُ إلى ذى أصبَح الْحميَرى، وكان ملكا من ملوك حِمْيَر، وهو أوَّلُ من اتخذها، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه.

والنَّجْديةُ تُنسَبُ إلى نَجْدة بن عُوَيمر، وهو عامرٌ الحنفىّ، وكان رأسًا ذا مَقالة مفردة[1] من مَقالات الخوارجِ، وقد بَقىَ من أهلها قومٌ كثيرٌ. وكان نَجْدةُ يصلى بمكةَ بحذاء عبد الله بن الزُّبَيْر فى جمْعهِ فى كل جمْعَةٍ، وعبد الله يَطْلُبُ الخلافة، فيُمسِكانِ عَن القتالِ من أَجْلِ الحرم.

[للراعى فى عبد الملك بن مروان]

قال الراعى يخاطب عبدَ الملكِ :

إنى حَلفْتُ على يمين بَرَّة ... لا أكذبُ اليومَ الخليفةَ قيلا
ما إنْ أتيتُ أبا خُبَيْب وافداً ... يومًا أريد بَبيْعتى تبديلا
ولا أَتَيْت نجَيْدةَ بن عُويمرٍ ... أَبْغِى الهُدى فيزيدنى تَضْليلا
من نِعْمة الرحمن لاَ من حيلتى ... إنى أعُدُّ له علىَّ فُضولا

وفى هذه القصيدة :

أَخَذوا العريف فقطعُوا حَيْزُومَهُ ... بالأصبَحِيَّة قائمًا مَغْلُولا[2]

قوله :

* وأَزْرَق يدعُو إلى أزْرَقىّ *

يريدُ من كان من أصحاب نافع بن الأزرقِ الحنفىّ، وكان نافعٌ شجاعًا مُقدمًا فى فقْه الخوارج، وله ولعبد الله بن عباس مسائلُ كثيرة، وسنذكر جملةً منها فى هذا الكتاب، إن شاء الله .

* * *

(١) ر : «منفردة».

(٢) العريف : القيم بأمور القبيلة .

وقوله :

* على دين صِدِّيقنا والنبيّ *

فالعرب تفعلُ هذا، وهو فى الواو جائز، أن تَبْدأ بالشىء والمقدَّمُ غيره[(١)]، قال الله عزَّ اسمُه: ﴿هو الَّذى خَلَقَكم فمنكم كافرٌ ومَنكم مُؤمنٌ﴾[(٢)]، وقال: ﴿يامَعْشَر الجنِّ والإنس﴾[(٣)]، وقال: ﴿واسْجُدى وارْكَعى مَعَ الرَّاكعينَ﴾[(٤)]. وقال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّهِ ... علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى بنى هاشم .

* * *

ومن كلام العرب : رَبيعةُ ومُضَرُ وَقَيْسٌ وخنْدف وسُلَيْمٌ وعامر، وأصحابُ نافعِ بن الأزرق هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ[(٥)]. وهم الذين أَحاطوا بالبصرةَ حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلها منها، وكان الباقون على الرحلة[(٦)]، فَقَلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم، فهزَمهم إلى الفرات، ثم هزمهم إلى الأهْواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ، ثم أخرجهم إلى كَرْمَان، وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحرب التى صاحبُها الزَّنج[(٧)] بالبَصرَةِ، يَرْثى البلد، ويذكر المنقبة التى كانتْ لهم :

[قال الأخْفشُ : أنشدَنيه يَزيدُ المَهَلَّبىُّ لنفسه].

سَقَى الله مصْراً خفَّ أهلوهُ من مصْر ... وماذا الذى يَبْقَى على عُقَبِ الدَّهْرِ![(٨)]

ولو كنتُ فيه إذْ أُبيحَ حَرِيمُهُ ... لَمُتُّ كَرِيمًا أو صَدَرْتُ على عُذْرِ

أنيح فلم أَمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةٍ ... تُهيبُ بها أَنْ حارِدَتَ لوعةُ الصَّدْرِ[(٩)]

---

(١) ر : «وغيره المقدم». (٢) سورة التغابن ٢ .

(٣) سورة الرحمن ٣٣ . (٤) سورة آل عمران ٤٣ .

(٥) الحد، بفتح الحاء: البأس والنفاذ فى النجدة، والجد بالكسر: الاجتهاد والسرعة فى الأمر، قاله المرصفى.

(٦) ر : «الترحل».

(٧) صاحب الزنج: رجل ظهر أيام المهتدى بالله؛ زعم أنه من ولد على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودعا الناس إلى طاعته، واستمال عددا كبيرا من الزنوج، يستعين بهم على العبث والفساد، سنة ٢٧ .

(٨) عقب الدهر : نوبه وأرزاؤه .

(٩) العبرة : الدمعة .

ونحــن رَدَدْنا أَهلَــهـــا إذْ تَرحَّـلُوا • وقــد نظمَتْ خَـيْلُ الأزَارِقِ بالجَسْـرِ
ومن يَــخْشَ أَطْرَافَ المَنـابا فــإِنَّـنَا لَبِـسْنَا لهَنَّ الســابغَـات من الصَّـبْـرِ
فــإنَّ كَـــرِيه المَوْت عَـذْبٌ مَــذَاقـهُ إذا مــا مَـــزجْنَاهُ بطيبٍ مـن الذِّكْـرِ
ومـــا رزق الإنســـانُ مـــثل مَنِيَّــةٍ أَراحتْ من الدنيا ولم تُخْـزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعر :

لِيَشْكُرْ بنـو العباسِ نُعْـمَى تَجَدَّدَتَ فـقـد وَعَـدَ اللهُ المَزِيدَ عـلى الشُّكر
لَقـد جَنَّبـتْكُمْ أُسْـرٌ إذ حَـسَـدَتْكُمُ فسَلَّتْ على الإسلام سَـيْفًا من الكُفْر
وقـد نغَّصَـتْـهُمْ جَوْلَــةٌ بَعْدَ جَـوْلَةٍ يُبـيتـون فــيهـا المسلمينَ على ذُعـر

* * *

وقال عبدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّات :

ألا طَرَقَتْ منْ أهلِ بـثنة طارقـهْ[(١)] على أنَّهـا معْـشـوقةُ الدَّلِّ عـاشقَـهْ
تبـيتُ وأرضُ السُّـوسِ بَيْنَى وبَينها وسُولافُ رُسْـتاقٌ حمَتْـهُ الأزَارقَهْ[(٢)]
إذا نحنُ شِـئنا صـــادَفَـتْنَا عـصـابةٌ حَـرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِـن الدِّين مارِقَـهْ

[من أخبارهم يوم النهروان]

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ عليٌّ صــلواتُ الله عليه منهم بالنَّهْرَوانِ ألفين وثمانيَ مائة، فى أصحِّ الأقاويلِ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين ممَّا يُسِرُّ أمْـرَهُ ولم يَشْهَدِ الحربَ، فـخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قـال عليٌّ رضوان الله عليه: ارْجعُوا وادفَـعُوا إلينا قاتلَ عبدالله بن خَبَّاب، فـقالوا: كُلُّنَا قَتَلَهُ وشَرِكَ فى دَمه! ثم حَـمَلَ منهم رجلٌ على صَفِّ عليٍّ، وقد قـال عليٌّ: لا تَبْدَءوهم بقـتالٍ، فَقَتَلَ من أصحاب عليٍّ ثلاثةٌ وهو يقولُ:

أقْـــتُـلُهُـمْ ولا أرَى عَلِـيّـــا ولو بَـدَا أَوْجَـــرْتُهُ الخَـطِيّـــا

فخرج إليه عليٌّ صــلوات الله عليه فقتله، فلما خالطه السـيف، قال: حَبَّذا الرَّوْحَةُ إلى الجنةِ! فقال عبـد الله بنُ وهْبٍ: ما أَدْرِى أَإِلى الجنةِ أم إلى النار! فقال

---

(١) ر : «ببية».
(٢) سولاف : قرية من أرض خوزستان. والرستاق اسم للسواد والقرى.

رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغتراراً بهذا، وأراه قد شَكَّ! فانخزَل بجماعة من أصحابه، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبى أيوب الأنصارىّ، وكان رحمه الله على ميمنة علىٍّ، وجعلَ الناسُ يتسلَّلُونَ، وقد قال علىٌّ وقيلَ له: إنهم يريدونَ الجسْرَ؟ فقال: لن يبلغوا النُّطْفَة، وجَعَل الناسُ يقولون له فى ذلك، حى كادوا يَشكُّونَ، ثم قالوا: قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ثم خرج إليهم فى أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ولا يفلت منكم عشرة، فَقُتِلَ من أصحابه تسعة، وأفلَت منهم ثمانيةٌ.

* * *

وقال أبو العباس: وقيل أولُ مَنْ حكَّمَ ولَفَظ بالحكومة ولم يُشدْ بها رجل من بنى سَعْد بن زيد مَناة بن تميم بن مُرّ، ثم[1] من بنى صَرِيم، يقال له الحجَّاجُ ابن عبد الله، ويُعْرَفُ بالبُرَك، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلْيَتِه، فإنه لَمَّا سَمِعَ بذكر الحكمَيْن قال: أَيُحكَّم فى دِينِ الله! لا حُكمَ إلا لله! فسمعه سامعٌ فقال: طَعَنَ والله فأنْفَذَ.

وأَوَّلُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَّينِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكر بن وائلٍ، فإنه كان فى أصحاب علىّ، فَحَمَل على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً، ثم مَرَقَ بين الصفَّين فَحكَّمَ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية، فكَثَروهُ، فرجَع إلى ناحية علىّ صلوات الله عليه، فحَملَ على رجل منهم، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله، فقال شاعرُ هَمْدانَ:

ما كا أغْنَى اليَشْكُرِىَّ عن التى ... تَصَلَّى بها جَمْرًا من النار حاميا
غَداةَ يُنَادِى والرماحُ تَنوشُهُ ... خَلَعْتُ عَلِيًّا باديًا ومعُاوِياَ[2]

وجاء فى الحديث، أن عليًّا رضى الله عنه تُلىَ بحضرته: **﴿قُلْ هل ننبِّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أَعْمَالا * الذين ضَلَّ سَعْيُهُم فى الحيَاة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[3]، فقال علىٌّ: أهلُ حَرُوراءَ منهم.

* * *

---

(١) كلمة «ثم» ساقطة من ر.
(٢) تنوخه: نناله.
(٣) سورة الكهف ١٠٣، ١٠٤.

ورُوى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خرَج فى غَدَاة يُوقظُ الناسَ للصلاة فى المسجد، فمـرَّ بجماعة تتحدثُ، فَسَلَّمَ وسَلَّموا عليه، فقال وقَبَضَ عـلي لحيته: ظننتُ أنَّ فـيكم أشـقَاهَا، الذى يَخْـضِبُ هذه من هذه. وأَوْمـأَ بيَـده إلى هامَتـه ولحيته.

[من شعر عليّ بن أبي طالب]

ومن شعر عِليٍّ بن أبى طالب رحمه الله الذى لا اخـتلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُرَدِّدُه؛ أَنَّهُمْ لَمَّـا سَامُوهُ أن يُقرَّ بالكفر ويتـوبَ حتى يَسيرُوا مـعه إلى الشامِ، فقال: أَبَعْد صُحبة رسول الله ﷺ والرِّفقة فى الدِّين أَرْجعُ كافرًا!

يا شـاهِدَ اللهِ عليَّ فـاشْـهَـدِ أنى عـلى دِينِ النـبىِّ أحْـمَـدِ

* مَنْ شَكَّ فى الله فإنى مُهْتَدِى *

ويُروَى : * أنى توَلَّيْتُ وَلِىَّ أحمدِ *

[فى تقسيم غنائم خيبر]

ويُروى أن رجلا أسـودَ شديدَ بياض الثيـابِ وقفَ على رسول الله ﷺ وهو يَقسمُ غَنَائم خَـيْبَر - ولم تكُن إلا لِمَنْ شـهد الحُدَيبـيةَ - فأقـبلَ ذلك الأسود على رسول الله ﷺ ، فقـال: ما عَدَلْت مُنْذ اليوم! فغـضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رُئِىَ الغضبُ فى وجهه. فقال عمرُ بن الخطاب : ألا أقتلُه يا رسولَ الله ؟ فقال رسول الله: إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبَأ .

وفى حديـث آخرَ أنَّ رسول الله ﷺ قـال له: «وَيْحَكَ! فمنْ يَـعْدلُ إذا لم أَعدلْ؟» ثم قال لأبِى بكرٍ: «اقـتُلْه»، فمضَى ثم رجَع، فقـال: يا رسول الله رأيتُهُ سَاجـدًا، ثم قال لعلىٍّ: «اقتُلْه»، فـمضى ثم رجَع، فقـال: يا رسول الله لم أَرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتلَ هذا ما اختلفَ اثنان فى دِينِ الله».

قال أبو العباس: وحدثنى إبراهيمُ بن محـمد التَّيْمىُّ قاضى البَصْرَة فى إسْنَاد ذكره، أن عليًّا رضى الله عنه وَجَّـه إلى رسول الله ﷺ بذهَبَة من اليمن، فَقَـسَّمها أَرْبَاعًا فأعْطَى رُبعًا للأقْرَع بن حَابسٍ المجـاشعىِّ، ورُبْعًا لزيْد الخيلِ الطائىّ، ورُبعًا لعُـيَيْنَة بن حِـصْنٍ الفَزارىِّ، ورُبْعًـا لعَلْقَمـةَ بن عُلاثَة الكلابى. فـقام إليـه رجلٌ

مُضْطَرِبُ الخلقِ غائرُ العينين، ناتئُ الجبهة، فقال: رأيتُ قسمةً ما أريدَ بها وَجْهُ الله! ، فَغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتى تَوَرَّدَ خَدَّاهُ، ثم قال: «أيأمَنُنى الله عزَّ وجلَّ على أهل الأرض ولا تأمَنُونى»! فقام إليه عمرُ فقال: ألا أقتله يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنه سيكونُ من ضِئْضِئ هذا قومٌ يَمْرُقُون من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّة، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ[١] فلا تَرَى شيئًا، وتنظرُ فى الرصاف[٢] فلا تَرَى شيئًا، وتَتَمارَى فى الفُوقِ[٣]» .

قوله ﷺ : «منْ ضِئْضِئ هذا» أى من جنْس هذا. يقال: فلانٌ من ضِئْضِئ صِدْق. فى مَحْتِد صِدْق[٤]. وفى مُرَكَّبِ صِدْق. وقال جَرير للحكَمِ بن أَيُّوبَ بن الحَكَم بْن أبى عَقيلٍ، وهو ابنُ عم الحجاج، وكان عامِلُه على البصرة:

أَقْبَلْنَ منْ ثَهْلانَ أو وَادى خِيَمْ ... على قِلاصٍ مِثْلِ خيطَانِ السَّلَمْ[٥]
إذا قطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ ... حتى أنَخْناها إلى باب الحكمْ
خَليفَة الحجَّاجِ غيرِ المتَّهَمْ ... فى ضِئْضِئ المجد وبُحبُوحِ الكرَمْ

ويقال: مَرَقَ السهمُ من الرميَّة، إذا نفذَ منها، وأكثر ما يكونُ ذلك ألا يعْلَقَ به من دَمِها شىء، وأقطعُ ما يكون السيفُ إذا سَبَقَ الدَّمَ، قال امرؤ القيس بن عابسٍ الكنْدى:

وقد أخْتَلِسُ الضَّرْبَـ ... ـةَ لا يَدْمَى لها نصلى

فأمَّا ما وضعه الأصمعىُّ فى كتاب « الاختيار ». فعلى غلط وُضِعَ.

[من أخبار واصل بن عطاء]

وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعْرَ لإسحاق بن سُوَيْد الفقيه، وهو لأعرابىٍّ لا يَعْرِفُ المقالات التى يميلُ إليها أهلُ الأهْواء، أنشدَ الأصمعىُّ :

---

(١) النصل: حديدة السهم والسيف .
(٢) الرصاف : عصب يشد على سنخ النصل .
(٣) الفوق: مشق رأس السهم .
(٤) ر : «ومن مجتد».
(٥) الخيطان : جمع خوط؛ وهى الأغصان.

برئت من الخـــوارجِ لستُ منهم | منَ الـغَّـــزَّال منهم وابن بَاب
ومنْ قـــوم إذا ذكـروا عَلـيّـا | يَرُدُّون السَّـلامَ على السَّحاب
ولـكـنّـى أُحبُّ بكلّ قـلبى | وأَعْلَمُ أَنَّ ذاك من الصَّواب
رسـولَ الله والصديـق حُبّـا | به أرجُـو غـدًا حُسْنَ الثَّواب

فإنَّ قـولـه: « من الغَزَّال منهم » يعنى واصل بن عطاء، وكان يُكْنى أبا حُذَيْفَة، وكان معتزليًّا، ولم يكن غزَّالا، ولكنه كان يُلقَّب بذلك، لأنه كان يَلْزَمُ الغزَّالِين، ليعْرفَ المُتَعَفِّفات من النساء، فيجعل صَدَقتَه لهن، وكان طويلَ العُنُق. ويُروى عن عمرو بن عُبَيْد، أنه نظرَ إليه من قَبْلِ أن يُكَلِّمَه، فقال: لا يُفْلحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُق!

* * *

وقال بَشارُ بن بُرْدٍ يهجُو واصلَ بن عَطاء:

مـاذا مُنيتُ بغَـزَّال له عنُقٌ | كَنِقْنق الدَّوِّ إنْ ولّى وإنْ مَثَلا(١)
عُنْقَ الزَّرافةِ مـا بَالى وبالُكُمُ | تُكَفِّرُون رجالا أكفروا رَجُلا!

ويُرْوَى: لا بَلْ(٢). كأنه لا يَشُكُّ فيه أنَّ بشَّارًا كان يَتَعَصَّبُ للنَّار على الأرضِ. و يصَوِّبُ رَأْيَ إبليسَ - لعنه الله - فى امتناعه من السجودِ لآدمَ عليه السلام. ويُرْوَى له:

الأرض مظلمة والنارُ مُشْرقةٌ | والنارُ مَعْبودة مُذْ كانتِ النَّارُ

فهذا ما يَرْويه المتكلمون.

* * *

وقَتلُه المَهْدِىُّ على الإلحاد. وقد رَوَى قومٌ أنَّ كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شىءٌ مما كان يرْمَى به وأُصيب له كتاب فيه: إنِّى أردتُ هِجاء آل سُلَيْمان بن علىٍّ،

(١) النقنق : الظليم . والدو : الفلاة الواسعة . ومثل : أى أيام .
(٢) قال المرصفى : هذه عبارة سخيفة ، يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبه الكفر إلى أصحابه، إذ نسبوه إلى واصل، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار وبصوب رأى إبليس. وكلمة « كأنه لا شك فيه » معترضة .

فذكرت قرابتَهم من رسول الله ﷺ فأَمْسكْتُ عنهم[1]. [إلا أَنِّى قلْت :

دِينارُ آل سُلَيْمان وَدرْهَمُهمْ ... كَبَابِلَّيين حُفَّا بالعفاريت
لاَ يُرْجيانِ ولا يُرْجَى نوالهُما ... كما سَمِعْتَ بِهارُوت ومَارورت][2]

وحدثنى المازنىُّ قال: قال رجلٌ لبَشَّار: أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبَاينٌ لديانَتكَ! ـ يَذْهَبُ به[3] إلى أنه ثَنَوِىّ ـ قال: فقال بَشَّارٌ: ليسوا يَدْرُونَ أنَّ هذا[4] لحم يَدْفع عنِّى شَرَ هذه الظُّلْمة.

* * *

وكان واصلُ بنُ عطاء أحدَ الأعاجيب، وذلك أنه كان أَلْثَغَ قبيحَ اللثغة فى الراء. فكان يُخلِّصُ كلامَه من الراء. ولا يُفْطَنُ بذلك[5] لاقتدارِه وسهولة ألفاظه، ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة. يمدحُه بإطالته الخُطبِ واجتنابه الراء، على كثرة ترددِّها فى الكلام. حتى كأنها ليسْت فيه :

عَلِيمٌ بإبدالِ الُحروفِ وقامِع ... لكل خَطِيب يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ

* * *

وقال آخر :

ويَجْعَلُ البرَّ قَمحًا فى تَصَرُّفِه ... وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ للشَّعَرِ
ولم يطقْ «مطَرًا» والقولُ يُعْجِلُهُ ... فعاذَ بالغَيْث إشفاقًا من المَطَرِ

ومما حكى[6] عنه قولُه: وذَكَرَ بَشَّارًا : أَما لهذا الأعمى الُمكْتَنى بأبى معاذ مَن يقْتُلُه! أَمَا والله لولا أنَّ الغيلة خَلُقٌ من أَخلاق الغالية لَبَعْثُت إليه من يَبْعَجَ بطنَه على مضْجَعِه، ثم لا يكونُ إلا سدُوسيًّا أو عُقَيْلِيًّا.

فقال : «هذا الأعمى» ولم يقل بَشَّارًا، ولا ابن بُرْد، ولا الضَّرير. وقال: «من أخلاق الغالية» ولم يقل المغيرِيَّة ولا المنصوريَّة. وقال: «لبعثت إليه». ولم

---

(١) د : «منهم» .
(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .
(٣) كلمة «به» ساقطة من ر .
(٤) كلمة «هذا» ساقطة من ر .
(٥) ر : «بذاك».
(٦) ر : «يحكى».

يقل: لأرسلتُ إليه. وقال: «على مَضْجَعه». ولم يقل: على فِراشه، ولا مرْقَده. وقال: «يَبْعَجُ». ولم يقل: يبْقُرُ. وذكَر «بَنى عـقيل». لأنَّ بشارا كَانَ يَتَوَالَى إليهم وذكر «بنى سَدُوسٍ». لأنه كان نازلا فيهم.

واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ.

* * *

قال: ولمَّا سقطت ثَنايا عبد المِلك (١بن مروان فى الطّسْتِ١) قال: والله لولا الخُطْبَة والنساءُ ما حَفَلْتُ بها.

* * *

قال: وخطب الجُمَحِىُّ، وكان مَنْزوعَ إحدى الثَّنِيَّتَيْن، وكان يَصْفِرُ إذا تكلّم، وأجاد[٢] الخُطْبَة، وكانت لنكاحٍ، فـردَّ عليه زيدُ بن علىٍّ بن الحسين كلامًـا جيِّدا. إلا أنه فَضَلَهُ بتمكين[٣] الحروف وحُسْن مَخارج الكلام.

فقال عبد الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك:

صَحَّتْ مَـخارجُهـا وتَمَّ حُروفُـها ... فـلهُ بـذاكَ مَـــــــزِيَّةٌ لا تُـنْكَـرُ

المزية: الفضيلة.

وأمَّا قوله: «ابـن باب» فهو[٤] عمرو بن عُـبَيْد بن بَاب، وهو[٥] مَوْلَى بنى العدويَّة، من بنى مـالك بن حَنْظلَة، فهذان مُعْـتَزليَّان وليسـا من الخوارجِ، ولكن قَصَـدَ إسحاق بن سُـوَيدٍ إلى أهل البِدَع والأهْواءِ ألا تَراه ذَكـر الرافضـةَ معهـما، فقال:

ومِنْ قَـــومٍ إذا ذَكَــرُوا علِـيًّــا ... أشـارُوا بالسَّـلام على السَّـحـاب

ويُرْوى: * يردُّونَ السَّلام على السَّحابِ *

[مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه]

ثم نرجعُ إلى ذكر الخوارجِ.

(١-١) ساقط من ر.
(٢) ر: «فأجاد».
(٣) ر: «يتمكن».
(٤) ر: «فإنه».
(٥) ر: «وكان».

قال أبو العباس: فلما قتلَ عليٌّ بن أبى طالب أهل النَّهْرَوَان، وكان بالكوفة زُهاءُ ألفين من الخوارج؛ ممن لم يَخْرُجْ مع عبد الله بن وهب، وقومٌ ممن اسْتأْمَنَ إلى أبى أيوبَ الأنصاريِّ، فتجمعوا وأمّروا عليهم رجلا من طَيِّئٍ. فَوَجه إليهم عليٌّ رجلا، وهم بالنُّخَيْلَة. فدعاهم ورَفَقَ بهم. فأَبَوْا. فَعَاوَدَهم فأَبَوْا. فَقُتلُوا جميعًا، فخدجت طائفةٌ منهم نَحْوَ مكة. ووجّه[1] معاويةُ مَنْ يُقيمُ للناسِ حَجَّهم. فَنَاوَشَهُ هؤلاء الخوارجُ، فبَلَغَ ذلك معاويةَ فوجّه بُسْرَ بن أرْطاةَ، أحدَ بنى عامر بن لؤَىّ، فتوافقُوا وتَراضَوْا بعدَ الحرب بأن يصلّىَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَة؛ لئلا يفوتَ الناسَ الحجُّ. فلمَّا انقضى نَظَرَت الخَوارجُ فى أمرها، فقالوا: إن عليًّا ومعاويةَ قد أفسدَا أمرَ هذه الأمة، فلو قتلناهما لعادَ الأمرُ إلى حَقِّه! وقال رجلٌ من أَشْجَعَ: والله ما عَمرٌو دونهما، وإنه لأصْلُ هذا الفساد. فقال عبدُ الرحمن بن مُلْجَم: أنا أقتلُ عليًّا. فقالوا: وكيفَ لكَ به؟ قال: أغْتالُهُ. فقال الحجَّاجُ بنُ عبدالله الصريمىُّ - وهو البُرَك: وأنا أقتلُ معاويةَ، وقال زاذوَيْه مَوْلَى بنى العنبر بن عَمرِو بن تميمٍ: وأنا أقتلُ عمْرًا. فأَجْمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قتلُهم فى ليلة واحدة. فجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحدى وعشرينَ من شهر رمضانَ، فخرج كلٌّ واحدٍ منهم إلى ناحية، فأتى ابن مُلْجَمٍ الكوفة. فأخْفى نفسَه وتزوّجَ امرأةً يقال لها قطام بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبَاب، وكانتْ تَرَى رأْىَ الخوارج - والأحاديثُ تختلفُ وإنما يُؤثَرُ صحيحُها - ويُرْوَى فى بعضِ الحديث[2] أنها قالتْ: لا أقْتَنِعُ منكَ إلا بصَداق أُسَمِّيه لَكَ، وهو ثلاثةُ آلاف درهمٍ. وعبدٌ وأَمَةٌ، وأن تقْتُلَ عليًّا. فقال لَها: لَكَ ما سألت، وكيف[3] لي به؟ قالت: تَرُومُ ذلك غيلَةً، فإنْ سَلمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شَرٍّ، وأقمتَ مع أهلكَ، وإنْ أُصبتَ خرجت[4] إلى الجنةِ ونعيمٍ لا يزول، فأنْعَمَ لها[5]، وفى ذلك يقولُ[6]:

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَينةٌ وَضربُ عليٍّ بالحُسام المُصَمِّم[7]

---

(١) ر: «فوجه». (٢) ر: «الأحاديث».

(٣) ر: «فكيف». (٤) ر: «سرت».

(٥) أى قال لها نعم.

(٦) قال المرصفى: بل قائله ابن أبى مياس المرادى.

(٧) قبله:

وَلَمْ أرَ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كمهر قطَامٍ من فَصِيحٍ وأعْجَم

(١٠)

فلا مَـهْر أغْلَى من عـلى وإن غَلا ولا فَتْكَ إلا دُونَ فَـتْك ابْنِ مُلجَم

وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معـاوية يزيدُ بن مُلْجَمٍ، والقاصدَ إلى عمرو آخرُ من بَنى مُلْجَمٍ، وأنَّ أباهم نهاهم، فلمَّا عصوهُ قـال: استعَدواُّ للموت، وأنَّ أمَّهُمْ حضَّتْهُمْ على ذلك. والخبرُ الصحيحُ ما ذكرتُ لك أولَ مرَّة.

فـأقَامَ ابنُ مُلجم، فـيـقالُ: إنَّ امـرأتَه قَطام لامَـتْهُ، وقـالت: ألا تمضى لما قَصَدْتَ له(١)! لَشَدَّ ما أحْـبَبْتَ أهلكَ! قال: إنِّى قـد وَعَدْتُ صاحبَىَّ وقتًـا بعينه ـ وكان هناك رجلٌ من أَشْجعَ، يقال له شَبيبٌ ، فَواطأَهُ عبدُ الرَّحمن.

* * *

ويُرْوَى أنَّ الأشْعَثَ نظَر إلى عبد الرحمن متقلدًا سيفًا فى بنى كِنْدَةَ، فقال: يا عبَد الرَّحمن، أرنى سيفك، فأراهُ إياه(٢)، فَرَأَى سيفًا حديدًا، فقال: ما تقَلُّدُك هـذا(٣) السيفَ وليس بأوَانِ حَـرْبٍ! فقال: إنى أردتُ أن أنحرَ به جَـزُورَ القَرْيَة! فَرَكِبَ الأشْعَثُ بغلتَـه، وأتى عليًّا صلوات الله عليه فَخَبَّرهُ، وقـال له: قد عرفتَ بَسَالَة ابن مُلجمٍ وَفَتْكه، فقال علىٌّ : ما قَتلنى بَعْدُ.

ويُرْوَى أن عليًّـا رضوان الله عليـه كان يخطبُ مَـرَّةً وَيُذَكِّرُ أصْحـابَهُ، وابن مُلجم تلْقَـاء المنْبَر، فَـسُمع وهو يقـولُ: والله لأريحنَّهُمْ منكَ! فلمَّا انصـرفَ علىٌّ صلوات الله عليـه إلى بيته أُتىَ بـه مُلبَّبًا، فـأشْرَفَ عليـهم ، فقـال: ما تريدونَ؟ فخبَّروهُ بما سمعوا، فقال: ما قتلنى بَعْدُ؛ فَخَلَّوْا عنه.

ويُرْوَى أن عليًّا كان يَتـمَثَّل إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْـدى كرب فى قَيْس بن مكْشُوحٍ المُرادِىِّ ـ والمكشوحُ هُبَيْرَةُ، وإنما سُمِّى بذلك لأنه ضُرِب على كَشْحِه:

أُريدُ حِـــبَـــاءه ويُـــريدُ قَـــتْـلى عَـــذِيرَكَ مِنْ خَلِـيلكَ من مُـــرَادِ

---

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) كلمة «إياه» ساقطة من ر .

(٣) كلمة « هذا» ساقطة من ر .

فيَنْتَفي من ذلك، حتى أكثرَعليه، فقال له المَرادىُّ: إنْ قضىَ شىَءٌ كانَ، فقيل لعلىٍّ: كأنك قد عرفته وعرَفتَ ما يُريدُ بك، أفَلاَ تقتلُه؟ فقال: كيف أقْتلُ قاتلى.

فلمَّا كان ليلَةَ إحدَى وعشرين من شهر رمضانَ، خَرَجَ ابنُ مُلْجَم وشبيبٌ الأشْجَعىُّ، فاعْتَوَرَا البابَ الذى يَدخلُ منه علىٌّ رضى الله عنه، وكان(١ علىٌّ يَخْرُجُ١) مُغَلِّسًا، ويوقظ الناسَ للصلاة، فخرج كما كان يفعلُ، فضربه شَبيبٌ فأخطأه، وأصابَ سيفُهُ الباب، وضربه ابنُ مُلْجَمٍ على صَلْعَته، فقال علىٌّ: فُزتُ ورَبِّ الكَعبة! شأنَكُمْ بالرَّجُلِ. عن بعض مَن كان فى المسجد(٢) من الأنصار قال: سمعت كلمة علىّ، ورأيتُ بريقَ السيف، فأمَّا ابن مُلجمٍ فحمل على الناسِ بسيفه فأفرَجُوا له، وتلقَّاهُ المغيرةُ بن نوفَل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفةٍ، فرَمَى بها عليه، واحتَمَله فضرب به الأرضَ، وكان المغيرة أَيِّدًا، فقَعَدَ على صَدره، وأمَّا شبيبٌ فانتزع السيفَ منه رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ، وصَرَعَهُ وقعد على صدره. وكَثر الناسُ، فجعلوا يصيحون: عليكم صاحبَ السيف، فخاف الحَضْرَمى أن يُكبُّوا عليه ولا يَسمعوا عُذْرَهُ فَرَمَى بالسيف، وانْسَلَّ شبيبٌ بين الناس فدخَل(٣ بابن مُلْجَمٍ٣). على علىٍّ رضوان الله عليه، فأُومرَ فيه، فاختلفَ الناسُ فى جوابه، فقال علىٌّ: إن أَعش فالأمْرُ لى(٤)، وإن أُصَب فالأمرُ لكم، فإن آثرْتم أن تقْتَصُّوا فضَرْبَة بضربة، وأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ للتَّقْوَى. وقال قومٌ: بل قال: وإن(٥ أصَبْ فاقتلوه فى مقْتَله٥). فأقام علىٌّ يومين، فسَمع ابنُ مُلْجَمٍ الرَّنَةَ من الدار، فقال له مَنْ حَضَره: أىْ عَدَوَّ الله! إنه لا بأس على أمير المؤمنين، فقال: أعَلى مَنْ تبْكى أمُّ كلْثومٍ(٦؟ أعَلَىَّ؟ أمَا والله لقد اشتريتُ سيفى بألف درهم، ومازلْتُ أعْرضهُ، فما يَعيبُه أحدٌ إلا أصْلَحتُ ذلك العيب، ولقد سقيته(٧) السُّمَّ حتى لفظَهُ، ولقد ضربتهُ ضَرْبَةً لو قُسمتْ على مَنْ بالمشرق لأتَتْ عليهم.

ومات علىٌّ صَلَواتُ الله ورضوانُه عليه ورحمته فى آخر اليوم الثالث(٨ فدعا عبد الرحمن بالحسن٨) رضى الله عنه. فقال: إنَّ لك عندى سرًّا. فقال الحسنُ

(١-١) ساقط من ر.

(٢) ر: «بالمسجد».

(٣-٣) ساقط من ر.

(٤) ر: «إى».

(٥-٥) «وإن أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله».

(٦) هى أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، زوج عمر بن الخطاب.

(٧) ر: «أسقيته».

(٨-٨) ر: «فدعا به الحسن».

رضـوان الله عليـه: أتَدْرون مـا يريدُ؟ يريدُ أن يَقْـرُبَ من وجـهى فـيَـعَضّ أُذُنى فيقطَعَها، فقال: أمَا والله لو أمْكَنَنى منها لاقـتلعتُها من أصلها! فقال الحسنُ: كلا والله، لأضربَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيك إلى النـار. فقال: لو علمتُ أن هذا فى يدك[1] ما اتخذتُ إلَهًا غيرك، فقال عبدُ الله بن جعفر: يا أبا محمد. ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسى منه. فاختلفوا فى قـتله، فقال قومٌ: أحْمَى له ميلَيْن وكَحَلَهُ بهمـا. فجعل يقول: إنك يابنَ أخى لتكْحَلُ عمكَ بمُلْمولَيْن[2] مَضَّاضَيْن[3]، وقال قـومٌ: بل قَطَعَ يديه ورجليه، وقال قومٌ: بل قطع رجليـه، وهو فى ذلك يَذْكر الله عزَّ وجلَّ. ثم عَمَدَ إلى لسانه فشَقَّ ذلك عليه. فـقيل له: لم تَجْزَع من قطع يديك ورجليك ونَرَاكَ قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك! فـقال: نعم أحببتُ أن لا يزالَ فـمى بذكر الله رَطبًا، ثم قتَلَه.

* * *

ويُرْوَى أنَّ عليًّـا رضى الله عنه أُتِى بابن مُلْجَمٍ وقيل له: إنَّـا قد سمـعنا من هذا كلامًا ولا[4] نأمنُ قـتله لك؟ فقال: مـا أصنع به؟ ثم قال عـلىٌّ رضوان الله عليه:

اشْـدُدْ حَيَـازِيمَكَ للمـوتِ ... فـإنَّ الموتَ لاقِـيكَا[5]
ولا تجـزع مـن المـوتِ ... إذا حَـلَّ بـوادِيـكَـا

والشعرُ إنما يَصحُّ بأن تحذف «اشْدُدْ» فتقولَ:

حـيـازيمَك للـمـوتِ ... فـإن الموت لاقِـيكَا

ولكنَّ الفـصحـاءَ من العرب يزيدون مـا عليـه المعنى. ولا يَعْتَـدُّونَ به فى الوزنِ. ويحذفون من الـوزن، عِلْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يُريدونه، فـهو إذا قال: «حيازيمك للموتِ»، فقد أضمر «اشددْ» ، فأظهرَه، ولم يَعْتَدَّ به.

قال: وحدثنى أبو عثمان المازِنىُّ قال: فصحاءُ العرب يُنشِدون كثيرًا:

---

(١) ر: «فى يديك».
(٢) الململول: الحبل يكتحل به.
(٣) أى جارين. (٤) ر: «فلا».
(٥) الحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر؛ يقال للرجل: اشدد حيازيمك، أى وطن نفسك على الأمر.

لسَعْـــدُ بنُ الضِّبَـــابِ إذا غَـدَا أحَبُّ إلينا منك فَـافرَس حَـمِرْ[1]

وإنما الشِّعْرُ :

* لَعَمْرى لَسَعْد بنُ الضِّبَاب إذا غَدَا *

* * *

وأما الحجَّاج بن عبد الله الصُّرَيْمى - وهو البُرَكُ - فإنه ضَرَبَ معاوية مُصَلِّيًا، فأصاب مَأكَمتَه[2]، وكان معاويةُ عظيمَ الأوْراك، فـقطع منه عرْقًا يقالُ له[3] عرْقُ النِّكاح، فلم يُولَدْ لمعـاويةَ بعد ذلك ولد. فلما أخـذ قال: الأَمَانُ والبشَـارةُ، قتلَ عليٌّ فى هذه الصَّبِيحـة، فاستُؤنىَ به حتى جاء الخَبـرُ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجله، فأقام بالبصرة، ثم بلـغ[4] زيادًا أنـه قـد ولُـد له، فقال: أيُـولَـدُ له وأميرُ المؤمنـين لا يُولد له! فقتله. هذا أحدُ الخبرين.

ويُرْوَى أن معـاويةَ قطع يديه ورجليه، وأمَـرَ باتِّخاذ المقـصورة، فـقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك: ما تأويلُ المقصورة؟ فقال: يخافون أن يَبْهَظُهُم[5] الناسُ.

وأمَّا زَاذَوَيه، فإنه أرْصَد لعَمْرو، واشـتكى عَمرٌو بطنه، فلم يخرج للصلاة. فخرج[6] خارجةُ[7]، وهو رجلٌ من بنى سَهْمِ بن عَمْـرو بن هُصَيْص، رَهْطِ عَمرو ابن العاص، فـضربه زَاذَوَيْه فـقتله، فلمـا دُخلَ به على عَمـرو فرآهم يخـاطبونه بالإمْرَة قال: أوَ مَا قـتَلْتُ عَمْرًا! قيل: لا، إنما قتلتَ خارجةَ، فـقال: أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة[8].

[لأبى زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب]

وقال أبو زُبَيْدٍ الطائىُّ يَرْثى علىَّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه :

إن الكرامَ عَلَى مـا كـان من خُلقٍ رَهْطُ امْـرِئ خارَهُ للدِّين مُـخْتَـارُ
صَبٌّ بصيـرٌ بأَضْغَـان الرجالِ ولَم يُعْـدَلْ بَخَـبْـرِ رسولِ الله أخْـبـارُ

---

(١) لامرئ القيس بن حجر. ديوانه ١٣٩ .
(٢) المأكمة: واحدة المأكمتين، وهمااللحمتان اللتان على رءوس الوركين.
(٣) كلمة «له» ساقطة من ر .
(٤) ر : «فبلغ».
(٥) يبهظهم : يغلبهم.
(٦) ر : «دخرج».
(٧) هو خارجة بن حذافة؛ له صحبة .
(٨) ر : «والله أراد».

وَقَطْرَة قطَرَتْ إذْ حَانَ مَوْعِدهَا وكل شيء لـه وقتٌ ومقْدارُ
حتى تَنَصَّلها فـى مسجد طُهُر على إمامٍ هُدًى إنْ معْشَر جاروا
حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّات أبو حَسَنٍ وأوجَبتْ بعده للقاتِل النارُ

قوله: «خارَهُ» يعنى[1]: اختاره، وهو «فعَلَهُ» و «اختاره» «افتعَلَهُ» كما تقول: قدر عليه، واقتَدَرَ عليه.

وقوله: «بَصيرٌ بأضْغَان الرِّجال»، فهى أسرارُها ومُخَبَّآتُها، قال الله تعالى: ﴿فَيحْفكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أضْغَانَكم﴾[2]. والحَبْرُ العالِمُ.

ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مَرَّ بيهودىٍّ يسأل مُسْلمًا عن شيء من أمرِ الدِّين، فقال له عليٌّ: اسألنى ودَع الرجلَ، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتَ حَبْرٌ. أى عالمٌ، قال علىٌّ عليه السلام: أنْ تَسْأَلَ عالمًا أجدَى عليك[3].

وقوله: «حتَّى تَنَصَّلها»، يريدُ استخرَجَها.

وقوله «حُمَّتْ»، معناه قُدرَتْ.

[للكميت فى رثائه أيضا]

قال الكُمَيْتُ:

والوَصِىُّ الذى أمالَ التَّجوبِـ ـىُّ به عَرْشَ أُمَّة لانهدامِ
قَتَلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتَلوه حكَمًا لا كَغَابر الحكّامِ
الإمامَ الزَّكِىَّ والفارسَ المُعْلـ ـمَ تحتَ العَجَاجِ غيرَ الكَهَامِ
راعيًا كان مُسجِحًا ففقَدْنَا هُ وفقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ[4]

* * *

قول: «الوَصِىُّ» فهذا شىءٌ كانوا يقولونه ويُكثرون فيه قال ابنُ قيْس الرُّقَيَّات:

نحنُ منا النبىُّ أحمدُ والصِّدِّيـ ـقُ منَّا التقىُّ والحُكماءُ

(١) ر: «إنما هو».
(٢) سورة محمد ٧٣.
(٣) ر: «أجدى لك».
(٤) مسجحا: سهلا.

وعلىّ وجعفرٌ ذو الجَنَاحَـ ـينِ هُناكَ الوَصِىُّ والشُّهداءُ

وقال كثيرٌ لمَّا حَبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمد بن الحَنَفِيَّةِ فى خمسةَ عشر رجلا من أهله فى سِجنِ عارِمٍ:

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ بَل العائذُ المحبوس فى سِجْنِ عارمِ
وصِىُّ النَّبىِّ المصطفى وابنُ عمه وفكَّاكُ أعناقٍ وقاضِى مَغَارم

أرادَ ابن وَصىِّ النبىِّ. والعربُ تُقيمُ المضافَ إليه فى هذا الباب مقامَ المضاف، كما قال الآخرُ :

صَبَّحْنَ منْ كاظِمَةَ الخُصَّ الخرِبْ يحْمِلنَ عَبَّاسَ بنَ عبدِ المطلبُ

يريدُ ابن عباس رضى الله عنه.

وقال الفرزدقُ لسليمانَ بن عبد الملك:

ورِثْتُمْ ثيابَ المجد فهىَ لَبوسُكُمْ عن ابنىْ مَنَاف عبدِ شمْسٍ وهاشم

يريد ابنى عبدِ منافٍ .

[لأبى الأسود الدؤلى فى آل البيت]

وقال أبو الأسود :

أحِبُّ مُحَمَّدًا حبًّا شديدًا وعَبَّاسًا وحمزةَ والوَصِيَّا
أحِبُّهمُ لحُبِّ الله حتى أَجِىءَ إذا بُعِثتُ عَلى هَوِيَّا
هوًى أعْطيتُهُ منذ اسْتَدارَتْ رَحَى الإسْلَام لَمْ يَعْدِلْ سَوِيًّا(١)
يقول الأرْذلون بنو قُشَيْر: طوَالَ الدَّهر ما تَنْسَى عليًّا!
بنو عمِّ النبىِّ وأَقْرَبوهُ أَحَبُّ الناسِ كلِّهمُ إليَّا
فإن يك حبُّهُمْ رُشدا أُصِبْهُ وليس بمُخْطِئٍ إن كان غيًّا(٢)

(١) زيادات ر : «السوى والسواء: الذى قد سوى الله خلقه، لازمانة به ولاداء؛ وفى القرآن: ﴿بشرا سويا﴾، وتقول: ساويت ذاك بهذا الأمر، أى جعلته مثلا له.

(٢) زيادات ر : «ويروى : وليست».

وكان بنو قُشَير عُثمانيَّة، وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يَرْمُون بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاهم مرة، فقالوا له[1]: ما نحنُ نرمِيك ولكنَّ الله يرميك! فقال: كذبتم والله، لو كان الله يَرمِينِى لما أَخْطَأَنى.

قال: وكان نَقشُ خاتمه:

يا غالِبى حَسْبُكَ مِنَ غالبِ   ارْحَمْ علىَّ بن أبى طالبِ

وقوله: «غيرَ الكهَامِ» فالكهامُ: الكَليلُ من الرجال والسيوفِ، يقال: سيفٌ كَهامٌ. وقوله:

راعِيًا كان مُسجِحًا ففقدنا   هُ وفقدُ المُسِيم هُلْكُ السَّوامِ

فالمسيمُ الذى يُسيمُ إبله أو غنمه ترْعى، وكذلك كلُّ شىء من الماشية، فجَعَل الراعىَ للناس كصاحب الماشيةِ الذى يُسيمها ويَسوسُها ويُصْلحها، ومتى لم يَرْجعْ أمر الناس إلى واحد فلا نظامَ لهم، ولا اجتماعَ لأمورهم.

قال ابنُ قيس الرُّقَيَّات:

أيها المشْتَهِى فَناءَ قُرَيْش   بيدِ الله عُمْرُها والفَناءُ
إن تُوَدِّع من البلاد قُرَيْشٌ   لا يكنْ بَعْدَهم لحىٍّ بقَاءُ
لو تُقفِّى ويُتْرَكُ الناسُ كانوا   غنَم الذِّئبِ غابَ عنها الرِّعَاءُ

وقال الْحِميْرَىُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه:

كان المسيمَ ولم يكن إلا لِمنْ   لزَمَ الطريقة واستقامَ مُسيما

ولمَّا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءَهم «لا حُكمَ إلا لله» قال: كلمة عادلة يُرادُ بها جَوْرٌ، إنما يقولون: لا إمارة، ولابُدّ من إمارة برَّة أو فاجرة.

* * *

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السَّلامُ لَمَّا أَوصى إلى الحسن فى وَقف أمواله وأن يَجعلَ فيها ثلاثة من مواليه وَقفَ فيها عينَ أبى نيْزَرَ[2] والبُغَيْبغَة فهذا[3] غلطَ. لأن وَقفهُ هذين[4] الموضعينِ لِسَنَتَيْن من خلافته.

---

(١) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٢) كذا ضبط فى الأصل. بفتح النون، وفى حاشيته عن الصحاح: «نيزر» بكسر النون.

(٣) ر: «وهذا».   (٤) ر: «لهذين».

[وقف عين أبي نيزر]

حدثنا أبو مُحلّم محمدُ بن هشَام في إسناد ذكره أخوهُ أبو نَيْزَرَ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعض ملوك الأعاجم، قال: وصحّ عندى بعدُ أنه منْ وَلَد النجاشيّ -(١ يعني أبا نيْزَرَ١) - فرغبَ في الإسلام صغيراً، فأتى رسولَ الله ﷺ فأسلم، وكان معه في بيوته، فلما تُوفيَ رسولُ الله ﷺ صار مع فاطمةَ وولدها عليهم السلام، قال أبو نَيْزَرَ: جاءنى عليٌّ بن أبى طالب وأنا أَقومُ بالضَّيْعَتيْنِ: عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغْيبغة(٢). فقال لى: هل عندكَ من طعامٍ؟ فقلتُ: طعامٌ لا أرضاه لأمير المؤمنين، قَرْع من قَرْعِ الضَّيْعَة صنعته بإهالة سَنِخَة(٣)، فقال: عَلَيَّ به، فقام إلى الربيع وهو جدول - فغسل يده، ثم أصابَ من ذلك شيئا، ثم رجع إلى الرَّبيع، فغسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما، ثم ضم يديه، كلَّ واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حُسًا(٤) من ماء الرَّبيع، ثم قال: يا أبا نيْزَرَ، إن الأكُفَّ أنظفُ الآنية، ثم مَسَح نَدَى ذلك الماء على بطنه، وقال: مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ، ثم أخذ المعْوَلَ(٥) وانحدرَ في العَيْن، فجعل يضربُ، وأبطأَ عليه الماءُ، فخرجَ وقد تَفضَّجَ جبينهُ عرَقًا(٦). فانتكفَ العَرقَ عن جَبينه، ثم أخذ المعْولَ وعادَ إلى العين، فأقبلَ يضربُ فيها، وجعل يُهَمْهِم(٧) فانْثالَتْ كأنها عُنُق(٨) جزُور، فخرجَ مُسْرعًا، فقال: أشْهدُ اللهَ أنها صَدَقةٌ، عليَّ بدواة وصحيفة، قال: فَعَجَّلْتُ بهما إليه، فكتبَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تَصَدقَ به عبد الله عليٌّ أميرُ المؤمنين، تَصَدَّقَ بالضَّيْعَتَين المعروفتين بعَيْن أبى نَيْزَرَ والْبُغَيْبغة، على فقراء أهل المدينة وابنِ السَّبيل، ليَقي اللهُ بها وجْهَه حَرَّ النارِ يومَ القيامة، لا تُباعَا ولا تُوهبَا حتى يَرِثَهُما اللهُ وهو خَيْرُ الوارثينَ، إلا أن يحتاجَ إليهما الحَسَنُ أو الحسينُ فهما طِلْق(٩) لهما، وليس لأحدٍ غيرهما.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) البغيبغة: عين لآل رسول الله ﷺ غزيرة الماء كثيرة النخل.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم والسنخة: المتغيرة الريح.

(٤) حسا: جمع حسوة؛ وهى الشربة ملء الفم.

(٥) المعول: الفأس العظيمة ينقر بها فى الصخور.

(٦) تفضج جبينه عرقا: سال.

(٧) يهمهم، من الهمهمة، وهى ترديد الصوت فى الصدر.

(٨) يقال انثال الرمل انثيالا، إذا تبع بعضه بعضا؛ وهو هنا على الاستعارة.

(٩) طلق: أى حلال.

قال محمدُ بن هشام: فركبَ الحسينَ رضى الله عنه دَيْنٌ، فحملَ إليه معاويةُ بعَيْنِ أبى نيْزَرَ مائتى ألف دينار، فأَبى أن يَبيعَ، وقال: إنما تَصَدق بها أبى لِيَقىَ اللهُ بها وجهه حَرَّ النار، ولستُ بائعهَا بشىء.

[كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم]

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ أَنَّ معاوية كَتَبَ إلى مروانَ بن الحكم، وهو وَالى المدينة: أمَّا بعدُ، فإن أميرَ المؤمنين أحَبَّ أن يَرُدَّ الألْفَةَ، ويَسُلَّ السَّخيمة، ويَصِلَ الرَّحِمَ، فإذا ورد عليك[(١)] كتابى هذا[(٢)] فاخْطُبْ إلى عبدِ الله بن جعفر ابْنَته أمَّ كُلْثُومٍ عَلى يَزيدَ بنِ أميرالمؤمنين، وارغَبْ لهُ فى الصَّدَاقِ.

فوجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية[(٣)]، وأعلمه بما فى رَدِّ الألفة من صَلاحِ ذات البَيْـن، واجتماعِ الدَّعْوة، فقال عـبدُ الله: إن خالها الحسينَ بِيَنْبُعَ، وليس ممن يُفْـتَاتُ عليه بأمـر، فأَنْظِرنى إلى أن يقْدم، وكانت أمُّـها زينب بنت علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليـه، فلما قَدِمَ الحـسين ذكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ. فقامَ من عنده فدخَل إلى الجارية، فقال: يا بُنَيَّة، إن ابنَ عَمِّك القاسمَ بن مـحمد بـن جعفـرِ بن أبى طالب أحق بك، ولعلك ترْغبين فى كـثْرَةِ الصَّدَاق وقد نـحَلْتَك البُغَيبـغات، فلمَّا حضرَ الـقومُ للإمْلاك[(٤)] تكلم مـروانُ بن الحكَم، فذكـر معاويةَ وما قصَـدَه من صلة الرَّحمِ وجَمْع الكلمة، فـتكلم الحسينُ فزوَّجَـها من القاسمِ بن محـمد. فقـال له مروانُ: أغدرًا يا حُسَيْنُ. فـقال: أنتَ بَدأْتَ، خطَبَ أبو محمد الحسنُ بن على عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بن عفَّانَ، واجتمعنا لذلك، فـتكلمتَ أنتَ فزوَّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْـر، فقال مروانُ: ما كان ذلك، فالتفـتَ الحسين إلى محمد بن حاطب فـقال: أَنْشُدُكَ الله، أكان ذاك؟ قال: اللهم نَعَم، فلم تَزَلْ هذه الضَّـيْعَةُ فى أيدى[(٥)] بَنى عبدِ الله بن جـعفر، من ناحيـة أمِّ كلثومٍ، يتـوارثونها، حـتي مَلَكَ أميـرُ المؤمنين المأمونُ، فَـذُكرَ ذلك له، فقال: كلا. هذا وَقْفُ علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فانتزَعها من أيديهم، وعوَّضهم عنها، وردها إلى ما كانتْ عليه.

(١) ر : «وصل إليك».

(٢) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

(٣) فى الأصل : «أمير المؤمنين»، وما أثبته عن ر .

(٤) الإملاك : عقد النكاح .

(٥) ر : «يدى».

قال أبو العباس: رَجَعَ الحديثُ إلى ذكر الخوارج وأمرِ علىٍّ بن أبى طالب رحمه الله .

قال: ويُرْوَى(١) أن عليًّا فى أوَّل خروجِ القومِ عليه دَعَا صَعْصَعة بن صوحَانَ العبدىَّ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم، وزيادَ بنَ النَّضْرِ الحارثى مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعةَ: بأى القومِ رأيتهم أشدّ إطاقةً؟ فقال: بيزيدَ بن قيسٍ الأرْحَبىِّ، فركب علىٌّ إليهم إلى حَرُوراء، فجعل يَتَخلَّلُهُم حتى صار إلى مَضْرَب يزيدَ بن قيسٍ. فصلَّى فيه ركعتين. ثم خرج فاتَّكأ على قوسه وأقبلَ على الناس، ثم قال: هذا مقامٌ مَنْ فَلَجَ(٢) فيه فَلجَ يومَ القيامة، أَنْشُدُكُم الله ، أعَلِمْتُمْ أحدًا منكم كان أكرَهَ للحكومة منِّى! قالوا: اللهم لا . قال: أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قَبِلْتُها؟ قالوا: اللهم نَعَمْ. قال: فَعَلام خالفتمونى ونَابَذْتُمونى؟ قالوا: إنَّا أتينا ذَنْبًا عظيمًا، فَتُبْنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نَعُدْ لكَ. فقال علىٌّ: إنى أستغفرُ اللهَ من كل ذَنْب . فرجعوا معه، وهم ستةُ آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَع عن التحكيم ورآه ضلالا ، وقالوا: إنما يَنْتظُر أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكراعُ(٣)، ويُجْبَى المالُ، فينْهَضَ إلى الشامِ. فأتى الأشعثُ بن قيس عليًّا عليه السلامُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الناسَ قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كُفْرا. فخَطَب علىٌّ الناسَ فقال: مَنْ زَعَمَ أنِّى رَجعْتُ عن الحكومة فقد كَذَب، ومن رآها ضلالا فهو أَضَلُّ. فخرجت الخوارجُ من المسجد فَحَكَّمَتْ . فقيلَ لعَلىٍّ: إنهم خارجون عليك، فقال: لا أقاتلُهم حتى يقاتلونى وسيفعلون، فَوَجَّهَ إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباهًا قرحَةً(٤) لطُول السُّجود. وأَيْديًا كَثفِنات الإبل(٥)، وعليهم(٦) قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ(٧) . وهم مُشَمِّرون، فقالوا: ما جاء بكَ يا أبا العباس؟ فقال: جئتكم من

(١) ر : «يروى».
(٢) فلج : انتصر.
(٣) الكراع : اسم لجماعة الخيل .
(٤) قرحة : بها قروح.
(٥) ثفنات الإبل : ما يصيب الأرض منها إذا بركت.
(٦) ر : «عليهم».
(٧) قمص مرحضة مغسولة، من أرحض الثوب ، غسله.

عند صهْر رسول الله ﷺ وابن عمّه، وأعلمنا بربّه وسُنَّة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: إنَّا أتَينا عظيمًا حين حكَّمْنا الرجال فى دين الله، فإنْ تابَ كما تُبنَا ونَهَضَ لمجاهدة عَدُوِّنَا رجعنا. فقال ابنُ عباس: نَشَدْتُكُم اللهُ إلا ما صَدَقْتُمْ أنفسَكُمْ! أمَا علمتُم أنَّ اللهُ أمرَ بتحكيم الرجال فى أرْنَب تُساوى رُبْعَ درهمٍ تُصادُ فى الحَرَم، وفى شقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نَعَمْ، فقال: فأَنْشُدكمُ اللهَ فهل[1] علمْتمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ أَمْسكَ عن القتال للهُدْنَة بينه وبين أهل الحُدَيْبِيَة؟ قالوا: نعَمْ، ولكنَّ عليًّا محَا نفسه من إمارة المسلمين، قال ابنُ عباس: ليسَ ذلك بمزيلها عنه وقد مَحَا رسولُ الله ﷺ اسمه من النُّبُوَّة، وقد أَخذَ عليٌّ على الحَكْمين ألاَ يَجُورَا، وإن يَجُورَا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاويةَ يَدَّعى مثل دَعْوَى على، قال: فأيُّهما رأيتُموه أَوْلى فوَلُّوه، قالوا: صدقت، قال ابنُ عباس: ومتى[2] جارَ الحكمان فلا طاعةَ لهما ولا قبول لقَوْلهما. قال: فاتبعه منهم ألفان وبَقِيَ أربعةُ آلاف، فَصلى بهم صلَواتهم ابنُ الكوَّاء، وقال: مَتى كانَتْ حَرْبٌ فرئيسكم شَبَثُ بن رِبْعِيّ الرِّيَاحِى، فلم يَزَالُوا على ذلك يومين، حتى أجْمَعوا على البَيْعة لعبد الله بن وَهْبٍ الرَّاسِبِىِّ، قال: ومَضَى القومُ إلى النَّهروَان[3]، وكانوا أرادوا المضى إلى المدائن.

[خبرهم مع عبد الله بن خباب وقتلهم له]

قال أبو العباس: فمن طَرِيف أخبارهم أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًّا، فَقَتَلوا المسلمَ وأَوْصَوْا بالنصرانىّ، فقالوا: احفظوا ذمَّةَ نبيِّكم[4].

ولقيهم عبدُ اللهَ بن خَبَّاب وفى عُنقه مصحفٌ، ومعه امرأته وهى حاملٌ، فقالوا له[5]: إنَّ هذا الذى فى عُنُقكَ ليأمُرُنا أن نقتُلَك، فقال[6]: ما أَحْيَا القرآنُ فأَحْيُوه، و ما أماتَه فأميتوه. فَوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطبة فوضَعها فى فيه، فصاحوا به، فَلَفَظَهَا تورُّعًا، وَعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضربه الرجلُ فقتلَه،

---

(١) ر : «هل». (٢) ر : «متى».

(٣) زيادات ر : «قال الأخفش: كذا كان يقول المبرد: «النهروان. بكسر النون والراء، وإنما هو النهروان» بالفتح، وأنشد للطرماح: «قل فى شط نهروان» بفتح النون.

(٤) س : «احفظوا ذمة بينكم».

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر ، وهى فى الأصل، س .

(٦) ر ، س : «قال».

فقالوا: هذا فَسادٌ فى الأرضِ، فقــال عبدُ الله بن خَبَّاب: ما علىَّ منكم بأسٌ، إنى لَمُسْلِمٌ، قالوا له: حَــدِّثْنا عن أبيك؟ قال: سمعتُ أبى يقول: ســمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فــتنةٌ يموتُ فيــها قَلبُ الرجلِ كَمــا يَموتُ بَدَنُه، يُمْــسى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافرًا، فكُنْ عبدَ الله المقتولَ، ولا تكنِ القاتلَ».

قالوا: فما تقــولُ فى أبى بكرٍ وعَمر؟ فأَثْنَى خيــرًا، فقالوا: ما[1] تقولُ فى علىٍّ أميرِ المؤمنين قبلَ التَّحْكيمِ، وفى عثمــانَ ستّ سنينَ؟ فأَثْنَى خيرًا، قالوا: فما تقولُ فى الحُكومة والتَّحْكيم؟ قال: أقول إنَّ علــيًّا أَعْلَمُ بالله منكم[2]، وأشَدُّ توَقِّيًا على دِينه، وأبعد[3] بصيرةً، قالوا: إنك لستَ تَتَّــبعُ الهُدَى، إنما تتبعُ الرجالَ على أَسمائها.

ثم قرَّبوه إلى شاطــئ النهر فذَبَحوه، فامْــذَقَرَّ دَمُهُ، أى جَرَى مســتطيلا على دقَّة.

وساموا رجلا نصــرانيًّا بنخلة له، فقال: هِىَ لكم، فقــالوا: ما كنا لنأخذها إلا بثمنٍ. قــال: ما أَعجَبَ هذا؟ أَتَقْتلونَ مــثلَ عبد الله بن خَبَّــاب ولا تقْبلُون منَّا جَنَى نخْلَةٍ؟

[غيلان بن خرشة ونيله منهم]

ومن طريف أخبارهم أن غــيْلانَ بن خَرَشةَ الضَّبِّىَّ سَمَــرَ ليلة عند زياد ومعه جماعةٌ، فَذُكِرَ أمرُ الخوارجِ، فأنحى عليهم غيلانُ، ثم انصرف بعد ليْلٍ إلى منزله، فلقيه أبو بلال مــرْدَاسُ بن أُدَيَّةَ، فقال له: يا غيْلانُ، قد بَــلغنى ما كان منك الليلةَ عندَ هذا الفــاسقِ، من ذكر هؤلاء القــوم الذين شرَوْا أنفــسَهم وابتــاعوا آخــرتهم بدنيــاهم! مــا يُؤَمِّنُكَ أن يلقــاكَ رجلٌ منهم، أَحْــرَصُ والله على الموت منكَ على الحياة، فيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ[4] برُمْحِه؟ فقال غيْلانُ: لن يَبْلُغَكَ أَنِّى ذكرتُهم بعدَ الليْلةِ.

[مرداس بن أدية وزياد]

ومرْدَاسٌ تنتحلُهُ جماعةٌ من أَهلِ الأهواء، لِقَشــفه وبَصيرته، وصحة عبادته، وظهورِ ديانته وبيانه؛ تنتحلهُ المعتــزلةُ، وتزْعُم أنه خَرَجَ منكرا لِجَوْرِ السلطانِ، داعيًا

(١) ر : «فما تقول».
(٢) ر : «أعلم بكتاب الله».
(٣) ر : «وأنفذ».
(٤) الحضنان : ناحيتا الإنسان. والجمع أحضان.

إلى الحَقَّ، وتحتجُّ له بقوله لزياد حيثُ قال على المِنْبَر: والله لآخذَنَّ المحسنَ منكم بالمسيء، والحاضرَ منكم بالغائب، والصَّحيحَ بالسَّقيم، [1]والمطيع بالعاصى[1]. فقام إليه مرداسٌ فقال: قد سمعنا ما قلت أيُّها الإنسانُ، وما هكذا ذكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيه إبراهيمَ عليه السلام، إذ يقولُ: ﴿وإبراهيمَ الَّذى وَفَّى * ألا تزر وازرةٌ وزْرَ أُخْرَى * وأن لَيْسَ للإنسان إلا مَا سَعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثم يُجْزاهُ الجَزاءَ الأَوْفى﴾[2] وأنتَ تزعمُ أَنك تأخذُ المطيع بالعاصى. ثم خرجَ فى عَقِبِ هذا اليومِ.

والشِّيَعُ تنتحله، وتزعمُ أنه كَتَبَ إلى الحسين بن علىّ صلواتُ الله عليه: إنِّى لَسْتُ أَرى رَأْى الخوارج، وما أنا إلا عَلَى دِين أبيكَ.

[آراء الفقهاء فى مذهب الخوارج]

وهذا رأىٌ قد استَهْوَى جماعة من الأشراف. يُرْوَى أنَّ المُنْذرَ بنَ الجارُودِ كان يَرى رأى الخوارجِ. وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراه، وكان صالح بنُ عبد الرحمنِ صاحب ديوان العِراق يراه، وكان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه[3] ولعل هذا يكون باطلا[3]، منهم عِكْرِمةُ مولى ابن عباس. وكان يقالُ ذلك فى مالكِ بن أنَسٍ.

ويَرْوِى الزُّبَيْريُّونَ: أنَّ مالكَ بن أنسٍ المَدينى[4] كان يَذْكُرُ عثمانَ وعليًّا وطَلْحَةَ والزُّبَيْرَ فيقولُ: والله ما اقْتَتلوا إلا على الثَّرِيد الأعْفر[5].

(١-١) ساقط من ر.

(٢) سورة النجم ٣٧ - ٤١.

(٣-٣) ساقط من ر.

(٤) حاشية س: «قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أن المذكور هنا مالك بن أنس الفقيه المدنى المشهور صاحب المذهب. وليس الأمركذلك. وهذا تقصير أو قصور من أبى العباس، حيث أبهم فى موضع البيان، لأن مالكا المذكور هنا هومالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكرى. ثم البصرى. أحد رؤساء أهل البصرة. وأعظم فقهائها فى زمانه. لشرف بيته وتقدمه فى معرفة كل فن، وشهرة زهده وكثرة تهجده؛ لكنه كان متهما برأى الخوارج. ولم يوقف لأمره على حقيقة، الله أعلم أى ذلك كان. وأما ألإمام مالك بن أنس المدنى الأصبحى الحميرى فهو الذهب الإبريز صفاء. والكبريت الأحمر عزة».

(٥) الثريد الأعفر: الأبيض. ليس بالشديد البياض. يريد الثريد الممتلئ بالإدام، قاله المرصفى.

فأمَّا أبو سَعيد الحسن البَصْرىُّ فإنه كان يُنكِرُ الحكومةَ، ولا يَرَى رأيَهم، وكان إذا جَلَسَ فتمكَّن فى مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فَتَرحَّم عليه ثلاثًا، ولعن قَتَلَته ثلاثًا، ويقولُ: لو لم نَلْعنهم لَلُعنَّا، ثم يَذكر عليًّا فيقول: لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين علىٌّ رحمه الله يَتَعَرَّفه[1] النصرُ، ويساعدهُ الظَّفَرُ، حتى حكَّمَ، فلِمَ تحكِّم والحقُّ معكَ! ألا تمضى قُدُمًا لا أبالك وأنت عَلَى الحقِّ!

* * *

قال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جفاءٌ، والعربُ تستعملها عند الحثِّ على أخذ الحقِّ والإغراءِ، وربما استعملتها الجُفاةُ من الأعْراب عندَ المسألة والطّلب، فيقولُ القائلُ للأميرِ والخليفةِ: انظر فى أَمر رعيتك لا أبالَكَ! وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملكِ رجلا من الأعراب فى سَنَة جدبةٍ[2] يقولُ:

رَبَّ العِبادِ مَا لنَا ومَالكَا ... قد كنتَ تسْقينَا فما بَدَا لكَا

* أنْزل علينا الغيْثَ لا أَبَالكَا *

فأخرجه سليمان أحسن مخرج، فقال: أَشهدُ أنه لا أَبَا له ولا وَلَدَ ولا صاحبة [وأشهد أن الخلق جميعًا عباده][3].

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أَبْعَد من هذه الكلمة لبعض قومه:

أَبَنى عُقَيْلٍ لا أبَا لأبيكُم ... أُيَىٌّ وأىُّ بَنى كِلابٍ أكْرَمُ

وقال رجلٌ من طَيِّئٍ، أَنشده أبو زيد الأنصارىُّ:

يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَىٍّ لا أبَالكم ... يا قُرْطُ إنِّى عليكم خائفٌ حَذرُ
أَأَنْ رَوَى مرقَسٌ واصْطافَ أَعنُزُهُ ... منَ التِّلاعِ التى قد جادها المطَرُ
قلتم له اهْجُ تميمًا لا أبَالكمٍ ... فى كَفِّ عبدكُم عن ذاكمُ قصَرُ
فإنَّ بيتَ تميمٍ ذو سَمِعْتَ به ... فيه تَنَمَّتْ وَأَرْسَتْ عزَّها مُضَرُ

---

(١) س: «يتعرفه». (٢) ر: «جديبة».
(٣) تكملة من ر.

قوله: «يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ» نَصبُهما معا أكثر على ألسنة العرب، وتأويلها: أنهم أردوا «يا قُرْطَ حُيي» فأقحموا «قرطًا» توكيدًا، وكذلك لجرير[١]:

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أَبَا لكمُ ... لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْءَة عُمَرُ

ومثلُه لعُمَر بن لَجَإ[٢]:

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ ... تطاوَلَ الليلُ عليكَ فانزل[٣]

فإن لم تُرد التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلا رفع الأول: «يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملات» و «يا تَيْمُ تَيْمَ عَدَيٍّ»، كما تقولُ: «يا زيد أخَا عمرو» على النعت. ومثلُ الأول فى التوكيد « يا بُؤْسَ للحربِ» أراد يا بؤسَ الحرب فأقْحَم اللامَ توكيدًا، لأنها توجب الإضافةَ. وعلى هذا جاء «لا أَبَالك» و «لا أبا لزيد»، ولولا الإضافةُ لم تثبت الألف فى الأب، لأنك تقول رأيتُ أباك، فإذا أفردتً قلت: هذا أبٌ صالحٌ، وإنما كانت «لا أَبَاكَ» كما قال الشاعرُ:

أبِالْموتِ الذى لابُدَّ أنِّى ... مُلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفينى

وقال آخر:

وقد مات شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ ... وأيُّ كريم لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ!

وقوله: «أَأَن رَوَى مرْقَسٌ» «مرْقسٌ» رجلٌ. وروى: استَقى لأهله، يقال: فلانٌ رَاوِيَة أَهْله، إذا كان يستقى لأهله، والتى على البعير والحمار مَزادَة[٤] فإذا كَبُرتْ وَعُظَمْتَ وكانت من ثلاثة آدِمَة[٥] فهى الْمُثَلَّثة. وأصغَرُ منها السَّطيحةُ[٦]، وأصغرُهنَّ الطَّبْعُ[٧]:

---

(١) قال المرصفى: «يهجو عمر بن لجأ التيمى»، وقبله كما فى الديوان ٢٨٥ :

أتبتغي التَّيْمُ عذرًا بعد ما غَدَرُوا ... لا يقْبلَ اللهُ من تيم إذا اعتذروا
لا تمنَعُون لكُمْ عرْسا وما لكمُ ... إلا بغيركُم وِرْدٌ ولا صَدَرُ

(٢) قال المرصفى : هذا غلط، صوابه: لعبد الله بن رواحة الخزرجى يقوله لزيد بن أرقم.

(٣) اليعملات : جمع يعملة؛ وهى الناقة السريعة. والذبل: الضوامر.

(٤) المزادة: هى التى تكون من جلدبن يزاد بينهما نصف جلد.

(٥) آدمة: جمع أديم، وهو الجلد.

(٦) السطيحة: التى تكون من جلدين، يقابل أحدهما بالآخر.

(٧) الطبع، قال المرصفى: لم أر أحدا من أهل اللغة ذكره إلا فى الأسقية،وإنما هو لملء السقاء.

وقوله: «واصْطافَ أعُزُه»، يريدُ «افْتَعلَتْ»، من الصَّيْف، أى أصابت البقلَ فيه.

والتَّلعةُ: ما ارتَفعَ من الأرضِ فى مُستَقرِّ المَسيلِ إذا تجافى السَّيلُ عن مَتْنِه، وجمعُه تِلاعُ.

وقوله: «ذَو سَمعْتَ به» يريد الذى، وكذلك تفعلُ طَيِّئٌ. تجعل «ذو» فى معنى «الذى»، قال زَيْدُ الخَيْلِ لبنى فَزَارَةَ، وذكر عامرَ بن الطُّفيل فقال:

* إنِّى أرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْن *

وقال عارقٌ الطائىُّ:

فإن لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعَلْتُمُ لأنْتَجِينْ للعَظْم ذُو أنَا عارِقُه(١)

يريد الذى.

* * *

ومن ظُرَفاءِ الْمَحدثين اليمَانِيَّة منْ يَعملُ هذا اعتماداً لإيثارِ لغةِ قومِه.

قال الحسنُ بن هانئ الحكمىُّ:

حُبُّ المُدَامَةِ ذُو سمعتَ به لم يُبْقِ فىَّ لغيرها فَضْلا

وقال حَبيبُ بن أَوْس الطَّائىُّ:

أنا ذُو عَرَفْتِ فإن عَرَتْكِ جَهالةٌ فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذَّال

وقال الحسنُ بنُ وهْبٍ الحارثىُّ:

عَلَلانى بذكرها عَللانى واسْقِيانى أوْلا فَمنْ تَسقيَانِ
أنا ذُو لم يَزَل يَهُونُ على النَّدْ مانَ إن عَزَّ جانب النَّدْمانِ
ويكونُ العزيز فى ساعة الرَّوْ ع بِصَدْق الطِّعانِ يومَ الطِّعانِ

* * *

(١) لأنتجين: لأقصدن. وعارقه، من عرق العظم يعرقه، بالضم عرقا، أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشا، وبهذا البيت سمى عارقا.

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج[1]:

قال أبو العباس: وكان في جملة الخوارج لدَدٌ واحتجاجٌ، عَلَى كثرةِ خُطبائهم وشُعَرائهم، ونفاذِ بَصيرتهم، وتَوْطين أنفُسهم على الموت، فمنهم الذى طُعِنَ فأنْفذَهُ الرُّمْحُ فجعل يسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول: ﴿**وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾[2].

* * *

ويُروَى عن النبى ﷺ أنه لَمَّا وصفَهم قال: «سيماهم التَّحْليقُ[3]، يقرءُونَ القرآن لا يُجَاوزُ تَرَاقِيَهُمْ، عَلامَتُهُمْ رَجلٌ مخْدَجُ اليدِ»[4].

وفى حديث عبد الله بنِ عَمرو: «رجلٌ يُقالُ له عَمْرٌو ذو الخُويصِرةِ»، أو «الخُنَيْصِرةِ».

* * *

ورُوىَ عن النبى ﷺ: أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجدٍ، إلى أنْ صَلَّى النبىُّ عليه السلام، فقال: «ألا رجلٌ يقتله»؟ فحَسَرَ أبو بكرٍ عن ذِراعه وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوَه، ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال: أأقتلُ رجلاً يقولُ: لا إله إلا اللهُ؟ فقال النبىُّ عليه السلام: «ألا رجلٌ يفعلُ»؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك، فلما كان فى الثالثة قصدَ له علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يَرَه، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنَة وآخرَها».

[حديث المخدج]

ويروى عن أبى مَرْيَمَ عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه ذكرَ المُخْدَجُ عندَ النبى عليه السلام، فقال أبو مريم: والله إنْ كان معنا لفى المسجد وكان فقيراً، وكان يَحْضُرُ طعامَ علِىٍّ إذا وضعه للمسلمين، ولقد كسوتُه تُرْسًا لى، فلمَّا خَرَج القومُ إلى حَروراءَ قلتُ: والله لأنظَرن إلى عسكرهم، فجعلتُ أتَخللهم حتى

(١) ر: «عاد الحديث إلى ذكر الخوارج».

(٢) سورة طه ٨٤.

(٣) سيماهم التحليق، أى علامتهم حلق الرءوس.

(٤) مخدج اليد: ناقصها.

صِرْتُ إلى ابن الكَواءِ وشَبَثِ بن ربعىّ، ورسلُ على تُناشدهم، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسول لعلى، فضرب دابّتَه بالسيف، فحمل الرجل سَرْجَه وهو يقولُ: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفة، فجعلتُ أنظُر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيدٍ، فرأيتُ المُخْدَجَ، وكان منى قريبًا، فقلتُ: أكنتَ مع القوم؟ فقال: أخذتُ سلاحِى أُريدُهم، فإذا بجماعة من الصبيانِ قد عَرَضُوا لى فأخذوا سلاحِى، وجعلوا يتلاعبونَ بى فلما كان يومُ النَّهر قال علىٌّ: اطلُبوا المُخدَجَ. فطلبوه فلم يجدوه، حتى ساء ذلك عليًّا، وحتى قال رجلٌ: لا والله يا أمير المؤمنين، ما هوَ فيهم، فقال علىٌّ: والله ما كَذبتُ ولا كُذِبْتُ، فجاء رجلٌ فقال: قد أصبناه يا أمير المؤمنينَ، فخرَّ علىٌّ ساجدًا، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سَجَد، وقال: لو أعلمُ شيئًا أفضلَ منه لفعلْتُه، ثم قال: سيماهُ أنَّ يَده كالثَّدْى، عليها شعراتٌ كشارب السِّنَّوْر، إيتونى بيده المُخدجَة، فأتوْهُ بها فنَصَبَها.

[من أخبار نافع بن الأزرق]

ويرْوَى عن أبى الجَلْد أنه نظَرَ إلى نافع بن الأزْرَق الحنَفىِّ وإلى نظره وتوَغّله وتعَمُّقه، فقال: إنى لأجِدُ لجهنم سَبعةَ أبوابٍ، وإنَّ أشدَّها حرًّا للخوارج، فاحْذَرْ أن تكونَ منهم.

قال: وكان نافعُ بن الأزرق يَنْتَجعُ عبدَ الله بن العباسِ فيسأله، فله عنه مسائلُ من القرآن وغيرِه، قد رَجَع إليه فى تفسيرِها، فقَبلَه وانْتَحَلَهُ ، ثم غلبتْ عليه الشِّقْوَةُ، ونحن ذاكرون منها صَدْرًا إن شاء الله.

* * *

حَدَّثَ أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المثَنى التَّيْمِىُّ النَّسَّابة، عن أُسامةَ بن زيدٍ، عن عِكْرمةَ ، قال : رأيتُ عبد الله بن العباس وعندَه نافعُ بن الأزْرَق وهو يسأله، ويَطلبُ منه الاحتجاجَ باللغة ، فسأله عن قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿**والليل وَمَا وَسَقَ**﴾(١)، فقال ابنُ عباسٍ: وما جَمَعَ، فقال: أتعرفُ ذلك العربُ؟ قال ابن عباس: أمَا سمعتَ قول الراجزِ:

---

(١) سورة الانشقاق ١٧ .

إن لنا قـــلائصـــا حـــقـــائقًـــا مُـــسْتَـــوْسقـــات لو يَجِـدْنَ سائقـا

هذا قولُ ابن عـباسٍ، وهو الحقُّ الذى لا يَقْدَحُ فـيه قادحٌ. ويَعْـرِضُ القول فيحتاجُ المبتدئ إلى أنْ يَزْدادَ فى التفسير.

قوله: «حقَائقا» إنما بَنَى الحقَّـةَ من الإبل ـ وهي التى قد استحَقَّتْ أن يُحْمَلَ عليـها ـ عَلَى «فَـعيلة» مـثلَ «حقـيقةٍ» ولـذلك جَمَـعها علـى «حقائقَ» ويـقال: «استَوْسَقَ» القومُ، إذا اجتمعوا.

ورَوَى أبو عبـيدة فى هذا الإسناد ـ ورَوَى ذلك غـيرُه، و سـمعناه من غـير وجه ـ أنه سـأله عن قولـه عزَّ وجلَّ: ﴿**قد جعَلَ ربُّك تحْتَك سَرِيًّا**﴾[١] فقال ابنُ عباس: الْجَدولُ، فسأله عن الشواهد، فأنشدَه:

سلْمًـــا تَرَى الـدَّالِجَ منهـــا أزْوَرَا إذا يَعـجُّ فى الـسَّـــــرِيِّ هَـرْهَرَا

السَّلْم: الدَّلْوُ الذى له عُـرْوةٌ واحدة، وهو دلْوُ السَّـقَّائيَن، وهو الـذى ذكره طَرَفةُ فقال:

لهـا مِـــرْفَـقـانِ أفْـتـــلانِ كـأنما أمِـرَّا بسَـلْمَى دَالجٍ مُـتَــشَـدِّدِ[٢]

والدَّالجُ: الذى يمشى بـالدَّلْو بين البـئـر والْحَـوْضِ، وأصـحـابُ الحـديث يُنْشِدونَ: «تَرَى الدَّالِيَ منه أزْوَرَا» وهذا خطأ لا وجهَ له.

ورَوَى أبوعُبيدةَ وغيْرُه: أن نافعًا سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله: ﴿**عتُلٍّ بعدَ ذلك زَنيم**﴾[٣]: ما الزنيمُ؟ قال: هو الدَّعىُّ الملزَقُ، أمَا سمعتَ قولَ حَسَّانَ بن ثابت:

زَنيـمٌ تداعَـــــاهُ الرجـــــالُ زيادةً كما زِيدَ فى عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ

يزْعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقـاقَ ذلك من الزَّنمة التى بحَلْق الشاة، كما يقولون لمن دَخَل فى قـومٍ ليس منهم: زَعْنَفـةٌ[٤]، وللجـمع زعانِف، والزعْنَفـة: الجَناحُ من أجنحة السَّمك.

---

(١) سورة مريم ٢٤ .

(٢) أفتلان، من الفتل؛ وهواندماج مرفق الناقة.

(٣) سورة القلم ٣ .

(٤) زيادات ر : «الأم : زعنفة بالكسر».

قال أبو الحسن الأخفش: كذا قال «زَعنَفة»، والناسُ كلهم يقولون: «زِعنِفة» بكسر الزاي. وهو الوجه.

* * *

ويُرْوَى عن غير أبي عُبيدةَ أنه سأله عن قوله جلَّ اسمُه: ﴿**والْتَفَّت السَّاقُ بالسَّاقِ**﴾[1]، قال: الشِّدَّةُ بالشدة، فسأله عن الشاهد فأنشدَه:

أخو الحَرْبِ إنْ عَضت به الحربَ عَضَّهَا ... وإن شمَّرت عن سَاقِهَا الحربُ شمَّرَا

* * *

قال أبو العباس: وقرأتُ على عُمارةَ بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المَهَلَّب بن أبى صُفْرَة، ويمدحُ هلال بن أحْوَزَ المازِنىَّ، ويَذكر الوَقعْةَ التى كانت لهم عليهم بالسِّنْدِ فى سُلْطانِ يزيدِ بن عبد المَلِكِ، بسبب خروجِ يزيدَ بن المهلَّبِ عليه:

أفولُ لها من ليلةٍ ليس طُولها ... كطُّولِ الليالى لَيْت صُبْحَك نَوراَ
أخافُ على نفسِ ابنِ أحْوزَ[2] إنّه ... جَلا حُمَمًا فوقَ الوجوه فأَسْفَرَا
جَعلتَ لِقَبْرٍ للخَيارِ ومَالك ... وقبر عدىٍّ فى المقَابر أقبْراُ[3]
وأطفَأتَ نيران المَزُون وأهلها ... وقد حاولوها فِتْنَةً أن تسعَّرا[4]
فلم تُبْقِ منهم رايةً يَعْرِفونَها ... ولم تُبق من آلِ المُهلَّب عَسكَرَا
ألا رُبَّ سَامِى الطَّرْفِ من آلِ مازِن ... إذا شَمَّرتْ عن سَاقِها الحربُ شَمَّرَا

فهذا نظيرُ ذلك. والمَزُون: عُمانُ، قال الكُمَيْتُ:

---

(١) سورة القيامة ٢٩.

(٢) زيادات ر: «قال الشيخ أبو يعقوب: الذى رويت فى شعر جرير:

حذاراً على نفس ابن أحْوَزَ إنّهُ ... جَلا كلَّ وجهٍ من معدٍّ فأسفرا

(٣) زيادات ر عن الشيخ أبى يعقوب: «وقوله: «عدى» يعنى عدى بن أرطاة الفزارى. قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط. وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله». وفيها أيضا «ويروى: للخيار بواسط. الخيار: موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المحاشعى. وواسط بها قبر عدى بن أرطاة الفزارى».

(٤) زيادات ر: «المزون عمان بالفارسية».

فـأمَّـا الأزْدُ أزدُ أبى سـعيـدٍ فـأكـرهُ أن أُسَـمِّـيَهَـا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ :

فـإن شـمـرَّتَ لكَ عن سـاقِـهـا فـويَهًـا حُـذَيْفَ ولا تَسْـأَمِ(١)

* * *

ويُرْوَى عن أبى عُبيدة من غير وجه أن نافعَ بن الأزرقِ سأل ابنَ عباسٍ فقال: أرأيتَ نبيَّ الله سليمانَ ﷺ، مع ما خَوَّله الله وأعطاه، كيف عُنِىَ بالهُدْهُدِ على قلَّته وضُئولته؟ فقال له ابنُ عباسٍ: إنه احتاجَ إلى الماء. والهدهدُ قنَّاءٌ(٢). والأرضُ له كالزُّجاجة، يَرَى باطِنَهَا من ظاهرها، فسأل عنه لذلك. قال ابنُ الأزرق: قف يا وقافُ. كيف يُبْصِرُ ما تحت الأرض والفخُّ يُغطَّى له بمقدار إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبصرُه حتى يقعَ فيه! فقال ابنُ عباس: ويحكَ يابنَ الأزرقِ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِىَ البصَرُ.

* * *

ومما سأله عنه: ﴿الٓم * ذلكَ الكتابُ﴾(٣)، فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ.

هكذا جاء، ولا أحفظُ عليه شاهدًا عن ابن عباس، وأنا أحْسُبه أنه لم يَقْبله إلا بشاهد، وتقديرُه عند النحويين: إذا قال: «ذلك الكتابُ» أنهم قد كانوا وُعدوا كتابًا؛ هكذا التفسيرُ، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿فلمَّا جاءهم ما عرَفُوا كَفَرُوا به﴾(٤)، ويعنى بذاك اليهودَ، وقال: ﴿يعْرِفُونَه كما يَعرفونَ أبناءَهم﴾(٤)، فمعناه: هذا الكتابُ الذى كنتم تَتوقَّعونه، وبيتُ خُفَافِ بن ندْبَةَ على ذلك يَصِحُّ معناه. وكان مِن خبره أنه غَزَا مع معاوية بن عمرو ـ أخى خَنْساءَ ـ مُرَّةَ وفَزارَةَ، فَعَمَدَ ابْنَا حَرْملةَ: دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّانِ عَمْدَ مُعاوية، فاستَطْرَدَ له أحدُهما، فحَمَل عليه

---

(١) زيادات ر : «تقول: «ويها لزيد» إذا زجرته عن الشيء فأغريته به. وواها له، إذا تعجبت منه. وحذيف. يريد «حذيفة» فرخم».

(٢) قناء: عالم بمواضع الماء من الأرض، مأخوذ من القناة. وهى كطيمة تحفر تحت الأرض. قاله المرصفى.

(٣) سورة البقرة ١ . (٤) سورة البقرة ٨٩ .

(٥) سورة البقرة ١٤٦ .

معاوية، فطعنَه، وحملَ الآخرُ على معاويةَ فطعنَه مُتَمكِّنًا، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ[١]. ، فلما تَنادَوا: قتل معاويةُ .

قال خفافُ بنُ ندْبة ـ وهى أمُّهُ ، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، وهو[٢] أحدُ بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ ـ: قَتَلنى اللهُ إنْ رِمْتُ[٣] حتى أثأرَ به، فَحَمل على مالكِ بن حمارٍ ـ وهو سيد بنى شمْخ بن فَزَارَةَ ـ فطعنه فقتله ، فقال خُفافُ بن نَدْبَةَ:

إنْ تَكُ خَيْلى قد أُصيبَ صَميمها ... فَعَمْدًا على عَيْنى تَيمَّمْتُ هالكَا
وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبَتى ... لأبنىَ مَجْدًا أو لأثأَرَ هالكا[٤]
أقول له والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفافًا إننى أنا ذَلكا

يريدُ: أنا ذلك الذى سمعتَ به. هذا تأويلُ هذا.

وقوله: «يَأْطِرُ مَتْنه» أى يَثْنِى. يقال: أطَرْتُ القوس آطِرُها أطْرًا، وهى مأطورة . وعَلْوَى فَرَسُه.

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**لهم أجْرُ غَيْرُ مَمْنون**﴾[٥]، فقال ابنُ عباسٍ: غيرُ مقطوعٍ، فقال: هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال: قدْ عَرَفه أخو بنى يَشْكُرَ حيثُ يقولُ:

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَة الرَّجْـ ... ـعَ مَنِينًا كأنه إهْبَاءُ[٦]

قال أبو العباس: مَنِينٌ، يعنى الغُبَارَ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قِطَعًا وراءَها. والمنينُ: الضعيفُ المؤْذِنُ بانقطاعٍ، أنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيدٍ :

يا رِيَّها إنْ سَلِمَت يَمينى ... وسَلِمَ الساقى الذى يَلينى

* ولم تَخُنِّى عُقَدُ المَنِين *

---

(١) صميم الخيل: قال المرصفى: «يريد بالخيل الفرسان ، وصميمها: عميدها الذى تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذى به قوام العضو».
(٢) لفظ «هو» ساقط من ر .
(٣) رمت: برحت.
(٤) خام : جبن وضعف .
(٥) سورة فصلت ٨ .
(٦) يصف خيلا . والرجع: رد الدابة يديها فى السير. وأهباء: جمع هبوة؛ يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع فى الجو قاله المرصفى .

يريد الحبلَ الضعيفَ فهذا هو المعروفُ، ويقال: منينٌ ومَمْنون، كقَتيلٍ ومقتول، وجَريحٍ ومَجْروحٍ، وذكر التَّوَّزىُّ فى كتاب الأضداد أن «المنينَ» يكونُ القوىَّ، فجعله[1] «فَعيلا» من «المنَّة»، والمعروفُ هو الأول.

وقال غيرُ ابن عباس: ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنونٍ﴾ لا يَمُنُّ عليهم فيَكْدَر عندهم.

* * *

ويُروى من غير وجه أنَّ ابنَ الأزرق أتَى ابنَ عباسٍ يومًا[2] فجعلَ يسأله[3] حتى أملَّهُ، فجعلَ ابنُ عباسٍ يُظْهِرُ الضَّجَرَ، وطَلَعَ عمرُ بنُ عبد الله بن أبى رَبيعةَ على ابن عباسٍ، وهو يومئذ غلامٌ. فسلَّم وجلسَ، فقال له ابنُ عباس: ألا تُنْشِدُنا شيئًا من شِعْرِكَ؟ فأنشدَه:

أمِنْ آل نعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ!
بحَاجَة نَفْسٍ لم تَقُلْ فى جَوابها ... فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالة تُعْذِرُ
تَهيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جَامعٌ ... ولا الحبْلُ موصولٌ ولا القَلْبُ مُقْصِرُ
ولا قربُ نُعْمٍ إنْ دَنتْ لك نافعٌ ... ولا نَأْيُها يُسْلِى ولا أنتَ تَصْبِرُ
وأُخْرى أتَتْ منْ دُون نعْمٍ ومثْلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو يَرْعَوِى أو يُفكِّرُ
إذا زُرْتُ نُعمًا لم يَزَلْ ذُو قرابة ... لها كلَّما لاقَيْتُه يَتنمَّرُ
عزيز عليه أن أمر ببابها ... فيُسرُّ لىَ الشَّحْنَاءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ
ألكنى إليها بالسلام فإنه ... يُشَهَّرُ إلمامى بها ويُنَكَّرُ
بآية ما قالت غداة لقيتها ... بمَدْفَعِ أكْنَان أهذا المُشَهَّرُ!
قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه ... أهذا المُغيرىُّ الذى كان يُذْكَرُ!
أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ... وعَيْشِكِ أنْسَاهُ إلى يَوْمِ أُقْبَرُ
فقالت: نعم. لا شك غيَّر لونه ... سُرَى الليلِ يُحْيِى نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ[4]
لئن كان إياه لقد حل بعدنا ... عن العَهْدِ، والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ
رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشِىّ فيَخصَرُ

---

(1) ر: «يجعله».
(2) ساقطة من ر.
(3) ر: «يسائله».
(4) النص: ضرب من السير؛ والتهجر: السير فى الهاجرة.

حتى أتمها، وهى ثمانون بيتًا، فقال له ابنُ الأزرق: لله أنتَ يابن عباسٍ! أنَضْربُ إليك أكبادَ الإبل نَسألُك عن الدِّين فتُعرِض، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ فيُنْشِدُك سَفَهًا فتسمعه! فقال: تَاللهِ ما سمعتُ سفهًا، فقال ابنُ الأزرق: أمَا أنشدكَ:

رأتْ رجُلا أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ　　فَيَخْزَى وأمَّا بالعَشىّ فَيخْسَرُ

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشىِّ فَيَخصَرُ» قال: أوَ تحفَظَ الذى قال؟ قال: والله ما سمعتُها إلا ساعتى هذه، ولو شئتُ أن أرُدَّها لَرَدَدْتُها، قال: فاردُدْهَا، فأنشَدَهُ إيَّاها كلَّها[1].

* * *

ورَوى الزُّبَيْريُّونَ أنَّ نافعا قال له : ما رأيتُ أرْوَى منك قَطُّ. فقال له ابنُ عباس: ما رأيتُ أرْوَى من عُمَر، ولا أعْلَمَ من عَلىٍّ.

وقوله: «فيَضْحَى» يقولُ: يَظْهَرُ للشمسِ، ويخْصَر، يقولُ: فى البَرْدَين[2]، فاذا ذكر العشىَّ فقد دلَّ على عَقيب العشىِّ، قال الله تَبارك وتعالى: ﴿**وأنَّكَ لا تظْمأُ فيها ولا تَضْحَى**﴾[3]، والضِّحُّ: الشمسُ، وليس مِنْ: «ضَحِيَتْ»، يقالُ: «جاء فلانٌ بالضحّ والرِّيح» يُرادُ به الكثرة، قال عَلْقمة:

أَغَرُّ أبْرَزه لـلضِّحِّ رَاقِبُه　　مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَان مَفْغُومُ

له فَغْمةٌ، أى رائحةٌ طيبةٌ، يعنى إبريقًا فيه شرابٌ. وفى الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا تَوجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَة، وكانت له امرأتان، وقد أَعَدَّتْ كلُّ واحدة منهما من طَيِّبِ ثمَر بستانه، ومَهَّدَتْ له فى ظلٍّ، فقال: أظلٍّ ممدود، وثمرةٌ طيبةٌ، وماءٌ باردٌ، وامرأةٌ حسناءُ، ورسولُ الله فى الضِّحِّ والرِّيح! ما هذا بخير! فركب ناقتَه ومضَى فى أثره، وقد قيلَ لرسول الله ﷺ فى نَفَر تخلّفوا، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم، فجعل لا يُذْكرُ له أحدٌ منهم إلا قال: دَعُوهُ فإن يُرد اللهُ به خيرًا يُلْحِقْهُ بكم، فقيل ذاتَ يوم: يارسول الله، نرَى رجلا يَرْفَعُهُ الآلُ، فقال رسول الله ﷺ : «كنْ أبا خيثمةَ»، فكانه.

---

(١) ساقطة من ر .　(٢) البردان : الغداة والعشى .

(٣) سورة طه ١١٩ .

وإذا انبسطت الشمسُ فهو «الضُّحَى» مقصورٌ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلك فذلك «الضَحاءُ»، ممدود مفتوحُ الأولِ.

[الحجاج وامرأة من الخوارج]

وذكرت الرواةُ أن الحجَّاجَ أتيَ بامرأة من الخوارج، ويحضرته يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولاه، وكان يَسْتَسِرُّ برأى الخوارجِ، فكلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه، فقال لها يزيدُ بن أبى مسلمٍ: الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ! فقالت: بل الويلُ واللهِ لك يافاسقُ الرَّدِّىُّ.

والرِّدِّىُّ عندَ الخوارج: هو الذى يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتمُه.

[عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج]

وذكروا أنَّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتِىَ برجلٍ منهم فَبحَثَهُ فرأى منه ما شاءَ فهمًا ثم بحثَه، فرأى ما شاء إرْبًا ودَهْيًا[1]، فرَغبَ فيه. فاستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مُستَبْصرًا مُحَقِّقًا، فزاده فى الاستدعاء فقال له: لتُغْنكَ الأُولى عن الثانيةِ، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمَعْ أقُلْ، قال له: قُلْ. فجعل يَبْسُطُ له من قول الخوارج ويُزَيّن له مذهبَهم بلسان طَلَقٍ وألفاظ بيِّنَة ومعان قَرِيبة، فقال عبدُ الملك بعدَ ذلك على معرفته: لقد كادَ يُوقَعُ فى خاطرى أن الجنة خُلقَتْ لهم، وأنَّا[3] أولَى بالجهاد منهم. ثم رَجَعْتُ إلى ما ثَبَّت الله علىَّ من الحجة وَقَرَّر فى قلبى من الحق. فقلتُ له: لله الآخرة والدنيا، وقد سَلَّطنا[4] الله فى الدنيا، ومكَّنَ لَنا فيها، وأراك لَسْتَ تجيب بالقبول[5]، والله لأقْتلَنَّك إن لم تطعْ.

فأنا فى ذلك إذْ دُخِلَ علىَّ بابْنى مروانَ .

قال أبو العباس : كان مروانُ أخَا يزيدَ لأمِّه، أُمُّهُمَا عاتكة بنت يَزيدَ بن معاويةَ، وكان أبيًّا عَزيزَ النَّفس، فَدُخِلَ به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيًا لضرب المؤدِّب إياهُ، فشَق ذلك على عبد الملك، فأقبلَ الخارجىُّ، فقال له: دَعْهُ يبكى[6]؛ فإنه أرحبُ لِشِدقِهِ، وأصحُّ لدماغه، وأذْهَبُ لِصَوْتِه، وأحْرَى ألا تأبَى

---

(١) الأرب: البصر بالأمور، والدهى ، مصدر دهى، كرضى؛ إذ كان صاحبه عاقلا مجربا.

(٢) كذا فى الأصل، س ، وفى ر : «واستدعاء».

(٣) ر : « وأبى » .

(٤) ر : « سلطنى » .

(٥) ر : « بالقول » .

(٦) ر : « يبك » وكلاهما جائز .

عليه عينُه إذا حضرتْه طاعةُ الله[1]، فاسْتدْعَى عبْرَتهَا، فأعْجَب ذلك من قوله عبدَ الملك، فقال متعجبًا: أما يَشغَلُكَ مـا أنت فيه وبعَرَضه عن هذا! فقال ما ينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحقِّ شىءٌ، فأمر عبد الملك بحبسه، وصَفَحَ عن قتله، وقال بعدُ يعتذرُ إليه: لولا أن تُفْسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حَبَسْتُك.

ثم قال عـبدُ الملك: من شكَّكنى ووَهَّمَنى حتى مالـتْ بى عصمة الله فـغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِىَ مَنْ بَعْدِى. وكان عبد الملك من الرأىِ والعلمِ بموضعٍ.

وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية

وتَزْعُم الرواةُ أنَّ رجـلا من أهل الكتاب وفدَ عـلى معاويةَ، وكـا موصـوفًا بقراءة الكُتب. فقال له معاويةُ: أتجدُ نعْتى فى شىء من كتب الله؟ قال: إى والله، لو كنتَ فى أُمَّة لوضعتُ يَدى عليكَ من بينهم. قـال: فكيفَ تجدنى؟ قال: أجدُك أولَ مَنْ يَحوِّلُ الخلافـةَ مُلْكًا، والخُشْنَةَ لينًا، ثم إن ربَّك من بعدها لغـفورٌ رحيمٌ، قـال معـاوية: فَسُـرِّى عنىِّ، ثم قـال: لا تَقْـبَلْ هذا منِّى، ولكن من نفسـك، فاجْتَبِ[2] هذا الخـبرَ. قـال: ثم يكونُ مـاذا؟ قـال: ثم يكونُ منك رجلٌ شَـرَّابٌ للخمرِ، سَفَّاكٌ للدماء، يَحتَجن الأموال[3]، وَيَصْطَنِعُ الرجالَ، وَيَجْنُب[4] الخيولَ، ويُبيحُ حُرْمَةَ الرسول[4]، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكونُ فتنة[6] تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضَى الأمـرُ بها إلى رجلٍ[7] أعرفُ نعـتُه، يبـيع الآخرةَ الدائمَة بحـظٍّ من الدنيا مخسُـوسٍ، فيجتمع عليه من آلك وليـس منك، لا يزالُ لعَدُوِّه قاهرًا، وعلى مَنْ ناوَأه[8] ظاهرًا، ويكون له قَرينٌ[9] مبير[10] لَعين. قال: أفتعـرفه إن رأيته؟ قال:

---

(١) ر: «طاعة ربه».

(٢) ر: فاختبر، ويقال: اجتبيت الخراج اجتباء، أى جمعته.

(٣) احتجن الشىء أخذه وحبسه.

(٤) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها.

(٥) قال المرصفى: «ذلك ما كان من قتل الحسين ومن مـعه من فتيان بنى هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

(٦) هى الفتنة التى وقعت بعد مـوت معاوية بن يزيد بن معاوية؛ وافتراق الناس فـرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير. وفريق يدعو إلى بنى أمية.

(٧) قال المرصفى: «يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما».

(٨) ناوأه: عاداه. (٩) يريد به الحجاج بن يوسف، قاله المرصفى.

(١٠) مبير: مهلك، وفى س: «مبين».

شَدما، فأراه من بالشامِ من بنى أُمية، فقال: ما أراه هاهنا، فوَجَّه به إلى المدينة مع ثقات من رُسُله، فإذا عبدُ الملك بن مروان يَسعَى مُؤتزرًا فى يده طائرٌ، فقال للرُّسلِ: هاهوذا! ثم صاح به: إلىَّ أبو من؟ قال: أبو الوليد. قال: يا أبا الوليد، إنْ بَشَّرْتكَ ببِشارَة تَسرُّك ما تَجْعَلُ لى؟ قال: وما مقدارُها من السرورِ حتى نَعْلَمَ مقدارَها من الجُعلِ؟ قال: أنْ تَملكَ الأرضَ، قال: ما لى من مَال، ولكن أرأيت[1] إن تكلَّفْتُ لك جُعْلا، أأنَالُ ذلك قبلَ وقته؟ قال: لا، قال: فإن حَرَمْتُكَ، اتُؤخِّرُه عن وقته؟ قال: لا، قال: فحسبُك ما سمعتَ.

فذكروا أنَّ معاوية كان يُكْرِمُ عبد الملك ليجعلها يدًا عندَه يُجَازيه بها فى مخلَّفته[2] فى وقته.

وكان عبد الملك من أكثر الناس علمًا، وأبرَعهم أدبًا، وأحسنهم فى شَبيبَته ديانة، فقَتَلَ عمْرَو بن سعيد، وتَسمَّى بالخلافة، فَسُلِّمَ عليه بها أوَّل تَسليمةٍ، والْمُصْحَفُ فى حِجْرِه، فأطبقَه وقال: ﴿هذا فِراقُ بيْنى وبَيْنِك﴾.

[صديق عبد الملك بن مروان]

قال أبو العباس: وحدثنى ابنُ عائشَ عن حَمَّاد بن سَلَمة فى إسناد ذكره: أن عبدَ الملك كان له صَديقٌ، وكان من أهل الكتاب، يقال له يوسفُ، فأَسْلَمَ، فقال له عبد الملك يومًا، وهو فى عُنْفوَان نسكه، وقد مضت جيوشُ يزيد بن معاويةَ مع مسلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ، من مُرَّة غَطَفَانَ، تريدُ المدينة ـ ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدةً لِحَرَمِ رسول الله ﷺ؟ فقال له يوسفُ: جيشُكَ والله إلى حَرَمِ رسول الله أعظمُ من جيشه. فَنَفَضَ عبد الملك ثوبَه ثم قال: مَعَاذَ الله! قال له يوسفُ: ما قلتُ شاكًّا ولا مُرْتَابًا، وإنى لأَجدُكَ بجميع أوصافك، قال له عبد الملك: ثم ماذا؟ قال: ثمَّ يَتَدَاوَلها رَهْطُك، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تَخرج الراياتُ السُّود من خُراسانَ.

[حديث ابن جعدبة للمنصور]

قال: وَحُدِّثْت عن ابن جُعْدُبة، قال: كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور، فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمد بنِ عبد الله بن حَسن بن حَسن، قال: فَغَمَّهُ

(١) ر: « أرأيتك ».

ذلك، حتى امتنع من الغَداء فى وقته، وطال عليه فِكْرُهُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أُحَدِّثُكَ حديثًا، : كُنتُ مع مروانَ بن محمد وقد قَصَدَه عبد الله بن عليٍّ، [قال][1]: فإنَّا لكذلك إذ نظَرَ إلى الأعلامِ السُّودِ من بعْد، فقال: ما هذه البخُتُ المجَلَّلة[2]؟ قلت: هذه أعلامُ القوم. قال: فَمَنْ تحتَها؟ قلت: عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس، قال: وأَيُّهُمْ عبد الله؟ قلت[3]: الفتى المعْرُوقُ[4] الطويلُ، الخفيفُ العارِضَيْنِ، الذى رأيتَه فى وَلِيمةِ كذا يأكلُ فيُجِدُ، فسألْتَنى عنه فنسبْتُهُ لكَ، فقلت: إنَّ هذا الفَتى لَتلقَّامَةٌ[5]، قال: قد عرفْتُه؛ والله لوَدِدْتُ أَنَّ عليَّ بن أبى طالبٍ مكانَه، قال: فقال لى المنصورُ: آللهِ لسمعتَ هذا مِن مروانَ بن محمدٍ؟ قلت: واللهِ لقد سمعتُهُ منه. قال: يا غلامُ، هاتِ الغَدَاء.

[قتال أهل النخيلة]

قال أبو العباس: وكان أهل النُّخَيْلَة جَماعةٌ بعدَ أهل النَّهْرَوَانِ، ممن فارق عبد الله بن وَهْبٍ، وممن لَجأَ إلى راية أبى أيوبَ، وممن كان أقامَ بالكوفة، فقال: لا أُقاتلُ عليًّا، ولا أقاتلُ معه. فتَوَاصَوْا فيما بينَهم وتعاضدُوا، وتأسَّفُوا علي خذْلاتهمْ أصحابَهُمْ. فقام منهم قائمٌ يقال له المسْتَوْرِدُ، من بنى سعدِ بن زيدِ مَناة، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمد، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تَخْفقُ راياتُه. معليًا مقالتَه. مبَلِّغًا عن ربِّه، ناصحًا لأُمَّته، حتى قبضَه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا، ثم قام الصِّدِّيقُ فَصَدَقَ عن نبيِّه، وقاتَلَ من ارْتَدَّ عن دين ربِّه، وَذكَرَ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ بالزكاة، (6فَرَأَى تعطيل إحداهما طعنًا6) على الأخرى، لا بل على جميع منازلِ الدين ثم قبَضه الله إليه موفورًا، ثم قام بعده[7] الفاروقُ، فَفَرَّقَ بين الحقِّ والباطِلِ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ فى إعطائه، لا مُؤْثِرًا لأقاربه،

---

(1) تكملة من س.

(2) البخت: جمع بختى؛ وهى الإبل الطويلة الأعناق. والمجللة: المغطاة بما يزينها.

(3) ر: «فقلت». (4) المعروق: القليل اللحم.

(5) التلقامة: الكثير الأكل.

(6-6) ر: «فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى». وما أثبته عن الأصل. س.

(7) ساقطة من ر.

ولا مُحكِّمًا في دين ربّه. وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ، والله يقول: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدينَ عَلَى القَاعِدينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، فكلٌّ أجاب وبَايَعَ.

فوَجَّهَ إليهم عليُّ بن أبى طالبٍ عبدَ الله بن العباسِ داعيًا، فأبْوا فسارَ إليهم، فقال له عَفيفُ بن قَيْسٍ: يا أميرَ المؤمنين، لا تَخْرُجْ في هذه الساعة؛ فإنها ساعة نَحْسٍ لعدوّك عليك؛ فقال له علىٌّ: توكلتُ على الله وحده، وعَصَيْتُ رَأْيَ كلِّ مُتَكَهِّنٍ. أنتَ تزعم أنك تعرف وقتَ الظَّفَرِ من وقت الخذْلان، ﴿إنِّي توكلت عَلَى اللهِ ربِّي وربِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إلا هُوَ آخذٌ بناصيتها إن رَبِّي عَلَى صراطٍ مُسْتَقيم﴾[2]، ثم سار إليهم فطَحَنَهم جميعًا، لم يُفْلَتْ منهم إلا خَمْسَةٌ، منهم المسْتَوْرِدُ، وابنُ جُوَيْنٍ الطائيُّ، وفَرْوَةُ بن شَرِيك الأَشْجَعِيُّ، وهُمُ الذين ذكَرهُمُ الحسنُ البصريُّ، فقال: دعاهُمْ إلى دينِ الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واسْتَغْشَوْا ثيابَهم وأصَرُّوا واستكبرُوا استكبارًا، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فطَحَنَهم طَحْنًا.

* * *

وفيهم يقول عمْرَانُ بن حطَّانَ:

إنى أُدِينُ بما دانَ الشُّرَاةُ به ... يومَ النُّخَيْلةِ عندَ الجَوْسَقِ الخربِ[3]

وقال الحِمْيَرِيُّ يعارضُ هذا المذهبَ:

إنى أَدِينُ بما دانَ الوصيُّ به ... يوم النُّخَيْلَة من قَتْلِ المُحلينَا
وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِدنْتُ به ... وشاركت كَفَّهُ كفِّى بصفِّينَا
تلك الدّماءُ مَعًا يا ربِّ فى عُنُقِى ... ومِثْلَها فاسْقِنى آمين آمينَا

[مناظرة أهل النخيلة لابن عباس]

وكان أصحابُ النُّخَيْلَة قالوا لابن عباسٍ: إن كان[4] عَلِيٌّ عَلَى حَقٍّ لم يَشُكَّكْ فيه. وَحكَّمَ مُضْطَرًّا! فما بَالُهُ حيث ظَفَرَ لم يَسْبِ! فقال لهم ابن عباس: قد سمعتم الجوابَ في التحكيم، فأمَّا قولكم في السِّبَاءِ، أفكُنْتُمْ سَابِينَ أُمَّكم

(١) سورة النساء ٩٥ . (٢) سورة هود ٥٦ .
(٣) الجوسق الخرب: بظاهر الكوفة عند النخيلة، والبيت فى معجم البلدان (٣ : ١٧) من أبيات نسبها إلى قيس بن الأصم الضبّى .
(٤) ر : « إذ كان » .

عائشةَ! فوضعوا أصابعَهُمْ في آذانهم، وقالوا: أَمْسك عنَّا غَرْبَ لسَانكَ يا بن عباس! فإنه طُلَقٌ ذُلَقٌ، غَوّاصٌ على موضعِ الحجَّة. ثمَّ خَرَجَ المسْتَوْرِدُ بعدَ ذلك بِمُدّةٍ على المغيرَةِ بن شُعْبَةَ، وهو والى الكوفة، فوَجَّهَ إليه مَعْقلَ بن قَيْسٍ الرِّياحيّ، فدعاه المستوردُ إلى المبارزة، وقال له: عَلامَ يُقتَلُ الناس بينى وبينكَ؟ فقال له مَعْقلٌ: النَّصَفَ سألت. فأَقْسَم عليه أصحابُه. فقال: ما كنتُ لآبى عليه، فخرج إليه فاختلفَا ضَرْبَتَيْن، فخرَّ كلٌّ واحدٍ منهما مَيتًا.

[المستورد التيمى]

وكا المسْتَوْرِدُ كثير الصلاةِ شديد الاجتهادِ، وله آدابٌ يُوصِى بها، وهى محفوظةٌ عنه.

كان يقول: إذا أَفْضَيْتُ بسِّرى إلى صَديقى فأفشاه لم أَلُمْهُ، لأنى كنتُ أَوْلى بحفظه.

وكان يقولُ: لا تُفْش إلى أَحدٍ سراًّ، وإن كان مُخْلصًا، إلا على جهة المشاورة.

وكان يقولُ: كُنْ أَحْرَصَ على حفظ سرِّ صاحبك منك على حَقْنِ دمك.

وكان يقول: أوَّلُ ما يَدُلُّ عليه عائِبُ الناس مَعْرفتُهُ بالعيُوب، ولا يعيب إلا مَعيب.

وكان يقول: المالُ غيرُ بَاقٍ عليك فاشْتَرِ من الحَمْدِ مَا يَبْقى عليك.

وكان يقول: بَذْلُ المال فى حَقّه استدعاءٌ للمَزيد من الجَواد.

وكان يكْثُر أن يقولَ: لو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذافيرِها، ثم دُعيتُ إلى أن أَسْتَفِيدَ بها خَطِيئةً ما فعلتُ.

[الخوارج ومعاوية]

قال: وخَرَجت الخوارجُ، واتَّصلَ خُرُوجُها، وإنما نَذْكر منهم مَن كان ذا خبر طرِيفٍ، واتَّصلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعار.

فأَوَّلُ مَنْ خَرَج بعد قتل على بن أبى طالب عليه السلام حَوْثَرَةُ الأسَدىُّ. فإنه كان مُتنحيًا بالْبَنْدَنيجَيْن[1]، فكتب إلى حابسٍ الطائىِّ يسأله أن يَتَوَلَّى أَمرَ

(١) البندنيجين . بلفظ المثنى : بلد فى طرف النهروان من أعمال بغداد .

الخوارج حتى يسير إليه بجمْعه، فَيتعَاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرَجَعَا إلى موضع أصحاب النُّخَيْلة، ومعاوية بالكوفة حيثُ دَخلها مع الحسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، بعدَ أنْ بايَعَه الحسنُ والحسينُ عليهما السلام وقَيْسُ ابن سَعْد بن عُبَادة.

ثم خَرج الحسنُ يريدُ المدينةَ، فوَجَّه إليه معاويةُ وقد تَجَاوَزَ فى طريقه يسأله أن يكون المتَولِّىَ لمحاربتهم، فقال الحسنُ: والله لقد كَفَفْتُ عنك لحقن دماء المسلمينَ، ولا أَحْسبُ ذلك يَسعُنى، أَفأُقَاتلُ عنك قومًا أنتَ والله أَوْلى بالقتال منهم! فلمَّا رَجَعَ الجوابُ إليه وجَّه إليهم جيشًا[(1] أكثُره أهل الكوفة[1)]. ثم قال لأبيه أبى حَوْثَرَةَ: قم فاكفنى[2] أَمْرَ ابنكَ فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأَبى فأَدَارَه، فَصَمَّمَ، فقال له: يا بُنَىَّ أَجيئُك بابْنكَ فلعلك تراه فَتحنُّ إليه؟ فقال: يا أبت، أَنَا والله إلى طَعْنَة نافذة أَتَقلَّبُ فيها على كُعوب الرُّمح أَشْوَق منِّى إلى ابنى! فَرجَع إلى معاويةَ فأَخْبَرَه الخَبرَ[3]، فقال: يا أبا حَوْثَرَة، عَتَا[4] هذا جدًّا!

فلما نَظَرَ حَوْثَرة إلى أهلِ الكوفة قال: يا أعداءَ الله، أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لتَهُدُّوا سلطانَه، واليومَ تقاتلون مع معاوية لتشُدُّوا سلطانه!

فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البرَاز، فقال: يا أبت، لك فى غيرى مَنْدوحةٌ، ولى فى غيرك عنك مَذْهَبٌ، ثم حَمَل على القوم وهو يقولُ:

أُكْرُرْ على هذِى الجموعِ حَوْثَرَهْ ... فعَن قليلٍ مَا تُنَالُ المَغْفِرَهْ

فَحَمَل عليه رجلٌ من طَيِّئٍ[5] فقتَله، فرأى أَثَرَ السجود قد لوَّحَ جبهتَه، فندمَ على قتله، ثم انهزم القومُ جميعًا.

* * *

وأنا أحسبُ أَنَّ قولَ القائل:

وَأَجْرَأُ مَنْ رأَيْتُ بظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرجالِ ذوُو العُيُوبِ

(1-1) ر: جيشا أكثرهم من أهل الكوفة.
(2) ر: «اكفنى أمر ابنك».
(3) ساقطة من ر.
(4) عتا: استكبر.
(5) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه عبد الله بن عوف قائد ذلك الجيش.

إنما أخذه من كلام المستوردِ، قال رجلٌ للمستورد: أُريدُ أن أَرَى رجلا عَيَّابًا، قال: الْتَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايبَ فيه.

***

وقال العباسُ بن الأحْنَف يعاتبُ من اتهمه بإفشاءِ سِرِّهِ:

تَعَتَّبْتَ تَطلُبُ ما أسْتَحِقُّ ... به الهجرَ منك ولا تَقْدرُ
وماذا يضيرُكَ من شُهْرَتى(١) ... إذا كان سِرُّك لا يُشْهَرُ
أَمنِّى تَخَافُ انتشارَ الحديث ... وحَظِّىَ فى سَتْرِه أَوْفَرُ
ولو لم تَكُن فِىَّ بقْيَا عليكَ ... نَظَرْتُ لِنَفْسِى كما تَنْظُرُ

[من أخبار مقتل الإمام على، ووصيته لأبنائه]

ويُرْوَى عن حديث محمد بن كعب القرظى قال: قال عَمَّارُ بن ياسر: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات العُشَيْرَة فلما قَفلْنَا نزلنا مَنْزِلا، فخرجتُ أنا وعلىٌّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه نَنْظُر إلى قوم يَعْتَمِلُونَ، فَنَعَسْنَا فَنِمْنَا، فَسفَتْ علينا الريحُ التُّرَابَ، فما نَبَّهَنَا إلا كلامُ رسول الله ﷺ، فقال لعلىٍّ: «يا أبا تَراب ـ لما عليه من التراب ـ أتَعلَمُ مَنْ أَشْقَى الناسِ؟» فقال: خَبِّرْنى يا رسول الله؟ فقال: «أَشْقَى الناسِ اثنان: أحْمَرُ ثَمُود الذى عَقَرَ الناقةَ، وأشقاها الذى يَخْضِبُ هذه» ـ وَوَضَعَ يدَه على لحيته ـ «مِنْ هذا»، ووضع يدَه على قَرْنه.

***

ويُرْوَى عن عِياض بن خَلَيفةَ الخزاعى قال: تَلَقَّانى علىٌّ صلواتُ الله فى الغلَسِ، فقال لى: مَنْ أَنْتَ؟ قلتُ: عياضُ بن خليفةَ الخزاعىُّ، فقال: ظننتك أشقاها الذى يَخْضِبُ هذه مِن هذا ـ وَوَضَعَ يده على لحيتِه وعلى قَرْنه.

***

ويُرْوَى: أنه كان يقول كثيراً ـ قال أبو العباسِ: أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه ـ: ما يَمْنَعُ أشقاها أنَّ يُخَضِّبَ هذه من هذا!

***

(١) ر: «يضرك» بتشديد الراء.

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقِيف أنه خَرَجَ الناسُ يَعْلِفُونَ دوابَّهم بالمدائن وأرادَ عليٌّ أمير المؤمنين المسيرَ إلى الشام، فَوجَّه مَعْقِلَ بن قيس الرِّياحيّ لِيُرْجِعَهُمْ إليه - وكان ابنُ عَمٍّ لى فى آخر من خَرَجَ - فأتيتُ الحسن بن عليٍّ عليه السلام ذاتَ عَشيَّة، فسألْتُه أن يأخُذَ لى كتابَ أمير المؤمنين إلى مَعْقِلِ بن قَيْسٍ فى التَّرْفيه[1] عن ابن عَمِّى، فإنه فى آخرِ مَنْ خَرجَ، فقال: تَغدُو علينا والكتابُ مختومٌ إنْ شاء الله تعالى. فبتُّ ليلتى ثم أصبحتُ الناسُ يقولون: قُتِلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ. فأتيتُ الحسنَ، وإذا به فى دار عليٍّ عليه السلام، فقال: لولا ما حَدَثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ، ثم قال: حدّثنى أَبى عليه السلام البارحةَ فى هذا المسجد فقال: يا بُنَيَّ إنى صَلَّيتُ مَا رزَقَ الله. ثم نمتُ نومة، فرأيتُ رسول الله ﷺ، فَشكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابى وَقلَّة رغبتهم فى الجهاد، فقال: ادْعُ الله أن يُريحك منهم. فدعوتُ الله، قال الحَسَنُ: ثم خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ.

* * *

وَحُدِّثْتُ من غير وَجْه أن عليًّا لمَّا ضُرِبَ ثم دَخَل منزله اعترته غَشْيَةٌ ثم أَفاقَ، فدعا الحسنَ والحسَيْنَ فقال: أوصيكُمَا بتَقْوَى الله والرَّغْبَة فى الآخرة، والزُّهْد فى الدنيا، ولا تأسَفَا على شيء فاتَكُما منها، اعْمَلا الخيرَ، وكونا للظالم خَصمًا. وللمظلوم عَوْنًا. ثم دَعا محمداً فقال: أما سمعتَ ما أوْصَيْت به أَخَوَيْكَ؟ قال: بَلَى، قال: فإنى أوصيك به، وعليك ببِر أخَوَيْك وتوْقيرهما ومعرفة فَضْلهمَا، ولا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا، ثم أَقبلَ عليهما فقال: أوصيكما به خيرًا، فإنه شَقيقُكما وابنُ أبيكما، وأنتما تَعْلَمَان أَنَّ أَباكُما كان يُحبُّهُ، فأَحبَّاه، فلمَّا قَضَى عليٌّ كرم الله وجهه، قالتْ أُمُّ الْعُرْيَان:

وَكنَّا قُبْلَ مَهْلَكه زمانًا ... نَرَى نَجْوَى رسول الله فينَا
قَتلْتُمْ خَيْرَ من رَكبَ المطايا ... وأَكرمَهُمْ وَمَنْ رَكبَ السَّفينَا
أَلا أَبْلغ مُعاويةَ بن حَرْبٍ ... فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامتينَا

* * *

---

(١) الترفيه : التنفيس .

وَيُرْوَى أَنَّ عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ باتَ تلك الليلة عند الأشْعَث بن قَيْس بن مَعْدى كَرِبَ، وأَنَّ حُجْرَ بن عَدِيٍّ سمع الأشعثَ يقولُ له: فَضَحَكَ الصُّبْح، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أميرُ المومنين، قال حُجْر بن عَدِيٍّ للأشعث: أنت قتلتَه يا أعورُ!

وَيُرْوَى أَنَّ الذى سمع ذاكَ أَخُو الأشعثِ، عَفِيفٌ بن قيسٍ، وأنه قال لأخيه: عَنْ أَمرِكَ كانَ هذا يا أعورُ!

* * *

وأخبارُ الخوارجِ كثيرةٌ طويلةٌ، وليس كتابُنا هذا[1] مفردًا لهم، ولكنَّا[2] نذكر من أمورهم ما فيه معنًى وأدبٌ، أو شعرٌ مُستَطْرَفٌ، أو كلامٌ من خُطبةٍ معروفةٍ مختارةٍ.

[الخوارج وزياد]

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُرَّةَ الأزْدِيُّ وَرحَّافٌ الطائيُّ ـ وكانا مجتهدَيْنِ بالبصرة فى أيام زياد، واختلفَ الناسُ فى أُمورهما : أَيُّهما كان الرئيس ـ فاعترضَا الناسَ، فَلَقِيَا شيخًا ناسكا من بنى ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نِزَار، فقتلاهُ، وكان يقالُ له: رُؤْبَةُ الضُّبَعِيُّ ، وتَنَادَى الناسُ، فخرج رجلٌ من بَنى قُطَيعة من الأزد وفى يده السيفُ، فناداه الناسُ من ظُهور البُيُوت: الحُرورِيَّةَ الحروريَّةَ! انجُ بنفسك. فَنَادَوْهُ: لسنا حَرُورِيَّةً، نَحْنُ الشَّرَطُ، فوقف فقتلوهُ. وبَلَغَ أبا بلال خَبَرُهُمَا، فقال: قُرَيْب، لا قَرَّبَهُ الله من الخير، وزَحَّافٌ، لا عَفَا الله عنه، ركباها عَشْوَاءَ مُظْلِمَةَ ـ يريد اعتراضهما الناسَ ـ ثم جعَلا لا يَمُرَّان بقبيلة إلا قتلا مَنْ وَجَدَا، حتى مَرَّا ببنى علِيِّ بن سُود من الأزْد، وكان فيهم مائةٌ يجيدُون الرمْيَ، فَرَمَوْهُ رَمْيًا شديدًا، فصاحوا: يا بنى علِيٍّ! البُقْيا، لا رِمَاءَ بَيْنَنَا، فقال رجلٌ من بنى علِيٍّ:

لا شىء لِلْقَوْمِ سِوَى السِّهامِ مَشْحوذة فى غَلَس الظَّلامِ[3]

فَعَرَّدَ عنهم[4] الخوارجُ، وَخافُوا الطَّلبَ، فاشْتَقُّوا مقبرَة بنى يَشكرَ، حتى نَفذُوا إلى مُزَيْنَةَ، ينتظرون من يَلْحَقُ بهم من مُضَرَ وغيرها، فجاءهُم ثمانون،

---

(١) ساقطة من ر . (٢) « لكنا » .

(٣) شحذ السيف : إجلاؤه . (٤) عرد الرجل تعريدا ، إذا عدا فزعا .

وخرجت إليهم بنو طاحِيَةَ بن سُودِ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرها، فاستَقْتَلَ الخوارجُ فقتلوا عن آخرِهِم.

ثم غدَا الناسُ إلى زياد فقال: ألا يَنْهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ! يا معشرَ الأزد، لولا أنكم أطفأْتم هذه النارَ لقلتُ: إنَّكُمْ أرَّثْتُموهَا. فكانت القبائل إذا أحَسَّتْ بخارِجيَّةٍ فيهم شدَّتهُمْ وَثَاقًا[1]، وأَتَتْ بهم زيادًا، فكان هذا أحَدَ ما يذْكَرُ من صحة تدبيره.

* * *

وله أُخْرَى في الخوارج. أَخْرَجُوا معه امرأة، فَظَفَرَ بها فقتلها، ثم عَرَّاها. فلم تَخْرُجِ النساءُ بعد علي زيادٍ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ: لولا التعريةُ لسارعْنَا.

[قتل مصعب لامرأة المختار]

ولَمَّا قَتَلَ مصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ بنت النُّعْمَان بن بشير الأنصارية، امرأة المختار - وليس هذا من أخبار الخوارج - أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكارِ، ورَأَوْه قد أتى بقتل النساء أمرًا عظيما، لأنَّه أتى ما نَهَى عنه رسول الله ﷺ في سائر نساء المشركين. وللْخَواصِّ منهنَّ أخبارٌ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ:

إنَّ منْ أَعْظَمِ الكبائر عندي ... قتلَ حَسْنَاءَ غادة عطْبُولِ[2]
قُتِلَتْ باطلا على غيرِ ذَنْبٍ ... إن لله دَرَّهَا من قتيلِ!
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[3]

* * *

قال: وكان[4] الخوارجُ أيامَ ابن عَامرٍ أخرجوا معهم امرأتين، يقال لإحداهما كُحَيْلَةُ، والأخرى قطَام، فجعل أصحابُ ابن عامرٍ يُعيِّرونَهم ويصيحون بهم: يا أصحابَ كُحَيْلَة وقطامٍ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ، فتناديهم الخوارجُ بالدَّفْعِ والرَّدْع، ويقولُ قائلهم: لا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ.

* * *

(١) ساقطة من ر.
(٢) العطبول: المرأة التامة الخلق.
(٣) المحصنات: العفيفات.
(٤) ر: «وكانت».

ويُروَى عن ابن عبّاس فى هذه الآية: ﴿والَّذين لا يَشْهدُونَ الزُّور وإذا مَرُّوا باللَّغْوا مَرُّوا كرامًا﴾[1]، قال: أعيادُ المشركين، وقال ابن مسعود: الزُّورُ: الغنَاءُ، فقيلَ لابن عباس: أوَ ما هذا فى الشهادَة بالزُّور! فقال: لا، إنما آية شهادة الزُّور: ﴿ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ به علْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كلُّ أُولئكَ كانَ عَنْهُ مَسئُولا﴾[2].

[عبد الله بن زياد والخوارج]

عاد الحديث إلى أمرِ الخوارجِ.

وكانت[3] من المجتهدات من الخوارج - ولو قُلت: من المجتهدين. وأنت تعْنى امرأةً كان أفصحَ، لأنك تريدُ رجالات ونساءً هى إحداهم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وصَدَّقَتْ بكَلمَاتِ ربِّهَا وكُتبه وكانَت منَ الْقَانتينَ﴾[4] وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿إلا عَجُوزاً فى الْغَابرَين﴾[5] - منهما البَلْجاءُ وهى امرَأةٌ من بنى حَرامِ بن يَربوع ابن حَنْظلةَ بن مالك بن زيد مناةَ بن تميمٍ، منَ رَهَط سجاحٍ، التى كانت تنَبأت وسنذكُر خبرها فى موضعه إن شاء الله. وكان مرْداس بن حُدَيْرٍ أبو بلال، وهو أحدُ بنى ربيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعْظمُه الخوارجُ، وكان مجتهدًا كثيرَ الصواب فى لفظه، فلَقيه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّىُّ، فقال: يا أبا بلال! إنّى سَمعْتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زياد يذكر البلجاءَ، وأحْسبُها ستُؤخذ، فمضَى إليها أبو بلال، فقال لها: إنَّ الله قد وَسَّعَ على المؤمنين فى التَقيَّة[6] فاستَتِرى؛ فإنَّ هذا المسْرفَ على نفسه، الجبارَ العنيد قد ذكركِ، قالت: إن يأخذْنى فهو شقَى بى، فأمَّا أنا فما أُحبُّ أن يُعَنَّتَ إنْسَانٌ بسببى.

فوَجَّه إليها عبيدُ الله بن زياد، فأُتى بها فَقَطعَ يديها ورجْلَيْها، ورمَى بها فى السُّوق، فمرَّ أبو بلال والناسُ مجتمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البَلجَاءُ، فَعَرَّجَ إليها فَنَظَرَ، ثمَّ عَضَّ على لحيَته، وقال لنفسه: لَهذه أطيبُ نفسًا عن بقية الدنيا منكَ يامرداسُ.

* * *

---

(1) سورة الفرقان ٢٢ .
(2) سورة الإسراء ٣٦ .
(3) ر : « وكان » .
(4) سورة التحريم ١٢ .
(5) سورة الشعراء ١٧١ .
(6) التقية : حفظ النفس بما يستطاع من المكروه.

ثمَّ إنَّ عبيد الله تتبع الخوارجَ فحبسهم، وحبس مِرْدَاسًا، فرأى صاحبُ السجنِ شدَّة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له: إنى أَرى لك مذهبا حسنا، وَإِنى لأُحبُّ أن أُوليَكَ معروفا؛ إِنْ تركْتُكَ تَنصرفُ ليلا إلى بيتكَ، أَتدَّلِجُ(١) إلىَّ؟ قال: نعم. فكان يفعلُ ذلك به.

ولجَّ عُبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلهمْ، فكُلم فى بعض الخوارج فَلَجَّ وأبى، وقال: أَقْمَع النِّفاقُ قَبْلَ أن يَنْجُمَ(٢). لَكَلامُ هؤلاء أَسرعُ إلى القلوبِ من النار إلى اليراعِ(٣).

فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلا من الشُّرَط، فقال ابنُ زياد: ما أدْرِى ما أصنعُ بهؤلاء! كلما أمرتُ رجلا بقتل رجلٍ منهم فَتَكُوا بقاتله! لأَقْتُلَنَّ من فى حَبْسى منهم. فأخْرَجَ السجَّانُ مِرداسًا إلى منزله كما كان يفعلُ، وأَتَى مرداسًا الخبرُ، فلما كان السَّحَرُ تهيَّأ للرجوع، فقال له أهلُه: اتَّقِ الله فى نفسك، فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ. فقال: إنى ما كنْتُ لألْقَى الله غادرًا. فرجعَ إلى السَّجانِ فقال: إنى قد علمتُ ما عزَم عليه صاحبُك، فقال: أعلمتَ وَرَجَعْتَ!

[من أخبار مرداس أبى بلال]

ويُرْوَى أنَّ مرداسًا مرَّ بأعرابىّ يَهْنَأُ(٤) بعيرًا له، فَهَرَجَ(٥) البعير، فسقط مِرْداسٌ مغشيًّا عليه، فظنَّ الأعرابىُّ أنه قد صُرِعَ، فقرأَ فى أُذُنه، فلمَّا أفاق قال له الأعرابىُّ: قرأتُ فى أذنكَ، فقال له مِرداس: ليس بى ما خفْتَهُ علىَّ، ولكنِّى رأيتُ بعيرَك هَرَجَ من القَطِرَان، فذكرت به قطِرَان جهنم، فأَصابنى ما رأيتَ، فقال: لا جَرَمَ والله لا فارَقْتكَ أبدًا!

* * *

وكان مِرداسٌ قد شَهِدَ صِفِّينَ مع علىٍّ بن أبى طالب صلوات الله عليه. وأنكر التَّحكيمَ، وشهد النَّهْر، ونجا فيمن نجا، فلمَّا خرج من حبس ابن زيادٍ

(١) الإدلاج: السير من آخر الليل.

(٢) ينجم: يطلع.

(٣) اليراع: القصب الفارسى.

(٤) يهنأ بعيرا: يطليه بالهناء؛ وهو القطران.

(٥) هرج: تعب وتحير.

ورأى جدَّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّرَاة عَزَمَ على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يَسَعُنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامُهم، مُجَانِبين للعدل، مفارِقين للفَصْلِ[١]، والله إنَّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ، وإن تجْريد السيف وإخافَة السبيل لعظيمٌ، ولكنَّا نَنْتَبِذُ عنهم، ولا نجرِّدُ سيفًا، ولا نقاتلُ إلا مَنْ قاتلنا. فاجتَمع إليه أصحابه زُهاء ثلاثينَ رجلا، منهم حُرَيْثُ بن حَجَلٍ، وكَهْمَس بن طَلْقٍ الصَّرِيمىُّ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثًا، فأَبى، فوَلَّوا أمرَهم مِرْداسًا، فلمَّا مضى بأصحابه لَقِيه عبدُ الله بن رَبَاحٍ الأنصارىُّ - وكان له صديقا - فقال له: يا أخى[٢]، أين تريد؟ قال: أريد أن أَهْرُبَ بدينى وأديانِ أصحابى من أحكامِ هؤلاء الجَوَرَة. فقال له: أَعَلِمَ بكم أحدٌ؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تَخافُ على مكروهًا؟ قال: نعم، وأن يُؤْتى بك! قال: فلا تَخَفْ، فإنى لا أجَرِّدُ سيفًا، ولا أُخيفُ أحدًا، ولا أقاتلُ إلا مَن قاتلنى. ثم مَضَى حتى نزلَ آسكَ - وهو ما بين رامَهُرْمُزَ وأَرَّجانَ - فمَّر به مالٌ يُحْمَلُ لابن زياد، وقد قاربَ أصحابُه الأربعينَ، فَحَطَّ ذلك المال، فأخذَ منه عطَاءَهُ وأعْطيَات أصحابه، وردَّ الباقىَ على الرُّسلِ، وقالَ: قولوا لصاحبكم: إنما قَبضْنَا أُعْطياتنا، فقال بعضُ أصحابه: فعَلامَ تَدَعُ الباقِىَ! فقال: إنهم يَقْسِمونَ هذا الفىءَ كما يُقِيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

* * *

ولأبى بلالٍ أشعار فى الخروج اخترتُ منها قوله:

أَبَعْدَ ابن وَهْبٍ ذى النَّزَاهة والتُّقَى ... وَمَن خاضَ فى تلك الحروب المهَالِكا[٣]
أحبُّ بَقَاءً أوَ أرجِّى سلامة ... وقَد قتلوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالكا
فيارَب سَلِّمْ نِيَّتى وبَصِيرتى ... وَهَبْ لى التُّقَى حَتَّى ألاقِى أولئكا

قوله: «وقد قتَلُوا» ولم يذكر أحدًا، فإنما فعل ذلك لعلْم الناس أنه يَعْنى مُخالفيه، وإنما يَحْتاجُ الضميرُ إلى ذكْرٍ قبله ليُعْرَفَ، فلو قال رجلٌ: ضربتُه، لم يَجُزْ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكْره الهاءَ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قائلٌ[٤]: هذا هو، لم يحتَجْ إلى تقَدمِ الذكرِ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ، وعلى هذا قال

---

(١) الفصل: قول الحق.
(٢) لفظ: «يا أخى» من ر.
(٣) ابن وهب: هو عبد الله بن وهب الراسبى.
(٤) ر: «قوم».

عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاحِ قصيدته:

هل مَا عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكتومُ ... أم حَبْلُهَا إذ نَأَتْكَ اليومَ مَصرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةً له.

وقوله: « حَتَّى ألاقى » ولم يُحَرِّكِ الياءَ، فقد مضى شرحهُ مستقصًى.

* * *

ويُروى أن رجلا من أصحاب ابن زيادٍ قال: خرجنا فى جيش نُريدُ خُرَاسانَ، فمررنا بآسك، فإذا نحن بهم ستةً وثلاثين رجلا، فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ ـ وكنت أنا وأخى قد دخلنا ـ زَرْبًا ـ، فوقف أخى ببابه فقال: السلام عليكم، فقال مِرْدَاس: وعليكم السلام، فقال لأخى: أجئتُم لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خُراسانَ، قال: فأبَلْغوا مَن لَقيكُمْ أنا لم نَخْرُجْ لنُفْسدَ فى الأرض، ولا لنُرَوِّعَ أَحدًا، ولكن هَرَبًا من الظُّلم، ولسنا نقاتلُ إلامن يُقَاتلنا، ولا نأخُذُ من الفىء إلا أعْطيَاتنا، ثم قال: أندبَ إلينا أحدٌ؟ قلنا: نعم، أسْلَم بن زُرْعَةَ الكلابىَّ، قال: فمتى تَرَوْنَه يَصِلِ إلينا؟ قلنا: يومَ كذا وكذا، فقال أبو بلال: حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ!

* * *

وَجَهزَ عُبَيْدُ الله أَسْلَمَ بن زُرْعةَ فى أسرع وقت ووجَّهه إليهم فى ألفين، وقد تتامَّ أصحابُ مرْدَاسٍ أربعين رجلا، فلما صار إليهمً أَسْلَمُ صاح به أبو بلال: اتق الله يا أسلم؛ فإنَّا لا نريدُ قتالا، ولا نَحتَجن فَيْئًا. فما الذى تريدُ؟ قالَ: أريد أن أرُدَّكُمْ إلى ابن زياد، قال مرداسٌ: إذن يَقْتُلنا، قال: وَإنْ قَتَلَكُمْ! قال: تَشْرَكهُ فى دمائنا، قال: إنِّى أَدينُ اللهَ(1) بأنه مُحقٌّ وأنكم مبطلون، فصاح به حُرَيْثُ بن حَجْلٍ: أهو مُحقٌّ وهو يُطيعُ الفَجَرَةَ، وهو أحدُهم، ويَقتلُ بالظِّنَّة، ويَخصُّ بالفىء، ويَجُورُ فى الحكم! أما علمت أنه قَتَلَ بابنِ سُعَاد أربعة برآءَ، وأَنَا أَحَدُ قَتلته، ولقد وَضَعْتُ فى بَطْنه دراهمَ كانت معه! ثم حملوا عليه حَمْلة رجلٍ واحد، فانهزم هو وأصحابه من غير قتالِ. وكان مَعْبَدٌ أحد الخوارجِ، قد كادَ

(1) ر: « أدين بأنه محق ».

يَأخذُه. فلما وَرَدَ على ابن زياد غضب عليه غـضبًا شديدًا، وقال: وَيْلَكَ! أتَمْضى فى ألفين فتهـزمُ لحملة أربعين! وكان أَسْلم يقولُ: لأَنْ يَذمَّنـى ابن زيادٍ حَيًّا أحبُّ إلىَّ من أن يَمْدَحنَى ميِّتا!

وكان إذاخرج إلى السـوق أو مَرَّ بصبيـانٍ صاحوا به: أبو بلال وراءَكَ! وربما صاحوا به: يا مَـعْبَدُ خذْهُ، حتى شكا ذلك إلى ابن زياد، فـأمرابنُ زيادٍ الشُّرَطَ أن يَكُفُّوا الناسَ عنه، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ؛ منً بنى تَيْمِ اللاتِ بن ثعْلَبَةَ، فى كلمة له:

فلمَّـا أصـبـحـوا صلُّوا وقـامـوا ... إلى الجُـرْدِ العـتَاق مُـسَـوَّمـينَا(١)
فلمـا اسْتَجْـمَعُـوا حَملُوا عليـهم ... فَظلَّ ذوُو الجـعَـائل يُـقْـتَـلُونَا
بَقـيَّـة يومـهم حـتـى أتاهم ... سـوادُ الليْلِ فـيـه يُراوغـونا
يقـولُ بَصـيـرهم لَمَّـا أتاهُمْ ... بـأَنْ القـومَ ولُّـوا هاربـينـا
أألفـا مـؤمن فـيـمـا زَعَـمْـتُمْ ... ويَهْـزمُـهُـمْ بآسَكَ أَرْبَـعُـونا!
كـذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كـمـا زَعَـمْـتَمْ ... ولكـنَّ الخـوارج مـؤْمنـونا
هُمُ الفـئـة القلـيلة غَـيْـرَ شَكٍّ ... على الفـئـة الكثيـرة يُـنْصَرُونا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زياد الناسَ، فاختـارَ عَبَّادَ بن أَخْضَرَ - وليس بابن أَخْضَرَ - هو عَبَّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المازنىُّ، وكان أخـضرُ زوج أمِّه، فَغَلَبَ عليه، فوجَّهه فى أربعـة آلاف، فَنَهَـدَ لهم. ويزعم أهلُ العلمِ أَنَّ الـقومَ قـد كـانوا تَنَحَّـوْا عن دَرَابَجِرْد مـن أرضِ فارسَ، فصـار إليهـم عَبَّـادٌ، وكانَ التقاؤُهْم فـى يـوم جمعـة، فناداه أبو بلال: اخرجْ إلى يا عَبَّادُ، فإنى أريد أن أحاوركَ. فَخَرَجَ إليه، فقال: ما الذى تَبْغى؟ قال: أن آخـذ بأقفائكم فأرُدَّكُمْ إلى الأمير عُـبيد الله بنَ زياد قال: أو غيرَ ذلك! قال: وما هُوَ؟ قال: أن ترْجعَ، فإنَّا لا نخيف سَبيلا، ولا نذْعَرُ مسلمًا، ولا نحارب إلا مَنْ حَارَبَنَا، ولا نَجْنى إلا ما حمينَا، فـقال له عَبَّادٌ: الأمْرُ ما قُلْتُ لك، فقال له حُـرَيْثُ بن حَجَلٍ: أتحاولُ أن تُردَّ فئَةً من المسلمين إلى جَـبَّار عَنِيد! قال لهم: أنتم أوْلى بالضلال منه، وما من ذاك بُدٌّ !

* * *

(١) مسومين : معلمين بعلامات يعرفون بها فى الحرب .

وقدمَ الْقعْقَاعَ بن عَطيَّةَ الباهليُّ من خراسانَ يريد الحجّ، فلما رأى الجمْيعن قال: ما هذا؟ قالوا: الشُّرَاة، فَحَمل عليهم. ونشبت الحربُ، فأخذَ القعقاعُ أسيرًا، فأتىَ به أبو بلال، فقال: ما أنتَ؟ قال: لستُ من أعدائكَ، وإنما قدمتُ للحجِّ فَجَهلْتُ وغُرْتُ، فأَطْلَقه، فَرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأصلح من شأنه. ثم حَمَلَ عليهم ثانية، وهو يقولُ:

أقَاتلهُمْ وليس عليّ بَعْثٌ نَشَاطًا ليس هذا بالنشاط
أكُّر عَلى الحُروريّينَ مُهْرى لأحْملَهُمْ على وَضَح الصِّرَاط

فَحَملَ عليه حُرَيثُ بنُ حَجَلٍ السَّدُوسيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْق الصَّريميُّ، فأسَراهُ فَقَتَلاه ولم يأتيا أبا بلال، فلم يزل القومُ يَجْتَلدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاة، صلاة يوم الجمعة، فناداهُمْ أبو بلال: يا قومُ، هذا وَقتُ الصلاة، فوادعُونا حتى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قالوا: لك ذاك، فَرمي القومُ أجمعون أسلحتهم وعَمدوا للصلاة، فأسرع عَبَّادٌ ومن معه والحرورية مُبْطئونَ، فهم من بين راكعٍ وقائمٍ وساجد فى الصلاة وقاعدٍ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومن معه، فقتلوهُمْ جميعًا، وأُتى برأس أبى بلالٍ.

* * *

وتَروى الشُّراة أن مرُداسًا أبا بلال لمَّا عقدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللَّهم إن كان ما نحن فيه حقًّا فأرنا آية. قال[1]: فَرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فَرَوَى أهلُ العلم أن رجلا من الخوارجِ ذكَر ذلك لأبى العالية الرِّياحيّ يُعَجِّبُهُ من الآية، وَيرَغبه فى مذهب القوم، فقال أبو العالية: كاد الخسفُ يَنْزِلُ بهم. ثم أدركتهم نَظْرَة الله.

فلما فَرغ من أولئك الجماعة أقَبلَ بهم فَصُلبت رُءوسُهُمْ، وفيهم داود بن شَبَثٍ. وكان ناسكا، وفيه حبيبةُ البَصْرىُّ من قَيْسٍ، وكان مجتهدًا.

* * *

(١) ساقطة من ر.

فيُرْوَى عن عمْرانَ بن حطَّان أنه قال: قال لى حَبيبةُ: لما عزمتُ على الخروج فكَّرْتُ فى بناتى، فَقلتُ ذاتَ ليلة: لأَمْـسكنَّ عن تفقُّدهن حتى أنْظُـرَ ، فلما كان فى جوف الليل استسقتْ بُنيّةٌ لى ، فقـالت: يا أبة اسقنى، فلم أُجبها، فأعادتْ، فقامت أُخَـيَّةٌ لها أَسَنُّ منها، فَسَـقتها، فعـلمتُ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ غيرُ مُضَـيِّعهنَّ، فأتْممْتُ عزمى.

* * *

وكان فى القوم كـهْمَسٌ، وكان من أبَرِّ الناسِ بأُمِّه، فقـال لها: يا أمّهْ! لولا مكانُك لخرجتُ، فقالت: يا بُنىّ، قد وهبتُكَ لله، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فَاتِكٍ الحبَطىُّ :

ألافى الله لافـى النَّاسِ شـالتْ ... بداود وإخْـوته الجـذُوع
مَـضَـوْا قَـتْـلا وتمزيـقًـا وصلْبـا ... تحُـومُ عليـهـمْ طَيـرٌ وُقُـوع
إذا مـا الليلُ أظْـلمَ كـابَدُوهُ ... فَـيُـسْـفُـر عنهمْ وهُـمْ رُكُـوع
أطارَ الخـوفُ نـومَـهمْ فـقـامـوا ... وأهلُ الأمن فى الـدنيـا هُجُـوعُ

* * *

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ :

يا عيْن بكِّى لِمـرداسٍ ومَـصْرَعِـه ... يا رَبّ مرداسٍ اجْـعَلْنى كـمرْداس
تركـتنـى هائمـا أبكى لمـرْزئتى ... فى منزلٍ مُـوحِشٍ من بعـد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ من قـد كنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعـدك يا مرْداسُ بالناسِ
إمَّـا شَـرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوَّلُهـا ... على القُرون فَذَاقُـوا جرْعةَ الكاس
فكلُّ مَنْ لم يذُقـها شاربٌ عَـجِلا ... منهـا بأنـفـاس ورْدٍ بَعْـدَ أنفـاس

[عباد بن أخضر المازنى]

قال أبو العباس: ثم إنَّ عَبَّاد بن أخْضَرَ المازنىّ لبثَ دهرًا فى المصْر، موصوفًا بما كان منه، فلم يَزَلْ على ذلك حـتى ائْتَمَرَ به جماعـة من الخوارج أن يَفْتَكُوا به، فَذَمَرَ بعضُهم بعضًا على ذلك(١)، فجلسوا له فى يومِ جمعةٍ، وقد أقبل على بغلةٍ

(١) ذمره : لامه .

له، وابنهُ رَديفه. فقام إليه رجلٌ منهم، فقال: أسألُك عن مسألة، قال: قل. قال: أرأيتَ رجلاً قتَلَ رجلا بغير حقٍّ، وللقاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحيةٌ من السلطان، ألولِيِّ ذلك المقتول أن يَفْتُكَ به إنْ قدَرَ عليه؟ قال: بل يَرْفَعُه إلى السلطان، قال: إنَّ السلطانَ لا يُعْدى عليه لمكانه منه وعظم جاهه عنده. قال: أخافُ عليه إنْ فَتكَ به فَتَكَ به السلطانُ، قال: دَعْ ما تخافُه من ناحَية السلطان، أتَلْحَقُهُ تَبعةٌ فيما بينَه وبيَن الله؟ قال: لا. قال: فَحكَّمَ هو وأصحابُه وخَبَطوه بأسيافهم. ورَمَى عبَّادٌ ابنَهُ فَنَجَا، وتنادى الناسُ: قُتلَ عبادٌ! فاجتَمعَ الناسُ فأخَذُوا أفواهَ الطُّرُق، وكان مَقْتَلُ عبَّاد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كُلَيْب - فجاء مَعْبَد بن أخْضَرَ - أخو عبَّاد وهو معبدُ بن عَلْقمةَ، وأخضرُ زوجُ أمهما، فى جماعةٍ من بنى مازن، فصاحُوا بالناس: دَعُونا وثَأْرَنَا. فأحْجَمَ الناس وتَقدَّمَ المازنيُّون، فحاربوا الخَوارجَ حتى قتلوهم جميعًا، لم يُفْلِتْ منهم أحدٌ إلا عُبيدة بن هلالٍ. فإنه خرَقَ خُصًّا ونَفذ منه. ففى ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدْرَكَ الأوْتَارَ غيرَ ذَميمةٍ إذا ذُمَّ طُلابُ التِّراث الأخَاضِر
هُمُ جَرَّدُوا الأسْيافَ يومَ ابنِ أخْضَرَ فنالوا التى ما فَوْقَها نَالَ ثَائرُ
أقَادُوا به أُسْدًا لها فى اقْتِحَامِها إذا بَرَزَتْ نحو الحروب بَصائرُ(١)

ثم ذَكر بنى كُلَيْبٍ، لأنه قُتِلَ بحضرةِ مسجدهم ولم ينصروه، فقال فى كلمته هذه:

كفعل كُلَيْب إذْ أَخَلَّتْ بجارهَا ونَصْرُ اللئيم مُعْتمٌ وهو حَاضر(٢)
ومَا لكُلَيْبِ حين تُذْكَرُ أوَّلٌ ومَا لكلَيْب حين تُذكَرُ آخِرُ

وقال معبد بن أخْضَر:

سأحْمِى دِماءَ الأخْضَرِيِّينَ إنه أبى النَّاسُ إلا أن يقولوا ابنُ أخْضَرَا

[عروة بن أدية]

وكان مقتلُ عبَّاد وعبيدُ الله بن زياد بالكوفة، وخليفتُهُ على البصرة عُبَيدُ الله ابن أبى بكْرَةَ. فكتبَ إليه يأمره ألا يَدَعَ أحدًا يُعْرَفُ بهذا الرأى إلا حَبَسه وجَدَّ فى

(١) أقادوا أسدا. قتلوهم به.

(٢) يقال: اعتم الرجل فى الشىء؛ إذا أبطأ فيه.

طلبه. ممن تَغَيَّبَ منهم. فجعل عُبيد الله بن أبى بَكْرَةَ يَتتبَّعهُمْ فيأخذُهم، فإذا شُفِعَ إليه فى أحد منهم كَفَّلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زياد، حتى أُتىَ بعُروَةَ بن أُدَيَّةَ فأطلقه، وقال: أنا كَفيلُك، فلما قَدِمَ عبيدُ الله بن زيادٍ أخذ مَنْ فى الحبس[1] منهم فقتلَهم جميعًا، وطلب الكُفلاء بمن كَفَلوا به منهم، فكلُّ مَنْ جاءه بصاحبه أطلقه، وقتَلَ الخارجىَّ، ومن لم يأت بمن كفَلَ به منهم قَتَلَهُ، ثم قال لعُبيْد الله بن أبى بكْرَةَ: هات عرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ، قال: لا أقْدرُ عليه. قال: إذا والله أقْتُلُكَ فإنك كفيلُه، فلم يَزَل يطْلُبُهُ حتى دُلَّ عليه فى سَرَبِ[2] العلاء بن سُوَيَّةَ المِنْقَرِىِّ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زيادٍ، فقرأ عليه الكاتب: إنا أصَبْنَاهُ فى شَرْبٍ.

فَتَهانَفَ به عُبيدُ الله بن زياد، وكان كثير المحاورة، عاشقًا للكلام الجيِّد، مستحسنًا للصوابِ منه؛ لا يزال يبحثُ عن عُذْرِه، فإذا سَمِع الكلمةَ الجَيِّدَةَ عَرَجَ عليها. ويُرْوَى أنه قال فى عَقِب مقتل الحسين بن علىٍّ عليه السلامُ لزينبَ بنت علىٍّ رحمهما الله ـ وكانت أسنَّ مَنْ حُمِلَ إليه منهنَّ، وقد كلَّمتْه فأفصحتْ وأبلغتْ، وأخذتْ من الحجّة حاجتها ـ فقال لها: إنْ تكونى بلغتِ من الحجة حاجتَكَ فقد كان أبوكِ خطيبًا شاعرًا. فقالت: ما للنساء والشعر[3]! وكان مع هذا ألْكَنَ يرتَضِخُ[4] لغة فارسية. وقال لرجلٍ مرَّة واتهمَه برأى الخوارج: أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ!

رجع الحديث:

فقال للكاتب: صَحَّفتَ والله ولَؤُمْتَ، إنما هو « فى سَرَبِ العَلاء بن سُوَيَّةَ ». ولَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشربُ النبيذَ.

فلمَّا أقيمَ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ بين يديه حاوَرَه. وقد اخْتُلف فى خبره[5]، وأصَحُّه عندنا أنه قال له: لقد[6] جَهَّزْتَ أخاكَ علَىَّ. فقال: والله لقد كنت به ضنينًا. وكان لى عِزًّا، ولقد أردت له ما أُريدُ[7] لنفسى، فعزم عَزْمًا فمَضَى عليه، وما

---

(١) ر: « السجن ».
(٢) السرب: الطريق والمسلك.
(٣) س: « وللشعر ».
(٤) يرتضخ: يميل إليها فى نطقه.
(٥) ر: « وقد اختلف الناس فى خبره ».
(٦) كلمة « لقد » ساقطة من ر.
(٧) ر: « ما أريده ».

أحبُّ لنفسى إلا المقامَ وتركَ الخروج، قـال له: أفأنتَ على رأيه؟ قال: كنَّا[1] نعبدُ ربًّا واحدًا، قال: أمَا لأمـثِّلَنَّ بك! قال له: اخترْ لنفسك من القـصاص ما شئتَ. فأمر بـه فقَطعوا يديه ورجليه، ثم قـال له: كيف ترَى؟ قال: أفسـدتَ علىَّ دنْياىَ وأفسدتُ عليكَ آخرتك، ثم أمر به فقتِلَ، ثم صلب على باب داره، ثم دَعَا مولاه فسألهَ عنه، فأجابه جوابًا قد[2] مضى ذِكْرُه.

* * *

قوله: «فَـتَهانَفَ». حقـيقته تَضـاحَكَ به ضَحِكَ هُزْءٍ. وقال ابنُ أبى رَبيـعةَ المخزومىُّ :

لقـــد قـــالتْ لجـــارات لــهـــا	وتَعَـــرَّتْ ذات يوم تـبْـتـــرد
أكَـمَّـــا يَنْعـــتُنى تُبْـصِــرْننى	عَـمْــرَكُن اللهَ أم لاً يَقْـتَـصِـدْ!
فــتــهـــانفْنَ وقـــد قُـلْنَ لهَـــا	حَـــسَنٌ فىْ كـلِّ عينٍ مَـنْ تودّْ
حَـسَــدٌ حُــمِّلْنَهُ مـن أجلهـــا	وقَـدِيمًا كـان فى الـناسِ الحسَـدْ

[أمر زياد مع الخوارج]

وكان عُبيـد الله لا يُلبثُ الخوارج، يحبسهم تارةً وَيقْـتُلهم تارةً، وأكثرُ ذلك يَقْتُلهم، ولا يتـغافلُ عن أحد منهم، وسببُ ذلك أنه كان أطلـقهم من حبس زيادٍ لـمَّا وُلِّى بعدَه، فخرجوا عليه.

فأما زيادٌ فكان يقـتل المُعْلنَ ويَسْتَصْلحُ المُسرَّ، ولا يُجَـرِّدُ السيف حتى تزول التّهْـمَة. ووَجَّهَ يوما بُحَـينَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعْرَجِىَّ إلى رجل من بنى سـعدٍ يَرى رأْيَ الخوارجِ، فجاءه بُحَيْنَةُ فأخذه. فقال: إنى أريد أن أُحْدثَ وضوءًا للصلاة، فدَعْنى أدخلْ منزلى[3]. قال: ومَنْ لى بخـروجك؟ قال: اللهُ عز وجل. فتـركه. فدخل فأحدث وُضوءًا ثم خرج، فأتى بهِ بُجَيْمنَةُ زيادًا، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ، ثم صلّى على نبيه، ثم ذكـرَ أبا بكر وعمرَ وعثمانَ بخيـر، ثم قال: قعدت عنِّى فأنكـرتُ ذلك، فذكرَ الرجـلُ ربَّه فَحَـمـدَه، ثم ذكَـرَ النبـىَّ عليه السلام، ثم ذكَرَ

---

(١) ر : « كلنا » . (٢) ساقطة من ر .
(٣) ر : « أدخل إلى منزلى » .

أبا بكرٍ وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبلَ على زياد فقال: إنك قد قلتَ قولا فَصَدِّقْهُ بفعلك، وكان من قولك: ومَنْ قَعَدَ عنَّا لم نَهِجْهُ. فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوةٍ وحملان، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقاه الناسُ يسألونه، فقال: ما كُلُّكم أستطيعُ أن أخبرَه، ولكنى دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضَرًّا ولا نفعًا لنفسه، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فرزقَ اللهُ منه ما تَرَوْنَ.

* * *

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول: أأحسبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلا الرُّجْلَةَ(١). فيقولون: أجَل، فيحملهم، ويقول: اغْشَوْنى الآن واسْمُرُوا عندى. فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فقال: قاتل اللهُ زيادًا! جَمعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ(٢)، وحاطَهم كما تَحُوط الأمُّ البَرَّة، وأصلَح العِرَاقَ بأهل العراق، وتَرَكَ أهلَ الشامِ بشأمِهم(٣)، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيةَ عشَرَ ألفَ ألفٍ.

* * *

قال أبو العباس: وبلغَ زيادًا عن رجل يُكْنَى أبا الخَير، من أهل البأس والنَّجْدةِ، أنه يَرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاهُ جُنْدَيْ سابور وما يَلِيها، ورزَقَه أربعةَ آلافِ درهمٍ فى كل شهر، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيئًا خيرًا من لزوم الطاعةِ والتقلُّبِ بين أظهُرِ الجماعة! فلم يزل واليًا حتى أنكر منه زيادٌ شيئًا. فَتَنَمَّرَ لزيادٍ فحبسه، فلم يَخرجه من حبسه حتى مات.

[الرهين المرادى وشعره]

وقال الرُّهَيْنَ ـ وكان رجلا من مُرَاد، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب، وكان فى الدُّهاءِ والمعرفةِ والشعرِ والفقه بقول الخوارج، بمنزلة عِمْرَانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بنَ حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّة ورئيسَهم ومفتيَهُمْ.

---

(١) الرجلة : المشى على الرجلين .

(٢) الذرة : واحدة الذر ؛ وهو النمل الصغار.

(٣) ر : « فى شأمهم » .

وللرُّهَيْن المرادىِّ ،ولعمرانَ بن حطَّانَ مسائلُ كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار، وفى السِّيَر والسُّنَن، وفى الغَريب، وفى[1] الشعر، نذكر طَريفَها إن شاء الله . قال المرادىُّ :

يا نَفْس قدْ طال فى الدنيا مُراوَغَتى ... لا تأمَنَنَّ لصَرْف الدهَّر تنقيصًا[2]
إنِّى لَبائعُ ما يَفْنَى لباقية ... إن لَمْ يَعُقْنى رجاءُ العيشِ تَرْبيصًا[3]
وأسألُ الله بَيْعَ النفس محْتَسِبًا ... حتى ألاقِىَ فى الفِرْدَوْسِ حرقوصَا

ـ [قال الأخْفَشُ : حرقوصٌ : ذو الثُّدَيَّة] .

وابن المَنيح ومِرْداسًا وإخْوَتَهُ ... إذ فارقوا زَهْرة الدنيا مَخاميصًا[4]

قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم.

* * *

وكان زيادُ ولَى شَيْبانَ بن عبد الله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْبُرَة بنى شيبان باب عثمانَ وما يليه، فجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافَهم، وكانوا قد[5] كَثْروا، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً ـ و هو متكئٌ بباب داره ـ رجلانِ من الخوارج، فضرباه بأسيافهما فقتلاه، وخرَج بَنُون له للإغاثة فقُتلواَ، ثم قَتَلهما الناسُ. فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجل من الخوارج. فقال: اقتلوهُ مُتَّكِئًا كما قُتل شيبانُ متكئًا. فصاح الخارجىُّ: يا عَدْلاهُ! يَهْزأُ به.

فأمَّا قولُ جريرٍ :

ومِنَّا فَتَى الفِتْيَانِ والبأسِ مغْفِلٌ ... ومنَّا الذى لاقى بدِجْلَةَ مَعْقِلا

فإنه أراد مَعْقِلَ بن قَيسٍ الرِّيَاحِى، ورِياحٌ بن يربوعٍ، وجرير من كُلَيْبِ بن يربوعٍ.

وقولُه:

* ومنَّا الذى لاقى بِدِجلة مَعْقِلا *

---

(١) ر : « والشعر » .
(٢) ر . س : « تنغيصا » .
(٣) التربيص : الانتظار .
(٤) المخاميص : جمع مخماص ، وهو الضامر البطن .
(٥) ساقطة من ر .

يريدُ المسْتَوْرِدَ التَّيمِىَّ، وهو من بنى تَيْمِ[1] بن عبد مَناةَ بن أدٍّ، وتميمُ بنُ مُرةَ ابن أدٍّ .

وأمّا قولُ ابن الرُّقيات :

والذى نَغّصَ ابنَ دَوْمةَ ما تُو ... حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباحَ العراقَ يَضْربُهم بالسَّيفِ ... صَلْتاً وفى الضِّرَابِ غلاءُ[2]

فإنما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختار بنَ أبى عُبيدٍ الثَّقفىَّ، والذى نَغّصَهُ مصْعَب بن الزبير، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ. كان خارجيًّا، ثم صار زُبَيْرِيًّا، ثم صار رافضيا فى ظاهره.

وقوله: « ما تُوحى الشَّياطينُ»، فإنَّ المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضرباً من السِّجَاعة[3] لأمورٍ تكونُ، ثم يحتالُ فيوقعُها، فيقولُ الناس: هذا من عند اللهِ عزَّ وجَلَّ.

فمن ذلك قوله ذات يومٍ: لَتَنْزلَنَّ من السماء نارٌ دَهْمَاءُ، فَلَتُحْرقَنَّ دارَ أسماء. فَذكرَ ذلك لأسماءَ بن خارجةَ، فقال: أقد سَجَعَ بى أبو إسحاقَ! هو واللهِ مُحْرِقٌ دارِى! فتركه والدار وهربَ من الكوفة.

وقال فى بعض سجعه: أمَا والذى شَرَعَ الأديان، وجَنَّبَ الأوثانَ، وكَرَّهَ العصْيان، لأقتلنَّ أزْدَ عُمانَ، وجُلّ قيسِ عَيْلانَ، وتميما أولياءَ الشيطان، حاشا النَّجيبَ ظَبْيَان! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول: لم أزَلْ فى عُمْرِ المختار أتقلّبُ آمِناً.

[المختار بن أبى عبيد وبعض أخباره]

ويُروى أن المختارَ بن أبى عُبيد ـ حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة ـ اتَّهمَه ابنُ الزبير ، فولى رجلا من قريش الكوفة، فلما أطَلَّ قال لجماعةٍ من أهلها: اخرُجُوا إلى هذا المغرور فُردُّوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تُريد؟ واللهِ لئِنْ دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختار، فرجع.

(١) ر : « من تميم » .
(٢) الصلت : الماضى فى الشىء . والغلاء : مجاوزة القدر فى كل شىء .
(٣) السجاعة : صناعة السجع .

وكتبَ المختارُ إلى ابن الزبير: إن صاحبَك جاءنا فلما قاربَنا رجع، فما أدْرى ما الذى ردَّهُ! فغضب ابن ُالزبير على القُرشىّ وعَجَّزهُ وردَّه إلى الكوفة، فلما شارفها قال المختارُ: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: إنه والله قاتلك فرجع، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول، فلامَ القرشىَّ، فلما كان فى الثالثة فَطِنَ ابنُ الزبير، وعَلمَ بذلك المختارُ، وكان ابنُ الزبير قد حَبَسَ محمدَ بن الحنَفيةَ مع خمسةَ عشرَ رجلا من بنى هاشمٍ، فقال: لَتُبَايعُنَّ أو لأحْرِقَنَّكم، فأبَوْا بيْعَتَه، وكان السجنُ الذى حبسهم فيه يُدْعَى سجن عارمٍ، ففى ذلك يقول كُثيِّرٌ:

تُخَبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجن عارمِ
ومَنْ يَلْقَ هذا الشيخَ بالَخْيفِ من منى ... منَ الناس يَعْلَمْ أنه غيرُ ظالمِ
سَمِىُّ النبى المصطفى وابن عمه ... وفكَّاكُ أغلال وقاضى مَغارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائذ، لأنه عاذ بالبيت، ففى ذلك يقولُ ابن الرُّقَيَّات يَذْكُرُ مُصْعَباً:

بَلَدٌ تأمن الحمامةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعى المُحِل، لإحلاله القتالَ فى الحَرمِ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَة بنت الزبير:

ألا مَنْ لقَلْبٍ مُعنَّى غَزِلْ ... بِذِكْرِ المُحِلةِ أُخْتِ المُحِلْ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغض لابن الحنفيّة إلى بُغْضِ أهله، وكان يَحْسُدُهُ على أيْده(١)، ويقال: إن عليًّا استطال درْعاً فقال: لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةً، فقَبَض محمدُ بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فَضلها، ثم جَذْبها فقَطعه من الموضع الذى حَدَّه أبوه، فكان ابنُ الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أفْكَلٌ(٢).

فلما رأى المختارُ أن ابنَ الزبير قد فَطِن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبى عُبيدٍ الثّقفىّ خليفة الوصى محمد بن علىٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماءَ. ثم

---

(١) الأيد: القوة.
(٢) الأفكل: اسم للرعدة تعلو الإنسان.

ملأ الكتاب بسبِّه وسبِّ أبيه. وكان قَبْلَ ذلك فى وقت إظهاره طاعةَ ابن الزبير يَدُسُّ إلى الشّيعة، ويُعْلمهُم موالاتَه إياهم، ويُخْبِرُهم أنه على رأيهم وحَمْد مذاهبهم، وأنه سيُظهِر ذَلك عمّاً قليلٍ، ثم وَجَّهَ جماعة تسيرُ الليل وتكْمُنُ النهارَ، حتى كسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بنى هاشمٍ، ثم ساروا بهم إلى مأمَنِهِم.

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشْتَر يسأله الخروجَ إلى الطَّلبِ بدم الحَسين بن على رضى الله عنهما، فأبى عليه إبراهيمُ إلاَّ أن يستأذن محمدَ بن على بن أبى طالب، فكتب إليه يستأذنه(١ فى ذلك١)، فعلم محمد أن المختار لا عقد له. فكَتب محمدٌ إلى إبراهيمَ بن الأشْتَرِ: إنه ما يَسوءُنى أن يأخُذَ اللهُ بحقِّنا على يَدَىْ مَنْ شاء[٢] من خلقه. فخرج معه إبراهيمُ بن الأشترِ، فوجهه[٣] نحوَ عُبيد الله بن زياد. وخرج يُشَيِّعهُ ماشياً، فقال له إبراهيمُ: اركبْ يا أبا إسحاقَ! فقال: إنى أحبُّ أن تغبَرَّ قَدَماىَ فى نصرة آلِ محمد ﷺ.

فشيَّعه فرسخين، ودَفَعَ إلى قومٍ من خاصَّته حَماماً بيضاً ضِخاماً، وقال: إن رأيتم الأمرَ لنا فَدَعُوها، وإن رأيتم الأمرَ علينا فأرْسِلُوها، وقال للناس: إن استقمتم فَبَنْصرِ الله، وإن حصتُمْ حَيْصة[٤] فإنِّى أجِدُ فى محكمِ الكتاب، وفى اليقين والصواب، أنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكم بملائكةٍ غِضَابٍ، تأتى فى صورِ الحَمَامِ دُوَيْنَ السحاب.

فلما صار ابنُ الأشتر بخَازِر[٥] وبها عُبَيْدُ الله بن زياد. قال: من صاحبُ الجيشِ؟ قيل له: ابنُ الأشترِ، قال: أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشىء، وعلى مَيْمنة ابن زياد، حُصَيْنُ[٦] بن نُمَيْر السكُونىُّ من كِنْدةَ - ويقال السَّكُونىُّ السُّكُونىُّ، والسَّدُوسىُّ والسُّدُوسىُّ، كذا كان أبو عبيدة يقول.

[قال أبو الحسن : السُّكُوبُّى أكثر][٧] ، وعلى ميسرته عُمير بن الحباب فارسُ الإسلام .

(١-١) ساقط من ر .
(٢) ر : « من يشاء » .
(٣) ر : « فتوجه » .
(٤) حصتم حيصة : ذهبتم تطلبون الفرار .
(٥) خازر : نهر بين إربل والموصل .
(٦) ر : « حضين » ، وما أثبته عن الأصل .
(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

فقال حُصَيْنُ بنُ نَمْيرٍ لابن زياد: إنَّ عميرَ بن الحبَاب غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْج(١). وإنى لا أثقُ لك به. فقال ابنُ زياد: أنتَ لى عدوٌّ، قال حُصَيْنٌ: ستعلمُ.

قال ابنُ الحُبَاب: فلما كان الليلة التى يُريد أن نَواقِعَ ابنَ الأشْتَر فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقاً، ومعى رجلٌ من قومى، فصرتُ إلى عسكره. فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ(٢) ومُلاءَةٌ، وهو متوشح(٣) السيف يَجُوسُ عسكره فيأمر فيه ويَنْهى، فالْتزَمْتُه من ورائه، فوالله ما الْتَفتَ إلىّ ولكن قال: مَنْ هذا؟ فقلتُ: عُمير بن الْحَبَاب، فقال: مرحباً بأبى الْمُغلِّس، كُنْ بهذا الموضع حتى أعودَ إليك، فقلت لصاحبى: أرأيتَ أشْجَعَ من هذا قط! يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوِّه، ولا يدرى من هو؟ فلا يلتفتُ إليه! ثم عاد إلىَّ وهو فى أربعة آلاف، فقال: ما الخبرُ؟ فلت: القومُ كثيرٌ، والرأىُ أن تُناجزَهم، فإنه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولة هذا الجمع الكثير، فقال: نصْبحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَات السيوف وأطراف القَنَا، فقلت: أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُث الناس غداً.

فلما الْتَقْوا كانت على أصحاب إبراهيمَ فى أول النهار، فأرسلَ أصحابُ المختار الطير، فتصايحَ الناسُ: الملائكة! فتراجعوا، ونكَّسَ عميرُ بن الحُبَاب رايَتَهُ، ونَادَى: يا لَثَأرَات المَرْج! وانخزَل بالمَيْسَرَة كلِّها، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ، واقتتل الناسُ حتى اختلَطَ الظلامُ وأسرع القتلُ فى أصحاب عُبيد الله بن زياد. ثم انكشفوا ووُضعَ السيفُ فيهم حتى أفْنوا، فقال ابنُ الأشْتَر: لقد ضربتُ رجلًا على شاطئ هذا النهرِ فرجع إلىَّ سيفى، فيه(٤) رائحةُ المسك. ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأَةً، فصرعتُه فذهبتْ يداه قِبَلَ المشرق، ورجلاه قِبَلَ المغرب، فانظُرُوا.

فأتوْه بالنِّيران، فإذا هو عُبيد الله بن زيادٍ.

* * *

وقد كان عند المختار كُرسىٌّ قديمُ العهد. فَغَشَّاهُ بالدِّيباج، وقال: هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه. فضعوه فى

(١) قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها. قاله المرصفى.
(٢) هروىٌّ: منسوب إلى هراة إحدى مدن خراسان.
(٣) ر: «متشح». (٤) ر: «ومنه».

بَرَاكاء الحَربِ، وقاتلوا عليه، فإنَّ مَحلَّه فيكم مَحَلُّ السَّكينة فى بنى إسرائيل. ويقال إنه اشترى ذلك الكرسىَّ من نجَّارٍ بدرهمين[١].

وقوله: « فى بَرَاكاءِ القتال » ويقال: بَرَاكاءُ وبَرُوكاءُ، وهو موضعُ اصطِدَامِ القومِ، وقال الشاعرُ[٢]:

ولـيس بمُنْـفِـذٍ لك منـه إلا   بَـرَاكـاءُ القـتـالِ أو الـفِـرَارُ

وهذا باب[٣] اللام التى للاستغاثة والتى للإضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجماعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ. تقول: يا لَلرِّجالِ، ويالَلقوم، ولَزَيدٍ! إذا كانتَ تدعوهم .

وإنما فتحتَها لتَفْصل بين المَدْعُوِّ والمدعو له، ووجب أن تَفْتَحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضَة إنما كان الفتحَ، فكُسرَت مع المُظْهَر ليَفصلَ بينها وبين لامِ التوكيد، تقول: إنّ هذا لزَيْدٌ. إذا أردت: إنَّ هذا زَيْدٌ. وتقول: إنّ هذا لزيدٍ. إذا أردتَ أنه فى مِلْكِه. ولو فَتَحْتَ لالتَبَسا[٤].

فإن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها، فقلتَ: إن هذا لَكَ. وإن هذا لأنْتَ، إذا أردتَ لام التوكيد ليس هاهنا لَبْسٌ. وذاك أنَّ الأسماء المضمرةَ على غير لفظ المُظْهَرةِ. فلهذا أجْرَيْتَها على الأرضِ، والاستغاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجل اللَّبْسِ.

والمدعوُّ له فى بابه. فاللامُ معه مكسورة. تقولُ: يا لِلرِّجَالِ للماء! ويالِلرِّجال للعَجَبِ ويا لِزَيدٍ للخَطْبِ الجليلِ! قال الشاعرُ:

يا لِـلرجـالِ لِيَـوْمِ الأربِـعـاء أمـا   يَنْفَكُ يبـعث لى بعد الـنبّى طربَا[٥]

---

(١) ر: «بدرهمين من بخار».

(٢) حاشية الأصل: « البيت لبشر بن خازم » ويروى:

* ولا ينجى من الغمرات إلا *

(٣) ر: « هذا ».   (٤) ر: « لالتبستا ».

(٥) لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى .

وقال آخر :

تَكَنَّفنى الوشاةُ فَأزعجونى ... فيا لِلنّاس للواْشي المطاُع(١)

وفى الحديث لَمّا طَعَنَ العلْجُ - أو العبدْ - عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح: يالله يا لَلْمسلمين !

وتقولُ : يا لِلْعَجَب، إذا كنتَ تدعو إليه، و «يا» لِغَيْرِ العَجَبِ، كأنكَ قلتَ: يا لَلنَّاس للعَجَب. ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يا لَعْنةَ اللهِ والأقوامِ كلِّهِم ... والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ(٢)

فيَا لغير اللعنة، كأنه قال: يا قوم لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلّهم.

وزَعَمَ سيبويه أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثة دليل، بمنزلة الألف التى تَبين بالهاء فى الوقف إذا أردتَ أن تُسْمِع بعِيداً. فإنما هى للاستغاثة بمنزلة هذه اللامِ. وذلك قولك : يا قَوْماهْ! على غيرِ الندْبَة، ولكن للاستغاثة ومَدَّ الصوت.

والقولُ كما قال. محلّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ. فإذا وصلتَ حذفتَ الهاءَ، لأنها زيدَتْ فى الوقف لخفاء الألف. كما تَزادُ لبيان الحركة، فإذا وصلتَ أغْنَى ما بعدَها عنها. تقولُ: يا قَوْمَا تعالَوْا . ويا زيدا لا تفْعلُ.ولا يجوزُ أن تقولَ: يا لَزَيْد وهومُقْبلٌ عليكَ. وكذلك لا يجوزُ أن تقول: يا زَيْدَاه وهو معك، إنما يقال ذلكً للبعيد أو يُنَبَّه به النائمُ.

فإن قلتَ: يا لَزَيد ولعمرو، كسرتَ اللامَ فى «عمرو» وهو مَدْعُوٌّ، لأنك إنما فتحت اللامَ فى «زيد» لتفصل بين المَدْعُوِّ والمدعو إليه، فلما عطفت على «زيد» استغنيت عن الفصل، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار فى مِثْل حاله.

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ: رأيتُ زيداً، فتقولُ: مَنْ «زيداً»؟ وإنما حكيتَ قولَه لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذى ذكَرَ بعينه، ولا تسألُه عن زيد غيره، والموضعُ موضعُ رفعٍ، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ، فإن قلت: ومَنْ زيدٌ؟ أو فمنٌ زيدٌ؟ لم يكن إلا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامِه، فاستغنيتَ عن الحكاية، لأن العطفَ لا يكونُ مستأنفاً.

---

(١) نسبه المرصفى إلى قيس بن ذريح وقبله :

فواكبدى وعاودنى رداعى ... وكان فراق لبنى كالخداع

(٢) سمعان . : بفتح السين وكسرها. وكلاهما صحيح.

ونَظِيرُ هذا الذى ذكرتُ لك فى اللام قولُ الشاعر :

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلعَجَبِ !

فقد أحْكَمْتُ كلَّ ما فى هذا الباب.

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

[خالد بن عباد السدوسى]

قال أبو العباس : وذُكِرَ لعُبَيْدِ الله بن زيادٍ رجلٌ من بنى سَدُوس، يقال له خالدُ بن عَبَّاد ـ أو ابن عُبادة ـ وكانَ من نُسَّاكهم، فَوجَّهَ إليه فأخذَه. فأتاه رجلٌ من آل ثَوْر، فَكَذَّبَ عنه. وقال: هو صِهرِى وهو فى ضِمْنِى. فَخَلَّى عنه. فلم يَزَل الرجلُ يَتَفَقَّدُه حتى تَغيَّب، فأَتى ابنَ زيادٍ فأخبره ، فَبَعَثَ إلى خالد بن عَباد فأُخذَ، فقال عُبيد الله بن زياد: أين كنتَ فى غَيْبَتك هذه؟ قال: كنتُ عند قومٍ يَذْكرونَ اللهَ ويذكرون أئمةَ الْجَورِ فيَتَبَرَّءونَ منهم! قال: ادللنى عليهم[1]، قال: إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى. ولم أكُن لأَرَوِّعهُمْ!

قال: فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ؟ قال: خيراً. قال: فما تقولُ فى أمير المؤمنين عثمانَ، أتَتَولاَّه وأمير المؤمنين معاوية؟ قال: إن كانا وليَّيْنِ لله فلستُ أُعاديهما، فأَرَاغَهُ مراتٍ فلم يرجع، فعزَم على قتله، فأمر بإخراجه إلى رَحْبَةٍ[2] تُعرف برَحْبَة الزَّيْنَبى.

فجعل الشُّرَط يتَفَادَوْنَ منْ قتله، ويَرُوغُونَ عنه توَقيًّا، لأنه كان شَاسفاً[3] عليه أَثَرُ العبَادَة، حتى أتى المُثَلَّمُ بنُ مَسْرُوح الباهلىُّ، وكان من الشُّرط، فتقدَّم فقتلَه، فأتمَر به الخوارجُ ليقتلوه، وكا مُغْرماً باللّقاح[4] يَتَتَبَّعُها[5] فيشتريها من مَظَانِّها. وهم فى تَفَقُّدِه فدسُّوا إليه رجلا فى هيئة الفتْيان. عليه رَدْعُ زعفرانٍ[6].

---

(١) ر : « دلنى عليهم » .

(٢) الرحبة : الفجوة الواسعة بين الدور .

(٣) الشاسف : اليابس من الهزال .

(٤) اللقحة : الناقة التى لها لبن .

(٥) ر : « يتتبعها » .

(٦) الودع : اللطخ بالطيب والزعفران.

فلَقيه بالمرْيَد[١] وهو يسأل عن لقْحةٍ صفى[٢]، فقال له الفـتى : إنْ كُنتَ تبْلُغُ [٣] فعندى ما يُغْنيك عن غيره. فامضِ معى .

فمضَى المثلَّمُ على فرسهِ والفتى أمامَهُ، حتى أتى به بنى سَعْد، فدخل داراً، وقال له: ادخلْ على فرسك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلق البابَ، وثارتْ به الخوارجُ، فاعْتَورَهُ خُـرَيْثُ بن جَحْل، وكَهْمَسُ بن طَلْق الصَّرِيمىُّ فـقتلاه، وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه. ودفناه فى ناحـية الدار، وحكَّا آثارَ الدَّم، وخَلَّيا فرسَه فى الليل، فـأُصيبَ من الغدِ فى المِـربد، وتجسَّس[٤] عنه الباهلـيُّون فلم يَرَوْا له أثراً. فاتهـموا به بنى سدوسٍ، فـاسْتَعْدَوْا عليـهم السلطان، وجعل السَّـدُوسيُّون يحلفون، وتحامل[٥] ابن زيادٍ مع الـباهليين. فـأخذ مـن السدوسـيين أربعَ ديات. وقال: ما أَدرِى مـا أصنعُ بهؤلاء الخوارجِ! كلما أمـرت بقتل أحدهم اغتـالوا قاتلَه فلم يُعْلَمْ بمكانه. حتى خرج مِرْدَاسٌ، فلما وافَقهم ابن زرعةَ صاح بهم جُرِيث ابن جحْلٍ: أهاهنا من باهلَة أحدٌ؟ قالوا: نعم، قال: يا أعداء الله، أخذتْم بالمُثَلَّم أربع دياتٍ وأنا قتلته[٦] ، وجعلـت دراهم كانتْ معـه فى بطنِه، وهو فى مـوضع كذا مدفونٌ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ، فَصابُوا أَشْلاءه والدراهمَ، ففى ذلك يقولُ أبو الأسْوَدِ الدَّؤلىُّ :

آليـتُ لا أغْـدُو إلى رَبِّ لِقْـحـةٍ أسَـاوِمُـهُ حـتـى يَعُـودَ المثـلَّمُ[٧]

ثم خَـرَجَتْ خوارجُ لا ذِكَـر لهـم، كلُّهـم قُـتِلَ، حتـى انتَهـى الأمـرُ إلى الأزارقـةِ.

---

(١) المربد : المكان الذى تحبس فيه الإبل وتصان . ومنه سمى مربد البصرة. وكان موضع سوق الإبل.
(٢) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن ؛ والجمع صفايا .
(٣) تبلغ : يريد إن كنت تبلغ بها ثمنا جيدا . قاله المرصفى .
(٤) ر : « وتحسن » . (٥) ر : « فتحامل » .
(٦) ر : « وأنا قاتله » .
(٧) بعده كما ذكره المرصفى :

وَقَـالَ لـهُ كـومـاءُ حَـمْـراءُ جَلْـدَةٌ وَقَـارَبـهُ فى السَّـوْم والْقـتْـلَ يكـتمُ
فـأَصْبَحَ قَـدْ عُمِّـىَ عَلى النَّاس أَمْـره وَقَـدْ بات يَـجْـرى فَـوق أَثوَابـه الدَّمُ
وقَـد كـانَ فـيـمـا كـانَ منْـهُ بمعـزل ولكـنَّ حَـيْنَ الْمَـرء لـلْمَـرء مُـسْـلِمُ

[تفرق الخوارج]

ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضربٍ :

الإباضيَّةُ : وهم أصحابُ عبد الله بن إبَاض .

والصُّفْرِيَّةُ : واختلفوا فى تسميتهم، فقال قومٌ: سمُّوا بابنِ صَفَّار[1]، وقال آخَرون ـ وأكثر المتكلمين عليه ـ هم قومٌ نَهكتْهُمْ العبادة فاصفَرَّت وجوهُهم.

ومنهم البَيْهَسيَّةُ ،وهم أصحابُ بَيْهَس[2].

ومنهم الأزارِقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزْرقِ الحنَفىّ .

وكانوا قبلُ علـى رأى واحد، لا يختلفون إلاَّ فى الشىء الـشاذِّ من الفروع، كمـا قال صَـخْرُ بن عُرْوَةَ: إنــى كرهت قتـال علىٍّ بن أبى طالـب رضى الله عنه لسابِقَته وقرَابَته، فأَمَّا الآنَ فـلا يَسَعُنى إلاّ الخروجُ. وكان اعتزَلَ عبدَ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ، فَضَلَّلَتهُ[3] الخوارجُ بامتناعه من قتال علىٍّ.

[الخوارج وابن الزبير]

فكان أولُ أمرِهم الذى نَسْتَاقُه: أَنَّ جماعةً من الخوارج، منهم نَجْدَةُ بنُ عامر الحنفىُّ عزَمُـوا على أن يقصدوا مكة، لَمَّا تَوَجَّهَ مُـسْلِمُ بن عُقْبَةَ يريدُ المديـنةَ لوقعة الحَرَّة؛ فقـالوا: هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة، ويجب علـينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ الله منه. ونمتحنَ ابن الزُّبير، فإن كان على رأينا بايعْناهُ، فَمضَوْا لذلك.

فكان أولَ أمرهم أنَّ أبا الوَازِعِ الرَّاسِبىَّ ـ وكان من مـجتهدى الخوارج ـ كان يَذْمُرُ نَفْسَه ويلومُـها على القعود، وكان شاعراً، وكان يفـعلُ ذلك بأصحابه. فأتى نَافع بن الأزرقِ وهو فى جماعةٍ من أصحابه، يَصفُ لهم جَوْرَ السلطان ـ وكان ذا لسان عَضْبٍ، واحتـجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة ـ فأتـاه أبو الوَازِعِ، فقال : يا نافعُ، لَقد أُعْطيتَ لساناً صارماً. وقلباً كَلـيلاً، فَلَوَدِدْت أن صَرَامةَ لسَانكَ كانت لقلبك، وكلاَلَ قلبك كـان للسَانك، أَتَحضُّ على الحقِّ وتَقْـعُدُ عنه، وتُقَبِّحُ البـاطلَ وتُقيمُ عليه! فقال: إلى أن يَجْتَمع[4] من أصحابك من تَنْكِى به عدوَّك، فقال أبو الوازع :

---

(١) هو عبد الله بن الصفا .

(٢) هو هيصم بن جابر .

(٣) ضللته : نسبته إلى الضلال .

(٤) ر : « تجمع » .

لســـانكَ لا يُـنْكى بـه القـــومُ إنما تَنـالُ بكَفَّـيْكَ الـنّجَـاةَ من الـكَرْبِ
فَجـاهِدْ أُناساً حاربُوا الله واصْـطَبرْ عسى اللهُ أن يُخْزى غَوىَّ بنى حَرْبِ

ثم قال: والله لا ألومك ونفسى أَلُومُ، ولأغْـدُوَنَّ غَدْوة لا أَنْثَنى بعدَها أبداً. ثم مضى فاشترى سيفاً، وأتى صيْقَلاً[1] كان يذمُّ الخوارج ويَدُلُّ علي عوراتهم، فشاوره في السيف فحمدهَ، فقال: اشْـحَذْه، فَشَحَذَهُ. حتى إذا رَضيهُ حكَّمَ وَخَبطَ به الصقيل وحملَ علي الناس فتهارَبُوا منه، حتى أتى مَقْبَرَةَ بنى يَشْكرَ، فَدَفَعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرة فكرهتْ ذلك بنو يَشْكرَ. خوفاً أن تَجْعَل الخوارجُ قبره مُهاجَراً، فلما رأَى ذلك نـافعٌ وأصحابُه جَدُّوا، وخَـرج فى ذلك جماعـةٌ، فكان ممن خَرج عيـسى بن فَاتِك الشـاعرُ الخَطىُّ، من تيْـمِ اللاَّتِ بن ثَعْلبةَ، ومَـقْتَلُه بعـدَ خروج الأزارقَة.

فمضى نافعٌ وأصـحابُه من الحُروريَّة قبل الاختلاف إلى مكة، لِـيَمْنَعُو الحَرَمَ من جيش مُسْلمِ بن عُقْبَةَ، فلما صاروا إلى ابـن الزبير عَرَّفوه أنفسهم، فأَظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مـسلم بن عُقْبةَ وأهلُ الشأم، فـدافعُوهم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بن معاويةَ، ولم يبايعوا ابنَ الزبير .

ثم تناظروا فيـما بينهم فقـالوا: نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظُر مـا عندَه، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمرَ، وبَرِئَ من عثمـانَ وعليٍّ، وكفَّر أَباه وطلحةَ، بايعْنَاه، وإن تكنِ الأخْرَى ظهرَ لنا ما عندَه. فَتَشَاغلنا بما يُجْدى علينا. فدخلوا على ابن الزبير. وهو مُتَبَذِّلٌ. وأصحابُـه متفرقون عنه. فقالوا: إنَّا جئناك لِتـخْبرنا رأيَك، فإن كنتَ على الصوابِ بايعناك، وإن كنتَ على غيره دَعَـوْنَاكَ إلَى الحقِّ، ما تقولُ في الشَّيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقولُ فى عثمان الذى أَحْمَى الحمَى، وآوى الطَّريدَ، وأَظهر لأهل مصرَ شـيئاً وكَتَبَ بخـلافه. وأَوْطَأَ آل أبى مُعَيْط رقـابَ الناسِ وآثَرَهُمْ بفَىْء المسلمين؟ وفى الذى بعـدَه الذىَ حكَّم فى دينِ الله الرجالَ. وأقام علـى ذلك غير تَائب ولا نادم؟ وفى أَبيكَ وصاحـبه، وقد بايَعا عليًّا وهو إمـامٌ عادلٌ مَرْضىٌّ، لم يَظْهَرْ منه كـفْرٌ، ثم نكَثا بعرَض من أعـراض الدنيا، وأخرجا عائشـةَ تُقَاتِلُ، وقد أَمَرَها الله وَصواحِبهَا أن يَقَرْنَ[2] فى بُيُوتِهنَّ؟ و كان لـك فى ذلك ما يَدعُوكَ إلى

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب ٣٣ : ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ .

التوبة! فإن أنت قلت كـما نقولُ فلك الزُّلْفةُ عندَ الله والنَّصْـرُ على أيدينا، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ وإن(١ أَبْيتَ خَذَلَك الله وانْتَصَرَ منك بأيدينا١).

فـقال ابن الزبـير : إنَّ الله أمـر ـ وله العزَّةَ والـقُدْرَةُ ـ فى مـخاطبـة أكْفَـر الكافرين وأعْتى العُتاة بأرفه(٢) من هذا القـولَ، فقالَ لموسى ولأخـيه ـ صلى الله عليهما ـ فى فرعونَ: ﴿فقُولا لهُ قَوْلاً لَيِّناَ لعـلَّهُ يتذكَّرُ أَوْ يخْشَى﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ : «لا تُؤْذُوا الأحـيَاءَ بسَـبِّ الْموتَى » فَنَهَى عـن سَبِّ أبى جهـلٍ من أجل عكْرِمةَ ابنه، وأبو جـهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرّسول، والمقيم عـلى الشِّرْك، والجادُّ فى المحاربة، وَالْمُتَبغِّضُ إلى رسول الله ﷺ قـبلَ الهجرة، والمحاربُ له بعدَها، وكفَى بالشِّرْك ذنبـاً! وقد كان يُغْنيكم عن هذا القـول الذى سَمَّيْتُمْ فيـه طلحةَ. وأَبى أن تقولوا: أَتَـبرَأ من الظالمين؟ فإن كـانا منهم، دخَلاَ فى غـمار (٤) النـاس، وإن لم يكونَا منهم لم تُحْفظُونى (٥) بسَبِّ أَبي وصاحـبه. وأنتم تعلمـون أنَّ الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن فى أَبَوَيْه: ﴿وإنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بـه علْمٌ فلا تُطعهمـا وصاحِبْهُما في الدُّنْيَـا مَعْرُوفاً﴾(٦)، وقـال جَلَّ ثـناؤه: ﴿وقُولُوا لَلنّاس حُسْنًا﴾(٧). وهذا الذى دَعَـوْتم إليه أمرٌ لـه ما بعدَه، ولـيس يُقْنعُكمْ إلاَّ التـوقفُ والتَّصْريح، ولَعَمْرى إنّ ذلكَ لأَحْرَى بقَطْعِ الْحُجج، وأوضحُ لمنْهاجِ الحقِّ، وأَوْلَى بأن يَعْرفَ كلٌّ صاحبَه من عدوِّه، فُروحُـوا إلىَّ مِنْ عَشيَّتكم هذه أَكْشِفْ لكم ما أَنَا عليه إن شاء الله .

فلماكان العَشىُّ راحُوا إليه، فخـرج إليهم وقد لَبِسَ سلاحه، فلما رَأَى ذلك نجدة قَال: هذا خـروجُ مُنابذ لكم، فجلس عَلَى رَفْعٍ من الأرض فـحَمدَ اللهَ وأثنى عليه، وصلَّى على نبـيه ﷺ . ثم ذكَرَ أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثـم ذَكْرِ عثمانَ فى السَّنينَ الأوائـلِ من خلافتـه، ثم وَصَلَهُنَّ بالسَّـنينَ التى أنكَرُوا سيـرتَه فيـها. فجـعلها كالماضـيةِ، وخَبَّـرَ أنه آوى الحَكَمَ بن أبي العـاص بإذنِ رسولِ الله ﷺ ،

(١-١) كذا وردت العبارة فى الأصل . س . وفى ر : « وإن أبـيت إلا نصر رأيك الأول. وتصـويب أبيك وصاحبه. والتحقيق بعثمان، والتـولى على السنين الست التى أحلت دمه. ونقضت. . . وأفدت إمامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا » .

(٢) فى ر : «بأرأف» .
(٣) سورة طه ٤٤ .
(٤) غمار الناس : جماعاتهم .
(٥) لم تحفظونى : لم تغضبونى .
(٦) سورة لقمان ١٥ .
(٧) سورة البقرة ٨٣ .

وذكر الحمى وما كان فيه من الصَّلاحَ، وأنَّ القومَ استَعْتَبُوهُ من أُمور، وكان له أن يفعلَها أُوَّلا مُصيباً، ثم أَعْتَبُهم بعدُ مُحْسناً، وأَنَّ أَهلَ مصرَ لَمَّا أَتوه بكتاب ذَكَرُوا أنه منه بعدَ أَنْ ضَمِنَ لهم العُتْبَى؛ ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بقَتْلِهم، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه، فحلف أنه لم يكْتُبْهُ ولم يَأمُرْ به، وقد أُمِرَ بقبولِ اليمين ممَّن ليس له مثلُ سابقته، معَ ما اجْتَمَع له من صِهْر رسول الله ﷺ ومكانه من الإمامة، وأن بَيْعةَ الرِّضْوان تحتَ الشَّجرة إنما كانت بسببه، وعثمانُ الرجل الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حَلَفَ عليها لَحلَفَ على حقٍّ فافتداها بمائة ألف ولم يَحْلِفْ، وقد قال رسول الله ﷺ : «مَنْ حَلَف بِالله فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بالله فَلْيَرْضَ» .

فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصَاحِبَيْه، وأنا وليُّ وَلِيِّه، وعَدُوُّ عَدُوِّه، وأبى وصاحبُه صَاحِبَا رسولِ الله ﷺ ، ورسولُ الله يقولُ عن الله تعالى يومَ أحد لَمَّا قُطعَتْ إِصْبَعُ طلحةَ : « سَبَقَتْه إلى الجنة » ، وقال: «أَوْجَب طلحةُ»، وكان الصدِّيقُ إذا ذَكَرَ يوم أحُد، قال: ذاك يوم كلُّه أو جُلُّه لطلحةَ ، والزبيرُ حَوَارِيُّ رسول الله وَصفوتُه، وقد ذَكَرَ أنهما فى الجنة، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ المُؤْمنينَ إذ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(١)، وما أَخبرَنَا بعدُ أنه سَخطَ عليهم، فإن يكنْ ما سَعَوْا فيه حقًّا فأَهْلُ ذلك هُمْ ، وإن يكنْ زَلَّة ففى عفو الله تَمْحيصُها، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيِّهم ﷺ. ومهما ذَكَرْتُموهَا به فقد بَدَأْتُمْ بأُمِّكُمْ عائشةَ رضى الله عنها. فإنْ أَبَى آب أن تكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإيمان عنه، قال اللهُ جلَّ وعزَّ ـ وقولُهُ الحقُّ: ﴿النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٢).

فَنَظر بعضُهم إلى بعضٍ ، ثم انصرفوا عنه .

* * *

وكان سببُ وضعِ الحربِ بينَ ابنِ الزبير وبين أهلِ الشام ـ بعدَ إذ كان(٣) حُصَيْن بن نُمَيْر قد حَصَرَ ابنَ الزبير أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاوية فتوادَعَ الناسُ، وقد كان أهلُ الشام ضَجِرُوا من المقامِ على ابن الزبير ، وحَنِقَتِ الخوارجُ فى قتالهم، ففى ذلك يقول رَجلٌ من قُضاعَةَ :

---

(١) سورة الفتح ١ (٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) ر : « أن كان » .

يا صاحبىَّ ارْتَحِلاَ ثم املُسَا لا تحْبسَا لَدَى الُحَصْين مَحْبَسَا
إنَّ لَدَى الأركانِ ناساً بُؤَّساَ
ـ [قال الأخفشُ : حِفْظِى « بَأْساً أَبؤُسَا »] ـ
وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسَا إذا الفتى حَكَّم يوماً كلَّسَا

قوله : «ثم املُسَا» يريد: تَخلَّصَا تخلُّصاً سهلا، وكَلَّسَ، أى حَمَلَ وَجَد.

***

ولما سمَّحَ ابن الزبير للخوارج فى القولِ وأظهر أنه منهم قال رجل يقال له فلان بن هَمَّامٍ[١] من رَهْط الفَرَزْدَق :

يَا بنَ الزبير أتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا ظلماً أباك ولَمَّا تُنْزَعِ الشِّكَكُ
ضحَّوْا بعثمانَ يومَ النحر ضاحيةً ما أَعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انْتَهكُوا!

فقال ابنُ الزبير : لو شايعتْنى التُّرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشَايَعْتُها.

الشِّكَك : جمعُ شِكَّةٍ ، وهى السلاحُ . قال الشاعر :

ومُدَجِّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكَلْبِ

***

فتفرقتِ الخوارجُ عن ابن الزبير لما تَوَلَّى عثمانَ ، فصارت طائفة إلى البصرة، وطائفَة إلى اليمامَة، وكان رجاءٌ النصرىّ [٢] وهو الذى كان جَمَعَهم للمدافعة عن الحَرَم، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفىُّ، وبنو الماحُوزِ السليطُّيونَ، ورئيسُهم حسَّانُ بن بحدج[٣]. فلما صاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأمَّروا عليهم نافعاً.

[خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز]

ويُرْوَى أن أبا الجَلْد اليشْكرىَّ قال لنافع يوماً : يا نافعْ إنّ لجهنم سبعةَ أبوابٍ، وإن أشدَّها حَرّاً لَلْبابُ الذى أُعدَّ للخوارج، فإن قَدَرْتَ ألا تكون منهم

(١) ر : « قيس بن همام » .
(٢) كذا فى الأصل . وفى ر : « النمبرى » . (٣) ر : « محرج » .

فافعلْ، فأجمع القومُ عَـلَى الخروج، فمضى بهم نافعٌ إلى الأهْواز[1] فى سنة أربع وستين، فأقاموا بها، لا يَهيجون أحداً، ويُناظرهم الناسُ.

وكان سببُ خروجهم إلى الأهواز أنه لمَّا مات يزيدُ بايعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله ابنَ زياد، وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجلٍ من الخوارج، وضَعُفَ أمْر ابنِ زياد، فَكُلِّمَ فيهم فأطلقهم، فأفسدوا البَيْعَة عليه، وفَشَوْا فى الناس، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطان ويُظْهرون ما هم عليه، حتى اضْطَرَبَ عَلى عُبيد الله أمره. فتحوَّل عن دار الإمارة إلى الأزْد، ونَشأَت الحرب بسببه بين الأزد وربيعةَ وبين بنى تميم، فاعتزلهم الخوارجُ إلاَّ نفراً منهم من بنى تميم. معهم عَبْسُ بن طَلْق الصَّريمىُّ أخو كَهْمَسٍ، فإنهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطعانِ فى سعد، والرِّبَابُ فى القلب بحذاءِ الأزد.

وكان حارِثة بن بَدْرِ اليربوعىُّ فى حَنْظلة بحذاء بَكْر بن وائل، وفي ذلك يقول حارثة بن بدرٍ للأحْنَفِ؛ وهو صَخْرُ بن قيس :

سيكفيك عبسٌ أخو كَهْمس مُواقَفَةَ الأزْد بالْمِرْبَد
وتكفيكَ عَمْروٌ على رسْلِها لُكَيْزَ بن أفْصَى وما عَدَّدُوا

ـ لُكَيزٌ هو عبدُ القَيْس ـ

وَتَكفيكَ بكْراً إذا أقبلت بضربٍ يَشيبُ له الأمْرَد

فما قُتل مسعودْ بن عَمْرو الـمَعْنىُّ، وتكافَّ الناس، أقام نافعُ بن الأزْرق بموضعه بالأهوازِ، ولم يَعُدْ إلى البصرة، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها، وجَبَوُا الْفيْءَ.

[خروج نجدة بن عامر على نافع بن الأزرق، والرسائل التى دارت بينهما]

ولم يزالوا على رأيٍ واحد، يَتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومرْداساً ومن خرج معه، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشمٍ إلى نافعٍ، فقال له: إنّ أطفالَ المشركين فى النار، وإن مَن خالَفنا مشركٌ، فدماءُ هؤلاء الأطفالِ لنا حلالٌ. قال له نافعٌ: كفرتَ وأحللت بنفسك[2]، قال له : إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقتُلْنى ، ﴿قال نوحٌ رَبِّ لا

---

(1) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس .

(2) ر : س : « وأدللت » .

تَذَرْ على الأرض من الكافرينَ دَيَاراً * إنَّكَ إنْ تَـذَرْهُمْ يُضلّوا عبادَك ولا يَلِدُوا إلاّ فاجِراً كفَّاراً﴾(١)، فهذا أمرُ الكافـرين وأمرُ أطفالهم، فشهِدَ نافعٌ أنهم جـميعاً فى النارِ، ورأى قـتلهم. وقـال: الدار دار كُـفر إلا منْ أظـهر إيمانه، ولا يـحلُّ أكل ذبائحهم(٢)، ولا تَناكُحُهمْ، ولا تَـوارثُهُمْ، ومتى جاءَ منهم جاء فعـلينا أن نمْتَحنَهُ وهم ككُفَّار العرب، لا نَقبلُ منهم إلا الإسلامَ أو السيـفَ والقَعَدُ بمنزلتهم، والتَّقيَّةُ لا تحلُّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿إذا فريقٌ منهم يَخْشَوْنَ النـاسَ كخشيةِ الله أو أشَدَّ خَشيَةً﴾(٣). وقال عزّ وَجلَّ فيمـن كان على خلافهم: ﴿يُجاهِدُونَ فى سبيل الله ولا يَخافونَ لَوْمةَ لائم﴾(٤). فَنَفَرَ جماعةٌ من الخوارجِ عنه، منهم نَجْدةُ بن عامرٍ، واحتـجَّ بقول الله عـز وجلَّ: ﴿إلا أن تَتَّقُـوا منم تُقاةً﴾(٥)، وبقولـه عز وجلَ: ﴿وقال رجلٌ مؤمنٌ منْ آل فـرعَونَ يَكْتُمُ إيمانَه﴾(٦). فالقَعَدُ منَّا، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ، لقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وفَضَّلَ اللهُ المجَاهدينَ على القاعدينَ أجْراً عظيما﴾(٧).

ثم مضى نَجْدةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرَّقوا فى البُلْدان.

فلما تَتَابعَ(٨) نافعٌ فى رأيه وخـالَفَ أصحابَه، وكان أبو طـالوتَ سالمُ بن مَطَر بالخَضَارم(٩) فى جمـاعة قد بايـعوه، فلما انْخَـزَلَ نَجْدة خَلَعـوا أبا طالوتَ، وصاروا إلى نجدةَ فبـايعوه، ولَقى نجدةُ وأصحابهُ قوماً مـن الخوارج بالعرِمَة(١٠) - والعرمة كالسِّكر(١١) - وجمعُها عَـرِمٌ، وفى القرآن المجيد: ﴿فأرْسَلْنا عليهم سَيْلَ الْعَرِم﴾(١٢) وقال النابغة الجَعْدىُّ:

مِنْ سَبـأ الحـاضِـرين مَـأربَ إذ ... يبْـنُون مـن دُون سَيْلـهِ العَـرِمَا

فقال لهم أصحابُ نَجْـدةَ: إن نافعاً قد أكفر(١٣) القَعَد ورأى الاستعراضَ، وقتل الأطفالِ، فانصرَفوا مع نجدةَ. فلما صار باليمامة كتبَ إلى نافع.

---

(١) سورة نوح ٢٦، ٢٧.
(٢) س: «لا تحل».
(٣) سورة النساء ٧٧.
(٤) سورة المائدة ٥٤.
(٥) سورة آل عمران ٢٨.
(٦) سورة غافر ٢٨.
(٧) سورة النساء ٩٥.
(٨) التتابع فى الشر وهو التهافت عليه.
(٩) خضارم: اسم واد باليمامة.
(١٠) العرمة: أرض صلبة تتاخم الدهناء.
(١١) السكر، بكسر فسكون: اسم لما سد به فم النهر.
(١٢) سورة سبأ ١٦.
(١٣) ر: «كفر».

بسم الله الرحمن الرحيم. أمَّا بعدُ: فإنّ عَهْدى بك وأنتَ لليَتيم كالأبِ الرحيم. وللضعيف كالأخ البَرِّ، لا تأخذكَ فى الله لومةُ لائم. ولا تَرَى مَعونة ظالم، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك، أمَا تَذْكُرُ قولَكَ: لولا أنِّى أعلم أن للإمام العادلِ مثلَ أجرِ جميع رعيَّته ما توليتُ أمر رجلين من المسلمين؟ فلما شَرَيْت نَفْسَكَ فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه، وأصبتَ من الحقِّ فصَّهُ، وركبت مُرَّهُ. تَجرَّدَ لك الشيطانُ، ولم يكن أَحدٌ أثقلَ عليه وَطْأَةً منك وَمن أصحابك. فاستمالَك واستهواكَ واسْتغواك وأغواكَ، فَغَوَيْتَ فأكفرتَ الذين عَذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَد المسلمين وضَعَفَتَهمْ، فقال جل ثناؤُه، وقولهُ الحق ووَعْدُهُ الصِّدْق: ﴿لَيْسَ على الضُّعَفاء ولا عَلَى المَرْضَى ولا عَلى الَّذينَ لا يَجدُونَ ما يُنْفقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله ورَسُوله﴾(١). ثم سَماهم أحسن الأسماء، فقال: ﴿ما عَلَى المحْسنينَ من سَبيل﴾(٢). ثم استَحْلَلْت قتلَ الأطفال، وقد نَهَى رسول اللهُ ﷺ عن قَتلهم، وقال الله عز ذكره: ﴿ولا تَزرُ وَازرةٌ وزْرَ أخْرى﴾(٣)، وقال فى القَعَد خيراً، وَفَضلَ اللهُ من جاهَدَ عليهم، ولايَدفَعُ مَنْزلةُ أكثر النَّاس عملا منزلَةَ مَنْ هودُونَه، أَوَ مَا سمعتَ قولَه عز وجل: ﴿لا يَسْتَوى القَاعدُونَ من المؤمنينَ غيْرُ أولى الضَّرر﴾(٤)، فجعلهم اللهُ من المؤمنين، وفضلَ عليهم المجاهدين بأعمالهم، ورأيتَ ألا تُؤَدِّىَ الأمانة إلى مَنْ خالفَكَ، والله يأمُر أن تؤدَّى الأماناتُ إلى أهلها، فاتقِ الله وانظرْ لنفسك، واتق يوماً ﴿لا يجْزى والدٌ عن وَلَده ولا مَوْلُودٌ هو جاز عن وَالده شيْئاً﴾(٥)، فإن اللهُ عزَّ ذكره بالمِرْصَاد، وحُكْمُهُ العَدْلُ، وقوله الفَصْلُ، والسلامُ.

* * *

فكتب إليه نافعٌ:

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد أتانى كتابُكَ تعظُنى فيه وتذكِّرُنى، وتَنْصَحُ لى وتَزْجُرُنى، وتَصفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ، وما كنتُ أوثرُهُ من الصوابِ، وأنا أسأل الله جلَّ وعز أن يجعلنى من الذين يستمعون القول

(١) سورة التوبة ٩١
(٢) سورة التوبة ٩١ .
(٣) سورة الأنعام ١٦٤ .
(٤) سورة النساء ٩٥ .
(٥) سورة لقمان ٣٣ .

فيتّبعُتونَ أحسنَهُ، وعبْتَ عليَّ ما دنْـتُ به من إكفار القعد وقَتْلِ الأطْفالِ واستحلال الأمانةِ، فسأفَسِّرْ لكم ذلك إن شاء الله .

أمَّا هؤلاء القَعَدُ فليسوا كَـمنْ ذكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله ﷺ . لأنهم كانوا بمكَّة مَقْهُـورين محصورين، لا يَجدون إلى الهَرَبِ سَـبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقة، وهؤلاء قد فَقُهـوا فى الدِّين، وقَرَءوا القرآن، والطريق لَهم نَهْجٌ واضحٌ، وقـد عرفتَ مـا قال اللهُ عـز وجل فيـمن كان مـثْلهم، إذ قـالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفينَ فى الأرْض﴾(١). فقيل لهم: ﴿أَلَمْ تكنْ أَرْضُ الله وَاسـعةً فَتهـاجروا فيها﴾(٢). وقَالَ: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بمقْعَدهمُ خلافَ رسُول الله﴾(٣)، وقال ﴿وجَاءَ المُعَذِّرونَ من الأَعْرَابِ ليُؤْذَنَ لَهُمْ﴾(٤). فَخَبَّرَ بتعذيرهمْ، وأنهم كَذَبُوا الله ورسولهُ وقال: ﴿سَيُصِـيبُ الذين كَـفَرُوا مـنهم عـذابٌ أَليمٌ﴾(٥). فانْـظُرْ إلى أسمـائهم وسِمَاتهمْ.

وأمَّا أَمْرُ الأطفال فإنَّ نبيَّ الله نوحاً عـليه السلامُ كان أعلمَ بالله ـ يا نَجْدَة ـ منى ومنكَم فقال: ﴿رَبِّ لا تذَرْ علَى الأرْض منَ الكافرين ديَّاراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يضلُّوا عبادكَ ولا يَلدوا إلا فَاجراً كفَّاراً﴾(٦). فسَمَّاهم بالكُفْرِ وهم أطفالٌ. وقبلَ أنْ يولدوا. فكيفَ كَان ذلك فى قوم نوح ولا نكـونُ نَقُولُه فى قومنا! واللهُ يقولُ: ﴿أكفَارُكُمْ خيرٌ منْ أولئكُمْ أَمْ لكمْ بَراءَةٌ فى الزُّبُرِ﴾(٧)، وهؤلاء كمُشْركى العربِ، لا نَقْبَلُ منهم جزيَة، وليس بيننا وبينهم إلا السيفُ أو الإسلامُ.

وأما استحـلالُ أمانات مَنْ خالَفَنَا فإن الله عز وجل أَحَلَّ لنا أمـوالَهم، كما أحلَّ لنا دمَاءَهم ، فـدماؤهُم حلالٌ طِلْقٌ(٨)، وأموالُهم فىءٌ للمـسلمين. فاتَّق اللهَ وراَجعْ نفسَك، فإنه لا عُـذَر لك إلاَّ بالتوبة، ولن يَسَعَكَ خذْلانُنَـا، والقعودُ عنَّا، وتَرْكُ مَا نَهَجْنَاه لكَ من طريقَتنا ومَقالَتنا ، والسلامُ على مَنْ أَقَرَّ بالحقَّ وعَملَ به.

[كتاب نافع إلى ابن الزبير]

وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يَدعوه إلى أمرِه :

(١) سورة النساء ٩٧ .
(٢) سورة النساء ٩٧ .
(٣) سورة التوبة ٨١ .
(٤) سورة التوبة ٩٠ .
(٥) سورة التوبة ٩٠ .
(٦) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .
(٧) سورة القمر ٤٣ .
(٨) الطلق : الحلال .

أمَّا بـعدُ : فإنى أحـذِّركَ من الله ﴿يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذِّركُم الله نفسه﴾[1]. فاتّق الله ربَّكَ ولا تَتَولَّ الظالمين، فإن الله يقولُ: ﴿لا يتَّخذ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دُون المؤمنينَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلك فلَيْسَ منَ الله فى شَيء﴾[2]. وقد حضَرْتَ عثمانَ يوم قُتلَ فلَعَمْرى لئن قُتلَ مظلوماً لقد كَفَرَ قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مُهْتَدينَ ـ وإنهم لمُهْتَدونَ ـ لقد كفرَ منْ يتولاّه وينصُرُه ويَعْضُدُه. ولقد علمتَ أن أباك وطلحةَ وعليًّا كانوا أشدَّ الناسِ عليه، وكانوا فى أمره منْ بَيْنَ قاتلٍ وخاذلٍ، وأنت تتولى أباكَ وطلحةَ وعثمان، فكيف[3] وَلاَيَةُ قاتل مُتعمِّد ومقتول فى دينٍ واحدٍ! ولقد مَلَكَ علىٌّ بعدَه فنَفَى الشُّبُهَات، وأقامَ الحدودَ، وأجرى الأحكامَ مَجارِيها، وأعْطَى الأمورَ حقائقها، فيما عليه وله، فبايعه أبوك وطلحة، ثُمَّ خلَعَاهُ ظالمَيْنِ له، وإنَّ القول فيك وفيهما لكَمَا قال ابنُ عباس: إنْ يكنْ علىٌّ فى وقت معصيتكم ومُحارَبَتكم له كان مؤمنا؛ أمَا لقد كفرتم بقتالِ المؤمنين وأئمة العدل، ولئن كان كافراً كما زعمتم، وفى الحُكْم جائراً، لقد بُؤْتُمْ بغضبٍ من الله لفرَارِكم من الزَّحْف، ولقد كنتَ له عدواًّ، ولسيرته عائباً، فكيف تَوليْتَهُ بعدَ موته! فاتّق اللهُ فإنه يقولُ: ﴿ومَنْ يتَوَلَّهُمْ منْكُمْ فإنَّه منْهُمْ﴾[4].

[كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة]

وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرَة من المُحكِّمة :

بسم اللهُ الرحمن الرحيم . أمَّا بعدْ : فإن الله اصطفَى لكمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتَعلمونَ أن الشريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ، ففيم المُقَامُ بين أظْهرِ الكفَّار، تَرَوْنَ الظُّلم ليلا ونهاراً، وقد نَدَبكم الله إلي الجهادِ فقال: ﴿وقاتلُوا المشركينَ كافَّة﴾[5]، ولم يجعل لكم فى التَّخلُّف عذراً فى حال من الحال، فقال: ﴿انفرُوا خفافاً وثقالا﴾[6]! وإنما عَذرَ الضُّعفاءَ والمرضَى والذين لا يَجدُون ما يُنفقونَ ومَنْ كانت إقامتُه لعلّةٍ . ثُمَّ فضل عليهم مع ذلك

(١) سورة ال عمران ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران ٢٨ .
(٣) ر : « وكيف » .
(٤) سورة المائدة ٥١ .
(٥) سورة التوبة ٣٦ .
(٦) سورة التوبة ٤١ .

المجاهدين. فقال: ﴿لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنْ المؤمنين غَيْرُ أُولى الضرر والمجاهدُونَ فى سبيل الله﴾[1]؛ فلا تغتَرَوا ولا تـطمئنُوا إلى الدنيا، فإنها مـرَّارة مكَّارةٌ. لذَّتُها نافدَةٌ، ونعـمَتُها بائدةٌ. حُفَّتْ بـالشَّهوات اغتراراً. وأظْهَـرتْ حَبْرَةً[2]. وأضمرتْ عَبْرة، فليس آكلٌ منها أكلة تسرُّه. ولا شاربٌ شُرْبَةً تُؤنِقُهُ[3]. إلاَّ دنَا بهَا درجةً إلى أجله، وتَبَاعَـد بها مسافةً من أَمَلـه، وإنما جعلَها الله داراً لمن تَزَوَّدَ منهـا إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فلن يَرْضَى بها حازمٌ داراً، ولاحليمٌ بها قراراً، فاتقوا الله ﴿وتَزَوَّدُا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التقْوَى﴾[4]. والسلام على من اتَّبع الهدَى.

* * *

فوَرَدَ كتـابُه عليهم، وفى القوم يومئـذ أبو بَيْهَسٍ هيْصَمُ بن جابـرٍ الضُّبَعِىُّ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّىُّ، من بنى مُرَّة بن عَبَـيد، فأقبَل أبو بَيْهَس على ابن إباضٍ فقـال: إن نافعاً غـلاَ فكَفَرَ، وإنك قـصَّرْتَ فكَفَـرْتَ، تَزْعُمُ أنَّ مَن خالـفَنا ليس بمشرك. وإنما هم كُفَّارُ النِّعَم؛ لتمسُّكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرَّسول، وتَزْعُمُ أن مَنَاكحَهُمْ ومَواريثهـم والإقامةَ فيهم حَلٌّ طلْقٌ[5]؟ وأنا أقولُ: إن أعداءَانـا كأعداء رسول الله ﷺ، تَحلُّ لنا الإقـامةُ فيهم. كمـا فعل المسلمون فى إقامـتهم بمكة. وأحكام المشـركين تجْرِى فـيهم[6]، وأَزْعُمُ أنَّ مَنَـاكحَـهم ومواريثـهم تجـوزُ لأنهم منافقونَ يظهرون الإسلامَ. وأنَّ حكمَهم عندَ الله حكمُ المشركين.

فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويلَ: قولِ نافعٍ فى البَرَاءة والاستعراضِ واستحلال الأمانة وقتلِ الأطفال. وقولِ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه، وقول عبد الله بن إباضٍ. وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السنَّة من أقاويل الضُّلاَّل. والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدَيَّةُ فى ذلك الوقتِ يقولون بقولِ ابن إباضٍ. وقد قال ابن إباضٍ ما ذكرنا من مقالته.

وأنا أقول: إنَّ عَـدُوَّنَا كعـدوِّ رسول الله ﷺ، ولكننى لا أحـرِّمُ مناكحـتهم ومَوَارِيثَـهم، لأن معهم التـوحيدَ والإقرارَ بالكتـاب والرسول عليه الـسلام، فأَرَى معهم دَعْوَةَ المسلمين تَجْمَعُهُمْ، وأَرَاهُمْ كُفاراً للنِّعَمِ، وَقَالَتْ الصُّفْرِيَّةُ ألْيَنَ من هذا القول فى أمرِالقَعَدِ. حتى صار عَامَّتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فيهم، وقد ذكرنا ذلك فقال قوم:

---

(1) سورة النساء ٩٥ .
(2) الحبرة : النعمة وسعة العيش .
(3) تؤنقه : تعجبه .
(4) سورة البقرة ١٩٧ .
(5) طلق : حلال .
(6) ر : « فيها » .

سمُّوا صُـفْرِيَّةَ لأنهم أصحـاب ابن صَفَّار، وقال قـومٌ: إنما سُموا بِصُفْـرةِ عَلَتْهُمْ. وتصديقُ ذَلك قـولُ ابن عاصـمٍ اللَّيثـيِّ. و كان يَرَى رَأىَ الخوارجِ، فتـركه وصار مُرْجَئاً :

فـارقت نَـجْـدَةَ والذيـن تَزرَّقُـوا ... وَابْنَ الزُّبَـيْر وشـيعـةَ الكذَّاب[١]!
وَالصُّـفْـرَ الاذانِ الذيـن تَخَـيَّـرُوا ... ديـناً بـلا ثِـقَـةٍ ولا بـكـتـاب

ـ خَفَّفَ الهمزة من « الآذَان » ولولا ذلك لانكسر الشِّعْرُ ـ

وَقَالَ أُبو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كفرٍ . والاستعراضُ فيها جائزٌ، وإن أصيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ.

إلى هاهنا انتهت المقالة .

[مقتل نافع بالأهواز]

وَتَفَـرَّقَت الخوارجُ على الأضْـرُبِ الأربعةِ التـى ذكرنا، وأقام نـافع بالأهوازِ يعترضُ الناسَ ويَقتلُ الأطفال، فإذا أجيبَ إلى المقـالة جَبا الخراجَ. وفَشَا عُمَّالهُ فى السَّوادِ[٢]. فارتاعَ لذلك أهلُ الـبصرة، فاجتـمعوا إلى الأحْنَف بن قـيس، فشكَوْا ذلك إليـه، وقالوا: ليس بينـنا وبين العدِّو إلا ليلـتان، وسيـرتُهُمْ ما تَرَى. فـقال الأحنفُ: إن فعلهم فى مصركم ـ إنْ ظَفروا به ـ كَفعْلهمْ فى سَوادكم ، فَجدُّوا فى جهادِ عـدوِّكم. فاجتَمع إليه عـشرةُ آلاف، فأتى عبدَ الله بـن الحارث بن نَوفَل بن الحارث بن عـبد المطلبِ ـ وهـو بَبَّةُ[٣] ـ فسألَه أن يُـؤَمِّرَ عليهم، فاختـار لهم ابنَ عُبَيْس[٤] بن كُرَيْزٍ، وكان دَيِّناً شجـاعاً، فأَمَّره عليهم وشَيَّعهُ، فلمـا نَفَذَ من جسْرِ البصرةِ أقـبلَ علي الناس فقال: إنى ما خرجـتُ لامْتِيَارِ[٥] ذَهبٍ ولا فضـةٍ وإنى

(١) يعنى بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد الثقفى .

(٢) يريد بالسواد أرض العراق وضياعه .

(٣) الببة فى الأصل : كثرة اللحم وتراكبه . لقب به عبد الله بن الحارث؛ وكانت أمه ترقصه وتقول:

لأُنـكِـحَـنَّ بَـبَّـه ... جـاريةً كـالْـقُـبَّـه
مـكـرمَـةً مـحـبَّـه ... تحب أهـل الـكـعـبَـه

(٤) هو مسلم بن عبيس .

(٥) الامتيار هنا : جلب الطعام .

لأحاربُ قوماً إن ظفـرتُ بهم فما وراءَهم إلاّ سيوفُهم ورماحُـهم، فمن كانَ شأنه الجهادَ فَـلْيَنْهَضْ. ومَنْ أحَبَّ الحياةَ فـليرجعْ. فرجع نَفـرٌ يسيرٌ، ومضى الـباقون معه، فلـما صاروا بدُولاب[١] خرج إليـهم نافعٌ. فاقـتتلوا قـتالا شديـداً، حتى تكسَّرت الرماحُ، وعُقِرَت الخيل، وكَثُرَت الجِراحُ، والقتلى[٢]، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ، فقُتِلَ فى المَعْرَكَة ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بن الأزرق.

وكان ابْنُ عُبَيْسٍ قـد تَقَدَّمَ إلى أصحابه فقال: إنْ أُصبْتُ فـأميركَم الرَّبيعُ بن عمرو الأجْذَمُ الغَـدانىُّ، فلما أُصيبَ ابْنُ عُبَيس أخَذَ الربـيع الرايةَ. وكان نافعٌ قد استـخلفَ عُبَيْـدَ الله بن المَاحُوزِ السَّلِيطىَّ. فـكان الرئيسان من بـنى يربوع: رئيس المسلمـين من بنى غُدَانـة بن يربوع، ورئيسُ الخـوارج من بنى سَلِيـط بن يربوعٍ، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وادَّعى قـتلَ نافع سَـلاَمَةُ البـاهلىُّ، وقال: لَـمَّا قَتَـلْتُهُ وكنـتُ على بِرْذَون وَرْدٍ[٣]، إذَا برَجُلٍ على فـرسٍ - وأنا واقفٌ فى خُمْسِ قَيْس - يُـنَادى: يا صاحبَ الوَرْدِ! هَلُمَّ إلى المـبارزة. فوقـفتُ فى خُمْسِ بـنى تميم، فإذا به يَـعْرِضُهَـا علىَّ. وجعلتُ أتنـقَّلُ من خُمْسٍ إلى خُمْسٍ إلـى خُمْسٍ. وليس يُزايِلُنى. فَـصرْتُ إلى رَحْلِى، ثُمَّ رَجَعْتُ. فرآنى فـدعانى إلى المبارزة، فلما أكْثَرَ خَرَجْتُ إلَيْـه فاخْتلفْنَا ضَرْبَتَيْن، فضـربتُهُ فصرعته، فَـنَزَلْتُ لسلْبه وأَخْذ رأْسه، فَإذَا امْـرأَةٌ قد رأَتْنى حين قلتُ نافعا، فخرجتْ لِتَثْأَرَ به، فلم يَزَلِ الرَّبيعُ الأَجْذَمُ يقاتلهم نَيِّفاً وعشرين يَوْماً. حتى قال يوما: أنا مَقْتولٌ لاَ مَحالَةَ. قالُوا: وكيف؟ قالَ: لأنى رأَيْتُ البارحةَ كأَنَّ يَدى التى أصيبَت بكابُلَ انـحَطتْ من السماء فاسْتشلَتْنى، فلمـا كان الغَدُ قَاتَلَ إلى الليل، ثم غاداهُمْ فقتلَ. فتدافعَ أهلُ البصرة الرايَة حتى خافوا العَطَبَ، إذْ لم يكن لهم رئيسٌ، ثم أجمعوا على الحجَّاج بن باب الـحميْرَىِّ فأباها، فقيل له: ألاَ ترَى أنْ رؤساءَ العرب بالحَضْـرة. وقد اختاروك من بينهم! فقال: مَشْـؤُومَةٌ، ما يأخذها أحدٌ إلا قتلَ، ثم أخذها، فلم يزل يقاتلُ الخوارج بدُولابَ، والخوارجُ أعَدُّ بالآلات والدُّروع والجواشنِ[٤]، فالْتقَى الحجاجُ بن باب وعِمْرانُ بن الحارثِ الرَّاسبىُّ وذلك بعد

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ.

(٢) ر : « والقتلى » .

(٣) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شىء .

(٤) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

أن اقتتلوا زهاءَ شهر، فاختَلَفَا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أمُّ عمرانَ ترثيه:

اللهُ أيَّـدَ عـــمْــــرَانــاً وطَهّـــرَهُ ... وكان عمرانُ يدعُـو اللهُ فى السَّحر
يدَعـــوه سَــرّاً وإعْـلاناً لـيـرزُقَـهُ ... شـهـادةَ بـيـدَىْ ملْـحَـادة غُـدَر
وَلَّى صَـحَابتُـهُ عن حَـرِّ ملحَمَـةٍ ... وشدَّ عمـرانُ كالضرْغامـةً الهصرِ

* * *

قولُ الربَّيع: «اسْـتَشْلتْنى»، أى أخذَتْنى إليهـا واستَنْقذتنى. يقال: اسْـتَشلاَه واشْتَـلاه. وفي الحـديث: «إن السارقَ إذا قُـطعَ سبـقتْـهُ يدُه إلى النار، فـإن تاب اسْتَشْلاَهَا». قال رُؤْبَة:

* إنَّ سلمانَ اشْتَلاَنَا ابنَ عَلى *

وقولُ الناس: «أَشْلَيْتُ كَلْـبِى» أى أغريتُهُ بالصيد، خطـأ، إنما يقال: آسدته، وأَشْلَيْتُهُ: دعوتُهُ.

وقولُهـا: «بيَدَىْ ملْحَادَة» «مـفْعَالٌ» من الإلْحـاد، كما تقول: رجـل معطاءٌ يافتى، ومحسانٌ، ومكْرَامٌ، وأدْخلَت الهاءُ للمـبالغة، كما تُدْخَل فى راويةٍ وعَلاَّمَةٍ ونسَّابةٍ.

«وغُدَر» «فعَلٌ» من الغَدْر. ولـ «فعل» بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة. إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة.

والضَّرْغَامةُ: من أسماء الأسد.

والهصرُ: الذى يَهْصِر كلَّ شيء، أى يَثنيه، قال امرؤ القيس:

فلمَّا تـنَازعنا الحديثَ وأَسْـمَحتُ ... هصَرْت بغصنٍ ذى شَـمَاريخَ ميَّالِ

* * *

ولذكرنَا الصُّفْـريةَ والأزارقةَ والبَيْهَسـيَّةَ والإباضيَّةَ تفسـيرٌ، لمَ نسبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبى بَـيْهَسٍ بالكُنْيَة المضـاف إليها. ونسبَ إلي صُـفْر ولم يُنْسَبْ إلى واحدهم، ونـسبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعلَ النسبُ إلى أبـيه؟ وهذا نذكره بعد باب «فُعَلٍ».

[لقطرى يوم دولاب]

قال أبو العباس: ومما قيل من الشعر فى يوم دُولاب قولُ قطرىٍّ:

لَعَمْرُكَ إنى فى الحياة لَزَاهدٌ … وفى العَيْشِ ما لم ألقَ أم حَكيمِ(١)
منَ الخَفرات البيض لم يُرَ مثلُها … شفاءٌ لذى بَثٍّ ولا لسَقيمِ
لَعَمْرُكَ إنى يَوْمَ أَلْطِمُ وَجْهَهَا … على نائبات الدَّهر جدُّ لئيمِ
ولو شَهدَتني يومَ دولابَ أبصرَتْ … طعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذميمِ
غداةَ طَفَت عَلْمَاء بكْرُ بنُ وَائلٍ … وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تميمِ
وكان لعَبْد القَيْسِ أولُ جَدِّها … وأَحْلافِهَا من يحصُبٍ وسَلَيمِ(٢)
وظَلَّتْ شُيوخُ الأَزْد فى حَوْمَة الوَغى … تَعُومُ وظَلْنَا فى الجِلادَ نَعُومُ(٣)
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً … يَمُجُّ دماً من فائظ وكليمِ(٤)
وضاربَة خَدًّا كريمًا على فَتًى … أغرَّ نَجيبِ الأمَّهَاتِ كريمِ
أصيبَ بدُولابٍ ولم تَكُ مَوْطناً … له أرضُ دُولاَبٍ ودَيْرُ حَميمِ(٥)
فلو شَهدَتْنَا يومَ ذاكَ وخَيْلُنا … تُبيحُ من الكُفَّارِ كل حَريمِ
رأتْ فتْيَةً باعُوا الإلَه نفوسَهم … بجَنَّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعيمِ

قوله: «ولو شهدَتْنَا يومَ دُولابَ» فلم يَنْصَرفْ «دُولابُ» فإنما ذاك لأنه أرادَ البَلْدَة، ودُولابُ: أعجمىٌّ، مُعْرَّبٌ، وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجمية نكرة بغير

---

(١) أم حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطرى. وكانت من أجمل النساء وجها، وأحسنهم بدينهم تمسكا. كانت تحمل على الناس وترجز:

أَحْمِلُ رَأْساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهُ … وقَدْ مَلَلتُ دَهْنُه وغَسْلَهُ

ألا فتى يحمل عنى ثقله

(٢) يحصب بن مالك بن حمير؛ وسليم بن منصور. من قيس عيلان، وأصله مصغر وكبر للوزن.

(٣) فى البيت إقواء.

(٤) المقعص: المطعون. والفائظ. من قولهم: فاظ الرجل إذا مات.

(٥) دير حميم: موضع بالأهواز.

الألفُ واللَّامِ، فـإذا دخلَتْـه الألفُ واللامُ فقـد صار مُـعَرباً، وصـار على قـياس الأسماء العربيـة، لا يمنعه من الصرف إلاّ ما يمنعُ العربيَّ، فـدولابُ «فُوعالٌ» مثلُ طومارٍ وسولاف. وكلُّ شيء لايَخُصُّ واحداً من الجنس من غـيره فهو نكرةٌ، نحوُ رجلٍ، لأن هذا الاسم يَلْحقُ كل ماكان على بِنْيَتِـه، وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسمُ فى كلام الـعجمِ معرفةً فلا سبـيلَ إلى إدخال الألف واللام عليه، لأنه معرفةٌ، فلا معنى لتعريفٍ آخـرَ فيه، فذلك غيرُ منصرفٍ، نحو فرْعَونَ وقارونَ. وكذلك إسحاق، وإبراهيمْ، ويَعْقُوب.

وقوله :

* غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ *

وهو يريـدُ على الماءِ ، فـإن العربَ إذا الْتَـقَتْ فى مـثل هذا الموضع لامَـان استجازُوا حذفَ إحـداهما استثقالا للتضعيف ، لأنَّ مـا بَقىَ دليلٌ على ماحُذِفَ، يقولون: «عَلْمَاء بَنُو فلان» كما قالَ الفَرزْدقُ :

وما سُبِق القيْسِيُّ مِنْ ضَعْفِ حِيلةٍ ولكنْ طَـفتْ عَلْمَـاءِ قُلْفَـةُ خَـالِدِ

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماءِ القبائل تظهرُ فـيه لامُ المعرفة فإنهم يُجبزون معه حذفَ النونِ التى فى قـولك «بَنو» لقرْبِ مَخْرَجِ الـنون من اللامِ، وذلك قولك : فلانٌ من «بَلْحارثِ» و «بَلْعَنْبرِ» ، «بَلْهجَيْم».

وقال آخرُ من الخوارجِ :

يَرَى مَـنْ جـاءَ يَنْظُرُ مِـن دُجَـيْلٍ شَـيـوخَ الأزدِ طافـيـة لِحـاهاَ(١)

وقال رجلٌ منهم :

شَـمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحـوادثُ جَمَّـةٌ والحـائـزُونَ بِـنَافِـعِ بـنِ الأزْرَقِ
والموتُ حَـتْمٌ لا مَـحَـالَـة واقعٌ مَنْ لا يـصـبِّـحْـهُ نَهَـاراً يَـطْرُقِ
فلـِئن أمـيـرَ المـؤمنـينَ أصـابَـهُ رَيْبُ المـنونِ فَـمَن يُصِبْـهُ يَغْـلقِ

---

(١) دجيل : نهر بالأهواز.

نَصَبَ بعــدَ « إنْ » لأنَّ حرفَ الجـزاء للفعــلِ، فإنما أرادَ: فَلئنْ أصابَ أمـيرَ المؤمنين، فلماحذَف هذا الفعلَ وأضمَر ذَكَرَ «أصــاَبه» ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمرِ ابن تولَب:

لا تَجْـزَعِى إنْ مُـنْفِـساً أَهْـلكتُـه ... وإذا هَلَكْتُ فـعندَ ذلكِ فَاجْـزَعى

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا ابنَ أَبــى مُوسَــى بلالاً بَلَغْـتِـه ... فقــامَ بفأسٍ بين وِصْلَـيكَ جاَزِرُ[1]

لأنّ «إذا» لاّ يليها إل الفعلُ، وهى به أولَى.

(١) الوصل : واحد الأوصال ، وهى المفاصل .

هذا باب « فُعَل »

اعلم أن كلَّ اسمٍ علىَ مثالِ « فُعَل » فهو مصروفٌ فى المعرفة والنكرةِ إذا كان اسماً أصليًّا أو نعتاً، فالأسماءُ نحُو، صُرَد ونُغَرٍ وجُعَلٍ، وكذلك إن كان جَمْعاً، نحو: ظلمٍ وغُرَف. وإن سَمَّيْتَ بشيء من هذا رجلا انصرفَ فى المعرفة والنكرةِ. وأما النَّعْتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ ، كما قال :

* قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاق حُطَمْ *

وكذلك مالٌ لُبَدٌ، وهو الكَثِيرُ، من قوله جلَّ جلالُه : ﴿**أَهْلَكتُ مَالا لُبَدًا**﴾(١).

فإن كان الاسمُ على «فُعَلَ» مَعْدُولا عن «فَاعِل» لم ينصرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة، وينصرفُ فى النكرةِ، وذلك نحوُ: عُمَرَ وقُثَمَ، لأنه معدولٌ عن عامر، وهو الاسمُ الجارى على الفعل، فهذا مِمَّا معرفتُه قبل نكرته، فإذا أُرِيدَ به مذهبُ المعرفة جاز أن تبْنيَه فى النداء من كل فعْلٍ، لأن المنادَى مُشَارٌ إليه، وذلك قولُك : يا فُسَقُ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت : « بِيَدَىْ ملْحَادَةَ غُدَرَ » فى غير النداء للضرورة، فنقلَتْهُ معرفةً من النداء، ثم جعلَتْه نكرة لخروجه عن الإشارةِ، فنعتَتْ به «ملْحَادَةً» كما قال الحُطَيْئَةُ:

أجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوِى ... إلى بيتٍ قَعِيدتهُ لكَاعِ

وهذا لا يقعُ إلاَّ فى النداء ، ولكنْ للشاعرِ نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً. على حدِّ ما كان له فى النداء. فُيلْحَقُ قولُها «غُدَرٌ» بقوله: رجلٌ حُطَمٌ، ومالٌ لُبدٌ، وما أشْبَهه، و «فَعَال» فى المؤنَّث بمنزلة «فُعَلٍ» فى المذكَّرِ، ولو سميتَ رجلاً «حُطَماً» لصرَفْتَهُ، من قولك: هذا سائقٌ حُطَمٌ، لأنه قد وقع نكرة غير معدولٍ، فهو فى النعوت بمنزلة «صُرَدٍ» فى الأسماءِ .

(١) سورة البلد .

هذا باب النسب إلى المضاف

[النسب إلى العلم المضاف]

اعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضاف فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاسم الأول، وذلك قولُك في عَبْد القَيْس: عَبْدِىٌّ، وكذلك في عبد الله بن دَارم، فإن كان الاسمُ الثانى أشْهَرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه، لئلا يَقَعَ في النَّسب التباسٌ من اسمٍ باسم، وذلك قولُك في النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنَافٍ مَنافىٌّ، وإلى أبى بَكْرِ بن كلابٍ بكْرِىٌّ.

وقد يجوزُ، وهو قليلٌ، أن تَبْنِى له من الاسمين اسماً على مثال الأربعة لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ، وذلك قولك في النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَىٍّ عَبْدَرِىٌّ، وفى النسب إلى عبد القَيْس عَبْقَسِىٌّ .

[النسب إلى المضاف غير العلم]

فإن كان المضافُ غير عَلَم فالنَّسبُ إلى الثانى على كل حال، وذلك قولُك في النسب إلى ابن الزُّبير زُبَيْرِىٌّ، لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير، وكذلك النَّسبُ إلى ابن رَأْلانَ رَأْلانِىٌّ، فلذلك قالوا في النَّسب إلى ابن الأزْرَقِ أزْرَقِىٌّ، وإلى أبى بَيْهَسٍ، بَيْهَسِىٌّ.

[النسب إلى الجماعة]

فأما قولهم: «صُفْرِىٌّ» فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوان، فَنَسَبُوا إلى الجماعة. وحَقُّ الجماعة إذا نُسبَ إليها أن يَقَعَ النسبُ إلى واحدِها، كقولك: مُهَلَّبِىٌّ. ومِسْمَعِىٌّ، ولكن جعلوا «صُفْراً» اسماً للجماعة، ثم نسبوا إليه، ولم يقولوا: أَصْفَرِىّ، فيُنسَبُ إلى وحَدِهَا، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصُّفْرَ اسماً للجماعة، كما تُسَمَّى القَبيلةُ بالاسمِ الواحدِ، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأنصار، أنْصَارِىٌّ لأنه كان عَلَماً للقبيلة، وكذلك مَدَائِنِىّ. وتقولُ في النسبِ إلى الأبْناء من بنى سَعْد أبناوِى، لأنه اسمٌ للجماعة .

فأما قولهم: «الأزَارِقةُ»، فهذا بابٌ من النَّسَب آخرُ، وهو أن يُسَمَّى كلٌّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ، إذا كانوا يُنْسَبُونَ، ونظيرُه المهالِبَةُ، والمَسامِعةُ، والمناذِرَةُ.

ويقولون: جاءنى النُّمَـيْرُونَ والأشعَرُونَ جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْـراً وأشْعَرَ، فهذا يَتَّصِلُ فى القبائل، على ما ذكرتُ لك.

وقد تُنْـسَبِ الجماعـةُ إلى الواحد علـى رأى أو دينٍ، فيكونُ له مـثلُ نَسَبِ الولادَة، كما قالوا أزْرَقِىٌّ، لمن كان على رأى ابن الأزْرَق، كما تقول تميمى وقيسىٌّ لمن وَلَده تميمٌ وقَيْسٌ، ومن قرأَ: ﴿سَلَامٌ على إلْيَاسِينَ﴾[1]، فإنما يريد إلْيَاس عليه السلامُ، ومَنْ كان على دِينه، كما قال:

* قَدْنِىَ من نَصْرِ الخبيبينَ قَدِ *

يريدُ أَبَا خُبَيْبٍ ومن معه.

وقد يجتـمعُ الرجل مع الرجل فى التثنيـة إذا كان مَجازهما واحـداً فى أكثر الأمر على لفظ أحدهما، فمن ذلك قـولهم: «العُمَرَان» لأبى بكرٍ وعمرَ رضى الله عنهما، ومن ذلك قولهم : «الخُبَيْبَانِ» لعبد الله ومُصْعَبٍ، وقد مضى تفسيرُه.

---

(١) سورة الصافات ١٣٠ .

عادَ القولُ في الخوارج

قال : والأزارقةُ لا تُكَـفِّرُ أحداً من أهل مقـالتها فى دار الهجْـرَة إلاّ القاتِلَ رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: المسلمُ حجةُ الله، والقاتِلُ قَصَدَ لقَطْع الحجة.

[الأزارقة وولاة البصرة]

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالك بن مسْـمَعٍ في الحرب التى كانت بين الأزْد ورَبيعةَ وبنى تميمٍ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيده إلى حمَالة سيفه وقال: ألاَ تَنصرنـا فى حربنا هذه! فـقال: لا يحلُّ لى ، قال: فـما بالُ مُؤْمـنِى بني تميمٍ يَنصـرون كُـفَّارَهم في هـذه الحربِ! فـأمْسَـكَ عنه، وخَرَج بـعدَ ذلك بـأيامٍ إلى الأهْوازِ، فلما قُـتلَ مَنْ قُتلَ ممَّنْ بخَـازرَ من الخوارجِ فى أيامِ ابن المَاحُوزِ كَـرِهَ بَبَّةُ القتـالَ، وأقام حارثةُ بن بَـدْرٍ الغُدَانىُّ بإزاء الخوارج، يـناوشُهُم على غـير ولايةٍ، وكان يقولُ: ما عُذْرُنا عندَ إخوانـنا من أهل البصرة إنْ وَصَلَ إليهم الخوارجُ ونحن دونهم! فكتب أهلُ البصـرة إلى ابن الزُّبير يخبرونه بقُعُود بَـبَّةَ، ويسألُونَه أن يُوَلِّىَ والياً، فكتب إلى أنَس بن مالك أن يُصَلِّىَ بالناس، فصلَّى بهم أربعين يوماً، وكَتَبَ إلى عمرَ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولاَّه البصرةَ. فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ، وهو فى بعضِ الطريـقِ، فرجَعَ فأقام بالـبصرة، ووَلّى أخاه عـثمانَ محـاربةَ الأزارقَة، فخرج إليهم فى اثنى عشرَ ألفاً، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه، وعبيدُ الله بن المَاحُوز فى الخوارج بسُوق الأهْواز، فلمَّا عَبَرُوا إليـهم دُجَيْلاَ نهضَ إليهم الخوارجُ، وذلك قُبيلَ الظُّـهْر، فقال عثمـانُ بن عُبيد الله لحارثةَ بن بَدْر: أمَّـا الخوارجُ إلاَّ ما أَرى! فقال له حارثة: حَـسْبُك بهؤلاء! فقال: لا جَرَمَ، واللهِ لا أَتغَـدَّى حتى أناجزَهم! فقال له حارثةُ: إنَّ هؤلاء لا يُقاتَلُونَ بالتَّعَـسُّف، فأَبْقِ على نفسك وجُنْدك، فقال: أَبَيْتُمْ يا[1] أهل العـراق إلاَّ جُبْنًا! وأنتَ يا حـارِثةُ، ما علمكَ بـالحرب؟ أنتَ واللهِ بغير هذا أَعلَـمُ! يُعَرِّضُ له بالشراب. فغضبَ حـارثةُ، فاعتزلَ، وحاربَهم عـثمانُ يومهَ إلى أنْ غـابت الشمسُ، فـأَجْلَت الحَربُ عنه قـتيلاً، وانهـزَمَ الناسُ، وأخذَ حارثةُ الـرايةَ، وصاحَ بالناس: أنا حـارثةُ بن بدر، فثـاب إليه قومُـهُ، فعَبَـرَ بهم دُجَيْلا، وبَلَغَ قَتلُ عثمانَ البصرة؛ وخاف الناسُ الخَوارجَ خوفاً شديدًا.

---

(١) ر : « أهل العراق » ؛ بحذف النداء .

وعَزَل ابن الزُّبير عُمَرَ بنَ عبيد الله ، وولَّى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ، المعروفَ بالقُبَاع، أحدَ بنى مَخزومٍ، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميِّ الشاعر، فقدم البصرةَ، فكتبَ إليه حارثةُ بن بدرٍ يسأله الولايَة والمدَدَ، فأراد توليتَه[1]، فقال له رجلٌ من بكْر بن وائلٍ: إن حارثةَ لَيس بِذاك، إنما هو رجل شَرَابٍ[2]، وفيه يقولُ رجلٌ من قومه[3]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حارثةَ بن بَدْرٍ ... يُصَلِّى وهو أكفَرُ من حمَارِ
ألم تَرَ أنَّ لِلْفتيان حظاً ... وحَظّك فى البَغايا والقِمَارِ

فكتب إليه القُبَاعُ: تكفينى[4] حَرْبَهم إن شاء الله .

فأقام حارثةُ يدافِعُهُم.

فقال شاعرٌ من بنى تميمٍ يَذْكر عثمانَ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْس وحارثةَ بن بدرٍ :

مضَى ابنُ عُبَيْس صابراً غيرَ عاجزٍ ... وأعْقَبَنا هذا الحجازىُّ عثمانُ
فأرْعَدَ من قبْلِ اللقاء ابن مَعْمَرٍ ... وأبْرَقَ والبَرْقُ اليمانىُّ خَوَّانُ
فَضَحْتَ قُرَيْشاً غَثَّها وسَمينَها ... وقيلَ بنو تَيْم بن مُرَّةَ عُزْلانُ[5]
فلولا ابنُ بدر للعِرَاقَيْن لم يَقُمْ ... بما قام فيه للعِرَاقَيْن إنسانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقيقةِ أومَأتْ ... إليه مَعَدٌّ بالأنوفِ وقَحْطان

* * *

قوله: «فأَرْعَدَ»، زعمَ الأصمعىُّ أنه خَطَأ، وأن الكُمَيْتَ أخطأَ فى قوله:

أَرْعِدْ وأَبْرِقْ يا يَزِيد ... فما وَعيدُكَ لى بضائر

وزعمَ أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لِمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ وهو قولُه:

---

(١) ر : « أن يوليه » .
(٢) ر : « صاحب » .
(٣) نسبه المرصفى إلي علقمة بن عبد المازنى .
(٤) ر : « تكفى » .
(٥) عزلان : حمع أعزل ؛ وهو من لا سلاح معه .

أنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِى وأبْرَقْناكما تُرْعِدُ الفُحولُ الفحولا[١]

وأنه لا يُقال إلاَّ «رَعَد وبرَقَ» إذا أوْعَد وتَهَدَّدَ ،وهو «يَرْعُدُ ويَبْرُقُ» وكذا يُقالُ: رعَدَت السماءُ وبرَقَتْ، وأرْعَدنْا نحن وأبْرَقنا، إذا دَخَلنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ، قال الشاعرُ :

* فقلْ لأبى قابوسَ ما شئْتَ فارْعُدِ *

ورَوَى غيرُ الأصمعى «أرْعَدَ وأَبْرَقَ» على ضَعْف.

قوله: «والبَرْقُ اليَمانىُّ خوَّان»، يريد والبرقُ اليمانىُّ يخونُ. وأجودُ النَّسَبِ إلى اليمنِ «يَمَنِىٌّ» ويجوزُ «يمَان» بتخفيف الياء،وهو حَسَنٌ، وهو فى أكثر الكلامِ، تكونُ الألفُ عوَضاً من إحدى الياءَين، ويجوزُ «يَمَانِىٌّ» فاعلم ، تكونُ الألفُ زَائدةً وتُشَدَّدُ الياءُ، قال العَّباسُ بن عبد المُطَّلِب :

ضَرَبْنَاهُمُ ضَرْبَ الأحَامِسِ غُدْوَةً بكلِّ يَمَانَىٍّ إذا هزُّ صَمَّمَا[٢]

[تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم]

ثم إنّ حارثةَ لَّما تفرَّق الناسُ عنه أقام بنهر تِيرَى ،فعَبَرَتْ إليه الخوارجُ، فهربَ وأصحابَه يَرْكُضُ، حتى أَتى دُجَيْلاً، فجلس فى سفينة، واتَّبعه جماعةٌ من أصحابه، فكانوا معه، وأتاه رجلٌ من بنى تميمٍ وعليه سلاحُه، والخوارجُ وراءَه وقد تَوَسَّطَ حارثةُ ، فصاح به: يا حارث؛ ليس مثلى ضُيِّعَ، فقال للملاَّح: قرِّبْ. فقرَّبَ إلى جُرُف، ولا فُرْضَةَ هناك[٣].

فطَفَرَ[٤] بسلاحه فى السفينة ، فساختْ بالقوم جميعاً، وأقامَ ابنُ المَاحُوز يَجْبى كُوَرَ الأهواز ثلاثةَ أشهرٍ، ثم وَجَّهَ الزُّبَيْرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة. فضجَّ الناسُ إلى الأحنف، فأتى القُباعَ فقال: أصلح اللهُ الأميرَ! إن هذا العدوَّ قد غَلَبنا على سَوادنا وفَيْئنا، فلم يبق إلاَّ أن يحصُرَنا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً، قال: فسَمُّوا رَجلاً، فقالَ الأحنفُ: الرأىُ لا يُخيل[٥]، ما أرى لها إلا المُهَلَّبَ بن أبى صُفْرَةَ،

---

(١) الإنباض : جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس : مقبضها، أو موضع السهم منها .

(٢) الأحامس : جمع أحمس، وهو الشديد الصلب فى الدين والقتال.

(٣) الجرف : ما أكله السيل من أسفل شقى الوادى والنهر . والفرضة : ثلمة فى النهر يسقى منها .

(٤) طفر : وثب . (٥) لا يخيل : لا يشتبه .

فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة! اجتمعوا إلىَّ فى غَد، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ، وعَقَدَ الجِسْرَ ليَعْبُرَ إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه.

وقد اجتَمع للخوارج أهلُ الأهوازِ وكُوَرها، رغبةً ورَهْبَةً، فأتاه البصريون فى السُّفنِ وعلى الدوابِّ ورَجَّالة. فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ، فقال الزبيرُ لمَّا رآهم: أَبَى قومُنا إلاَّ كُفْراً، فقطع[1] الجسرَ، وأقام الخوارجُ بالفرات بإزائهم، واجتمعَ الناسُ عند القُبَاعِ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديداً، وكانوا ثلاثَ فِرَق، فَسَمَّى قومٌ المهَلَّبَ، وسَمَّى قومٌ مالكَ بنَ مِسْمَع، وسَمَّى قومٌ زيادَ بن عمرو بن الأشرف العَتَكيَّ، فصرفهم، ثم اختَبَر ما عند مالك وزياد، فوجدَهما مُتَثاقلَيْنِ عن ذلك[2]، وعاد إليه مَنْ أشار بهما وقالوا: قد رَجَعْنا عن رأينا، ما نَرَى لها إلاَّ المُهَلَّب، فوجَّه الحارثُ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيد، قد تَرَى ما رَهِقَنَا[3] من هذا العدوّ، وقد اجتمعَ أهلُ مصْرِكَ عليك، وقال الأحنفُ: يا أبا سعيد، إنَّا والله ما آثرناك بها ولكنَّا لم نَرَ مَنْ يقومُ مَقامك. فقال الحارثُ - وأَوْمأ إلى الأحنَف - إن هذا الشيخ لم يُسَمِّكَ إلاَّ إيثاراً للدِّين، وكلُّ مَنْ فى مصْرِك مادٌّ عَيْنَهُ إليك. راجٍ أن يكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغُمَّةَ بك، فقال المهلَّبُ: لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله، إنى عندَ نفسى لَدُونَ ما وَصَفْتُمْ، ولستُ آبياً ما دَعَوْتُم[4] إليه، على شُروطٍ أشترطُها. قال الأحنفُ: قُلْ، قال: على أنْ أنْتَخبَ مَنْ أحببتُ، قال: ذاك لَكَ، قال: ولِى إمْرَةُ كلِّ بلد أَغْلِبُ عليه، قال: وذاك لكَ، قال: ولِى فَيْءُ كل بلد أَظْفَرُ به.

قال الأحنفُ: ليس ذاك لكَ ولا لنَا، إنما هو فَىْءُ المسلمين، فإن صلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوّهم، ولكن لك أن تُعطى أصحابَك من فَىْء كل بلد تغْلِبُ عليه ما شئتَ. وتُنْفِقَ[5] منه ما شئت[5] على محاربةِ عدوّك، فما فضَلَ عنكم كان للمسلمين. فقال المهلب: فمَنْ لى بذلك؟ قال الأحنفُ: نحن وأميرُك وجماعةُ أهلِ مصرك، قال: قد قبلْتُ.

---

(١) ر: « فقطعوا ».

(٢) ر: « عن ذاك ».

(٣) رهقنا: أتعبنا.

(٤) س: « مما دعوتم ».

(٥-٥) ساقط من ر.

فكتَبـوا بذلك كتاباً ووُضِعَ عـلى يَدَى الصَّلْت بن حُرَيْث بن جـابرِ الحنفى، وانتَخَبَ المهلَّبُ من جميع الأخماسِ، فبلغت نخْبَتُهُ اثنى عَشَر ألفاً، ونظروا ما فى بيت المال، فلم يكن إلاَّ مائَـتى ألف درهم، فعَجَزَت، فبعثَ المـهلبُ إلى التُّجَار: إنّ تجارتكم مُذ حَوْلٍ قد كَسَدَتْ علـيكم بانْقطاعِ موادِّ الأهواز وفارسَ عنكم، فهَلُمَّ فبايعونى واخْرُجُوا معى أوْفكُمْ إن شاء الله حـقوقكم، فتاجَرُوه، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكَره، واتخذ لأصحابه الخفَاتِينَ والرَّانات المَحْشُوَّةَ بالصُّوف.

ثم نَهَضَ وأكـثر أصـحابه رَجَّـالُة، حتى إذا صـار بحذاء القـوم أمر بسـفُنٍ فأحضرتْ وأُصْلحتْ، فـما ارتفَع النهارُحتي فُرِغَ منها، ثم أَمَـرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ، وأمَّر عليهم ابْنهُ المغيرةَ، فخرج الناسُ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم[1] بالسهام حتى تنَحَّـوْا، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ، فحارَبُوهم فكشَفوهم وشَغَلـوهم، حتى عَقَدَ المهلّبُ الجِسْرَ، وَعَبَرَ والخوارجُ منهزمون، فَنَهَى الناسَ عن اتّباعهم، ففى ذلك يقول شاعرٌ من الأزْد:

إنَّ العـــراقَ وأهلـهُ لم يخْـبُـروا   مثل المُـهَلب فى الحروب فَسَـلَّمُوا
أَمْـضى وأَيْمَنُ فى اللـقَاءِ نَقِـيبَـة   وَأَقَلَّ تـهليـلاً إذا مـا أحْـجَـمُـوا

التهليلُ: التكذيبُ[2] والانهزام.

وأبْلَى مع المغيرة يومـئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرٍو العَنْبرِىُّ، وكـان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم، فقال عطيةُ:

يـدْعى رجـــالٌ لـلـعـطاءِ وإنمـا   يُدْعَـى عَطِيَّـــةُ للطـعــانِ الأجْـرَدِ

وقال الشاعر :

ومـا فـــارسٌ إلاّ عطـيـةُ فـوقَـه   إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجذها الفَما
بـه هَـزَمَ اللهُ الأزارِقَ بـعـــدَمـــا   أباحُـوا من المِصْرَيْن حِـلاً ومحْـرَمَا

فأقام المـهلَّبُ أربعين يوماً يَجْبـى الخَراجَ بِكُور دجْلَة، والخوارجُ بنهـر تيرَى والزبيـر بن علىٍّ منفردٌ بعـسكره عن عسـكر ابنِ المَاحُوزِ، فَـقَضى المهلَّب التُّـجَارَ

(١) نضحهم بالسهام: رماهم بها. .

(٢) قال المرصفى : « التكذيب : مصدر كذب فى القتال إذا فر ونكس».

وأعْطَى أصحَابَه، فـأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجـاهدة الخوارج، ولما فى الغنائم، وللتِّجارات، فكان فـيمن أتاه محمدُ بن واسعٍ الأزدىُّ وعبـدُ الله بن رِبَاحٍ ومُعاويةُ ابن قُرَّةَ المَرِىُّ ـ وكان يقـولُ ـ يعنى معُاويةَ ـ: لو جاء الدَّيْلَـمُ من هاهنا والْحَرورية من هاهنا لحاربتُ الحـروريةَ ـ وأبو عمْرانَ الجَوْنىُّ كان يقول: وكَـانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتيلَ غيرهم بعَشَرة أَنْوارٍ.

ثم نَهَضَ المهلّبُ إليهم إلى نهر تيرَى. فَتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز. وأقام المهلّبُ يَجْبِى ماحَـواليه من الكُـور، وقد دَسَّ الجَـواسيسَ إلى عـسكر الخوارجِ، فـأَتوهُ بأخبارهم ومَنْ فى عسكرِهم، فإذا حُشْوةٌ (١)؛ ما بين قَصَّارٍ وصبَّاغٍ وداعرٍ وحَدَّاد.

فَخطَبَ المهـلّبُ الناسَ فَذكَرَ مَنْ هُناكَ وقـال للناس: أَمثْلُ هؤلاء يَغـلبونكم على فَيْئكم! فلم يَزَلْ مـقيماً حتى فهمَهُمْ وأُحْكَمَ أَمْرَهُ، وقَـوَّى أصحابَه، وكثرتِ الفُرْسانُ فى عسكره، وتَتامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفاً.

ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهواز، فاسْتَخْلَفَ أخاه المُعاركَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تيرَى، وفى مُقَدِّمـته المغيرةُ بن المهلب، حتى قاربَهُمُ المغيـرةُ، فَنَاوَشوه، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابه، وثبتَ المغيرةُ بَقيَّةَ يومِهِ وليلته، يُوقدُ النيرانَ ثم غاداَهم القتالَ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرَانَ فى ثِقْلَة متاعهم، وارْتَحلُوا عن سوق الأهواز، فدخلَها المغـيرة، وجاءَت أوائـلُ خيلِ المَهلَّب، فَـأقام بسُـوق الأهواز، وكتـب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ: فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نعَمٍ من الله متصـلة علينا، ونقْمة من الله مـتتابعة علـيهم، نُقْدِمُ ويُحْجِـمونَ، ونَحُلُّ ويَرتحلونَ، إلى أن حَلَلْـنَا سُوقَ الأهوازِ، والحَمدُ لله ربِّ العـالمين، الذى من عنده النصرُ، وهو العزيزُ الحكيمُ.

فكتب إليه الحـارثُ : هَنِيئاً لك أَخَا الأزْدِ، الشَّرَفُ فى الـدنيا، والذخرُ فى الآخرةِ، إن شاء الله !

فقال المهلّبُ لأصـحابه : ما أَجْفَىْ أهلَ الحجـاز ! أَمَا تَروْنَهُ عرف(٢) اسمى واسمَ أبى وكُنْيَتى !

---

(١) حشوة الناس : رذاالهم .

(٢) ر : « يعرف » .

وكان المهلّبُ يَبُثُّ الأحراسَ فى الأمْنِ، كما يبثُّهم[1] فى الخوف، ويُذْكِى العُيونَ فى الأمصار، كما يُذْكيها فى الصَّحَارَى، ويأمُر أصحابَه بالتَّحرُّز، ويُخوفَهم البيَاتَ [1]، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ، ويقولُ: احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَكيدون، ولا تقولوا: هَزَمْنَا وغَلَبْنَا، فإنَّ القومَ خائفون وجِعُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الْحِيلةِ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يا أيُّها الناس؛ إنكم قد عَرفُتم مذهبَ هؤلاء الخوارج، وأنهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنوكُمْ فى دينكم وسفكوا دماءَكم، فقاتلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولهم علىُّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، فقد لقيهُمْ قبلكم الصَّابُر المحتسبْ مُسْلِمْ بن عبيس، والعَجِلُ المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصى المخالف حارثة بن بدر، فقتلوا جميعا وقتلوا. فالْقوهمْ بِجدٍّ وحَدٍّ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدكم، وعارٌ عليكم، ونقصٌ فى أحسابكم وأديانِكم أن يغلبكم هؤلاء على فَيْئِكُم، ويطئوا حريمَكُم.

ثمَّ سار يُرِيدُهُمْ، وهُمْ بِمَنَاذرَ الصُّغْرَى، فَوجَّه عبيدُ الله بن بَشير بن الماحُوزِ رئيس الخوارجِ رجلاً يقال له واقدٌ، مَوْلًى لآلِ أبى صُفْرَةَ من سَبْىِ الجاهلية، فى خمسين رجلاً، فيهم صَالحُ بن مخْراق، إلى نهر تيرَى، وبها المعاركُ بن أبى صُفْرَةَ، فقتلوه وصلبوه، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب. فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ فدخل نهر تِيرَى وقد خرج وَاقدٌ منها، فاستنزلَه ودفنه، وَسَكَّنَ الناسَ، وَاسْتَخْلفَ بها، ورجع إلى أبيه وقد حل بَسُولاف[2]، والخوارجُ بها، فَواقعهُمْ، وجعل على بنى تميم الْحَرِيشَ بن هلال، فخرج رجلٌ من أصحاب المُهَلّب، يقال له عبدُ الرحمن الإسْكافُ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهوعلى فرس له صفراءَ، فَجعَلَ يأتى الميمنةَ والْمَيسَرة والقَلْبَ، فيَحُضُّ الناسَ ويُهَوِّنُ أمرَ الخوارج، ويَخْتالُ بين الصفَّين، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه: يا معشر المهاجرين، هل لكم فى فتكة فيها أريحيةٌ؟

فحملَ جماعة منهم على الإسكاف فقاتَلهم وحدَه فارساً، ثم كبَا به فرسُهُ[3] فقاتلهم راجلاً، قائماً وبارِكا، ثم كثَرتْ به الجِراحَاتُ، فَذَبَّبُ بسيفِه، وَجَعلَ يحثُو

(١) البيات : الإيقاع بالقوم وهم غارون .

(٢) سولاف : قرية غربى دجيل .

(٣) كبا به الفرس : أى عثر .

الترابَ فى وجوههم، والمهلَّبُ غيرْحاضر، ثم قُتلَ رحمه الله ، وَحَضرَ المهلَّب فأُخْبر. فقال للحَريش وَعِطيَّةَ العَنْبَرِيِّ : أَأَسْلَمْتُمَا سيدَ أهل العسكر، لم تُعيناه ولم تَسْتَنْقذَاهُ حسداً له، لأنه رجل من الموالى! وَوَبَّخَهُمَا وحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتله، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكر، فانهزَم الناسُ، وقتَلوا سبعين رجلاً وثَبتَ المهلَّبُ وأَبْلَى المغيرةُ يومئذ وعُرِفَ مكانُهُ، ويقال: حاصَ المهلبُ يومئذ حَيْصَةَ(١). وتقولُ الأزْدُ: بل كان يَرُدُّ المنْهزِمَةَ ويَحْمى أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِى منْقَر بن عُبَيْدِ بن الحارثِ بن كَعْبِ ابن سَعْد بن مَنَاةَ بن تميمٍ :

بسولافٍ أَضَعْتَ دِماءَ قَوْمى وطِرْتَ على مُواشِكَةٍ دَرُور

قوله : «مُوَاشكَة» يريدُ سريعةً. ويقال: نحنُ على وشْكِ رحيلٍ. ويقال: ذَميلٌ مُواشِكٌ، إذا كان سَريعاً، قال ذُو الرُّمَّة :

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً فى مَفَازَة عَراقيبهَا بالشيَّظْمى المُواشك(٢)

ودَرُورٌ : «فعُول» مِنْ دَرَّ الشَّىْءُ . إذَا تَتَابَعَ.

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِعْنَا الأعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعاً يُزَجِّى كُلُّ أربَعَةَ حِمَاراً(٣)
فَيَا نَدْمَى على تَرْكِى عطَائى مُعَايَنَةً وأَطْلُبُهُ ضِمَارَا
إذَا الرَّحْمنُ يَسَّرَ لِى قُفُولاً فحَرّقَ فى قُرَى سولاف نارا

قوله: «الأعورَ الكذَّابَ». يعنى المُهلَّبَ، ويقال: عارتْ عينه بسهمٍ كان أصابها، وقال: «الكذَّابَ» لأن المهلَّبَ كان فقيهاً. وكان يعلمُ ما جاء عن رسولِ الله ﷺ من قوله: «كُلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إلاَّ ثلاثة: الكذبُ فى الصُّلح بين الرجلين، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعِدُها، وكذِبُ الرجلِ فى الحرب يَتَوَعَّدُ ويَتَهَدَّدُ».

وجاء عنه ﷺ : «إنما أنتَ رجلٌ فَخَذِّلْ عنَّا فإنما الحربُ خُدْعَةٌ».

---

(١) حاص حيصة : أى جال جولة يطلب بها الفرار .
(٢) الشيظمى : الطويل الجسم.
(٣) يزجى : يسوق .

وقال عليه السلام فى حرب الْخَنْدق لسعد بن عُبادَة وسعد بن مُعاذ. وهما سَيدا الحيَّيْن. الْخَزْرج والأوْس: «إيتيَا بَنى قُرَيْظَةَ. فإن كانوا على العهدً فأعْلنَا بذلك وإن كَانوا قد نَقضُوا ما بيننا فَالْحنَا لى لَحنًا أعْرفه. ولا تَفُتَّا فى أَعْضَاد المسلمين. فرجَعَا بغَدْر القوم فقالا: يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «أَبْشِرُوا فإن الأمرَ ما تحبُّونَ».

* * *

[قال الأخفشُ: سألتُ المَبرِّدَ عن قولهما: «عَضَلٌ والقَارَة» فقال: هذان حَيَّان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله ﷺ . فأرادَا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين] .

* * *

قال أبو العباس: فكان المهلّبُ ربما صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمر المسلمين ويُضَعِّفَ من أمرِ الخوارج ،فكان حَيٌّ من الأزْدِ يقال لهم النَّدَب إذا رأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا: قد راحَ المهلّبُ ليكذبَ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنتَ الفتى كلُّ الفتى ... لو كُنْتَ تَصْدُقُ ما تَقُولُ

* * *

فبات المهلبَ فى ألفَيْنِ، فلما أصبح رجَع بعضُ المنهزمة فصارَ فى أربعة آلاف، فخطب أصحابَه فقال: والله ما بكم من قلَّة،وما ذَهَبَ عنكم إلاّ أهلُ الجُبْنِ والضَّعْف والطَّمَعِ والطَّبَعِ، فإنَ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُهُ، فسيرُوا إلى عدوِّكم على بركة الله .

فقام إليه الحريش بنُ هلاَل فقال: أَنْشدُكَ اللهَ (١) أيها الأميرُ أن تقاتلهم إلاَّ أن يُقاتلُوك! فإن بالقوم جراحاً وقدْ أثخنَتْهُمْ هذه الجَوْلةُ.

فقبِلَ منه ومَضى المهلَّبُ فى عشَرة. فأشْرَفَ على عسكر الخوارج. فلم يَرَ منهم أحداً يتحَّركُ. فقال الحريشُ: ارتَحِلُ عن هذا الموضعِ، فارتَحَلَ. فعَبَرَ دُجَيْلا، وصار إلى عَاقُول (٢) لا يُؤْتى إلاّ مِن وجهٍ واحدٍ. فأقام به واستراحَ الناسُ ثلاثاً، وقال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

---

(١) أنشدك الله : أى أذكرك الله .

(٢) العاقول : الأرض لا يهتدى لها .

ألا طرقتْ مـن آل بثنةَ طارقـهْ[1] على أنهـا مَعشُـوقةُ الدَّل عاشـقَهْ
تبيت وأرضْ السُّوسِ بَـيْنِى وبينها وسْولافُ رُسْـتَافٌ حَمَتْـهُ الأزَارِقَهْ
إذا نحن شِـئْنَا صَـادَفَتْـنَا عصـابةٌ حُرورِيةٌ أَضْحَتْ مـن الدِّين مارقهْ
أجازَتْ إليـنا العسْكَريْـن كَليْهـمَا فبـاتتْ لنا دُونَ اللحَـاف مُـعَانِـقهْ

وقد ذكرنا «الضّمارَ» ومعناه الـغائبُ، وأصلهُ من قولك: «أَضْمَرْتُ الشيءَ» أى أخفـيتُـهُ عنك، ويقال: مـالٌ عيْنٌ، لـلحاضـر، ومالٌ ضِمـارٌ للغائـب، قال الأعْشىَ:

ومَـن لا تَـضِــيعُ لـه ذمَّــةٌ فـيَجعَلـهَا بـعد عَـيْنِ ضِـمـارَا

وقال أيضاً:

أبـانـا فَـلاَ رِمْـتَ مِـنْ عنْـدنَـا فـإنَّا بِـخَـيْـرِ إذَا لَـمْ تَـرِمْ
أرانَـا إذا أضْـمَـرَتَـك الـبـلا دُ تجْـفـى وتقـطعُ مِـنَّـا الرَّحِـمْ

والفعـلُ من هذا أَضْمَـرَ يُضْمِرُ، والمفـعولُ به مُـضْمَرٌ، والفـاعل مُضْـمِرٌ، والضّـمارُ اسمُ للفـعل فى معنـى الإضمار، وأسـماءُ الأفعـال تَشْرَكُ المصـادرَ فى معـانيها، تقـول: أعطيته عَطـاءً، فيَشْرَكُ العَـطاءُ الإعْطاءَ فى معناه. ويُـسمَّى به المفعولُ، وتقول: كلَّمـتُه تكليماً وكلاَّماً، فى معناه، والمـصدرُ يُنْعتُ به الفاعلُ فى قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرَمٌ، ورجلٌ نوْمٌ. ويومٌ غَـمٌّ وغَيْمٌ، وينعتُ به المفعولُ فى قـولك: رجـل رضىً. وهذا درهم ضَـرْبُ الأمـيـر. وجاءَنـى الخلْقُ، تعـنى المخلوقين.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليومِ :

وكـائنْ تركْنَا يـومَ سُولافَ مـنهمُ أسارَى وقتْلَى فى الجحيم مَصيرُها

وقوله :«وكائنْ» معناه «كمْ». وأصلْه كافُ التشبيه دخلتْ على «أيٍّ» فصارتا بمنزلةِ «كم». ونظيرُ ذلك له كذا وكذا درهـما. إنما هى «ذا» دخلت عليها الكاف، والمعنى له كهذا العـدد من الدراهم، فإذا قال: له كذا كذا درهمـاً، فهو كناية عن

(١) ر : «بيبة» : س . «مية» . وما أثبته رواية الأصل .

أحَدَ عَشَرَ درهماً إلى تسعةَ عَشَرَ، لأنه ضَمَّ العدَدَيْن، فإذا قال: كذا وكذا، فهوكنايةٌ عن أحد وعشرين إلى ما جازَ فيه العطفُ بعدهُ. ولكنْ كَثُرَتْ «كأيٍّ» فَخُفِّفَتْ والتثقيلُ الأصلُ، قال الله تعالى: ﴿**وكَأَيٍّ منْ قريَة أَمْلَيْتُ لهَا وهي ظالمةٌ**﴾(١) ﴿**وكَأَيٍّ مِنْ نبيٍّ قاتَلَ معَهُ رِبِّيُّونَ كَثيرٌ**﴾(٢)، وقد قرِئ بالتَّخفيفِ كما قالَ الشاعرُ:

وكَائن رَدَدْنَا عنكم مِن مدجّجٍ ... يَجيءُ أَمامَ الأَلف يردِى مُقَنّعا(٣)

وقال آخرُ:

وكائن تَرى يومَ الغُمَيْصاءِ مِن فتى ... أصيب ولم يجْرَحْ وقد كان جارِحًا(٤)

قال أبو العباس: وهذا أكثرُ على ألسنتهم، لطلب التخفيف. وذلك الأصلُ، وبعض العرب يَقْلِبُ فيقول: «كَيْءٍ» يافتى، فيؤخِّرُ الهمزة لكثرة الاستعمال، قال الشاعر:

وكَيْءٍ فى بنى دُودَانَ منهم ... غداةَ الرَّوْعِ معروفاً كَمىٌّ

قال أبو العباسِ: فأقام المهلبُ فى ذلك العَاقولِ ثلاثةَ أيامٍ ثم ارتحلَ. والخوارج بسِلَّى وَسِلَّبْرَى.

* * *

[قال الأخفش : « سَلَّى » و « سَلَّبرى » بفتح السين فيهما: موضعانِ بالأهواز، و « سِلَّى » بكسر السين موضعٌ بالبادية، وكذا يُنْشَدُ هذا البيت :

كَأَنَّ غَديرَهمْ بجنُوبِ سَلَّى ... نَعامٌ قَاقَ فى بلدٍ قِفَار

* * *

فتنزل قريباً منهم، فقال ابن الماحوز لأصحابه: ما تنتظرون بعدُوِّكم وقد هَزَمتموهم بالأمس وكَسرْتمْ حَدَّهم؟ فقال له وافدٌ مَوْلَى أبى صُفْرَة: يا أمير المؤمنين، إنما تَفَرَّقَ عنهم أهلُ الضعف وَالجُبْن، وبَقِى أهلُ النجْدةِ والقوَّة، فإن

---

(١) سورة الحج ٤٨ . (٢) سورة آل عمران ١٤٦ .
(٣) يردى : يعدو . والمقنع : المغطى بالسلاح .
(٤) الغميصاء : موضع بالبادية قرب مكة .

أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئا، لأنى أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا، فإن غَلَبْوا ذهب الدِّينُ، فقال أصحابُهُ: نافَقَ وافدٌ، فقال ابن الماحُوز: لا تَعْجَلُوا على أخيكم، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم، ثم تَوَجَّهَ الزبير بن على إلى عسكر المهلَّب لِيَنْظُرَ ما حالهم، فأتاهم فى مائَتَيْن، فَحَزَرَهُمْ ورجع وأَمَرَ المهلَّبُ أصحابَه بالتَّحارُس، حتى إذا أَصبح ركِبَ إليهم على تَعْبِيَة صحيحة، فالْتقَوْا بسِلَّى وسِلَّبْرَى فتَصافُّوا، فخرج من الخوارج مائة فارس، فركَزُوا رماحهم بين الصَّفَّيْن واتَّكَئُوا عليها، وأخرج إليهم المهلَّب عدادَهم، ففعلوا مثلَ ما فعلوا، لا يَرِيمُونَ إلاّ لِصلاةٍ حتى أَمْسَوْا، فرجع كلُّ قوم إلى مُعَسْكرهِمْ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ.

ثم إن الخوارجَ تَطاردُوا لهم فى اليوم الثالث، فحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعةً. ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجل فطعنهُ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه، فَحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم، كما صَنَعُوا يوم سُولاف، فَضَعْضَعوا الناسَ، وَفقدَ المهلَّبُ. وثبتَ المغيرةُ فى جمعٍ أكثرُهم أهلُ عمانَ، ثم نجم المهلّبُ[1] فى مائة فارس. وقد انغمَسَتْ كفّاهُ فى الدَّمِ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعةٌ فوقَ الْمغفر[2] مَحْشُوَّةٌ قَزًّا. وقد تَمَزَّقَتْ، وإنّ حَشْوَها ليَتطَايَر، وهو يَلْهَثُ، وذلك فى وقت الظُّهْر، فلم يزَل يحاربُهم إلى الليل، حتى كَثُر القتلُ فى الفريقين.

فلما كان الغَدُ غاداهم، وقد كان وَجَّهَ بالأمسِ رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهْم بن الأزد يَرُدُّ المنهزمين، فمرَّ به عامرُ بن مسْمَعٍ فردَّه، فقال: إن الأميرَ أَذنَ لى، فبعث إلى المهلَّب فأعلمه، فقال: دعْهَ فلا حاجةَ لى فى مثله من أهلِ الجبنِ والضَّعْف، وقد تفرَّق أكثرُ الناسِ، فغاداهم المهلَّبُ فى ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بكُمْ من قلة، أيعجزُ أحدُكُمْ أن يَرْمى رمحه ثم يَتَقَدَّم فيأخُذَه، ففعلَ ذلك رجلٌ من كنْدَةَ يقالُ له عيَّاشٌ، وقال المهلَّبُ لأصحابه: أعدُّوا مخاليَ فيها حجارةٌ وارْمُوا بها فى وقت الغَفْلة. فإنها تصدُّ الفارس وتصْرَعُ الراجلَ، ففَعَلوا، ثم أمر منادياً يُنادى فى أصحابه، يأْمُرُهُمْ بالجدِّ والصَّبْر، ويُطْمعُهُمْ فى العدُوِّ، ففعَلَ، حتى مَرَّ ببنى العدويَّة، من بنى مالك بن حنْظلة فضَربُوهُ، فدعا

---

(١) نجم : ظهر .

(٢) المغفر : ما يقى الرأس : وهو حلق يتقنع بها المسلح .

المهلَّبُ بسيَّدهم، وهو معاوية بن عمْرو فَجَعَلَ يَرْكُلُه[1] برجْله، وهذا معروفٌ في الأزد، فقال: أصلَح الله الأمير! أَعْفنى منْ أَمِّ كيسَانَ - والرُّكْبَةُ تُسَمِّيهَا الأزْدُ «أمَّ كَيْسَانَ». ثم حمل المهلَّبُ وحَمَلُوا. فاقتتلوا قتَالاً شديداً. فجَهد الخوارجُ، فنادى مُناديهم: أَلا إنّ المهلَّبَ قد قُتلَ! فركبَ المهلَّبُ برْذوْناً قصيرا أَشْهَبَ. وأَقبَلَ يرْكُضُ بين الصَّفَّيْن، وإنَّ إحْدَى يديه لَفى القباء ومـا يَشْعُرُ بها. وهو يصيحُ أَنَا المهلَّبُ! فسكنَ الناسُ بعدَ أَنْ كانوا قد ارتابُوا، وظنُّوا أَنَّ أَميرَهم قد قُتل، وكَلَّ الناسُ مع العَصْر، فصاحَ المهلبُ بابنه المغيرة: تقَدَّمْ. فَفَعَلَ. وصاحَ بذَكْوانَ موْلاه. قدّمْ رَايَتَكَ. فَفَعل. فقال له رجلٌ من وَلَده: إنك تُغَرِّر بنفسك، فَذَمَرَهُ[2] ثم صاحَ: يا بنى تميم، أَآمرُكُمْ فتعصونَنى! فَتقدَّمَ وتقدم الناسُ، واجْتَلَدُوا أشدَّ جلاد، حتى إذا كان مع المَسَاء قتِلَ ابنُ المَاحُوز. وانصرفَ الخوارجُ ولم يَشْعُر المهلَّبُ بقتله، فقال لأصحابه: ابْغونى رجلاً جَلْداً يطُوفُ فى القَتْلَى، فأشاروا عليه برجلٍ من جَرْمٍ، وقالوا: إنَّا لم نَر رجلا قَط أَشدَّ منه، فَطَوَّفَ ومعه النِّيرَانُ، فَجَعَلَ إذا مَرَّ بجريح من الخوارج قال: كافر وربِّ الكعبةِ! فأَجْهَزَ عليه. وإذا مَرَّ بجريحٍ من المسلمين أَمرَ بسَقْيه وحَمْله.

وأقام المهلَّبُ فى عسكره يأمُرهم بالاحتراسِ، حتى إذا كان نصفُ الليل وَجَّهَ رجلاً من الْيَحْمَد. فى عَشَرة فصاروا إلى عسكر الخوارج، فإذا القوم قد تَحَمَّلُوا إلى أرّجَانَ، فرجَع إلى المهلب فأَعْلَمَهُ، فقال: أنا لَهُم السَّاعَةَ أشدُّ خوفاً. فاحْذَرُوا البيَاتَ.

* * *

[قال الأخفَشُ: الْيحْمَدُ من الأزد. والخليلُ منْ بَطْنٍ منهم يقال لهم الفَرَاهيد. والفُرْهُودُ فى الأصلِ الحملُ، فإن نَسَبْتَ إلى الحيِّ قلتَ: «فَرَاهِدِى»، وإن نسبت إلى الحمْلاَنِ قلتَ: «فُرْهُودِيٌّ» لا غَيْرُه].

* * *

قال أبو العباس: ويروَى عن شعْبة بن الحجَّاج أن المهلَّب قال لأصحابه يوماً: إن هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيَات. فإن كان ذلك

(1) الركل: الرفس بالرجل.
(2) ذمره: حضه.

فاجْعلوا شعارَكُمْ «حَمَ لا يُنصرُون» فإن رسولَ الله ﷺ كان يأمُرُ بها، ويُرْوَى أنه كان شعارَ أصحابِ على بن أبى طالبِ صلوات الله عليه.

فلمَّا أصبحَ المهلب غدَا على القَتْلى، فأصاب ابنَ الماحُوزِ فيهم:

ففى ذلك يقول رجل من الخوارج:

بِسِلّى وَسِلْبرَّى مَصَارعُ فِتْيَةٍ ... كِرَام وَجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خُدُودها

وقال آخرُ:

بسِلَّى وسَلْبِرَّى مصارِعُ فتيةٍ ... كِرامِ وعَقْرَى من كُمَيْت ومن وَرْدِ[1]

* * *

وقال رجلٌ من موالى المهلّب: لقد صرعتُ يومئذ بحَجرٍ واحد ثلاثة. رميتُ به رجلا فأصبتْ أصل أُذْنه فصرعْتُهُ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخَرَ على هامتِه فصرعتُه، ثم صرعتُ به ثالثاً.

وقال رجل من الخوارج:

أتانَا بأحْجار ليقتلَنا بها ... وهل تُقْتلُ الأبطالُ وَيْحَك بالحجَرْ!

* * *

وقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ فى يومِ سِلَّى وَسِلبْرَى وَقتْل ابن المَاحُوز:

وَيَوم سلى وَسلْبرَى أحاط بهم ... منَّا صواعقُ ما تُبْقى وَلا تذَرُ

حتى تَركنْاَ عُبَيْدَ الله مُنْجدلا ... كَما تَجدَّلَ جذْعٌ مَالَ مُنْقعرُ

قال أبو العباس: تقولُ العربُ: «صاعقةٌ وصواعقُ»، وهو مذهبُ أهل الحجاز، وبهُ نزلَ القرآنُ، وبنو تميم يقولون: «صاَقعَةٌ وصوَاقعُ».

والمُنْقعَرُ: المُنقطعُ من أصلهِ، قال الله أصدقُ القائلين: ﴿**كأنهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقعرٍ**﴾[2].

---

(١) نسبه ابن برى إلى أبى المقدام بيهس بن صهيب بن عامر الجرمى، وهو فارس شاعر كان مع المهلب فى هذه الحرب، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن. وعقرى: جمع عقير؛ بمعنى معقور، من عقر الفرس، إذا قطع قوائمه. (رغبة الآمل).

(٢) سورة القمر ٢٠.

ويُرْوَىَ أن رجلاً من الخوارج يوم سِلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلّب فطَعَنَه، فلما خـالطَه الرمحُ صاح: يا أَمَّتَاه! فصاح به المـهلَّبُ: لا أكْثَرَ اللهُ بمثلك المسلمْين! فضَحكَ الخارجيُّ وقال:

أمُّك خـيـرٌ لـك منى صَـاحِـبَـا تَسْـقـيكَ مَـحْـضـاً وتَعُـلُّ رائِبـا

* * *

وكان المغـيرة بنُ المهلب إذا نظَرَ إلى الرمـاحِ قد تَشَاجَرَتْ فى و جـهه نكَسَ على قَرْبوسِ سَرْجِـه، وحَمَلَ من تَحتها فبَـراهَا بسيفه، وأثر فى أصحـابها، حتى تَخرَّمَت المَيْمَنةُ من أجـله، وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تَـبسُّمَا، فكان المهلبُ يقولُ: ما شهِد معى حرباً قط إلاَّ رأيتُ البِشْر فى وَجْهه.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج فى هذا اليوم:

فإن تَكُ قَـتْلَى يومَ سِلّى تتـابعتْ فكم غادَرت أسيافنا من قُماَقم!(١)
غـدَاةَ نَـكُرُّ المشـرفَّـيـة فـيـهم بسُــولاف يوم المـأزق المَتــلاَحِم

المأزقُ: هو يومُ تَضَايُق الحرب. والمَتَلاحِمُ: نعتٌ لـه. وَالَمشْرَفَّيَةُ: السُّيوف. نُسِـبْت إلى المشارف مِنْ أرضِ الـشَّامِ، وهو الموضعُ الملـقبُ «مُوتة» الذى قـتِل به جعفرْ بن أبى طالب وأصحابهُ.

* * *

[قال الأخْفَشُ: كان المَبردُ لا يَهْمِزُ «مُـؤْتَةَ» . ولم أَسْمَعْهاَ من علمائِنا إلا بالهمِزِ] .

* * *

قال أبـو العباس : فـكَتب المهلب إلى الحـارث بن عبـد الله بن أبى ربيـعة القبِاع.

---

(١) القماقم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإنا لقينا الأزارقةَ المارقةَ بحدٍّ وَجدٍّ، فكانتْ فى الناس جَوْلَةٌ، ثم ثابَ أهلُ الحفاظ والصبر، بنّيات صادقة، وأبدان شدَاد، وسيوف حدَاد ، فأعْقبَ اللهُ خيرَ عاقبة، وجاوزَ بالنعمة مقدارَ الأمل، فصاروا دَرئةَ رماحنا، وضَرائبَ سيوفنا[1]، وقَتَلَ اللهُ أميرَهُم ابنَ الماحُوز. وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوَّلها، والسلام.

* * *

فكَتَبَ إليه القباعُ :

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأزْد. فرأيتكَ قد وَهَبَ اللهُ لك شرفَ الدنيا وعِزَّها. وذَخرَ لك ثوابَ الآخرةِ ـ إن شاء اللهُ ـ وأجْرها، ورأيتُك أوثقَ حصونِ المسلمين. وهادُّ أركانِ المشركين، وأخا السياسةِ وذا الرِّياسةِ، فاسْتَدِمِ اللهَ بشكره يتْمِمْ عليك نِعَمَهُ، والسلام .

* * *

وكتب إليه أهل البصرة يُهَنِّئُونَه، ولم يكتب إليه الأحنفُ، ولكن قال: اقرءوا عليه السلام، وقولوا له: أنَا لَكَ على ما فارقْتُك عليه، فلم يزَلْ يقرأ الكتبَ ويَلْتَمسُ فى أَضْعافها كتابَ الأحنف، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه: أمَا كَتَبَ إلينا؟ فقال له الرسول: حمَّلنى إليك رسالة . وأَبْلَغُه. فقال: هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتبِ.

* * *

واجتمعت الخوارجُ بأَرجَانَ، فبايعُوا الزُّبيرَ بن علىٍّ، وهو من بنى سَليطِ بن يَرْبُوعٍ، من رَهْطِ ابن الماحوز، فرأى فيهم انكساراً شديداً وضَعْفاً بيِّناً، فقال لهم: اجْتَمعُوا، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم أَقْبل عليهم فقال: إنْ البَلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ وأجرٌ، وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخزْىٌ، وإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ، وقد أَصبتُم فيهم[2] مُسْلِمَ بن عُبَيْس ورُبيعاً الأجْذَمَ والحجَّاج بنَ بابٍ وحارثَةَ بنَ بدرٍ. وأشْجَيْتُمُ المهلبَ. وقتلتم

(١) الدرئة : الحلقة يتعلم فيها الرمى والطعن، والضرائب جمع ضريبة . وهى كل ما ضربت بسيفك .
(٢) ر : « منهم » .

أخاهُ المُعَـارك، والله يقولُ لإخوانـك منَ المؤمنين: ﴿**إن يَمْسَسْكَمْ قَرْحٌ فـقدْ مَسَّ القوم قَـرحٌ مثْلُه وتـلك الأيَّامُ نُدَاوِلُها بَـيْنَ النَّاس**﴾[1] ، فَيَومٌ سلَّـى كان لكم بلاءً وتمحيصاً، ويومُ سُولافَ كان لهم عُقوبة ونكالاً، فلا تُغْلَبُنَّ على الشُّكْرِ فى حِينِه، والصَّبْر فى وقته، وثِقُوا بأنكم المستخلَفون فى الأرض، والعاقبةُ للمتَّقين.

ثم تَحَمَّل لمحاربة المُهَلَّب. فنفحَهُمْ[2] المهلبُ نَفْحَةً. فرجعَوا فأكْمنَ للمهلَّب فى غُمْضٍ من غُمُوض الأرض[3]، يَقْرُبُ من عسكره، مائةَ فارس ليَغتالُوه، فسار المهلبُ يوماً يطوفُ بعسكره ويتفقد سَـوَادَه، فوقَف على جبلٍ فقال: إن من التَّدْبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمَنتْ فى سَفْحِ هذا الجـبل كميناً، فبعثَ عَشَرة فوارس، فاطَّلعُوا على المائة، فلما علِمُوا أنهم قد علموا بهم قَطَعوا القَنْطَرة ونجَوا، وكَسفَت الشمسُ، فصـاحوا بهم: يا أعداءَ الله! لو قامـت القيامة لجَدَدْنَا فى جـهادكم. ثم يَئس الزُّبيـر من ناحية المـهلّب، فَضَرَبَ إلى ناحـية أَصبَـهَان، ثم كَرَّ راجـعاً إلى أَرْجَانَ، وقد جَمع جموعاً، وكان المهلّبُ يقـول: كأنىَ بالزُّبير وقد جمع جموعاً، فلا تَرْهبوُهُمْ فَتَـخْبُثَ قلوبُكم، ولا تُغْفلُوا الاحتراسَ فيَطمعُـوا فيكم، فجاءوه من أرجَانَ فألْفَوهُ مُسـتَعدا آخذاً بأفواه الطرق. فحاربوه فظَهَرَ عليـهم ظهوراً بيِّناً. ففى ذلك يقول رجلٌ من بنى تميمٍ. أَحْسِبُهُ من بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوع:

سَـقـى اللهُ المهـلبَ كـل غَـيْـث ... من الوَسْـمىِّ يَنْـتَحـر انتحـارَا[4]

فـمـا وهَن المـهلَّـبُ يومَ جـاءتْ ... عَـوابُس خَـيْلهـم تَبْـغى الغِـوَارَا

وقال المهـلَّبُ يومئذ: مـا وقعتُ فى أمـرٍ ضيِّقٍ من الحرب إلا رأيـتُ أمامى رجـالا من بنى الـهجَـيمِ بـن عَمْـروِ بن تمـيمٍ يُجَـالِدُونَ ، وكـأنَّ لحـاهُمْ أذنابُ العقَاعِق[5]. وكانوا صَبَرُوا معه فى غير مَوْطِن .

* * *

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٢) فنفحهم : دفعهم .

(٣) ألغموض : جمع غمض؛ وهو المطمئن من الأرض .

(٤) ينتحر انتحارا ؛ كذا تقول العرب للسحاب إذا انبعق بماء كثير ؛ قال الراعى :

فـمـرَّ عَلَـى مـنَازِلـهَـا وَألْـقـى ... بهـا الأثْقَالَ وَانـتحَـرَ انتحَـارَا

(٥) العقاعق : جمع عقعق ؛ وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب .

وقال رجلٌ من بني تميمٍ. من بني عَبْشَمْسِ بن سَعْدٍ :

ألاَ يامَنْ لِصَبٍّ مُسْتَحِنٍّ (١) قَريح القلب قد صَحِبَ المَزُونَا
لهانَ علَى المهلَّب مالَقِينا إذا ما راحَ مَسْروراً بَطِينَا
يجُرُّ السَّابرِيَّ ونَحنُ شُعْثٌ كأنَّ جلودَنا كُسِيَتْ طحِينَا(٢)

المَزونُ : عُمَانَ . وهو اسم من أسمائها، قال الكُمَيْتُ :

فأمَّا الأزْدُ أزْدُ أبي سعيدٍ فأكْرهُ أن أُسَمِّيَهَا المَزُونَا

وقال جريرٌ :

وأطْفأتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلها وقد حاولوها فتنة أن تُسَعَّرَا

* * *

وَحَمل يومئذ الحريشُ بن هلال على قيسِ الإكافِ، وكان قيسٌ من أَنْجَدِ فُرْسانِ الْخوارج، فطعنه فَدَقَّ صلْبَهُ، وقال:

قَيْسُ الإكافِ غَداةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُني ثَبْتَ الُمقَام إذا لاقيتُ أقرابي

* * *

وقد كان فُلُّ المهلبِ يوم سِلَّى وَسِلَّبْرَى صاروا إلى البصرة، فذكروا أن المهلب أصيبَ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنقلة إلى البادية، حتى وَرَدَ كتابُه بظفره، فأقام الناسُ، وتَرَاجعَ من كان ذَهب منهم، فعند ذلك يقول الأحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصرةُ المهلَّبِ. وقدمَ رجلٌ من كِنْدةَ يقال له فلانُ بنُ أرْقَمَ، فنعَى ابنَ عمٍّ له. وقال: رأيتُ رجلا من الخوارجِ وقد مكَّنَ رمْحه من صُلْبه، فقدمَ المَنْعِيُّ، فقيلَ له ذلك. فقال: صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه بين كتِفَيَّ صحتُ: البَقِيَّةَ! فرَفَعه عنيَ، وتَلاَ: ﴿بقيَّةُ الله خَيْرٌ لكُم إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنين﴾(٣).

* * *

(١) مستحن : من الحنين . (٢) الثوب السابرى : الرقيق .

(٣) سورة هود ٨٦ .

ووَجَّهَ المهلّبُ بِعَقِب هذه الوَقعَةِ رجلا من الأزدِ، برأس عُبَيْد الله بن بَشير ابن الماحُوز إلى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القُباع. فلما صار بِكُرَبج[1] دينار لَقيهُ حَبيبٌ وعبدُ الملك وعليٌّ، بنو بَشير بن الماحوز، فقالوا له: ما الخبرُ؟ولا يَعْرِفُهم، فقال: قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوز، وهذا رأسُه مَعى. فَوَثَبوا عليه فقتلوه وصَلَبوه ودَفَنوا الرأسَ، فلما وَلِىَ الحجَّاجُ دخل عليه علىٌّ بن بَشير، وكان وَسيما جَسيما، فقال: مَنْ هذا؟ فَخُبِّر، فقَتَلَهُ، ووهب ابنهَ الأزْهَرَ وابنَتَهُ لأهل الأزدىِّ المقتولِ، وكانت زينب بنتُ بشير لهم مُواصِلةَ، فوهبوهما لها.

[تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه المهلب]

فلم يَزَل المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ فى ولايَة الحارث القُبَاعِ، حتى عُزِلَ الحارثُ ووُلِّىَ مُصْعبُ بن الزُّبير، فكَتَب إليه أن أَقْدَمْ علىَّ، واستخلف ابنَك المغيرةَ، ففَعل، فجَمعَ الناسَ فقال لهم: إنى قد استخلفتُ عليكم المغيرة. وهو أبو صغيركم رقة ورُحمة، وابنُ كبيركم طاعة وبِراً وتبجيلاً، وأخو مثْله مُواساةً ومنَاصحةً، فلْتحسُنْ له طاعتُكمْ، ولْيلِنْ له جانبكم، فوالله ما أردتُ صوابا قط إلا سَبقنى إليه. ثم مضى إلى مُصْعَب، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته، وكتب إليه: إنك لم تكُنْ كأبيك، فإنك كافٍ لما ولَّيْتكُ، فشَمِّرْ واتْزِرْ وجِدَّ واجتهدْ.

* * *

ثم شَخَصَ المصْعَبُ إلى المذار[2] فَقَتَلَ أَحْمَرَ بن شميْط، ثم أتى الكوفةَ فقتلَ المختارَ بن أبى عُبَيْدٍ. وقال للمهلّبِ: أشِرْ علىَّ برجلٍ أجْعلْه بينى وبين عبد الملك فقال: أذكُر لك واحداً من ثلاثة: محمد بن عُمَير بن عُطارِد الدارمىَّ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكىَّ أو داود بن قَحْذَم. فقال: أو تكفينى؟ قال: أكْفيك إن شاء اللهُ، فولاه المَوْصلَ. فشَخصَ المهلَّب إليها.

(١) موضع قريب من الأهواز .

(٢) المذار : بلد فى ميسان بين واسط والبصرة، وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام .

[مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج]

وصار مـصْعَب إلى البصـرة، فسأل: مَنْ يَسْـتكفى أمر الخـوارج ويَفدْ إلى أخيه؟ فشاور الناس، فقال قومٌ: وَلِّ عُـبيدَ الله بن أبي بكْرَةَ. وقال قومٌ: وَلِّ عمر ابن عُبيد الله بن مَعْمر، وقال قومٌ: ليس لهم إلاَّ المهلبُ فارْدُدْهُ إليهم.

وبَلَغت المَشـورة الخوارجَ ، فأداروا الأَمْـرَ بينهم، فـقال قطَرِيٌّ بن الفُـجاءَة المازنى: إن جـاءكم عبيـد الله بن أبى بكْرة أتاكم سـيِّدٌ سمْـحٌ جوادٌ كريمٌ مُـضيعٌ لعسكره. وإن جاءكم عُمـر بن عبيد الله بن معْمَرٍ أتاكم شـجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ، يقاتلُ لدينه ومُلْكه، وبطبـيعةٍ لم أرَ مثلَها لأحد، فقد شهـدتَه فى وقائعَ فما نودىَ فى القوم لحـربٍ إلا كان أول فارس يطْلُعُ حتـى يَشُدَّ على قِرْنه فيَـضربَه، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قـد عرفتموه، إن أخذتم بطَرف ثوب أخَذَ بـطرفه الآخرَ، يَمُدُّه إذا أرسلتـموه، ويُرْسله إذا مـددتُموهُ، لا يَبْـدؤكم إلاَّ أن تَبْدءَوهُ، إلا أن يَرَى فَـرَصَةً فينتهزَها. فهو الليث المبرُّ [1] ، والثعلبُ الرَّوَّاغُ. والبلاء المقيمُ.

* * *

فولّى عليهم عمرَ بن عُبَـيْدِ الله، وولاَه فارسَ ، والخوارج بأَرَّجَان، وعليهم الزَّبير بن على السَّليطىُّ. فشخص إليهم فقاتلهم، وألَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصْبهَان، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أن مصـعباً ولَّى عُمرَ بن عُبيد الله قال: رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها.

فَجَمعُوا لـه وأعَدُّوا واستعدُّوا. ثم أتَوْا سَابُورَ. فسارَ إلـيهم حتى نزلَ منهم على أربعـة فراسـخ. فقـال له مالكُ بـن حَسَّـان الأزْدىُّ: إن المهلَّبُ كـان يُذْكى العيونَ. ويخلفُ البـياتَ. ويَرْتَقبُ الغفلةَ. وهو على أبْعَدَ مـن هذه المسافة منهم. فقال له عمر: اسكتْ خَلَعَ الله قلبَك! أتُـرَاكَ تموتُ قبلَ أَجَلَكَ! فأقام هناكَ. فلما كان ذاتَ ليلةٍ بَيَّتَهُ الخوارجُ. فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ. فلم يَظْفَرُوا منه بشيءٍ. فأَقـبلَ على مالكِ بن حَـسَّانٍ فقال: كـيف رأيتَ؟ قال: قـد سَلَّمَ الله عزَّ وجل. ولم

---

(١) المبر : الغالب .

يكونوا يَطمعون منَ المهلَّبِ بمثلها. فقال: أَمَا إنكم لو ناصحتموني مُناصحَتَكم المهلَّبَ لَرجَوْتُ أن أَنْفِي هذا العدوَّ. ولكنكم تقولون: قُرَشِيٌّ حجازيٌّ بَعيدُ الدار. خيْرُهُ لغيرنا. فتقاتلون معي تَعْذيراً.

* * *

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم، فقاتَلهم قتالا شديداً. حتى ألجأهَمْ إلى قنطرة. فتكاثف الناسُ عليها حتى سقطت، فأقام حتى أصلَحها، ثم عَبَرُوا، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بن عمرَ - وأمُّه من بنى سَهْمِ بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعْب - فقاتلهم حتى قُتِلَ، فقال قَطَرِيٌّ: لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور. ولم يعلم عمر بقتل ابنه؛ حتى أفْضَى إلى القوم، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّاد. فصاح به: يانعمانُ، أين ابنى؟ فقال: أحْسَبُه (1(أيها الأمير)1). فقد استُشْهِدَ رحمه الله صابراً مُقْبِلا غيرَ مُدْبر، فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم حمل على الناس حمْلةَ لم ير مثلها. وحَمل أصحابُه بحمْلته. فقتَلُوا فى وجْههم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج، وحَمَل على قَطَرِيٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ. وانهزمت الخوارج. وانتَهَبَها، فلما استقرُّوا قال لهم قطَرِيٌّ: أما أشرت عليكم بالانصراف! فجعلوه وجوهَهم حتى خرجوا من فارسَ.

وتلقَّاهم فى ذَلك الوقتِ الفزْر بن مِهْزَم العَبْدِيُّ فسألوه عن خبره، وأراد قتلَه. فأقبل على قَطَرِيٍّ فقال: إنى مؤمنٌ مهاجرٌ. فسأله عن أقاويلهم، فأجاب إليها فخلَّوْا عنه، ففى ذلك يقول فى كلمة له:

وشَدُّوا وِثَاقِى ثم أَلْجَوْا خصومَتى[2] إلى قَطَرِيٍّ ذى الجبين المُفَلَّقِ
وحاججْتُهم فى دينهم وحَجَجْتُهْم[3] وما دينهم غيرُ الهوَى والتَخلُّقِ

ثم إنهم تراجعُوا وتكانفوا.

(1-1) ساقط من ر.
(2) ألجوا: أصله ألجئوا.
(3) حاججتهم: نازعتهم.

[قال الأخفش: تكانفوا أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا
وصار بعضهم في كنف بعض]

وعادُوا إلى ناحيةِ أرجَانَ. فسار إليهم عمر. وكَتب إلى مُصْعَب: أما بعدُ فإني قد لَقيتُ الأزارقَةَ. فرزقَ الله عُبَيْدَ الله بن عمر الشهادةَ، وَوَهَبَ له السعادة. ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ. فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَر، وبلغَتْني عنهم عوْدةٌ، فَيمَّمتهم، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ.

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد. فالْتقوا. فألح عليهم حتى أخرجهم. وانفردَ عمر[1] من أصحابه. فَعَمَد له أربعةَ عشر رجلاً منهم، من مَذْكوريهم وشُجْعانهم وفي يده عمودٌ. فجعل لا يضرَبُ رجلا منهم ضربةً إلا صرَعهُ. فَركَضَ إليه قُطَرِيٌّ على فرس طمرَّة[2]. وعمر على مُهْر فاستثاره قطَري بقوة فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ. فَبصُرَ به مُجَّاعةَ فأسرع إليه. فصاحت الخوارجُ بقطريٍّ: يا أبا نُعامةَ! إنَّ عدوَّ الله قد رَهقَك. فانحطَّ قطرى عن قَربوسه. فطعنه مُجَّاعة. وعلى قطريٍّ درعان فهتكهما، وأسرعَ السِّنان في رأس قطريٍّ، فكَشَطَ عنه جلده ونَجَا.

وارتحلَ القومُ إلى أَصبُهَان فأقاموا بها[3] بُرْهَة، ثم رجَعوا إلى الأهواز. وقد ارتحل عمر بن عُبيد الله إلى إصْطَخْرَ. فأمر مُجَّاعةَ فَجَبَى الخراج أسبوعاً. فقال له[4]: كم جَبَيْتَ؟ قال: تِسْعَمِائَةِ ألفٍ. فقال: هى لك. فقال يزيد بن الحكم الثقفيُّ لمجاعة:

ودَعاكَ دَعوَةَ مُرْهَقٍ فأجبتَهُ[5] عُمَرٌ وقد نَسيَ الحياة وضَاعا
فَرددتَ عاديةَ الكتيبة عن فَتى[6] قد كاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أَوْزاعا[7]

---

(١) ساقط من ر.
(٢) ر: «طمر». والطمرة: الطويلة الخفيفة القوائم.
(٣) ساقطة من ر. (٤) ساقطة من ر.
(٥) المرهق: الذى أدرك ليقتل.
(٦) العادية: الخيل تعدو. (٧) أوزاعا: قطعا.

وعُزلَ مُصْعَبُ بن الـزبير ووُلّىَ حمزة بن عبد الله بن الزبيـر، فوَجَّهَ المهلَّبَ إليـهم، فحـاربهم فـأخرجهـم عن الأهواز، ثم رُدَّ مـصْعَب والمهـلبُ بالبـصرة، والخوارج بأطراف أصْبَهان والوالى عليهـا عَتَّابُ بن ورقَاءَ الرِّيَاحىُّ، فأقام الخوارج هناك شيئاً يجبونَ القُرَى. ثم أقـبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ، فكَتَب مُصْعَب إلى عمر بن عـبيد الله: ما أنصفْـتَنَا. أقمتَ بفارسَ تجبى الخراجَ ومـثل هذا العدوِّ يحاربكَ! والله لو قـاتلتَ ثم هربتَ لكان أَعْذر لـك، وخرج مصعبٌ من الـبصرة يريدهم. وأقبلَ عمـر بن عبيد الله يريدهم، فتنحَّـى الخوارجُ إلى السُّوسِ، ثم أتَوا المدائنَ، فقتـلوا أَحْمَرَ طَيِّئٍ. وكان شجـاعاً، وكان من فُرْسانِ عُبَـيد الله بن الحُرِّ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

تركـتم فَتى الفِـتْيـانِ أَحْمَـرَ طَيِّئٍ   بسَـاباطَ لم يَـعْطِفْ علـيه خـلَيلُ

ثم خرجوا عامـدين إلى الكوفة، فلما خالطوا سوادَهـا، وواليها الحارثُ بن عبد الله القَـباع. فتثـاقل عن الخُروجِ وكان جَبَـاناً، فَذَمَرَهُ[1] إبراهيمُ بن الأشْـتَرِ، ولامَهُ الناسُ. فَخَرَج متحاملا حتى أتى النُّخَيْلَة، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

إن القَـبـاعَ سـار سَـيْـراً نُكْرَا   يسـيـرُ يـومـاً ويُقـيـمُ شـهـرَا

وجعل يَعِـدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ. والخوارجُ يـفشون[2]، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلةً، ثم أرادوا قتلَها، فقالتْ: أتَقتلون مَنْ يُنشَّأُ فى الحِلْيَـة وهو فى الخِصَامِ غيْر مُـبين! فقال قال منهم: دعُوها، فـقالوا: قد فَتَنتْكَ، ثم قَدَّمُوها فقَتَلُوها، ثم قَرَّبوا أخـرى. وَهُمْ بحذَاء القباعِ، والجِسْرُ معقودٌ بينهما، فَقَطعه القبَاعُ، وهو فى ستة آلاف، والمرأةُ تستغيثُ به وهى تَقول[3]: عَلامَ تقتلوننى؟ فوالله ما فَسَقتُ ولا كَـفَرْتُ ولَا ارْتَدَدتُ! والناسُ يَتَفَلّتُونَ إلى الخوارج، والقُباع يمنعهم، فلما خاف أن يَعْصـوه أمر عند ذلك بقطع الجِسر. فأقام بين دَباهَا ودَبيرى[4] خمسـةَ أيام، والْخوارجُ بقربـه، ويقـول للناس فى كل يوم: إذا لقـيتم العدوَّ غداً فأَثْبتُوا أقدامكم واصـبِرُوا، فإن أوَّلَ الحرب التَّرامِى. ثم إشْرَاع الرِّماح،

---

(١) الذمر: الحض.
(٢) ر: «يعيثون». س: يعبثون.
(٣) ر: «وتقول».
(٤) دباها ودبيرى: قريتان من قرى بغداد.

ثم السَّلَّةُ(١)، فَثَكلت رجلاً أمُّهُ فَـرَّ من الزَّحْفُ! فقال بعضُهم لمّا أكثـر عليهم: أمَّا الصِّفَةُ فقد سمعناها، فمتى يَقَعُ الفعلُ؟ وقال الراجزُ:

إن القُـبـاع سـار سَـيْـرًا مَـلْسَـا ... بين دبـاها ودبِيـرَى خـمـسـا (٢)

فأخذ الْـخوارجُ حاجتهـم، وكان شأنُ القُبَـاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثم انـصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا مـن فورهم إلى أَصْبَهَان، فبعثَ عَـتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الزُّبير بـن عليٍّ: أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تقـصدُ فى انصرافـك من كل حرب غيرى. فبعث إليه الزُّبير: إن أدنى الفاسقينَ وأبعدهم فى الحق(٣) سَواءٌ.

وإنما سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبـد الله بن أبى ربيعةَ القبَاعَ، لأنه وَلِيَ البـصرةَ فَغَيَّر على الناس مكايـيلَهم، فَنَظر إلى مكيـال صغير فى مَـرآة العَيْنِ وقد أحـاط بدقيقٍ استكثَره، فـقال: إن مكيالكم هذا لَقباعٌ. والقُبَاعٌ الذى يُخْفى أو يَخْفَـى ما فيه، يقال: انْقَبَعَ الرجلُ، إذا استَتَرَ، ويقال للقنفُذ القُبَع، وذلك أنه يَخْنسْ رأسَه.

قال أبو العبـاس: وأقام الخوارجُ يغَادُونَ عَتَّاب بن وَرْقَاءَ القـتالَ ويُراوِحُونَه، حتى طال عليـهم المُقامُ، ولم يَظْفَرُوا منه بكَبيـر، فلما كَثُرَ ذلك عليـهم انصرفُوا، ولا يَمُرون بقريةٍ بين أصْبَهَانَ والأَهْوَازِ إلا استباحوها وقَتَلوا من فيها.

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس فيهم(٤)، فاجتمع(٥) رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارج مشاورته(٦)، فقال لهم قَطَرىٌّ: إنّ جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ فهو فاتكٌ يَطْلُعُ فى أوّلِ الْمقنب(٧) ولا يَظْفَرُ بكَبِـير، وإن جاءكم عُمر بن عـبيد الله ففارسٌ يُقْـدمُ، فإمَّا له وإمَّا عليه، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لا يُنَاجزُكمْ حتى تناجزوه، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم، فهو البَلاءُ اللازم، والمكروهُ الدائمُ.

وعَزم المصعَب على توجيه المهَلب، وأن يَشْخَص هو لحربِ عبد الملك، فلما أحَسَّ به الزُّبير بن عليٍّ خرج إلى الرَّيِّ، وبهـا يزيدُ بن الحارث بن رُؤَيْمٍ. فحاربَه

(١) السلة: استلال السيوف.
(٢) الملس: السير الشد.
(٣) ر: «من الحق».
(٤) ساقطة من ر.
(٥) ر: «فأجمع».
(٦) ر: «مشورته»
(٧) المقنب: جماعة الخيل.

ثم حَصَره. فلما طال عـليه الحصارُ خرجَ إليه، فكان الظّفَرُ للـخوارج، فقتلَ يزيدْ ابن رُؤَيْمٍ. ونادَى يؤمئذ ابنَه حَـوْشَباً ففرَّ عنه وعن أمِّه لَطيـفَة. وكان عليٌّ بن أبى طالب عليـه السلام دخلَ على الحارث بن رُؤَيْـمٍ يعود ابنَه يزيدَ. فقـال له: عندى جاريةٌ لطيفةُ الْخدمة أبعثُ بها إليك، فسماها يزيدُ لطيفة، فقتلتْ معه يومئذٍ. وفى ذلك يقول الشاعر:

مَـــوَاقِـفـنا فـى كـلِّ يوم كــريهــة ... أَسـرُّ وأشـفَى من مَـوَاقـفَ حَـوْشَبَ
دعـــاه يـزيـدٌ والـرِّمـــاحُ شـــوَارِعٌ ... فلـم يَسْـتَـجِبْ بَـل راغ تَرْوَاغَ ثَعْـلَبَ
ولو كــان سَهْمَ النَّـفْس أو ذا حَفـيظَةٍ ... رأى ما رأى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ

وقد مَرَّ خبر عيسى بن مُصْعَبٍ مستَقْصًى، وقال آخرُ:

نَجَّـى حَلِيلَـتَـهُ وأسْلَمَ شَـيْـخَـه ... نصْـب الأسنَّة حَـوْشَبُ بن يَـزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى برْدَةَ يُعَـيِّره بأُمه. وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف ابن عمر: يابنَ حَـوْراءً. فقال بلال - وكان جلداً: إن الأمَةَ تُسَـمَّى حَوْرَاءَ وَجَيْداءَ ولَطيفةَ.

وزَعَمَ الكلْبىُّ أن بلالا كان جَلْداً حين ابْتُلى(1) . قال الكلبىُّ: ويُعْجبنى أن أَرَى الأسيـرَ جَلْداً - قال: وقال خـالدُ بن صَفْوانَ له بـحضرة يوسفَ بن عـمرَ: الحمدلله الـذى أزال سُلطانَكَ وهَدَّ رُكْنَك، وغيَّـرَ حَالَك. فوالله لقـد كنتَ شديدَ الحِجاب. مستْخـفًّا بالشريف. مُظْهرًا للعَصبيَّة. فـقال له بلالٌ: إنما طالَ لسانُك يا خالدُ لثلاث معك هُنَّ علىَّ: الأمرُ عليـك مقبلٌ وهو عنى مُدْبرٌ. وأنت مُطْلق وأنا مأسـورٌ. وأنت فى طينَتك وأنا فى هـذا البلد غريبٌ. وإنما جَـرَى إلى هذا؛ لأنَّه يقال إنَّ أصلَ آل الأَهْتَمِ من الحيرة، وإنهم أُشابةٌ(2) دخلتْ فى بنى مِنْقَر من الرُّومِ.

ثم انحطَّ الزُّبير بن علىٍّ على أصْبَهَانَ، فَـحصَرَ بها عَتَّابَ بن وَرْقَاءَ الرِّيَاحىَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتَّابٌ يُحَاربه فى بعضـهنَّ، فلما طال به الْحصارُ قال لأصحابه: ما تنتظرون؟ واللهِ مـا تُؤْتَوْنَ من قِلّةٍ. وإنكم لفـرسانُ عَشَائـركم. ولقد حاربتـموهم

(1) ر: «حيث ابتلى».

(2) الأشابة: الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدا. كالأوباش والأوشاب قاله المرصفى.

مراراً فانتصفتم منهم، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلا أن تفْنَى ذخائرُكم. فيموتَ أحدكْمُ فَيدْفنَه أخوه. ثم يموتَ أخوه فلا يَجد مَن يدفنُه، فقاتلوا القوم وبكم قوةٌ، من قَبْلِ أن يَضْعُفَ أحدُكُم عن أن يَمْشِي إلى قرنه. فلما أصبح الغدُ صلّى بهم الصبحَ. ثم خرج بهم[1] إلى الخوارج وهم غارّونَ، وقد نَصَبَ لواءً لجارية له يقال لها ياسمين، فقال: من أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواء يَاسمينَ، ومَن أرادَ الجهادَ فليخْرُجْ مَعِي. فَخَرَج في ألفين وسَبْعمائَة فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ. فقاتَلوا بجدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثله. فعَقَروا منهم خلقاً كثيراً وقتَلوا الزُّبير بن عليٍّ. وانهزمت الْخوارج، فلم يَتَّبِعْهمْ عَتَّابٌ، ففي ذلك يقولُ الشاعر:

وَيَوْمٌ بَحيٍّ تُلافَيْتَه ... ولولاك لاَصْطُلِم العَسْكَرُ[2]

* * *

– قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قوله: «ولولاكَ» في آخر هذا الْخبر إن شاء الله– وقال رجلٌ من بني ضَبَّةَ في تلك الوقعة:

خَرَجْتُ من المدينة مُسْتَميتاً ... ولم أكُ في كَتيبَةِ ياسميناَ
أَلَيْسَ من الفضائل أنَّ قَومي ... عدَوْا مَسْتَلْئمينَ مُجاهِدينَا

وتزعُم الرُّواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقَفُونَ، ويَحْمِلُ بعضهم على بعضٍ، وربما كانت مُواقفَةٌ لغير حرب[3]، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم. وكان رجلٌ من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شُرَيحٌ، ويُكْنى أبا هُرَيْرَةَ. إذا تَحاجزَ القومُ مع الْمَساءِ نَادى بالْخوارج وبالزُّبير بن عليّ:

يا بنَ أبي المَاحُوز والأَشْرَارِ ... كيف تَرَوْنَ ياكلابَ النّار!
شَدَّ أبي هُريرةَ الهرَّارِ ... يَهُرُّكُمْ باللَيلِ والنهار[4]
ألم تَروْا جَيًّا عَلَى المِضمارِ ... تَمْسِي من الرحمن في جِوارِ[5]

---

(١) ساقط من ر.
(٢) الصلم في الأصل. قطع الأذن.
(٣) ر: «بغير حرب».
(٤) أصل الهرير في الكلب والذئب، إذا كشر كل منهما عن نابه، واستعمل في الرجل تجاوزاً.
(٥) المضمار: الغاية.

فغاظَهُم ذلك منه، فكَمَنَ له عُبَيْدَة بن هلال فضربه، واحْتَمَلَهُ أصحابه، فظنَّت الْخوارجُ أنه قد قُتل، فكانوا إذا تَواقفوا نادَوْهُمْ: ما فعَل الهرارُ؟ فيقولون: ما به من بأْس، حتى أَبلَّ من علَّته، فخرج إليهم فصاح: يا أعداء الله. أَتَرَوْنَ بى بأساً! فصَاحُوا به: قد كُنَّا نَرَى أنكَ لَحِقتَ بأمِّك الهاويَة، فى النار الحامية.

* * *

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ أشياءَ من العربية تحتاج إلى الشرح. من ذلك قوله: «ولَوْلاَكَ»، ومنه قوله: «ألم تَرَوْاجَيًّا» ومنه قولهُ: «يَهُرُّكُمْ بالليل والنهار».

أما قوله: «لَولاَكَ» فإن سيبويه يزْعُمُ أنَّ «لَولاَ» تَخْفِضُ الْمُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ بعدها الظّاهرُ بالابتداء، فيقالُ: إذا قلتَ: لولاكَ، فما الدليلُ على أن الكافَ مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً، وضميرُ النَّصب كضمير الْخفضِ؟ فتقولُ: إنك تقولُ لنفسك: لولاىَ، ولوكانت منصوبةً لكانت النونُ قبل الياء، كقولك: رمانى وأعطانى. قال يزيد بن الحكم الثَّقَفىُّ:

وكمَ مَوْطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأَجرَامِه من قلَّة النِّيقِ مُنْهَوِى(١)

النيقُ: أعْلى الجبَلِ، وجِرْمُ الإنسان خَلْقُهُ.

فيقالُ له: الضميرُ فى موضع ظاهره، فكيف يكون مختلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فَلمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه، نحو «إنَّ» وما كانَ معها فى الباب؟

وَزَعَم الأَخْفَشُ سَعِيْد أن الضميرَ مرفوعٌ، ولكنْ وافَقَ ضَميرَ الخفضِ، كما يَستَوِى الخفضُ والنصبُ، فيقالُ: فهل هذا فى غير هذا الموضع؟

قال أبو العباس: والذى أقوله أنَّ هذا خطأ لا يصلح، إلا أن تقولَ: «لولا أنتَ»، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْلاَ أَنْتُمْ لكنَّا مُؤْمنيينَ﴾(٢). ومن خالَفنا (٣فهو لابدَّ ٣) يزعمُ أن الذى قلناه أَجْوَدُ. ويَدَّعى الوجه الآخَرَ فيجيزه على بعده.

وأمَّا «جَىّ»، فالأَجْوَدُ فيها أن تقولَ:

ألم تَروْا جَىَّ عَلى المضمَار

فلا تُنَوِّنُ، لأنها مدينَةٌ، والاسمُ أعجمىٌّ، والمؤنثُ إذَا سمى باسمٍ أعجمىٍّ على ثلاثة أحرف ينصرف إذا كان مؤنثاً، وإن كان أوسطه ساكناً. نحو جُورَ وحِمْصَ ومَاهَ (٤)ً. وما كان مثلُ ذلك، ولو كان اسماً لمذكر لانْصَرَف، فإن صرفته

(١) منهوى: ساقط

(٢) سورة سبأ ٣١.

(٣-٣) ساقط من ر

(٤) ساقطة من ر.

جعلته اسماً لبلد، وإن لم تصرفه جعلتَه اسماً لبلدة أو لمدينة، ألا تَرَى أنك تصرفُ نوحاً ولوطاً، وهما أعجميَّان؟ وكذلك لو كان على ثلاثةِ أحرف كلُّها متحركٌ، لأنك تَصْرِف «قَدَماً» لو سمَّيْتَ بها[1]. رجلا فالأعجميُّ بمنزلة المؤنث، لأن امتناعَها واحدٌ.

وأمَّا قولهُ: «يَهُرُّكُمْ» فإن كلَّ ما كان من المضاعَف على ثلاثة أحرف وكان متعدِّيا، فإن المضارِعَ منه على «يَفْعَلُ» نحو شَدَّه يَشُدُّه، وزرَّه يزُرُّه، وردَّه يرُدُّه، وحَلَّه يحله. وجاء منه حرفان على «يَفْعِل» و «يَفْعُل»، فيهما جيد: هره يَهِرُّه، إذا كرهه، ويَهُرُّه أَجْوَدُ، وعَلَهُ بالحَنَّاء يعلّهُ، ويَعُلُهُ أَجْوَدُ. ومن قال: حَبَبْتُهُ قال: يَحِبُّه لا غيرُ. وقرأ أبو رَجَاءِ العُطاردى: ﴿فاتبعُونى يَحِبَّكُمُ الله﴾[2]. وذلك أنْ بنى تميمٍ تدْغمْ فى موضع الجزمِ، وتَحَرِّكُ أواخره لالتقاء السَاكِنَيْن.

[ولاية قطرى بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له]

رجع الحديث.

قال أبو العباس: ثم إن الخوارجَ أدَارُوا أمرَهم بينهم، فأرَادُوا توليةَ عَبَيْدة بنَ هلال، فقال: أَدُلكمْ على منْ هو خيرٌ منّى! مَنْ يُطاعِنُ فى قُبُلٍ، ويَحْمِى فى دُبُرٍ، عليكم قَطَرِىَّ بن الفُجاءَة المازنىَّ. فبايَعُوه. فوقَفَ بهم فقالوا: يا أمِيرَ المؤمنينَ. امضِ بنا إلى فارس. فقال: إن بفارسَ عُمرَ بن عُبيد الله بن مَعْمَر. ولكنْ نَصيرُ إلى الأهواز. فإن خرجَ مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها. فأتوا الأهواز ثم تَرفَّعُوا عنها إلى إيذَجَ[3]. وكان المصعب[4] قد عَزم على الخروج إلى باجُمَيْرَا[5] فقال لأصحابه: إنَّ قُطَرِيًا قد أطَلَّ علينا، وإنْ خرجنا عن البصرة دَخلها، فَبَعَثَ إلى المهلّب فقال: اكْفِنَا هذا العدوَّ، فخرجَ إليهم المهلَّب، فلما أَحَسَّ به قطرىٌّ، يَمَّمَ[6] كِرْمَانَ، فأقام المهَلبُ بالأهوازِ، ثم كرَّ قطرىٌّ عليه وقد استعد. فكان الخوارج فى جميع حالاتهم أحسنَ عُدَّةً ممن يقاتلهم، بكثرة السِّلاحِ، وكثرة الدوابّ، وحَصَانَةِ الجُنَنِ، فحارَبَهم المهلّبُ، فنفاهم إلى رامَ هُرْمُزَ.

وكان الحارث بن عَميرَةَ الهَمْدانىُّ قد صارَ إلى المهلَّب مُرَاغمًا لعَتاب بن وَرْقاء، يقالُ إنه لم يُرْضِه عن قتله الزبيرَ بن علىّ، وكان الحارثُ بن عَميرَةَ هو الذى تولّى قتلَه وحاصَ إلَيه أصحابُه، ففى ذلك يقولُ أَعْشَى هَمْدَانَ:

---

(١) ر: «به». (٢) سورة آل عمران ٣١. وهى قراءة شاذة. وقرأها الأربعة عشر: «يحببكم» بفك الإدغام:
(٣) إيذج: بالمد بين خوزستان وأصبهان. (٤) ر: «مصعب».
(٥) باجميرا: بلد دون تكرت. (٦) ر: «تبسم»

إنَّ المَكارمَ أكْملَتْ أسبابُها لابن الليوث الغرِّ من قَحْطان
للفارس الحامى الحقيقة مُعْلماً زاد الرِّفَاق إلى قُرَى نَجْران[1]
الحارث بن عَميرةَ الليثَ الذى يَحمِى العِرَاقَ إلى قُرَى كِرْمَان
ودَّ الأزارقُ لو يُصابُ بطَعْنَةٍ ويَموتُ من فُرْسانهم مائتَان

وتأويلُه: أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أغناها عن التزوُّد، كما قال جريرٌ- وأرادَ ابنٌ له سَفراً، وفى ذلك السَّفَر يحيى بنُ أبى حفصةَ، فقال لأبيه: زَوِّدْنى فقال جريرٌ:

أزَاداً سوَى يَحْيَى تريدُ وصاحباً ألا إن يحيى نعْمَ زَادُ المسافرِ
فما تُنْكِرُ الكوْماءُ ضَرْبَةَ سيفهِ إذا أرملُوا أو خَفَّ ما فى الغَرائر[2]

وقوله: «ويمُوتُ من فرسانِهم» يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفعُ على العطفِ، ويدخل فى التمني. والنصب على الشرط والخروج من العطف، وفى مصحف ابن مسعود: ﴿ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فيُدْهِنُوا﴾والقراءة ﴿فيُدْهِنونَ﴾[3]على العطفِ. وفي الكلام: ودَّ لو تأتِيه فتُحدِّثُهُ، وإن شئتَ نَصبت الثَّانىَ.

* * *

قال أبو العباس: وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراءَ، ثم أتى الخوارجَ خبرُ مَقْتَله بمَسْكِنَ، ولم يأت المهلَّبَ وأصحابهُ، فتواقَفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارجُ: ما تقولون فى المُصْعَب؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مُضِلٌّ، فلما كان بعد يومين أتى المهلَّبَ قتْلُ مُصْعَب، وأنّ أهلَ الشام ناداهم الخوارج: ما تقولون فى مصعب؟ قالوا: لانخبركم، قالواً: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: يا أعداء الله! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ، واليومَ إمامُ هُدًى! يا عَبيدَ الدنيا، عليكم لعنةُ الله!

وولَى خالد بن عبد الله بن أسيد، فَقدمَ فدخل البصرة، فأراد عزلَ المهلب، فأشيرَ عليه بألا يفعلَ، وقيل له: إنما أَمِنَ أهلُ هذا المصر، بأن المهلب بالأهواز،

(١) زيادات ر: ويروى

زادَ الرِّفاق وفارسَ الفُرْسان

(٢) أرملوا: نفد زادهم. (٣) سورة القلم ٩.

وعُمَر بـن عُبيد الله بفـارسَ، فقد تَنَحَّى عـمرُ، وإن نَحَّيْتَ المهلـبَ لم تأمنْ على البصـرة الأزارقةَ (١). فأَبـى إلا عَزْله، فَـقدم المهلَّـب البصـرةَ، وخرج خـالدٌ إلى الأهواز، فأشخَصَه، فلما صار بِكُرْبَجَ دينار لـقيه قَطَرِيٌّ فمنعه حَطَّ أثقاله، وحاربه ثلاثين يوما. ثم أقام قطرىٌّ بإزائه، وخَنْدَقَ على نفسه فقال المهلَّبُ: إنَّ قطرياً ليس بأَحقَّ بالخندق منك. فَـعَبَر دُجَيْلاً إلى شقٍّ نـهرِ تيرَى، واتبعه قطـرىٌّ، فصار إلى مدينـة نَهْرِ تيرَى فـبنَى سورَها وخندقَ عـليها، فـقال المهلَّبُ لخالـد: خَنْدِقْ على نَفْسِك، فإني لا آمَنُ علـيك البيَاتَ، فقال: يا أبا سعيـد، الأمْرُ أعجَلُ من ذلك، فقالَ المهلّبُ لبـعض ولده: إني أَرَى أمراً ضائعاً، ثم قالً لـزياد بن عَمرو: خَنْدق علينا، فخندق المهلّبُ وأمرَ بسُفُنه ففُرِّغَتْ، وأَبَى خالدٌ أن يُفَرِّغَ سفُنَهُ، فقال المهلَّب لفيْروز حُصَيْن: صِـرْ معنا، فقالَ: يا أبا سعيدٍ، الحَزْمُ مـا تقولُ، غيرَ أني أكرهُ أن أفارقَ أصحابى. قال: فكُنْ بقُرْبِنَا، قال: أمَّا هذه فنعَم.

وقد كـان عبدُ المـلك كتب إلى بشـر بن مروان يأمـره أن يمد خالدا بـجيش كثـيف، أميرُه عـبد الرحـمن بن محمـد بن الأشْعَث، فـفعل، فقَـدمَ عليه عـبدُ الرحمنِ، فأقام قَطرىٌّ يغَاديهم القتـالَ ويَراوحُهم أربعين يوماً، فقال المهلَّبُ لمَوْلَى لأبى عُيَيْنَةَ: انْتَـبِذْ إلى ذلك النَّاووسِ(٢) فبتْ عليـه فى كل ليلة، فمتى أَحْـسَسْتَ خَبَراً من الْـخوارج أو حركةً أو صَهـيلَ خيل فاعْجَلْ إلـينا. فجاء ليلةً فـقال: قد تَحرَّكَ القوم. فجلس المهلبُ بباب الْخندق، وأَعدَّ قطرىٌّ سُفناً فيها حطبٌ فأشعلَها ناراً، وأرسلَها على سُفُنِ خالد، وخَرَج فى أَدْبارهـا حتى خالَطَهُمْ. فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلا قتلـه، ولا بدابَّةٍ إلاَّ عَقَرها، ولا بفُـسطاطٍ إلاَّ هَتَكهُ. فأمـر المهلَّبُ يزيدَ ابنَه(٣) فخرج فى مائه فارس، فقاتَلَ وأَبْلَى يومئـذ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسناً، وخرج فَيْرُوزُ حُـصَيْن فى مَواليه، فلم يزَلْ يرميهم بالنَّشابِ هو ومَن مـعه، فأثَرَ أثرًا جميـلاً، فصُرع يزيد بن المهلّب يومـئذ، وصُرِع عبدُ الـرحمن، فحامى عنـهما أصحابُـهما حتى ركـبهُ، وسَقطَ فَيْـرُوزُ حُصَينٍ في

(١) ساقطة من ر.

(٢) الناووس: مقابر النصارى.

(٣) ساقطه من ر .

الْخندقِ، فأخذ بيده رجلٌ من الأزد، فوهَبَ له فَيروزُ حُصَيْن عشرة آلاف درهم، وأصبح عسكرُ خالد كـأنه حَرَّةٌ سَوْداء، فجعلَ لا يَرَى إلاَّ قَتيـلا أو صريعا، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كدْنا نَفْتَـضِحُ، فقال: خندق على نفسك، فإلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكْفِنى أمرَ الْخَنْدق، فجَمعَ له الأحْمَاس(١)، فلم يبقَ شريفٌ إلا عملَ فيه، فصاح بهم الخوارجُ: والله لولا هذا الساحرُ المَزونىّ لكان الله قد دمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّى المَهَلَّبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأمر فيجدونه قد سَبَقَ إلى نقض تدبيرهم، فقال أعْشى هَمْدانَ لابن الأشعثِ فى كلمة طويلةٍ:

[فيروز حصين وبعض أخباره]

وقد ذَكـرنا فى قصر المـمـدودِ أن، من مَدَّ المقـصور لا يجوز، مـا يغنى عن إعادته.

ويَـوْمَ أَهْـوَازِكَ لا تَـنْـسَــــــهَ ليـس الثـنَا والـذكْـرُ بـالدَّاثِـرِ(٢)

ونَذكُر فيُروز حُصَيْن لمَاَ مَرَّ من ذكره:

وكان فيـروزُ حُصَيْن رجلاً جَـيِّدَ البيتِ فى العـجم، كريمَ المحتد، مـشهورَ الآباء، فلما أسلم والى حُصيناً، وهو حُصَـيْن بن عبد الله العَنْبَرِىُّ، من بنى العَنْبر ابن تميم بن مُرّ، ثم من وَلَد طَـريف بن تميم، وكان فيروزُ حُصَيْن شـجاعاً جواداً، نَبيلَ الصَّورة، جـهيرَ الصوتِ، وتَرْوِى الرُّواةُ أن رجلا من العرب كـانت أمُّه فتاة، فقاوَلَ بَنى عمٍّ له، فسبُّوه بالعَجَمِيَّـةِ، ومَرَّ فيروزُ حُصين، فقال: هذا خالى، فَمَن منكم له خالٌ مـثلُه؟ وظَنَّ الفتى(٣) أن فيروزَ لم يسـمعها، وسَمِعَها فـيروز، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى، فاشـترى له منزلا وجاريةً، ووهَبَ له عشرة آلافِ درهم.

ومن مآثره المعروفـة أن الحجاج بن يوسف لما وقَفَ ابنَ الأشعَث برُسْـتَقَابَاذَ نَادَى منادى الحجاجِ: مَنْ أَتـى برأس فيروز فله عشَرة آلاف درهم. ففَـصَلَ فيروزُ من الصَّفِّ، فصـاحَ بالناسِ: مَنْ عرفنى فقد اكـتَفَى، ومَنْ لم يعرفْنى فـأنا فيروزُ

(١) الأحماس. جمع حمس «بضم فسكون». جمع الأحمس، وهم الشجعان المتشددون فى القتال.

(٢) في الديوان ٣٤: بالباد. (٣)ساقطة من ر.

حُصين، وقد عـرفتم مالى ووفائى، مَـنْ أتى برأس الحجاج فله مائـة ألف، فقال الحجاجُ: فوالله[1] لقد تركنى أكثـرُ التَّلَفُّتَ وإنَى لبَيْنَ خاصّتى. فـأتىَ به الحجاج فقال له: أأنت الجاعلُ فى رأسِ أميرِك مائةَ ألف درهم[2]؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمْهَدنّك[3]. ثم لأحْـملنَّكَ، أينَ المالُ؟ قـال: عندى، فـهل إلى الحيـاة من سبيلٍ؟ قال: لا، قال: فأخْرِجْنـى إلى الناس حتى أجمع لك المالَ فلعلَّ قلبك يَرِقُّ علىَّ! فَـفعل الحجـاجُ، فخرج فـيروزُ فـأحلَّ الناس من ودائعه، وأعـتَقَ رقيـقَه، وتَصدّق بماله، ثم رُدَّ إلـى الحجاج فقال: شـأنكَ الآنَ فاصْنَعْ ما شئـتَ، فشُد فى القَصَـبِ الفارسىِّ، ثم سُلَّ حـتى شُرِّحَ، ثم نُضِحَ بالخـلِّ والمِلْح، فما تـأوه حتى ماتَ.

* * *

قال أبو العـباس: ومضَى قطرىٌّ إلى كرْمَـانَ، فانصرف خالدٌ إلـى البصرة، فأقام قطرى بكرْمـانَ أشهراً، ثم عَمَد لفارسَ، وخـرج خالدٌ إلى الأهْواز، ونَدَب للناس رجلا، فَجعَلوا يطلبون المهلّب، فقال خالد: ذَهَب المهلبُ بحظ هذا المصر، إنّى قد ولّيْتُ أخى قِتال الأزارقة، فولّى أخاه عـبدَ العزيز، واستخلف المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائـة، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفـاً، والخوارجُ بدَرَابَ جَرْدَ، فَجَـعل عبدُ العـزيز يقولُ فى طريقـه: يَزعُمُ أهل البصرة أن هـذا الأمر لا يتمُّ إلا بالمهلَّب، فسيعلمون!

قال صَـعْبُ بن زيد: فَلمـا خرج عبدُ الـعزيز عن الأهواز جـاءنى كُرْدُوسٌ حاجب المهلب فقال: أجبِ الأمير، فَجئتُ إلى المهلب وهو فى سطح وعليه ثياب هَرَوِيّةٌ، فقال: ياصَعْب، أنا ضائع، كأنِّـى أنظرُ إلى هزيمة عبد العزيز، وأخشى أن توافِيَنى الأزارقـة ولاجُنْدَ معى، فابـعثْ رجلا من قِبَلك يأتـينى بخبرهم سـابقاً به إلىَّ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمران بن فـلان، فقلتُ: اصْحَبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبر يومٍ يوم، فجعلتُ أوردُه على المهلب.

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقَفَ وقْفة، فقال له الناسُ: هذا يومٌ صالحٌ، فينبغى أن تنزل[4] - أيُّها الأميرُ - حتى نطمئنَّ ثم نأخـذَ أُهبَتَنَا، فقال: كلاَّ، الأمر قريبٌ،

---

(١) ر: والله. (٢) ساقطة من ر

(٣) لأمهدانك. من مهدت الفراش مهدا. بسطته ووطأته. يريد لأجعلنك طريحا كالفراش الممهود. قاله المرصفى.

٤) ر: «تترك».

فنزلَ الناسُ على غيـر أمره، فلم يُسْتَتمَّ النّزُولُ حتى وَرَدَ عليـهم سعدُ الطّلائع في خمسمـائة فارسٍ، كأنهم خيطٌ ممدود. فناهضَـهم عبدُ العزيز، فوقَفـوه ساعة، ثم انهزموا عنه مكيدة، فاتبعهم، فقال له الناسُ: لاتَتّبِعْهُم فإنا على غير تعْبِيَة، فأبَى، فلم يزَلْ في آثارهم حتى اقتحموا عقَبَـة، فاقتَحمها وراءَهُم، والناسُ يَنْهَونَهُ، وكان قد جعَـل على بني تميم عَبْسَ بن الشـريمي، الملقَّبَ عَبْسَ الطّعَـان، وعلى بكْرِ بن وائلٍ مُقاتِل بن مسْمَعٍ القيسى، وعلى شُرْطَته رجلاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن نزَار، فنزلوا عن العَقـبة ونزلَ خَلفهم، وكـان لهم في بَطْن العقـبة كَمينٌ، فلمـا صَاروا وراءَها خرج عليهم الكَمينُ. وعَـطفَ سعدُ الطّلائع. فترحَّل عَبْسُ بن طَلْـق فَقُتلَ، وقُتل مُقاتِلُ بن مسمعٍ، وقُتِل الضبعى[(١)] صاحبُ الشرْطة، وانحاز عبدُ العزيز، واتّبعهم الخوارج على فرسخين يقـتلونَهم كيفَ شاءوا. وكانَ عبد العزيـز قد خرج معه بأمِّ حَفْـصٍ ابنة المنْذر بن الجـارُود امرأته، فـسبَوا الـنساءَ يومـئذ، وأخَـذُوا أسْرَى لا تُحْصَى، فقَذَفوهم في غار بعدَ أن شَـدُّوهم وَثاقا، ثم سَدُّوا عليهم بابهَ حتى ماتوا فيه.

وقال رجل حَضرَ ذلك اليومَ: رأيتُ عبـد العزيز وإن ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تَحيك في جُنته[(٢)].

- يقال ما أحاكَ فـيه السيفُ، وما يُحيكُ فيـه، وماحَكَّ الأمرُ في صَدْرى، وما حكى في صدرى، ومـا احتُكى في صدرى. ويقال: حاك الرجلُ في مِـشْيَتِه يَحيكُ، إذا تَبَختَرَ.

ونُودِىَ على السبَّىْ يومـئـذ، فغُولى بأم حفصٍ، فبَلغَ بها رجـلٌ سبعين ألفاً، وذلك الرجلُ من مَجُوسَ كانوا أسلموا ولحـقُوا بالخَوارج، فَفرَضَ لكلٍّ واحد منهم خَمْسَمائة، فكاد يأخذها، فَشَقَّ ذلـك على قُطريٍّ وقال: ما ينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكون عندَه سبعون ألفاً، إنَّ هذه لفِتْنَة[(٣)]، فوثَب إليها الحَديد العبْدى فقتلها، فأتىَ به قطَرىٌّ فقال له[(٤)]: يا أبا الحديد، مهيمْ! فقال: يا أميرَالمؤمنين. رَأيتُ المؤمنين قد تَزايَدُوا في هـذه المشركـة، فخـشيتُ عـليهم الـفتنة. فـقال قـطَرىٌّ: قد أصـبتَ وأحسنتَ! فقال رجلٌ من الخوارج:

---

(١) ر «الضبيعى». (٢) ر: «جسده».

(٣) ر. «فتنة». (٤) ساقطة من ر.

كَـفَـانَـاً فِـتـنَةً عَـظُمَـتْ وجَلَّـتْ بحـمـد الله سـيـفُ أبى الحـديد
أهـابَ المسـلمـونَ بـهـا وقـالـوا على فَـرْطِ الهَـوَى: هل مَن مَـزيد؟
فـزادَ أبـو الحـديـدِ بنَـصْلِ سـيـفٍ رَقـيـقِ الحَـدِّ فِـعْـلَ فـتَّى رَشـيـدِ

قوله: «أهابَ» يريدُ أعْـلنَ، يقال: أهبَتُ به، إذا دَعَوتَهُ، مِـثْلُ صَوَّتَ، قال الشاعرُ:

أهاب بـأحـزانِ الفـؤاد مُـهِـيبُ وَمَـاتَت نفـوس للـهَوى وقـلُوبُ

وقوله: «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ(١)، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبر، وفي الحديث أن رسـول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عَوْفٍ ردْعَ خلُوقٍ(٢) فقال: مَهْيَمْ! فقـال: تزوجتُ يا رسولَ الله، فقال: أَوْلِمْ ولو بشاة. وكان تَـزَوَّج على نواة، وأصحـابُ الحديث يَرْوُونَهُ «عـلى نَواةٍ من ذَهبٍ قيـمتُـهَا خسمة دراهم». وهذا خطأ وغَلَطٌ. العربُ تقول «نـواةٌ» فتعنى بها خمسةَ دراهمَ، كما تقـول: النَّشُّ لعشرين درهمـاً. والأوقيَّةُ لأربعين درهما، فـإنما هو اسم لهذا المعنى.

وكان العَلاءُ بن مُطـرِّف السعدىُّ ابنَ عَمِّ عْمرو القَنَا، وكـان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مـبارزة، فلَحِقـه عَمرُو القَنَا وهو منـهزم، فضحك عَـمْرٌو وقال تمثلا:

تَـمَنَّـانـى لِيَـلْـقَـانـى لَقَـيـطٌ أعامِ لَكَ ابنَ صَـعصَعَةَ بن سَـعْدِ

ثم صاح به: انْجُ أبا الُمصَدَّى! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا الُمصَدَّى.

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمرٌو ليزيدَ بن عمرو بن الصَّعق الكلابىِّ، يقوله. يعنى لَقيط بن زُرَارةَ، وكان يَطلبه، وقوله: «أعَامِ لَكَ» يريدُ يا عَامِرُ، فَرَخَّمَ، وإنما يريدُ الحىَّ تعجباً، أى لكمْ أعْجَبُ مِن تمنِّيه للقائى!

فَدَعَـا بنى عامر بن صـعصعة، وهـم بنو صعصـعةَ بن معـاوية بن بكر بن هَوَازِنَ، ويقال إن عـامر بن صعصـعة هو ابن سعد بن زيـد مَنَاةَ بن تميمٍ، لا ابن

---

(١) قال المرصفي: يريد كلمة «استفهام» هى مبتدأ محذوف الخبر.

(٢) الخلوق: الطيب.

معاوية، وإنهم ناقلةٌ [١] فى قَيْسٍ. ولذلك امتنعت[٢] بنو سَعْدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَةَ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صَفْوَانَ.

وهذا البيتُ وضعه سيبويه فى باب النداءِ الذى معناه مَعْنَى التعجُّبِ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتَان العَبْدِىِّ:

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلهُ ... جَرِيرٌ ولكن فى كُلَيبٍ تواضُعُ

على معنى قوله: فللَّه دَرُّهُ شاعِراً!

وكان العَلاءُ بن مُطرِّف قد حمل معه امرأتين له. إحداهما منَ بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميل. والأخرى بنتُ عمه، وهى فلانة بنتْ عَقِيلٍ. فطلَّق الضَّبِّيةَ وتخلصَ بهما يومئذٍ، وحَمَلَ الضبيةَ أوَّلا، ففي ذلك يقولُ:

ألسْتُ كريماً إذ أقولُ لفِتْيتي ... قِفُوا فاحملوها قبلَ بنتِ عَقيلِ

ولو لم يكن عُودِى نُضَاراً لأصْبحَتْ ... تَجُرُّ على المَتْنَيْنِ أمَّ جَميلِ[٣]

* * *

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ: بعثنى المهلبُ لآتيَهُ بالخبر، فضربت[٤] إلى قنطرة أرْبكَ [٥] على فرسٍ اشتريتُه بثلاثة آلاف درهمٍ. فلم أحْسس خبراً، فَسرتُ مُهَجِّراً إلى أن أمْسَيْتُ، فلمَّا أظْلَمنَا سمعتُ كَلامَ رجلٍ عَرَفْته من الجهاضمِ[٦] فقلتُ: ماوراءَكَ؟ فقال: الشرُّ، فقلتُ: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أمامَك، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواءٌ. فقلتُ. لواءُ [٧] مَن هذا؟ فقالوا: هذا لواءُ عبد العزيز؛ فتقدَّمتُ إليه، فسلَّمتُ وقلت: أصلحَ اللهُ الأميرَ! لا يَكْبُرَنَّ عليكَ ما كانَ، فإنك كنتَ فى شَرِّ جُنْد وأخْبَثِه. قال لى: أوَ كنتَ مَعَنا؟ قلتُ: لا، ولكنْ كأنى شاهدٌ أمْرَكَ، قال: كأنك كنتَ معنا، قلتُ: أرسلنى المهلبُ لآتيهُ بخبرك. ثم تركتُه وأقبلتُ إلى المهلّب، فقال لى: ماوراءَكَ؟ قلتُ: ما يسرُّكَ. قد

---

(١) الناقلة: القبيلة تنتمى إلى أخرى.

(٢) ر: «تمنعت».

(٣) ر: «تخر».

(٤) ر: «قصرت»

(٥) أربك إحدى قرى خوزستان.

(٦) الجهاضم: يريد بنى جهضم بن عوف بن مالك.

(٧) ساقطة من ر.

هُزِمَ عبدُ العزيز[١]. وقلَّ جيشــه. فقال: وَيْحَكَ! وما يَســرُّنى من هزيمة رجلٍ من قريشٍ وقلِّ جيشٍ من المسلمين! قلتُ: قــد كان ذاكَ، ساءَك أو سرَّكَ، فوجَّه رجلاً إلى خالد بُخبُــرُهُ. قال الرجلُ: فلما أخبرتُ خالــداً قال: كذبت ولؤمْتَ. ودخل رجل من قريشٍ فكذَبنى، وقال لى خالدٌ: والله لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَك. قلت: أصلحَ الله الأميــر! إنْ كنتْ كاذباً فاقتــلنى. وإن كنتُ صادقاً فــأعْطنى مُطْرَفَ هذا المُتَكَلِّف. فــقال خالدٌ: لبِئسَ مَــا أخْطَرْتَ به دمَك! فما بَرِحْتُ حــتى دخل بعضُ الفَل.

وقدمَ عــبدُ العزيز سوقَ الأهــواز، فأكرمَه المهلّــب وكساه، وقَدِم مــعه على خالد، واستخلَفَ ابنه حبيباً، وقال لــه: تَحَسَّسْ عن الأخبار، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريــباً منك فانصرفْ إلى الــبصرة. فلم يَزَلْ حَبــيبٌ مقيمــا والأزارقةُ تدنو منه، حتى بَلغوا قنــطرة أَرْبُكَ، فانصرفَ إلى البصرة على نهرِ تيــرَى، فلما دخلها أعْلَمَ خالدٌ، فغَــضبَ عليه، واستتر حــبيبٌ فى بنى هلالِ بن عامر بن صــعصعة، فتزوَّج هناك فى استتاره الهلاليةَ أم عبَّاد بن حبيب.

وقال الشاعرُ لخالد يُفَيِّلُ رأيه، أى يُخَطِّئه:

بعَثْتَ غــلاماً من قريشٍ فَــروقَةً[٢]   وتتَــرُكُ ذَا الرأى الأصيــلِ المَــهلّبَــا
أبَى الذّم واختــارَ الوفاءَ وأحْكمَت   قُــواهُ وقد ســاسَ الأمــورَ وجَــرَّبَا

وقال الحارث بن خالد المخزومىُّ:

فَــرَّ عــبــدُ الــعــزيز لَمَّــا رأى   الأبطالَ بالسـفح ونازَلُوا قــطَرِيَّا

ويُرْوَى:

فــرَّ عبــدُ العــزيز إذ راءَ عــيــسَى   وابــنَ دَاودَ نَــازلا قــطَــرِيَّــا
عــاهدَ الله إنْ نَــجَــا مــلْمَــنَايَا   لــيَــعُــودَنَّ بعــدَها حُــرْمــيَّــا
يَــسْكُــنُ الخــلَ والــصِّــفَــاح   فــمــران وسَلْــعَــا وتــارةً نَجْــدِيَّــا
حيثُ لا يَشْــهَدُ القتــالَ ولا يسْمَعُ   يــومــاً لِــكَــرِّ خَــيْــلٍ دَوِيَّــا

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

قـولُه: «إذ راءَ عـيسى»، الأصـل «رأى» ولكنه قَـلب فقـدّم الألِفَ وأخَّـرَ الهمزةَ، كما قال كُثَير:

وكلُّ خـليل راءَنـى فـهـو قـائلٌ   من اجلْكِ هذا هامـةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير فى كلام العربِ، وسنذكر منه شيئاً فى موضعه إن شاء الله.

وقولُه: «ملْمَـنايَا» يريدُ من المنايا، ولكنَّه حَـذَفَ النونَ لقرب مخرجِـها من اللام، فكانتاَ كالحرفـين يلتقيان على لفظ فُيحذفُ أحـدُهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيتْ لام المعرفة ظاهرةً. فيقولون فى بنى الحارث وبنى العَنْبَر وما أَشبـه ذلك: «بَلْحَارث» و«بَلعـنْبَرٍ» و«بَلهُجَـيمٍ» كما يـقولون: «عَلْمَاءِ بَـنُو فلان» فيحذفونَ إحدَى اللامَيْن.

وقولُه: «ليَعُودَنّ بعَـدَهَا حُرْمِيًّا» العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فـيقولون «حَرْمِىٌّ» و«حُرْمِىٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيت، وحِرْمَة البيتِ، وقال النابغة الذبْيَانىُّ:

من قول حـرمِيَّةٍ قالـتْ وقد رَحَلُوا   هل فى مُخِفِّيكُـمُ مَنْ يَشْتَرِى أَدَمَا(١)

والخَلُّ: هاهنا موضعٌ، وأصلهُ الطريقُ فى الرَّمْلِ.

* * *

وكَتَب خالدٌ إلى عبـد الملك بعُذْر عبد العزيز، وقال للمـهلب: ما ترَى عبدَ الملك صانعاً بى؟ قـال: يَعْزِلُكَ، قال: أَتُرَاهُ قاطعاً رَحِـمى؟ قال: نعم، قد(٢) أتَتْهُ هزيمةُ أميَّة أخِيك من البَحْرَيْنِ. وتأتيه هزَيمةُ أخيك عَبدِ العزيز من فارسَ!

قال أبو العباس: فكَتَب عبد الملك إلى خالد(٣):

أما بعـدُ، فإنى كنتُ حَـدَدْتُ لك حَدًّا فى أَمـر المهلَّب، فلما ملـكتَ أمرَكَ نبذتَ طَـاعتى واستـبددتَ برأيك، فـوليّتَ المُهلَّبَ الجـبايةَ، ووليتَ أخـاك حَرْبَ الأزَارِقـة، فَـقَـبَّـحَ اللهُ هذا رأيـا! أتبـعثُ غــلامـا غـراًّ لم يُـجَـرِّب الحـروبَ للحرب(٤). وتتركُ سيداً شجـاعاً مدبراً حازما قد مارس الحروبَ تَشْغَلُهُ بِالجبِاية،!

(١) المخف: الخفيف المتاع.   (٢) ساقطة من ر.
(٣) فى س بعدها: «بسم الله الرحمن الرحيم». ولم تذكر فى الأصل. ر.
(٤) ساقطة من ر.

أمَا لو كافأتُك على قدرِ ذنبك لأتاكَ من نكيـرى مالا بقيَّةَ لك معه، ولكنْ تذكرَّتُ رَحِمك فَلَفَتَتْنى عنك، وقد جعلتُ عقوبَتك عَزْلكَ.

وولّى بِشْرَ بن مَرْوَان وهو بالكوفة وكَتب إليه:

أما بعـدُ، فإنك أخو أميـرِ المؤمنين. يجمعك وإيَّـاه مَرْوانُ بن الحكـم، وأن خالداً لا مُجْتَمَع له مع أمير المؤمنين دون أمـيَّةَ. فانظرِ المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ، فَولِّه حربَ الأزارقة، فإنه سيِّـد بَطَلٌ مُجرَّبٌ، فأَمْدِدْه[1] من أهل الكوفة بثـمانية آلافِ رجلٍ.

فَشَقَّ عليه ما أَمَره به[2] فى المهلَّب، وقال: والله لأقتُلَنَّهُ، فقال له موسى بن نُصَيْر[3]: أَيُها الأميرُ[3]، إنَّ للمهلبِ حفاظاً وبَلاءً ووفاءً.

وخرجَ بشرُ بن مـروانَ يريد البصرةَ، فكتب موسى وعـكْرمةُ إلى المهلَّب أن يتلقاهُ لقاءً لا يَعْرِفُه به، فتلقاه المهلَّبُ على بغل، فسلَّم عليه فى غمارِ الناسِ، فلما جلَسَ بِشْر مَجْلسَهُ قال: ما فعل أميـرُكم المهلّبُ؟ قالوا: قد تلقاك أيُّها الأميرُ وهو شاك.

فهَمَّ بشـر أن يُولِّىَ حَرب الأزارقة عُـمَر بن عُبـيد الله، فقال له أسـماءُ بن خارجةَ: إنما ولاك أميرُ المؤمنينَ لنَرى رأيَك، فـقال له عكرمة بن رِبْعى: اكْتُبْ إلى أميرِ المؤمنين وأَعْلمْه علَّةَ المهلَّب، فكتب إلـيه يُعلمْهُ علَّةَ المهلَّب، وأَنّ بالبصرة من يُغنى غناءَهُ، ووَجَّـهَ بالكتاب معَ وَفْـد أوفَدَهُمْ إليه، رئيـسهُم عبـدُ الله بن حكيمٍ المُجَاشِـعىُّ، فلمَّا قـرأ الكتابَ خَـلاً بعبد الله بـن حكيمٍ فقـال: إنّ لك ديناً ورأياً وحزْمًا، فَمنْ لـقتال هولاء الأزارقة؟ قال: المهلَّبُ. قال: إنه عَـليلٌ. قال: ليستْ علَّته بمانعة[4]. فقال عبدُ الملك: أرادَ بشْرٌ أن يفعلَ ما فعل خالدٌ.

فكَتَبَ [5]إلى بشر[5] يَعْزمُ عليه أن يُولِّىَ المهلَّبَ، فـوجَّه إليه. قال المهلَّبُ: أنا عَليلٌ ولا يُمْكنُـنى الاختلافُ، فأَمَـر بشرٌ بحمل الدواويـن إليه، فجعل يَـنتَخبُ، فاعترض بشـرٌ عليه، فاقتَطَع أكثر نُخْـبته، ثم عزَم[6] ألاَّ يُقيمَ بعـدَ ثالثةٍ، وقد

(١) أمدده: أعنه. (٢) ساقطة من ر.
(٣-٣) ساقط من ر. (٤) ر: «بمانعته».
(٥-٥) ساقط من ر. (٦) ساقط من ر.

أخذت الخوارج الأهْوازَ وخلَّفوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُرات، فخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهَارَ طَاقَ. فأتاه شيخٌ من بنى تميم، فقال أصلحَ اللهُ الأمير إن سِنى ماتَرَى فهَبْنى لعيالى قال: على أن تقولَ للأمير إذا خطَبَ فحثَّكم على الجهاد، كيفَ تحثُّنا على الجهاد وأنت تحبسُ أشرافَنَا وأهلَ النَّجْدة منَّا؟ ففعلَ الشيخُ ذلك، فقال له بشرٌ: وما[1] أنتَ وذاكَ؟ قال: لا شيء، وأعطى المهلَّبُ رجلا ألفَ درهمٍ على أن يأتىَ بشراً فيقولَ له: أيُّها الأمير أعِن المهلَّبَ بالشرْطَة والمُقاتلَة، ففعلَ الرجلُ ذلك، فقال له بشرٌ: ما أنتَ وذاكَ؟ قالَ: نَصيحةٌ حضَرَتْنى[2] للأمير والمسلمينَ، ولا أعُودُ إلى مثلها، فأمدَّهُ بالشُّرْطَة والمُقَاتلة.

وكتب بشرٌ إلى خليفته بالكوفة أن يَعْقد لعبد الرحمن بن مخْنَف على ثمانية آلاف، من كلِّ رُبْعٍ ألفين، ويُوَجه به مَدَداً إلى المهلَّب، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مخْنَف الأزْدىِّ فعَقَدَ له، واختار له من كلِّ رُبْعٍ ألفين، فكان على رُبْعِ أهلِ المدينة بِشْرُ بنَ جَرير البَجَلىُّ، وعلى رُبْعِ تميمٍ وهَمْدانَ عبدُ الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى، وعلى رُبْعِ كنْدةَ وربيعةَ محمدُ بن إسحاق بن الأشعَث الكنْدىُّ، وعلى مَذْحِجٍ وأسَد زَحْرُ بن قيسٍ المَذحجىُّ، فقدموا على بشر، فخَلاَ بعبد الرحمن بن مخْنَف، فقال له: قد عرفتَ رأيى فيك وثقتى بك، فكُنْ عند ظَنِّى، انظُرْ هذا المُزونىَّ فخالفه فى أمره، وأفْسدْ عليه رأيهُ، فخرج عبدُ الرحمن ابن مخْنَف وهو يقولُ: مَا أعْجَبَ ما طَمِع منىَ فيه هذا الغلامُ! يأمُرنى أن أصغِّر شيخاً من مَشايخ أهلى وسيداً من ساداتهم! فلحِقَ بالمهلب.

* * *

فلمَّا أحَسَّ الأزارقةُ بدُنُّوه منهم انكشفوا عن الفرات، فاتبعهم المهلَّب إلى سوق الأهواز، فنفاهم عنها، ثم اتبعهم[3]. إلى رَامَ هُرْمُز فهَزَمَهم منها، فدخلوا فارسَ وأبْلَى يزيدُ ابنهُ فى وقائعه هذه بلاءً شديداً[4]، تَقَدَّم فيه وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة، فلما صارَ القومُ بفارسَ وَجَّهَ إليهم ابنَه المُغيرة، فقال له عبدُ الرحمن بن صُبْح: أيها الأمير! إنه[5] ليس برأى قتلُ هذه الأكْلُب، ولَئنْ والله قَتَلْتَهم لتَقْعُدَنَّ فى بيتك، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكُلْ بهمٍ، فقال: ليس هذا من الوفاء.

---

(١) ر: «ما أنت».
(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «نتبعهم».
(٤) ر: «حسنا».
(٥) ر: «أتاه».

فلم يَلْبَث بِـرَامَ هرمز إلا شهراً حـتى أتاهم[1] موتُ بشر، فـاضطرب الجند على ابن مخْنَف، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحاقَ بن الأشْعَث وابن زَحْر واستحلفهُما ألاّ يَبْرَحَا، فحلفًا له ولم يَفياَ، فجعل الجندُ من أهل الكوفةَ يتسللُون حتى اجتمعوا بسوق الأَهْـواز، وأراد أهلُ البصْرة الانسـلال من المهلَّب، فـخطبهم فقـال: إنكم لستم كأهل الكوفـة، إنما تَذَبُّونَ عن مصركم وأموالِكم وحُرَمكمْ، فـأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ.

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشر بن مروانَ، فوجَّهَ مَوْلى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز، يَحْلفُ فـيه بالله مجتهداً، لـئنْ لم يرجعوا إلى مراكـزهم وانصرفوا عُصاةَ لايظْفَـرُ بأحد منهم إلاَّ قَتَلَه، فجـاءَ مولاه، فجعل يقرأ الكتـابَ عليهم ولا يَرَى في وجوههم قبُـولَه، فقال: إنّى لأرَى وجوهاً ما القبولُ من شَـأْنها. فقال له ابنُ زَحْر: أيُّها العبد، اقرأْ ما فى الـكتاب وانصَرفْ إلى صاحبك، فإنك لا تدرى ما فى أنفـسنا، وجعلوا[2] يستـحثونه بقراءته. ثم قَـصدُوا قصداً الكـوفة، فنزلوا النُّخَيلةَ، وكتبوا إلى خليفة بشـر يسألونَه أن يأذنَ لهم فى الدخول فأَبى، فدخلوها بغير إذن.

[ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج]

فلم يزَل المهلَّبُ ومَن معه من قُوَّاده وابنُ مـخْنَف فى عَدد قليلِ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلىَ الحـجَّاجُ العـراق، فدَخَل الكـوفَةَ قَـبْلَ البصـرة، وذلكَ فى سنة خـمس وسبعـين، فخطبَهم وتهـدَّدَهُمْ، وقد ذكرنا الخطبة مـتَقَدِّماً. ثم نَزَل فـقال لوجُوه أهلها: مـا كانت الُولاةُ تفـعلُ بالعُصاة؟ فـقالوا: كانـت تَضْربُ وتَحْبس، فـقال الحجَّاجُ: ولـكنْ ليس لهم عندى إلاَّ السيفُ. إن المسـلمين لو لم يَغْزُوا المشـركين لغزاهُم المشركـون، ولو ساغت المعصيةُ لأهلها ما قُـوتلَ عدوٌّ ولا جُبِىَ فَىءٌ. ولا عَزَّ دينٌ.

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ، فقـال: قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثاً، وأقسم بالله لا يَتخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابن مخْنَف بعدها ولا من أهل الثُّغور إلاّ قَتَلْتُهُ.[3] ثم قال لصاحب حَرَسه وصـاحب شُرَطَه: إذا مَضَت ثلاثةُ أيـامِ فاتخذوا سيـوفكما عصيًّـا، فجاءَهُ عُمَيْرُ بن ضابَىِ البُرجُمىُّ بابـنه، فقال: أصلح الله الأمير! إنَّ هذا أنفعُ لكم منى، وهو أشدُّ بنى تميم أيْداً، وأجمعُهم سلاحاً، وأربطُهم جَأشاً. وأنا شَيخٌ كبيرٌ عَليل،

(١) ر: «أتاه».

(٢) ر: «يستحثونه فى قراءته».

(٣) ساقطة من ر.

واستَشْهَدَ جُلَساءَهُ، فقال له(٢) الحجاجُ: إنَّ عُذْرَكَ لَواضِحٌ. وإن ضعفك لبَيِّنٌ ولكنِّي أكرهُ أن يَجْتَرِئَ بك الناسُ عليَّ. وبعدُ فأنْتَ ابنُ ضابِئٍ صاحبُ عثمانَ. ثم أَمَرَ به فقُتلَ. فاحتملَ الناسُ. وإن أحدَهُم لَيُتَّبَعُ بزادِه وسلاحِه. ففي ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأسَدِي:

أقولُ لعبدِ الله يوم لَقيتُهُ ... أرَى الأمرَ أَمْسَى مُنْصِباً مُتَشَعِّبَا
تخيَّرْ فإمَّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابِئٍ ... عُمَيْراً وإمَّا أن تزورَ المهلَّبَا
هما خُطتا خَسْفٍ نَجاؤُكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْليًّا من الثَّلْجِ أَشهبَا
فَمَا إن أَرَى الحجاجَ يَغْمِدُ سيفَهُ ... يَدَ الدهرِ حتى يترك الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه ... رآها مَكانَ السُّوقِ أوهِيَ أقْرَبَا

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المَضَرَّب السَّعْدِيُّ من الحجاجِ وقال:

أقَاتِلِيَ الحجاجُ إن لَم أزُرْ له ... دَرابَ وأتْرُكْ عند هندٍ فؤاديَا

وقد مرت هذه الأبياتُ.

وخرج الناسُ عن الكوفة. وأتى الحجاجُ البصرةَ. فكان عليهم أشدَّ إلحاحا(٢). وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة، فتحمَّلَ الناسُ قبلَ قدومه، فأتاه رجلٌ من بني يَشْكرَ، وكان شيخاً كبيراً أعورَ، وكان يَجْعَلُ على عينه العوراء صوفة، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَةَ. فقال: أصلحَ الله الأميرَ! إنّ بي فَتْقاً، وقد عَذَرَني بشْر، وقد رَدَدتُ العطاءَ، فقال: إنك عندي لصَادقٌ، ثم أمَر به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ففي ذلك يقول كعَبُ الأشقَرِيُّ أو الفَرَزدق:

لقد ضَرَبَ الحجاجُ بالمصرِ ضربةً ... تُقرْقِرُ منها بطنُ كلِّ عَرِيف

ويرى عن ابن مَيْرةَ قال: إنَّا لَنتغدَّى معه يوماً إذ جاء رجلٌ من بَنى سُلَيْمٍ برجلٍ يقودُهُ، فقال: أصلح الله الأميرَ! إنَّ هذا عاص، فقال: له الرجلُ: أنْشدُكَ اللهَ أيُّها الأميرُ في دَمي، فوالله ما قَبضْتُ ديواناً قَطُّ، ولا شهدتُ عسكراً، وإنِّي لَحَائِك أخذْتُ من تحتِ الحِفِّ(٣) فقال: اضربوا عنقهُ. فلما أحسَّ بالسيف سَجَدَ،

---

(١) ساقطة من ر. (٢) ر: «حاء».
(٣) الحف: المنسج.

فَلحقَه السيفُ وهو ساجدٌ، فأمسكنا عن الأكل[1]، فأقبل علينا الحجاجُ فقال: مالى أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحدَّ نظركم من قتلِ رجل واحد! إنَّ العاصِىَ يَجمعُ خلالا: يُخلُّ بمَرْكَزِه، ويَعْصى أميرَه، ويغرُّ المسلمين وهو أجيرٌ لهم، وإنما يأخذُ الأجرةَ لِمَا يَعملُ، والوالى مُخيَّر فيه، إن شاءَ قَتَلَ وإن شاء عَفَا.

ثم كَتَب الحجاجُ إلى المهلب: أمَّا بعدُ، فإنَّ بشْراً رحمه الله استَكْرَهَ نَفْسَهُ عليكَ، وأراكَ غَنَاءَهُ عنك، وأنا أريك حاجتى إليك، فأَرنى الجدَّ فى قتال عدوّك، ومَنْ خِفْتهُ على المعصيةِ ممّنْ قِبَلَكَ فاقتلْه، فإنى قاتلٌ مَنْ قِبَلى، ومَنْ كان عندى مِنْ وَلِىِّ مَنْ هَرَب عنكَ فأَعلمنى مكانَه، فإنى أرَى أن آخذَ الوَلِىَّ بالوَلِىِّ، والسَّمِىَّ بالسَّمِىِّ.

فكَتَب إليه المهلَّبُ: ليس قِبَلى إلا مُطيعٌ، وإنّ الناسَ إذا خافوا العقوبةَ كبَّرُوا الذّنبَ، وإذا أمنُوا العقوبةَ صغَّروا الذنبَ، وإذا يَئِسُوا من العفو أكْفرَهُم ذلك، فَهَبْ لى هؤلاءَ الذين سَمَّيتَهم عصاةً، فإنما هم فريقان[2]: أبطالٌ، أرجو أن يَقْتلَ اللهُ بهم العدوَّ. ونادمٌ على ذَنْبه.

فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال: اليومَ قُوتِلَ هذا العدوُّ. ولمّا رأى ذلك قَطَرِىٌّ قال: انهضوا بِنَا نُريدُ السَّرْدَان[3] فَنَتَحَصَّنَ فيها، فقال عُبَيْدةُ بن هلال: أو نَأتى سَابُورَ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم، فأتى أَرّجَان، وخافَ أن يكونوا قد تحصَّنوا بالسَّرْدَان، وليست بمدينة، ولكنّ جبالٌ مُحْدقة منيعةٌ، فلم يُصب بها أحدا، فخرج نحوهم فعَسكَرَ بكازَرُونَ، واستَعدُّوا لقتاله، وخنْدَق على نفسه، ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مخْنف: خَنْدقْ على نفسك، فوجه إليه: خنادقُنا سيُوفُنا. فوجَّه إليه المهلّب: إنى لا آمَنُ عليك البَيَات، فقال ابنُه جعفرٌ: ذاك أهوَنُ علينا من ضَرْطة جمل، فأقبلَ المهلَّب على ابنه المغيرة، فقال: لم يُصيبوا الرأيَ ولمْ يأخذوا بالوَثيقة، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ، فَبعثَ إلى ابن مخْنَف يستمدّه، فأمدّه بجماعة، وجعل عليهم ابنَه جعفرا، فجاءوا وعليهم أقْبيةٌ بيضٌ جُدُدٌ، فقاتَلوا يومئذ حتىَ عُرِفَ مكانهم، وحاربهمُ المهلَّب، وأَبْلَى بنوه يومئذ كَبَلاء الكوفيِّين أو أشدَّ، ثم نَظَرَ إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحٌ بن مِخْرَاقٍ، وهو يَنْتَخِب

(١) ر: «الطعام». (٢) ر: «فريسان».

(٣) السردان: موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون (البكرى). وفى ر: «السردان».

قوماً من جلة العسكر، حتى بلغوا أربَعَمائَة، فقال لابنه المُغيرة: مايُعدُّ هؤلاء إلاَّ لِلبَيَاتِ. وانكشف الخوارجُ والأمرُ للمهلَّب عليهم، وقد كثُر فيهم القتل والجراح.

* * *

وقد كان الحجاجُ فى كل يومٍ يتفقَّدَ العُصاةَ ويُوجِّهُ الرجالَ، فكان يَحْبسهم نهارا، وَيفْتَحُ الحَبْسَ ليلاً، فَينسلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّب، وكَانَ الحجاجَ لايَعلم، فإذا رأى إسْراعَهُمْ تَمَثَّلَ:

إنَّ لهـا لسَـائقـاً عَـشَنْـزَرَا إذا وَنَـيْنَ وَنـيْـةً تَغَـشْـمَـرَا

العَشَنْزَرُ: الصُّلْب، والغشمرة[1]: رُكوب الرَّأس. والمُتَغَشْمِرُ: الجادُّ على ما خَيَّلَت.

وكَتَبَ إلى المهلَّب من قبْلِ الوَقْعة: أما بعدُ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جبايةِ الخراجِ، وتركتَ قتالَ العدوِّ، وإنى وَلَّيْتُك وأنا أرَى مكانَ عبدِ الله بن حكيمٍ المُجاشعى وعَبَّاد بن حُصَيْن الحَبَطِىّ. واخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ، ثم رجلٌ من الأزْدِ، فالْقَهُمْ يومَ كذا فى مكانِ كذا، وإلاَّ أشْرَعْت إليك صَدْرَ الرُّمح.

فشاورَ بَنِيه فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تَغْلُظْ عليه فى الجواب.

فكتب إليه المهلَّب: وردَ على كتابُك تَزعم أنى أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوّ. ومن عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوّ أعْجزُ، وزعمتَ أنك وَلَّيتنى وأنت تَرى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجَاشعى وعَبَّاد بن حُصَين الحَبطِىّ، ولو ولَّيتَهما لكانا مُستَحقّيْنِ لذلك فى فَضْلهما وغَنائهما وبطشهما، واخترتنى وأنا رجلٌ من الأزد، ولعمرى إنَّ شرًّا من الأزْدِ لقَبيلَةٌ تنازُعها ثلاثُ قَبائلَ، لم تَستَقرَّ فى واحدةٍ منهنَّ. وزعمتَ أنى إن لم ألقَهم فى يوم كذا، فى مكانِ كذا، أشرعتَ إلىّ صدرً الرمح، فلو فعلتَ لَقَلَبْتُ إليك ظهرَ المِجنّ، والسلامُ.

ثم كانت الواقعةُ. فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرة: إنى أخافُ البَيَاتَ على بنى تميمٍ فانْهَضْ إليهم فكنْ فيهم.

---

(١) ر: التغشمر.

فأتاهُم المغـيرة. فقال له الحَـريشُ بن هلاَل: يا أبا حاتمٍ، أيخَـافُ الأميرُ أن يُؤتَى من ناحيتنا؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمناً، فإنَا كَافُوهُ ما قِبَلنَا إن شاءَ الله.

فلما انتصفَ اللـيلُ وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه، سَرَى صَـالِحُ بن مخراقٍ فى القوم الذين أعدَّهُم إلى ناحية بنى تميمٍ، ومعه عبِيدةُ بن هلال، وهو يقولُ:

إنـى لَمُـــذْكٍ للـشُّـــرَاةِ نـارَهـا ... ومـــانـعٌ مِمَّـن أتـاهـــا دَارَهـا

وغاسلٌ بالطعْنِ عنها عارَها

فوجـدَ بنى تميمٍ أيقـاظا مُتَحَـارِسِينَ، فخـرج إليهم الحَـريشُ بن هلالٍ وهو يقولُ:

لـقــد وَجَـدتم وُقــراً أنْـجــادا ... لاكَـشُـــفـا مــيـلا ولا أوْغَـــادَا

هَـيْـهـــاتَ لاتُـلْفُـــونَـنَا رُقــادَا ... لا بَـلْ إذا صِـيـحَ بـنـا آسَـــادَا

ثم حَملَ عـلى القوم فرجَـعوا عنه، فاتبـعهم وصاح بهـم: إلى أينَ كلاَبَ النار! فقالوا: إنما أُعدَّت النارُ لك ولأصحـابك، فقال الحَرِيشُ: كلُّ مملوك لى حُرٌّ إن لم تَدخلُوا النارَ إنْ دَخلَها مجوسىٌّ فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ.

قوله: «وَجَدْتم وُقُرًا» جـمعُ وَقُور. والنَّجْدُ: ضدُّ البَليـد، وهو المتيقِّظ الذى لا كَسَل عنـدَه ولافُتورَ، والأمْيلُ فـيه قولان: قـالوا: الذى لايَسْتقـرُّ على الدابة. وقالوا: هو الـذى لاسَيْفَ معـه. والأكشفُ: الذى لاتُرْسَ معـه. والأجَمُ: الذى لارُمْحَ معه. والحاسِرُ الذى لادِرْع عليه. والأعْزَلُ: الذى لايَتَقَوَّمُ على ظَهْر الدابَّة. والوَغْدُ: الضعيفُ.

ثم قال بعضهـم لبعض: نأتى عسكرَ ابن مِخْنف فإنـه لاخَنْدقَ عليهم، وقد تَعبَ فرسـانُهم اليومَ مع المهلَّب، وقد زَعـموا أنَّا أهْوَنَ عليهم من ضَـرْطة جَمل، فأتَوْهُم فلم يَشْعُر ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه لهم إلاَّ وقد خَالطُوهم فى عسكرِهم.

وكان ابنُ مِخْنَفٍ شـريفاً، يقولُ رجلٌ من غامدٍ لرجل يُعـاتِبُه ويَضْرِب بابن مِخْنَفٍ المَثَل:

ترُوحُ وتَـغْـدُو كلَّ يومٍ مـعَـظَّمـاً ... كأنـك فينا مِـخْنَفٌ وابنُ مـخنفِ

فتَـرَجَّلَ عبدُ الرحمـن بنُ مخْنَف فجـالدَهم فَقُتِلَ. وقُـتِلَ معه سبـعون من القرَّاء، فـيهم نَفَرٌ مـن أصحاب علىِّ بنَ أبـى طالب صلوات الله عليه، ونـفرٌ من أصحاب ابن مسعود. وبَلَغَ الخبرُ المهلّب، وجـعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنَف عندَ المهلَّب، فجاءهم مُغيـثا، فقاتلَهم حتى ارْتُثَّ [(١)] وصرعَ، ووجه المهلَّـبَ إليهمً ابنه حبيبـاً فكَشَفهم، ثـم جاء المهلَّب حتى صَلَّى علـى ابن مخْنَفَ وأصحابه رحـمهم الله، وصار جُنْدُه فى جُنْد المهلَّب، فـضمَّهم إلى ابنه حبيب، فغـيرَّهم البصريون، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن:

تركتَ أصـحابَـنَا تَدْمَى نُحـورُهُمُ وجئتَ تَسْعَى إلينا خَـضفةَ الجمَلِ [(٢)]

قوله: «خَضْفَةَ الجملِ» يريدُ ضَرْطَةَ الجـملِ، يقال: خَضَفَ البعيرُ. وأنشدنى الرِّيَاشىُّ لأعرابىٍّ يذمُّ رجلا اتَّخَذَ وليماً:

إنَّاَ وَجَـدْنَـا خَلَفَـاً بِئْسَ الخَـلَفْ أغْـلَـقَ عَـنَّـا بـابَـهُ ثـم حَـلَـفْ
لا يُدْخِـلُ البـوابُ إلا مَنْ عَـرَفْ عَبْدا [(٣)] إذا ماناءَ بالحِمل خَضَفْ [(٤)]

يقال: ناء بحمله. إذا حـمله فى ثقل وتكلف، وفى القرآن: **﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾** [(٥)]. والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح. وقد مضى تفسير هذا.

فلاَمَهم المهلَّب. وقال: بِئْسَمَا قُلـتم! والله مافَرُّوا ولاجَبُنُوا، ولكنهم خَالفُوا أمِيرَهم. أفلا تذكرون فِراركم يوم دُولابَ، وفراركم بدارِس [(٦)] عن عثمان، وفراركم عنى!

* * *

ووَجَّه الحجاجُ البَرَاءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّب يَسْتَحِثّهُ فى مُناجزة القوم، وكتب إليه: إنك لتُـحبّ بقاءَهم لتأكلَ بهم. فقـال المهلَّب لأصحابه: حَرِّكـوهم، فَخرج فرسان من أصـحابه إليهم، فخرجِ إليـهم من الخوارج جَمعٌ، فاقتـتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارجُ: ويْلكمْ أما تَمَلُّونَ! فقالوا: لا، حتى تَمَلُّوا، قالوا: فمن أنتم؟

---

(١) ارتث: حمل من المعركة وبه بقية من الحياة.
(٢) أى يا أبا خضفة. (٣) ر: «عبد».
(٤) زيادات ر: «تقول العرب: حبج الرجل وخبق وخضف وردم. كل ذلك إذا ضرط».
(٥) سورة القصص ٧٦. (٦) دار س: موضع قريب من البصرة.

قالوا: تميمٌ، قالت الخوارجُ: ونحن بنو تميم، فلما أمْسوْا افترقوا، فلما كان الغَدُ خرج عشَرةٌ من أصحاب المهلَّب وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحتَفَر كلُّ واحد منهم حَفيرَةً وأثبتَ قَدَمَه فيها، فكلما قُتلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجْتَرَّهُ وقام[1] مكانُه. حتى أعْتَمُوا[2]، فقال لهم الخوارجُ: ارجعوا، فقالو: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم! مَنْ أنتم؟ فقالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم، فرجَع البَراءُ بن قبيصةَ إلى الحجاج، فقال له: مَهْ! قال: رأيتُ قوماً لايُعينْ عليهم إلاّ الله.

وكَتب إليه المهلَّبُ: إنى منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ: موتٌ ذَرِيعٌ، أو جوعٌ مُضِرٌّ، أو اختلافٌ من أهوائهم.

وكان المهلَّبُ لايتَّكلُ فى الحراسة على أحدٍ. كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحلَّهُمْ فى الثقة عنده.

وقال أبو حَرْملةَ العَبْدِىُّ يهجو المهلَّب:

عَدمْتُكَ يامُهلَّبُ من أمير ... أمَا تَنْدَى يمينُك للفقير!
بِدُولَابٍ أضعتَ دماءَ قومى ... وطِرْتَ على مُواشكَة درور[3]

فقال المهلَّبُ: ويحكَ! وا لله إنى لأقيكُمْ بنفسى وولَدى. قال: جعلنى الله فداءَ الأمير! فَذَاكَ الذى نكْرَهُ منك، ماكلنا يُحبُّ الموتَ، قالَ: ويحكَ! وهل عنه مَحيصٌ؟ قال: لا، ولكنَّا نكْرَهُ التَّعجيلَ، وأنتَ تُقْدِمُ عليه إقْدَاماً، قال المهلَّبُ: أمَا سمعتَ قولَ هُبَيْرة[4] الكَلْحَبَة اليَرْبُوعِىِّ:

فقلتُ لِكأس ألجميها فإنما ... نزلنا الكَثيبَ من زرود لِنَفزَعَا

قال: بلى والله قد سمعتُه. ولكنْ قولى أحَبُّ إلىَّ منه. وهو[5]:

فلمَّا وقفْتُمْ غَدْوةً وَعَدُوُّكمْ ... إلى مُهْجتى ولَّيتُ أعداءكم ظَهْرى
وطِرْتُ ولم أحْفلْ مَقالةَ عاجز ... يُساق المَنَايَا بالرُّدَيْنيَّةِ السُّمْرِ

---

(١) ر: «ووقف».

(٢) أعتموا: صاروا إلى العتمة وهى ثلث الليل الأول.

(٣) ر: «دماء قوم»، ومواشكة درور: سريعة.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ساقطة من ر.

فقال له[١] المهلَّب: بئس حَشْوُ الكَتيبَة والله أنتَ! فإن شئتَ أذنتُ لك فانصرفتَ إلى أهلك، فقال: بل أقيمُ معك أيُّها الأميرُ. فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه، فقال يمدحُه:

يَرَى حَتْماً عليه أبو سَعيد ... جِلادَ القومِ فى أولى النَّفير
إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ ... مَشَى فى رِفْلِ مُحْكَمةِ القَتير[٢]

الرِّفل: الذيل.

* * *

وكان المهلّب يقول: مايَسُرُّنى أن فى عسكرى ألْف شجاعٍ بدلَ بَيْهَس بن صُهَيْب، فيقال له: أيها الأميرُ. بيهس ليس بشجاع، فيقول: أجَلْ، ولكنه سَديد الرأى مُحْكَمُ العقلِ، وذو الرأى حَذِرٌ سَؤُولٌ، فأنا آمنُ أن يُغْتَفَل، فلو كان مكانَه ألفُ شجاعٍ قلتُ: إنهم يَنْشامون[٣] حين يُحْتاجَ إليهم[٤]

ومَطَرَت السماءُ مطراً شديداً وهم بسابورَ. وبين المهلب وبين الشراة عَقَبةٌ. فقال المهلَّبُ: مَنْ يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ؟ فلم يَقُمْ أحدٌ. فلبس المهلّب سلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُ الله: دعانا الأمير إلى ضبط العقبة. والحظُّ فى ذلك لنا فلم نُطعْهُ، فلبس سلاحَه، واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكر فصاروا إليه. فإذا المهلَّب والمغيرة لاثالثَ لهما. فقالوا: انصرفْ أيها الأميرُ، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بالشُّراة على العقبة، فَخَرج إليهم غُلاَم من أهل عُمَانَ على فرسٍ. فجعل يَحْمِل وفرسُهُ يَزْلَق، وتَلَقّاه مُدْرِكُ ابن المهلب فى جماعة معه حتى رَدَّهم.

فلما كان يوم النَّحْرِ والمهلّبُ على المنبر يخطبُ الناسَ. إذا الشُّراة قد تألَّبُوا، فقال المهلَّب: سبحان الله! أفى مثلِ هذا اليومِ يامُغيرةَ! اكْفنيهمْ، فَخَرج إليهم المغيرةُ بن المهلّب وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدوسِيُّ. وكان سعدٌ شجاعاً متقدماً فى

---

(١) ر: «وقال المهلب».

(٢) القتير: رءوس مسامير حلق الدروع.

(٣) ينشامون. من انشام الشيء. دخل واختبأ. يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن يتتفلوا.

(٤) ر: «حتى يحتاج إليهم»..

شجاعته. وكان الحجاج[1]. إذا ظَنّ برجل أن نفسَه قد أعْجَبَتْه قال له: لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ماعدَا - وقُرْدُوسٌ من الأزْد.

فَخَرج أمامَ المغيرةَ. وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلّب، فَالْتَقَوْا، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ، مَديدُ القامة، كريه الوجهِ، شديدُ الحمْلَةِ، صحيحُ الفرْوسيَّةِ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهويقولُ:

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غُدَاةَ النَّحْرِ ... بالخيل أمثالِ الوَشيجِ تَجْرى[2]

فخرج إليه سعدُ بن نجد القَرْدوسيُّ من الأزد، ثم تَجَاوَلا ساعة، فطعنه سعدٌ فقتَلَه، والتقَى الناسْ، فصُرِعَ يومئذ المغيرةُ، فحامَى عليه سعدُ بن بجد وذُبيانُ السَّخْتَيانىُّ وجماعةٌ من الفُرْسان حتى رَكب، وانكشف الناسُ عند سَقْطة المغيرة، حتى صاروا إلى أبيه المهلّب، فقالوا: قُتلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السَّخْتِيَانىُّ. فأخبره بسلامته. فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرته.

* * *

ووجَّه الحجاجُ الجَّراحَ بن عبد الله إلى المهلب يَسْتَبْطِئُه فى مناجزة القوم، وكتب إليه: أما بعدُ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعِلَلِ، وتحصَّنْتَ بالخنادق، وطاولْتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصراً، وأكثرُ عدداً، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْناً، ولكنك اتخَذْتَ أُكْلاً [3]. وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالِهم، فناجِزْهُمْ وإلاّ أنكرتَنى، والسلام.

فقال المهلّب للجرَّاح: يا أبا عُقْبةَ. والله ماتركتُ حيلةً إلا احتَلْتُها، ولامكيدةً إلاّ أعْملْتُها. وما العَجَب من إبطاء النصر وتَراخِى الظّفَرِ. ولكنَّ العجب أن يكونَ الرأىُ لمن يملكهُ دونَ من يُبْصِرُهُ! ثم ناهضَهم ثلاثةَ أيامٍ، يُغاديهم القتالَ، ولا يزالون كذلك إلى العصر، وينصرف[4] أصحابُه وبهم قَرْحٌ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ، فقال له [الجَّراحُ[5]]: قد أعْذَرْتَ.

---

(١) ر: «وكان المهلب». وما أثبته عن الأصل. س.

(٢) الوشيج: مانبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه فى بعض. (٣) الأكل: الرزق.

(٤) من هنا خرم فى نسخة الأصل ينتهى فى ص ٣٨٤ من هذا الجزء.

(٥) تكلمة من س

فكَتب المهلّب إلى الحجاج: أتانى كتابك تَسْتَبْطئنى فى لقاء القوم، على أنك لاتَظُنُّ بى معصية ولا جُبْناً، وقد عاتبتنى معاتبةَ الجبان، وأوعدتنى وَعيدَ العاصى، فاسأل[1] الجرَّاحَ. والسلامُ.

فقال الحجَّاجْ للجَّراح: كيف رأيتَ أخاك؟ قال: والله مارأيتُ أيها الأمير مثلَه قطُّ، ولاظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثل ما هو عليه. ولقد شهدت أصحابَه أياماً ثلاثةً يَغْدُون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطَاعَنون بالرماح. ويَتَجالدون بالسُّيوف، ويتخابطون بالعَمَد. ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئاً. رَوَاحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم. فقال الحجاج: لَشَدَّ مامَدَحْتَهَ أبا عُقْبَةَ! قال: الحقُّ أوْلَى.

وكانت رُكُبُ[2] الناس قديماً من الخشب. فكان الرجلُ يُضْرَبُ ركابُهُ فيتقطعُ فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعْن لم يكن له مُعْتَمَدٌ. فأمر المهلَّبُ فضُرِبَت الرُّكُبُ من الحديد. وهو أولُ من أمرَ بطبعها. ففى ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العَنَزِىُّ:

ضَربُوا الدراهمَ فى إمارتهمْ ... وضربت للحدثان والحرب
حَلَقاً ترى منها مَرَافِقُهم ... كَمَنَاكِبِ الْجَمَّالةِ الحُرْبِ[3]

وكتب الحجاجُ إلى عَتَّاب بن وَرْقاءَ الرِّياحىِّ من بنى رياحِ بن يربوعِ بن حَنْظَلَة وهو وَالى إصْبَهَانَ. يأمُرُهَ بالمسير إلى المهلَّب. وأن يضُمَّ إليه جُنْدَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف: فكلُّ بلد تَدْخُلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلَّبُ أميرُ الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفة. فإذا دخلتم بلداً فتحهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه][4]، والمهلّب على أهل البصرة.

فقدمَ عَتَّابٌ فى إحدى جمُادَيَيْنِ من سنة ستٍّ وسبعين على المهلّب، وهو بسابورَ، وهى من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّب أميرَ الناسِ، وعتابٌ على أصحاب ابن مِخْنَف، والخوارجُ فى أيديهم كِرْمانُ، وهم بإزاء المهلّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى.

(١) س: «فسل»
(٢) الركب: جم ركاب. وهو مايعتمد عليه راكب السرج بقدميه.
(٣) أى ضربت حلقا. ومرافقهم. أى معتمدات أرجلهم. والجمالة: أصحاب الجمال.
(٤) من س.

فَوجَّهَ الحجاجُ إلى المهلّبِ رجلين يَستَحِثّانه مُناجزَةَ القوم، أحدُهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن، من بنى عامر بن صَعْصَعَة، والآخرُ من آل أبى عَقيل جدِّ الحجاج، فضمَّ زياداً إلى ابنه حَبيب، وضَمَّ الثَّقَفىَّ إلى يزيد ابنه، وقال لهما: خُذَا يزيدَ وحبيباً بالمناجزَة، فَغَادَوُا الخَوارج فاقتَتلُوا أشدَّ قتال، فقتلَ زيادُ بن عبد الرحمن، وفُقِدَ الثّقَفىُّ، ثم باكَروهم فى اليوم الثانى وقد وُجِدَ الثقفىُّ، فدَعَا به المهلّب ودَعَا بالغَدَاء، فجعلِ النَّبْلُ يقع قريباً منهم، والثقفىُّ يَعْجَب من أمر المهلّب، فقال الصَّلَتَانُ العبدىُّ:

ألاَ ياأصْبِحانى قبْلَ عَوْقِ العَوائق ... وقبلَ اختراط القوم مثلَ العَقَائق
غداة حبيب فى الحديد يَقُودُنا ... نخوضُ المنايَا فى ظِلال الخوَافق
حَرُونٌ إذا ما الحرب طار شَرَارُها ... وهاجَ عجاجُ الحرب فوق البَوارق(١)
فَمن مُبْلِغُ الحجاجِ أن أمِينَه ... زياداً أطاحتْهُ رماحُ الأزَارِقِ

قوله:

وقَبْلَ اختراط القوم مثلَ العقائق

يعنى السُّيوفَ، والعقائقُ: جمع عَقيقة، يقال: سيف كأنه عَقيقةُ بَرْق، أى كأنه لَمْعَةُ برق، ويقال انعقّ البرقُ إذا تَبَسَّمَ. وللعقيقة مواضعُ: يقال فلانٌ بعَقيقة الصَّبىِّ (٢)، أى بالشَّعْرِ الذى وُلِدَ به لم يحلْقهُ، ويقال: عَقَقتُ الشىء أى قطعتُه، ومنْ ذا فلان يَعُقُّ أبَوَيْه، وكذا عَقَقْتُ عن الصبىّ، إذا ذبحتَ عنه، وقال أعرابىٌّ:

ألمْ تَعْلَمى يادارَ بَلْجاءَ أنَّنى ... إذا أجْدَبَتْ أو كان خصْباً جَنَابُها
أحَبُّ بلادَ الله مابين مُشْرِف ... إلىَّ وَسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُهُا(٣)
بلادٌ بها عَقّ الشبابُ تميمتىً ... وأولُ أرض مَسَّ جلْدِى تُرابُها

فلمْ يَزَلْ عَتَّابُ بن وَرْقاءَ مع المهلّب ثمانيةَ أشهر، حتى ظَهَرَ شَبيب، فكتب الحجاج إلى عتّابٍ يأمره بالمصير(٤) إليه ليوجه إلى شبيب، وكتب إلى المهلّب

(١) قال المرصفى: «الحرون: لقب حبيب؛ لأنه كان يحرن فى الأرض فلا يبرح». والبوارق السيوف.
(٢) ر: «الصبى» بكسر الصاد وألف مقصورة.
(٣) مشرف: رمل بالدهناء
(٤) س: «بالمسير».

[يأمره][1] بأن يَرْزُقَ الجنْدَ، فَرَزق المهلّب أهلَ البصرة، وأبى أن يرزقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتّابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهل الكوفة. فأبَى. فَجَرتْ بينهما غلْظةٌ. فقال عتابٌ: قد كان يبلُغنى أنك شجاع فرأيتك جَباناً. وكان يبلْغنى أنكَ جوادٌ فرأيتك بخيلا. فقال له المهلّب: يابن اللَّخْنَاء! فقال له عَتَّابٌ: لكنَّك مُعَمٌّ مُخَولٌ[2]. فغضبتْ بكْرُ بن وائلٍ للمهلّب للْحلْف. ووَثَب ابنُ تَيْم بن هُبَيْرة بن أبى[3] مَصْقَلَةَ علي عتّاب فشتمه، وقد كان المهلّب كارهاً للحلْف، فلما رأى نُصْرَةَ بكرِ بن وائل سرَّه الحلْف واغتَبَطَ به، ولم يزل يُؤكِّدُه، فغضبت تميمُ البصرةِ لعتّاب. وغضبت أزدُ الكوفةِ للمهلّب.

فلما رأى ذلك المغيرةَ بن المهلَّب مَشَى بين أبيه وبين عتَّاب، فقال لعتاب: يأبا ورْقاء، إن الأمير يَصيرُ لك إلى كلِّ ما تُحبّ، وسأل أبَاه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فأجابه، فَصَلَحَ الأمْرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعَتّابُ بن ورقاء يَحْمَدونَ المغيرةَ ابنَ المهلّب، وقال عَتّابٌ: إنى لأعرفُ فضله على أبيه، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إيادِ بن سودٍ:

ألا أبلغْ أبَا ورَقَاءَ عنّا[4] فلولا أننَّا كُنَّا غضابَا
على الشيخ المهلَّب إذْ جفانا للاَقَتْ خيلُكم منَّا ضرابَاً

وكان المهلب يقولُ لبنيه: لاتَبْدَءوهم بقتالٍ حتى يَبْدءوكم فَيَبْغُوا عليكم. فإنهم إذا بَغَوْا نُصرتم عليهم.

فَشَخَصَ عَتّابُ بن وَرْقَاَء إلى الحجاج فى سنة سبعٍ وسبعين، فوجَّهَه إلى شبيب، فقتله شَبيب، وأقام المهلّب على حربهم، فلما انقضى من مُقامِه ثمانيةَ عشر شهراً اختلفوا.

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يَعملِ نصالا مسمومة فَيْرمَى بها أصحابَ المهلّب، فرُفِعَ ذلك إلى المهلَّب فقال: أنا أكْفيكمُوه إن شاء الله، فَوجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتابٍ وألف درهم إلى عسكر قَطَرِيٍّ فقال: ألق هذا الكتابَ فى عسكرِ قَطَرِيٍّ واحْذَرْ عليَّ نفسك- وكان الحدَّادُ يقال له أبزَى- فمَضى الرَسولُ، وكان فى الكتاب: أما بعدُ، فإنَ نصالك قد وَصلَتْ إليَّ. وقد وجَّهتُ إليك بألف درهمٍ، فاقبضْها وزِدْنَا من هذهَ النِّصَالِ، فَوقعَ الكتابُ والدَّراهمُ إلى

---

(١) تكملة ر. س. (٢) معم مخول. أى كريم الأعمام والأخوال.
(٣) ر: «أخى». (٤) كذا فى س، وفى ر: «بنى ورقاء».

قطرىٍّ. فدَعَا بأبزَى، فقال: ما هذا الكتابُ؟ قال: لا أدرى، قال: فهذه الدراهمُ؟ قال: ما أعْلَمُ علْمها، فـأمر به فقُتل، فجاءه عبدُ ربِّه الصغـيرُ مَوْلَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ فقال له: أَقَتَلْتَ رجلاً على غيـر ثقة ولاتَبَيُّن! فقال له: ماحالُ هذه الدراهم! قال: يجوز أن يكون أمرُها كذباً ويجوز أن يكون حقًّا. فقال له قطرىٌّ: قتْلُ رجلٍ فى صلاح الـناس غيرُ مُنْـكَرٍ، وللإمام أن يحكـم كذبا بما رآه صلاحـاً. وليس للرعية أن تعترض عليه. فَتَنَكَّرَ له عبدُ ربِّه فى جماعة [معه][1]. ولم يفارقوه.

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلا نصرانيا. فقال له: إذا رأيتَ قَطَرِيًّا فاسْجُد له، فإذا نهَاك فقل: إنما سجدت لك، ففعلَ النصرانىُّ، فقال له قطرىٌّ:

إنما السجودُ لله، فقال: ماسـجدتُ إلاّ لك، فقال له رجل من الخوارج قد عَبَدَكَ من دون الله، وتَلاَ: ﴿**إنَّكُمْ وما تعْبُدُونَ منْ دُون الله حَـصَبُ جهَنَّم أَنْتَم لها وَارِدُون**﴾[2]) فقال قطرىٌّ: هؤلاء النصارى قد عَبَدوا عيسَى بن مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسَى شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى الـنصرانىِّ فقتَلَه، فأنكر ذلك عليه وقال: أقتلْت ذميًّا! فاخـتلفت الكلمةُ، فبلَغَ ذلك المهلَّبَ، فَوجَّهَ إليـهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقَدَّم به إليـه، فأَتاهم الرجلُ فقال: أرأيـتم رجلين خرجَا مُهَـاجَرين إليكم، فماتَ أحدُهــما فى الطريق وبلغكُمْ الآخَر فامـتحنتموه فلم يجز المحـنة، ماتقولون فيهما؟ فـقال بعضهم: أمَّا الميت فمؤمنٌ من أهل الجـنة، وأمَّا الآخرَ الذى لم يجز المحنة فكافرٌ حتى يُجيزَها. وقال قومٌ آخـرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنةَ. فكْثر الاختلافُ.

* * *

فخرج قطـرىٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ. فأقـام شهراً والقومُ فى اختـلافهم، ثم أقـبلَ، فقـال لهم صـالح بن مخَـراق: ياقـومِ، إنكم قـد قررتم أعْيُنَ عـدوِّكم، وأطمَعْـتموهُم فيكـم. لِمَا ظهرَ من اخـتلافكم، فعودوا إلـى سلامة القلوب واجـتماع الكلمة.

وخرج عَمرُو القَـنَا فنادَى: أيها المُحلُّونَ [3]. هل لكم فى الطِّرَادِ، فـقد طال عهد به! ثم قال

ألـمْ ترَ أنَّـا مُـــذْ ثلاثـون لـيلـةً ... قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

(١) تكلمة من س. (٢) سورة الأنبياء ٩٨.

(٣) المحلون: الذين لاعهد لهم ولا حرمة.

فَتَهايج القــومُ، وأسرعَ بعضهم إلى بعض، فأبْلَى يومئــذ المغيرة بن المهلب، وصار فــى وَسَطِ الأزارقة، فجـعلت الرِّمـاحُ تَحُطّه[1] وترْفعْه، واعْـتَورَتْ رأسَه السُّيوفُ، وعليه سَـاعدُ حديدٍ، فوضع يَدَه على رأسه، فجَعَلَــت السيوفُ لاتعملُ فيه شيئـا، واستنقذه فُرْسان من الأزدِ بعد أن صُرِعَ، وكان الذى صـرَعَهْ عَبِيدة بن هِلالٍ، وهو، يقولُ:

أنــا ابن خَـيْــرِ قــومِـهِ هِـلالِ ⁂ شـيـخٌ علـى دِيـن أبـى بـلالِ

⁂وذاك دينى آخرِ الليالى⁂

فقال رجلٌ للمغيرة: كنَّا نَعْجَب كيف تصْرَعُ، والآن نَعجب كيف تَنْجُو!

وقال المهلَّب لبَنِيه: إنَّ سَرْحكم لغـارٌّ، ولستُ آمَنهم عليه، أفوَكلتم به أحداً؟ قالوا: لا، فلم يَسْـتتمَّ الكلام حتى آتاه آت فـقال: إنَّ صالح بن مخْـراق قد أغارَ على السَّرْحِ، فشق ذلـك على المهلَّب، وقال: كلُّ أمرٍ لا أليه بنفســى فهوَ ضائعٌ، وتذَمَّر علـيهم، فقال له بِـشْرُ بن المغيرة: أرِحْ نـفسَكَ، فإن كنتَ إنما تريـدُ مثْلك فوالله لا يَعْـدلُ أحدُنا شسْعَ نَعْلـك، فقال: خذوا عليـهم الطَّريقَ، فثـار بشر بن المغيرة، ومُدْرَكٌ والمفُضّلَ ابنا المهلَّب، فـسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق، فإذا رجلٌ أسودُ من الأزارقة يَشلُّ السَّرْحَ[2]. أى يَطْرُدُهُ. وهو يقولُ:

نحـنْ قـمَـعْنـاكُمْ بِشَـلِّ السَّـرْح ⁂ وقـد نَكَأنَا الـقَرْحَ بعـدَ القَـرْحِ[3]

الشَّلُّ: الطَّرْد، ويقال: نَكَأت القَرْحَةَ، مهموزٌ، ونكَيْتُ العَدُوَّ. غيرْ مهموز، منَ النّكاية، ونكَأتُ القَرحةَ نكأ، قال ابنُ هَرْمَةَ:

ولا أَرَاهــا تَــزالُ ظـــالمــة[4] ⁂ تُحْــدِثُ لى قَــرْحَـةً وتَـنْكَـؤهَا

ولحقـهُ المفضّلُ ومُدْركٌ، فـصاحَا برجل من طَيِّئ: اكـفنا الأسْودَ، فاعْـتَوَرَهُ الطائىُّ وبَشُــر بن المغيرة فـقتلاه، وأسرَا رجـلا من الأزارقة، فقال المهـلَّبُ: ممَّنِ الرجلُ؟ قال: رجلٌ منْ هَمْدان، قال: إنك لشَيْنُ هَمْدان، وخَلى سبيله.

---

(١) هنا آخر الخرم فى نسخة الأصل، وأوله فى ص ٣٧٧ من هذا الجزء.

(٢)السرح: المال الذى يسام فى المرعى من الأنعام.

(٣)أقمناكم: قهرناكم.

(٤) أى لا تزال.

وكان عَيَّاشٌ الكندىُّ شجَاعاً بئيسا[1] فأبْلى يومئذ، ثم مات على فراشه بعد ذلك، فقال المهلّب: لَاوَألتْ نفس الجبَان بعد عيَّاشٍ!

وقال المهلَّب: مارأيتُ كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يَزيدُ فيهم!

* * *

وَوَجَّهَ الحجاج إلى المهلب رجلين: أحدُهما من كَلْب، والآخرُ من سُلَيمٍ، يَسْتَحِثانه بالقتال، فقال المهلَّب متمثِّلاً:

ومُستَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى من أناتنَا ... ولو زبنتهُ الحربُ لم يتَرَمْرَمِ

الشِّعْرُ لأوْس بن حَجَر، وقوله: «زَبَنَتْهُ» يقول: دَفَعَتْهُ. ولم يَتَرَمْرَم، أى لم يَتَحَرَّكْ، يقال: قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ.

وقال ليزيدَ: حَرِّكْهُم، فَحَرَّكَهُمْ فَتَهَايَجُوا، وذلك فى قرية من قرَى إصْطَخَر، فحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجل من أصحاب المهلّب فطَعَنه، فَشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلّب للسُّلَمىِّ والكَلْبِىِّ: كيف نقاتل قوماً هذا طَعْنُهم!

وحَمَل يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسان المهلّب، وهو أحدُ بنى مالك بن ربيعةَ، على فرس له أَدْهَمَ، وبه نَيِّفٌ وعشرون جرَاحة، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ، فلماحَمَلَ يَزيدُ ولَّى الجمعُ وحَمَاهم فارسان، فقال يزيدُ لقَيْس الخُشَنىِّ مَوْلَى العَتيك: مَنْ لهذَين؟ قال: أنا. فَحمَلَ عليهما، فَعطَفَ عليه أحَدُهما، فطعنه قيس الخشنىُّ فصرَعَهُ، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه، فسَقَطا جميعاً إلى الأرض، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنُّى: اقتُلُونا جميعاً، فحملَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلاَء، فحجزوا بينهما، فإذا مُعانقُه امرأةٌ. فقام قيسٌ مُستَحيياً، فقال له يزيدُ: أمَّا أنت فبارَزتها على أنها رجل. فقال: أما أنتَ لو قَتلْتُ أمَا كان يقال: قُتلْتُه امرأةٌ!

وأبْلى يومئذ ابنُ المْنجب السَّدوسى، فقال له غلامٌ يقال له خلاجٌ: والله لَوَددْنَا أنَّا فَضَضْنا عسْكَرهم حتى أصيرَ إلى مُستَقَرِّهمْ فأستَلبَ مما هناكَ جاريتين. فقالَ مولاه: وكيف تَمنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لأُعْطِيَكَ إحداهما وآخذَ الأخرى، فقال ابنُ المُنْجِبِ:

---

(١) البئيس: الشديد البأس..

أخـلاجُ إنَّـك لن تُعَـانـقَ طفْـلَة	شَـرِقـاً بهـا الجَادىُّ كـالـتِّمْـثَـال
حتـى تُلاَقِىَ فى الكتـيبَـة مُعْلـمًا	عَـمْرو الـقَنَا وعـبَـيدَةَ بـنَ هلال
وتَرى المُقَعْطَر فـى الكَتيبة مُـقْدماً	فى عُـصبَـة قَـسَطوا مع الضُّـلال
أو أن يُـعَلِّـمَكَ المـهـلَّبُ غَــزْوَةً	وتَرَى جـبـالًا قــد دَنَتْ لجـبـال

قولـه: «طَفْلَةٌ» يقـول: ناعمـةٌ، وإذا كسـرتَ الطاء فـقلت: «طفلة» فـهى الصغيرة. والجادىُّ: الزعفرانُ، والكَتيبَةُ: الجيشُ، وإنما سُمِّى الجيش كتيبةً لانضمام أهله بعضهم إلى بعـضٍ. وبهذا سُمىَ الكتابَ. ومنه قولهم: كَتَـبْتُ البغلةَ والناقَةَ إذا خَرَزْتَ ذلـك الموضعَ منهـا، وكَتَبْـتُ القِرْبَةَ، والمُعْلـمُ: الذى قد شَـهَرَ نَفْـسه بعلاَمة، إمَّـا بعمامة صَبِـيغٍ، وإمَّا بمُشَهَّرة. وإمَّـا بغير لك. وكان حمـزةُ بن عبد المُطَّلب رضوانُ الله عليه مُعْلَماً يومَ بدر بريـشة نعامة فى صدره. وكان أبو دُجَانةَ- وهو سِمَاكُ بن خُرَيشَةَ الأنصارىُّ - يـومَ أحُد لَمَّا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يأْخُذ سيـفى هذا بحَقِّه»؟ قـالوا: وما حَقُّهُ يـارسولَ الله؟ قال: «أن يُضْربَ بـه فى العدوِّ حتى يَنْحَنى»، فقال أبـو دُجَانَةَ: أنا، فَدفعَهُ إليه، فلَبِسَ مُشَهَّـرَةً فَأَعلَمَ بها، وكان قومُه يَعْلمونَ مـابَلَوْا منه أنه إذا لبسَ تلك المُشهَّرَةَ لم يبْقِ فى نفسـه غايةً، ففعل. وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْن، فقال رسولُ لله ﷺ. «إنها مشيَةٌ يُبْغضُها الله عزوجلّ إلاّ فى هذا الموضع» ويُرْوَى أَنَّ رسـول الله ﷺ سَمِعَ عليًّا صلواتُ الله عليـه يقولُ لفاطمةَ - ورَمى إليهـا بسيفه، فقال: هاك حَميداً فاغْـسلى عنه الدَّمَ. فقال رسول الله ﷺ: «لئِنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معكَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْف والحارثُ بن الصِّمّةِ». وفى بعض الحديث «وَقَيْس بن الرَّبيعِ» وكلٌّ هؤلاء من الأنصار.

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج:

وعَمرو القُنَا مـن بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ، وعَبَـيدةُ بن هلال من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائلٍ، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّب فى فـخذه فشكَّها مع السَّرْجِ من بنى تميمٍ، قال: ،لا أدْرى أعَمْرٌو هو أم غيرُه. والمُقَعْطُر من عَبْدِ القيْس.

وقوله: «قسَطوا» أى جَارُوا، يقال قَسَطَ فهو قاسطٌ، إذا جار، قال اللهُ جلَّ ثناؤه: ﴿وأَمَّا القَاسطونَ فكانوا لجَهَنَّم حَطَباً﴾[1]. ويقال: أَقْسَطَ يُقْسِط فهو مُقْسِطٌ، إذا عدَلَ، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله يحبُّ المقْسطينَ﴾[2].

وكان بَدْرُ بن الهُذيل شجاعاً، وكان لَّحانَة، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى ياخَيْلِ[3] الله ارْكَبى، وله يقولُ القائلُ:

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّبِ حاجةً عَرَضَتْ تَوابعُ دُونَه وعَبيدُ
العبدُ كُرْدُوس وعَبْد مِثْلُه وعِلاَجُ بَاب الأحْمَرينِ شَدِيدُ

كُرْدوسٌ: رَجُلٌ من الأزد، وكان حاجبَ المهلَّب، وقولهُ: «عِلاَجُ باب الأحمرين شديدُ»، العربُ تُسَمِّى العَجَمَ الحمراءَ، وقد مرَّ تفسير ذا.

وقوله: «تَوابعُ» أرادَ به الرجال، فجاز فى الشِّعْر، وإنما ردَّهُ إلى أصله للضَّرورة، وما كان من النعوت على «فَاعِل» فَجَمعه «فاعلون» لئلا يلتبسَ بجمع «فاعلة» التى هى نعتٌ. وقد قلنا فى هذا ولِمَ قالوا: فوارسُ وهَالكُ فى الهوالك.

وكان بشرُ بن المغيرة أبلَى يومئذ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فيه، وكانت بينَه وبين بَنى المهلب جَفْوَة، فقال لهم: يابَنى عَمٍّ، إنِّى قد قصَّرْتُ عن شكَاة العاتب، وجاوَزْتُ شكَاَة المُسْتَعْتب[4]، حتى كأنِّى لا مَوْصُولٌ ولا مَحْرُوم، فاجعلوا لى فرجَةً أَعِشْ بها وهَبُونى امْرأً رَجَوْتُم نصْرَهُ، أو خِفْتم لسانَه. فرَجَعوا له ووَصلُوا. وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه.

ووَلى الحجاجُ كَرْدَماً فارسَ، فوجَّهه الحجاجُ إليها والحربُ قائمة، فقال رجل من أصحاب المهلَّب:

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمَا كرْدَمَةَ العَيْرِ أحسَّ الضَّيْغَما

الضَّيْغَم: الأسدُ، والكَرْدَمَةُ: النّفورُ.

* * *

(١) سورة الجن. (٢) سورة الحجرات ٩
(٣) بكسر اللام، وهو موضع اللحن. (٤) العاتب: الساخط. والمستعتب: طالب الرضا.

فكَتَب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصْطَخْرَ ودَرَاب جرْدَ لأرْزاق الجُنْد ففعل، وقد[1] كان قطَرِىٌّ هَدَمَ مدينة إصْطَخْرَ، لأنَّ أهلها كانوا يكاتبونَ المهلب بأخباره، وأراد مثلَ ذلك بمدينة فَسَا، فاشتراها منه آزادْ مردُ بنُ الهرْبذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها، فواقعه المهلَّب فهزمه، ونفاه إلى كرمانَ، واتَّبَعَه ابْنه المغيرةَ وقد كان دفع إليه سيفاً وجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلّب، وأقسم عليه أن يتقلده، فدفعه إلى المغيرة بعد ماتقلّد به، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دَمَّاه، فَسُرَّ المهلَّب بذلك وقال: مايَسُرُّنى أن أكونَ كنتُ قد[1] دَفعْتُه إلى غيرك من وَلدى، اكفنى جباية خراج هاتين الكورتَيْن، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ، فَجَعَلا يَجْبيَان ولا يُعطيَانِ الجُنْدَ شيئاً، ففى ذلك يقول رجلٌ منهم، وأحْسِبُه من بنى تميمٍ، فى كلمة له:

ولو عَلم ابنُ يوسفَ مانُلاَقى ... من الآفات والكُرَب الشّدَاد
لفاضتْ عينُه جَزَعَا علينا ... وأَصْلَحَ ما اسْتطاعَ من الفساد
ألا قُلْ للأميرجزيتَ خيراً ... أَرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقَاد
فما رزَقا الجنودَ بها قَفيزاً ... وقد ساسَتْ مَطامير الحصَادِ[2]

يقال: سَاسَ الطعامُ وأَسَاسَ، إذا وقع فيه السُّوس، ودَادَ وأَدَادَ، من الدُّود، ورَوَى أبو زيد: «دِيدَ فهو مَدودٌ» فى هذا المعنى.

فحاربهم المهلب بالسيرَجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جيرفْتَ، واتبَعهم فنزل قريباً منهم، واختلفت كلمتهم.

وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكرىَّ اتهم بامرأة رجلٍ حداد رأوه مراراً يدخل منزلَهُ بغير إذن، فأَتَوْا قَطريًّا فذَكروا ذلك لهُ، فقال لهم: إنّ عَبيدَة من الدين بحيثُ عَلمْتم ومن الجهاد بحيثُ رأيتم فقالوا: إنَّا لانُقارُّه[3] على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بَعَثَ إلى عَبيدة فأخبره وقال: إنا لانُقارُّ على الفاحشة، فقال: بَهَتونى[4] ياأمير المؤمنينَ. فما ترَى؟ قال: إنى جامعٌ بينَك وبينهم، فلا تخْضعْ خُضوعَ المذْنب، ولا تَتطَاوَلَ تَطاوُلَ البرىء. فجَمَعَ بينهم فتكلَّموا، فقام عَبيدة

(١) ساقطة من ر.
(٢) المطامير: جمع مطمورة، وهى حفرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب.
(٣) من المقارة وهى السكون والطمأنينة. (٤) بهتونى: قالوا على مالم أفعل.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبَةٌ منكُمْ لاتَحْسبوهُ شَرًّا لكُمْ بلْ هُوَ خَيْرٌ لكُمْ**﴾[1] الآيات فبكَوْا وقاموا إليه فاعْتنقوه. قالَ: استَغْفرلنَا. فَفَعَلَ. فـقال لهم عبدُ ربِّه الصغيـرُ مولى بنى قيس بن ثَعْلَبَـةَ: والله لقدخَدَعكم، فبايَعَ عـبدَ ربّه منهم ناسٌ كثيـرٌ لم يظْهروا ولـم يَجِـدوا على عَبيدة فى إقـامه الحد ثَبتاً.

***

وكان قَطْرِىٌّ قد استـعمل رجلا من الدَّهَاقين فظهرتْ له أموالُ كـثيرة. فأَتوْا قَطَرِيًّا فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عمَّاله على مثل هذا، فقال قَطَرِىٌّ: إنى استـعملته ولـه ضِيَاعٌ وتجارات، فـأَوْغَرَ ذلك صدورهم، وبَـلَغ ذلك المهلّب، فقال: إن اختلافَهم أشدَّ عليهم منِّى.

وقالوا لقطرىّ: أَلاَ تَخْرُجُ بنا إلى عدوِّنا؟ فـقال: لا، ثم خرج. فقالوا: قد كذب وارتَدَّ! فـاتبعوه يوماً فـأَحَسَ بالشرِّ، فدخـل دارًا مع جماعة من أصـحابه، فصاحوا به: يادابَّة، خْرج إلينا. فخرج إليهم. فقال: رجَعْتم بَعْدى كفاراً! فقالوا: أَوَلسْتَ دابَةً! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا منْ دَابَّة فى الأرض إلاَّ عَلَى الله رزقُهَا**﴾[2]، ولكنك قد كفـرتَ بقولك: إنَّا قد رَجَعْنا كفاراً، فتـب إلَى الله عزَّ وَجلَّ، فشاور عَبيدَة. فقال: إن تُبْت لم يَقبلُوا منك، ولكـن قُلْ: إنما استفهمتُ فقلتُ: أرجعتم بعدى كفاراً؟ فقال ذلك لهم. فقبلوا منه. فرجَع إلى منزله. وعَزَمَ أن يبايعَ المقَعْطَر العَبدِىَّ، فكرهه الـقومُ وأَبَوْهُ، فقال له صالح بن مخـراق عنه وعن القوم: أبغِ لنا غيرَ المقعْـطَر. فقال لهم[3] قطرىٌّ: أَرَى طول الـعهـد قد غيـركُمْ، وأنتم بـصَدَد عَدوِّكُمْ. فاتَّقُوا الله وأَقْـبلُوا على شأنكم. واستعدُّوا للقاء القـوم. فقال صالح بن مخْرَاق: إن النَّاسَ قَـبْلَنَا قد[3] سَامُوا عـثمانَ بنَ عفَّـانَ أن يَعْزِلَ عنهم سعـيدَ بنَ العاصى فَـفعلْ، ويجب على الإمام أن يُعْـفىَ الرعيةَ مما كَرهـتْ. فأَبى قطَرِىٌّ أن يعزلَه، فقال له القـومُ: إنّا خلعناك ووليّنا عَبْدَ ربِّه الصغيرَ، فـانفصل إلى عبد ربه أكثرُ مـن الشطْر، وجلّهُمْ الموالى والعَـجَمْ، وكان هناك منهم ثمـانية آلاف. وهم القُرَّاءُ. ثم ندم صالِحُ بنُ مخْرَاقٍ. فقال لقـطرىٍّ: هذه نفحة من نفحات الشَّيطان.

(١) سورة النور ١١ وما بعدها.
(٢) سورة هود ٦.
(٣) ساقطة من ر.

فأعفنَا من المُقَـعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوّك، فأبى قطرىٌّ إلاّ المقَعْطَر، فَـحَمَلَ فتًى من العرَب على صالح بن مخراق، فطعنه فأنفذه وأجَرَّهُ الرمحَ فقتَله.

ومعنى «أَجَرَّهُ الرمحَ» طعنه وترك الرمحَ فيه. قال عَنْترةُ:

وآخـرَ مـنهـمُ أجْـرَرْتُ رمـحى ... وفى الـبَـجَـلـىِّ مَـعْـمَـلَةٌ وَقِـيع

فَنَشبَت الحربُ بينهم، فتهايجُوا، ثم انحاز كلُّ قوم إلى صاحبهم. فلما كان الغدُ اجتمعو فـاقتتلوا قتالا شديداً، فأجْلت الحربُ عن أَلْفَى قـتيلٍ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ العربَ من المدينة. وأقام عبدُ ربـه بها. وصار قَطَرِىٌّ خارجـاً من مدينة جيـرفتَ بإزائهم، فقال له عـبيدة: ياأميرَ المؤمنيـن، إن أَقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليـك إلاّ أن تُخَنْدِقَ، فَخنْدَقَ على باب المدينة، وجعل يُناوشهم.

وارتحلَ المهلَّب فكان منهم على ليلة. ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه فقال له: أصلح اللهُ الأميرَ! عاجِلْهُمْ قبلَ أن يصطلحـوا، فقال المهلَّب: إنهم لن يصطلحوا، ولكن دَعْـهُمْ، فإنهم سيـصيرون إلـى حال لايفلحـون معها، ثـم دَسَّ رجلا من أصحابه فقال: إيت عَسكرَ قطَـرىٍّ فقلْ: إنى لم أزلْ أَرَى قطريًّا يُصيب الرّأىَ حتى نزلَ منزلهَ هذا فبانَ خَطَؤه، أنقيمُ بين المهلّب وعَبْد ربِّه. يغاديه هذا القتالَ ويُراوحهُ هذا! فنمى الـكلامُ إلى قطَرىٍّ. فقـال: صَدَقَ. تَنَحَّـوْا بنا عن هذا الموضـع، فإن اتّبَعنَا المهلب قاتلناه، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون، فقال له الصّلْتُ بن مُرَّة: ياأمير المؤمنين، إنْ كنتَ إنما[1] تريدُ اللهَ فأَقْدمْ عـلى القوم، وإن كنت إنما[1] تريد الدنيا فأعْلِمْ أصحابك حتى يَسْتأمنوا، وأنشأ الصَّلْت يقولُ:

قُل للـمُحـلّينَ قـد قَرَّتْ عُـيـونُكُمُ ... بفـرْقة الـقومِ والبَـغْـضاء والهَـرب
كنـا أَنَاسـاً على ديـنٍ فـغَـيَّـرَنَا ... طولُ الجَـدال وخَلْطُ الجِّد بـاللعب
ما كـان أَغنَى رجالاً ضَـلَّ سَعْيُـهُمُ ... عن الجـدال وأغنـاهُم عن الْخَـطَب
إنى لأَهْوَنُـكُمْ فى الأرض مُضْـطَرباً ... مالِى سِوَى فَرَسِى والرمحِ مِنْ نشَب

ثم قال: أصبحَ المهلّب يرجو منّا ما كنّا نطمعُ فيه منه، فارتحل قطرىٌّ، وبلغ ذلك المهلَّب، فقال لِهُرَيم بن عَدِىٍّ بن أبى طَحْمَةَ المُجَاشعِىِّ: إنى لا آمَنُ أن يكون

---

(١) ساقطة من ر.

قطريٌّ كادَنا بتـركِ موضعه. فـاذهب فَتَعَرَّف الخبـر، فمضَى هُرَيْمٌ فى اثنـى عشر فارساً. فلم ير فى العسكر إلاّ عبداً وعلْجاً. فسألهما عن قطرى وأصحابه، فقالا: مَضَواْ يرتـادون غيرَ هذا المنزل. فرجعَ هُـرَيمٌ إلى المهلَّب فأخبـره، فارتحلَ المهلَّب حتى نزلَ خنَدْقَ قطريٍّ، فجعلَ يقاتلهم أحياناً بالغداة، وأحياناً بالعشىِّ، ففى ذلك يقولُ رجلٌ من سَدُوسَ، يقالُ له المُعْنق، وكان فارساً:

لَيـتَ الحرائـرَ بالعـراق شَـهِدْنَـنا ... ورأيْنَـنَا بـالسَّـفْـحِ ذي الأجْـبَـالِ
فَنكَحْنَ أهلَ الجزْءِ مـنَ فرْسَانِنا[1] ... والضَّـارِبينَ جَـمـاجمَ الأبْـطالِ

* * *

ووجّه المهلّب يزيدَ إلى الحـجاج يُخْبِرُه أنه قد نَزَلَ منزلَ قـطريٍّ، وأنه مقيمٌ على عبد ربِّه. ويسأله أن يُوَجِّهَ فى أثْرِ قَطَرِيٍّ رجلا جَلْداً فى جـيشٍ، فسرَّ ذلك الحجـاجَ سروراً أظْهَرهُ، ثم كـتب إلى المهلّب يستحثُّه مـع عُبَيْدِ بـن مَوْهَبٍ وفى الكتاب:

امَا بعـدْ. فإنكَ تَتَراخَـى عن الحرب حتى تأتَـيك رُسْلى، فَتَرجـعَ بُعذْرك، وذلك أنّك تَمْسكُ حـتى تَبْرَأَ الجراحُ، وتُنْسَى القـتلَى، ويَجمَّ النَّاسُ[2]. ثم تَلقاهم فَتَحْـتَملُ منهم مثْـلَ مايَحْتَملُون منـك من وَحْشَة القتل، وأَلَـم الجراح، ولو كنتَ تلْقاهـم بذلك الجدِّ لكان الداءُ قـد حُسِمَ، والقرْنُ قـد قُصِمَ[3]. ولَعَمرى ما أنتَ والقومُ سَـواء؛ لأنَّ من ورائك رجالاً وأمامَك أمـوالاً. وليس للقوم إلاّ مامـعهم. ولا يدْركُ الوَجيفْ بالدَّبيبِ، ولا الظّفَرُ بالتَّعْذير.

فقال المهلّبُ لأصحابه: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أرَاحكُمْ من أقران أربعَة: قطريٌّ ابن الفَجَـاءَة. وصالح بن مخْراق، وعَـبيدةَ بن هلاَل، وسعْـد الطلائع، وإنما بينَ أيديكُم عبدُ رَبّه، فى خـشارٍ من خُشَارِ[4] الشيطان. تقتلونَهم إن شاء الله. فكانوا يَتَغادَوْنَ الـقتالَ ويَتَرَاوَحُون، فـتصيبُهم الجـراحُ، ثم يتحاجَزُون كأنما انـصرفوا من

---

(١) أهل الجزء: أهل الكفاية والغناء فى الحرب.

(٢) يجم الناس: يسترخون.

(٣) قصم قرن الحيوان: كسره، ضربه مثلا لهلاك القوم.

(٤) الخشار: الرديء من كل شيء.

مجلس كانوا يتحدثون فيه. فيضحك بعضهم إلى بعض، فقال عُبَيْد بنُ مَوْهب للمهلّب: قد بان عذرُكَ. وأنا مخبرٌ الأميرَ. فكتب المهلّب إليه:

أَمَّا بعدُ: فإنى لم أعْط رسلَك على قول الحقّ أجراً، ولم أحْتَجْ منهم مع المشاهدة إلى تلْقين. ذكرتَ أَنِّى أجمُّ القومَ، ولابدَّ من راحة يستريح فيها الغالب، ويحتالُ فيها المغْلوب، وذكرتَ أَنَّ فى ذلك الجَمام مايُنسى القتْلى، وتبرأ منه الجراحُ، وهيهاتَ أن يُنْسَى مابيننا وبينهم، تَأبى ذلك قتْلَى لم تَجَنَّ، وقروحُ لم تَتَقرَّف[1]. ونحنْ القوم على حالة، وهُم يَرْقُبونَ منّا حالات، إن طَمعُوا حَارَبُوا. وإن ملُّوا وَقَفُوا، وإن يَئسُوا انْصَرَفُوا. وعلينا أن نُقاتلهم إذاَ اقاتلوا، ونَتَحرَّزَ إذا وَقفُوا، ونَطْلُب إذا هَرَبُوا، فإن تركْتَنى والرأى كان القَرْنُ مَقْصوماً، والداءُ بإذن الله مَحْسُوماً، وإن أعجلتَنى لم أطعْكَ ولم أَعص، وجعلت وَجْهى إلى بَابك. وأنا أعوذ بالله من سخَطِ الله، ومَقت الناسِ.

* * *

ولما اشتدَّ الحصارُ على عبد ربِّه قال لأصحابه: لاتفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال، فإن المسلمَ لايفتقر مع الإسلام إلى غيره. والمسلمُ إذا صَحَّ توحيده عزَّ بربه. وقد أراحَكُم الله من غلْظَة قطَرِىٍّ. وعَجَلَة صالح بن مخراق ونخْوته، واختلاط عَبيدَة بن هلال، ووَكَلَكُمْ إلى بَصائركم؛ فالقَوْا عدُوَّكم بصبر ونية، وانتقلوا عن منزلكم هذا، مَنْ قُتِلَ منكم قتِلَ شهيداً، ومَنْ سَلم من القتل فهو المحرومُ.

وقَدمَ فى هذا الوقت على المهلّب عُبَيْدُ بنُ أبى رَبيعةَ بن أبىْ الصَّلْت الثقفىُّ، يَسْتَحِثُّه بالقتال، ومعه أَمينَان، فقال له: خالفتَ وصيةَ الأمير، وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ، فقال له المهلّب: ما تركتُ جُهْداً، فلما كان العَشىُّ خرج الأزارقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأَموالَهم وخفَّ مَتَاعهم لينتقلوا، فقال المهلّب لأصحابه: الزموا مَصَافَّكُمْ، وأَشْرعُوا رماحكم[2]، ودَعوهم والذَّهَابَ. فقال له عُبَيْدٌ: هذا لعمرِى أيسرُ عليك، فقال للناس: رُدُّوهم عن وَجْهِهم[3]. وقال لبنِيه: تَفَرَّقوا فى الناس،

---

(١) لم نتقرف: لم تتقشر ولم تيبس.

(٢) أشرع الرمح: صوبه. (٣) «وجههم».

وقال لعُبَيْدِ بن أبى ربيعة: كنْ معَ يـزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة أشدَّ الأخْـذ، وقال لأحد الأمينَيْنِ: كَن مع المـغيرة ولا تُرَخصْ له فى الفُتـور، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، حتى عُقـرَتِ الدوابّ وصُرِعَ الفُرسـانُ، وقُتلَت الرجال، فـجعلت الخوارجُ تقـاتِلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوطِ والعلْق الخسيسِ أشد قتال، وَسَقَطَ رمحٌ برجلٍ من مراد من الخوارجِ، فقاتَلوا عليه حتى كَـثَر الجراحُ والقتلُ، وَذلك مع المَغْربِ، وَالُمراديُّ يقولُ:

الـلـيْـلُ لـيْل فـــيــه وَيْلٌ وَيـل وسـالَ بـالقـوم الـشُّـرَاةِ السَّـيَلُ

إن جاز للأعداءِ فينا قَوْلُ

فلمـا عظـم الْحطْب فـيـه بعثَ المـهلَّب إلى المـغيـرة[١]: خَـلِّ لهـم عـن الرمح،عليهم لعنة الله[١]. فخلوا لهم عنه.

ثم مَـضَت الخوارج حتـى نزلوا على أربعـة فراسخَ من جـيرُفْتَ، ودخلـها المهلَّب،فأمر بجَـمع ما كان لهم فيها من المَتَاع ومـا خَلَّفُوه من دقيق[٢] وخَتَم عليه هو والثّقفىُّ والأمينَان، ثم اتَّبعهم، فـإذا هُم قد نَزَلُوا على عينٍ لا يَشْرَب منها إلاّ قوىٌّ، يأتى الرجلُ بالَدَّلْوِ قد شَدّها فى طَرَف رمحه فيـستقى بها، وهناك قرية فيها أهلها، فغاداهُم القتالَ، وضمَّ الثقفى إلى يزيدَ، وأحدَ الأمينَيْن إلى المغيرة، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهـار، فقال المهلّب لأبى عَلْقمـة العَبْدىِّ- وكان شجاعـا عاتياً: اَمْدِدْ بـخَيْلِ الْيـحْمَد، وقُـل لهم: فلْيـعيرُونَا جـماجـمهمْ سـاعة، فقـال له: إنّ جَمـاجمَهُمْ ليـست بفَخـار فتُعَـار، وليستْ أعناقُـهم كَرادن[٣] فتنبُـت- قال أبو العباس[٤]: تقول العربُ لأعْذَاق النَّخْل: كرادِن، وهو فارسىٌّ أعْرِبَ-

وقال لحبيب بن أَوْسٍ: كُرَّ على القوم، فلم يفعلْ، وقال:

يقـولُ لـىَ الأمـيـرُ بغـيـر عـلمٍ تَـقَـدمْ حـيـن جَـدَ به المَـرَاسُ
فـمـالى إنْ أطَـعْتُـكَ من حـيـاةٍ ومـالـى غَـيْـرَ هـذا الرأس راس

(١-١) ر«خل عن الرمح عليهم لعنهم الله» والأجود ما أثبته عن الأصل، س.
(٢) ر: «رقيق». وما أثبته من الأصل، س. (٣) ر: «كرادى».
(٤) ر: «أبو الحسن الأخفش». وما أثبته من الأصل، س.

نَصب: غير، لأنه استثناءٌ مُقدّمٌ، وقد مَضَى تفسيرُه.

وقال لَمَعْن بن المغيرة بن أبى صفْرةَ: احْملْ، فقال: لا، إلاّ أن تزوّجَنى أمَّ مالك بنت المهلّب، ففعلَ، فحملَ على القوم فكَشَفَهم، وطَعَنَ فيهم، وقال:

لَيتَ مَنْ يَشْترى الغَداةَ بمال ... هُلْكُه اليومَ عندَنا فيرانا
نَصِلُ الكَرَّ عندَ ذاكَ بطَعْنٍ ... إنَّ للْمَوْتِ عندَنا ألْوَانَا

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَة عند حَمْلة حَمَلَها عليهم الخوارجْ، فالتفتَ عند ذلك المهلّب إلى المغيرة فقال: ما فَعَل الأمينُ الذى كان معك؟ قال: قتلَ، وكان الثقفى قد هَرَبَ، وقال ليزيدَ: ما فعلَ عُبَيْدُ بن أبى ربيعةَ؟ قال: لَم أرَه منذُ كانت الجولةْ، فقال الأمينُ الآخرْ للمغيرة: أنت قتلتَ صاحبى، فلما كان العَشِيُّ رجَعَ الثقفىُّ، فقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ:

ما زلتَ يا ثَقَفِيُّ تَخْطب بينَنَا ... وتغُمُّنا بوصيَّة الحجَّاجِ
حتى إذا ما الموتُ أقبلَ زَاخراً ... وسمَا لنا صِرْفاً بغير مزَاجِ
ولَّيْت يا ثَقَفِيُّ غيرَ مُنَاظرٍ ... تَنْسَابُ بين أَحِزَّة وفجَاجِ
ليستْ مقارعةُ الكماة لدَى الوَغى ... شُرْبَ المُدامَة فى إنَاءِ زُجاجِ

قوله: «بَيْنَ أحِزَّة» هو جمع حَزِيزٍ، وهو مَتْنٌ يَنْقَادُ مِن الأرض ويَغلظ، والفِجَاجُ: الطُّرقْ، واحدُها فَجٌّ.

وقال المهلَّبُ للأَمين الآخرِ: ينبغي أن تَتَوَجَّهَ مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتَى تبيِّتوا عسكرَهم، فقال: ما تُريدُ أيُّها الأميرُ إلا أن تَقْتُلَنى كما قَتَلت صاحبى قال: ذاكَ إليكَ، وضحك المهلَّبُ، ولم تَكُنْ للقوم خَنادق، فكان كلٌّ حذراً من صاحبه، غير أن الطعامَ والعُدَّة مع المهلب، وهم فى زهاء ثَلاثين ألفاً، فلما أصبح أَشْرَفَ على وادٍ، فإذا هو برجل معه رمح مكسورٌ وَقد خَضَبَه بالدماء. وهو يُنْشد:

جَزَانى دوَائى ذُو الْخمَار وصَنْعتى ... إذا بات أطْواءً بَنىَّ الأصاغرُ
أخادعُهم عنهُ ليُغبَقَ دُونَهم ... وأَعْلَمُ غيرَ الظَّنّ أنِّى مُغاورُ
كأنِّى وأبدانَ السِّلاح عَشيَّةً ... يَمرُّ بنا فى بطنِ فيْحَان طائرُ

فدعاه المهلّب فقال: أتميمىٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أحَنْظَلىٌّ؟ قال: نعم، قال: أيَرْبوعى؟ قال: نَعمْ. قَال: أثعْلَبىٌّ. قال: نعم. قال: أَمِنْ آل نُوَيْرَة؟ قال:

نَعم. أنا مِنْ وَلَدِ مالك بن نَوَيْرَةَ، وسبحانَ اللهِ أيُّها الأميرُ! أيكونُ مثْلِى فى عسكرك لا تعرفه! قال: عرَفْتُك بالشِّعْر.

قوله «ذو الخِمَار» يعنى فرساً وكان ذو الخمارِ فَرَسَ مالك بن نُويرة، قال جريرٍ يهجو الفَرَزْدَقَ:

بيربوع فَخَرْتُ وآل سَعْد   فلا مَجدى بَلَغْتَ ولا افتخارى
بيربوعٍ فوارسُ كلَّ يومٍ   يُوَارى شَمْسَهُ رَهَجُ الغبار
عُتَيْبَة، والأحَيْمر وابنُ عَمْرو   وعَتَّابٌ، وفارسٌ ذى الخِمَار

قوله: «أطَواء» يقال: رجلٌ طَوِى البَطنِ، أى مُنْطَوٍ، يُخْبِرُ أنه كان يؤثر فَرَسَه على وَلده، فيشبعُه وهم جياع، وذلك قوله:

*أخَادعُهُمْ عنه ليغْبقَ دونهمْ *

والغَبُوقُ شرْبُ آخر النهارِ، وهذا شيءٌ تفخر[1] به العربُ، قال الأشْعَرُ الجُعْفىُّ:

لكنْ قَعيدةَ بيتنا مَجْفوَّةٌ   بَاد جَنَاجنُ صَدْرِها ولَهَا غنِى[2]
تقفى بِعيشَةَ أهلها وَثّابةً   أو جُرْشُعاً نَهْدَ المرَاكلِ والشوى[3]

* * *

قال: فَمكثُوا أياماً على غير خنَادقَ يتحارسون ودوابُّهم مسْرَجة، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقان، فلما كانت الليلةُ التى قُتل فى صبْحتها[4] عبدُ ربِّه جَمَعَ أصحابَه وقال: يامعشرَ المهاجرين، إنَّ قطريا وَعَبِيدةَ هرَبَا طَلَب البقاء، ولا سبيلَ إليه، فألقوْا عدوَّكم، فإن غلبوكم على الحياة، فلا يَغْلبنَّكم على الموت، فتَلقَّوْا الرماح بنُحوركم، والسيوفَ بوجوهكم، وهَبُوا أنفسكم لله فى الدنيا يَهَبْهَا لكم فى الآخرة.

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلّبَ فقاتلوه قتالا شديداً، نُسىَ به ما كان قبْله، فقال رجل من الأزْدِ من أصحاب المهلَّب: منْ يبايعنى على الموت؟ فبايعه أربعونَ رجلاً

(١) ر: «تفتخر».   (٢) الجناجن: عظائم الصدر.
(٣) الجرشع: المنتفخ الجنبين. والمركل: موضع رجل الفارس من الفرس.
(٤) ر: «صبيحتها».

من الأزدِ وغيرهم، فصرع بعضهم وقتل بعضهم، وجرح بعض، وقال عبد الله بن رزَامٍ الحارثىُّ لأصحاب المهلّب: احْملوا، فقال: المهلب: أعرابى مجنونٌ! وكان من أهلِ نَجراْن، فحَمَـلَ وحدَه، فاخترق القوم حتى نَجَمَ من نـاحية أخرى ثم رجع، ثم كرَّ ثَانية ففعَل فَعْلَته الأولى، وتهايجَ الناسُ، فَتَرَجَّلت الخوارجُ وَعَقَروا دوابَّهم، فناداهم عَمْرُو القَنَا- ولم يَتَرَجَّل هو وأصحـابُه من العرب، وكانوا زُهَاءَ أَرْبَعمائة: موتوا على ظهور دوابّكم ولا تَعْقروها فقالوا: إنَّا إذا كنَّا على الدواب ذَكَرْنَا الفرارَ.

فاقتتلوا، ونادى المهلب بأصحـابه: الأرضَ الأرضَ، وقال لبنيه: تَفَرَّقُوا فى النَّاسِ لِيَـرَوْا وجوهَـكم، ونادى الخوارجُ: أَلاَ إنّ الـعَيـالَ لمن غَلب. فَـصَبَـر بَنو المهلَّب، وَصَبَـر يزيدُ بين يَدىْ أبيه، وقاتل قـتالاً شديداً أَبلى فيه، فـقال له أبوه: يابُنَّى إنى أَرَى مَـوْطِناً لا يَنْجُـو فيه إلاَ من صَـبَرَ، وَمَـا مَرَّ بى يومٌ مـثلْ هذا منْذُ مارَسْتُ الحروب.

وكَسَرَت الخوارجُ أجفـانَ سيوفها، وتَجاولوا، فأَجْلَتْ جَـوْلَتهم عن عَبد رَبَه مقتـولاً، فَهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصـحابُه، واستأمنَ قومٌ، وأجْلَـت الحرب عن أربعة آلاف قتـيل وَجَرْحَى كـثيرٍ من الخـوارج، فأَمَـرَ المهلّب بأن يُدْفَعَ كلّ جـريحِ إلى عشيرته، وظَفِرَ عـسكرهم فَحوَى ما فيه، ثم انصرفَ إلى جيـرفْتَ، فقال: الحمد الله الذى رَدّنا إلى الخَفْـض والدعَة، فما كان عـيشنا بعيشٍ، ثم نَـظَرَ إلى قومٍ فى عسكر لم يعرفْهُـم، فقال: ما أشدَّ عادة السلاح! نَاوِلْنى درْعى. فلبسها ثم قال: خُذُوا هؤلاء، فـلما سيـرَ بهم إليه قـال: ما أنتم؟ قالـوا: نحن قوم جئنـا لِنطْلُب غرَّتَك لنَفْتَك بك، فأمر بهم فقُتلوا.

* * *

قال أبو العـباس: وَوَجَّهَ المهلَّب كَعْب بـن مَعْدَانَ الأشْقرى، ومـرَّةَ بن تليدٍ الأزدىَّ. من أزدِ شنوءةَ. فوفد على الحجاج، فلما طَلَعَا عليه تقدّم كعْب فأنشده:

يا حَفْصَ إنـى عَدَانى عنكم السـفر   وقد سَهِرْتَ فـأَوْدَى نَوْمِىَ السَّهَرُ (١)

فقال له الحجاجُ: أشاعرٌ أم خطيب؟ قـال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة. ثم أقبل عليه فقال له: أخبرنى عن بَنى المهلب، قال: المغيرةُ فارِسُهم وسيِّدُهم، وكَفَى

---

(١) وضع الشطر الثانى فى ر بين علامتى الزيادة، وهو غير زائد فى الأصل، س.

بيزيدَ فارساً شجاعاً! وجوادُهم وسخيُّهم قَبيصةُ، ولا يَسْتَحْيى الشجاعُ أن يَفِرَّ من مُدْرِك، وعبدُ الملك سمٌّ نَاقعٌ، وحبيب موت زُعافٌ، ومحمدٌ ليثُ غاب، وكفاك بالمفضَّلِ نَجْدَةً! قال: فكيف خلَّفْتَ جَماعةَ الناس؟ قال: خلَفْتُهم بخير، قد أدركوا ما أَملُوا، وأمنوا ماخافوا. قال: فكيف كان بَنُو المهلّب فيهم(١)؟ قال: كانوا حماةَ السَّرْحِ نهاراً. فإذا أَلَيَلُوا ففُرسانُ البَيَات، قال: فأيُّهم كان أَنْجَدَ؟ قال: كانوا كالْحَلْقَة المفرَغة، لا يُدْرى أين طرفها، قالَ: فكيف كنتم أنتم وعدوّكم؟ قال: كنَّا إذا أخذنَا عفَونَا، وإذا أَخَذَوا يئسنا منهم. (٢إذا اجتهدوا واجتهدنا بلغنا فيهم٢) آمالنا إدراك الفرص منهم، فقال الحجاجُ: إنَّ العاقبة للمتقين، كيف أفَلتكُمْ قطريٌّ؟ قال: كدْناه ببعض ما كادَنَا به، فَصرنْا منه إلى التى(٣) نُحب، قال فهَلا أتَّبعتموه؟ قال: كَان الحدّ عندنا آثرَ من الفلّ. قال: فكيف كان لكمَ المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شَفَقَةُ الوالد، وله منّا برُّ الولد، قال: فكيف اغْتباطُ الناس؟ قال: فَشَا فيهم الأمْنُ، وشملَهُمُ النَّفلُ، قال: أَكنْتَ أعددتَ لى هذا الجوابَ؟ قال: لا يعلمُ الغيب إلاَّ الله، قال: فقال: هكذا تكونُ والله الرجالُ! المهلَّب كان أعلَمَ بك حيثُ وَجَّهَكَ.

وكان كتَابُ المهلب إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافى بالإسلام فَقْدَما سواهُ، الذى(٤وصل المزيد بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألاّ ينقطع المزيد منه٤) حتى يَنْقَطِعِ الشُّكْر من عباده.

أمَّا بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بَلغَكَ، وكنا ونحن وعدوُّنا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يَسُوءنا، ويسوءهم منَّا أكثرْ مما يَسُرُّهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان عَلَنَ أمرهُم حتى ارتاعتْ له الفَتَاةُ. ونُوِّمَ به الرَّضيعُ، فانْتَهزْتُ منهم الفُرْصةَ فى وقت إمكانها، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّوَاد، حتى تعارفَت الوجوهُ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أجلُه. **﴿فقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رب العالمين﴾**(٥).

---

(١) ر: «فيكم».

(٢-٢) كذا فى الأصل، س. وفى ر. «وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم».

(٣) ر. «الذى».

(٤-٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر «الذى حكم بألا ينقطع المزيد منه». (٥) سورة الأنعام ٤٥.

فكتب إليه الحجاج:

أمَّا بعد، فإن الله عزَّ وجلَّ قد فَعَلَ بالمسلمين خيرًا، وأراحهم من حَدّ الجهاد، وكنتْ أعلمْ بما قَبَلكَ. والحمد لله رب العالمين - فإذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فيْئَهُمْ، ونفلِ الناس على قَدْرِ بلائهمْ، وفَضِّل مَنْ رأَيْتَ تفضيله، وإن كانتْ بقَيتْ من القوم بَقيةٌ فخَلِّف خيلا تقومَ بإزائهم، واسْتَعْمِل على كَرْمَانَ مَنْ رأَيْتَ وَوَلِّ الخيلَ شهْمًا من ولَدكَ، ولا تَرَخَّصْ لأحد فى اللحَاقِ بمنزله دون أَنَ تَقْدَم بهم علىَّ، وعَجِّل بالقدوم. إن شاء الله.

فولى المهلب ابنه يزيدَ كرْمَانَ. وقال له: يا بُنَيَّ، إنك اليومَ لست كما كنتَ، إنما لَكَ من مال كرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجَّاج، ولن تُحْتَمَلَ إلاَّ على ما احْتُملَ عليه أبوك، فأَحْسنْ إلى مَنْ معك، وإن أنكرت من إنسان شيئًا فوجهه إلىّ، وَتَفضَّلْ على قَوْمِك(١ إن شاء الله١).

* * *

قال أبو العباس: وَقَدمَ المهلبُ على الحجَّاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامَه وبرَّهُ، وقال: ياْ أهلَ العراق، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لَقيطُ الإيادىُّ:

وقَلِّدوا أمركم لله دَرُّكُمْ رَحْبَ الذِّراعِ بأمْرِ الحرْبِ مُضْطَلِعَا
لا يَطعَمُ النومُ إلاَّ رَيْثَ يبعثه هَمٌّ يكادُ حَشاهُ يَقصِمُ الضِّلَعَا
لا مُتْرَفًا إنْ رخاء العيش ساعَدَهُ ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشَعَا
مازال يَحْلُبْ هذا الدهر أَشْطُرَه يكون مُتَّبعًا طورًا وَمُتَّبِعَا
حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَريرَتُه مُسْتَحْكِمَ الرأى لا قَحْمًا ولا ضَرَعَا

فقام إليه رجل، فقال: أصلحَ اللهُ الأمير! والله لكأَنى أسمعُ الساعةَ قطَرِيًّا وهو يقولُ: المهلَّب كما قال لَقيطٌ الإيادِىُّ. ثم أنشد هذا الشعرَ، فسرَّ الحجَّاجُ حتى امتلأ سرورًا.

قوله: «نَفِّل» أى اقْسِمْ بينهم، والنفَلُ: العطيةُ التى تَفْضُلُ. كذا كان الأصلُ. وإنما تفضَّل الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لَبيدُ:

(١ - ١) ساقط من ر.

إنَّ تقْـــوى ربِّنا خـــيْــرُ نـفَلْ   وبـإذنِ الله رَيْثُ وَعَــــــجَـلْ[1]

وقال جل جلاله: ﴿يسْأَلونكَ عَنِ الأنَفال﴾، ويقال: نفَّلْتكَ كذا وكذا. أى أعطيتُك، ثم صار النَّفَلُ لازمًا واجبًا.

وقول الإيادىِّ: «رَحْب الذراع». فالرَّحْب: الواسع، وإنما هذا مَثَلٌ.

يريد واسعَ الصَّـدر متـباعد مـا بين المَنْكِبَـيْن والذراعين، وليس المعنى على تَباعد الخلْق، ولكن على سهولة الأمر عليه. قال الشاعر:

رَحِـيـبْ الذراع بالتى لا تَشِـيُنه   وإن قيلَت العَوراْء ضـاق بها ذَرْعا

وكـذلك قـوله جل وعـز: ﴿يجْعَلُ صَـدْرَهُ ضَيِّـقًا حَـرَجًا﴾[2]. وقوله: «مضطَلِـعًا» إنما هو «مُفْـتَعِل» من الضَّليع، وهـو الشديد. يريد أنه قـوىٌّ على أمر الحرب، مستقل بها. وقوله: «يكون متَّبعًا طوراً ومتَّبعًا» أى قد اتَّبَعَ الناسَ فعَلم ما يَصْلُحُ به أمـرُ الناس. واتَّبع فعَلَمَ مـا يصْلِحُ الرئيسَ. كمـا قال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: قـد أَلْنَاوِإيل[3] علينا. أى قـد أصلَحْـنا أمْـورَ الناسْ. وأصلَحَتْ أمُورُنا. وقوله: «على شَـرز مَريرتْه» فهذا مَثلٌ، يقال: شَـزرْتُ الحبل، إذا كَرَّرْتَ فتْله بعـد استحكامه راجـعًا عليه. المَريرةَ: الحبلْ، والضَّـرَعُ: الصَّغيرْ الضـعيفْ، والقحْم: آخْر سِنِّ الشيخ، قال العجَّاج:

رأينَ قَـحْـمًـا شـــابَ واقلَحـمًـا   طالَ عليــه الدهرُ فـاسْلهَــمَّـا

وَالْمُقْلَحِمُّ مثل القَحْمِ. وهو الجافُّ، ويقـال للصبىّ مُقلَحمّ. إذا كان سيِّء الغذاء، أو ابنَ هَرِمَيْن، ويقال: رجلٌ إنْقَحلٌ وامرأة إنقَحْلةٌ. إذا أَسَنَّ حتى يَيْبَسَ. والمسْلَهِمُّ: الضامر. قال الشاعر:

* لَّما رَأَتْنى خَلَقًا إنقحْلا *

ويقال فـى معنى: «قَـحْم» قَحْرٌ، ويقـال: بعيـرٌ قُحَـاريةٌ، فى هذا المعنى. وقـوله: لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلا رَيثَ يَبْـعَـثُـهُ هَمّ. فـ«ريث» وعَـوَضٌ مما يضـاف إلى الأفعال، وتأويلُه أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ يسيرًا حتى يَبعثَه الهمُّ، فمعناه مقدار ذلك.

(١) الشطر الثانى ساقط من ر.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) من الإيالة: وهى سياسة الحكم.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماءَ الزمان، كقوله عز ذكره: ﴿هذا يومُ ينفعُ الصادقينَ صدْقهُمْ﴾[1]، فأسماء الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل، نحو قولك: آتيكَ يومَ يخَرج زيدٌ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله، وما كان منها فى معنى الماضى جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر، فتقول: جئتكَ يومَ زيدٌ أميرٌ، ولا يجوز ذلك فى المستقبل، وذلك لأن الماضيَ فى معنى «إذ»، وأنت تقول: جئتك إذا زيدٌ أميرٌ، والمستقبلُ فى معنى «إذَا»، فلا يجوز أن تقول: أجئتُك إذا زيدٌ أمير، فلذلك لا يجوزُ: أجئتك يومَ زيدٌ أميرٌ. فأما الأفعال فى «إذَا» و«إذ» فهى بمنزلة واحدة، تقول: جئتك إذْ قام زيد، وأجيئك إذَا قام زيد، فهذا واضحٌ بيِنٌ، ومما يضافُ إلى الفعل «ذو» فى قولك: افعلْ ذاكَ بذِى تَسْلَمُ، وافعلاَه بذِى تسلَمَانِ، معناه: بالذى يُسلمكماَ، ومن ذلك «آية» فى قوله:

بآية تقْدمُون الخيلَ شُعْثًا ... كأنّ على سنَابكها مُدَامَا[2]

والنحو يتَّصلْ ويكثُر، وإنما تركنا الاستقصاءَ لأنه موضعُ اختصار، [3]وقد أتينا على جميع هذا فى الكتاب المقتضب[3]. فقال المهلَّب: إنَّا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أَحَدَّ، ولكنْ دمَغَ الحق الباطلَ، وقَهرَت الجماعة الفتنة، والعاقبة للتقوى. وكان ما كرهناهُ من المطاولة خيرًا مما أحببناهُ من العجلة. فقال له الحجاج: صدقتَ، اذكُرْ لى القوم الذين أَبلوْا، وصفْ لى بَلاَءَهُمْ، فأمرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج، فقال لهم المهلَّبُ: ما ذَخَرَ الله لكم خيرٌ لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله. ثم ذكرهم للحجاج على مَرَاتبهم فى البَلاء وتَفاضلهمْ فى الغَنَاء. وقَدَّمَ بَنيه: المُغيرَة، ويَزيد، ومُدْركا، وحَبيبًا، وقَبيصَةَ، والمُفَضَّلَ وعبدَ الملك، ومحمداً وقال: إنا والله لو تقدّمَهُمْ أحدٌ فى البلاء لقدّمتهُ عليهم، ولولا أَنْ أظلمَهم لأخرتُهم. قال الحجاجُ: صدقت. وما أنتَ بأَعلمَ بهم منى، وإنْ حضرت وغبْت إنهم لَسُيوفٌ من سيوف الله. ثم ذكرَ مَنْ ابن المغيرة بنَ أَبى صُفْرَة والرقَادُ وأشباهَهُما، فقال الحجَّاج: أين الرُّقَاد؟ فدخلَ رجلٌ طويلٌ أَجْنَأُ[4]، فقال المهلَّبُ هذا فارسُ العرب، فقال الرقادُ: أيها الأمير، إنى كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب، فكنت

(١) سورة المائدة ١١٩.

(٢) نسبه سيبويه فى الكتاب (١: ٤٦٠) إلى الأعشى.

(٣ ـ ٣) ساقط من ر.

(٤) من الجنأ؛ وهو ميل فى الظهر.

كبعض الناسِ، فلما صِرتُ مع مَنْ يُلْزِمُنى الصَّبر ويجعلُنى أسوَةَ نفسه وولده ويجازينى على البلاء، صرتُ أنا وأصحابى فُرْسانًا، فأمر الحجَّاجُ بتفضيل قوم على قومٍ على قَدْرِ بلائهم، وزادَ وَلَدَ المهلبِ ألفينِ، وفعل بالرُّقَادِ وجماعةِ شبيها بذلكَ.

قال يزيد بن حَبْنَاء من الأزارِقَة:

دَعى اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليس بدائمٍ ... ولا تعْجَلى باللومِ يا أمَّ عاصِم
فإذْ عَجلَت منك الملامة فاسمَعى ... مقالةَ مَعْنىٍّ بحقَك عالِمِ
ولا تَعْذُلينَا فى الهَدية إنما ... تكون الهدايَا من فضولِ المغانم
فليس بمُهْد مَنْ يكون نَهَارُهُ ... جِلادًا ويمسى ليلَهَ غير نائمِ
يريدُ ثوابَ اللهِ يومًا بطَعْنة ... غموس كَشَدْق العَنْبَرِي بن سالمِ
أبيتُ وسِرْبالى دِلاَصٌ حَصينةٌ ... ومغْفَرُها والسيفُ فوقَ الحيازمِ[1]
حلفتُ بربِ الواقفين عَشيَّةً ... لَدَى عرفات حَلْفَةَ غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقَيتهُم ... بسابور شغلٌ عن بروز اللَّطَائم
توقَّدُ فى أيديهم زاعِبيَّةٌ ... ومُرْهَفَةٌ تَفْرى شُئُونَ الجمَاجمِ

قلت: «مَنْ يكون نهارُه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غيْرَ نائم» يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره. ولكنه جعلَ الفعلَ لليلِ والنهارِ على السَّعة، وفى القرآن: ﴿بل مكرُ الليلِ والنهار﴾[2]. والمعنى بل مكركُم فى الليل والنهار، وقال من أهل البَحْرَيْنِ من اللصوص:

أمَّا النهارُ ففى قَيْدِ وسِلسِلةٍ ... والليُل فى جوفِ مَنحوتِ من السَّاجِ

وقال آخر:

قد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرى ... ونِمْتِ وما ليلُ المطىّ بنائِم

ولو قال: «مَنْ يكونُ نهارَه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غير نائم».

لكان جيدًا، وذاك أنه أراد من يكون نهاره يجَالدُ جلادًا، كما تقول: إنما

---

(١) الدلص من كل شىء البراق، ومنه سميت الدرع دلاسا.
(٢) سورة سبأ ٣٣.

أنت سيَراً، وإنما أنتَ ضربًا، تريد تَسير سَيْرًا، وتضرب ضربًا، فأضْمِر لعلم المخاطَب أنه لا يكون هو سيرا، ولو رَفَعَه على أن يجْعَلَ الجلاَدَ فى موضع المجالِد، على قوله: أنت سيْرٌ، أى أنت جائزٌ كما قالت الخنساء:

* فإنما هىَ إقبالٌ وإدْبَار *

وفى القرآن: ﴿قُل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُم غَوْرًا﴾[1] أى غائرا، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح. ولو قال: «ويُمْسى ليلَه غير نائم» لجازَ، يصير اسمه فى «يمْسى»، ويجعل «ليلَه»، ابتداءً، و«غير نائمٍ»، خبره على السعة التى ذكرنا.

وقوله: «غُموس» يريدُ واسعةَ محيطَة، والعَنْبَرِىُّ بن سالم رجلٌ منهم كان يقال له الأشدَقُ، واللَّطَائم: واحدتها: لَطيمةٌ، وهى الإبلُ التى تَحْملُ البزَّ والعطْرَ. وقوله: «تَوَقَدُ فى أيديهمْ زاعبيَّةٌ» يعنى الرِّماحَ، والتَوَقدُ للأسنَّة، والزَّاعبيةَ منسوبةٌ إلى زاعب، وهو رجلَ من الخَزْرَجِ كان يعملْ الرماحَ. وتَفْرى: تقدُّ، يقال فَرَى إذا قَطَعَ، وأَفَرى إذا أَصْلَحَ.

وقال حَبيبْ بن عَوفٍ من قُوَّاد المهلَّب:

أبا سَعيد جَزَاكَ اللهُ صالحةً ... فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنف على أحَدِ
دَاوَيْتَ بالْحِلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقمعُوا ... وكنتَ كالوالدِ الحَانى على الولدِ

وقال عَبيدَةَ بن هلال فى هربهم مع قطرى:

مازالتِ الأقدارُ حتى قَذَفْنَنى ... بقُومَس بين الفُرَّخَان وصُول

ويُرْوَى أنَّ قَاضِىَ قطَرِى، وهو رجلٌ من بنى عبد القيس، سمع قول عَبيدة ابن هلال:

عَلاَ فوق عَرْشٍ فوقَ سبعٍ ودُونَه ... سَماءٌ تَرى الأَرواَحَ من دُونها تجْرِى

فقال له العبدىُّ: كَفرتَ إلاّ أَنْ تأتىَ بمَخرَج، قال: نعم، رُوحُ المؤمن تعرُجُ إلى السماء، قال: صدقت. وقال يذكُر رجلا منهم:

---

(١) سورة الملك ٣٠.

يَطْوى وترفــعــهُ الرِّمــاحُ كــأنه ... شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مـخالب ضـارِ[1]
فـثـوى صَرِيعًـا والرمـاحُ تنُوشُـه ... إنَّ الشـراةَ قَـصــيـرةُ الأعْـمَـارِ

تَنُوشُهُ: تأخذُه وتتناولُه، وقال الله عز وجل: ﴿وأنى لَهُمُ التناوُش مِنْ مكان بَعيد﴾[2] أى التناولُ، ومثلُ بيتهِ هذا قولُ حَبيب الطائى:

فِـيمَ الشَـماتَةُ إعْـلانًا بأُسْـدِ وَغى ... أفْنَاهُمُ الصَّـبْـر إذْ أبقـاكُمُ الجـزَعُ

وقال أيضًا فى شبيهِ بهذا المعنى:

إنْ يَنْتَـحِلْ حَدَثَانَ الموت أَنْفسكُمْ ... ويَسْلَم الناسُ بَيْنَ الحوض والعَطَن
فـالماءُ ليس عَـجـيـبًـا أن أعـذبه ... يَفْنَى ويَمْـتَـدُّ عُمْـرُ الآجِنِ الأسن

وقال أيضًا:

عليك ســلام الله وَقـفًـا فـإنني ... رأيتُ الكريمَ الحُـرَّ ليس له عُـمْـرُ

وقال القاسمْ بن عيسى:

أُحِــبُّك يا جَنَـانُ فــأَنْت مـنِّى ... مكانَ الـرُّوح من بَدَن الجـبــان
ولَوْ أنـى أقــول مكـانَ روحى ... لَخِــفْتُ عليك بادرةَ الـزمـان[3]
لإقـدامى إذا مـا الحـرب جـاشت ... وهَاب حُـمَـاتَهـا حَـرَّ الـطعَـان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى:

أكــان الجــبــانُ يُـرى أنه ... يُـدَافِعُ عَـنْهُ الْـفــرَار الأجـلْ
فـقــد تدرك الحـادثاتُ الجــبـان ... ويَسْلَمُ مِـنْهَـا الشَّـجــاعُ الْبَطَلْ

* * *

رجع الحديث:

وقال رجل من عبد قيس من أصحاب المهلَّب:

سَـائلْ بـنا عَـمْـرَو الْقَـنَا وَجنُودَه ... وأبَا نعــامــةَ سَــيِّــدَ الكُفّــارِ

أبو نعامَة: قطرىّ.

* * *

(١) الشلو: العضو. (٢) سورة سبأ ٥٢.
(٣) بادرة الرجل: ما بدر منه من قول أو فعل.

وقال المغيرة بن حَبْنَاء الحنظليّ من أصحاب المهلَّب:

إنى امرُؤٌ كـفَّنـى ربِّى وأكـرمَنى عن الأمور الـتى فى رَعْيـهَا وَخَمُ
وإنما أنا إنســـانٌ أعـيشُ كـمـا عاشتْ رجـال وعاشَتْ قَـبْلَهَا أمَمُ
ما عاقنى عن قُفُولَ الْجُنْد إذ قفلوا عنى بما صنـعـوا عَـجْـزٌ ولا بَكَمُ
ولو أردتْ قُـفـولاً مـا تَجَـهَّـمنى إذْنُ الأمير ولا الكتاب إذ رقـموا
إنّ المهـلَّب إن أَشْـتَـقْ لرؤيَتـــه أو أمتـدحْه فإنّ الناس قَـدْ علموا
إن الأريـب الذى تُـرْجَى نـوافلـه والمسـتَـعانَ الْذى تَـجْلَى به الظُّلَمُ
القـائلُ الفـاعـلُ الميـمـون طائره أبو سـعـيـد إذا مَـا عُـدَّت النعم
أزْمَـانَ أَزْمَانَ إذ عَضَّ الحـديد بهم وإذْ تَمنَّـى رِجـالٌ أنـهم هُزِمـوا

* * *

قال أبو العباس: وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل الشيء بالشيء، ويقترح المقـترح ما يفسَخُ به عزمَ صـاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيلُه عن طريقه.

ونحن راجعون إن شـاء الله إلى ما ابتدأ له هذا الكتاب، فإن مـرَّ من أخبار الخوارج شيء مرَّ كـما مرَّ غيره، ولو نَسَقْناه على مـا جرى من ذكرهم لكان الذى يلى هذا خَبَرُ نَجْدَةَ، وأبى فديك، وعمارة الرجل الطويل. وشبيب. ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا.

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله:

باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الكامل

فى

اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

باب

في اختصار الخُطب والتحميد والمواعظ

(نبذ من كلام الحكماء في الموعظة)

قال أبو العبــاس: كان الحسنُ يقول: الحمد لله الذى كَلَّفَنا مـا لو كَلَّفَنا غيرَه لَصِرْنَا فيه إلى معصيته، وآجَرَنا على ما لا بُدَّ لنا منه.

يقول: كلَّفَنا الـصبرَ، ولو كلَّفنا الجَـزعَ لم يمكنا أن نُقيم عليـه وآجَرَنا على الصبر، ولابدَّ لنا من الرجوع إليه.

وكـــان عليّ بن أبى طالـب رضى الله عنه [1] يقـول عندَ التعـزية: عليكم بالصبر، فإنَّ به يأْخُذُ الحازمُ، وإليه يَلجأ [2] الجازعُ.

وقال للأشْـعَث بن قيْس: إنْ صبَـرْتَ جَرَى عليكَ القَدَرُ وأنتَ مَـأجورٌ وإنْ جزَعْتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنت مَوْزور.

وقال الخُزَيْميُّ:

ولو شـئت أن أَبْكِي دَمًـا لبكيتُــهُ	عليه، ولكِنْ ساحةُ الصَّبرِ أوْسَعُ [3]

وفى هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب:

وَأَعــدَدْتُهُ ذَخْــرًا لكـلِّ مُلِمَّــةٍ	وسَـهْمُ المَـنايَا بالذَّخـائِـر مُـولَعُ

---

(١) ر: «صلوات الله عليه».

(٢) ر، س: «يعود».

(٣) قبله:

وإنى وإن أظْهَـرْتُ فِىّ جَلاَدَةً	وَصَانعْتُ أعْدَائى عَلَيْه لَمُوجَعُ
ملكتَ دُمُوعَ العَيْنِ حَتَّى رَدَدَتُها	إلى نَاظِرى وأَعيُنُ القَلْبِ تَدْمَعُ

خطبة لأبى طالب

وخَطب أبو طالب بنُ عبد المُطَّلب لرسـول الله ﷺ فى خَديجة بنت خوَيْلد رحمة الله عليها، فقال: الحـمد لله الذى جعلَنا من ذرية إبراهيمَ وزَرْعِ إسماعيلَ، وجعلَ لنا بلدًا حرامًـا، وبيتًا محْجُوبًا، وجعلَنَا الحُكام عـلى الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله، ابن أخى، مَنْ لا يُوازَنُ به فتًى من قريش إلاَ رَجَحَ عليه برًّا وفضلا، وكرمًا وعقْلاً، ومَجْدًا ونُبْلاً، وإن كانَ فى المال قُلٌّ [1]، فإنما المال ظلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنتِ خُوَيْلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلك، وما أحببتم من الصَّداقِ فعَلىَّ.

وهذه الخطبة من أقْصَدِ خُطَبِ الجاهلية.

وفود النابغة الجعدى على ابن الزبير

ومن جمـيل محاورات العرب مـا رُوِى لنا عن يحيى بن محمـد بن عُروَةَ، عن أبيه عن جَـدِّه، قال: أَقْحَمت السَّنَةُ علينـا النابِغَةَ الجَعْدِىَّ. فلم يَشْـعُر به ابنُ الزُّبَيْر حين صلى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقول:

حكَيْـتَ لنا الصِّـديق حين ولَيـتنَا ... وعثـمانَ والفـاروقَ فارْتاح مُـعْدِمُ

وسَوَّيتَ بين الناسِ فى العَدْلِ فاستَوَوا ... فعـادَ صبَـاحًا حـالكُ الليلِ مُظْلِمُ

أتـاكَ أبو لـيـلى يَشُـقُّ بـه الدجـى ... دُجى الليل جَـوابُ الفلاة عَـثَمـثَمُ

لتَـرْفَعَ منه جـائعًـا ذعـذَعَت به ... صُـرُوفُ الليالى والـزمانُ المُصَـمِمُ

فقال له ابنَ الزبير: هوِّن عليك أبا ليْلى، فأَيْسَـرُ وسائلك عندنا الشِّعر. أمَّا صفوةُ أموالنا فلبَنى أسَد، وأما عفْـوتُها فلآل الصدِّيق، ولكَ فى بيت المال حَقَّان: حقٌّ لصـحبتك رسـولَ الله ﷺ، وحقٌّ بحقك فى المسلـمين. ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رَحـيل، ثم أمر بأن تُوقَرَ حَبًّـا وتمرًا، فجعل أبو ليلى يأخذُ الـتمر فَيستَجمعُ به الحَب فيأكله، فقال له ابنُ الزبير: لشدَّ ما بلغ منك الجَهدُ يا أبا ليلى! فقال النابغة: أمَّـا علىَ ذَاكَ لَسَمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما اسْـتَرْحِمتْ قريشٌ

(١) قل: «قليل».

فرَحمَت وسُئلتُ فأعطت، وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ، ووعَدَتْ فأنجزَتْ، فأنا والنَّبيون على الحوض فرَّاط لقَادمينَ».

قوله: «أقْحَمَت السَّنَةُ» يكونُ على وجهين: يقال: اقتَحَم، إذا دخل قاصدًا، وأكثر ما يقَال من غيـر أن يدخَل، ويكون مِنَ القُحْمَةِ، وهى السَّنة الشديدة، وهو أشبه الوجهين، والآخر حَسَنٌ.

والسَّنة: الجَدْبُ، يقال: أصابْتهم سَنَةٌ إذا أصابهم [١] جَدْبٌ، ومن قوله عز وجل: ﴿ولقد أَخَذْنَا آلَ فِرعَونَ بالسنِينَ﴾ [٢]، أى بالجَدْب.

وقوله: صِفوة، فهى فى معنى الصَّفو، وأكثرُ ما يُستعمل الكسْرُ، والبابُ فى المصادر للحالِ الـدائمة (الكسْرُ [٣]) كقولك: حسَنُ الجِلْسَـةِ والرِّكبةِ (والمِشيَةِ [٣])، والنِّيمَةِ، كأنها خِلْقَةٌ.

والعفْوةُ إنما هو ما عَفَـا، أى ما فَضَلَ، و﴿خذ العَفْوَ﴾ [٤]، قالوا: الفضل، وكذلك قوله جل اسمه: ﴿وَيَسأَلُونَكَ ماذا يُنفقونَ قُلِ العَفْوَ﴾ [٥].

وقولهُ: «عَثْمَثَمٌ»، يريد الموثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ.

وذَعْذَعت، أي أذهبت مالَهُ وفرَّقَتْ حاله.

وقوله: «راحلة رَحـيل»، أى قوية على الرِّحلة مُـعَوَّدَة لهَا، ويقـالُ: فَحلٌ فَحيلٌ، أى مسْتَحكمٌ فى الفحلَـة، وفى الحديث أنَّ ابن عمرً قال لرجل: «اشترِ لِي كبشًا لأضَحِّي به أَمْلَحَ، واجْعَلْهُ أقرَنَ فَحيلا».

وقوله: «فـأنا والنبيون على الحَـوض فُرّاطٌ لِقَادمين»، الفارط: الذى يتـقدمُ القومَ فـيُصْلِحُ الدلاَءَ وَالأَرْشِيةَ ومـا أشبه ذلك من أمـرهم حتى يَردُوا، ومن ذلك قول المسلمين فى الصـلاة على الطفل: «اللهم اجْعلَهُ لنَا سَلَفًا وفَـرَطًا». وجاء في

(١) كذا الأصل، س، وفى ر: «أى جدب»

(٢) سورة الأعراف «١٣٠».

(٣) تكملة من ز.

(٤) سورة الأعراف ١٩٩.

(٥) سورة البقرة ٢١٩.

الحديث عن النبى ﷺ: «أنا فرَطُكم علىَ الحَوضِ» وكـان يقال: يكفيكَ من قريش أنها أقربُ الناس من رسول الله ﷺ نسبًا، ومن بيت الله بيتًا، ويقال: إنَّ دارَ أسَد بن عبد العُزَّى كان يقال لها: رَضيعُ الكَعْـبَة، وذلك أنها كانت تَفىء عليها الكعبة صباحًا، وتفـىء على الكعبة عَشيًّا، وإن كـانَ الرجلُ من ولَد أَسد ليَطوفُ بالبيت فينقطع شِسْعُ نعله فيَرْمى بنعله فى منزله فتُصلَحُ له، فإذا عاد فى الطَّواف رُمِى بها إليه، وفى ذلك يقولُ القائلُ:

لِهَـاشِمٍ وزُهَيْـرٍ فَـضَلُ مكرُمَـةٍ ... بحيثُ حلّتْ نُجـومُ الكبْشِ والأَسَدِ(١)

مجَاورُ البيتِ ذى الأركـان بيتهما ... ما دُونَهُم فى جِوَارِ الـبيت من أحَد

وقال آخرُ:

سـمين قرَيْشٍ مـانعٌ منك لَحْمَـهُ ... وغَثُّ قـريش حيـثُ كان سَـمِينُ

وقال آخرُ:

وإذا مـا أصــبتـه مـن قـريشٍ ... هاشِـميًّـا أصَـبْتَ قَصْـدَ الطريق

وقال حرب بنُ أمية لأبى مَطر الحَضرَمىِّ يدعوه إلي حِلْفِهِ، ونزول مكة:

أبا مـطر هَـلمَّ إلـى صـــلاح ... فَـتكْنُفكَ الـنَّدامى من قـرَيْش

وتأمَنَ وَسْطَهُـم وتَعـيشَ فـيـهم ... أبَا مَطرٍ هُـديتَ لِخَيـرْ عـيش

وتَسْـكنَ بلدةً عَـــزَّتْ قـــديمًا ... وتأمَـن أن يَزُورَكَ رَبُّ جَـــيش

صَلاَح: اسم من أسماء مكة، وكانت مكة بلدًا لَقَاحًا، واللقاحُ: الذى ليس فى سلطان مَلكٍ، وكانت لا تُغزَى تعظيمًا لها، حـتى كان أَمرُ الفجَارِ، وإنما سُمِّى الفجـارَ لفُجـورهم إذ قاتلوا فى الحَرَم، وكـانت قريشٌ تَعـزُّ الحَلِيفَ وتُكرِمُ المَولى وتكادُ تُلْحقُهُ بالصَّميم، وكانت العربُ تفعلُ ذلك ولقريش فيه تَقَدمٌ.

(١) حاشية الأصل: «هما هاشم وزهير، ابنا الحارث بن أسد».

(تحريض سديف على بنى أمية)

ودخل سُدَيْفٌ مَولى أبى العباس السَّفَّاحِ على أبى العباس أمير المؤمنين، وعنده سليمانُ بن هشَام بن عبد الملك، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقبَّلها، فلمَّا رأى ذلك سُدَيْفٌ أقبلَ على أبى العباس، وقال:

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من أنَاس ... إنَّ تحتَ الضُّلوع داءً دَوِيًّا

فَضع السَّيف وارْفَعِ السَّوط حتى ... لا تَرَى فَوقَ ظهرها أمَوِيًّا

فأقبلَ عليه سليمانُ فقَالَ: قَتَلْتَنى أيها الشيخُ قَتَلَكَ الله! وقام أبو العباس فدخلَ، فإذا المنديلُ قد ألقى فى عُنقِ سلَيمان ثم جُرَّ فقُتِلَ.

(تحريض شبل بن عبد الله على بنى أمية).

ودخل شِبْلُ بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على، وقد أجلَس ثمانين رَجلاً من بنى أميةَ على سُمط الطعامِ، فَمثَلَ بين يديه، فقال:

أصْبحَ المُلكُ ثابتَ الآسَاس ... بالبهاليل من بنى العَبَّاس

طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فَشَفوْهَا ... بعد ميل من الزمان ويَاس

لاَ تُقيلنَّ عبدَ شَمس عِثارًا ... واْقطَعَنْ كلَّ رَقْلَة وأوَاسى

ذلُّها أَظهَرَ التَّوَدُّدَ منها ... وبها منكُمُ كَحَزِّ المواسى

ولقد غَاظَنى وغاظَ سَوَائِى ... قُربُهُم من نَمَارقٍ وكَرَاسى

أنزِلُوهَا بحيثُ أنْزلها الله ... بدارِ الهَوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحُسَيْن وزَيدًا ... وقَتيلاً بجانب المِهرْاس

والقتيل الذى بِحَرانَّ أَضحَى ... ثاويًا بين غُربَة وتَناسى

نِعمَ شِبْلُ الهِراش مولاك شبلٌ ... لو نَجا من حَبائِل الإفْلاسِ!

فأمر بهم عبد الله فشُدخُوا بالعَمَد، وبُسطت عليهم البُسُطُ، وجَلَسَ عليها، ودعا بالطعام، وإنه لَيَسْمَعُ أنِين بعضهم حتى ماتوا جميعًا، وقال لِشبل: لولا أنك

خَلَطْت كلامكَ بالمسألة لأَغْنمتُكَ جميعَ أمـوالهم، ولَعَقَدتُ لك على جميع موالى بنى هاشم.

قوله: «الآساس» واحدها أسٌّ، وتقديرها، «فعلٌ وأفعالٌ» وقد يقال للواحد: أساسٌ، وجمعه أُسُسٌ.

والبُهْلُولُ: الضحَّاكُ.

وقوله:

* بعد مَيل منَ الزمان ويَاس*

يقال: فيك مَيْلٌ علينا، وفى الحائط مَيْلٌ، وكذلك كلُّ مُنتصب.

وقـوله: «واقْطَعْن كلَّ رَقْـلَةٍ»، الرَّقْلَةُ: النخلة الطـويلة، ويقـال إذا وُصفَ الرجلُ بالطول: كأنه رَقْلَةٌ.

والأوَاسِىُّ، ياؤه مشددة فى الأصل وتخفيفها يجوزُ، ولو لم يَجُزْ فى الكلام لجاز فى الشـعر؛ لأن القافـية تَقْتَطِعُـه، وكلُّ مُثقَّلٍ فـتخفـيفه فى القـوافى جائزٌ، كقوله:

أصَـحَوْت اليـومَ أَمْ شَاقَـتْك هِرْ ... ومنَ الحُبِّ جُنونٌ مُـسْـتَـعِـرْ [1]

وواحِدُها «آسيَّة» وهى أصل البناء بمنزلة الأساس.

وقوله: «وغَـاظَ سَوَائى» تقـول: ما عندى رجلٌ سِوَى زيـد، فتَقْـصُرُ، إذا كسرت أوله، فإذا فتحت أولَهُ على هذا المعنى مددتَ، قال الأعْشى:

تَجانـفُ عن جوِّ اليـمامة ناقـتى ... وما قَـصَدَتْ من أهلِهَـا لِسَوائِكا [2]

والسَّـواءُ ممدود فى كل مـوضعٍ وإن اختلـفت معـانيـه، فهـذا واحـدٌ منه. والسَّـواء: الوسَطُ، ومنه قـوله عز وجل: ﴿فـرآه فى سَـواَه الجَحِـيم﴾ [3]، وقال حَسَّانٌ:

---

(١) مطلع قصيدة لطرفة: ديوانه ٣٦.

(٢) تجانف: تميل وتعدل

(٣) سورة الصافات ٥٥

يا وَيْحَ أَنصـــارِ النَّبِيِّ ورَهْـطِهِ   بعـدَ المغـيَّب فى سَـواءِ المَلْحَـدِ

والسَّـواءُ: العدلُ والاسـتـواءُ، ومنه قولـه عز وجل: ﴿إلى كَلَمَـةٍ سَـواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكم﴾ (١)، ومن ذلك: عمرو وزيدٌ سَواءٌ، والسَّـواءُ: التَّمامُ، يقال: هذا درهم سَواءٌ، وأصلُهُ من الأول، وقوله عز وجل: ﴿فى أربَـعَةِ أَيَّامٍ سَواءً للسَّائلِينَ﴾ (٢)، معناه تمامًا، ومن قرأ ﴿سَواءٍ﴾ فإنما وَضَعَه فى موضع «مستويات».

والنَّمارقُ، واحدتها نُمرُقة، وهى الوسائد، قال الفرزدقُ:

وإِنَّا لتَـجرى الكَأسُ بين شَـرُوبِنَا   وبينَ أبى قـابُوَس فـوقَ النَّمـارِقِ

وقال: نُصيبٌ:

إذا مَـا بِسَاطُ اللَّهْـو مُدَّ وقُـرِّبتْ   لِلَذَّاتِـه أنْمــاطُـه ونَمَــارِقُـــهْ

وقوله: «مَصْرَعَ الحُسَيْـنِ وزَيْد» يعنى زيدَ بن علىّ بن الحسين، كان قد خَرَجَ على هشام بن عبد الملك، وقَتَلَهُ يوسَف بن عُمَر الثقفى وصَلَبَهُ بالكُنَاسة(٣) عُريانا، هو وجماعة من أصحابه.

ويروى الزُّبيريونَ أنـه كان بين يوسفَ بن عُمَـرَ وبين رجل إحنَة فكان يطلب عليـه علَّة، فلما ظفـرَ بزيد بن علىّ وأصحـابه أَحَسُّـوا بالصَّلب، فأصْلَحُـوا من أبدانهم واسْتحَدُّوا (٤)، فصُلبوا عُراة، وأخذ يوسفُ عَدوَّه ذلك، فنحَلَهُ أنه كان من أصحاب زيد فقتلَهُ وصَلَبهُ، ولم يكن استَحد (٥)، لأنه كان عندَ نفـسه آمنًا، وكان بالكوفة رجلٌ معـتوهٌ عَقْدُهُ (٦) التَّشَـيُّع، فكان يجىء فيقف على زيدٍ وأصـحابه، فيـقولُ: صلى الله عليك يا بن رسـول الله، فقـد جاهدت فى الله حق جـهاده، وأنكرت الجوْرَ ودَافـعَت الظالمين، ثم يُقبلُ عـليهم رجلا رجـلا فيـقول: وأنتَ يا

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة فصلت ١٠.

(٣) الكناسه: محلة بالكوفة

(٤) الاستحداد: الحلق.

(٥) ر: «استمد».

(٦) عقده: اعتقاده

فلانُ، فجزاك الله خيرا، فقد جاهدت فى الله حقّ جهاده، وأنكرت الجورَ ونَصرت ابن رسول الله ﷺ، حتى يقف على عَدوٍّ يوسف فيقولُ: فأما أنت يافلان، فَوُفورُ عانَتِكَ يدُلُّ على أنك برىء مما قُرِفْتَ [١] به!.

قال أبو العباس: وقال حَبيبُ بنُ جَدَرَةَ- ويقال: ابن جُدْرَةَ، وهى السِّلعةُ[٢] - الهلالى.

(قال الأخفش: الصحيح عندنا «ابن خدرة» بالخاء وكسرها، وقال المبردُ: لم أسمعه إلاَّ «جدَرَة» ويقال: «جُدرَة») [٣].

وهو من الخوارج، يعنى زيدَ بن علىّ:

يَابَا حُسَيْنٍ لو شراةُ عِصابةٍ صَحِبُوك كانَ لورِدِهِمْ إصْدَارُ [٤]
يَابَا حُسَين والجديدُ إلى بِلى أولادُ دَرْزَةَ أسلموك وطَارُوا

تقول العربُ للسِّفلَةِ والسُّقَّاط: أولادُ درزةَ، وتقول لمن تُسُبُّهُ: ابن فَرْتَنىَ، وأولاد فرتَنى، وتقول للصوص: بنو غبراءَ، وفى هذا بابٌ.

ويُروى أنَّ شاعراً لبنى أمية قال معارضًا للشِّيع فى تسميتهم زيدًا المهدى [والشاعرُ هو الأعورُ الكَلْبى] [٣]:

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذعِ نخلةٍ ولم نَرَ مَهْدِيًّا على الجذع يُصلَبُ

ونظر بعد زمين إلى رأس زيدٍ مُلقى فى دارِ يوسفَ وديكٌ ينقُره، فقال قائل من الشِّيعَة:

اطرُدُوا الديك عن ذُؤَابةِ زيدٍ طَالَ ما كانَ لا تطاهُ الدَّجَاجُ

وقوله:

* وقتيلا بجانب المِهراس *

(١) قرفت: اتهمت..

(٢) السلعة: خلقة فى البدن من ضرب أو جراحة.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٤) ر: «صبحوك» والبيت لم يذكر فى س.

يعنى حمـزَةَ بنَ عبد المطلـب، والمِهْراسُ ماءٌ بأُحـد، ويُروى فى الحديث أن رسول الله ﷺ عَطَشَ يـومَ أُحُدٍ، فجـاءه علىٌّ فى دَرَقَةٍ بماءٍ من المِهـرَاس، فعـافه فَغَسَلَ به الدمَ عن وجهه.

وقال ابن الزِّبَعْرى فى يوم أُحدٍ:

ليتَ أشيـاخـى ببَـدْر شَـهِـدوا جَــزَعَ الخَـزْرجِ مـن وَقْعِ الأَسَلْ

فـاســأل المِهـراسَ مَنْ ســاكِنُهُ بعــدَ أَبْدَانٍ وهـامٍ كـالحَــجَلْ

وإنما نسب شِبْلٌ قتل حمزة إلى بنى أمَّيـةَ، لأن أبا سفيان بنَ حَرْبٍ كان قائدَ الناس يومَ أحُدٍ.

والقـتيل الذى بِحـرَّانَ هو إبراهيمُ بن محـمد بن علىّ، وهو الذى يقـال له الإمامُ.

وكان يُقال: ضَحَّى بنو حَرْبٍ بالدِّين يوم كرْبَلاَء، وضَحى بنو مروانَ بالمُرُوءَةَ يوم العَقْرِ؛ فـيوم كرْبلاءَ يومُ الحسينَ بن على بن أبى طالب وأصحـابه ويومُ العَقْر يومُ قُتِلَ يزيدُ بن المهلب وأصحابُهُ.

وإنما ذكرنا هذا لِتَقَدُّم قريشٍ فى إكرام مواليها.

[من أخبار الموالى]

ولَّى رسولُ الله ﷺ جيش مُؤْتَةَ زيدًا مولاه، وقال إن قُتِلَ فأميرُكم جعفرٌ.

وأمَّرَ رسولُ الله أسامةَ بن زيدٍ، فبلغـه أن قومًا طعَنُوا فى إمارته، وكان أمَّرَهُ على جيش فيه جلّةُ المهاجرين والأنصار، فقال عليه السلامُ: «إن طعنتم فى إمارته لَقد طَعَنتُم فى إمارة أبيه قبله، ولقد كـان لها أهلا، وإن أسامة لها لأهل»، وقالت عائشـة: لو كان زيدٌ حَيًّا مـا استخلف رسولُ الله غـيرَهُ، وقال عبد الله بـنُ عمر لأبيه: لِمَ فَضَّلْتَ أسامةَ علىَّ وأَنَا وهو سيَّان؟ فقال: كان أبوه أحَبَّ إلى رسول الله من أبيك، وكان أحبَّ إلى رسول الله منكَ، وأوصى رسول الله ﷺ بعضَ أزواجه لِتَميط عن أسامةَ أذًى من مُخاطٍ أو لعابٍ، فكأنها تكَرَّهَتْهُ، فَتَوَلَّى منه ذلك رسول

الله ﷺ بيده، وقال لـه يومًا، ولم يكن أسامةُ من أجـملِ الناس: «لو كنت جاريةً لنَحلَّيْنَاكَ وحَلَّيْنَاكَ حتى يَرْغَبَ الـرجالُ فيكَ» وفى بعض الحديث أنه قـال: «أسامة مِنْ أحَبِّ الناسِ إليَّ».

وكان ﷺ أدَّى إلى نبى قُرَيظَة مكاتبة سَلْمَان، فكان سلمانُ مَوْلَي رسول الله ﷺ، فقال عليّ بن أبى طالب عليه السلام: سلمان مِنَّا أهلَ البيتِ.

***

ويروى أنَّ أمير المؤمنين المهدىَّ نظر إليه ويَد عُـمارَةَ بن حمزة فى يده، فقال له رجلٌ: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخى وابنُ عـمِّى عُمارةُ بن حمزة، فلما ولَّى الرجلُ ذَكرَ ذلك المهـدى كالمازح لعمـارة، فقال له عُـمَارةُ: انتظرت والله أن تقول: «ومولاى» فَأنْفضَ والله يَدَكَ من يدى، فتبسمَ أميرُ المؤمنين المهدى.

ولم يكن الإكرام للموالى فى جُفاة العرب، زَعَمَ الليثى أنه كانت بين جعفر ابن سليمـان وبين مِسْمَع بن كرِديْن منـازعة، وبين يدى مِسْمَع مَـوْلى له، له بَهاءٌ ورُواءٌ ولَسَنٌ، فوجَّهَ جعـفرٌ إلى مسْمَع مَوْلَى له ليُنازعَه، ومـجلسُ مِسْمَعٍ حافلٌ، فقال: إنَ أنصـفنى وَالله جعفرٌ أنَصَفْـتُهُ، وإن حَضَرَ حضـرت معه، وإن عَندَ عن الحق عَنَدْتُ عنه، وإن وَجَّهَ إلى مولى مِـثلَ هذا - وأومأ إلى مولى جعفـر فقال: مَوْلَى مثل هذا! عاضًا لما يَكْرَهُ - وجَّهْتُ إليه، وأومأ إلى مولاه (١ مولَى مثل هذا، عاضًا لما يكره-١) فَعَجِبَ أهلُ المجلس من وضعه مولاه الذى تبهى بمثله العربُ.

وقد قـيلَ: الرجلُ من أبيه، والمولَى من مواليـه، وفى بعض الحديث (٢) أنَّ المعتق من فضلِ طِينَةِ المعْتِق.

ويُروى أنَّ سَلْمـان أخَـذَ من بين يَدى رسولِ الله ﷺ تمرةً مـن تمر الصدقـة فوضعها فـى فيه، فانتزعها منه رسول الله ﷺ، فـقال: «يا أبا عبد الله، إنما يَحلُّ لك من هذا ما يَحلُّ لنا».

(١-١) ساقط س ر.

(٢) ر: «الأحاديث».

ويُرْوى أن رجلاً من موالى بنى مـازن، يُقال له عبد الله بن سليـمانَ، وكان من جلَّة الرجال، نازعَ عَمْرَو بن هدَّاب المازنىَّ، وهو فى ذلك الوقت سيِّدُ بنى تميم قاطبة [1]، فظهرَ عليـه المولى حتى أُذنَ له فى هدم داره فأَدْخلَ الفعَلَـة دارَ عمْرو، فلما قَلَع من سَطحهـا سافاً [2] كَفَّ عنه، ثم قال: يـا عَمرو! قـد أريتك القُدْرَةَ، وسأريك العفوَ.

وقد كان فى قريش مَن فيه جَفْـوَةٌ ونبْوة، كان نَافع بن جُبَيْرٍ، أحد بن نَوْفل ابن عبد مناف، إذا مُرَّ عـليه بالجنازة سأل عنها، فإن قيل: قـرشى قال: واقوماه! وإن قيلَ: عربى قال: وامادَّتاهُ! وإن قيل: مَوْلى أو عجمى. قال: اللهم هُم عبادُك تَأخذ منهم من شِئت وتَدَعُ مَنْ شئْتَ!.

ويُرويٍّ أنَّ ناسكًا من بنى الجهم بن عَمْرو بن تميم كان يقول فى قصَصِه:

اللهم اغفر للعربِ خـاصة وللموالى عامة، فأمّا العَجَمُ فـهم عَبيُدك والأمر إليك.

وزَعَم الأصمعىّ قـال: سمعتُ أعرابيًّا يقـول لآخر: أتُرى هذه العَجَمَ تَنْكحُ نساءَنا فى الجنة؟ قـال: أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، قـال: توطأ والله رقابُنا قبلَ ذلك.

وهذا بابٌ لم نكن ابتدأنا ذكـره، ولكن الحديث يَجُرُّ بعـضه بعضًـا ويحملُ بعضه على لفظ بعضٍ.

***

---

(١) قاطبة، أى جميعهم

(٢) الساف: كل سطر من الطين واللبن.

ثم نعود إلي ما ابتدأناه إن شاء الله، وهو ما نختـاره من مختصرات الخُطَبِ وجميل المواعظ، والزُّهد فى الدنيا لنتصل بذلك، وبالله التوفيق.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

قال أبو العباس: قد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا، أنا نذكرُ فيه خطبا ومواعظ:

فمما نذْكره في [1] ذلك أمرُ التعازى والمرَائى، فإنَّهُ بَابٌ جامعٌ، وقد قيل إنه لم يُقل فى شىء قَطُّ كما قيل فى هذا الباب؛ لأن الناس لا يَنْفكُّون من المَصائب، ومن لم يَثْكَلْ أخاه ثكله أخوه، ومن لم يَعدَم نفيسًا كان هو المعدوم دونَ النفيس، وحقٌّ الإنسان الصبرُ على النوائب، واستشعار ما صدَّرناه، إذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار، لا دار استواء، وعلى فراق المألوف حُرقَةٌ لا تُدفَعُ، ولَوْعَةٌ لا تُرَدُّ، وإنما بتفـاضل النـاسُ بصحـة الفكر، وحسن العَـزاءِ، والرغبـة فى الآخرةِ، وجـميل الذِّكر.

[من مراثى الآباء والإخوة والأبناء]

فقد قال أبو خراشٍ الهُذلى، وهو أحـدُ حُكماء العربِ، يَذْكُر أخاه عروة بن مُرَّةَ:

تَقُـولُ أرَاهُ بعـدَ عـرْوَةَ لاهـيًـا ... وذلـكِ رُزءٌ لو عَـلِمْـتِ جَـليـلُ

فلا تَحْـسَبِى أنى تناسَيْتُ عـهدَهُ ... ولكنَّ صَـبـرِى يا أمَيْمَ جَـمِـيلُ

***

وقال عمرو بن معدى كَربَ:

كـم مـن أَخٍ لِىَ حَـــــــازمٍ ... بـوَّأْته بَـيَـــــدىَّ لحـــــدًا

أَعْـــــرَضْـتُ عن تـذْكـــارِهِ ... وخُـلِقْـتُ يـوم خُلِـقْـتُ جَلْـدًا

وكان ويقـال: من حدثَ نفسَهُ بـالبقاء، ولم يُوطئهـا على المصائب فعـاجزُ الرَّأى.

***

---

(١) ر: «من».

وعَزَّى رَجُلٌ رجلا عن ابنه فقال: أكان يَغيبُ عنك؟ قـال: كانت غيبتُهُ أكثَرَ من حضوره قال: فأَنزِلْهُ غائبًا عنك، فإنه إن لم يَقْدَمْ عليك قَدِمْتَ عليه.

***

وقال إبراهيمُ بنُ المَهْدِيِّ يذكرُ ابنه:

وإنِّى وإنْ قُـدِّمْتَ قَـبـلِى لَعَـالِمٌ ... بأنِّى وإن أَبطَأتُ عنكَ قـريبُ (١)

وإنَّ صَـبَاحًـا نَلْتَـقى فى مَسَـائِهِ ... صـباحٌ إلى قلْبى الغَـدَاةَ حَبِـيبُ

وكفى باليأس مُعزِّيا، وبانقطاع الطمع زاجرًا ! كما قال الشاعر:

أَيَا عَمْرُو لم أَصْبِـرْ ولى فيك حِيلةٌ ... ولكن دعانـى اليأسُ منكَ إلى الصَّبرِ

تصـبـرتُ مـغلـوبًا وإنى لموجَعٌ ... كما صَبَرَ العطشانُ فى البَلَدِ القَفْرِ

***

وقال بعض المحـدثين وليس بناقصـهِ حَظُّهُ من الصوابِ أنه مُحـدَثٌ، يقول لرجل رثاه [قال أبو الحسن: وهو أبو تمام]:

عَجِـبتُ لِصبْرِى بعـدهُ وهْوَ مَيِّتٌ ... وقد كنـتُ أَبْكِيه دَمًا وهـو غائبُ

على أنها الأيامُ قـد صِرْنَ، كلها ... عجائِبَ حتى ليسَ فـيها عجائبُ

***

وحُدثتُ أنَّ عمر بن عبد العزيز لـمَّا مات ابنهُ عبد الملك خطَبَ الناسَ فقال: الحمـدلله الذى جَعَلَ الموت حَتْـمًا وَاجبًـا على عباده، فـسوَّى فيـه بين ضعيـفهم وقويِّهم، ورَفيـعهم ودَنِّيهم، فقال عـز وجل: ﴿كل نَفْسٍ ذَائِقَة المَوْتِ﴾ (٢) فَلْيَعلَم ذَوُو النُّهى منهم أنهم صـائرون إلى قبورهم، مُـفردون بأعمـالهم، واعلموا أن الله

(١) ر: «منك».

(٢) سورة: آل عمران ١٨٥.

مسألة فاحصة، قال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* عَمَّا كَانُوا يَعمَلُون﴾(١)، وله يقولُ القائلُ:

تعزَّ أمِيرَ المؤمنين فإنَّه ... لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ ويُولَدُ
هَل ابنُكَ إلاَ مِنْ سُلالةِ آدَمٍ ... لِكُلٍّ على حَوْض المَنيَّةِ مَوْرِدُ

***

وقال رجلٌ من قريش يرثى ابنه [قال أبو الحسن: هو العُتْبىُّ]:

بِأَبِى وأُمِّى مَنْ عَبَأَتْ حَنُوطَهُ ... بيدى وودَعَّنى بِمَاءِ شَبَابِهِ (٢)
كيف السُّلوُّ وكيفَ صَبْرِى بعدَه ... وإِذَا دُعِيتُ فإنما أكْنَى بهِ!

***

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثى عاصم بن عُمَرَ:

فإنْ يك حُزْنٌ أَوْ تَجَرُّعُ غَصّةٍ ... أَمارًا نَجيعًا مِنْ دَمِ الجَوْفِ مُنْقَعَا
تَجرَعْتُهُ فِى عاصِمٍ واحْتَسَيتُهُ ... لأَعْظَمُ منه ما احْتَسى وتَجَرّعا

***

وقال أبو سعيد إسحاق بن خلفٍ يرثى ابنةَ أخته، وكان تبَّناهَا، وكان حدبًا عليها كلِفًا بها:

أَمْسَتْ أُمَيْمَةُ معمورًا بها الرَّجمُ ... لَقَى صَعِيد عليها التَّرْبُ مُرتكِمُ(٣)
يا شِقَّةَ النَّفْسِ إنَّ النَّفسَ وَالِهَةٌ ... حَرَّى عليكِ ودمعُ العين مُنْسَجِمُ(٤)
قد كنت أَخشى عليها أن تقدِّمنى ... إلى الحمام فيُبْدِى وجْهَهَا العَدَم

---

(١) سورة الحجر ٩٢.

(٢) يقال: عبأت الطيب عبئًا؛ إذا صنعته وخلطته.

(٣) الرجم: القبر، واللقى: الشىء الملقى لهوانه.

(٤) الشقة: نصف الشىء

فـــالآن نْمتُ فـــلاهَمٌّ يُـؤرِّ قُنِى يَهْدَا الغَيــورُ إذا ما أودَتِ الحُرُمُ[1]

لِلَمــوْت عندى أَيَادٍ لست أُنْكِرهَا أَحْـيــا ســــروراً وبى مَمَّا أَتى أَلَمُ

وهذه المرثَّيــة ليست مّما تَقعُ مــع الجزَع القَـراَحِ والحزن المفـرط، ولكنه باب للمَراثى يجمع إفرَاطَ الجزَعِ، وحُسن الاقـتصاد، والميلَ إلى التشكى، والركون إلى التَّعَـزِّى، وقَول مَنْ كان له واعظٌ من نفـسه، أو مُذكرٌ مــن ربه، ومَنْ غلبت عليه الجَساوة[2]، وكان طبعُه إلى القساوة، فقد اختلط كلٌ بكلٍّ.

***

وقال رجل من المحدثين يرثى أباه[3]:

تَجِلُّ رزيَّاتٌ وتَعــرُو مَصــائبٌ[4] ولا مِثْلُ مَا أنْحَتْ علينا يَدُ الدَّهْرِ

لقــد عَـــركَـتْنا للزمـــان مُلمَّــةٌ أذمَّتْ بمحمود الجـلادَةِ والصَّبْر[5]

فهذا يَحْسُــنْ من قائِله أنَّ الرزءَ كان جليلاً بإجماعٍ، فللقــائل أن يتفَسَّح فى القول فيه.

***

وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، وكــان عبد الرحيم من جلة أهله لَسَنًا ونعــمةً وسنًّا وولاية، ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة، وأُمُّ جعفر بن سليمان أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حســـن بن حســن بن عــلى بن أبى طالــب، صـلوات الله عـليهم؛ فلذلك يــقولُ عبد العزيز فى هذه القصيدة:

(١) ألهت: هلكت.

(٢) الجساوة: الغلظ.

(٣) ر: «أخاه».

(٤) حاشية الأصل: «ش: تحل».

(٥) أذمت: تركته مذمومًا..

بموتِكَ يا عبدَ الرحيم بنَ جعفرِ تَفَاحَشَ صَدْعُ الدين عن ألألم الكسْرِ
فيا بنَ النبى المصطفى وابنَ بنته ويا بنْ عَلىٍّ والفواطِم والحَبْرِ [1]
ويا بْنَ اختيار الله من آلِ آدَمِ أَبًا فأبًا طُهرًا يؤدِّى إلى طهر
ويا بنَ سليمانَ الذى كان مَلْجَأً لِمَنْ ضاقت الدنيا به من بَنِى فهْرِ
ومنْ مَلأ الدنيا سَماحًا ونائلاً ورَوَّى حَجِيجًا بالملمعة القَفْرِ [2]
لعَزَّ بما قد نَالَنا مِن رَزِيئةٍ بموتِكَ محبوسًا على صاحب القَبْر
فإن تَضحَ فِى حبس الخليفة ثاويًا أبيًّا لِمَا يُعْطى الذَّليلُ على القَسْرْ
لكمُ من عدوٍّ للخليفة قد هوَى بكفِّك أوْ أَعْطى المَقَادَةَ عن صُغْرِ
فَوَاحزنَا! لو فِى الوَغى كان مَوْتُهُ بكَيْنَا عليه بالرُّدينَّيةِ السُّمرِ
وكنَّا وَقَيناه القَنَا بنُحُورِنَا وفاتَ كذا فى غَيْر هَيْجٍ ولا نَفرِ

***

وحُدِّثْتُ أَنَّ عمرَ بن الخطاب لمَّا وَلَّى كَعْبَ بن سُور الأزدِيَّ قضاء البصرة، أقام عاملاً له عليها إلى أن اسْتُشْهِدَ، على أنه كان قد عزله ثم ردّه، فلما قام عثمان بن عَفانَ أَقَرَّه، فلما كان يومُ الجَمَلِ خرج مع إخوة له - قالوا ثلاثةٌ، وقالوا أربعة - وفى عنقه مُصْحَفٌ، فقُتلوا جميعًا، فجاءت أمُّهم حتى وقفتْ عليهم، فقالت:

يا عين جُودى بدمعٍ سَرِبْ على فتْيَةٍ من خيار العَرَبْ
وما لهُم غيرَ حَيْنِ النُّفو سِ أَىُّ أَمِيرَىْ قريش غَلَبْ!

هذه الرواية «سَرِب» وقالوا معناه: جار فى طريقه، من قولهم: انسَرَبَ فى حاجته، وبيت ذى الرُّمَّة يُختارُ فيه الفتحُ:

* كأنَّه من كلى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ *

(١) الحبر: هو عبد الله بن العباس.

(٢) الملمعة: الأرض يلمع فيها السراب.

لأنه اسمٌ، والأول المكسورُ نعتٌ، ويقبح وضعُ النعتِ موضع [1] المنعوت غير المخصوص.

***

[قال أبو الحسن: حقُّ النعتِ أن يأتى بعدَ المنعوت، ولا يقع فى موقعه حتى يَدُلّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره، تقول: جاءنى إنسانٌ طويلٌ. فإن قلت جاءنى طويل لم يجز؛ لأن «طويلا» أعم من قولك: إنسان، فلا يدل عليه فإن قلتَ: جاءنى إنسانٌ متكلمٌ، ثم قلت بَعْدُ: جاءنى متكلمٌ جازَ؛ لأنك تَدُلُّ به على الإنسان، فهذا شرحُ قوله: «المخصوص»].

***

وقولها: «غَيْرَ حَيْنِ النُّفوسِ» نَصْبٌ على الاستثناء الخارج من أول الكلام، وقد ذكرناه مشروحًا.

والمراثى كثيرةٌ كما وصفنا، وإنما نكتبُ منها المختارَ والنادرَ والمتَمَثَّلَ به السائرَ.

***

فمن مَليح ما قيلَ قولُ رجلٍ يرثى أباه:

[قال أبو الحسن: يقال إنه [2] لأبى العَتَاهِيَة)

قَلْبَ يا قَلْبِ أَوْجَعَكْ ... مَا تَعَدَّى فَضَعْضَعكْ
يَا أبى ضَمَّكَ الثَّرى ... وَطَوَى المَوتُ أَجْمَعَكْ
ليتَنى يومَ مُتَّ صرْ ... تُ إلى حُفرَةٍ معكْ [3]
رَحِمَ الله مَصْرَعَك ... بَرَّدَ الله مَضجَعَكْ

***

(١) ر: «موضع».

(٢) ر: «يقال إنه ابن لأبى العتاهية».

(٣) ر: «تربة معك».

وقال إبرهيم بنُ المهديِّ يرثى ابنَه، وكان مات بالبصرة:

نَأَى آخِــرَ الأيامِ عنك حَـبِـيـبُ ... فلِلعَينِ سَحٌّ دائمٌ وغُـرُوبُ [1]
دَعَـتَـهُ نَـوًى لاَ يُرتَجى أَوبَـةٌ لها ... فَـقَـلبُكَ مسلوبٌ وأنتَ كـئـيبُ
يَؤُوبُ إلـى أَوْطانـه كلُّ غـائـبٍ ... وأحـمـدُ فى الغُـيَّـابُ ليسَ يَؤُوبُ
تَبَـدَّل دَارًا غـيـرَ دَارى وجِـيْـرَةً ... سِـوَاىَ، وأحـداث الزمـان تَنوبُ
أَقـام بـهـا مُـسـتَـوْطنًا غـيـرَ أَنَّه ... علـى طول أَيَّامِ المُـقـامِ غَـرِيبُ
كأن لم يكن كالغُصن فِى مَيعَةِ الضحى ... سَـقَـاهُ النَّدى فـاهْـتَـزَّ وهْو رَطِيبُ [2]
كـأَن لـمْ يكُن كـالدُّر يَلمَـعُ نُورُهُ ... بِأَصـدافِـهِ لـمَّـا تشِنْـهُ ثقُـوبُ
كأن لم يكن زيْن الفِناءِ ومـعقل النساء ... إذا يـومٌ يكـونُ عَـصِـيـبٌ
ورَيْحَـانَ صَـدْرى كـانَ حين أَشُـمُّـهُ ... ومُـؤنِسَ قَـصْرى كـان حينَ أَغِـيب
وكـانت يَدى مَـلأَى به ثم أصـبـحتْ ... بحـمـد إلهى وهْـىَ منه سَلِيبُ
قلـيـلاً من الأيَّام لـم يَرْوَ نـاظِرِى ... بهـا منه حـتى أعلقَـتْـهُ شَـعُـوبُ [3]
كَظلِّ سَـحَـابٍ لم يقُم غـيـرَ سـاعـةً ... إلى أن أَطَـاحـتْـهُ فطَاحَ جَـنُوبُ
أوِ الشـمس لَمَّا منْ غـمـام تَحَسَّـرتْ ... مَـسـاءً وقـد ولَتْ وحـان غُـروبُ
سَـأبكـيك مـا أَبقَتْ دمـوعـى والبكا ... بعـيـنىَّ مـاءً يـا بُنَىَّ يُـجـيـبُ
ومـا غـار نجمٌ أَوْ تَغَنَّـتْ حـمـامـة ... أو اخـضَـرَّ فى فـرْعِ الأرَاكِ قـضـيبُ
حـيـاتِى ما دامت حَـيـاتى فـإنْ أَمُتْ ... ثَـويتُ وفـى قـلبـى عـليكَ نـدوبُ
وأُضْـمِـرُ إنْ أنفـذْتُ دَمـعـى لَوْعَـةً ... عليـك لهـا تحتَ الضُّلوع وَجـيـبُ
دَعَـوتُ أَطِبـاءَ الـعـراقِ فلـم يُصِبْ ... دَوَاءَكَ منـهـم فى البـلاد طَبـيـبُ

(١) السح: الصب، وغروب: جمع غرب وهو الدمع حين يجرى

(٢) ميعة كل شيء: أوله؛ أى فى أول شبابه.

(٣) شعوب: اسم للموت.

ولم يَمْلِكِ الآسُونَ دفعًا لِمُهجَةٍ   عليها لأشراكِ المَنُونِ رَقِيبُ
قَصَمْتَ جَنَاحِي بعدَ ما هد مَنْكبي   أَخُوكَ، فَرأسي قد علاه مَشِيبُ
فأصبَحْتُ في الهلاَّكِ إلاَ حُشاشةً   تُذابُ بنار الحُزنِ فَهْي تَذوبُ
تَوَلَيتُما في حِقْبَةٍ فَتَركْتُمَا   صَدى يَتَولى تَارَةَ ويَثُوبُ
فلا مَيْتَ إلاّ دونَ رُزْئكَ رُزْؤُه   ولو فُتِّتتْ حُزنًا عليه قلوبُ
وإني وإنْ قُدمْتَ قبْلي لَعالمٌ   بأنِّي وإِنْ أَبْطأْتُ منكَ قَريبُ
وإنَّ صباحًا نلتقي في مَسائِهِ   صباحٌ إلى قلبي الغداة حَبيب

***

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبي وتَتَابَعَ له بنُونَ:

كَلَّ لساني عن وصفِ ما أَجِد   وذُقْت ثُكلاً ما ذاقه أَحَدٌ
وأُوطِنَتْ حُرْقَةً حَشايَ فقد   ذاب عليها الفُؤادُ والكبد
ما عَالَج الحُزْنَ والحرارةَ في   الأحشاء من لم يَمتُ له ولَدُ
فجِعتُ باثنين ليس بينهما   إلاَ لَيالٍ ليستْ لها عَدَدُ
فَكلُّ حُزنٍ يَبْلَى عَلى قِدمِ الدّ   هْر وحزني يُجِدّه الأبدُ

***

وذكر بعضُ الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب - وكان عاملاً لعليّ بن أبي طالب على اليمن، فَشخَص إلى عليّ، واستخلفَ على اليمن عمَرو ابن أرَاكةَ الثّقَفيّ، فَوَجَّهُ معاوية إلى اليمن ونواحيها بُسرَ بن أَرْطاةَ، أحدَ بني عامر ابن لؤَيٍّ، فَقَتلَ عَمرو بن أَرَاكةَّ، فَجزَعَ عليه عبد الله أخوه جزَعًا شديدًا، فقال أبوه:

لَعمْرِي لَئِنْ أَتبْعت عينيك مَا مَضى   به الدهرُ أو ساق الحِمامُ إلى القبرِ
لَتسْتَنفَدِنْ ماءَ الشؤُونِ بِأَسْرِه   ولو كنتَ تَمريهن من ثَبَجِ البحرِ

لعمـرى لقد أَرْدى ابنُ أرطأة فـارسًا بصَنعَـاءَ كـالليث الهِـزَبْر أبى أَجْـر
وقلتُ لعـبـد الله إذْ حَنَّ باكـيًّـا تَعَـزَّ، ومـاءُ العين مُنهـمِـرٌ يَجـرى
تَبَـيَّن فـإنَ كـان البُكـا ردَّ هالكًا على أهله فـاشْدُدْ بكَاَك على عـمرو
ولا تَبَكِ مَـيْـتًـا بـعـد مَـيْتٍ أَجَنَّهُ علـىٌّ وعـبـاسٌ وآلُ أبى بَـكر

قـوله: «من ثبَج البحـر» فثَـبَجُ كلِّ شىءٍ وَسَطُهُ، ويروى فى الحـديث [١]: «كنت إذا فاتحـتُ الزُّهرِىَّ فَتَحْتَ مـنه ثَبَجَ البحـرِ»، وقوله: «تَمْريهـنَّ» هو مَثَلٌ، يقال: «مَرَبتُ الناقَةَ» إذا مسحتَ ضَرْعَهـا لتدرَّ، فإنَّما هو استخراج اللبن، ويقال: «مَـرَيتُ برجلى الأرض»، إذا مسـحـتهـا، والأصل ذلك، فـإنما أراد، ولو كنت تستخرجُ الدموعَ من ثبجِ البحر.

***

وكان بُسْرُ بن أَرْطَأَةَ فى تلك الحروب أُرْشِدَ عَلى ابنينِ لعـبيد الله بن العباس ابن عبـد المطلب، وهمـا طفلان وأمُـهما من بـنى الحارث بن كـعب، فوَارتهـما الحارثية، فيقال إنه أخذهما من تحت ذَيْلِهَا فقتلهما، ففى ذلك تقول الحارِثَّيةُ:

ألا مَـنْ بَيَّـنَ الأَخَـوَيْـنِ أَمُّـهـمـا هِـى الثَّكـلى
تسَـائِلُ مَـنْ رَأى ابنيـهـا وتَسْـتـبـغى فَـمـا تُبْـغَى

***

وفى ذلك تقول أيضا:

يا مَنْ أَحَسَّ بُـنَيَّىَّ اللذينِ همـا كالدرَّتين تَشظى عنهما الصَّدَفُ[٢]
يا من أَحَسَ بُـنَيَّىَّ اللذَينِ همـا سمعِى وطَرْفى فطَرْفى اليـومَ مُخْتَطَفُ

(١) قال المرصفى: «الصواب ما ذكره ابن الأثير فى نهايـته، قال: «وفى حديث أم حرام قوم يركبون ثبج هذا البحر»، أى معظـمه ووسطه، ومنه حديث الزهرى: كنت إذا فاتحت عروة بن الزبير فـتقت به ثبج بحر» يريد غزارة علمه وفهمه».
(٢) تشظى: تشقق وتفرق شظايا.

يا مـن أَحَسَّ بُنَيَّـيَّ اللذيـن همـــا
مُخُّ العظام فَـمُخِّى اليـومَ مُزدَهَفُ[1]

نُبِّئْتُ بُسْرا، وما صَـدَّقْتُ مَا زعموا
مِن قولهم ومِنَ الإفْكِ الذى اقْـتَرَفُوا

أَنْحى علـى وَدَجى طِفلى مُـرْهَـفَـةً
مَـشحـوذةً، وعظيمُ الإفْكِ يُقْتَـرَفُ

مَنْ دلّ وَالهـة حَـرّى مُـفـجَـعّـةَ
على صبيَّين غابا إذْ مَـضى السَّلَفُ

***

ويُروى أن معاوية لَمَّا أتاه موتُ عُتْبَةَ تَمَثَّلَ:

إذا سار مَنْ خَلْفِ امـرِئ وأَمامَهُ
وأوحِشَ من أصحـابه فهـو سائرُ

فلما أتاه موتُ زيادٍ تمَثّل:

وأُفرِدْتُ سَهْـمًا فى الكنانة واحدًا
سيُرمى به أو يَكْسِـرُ السَّهمَ كاسِرُ

***

وماتت امرأةٌ للفـرزدق بِجُمْعٍ - ومعنى «جُمْعٍ» وَلَدُها فى بـطنها وإن شئت قلتَ: «جِمْعٌ» يا فتى، فقال الفرزدق:

وجفن سِـلاح قد رُزِئتُ فلم أَنُحْ
عليـه ولم أَبْعَثْ عليـه البَـواكيَـا

وفى جوفـه من دارمٍ ذو حَفـيظةٍ
لوَ انَّ المَنَـايا أنسَـأَتْهُ لَيَـاليـا!

وهذا من البَغْى فى الحكم والتقدم.

***

وقال رجلٌ من المُحـدثينَ فى ابنين لعبـد الله بن طاهر أصيبـا فى يومٍ وَاحدٍ وهما طفلان شَـبيهًا بهذا، ولكنه اعـتذر فَحَسُنَ قولهُ وصحّ مـعناه باعتذاره، وهو الطائى:

لَهْفِى على تلك الشـواهد فيهـما
لو أمـهلَت حتـى تكونَ شَمـائلا

---

(١) مزدحف: أصيب به .

إن الهـــلالَ إذا رأيـتَ نُمُـــوَّهُ   أيقنتَ أنْ سيـكونُ بَدْرًا كـامـلاً

[الفرزدق يرثى حدراء الشيبانية]

وقال الفرزدق يرثى حَدراء الشْيبانية:

يقـول ابن صفـوان بكيتَ ولم تكُن   على امـرأةٍ عَـيْنى إخـالُ لتـدمَـعَـا
يقولـون زر حَدْراءَ، والتربُ دونَـهَا   وكـيفَ بشـئٍ عَـهْـدُهُ قـد تَقَـطعَـا
ولَسْـتُ وإنْ عـــزَّتْ عَـلىَّ بـزائرٍ   ترابًا على مَرْمُـوسةٍ قد تَضعـضَعا[١]
وأهونُ مَـــفْـــقُـــودٍ إذا المـوتُ نالهُ   على المَرءِ من أصـحـابـه مَنْ تَقَنعَـا
ومـا مـاتَ عندَ ابنِ المراغـةِ مـثلُهـا   ولاَ تَبـــعَـــتْـــهُ ظاعِـنًا يوم وَدَّعـــا

[لجرير يرثى امرأته]

وقال جرير يرثى امرأته:

لولا الحَـياء لَهَـاجنى اسْـتِعبَـارُ   ولزُرتُ قـبْـرِكِ والحـبـيبُ يُزارُ
نِعْمَ الخَلَـيلُ وكنت عِلْق مَـضِنَّةٍ   ولَدَى مـنكِ سَكِينـةٌ ووَقـــارُ
لن يُلْبِث الـقـرَنَاءُ أن يَتَـفـرَّقـوا   ليـلٌ يكُرُّ عـليـــهمُ ونـهـــارُ
صلىّ الملائـكةُ الذين تُخُـيِّـرُوا   والصـــالحـون عليـكِ والأبرارُ
أفـأمَّ حـزْرَةَ يا فـــرزدقُ عِـبتُمْ   غَـضبَ المَليكُ عليكمُ الجَـبَّـار[٢]

[الرجل من خزاعة يرثى عمر بن عبد العزيز]

وقال رجـلٌ من خزاعـة - وينحله كَثـيِّرٌ - يرثى عـمرَ بن عـبد العـزيز بن مَرْوان:

[[٣] قال أبو الحسن: الشعرُ لقطُرب النحوىّ، وهو الذى صَحَّ عنه [٣]].

---

(١) المرموسة: يقال رمس الميت يرمسه، إذا دفنه.

(٢) حزرة، هو ابن جرير.

(٣-٣) ر: «قال أبو الحسن: الذى صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي».

أمَّـا القـبـورُ فـإنهنَّ أَوَانسٌ   بِجـوارِ قـبـرِكَ والديارُ قُـبـورُ
جَلّتْ رَزيئَـتُهُ فَعَـمَّ مُـصـابهُ   فـالنـاسُ فـيـه كُلُّهُم مـأجـورُ
والناسُ مَـأْتَمُـهُـمْ عليـه واحـدٌ   فى كـلِّ دارٍ رنَّة وزَفِـيـرُ
رَدَّت صنَائعــه إليــه حَيــاتهُ   فكـأنَّه من نَشــرهـا مَنْشــورُ
يُثْنى عـليك لسـانُ مَـنْ لم تولِهِ   خـيــراً لأنك بالثَّـناء جـديرُ

***

ومثله قولُ عُمارَةَ يمدح خالد بن يزيد بن مَزْيد:

أَرَى الناسَ طُرًّا حـامـدينَ لخـالدٍ   ومـا كُلُّهـم أَفَـضْتْ إليـه صَنـائعُـهْ
ولن يَتْـرُكَ الأقوامُ أن يمدحوا الـفتى   إذا كَـرُمَتْ أخـلاقُـه وطَبـائعـهْ
فـتًى أَمْـعَنَت ضَـرَّاؤُهُ فـى عـدوِّه   وخَصَّتْ وعَمَّتْ فى الصـديق منافعهْ

ومن قوله:

* والناسُ مَأْتمهم عليه واحدٌ*

أخَذَ الطائى فى مَرثِيَته:

لئن أُبْغِضَ الدهرُ الخَؤُونُ لِفـقده   لعـهدى به حَـيًّـا يُحَبُّ به الدَّهرُ
لئن عَظَمتُ فـيهِ مُـصـيبـةُ طيئٍ   لَمَـا عـرِيَتْ منـهـا تميمٌ ولا بكرُ

وقال القرشى :

قد كنت أبكى على مَن كان[1] من سَلَفِى   وأهلُ وُدى جـمـيعٌ غـيـرُ أشـتـاتِ
فـاليـوم إذ فَـرَّقَتْ بينى وبينَـهمُ   نَـوًى بكَـيْـتُ عـلى أهـل المروءاتِ
ومـا بـقـاءُ امـرئٍ كـانت مَدامـعُـهُ   مـقـسـومـةً بين أحـيـاء وأمـوات!

---

(١) ر: «من فات».

[ما تمثل به علي بن أبي طالب عند قبر فاطمة]

ويُروى أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه تمثل عند قبـر فاطمةَ رحمها الله.

[لِكُل اجتـماعٍ من خليطين فُـرقَةٌ   وإنّ الذى دُونَ الفِـراقِ قَليلُ] (١)
وإنّ افتـقادِى واحـدًا بعـد واحدٍ   دلـيلٌ عـلـى ألا يـدومَ خلـيـلُ

[العقيل بن علقة يرثى ابنه]

وقال عُقيل بن عَلَفَة المرِّيُّ، من غطَفَانَ:

لَعَمْرى لقد جاءَتْ قوافلُ خَبَّرَتْ   بأمـــر من الدنـيـا عـلىَّ ثقــيل
وقــالوا ألاَ تَبْكــى لمصْـرع هالكٍ   أصاب سـبيل الله خـيرَ سَـبيلِ!
كـأَنَّ المَنايا تبْـتَـغِى فى خِـيـارِنَا   لَهـــا تـرَةً أو تهـتــدِى بـدليل
لتَـأْتِ المنايا حيثُ شـاءَت فإنهـا   مُـحَلَّلَةٌ بعـدَ الفَـتى ابن عَـقِـيل
فـتى كـان مـولاها يحلُّ بِنَجْـوةٍ   فَــحَلَّ المَوالـى بعــدَه بمســيل

[ما تمثلت به عائشة على قبر أخيها]

وتمثلت عائشةُ رحمها الله عندَ قبـر عبد الرحمن بن أبى بكر بقول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ:

وكُنا كَنَدْمَـانَـى جَـذِيمَةَ حِـقْـبَـةً   من الدهر حتى قيلَ لن يَتَـصَدَّعا
وعــشنْا بخيـرٍ فى الحـياة وقَـبْلنا   أصَابَ المنايا رَهْـط كِسْرى وتُبـعَا
فلمَّــا تفـرقنـا كـأنِّى ومــالكا   لطُولِ اجتــماعٍ لم نَبتْ ليلةً مَـعَا

***

ومات صَدِيقٌ لسليمانَ بن عبد الملك، يقال له شرَاحِيلُ، فتمَّلَ عندَ قبرِه:

وهَوَّنَ وجْدى عن شـرَاحِيلَ أَننى   إذا شئتُ لاقيتُ امرأ مات صاحبُهْ

(١) البيت من زيادات ر.

[الأعرابى]

وقال أعرابىٌّ:

ألا لَهْفَ الأَرَامـلِ واليَـتَــامى ... ولهف البـاكِـيـاتِ على قُـصَىِّ!

لَعَـمرُكَ مَا خـشِيتُ على قُـصىٍّ ... مَـتَـالِفَ بين حِـجـر والسُّلى [1]

ولكِنى خَـشـيتُ علـى قُـصىٍّ ... جَـريرَةَ رُمْـحِـهِ فـى كل حَىّ

فَـتى الفِـتْـيانِ مُـحلَوْلٍ مُـمِرٌّ ... وأَمَّـــارٍ بِإرشـــادٍ وغَىٍّ [2]

فهذا من أجـفى أشعار العرب، ينبئ صاحـبُه أنَّ تقديره فى المرثى أن تكون منيَّتُه قتلا، ويتأسَّفُ من موته حَتْفَ أنفه، ويقول فى مدحه:

*** وأمار بإرشاد وغىّ ***

[خبر عامر بن الطفيل وأربد أخى لبيد]

وشبيهُ بهـذا قول لبيد فى أخيه أربد، لـمَّا أصابته الصاعقـة وأصابت عامرًا الغُدَّة[3] بدعوة رسـول الله ﷺ، وكان عامرُ قد قـدم إلى رسول الله ﷺ [4] ومعه أرْبدُ، فقال لأربد: أنا أشْـغَلُهُ لكَ واضربهُ أنت بالسيف من ورائه، فـدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام على أن يجعل له أعـنَّةَ الخيل، فقال عامـر: ومن يمنعها منى اليوم! ولكن إن شئت فَلَكَ المَدَرُ ولى الوبَرُ، أوْ لىَ المَدَرُ ولك الْوبَرُ. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فقـال: فاجعل لِى هذا الأمرَ بعدكَ، فـأعلمه النبىُّ أنَّ ذلك ليس بكائنٍ، قال: فأبْشرْ بخيل أولَّها عندكَ وآخرُها عندى، فقال رسولُ الله ﷺ: «يأبى الله ذلكَ وابنا قَيْلَة»- يعنى الأوْس والخَزْرَج.

ويُروى أنَّ سعدَ بن عُـبادَةَ قال: يا رسول الله، عَـلاَمَ يَسْحَبُ هذا الأعرابى لسانَه عليكَ! دَعْنى أَقتُلْهُ.

ويُروى أن عامرا قـال للنبى عليه السلام: لأَغزُوَنَّكَ عـلى ألف أَشْقَرَ وألف شَقْراءَ، فلما قال، قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إكـفِنيهما». وتَروى قَيسٌ أنه قال:

(١) حجرة: موضع باليمامة، والسلى: واد بها أيضًا.

(٢) ممر من أمر الشىء، ضد حلا ٥.

(٣) الغدة: طاعون الإبل.

(٤) ر: «وكان عامر بن الطفيل صار إلى رسول الله ﷺ».

«اللهم إن لم تَهْد عامـرًا فاكفنيه»، وقـال عامرٌ لأرْبَد: قد شغلتـه عنك مرارًا فألا ضربَتَهُ! قال أرْبدُ: أردتُ ذلك مرتين فاعـترض لى فى إحداهما حائطٌ من حديد، ثم رأيتُكَ الثانيةَ بينى وبينه، أفأقتلك! فلم يصل واحـد منهما إلى منزله، أمَّا عامرٌ فغُدّ فى ديار بنى سَلول بن صعصَعَةَ، فجـعلَ يقول: أَغدّة كغُدَة البعير، وموتا فى بيت سَلُوليَةٍ! وأمَّا أرْبَدُ فارتفعت له سحابة فَرَمَتْهُ بصاعِقَةٍ فأحرقَتْهُ، وكان أخا لبيدٍ لأمه، فقال يرثيه:

أخـشى على أَرْبَدَ الحُـتُـوفَ ولا ... أَرهَبُ نَوْءَ السِّـمـاك والأسَـد

مـا إن تُـعَـرى المَنُونُ مـن أحـدٍ ... لا والد مُـشـفِـقٍ ولا وَلَد

فَجَّـعَنِى الرَّعدُ والصـواعقُ بالفار ... س يومَ الكـريهَـة النّـجُـد [1]

يا عَـيْنُ هَـلاّ بكَيْـتِ أَرْبَدَ إذ ... قـمْنا وقـام العَـدوُّ فِى كـبَـد [2]

وقال أيضاً:

ذهبَ الذين يُعـاشُ فى أكنافـهمْ ... وبَقيت فى خَلَفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ

يتـحـدَّثون مَـخَـانَةً ومَـلاذَةً ... ويُعـاب قـائلهم وإن لم يَشْـغَب

يَا أَرْبَدَ الخيـرِ الكريمَ جُـدُودُهُ ... غـادرْتَنى أَمْـشى بقـرْن أَعْـضَب

إنَّ الرَّزيئَـةَ لا رزيئَـةَ مـثلهـا ... فِـقدانُ كلِّ أَخٍ كَـضـوْء الكوْكَب

قـوله: «فى خلْف» يقـال: هو خَلَفُ فـلانٍ لمن يَخْلُفُـهُ من رهطه، وهؤلاء خَلْفُ فُلان، إذا قاموا مَقامه من غـير أهله، وقلما يستعمل «خَلْفٌ» إلاَّ فى الشرّ، وأصلُه مـاً ذكرنا، والمخَانة: مـصدرٌ من الخـيانة، والـمَلوذ: الذى لا يَـصْدُقُ فى مودَّتِه، يقـال: رجال مَلوذ ومَلَذَانٌ، ومَلاذةٌ مصـدرهُ، والأعضَبُ: المقطوعُ، وفى الحديث: «لا يُضحى بعَضَباءَ».

ويُروى أن رجـلا قال لِمَـعْنِ بن زائدة فى مـرضه: لولا مـا مَنَّ الله به من بقائِكَ، لكُنَّا كما قال لَبيد:

(١) النجد: البطل الشجاع .

(٢) الكبد: الجهد والمشقة.

ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم وبقيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأجْربِ

فقال له مَعْنٌ: إنما تَذكُرُ أنى سُدْتُ حين ذهبَ الناسُ، هلا قلتَ كما قال نهارُ بن تَوْسِعَةَ:

قَلَّدَتْهُ عُرَى الأُمور نِزارٌ قبلَ أن تهلكَ السَّرَاةُ البُحورُ

ثم نَرجعِ إلى ذكر المراثى:

[الأعرابى]

وقال أعرابى:

لعمرى لقد نادَى بأرفعِ صوته نَعىٌّ حُيىٍ أن سيِّدكم هَوَى
أَجَل صادقًا والقائل الفاعلُ الذى إذا قال قولاً أَنبَط الماءَ فى الثَّرى[(١)]
فتى قَبَلٌ لم تعنس السِّن وَجْهَهُ سِوَى وَضَح فى الرأسِ كالبَرقِ فى الدُّجَى[(٢)]
أشارتْ له الحربُ العَوَانُ فجاءها يُقَعقعُ بالأَقرابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى[(٣)]
ولم يَجْنِها لكنْ جَناها وَلِيُّهُ فآسى وآداهُ فكان كَمن جَنَى[(٤)]

[صدار الخنساء]

ويُروى أنَّ عائشة رضى الله عنها نظرتْ إلى الخنْساء وعليها صِدَارٌ[(٥)] من شَعَرٍ، فقالت: يا خنساء، أَتَلبَسينِ الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله ﷺ عنه! فقالت:

---

(١) أنبط الماء فى الثرى، قال المرصفى: «مثل لإنجاز ذلك الوعد، وإنباط الماء استخراجه كاستنباطه» واسم ذلك الماء النبط، بالتحريك.

(٢) قيل، قال المرصفى: «هو فى الأصل أن يرى الهلال ساعة يطلع من غير أن يتطلب لوضوحه؛ يريد أنه حين يبدو واضح الوجه ظاهره، ولم تعنس السن وجهه؛ أى لم تحوله إلى الكبر، والوضح: بياض الشيب.

(٣) القعقعة: اضطراب السلاح بعضه ببعض، والأقراب: جمع قرب بسكون الراء وضمها، يريد أقراب الخيل.

(٤ آداه: أعانه

رجلا متْلافًا فأَخْفَقَ [١]، فأراد أن يسافرَ، فقلت له: أقم وأنا آتى أخى صَخرًا فأسألْهُ، فأتيته فشاطرَنى مالهُ فأتلفه زوجى، فَعُدَتُ له فعَادَ لى بمثل ذلك، فأتلفه زوجى، فعدتُ له. فلما كان فى الثالثة أو الرابعة، قالت له امرأة: إن هذا المال مُتلَفٌ، فامنَحهْا شرِاَرَها، فقال صخرٌ:

والله لا أمْنحُها شِرارَها ... ولو هَلَكتُ خَرَّقَتْ خِمَارَها

واتخذت من شَعَرٍ صِدارَها

فلما هلكَ اتخذتُ هذا الصِّدارَ، وكان صخرٌ أخَا الخنساء لأبيها فقط.

ويُروى عن بعض نساء بنى سُلَيْم أنها نظرتْ إليها فى صِدار وهى تَصنع طيبًا لابنتها لتَنقلَها إلى زوجها، فَقاولَتْها فى شيء كرهَتْه الخنساء، فقالت لها: اسكتى، فوالله لقد كنتُ أبسطَ منك عَرْفًا [٢]، وأَطيب منك وَرْسًا، وأَحسنَ منك عُرْسًا، وأَرَقَّ منك نَعْلاً، وأكرمَ منك بَعْلاً.

وكان بَشَارٌ يقول: لم تُقل امرأةٌ شعرًا قَط إلا تبينَ الضعفُ فيه، فقيل له: أوَ كذلكَ الخنساء! فقال: تلك كان لها أربعٌ خصىً.

[لبعض القرشيين يرثى أخاه]

وقال القرشى - وتَتَابَع لَهُ بَنونَ:

أَسُكانَ بَطَنِ الأرضِ لو يُقبلُ الفدا ... فُديتُم وأَعْطينا بكم ساكنى الظَّهرِ

فيا ليت مَن فيها عليها ولَيتَ مَن ... عليها ثَوى فيها مقيما إلى الحشر

فماتُوا كأنْ لم يَعْرِف الموتُ غيرَهم ... فَثكل على ثكل وقبرٌ على قبر

لقد شَمت الأعداءُ بى وتَغَيَّرتْ ... عُيونٌ أَراها بعد موت أبى عَمْرو

تَجَرَّى علَىَّ الدَّهر لَمَّا فَقَدْتُهُ ... ولو كان حيًّا لاجترأت على الدهْر

وقاسَمنى دهرى بَنِىَّ مُشاطرًا ... فلمّا تَوفى شَطْرَهُ مالَ فى شَطْرى [٣]

---

(٦) أخفق: ذهب ماله.

(١) العرق: الرائحة.

(٢) توفى أى استوفى، وشطر الشيء: نصفه.

[لآخر يرثى أبناءه أيضًا]

وحدثنى العباسُ بن الفَرَجِ الرّياشيِ قال: قَدَم رجلٌ من البادية، فلما صارَ بِجبَل سَنَامٍ مات له بنونَ، فدفنهم هناك، وقال:

دفَنْتُ الدافعين الضَّيْمَ عَنِّى ... برابيةٍ مُجاورةَ سَنَاما

أقولُ إذاذ كرتُ العَهْد منهمْ ... بنفِسى تلك أَصْداءً وهاما

فلم أرَ مثلَهم ماتوا جميعًا ... ولم أرَ مثل هذا العامِ عاما

***

[قال أبو الحسن الأخفشُ: وفيها عن غير أبى العباس:

فَلَيْتَ حِمَامَهُم إذْ فارقونى ... تلَقَّانَا فكانَ لنا حِمامًا]

[للحارث بن عبد الله الباهلى يرثى أبناءه].

قال أبو العباس: ويُروى أنَّ رجلاً كان له بنونَ سبعةٌ - يَرْوى ذلك أبوالحسن المَدَائنى - قال أبو العباس: فاختُلفَ علىَّ فيهم، فقال قوم: كانوا تحت حائطٍ، وقال قومٌ آخرون: بل حُلبَ لهم فى علبةٍ فمجَّ فيها أفعى فبُعثَ بها إليهم فشربوها فماتوا جميعًا.

والرجلُ يقالُ له الحارثُ بن عبد الله الباهلى، وهَلَكت لجارٍ له شاة فجعَلَ يُعلنْ بالبكاء عليها، فقال قائلٌ:

يأيُّها الباكِى على شَاتهِ ... يَبْكى جِهَارًا غيرَ إسَرارِ

إنّ الرَّزيئاتِ وأمثالها ... مَا بقِى الحارثُ فى الدَّار

دَعَا بنى مَعْنٍ وإِخوانهم ... فكلهم يَعْدوُ بِمحْفارِ

***

قال أبو العباس: والمصائب ما عَظُم منها وما صَغُرَ تقع على ضربين، فالحْزمُ التَّسَلى عمَّا لا يُغنى الغَمّ فيه، والاحتيال لدفعِ ما يُدْفَعُ بالحِيلة.

ومِنْ أَحْسَنِ القولِ فى هذا المعْنَى فى الإسلام، قولُ على بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب عليهم السلام، حينَ مات ابنهُ فلم يُرَ منه جَزَعٌ، فَسئُلَ عن ذلك، فقال: أَمْرٌ كُنا نتوقعه، فلما وَقَع لم نُنْكرِهُ، وفى هذا زيادة تُنتَظَرُ، وفضْلُ تسليم لقضاء الله عز وجل.

والعربُ تقولُ: الحَذرُ أَشدّ من الوَقِيعَة. وقال رجلٌ من الحكماء: إنما الجَزَعُ والإشْفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرضا والتسليم.

ومن هذا قولُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله: إذا استأثر الله بشىء فَالْهَ عنه. يقال: لَهِيتُ عن الأمر أَلْهَى؛ إذا أضربت عنه، ولهَوتُ أَلْهُوا، من اللعب.

[لأوس بن حجر يرثى فضالة بن شريك]

ومن أقْدَمِ ما قيلَ فى هذا المعنى قولُ أوْس بن حجرِ الأَسَيْدىّ، من بنى أُسَيِّدِ ابن عمروْ بن تَميم، يرثى فضالةَ بنَ كَلَدَة، أحدَ بنى أَسَدٍ بنْ خزيمَة:

أيتُها النفسُ أَجْمِلِي جَزَعَا ... إن الذى تَحْذرينَ قد وَقَعَا
إن الذى جَمَعَ السَّماحَـ ... ـة والنَّجدة والحْزَم والقُوى جُمعَا
[أَوْدى فَمَا تَنْفعُ الإشَاحَةُ مِن ... شَىْء لِمَن قد يُحَاوِلُ البِدَعَا] (١)
الألمعى الذى يظن بكَ الظَّنَّ ... كأنْ قد رأى وقد سَمِعَا
المُخلَفُ المُتْلِفُ المُرزأ لَمْ ... يُمْتَعُ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعَا
والحافظ الناسَ فى تَحُوطَ إذا ... لم يُرسلوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعَا
وعَزَّت الشَّمْألُ الرياحَ وقد ... أَمْسَى كَميعُ الفتاة مُلْتَفِعَا
وشُبِّه الهَيْدَبُ السّبَامُ مِنَ الأَقوَامِ ... سَقبا مُلَبَّسًا فَرِعًا
وكانتِ الكاعبُ المُمنَّعةُ الحَسْنَاءُ ... في زادِ أهلها سُبُعَا
لِيبكِكَ الشَّرْبُ والمُدامةُ والفِتيانُ ... طرًّا وطامعٌ طمعَا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نواشِرُهَا ... تَصمِتُ بالماء تَوْلبا جَدِعَا

(١) البيت من زيادات ر.

وفيها زيادةٌ لكنَّا اخترْنَا.

قوله: «الألمعى» الحـديدُ اللسانِ والقلبِ، وقد أبانـهَ بقوله: «الذى يَظُنُّ بك الظَّنَّ كأن قدْ رأى وقد سَمِعَا».

وقوله: «المخـلِفُ المتلفُ» أراد أنه يُتْلَفُ ماله كـرَمًا ويُخْلفـهُ نَجدَة، . كـما قال[1]:

ناقَـتُـه تُرقِلُ فـى النِّقَـالِ[1]　　مُـتْـلِفُ مَـالٍ ومُـفِـيـد مـالِ

وقال آخر:

﴿ فأتلف ذاكَ متْلافٌ كَسُوبُ ﴾

والمُرَزَّأُ: الذى تنالهُ الرَّزيئـاتُ فى ماله لما يُعطى ويُسـأَلُ، والإمتاعُ: الإقـامة فيقول: لم يُقِمْ وهو ضعيفٌ.

والطَّبع: أَسوأ الطَّمَع، وأصلُه أن القلْبَ يعتادُ الْخَلَّةَ الدنيئـةَ فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لِقُـبْح ما يَظهر منه، وهذا مـثلٌ، وأصلُه فى السيف وما أشبـهه، يقال: طَبعَ السَّيْـفُ، إذا ركبه صَدأ يَسْتـرُ حَدَيدَهُ، و﴿طَبَعَ الله على قُلوبهِمْ﴾[2] مِنْ ذا.

وتحُوط وقَحُوطُ: اسمان للسَّنَةِ الجَدبةِ، كما يقال: جَحْرَةٌ وكَحْلٌ.

وقوله:

﴿لم يُرْسلُوا خَلفَ عائذٍ رُبعَا﴾

فالعائذ الحديثـة النتاجُ، والرُّبع: الذى يُنّتَجُ فى الربيعِ، ومن شأْنِهم فِى سَنَةِ الجَدْبِ أن يَنحرُوا الفِصَالَ، لئلاّ ترْضَعَ فَتَضُرَّ بالأُمَّهات.

وقوله: «وعَـزَّتِ الشمْأَلُ الرِّياحَ»، يـقول: غَلَبَتْـها، وتلك علامـةَ الجَدْبِ،

---

(١) النقال: وانظر رغبه الأمل.

الإرقال: ضرب من المشى، والنقال: الحجارة.

(٢) سورة محمد ١٦.

وذَهابِ الأمطار، ومن ذلـك قـولُهم: «من عـزَّ بَزّ» أى مَنْ غَلَـبَ اسـتَلَبَ، وفى القرآن: ﴿وعَزّنى فى الخطاب﴾ [1]، أى غَلَبَنى فى المخاطبة.

وقوله: «وقـد أَمْسَى كَمِـيعُ الفَتاةِ»، فـالكميع الضجـيعُ، وهو الكِمْعُ، قال الشاعر[2]:

ومشحوذ الغِرارِ يبيت كِمْعى

يعنى السَّيفَ، أى يَبيتُ مُضاجعى.

مُلْتَفِعًا، يقال: تَلَفَّعَ فى مُطرَفِهِ وفى كـسائه، إذا تلَفَّفَ وتَزَمَّلَ فيه، فيقول: من شِدَّةِ الصِّرِّ يَلتفعُ به دون ضَجيعه.

والكاعبُ: التى كَعَبَ ثَدْيُهـا، يقول: تصيرُ: كالسَّـبُعِ فى زادِ أهلها بعد أن كانت تعافُ طَيِّبَ الطعامِ.

وقوله: «وذاتُ هِـدْمٍ» يعنى امرأة ضـعيفـة، والهِدْمُ: الكسـاء الخَلَقُ الرَّثُّ، وقوله: «عارٍ نواَشِرُهـا»، النواشرُ: عروقُ الساعد، والتَّوْلَبُ : الصـغيرُ، والجدعُ: السيئ الغذاءِ، وهو الجَحنُ والقَتِينُ.

[الأعرابى]

وقال أعرابىٌّ [3].

خَليلى عُـوجَـا باركَ الله فيكمـا ... على قـبر أَهْبَـانٍ سقَـتْهُ الرَّوَاعِـدُ

فَذَاكَ الفَـتَى كلُّ الفتى كـان بينه ... وبينَ المُزجَّى نَفنَفٌ مُـتَـباعِـدُ [4]

إذا نازع القومَ الأحاديث لم يكنْ ... عَيـيًّا ولا عـبئًـا على مَنْ يُقـاعِدُ

(١) سورة ص ٢٣.

(٢) فى ر: «الراجز»، والصواب ما أثبته من الأصل، والبيت من البحر الوافر.

(٣) نسبـه أبو تمام فى (الحماسة ٢: ٩٧٧ - شـرح المرزوقى) إلى امرأة من بنى أسـد، ونقل المرصفى عن الأغانى أن الأبيات لهفان بن همام.

(٤) النفنف: المهواة بين الجبلين..

[الليلى الأخيلية فى رثاء توبة]

وقالت ليلى الأخيَلِيَّة:

دعـا قـابضًـا والمُرْهَـفَـاتُ يَنُشْنهُ فَقُـبِّحْت مـدعواً ولَـبَّيكَ دَاعـيًا!

فَلَيت عُـبـيـدَ الله كـانَ مكانه صَريعًـا ولم أسمع لِـتَوْبَةَ نَاعـيَا

وكان سببُ هذا الشعـر أنَّ تَوْبَةَ بن حُمَيْر العقَيلى ثم الخـفاجىَّ، غَزَا فغنم، ثم انصرف فعرّسَ[1] فى طريقه فـأَمِنَ فقال[2]، فَنَدَّت فرسُه، فـأحاط به عدوُّه، ومعه عبيدُ الله أخوه وقابضٌ مولاه، فدعاهمـا، فَذَبَّبَ عُبيدُ الله شيئًا وانهزَما وقُتِلَ توبةُ، ففى ذلك تقولُ ليلى الأخيلية:

أعينى أَلاَ فابكى على ابن حُـمَيِّر بدمعٍ كَـفَيضِ الجَـدْولِ المُتَـفَجِّـر

لِتَـبْك عليه مـن خَفَـاجة نِسـوَةٌ بماءٍ شَـؤُونِ الـعَـبْـرَةِ المُتـحَـدِّر

سمـعن بِهَيْجًـا أزَحفَتْ فـذكَرْنَهُ وقد يَبعَث الأحـزان طولُ التَّذكرِ

كـأنَّ فَتى الـفِتْـيـانِ تَوْبَةَ لم يُنخ بِنَجـدٍ ولم يَطْلُع مع المتَــغَـورِ

ولم يـرد الماءَ السَّـــدامَ إِذَا بَدَا سَنَا الصُّبح فى أعـقاب أَخْضَـرَ مُدْبِرِ

ولم يَقدَعِ الخَصْمَ الأَلَدَّ ويَمْلأ الـ جفـانَ سَدِيفًا يومَ نكْبَاءَ صَـرْصرِ

ألاَ رُبَّ مكروبٍ أجبـت وخائفٍ أَجَـرْتَ ومـعـروفٍ لديكَ ومنْكر

فَيا تَوْبَ لْلمَولى ويَا تَوبَ للنَّدى ويَا تَوْبَ للمُـستنـبحِ الـمُـتَنَورِ

قولها:

* لِتبْكِ عليه من خفاجةَ نسوةٌ*

تعنى، خفاجة بن عقيل بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، والهيجاء تُمد وتُقصر، وقد مرّ هذا وقولها:

* بنَجدٍ ولم يَطلعْ مع المتغَوّر*

---

(١) التعريس: نزول المسافر أى حين.

(٢) فقال: من القيلولة؛ وهى النوم نصف النهار.

فالنَّجْـدُ كلُّ ما أَشْـرفَ من الأرضِ، والغورُ كلُّ مـا انخفض، ويقـال: ماءٌ سِدَامٌ ومياهٌ سُدَمٌ، وهى القديمة المنْدفنة، قال الشاعرُ:

وعلْمى بأسـدام المـيـاه فلم تَزَل قلائص تُحـدَى فى طريق طَلاَئح

وسَنَا الصـبح، ضَـوءُه، وهو مـقـصـورٌ، فـإذا أردتَ الحَـسَبَ مـددتَ. والأَخْضَـرُ: الذى ذكَرتْ الليل، والعـربُ تَسَمِّى الأسودَ أخـضَرَ، وقـولها: «ولم يَقْدَع الخَصْمَ الألَدَّ» فالألدُّ الشديد الخصام: والسَّديف: شِقق السَّنامِ.

والنَّكباءُ: الريحُ بين الرِّيحَيْنِ الشديدة الهُبوبِ.

والصَّرصـر: الشديدة الصّوت، والمُسْتَنْبِحُ: الذى يَسْـرِى فلا يَعْرِفُ مـقصِدًا فَيَنْبحُ لتُجيبه الكلابُ فيقصدَها.

والـمُتَنَوِّرُ: الذى يلتـمس ما يَلوح له من النارِ فيـقصده، قال الأخطل يعَـيِّرُ جَريرًا:

قومٌ إذا استَنْبَحَ الأضـياف كَلْبَهُمُ قـالـوا لأُمِّـهِمُ بُولى عـلى النارِ

فيقال إن جريرا توجَّع من هذا البيتِ، وقـال: جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبًا من الهجاء والشتم؛ منهـا البخلُ الفاحشُ، ومنها عقوقُ الأم فى ابتـذالها دونَ غيرها، ومنها تقذيرُ الفِنَاء، ومنها السَّوْءَة التى ذكرها من الوالدة.

وقال آخرُ:

وإنِّى لأَطوى البَطْنَ من دُونِ ملئِه لِمُـخـتـبطٍ فى آخـر الليلِ نَابحِ
وإنّ امتلاء البطنِ فـى حَسَبِ الفَتَى قليل الغَنَاءِ وهو فى الجسمِ صالحُ(١)

***

وقالت ليلى الأخيَّلِيَّة:

نَظَـرْتُ وركُنٌ مـن بوَانَـةَ دونَنَـا وأركانُ حِسْمى أىّ نَظْرَةِ ناظِرِ!(٢)

(١) الغناء: الإجزاء.

(٢) بوانة وحسمى: موضعان.

إلى الخـيل أجلى شأوُها عن عـقيـرة ... لعـاقـرها فيـهـا عـقيـرةُ عـاقـرِ
كـأنَّ كأن فـتى الفِـتْيـانِ تَوْبَةَ لَم يُنخْ ... قـلائصَ يَفْـحَصْنَ الحَـصَى بالكَراكِـرِ
ولم يَبْـنِ أَبْرَادًا رِقـاقًا لِـفـتْـيَـةٍ ... كـرامٍ ويَرْحَـلْ قَـبْلَ فىء الهَـواجِـرِ
فـتـى لا تخطاهُ الرِّفَـاقُ ولاَ يَرَى ... لِقـدْرٍ صـيـالاً دونَ جـارٍ مُـجـاوِرِ
وكنت إذا مَـوْلاكَ خـاف ظُلامـةً ... دعـاكَ ولم يَـقْنع سِـواكَ بـنَاصـرِ

قولها: «أى نَظرَة ناظر»، يصلح فيه الرفعُ، والنصبُ على قوله: نظرتُ أىَّ نظرة، وأيَّةَ نظرة، وأَيَّتَـما نظْرة، كمـا تقول: مررت برجلٍ أَيِّـما رجل، وتأويله: مررتُ برجل كامل. فـأيما في موضع «كامل»، وتقول: مـررت بزيد أَيِّما رجلٍ، على الحال، ومن قـال: «أىُّ نظرةِ ناظرٍ» فعلى القطعِ والابـتداء، والمَخْرَجُ مَـخْرَجُ استفـهامٍ، وتقديرُه: أىُّ نظرةٍ هى! كماً تقول: سـبحانَ الله، أى رجل زيدٌ! وهذا البيتُ يُنْشَدُ على وجهين:

فـأَوْمَـأتُ إيماءً خَـفـيًّـا لِحَبْـتَـرٍ ... ولله عَـيْنَا حَـبْـتَـرٍ أَيَّمـا فَـتى

«وأيُّما» إن شئتَ على ما فسرنا.

وقولها:

* إلى الخَيْلِ أَجْلى شَأْوُها عن عَقيرةٍ*

شأوُها: طَلَقُها [١].

وقولها:

* لعَاقِرها فيها عقِيرَةُ عَاقِرِ*

أى قد أصابوا عقيـرةً نَفيسةً؛ كقول القائل: نعمَ غَنِيمـةُ المُغْتَنِمِ، وكقولهم: عقيرةٌ وكما تكونُ. وهذا نظيرُ قولِه:

ولما أصـابوا نَفْسَ عـمـرِو بن عـامـرٍ ... أَصـــابـوا به وتْرًا يـنيمُ ذوِى الـوتْرِ

---

(١) الطلق: الشوط والغاية.

يقال: ثأرٌ مُنيمٌ إذا أصابه المثئرُ هَدَأَ وَاستـقرَّ، لأنه أصاب كفئا، وهذا خلافُ قولِ الآخرِ:

قومٌ إذا جَـرَّ جانى قـومِهِمْ أَمنُوا   للؤم أحـسـابهمْ أن يُقْـتَلُوا قَـوَدًا

وخلاف قول الحَارث بن عبادٍ:

لا بجـير أَغنى قـتيـلاً ولا رَهـُ   ـط كُلَيْبٍ تَـزاجَـرُوا عن ضـلالِ

ولكن كما قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ:

قـتلت بعـبـدِ الله خـيـرَ لِدَاتهِ   ذؤابًا فلم أفْـخَـرْ بذاكَ وأَجزَعـا

وكما قال عُبيد الله بن زياد بن ظـبيانَ التَّيْمىُّ، من بنى تَيْمِ اللات بن ثعلبةَ، حيث قَتَلَ مْصعَبَ بن الزُّبَيْر بأخيه النَّابى بنِ زيَادٍ:

إنَّ عـبـيـدُ الله مـا دامَ سَـالِمًـا   لسَـار عَلى رَغْمِ العـدوِّ وغَـادِى

ونحن قـتَلْنا ابنَ الزُّبيـر ورأسَـهُ   حـــزَزْنَا بـرأسِ النابِى بـنِ زيادِ

كسر الياء على الأصل، كما قال ابنُ قيس الرُّقَيَّات:

لا بارك الله فـى الغـوانـىِ هَلْ   يَصْـــبـحـنَ إلاَ لَهُنَّ مُطَّـلَب

ومَنْ أَخـذه من نَبأْتُ على القـوم، أى طلعت عليهم، ، فـلا علة فـيه ولا ضرورة.

[قال الأخفشُ: المـعروف فيه الهمـزُ، والمراد لم يَهْمِزْهُ، فإنما أخـذه من نَبا يَنْبُو، فصارَ مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما].

***

وقال أبو الأسد مَوْلى خالد بن عبـد الله القَسْرىِّ، لـمَّا قَتلوا الوَليدَ بنَ يزيد ابن عبد الملك بخالدِ بن عبد الله:

فـإن تَـقـتُلوا مِنَّـا كَـرِيمًا فـإنَّنَا   قَـتَـلْنَا أمـيـرَ المؤمنين بخـالدِ

وإن تَشْـــغلونا عــن ندانَا فـــإننا شَـغَـلنا ولَيـدًا عن بِـنَاءِ الوَلائِدِ
تَركْنَـا أمـيــرَ المؤمـنينَ بخــالدٍ مكبًّا على خَـيشُومِهِ غيـرَ سَاجِدِ

وقال الخزاعىُّ (١) بعد:

قَـتَلنَـا بالفَـتى القَسْــرِىِّ منهمْ ولَيـــدَهُم أمــــيــــرَ المؤمنيــنَا
ومَـــرْوانًــا قَـــتَلـنَا عن يـزيد كـذاكَ قَـضَـاؤنا فى المـعـتـدينَا
وبابن السِّــمط منَّا قــد قَــتْلنا مــحــمــدًا بنَ هارونَ الأمــينَا
فـمن يَـكُ قَـتْلُهُ سُـوقًـا فـإنَّا جَـعَلنَا مَـقْـتَـل الخُلفَـاءِ دينَا

وقولهـا: «ويَرْحَلْ قَبْلَ فَىء الهَـوَاجِرِ» تريد أنه مـتيقظٌ ظعَّـانٌ، والمولى فى قولهـا «إذا مولاك خـاف ظلامةً» يحـتمل ضروبـا، فالمولى ابنُ العَمِّ، وقـوله عز وجل: ﴿وإنِّى خـفـت المَوَالىَ مِنْ وَرَائِى﴾ (٢)، يريدُ بنى العمّ: قـال الفَـضلُ بن العباس:

مَـهلاً بَـنى عَمِّنـا مهـلا مَـوالينا لا تَنْبُـشُوا بينَنـا ما كـانَ مَدفُـونَا

ويكونُ المولى المُعْتَقُ، ويكون المَولَى من قـوله جَلَّ ثناؤُه: ﴿وأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾ (٣)، ويكون المَوْلَى الذى هو أحقُّ وَأولَى، مـنه قوله: ﴿مَـأْوَاكُمُ النار هِىَ مَوْلاَكُمْ﴾ (٤)، أى أَوْلَى بكم، والمَولْى: المالكُ، وقولها: «ولم يبن أبْرَادًا» تريدُ الخِيامَ.

***

قال أبو العباس: وكـانت الخَنساء وليلى بائنَتَيْنِ فى أشعارهما، متـقدِّمَتَيْنِ، لأكثر الفحول، ورُبَّ امرأة تتقـدم فى صناعة، وقَلما يكونُ ذلك، والجملة ما قال الله عز وجل: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشأُ فى الحِلْيَةِ وهو فِى الخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (٥).

وقال النبىُّ ﷺ: «إن المرأة خُلِقَتْ مَن ضِلعٍ عَـوْجَا، وإِنكَ إن تُرِدْ إقامَـتَهَا، تكْسِرْها، فَدارها تَعِشْ بها».

---

(١) هو دعبل.
(٢) سورة مريم ٥ (٣) سورة القتال ١١
(٤) سورة الحديد ١٥ (٥) سورة الزخرف ١٨

فَممن نَدَرَ [١] من النساء في باب مـن الأبواب: أُمُّ أيوبَ الأنصارية [٢]، وأم الدَّرْدَاء [٣]، ورابعة القَيسَّيةُ [٤] ومُعاذَةُ العَدَوِيةُ [٥]، فإنّ هؤلاء النسـوةَ تقدَّمن فى الفضلِ والصلاح، على تَقَدم بعضِهنَّ بعضًا.

حدثنى الجـاحظ عن إبراهيم بن السِّندى، قال: وكانت تـصيرُ إلىَّ هاشمـيةُ جارية حَـمْدونَةَ فى حاجات صـاحبتهـا، فَأَجْمَعُ نفسى لهـا، وأطرُد الخواطرَ عن فكرى، وأَحْضِرُ ذهْنِى جُهدِى، خوفًا من أن تُورِدَ علىّ ما لا أفهمه، لبُعد غَوْرِها، واقتدارها على أن تُجْرِى على لسانها ما فى قلبها.

وكذلك مـا يُؤثرُ عن خالصةَ وعُـتبَةَ جـاريَتْى رَيْطة بنتِ أبى العباس. فـأما النساءُ الأشراف فإنَّ القولَ فيهنّ كثيرٌ مُتسعٌ.

[من مراثي الخنساء]

فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولُها ترثى صخرًا:

يا صـخرُ وَرَّاد ماء قـد تَناذرَهُ [٦] ... أهلُ الميـاهِ ومـا فى وردِه عـارُ
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاء مُعضِلَةٍ ... له سـلاحان: أنيابٌ وأظـفارُ [٧]
ومـا عَـجُـولٌ علـى بَوٍّ تَحنُّ له ... لهـا حنينان: إعـلانٌ وإسـرارُ
تَرْتَعُ ما غَفَـلَتْ حتَّى إذا ادَّكرتْ ... فـإنما هـى إقـبـالٌ وإدْبارُ
يومًـا بِأوْجَعَ مِنِّى يومَ فـارقَنى ... صَخْـرٌ، ولْلعَيش إحْـلاَءٌ وإمَرارُ
وإنَّ صـخـْرًا لَوالينا وسـيِّدُنا ... وإنَّ صـخـرًا إذَا نَشـتُـو لَنَحَّـارُ
وإنَّ صـخـرًا لَتَـأْتَمُ الهُـدَاةُ به ... كـأنه عَلَـمٌ فى رأسـه نارُ
لم تَرَهُ جـارةٌ يَمشى بِـساحَـتِهـا ... لريبـةٍ حين يُخـلى بيتَـهُ الجـارُ

---

(١) ندر: ظهر وبرز

(٢) أم أيوب بنت قيس الخزرجية، زوج أبى أيوب الأنصارى الصحابى.

(٣) أم الدرداء: زوج أبى الدرداء الخزرجى الصحابى

(٤) رابعة بنت إسماعيل العدوية من ولد سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس

(٥) معاذة بنت عبد الله العدوية

(٦) تناذره، أى أنذر بعضهم بعضًا وأخافه (٧) الهيجاء: الحرب.

قولها:

يا صَخرُ وَرَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَهُ ... أَهْلُ المياهِ وَمَا فِى وردِهِ عارُ

تعنى الموت، أى لإقدامه على الحرب.

والسَّبْتنى والسَّبَنْدَى واحدٌ، وهو الجرىء الصَّدرِ، وأصْله فى النَّمر، والعجُولُ: التى فارقها ولدُها.

والبَوُّ، قد مضى تفسيره، وكذلك: «فإنما هىَ إقبالٌ وإدْبارُ»، وقد شرَحْنا كيف مَذْهَبُه فى النحو.

وقولها: «إلى هيجاءَ مُعْضلة» تعنى الحَربَ.

وقولها: «كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ» فالعَلَمُ الجبلُ، قال الله جل وعز: ﴿وله الجَوارِ المُنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلامِ﴾(١)، وقال جريرٌ(٢):

* إذا قطعن عَلَمًا بدَا عَلَمْ *

***

ومن حَسَن شعرِها قولها:

أَعَينَىَّ جودَا ولا تَجْمدَا ... ألاَ تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدى

ألاَ تَبْكِيانِ الجَرِىءَ الجَميلَ ... ألاَ تبكيانِ الفَتَى السَّيِّدَا

طويلَ النِّجادِ رَفيعَ العِمَا ... دِ سادَ عَشيرَتَهُ أَمرَدَا

إذَا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ ... إلى المَجْدِ مَدّ إليه يَدَا

فنالَ الذى فوقَ أَيْديهمُ ... منَ المجدِ ثم مَضَى مُصْعِدَا

يُكَلِّفُهُ القومُ ما عَالَهمْ ... وإن كان أصغرَهم مَوْلِدَا

---

(١) سورة الرحمن ٢٤.

(٢) من أرجورة له فى ديوانه ٥٢٠، وبعده:

* فَهُنَّ بَحثًا كمضلاتِ الخَدَمْ *

تَرَى الحــمــدَ يَهْــوى إلى بيتِــه　　يَرَى أفــضلَ الكَسْبِ أن يُحــمَــدَا

قولهــا: «طويل النِّجاد»، النِّجادُ: حَــمَائِلُ السَّيــفِ، تريدُ بطولِ نجاده طولَ قامتهِ، وهذا مما يُمدَحُ به الشريفُ، قالَ جريرٌ:

فــإنى لأَرْضى عبدَ شــمْسٍ وما قَــضَتْ　　وأَرْضَى الطِّــوال البِــيضَ مِــن آل هاشم

وقال مَرْوانُ لأمير المؤمنين المهدى [1]:

قَصُــرَتْ حمــائلُهُ عليه فَــقَلّصَتْ　　ولقـــد تأنَّقَ قَــيْنُــهــا فَــأطالَــهَــا

وقال رجلٌ من طَيئ:

جَــديــرٌ أن يُقِلَّ الســيفَ حــتى　　يَنُوسَ إذا تَمطــى فى النِّجــادِ [2]

وقال الحكَمىُّ [أبو نوَاس] [3]:

سَــبِطُ البَنَانِ إذا احْــتَــبى بِنجــادهِ　　غَمَــرَ الجَمَــاجِمَ والسِّــماطُ قــيامُ

وقال عنترة:

بطلٌ كَــأَنَّ ثيــابَه فى سَــرْحَــةٍ　　يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْءَمِ [4]

وقولها: «رَفِيع العمَــادِ» إنما تريدُ ذاك، يقال: رجل معُمَّد أى طويل، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِرَمَ ذاتِ العِمادِ﴾ [5]، أى الطِّوال.

وقولها: «ما عَالهم» أى ما نَابَهُم، ونَزَلَ بهم، تقــول العربُ: ما عالك فهو عائلى، أى ما نَابَك فهو نائبى، ومنْ ذا قولُ كُثيِّرٍ.

يا عَـــيْنُ بكِّى لِــلَّذى عَـــالَــنى　　مِنــكِ بدمعٍ مُـــسْـــبَلٍ هــامِلٍ

***

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «المهدى».

(٢) قل الشىء: رفعه، وينوس: يتحرك.

(٣) مكتملة من ر.

(٤) السرحة: الشجرة العظيمة

(٥) سورة الفجر ٧.

ومن جيد قولها:

أَبَعْدَ ابنَ عَمْرو مِنَ الِ الشَّرِيدِ — حلَّت به الأرضُ أثقالَها
لعَمرُ أبيهِ لنعْمَ الفَتَى — إذا النفسُ أَعَجبها ما لَهَا
فإن تكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به — فقد كان يُكْثِرُ تقْتَالَها
فَخَرَّ الشَّوامِخُ من فقْدِه — وزُلْزِلَت الأرضُ زِلْزَالَها
هَمَمْتُ بِنَفْسِيَ كلَّ الْهُمُومِ — فَأَوْلَى لِنفْسيَ أوْلَى لَها !
لأَحْمِلَ نفسى على آلةٍ — فَإمَّا عَلَيها وإمَّا لَها!

قولها: «حلت به الأرضُ أثقالها» حلَّت من الحَلى [1]، تقولُ زَينت به الأرض الموتى، وقال المفسرون فى قول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقالَها﴾ [2]، قالوا: الموتى.

وقولها: «لَنعمَ الفتَى إذَا النفسُ أَعجبَها ما لَها»، تقول: يَجودُ بما هُوَ له فى الوقت الذى يُؤثرُهُ أَهلهُ على الحمدِ.

والشوامخُ: الجبالُ، والشامخُ: العالى، ويقال للمتكبر: شَمَخَ بأنفه.

وقولها: «على آلةٍ» أى على حالةٍ وعلى خُطةٍ، هى الفَيْصَلُ، فإمَّا ظَفَرتْ وإمَّا هلكت.

وقولها: «فأولى لنَفسيَ أَولَى لها»، يقولُ الرجلُ إذا حاول شيئًا فأفلَتَهُ من بعدِ ما كادَ يصيبهُ: أَوْلَى له ! وإذا أَفْلَتَ من عظيمةٍ قال: أَوْلَى لِى ! ويروى عن ابن الحَنَفيَّة أنه كان يقول إذا مات ميتٌ فى جوارِهِ أو فى دارِهِ: أَوْلَى لى ! كِدْت والله أكونُ السَّواد المُخترَمَ، وقد مضَى هذا مُفَسَّرًا.

وأَنْشِدَ لرجلٍ يَقْتَنِص، فإذا أَفْلَتَهُ الصيدُ، قال: أَوْلَى لكَ ! فكَثُر ذلك منه فقال:

---

(١) الحلى: اسم لكل ما يتزين به.

(٢) سورة الزلزلة ٢.

فلو كان «أولى» يُطعمُ القـومَ صِدْتهُمْ[1] ولكنَّ «أَوْلى» يَتَرُكُ القـومَ جُوَّعًا

***

وقالت الخنْسَاءُ تـرثى أخاها معاويةَ بنَ عَمْـرو - وكان معاويةُ أخـاها لأبيها وأمِّها، وكـان صخر أخاها لأبيـها، وكان أحبَّـهما إليهـا بعيدا [2]، وكان صـخرٌ يسـتحقّ ذلك منهـا بأمور، منهـا أنه كان مـوصوفًـا بالحلم، ومشـهورًا بـالجُود، ومعروفًا بالتقّدمِ فى الشجاعة، ومَحْظوظًا فى العشيرة- :

أَرِيقى من دُمـوعكِ وَاستَـفِيـقى وصـبرًا إِن أَطَقْتِ، وَلَن تُطيـقى
وقُــولى إنَّ خَـيْــرَ بنى سُـلَيم وفـارِسَـهَـا بصَـحْـراءِ العـقـيق
ألاَ هَلْ تَرْجِــعَنَّ لَنَا الليَــالى وأَيامٌ لـنا بِلَوى الـشَّـقــيق[3]
وإذْ نحـنُ الفــوارسُ كـلَّ يوم إذا حَـضَـرُوا وفـتيـانُ الحُـقـوقِ
وإذْ فـِينَا مـعــاويةُ بن عـمـرو على أدْمَـاءَ كـالجَـمَـلِ الفَنيقِ[4]
فَـبكِّيـهِ فـقـد أوْدَى حَـمِـيـدًا أمين الرَّأيِ مـحـمـودَ الصَّـديق
فــلا واللّه لا تَسْــلاكَ نفـسِى لِفَـاحِـشَـةٍ أتيتَ ولا عُــقـوقِ
ولكنِّى رأيــتُ الصـبـرَ خـيـرًا مـن النَّـعْلَـينِ والرأسِ الحَـليـقِ

قولها:

* أَريقى من دموعكِ واستفيقى *

معناه أَنَّ الدَّمْعَةَ تُذْهِبُ اللّوعَةَ

ويُروى عن سليمـانَ بن عبد الملك أنـه قال عند موت ابنه أيوبَ، لعـمرَ بن

(١) قال المرصفى: «يريد صدت لهم»
(٢) ساقطة من ر.
(٣) العقيق: ماء لبنى أسيد بن عمرو بن تميم.
(٤) أدمـاء؛ أى ناقة أدماء، والأدمة فى الإبل: البيـاض مـع سواد المقلتين، والجمل الفنيق: كريم على أهله لا يهان..

عبد العزيز ورَجَاء بن حيْوَة: إنى لأَجِدُ فى كبِـدى جَمَرةً لا تطفئها إلاّ عَبْرَةٌ، فقال عمرُ: اذْكُرِ الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبـر. فنظر إلى رجاء بنَ حَيْوةَ كالمستريح إلى مَشـورَتِه، فقال له رجاءٌ: أَفِـضْهَا يا أمـيرَ المؤمنين، فما بذاك من بأس، فـقد دَمَـعَتْ عـينَا رسـول الله ﷺ عـلى ابنه إبرَاهيم، وقـال: «العينُ تَـدْمَعُ، والقلبُ يُوجَعُ، ولا نقولُ ماَ يُسْخطُ الربَّ، وإنَّا بِكَ يا إبراهيمُ لَمَحزونونَ» فأرسلَ سليمانُ عـينَه فبكى حـتى قَضى أَرَبًا، ثم أَقْبَل عليـهمـا فقـال: لو لم أَنْزِفْ هذه العَبْـرَةَ لانصَدَعَت كَبِـدى، ثم لم يَبْك بعدَها، ولكنَّه تمَثَّل عند قبره لـمَّـا دَفَنَه وحثَا على قبره الترابَ، وقال: يا غلامُ، دابَّتى ثم التفت [1] إلى قبره فقال:

وَقَـفْتُ على قـبر مُـقـيمٍ بِقَفْـرَةٍ مَـتَاعٌ قليلٌ من حَـبـيبٍ مُفـارقِ

رجعنا إلى تفسير قولها، وقولها:

* وصَبْرًا إن أَطَقْتِ ولن تُطيقى*

كقول القائل: إن قَدَرْتَ على هذا فافعل، ثم أبَانَت عن نفسها فقالت: «ولن تُطيقى».

وقولها:

* فلا والله لا تَسْلاكَ نفسِى*

تريد: لا تَـسْلُو عنك، كـقـوله عــز وجل: ﴿وإذا كَـالُوهُـمْ أوزَنُوهُم يُخْسِرُونَ﴾[2]، أى كالَوا لهم أو وزَنَوا لهم.

وقولها:

* لفاحشةٍ أتيتَ ولا عُقُوقِ *

معناه: لا أَجِـدُ فيكَ مـا تسلو عنك له، ثم اعتـذرتْ من إقصارهـا بفضلِ الصَّبْرِ، فقالت:

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر، «ثم وقف متلفتا»

(٢) سورة المطففين ٣.

ولكنّى رأيتُ الصَّبْر خيرًا ... من النعلين والرأسِ الحَليق

تأويلُ «النعلين» أنَّ المرأة كانت إذا أُصيبتْ بحَميمٍ جعلت فى يديها نعلينِ تصّفق [1] بهما وجهَهَا وصدرَها.

قال عبد منافِ بن رِبْعِ الهُذَلِىُّ:

ماذَا يَغيرُ ابْنَتَىْ رِبعٍ عَويلُهُما ... لا تَرقُدَان ولا بُؤسَى لِمَنْ رَقَدا

كلتاهما أُبْطِنَتْ أَحشاؤها قَصبًا ... من بَطنِ حَلْيةَ لا رَطبًا ولا نقدًا

إذا تَأَوّبَ نَوْحٌ قامتَا مَعَهُ ... ضَربًا أليمًا بِسِبْتٍ يَلمعَ الجِلِدَا

قوله:

ماذَا يَغيرُ ابْنَتَىْ رِبْعٍ عَويلُهُمَا

يعنى أُختيَه، يقولُ: ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ!

وقوله:

* كِلتَاهُمَا أُبطِنَتْ أحشاؤُها قَصبًا *

أراد لترديد النائحة صوتًا كأنه زَميرٌ، وإنما يَعنى بالقصبِ المَزَاميرَ، كما قال الراعى:

زَجِلُ الحُداء كأنَّ فى حَيْزُومِهِ ... قَصبًا ومُقْنِعَةَ الحَنينِ عَجُولا

***

[قال الأخفشُ: الزَّجَلُ: اختلاط الصوت الذى لصوته تطريبٌ. والحَيزوم: الصَّدرُ، «وقصبًا»، يعنى زِمارًا [2]، شبَّهَ صوتَ الحادى بالمزمْار، ومُقنعة، أراد: وصوت مُقْنَعَةٍ، يعنى ناقة، ثم حذَفَ الصوتَ وأقام «مُقنعة» مَقامَه.

***

(١) تصفق: تضرب؛ «من صفق الطائر بجناحيه» أى ضرب بهما.

(٢) قال المرصفى: «صوابه مزمارًا، فأما الزمار، فهو صوت النعامة».

وقال عَنتَرةُ:

بَرَكَتْ على مـــاء الرِّدَاعِ كـأنَّمـا   بَرَكْت على قَصَب أجشَّ مُـهضَّم

قال الأصمعى: نَرْمَنَايْ (١)

وقوله: «لا رطبـا ولا نقدًا» يقـول: ليس برْطب لا يَبِينُ فيـه الصوتُ، ولا بِمؤتكلٍ، يقال: نَقَدَتِ السِّنُّ، إذا مَسَّهَا ائتكال، وكذلك القرْنُ، قال الشاعر (٢):

* يألمُ قَرْنًا أَرُومُهُ نقِدُ *

وقوله: «بسبْتِ» يعنى النعلَ المُنجردَة.

ويَلعجُ: يُؤثِّرُ، واحتاج إلى تحريك «الجلد» فـأَتبَعَ آخرَه أوله، وكذلك يجوزُ في الضرورة فى كلّ [شىء] (٣) ساكن

وأمَّا قولْ الفرزدق:

خَلَعْـنَ حُلِيَّـــهنَّ فَـهُـنَّ عُطلٌ   وبِعْنَ بـه الْمُقَــابَلَةَ التّــؤامَــا (٤)

يعنى اشتـرِيْنَ النعالَ، فليس [هذا] (٥) من هذا الباب، وإنما سُبِينَ فـاشْتَرَيْنَ نعالاً للخدمة.

وكذلك قوله:

أُخِـذْنَ حَـرِيرات وأَبْدَيْنَ مِـجْلَدًا   ودَارَت عليهنَّ المُقَّشَـةُ الصُّفرُ (٦)

يعنى القِداح، يقول: سُبِينَ فاقْتُسِمْنَ بالقِدَاح.

---

(١) نرمناى: هو الناى

(٢) حاشية الأصل:

* تَيْسُ تيوس إذا يناطِحُها*

وهو لصخر الغى.

(٣) من ر.

(٤) عطل : جـمع عـاطل بدون هاء؛ وهن اللوائى لم يكن عليـهن حلى، وخلـت أجيـادهن من القـلائد، والمقابلة، النعال؛ التى جعل لها قبالان.

(٥) من ر.

(٦) حريرات: حزينات؛ جمع حريرة، وهى التى تجد حر الحزن فى صدرها

وإنما قالت الخنساءُ هذا الشعرَ فى معاوية أخيها قبلَ أن يُصاب صَخْرٌ أخوها، فلمَّا أُصيبَ صخرٌ نسيت به مَنْ كان قبله.

وكان معاويةُ فارسًا شجاعًا، فأغار فى جَمْعٍ من بنى سُليمٍ على غطَفَانَ، وكان صَميمَ خيلِهم، فَنَذَرَ به [1] القومُ فاحتربوا، فلم يَزَلْ يطعنُ فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيَّأ له ابنا حَرْملة: دريْدٌ، وهاشم، فاستطرد له أحدهما، فحمل عليه معاويةُ فطعَنَه، وخرجَ عليه الآخر، وهو لا يَشْعُر فَقَتَلَه، فتنادَى القومُ: قُتلَ معاويةُ! فقال خُفَافُ بنُ نَدَبْة: قَتلنى الله إن رمْتُ حتى أثأر به! فَحمَلَ على مالك ابن حِمَار، وهو سيِّدُ بنى شَمْخِ بن فَزَارَة، فطعنه فقتله، وقال:

فإن تَكُ خَيْلى قد أصِيبَ صَميمُها ... فَعَمْدًا على عَيْنى تَيَمَّمتُ مالكًا
وَقَفْتُ لهُ عَلْوَى وقد خَامَ صُحْبَتى ... لأبنِىَ مَجدًا أو لأثْأرَ هالكا[2]
أقولُ له والرُّمْحُ يأطرُ مَتْنَه[3] ... تأَمَّل خُفافًا إننى أنا ذلكا

فَلَمَّا دخلت الأشهرُ الحُرُمُ وَرَدَ عليهم صَخْرٌ، فقال: أيُّكم قاتلُ أخى؟ فقال أحدُ ابْنَى حَرْمَلَة للآخر: خبِّرْه، فقال: اسْتطرَدْتُ له فطعنَنى هذه الطعنةَ وحَمَلَ عليه أخى فَقَتَله، فأينَا قتلتَ فهو ثأرُك، أمَا إنا لم نَسْلب أخَاكَ، قال: فما فعلت فرسُه السُّمَّى؟ قالوا: ها هى فَخُذها، فانصرفَ بها، فقيل لصخرٍ: ألاَ تَهْجُوهُم؟ قال: ما بينى وبينهَم أقذَعُ من الهجاء، ولو لم أُمْسِكْ عن سبِّهم إلاَّ صيانة لِلسانى عن الخنا لفعلتُ، ثم خاف أن يُظَنَّ به عِىٌّ فقال:

وعاذِلة هَبَّتْ بليلٍ تَلُومُنى ... ألاَ لاَ تَلُومينى كَفى اللَّوْمَ ما بيَا
تقولُ ألا تَهْجُو فوارسَ هاشمٍ ... وَمَالىَ إذْ أَهْجوهُمُ ثم مَاليَا!
أبى الشَتْمَ أنّى قد أصابوا كَريمتى ... وأنْ ليس إهداءُ الخنَا من شِماليَا
إذا ما امرؤٌ أهدَى لِميْتٍ تَحيَّةً ... فَحيَّاكَ رَبُّ الناس عنى معاويَا [4]

(١) نذر به القوم: علموا.
(٢) علوى: اسم فرسه، وخام القوم: جبنوا وخافوا.
(٣) يأطر رمحه: يثنيه. (٤) ر: «رب العرش».

وهَوْنَ وَجْـــدِى أَنّنى لـم أقُل له كَذَبْت، ولم أَبْـخَلْ عليه بِمـاليَا

قال أبو عبيدة: فلما أصاب دُرَيْدا زاد فيها:

وذى رَحم قطَّعتُ أرحـــامَ بَيْنهمْ كما تَركُونِـى وَاحِدًا لا أخا لِيَا[1]

***

[قال أبو الحسن الأخفش: وزادنى الأحْولُ بعد قوله: «معاويا»:

لنِعْـمَ الفَـتى أدْنى ابـنُ صـرْمَـةَ بَزَّهُ إذا راح فَحْلُ الشَّـوْل أَجْدَبَ عارِيَا][2]

***

قال أبو العباس: فلمَّا انقَضت الأشهرُ الحُرُم جَمَع لهم ليُغير عليهم، فنظرتْ غَطفَانُ إلى خيله بموْضعها، فقال بعضُهم لبعضٍ: هذا صخرُ بن الشَرِيد على فرسه السُّمَّى، فقيلَ: كلاّ السُّمى غَرَّاءُ [3] وهذه بهيمة [3]، وكان قَد حَمَّم غُرَّتها، فأصاب فيهم، وقـتلَ دُرْيدَ بنَ حَرْمَلة، وأما هاشم، فإنّ قَيْسَ بن الأسْـوار الجُشَمىَّ - من بنى جُشم بـن بكرِ بن هَوازنَ بن خَصَفَـة بن منصور، والخنسـاءُ من بنى سُلِيم بن منصور - لقيهَمَ منصرفينَ، كلٌّ واحدٍ منهم من وجـهه، فرآهُ، وقد انفردَ لحاجته، فقال: لا أطْلُبُ بمعـاويةَ بعدَ اليوم، فأرسل عليه سـهمًا ففلق قُحـقحه [4] فقتله، فقالت الخنساءُ:

فِـدًى للفـارس الجُشَـمِىِّ نفسِى وأَفْــدِيهِ بِمنْ لى من حـــمـيم

فـــداك الحىُّ حَىُّ بـنى سُلَيم بظـاعِنهـمْ وبالأنَـسِ المقـــيم

كـمـا مِنْ هاشمٍ أقْـرَرْتَ عَـيْنى وكـــانتْ لا تَنَـام ولا تُنـيم[5]

***

(١) «وذى إخوة»

(٢) ما بين العلامتين لم يذكر فى الأصل، وهو فى ر، س.

(٣-٣) لم يرد فى ر، س.

(٤) الفحقح: العظم الناتئ من الظهر بين الأليتين.

(٥) فى البيت إقواء.

فأما صخرٌ فسنذكر مَقْتَلَه مع انقضاء ما نذكرُ من مراثى الخنساء إياه. قالت الخنساءُ:

أَلاَ يا صخرُ إن أَبكَيتَ عَينى ... لقد أَضْحكْتنى دهرًا طويلاَ
بكيتُكَ فى نساء مُعْولات ... وكنتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العويلا
دَفَعتُ بك الجليلَ وأنت حَىٌّ ... فمن ذا يدفعُ الخطبُ الجليلاَ!
إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيل ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاَ

***

وقالت أيضًا:

تَعَرَّقنى الدهرُ نَهْسًا وحزًّا ... وأوجعنى الدهرُ قرْعًا وغَمزًا(١)
وأَفنى رجالِى فبادوا مَعًا ... فَأَصْبَحَ قَلْبِى بهمْ مُسْتَفَزًّا
كأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقى ... إذ الناسُ إذ ذاك مَنْ عَزَّ بَزَّا
وكانوا سَراة بنى مالك ... فخر العشيرة مَجْدًا وعِزًّا(٢)
وهمْ فى القديم سَرَاةُ الأديمِ ... والكائنون مِنْ الخوْف حِرْزًا(٣)
وهمْ مَنَعوا جارَهُمْ والنِّسـ ... ـاءُ يُحفِزُ أَحْشاءَها الخوفُ حَفْزَا
غداة لقوهم بملمومة ... رَدَاحٍ تغادرُ للأرض رِكزًا(٤)
وَخَيْل تَكَدَّسُ بالدَّارعين ... تحتَ العَجاجة يجْمزَنَ جَمزًا(٥)
بِبِيضِ الصِّفَاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ ... فبالبيض ضَربًا وبالسُّمْر وَخزًا(٦)

---

(١) النهس: أخذ الشيء بمقدم الأسنان، وتعرقنى الدهر: نالنى، من قولهم: تعرق العظم إذا أخذ ما عليه من اللحم.
(٢) ر «زين العشيرة»
(٣) الأديم الجلد، قال المرصفى: تكنى بذلك عن أنهم أشراف، لم تدنس أعراضهم.
(٤) الململومة: الكتيبة مجتمعة، رداح: ضخمة.
(٥) تكدس: يركب بعضها بعضًا، والجمز: نوع من العدو.
(٦) الوخز: الطعن.

جَـزَزْنَـا نَوَاصِيَ فُـرْسَـانهم ... وكـانـوا يَظنونَ ألاَ تُـجَـزَّا

ومنَ ظـنَّ ممن يُلاقِى الحـروبَ ... بألاَّ يُصـابَ فـقـد ظنَّ عَـجـزَا

نعـفُّ ونعـرف حق القِـرَى ... ونَتَّـخـذُ الحـمـدَ ذُخـرًا وكَنزَا

ونلْـبَسُ طورًا ثـيـابَ الـوَغى ... وطورًا بيـاضًا وعَـصبًـا وخزَّا [1]

***

وكان سببُ قتل صخرِ بن عمرو بن الشَّرِيد، أنه جَمَعَ جمعًا وأغار على بنى أسدِ بن خُزَيْمَةَ، فَنَذِروا به فالتَقَوْا، فاقتـتلوا قتالاً شديدًا، فارفَضَّ أصحاب صخرٍ عنه، وطُعن طعنة [2] فى جنبه استَـقَلَّ بها، فلمَّا صار إلى أهله تَعـالج منها، فنَتأَ من الجرَح كمثل اليَـدِ، فأضناه ذلك حَوْلاً، فسمع سائلاً يسـألُ امرأته وهو يقول: كيف صَخر اليومَ؟ فقالت: لا مَيّتٌ فينعَى، ولا صحيحٌ فيُرجى ! بَرَمَتْ به، ورأى تَحَرقَ أَمِّه عليه، فقال:

أَرَى أمّ صخرٍ ما تَجِـفُّ دُموعُها ... ومَلّتْ سُلَيْمَى مَـضْجَعى ومكانى

وما كنتُ أَخـشَى أن أكون جنازةً ... عليك، ومَنْ يَـغْـتَـرُّ بالحـدثان!

أَهُمُّ بأمـر الحـزْمِ لو أسـتطيـعـه ... وقـد حـيل بين العَـيْـرِ والنَّزَوَانِ

لعَمْرِى لقد أنبهْتِ مَنْ كان نائمًا ... وأسـمـعتِ مـنْ كـانتْ له أُذُنَانِ

فـأىُّ امـرِئٍ سـاوَى بـأُمٍّ حَليلة ... فـلا عـاشَ إلاَّ فى شـقًى وهَوانِ

ثم عزمَ على قطع ذلك الموضع، فلمّا قَطَعه يَئِسَ من نفسه فبكاها، فقال:

أَيَا جَـارَتَا إنَّ الخطوبَ قـريبُ ... منَ الناس، كلَّ المُخطئينَ تُصـيبُ

أَيَا جَـارَتَـا إنَّا غَـريبـان ها هنا ... وكلُّ غَـريـبٍ للغـريب نَـسيبُ

كَـأَنِّى وقـد أدنوا إلىَّ شِـفَـارَهُمْ ... من الأدمِ مَصْـقُولُ السَّـراةِ نكيبُ

(١) هذا البيت لم يرد فى ر، وهو فى الأصل، س.

(٢) ر: «وطعنه أبو ثور».

[مرثية ابن مناذر لعبد المجيد بن عبد بن الوهاب الثقفى]

قال أبو العباس: ومن حُلو المراثى وحَسن التَّأبين شِعْرُ ابن مُناذِر، فإنه كان رجلاً عالمًا مُقَدمًا وشاعرًا مُفلقًا، وخطيبًا مصقعًا، وفى دهر قريب، فَلَه فى شعره شدةُ كلام العرب بروايته وأدبه، وحلاوةُ كلام المُحْدَثِينَ بَعصره ومشاهدته، ولا يزالُ قد رَمَى فى شعره بالمَثَلِ السائر، والمعنى اللطيف، واللفظ الفَخْم الجليل، والقول المُتَّسَق النَّبيل، وقصيدَتُهُ لها امتدادٌ وطولٌ، وإنما نُملى منها ما اخترنا مِنْ نحو ما وصفنا.

قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفى - وكان به صبًّا، واعْتَبَطَ عبدُالمجيد لعشرينَ سنة من غير ما عِلَّةٍ، وكان من أجمل الفِتْيان وآدبهم وأظرفهم، فذلك حيثُ يقولُ ابن مُناذِرِ:

حين تَمَّتْ آدَابُه وتَرَدَّى ... برداءٍ منَ الشباب جَديدِ
وسَقَاهُ ماءُ الشبيبةِ فاهتزَّ ... اهتَزاز الغُصْنِ النَّدى الأملْودِ
وَسَمتْ نَحْوَهُ العيونُ وما كا ... نَ عليه لزائد من مَزيد
وكأنى أَدعوهُ وهو قريبٌ ... حين أدعوهُ من مكان بعيدِ
فلئن صار لا يُجيبُ لقد كا ... ن سميعًا هَشًّا إذا هُوَ نودى
يا فتى كان للمُقاماتِ زَينا ... لا أراهُ فى المَحْفِلِ المشهود
لَهْفَ نفسِى أَمَا أَراكَ، وما عندك ... لِى إن دعوت من مردود !
كان عبدُ المجيد سُمَّ الأعادِى ... ملء عَيْنِ الصديق رَغمَ الحَسود
عاد عبد المجيد رُزْءًا وقد كا ... ن رَجاءَ رَيْبِ دَهْرٍ كَنُودِ[1]
خنتُكَ الوُدَّ لم أَمُتْ كمَدًا بعدَكَ ... إنى عليكَ حقٌّ جَليد[2]
لو فَدَى الحىُّ ميتًا لفَدَتْ نفسكَ ... نَفسى بطارِفى وتَليدى
ولئن كنتُ لم أَمُتْ من جَوَى الحز ... ن عليه لأبْلَغن مَجْهُودى

(١) كنود: معاند

(٢) قال المرصفى: «يريد جليد حق جليد».

لأقيــمنَّ مَـأْتمًا كنجـوم الليل زُهرًا يَـلْطِمْنَ حُــرَّ الخَــدودِ
مـوجِعـاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِد الحَـرّى عليــه وللـفُـؤاد الـسَـمـيـدِ
ولِعَـين مَطروفــة أبدًا قـــا لَ لهـا الدَّهرُ: لا تَقَرِّى وجـودى
كُلمـا عَــزَّكِ البُكاء فـأنفَـدْ تِ لعبـد المجيـد سَجلاً فَـعُودِى
لِفــتى يَحْـسُنُ البـكاءُ عليــه وفَـتى كان لامـتـداحِ القـصيـدِ

وأول هذا الشعر:

كلُّ حَى لاقِى الحِـمـامِ فَمُـودى مــا لِحَىٍّ مُــؤَمَّلٍ من خُـلودِ
لا تَهـابُ المَنونُ شــيـئًـا ولا تُرْ عى عـلى والـدٍ ولا مَــــوْلُودِ
يَقدَحُ الدهرُ فى شمَارِيخَ رَضْوى ويُحط الصُّخـورَ من هَبُّـود(١)
ولقـــد تَـتْـرُكُ الحـوادثُ والْـ أَيَّامُ وَهيًـا فى الصخـرة الصَّيـخود(٢)

***

وفى هذا الشعر مما استحسنتُه:

أَيْنَ رَبُّ الحِصْـنِ الحَصينِ بِـسُورَا ءَ وربُّ القَصْـرِ المنيفِ المَشيدِ(٣)
شـــادَ أركَـــانَــهُ وبَوَّبَـهُ بَا بَىْ حــديدٍ وحَـفَّــهُ بـجنُود
كـان يُجْبـى إليه مـا بين صَنَعا ءَ فـمِـصـر إلى قُـرَى بَيْـرُودِ(٤)
وتَرَى خَلْـفـه زرافـــات خـيلٍ جـافـلات تَعْــدُو بمثلِ الأسـودِ
فَرَمى شَـخْصـه فأَقـصَدَهُ الدَّهرُ بســـهمٍ من المـنايا سَـــديدِ
ثم لم يُنجِــهِ من الموت حِـصْنٌ دونَه خَـنْدقٌ وبَـابَا حَـــديـدِ

(١) يقدح : يؤثر، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس مستدير طويل دقيق في الجبل من أعلاه، ورضوى: جبل بالمدينة، وهبود: جبل أيضًا.
(٢) صيخود: الصخرة الملساء.
(٣) سوراء موضع قريب من بغداد.
(٤) بيرود: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب.

ومُلوكٌ من قبلِه عَمَرُوا الأر ... ضَ أُعينوا بالنَّصر والتأييد

فلو انَّ الأيامَ أَخْلَدنَ حيًّا ... لعلاءِ أخلدنَ عبدَ المجيد

ما درَى نَعشُهُ ولا حاملوه ... ما على النعشِ من عفافٍ وجُودِ!

وَيْحَ أيدٍ حَثَتْ عليه وأيدٍ ... دفَنَتْهُ، ما غيَّبَتْ فى الصَّعيدِ!

إنَّ عبدَ المجيد يوم توَلى ... هَدَّ رُكنًا ما كان بالمَهْدود

[وأرانا كالزّرع يَحصُدُه الدّهرُ ... فَمِنْ بين قائم وحَصيد

وكأنا للموت رَكبٌ مُخبُّو ... نَ سِراعًا لِمنْهلٍ مَوْرُودِ[1]]

هدَّ ركنى عبدُ المجيدِ وقد كُنتُ ... بِرُكنٍ أَنُوءُ منهُ شَديد

فبعبدِ المَجيد تَامُورُ نفْسى ... عَثَرَتْ بى بَعَد انتعاشِ جُدودى[2]

وبعبد المجيدِ شلَّتْ يدى اليُمنى ... وشَلّتْ به يَمينُ الجُودِ

وفي هذا الشعر:

فبرَغمى كنتَ المُقَدَّم قَبْلى ... وبكُرهِى دُلِّيتَ فى المَلْحودِ

كنتَ لى عِصمَةً وكنتَ سَماءً ... بك تَحيا أرضى ويَخضَرُّ عُودِى

[مرثية أعشى باهلة للمنتشر بن وهب]

قال أبو العباس: وكانت العربُ تُقدِّمُ المراثى وتُفضّلها، وتَرَى قائلَها بها فوقَ كلِّ مؤبِّن، وكأنهم يَرَونَ ما بعدَها من المراثى منها أُخذَتْ، وفى كَنَفها تَصلُح. فمنها قصيدةُ أَعشَى بَاهلَةَ، ويُكنى أبا قُحافَةَ، التى يَرثى بها المُنتشر بن وهب الباهِليَّ، وكان أحدَ رِجْليِّ العرب[3]. [قال الأخفشُ: هو منسوبٌ إلى الرِّجلِ]، وهم السعاة السابقون فى سعيهم.

وكان من خبَره أنَّه أَسَرَ صلاءَةَ بن العنبَرِ الحارثى، فقال: افتد[4] نفسَك، فأبى، فقال: لأقطعنك أَنمُلَةً أَنمُلَةً، وعُضوًا عُضوًا ما لم تَفْتَد نفسَك، فَجعلَ يفعلُ

(١) من زيادات ر (٢) التامور: دم القلب

(٣) الرجلى: الشديد العدو. (٤) ر: «أفد».

ذلك به حتى قتله، ثم حَجَّ من بعد ذلك المُنتشرُ ذا الخُلصة- وهو بيتٌ كانت خَثْعَمٌ تَحجُّه، زعم أبو عبيدة أنه بالعَبَلاَت، وأنه مسجد جامعَها، فَدَلَّتْ عليه بنو نُفَيل ابن عمرو بن كلاب الحارثِّيينَ، فقبضوا عليه فقالوا: لنفعلنَّ بك كما فعلتَ بصلاءة، ففعلوا ذلك به، فلقي راكب أعشى باهلة، فقال له أعشى باهلة: هل من جائية بخبر؟ قال: نعم، أسرت بنو الحارث المنتشر، وكانت بنو الحارث تسمى المنتَشرَ مُجْدعًا، فلمَّا صار فى أيديهم قالوا: لَنُقطِّعَنكَ كما فعلت بصلاءة، فقال أعشى باهلةَ يرثى المنتشرَ:

إنى أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بها ... مِنْ عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ
فبِتُّ مُرْتَفِقًا للنَّجمِ أَرْقُبُهُ ... حَيْرانَ ذا حَذَرٍ لو ينفعُ الحذرُ!
فجاشَتِ النفسُ لَمَّا جاء جَمْعُهُمُ ... وراكبٌ جاء مِنْ تَثْليث مُعتَمِرُ
يأتى على الناسِ لا يَلْوِى على أحدٍ ... حتى التَقَيْنا وكانتْ دونَنا مُضَرُ
يَنَعَى امْرأ لا تُغِبُّ الحىَّ جفنتُه ... إذا الكواكب أخْطأ نَوءها المَطرُ
مَنْ ليس فى خيرِه شَرٌّ يُكدِّرُهُ ... على الصديقِ ولا فى صَفوِه كَدرُ
طَاوِى المَصيرِ على العَزَّاء مُنصَلتٌ ... بالقومِ ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
لا تَنْكرُ البازلُ الكَوْمَاءُ ضَرْبَتَهُ ... بالمَشْرَفِىِّ إذَا ما اجْلَوَّذَ السَّفَرُ
وتَفَزَعُ الشولُ منه حينَ تُبصرُه ... حتى تَقَطَّعَ فى أعناقِها الجِرَرُ
لا يُصعبُ الأمرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُه ... وكلّ أمرٍ سِوَى الفحشاء يَأتَمرُ
تكفيه فلذَةُ كِبْدٍ إن أَلَمَّ بها ... من الشِّواءِ ويكفى شُربه الغُمَرُ
لا يَتأَرَّى لِما فى القِدرِ يَرْقُبُهُ ... ولا تَراهُ أَمَامَ القومِ يَقتَفِرُ
لا يَغمِزُ الساقَ مَن أَيْنٍ ولا وَصَبٍ ... ولا يَعَضُّ على شَرسُوفِه الصَّفَرُ
مُهَفْهَفٌ أهضمُ الكشْحَيْنِ مُنخَرِقٌ ... عنه القميصُ، لسَيرِ الليل مُحتَقرُ
عِشنا بذلك دَهرًا ثم فارَقَنا ... كذلك الرُّمحُ ذُو النَّصلينِ يَنْكسرُ
[فإن جَزِعْنَا فقد هَدَّتْ مُصيبتُنا ... وإن صَبَرنَا فإنا مَعشَرٌ صُبُرُ
إنى أَشُدُّ حَزِيمِى ثم يُدْركنى ... منكَ البلاءُ ومن آلائك الذِّكَرُ]

لا يَأْمنُ الناسَ مُمَساهُ ومَصبَحَهُ ... من كلِّ أوب وإنْ لم يَأتِ يُنتظرُ

إمّا يُصبكَ عَدُوٌّ فى مُباوأَةٍ ... يومًا فقد كنتَ تَستَعْلى وتَنْتَصِرُ

لو لم تَخُنْهُ نُفَيل وهيَ خائِنَةٌ ... أَلَمَّ بالقومْ ورِدٌ منه أوْ صَدَرُ

ورَّادُ حَرْبَ شِهَابٌ يُستضاء به ... كما يُضيء سَوادَ الطَّخيةِ القَمَرُ

إمَّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالِكها ... فاذهب فلا يُبعدنكَ اللهُ مُنتشِرُ

مَن لَيس فيه إذَا قاولتَهُ رَهقٌ ... وليس فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسرُ

وقوله: «إنَّى أتْتى لسانٌ» يقال: هو اللسان وهي اللسانُ، فمنَ ذَكَرَ فجمعهُ ألسنَةٌ، ونظيره حِمَارٌ وأَحْمِرَةٌ، وفراش وأَفْرِشَةٌ، وإزارٌ وآزرَة ومن أنَّثَ قال: لسانٌ وألْسنٌ، كما تقول: ذراعٌ وأَذْرُعٌ، وكُراعٌ، وأكرُعَ، لا تُبالى أَمَضمُومَ الأوَّل كان أو مفتوحا أو مكسورًا، إذا كان مؤنثًا، ألاَ تَرَى أنك تقول: شمالٌ وأشْمُلٌ[1] قال أبو النَّجمْ:

* يأتى لها مِنْ أَيْمُنِ وأَشْمُلِ *

وقال آخرُ، أنشدنيه المازنى:

فَظَلَّتْ تكُوسُ على أكْرُعٍ ... ثلاثٍ وكانَ لها أَربَعُ[2]

وأرَادَ باللسان ها هنا الرسالةَ..

وقوله: «مِنْ عَلُ» يقولُ: منْ فَوْقُ، فإذا كان معرفةً مفردًا بنى على الضم، كقبلُ وبعدُ، وإذا جعلته نكرة نَوَّنْتَه، وصرفته، كما قال جريرٌ:

إنِّى انْصبَبْتُ من السماء عليكمُ ... حتى اختطفتك يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

والقوافى مجرورةٌ، وإن شئتَ رددتَ ما ذهبَ منه، وهى ألفٌ منقلبة من واو، لأنَّ بناءَه «قبلُ» من «علاَ» يا فتى، قال الراجز:

---

(١) فى وصف الإبل، وبعده:

* ذُو خرَقٍ طُلس وَشَخْص مذأَل *

(٢) قال المرصفي: «يريد عفرت إحدى قوائمها الأربع، وتكوس كَوسًا: مشى على ثلاث قوائم».

وهى تَنوشُ الحَـوْضَ نَوْشًـا مِنْ عـلاَ نَوشًـا بِهِ تَقطَعُ أَجْـوازَ الفَـلاَ [1]

وقوله: «فَبَتُّ مُرتَفِـقًا» وهــو المتكئُ على مرفقه، وإنما أرادَ السَّهَـرَ كما قال أبو ذُؤيبٍ:

إنى أرقْتُ فَـبتُّ الليلَ مُـرتَفـقًـا كأنَّ عَيْنِى فيـها الصَّابُ مَذْبَوحُ[2]

وقوله : «جاشت النَّفسُ» يقولُ: «خَبُثَت، يكون ذلك من تذكُّرها للتهوعِ[3] ومن جَزَعَها منه.

ويُروى عن معاويةَ أنه قال: اجعَلوا الشِّعرَ أكثر هَمِّكم وأَكثرَ آدابكم، فإنّ فيه مآثَر أَسْلافكم ومواضعَ إرشادكم، فلقد رأيتنى يوم الهَرير وقد عَزَمْتُ على الفِرار، فما يَرُدُّنى إلا قول ابن الإطنابة الأنصاريِّ:

ابتْ لى عِـــفَّــتى وأَبَـى بَلاَئِى وأَخْـذِى الحَـمْـدَ بالثَّـمَنِ الرَّبيحِ
وإجْـشَـامى على المكروه نَفْـسى وضَـربى هامةَ البَطَلِ المَشِـيحِ [4]
وَقَـولِي كُلَمَا جَـشَأَتْ وجـاشت مكانَكَ تُحمَـدِى أو تَسْتَرِيحى [5]

---

(١) نسبه صـاحب اللسان (٨: ٢٥٥) إلى غيلان بن حريث، وقـال فى شرحه: «الضمير فى قوله: «فهى» للإبل، وتنوش الحوض، تتناول مـلأه، وقوله: «من علا» أى من فـوق؛ يريد أنها عالية الأجـسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذى تـناله هو الذى يعـينهـا على قطع الفلوات، والأجـواز: جـمع جـوز وهو الوسط، أي تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شربا كثيرًا، وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر».

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٠٤، وروايته هناك:

نَامَ الخَلَىُّ وَبَتُّ اللَيْلَ مُشْتَجِرًا كأَنّ عَيْنِى فيهَا الصَّابُ مذبوح

والصاب: شجرة مرة؛ لها لبن يمض العين إذا إصابها، ومذبوح: مشقوق.

(٣) التهوع: التقيؤ.

(٤) المشيح: المجد .

(٥) جشأت: نهضت.

يقال: «جشأت» مهموزٌ، و«جاشَتْ» غير مهموز، و«تثليثٌ» موضعٌ بعينه[1]

وقـوله: «لا يَلْوى على أحدٍ» يقـال: اسـتقـام فلانٌ فـما لَوَى على أحـدٍ، ويقال: أَلْوى بالشىء إذَا ذهبَ به.

وقوله:

* إذَا الكواكب أَخْطا نوءَهَا المطرُ *

فالنَّوءُ عندهم طلـوعُ نجمٍ وسقوط آخرَ، وليس كـلُّ الكواكب لها نوءٌ، وإنما كانوا يتـقوَّلون هذا فى أشيـاء بعينها، ويُروى عن النبى ﷺ أنه قـال: «إذا ذُكِرَت النجومُ فـأَمْسِكُوا» يعنى أَمْـرَ الأَنْواءِ، لم يختلـف فى ذلك المفسرون، وعنـه عليه السلام فى غب سَمـاء: «أتدرون ما قال ربُّكم تبارك وتعالى؟ قال: أصـبَحَ عِبادى مؤمنًا بى وكافـرًا بالكواكب، وكافرًا بِى ومؤمنًا بالكواكب. فـأما المؤمنُ بى الكافرُ بالكواكب فهو الذى يقول: مُطرنا بنوءِ الرَّحمةِ، والمؤمنُ بالكواكب الكافر بى الذى يقول: مُطرنا بَنْوء كذا».

والنوء، مـهمـوزٌ، وهو من قولك : ناء بحـمله، أى استَـقَلَّ به فى ثقل، فالنوءُ مهموزٌ، وهو فى الحقيقة الطالعُ من الكواكب لا الغائرَ، وكان الأصمعى لا يُفَسِّرُ من الشِّعر ما فيه ذكرُ الأنوَاء، بل كـان لا يسمعُ ما كان فيه هجاءٌ أو كان فيه ذِكرُ النجوم، ولا يُفسـر ما وافق تفسيرُه بعضَ ما فى القرآن إلاَ ساهيًـا، فيما يذكر أصحابه عنه، ويُروى أنه سُئل عن غير شىء من ذلك فأباه وزجر السائل.

قوله: «طاوى المصير» يقـال لواحد المُصران مَصيرٌ، وتقـديره صاير، قَضيبٌ وقُضبانٌ، وكثيب وكثبانٌ.

والعزَّاء: الأمـرُ الشديد، يقال: فـلان صابرٌ على العَـزَّاء، وكذلك اللأْواء، وكذلك الجُلَّى مقصورٌ، فأما العزَّاء واللأْواءُ فممدودان.

وقوله: مُنْصلت، يقال: سيفٌ مُنصَلتٌ وصلتٌ: إذا جُرِّدَ من غِمْدِه.

---

(١) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة.

وقوله: «ليلة لا ماءٌ ولا شجرُ» يريد: القَفْرَ، ووقت الصُّعوبة.

وقوله: «لا تُنكرُ البازِلُ الكوْماءُ ضربْتَه بالمشرفى».

يقول: قد عوَّد الإبلَ أن ينحرها، ومنْ شأنهم أن يُعرْقلوها قبل النحر، والمشرَفى: السيفُ، وهو منسوبٌ إلى المشارفِ (١)

وقوله: اجْلَوذَ، وأنشدنى الزّيادى لرجل من أهل الحجاز، أحَسبُهُ ابن أبى ربيعة:

ألاَ حَبَّذَا حبَّذَا حبَّذا ... حَبيبٌ تَحَمّلْتُ منه الأَذَى

ويا حبذا بَردُ أَنْيَابهِ ... إذا أظلمَ الليلُ واجْلَوَّذَا

وقوله:

* حتى تَقَطّعَ فى أعناقها الجِرَرُ (٢) *

يقول: حتى اعتادتْ أن ينحرَها، فهى تَفْزَعُ منه حتى تَقَطّعَ جرتُها، ومثلُ هذا قولُ الخَنّوتِ (٣):

سأبكى خليلى عَنْتَرًا بعد هَجَعة ... وسَيفى مِرْداسًا قَتيلَ قنَانٍ (٤)

قَتيلانِ لا تبكى اللقاحُ عليهما ... إذا شَبِعَتْ من قرْمَلٍ وأفانِ

يقول: كانا يَنْحَران الإبل، فهى لا تجزع لفقدهما، وقَرْمَلٌ وأَفانِ: ضربانِ من النَّبتِ، وشبيهٌ بهذا قوله حيث يقول:

فلو كان سَيْفِى باليمينِ تَبَاشَرَت ... ضِبابُ المَلا من جمعهم بقتيلَ

---

(١) المشارف: قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٢) والجرر: جمع جرة، وهى ما يفيض من البعير من كرشه، فيقرضه.

(٣) الخنوت: لقب ربيعة بن مضرس، شاعر جاهلى

(٤) قنان: جبل لبنى أسد.

يقول: هؤلاء قومٌ كانوا يـحترشون الضبابَ، فكلما قُـتِلَ منهم واحدٌ سُرَّتْ بذلك الضِّبابُ واستبشرتْ.

وقوله:

* لا يتأرى لِمَا فِى القِدْر يَرْقُبُهُ *

يقول: لا يَتَحَبَّسُ له، ومن ذا سُمِّى الآرِىّ [1]، لأنه مَحْبَسُ الدابة.

وقوله:

* ولا تَرَاه أمامَ القومِ يَقْتَفِرُ *

يقول: لا يسبقهم إلى شيء من الزاد.

وقوله:

* ولا يَعَضُّ على شَرْسُوفه الصَّفَرُ *

الشراسيـف، أطراف الضلوع، والصَّفر ها هنا: حَيَّـةُ البطن، وله مواضع.

وقوله: «مُهَفَهفٌ» يعنى ضامِرًا، وأَهْضَمُ الكَشْحَيْن توكيد له.

وقوله:

* إما يُصبكَ عَدُّو فى مُباوَأَةٍ *

يقـول: فى وتْرٍ، يقـال: باءَ فـلان بكذا، كـما قـال مُـهَلْهَلٌ: «بُؤ بِشِسـعِ كُلَيْب».

أى هو ثأرٌ بالشِّسع.

والطَّخيَـة، والطِّخيَـة، والطُّخية، ثلاثُ لغـاتٍ: شدة الظُّلْمَـةِ، وكان الذى أصابَهُ هندَ بنَ أسماءَ الحارثىَّ، ففى ذلك يقولُ:

أَصَـبْتَ فى حَـرَمٍ مِنّا أَخَـا ثِقَـةٍ هندَ بن أسماءِ لا يَهْنِى لك الظَّفَرُ

يقال: هَنأَهُ ذلك وهَنأَ له، كما تقولُ «هَنيئا له»، قال الأَخْطَلُ:

---

(١) الأرى: الآخية.

إلى إمــامٍ تُغــادِينــا فَــواضِلُهُ　　أَظْفَـرَهُ اللهُ فَـلْيــهنئْ له الـظفـرُ

وقوله:

* وليسَ فيه إذا عاسَرتَهُ عَسَرُ *

مَدَحٌ شريفٌ، مـثلُ قولهم: «إذا عَزَّ أَخُوكَ فهُنْ» وإنما هذا فـيمنْ لا يخافُ استذلاله، بأن يخـرُجَ يصاحبه عند مـساهلتَه إلى باب الذُّلِّ، فأمـا مَنْ كان كذلك فمُعاسَرَتُهُ أَحْمَدُ، ومُدافعته أَمْدَحُ، كما قال جريرٌ:

بِشْــرٌ أبو مَـرْوَانَ إنْ عَـاسَــرتَهُ　　عَـسِـرٌ، وعندَ يَسَـارِهِ مَـيْـسُـورُ

[مراثى متمم بن النويرة فى أخيه مالك]

قال أبو العـباس: ومن أشعار العـرب المشهورة المُتـخيرة فى المراثى قصـيدة متَمِّمُ بن نُويرَةَ فى أخيه مالك، وسنذكر منها أبياتًا نختارُها، من ذلك قولهُ:

أقـولُ وقـد طارَ السَّـنا فى رَبابِه　　وغَـيْثٌ يَسَحُّ المـاءَ حـتى تَربَّعـا
سَقى الله أرضًـا حلَّها قبـرُ مالكٍ　　ذِهَابَ الغَوادِى المدْجِنات فـأَمْرَعَا
وآثرَ ســـيلَ الوادِيـيْن بـدِيمَةٍ　　تَرَشِّحُ وسمـيًّا مَنَ انَّبتِ خِـروعًا
تحيــتـه مِنى وإن كـان نائـيًـا　　وأَضحَى تُرابًا فوقَهُ الأرضُ بلْقَعَا
فــمـا وَجْــد أظْآرٍ ثلاث رَوَائم　　رأَينَ مَـجراً مِنْ حُـوارٍ ومَصـرعًا
يَذكَّـرْنَ ذَا البَثِّ الحـزينَ بِبَـثِّـهِ　　إذا حَنَّتِ الأولى سَجَعْنَ لهـا مَعًا
بأوجعَ منى يـوم فـارقت مـالكا　　ونادَى به الناعى الرفـيعُ فأسمـعا

وفيها:

وكنَّا كَندمَـانَـى جُـذَيمَةَ حِـقـبَـة　　منَ الدَّهر حتى قيل لن يَتَـصَدَّعَا
فلمـــا تَفَـرقْنـا كَـأنى ومــالكا　　لطول اجتـماعٍ لم نَبتْ ليلة مَـعًا
وعِـشنا بخيـرٍ فى الحـياة وقـبْلناَ　　أصابَ المَنايا رَهـطَ كِسرِى وتُبـعَا

فإن تكـنِ الأيـامُ فـرَّقـنَ بينَـنـا فقد بان محـمودًا أخى يوم ودَّعَا
تقول ابنةُ العَـمْرِىِّ مالكَ بعـدَما أراكَ حـديثًـا ناعِمَ البـال أُفرعَـا
فقلتُ لها طولُ الأسَى إذْ سألتنى ولَوعة حُـزْن تتركُ الوجهَ أَسْفَـعَا
وفَـقْـد بَنى أمٍّ تَفَـانوا فلم أكُنْ خِـلافَهُمُ أن أَسْـتكين، وأُضرَعَـا
ولستُ إذا ما الدَّهرُ أحـدَثَ نكبَة ورزءًا بزوار القـرائب أخـضـعـا
ولا فَـرِحٍ إن كنتُ يومًـا بِغـبطةٍ ولاَ جَـزِعٍ إن نابَ دَهرٌ فـأَوجَعَـا
ولكِنَّنى أَمـضى على ذاك مُقـدمًا إذا بعض مَنْ لاَقى الخُطُوب تكعكعـا
فـعَمْـرِكِ ألا تُسمـعـينى مَلامـةً ولا تَنْكئى قَـرْحَ الفؤادِ فيَـيجـعا
وقصرَكِ إنِّى قد شهدتُ فلم أجِدْ بكَفَّىَّ عـنه للمنِّيــةِ مَــدْفـعَــا
فلو أنَّ مـا أَلْقى أصاب مـتُالِعًـا أوَ الرُّكْنَ من سَلْمى إذا لَتضعضعا

وفى هذه القصيدة:

لقـد كَـفَّنَ المِـنْهـالُ تحتَ رِدَائِهِ فتى غيـرَ مِبْطانِ العشـياتَ أَرْوَعَا
ولا بَرَمٍ تَهْـدِى النسـاءُ لِعـرْسِـه إذا القَشْعُ من بَرْد الشِّتَاء تَقَـعقْعا
لبـيبـا أعان اللُّب منه سـماحَـةٌ خَصيبًا إذَا ما رائدُ الجَدْبِ أَوْضَعَا
تَرَاه كنَصل السـيفِ يَهْتـزُّ للنَّدَى إذا لم تَجِدْ عند امْرئِ السَّوءِ مَطْمـعًا
إذا ابْتَـدَرَ القومُ القِـدَاحَ وأُوقدتْ لهمْ نارُ أَيْسار كَـفَى مَنْ تَضَجَّـعَا
بمَثنـى الأيادِى ثم لم تُـلْف مـالـكا على الفَرْثِ يحمِى اللحمَ أن يَتَـمزَّعَا

قوله: «وقـد طـارَ السَّنا فى رِبَابه»، السَّنا : الضـوءُ، وهو مقصـور قال الله عـز وجل: ﴿يكَادُ سَنَا بَرْقِـه يَذْهَبُ بالأَبْصـار﴾ [1]، والسَّناء من الحـسب ممدودٌ، والربابُ: سحابٌ دون السحَابِ كالمتعلِّق بما فوقه، قال المازنىُّ:

---

(١) سورة النور ٤٣.

كَأَن الرَّبَابَ دُوَيْنَ السحابِ ... نَعَام تَعلَّقُ بالأرْجُلِ(١)

وقوله: «يَسُحُّ» معناه يَصُبُّ، فإذا قلت: يَسْحو، أو يَسْحَى، فمعناه يَقْشِرُ، ومن ذا سُميت سحاءَةُ القِرْطَاسِ وسحابَتُهُ، ومنه قيل للحديدة التى يُقْشَرُ بها وجه الأرضِ مِسحاةٌ، قال عَنترة:

سَحًّا وسَاحِيَةً فكل قَرارَةٍ ... يَجْرى عليها الماءُ لم يَتصَرَّمِ(٢)

وقوله: «تَرَيَّعُ» أى كَثُر حتى جاء وذهبَ، يقال: رَاعَ يَرِيعُ إذا رجعَ، ومنه سُمِّى رَيعَ الطعام، لأنه يرجع بفَضل. قال مُزَرِّدٌ:

خَلطْتُ بِصَاعَىْ عَجْوَةٍ صاعَ حنطةٍ ... إلى صاعِ سَمنٍ فوقَهُ يَتَرَيَّعُ

والذِّهابُ: الأمطارُ اللينة، والمُدجنَاتُ من السحاب: السُّودُ، وهو مأخوذٌ من الدَّجَنِ والدُّجُنَّة، ومعناه إلْبَاس الغيم وظلمته، قال طَرَفَة:

وتَقصيرُ يوم الدُّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِب ... بِبَهْكَنَةٍ تحتَ الطِّراف المُمَدَّدِ(٣)

ويقال: أَمْرَعَ الوادى، إذَا أَخْصَبَ، من ذلك قولُ مولاة بن الأَجْيَدِ عن أَوْفَى ابن دَلْهَمٍ، قال أبو العباس: حدثنى به ابنُ المهدَىِّ أحمدُ بن محمد النحوىُّ، يُحدِّثُ به عن الأصمعى عن أبيه، عن مولاة بن الأجْيد عن أوفَى، قال: فى النساء أربعٌ، فمنهن الصَّدَعُ(٤)، تُفرِّق ولا تَجْمعُ، ومنهن مَنْ لها شَيئها أَجْمَعُ، ومنهنَّ غَيْثٌ وقَعَ فى بلد فأمْرَعَ، ومنهنَّ التبَعُ(٥)، تَرَى ولا تَسْمَعُ. قال: فذكرتُ ذلك لرجلٍ فقال: ومنهنَّ القَرْثَعُ، قلتُ: وما هى؟ قال: التى تكْحَلُ عينًا وتَدَعُ الأخرى، وتَلبسُ ثوبَها مقلوبًا.

***

(١) نسبه المرصفى إلى زهير بن عروة بن جلهمة المازني

(٢) الساحية: المطرة الشديدة الوقع تقشر وجه الأرض.

(٣) البهكنة: الجارية المليحة، والطراف: البيت من الجلد.

(٤) قال المرصفى: «يريد ذات الصدع (بسكون الدال وحركها للسجع، وهو مصدر صدع الشيء فتصدع، فرقه فتفرق».

(٥) التبع: العجوز.

[قال الأخفشُ: حدثنى بذلك أبو العَيْنَاءِ عن الأصمعى، وذكر نحو ذلك]

***

وقوله:

* وآثرَ سَيْلَ الواديِيْن بديمة *

زعمَ الأصمعىُّ وغيرهُ من أهل العلم أن الدِّيمَةَ المطرُ الدائمُ أيامًا برفق.

وقوله: «تُرَشِّحُ وَسميًّا» أى تُهيئه لذلك، يقال: فلانٌ يُرَشَّحُ للخلافة، والوسْمى: أَوَّلُ مَطَرٍ يَسِمُ الأرْض، والوَلِىُّ: كلُّ مَطْرةَ بعد مطرةٍ، فالثانية وَلىٌّ للأخرى، لأنها تليها.

والخِرْوعُ: كلُّ عودٍ ضعيفٍ.

وقوله:

* فمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثلاثٍ روائمٍ *

أَظْآرٌ: جمعُ ظئرٍ، وهىَ النّوقُ تَعطِفُ على الحُوار فَتَألفُه، ورَوائِمُ واحدتها رَءومٌ، ومعنى تَرأَمُهُ، تَشمُّه.

والحُوارُ: وَلَدُ الناقة، ويقال له حيثُ يَسْقَطُ من أُمِّه سَليلٌ، قبل أن تقعَ عليه الأَسْمَاءُ، فإن كان ذكرًا فهو سَقْبٌ، وإن كانت أُنثى فهىَ حَائِلٌ، وهو فى ذلك كله حُوارٌ سَنَةً.

وقوله: «نَدْمَانى جَذيمةَ» يعنى جَذيمةَ الأبرَش الأزْدى، وكان مَلِكًا، وهو الذى قتلتْهُ الزَّبَّاءُ، وهو أولُ من أَوْقَدَ بالشَّمْعِ، ونصَبَ المجَانيق للحرب، وله قصص تطُولُ، وقد شرحنا ذلك فى كتاب «الاختيار» ونديماه يقالُ لهما مالك وعَقِيلٌ، ففى ذلك يقولُ أبو خِرَاشٍ الهُذَلِىُّ:

أَلَمْ تَعْلَمى أنْ قد تَفَرَّق قبلنَا خَليلاَ صَفَاءٍ مالكٌ وعَقيلُ

والمَثَلُ يُضربُ بهما لِطولِ ما نَادَماهُ، كما يُضرب باجتماع الفرقَدَين. قال عَمْرُو بن مَعْدِى كرِبَ:

وكلُّ أخٍ مُـفَـارِقُـهُ أخـوه لعَـمـرُ أبيكَ إلاّ الفَـرْقَـدانَ

قال هذا من قبل أن يُسْلِمَ، وقال إسماعيل بن القاسم:

ولم أرَ مـا يَدُومُ لـه اجـتـمـاعٌ سَـيَفْـتَـرِقُ اجتـمـاعُ الفَرْقَـدَين

وقوله:

* أراك حديثًا ناعمَ البال أَفْرعَا *

الأَفْرَعُ: التـامُّ شَعَرِ الرأس، وقـيل لعمـرَ بن الخطاب #: الفُرْعان خـير أمِ الصُّلعَان؟ فقـال: بل الفرعان، وكان أبو بكر أَفْرَع، وكان عـمرُ أصلَع، فوَقَع فى نفسه أنه يسـأل عنه وعن أبى بكر، . والأسفع: الأسودُ، يقال: سَفَـعَتْه النارُ، أىْ غَيرَّتَ وجهه إلى السَّوادِ.

وقوله: «فعمركَ» يُقسِمُ عليها، ويقال: «عَمرَكَ الله» أىْ أُذكِّرَك الله؛ قال:

عَـمَّـرْتُكِ الله إلاّ مـا ذكـرتِ لنا هل كنت جـارتَـنا أيَّام ذِى سَلَم!

وقوله: «غيـرَ مبْطانِ العشِّيات»، يقول: كـان لا يأكلُ فى آخر نهارِهِ انتظاراً للضـيفِ، ويروى أن عمر بن الخـطاب سأله فقـال: أكذَبت فى شىء مما قلـته فى أخيك؟ فقـال: نعم فى قولى: «غير مبْطان»، وكان ذا بَطنٍ، ويقـال فى غير هذا الحديث: إنَّ مِنْ سِـيمـا الرئيس السيِّد أن يـكونَ عظيمَ البطنِ ضَخمَ الرأس، فـيه طَرَشٌ.

وقال رجلٌ لفـتى: والله ما أنتَ بعظيم الرأسِ فتكونَ سـيدًا، ولا بأَرْسح[1] فتكون فارسًا.

وقـال رجلٌ لرجل: والله ما فَـتقتَ فَـتَقَ[2] السَّـادَة، ولا مُطلت[3] مَطْلَ الفرسانِ. والأَرْوعُ: ذو الرَّوعَةِ والهيْئة.

---

(١) الرسح: قلة لحم العجز والفخذين؛ وذلك لملازمته الركوب.

(٢) ما فتـقت، قال المرصفى: من الفـتق، وهو شق العصا وتصدع الكلمـة ووقوع الحرب تسيل منهـا الدماء وتكثر الجراحات».

(٣) مطلت، بالبناء للمجهول، قال المرصـفى: وهو فى الأصل ضرب الحداد الحديدة لتطول، يريد ليس بذى رأى يرتق ما فتق بين القوم، ولا بفارس يناله قرع السيوف.

والبَرُم: الذى لا يَنْـزلُ مع الناسِ ولا يأخذُ فى الميسِـر، ولا ينزعُ إلاَّ نكدًا، قال النابغةُ:

هلاَ سَـألتِ بنى ذُبيانَ مـا حَسَبِى إذا الدُّخان تَغشَّى الأسَمَط البرما[1]

وقوله: «إذا القَشعُ» وهو الجِلدُ الـيابسُ، ويقال لكُنَاسةِ الحمَّـام القِشعُ، قال أبو هريرة: «وكَذَّبَتُ حتى رُميتُ بالقِشعِ».

***

وحدثنى العـباسُ بن الفَـرَج الرِّياشىُّ، عن محمـد بن عبـد الله الأنصارى القاضى، فى إسنادٍ ذَكرَه، قال: صلَّى مُتـممٌ مع أبى بكر الصديق الفَجْرَ فى عَقب قتل أخيه، وكان أخوه خَرَجَ مع خالد مَرْجعهُ من اليَمامَة، يُظْهرُ الإسلامَ، فظن به خالدٌ غـيرَ ذلك، فأمـر ضِرار بن الأزوَر الأسَدى فـقتلهُ، وكـان مالكٌ من أرداف الملوك، ومن مـتقـدِّمى فُرسـانِ بنى يَرْبوع، قـال: فلمَّا صلَّى أبو بكر قـامَ متِّـمم بحذائه، واتكأ على سِيَةِ [2] قوسِهِ، ثم قال:

نِعْمَ القَـتِـيلُ إذا الرِّياحُ تناوحَتْ خَلْفَ البُيُوت، قَتَلتَ يَابْنَ الأزورِ
ولِنعْمَ حَشْو الدِّرْع كنتَ وحَاسِرًا ولِنَـعمْ مَـــأْوى الطارِقِ المُتَـنورِ
أدعـــــوته بالله ثـم غَـــــرْتَهُ لَوْ هُو دَعَـــاكَ بذمـة لم يَـغْـدِرِ

وأَومأَ إلى أبي بكر، فقال: والله ما دَعَوتُهُ ولا غَرَرْتُهُ، ثم أَتَمَّ شعرَه، فقال:

لا يُمسك الفـحـشـاء تحتَ ثِيـابِهِ حُلوٌ شَـمــائلُهُ عَـفـيـفُ المِئْـزر

ثم بكى وانْحَط على سِيَةِ قـوسه - وكان أعورَ دَميمًا - فـما زال يَبْكى حتى دَمَعَتْ عينهُ العَوراءُ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال: لوَددْتُ أَنّى رثَيتُ أَخى زيدًا بمِثْلِ ما رَثَـيَت به مالكًا أخاك! فـقال له: يا أَبَا حَـفْصٍ! والله لو علمتُ أنَّ أَخى صارَ بحيثُ صارَ أخوك مـا رثَيْتهُ، فقال عمر: مَا عَـزَّانى أحدٌ بمثل تعزيتك. وكان

(١) تغشى: تلبس والأشمط الذى خالطه الشيب.
(٢) سية القوس: ما عطف من صرفيها..

زيد بنُ الخطاب قتلِ شـهيدًا يومَ اليـمامةِ، وكان عـمرُ يقول: إنى لأهَشُّ للصَّـبا، لأنها تأتينا من ناحيـة زيد. ويُروى عن عمرَ أنه قال: لو كنت أقولُ الشـعر، كما تقولُ لرَثيتُ أخى كما رثيت أخاك، ويُروى أنَّ مُتَـمِّمًا رثى زيدًا، فلم يجدْ، فقال له عمر: لم تَرْثِ زيدًا كما رثيت أخاكَ مـالكا ! فقال: لأنه والله يُحركنى لمالكٍ ما لا يَحرِّكُنى لزيدٍ.

***

ومن طريف شعرِهِ:

لَعمْـرِى وما دهرى بتَـأْبين هالكٍ ... ولا جَـزَعٍ والموتُ يَذْهبُ بالفَـتى[1]

لئنْ مَـــالكٌ خَلّـى عَلىَّ مكـانَه ... لفى إسْـوةٍ إنْ كُنت باغيـةَ الأسَا

كُهُـولٌ ومُردٌ من بنى عـمّ مالكٍ ... وأَيْفاعُ صِدْقٍ قد تَمَـلَيْتُهُم رضا[2]

سُقوا بالعُقارِ الصِّـرفِ حتى تتَابَعُوا ... كدَأبِ ثُمود إذْ رَغَا سَـقْبهُم ضُحِى[3]

إذَا القوْم قـالوا: مَنْ فَتىً لُمـلمَّةٍ ... فمَـا كُلّهم يُدْعى، ولكَّنه الفَـتى

ومثلُ هذا الشعر قولُ النَّهْشَلىّ:

لو كانَ فى الألفِ مِنَّا واحـدٌ فَدَعوا ... مَنْ فـــارسٌ خـالَهُمْ إيَّاهُ يَـعنُونَا

وأَوَّلُ هذا المعنى لِطَرَفَةَ:

إذا القومُ قـالوا من فَتىً خِلْتُ أَنَّنِى ... عُنِيـتُ فلم أكـــسَلْ ولم أَتبـلدِ

***

وقال متممٌ أيضاً فى كلمة له يرثى بها مالكًا:

جَميلُ المَحيَّا ضَـاحكٌ عند ضيَفْهِ ... أَغرُّ جَميعُ الرأى مُـشْتَرَك الرَّجْلِ

---

(١) ما دهرى: ما همى وغايتى.

(٢) أيفـاع: جمع يفع؛ وهو الشـاب الذى شارف البلوغ، وتمليـتهم: عـشت معـهم وتمتعت بهم مـلاوة من الدهر.

(٣) العقار: الخمر، والصرف: التى لم تمزج، ويريد به الموت، على الاستعارة.

وَقُورٌ إذَا القـومُ الكِرامُ تقـاوَلُوا   فَحُلَّت حُـبَاهم واسْتُطِيـرُوا من الجهَل[1]

وكنتَ إلى نَفـسِى أشَـد حـلاوةً   من الماءِ بالمـاذِىِّ من عَـسَـلِ النَّحْلِ[2]

وكلُّ فَتًى فى الناسِ بعـدَ ابن أُمِّه   كـساقطةٍ إحَـدى يدَيْه من الخَـبْلِ

وبعضُ الرجالِ نَخْلة لا جَنى لها   ولاَ ظِلَّ إلاَّ أنَ تُعَـدَّ مـن النَّخْلِ

وقال له عمـرُ بن الخطاب: إنك لَجَزْلٌ، فأينَ كان أخوك منك؟ فـقال: كان والله أخى فى اللـيلة المُظلمـــة ذات الأزيز والصُّـــراد[3] يركبُ الجـملَ الثَّفَـالَ، ويَجنُبُ[4] الفَرسَ الجَرورَ، وفى يَدهِ الرُّمح الثَّقيلُ، وعلَيه الشمْلةُ الفلوتُ، وهو بَيْنَ المَزَادَتَيْنِ حتى يُصبح، فَيصبِّح أهلَه مُبتسمًا.

الجملُ الثفَالُ: البطيء الذى لا يكاد يَنْبعَثُ.

والفـرسُ الجَـرُور: الذى لا يكادُ يَنقـادُ مع مَنْ يَجنبُـهُ، إنما يَجُـرُّ الحـبلَ. والشَّمْلَةُ الفَلوتُ: التى لا تكادُ تَثبتُ على لاَبسها.

وذَكَـرَ لنا أن مالكًا كـان من أرْداف الملوك، وفى تَصْـدَاق ذلك يقولُ جَـرِيرٌ يَفْخرُ ببنى يَرْبُوعٍ:

منهم عُـتَـيبَـة والمُحِلُّ وقَـعـتَبٌ   والحنتــفــان ومنهمُ الـرِّدفَـان[5]

فأحَـدُ الرِّدْفين مالـكُ بن نوَيْرَة اليربُّوعىُّ، والرِّدف الآخـر من بنى رياح بن يَرْبوعٍ، وللرِّدَافةِ موضعان: أحدهما أن يُرْدَفهُ المَلكُ على دابَّته فى صَيد أو تَرَيُّفُ أو ما أشـبه ذلك من مواضعِ الأُنسِ، والوجـه الآخرُ أنْبلُ، وهو أن يَخْلُفَ المَلكَ إذا قَامَ عن مجلسِ الحُكْمِ فينظرَ بَيْنَ الناسِ بَعْدَهُ.

---

(١) حباهم: جمع حبوة؛ وهى الثوب الذى يحتبى به الرجل يجمع به ظهره وساقيه.

(٢) الماذى: العسل الأبيض.

(٣) الأزيز: البرد، والصراد: سحاب بارد ندى ليس فيه ماء.

(٤) يجنب الفرس: يقوده إلى جنبه.

(٥) عتبة بن الحارث بن شهاب، والمحل وقعنب: رجلان من بنى حنظلة بن يربوع.
الحنتفان: الحنتف وأخوه ابنا أوس بن حميرى بن يربوع (رغبة الآمل).

بابـ

[من أخبار من جزعوا عند الموت]

قال أبو العباس: لـمَّـا احْتضـرَ إبراهيمُ النَّخعي رحـمه الله، جَزِعَ جَـزَعًا شديدًا، فقـيل له في ذلك، فقال: وأَيُّ خَطرٍ أعظمُ من هذا! إنَّمَـا أَتوَقعَ رسولاً يَردُ عليَّ من ربى، إما بالجنةِ وإما بالنارِ.

ولما احتُـضرَ ابنُ سيـرين، جعلَ يقولُ: نفـسى والله أَعزُّ الأَنْفس عليَّ. ولما احتُضرِ حُجْرُ بنُ عدى ليُقتلَ، سَأَلَ أن يُمهَلَ حتى يصلى ركعتين، وظهرَ منه جزعٌ شديدٌ، فـقال له قَائلٌ: أَتَجزَعُ! فـقال: وكيف لا أَجْـزَعُ! سيفٌ مشهـورٌ، وكفنٌ منشورٌ، وقبرٌ محفورٌ، ولستُ أَدرى أيودينى إلى جنةٍ أم إلى نار.

[قال أبو الحـسن: ما يقومُ بقـتل حُجر بنِ عـدىٍّ شىءٌ! وإنى لأعْجَبُ من قوله هذا: «ولستُ أدرى أيدنينى إلى جنةٍ أو إلى نارٍ»، وهو شهيدُ الشهداءِ، رحمه الله!].

وقد ذكرنا موتَ عَمْرو بنِ العاصِ وكلامه عند الموت.

[ممن ظهرت عليهم القسوة عند الموت]

وممن ظَهَرتْ منه عـند الموت قَسْوةٌ، حَلَحَلَةُ الفَـزارى، وسَعـيد بن أَبانَ بن عيينة بن حصن الفزارِى، فإن عبدَ الملك لـمَّا أَحـضَرهما ليُقيدَ منهما قال لحلحلة: صَبْرًا حَلَحَلَ! فقال إِى والله!.

أَصْـبَرُ منْ ذِى ضَـاغطٍ عَرَكْـرَكِ ۞ أَلْقى بَـوانى زَورِه للمــبَــرِكِ[1]

ثم قال لابن الأسـود الكَلْبِى: أجِدِ الضَّرْبَةَ، فإنى والله ضـربت أباكَ ضربةً

---

(1) قال المرصفي: يريد: من بعير ذى ضاغط، والضاغط: أن يتحرك مرفق البعير حتى يقع فى جنبه فيخرقه، وعركرك: به أثر من العرك؛ وهو أن يعرك البعير جنبه بمرفقه فيؤثر فيه. وبوانى زوره: أضلاعه، الواحدة بانية، وزوره: صدره.

أَسْلَحْتُهُ، فعددت النُّجومَ فى سَلحَتهِ، ثم قال عبدُ الملك لسَعيد بن أبانَ: صبرًا سعيدُ! فقال: إى والله!.

أَصَبرُ مِنْ عَودٍ بِجَنْبَيَه الجُلَبْ قد أَثَّرَ البِطَانُ فيه والحَقَبَ [1]

***

ومنهم وكيعُ بن أبى سُودٍ، أحدُ بنى غُدَانَةَ بنْ يَرْبُوعٍ، فإنه لما يُئِسَ منه خرجَ الطبيبُ من عنده، فقال له محمدُ ابنهُ: ما تقولُ؟ قال: لا يُصلى الظُّهر، وكان محمدٌ ناسكًا، فدخلَ إلى أبيه، فقال له أبوه وكيع: ما قال لك المَعْلوجُ؟ قال: وعَدَ أنكَ تَبرأ، قال: أسألك بحقِّى عليكَ! قال: ذَكَرَ أنكَ لا تصلى الظهرَ، قال: وَيْلِى على ابنِ الخَبيثةِ! والله لو كانتْ فى شِدقِى لَلُكْتُها إلى العَصرِ.

***

ويروى أَنَّ إبراهيم النَّخْعِى قال فى الحديث الذى ذكرناه: والله وَدَدْتُ أنها تَلَجلجُ فى حَلقى إلى يوم القيامة، وفى وكيعِ بن أبى سُودٍ يقولُ الفرزدق:

لقد رُزِئَتْ بأسًا وحَزْمًا وسُودَدًا تَميمُ بن مُرٍّ يومَ ماتَ وَكيعُ
وما كان وقَّافا وَكيعٌ إذا دَنَتْ سحائب مَوْتٍ وَبلُهُنَّ نَجيعُ
إِذَا التقتِ الأبطالُ أَبْصَرْتَ لونَهُ مُضيئًا وأعناقُ الكُماةِ خُضُوع
فصبرًا تَميمٌ إِنَّما الموتُ مَنْهَلٌ يَصيرُ إليه صابرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضًا:

لتَبْكِ وَكيعًا خَيْلُ ليلٍ مُغَيرةٌ تَساقِى المَنايا بالرُّدَينيَّةِ السُّمرِ [2]

---

(١) العود: الجمل المسن: والجلب: جمع جلبة، وهى القرحة تعلوها قشرة البره، والبطان: حزام الرجل. والحقب: الحزام الذى يلى حقو البعير.

(٢) الوبل: غزارة المطر، والنجيع: الدم.

لَقُوا مِثْـلَهُمَ فاسْتَهزَمُـوهم بدَعوَةٍ   دَعوْهَا وكيعًـا والجيادُ بهم تَجْرِى[1]

***

ومن الجُـفَاة عندَ الموتِ هُدْبَةُ بن خَـشْرَمِ العـذرىُّ، وكان قَـتَلَ زِيادَةَ بنَ زيدٍ العُذْرِىَّ، فلمـا حُمِلَ إلى معـاوية، تقدمّ معـه عبد الرحـمن أَخُو زيادةَ بنِ زياد، فاَدعى عليـه، فقال له معاويَـة: ما تقولُ؟ قال: أتحبُّ أن يكونَ الجـواب ُ شعرًا أم نثرًا؟ قال: بل شعرًا، فإنه أَمْتَعُ. فقال هُدْبَةُ:

فَلمَّـــا رأيتُ أَنّمَـــا هِـى ضَـــرْبَةٌ   منَ السـيفِ أو إغضاءُ عَـيْنٍ على وترْ
عَـمَـدتُ لأمـرٍ لا تُعَـيِّـرُ والدى   خَــزَايـنُهُ ولا يُسَبُّ به قَــبـــرى[2]
رُمِـيثَنـا فَرَامَـيْنَا فـصادَفَ سَـهْـمُنا   مَنيَّــةَ نَفْسٍ فى كِـتـابٍ وفى قَــدْرِ
وأنت أمــيـــرُ المؤمنين فــمـــا لَنا   وراءَكَ من مَعْدَى ولا عنك من قَصرْ[3]
فـإن تَكُ فى أمْـوالنـا لا نَضِقْ بهـا   ذراعًـا، وإن صَبْـرٌ فنَصبـرُ للصَّبـرِ[4]

فقال له معاوية: أَرَاكَ قد أَقْرَرْت يا هدبة! قال: هو ذاك، فقال عبدُالرحمن: أقدنــى، فكره ذاكَ وضَنَّ بهُدبَةَ عنِ القَـتْلِ - وكان ابنُ زيادةَ صـغيـرًا - فقـال له معاوية: أوَمَا عليكَ أَنْ تَشْفِىَ صَدْرَك وتَحْـرم غيرَك! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال: يُحبَس إلى أن يَبْلَغَ ابنُ زِيادَةَ، فبَلَغَ..

وكان والى المدينة سعيدَ بنَ العاصي، فممَّا وُقِفَ عليه من قسوته قوله:

ولـمَّا دخلتُ السجنَ يا أُمَّ مالكٍ   ذكرتُكِ والأطرافُ فى حَلَقٍ سُمْرِ

---

(١) قال المرصفى أنه لما مات منع والى البـصرة عدى بن أرطاة الفزارى أن يناح عليه، فوضعـوا نعشه وقالوا: لا يحمل حتى يجىء الفـرزدق، فجاء وعليه قمـيص أسود مشقوق، والناس، يترحـمون ويذكرون الله، فأخذ بقائمة السرير فنهض به، ثم أنشأ يقول: لتبك وكيعا... البيتين.

(٢) الخزاية: الاستحياء.

(٣) من معدى: من متجاوز إلى غيرك، ولا عنك من قصر؛ يريد ولا منع فى أمرى عنك (رغبة الآمل).

(٤) فإن تك؛ يريد الدية، والصبر: الحبس.

وعند سَعيدٍ غيرَ أنْ لم أَبُحْ به ... ذَكرتُكِ إن الأمرَ يُذْكرُ بالأمرِ

فسُئِلَ عن هذا القول، فقال: لـمَّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ - وكان سعيدٌ حسنَ الثغر جدا - ذَكَرْتُ به ثَغْرَها.

ويقال إنه عُرِضَ على ابن زيادةَ عَشْر ديات فأبَى إلاَّ القَوَدَ، وكان ممن عَرَضَ الديات عليه ممن ذُكِرَ لنا، الحسينُ بن عليّ وعبدُ الله بن جعفرٍ، عليهما السلام، وسعيدُ بن العاصى، ومروَانُ بن الحكم، وسائرُ القوم من قريش والأنصار، فلما خُرِجَ به ليُقاد بالحَرَّة جعَلَ يُنشدُ الأشعارَ، فقالت له حُبَّى المَدَينيَّة: ما رأيت أقسَى قلبًا منك! أتُنْشدُ الأشعَارَ وأنتَ يُمضى بك لتُقتَلَ، وهذه خلفكَ كأنها ظَبْىٌ عَطْشانُ تَوَلْولُ! تَعْنى امرأتَهُ، فوَقفَ، ووقفَ الناسُ معه، فأقبل على حُبَّى فقال:

ما وَجَدَتْ وَجْدى بها أمٌّ واحدٍ ... ولا وَجْدَ حُبَّى بابنِ أُمٍّ كِلابِ

رأته طويلَ الساعدَيْن شَمَرْدلاً ... كما انْتَعَتَتْ من قُوَّةٍ وشَبابِ[1]

فأغلقت حُبَّى ألبابَ فى وجهه وسبَّتْهُ.

وعَرَضَ له عبدُ الرحمنِ بنُ حَسَّانٍ، فقال: أنشدنى، فقال له: أعَلَى هذه الحال! قال: نعم، فأنشده:

ولَسْتُ بمِفراحٍ إذا الدهرُ سرَّنى ... ولا جازعٍ من صرفِهِ المتقلِّبِ

ولا أتبَغَّى الشرَّ والشرُّ تاركى ... ولكن متى أحْملْ على الشرِّ أرْكَبِ

وحَرَّبَنِى مولاى حتى غَشيتُهُ ... متى ما يُحربكَ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ[2]

***

فلما قُدِّم نَظَرَ إلى امرأته، فدخلته غَيرةٌ، وقد كان جُدِعَ فى حَرْبهِم، فقال:

فإنْ يَكُ أنفِى بانَ منه جَمَاله ... فما حَسَبى فى الصالحين بأجدَعا

(١) الشمردل: الفتى القوى الجلد. وانتعشت.

(٢) حربنى: حملنى على الغضب.

فـلا تَنْكحى إنْ فَـرَّقَ الدهرُ بيننا　　أَغَمَّ القَـفَا والوجـهِ ليس بأنْزَعـا

فقالت: قفُوا عنه ساعة، ثم مـضتْ ورَجَعَت وقد اصْطَلَمَت أنْفَها! فقالت: أهذا فِعلُ مَنْ له فى الرجـال حاجة! فقـال: الآنَ طابَ الموتُ. ثم أقبل على أبَوَيهُ فقال:

أَبْليـانِى اليــومَ صَبـْرا منكمـا　　إنَّ حُـزنًا مـنكمـا اليــومَ لَشَـرْ

مــــــا أظـنُّ الموتَ إلاَّ هَـيِّنـا　　إنَّ بعــدَ الموتَ دارَ المُسْـتَـقَـرْ

ثم قال:

أَذَا العَـرْشَ إنِى عائذٌ بكَ مـؤمِنٌ　　مُــقِـرٌّ بزَّلاتــى إليكَ فَــقـيــرُ

وإنى وإنْ قـالوا أَمِـيــرٌ مُـسَلَّط　　وحُـجَّــابُ أبوابٍ لَهنَّ صَـريرُ

لأَعْلَمُ أَنَّ الأمْــرَ أمَـرُك إن تدن　　فـرَبٌّ وإنْ تَغْـفِرِ فـأنت غـفـورُ

ثم قال لابن زِيادَةَ: أثْبت قَـدَمَيْكَ، وأجِدِ الضربَةَ، فـإنى أيْتمْتُكَ صـغيرًا، وأرْمَلتُ أمَّكَ شابَّةً.

ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبـار أنه قال: ما أجْزَعُ من المْوت، وآيةُ ذلك أنِّى أضْربُ برجـلى اليُسرى بعـد القتل ثلاثًا، وهـو باطلٌ موضوعٌ، ولكـنْ سأل فَكَّ قيودِهِ، فُفكتْ، فذلك حيث يقولُ:

فـإن تَقْتُلونى فـى الحَديدِ فـإنَّنى　　قَـتَلْتُ أخـاكم مُطلَقًا لـم يُقَيَّـدِ

[من أخبار من وقفوا على القبور]

قال أبو العـباس: ووقفَ خبَّار بنُ سَلْمى عـلى قبرِ عامـرِ بن الطُّفيل، ولم يكن حَضَـرَهُ، فقـال: أَنْعِمْ صبـاحًا أبَا علىٍّ! فـوالله لقد كنت سريعـاً إلى المولى بوَعْدكَ، بَطيئًا عنه بإيعـادك، ولقد كنتَ أهْدَى من النَّجمِ، وأجْرَى من السَّيلِ. ثم التفت إليهم فقال: كان ينبغى أن تَجعَلوا قبر أبى علىٍّ ميلاً فى ميلٍ!.

***

وذَكر الحِـرْمازىُّ أن الأحنفَ بن قيْس لما مـات، وكان موتهُ بالكوفـة، مَشَى المُصعَبُ بن الزُّبير فى جنازته بغير رداء، وقال: اليـومَ ماتَ سيدُ العربِ، فلمَّا دُفِنَ قامت امرأة علـى قبره- أَحْسَبُـها من بنى منْقَر - فقـالت: لله دَرُّك من مُجنٍّ فى جَنَنٍ [(١)]، ومُدرَجٍ فى كَفَن ! فنسألُ الذى فَجَعنا بموتكَ، وابتلاَنَا بفقدكَ، أن يَجْعَلَ سبيلَ الخيرِ سَبيلك، ودَليل الخيرِ دليلَكَ، وأن يُوسعَ لك فى قبرك، ويغفرَ لك يومَ حَشرِكَ، . فوالله لقد كنتَ فى المحـافلِ شريفًا، وعلى الأراملِ عَطوفًا، ولقد كنتَ فى الحَىِّ مُسـوَّدًا، وإلى الخليفـةِ مُوفَدًا، ولقـد كانوا لقولك مـستـمعين، ولرأيك مُتَّبعين، قال: فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأةٍ أبلغ ولا أصدقَ معنى منها.

***

ووقفَ رجلٌ على قبـر النجاشىِّ فَـتَرَحَّم وقال: لولا أنّ القـولَ لا يُحيطُ بما فيكَ، والوصفَ يَقْصـرُ دونَك لأَطنَبْتُ، بل لأسْهَبْتُ، ثم عَقَر ناقتَـه على قبره، وقال:

عقرتُ على قبـر النَّجاشى نَاقتى | بأبْيَضَ عَضْبٍ أخـلَصتْهُ صَـياقلُهْ
على قَـبرِ مَنْ لو أنَّنى مِتُّ قـبْلَهُ | لهانَتْ عـليه عندَ قبـرِى رَوَاحِلُهُ

***

وروى ابن دَأْبٍ أنَّ حَسَّـان بن ثابت الأنصارىَّ اجتـاز بقبر رَبيـعَةَ بن مكدمٍ فأنشدَ:

لا يبـعـدن رَبيـعَـة بن مُكدَّمِ | وسَـقَى الغَـوادِى قَـبْـرَهُ بِذَنوبِ
نَفَرَتْ قَـلوصِى من حِجـارة حَرَّةٍ | نَصبَتْ على طَـلقِ اليدين وَهُوبِ
لا تَنْـفُـرِى يا نَـاقَ منه فــإنه | شِرِّيبُ خَـمْرٍ مِسْعَـرٌ لِحُروبِ [(٢)]
لولاَ السِّفَـارُ وطولُ قفْـر مَهْـمَه | لتركتـها تحبوُ على الـعُرْقُوبِ [(٣)]

---

(١) مجن: اسم مفعول، من أجنه إذا ستره، والجنن: القبر.

(٢) مسعر للحروب: أى يسعرها ويشبها.

(٣) المهمه: القَفْر من الأرض.

نِعْمَ الفَتى أَدَّى نُبَيْشَةُ رَحْلَه يومَ الكَديدِ نُبَيْشَةُ بنُ حبيبِ

ورَبِيعةُ بن مكدَّمٍ - رجلٌ من بنى كِنَانَةَ، وكان قتله أُهبانُ بن غَادِيَةَ الخُزاعِيّ، وقَيْسٌ تقولُ: قتله نُبَيْشَةُ بن حبيبَ السُّلمِيُّ، وكان أهبانُ أخَا نُبَيْشَة لأمِّه، وكان أتاه زائرًا، وأغارَ ربيعة بن مُكدم على بنى سُلَيم، فخرج أهبانُ مع أخيه، فحمَلَ عليه فقتله، وحملَ أخو رَبيعة على أُهبان ففاتَه، فلأنهُ فى بنى سليم، قال حسانٌ:

* نَفَرتْ قُلوصِى من حِجَارَةِ حَرَّةٍ *

لأنَّ الحرَّةَ هناكَ لبنى سُلَيمٍ، وفى تَصْدَاقِ ما تَدَّعيه خُزاعة يقولُ أُهبانُ:

ولقد طَعنتُ رَبيعَةَ بنَ مُكدَّمٍ يومَ الكَديدِ فَخرَّ غيرَ مُوَسَّدِ
فى عارِضٍ شَرِقٍ بَنَاتُ فؤادِهِ منه بأحْمر كالنَّقِيعِ المُجسَدِ[1]
ولقد وَهَبْتُ سلاَحَهُ وجَوادَهُ لأخِى نُبَيْشَةَ قبلَ لومِ الحُسَّدِ

وقال أَخُو ربيعةَ يجيبهُ:

فاتَ ابنُ غادِيَةَ المَنِيَّةَ بعدَ ما رَفَّعتُ أسفلَ ذيلِهِ بالمطرَدِ[2]
قلْ لابْنِ غَادِيَةَ المُتاحِ لقتْلِنَا ما كان يَقْتُلُنا الوَحيدُ المُفردُ

يريدُ أنَّ أهبَانَ مُفردٌ من قومه فى أخواله.

وقال أيضًا:

فإنْ تَذْهَبْ سُلَيمُ بِوِتْرِ قَوْمِى فَأَسْلَمُ مِنْ مَنَازِلِنا قريبُ

[الليلى الأخيلية ترثى توبة]

وقالت ليلى الأخيَلِيَّةُ:

آلَيْتُ أَبْكِى بعدَ توبَةَ هالكًا وأَحْفِلُ مَنْ دارَتْ عليهِ الدَّوائِرُ
لَعَمركَ ما بالموت عار على الفَتى إذا لم تَصِبهُ فى الحياةِ المَعَايرُ

---

(١) المطرد: الرمح القصير يطارد به الفارس.

فـلا يُبْـعِـــدَنكَ اللهُ يا تَوْبَ إنما   لِقـاءُ المَنَايَا دَارِعًـا مـثلُ حـاسِـرِ

ويُروى :

فـلا يُبعِـدنْكَ اللهُ يا تَوْبَ هالكا   أخا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَّوائرُ

فكلٌّ جَـديدٍ أو شَبَـاب إلى بِلًى   وكلُّ امْـرئٍ يومًا إلى اللهِ صـائرُ

* * *

وذَكَر المدائنى أنَّ رجلاً عَزَّى رجلاَ أفرَط عليه الجَزعُ على ابنه فقال: يا هذا، سُرِرْتَ به وهو حُزنٌ وفتنة، وجَزَعت عليه وهو صَلاةٌ ورحمةٌ، فَسُرِّى عنه.ويُروَى أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تعَزَّوا عن مصـائبكم بى»، وقال رجلٌ لابن عمرَ: أُعظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، فقال: نَسَألُ اللهُ العافـية! معناه: أنه لـمَّا قال له: «أعظم الله أجركَ»، إنما دعا بأن يكثر ما يُؤجَرُ عليه، ودلَّ على أنه من باب المصائب تعزِيتُهُ إيَّاهُ.

وهذا باب طريف من أشعار المحدثين

[لمطيع بن إياس في يحيى بن زياد]

قال مُطيعُ بنُ إياسٍ اللَّيثي يَرثي يحيى بنَ زِيادِ الحارثيَّ - وكان صَديقهُ، وكانا مَرميَّين جميعًا بالخروج عن الملة:

يَا أَهلَ بكُّوا لِقلْبيَ الفَرِحِ ... وللدُّمُوعِ الهوامِلِ السُّفَحِ (١)

رَاحُوا بيَحيى إلى مُغَيَّبِهِ ... في القبرِ بينَ التَّرابِ والصُّفَحِ (٢)

رَاحُوا بيحيى ولو تطاوعني الأقـ ... دارُ لم يَبْتكِرْ ولم يَرُحِ

يا خيرَ مَنْ يَحَسُنُ البُكاءُ له الـ ... يَوْمَ ومَنْ كانَ أَمْس للمِدَحِ (٣)

***

وفي يحيى يقولُ مطيعٌ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما:

كنتُ ويَحيى كَيدى واحدٍ ... نرمي جميعًا ونُرامى مَعَا

إن سَرَّهُ الدَّهرُ فقد سَرَّني ... أو حادثٌ نابَ فقد أفْظعَا

أو نامَ نامتْ أَعينٌ أربَعٌ ... مِنَّا، وإن هَبَّ فلَنْ أَهْجَعَا

حتى إذا ما الشَّيبُ في عارضي ... لاحَ وفي مفْرِقِه أَسرعَا

سَعَى وُشاةٌ طُبَّنٌ بَيْننا ... فكادَ حَبْلُ الوَصْلِ أن يقْطعَا (٤)

فلم أَلُمْ يَحِيى على حادثٍ ... ولم أقلْ خَانَ ولا ضَيَّعَا

---

(١) الهوامل: الذوارف.

(٢) الصفح: جمع صفيحة، وهي القطعة العريضة من الصخر.

(٣) ذكر المرصفي بعده:

قَدَ ظَفرَ الحُزْنُ بالسُّرور وَقَد ... أديلَ مكْرُوهُنَا مِنَ الفرَحِ

(٤) طبن: جمع طابن، وهو الفطن.

[لأبى عبد الرحمن العتبى يرثى على بن سهل]

وقال أبو عبد الرحمن العُتَبى يَرْثى علىَّ بن سَهْلِ بن الصَّباح - وكان له صَديقًا:

يا خَبْرَ إخوانه وأعطَفَهُمْ عليهمُ راضِيًا وغَضبانَا
أَمْسَيْتَ حُزنًا وصار قربُكَ لى بُعْدًا وصارَ اللِّقاءُ هِجْرانا
إنَّا إلى الله راجعون لَقد أصبَحَ حزنى عليكَ ألوانَا
حُزنُ اشتياقٍ وحزنُ مرزِئةٍ إذا انقضى عادَ كالذى كانا

***

قوله: «يا خَبْرَ إخوانه» محالٌ وباطلٌ، وذلك أنه لا يضافُ «أفعَلُ» إلى شىءٍ إلاّ وهو جزءٌ منه، وقال أيضًا:

دَعَوتُكَ يا أَخَىّ فلم تجِبْنى فردَّتْ دَعْوَتى حُزنًا علَيَّا
بموتِكَ مَاتتِ اللذاتُ منِّى وكانتْ حَيَّةً إذْ كنتَ حَيَّا
فيَا أَسَفِى عليكَ وطولَ شَوقِى إليكَ لوَ انَّ ذاك يَرُد شَيَّئا

[وقوف رجل على قبر عدوه]

وحدثنى رجلٌ من أصحابنا، قال: شهدتُ رجلاً فى طريق مكة معتكفا على قبرِ، وهو يُرَدِّدُ شيئًا ودمُوعُه تكفُ من لحيته، فدنوت إليه لأسمع ما يَقولُ، فجعلت العَبْرَةُ تَحُولُ بينَهُ وبينَ الإبانة، فقلتُ له: يا هذا! فرفَعَ رأسَه إلىَّ، وكأنما هَبَّ من رَقدة، فقال: ما تشاءُ؟ فقلت: أعلىَ ابنك تبكى؟ قال: لا، قلتُ: فعلى أبيك؟ قالَ: لا، ولا على نَسيب ولا صديقَ، ولكن علَى مَن هو أخَص منهما، قلتُ: أوَ يكونُ أحدٌ أخَصَّ ممَّن ذكرتَ؟ قال: نعم، مَنْ أَخبِرُكَ عَنْه، إنَّ هذا المَدْفونَ كان عدواّ لى من كل باب، يَسعَى علَى فى نفسى وفى مالِى وفى وَلَدى، فخرجَ إلى الصَّيْد أَيْأَسَ ما كنتُ من عَطبه، وأكمَلَ ما كان من صحته، فرَمَى ظَبيًا فأقْصَدَه(١)، فذهبَ ليأخذَه، فإذا هو قد أنْفَذَهُ حتى نَجَمَ(٢) سهمهُ من

(١) أقصده: لم يخطئه (٢) نجم سهمه: ظهر وبرز

صَفْحَةَ الظَّبى[1]، فعَثَرَ فتلقى بفؤاده ظُبَةَ[2] السَّهمِ، فَلَحِقهُ أولياؤُهُ، فانتزعوا السهمَ، وهو والظَّبىُ مَيِّتان، فنَمى إلىَّ خبرهُ، فأسرعت، إلى قبره مغتبطًا بفقده، فإني لَضَاحِكُ السِّنِّ، إذ وقعت عيني على صخرةٍ، فرأيتُ عليها كتابًا، فَهَلُمَّ فاقرأهُ، وأومأ إلى الصخرة، فإذا عليها:

وما نحنُ إلاَّ مِثْلُهُمْ غيرَ أَنّنا ... أَقَمْنَا قليلاً بعدَهُم وتَقَدَّمُوا

قلتُ: أشهدُ أنك تبكِي على مَنْ بُكاؤكَ عليه أَحقُّ من النَّسيبِ.

[مراثي يعقوب بن الربيع في جارية له]

وما استطرفنا من شعر المُحْدثين قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبيع فى جاريةٍ طالبَها سبعَ سنينَ، يَبْذُلُ فيها جاهه، ومالَه، وإخوانه حتى مَلَكهَا، فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت، فقال فيها أشعارًا كثيرةً، اخترنا منها بعضَها من ذلك قوله:

لله آنِسةٌ فُجِعتُ بها ... ما كان أبعَدَها من الدَّنَس!

أَتت البِشارة والنَّعى معًا ... يَا قُربَ مأتَمِها من العُرسِ!

يا مُلكُ نالَ الدَّهرُ فُرصتَهُ ... فرَمَى فؤادًا غير مُحترسِ

كم من دُموعٍ لا تجفُّ ومن ... نَفسٍ عليك طويلةِ النَّفسِ

أبكيك ما ناحتْ مُطوَّقَةٌ ... تحت الظَّلام تَنُوحُ فى الغَلَسِ

يا مُلْكُ فىَّ وفيكِ مُعتَبَرٌ ... ومواعظٌ يُوحِشْنَ ذا الأَنسِ

ما بعدَ فُرقةِ بَيْننا أبدًا ... فى لَذَّةٍ دَرَكٌ لُملتَمِسِ

وأَخذَ ما فى صدرِ هذا الكلام من قول القائل:

رُبَّ مَغروسٍ يُعاشُ به ... فَقَدتْهُ كفُّ مُغترسِه

وكذاكَ الدَّهرُ مَأْتمُه ... أَقْرَبُ الأشياء من عُرُسِه

(١) صفحة الظبى: جانبه.
(٢) ظبة السهم: حده.

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرثى زوجها - ولم يكن دخل بها [1]:

أبْكـيكَ لا لِلَّـنعـــيـمِ والأنَسِ ... بل للمـعـالـى والرُّمْحِ والفَـرَسِ
أَبْكِى على فـارسٍ فـجعتُ به ... أرملـنى قـبلَ ليـلة العُــرسِ
يا فــارسًــا بالعَــراء مُطَّرحًــا ... خـانتـهُ قُـوادُهُ مع الحَـرَسِ
مَنْ لليـتـامىَ إذا هُمُ سَغِـبُـوا ... وكلِّ عــانٍ وكُلِّ مُـحْـتَـبَسِ!
أم مَنْ لِـبـرٍّ أم مَنْ لفــائدةٍ ... أم مَنْ لـذِكــرِ الإلَه والغَـلسِ!

***

ومما أستطرفه من شعرِ يعقوب قوله:

ليتَ شِـعـرِى بأَىِّ ذَنْـبٍ لِمُلك ... كانَ هَجْـرِى لِقَبْرِهـا، واجْتنابى!
أَلِذَنْبٍ حَـقَــدْتُهُ كـانَ منهـا ... أمْ لِعِلْمِى بشُـغْلِها عن عِتـابى!
أمْ لأمنِى لسُـخطِهـا ورضـاها ... حين واريتُ وَجْهها فى التراب!
مـا وَفى فى العبـاد حَىٌّ لِمَيتٍ ... بعـــد يَـأسٍ منه له فـى الإيَابِ

وفى هذا الشعر:

إنما حَـسْـرتـى إذا مـا تَذَكـرْ ... تُ غنـائى بهــا وطولَ طِـلاَبِى
لم أزَلْ فى الطِّلابِ سـبعَ سِنينٍ ... أتـأتـى لذاكَ مـن كـلِّ بـابِ [2]
فـاجـتمـعنا على اتفـاقٍ وقـدْرٍ ... وغَنينـا عن فُـرقَـةٍ باصـطِحـابِ
أُشـهُرًا سِـتَّـةً صَحِـبتُكِ فـيهـا ... كُنَّ كـالحُلْمُ أو كَلمعِ السَّـرابِ
وأتانِى النَّعى منكِ مـع البُشْـرَى ... فـيــا قُـربَ أوْبـةٍ من ذَهابِ!

***

(١) نسبه بعضهم إلى لبانة بنت موسى الهادى فى محمد الأمين.
(٢) أتأتى: أتعرض له.

ومن مَليحِ شعرهِ قوله يرثيها:

حتى إذا فَترَ اللسانُ وأصبحت ... للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَّرجسِ
وتَسَهَّلتْ منها محاسنُ وجهها ... وعَلا الأنينُ تَحثُهُ بتنَفُّس
رَجَعَ اليقينُ مَطامِعِي يَأسًا كما ... رَجَعَ اليقينُ مَطامعَ المُتَلمِّسِ[1]

ومن مليح شعرهِ أيضًا قولهُ:

فُجِعْتُ بملْكٍ وقد أَيْنَعتْ ... وتَمَّتْ فأعظِمْ بها مِنْ مُصيبهْ!
فأصبحتُ مُغْتربًا بعدَها ... وأمست بحُلوان ملكٌ غريبَهْ[2]
أَرَانِي غريبًا وإن أصبحَتْ ... مَنازلُ أهلى مِنى قريبَه
خلفتُ على أُختِها بعدَها ... فصادفتُها ذاتَ عَقْلٍ أديبه
فأقْبَلَتْ أبكى وتَبْكِى مَعِى ... بُكاءَ كئيبٍ بِحُزْنٍ كَئيبهْ
وقلتُ لها مَرْحبًا مرحبًا ... بوجهِ الحبيبة أُخْتِ الحَبيبه
سأَصْفيكِ وُدِّى حِفاظًا لها ... فذَاكَ الوَفاءُ بِظَهرِ المَغيبَهْ
أَرَاكِ كمُلكٍ وإن لم تكنْ ... لملكٍ من الناس عِندى ضَريبَهْ

[مرثية يزيد المهلبى فى المتوكل]

ومما اخترنا من مَرْثِيّة يزيدِ المُهلَبى للْمتوكل على الله قوله:

لا حُزنَ إلاَّ أراهُ دُونَ ما أَجِدُ ... وهَلْ كَمَنْ فَقَدتْ عَيناى مُفْتَقَدُ!
لا يَبْعَدَنْ هالِكٌ كانتْ مَنيَّتُهُ ... كما هوَى عن غِطاء الزُّبية الأسَدُ[3]
لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيمًا بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إذْ لا تُمَدُّ إلى الجانى عليكَ يَدُ
لوْ أنَّ سيفى وعَقْلِى حاضران له ... أبْلَيْتُهُ الجُهْدَ إذ لم يُبْلِه أَحَدُ

(١) المتلمس: المتطلب.

(٢) حلوان: مدينة فى آخر حدود العراق..

(٣) الزبية: حفيرة تحفر للأسد فى عال من الأرض تغطى، فيمر بها الأسد فيهوى ويصاد.

جـاءت مَـنِيَّـتُـهُ والـعَـيْنُ هاجِـعَـةٌ هَلاَّ أَتَتْـهُ المَنَايَا، والقَضـا قصـد![1]

هلاَّ أَتَـتّـــهُ أَعــــادِيه مُـــجـــاهرةً والحـــربُ تَسْـعَــرُ والأبْطـالُ تَجـتَلِدُ

فَـخـــرَّ فـوقَ سـرير المُلك مُـنجَـدلاً لم يَحـمِـهِ مُلكهُ لَمَّا انقَـضى الأمَـدُ

قـد كـان أنصـارهُ يَـحـمُـون حَـوزَتَهُ وللرَّدى دون أرْصـادِ الفَتى رَصَـد[2]

وأصـبحَ الناسُ فـوضى يَعْجـبـونَ له لَيـثًـا صريعًـا تَنزى حَـولهُ النَّقَـد[3]

عَلْتَـكَ أسـيـــافُ مَنْ لا دُونهَ أحـــدٌ وليسَ فـوقك إلاّ الواحـدُ الصَّـمـدُ

جـاءوا عَظيـمًـا لِدُنيا يَـسْعـدون بهـا فقد شقوا بالـذى جاءُوا وما سعدُوا

ضـجَّت نساؤُكَ بـعدَ العِـزِّ حين رأَتْ خـدًّا كـريماً علـيـه قـارتٌ جَـسِـدُ

أَضْـحَى شهـيدُ بنى العـبـاس مـوعظة لكلِّ ذِى عِـزَّةٍ فى رأسِـهِ صَـيَـدُ[4]

خَليــــفَـــةٌ لم يَنلْ مـــا نـالهُ أَحـــدٌ ولـم يضع مـــثله رُوحٌ ولا جَـسَـد

كم فـى أَديمكَ مِنْ فــــوْهــاءَ هادِرَةٍ من الجَـوائفِ يَغلِى فـوقهـا الزَّبَدُ[5]

إذا بُكـيتَ فـــإن الدمـعَ مَنْهَـــملٌ وإن رُثيـتَ فـــإن الـقـــولَ مُـطَّرِدُ

قد كنت أسْرف فى مالى، وتُخلف لى فـعَلَّمـتْنِى لليـالى كـيفَ أَقـتَـصـدَ

لَمَّا اعـتـــقَـدْتُمْ أُناسًـا لا حُـلومَ لهمْ ضعـتُم وضَيعـتُمُـو مَنْ كان يُعتَـقدُ

ولو جَـعلتُم على الأحـرار نعـمـتكم حَـمَـتكُمُ السـادةُ المذكورةُ الحُـشـد

قـومٌ همُ الجِذمُ والأنسـابُ تجْـمَعـهُمْ والمجـدُ والدِّين والأَرحـامُ والبَلَدُ[6]

---

(١) قصد: جمع قصدة: وهى ما تكسر من الرماح.

(٢) الرصد: القوم الراصدون

(٣) تنزى: تثب، والنقد: جنس من الغنم قصار الأرجل.

(٤) الصيد: مصدر صيد يصيد، فهو أصيد، والأصيد: الذى يرفع رأسه كبرًا.

(٥) فوهاء؛ يريد طعنة واسعة، وهادرة، من هدر الشراب، إذا غـلا وقذف بالزبد، والجوائف: جمع جائفة، وهى التى تبلغ الجوف.

(٦) الجذم: الأصل.

إذا قـــريشٌ أرَادُوا شَـدَّ مُـلكِهم بغـيـرِ قَـحطانَ لم يَبْـرَحْ به أَوَدُ
قد وُتِر الناسُ طراًّ ثُمَّ قد صَـمَتُوا حـتى كَـأَنّ الذى نِـيلُوا به رَشَـدُ
مِنَ الألى وَهَبُوا للمْجَـد أنفسهم فمـا يُبالون مـا نَالوا إذا حُـمدوا

***

[قال أبو الحسن قوله: «قَارَتٌ، يقـال: «قرت الدمُ يَقْرُتُ قَروتًا ودمٌ قارتٌ، قد يَبسَ بين الجِلْدِ اللحم، ومِسْكٌ قارتٌ، وهو أخفُّهُ، وأجودُهُ ، قال:

* يُعلُّ بقرَّاتٍ من المسكِ قاتنِ *

وقَرَّاتٌ، «فعَّالٌ، وقاتنٌ، مسكٌ قاتنٌ قد قَتَنَ قُتونًا أى يابسٌ لا نُدوَّة فيه]

بابُ

[ذكرُ الأذواءِ من اليمنِ في الإسلام]

[فأما في الجَاهلِيَّةِ فيكثُرونَ نحو ذِي يَزنٍ وَذِي كَلاعٍ وَذِي نواسٍ وَذِي رُعَينٍ، وذَي أَصْبَحٍ وَذِي المنَارِ وَذِي القَرْنَين، أَمَّا في الإِسْلامِ فمنهُمْ خُزيمَةُ بنُ ثابتٍ ذو الشهادتَيْنِ، سَمَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ أنصارِيٌّ، ومنهُمْ قَتَادةُ بنُ النُّعمانِ الأنْصارِيُّ ذُو العينِ، كَانَتْ عَيْنَهُ أُصيبَتْ فردَّهَا رَسُولُ الله ﷺ فكَانَتْ أحْسنَ عَيْنَيه، وكانتْ تعتلُّ عَيْنُهُ الصَّحيحَةُ فلاَ تَعْتَلُّ المرْدودَةُ معَهَا، وَمنهُمْ أَبُو الهيثَم ابنُ التَّيِّهانِ الأنْصارِيُّ ذو السَّيْفَيْنِ، كَانَ يتقلَّدُ سَيْفَينِ في الحرْبِ، وَمنهُمْ حُبَابُ بنُ المنذر بنُ الجمُوح ذُو الرَّأيِ وَهُوَ صَاحِبُ المشُورةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَخَذَ برأيه رَسُولُ الله ﷺ، وكَانَتْ له آرَاءٌ في الجَاهليَّةِ مَشهُورَةٌ، ومنهُمْ سَعْدُ بْنُ صُفَيحٍ ذُو السَّيَّال، ومَنهُمْ ذُو المشهَّرةِ وَهُوَ أبو دُجانة سمَاك بنُ خرَشَةَ، وكَانَتْ لَهُ مُشهَّرَةٌ إذَا لبسَهَا وَخرَجَ يختَالُ بَيْنَ الصَّفَّينِ لَمْ يُبْقِ ولَمْ يَذرْ. وكُلُّ هؤُلاَءِ منَ الأنصَارِ].

ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطُّفيل الأزدي ثم الدَّوسِي ذو النُّور أَعطاه رسولُ الله ﷺ نوراً في جبينه ليَدعُو به قومَهُ، فقالَ: يا رسول الله، هذه مُثْلَةٌ (١)، فجعله رسول الله ﷺ في سَوْطه، فلما ورَدَ على قومه بالسَّراة(٢) جعَلوا يقولون: إنَّ الجبلَ ليلتَهِبُ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة.

ومنهم، ثُمَّ من خُزَاعَةَ، ذو اليَدينْ، سماه رسول الله ، ذا اليدين، وكان قبلُ يُدْعى ذا الشمالين، وكان رسول الله ﷺ صلى بهم الظُّهر فسلمَ في الركعة

---

(١) مثلة: أي تنكيل.

(٢) السراة: الجبل المشرف على عرفة، ويمتد إلى صنعاء.

الثانية. فـقال ذُو اليدين: يا رسولَ الله أقـصرتِ الصلاة أم نَسيتَ؟ فقـال: ما كان ذاكَ، فقال: بَلى يا رســول الله، فالتفتَ إلى أصحابه فقال: مـا يقولُ ذو اليدين؟ فقالوا: صَدَقَ يا رسولَ الله، فنهض فَأَتَمَّ، ثم قال: إنِّي لأنْسى أو أنسَّى لأستَنَّ[1].

(١) لأستن؛ من السنن وهو المذهب.

وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة

سَبَبٌ من اليَمَانية

منهم سعدُ بن معاذ الأنصارى، وهبط لموته سبعون ألفَ ملك لم يهبطوا إلى الأرض قبلهـا، وقَبَضَ رسـولُ الله ﷺ من رجليه فى المشى لئـلاَّ يَطأ على جناحِ مَلَكٍ، واهتزَّ لموته عَرْشُ الله جل وعز وفى ذلك يقولُ حسانٌ:

وما اهتزَّ عَرشُ الله مِنْ مَوْتِ هالكٍ سَمِـعْنَا به إلاَّ لِسَـعدٍ أبى عَـمرِو

وكبَّرَ عليه رسول الله ﷺ تِسعًا، كما كبَّر على حمزة بن عبد المطَّلب، وشَمَّ من تُراب قبرِه رائحةَ المِسْكِ.

ومنهم حسانُ بن ثابت الأنصـارىُّ، قال له رسول الله ﷺ: «اهجهم ورُوحُ القُدُس معك»، وقال فى حديث آخر: «إن الله مُـؤيدا حَسَّانًا بروح القُدسُ ما نافح عن نبيـه» وقالت عائشة: كـان يوضَع لحسانَ مِنبـرٌ فى مُؤَخَّرَ المسجـد فَينافحُ عن رسول الله ﷺ.

ومنهم حنظلة بن أبى عامر الأنصـارىُّ، غسَّلتهُ الملائكةُ، وذاك أنه خَرجَ يوم أُحدٍ فأصـيبَ، فقال رسول الله ﷺ: «صـاحبكُم هذا قد غَسَلَتْهُ المـلائكة»، فسئل عن ذلك، فقـالت امرأتُهُ: كـان معى على ما يكونُ الرجلُ مـع امرأتِه، فأعـجلتْهُ حَطمَةُ بَلغتْه فى المسلمين، فخرج فأصيب، ففى ذلك يقولُ الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح حَمِىُّ الدَّبرِ [1]، وكان خالَ أبيه:

غَـسلَتْ خَـالِيَ الملائـكة الأبـ رارُ مَـيـتًا أَكـرِمْ به من صـريع!
وأنَّا ابنُ الذى حَمْـت ظهرَه الدَّبْـ ـرُ قَتـيلِ اللِّحيـانِ يومَ الرَّجيعِ !

ومنهم حارثةُ بن النُّعمان، رأى جبريل ﷺ مرَّتين وأقرأه جبريلُ السلامَ.

(١) الدبر: النحل.

ومنهم، ثمَّ من خُزاعة عمْرانُ بن حُصــين، كانت تصافحه الملائكة وتَعودُه، ثم افتقدها، فأتى رسولَ الله ﷺ، فـقال: يا رسول الله ؛ إن رجالاً كانوا يأتوننى لم أرَ أَحْسَن منهم وُجوهًا، ولا أطيبَ أرواحًا، ثم قـد انقطعوا عنى، فقال رسول الله ﷺ: أصابك جُرحٌ، فكنتَ تكْتُمهُ؟ فـقال: أَجَلْ، قال: ثم أظهرته؟ قال: قد كان ذلك، قال: أمَا لو أَقَمتَ على كتْمانه لزارَتْكَ الملائكة إلى أن تموت.

ومنهم جَرِيرُ بن عـبد الله البَجلى، قـال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَنٍ، عليه مَسْحَةُ ملكٍ».

ومنهم دِحْيـةُ بن خليفة الكَلَبىُّ، كـان جبريلُ ﷺ يَهبطُ فى صـورته، فمن ذلك يوم بنى قرِبَـطةَ لـمَّا انصرفَ رسـولُ الله ﷺ من الخَنْدَق وهَبَط عليه جـبريل عليـه السلام فقـال: يا محـمد، أقـد وَضعْتُمْ سـلاحكم ! ما وَضـعَتِ الملائكة أسلحتَها بَعْـدُ، إنَّ الله يأمرُك أن تَسير إلى بنى قُرَيظَةَ، وهأنذا سائـر إليهم فمزلزل بهم، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ ألاْ يُصلوا العصـر إلاَ فى بنى قرَيظة، فجعل يَمرُّ بالناس فيقـول: أَمَرَّ بكم أحَد؟ فيقـولون: مرَّ بنا دحْيَةُ بن خليفـةَ على بغلة عليها قطيفة خَزٍّ نحو بنى قُريظة، فيقول: ذاك جَبْرَئيلُ، ثم مَرَّ دِحيةُ بعدَ ذلك، وكان لا يزال عليه السلام فى غـير هذا اليوم ينزلُ فى صورته، كمـا ظَهرَ إبليس فى صورة الشيخ النَّجدىِّ.

وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه ووعدنا استقصاءه

[الفرق بين تعريف الحيوان وتنكيره، وبين تذكيره وتأنيثه].

قال أبو العباس: اعْلَمْ أنَّ كل شيء من الحيوانِ، كان مِمَّا يخبرُ الناسُ عليه كما يخبرونِ عن أنفسهم، ومِمَّا يَقْتَنونَه، ويتَّخذونه، فبهم حاجة إلى الفصْل بين معرفته ونكرته، ومُذَكَّره، ومؤنَّثهُ، تقولُ: جاءنى رجلٌ إذا لم تَدْر مَن هو بعينه أو دَرَيتَ فلم تُرِد أن تُبيِّنَ، ثم تعَرِّفُهُ لصاحبك إذا أردتَ ذلك إمَّا بألفٍ ولامٍ، وإمَّا باسمٍ معروفٍ، أو إضافةٍ أو غير ذلك.

وكذلك يَفْصلُ الناسُ بين الخيل بأسماء أو نعوتٍ يَعرفُونَ بها بعضَهَا من بعضٍ، وكذلك الشَّاءُ والكلابُ والإبلُ، ولولاَ تميز بعضها من بعض لم يَستقم الإخبارُ عنها والاختصاصُ بما أُريدَ منها، فإذا كان الشيءُ ليس مما يتَّخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضه وبعض، يقولُ الرجلُ: «رأيتُ الأسدَ» فليس يعنى أسدًا بعينه، ولكن يريدُ الواحدَ من الجنس الذى قد عَرَفتَ، وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيةُ، وما أشبه ذلك، ألا ترى أنَّ ابن عرس وسامَّ أبَرَصَ وأمَّ حُبين وأبا الحارث، وأبا الحُصين، معارف لا على أن تَميزَ بعضها من بعضٍ ولكن تعريفَ الجنس، وقولك: ابنُ مَخاضٍ وابنُ لَبونٍ، وابن ماءٍ نكراتٌ، لأنَّ هذا مما يتَّخذهُ الناس، و«ابن ماءٍ» إنما هو مضاف إلى الماء الذى يعرف.

فإذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلتَ فيما أُضيفت إليه الألفَ واللامَ، أو لَقَّبتها ألقابًا تُعرف بها، كزيدٍ وعمرو.

واعلمْ أنَّ كلَّ جمعٍ مؤنثٌ، لأنك تُريدُ معنى جماعة، ولا تُذكرُ من ذلك إلاَّ ما كان فعلُهُ يَجْرِى بالواو والنون فى الجمع، وذلك كلُّ ما يَعقلُ، تقولُ: مسلمٌ ومسلمون، كما تقول: قومٌ يُسلمونَ، وتقول للجمَال: هِى تَسيرُ، وهُنَّ يَسرنَ،

كما تقــول للمؤنثّ، لأن أفعالَها على ذلك، وكذلك الـمَـوات، قال الله عز وجل فى الأصنام : ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلنَ كـثيـرًا من الناس﴾ (١)، والواحدُ مذكر، وقال المفسـرون فى قوله: ﴿إنْ يدعُـونَ من دُونه إلاَ إناثًا﴾ (٢) قالوا: المَواتُ، فـكلُّ ما خَرَجَ عمَّا يَعـقِلُ فَجمْعهُ بالتأنيث وَفعلُهُ عـليه، لا يكونُ إلا ذلك، إلاَّ ما كان من باب المنقوص، نحـو «سنين وعزينَ» وليس هذا موضعه، وجـملته أنه لا يكونُ إلاَّ مـؤنثًا، فلهـذا كان يقـعُ على بعض هذا الضرب الاسـم المؤنثُ، فيـجْمَعُ الذَّكـر والأنْثى، فمـن ذلك قولهم: عَقْـرَبٌ، فهـو اسمٌ مؤنثٌ إلاَّ أنك إن عَـرَّفْتَ الذَّكرَ قلتَ: هذا عقربٌ، وكذلك الحيةُ، تقولُ للأنثى: هذه حيةٌ، وللذَّكر هذا حَيةٌ، قال جرير:

إن الحَـفافـيثَ منكم يا بَنِى لَجـإٍ يُطرقنَ حيثُ يَصُولُ الحـيّة الذّكرُ

[قال الأخـفش: الحفافـيثُ: ضربٌ من الحـيَّاتِ يكونُ صغـير الجـرمِ يَنْتَفِخُ ويَعظمُ ويَنفُخُ نفخًا شديدًا، لا غائلة له] (٣)

***

وتقول: هذا بطةٌ للذكر، وهذه بَطة للأنثى، وهذا دَجـاجةٌ، وهذه دَجَاجة، قال جريرٌ:

لـمَّــا تَذَكَـرتُ بالديْـرَيْن أَرَّقنى صوتُ الدَّجـاجِ وقرْعٌ بالنـواقِيسِ

يريد زُقاء الديوك، فالاسم الذى يجمعهما دجاجة للذكر والأنثى، ثم يَخصُّ الذَّكر بأن يقـال: ديكٌ، وكذلك تقـول: هذا بقرة: (٤وهذه بقرة ٤) لهما جميعًا، وهذا حبُارى، ثم يُخَص الذَّكر، فتقول: ثَورٌ، وتقولُ للذكر من الحُبارى: خَرَبٌ، فعلى هذا يَجرِى هذا البابُ، وكلُّ ما لم نذكره فهذا سبيله.

***

(١) سورة النساء ١١٧

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) هذه الزيادة ليست فى الأصل

(٤-٤) ما بين الرقمين مما لم يرد فى ر.

قال أبو العباس: وقد كُنَّا أَرْجأنَا أشياءَ ذكرنا أنا سَنَذكُرها في آخر هذا الكتاب، منها خُطبٌ، ومواعِظُ ورسائلُ، ونحن ذاكرونَ ما تَهَيأَ من ذلك إن شاء الله.

[خطبة لأعرابي بالبادية]

قال الأصمعيُّ فيما بلغني: خَطبنا أعرابي بالبادية، فحمدَ الله واستغفره ووَحدهُ، وصلى على نبيه، فَبَلَغ في إيجاز، ثم قال: أيُّها الناسُ، إنَّ الدنيا دارُ بلاغَ، وإنَّ [1] الآخرة دارُ قرار، فخذوا من مَفركم لمقَركمُ، ولا تهتكوا أستاركم عندَ من لا تَخفى عليه أسراركم، في الدنيا كُنتَمْ، ولغيرهَا خُلقتُم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والمُصلي عليه رسول الله والمَدعُوُّ له [2] الخليفة، والأميرُ جعفرُ بن سليمان.

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

وحُدثِّت في بعض الأسانِيد أنَّ عمر بن عبد العزيز قال في خطبة له:

أيها الناس إنما الدنيا أمل مختَرمٌ، وأَجلٌ مُنتَقَصٌ، وبَلاغٌ إلى دار غيرها، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تعريجٌ، فرَحمَ الله امرءًا فكَّرَ في أمره، ونَصَّحَ لنفسه، وراقبَ ربَّه، واستقالَ ذنْبَه، ونَورَ قلبه! أيها الناسُ، قد علمتم أَنَّ أباكم قد أُخرج من الجنة بذنبٍ واحدٍ، وأَنَّ ربَّكم وَعَدَ على التوبة، فليكُنْ أحدُكم من ذنبه على وَجل، ومن ربه على أملٍ

***

ويُروَى أنّ رجلاَ معروفًا، ذَهَب اسمهُ عَني، قال: أتيتُ ابنَ عُمر فقلتُ: أَتَجِبُ الجنَّة لعامل بكل الخيرات وهو مشْرِك؟ فقال: لا، فقلت له: أَتَجبُ النارُ

(١) ساقطة من ر:

(٢) قال المرصفي: «المدعو له الخليفة يريد به أبا جعفر المنصور وقد ولى ابن عمه جعفر بن سليمان بن عباس المدينة سنة ست وأربعين ومائة»

لعاملٍ بالشّرِّ كلّه وهو مُوَحدٌ؟ قال: عَشْ ولا تَغْتَر، قال: وأتيتُ ابنَ عباس، فسألتهُ فأجابنى بمثلِ جوابه سَواء، وقال: عَشْ ولا تَغْتَر [1]

قال: وحدثنى بهذا الحديث القاضِى [يعنى إسماعيل بن إسحاق]

[خطبة لعتبة بن أبي سفيان بالموسم]

وذكر العتبى - أحسبهُ عن أبيه عن هشام بن صالحٍ عن سَعدِ القَصْر قال: خَطَبَ الناسَ بالمَوسْمِ عُتَبَةُ فى سنة إحدى وأربعين، وعَهْد الناس حديث بالفتنة[2]، فاستفتح ثم قال:

أيها الناسُ، إنَّا قد وَلِينا هذا الموضع الذى يُضاعفُ الله فيه للمحسن الأجرَ وعلى المسيء الوزرَ، فلا تَمُدوا الأعناقَ إلى غيرنا، فإنها تَنْقَطِعُ دونَنا، ورُبَّ مَتمنٍّ حَتفُهُ فى أُمنيته، اقبلوا العافية ما قبلناها منكم، وفيكم وإياكم، و«لَوْ» فقد أتعَبتْ مَنْ قبلكم، ولن تَريح مَنْ بعدكم، فأسأل الله أن يُعين كُلاً على كلٍّ. فَنعَقَ به أعرابىٌ مُؤَخر المسجد فقال: أيُّها الخليفةُ! فقال: لَسْتُ به ولم تُبْعد، قال: فيا أخاه! قال: قد أسمعتَ فقلْ، فقال: والله لأنْ تُحسنوا وقد أسَأنا خيرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أَحْسنَّا، فإن كان الإحسانُ لكم فما أحقَّكم باستتمامه، وإن كان لنا فما أحقّكم بمكافأتنا! رجلٌ من بنى عامرٍ يَمُتُ إليكم بالعُمُومة، ويَختَصُّ إليكم بالخؤولَة، وقد وطئه زمانٌ وكثرةُ عيال، وفيه أجرٌ، وعنده شُكرٌ. فقال عُتَبَةُ: أسْتَعيذُ بالله منك، وأستعينُه عليك، قد أمَرتُ لك بِغِناكَ، فليت إسراعنا إليك، يقومُ بإبطائنَا عنك!.

[خطبة لعتبة أيضا بمصر]

وذكر العُتبى أنَّ عتبة خَطب الناسَ بمصر عن مَوْجدة، فقال:

يا حاملى ألأَمَ آنف رُكبَتْ بين أعيُن، إنى إنما قَلّمْتُ أظفارى عنكم لِيلين مسِّى لكم، وسألتُكم صَلاَحكم إذْ كان فسادُكم باقيًا عليكم، فأمَّا إذا أبيتم إلاَّ

---

(١) عش ولا تغتر؛ مثل يضرب فى التوصية والأخذ بالأحوط.

(٢) يريد فتنة على ومعاوية.

الطعنَ علـى السلطان والتَّنـقص للسَّلف؛ فـوالله لأقـطَعنَّ بطونَ السِّيـــاط على ظهوركم، فإن حَسمَتْ أدواءكـم، وإلاَّ فإن السيفَ من ورائكم فكم من حكمة منَّا لم تَعِـهَا قـلوبُكم، ومن موعـظة منَّا صَمَّـت عنها آذانُكم، ولَـستَ أبخلَ عليكم بالعقوبة إذ جُـدتمْ بالمعصية، ولا أُويسكُم من مراجعـة الحَسنى إن صرتُم إلى التى هى أبَرُّ وأتْقى.

ثم نزل.

[خطبة لداود بن علي العباسي]

وذكر العُتبى أو غيـرهُ أن داودَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس خطبَ الناسَ فى أول موسم مَلَكهُ بنو العباس بمكة، فقال:

شُكرًا شُكرًا، إنَّا والله ما خَرجنا لنحفر فـيكم نهراً، ولا لنبنى فيكم قصراً، أظَنَّ عـدوُّ الله أن لن نَقدر عليـه أن رُوخى له من خِطامـه، حتى عَـثَرَ فى فـضل زِمامه! فـالآن حيثُ أخذ القوسَ باريها، . وعـادت النبلِ إلى النَّزعة، ورجَعَ المُلك فى نِصـابِه فى أهل بيت النبوة، والرحـمة، والله لـقد كنَّا نتـوجَّع لكم ونحن فى فُرشنا، أمِنَ الأسْودُ والأحمرُ، لكم ذمَّةُ الله ، لكم ذمةُ رسول الله ﷺ، لكم ذمةُ العباسِ، لا ورَبِّ هذه البَنية - وأومأ بيده إلى الكعبة - لا نهيج منك أحدًا.

[خطبة لمعاوية بن أبي سفيان]

قال: وخطب الناسَ معاويةُ بن أبى سفيـان، فحمدَ الله وصلى على نبيه ثم قال:

أيها الناسُ! إنى من زرعٍ قد اسـتحصد، ولن يأتيكم بعـدى إلاَّ مَنْ أنا خير منه، كما لو لم يكن قبلى إلا من هُو خيرٌ منى.

[ما قاله معاوية عند موته وتعزية الناس ليزيد من بعده]

وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته: قلِّبننى، فَفَـعلنَ، فقال: إنكنَّ لَتُقَلِّبْنهُ حُولاً قُلّبًا، إن وقِى كَبَّةَ النارِ، ثم قال متمثلاً:

لا يَبــعــدَنَّ رَبِيــعــة بنُ مكدَّمٍ وسَـقى الغـوادى قَـبْـرهُ بِذنوبِ

وقال لابنة قَرظة [١] : ابكينى فقالت:

ألاَ ابكيـــــه ألاَ ابكيــــهِ ألاَ كلُّ الـفَـــتى فـــيـــه

فلما مـات دخل الناس على يزيدَ يعزُّونَه بـأبيه ويُهنئونه بالخـلافة، فـجعلوا يقولون، حتى دخل رجلٌ من ثقيف فقـال: السلامُ عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إنكَ قـد فجـعت بخير الآباء، وأعطيتَ جـميعَ الأشـياء. فاصـبر على الرّزيَّة، واحمَد الله على حُسْن العطية، فلا أُعطى أحدٌ كما أعطيت، ولا رُزى كما رُزيتَ، فقام ابنُ هَمامٍ السلولىُّ فأنشده شعرًا كأنما فاوضَهُ الثقفى فقال:

اصبـر يزيدُ فقـد فارقتَ ذا ثـقةٍ واشكر بَلاءَ الذى بالُملك أُصفـاكَا

أصبـحتَ تملكُ هذا الخلقَ كلهمُ فـأنت تَـرعـاهُمُ والله يَرْعـاكـا

ما إنْ رُزى أحد فى الناس نَعلمُه كمـا رُزئتَ ولا عُقبى كَـعقْبـاكا

وفى مـعـاوية البـاقـى لنا خلَف إذا نعـيت ولا نَـسـمـع بمَنَعـاكـا

الحُوَّلُ: معناه ذُو الحيلة، والقلبُ: الذى يقلبُ الأُمُورَ ظهرًا لبطن.

وقوله: «إن وُقى كبَّةَ النار» فكبة النارُ مُعظمها، وكذلك كبَّة الحرب، ويقال: لقيتـهُ فى كَبَّة القوم، ويُروى عن بعـض الفرسان أنه طَعن رجلا فى حـرب فقال: طعنته فى الكبَّة، فوضَعتُ رمحى فى اللبّة، وأخرجتهُ من السبَّه. والسَّبَّةُ الدبرُ.

[حديث خالد بن صفوان عن الطعام]

ويروى أن خالد بن صَـفوان دخل علي يزيد بن المَهلب وهو يتغـدى فقال: ادنُ فكلْ يا أبا صفوان، فـقال: أصلح الله الأميرَ، لقدَ أكلتُ أكلة لستُ ناسـيها، قال: وما أكلتَ؟ قال: أتيتُ ضـيعتى لإبان الغراس، وأَوانِ العمارة، فـجُلتُ فيها جوْلَة، حتى إذا صَخَدِت [٢] الشمـسُ وأزْمعتِ [٣] بالرُّكود، ملتُ إلى غـرفةٍ لى

(١) قرظة، هى إحدى زوجاته، واسمها فاختة بنت قرظة.

(٢) صخدت الشمس: اشتد حرها.

(٣) أزمعت بالركود: عزمت على السكون؛ يريد: قامت وقت الظهيرة.

هفَّافة[1] فى حديقة قد فتحت أبوابُها ونُضح بالماء جوانبها، وفرِشت أرضُها بألوانِ الرَّيَاحين، من بين ضَيمران [2] نافحٍ، وسُمسُق [3] فاتح، وأقحوان زاهر، وورد ناضر، ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطَعُ العَقيق، وسَمَك بُناتى [4] بيض البُطُون، زرق العُيونِ، سُودِ المتُون، عِرَاض السَّرر، غلاظ القصَرِ، ودقة وخُلُول، ومُرِى وبُقولُ، ثم أتيتُ برُطَب أصفر، صافٍ غير أكْدَر، لَم تَبتَذلهُ، الأيدى، ولم يَهشِمهُ كيلُ المكاييل، فأكلتُ هذا ثم هذاً. فقال يزيد: يا بن صفوان، لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع.

[الرسائل التى دارت بين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن الحسن]

ونحن ذاكرونَ الرسائلَ بين أمير المؤمنين المنصورِ، وبين محمد بن عبد الله ابن حسن العَلوِىِّ، كما وَعْدنا فى أول الكتابِ، ونختصر ما يجوز ذكره منه، ونُمسك عن الباقى، فقد قيلَ: الراوية أحدُ الشاتمين، قال:

لـمَّا خرجَ محمدُ بن عبد الله على المنصور كَتَب إليه المنصورُ:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله أما بعد:

﴿إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسعونَ فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطعَ أيديهم وأرجلهم من خلاَف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم* إلاّ الذين تابوا من قبل أن تَقدرُوا عليهم فاعلُموا أن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ [5]، ولكَ عهدْ الله وذمتُهُ وميثاقه وحقُّ نبيه محمد ﷺ إن تُبْتَ من قَبلِ أنَّ أقَدرِ عليك أن أؤمنك على نفسك وولدكَ وإخوتك ومَن بايعك وتابعك، وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألفَ ألفِ درهم،

(١) هفافة: تهف فيها الريح.

(٢) الضيمران: نوع من الرياحين.

(٣) السمسق: الياسمين.

(٤) بناتى: قال المرصفى: منسوب إلى بناة محلة بالبصرة.

(٥) سورة المائدة: ٣٣، ٣٤.

وأنزلك من البلادِ حيث شئتَ، وأقضى لك ما شئت من الحاجات، وأن أُطلق مَنْ فى سجنى من أهلِ بيتك وشيعتك وأنصارك، ثم لا أتتبَّع أحدًا منكم بمكروه، فإن شئت أن تتـوثَّقَ لنفسك، فَوجِّـهْ إلىَّ من يأخذ لكَ من الميثـاق والعهد والأمـان ما أحببتَ، والسلامُ.

***

فكتب إليه محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله محـمد المهدى أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد:

أمـا بعـدُ ﴿طسم* تلك آياتُ الكتـاب المبين* تـتلو عليك من نبإِ مـوسى وفرعـون بالحقِّ لقـوم يؤمنونَ* إنَّ فرعـونَ عَلاَ فى الأرضِ وجَـعَلَ أهلَها شِـيعًـا يَستَضعف طائفة منهم يُذبِّحُ أبناءهم ويَستَحيى نساءَهم إنه كان من المُفسدين* ونُريد أنْ نمن علَى الذين استضعفوا فى الأرضِ ونَجعلَهم أئمَّة ونجعلهم الوارثينَ* ونُمكِّنَ لهم فى الأرض ونرى فرعـون وهامانَ وجنودهما منهم ما كـانوا يحذرون﴾[1] وأنا أعرضُ عليك من الأمان مثل الذى أعطيـتنى وقد تَعلَمُ أنَّ الحقَّ حقنا، وأنكم إنّما طلبتموه بِنَا، ونَهَضْتُمْ فيه بشيعتنا وخبطتموه [2] بفضلنا، وأن أبانا عليًّا عليه السلام كان الوصىَّ والإمـامَ، فكيف ورثْتُمُـوهُ دُونَنا ونحن أحياءٌ ! وقـد علمتَ أنه ليس أحـدٌ من بنى هاشم يَمُت بمثل فـضلنا، ولا يَفخـرُ بمثل قَديمـنا، وحديثنا ونَسَـبنا وسببنا!، وأنا بنُور أُمِّ رسول الله ﷺ فاطمـة بنتَ عمرو فى الجاهلية دونكم، وبنو ابنته فاطمةَ فى الإسلام مِنْ بينكم.

فأنا أوسطُ بنى هاشم نسبًا، وخيرهم أمًّا وأبًا، لم تَلدنى العَجَمُ، ولم تَعرِقْ فىَّ أُمهاتُ الأولاد، وأن الله تبـارك وتعالى لم يزل يختار لنا، فـولدنى من النبيين أفضلهم مـحمـد ﷺ ومن أصحابه أقـدمُهم إسـلامًا وأوسعـهم علمًا، وأكـثرهُم جهادًا، على بـن أبى طالب، ومن نسائه أفضلهنَّ خديجـة بنتُ خويلد، أولُ من آمن بالله وصلى القبلة، ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين

(١) سورة القصص ١- ٥.

(٢) خبطتموه: قال المرصفى: «من خبط، وهو فى الأصل ضرب الشجر بعصا يتناثر ورقه فتطعمه الدواب، يريد: جاهدوا فيه حتى جنوا ثماره».

فى الإسلام الحسنُ والحسينُ سيِّدا شباب أهل الجنة، ثم قد علمت أن هاشمًا ولَدَ عَليًّا مرَّتين، وأن عبد المطلب، ولَد الحسَنَ مرتين، وأنّ رسولَ الله ﷺ ولدنى مرتين، من قبل جدّى الحسن، والحسين. فما زال الله يختار حتى اختارَ لى فى النار، فوَالِدى أَرفعُ الناس درجة فى الجنة وأهونُ أهل النار عذابًا، فأنا ابنُ خير الأخيار وابن خير الأشرار، وابنُ خير أهل الجنة وابن خير أهل النار.

وعلىّ عهد الله إنْ دخلت فى بيعتى أن أؤُمنك على نفسك، وولدك وكل ما أصبته، إلا حَدًّا من حدود الله أو حقًّا لمسلمٍ أو مُعاهدٍ، فقد علمت ما يَلزمك فى ذلك، فأنا أوفى بالعهد منكَ، وأحرَى لِقُبول الأمان.

فأما أمانك الذى عرضت على فأى الأمانات هو ! أأمانُ بن هبيرة [١] أم أمان عمكَ عبد الله بن على [٢]؟ أم أمانُ أبى مسلم! [٣] والسلامُ.

***

فكتب إليه المنصور: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله أما بعدُ:

فقد أتانى كتابُك، وبلغنى كلامُكَ، فإذا جُلُّ فخركَ بالنساء لتضلَّ به الجفاة والغَوغاء، ولم يَجعل الله النساء كالعمومة ، ولا الآباء كالعصبَة والأولياء، ولقد جَعَلَ العَمْ أبًا، وبدأ به على الوالدِ الأدنى، فقال جل ثناؤهُ عن نبيه عليه السلام: ﴿واتَّبعت مِلَّةَ آبائى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾ [٤] ولقد علمتَ أن الله تبارك وتعالى بعثَ محمدًا ﷺ وعُمومته أربعة، فأجابه اثنان: أحدهما أبى [٥]، وكَفَرَ اثنان [٦] أحدهما أبوكَ.

(١) هو عمرو بن هبيرة الفزارى عامل العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية، بذل له السفاح الأمان، ثم غدر به وأمر أخاه المنصور بقتله سنة ١٣٢.

(٢) هو عبد الله بن على عم المنصور؛ كان دعا لنفسه بعد موت السفاح؛ فحاربه المنصور ثم بعث له بأمان إن قدم عليه؛ فلما قدم أمر بقتله هو وأصحابه سنة ١٤٠.

(٣) أبو مسلم الخراسانى، وشى به عند المنصور؛ فاحتال لمقدمه حتى استمكن منه، وقتله سنة ١٣٧.

(٤) سورة يوسف ٣٨.

(٥) هما الحمزة والعباس.

(٦) هما أبو طالب ،وأبو لهب.

فأمـا ما ذكرت من النسـاء وقَراباتهن فلو أعطين على قُـرب الأنساب وحقّ الأحْساب لكان الخـير كله لآمنة بنت وَهب، ولكنَّ الله يختـارُ لدينه من يشاء مِنْ خَلْقه.

فأمَّـا ما ذكرتَ من فـاطمة أم أبى طالب، فإن الله لم يهـد أحدا من ولدها للإسلامِ، ولو فَـعَلَ لكانَ عبـدُ الله بن عبـد المطلب أولاهُم بكلِّ خيـر فى الآخرة والأولى، وأسعدهم بدخول الجنة غدا، ولكن الله أبى ذلك فقال: ﴿إنك لا تَهدى مَنْ أحببتَ ولكن الله يهدى من يشاء﴾ (١).

فأمَّا ما ذكرت من فاطمة بنتِ أسد أمِّ علىّ بن أبى طالب، وفاطمة أم الحسن وأن هاشـمًـا وَلَد عليًّا مـرتين، وأنَ عـبدَ المطـلب وَلَد الحســن مـرتين، فـخيـرُ الأوَّلين والآخرين مـحمدٌ رسولُ الله ﷺ لم يَلدهُ هاشمٌ إلا مَـرَّةً واحدةً ولم يَلْدْهُ عبد المطلب إلاَّ مَرَةً واحدةً.

وأما ما ذكـرت من أَنك ابن رسول الله، فإن الله عزَّ وجل أبـى ذلك فقال: ﴿ما كانَ محمدٌ أبَا أحد من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيين﴾ (٢)، ولكنكم بنو ابنته، وإنهـا لقرَابَةٌ قريبةٌ، غـيرَ أنها امرأةٌ لا تَحوزُ الميراث ولا يجوزُ أن تؤُم، فكيفَ تورَث الإمـامَةُ من قـبلها؟ ولقـد طَلَبَ بها أبوك بـكل وجه، فـأخرجـها تُخاصم، ومرضـها سرًّا، ودَفَنها ليلاً، فأبَى الناسُ إلاَّ تقـديم الشيخَين (٣)، ولقد حضر أبوك وفاة رسـول الله ﷺ فَأَمر بالصلاة غيرهُ، ثم أخـذ الناس رَجُلا رَجلا، فلم يأخـذوا أباكَ فيـهم، ثم كان فى أصحـاب الشورى فكل دفـعه عنهـا، بايع عبدالرحمن عثمانَ وقبلها عثمان، وحارب أباك طَلحَةَ والزُّبير، ودعا سعدًا (٤) إلى بيعته فأغلَقَ بابه دونَهُ، ثم بايع معـاويةَ بعدهَ، وأفضى أمرُ جدكَ إلى أبيك الحسنِ، فسلَّمـه إلى معاوية بخرق ودراهم، وأَسْلَـم فى يديه شيعتـه، وخرج إلى المدينة، فَدَفَعَ الأمرَ إلى غير أهله، وأخذ مالا من غيـر حلِهِ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه.

(١) سورة القصص ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب. ٤٠.

(٣) هما أبو بكر وعمر.

(٤) هو سعد بن أبى وقاص.

فأما قولكُ: إن الله اختار لـكَ فى الكفر، فجعل أباك أهونَ أهلِ النار عذابًا فليس فى الشرِّ خيارٌ، ولا من عـذاب الله هينٌ، ولا ينبغى لمسلم يؤمنُ بالله واليوم الآخـر أن يَفخـرَ بالنارِ، وسَتَردُ فـتعـلم، ﴿وسيـعلم الّذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبون﴾[1].

وأما قـولك: إنكَ لم تَلدكَ العَجمُ، ولم تُعـرقْ فيك أُمـهاتُ الأولاد وأمك أوسطُ بنى هاشم نسبًا وخيرهمَ أمًّـا وأبًا، فقد رأيتكَ فَخرْتَ على بنى هاشم طرًّا، وقدَمتَ نفـسَكَ على مَنْ هو خيـرٌ منكَ أولاً وآخرًا، أصلاً وفـصلاً، فـخرتَ على إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعلى والد ولده، فانظر ويحكَ أين تكون من الله غداً! وما ولد فيكم مولودٌ بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضلُ من علىّ بن الحُسين، وهو لأم وَلَد، ولقد كان خيـرًا من جَدِّكَ حسنِ بن حسنٍ، ثم ابنهُ محمـد بن علىٍّ خيرٌ من أبيك، وجدتهُ أمُّ ولد، ثم ابنه جعفرٌ، وهو خيرٌ منك، ولقد علمت أن جدك عليًّا حكم حكمين وأعطاهما عـهده وميثـاقهُ على الرِّضا بما حَكمَـا به، فاجتمـعَا على خَلعِه، ثم خَـرَجَ عَمُّكَ الحسينُ بن على على ابن مَـرجانَةَ [2]، فكان الناسُ الذين معه عليه حتى قَتلُوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب [3] بغير أوطية، كالسَّبى المجلوب، إلى الشأم.

ثم خرج منكم غيرُ واحدٍ فقتلكم بنو أمية، وحرقوكم بالنار، وصلبوكم على جُـذوع النخل، حتى خـرجنا عليـهم، فـأدركنا بثأركـم إذ لم تُدركوه، ورفـعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعـدَ أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبـة كما تُلعنُ الـكفَرةُ، فَعنفنـاهم وكفرناهم، وبَـيَّنَّا فَضلَه، وأشـدنا بذكره، فاتّخـذتَ ذلك علينا حـجةً، وظننت أنا لما ذكـرنا من فضل علىٍّ أنَّا قـدَّمناهَ علَى حمـزة والعباس وجـعفر، كلٌّ أولئك مَـضَوا سالمين مَـسلمًا منهم، وليـبتلى أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظمِ، وولاية زمزم، وكانتْ للعـباس دونَ إخوته، فنازعنا فيـها أبوكَ إلى عمـر، فقَضَى لنا عمـرُ عليه وتُوفى رسولُ الله ﷺ وليس من عُمـومته أحدٌ حيًّـا إلاَّ العباسُ، فكان وارثه دونَ بنى عبد المطلـب، وطَلَبَ الخلافة غيرُ واحـدٍ من بنى هاشم، فلم يَنَلْهَا إلاَ وَلَدُهُ،

(١) سورة الشعراء ٢٢٧.

(٢) ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد.

(٣) الأقتاب: جمع قتبٍ، وهو الرحل على قدر سنام البعير.

فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا أنَّ العباسَ أخرجَ إلى بدرٍ كرْهًا لماتَ عَماكَ طالبٌ وعقيلٌ جُوعًا أو يَلحَسا جفانَ عُتبة وشيبة،[١] فأذهب عنهما العارَ والشنارَ، ولقد جاء الإسلامُ والعباسُ يَمُونَ أبا طالب للأزمة التى أصابتهم، ثم فدى عقيلاً يومَ بدر، فقد مُنَّا كُمْ فى الكفر، وفديناكم من الأسْر، وورثنا دونكم خَاتمَ الأنبياء، وحُزنا شَرَفَ الآباء، وأدَركنا مِن ثأركم ما عَجزتم عنه، ووضعناكم بحيثُ لم تضَعوا أنفسكم، والسلامُ.

[رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله القسرى]

قال أبو العباس: وقد ذكرنا [٢] رسالةَ هشام إلى خالد بن عبد الله وإنَّا سنذكرها بتمامها فى غير الموضع[٣] الذى ابتدأنا ذِكْرها أوَّلا فيه، وكان سببُ هذه الرسالة إفراط خالد فى الدالة على هشام، وأنه أخذ ابن حسَّان النَّبطى فضربهُ بالسِّياط، وكان يقالُ له سُهيلٌ، قال: فبعثَ بقميصه إلى أبيه، وفيه آثارُ الدم، فأدخلهُ أبوه إلى هشام، مع ما قد أوغَرَ صدرَ هشامٍ عليه من إفراط الدالة، واحتجان الأموال، وكُفر ما أسداهُ إليه من توليته إياه العِراقَ، فكتبَ هشامٌ إلى خالدٍ:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ، فقد بلغ أميرَ المؤمنين عنك أمرٌ لا يحتَملُهُ لكَ، إلا لمَا أَحبَّ من رَبِّ [٤] الصَّنيعة قِبلكَ، واستتمام معروفِهِ عندكَ، وكان أميرُ المؤمنين أحقَّ من

(١) عتبة وشيبة ابنا ربيعة من عبد شمس؛ كانا من المطعمين لقريش يوم بدر.

(٢) قال المرصفى: «نسى أبو العباس أنه لم يذكر شيئًا منها فيما سلف، وإنما أشار إليها بقوله هناك: «ومما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسرى فإنه كان متقدمًا فى الخطابة متناهيًا فى البلاغة، فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة فى عشرين رجلا فعطعطوا، فقال خالد: أطعمونى ماء، وهو على المنبر، فعير بذلك فكتب به هشام إلبه فى رسالة يوبخه فيها، وسنذكرها فى موضعها إن شاء الله».

(٣) ر: «فى غير هذا الموضع».

(٤) رب الصنيعة واضعها ومنميها.

استصلح ما فَسَدَ عليه منك، فإن تَعدْ لمثل مقالتك، وما بلغ أميرَ المؤمنين عنك، رأى فى معالجتك بالعقوبة رأْيَهُ.

إنَّ النعمة إذا طالت بالعبد مُمتدة أبْطرتَهُ، فأساء حَمْلَ الكرامة، واسْتَقلَّ العافية، ونَسَبَ ما فى يديه إلى حيلته وحسبه، وبيته ورَهطه وعَشيرته، فإذا نزلَتْ به الغِيرُ، وانكَشَطتْ عنه عمَايةُ الغَىِّ والسلطَان، ذلَّ مُنقادًا ونَدمَ حَسيرًا، وتمكن منه عدوُّهُ قادرًا عليه قاهرًا به، ولو أرادَ أمير المؤمنين إفسادك لَجَمَعَ بينكَ وبين من شهد فَلَتاتَ خَطلكَ، وعظيمِ زَلَلكَ، حيثُ تقول لجلسائك: «والله ما زادتنى ولاية العراق شرفًا، ولا وَلاَّنى أميرُ المؤمنين شيئًا لم يكن مَنْ قَبْلِى ممن هو دُونى يلى مثلهُ»!.

ولعمرَى لو ابتليتُ ببعض مَقاومِ الحجاج فى أهل العراق، فى تلك المضايق التى لَقِى لعلمت أنك رجلٌ من بَجِيلة، فقد خَرَجَ عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنكَ، حتى قلت: «أطعمونى ماءً»، دهشًا وبعلاً [1] وجبنًا، فما استطعتهم إلا بأمان، ثم أخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ منهم، زرينٌ وأصحابهُ.

ولعمرى أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك فى مجلسك، وجحودك فضله إليك، وتصغيرما أنعم به عليكَ، فَحلَّ العُقدة، ونَقَضَ الصَّنيعة، وأخرك إلى منزلة أنت أهلها، كنتَ لذلك مستحقًّا، فهذا جَدكَ يزيد بن أسد قد حَشَد مع معاوية فى يوم صفين، وعرض له دينه ودمه، فما اصطنع إلاّ عنده، ولا ولاه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين ووَلاك، وقبلهُ من أهل اليمن، وبيوتاتهم منْ قَبيله أكرمُ من قبيلتك، من كندة وغسَّان وآل ذى يَزَن وذى كَلاع وذى رُعين، فى نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكْرمُ أوَّلية، وأشرفُ أسلافًا، من آل عبد الله بن يزيد.

ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق، بلا بيت رَفيعٍ، ولا شرف قديمٍ، وهذه البيوتات تعْلوكَ وتَغمرُكَ وتَسكتُك، وتتقدمك فى المحفل والمجامع عند بدأة الأمورِ وأبواب الخلفاء، ولولا ما أحَبَّ أميرُ المؤمنين منْ ردِّ غربْك فعاجَلَكَ بالتى كنتَ أهلها، وإنها منك لقريبٌ مأخذها سريعٌ مكروهها، فيها إن أبْقى الله أمير المؤمنين

(١) البعل: الدهش عند الروع.

زوال نعمه عنكَ، وحلولُ نقمه بك، فيما صنعت َوارتكبت بالعراقِ، مِن استعانتك بالمجوس والنصارى، وتوليتهم رقابَ المسلمين وجبْوةِ [1] خراجِهم، وتسلطهم عليهم، نَزَعَ بك إلى ذلك عِرقُ سوءٍ فيهم من التى قامت [2] عنك، فبئس الجَنينُ أنت يا عُدَىَّ نفسهِ!.

وإن الله عز وجل لمَّا رأي إحسانَ أميرِ المؤمنين إليك، وسوءَ قيامكَ بشكرهِ، قَلَبَ قلبه، فأسخطه عليك. حتى قبُحت أُمورِكَ عنده، وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمةَ عندك، فأصبحت تنتظر سقوطُ النعمة، وزوال الكرامة، وحلولَ الخزِى، فتأهب لنوازل عقوبة الله بك، فإن الله عليك أوجدُ، ولما عَملت أكْرَهُ، فقد أصبحت وذُنوبك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبكتك، إلا راتبًا [3] بين يديه، وعنده من يُقررُكَ بها ذنبًا ذنبا ويُبكتك بما أتيت أمرًا أمْرًا، فقد نسيته، وأَحصاه الله عليكَ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عَرفَكَ به من التَّسرُّعِ إلى حَماقتك فى غير واحدة.

منها القرشي[4] الذى تناولته بالحجاز ظالمًا، فضربك الله بالسَّوطِ الذى ضربته به مفتضحا على رُءوس رعيتك. ولعلَّ أميرَ المؤمنين يعودُ لكَ بمثل ذلك، فإنْ يْفعل فأهله أنتَ، وإنْ يَصفحْ فأهله هُوَ!.

ومن ذلك ذكرك زَمزَمَ، وهى سُقيا الله وكرامتهُ لعبد المطلب، وهذا الحى من قريشٍ تُسَميها أمَّ جَعَارٍ [5] فلا سَقاك الله من حوضِ رسوله، وجَعَلَ شرَّكما لخيركما الفداء، ووالله أن لو لم يستدلل أميرُ المؤمنين علـى ضَعَف نحائزكَ وسُوء تدبيرك إلا بفَسالة، دَخائلكَ وبطانتك وعُمالك، والغالبة عليك جاريتُك الرائفة[6]،

---

(١) الجبوة: مصدر جبا الخراج يجباه.

(٢) قال المرصفى: «كنى بذلك عن أمه، وكانت رومية نصرانية، وهبها عبد الملك لأبيه»

(٣) راتبا: واقفًا.

(٤) هو رجل من بنى عبد الدار بن قصى، وكان وفد علي سليمان بن عبد الملك فسأله عن خالد، فذكره بشر، فلما سمع خالد بذلك أخذ ابنا له ومولي فضربهما بالسياط ضربًا مبرحًا، فشكا القرشى إلى سليمان، فأمر رجلاً من كلب فسار إلي خالد، فضرب خالدا وأمر أن يشهر به ويلبس مدرعة ويمشى إلى الشام، ورآه الفرزدق فنال منه، فى أبيات معروفة.

(٥) أم جعار: اسم للضبع (٦) الرائفة: النازلة الريف.

بائعة الفُهُودُ، ومستعملة الرجالِ، مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك[1]، فإنك ادعيت أنك أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم، والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتَمَلَ لكَ أميرُ المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أُمور المسلمين، وسَلَّطت من وُلاة السُّوءِ على جميع أهل كُورِ عَملكَ، تجمع إليك الدهاقين[2] هدايا النيروز والمهرجان، حابسًا لأكثره، رافعًا لأقله، مع مخابث مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها، ومناصبتك أمير المؤمنين فى مولاه حسَّان، ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق، وإقدامك علي ابنه بما أقدمت به، وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ إن لم يعف عنك، ولكنّهُ يظنُ أنَّ الله طالبك بأمور أتيتها، غير تارك لتكشيفك عنها، وحَملَكَ الأموالَ ناقصةً عن وظائفها التى جباها عُمرُ بن هبيرة، وتوجيهك أخاك أَسَدًا إلى خراسان، مُظهرا العصبية بها متحاملاً على هذا الحيِّ من مُضرَ، قد أتت أميرَ المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركُوبه إياهم الثقات، ناسيا لحديث زرنبَ[3] وقصص الهَجَريين كيفَ كانت فى أسَد بن كرز، فإذا خلوتَ أو توسطت ملأً فاعرف نفسك، وخَف رواجعَ البَغْى عليك، وعاجلات النِّقم فيكَ. واعلَمْ أن ما بعدَ كتابِ أمير المؤمنين هذا أشد عليك، وأفسد لك، وقِبل أمير المؤمنين خلَفٌ منك كثيرٌ، فى أحسابهم، وبيُوتاتهم، وأديانهم، وفيهم عوضٌ منك، والله من وراء ذلك.

وكَتَبَ عبدُ الله بن سالم سَنَةَ تسع عشرة ومائة.

***

⁽⁴ وهذا بابٌ من متنَخَّل طَريفِ الشعر، وذكر آيات من القُرآن ربَّما غلط فى مجازها النحويون ⁴⁾.

قال أبو العباس: هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه، ووفينا بجميع شروطه، إلا ما أذهل عنه النسيان، فإنه قلما ما يُخلى من ذلك، ونحنُ خاتموهُ

(١) المبارك: نهر بالبصرة، احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك.

(٢) الدهاقين: التجار.

(٣) زرنب، مولاة تزوجها أحد أجداد خالد فى الجاهلية، وكانت بغيًّا بعير بها.

(٤-٤) ما بين الرقمين مما لم يذكر فى ر.

بأشعار طَريفة، وآخرُ ذلك الذى نختم بـه آياتٌ من كتابِ الله عز وجل، بالتوقيف على معانيها إن شاء الله

[مختارات متفرقة من الشعر]

قال الشاعر:

اذكـر مَـجالـسَ من بنى أسـد ... بَعــدُوا وحَنَّ إليــهم القـلبُ
الشــرقُ منـزلنـا، ومنزلـهُم ... غـربٌ، وأنى الشرقُ والغَـربُ!
مِن كـلِّ أبَيـض جُلُّ زِينتـــهِ ... مِـسكٌ أَحَمُّ وصـارِمٌ عَـضب

***

وقال آخرُ

حـيـاةٌ أبى العَـوَّام زينٌ لقـومـه ... لكلِّ امـرئ قاس الأمور وجـربًا
ونَعـتِبُ أحيـانًا عليه ولو مَـضى ... لكنَّا على الباقى من الناس أَعْـتبا

***

وقال مُسلم:

حيـاتك يَا بْن سَعـدانَ بنِ يحيى ... حــيــاةٌ للمـكارم والمعــالى
جَلبتُ لك الثـناء فجـاء عَـفْـوًا ... ونفس الشُّـكر مُطلقـة العِـقـالِ
وتَرْجـعنـى إليكَ، وإن نأتِ بِى ... ديارى عنكَ، تَـجـرِبَةُ الرِّجــالٍ

***

وأنشدنى العباسُ بن الفرَجِ الرِّياشىُّ:

وكم سُقتُ فى آثاركم مِن نصـيحةٍ ... وقـد يَسْـتَـفـيـدُ الظِّنَـة المُتنَصِّحُ

***

وأنشدني الرياشيُّ:

إذا الأمرُ أغنى عنكَ حِنويه فاجْتنبْ مَعَرَّة أمرٍ أنتَ عنه بِمعزلِ

وقال العتابي:

لا تَرْجُ رَجعَةَ مُذنبٍ خَلَطَ احتجاجًا باعتْذارْ

***

وقال أيضًا:

وفيتُ كلَّ خليلٍ ودَّنِي ثَمنًا إلا المُؤملَ دُولاتي وأيامي

***

- وقيل للعتابي: ما أقربُ البلاغة؟ قال: ألاَّ يؤتى السامعُ من سُوءِ إفهام القائل، ولا يُؤتى القائِلُ من سوء فهم السامع. وقال ابن يَسير:

اقْدَرْ لرجلك قبلَ الخَطْو منزلها فمن عَلاَ زَلَقًا عن غِرةٍ زلقَا

وكان يقالُ: اصمت لتفهم، واذكر لتعلم، وقل لتذلق.

[آيات من القرآن الكريم، وبيان ما فيها من المجاز]

ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون، قال الله عز وجل: ﴿إنما ذلكمُ الشيطان يخوِّفُ أولياءهُ﴾ (١) مجاز الآية أنَّ المفعول الأوّل محذوفٌ، ومعناه: يخوفكم من أوليائه.

وفي القرآن: ﴿فمن شهدَ منكُم الشهرَ فليصَمْهُ﴾ (٢)، والشَّهْرُ لا يَغيبُ عنه أحدٌ، ومجازُ الآية: فمن كان منكم شاهدًا بلده في الشهر فليصمه، والتقديرُ ﴿فمن شهد منكم﴾ أي فمن كان شاهدًا في شهر رمضان فليصمه، نصبَ الظُّروف لا نصب المفعول به.

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

وفى القرآن فى مخاطبة فرعــونَ: ﴿فاليوم ننجيك ببدنكَ لتكونَ لِمَنْ خلفك آية﴾ [1]، فليس مـعنى «ننجِّـيكَ» نخلصك، لكن نلقـيك على نجـوة من الأرض ببدنك: بدرعك، يدلُ على ذلك «لتكون لمن خلفك آية».

وفى القرآن: ﴿يخرجـون الرسولَ وإِيَّاكم أن تؤمنوا بالله ربِّكم﴾ [2] فالوقف ﴿يخرجون الرسولَ وإيَّاكم﴾ أى ويخُرجونكم لأن تؤمنوا بالله ربكم.

***

هذا آخر الكتــاب الكامل، والشُّكْرُ لله والحمــدُ له، وصلى الله على رسول الله. ونستغفر الله مما قُلناه من عَمْدِ وقصدٍ وزلل.

---

(١) سورة يونس: ٨٢.

(٢) سورة الممتحنة: ١

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

الموضوع صفحة

باب

باب طريف من أشعار المحدثين

الموضوع — صفحة

الفهارس العامـــة

١ - فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٤٦	يَعرفونَه كَمَا يَعرفونَ أَبناءَهُمْ	٣: ١٦٦
١٧١	كمَثَل الَذى يَنْعَقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاء وَنداَء	٢: ١١٥
١٧٧	وَالْمُوفونَ بَعَهْدهم إذَا عاهَدوا	٢: ١٣٩
١٧٧	ولَكنَّ البر مَنْ آمَنَ بالله	١: ٢٢٨
١٨٠	إنْ تَرَكَ خيرًا الْوَصيَّة	١: ٢٨٢
١٨٥	فَمَنْ شَهدَ منكمُ الشَهْرَ فلْيصُمْهُ	٤: ١٠٤
١٨٧	أُحلَّ لَكمْ لَيْلَة الصِّيَام الرَّفث إلى نِسَائِكمُ	٢: ٩٧
١٩٧	وتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّاد التَّقْوَى	٣: ٢١١
٢٠٠	وهُوَ أَلدُّ الخصام	٣: ٤٤
٢٠٧	إنَّ الله رَءُوفٌ بالعبَاد	٢: ١٠٥
٢١١	سَلْ بَنى إسرائيل	٢: ١٧٠
٢١٧	يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهرِ الحَرَاْم قتَال فيه	٣: ١٥
٢١٩	وَيسْأَلُونَكَ مَاذا يُنفقُونَ قُل الْعَفوَ	٤: ٥
٢٣٥	أَوْ أَكْنَنْتُم فِى أَنفسُكِمْ	١: ٢٣٥/
		٢: ٢٢٦، ٣: ٥٥
٢٣٥	ولَكَنْ لا تُواعدُوهُنَّ سراًّ إلاَّ أَنْ تَقولوا قَولاً مَعروفًا	٢: ٢٣٢
٢٤٥	مَنَ ذا الذَّى يُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسنًا فيضاعفهُ لَهُ	١: ٢٧٦
٢٤٩	كَمَ منْ فئَة قَليلَة غَلَبَتْ فِئـةً كثيرَةً بإذْنِ الله والله مَعَ الصَّابِرين	١: ٣٠٦
٢٤٩	فَشَربُوا منْهُ إلاَّ قَليلاً منْهُمْ	٢: ٦٨
٢٥٥	لاَ تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَومٌ	١: ١٢٢
٢٥٩	لَمْ يَتَسنَّه وانْظرْ	٣: ٥٢
٢٦٦	فَأَصَابَهَا إعْصارٌ فيه نارٌ فاحترقتْ	١: ٢٥٣
٢٧٤	الَّذين يُنفقُونَ أَموالَهُمْ بالليلِ وَالنَّهارِ سِرًا وعلاَنِيَة	٢: ١٩٧
٢٧٢	ممَّن تَرضَونَ منَ الشُهداء	٢: ٣٦

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٧٥	إنما ذلكم الشيطانُ يخوِّفُ أولياءه	٤ : ١٠٤
١٨٥	كلُّ نَفْس ذَائقَة المَوت	٤ : ١٥
١٨٦	لَتبْلَوُنَّ فى أَمْوالِكُم وَأَنْفُسِكُم	١ : ٥٣

٤- ســـورة النســـاء

١	الَّذى تَساءَلونَ به وَالأرْحَامِ	٣ : ٣٠
١٩	فَعَسَى أَنْ تكرَهُوا شيئًا ويَجْعَلَ الله فيه خيرًا كثيرًا	١ : ٢٥٦
٣٥	فابْعَثُوا حكمًا منْ أهله وحكمًا من أهلها	٣ : ١٣٤
٣٦	وَالَجار ذى القربى والجارِ الجُنُبِ والصاحب بالجنب	٣ : ١٣
٤٢	أَوْ جاءَ أَحَدٌ منْكُم منَ الْغَائطِ	٢ : ٩٨
٤٢	أَوْ لامَسْتُمُ النساءَ	٢ : ٩٨، ٢١٦
٦٦	ولَوْ أَنَّا كَتبنا علَيهمْ أَنْ اقْتلوا أنفسكُمْ	١ : ١١٧/٢ : ٦٩
٧٧	إذَا فَرِيقٌ منْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كخشيــة الله أو أشد خشية	٣ : ٢٠٧
٧٨	ولَوْ كُنْتُم فِي بُرُوجٍ مُشيَّدة	١ : ٨٥
٩٥	لاَ يَستَوى الْقاعدونَ منَ الْمُؤمنينَ غَيرُ أُولى الضرر	٣ : ٢٠٨, ٢١١
٩٥	وَفضَّلْ الله الْمُجاهدينَ عَلى الْقَاعدينَ أجرًا عَظيمًا	٣ : ١٧٤، ٢٠٧
٩٧	أَلَمْ تكُنْ أَرْضُ الله وَاسعَةً فتُهاجِروا فيها	٣ : ٢٠٩
٩٧	كُنَّا مُستضعفين في الأرض	٣ : ٢٠٩
١٠٨	إذْ يُبَيِّتُونَ مَالاَ يَرْضَى منَ القَولِ	٣ : ١٢١
١١٧	رَبِّ إِنَّهنَّ أضْلَلْن كثيرًا من النَّاسِ	٤ : ٨٩
١٥٩	وإنَ منْ أَهْلِ الكتَاب إلا ليُؤمنَنَّ بِهِ قبلَ مَوْتِهِ	٣ : ١٣٢
١٦٢	لكنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعلْمِ منْهُم	١ : ٩٦/٣ : ٣٠
١٦٣	إنَّا أَوْحَينَا إليكَ	١ : ٢٨٣

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٥	فـقُطِعَ دابِرُ القَـوم الَّذِينَ ظَلَمـوا وَالْحَـمـدُ لله رَبِّ العالمين	٣: ٢٨٦
٩٠	فَبِهُداهُمُ اقتَده	٣: ٥٢
٩١	ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِم يَلْعَبونَ	١: ٢٢٨
٩٩	انظرُوا إلى ثَمرِه إذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِه	١: ٣٠١
١١٢	شَيَاطِينَ الإنسِ والجنِّ	٣: ٧٢
١٢٥	يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضيقًا حَرَجًا	١: ٢٣٣/٣: ٢٨٨
١٤٥	إلاَّ أَنْ يكونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسفوحًا	٣: ٢٤
١٤٨	لَوْ شَاءَ الله مَا أشركنَا وَلاَ آباؤنا	١: ٢٥٤/٣: ٣٠
١٦٠	مَنْ جَاءَ بالحَسَنة فَلَهُ عشْرُ أَمثَالِهَا	٢: ١٨٦
١٦٤	وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى	٣: ٢٠٨

٧- سورة الأعراف

٢	فَلاَ يَكُنْ فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ	١: ٢٣٣
١٨	اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا	٣: ١٠٨
٢٠	مَا وُورِيَ عَنْهُما	١: ٥٢
٢١	وَقَاسَمَهُما إني لكَمَا لِمَنَ النَّاصِحِينَ	١: ٣٤، ٣٧
٦١	لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ	١: ١٣٦
٦٧	قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ	١: ١٣٦
٧٥	قَالَ المَلأ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِـهِ للذين اسْتُضعِفُوا لِمَنْ آمن مِنْهُمْ	٣: ١٥
٨٥	وَلاَ تَبْخَسوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم	١: ٢٧٦
٩٥	حَتى عَفَوْا	٢: ٩٦
١٣٠	ولَقَد أَخذنَا آلَ فِرْعَونَ بالسِّنِين	٤: ٥

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٠٢	عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ	١ : ١٥٨
١٠٣	خُذْ منْ أَموالِهِم صَدَقَة تُطهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بِهَا	١ : ٢٢٨
١١٧	كادَ يَزيغُ قُلوبُ فريقٍ مِنْهُمُ	١ : ١٥٧
١٢٨	بالمؤمنينَ رءوف رَحيمٌ	٢ : ١٠٣

١٠ - سورة يونس

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٧	فَأَجْمعُوا أمرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ	١ : ٢٦٣
٢٢	حَتَّى إذَا كُنتُم فِى الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بهم بريحٍ طَيِّبَة	٢ : ٤٤/٣:١٧
٣٩	بَلَ كَذَّبوا بمَا لم يُحيطوا بعلمه ولَمَّا يَأتِهِم تَأْوِيلُهُ	٣ : ٧٠
٤٠	وَمِنْهُم مَنْ يُؤمنُ بِه وَمِنهُم مَنْ لا يؤمِنُ به	١ : ٢٩٢
٤٢	وَمِنْهُم مَنْ يَسْتَمِعُونَ إلَيكَ	١ : ٢٩٢
٧١	فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُم وَشُرَكَاءَكُمْ	٢ : ٢٠٤
٩٧	فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدنِكَ لِتكونَ لِمَن خَلَفَكَ آيَةً	٤ : ١٠٥

١١- سـورة هود

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٦	ومَا منْ دَابَّة فِى الأَرْضِ إلاَّ عَلَى الله رزقهَا	٣:
٧	ليبلُوَكُمْ أَيُّكم أَحْسَنُ عَمَلاً	١:٢٧٨
٤٦	إِنَّهُ لَيسَ مِنْ أَهلك إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحُ	٣ : ١٣٣
٥٦	إنَّ ربِّى عَلَى صراط مُستقيمَ	٣ : ١٧٤
٧٤	فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْراهيم الرَّوعُ	٣ : ١٢٨
٨٢، ٨٣	حجارةً منْ سجيلٍ مَنْضود مُسَومَةٌ عِنْدَ رَبك	١ : ٢٢
٨٦	بَقيةَ الله خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنتُم مُؤمنينَ	٣ : ٢٣٨
٨٨	ومَا أُريدُ أَنْ أخالفِكُم إِلَى ما أنهاكُمْ عَنْهُ	٢ : ١١٨
١٠٤	وزُلفًا مِنَ الليلِ	١ : ١٢٤

١٦- سورة النحل

٩١	وأوفوا بِعهْدِ الله إِذَا عَاهدتُمْ	٢ : ١٣٩

١٧- سورة الإسراء

١٦	وَإِذَا أَردْنَا أَنْ نُهلك قَرَيَةً أمرنَا مُترفيها فَفَسقُوا فيها	١ : ٢٦٤
٢٨	وَإِمَا تُعرضنَ عَنْهُمَ ابْتغَاءَ رَحَمَةٍ منْ ربِّكَ تَرْجوهَا	١ : ٢٣٠
٣١	وَلاَ تقتلُوا أَولادكُم خَشيَة إملاَقٍ	٢ : ٦٣
٣٦	وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣ :
٩٣	أَو تَرْقَى فِى السَّماء	٢ : ٨٠
١٠٠	قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَملِكُونَ خَزَائنَ رحمة ربِّى	١ : ٢٢١

١٨- سورة الكهف

١٢	لِنعْلَمَ أَىُّ الحزبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمدًا	١ : ١٤
١٩	فلينَظُرْ أَيُّها أَزْكِى طَعَامًا	١ : ١٤
٤٥	فأَصبَحَ هَشيمًا تَذْرُوهُ الرِّياحُ	١ : ٤١، ٧٣
٧٨	هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وبَيْنِكَ	٣ : ١٧٢
٧٩	وكَانَ ورَاءَهُمْ ملكٌ يأْخُذُ كلَّ سَفِينَة غَصبًا	٢ : ٧٧
٨٦	إمَّا أَنَّ تُعذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتخذَ فِيهم حُسنًا	١ : ٢٢٩
١٠٣	قُلْ هَلْ نُنَبِّئكُم بالأَخْسَرِينَ أَعمالاً	٣ : ١٣٩
١٠٤	الَّذينَ ضلَّ سَعْيهم فِى الحيَاة الدُّنيا وَهُمْ يحسبونَ أنهم يحسنون صُنْعًا	٣ : ١٣٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٣	يكادُ سَنَا بَرْقِه يَذهَبُ بالأبصارِ	١ : ١٥٧، ١٧٨/
		٣: ١٠٢، ١٢٨/
		٤ : ٦٢
٤٥	وَالله خَلَقَ كُلَّ دابَّة منْ مَاء	٢ : ٢٠٤
٦٣	قَد يَعْلَمُ الله الذِينَ يَتَسللونَ منْكُم لِوَاذًا	٢ : ٢٠٦

٢٥- سورة الفرقان

٢١	وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبيراً	٢ : ١٨٩
٦٦	إنها ساءَت مُستقراً ومُقَامًا	١ : ١٦٢
٦٨ . ٦٩	وَمَن يَفعلَ ذلـكَ يلقْ أثامًا يُضاعف لـه العَذَابُ يومَ القيامة ويَخلُدْ فيه مُهَانًا	٣ : ٢٤
٧١	فإنَّهُ يَتوبُ إلى الله متابًا	٢ : ١٨٠
٧٢	وَالذينَ لا يشـهـدُونَ الزُّور وَإذا مَرُّوا باللـغو مَـروُا كِرَامًا	٣ : ١٨١

٢٦- سورة الشعراء

٤	فظلت أعناقُهُم لها خَاضعِينَ	٢ : ١٠٥
٨٤	وَاجعَلْ لي لِسَانَ صدقٍ في الآخرِينَ	١ : ٢٩٦
١٢٨	أتَبْنونَ بكُل رِيع آيةً تَعبثونَ	١ : ١٢٩
١٧١	إلاَّ عَجُوزًا فِي الغَابِرينَ	٣ : ١٨١
٢٢٧	وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون	٤ : ٩٨

٢٧- سورة النمل

٨	نُودى أن بُورِكَ مَن فِي النَّار وَمَن حَولها	٢ : ١٤٧
٢٥	الذِّى يُخرجُ الخبءَ فِي السَّمٰوات وَالأرضِ	١ : ٢٠٢/٢ : ١٧٠
٣٤	إنَّ المُلُوكَ إذا دَخلُوا قَرَيَةً أفسدوها	١ : ٢٦٤

٢٨ - سورة القصص

٢٩- سورة العنكبوت

٣٠- سورة الروم

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٣٩- سورة الزمر	
٣	وَالذين اتَّخذوا مِنْ دُونِه أَولِياءَ مَانعبُدُهُم إلاَّ ليقرِّبونا إلى الله زلفى	١: ٢٩٦
١٢	وَأُمِرتُ لأنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسلمينَ	١: ٢٤٧/ ٣: /
٦٧	وَالسَّمٰوات مَطويَّاتٌ بِيمينه	١: ١٠٨
	٤٠- سورة غافر	
٣	غافِر الذَّنب وَقَابلِ التَّوْب	٢: ١٨٠
٢٨	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمانَهُ	٣: ٢٠٧
	٤١- سورة فصلت	
٨	لهم أجْرٌ غيرُ مَمنُون	٣: ١٦٧، ١٦٨
١٠	فى أربعة أيامٍ سَواءً للسَّائلينَ	٤: ٩
١١	قَالتَا أَتَينا طائعينَ	٢: ٧٠
٢١	وَقَالوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدتُمْ عَلينَا	٢: ٩٨
	٤٢- سورة الشورى	
٥٢، ٥٣	وَإِنَّكَ لَتَهدِى إلى صراطٍ مُستقيمٍ صراط الله	٣: ١٤
	٤٣- سورة الزخرف	
١٨	أَوَ مَنْ يُنشأُ فى الحلْيَة وَهُوَ فى الخصامِ غير مُبين	١: ٢٦/٢: ١١٥/٤: ٣٩
٣١	وَقَالوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِن القَرْيَتَيْنِ	٢: ٧٩
٥٥	فَلمَا آسَفُونا انْتقمنا منهُم	١: ٢٤
٥٨	بَلْ هُمْ قومٌ خَصِمُونْ	١: ٣٦/٣: ١٢٣
٨٣	فذرهم يَخوضُوا ويَلعبوا	١: ٢٢٨

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٤٤- سورة الدخان	
٢٤	واتركَ الْبَحرَ رَهْوًا	٢: ١٥٠
	٤٥- سورة الجاثية	
٥	واختلافُ الليْلِ وَالنَّهـارِ ومَا أَنْزَلَ الله مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْق فَأَحيَا بِهِ الأرْضِ بَعدَ موتْهَا	١: ٢٢٩/٣: ٧٤
	٤٦- سورة الأحقاف	
٢	أذهبتُم طَيبَاتكُم فِى حَيَاتِكُم الدُّنيا	١: ١٢٧
٢١	إذ أَنْذَرَ قَوَمَهُ بالأحقاف	١: ١٢٥
٣٥	لَمْ يلبَثُوا إلاَ ساعةً من نَهَارٍ بلاَغ	٢: ٤٤
	٤٧- سورة محمد	
٤	فإذا لَقيتُم الذينَ كَفَروَا فَضَربَ الرِّقَابِ	١: ١٥٠
١١	وَأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لَهُمْ	٤: ٣٩
١٤	وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم	١: ٢٦٢
١٥	فيها أَنهَارٌ مِنْ مَاء غيرِ آسِنِ	٣: ٥٢
١٦	طَبَعَ الله عَلَى قُلوبهم	٤: ٣٣
٢١	طاعةٌ وقَولُ مَعروفٌ	٢: ٤٥
٢٤	أَمْ عَلَى قُلوبِ أقفالها	٢: ١١٥
٣٧	فيُحفكُم تَبخلوا ويُخرِجْ أَضغَانَكُم	٣: ١٥٠
	٤٨- سورة الفتح	
١	لَقَـدَ رَضِى اللهُ عَـنْ المُؤمنينَ إذ يُبـايعـونَكَ تَحتَ الشَّجرَةِ	٣: ٢٠٤
٢٩	سيماهم فى وجوههم من أثر السجود	١: ٢١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٦٩	أَأَنتُمْ أَنزلْتُموهُ مِنَ المزْنِ	٣: ٤١
	٥٧- سورة الحديد	
١٥	مَأْوَاكُم النَّارُ هِى مَولاَكُمْ	٤: ٣٩
	٥٩- سورة الحشر	
٥	ومَنْ يُشاقِّ الله فإن الله شَديدُ العقاب	١: ٢٦٧
	٦٠- سورة الممتحنة	
١	يخرجُونَ الرَّسُولُ وإياكُم أن تَؤمنُوا بالله ربِّكم	٤: ١٠٥
١٢	ولاَ يَقتُلْنَ أَولادَهُنَ	٢: ٦٣
	٦١- سورة الصف	
٣	يَاأيها الذين آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفعلونَ	٢: ٢٢٢
	٦٢- سورة الجمعة	
٥	مَثَلُ الَّذين حُمِّلُوا التَّوراة ثمَّ لَمْ يَحملوها	٣: ٩٨
	٦٣- سورة التغابن	
٢	هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم فمنْكُم كَافِرٌ ومِنكُمْ مؤمن	٢: ١٥/٣: ١٣٧
	٦٥- سورة الطلاق	
١	لَعَلَّ الله يُحدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمرًا	١: ١٥٨
	٦٦- سورة التحريم	
١٢	وصَدَّقَتْ بِكَلماتِ ربِّهَا وَكُتُبِهِ وكَانت مِنَ القَانتِينَ	٣: ١٨١

١٠٠ - سورة العاديات

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٨	وإنه لِحُبِّ الْخَيْرِ لشَدِيدٌ	١: ٢٨٢

١٠٢ - سورة التكاثر

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٦	لترَوُنَّ الْجَحيمَ	١: ٥٣

١٠٣ - سورة العصر

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢	إنَّ الإنْسانَ لفى خُسْرٍ	٢: ١٨٢
٣	إلا الَّذِين آمَنُوا وَعملُوا الصَّالحات	٢: ١٨٢

١٠٦ - سورة قريش

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	لإِيَلافِ قُرَيْشٍ إِيَلافِهِمْ	٢: ٢٢٥

١١١ - سورة المسد

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٣	سَيَصْلَى نَارا ذاتَ لَهبٍ	٣: ٣٠
٤	وَامرأَتُه حَمَّالَةَ الْحَطَبِ	١: ٩٦/٣: ٣٠
٥	فِى جيدها حَبلٌ منْ مَسَدٍ	١: ٩٦

١١٢ - سورة الإخلاص

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	قُلْ هو اللهُ أحَدٌ	١: ٢٠١
٢	اللهُ الصَّمدُ	١: ٢٠١
٤	وَلَمْ يكُنْ لَهُ كُفُوًا أحدٌ	١: ٥٦/٢: ٥٢

الحديث	الجزء والصفحة
أولم ولو بشاة	٣: ٢٥٤
إيتيا بنى قُريظة، فإن كانوا على العهد فأعْلنا بذلك.	٣: ٢٢٩
أيأمننى الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنوننى	٣: ١٤١

***

(ت)

تعزوا عنَ مصائبكم بى	٤: ٧٦
تكون فتنةٌ يموتُ فيها قلب الرجل كما يموت بدنهُ يُمسى مؤمنًا ويُصبح كافرًا	٣: ١٥٧

***

(ث)

الثمر لمن أبَّر، إلا أن يشْترطه المشترى	١: ١٩٣

***

(خ)

خُلقتِ من خير حَيَّيْن: من هاشم وزُهرة	١: ٢٠٠

***

(د)

دع الكذب....	٢: ١٥٦
دعوه فإن يرد الله به خيرا فيلحقه بكم (من كلامه عليه السلام عن أحد الثلاثة الذين خلفوا)	٣: ١٦٩

***

(ر)

رُدوا علىَّ أبى، أمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلت ثقيفٌ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأضْرِمَنَّها عليهم نارًا (من كلام له عن العباس)	٢: ٨٠

***

***

الحديث	الجزء والصفحة
(ى)	
يَا أَبا عبد الله، إِنَّما يحِلّ لك من هذا ما يَحِلُّ لنا (لسلمان الفارسى).	٤ : ١٢
يأبى اللهُ ذلك وابنا قيْلة	٤ : ٢٧
يا عبد الله كيف بك إذا بقيت فى حُثالة من الناس مرجتْ عُهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا.	٢ : ١١
يَطلُعُ عليكُم منْ هذا الفجِّ خَيْرٌ ذِى يَمن عليه مَسْحَة مَلك	١ : ١٥٤
يقولُ ابن آدم: مالى مالى؟ ومالك من مالكَ إلا ما أكلت فأفنَيتُ، أو لبست.	١ : ٢٩٥

٣- فهرس الخطب والعهود

الجزء والصفحة

٤- فهرس الرسائل

٥- فهرس الأمثال

٦- فهرس اللغة (*)

(*) للكلمات التى شرحها المؤلف.

الجزء والصفحة

(الحـــاء)

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(اللام)

الجزء والصفحة

٧- فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الهمزة)		
ليس لشيء	للفناء	سريع	خفاف بن ندبه	١ :
إذا أنا	وراء	طويل	عدى بن مالك	١ : ٥٤
أبلغ	فناء	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
وإنى	رجاء	طويل	المكعبر الضى	١ : ٦٩
أخبر	أساءوا	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
كانت قناتى	والإمساء	طويل	عمرو بن قميئة أو عبد الرحمن بن سويد	١ : ١٧٦
هو الصبر	لاأشاؤها	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٣
تلجلج	داء	طويل	زهير	١ : ١٦٠
يجرون	والغناء	طويل	زهير	١ :
كأن سبيئة	وماء	طويل	حسان بن ثابت	١ : ١٠٦
وإنك	السناء	طويل	حسان بن ثابت	١ : ١٧٨
كأن	هواء	طويل	زهير	١ : ٢٦٢
يفضله	والذكاء	طويل	زهير	١ : ٣٠٣
هم الآسون	والإساء	طويل	الحطيئة	٢ : ١٤١
وإنى	الثراء	طويل	الحطيئة	٢ : ١٤٢
وهم قوم	السناء	طويل	الحطيئة	٣ : ١٠٢
نحن	والحكماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٥٠
أيها المشتهى	والفناء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٥٢
إنما مصعب	الظلماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٢ : ١١٩
وترى	إهباء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٦٧
والذى	ظماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٩٣
ولاأراها	وتنكؤها	منسرح	ابن هرمة	٢ : ١٨١ / ٣ : ٢٧٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تأبى	أكفاء	بسيط	أبو الربيع الغنوى	٢ : ١٥٢
مر إسماعيل	الأسراء	مجزوءالكامل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٣
إذا بلغتنى	الحساء	وافر	الشمّاخ	١ : ١٠٨
نبئت	نائى	خفيف	عبدالله بن رواحة	٣ : ٥٨
وابن عمران	للأكفاء	خفيف	دعبل	٣ : ١١٨
وفى كل عام	عزائكا	طويل	الأعشى	١ : ٢٢٠
تجالف	لسوائكا	طويل	الأعشى	٤ : ٨
		البـــاء		
جمعت	كثب	طويل		١ :
يفرح	عضب	رمل	الأعشى	١ : ٦٠
من يساجلنى	الكرب	رمل	الفضل بن العباس	١ : ١٥٦
كم رأينا	وشرب	رمل	الجعدى	١ :
وأنا الأخضر	العرب	رمل	الفضل بن العباس	١ :
أبلغا	الكواكب	خفيف	الخليل بن أحمد	٢ : ١٢
أباهل	العرب	متقارب	الخليل بن أحمد	٣ : ٩
غادرن	كالمحتطب	متقارب	عنترة	٣ : ٣٦
ياعين	العرب	متقارب	أم كعب بن سور	٤ : ١٨
أرى	مخضبًا	طويل	الأعشى	١ : ٢٤
عليكم	العواقبا	طويل	سعد بن ناشب	١ : ١٦٦
لحاالله	ذبًا	طويل	صخر بن حبناء أو يزيد بن حبناء	١ : ١٧١
وأخدع	عقربًا	طويل	يزيد بن حبناء	١ : ٢١٦
تجول	ولاقلبا	طويل	خالد بن يزيد	١ : ٢٧٤
تجهز	المهلبا	طويل	عبدالله بن الزبيرالأسدى	١ : ٣٠٠
إذا هبّ	كوكبا	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٦
بعثت	المهلبا	طويل	أبو نواس	٣ : ٢٥٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أقول	متشعبا	طويل	ابن الزبير الأسدى	٣: ٢٦١
حياة	وجربا	طويل	ابن الزبير الأسدى	٤: ١٠٣
إنى وجدك	الطلبا	بسيط	إياس بن الوليد	١: ٤٥
ربيته	زغبا	بسيط	أم ثواب الهزانية	١: ١٩٢
الله يعلم	اليعاسبا	بسيط	الفرزدق	١: ٢١٠
أبكى	أجنابا	بسيط	الخنساء	٣: ١٣
ياللرجال	طربا	بسيط	عبدالله بن مسلم	٣:
تؤمل	صابا	وافر	بشر بن خازم	١: ٦٠
ألم تعلم	ولااجتلابا	وافر	جرير	١: ١٦٢
فغض	ولا كلابا	مجزوء الوافر	جرير	١: ٢٦٧
سماؤك	لهبا	وافر	إبراهيم السواق	٢: ٢٥
أبت	واكتئابا	وافر	ابن أبى عيينة	٢: ٢٩
نمير	التهابا	وافر	النميرى	٢: ١٧٣
ترى	شابا	وافر	جرير	٣: ٣٥
ألا أبلغ	غضابا	وافر	جرير	٣: ٢٧١
أبنى حنيفة	أغضبا	كامل	جرير	٣: ٢٠
فجعت	مصيبة	متقارب	يعقوب بن الربيع	٤: ٨١
رغا	وسليب	طويل	علقمة الفحل	١: ٨
يقولون	غارب	طويل	ابن ميادة	١: ٤٤
بزينب	القلب	طويل	نصيب	١: ١٤٧
أقول	قارب	طويل	نصيب	١: ١٤٨
رأيت	عتب	طويل	أبورباط	١: ١٥٢
وفى كل	ذنوب	طويل	علقمة الفحل	١: ١٥٧
سقاك	جنوب	طويل	علقمة الفحل	١: ٢٥٢
ومن يك	لغريب	طويل	ضابئى البرجمى	١: ٢٥٣
على ذاك	وأجلبوا	طويل	الكميت بن زيد	١: ٢٦٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أيا جارتا	تصيب	طويل	صخر بن عمرو	٤ : ٥١
وما مثله	يقاربه	طويل	الفرزدق	١ : ٢٨
وإنى	صاحبه	طويل	أبو الطمحان القينى	١ : ٤٤
فلو كان	شاربه	طويل	أبوالطمحان القينى	١ : ١٧١
ويعرف	عواقبه	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧
فلو كان	شاربه	طويل	الفرزدق	٢ : ١٧٢
بنى هاشم	مناهبه	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٢١
وما أصبح	مذاهبه	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٤٦
أضاءت	ثاقبه	طويل	أبوالطمحان القينى	٣/ ٩٦
وهون	صاحبه	طويل	أبو الطمحان القينى	٤ : ٢٦
فلو عاب	ما يعيبها	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧
تميم	جوابها	طويل	الفرزدق	٢ : ٦٧
أقول	نصابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ١٣١
ألم تعلمى	جنابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ٢٠٧
وما هجرتك	نصيبها	طويل	يزيد بن الطثرية	١ : ٢٣١
وجداء	ربيبها	طويل	يزيد بن الطثرية	٣ :
ألم تعلمى	جنابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٣ : ٢٧٠
وقد توجس	كذب	بسيط	ذو الرمة	١ : ٩٣
وكل	لا يثوب	مخلع البسيط	عبيد بن الأبرص	٢ : ٤٠
وقد رأينا	والشنب	بسيط	الكميت	٢ : ١١٩
لمياء	شنب	بسيط	ذو الرمة	١ :
إذا استهلت	الخشب	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٢٢٠
إن يسمعوا	كذبوا	بسيط	طريح بن إسماعيل الثقفى	٢ : ٢٣٢
شخت الجرازة		بسيط	ذو الرمة	٣ : ٢٧
ديار مية	خشب	بسيط	ذو الرمة	٣ : ٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ما بال	ولا عرب	بسيط	ذو الرمة	٣:
كأنه كوكب	سرب	بسيط	ذو الرمة	٣: ٨٠
كأن الجار	منقضب	وافر	ذوالرمة	١: ٦٧
مشيح	قريب	مجزوء الوافر	أبو العيال الهذلى	١: ٧٧
فإن تفركك	كلب	وافر	الفرزدق	١: ١٢٨
عسى الكرب	والصناب	وافر	هدبه	١: ١٥٨
أتيتك	قريب	وافر	عبدالله بن أبى عيينة	٢: ٢١
بأخوالى	والحجاب	وافر	عبدالله بن أبى عيينة	٢: ٣٢
صبغت	تهاب	وافر	يزيد بن المهلبى	٢: ١٢٨
ألاهزئت	المريب	وافر	ابن قيس الرقيات	٢: ١٩٠
ذكرتك	موكبها	وافر	ابن قيس الرقيات	٢: ٢٢٣
فإن تذهب	لا أخيب	وافر	أخو ربيعة بن مكدم	٤: ٧٥
لدن	قريب	كامل	ساعدة بن جؤية	١: ٢٨٩
يامن	الثعلب	كامل	أبو العتاهية	٢: ٩
أذكر	تعيب	كامل	أبو العتاهية	٤: ١٠٣
فصدقتهم	القلب	مجزوء الكامل	الأعشى	٢: ١٥٦
أمن زينب	كذابه	هزج	عمر بن أبى ربيعة	٣: ٨٧
إن جئت	ماتخبو	سريع	أبو نواس	٣: ١٠٩
ما حطك	داب	سريع	أبونواس	٣: ١٠٨
عاد	مغتاب	منسرح	ابن قيس الرقيات	٢: ٢٠٠
لا بارك الله	تنسكب	منسرح	ابن قيس الرقيات	٤: ٣٨
بابنة	مطلب	خفيف	ابن قيس الرقيات	٢: ١٩١
بنى	مايؤوب	طويل	ابن قيس الرقيات	١: ٤٥
ولا عيب	جبوب	طويل	النابغة	١: ٤٦
سألت	الكتائب	طويل	كثير	١: ١٢٠
سماوته	لهب	طويل	طفيل	١: ١٢٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إنى وإن	مشرعب	طويل	عامر بن الطفيل	١ : ١٣٣
من النفر	المهذب	طويل	نصيب	١ : ١٤٧
وركب	غالب	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٨
يمرون	بالعصائب	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٨
عسى الله	الحقائب	طويل	سماعة بن أشول	١ : ١٥٨
أغشى	سكوب	طويل	سماعة بن أشول	١ : ١٥٨
وقيل	كاربى	طويل	طفيل الغنوى	١ : ٢١٩
شكوت	هبى	طويل	طفيل الغنوى	١ : ٢٢٧
ولم أر	حبى	طويل	المجنون	١ : ٢٣٣
هل الجود	المحصب	طويل	الفضل بن المهلب	١ : ٢٤٦
لعمرى	قضيب	طويل	الفضل بن المهلب	١ : ٢٤٩
ولاعيب	مركب	طويل	النابغة	١ : ٢٧٢
أعاذل	الكتائب	طويل	النمر بن تولب	١ : ٢٩٢
ألا قل	وقريبى	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٢
جحدت	الهلب	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٧٢
فلو كان	العواقب	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ١٠٠
نمش	مصعب	طويل	امرؤ القيس	٢ : ١١٠
ألاحى	مضهب	طويل	نصيب	٢ : ١١٨
وقد تعتريه	بقريب	طويل	نصيب	٢ : ١٦٥
ديار	قريب	طويل	قيس بن الخطيم	٢ : ١٩٢
ليس بسعد	الركائب	طويل	الأحوص	٢ : ١٩٥
تخيرن	مصعب	طويل	النابغة	٢ : ٢٠٣
لعمرى	التجارب العذب	طويل	إسحاق بن إبراهيم الموصلى	٢ : ٢٠٩
لا أكتم	قلبى	طويل	إسحاق بن إبراهيم الموصلى	٢ : ٢٣١
عرضت	بكوكب	طويل	بكر بن النطاح	٣ : ٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كأن عيون	مثقب	طويل	امرؤ القيس	٣: ٢٥
بكت	غالب	طويل	إسماعيل بن عمار بن عيينة	٣: ٦٢
ألم تر	تطيب	طويل	امرؤ القيس	٣: ٨٦
حديث	المتقارب	طويل	امرؤ القيس	٣:
لسانك	الكرب	طويل	أبو الوازع	٣: ٢٠٢
مواقفنا	حوشب	طويل	أبو الوازع	٣: ٢٤٥
ولست بمفراح	المتقلب	طويل	هدبة	٤: ٧٢
ماوجدت	أم كلاب	طويل	هدبة	٤: ٧٢
كنا	الظنابيب	بسيط	سلامة بن جندل	١: ٧
بل	الهرب	بسيط	يحيى بن نوفل	١: ٣١
أمرتك	نشب	بسيط	إياس بن عامر أو أعشى طرود	١: ٣١
ولا تلاقى	بشؤبوب	بسيط	النابغة	٢: ٣٤
أما رأيت	وكتاب	بسيط	النابغة	٢: ٧٩
يامالك	والحسب	بسيط	جرير	٢: ٤٦
سألت	تصب	بسيط	حسان بن ثابت	٢: ٧٦
إن النموم	الكذب	بسيط	أبو العباس المبرد	٢: ٢٣٠
فاليوم	عجب	بسيط	أبو العباس المبرد	٣: ٣٠
فأى حى	الذئب	بسيط	أبو العباس المبرد	٣: ٥٠
يومان	تأويب	بسيط	سلامة بن جندل	٣: ٥١
يقول	محلوب	بسيط	سلامة بن جندل	٣: ٥٥
إنى	الحرب	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٧٤
يبكيك	للعجب	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٩٩
قل للمحلين	والهرب	بسيط	الصلت	٣:
إذا مولاك	العجيب	وافر	الصلت	١: ٤٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أنا ابن الأكرمين	كلاب	وافر	القتال الكلابى	١: ٩٨
تكلفنى	والصناب	وافر	جرير	١: ١٢٨
وقالوا	الحبيب	وافر	جميل	٢: ٣٩
جلبنا	الذئاب	وافر	زيد الخيل	٢: ٧٥/
				٣: ٦٧
وقد نقبت	بالإياب	وافر	امرؤ القيس	٢: ١٠٦
وأمنع	صحبى	وافر	امرؤ القيس	٢: ٢٣١
وخيبة	الركاب	وافر	امرؤ القيس	٣: ١١
برئت	باب	وافر	امرؤ القيس	٣: ١٤٢
وأجرأ	العيوب	وافر	امرؤ القيس	٣: ١٧٦
من ذا	الكاذب	كامل	امرؤ القيس	١: ٣٢
قوم	الأبواب	كامل	جرير	١: ١٤٧
رفعت	ثيابى	كامل	أبو خراش الهذلى	١: ٢٢٠
إن السيوف	الأعضب	كامل	الأخطل	٣: ١٥
هبت	وعتابى	كامل	الأخطل	٣: ٨٧
ومدججا	كالكلب	مجزوءالكامل	الأخطل	٣: ٢٠٥
فارقت	الكذاب	كامل	ابن عاصم الليثى	٣: ٢١٢
ضربوا	والحرب	كامل	عمران بن عصام	٣: ٢٦٩
بأبى	شبابه	كامل	العتبى	٤: ١٦
ذهب	الأجرب	كامل	لبيد	٤: ٢٨
لايبعدن	بذنوب	كامل	حسان بن ثابت	٤: ٧٤، ٩٣
له بين	القسب	كامل	عقبة بن سابق	٣: ٨٤
والقمر	لحب	منسرح	عقبة بن سابق	١: ٢١٨
لم تتلفع	بالعلب	منسرح	عقبة بن سابق	١: ٢٤٩
قل لعلى	منتسب	منسرح	عقبة بن سابق	٢: ١٩١
من رسولى	والكتاب	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	٢: ١٧٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
مررت	حلت	طويل	سليمان بن قتة	١ : ١٨٠
يطفن	تغدت	طويل	البطين التيمى	١ : ١٩٣
بأيدى	سلت	طويل	الفرزدق	١ : ٢٤٤
أقول لها	ذلت	طويل	كثير	١ : ٢٥٦
هنيئا	ماستحلت	طويل	كثير	٢ : ٥
تضوع	عطرات٠	طويل	محمد بن عبدالله بن نمير	٢ : ٧٢
يخبئن	معتجرات	طويل	محمد بن عبدالله بن نمير	٢:١٥٣، ١٦٩
كأن	نبلت	طويل	الشنفرى	٣:٨٥
تضوع	خضرات	طويل	ابن نمير الثقفى	٣ : ١٣١
أحببت	بهت	بسيط	دعبل	٢ : ٨
ما يرحل	ومعذرة	بسيط	دعبل	٣ : ١١٨
أفى الولائم	لعلات	بسيط	دعبل	٣ : ١٢٩
دينار	بالعفاريت	بسيط	بشار	٣ : ١٤٣
قد كنت	أشتات	بسيط	بشار	٤ : ٢٥
ولو أسقيتهم	الفرات	وافر	الفرزدق	٢ : ٢٠٧
أيفخر	والعلاوة	وافر	جرير	٣ : ١٠٦
		(الـــثاء)		
من كان	والشعثا	بسيط	جرير	٢ : ١٧١
فى بطن	اللبثا	بسيط	جرير	٢ : ١٧١
إن الناس	مباحث	طويل	أبو دلامة	٢ : ١٣٦
أشاقتك	الأثث	وافر	ابن نمير الثقفى	٢ : ١٧٦
كـم عمة	الكراث	كامل	جرير	٣:٨٦
		(الجيم)		
لما رأيت	مخرجا	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد علمت	خروج	طويل	شبيب بن البرصاء	١ : ١٢٢
كأن المتن	مشيج	وافر	الشماخ	٣: ٨٤
قلت	عالج	سريع	الحارث بن حلزة	١: ٢٩٥
اطردوا	الدجاج	خفيف	الحارث بن حلزة	٣:
رعى	ملهج	طويل	الشماخ	١: ١٢٣
مفج	ملجلج	طويل	الشماخ	٣: ٨٢
إذا رجع	شجى	طويل	الشماخ	٣: ٩١
ومرسل	الحاج	بسيط	الراعى	١: ٢٢٤
يا أيها الناس	دارج	بسيط	الراعى	٢: ٧٤
أما النهار	الساج	بسيط	الراعى	٣: ٢٩٠
فأما قولك	وداجى	وافر	عبدالرحمن بن حسان	١: ٢٠٩
ولقد رمينك	سواح	كامل	جرير	١: ٢٢٦
إن الغراب	التشحاج	كامل	جرير	١: ٢٢٦
مازلت	هودج	كامل	عروة بن أذينة. أو جميل	١: ٢٣٢
مازلت	الحجاج	كامل	عروة بن أذينة أو جميل	٢: ٢٢١
عوجى	نحرجى	سريع	العرجى	٢: ١٩٣

(الحاء)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألقى	المتاح	مجزوءالكامل	إسحاق بن خلف	٢: ١٩
وكائن	جارحا	طويل	إسحاق بن خلف	٣: ٢٣١
لام فيها	وصباحا	مديد	إسحاق بن الموصلى	٣: ٤٠
ياليت	ورمحا	مجزوءالكامل	عبد الله بن الزبعرى	١: ٢٦٤، ٢: ٢٠٤
فلا تفش	نصيحا	متقارب	على بن أبى طالب	٢: ٢٢٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
مرته	ريحا	متقارب	أبو ذؤيب	٣ :
لها	أشجح	طويل	ذو الرمة	١ : ٩
بدرت	شيح	طويل	أبوذؤيب	١ :
وإنى لأغلى	تذبح	طويل	أبو ذؤيب	١ : ١٢٣
دعانى	النصائح	طويل	عمارة	١ : ١٣٧
سل المفتى	جناح	طويل	عمارة	١ : ٢٣١
دأبت	يمصح	طويل	الراعى	١ : ٢٩٤
لا تسألن	تجرح	طويل	الراعى	٢ : ٩٨
وأكرم	تروح	طويل	الراعى	٢ : ١٠١
لعمرى	أليح	طويل	الراعى	٢ : ١٩٧
ألا تعلمى	مطرح	طويل	ذو الرمة	٢ : ٢٢٣
ألا يا حمام	تنوح	طويل	عوف بن محلم. أو أبو كبير الهذلى	٣ : ٩٢
ألا حبذا	ورائح	طويل	عوف بن محلم . أو أبو كبير الهذلى	٣ : ٨٦
يقولون	جنوح	طويل	النابغة	٣ : ٩٦
لعينك	مروح	طويل	أبو حية النميرى	٣ : ٩٩
وما الدهر	أكدح	طويل	تميم بن أبى بن مقبل	٣ : ١٣٢
وعلمى	طلائح	طويل	تميم بن أبى بن مقبل	٤ : ٣٦
وكم سقت	المتنصح	بسيط	تميم بن أبى بن مقبل	٤ : ١٠٣
تفاقد	ذبحوا	بسيط	أيمن بن خريم	٣ : ٢٣
إنى أرقت	مذبوح	وافر	أبو ذؤيب	٤ : ٥٧
ألم تسل	مشبح	وافر	نضلة السلمى	١ : ٧٦
كأن القلب	أو يراح	وافر	مجنون بنى عامر أو توبة	٣ : ٢٩
فإن تك	الصفائح	طويل	عبدالله بن الحر	٢ : ٩١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإنى	نابح	طويل	عبدالله بن الحر	٤ : ٣٦
هبت	إصباحى	بسيط	عبدالله بن الحر	٢ : ١٨٥
وقد لهوت	مكلاح	بسيط	أوس بن حجر	٢ : ٣
كأن ريقتها	نضاح	بسيط	أوس بن حجر	٣ : ٣٩
وإجشامى	المشيح	وافر	ابن الإطنابة	١ : ٧٧
أبت	الربيح	كامل	ابن الأطنابة	٤ : ٥٧
ونواعم	كالمزاح	كامل	ابن ميادة	١ : ٤٢
ألقى	المتاح	كامل	إسحاق بن خلف	٣ : ٣٧
بنيت	ألواح	كامل	أبو نواس	٣ : ١٠٦
يا أهل	السفح	منسرح	مطيع بن إياس	٤ : ٧٧
من يكن	الفقاح	خفيف	عبدالرحمن بن أبى عبدالرحمن	٣ : ٤٠
ليتنى	الطوح	خفيف	عبدالرحمن بن أبى عبدالرحمن	٣ : ٦٦
أرى	الأصبحى	متقارب	الصلتان العبدى	٣ :

(الدال)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد قالت	تبترد	رمل	عمر بن أبى ربيعة	٣ : ١٩٠
نبى	وأنجدا	طويل	الأعشى	١ : ١٢٨
سأطلب	لتجمدا	طويل	الأعشى	١ : ١٦٣
يرى	واحدا	طويل	الأعشى	١ :
يؤدبنى	ماعدا	طويل	أبو العسوس	٢ : ٥٠
وفيها	أصبدا	طويل	الأعشى	٢ : ٢١٣
قال	سعيدا	طويل	أبوالشمقمق	٣ : ٧
عليك	خالدا	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٥
أجدك	وأشهدا	طويل	الأعشى	٣ : ١٠١
فلو أن	عودها	طويل	الأعشى	١ : ٢٣٤
شريد	أبدا	بسيط	ابن مفرغ	١ :

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
راحت	ولا السددا	بسيط	أبو وجزة السعدى	١: ١٥١
راحت	أحدا	بسيط	أبو وجزة السعدى	١: ١٥٢
أوفى	وردا	بسيط	أبو داؤاد الأيادى	١:
إذا تجاوب	الجلد	بسيط	عبد مناف بن ربع الهذلى	٢: ١٢٠
قل للسرى	صددا	بسيط	أبو الهندى	٣: ٣٤
اللؤم	وماولدا	بسيط	أبو الهندى	٣: ٥٨
قوم	قودا	بسيط	أبو الهندى	٤: ٣٨
ماذا يغير	رقدا	بسيط	عبد مناف بن ربع	٤: ٤٦
يعود	الشدادا	وافر	جرير	١: ١٨٦
لعمرك	بعدا	وافر	جرير	١:
إذا هبت	الوليدا	وافر	جرير	٣: ٤٨
أبى حبى	جديدا	وافر	جرير	٣: ١٠١
سائل	مسعودا	كامل	جرير	١: ١١٨
أثوى	موعدا	كامل	الأعشى	٢: ٤٣
غلب	وسادها	كامل	ابن الرقاع	٣: ١٠٤
تزجى	مدادها	كامل	ابن الرقاع	٣: ١٠٤
كم من أخ	لحدا	كامل	عمرو بن معدى كرب	٤: ١٤
ألا ياسمية	يزيدا	متقارب	عمروبن معدى كرب	١: ٢٠٤
كأن يديها	زرودا	متقارب	عمرو بن معدى كرب	٣: ٨٠
أعينى	الندى	متقارب	الخنساء	٤: ٤١
لا يبعد	خالدة	متقارب	الحارث بن عمرو	١:
فإما هلكت	حسادها	متقارب	حسان بن ثابت	١: ١٧١
بنى دارم	مخلد	طويل	عمارة بن عقيل	١: ٢٩
إن الكريم	أقود	طويل	حاتم بن عبدالله الطائى	١: ٤٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لا تشتمنى	العوائد	طويل	حاتم بن عبدالله الطائى	٢ : ٤٥
ألا قل	يزيد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٨٨
فجاءت	السهد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ١١١
خليلى	الرواعد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٢٠٣
عليك	صدود	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٢٧٣
لأدماء	عديدها	طويل	الحطيئة	١ : ١٣٦
أردت	شهود	طويل	قيس بن سعد بن عبادة	٢ : ٨٦
وقد مات	يخلد	طويل	قيس بن سعد بن عبادة	٢ : ١٠٦ ٣ : ١٦٠
وإن التى	كما صدوا	طويل	الحطيئة	٢ : ١٣٨
مفدمة	الرعد	طويل	أبو الهندى	٣ : ٣٣
تعز	ويولد	طويل	أبو الهندى	٤ : ٣٤
خليلى	الروعد	طويل	هفان بن همام	٤ : ٣٤
لقد فرح	وجيدها	طويل	هفان بن همام	٢ : ٥٥
فبات	خمودها	طويل	هفان بن همام	٢ : ١٨١
وكنت	بعيدها	طويل	هفان بن همام	٢ : ١٨٧
بسلى	خدودها	طويل	هفان بن همام	٣ : ٢٣٤
الواهب	اللبد	بسيط	النابغة	١ : ١١
نظارة	تحديد	بسيط	النابغة	٢ : ٢٢٤
كأن بيض	ويد	بسيط	الراعى	٣ : ٤١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لاحزن	مفتقد	بسيط	يزيد المهلبى	٤ : ٨١
ولست	الورود	وافر	عقيل بن علفة	١ : ٨٩
وخير الشعر	العبيد	وافر	الفرزدق	١ : ١٤٩
أمير	العهاد	وافر	الفرزدق	٣:٢٨
فإذا بلغتم	وخلود	كامل	الفرزدق	١ : ٢٩٦
فأثنوا علينا	لخلد	كامل	الفرزدق	١ : ٢٩٦
يا خاضب	يعود	كامل	محمود الوراق	٢ : ١٢٩
وإذا	وعبيد	كامل	محمود الوراق	٣ : ٢٧٦
نعم ضجيع	الصرد	منسرح	محمود الوراق	١ : ١٩٢
كل	أحد	منسرح	أو عبدالرحمن العتبى	٤ : ٢١
تيس	نقد	منسرح	صخر الغنى	٣:
إن شرخ	زهيد	خفيف	صخر الغنى	٣ : ٨٥
ألا هل	غامد	متقارب	ربيعة بن مكدم	١ : ٢٣
أسود	الأساود	طويل	الأشهد بن رميلة	١ : ٤٨
كقنطرة	بقرمد	طويل	طرفة بن العبد	١ : ٨٥
إذا القوم	أتبلد	طويل	طرفة بن العبد	١ : ٩٧/
				٤ : ٦٧
أهيم	بعدى	طويل	نصيب	١ : ١٤٨
خليلى	المقيد	طويل	نصيب	١ : ١٦١
تجمعتم	واحد	طويل	ابنة ابن الرفاع	١ : ٢١٠
أرى	المتشدد	طويل	طرفة	١ : ٢٨٢
كميش	أنجد	طويل	دريد بن الصمة	١ : ٣٠١
وإنى	يهتدى	طويل	الحطيئة	١ : ٣٠٢
يرى	غد	طويل	الحطيئة	٢ : ٧
وإن آنست	الغد	طويل	الحطيئة	٢ : ١٨
يسموننا	المزاود	طويل	الحطيئة	٢ : ٤٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أعربان	إياد	طويل	ابن نوفل	٢: ٤٩
لاتحمدن	لوالد	طويل	ابن نوفل	٢: ٧٢
إن تنصفونا	ببعاد	طويل	مالك بن الريب	٢: ٧٨
ألاهل	المهند	طويل	مالك بن الريب	٢: ١١١
وفى السر	المحاتد	طويل	مالك بن الريب	٢: ١١٤
أهيم	بعدى	طويل	نصيب	٢: ١١٧
أسائل	الرفد	طويل	أبو تمام	٢: ١٢٥
أيا ابنة	الورد	طويل	قيس بن عاصم	٢: ١٣٣
إذا كنت	سعد	طويل	النمر بن تولب	٢: ١٣٤
وإن ادع	فاجهد	طويل	طرفة	٢: ١٤٠
أأن	الرند	طويل	ابن الدمينة	٢: ١٧٨
فإن تسل	لا بالتجلد	طويل	كثير	٢: ١٨٨
كتمت	خدى	طويل	كثير	٢: ٢٣٠
أقول	خدى	طويل	الحسين بن الضحاك	٣: ٣
ألا قل	بلاد	طويل	الحسين بن الضحاك	٣: ٧
ديونك	سعيد	طويل	مسلم بن الوليد	٣: ٧
وأبلغ	مصمد	طويل	طرفة	٣:
ألاقطع	بخالد	طويل	الفرزدق	٣: ٦٥
وإن نظرت	أبعد	طويل	الحطيئة	٣: ٨١
بأرض	قردد	طويل	الحطيئة	٣: ٨١
وكادت	هدهد	طويل	الحطيئة	٣:
وكنا	رعاد	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٠
ترى	وجراد	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٣
سأرحل	بحادى	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٦
أبا خالد	لقاعد	طويل	قطرى بن الفجاءة	٣: ١٢٤
لها مرفقان	متشدد	طويل	طرفه	٣: ١٦٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وما سبق	خالد	طويل	الفرزدق	٣: ٢١٦
بسلى	ورد	طويل	بيهس بن صيب	٣: ٢٣٤
وكل	أوغد	طويل	كثير	٣: ٢٥٧
إن كان عبيد	وغادى	طويل	عبيدالله بن زياد	٤ : ٣٨
فإن تقتلوا	بخالد	طويل	أبو الأسدى	٣:
وتقصير	الممدد	طويل	طرفة	٤ : ٦٣
فإن تقتلونى	لم يقيد	طويل	هدبة	٤ : ٧٣
ما أذوق	التماد	مديد	هدبة	١ : ٣٦
مالعينى	وسادى	مديد	هدبة	١ : ٣٧
خلت	فالنضد	بسيط	النابغة	١ :
نبئت	الجيد	بسيط	السماخ	١ : ١٣
ياطيئ السهل	الأسد	بسيط	للطرماح	١ : ١٩
رفعت	بالعمد	بسيط	ذو الرمة	١ : ٤٦
لم تر	الوادى	بسيط	القطامى	١ : ٥٣
لاتحسبنى	والشيد	بسيط	الشماخ	١ : ٨٥
الخير	زاد	بسيط	عبيد بن الأبرص	١ : ٩٣
يحج	كالمغاريد	بسيط	غدار بن دارة الطائى	١: ٩٤/٢: ٦٠
ودارم	بالخدد	بسيط	الطرماح	١ : ١٣٩
قد ثكلت	الأسد	بسيط	حسان بن ثابت	١ : ١٦١
لو كنت	الصيد	بسيط	حسان بن ثابت	١ : ١٩٩
نفسى	وعوادى	بسيط	جرير	١ : ٢٠٩
إنى وإن	الهادى	بسيط	القطامى	١ : ٢٦٢
قربن	الحادى	بسيط	القطامى	١ : ٢٦٢
فهن ينبذن	الصادى	بسيط	القطامى	١ : ٢٩٤
فظل	أود	بسيط	النابغة	١ : ٣٠٣
حنت	والرشد	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٤٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إما ترى	وأفوادى	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٨٩
ماسرنى	والجود	بسيط	إسحاق بن خلف	٢ : ٩٦
يقتلننا	بادى	بسيط	القطامى	٢ : ١٧٩
ضنت	الغادى	بسيط	الأحوص	٢ : ١٩٤
أبو أحيحة	وذا عدد	بسيط	الأحوص	١ : ٢٧٣
ردت	الثأد	بسيط	النابغة	٣ : ١٦
وضعته	البلد	بسيط	مسلم بن الوليد	٣ : ٣٨
يأيها	يدى	بسيط	عمارة	٣ : ٥٦
وظل يعجم	أود	بسيط	النابغة	٣ :
يظل	والنجد	بسيط	النابغة	٣ :
مقذوفة	بالمسد	بسيط	النابغة	٣ : ٨٩
ألا ترين	والجود	بسيط	النابغة	٣ : ١١٧
طال	مردى	بسيط	الشماخ	٣ : ١٢٨
أبا سعيد	أحد	بسيط	حبيب بن عوف	٣ : ٢٩١
لهاشم	والأسد	بسيط	حبيب بن عوف	٤ : ٦
إنى لأكنى	لواديها	بسيط	الحطيئة	١ : ٥٤
إنا بنى منقر	وناديها	بسيط	عمر بن الأهتم	١ : ٩٦
أمرتك	تجد	وافر	ابن ميادة	١ : ٤١
إذا ما مات	يزاد	وافر	أبو المهوش الفقعى أو أبوالمهوش الأسدى أو يزيد بن عمرو بن الصعق	١ : ١٣٩
أبعد الأشتر	واد	وافر	أخت الأشتر	٢ : ٥١
جماد	جماد	وافر	المتلمس	٢ : ٥٤
نكهت	ورد	وافر	ابن عبدل	٣ : ٣٩
أريد	مراد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣ : ١٤٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كفانا	الحديد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٥٤
تمنانى	سعيد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٥٤
ولو علم	الشداد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٧٧
جدير	النجاد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٤: ٤٢
الواطئين	والأبراد	كامل	الاعشى	١: ٥١
وإذا طعنت	مقرمد	كامل	النابغة	١:
وإذا أتيت	تقعد	كامل	وهب بن عبدمناف	١: ١٤٣
هلا سألت	واد	كامل	وهب بن عبد مناف	١: ٢٠٠
علم القبائل	عطارد	كامل	وهب بن عبد مناف	١: ٢٤٤
يا ناظرا	مشاهد	كامل	محمود الوراق	٢: ٥
من مبلغ	الإنشاد	كامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٦
أفنى	يزيد	كامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٨
إن الرزية	ومحمد	كامل	الفرزدق	٢: ٨٠
هيهات	سعيد	كامل	أبو الشمقمق	٣: ٧
يدعى	الأجرد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٢٥
وما فارس	الأجرد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٢٥
نجى	يزيد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٤٥
ياويح	الملحد	كامل	حسان بن ثابت	٤: ٩
ولقد طعنت	موسد	كامل	أهبان بن غادية	٤: ٧٥
فات	بالمطرد	كامل	أخو ربيعة بن مكدم	٤: ٧٥
أطع	جهدك	مجزوءالكامل	أبو العتاهية	٢: ٤
يصيخ	للمنشد	سريع	المثقب العَبدى	١: ٩٣
قالت	ولم يوجد	سريع	المثقب العبدى	٣: ١٠٧
تقول	العدد	منسرح	حسان بن ثابت	١: ٢٠٩
انظر	أحد	منسرح	حسان بن ثابت	٢: ٢١
أخشى	والأسد	منسرح	لبيد	٤: ٢٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لها زجل	دبورا	متقارب	الأعشى	٣: ٤٥، ٤٦
أكل	نارا	متقارب	عدى بن زيد	٣: ٧٥
لها حافر	مغارا	متقارب	ابن الخرع	٣: ٨٣
ومن لا تضيع	ضمارا	متقارب	الأعشى	٣: ٢٣٠
وقد علم	وفر	طويل	حاتم الطائى	
وقربن	الخطر	طويل	ذو الرمة	١: ٣٩
ليسوا	المقابر	طويل	ذوالرمة	١: ٤٥
رأت	فيحضر	طويل	ابن أبى ربيعة	١: ٦١، ٢٣٣
لهم	نجار	طويل	مسعود بن بشر المازنى	١: ٧٩
شربنا	والبحر	طويل	مسعود بن بشر المازنى	١: ١٠٥
إذا ابن	جازر	طويل	ذو الرمة	٣: ٢١٧
ألا يا أسلمى	القطر	طويل	ذو الرمة	١: ١٢١
إذا ضربته	النسر	طويل	ذو الرمة	١:
رأيناكما	كبير	طويل	عمار بن عقيل	١: ١٣٢
فتى	الفقر	طويل	سلمة بن يزيد الجعفى أو الأبيرد الرياحى	١: ١٧٣
وهن	العصر	طويل	الفرزدق	١: ١٨٣
عجوز	الظهر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٧
وما غرنى	الصفر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٨
ألم تر	ولا ظهر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٨
وقد يهلك	يحذر	طويل	أبو العتاهية	١: ٢٥٥
وأنت امرؤ	والمثغور	طويل	أبو العتاهية	١: ٢٦٣
غداة	والخمر	طويل	الفرزدق	١: ٢٩٠
أماوى	ولا خمر	طويل	حاتم الطائى	١: ٢٩٥
وأمكم	كبير	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٣٠٣
ومازال	ومفخر	طويل	حسان بن ثابت	٢: ١٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فقلت	ناصره	طويل	النابغة الجعدى	٣ : ٥
تبحثتم	ضميرها	طويل	عمارة بن عقيل	١ : ٢٨
عجوز	ولاأضيرها	طويل	الفرزدق	٢ : ٦٧
مسحسحة	انتشارها	طويل	الفرزدق	٢ : ١٠١
تقدت	ونهارها	طويل	عبدالله بن قيس الرقيات	٢ : ١٩٩
فما روضة	وعرارها	طويل	كثير	٣ : ٨٦
وكائن	مصيرها	طويل	كثير	٣ : ٢٣٠
أخو رغائب	الزفر	بسيط	أعشى باهله	١ : ٥١
ماذا تقول	ولاشجر	بسيط	الحطيئة	١ : ٥٤
اشروا	تذكير	بسيط	الحطيئة	١ : ٩٦
وما لتغلب	ولا قمر	بسيط	جرير	١ : ١١٩
إن العسير	محسور	بسيط	جرير	١ : ١٥٥/٢ : ٢١٢
قد كان	مضر	بسيط	أبو الشغب	١ : ١٨٠
ترتع	وإدبار	بسيط	الخنساء	١ :
صل الإله	المور	بسيط	حارثة بن بدر	١ : ٢٥١
تكفيه	الغمر	بسيط	أعشى باهلة	١ : ٢٨٠
أما كليب	ولا صدر	بسيط	الأخطل	١ : ٢٩٠
أصبر	القدر	بسيط	الأخطل	٢ : ٣٣
نبئت	انتظر	بسيط	الفلاح بن حزن	٢ : ٥٦
الناس	وزر	بسيط	كعب بن مالك الأنصارى	٢ : ٦٩
أحب	غار	بسيط	كعب بن مالك الأنصارى	٢ : ١٣٦
ماذا تقول	ولا شجر	بسيط	الحطيئة	٢ : ١٤٣
إن العداوة	ينتشر	بسيط	الأخطل	٢ :
وإن صخرا	نار	بسيط	الخنساء	٣ : ٣٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإذا جددت	ضائر	كامل	يزيد محمد المهلبى	٣: ٤
بشر	ميسور	كامل	جرير	٣: ١١٤/٤: ٦١
صحت	لاتنكر	كامل	عبد الله بن معاوية	٣: ١٤٤
يابا حسين	إصدار	كامل	حبيب بن جدرة	٤: ١٠
لولا الحياء	يزار	كامل	جرير	٤: ٢٤
أما القبور	قبور	كامل	كثير أو قطرب أو رجل من خزاعة	٤: ٢٥
يا عجبا	أبصروا	سريع	أبو العتاهية	٢: ١٠
أصلحك	إكثروا	منسرح	أبو العتاهية	١: ١٥٣
شاده	وكور	خفيف	عدى بن زيد	١: ٨٥
اغتنم	جسر	خفيف	محمود خوراق	٢: ١٢٨
إن أكن	الأشعار	خفيف	يزيد بن محمد المهلبى	٣: ٤
كدمى العاج	مستنبر	خفيف	عدى بن زيد	٣: ٤١
تعتبت	ولاتقدر	متقارب	العباس بن الأحنف	٣: ١٧٧
ويوم	العسكر	متقارب	العباس بن الأحنف	٣: ٢٤٦
لعمرى	البكر	طويل	الأخطل	١: ٨
فبات	معصر	طويل	لبيد	١: ٩٠
لحا الله	مجزر	طويل	عروة بن الورد	١: ١١١
مابال	كسرى	طويل	الحارث بن وعلة	١: ٢١٨
فتاة	بكثير	طويل	خالد بن يزيد	١: ٢٧٣
فظل	وكر	طويل	الأخطل	١: ٣٠٦
ألا كل	الغمر	طويل	الحطيئة	١: ٣٠٧
إليك	فأدرى	طويل	أبونواس	٢: ٧
أبومالك	وصغار	طويل	خالد بن صفوان	٢: ٣٤
سقى الله	يسار	طويل	ابن مفرغ الحميرى	٢: ٣٥
وكيف	ابن معمر	طويل	ابن مفرغ الحميرى	٢: ٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تعاطيكها	مدارى	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٥
وإن كنت	ومايلمرى	طويل	الأعشى الأخطل	٣:
لعمرك	منقر	طويل	الأعشى الأخطل	٣: ١٣٢
سقى الله	الدهر	طويل	يزيد المهلبى	٣: ١٣٧
أزادا	المسافر	طويل	جرير	٣: ٢٤٩
فلما	ظهرى	طويل	أبو حرملة العبدى	٣: ٢٦٦
علا	تجرى	طويل	عبيدة بن هلال	٣: ٢٩١
أبا عمر	الصبر	طويل	عبيدة بن هلال	٤: ١٥
تجل	الدهر	طويل	عبيدة بن هلال	٤: ١٧
بموتك	الكسر	طويل	عبدالعزيز عبدالرحيم	٤: ١٨
أسكان	الظهر	طويل	عبدالعزيز عبدالرحيم	٤: ٣٠
أعينى	المتفجر	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٥
نظرت	ناظل	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٦
ولما أصابو	الوتر	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٧
لتبك	السمر	طويل	الفرزدق	٤: ٧٠
فلما رأيت	وتر	طويل	هدبة	٤: ٧١
ولما دخلت	سمر	طويل	هدبة	٤: ٧١
وما اهتز	عمرو	طويل	حسان بن ثابت	٤: ٨٦
لا أذود	تمره	مديد	أبو نواس	٢: ١٤
أنا ابن	بالعار	بسيط	القتال الكلابى	١: ٤٩
هينون	أيسار	بسيط	عبد بن العرندس	١: ٦٨
أعوذ بالله	النار	بسيط	ابن حبناء التميمى	١: ٨٨
نازعتهم	السارى	بسيط	الأخطل	١: ٩٠
إنى هزئت	عار	بسيط	صخر	١: ٩٠
المنعمون	أنصارى	بسيط	الأخطل	١: ١٧٩
مازلت	إتآرى	بسيط	الكميت بن يزيد	١: ١٩٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
قوم	بأطهار	بسيط	الأخطل	١ : ٢١٨
إن الذين	أنصارى	بسيط	جرير	٢ : ١٥
إن المذرع	المحاضير	بسيط	جرير	٢ : ٩٤
باتت	ولا دعر	بسيط	ابن مقبل	٢ : ١١٤
ما كنت	تفتير	بسيط	جرير	٢ : ٢٢٦
مستقبلين	منثور	بسيط	الفرزدق	٣ : ٤٥
إنى	الجرر	بسيط	الفرزدق	٣ :
قوم	والدار	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١١٦
ويجعل	للشعر	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١٤٣
يالعنة الله	جار	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١٩٨
الله	السحر	بسيط	أم عمران	٣ : ٢١٤
قوم	الناو	بسيط	الأخطل	٢ : ٣٦
لأعلاج	يسبر	وافر	يحيى بن نوفل	١ : ٣٠
تركت	نسر	وافر	يحيى بن نوفل	١ : ٩٦
قتيل	ضرير	وافر	مهلهل بن ربيعة	١ : ١٣٤
شقيت	شور	وافر	مهلهل بن ربيعة	١ : ١٤٣
سرى	فتر	وافر	عروة بن أذينة	١ : ١٥٦
كأن رماحهم	جرور	وافر	مهلهل	١ : ٢٩٥
دعوتك	السرار	وافر	أبو عيينة	٢ : ٢٦
وقائلة	القتير	وافر	العتبى	٢ : ١٢٨
فلو نشر	زير	وافر	مهلهل بن ربيعة	٢ : ١٥٢
سرى	فتر	وافر	عروة بن أذينة	٢ : ١٨٨
طليق	كثير	وافر	محمود الوراق	٣ : ٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ولما أن	جليس	وافر	أبو نواس	١ : ١٤٠
وكنت	جليس	وافر	أبو نواس	١ : ١٤٣
أمين الله	لياس	وافر	أبو العتاهية	٣ : ١١٠
يقول	المراس	وافر	أبو تمام	٣ : ٢٨٢
ذهب	المجلس	كامل	مهلهل	١ : ٢٥١
تطاول	البسابس	كامل	معاوية بن أبى سفيان	١ : ٢٥٧
ملوا	وأضراس	بسيط	الحطيئة	٢ : ١٤٠
لما تذكرت	بالنواقيس	بسيط	جرير	١ : ٩٠/ ٤ : ٨٩
قد ناضلوك	أنكاس	بسيط	الحطيئة	١ : ٢٠٠
لقد مريتكم	وإبساسى	بسيط	الحطيئة	٢ : ١٤٠
والله	بأكياس	بسيط	الحطيئة	٣ : ١٣
يا عين	كمرداس	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٤، ١٨٧
فلولا	نفسى	وافر	الخنساء	١ : ١٦
يذكرنى	شمس	وافر	الخنساء	٣ : ١١٣
أعلاقة	المخلس	كامل	المرار	١ : ٢٦٩
ومدجج	خلس	كامل	المرار	١ : ٢٨٨
وقد رأيتك	المجلس	كامل	الحطيئة	٢ : ١٤٣
لله آنسة	الدنس	كامل	يعقوب بن الربيع	٤ : ٧٩
حتى إذا	النرجس	كامل	يعقوب بن الربيع	٤ : ٨١
رب مغروس	مفترسه	منسرح	يعقوب بن الربيع	٤ : ٧٩
إما تقارن	والمرس	منسرح	أبو زبيد	٣ : ٦٧
أبكيك	والفرس	منسرح	لبانة بنت موسى الهادى	٤ : ٨٠
أصبح	العباس	خفيف	شبل بن عبدالله	٤ : ٧
		(الشين)		
أبا مطر	قريش	وافر	حرب بن أمية	٤ : ٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الصاد)		
يا نفس	تنقيصا	بسيط	الرهين المرادى	٣: ١٩٢
أمير المؤمنين	الحريص	وافر	الفرزدق	٣: ٦٣
ولم يك	قلوص	وافر	الأعشى	٣: ٦٥
		(الضاد)		
جزى الله	بغيضا	طويل	الحطيئة	٢: ١٤٢
يخشوننى	مهيض	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٧٥
ولقد بغيت	معروض	كامل	العديل بن الفرخ	١: ١٢١
فإن أك	بعض	كامل	العديل بن الفرخ	١: ١٩
فلما أجن	بالحضيض	كامل	امرؤ القيس	١:
حمدت	بعض	كامل	أبو خراش الهذلى	٢: ١٣٥
أبا منذر	بعض	كامل	طرفة	٢: ١٤٨
كأنهم	نحض	كامل	أبو خراش الهذلى	٣: ٣٩
ألم تر	خفض	كامل	عمرو القنا	٣: ٢٧٢
سوف	الكراض	خفيف	الطرماح	١: ١٣٦
		(الطاء)		
سائل	الخلط	بسيط	وعلة الجرمى	١: ٢١٧
أقاتلهم	بالنشاط	وافر	القعقاع بن عطية	٣: ١٨٦
		(العين)		
فقلت	لأفزعا	طويل	الكلحية	١: ٧/ ٣: ٢٦٦
قعيدك	فييجعا	طويل	متمم بن نويرة	١: ٧٦
مدحت	تتزعزعا	طويل	أبو زيد الأسلمى	١: ١٥١
تراه	مطمعا	طويل	متمم بن نويرة	١: ١٥٢
لعلك	أجدعا	طويل	متمم بن نويرة	١: ١٥٨/ ٢: ٣١
تعدون	المقنعا	طويل	جرير	١: ٢٢١
فلا تنكحى	بأنزعا	طويل	هدبة من خشرم	١: ٢٤٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فإن يك	مقنعا	طويل	هدبة بن خشرم	٢ : ٣٠
لئن جزع	وأوجعا	طويل	الفرزدق	٢ : ٨١
فلما	تتقنعا	طويل	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٥٠/٣ : ٧٨
غدت	فترفعا	طويل	ابن الطثرية	٣ : ٧٤
هم صلبوا	بأجدعا	طويل	سويد بن أبى كاهل	٣ : ٧٣
لقد كفن	أروعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : / ٤ : ٦٢
وضيف	تكنعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : ١١٣
وكائن	مقنعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : ٢٣١
رحيب	ذرعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : ٢٨٨
فإن يك	منقعا	طويل	متمم بن نويرة	٤ : ١٦
يقول	لتدمعا	طويل	الفرزدق	٤ : ٢٤
وكنا	يتصدعا	طويل	متمم بن نويرة	٤ : ٢٦
قتلت	وأجزعا	طويل	دريد بن الصمة	٤ : ٣٨
فلو كان	جوعا	طويل	دريد بن الصمة	٤ : ٤٤
أقول	تريعا	طويل	متمم بن نويرة	٤ : ٦١
فإن يك	بأجدعا	طويل	هدبة	٤ : ٧٢
ولها	جمعا	مديد	يزيد بن معاوية	١ : ٣٠١
قد عشت	والفظعا	بسيط	يزيد بن معاوية	١ : ١٥٥
أبا المنازل	فجعا	بسيط	إبراهيم بن عبدالله	١ : ٢٠٦
من ير	أو وضعا	بسيط	الأعشى	٢ : ٢٠/٣ :
وقلدوا	مضطلعا	بسيط	لقيط الأيادى	٢ : ١١٣/٣ : ٢٨٧
ما نظرت	سجعا	بسيط	لقيط الأيادى	٣ : ١٩
ولا تمليت	الطلعة	بسيط	لقيط الأيادى	١ : ١٦٩
وكنا كالحريق	ساعا	وافر	القطامى	١ : ٢٢٤
أبى العباس	وليعة	وافر	على بن عبدالله	١ : ٢٠٧
ودعاك	وضاعا	كامل	يزيد بن الحكم	٣ : ٢٤٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إن الرزية	والفجيعة	مجزوءالكامل	ابن قيس الرقيات	١ : ٢١٦
قلب	فضعضعك	هزج	أبو العتاهية	٤ : ١٩
كنت	معا	سريع	مطيع بن إياس	٤ : ٧٧
وازدحمت	جزعا	منسرح	أوس بن حجر	١ : ١٩
والحافظ	ربعا	منسرح	أوس بن حجر	٣ : ٥٠
أيتها النفس	وقعا	منسرح	أوس بن حجر	٤ : ٣٢
ولا تهين	دفعة	خفيف	أوس بن حجر	٣ :
يا خليلى	البقيعا	طويل	ابن أبى ربيعة	٣ :
ومنا الذى	الزعازع	طويل	الفرزدق	١ : ٣٢
أمنزلتى	رواجع	طويل	ذوالرمة	١ : ٥٤
لو لم يفارقنى	أضع	طويل	حكيم بن معية أو الفرزدق	١ : ٧٣
أخذنا	الطوالع	طويل	الفرزدق	١ : ١١٩
ألا أيها	وترجعوا	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٦
على حين	وازع	طويل	النابغة	١ : ١٤٩
تعزيت	مترع	طويل	هشام أخو ذو الرمة	١ : ٢٠٨
وإنى لأرجو	صانع	طويل	ابن وهيب	٢ : ٧
دموع	نقطع	طويل	أبو تمام	٢ : ٣٣
طمعت	الطامع	طويل	البعيث	٢ : ٣٧
وبايعت	مقانع	طويل	البعيث	٢ : ٣٧
إذا باهلى	المذرع	طويل	الفرزدق	٢ : ٩٤
وأسيافكم	تضرع	طويل	الفرزدق	٢ : ١١٠
فإنك	واسع	طويل	النابغة	٣ : ٢٦
خطاطيف	نوازع	طويل	النابغة	٣ : ٢٦
لعمرى	الأفارع	طويل	النابغة	٣ : ٣١
ولو لم	وقوع	طويل	قيس بن معاذ	٣ : ٩٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وعيد	فالضواجع	طويل	النابغة	٣: ٩٧
زنيم	الأكارع	طويل	حسان بن ثابت	٣: ١٦٤
فيا شاعرًا	تواضع	طويل	الصلتان العبدى	٣: ٢٥٥
ولو شئت	أوسع	طويل	الخزيمى	٤: ٣
وأعددته	مولع	طويل	الخزيمى	٤: ٣
خلطت	بتريع	طويل	مزرد	٤: ٦٣
لقد رزئت	وكيع	طويل	الفرزدق	٤: ٧٠
أرى	صنائعه	طويل	عمارة	٤: ٢٥
وفتيان	جماعها	طويل	مسكين الدرامى	٢: ٢٢٩
ليت	هجوع	مديد	ابن أبى ربيعة	٢: ١٧٤
من أم مثوى	يسع	بسيط	ابن أبى ربيعة	٣: ٧٦
فيم الشماتة	الجزع	بسيط	أبو تمام	٣: ٢٩٢
أمن ريحانة	هجوع	وافر	عمرو بن معد يكرب	١:
وآخر	وقيع	وافر	عنترة	١: ٢٧٢
وكم من	كتيع	وافر	عمرو بن معد يكرب	٢: ٩٨، ٢١٦
كأن	شفيع	وافر	عمرو بن معد يكرب	٣: ١٠٩
ألا فى الله	الجذوع	وافر	عيسى بن فاتك الحبطى	٣: ١٨٧
أين الذين	المسترضع	كامل	جرير	١: ١٣٩
تعصى	بديع	كامل	محمود الوراق	٢: ٤
راحت	المرتع	كامل	الفرزدق	٢: ٧٦
بكت	وتخشع	كامل	إسماعيل بن عمار	٢: ٧٦
لما أتى	الخشع	كامل	جرير	٢: ١٠٥
وإذا المنية	لا تنفع	كامل	أبو ذؤيب	٢: ١٢٧
ولا يسمعن	شائع	كامل	جميل	٢: ٢٢٩
راحت	المرتع	كامل	الفرزدق	٣: ٦٢
عجب	تنزع	كامل	إسماعيل بن عمار	٣: ٦٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
زعمت	مضيغ	رمل	ابن المعذل	٢ : ٧
أو وجد	فاندفعوا	منسرح	مالك بن عمرو	٢ : ٦٥
فظلت	أربع	متقارب	مالك بن عمرو	٤ : ٥٦
وذاك	بشفيع	طويل	الحطيئة	١ : ٢٧
ملىء	الأصابع	طويل	الحطيئة	١ : ٣٠
جزى	مجمع	طويل	ابن دارة	١ : ٦٧
فرغتم	مربع	طويل	يزيد بن عمرو	١ : ١٧٥
فمن مبلغ	الودائع	طويل	قيس بن عاصم	١ : ٣٠٨
				٢ : ١٣٥
لقد حببت	والنفع	طويل	قيس بن عاصم	٢ : ١١٤
رضيع	المدامع	طويل	أبو الهندى	٣ : ٣٤
لا نسب	الراقع	مديد	أبو الهندى	٣ : ٥٧
أضياف	ممنوع	بسيط	دعبل	٣ : ١١٨
إن التى	زنباع	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٧
تعن	ربع	وافر	الشماخ	١ : ١٢٩
إذا ما استافهن	القدوع	وافر	الشماخ	١ : ١٣١
أآلفة	اجتماع	وافر	أبو تمام	١ : ١٦٣
أطوف	لكاع	وافر	الحطيئة	١ : ٢٠٨
ولا فرح	لاع	وافر	الحطيئة	١ : ٢٣٨
ويحرم	القصاع	وافر	الحطيئة	١ :
هم صنعوا	الضياع	وافر	الحطيئة	٣ : ٢٧
مروح	القطيع	وافر	الشماخ	٣ : ٨١
ولى قلب	الهلاع	وافر	الشماخ	٣ : ١٣٠
تكنفنى	المطاع	وافر	قيس بن ذريح	٣ : ١٩٨
أجول	لكاع	وافر	الحطيئة	٣ : ٢١٨
إن الصنيعة	المصنع	كامل	الحطيئة	١ : ١١٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد ضرب	عريف	طويل	كعب الأشقرى أو الفرزدق	٣: ٢٦١
تروح	وابن مخنف	طويل	كعب الأشقرى أو الفرزدق	٣: ٢٦٤
تنفى	الصياريف	بسيط	الفرزدق	١: ٢٠٢
كفى	شاف	وافر	الفرزدق	٣: ١٧
لقد زاد	الضعاف	وافر	أبو خالد القنابى	٣: ١٢٤
أبنى سعيد	الأضياف	كامل	أحمد بن يوسف	٣: ٨
		(القاف)		
أزمان	عراق	سريع	أحمد بن يوسف	١: ١٩٨
أذا عرضت	فلقا	طويل	أحمد بن يوسف	١: ٩٢
أخاف	وأضيقا	طويل	الفرزدق	١: ١٠٣
لهونا	شبارقا	طويل	الفرزدق	٣: ٢٧
وتشربه	أورقا	طويل	الفرزدق	٣: ١١٠
ألا طرقت	عاشقة	طويل	ابن قيس الرقيات	٣: ١٣٨، ٢٣٠
وفارقتك	غلقا	بسيط	زهير	١: ١٧
قد جعل	طرقا	بسيط	زهير	١: ١٤٠
إن تلق	خلقا	بسيط	زهير	١: ١٦١
وليس	ورقا	بسيط	زهير	١: ٣٠٤/ ٣: ١١٧
أقدر	زلقا	بسيط	ابن يسير	٤: ١٠٤
أخى	حقا	وافر	أبو نواس	٢: ١٤
لمن ربع	خلقا	مجزوء الوافر	أبو نواس	٢: ١٩٥
مد الزبير	العيوقا	كامل	بلال بن جرير	٢: ١٠٠
أن أولى	حقيقا	خفيف	عقبة بن شماس	٢: ٢٠١
أعاذل	مشفقا	متقارب	أبو عيينة	٢: ٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تكلفنى	السوق	وافر	الأعجم	١ : ٢٦٣
وتنقل	الزئبق	كامل	أبو تمام	٣ : ٣٩
إذا رأى	رقاق	سريع	أبو تمام	٢ : ١٨
كنا	خلقوا	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢١
يستقدم	الملق	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٢
أحرم	عشقوا	منسرح	عباس بن الأحنف	٣ : ١١٠
ما رغبة	لاحقها	منسرح	عباس بن الأحنف	١ : ٦٢
فإن كنت	أمزق	طويل	الممزق العبدى	١ : ١٨
وردت	محلق	طويل	ذو الرمة	٣ : ٢٦
تبيت	الطلق	طويل	شأس بن نهار العبدى	٣ : ٩٧
وشدوا	المفلق	طويل	الفزر بن مهزم العبدى	٣ : ٢٤١
ألا	العقائق	طويل	الصلتان العبدى	٣ : ٢٧٠
وإنا	النمارق	طويل	الفرزدق	٤ : ٩
وقفت	مفارق	طويل	الفرزدق	٤ : ٤٥
أفنى	منطلق	بسيط	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٧
قد كنت	يقق	بسيط	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٧
أبعد عثمان	ساق	بسيط	ليلى الأخيلية	٣ : ٢٢
أريقى	تطيقى	وافر	الخنساء	٤ : ٤٤
أعارك	حقه	وافر	محمود الوراق	٢ : ١٠٢
نصل	تلحق	كامل	كعب بن مالك	١ :
أسرى	الطارق	كامل	جرير	٢ : ١٩٣
من سره	المحرق	كامل	كعب بن مالك	٢ : ٢١٧
إن تحت	معلاق	خفيف	مهلهل	١ : ٣٦
شمت	ابن الأزرق	كامل	مهلهل	٣ : ٢١٦
طلب	الأنوق	خفيف	مهلهل	٢ : ٢٠١
وإذا ما أصبته	الطريق	خفيف	مهلهل	٤ : ٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أكان	الأجل	متقارب	معاوية بن أبى سفيان	٣: ٢٩٢
من تقرع	ويجهلا	طويل	معاوية بن أبى سفيان	١:
فجاءت	الأناملا	طويل	معاوية بن أبى سفيان	١: ١١٤
وما العجز	فتفعلا	طويل	معاوية بن أبى سفيان	١: ١٦٧
إذا كر	أجدلا	طويل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٨
ألا يا عباد	بعلا	طويل	ابن أبى عيينة	٢: ٥٧
كأن الفتى	نمولا	طويل	جابر بن ثعلبة الطائى	٢: ٨٩
كل امرئ	فضلا	طويل	جابر بن ثعلبة الطائى	٢: ٩٥
أخذن	ذيلا	طويل	جابر بن ثعلبة الطائى	٢: ٩٧
ومنا فتى	معقلا	طويل	جرير	٣: ١٩٢
كل جار	جبله	مديد	جرير	١: ٢٢٣
أبى يكون	وجلا	بسيط	عبد الله بن معاوية أو عبدالله بن الزبير الأسدى	١:
اشرب	محلالا	بسيط	أمية بن أبى الصلت	٢: ٢٠
ماذا منيت	مثلا	بسيط	بشار	٣: ١٤٢
قطعت	وضالا	وافر	ذو الرمة	١:
تسد	هزالا	وافر	الأخطل	١: ٢١٥
كأنى	الجبالا	وافر	الأخطل	١: ٢٩٣
سمعت	بلالا	وافر	ذو الرمة	٢: ٤١
ومية	قذالا	وافر	ذو الرمة	٣: ٤٢
ألامن	الثكلى	مجزوء الوافر	أم ابنى عبيدالله بن عباس	٤: ٢٢
ألا يا صخر	طويلا	وافر	الخنساء	٤: ٥٠
أخذوا	مغلولا	كامل	الراعى	١: ١٦٠
ورجا	لينالا	كامل	جرير	١: ٢٥٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
قالوا الرحيل	رحيلا	كامل	أبو تمام	٢ : ٣٣
لا تطلبن	أخوالا	كامل	جرير	٢ : ١١٧
كذبتك	خيالا	كامل	الأخطل	١ :
ودع	تسالا	كامل	عمرو بن أبى ربيعة	٢ : ١٩٦
والزنج	أبطالا	كامل	رياح بن سنيح الزنجى	٢ : ٢١٨
إن الغوانى	قتيلا	كامل	مروان بن أبى حفصة	٢ : ٢١٩
قتلوا	مخذولا	كامل	الراعى	٣ : ٢٣
ورجا	لينالا	كامل	جرير	٣ : ٣٠
وكأنما	وعولا	كامل	الراعى	٣ : ٣٢
إنى تذكرنى	هديلا	كامل	جرير	٣ : ٤٧
لو كنت	صليلا	كامل	الفرزدق	٣ :
زجل	عجولا	كامل	الراعى	٣ : ٩١/٤ : ٤٦
وابن المراغة	بلالا	كامل	الأخطل	٣ : ١١٩
إنى حلفت	قيلا	كامل	الراعى	٣ : ١٣٦
لهفى	شمائلا	كامل	أبو تمام	٤ : ٢٣
لى حيلة	حيلة	كامل	أبو تمام	٢ : ٢٣٠
زجل الحداء	عجولا	كامل	الراعى	٤ : ٤٦
فرميت	وطحالها	كامل	الأعشى	١ : ٢٢٥/٢ : ١٧٤
كنت	أبطالها	كامل	الأعشى	١ : ٢٨٨
قصرت	فأطالها	كامل	ابن أبى حفصة	٤ : ٤٢
شر يوميها	حجلا	رمل	ابن أبى حفصة	١ : ١٦١
عوجا	والمنزلا	سريع	عمر بن أبى ربيعة	١ : ١٦٢
مالدد	ما باله	سريع	سلمة بن ذهل	١ : ٢٨٧
يا خير	نجلا	منسرح	الأعشى	١ : ٥٠
يقول	جذلا	منسرح	الأعشى	١ : ٥٩
أنا الوليد	الغزلا	منسرح	الوليد بن يزيد	٢ : ٢١٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
حب المدامة	فضلا	منسرح	أبو نواس	٣: ١٦١
قلت	رملا	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	١: ٢٥٤
ليس مثلى	القتالا	خفيف	مهلهل	٢: ٩٩
انبضوا	الفحولا	خفيف	مهلهل	٣: ٢٢٣
صاحب	سلك	مجزوء الخفيف	أبو العتاهية	٢: ٩
أبلغا	لا محاله	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣: ١١٥
فلو كنت	بلالا	متقارب	يحيى بن نوفل الحميرى	٢: ٤٢
تحن	مقالا	متقارب	الحطيئة	٢: ١٤٨
لعمر أبيك	قليلا	متقارب	ابن الغريرة الضى	٣: ٢٢
سل الله	وائله	متقارب	ابن الغريرة الضبى	٣: ٩
فلا مزنة	أبقالها	متقارب	عامر بن جوين	٣: ٦٨
أبعد	أثقالها	متقارب	الخنساء	٤: ٤٣
فلأيا	لا تواكل	طويل	الحطيئة	١: ٢٣
على مكثريهم	البذل	طويل	زهير	١: ٢٧
إذا نصبوا	الفعل	طويل	عبدالله بن همام	١: ٥٠
تدارك	وأغفل	طويل	النمر بن تولب	١: ١٧٥
إذا أنت	مقال	طويل	هشام بن عبد الملك	٢: ٦
فأقسم	التواهل	طويل	أبو خراش الهذلى	٢: ٣٩
تأبد	فيذبل	طويل	النمر بن تولب	٢: ٥٤
فلو كنت	دليل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٧٥
إنى	طويل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٩٥
وشعر	دخيل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ١٢٠
إذا أنت	يعقل	طويل	معن بن أوس	٢: ١٥٧
لعمرك	أول	طويل	معن بن أوس	٢: ١٥٧/٢٢٧
إذا نصبوا	الفعل	طويل	ابن همام السلولى	٢: ٢٠٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا الرواحل	الفعل	طويل	ابن همام السلولى	٢: ٢٠٦
صحا	أو يتذلل	طويل	كثير	٢: ٢٢١
تركتم	خليل	طويل	كثير	٣: ٢٤٣
لكل اجتماع	قليل	طويل	أبو خراش الهذلى	٤: ٢٦
ألم تعلمى	وعقيل	طويل	أبو خراش الهذلى	٤: ٦٤
ولا تحكما	مجاهله	طويل	الأعوج المعنى	٣:
غلام	عواذله	طويل	الأعواج المعنى	١: ١٦٧
فإنى	أزايله	طويل	عبيد بن أيوب	١: ٢٦٨
هممت	حلائله	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٢٩٩
وقائلة	ونواصله	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٣٠٤
نعونى	مقاتله	طويل	دعبل الخزاعى	٢: ٨
فأخلف	آكله	طويل	عبدالله بن همام السلولى	٢: ١٠٢
أبت	قائله	طويل	الحطيئة	٢: ٤٤
فلا تقربن	عواذله	طويل	الحطيئة	٣: ٥٦
إذا أنت	تقاوله	طويل	الحطيئة	٣: ٥٦
أبى الضيم	معاقله	طويل	زهير	٣: ٨٩
فإن أهجه	وكاهله	طويل	الأخطل	٣: ١٣١
عليم	باطله	طويل	الأخطل	٣: ١٤٣
ولما التقى	نهالها	طويل	الأخطل	١: ٧٩
جمعنا	نكالها	طويل	الأخطل	١: ٨١
وحقة	شمولها	طويل	الأخطل	٢: ٢١٦
فدونكها	قيلها	طويل	الفرزدق	٣: ٣٥
لما التقى	نهالها	طويل	الفرزدق	٢: ١٠٥
فقلت	الثمل	بسيط	الأعشى	٢:
لا يعلم	الفال	بسيط	الأعشى	١: ٢٥٥
قد نقر	الرسل	بسيط	الأعشى	٢: ١٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لما نزلنا	المراجيل	بسيط	عبدة بن الطبيب	٢: ١٠٩
ودع	الرجل	بسيط	الأعشى	٢: ٢٠٤
أبلغ	تأتكل	بسيط	الأعشى	٢: ١٧٩
فكلنا	ومحتبل	بسيط	الأعشى	٢: ٢٢١
كأن مشيتها	ولا عجل	بسيط	الأعشى	٣: ٤٢
يوما	الأصل	بسيط	الأعشى	٣:
تقريبه	مغسول	بسيط	طفيل	٣: ١١٢
أقوم	حلال	وافر	طفيل	١: ٥٥
بكت	ولا العويل	وافر	حسان بن ثابت	١: ١٧٨
فخر	صقيل	وافر	ابن عنمة الضبى	١: ١٨٥
له حق	الجميل	وافر	عائذ الكلب	٢: ١٠٣
حقيبة	ذءول	وافر	ابن عنمة	٢:
ضربت	المنزل	كامل	الفرزدق	١: ٢٧
إنا سألنا	الأول	كامل	أبو محلم السعدى	١: ٢٨٥
ولقد رأيت	فضل	كامل	المسيب بن علس	٢: ٥٩
ودع	قيل	كامل	جرير	٢: ٩٢
إن كان	جميل	كامل	جرير	٢: ٩٢
إن الذى	وأطول	كامل	الفرزدق	٢: ٢٢٧
فخرت	أفضل	كامل	ملك بن نويرة	٢: ٢٢٧
أما الهجاء	جليل	كامل	دعبل	٣: ٥٨
لسنا	نتكل	سريع	عبدالله بن معاوية	١: ١٣٢
ما فرق	الإبل	مجزوءالسريع	أبو الشيص	٢: ٢١٢
إن يكن	أجل	خفيف	صالح بن القدوس	٢: ٦
تذكرتها	والحال	طويل	الشماخ	١: ١١
ولما	الحجل	طويل	جرير	١: ٢٤
كذبت	الحالى	طويل	امرؤ القيس	١: ٥٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا يالقومى	باطلى	طويل	الأحوص	١ : ٧٠
وتعطو	إسحل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٧١
لعل	البلابل	طويل	ذو الرمة	١ :
لقد علمت	خذول	طويل	الأجدع	١ : ٩٨
إذا صدمتنى	ولا يخلى	طويل	الأجدع	١ : ١٠٦
يسود	نوفل	طويل	الأجدع	١ : ١٠٧
فأتت به	الهوجل	طويل	أبو كبير الهذلى	١ : ١١٠
فعن	المذبل	طويل	امرؤ القيس	١ : ١٣٠
وحتى	لوائل	طويل	أبو خراش الهذلى	١ :
فقلت	الآل	طويل	الشماخ	١ : ١٦٤
قفا	وحومل	طويل	امرؤ القيس	١ : ١٩٩
تقول	فأنزل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢١٩
ولم أر	للرذل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢٤٩
فجال	ذيال	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢٨٦
أعياش	فاصطل	طويل	جرير	١ : ٢٩١
أفاطم	آجل	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٥
لضن	السلاسل	طويل	نصر بن حجاج	٢ : ١٣٠
إذا نظر	العصل	طويل	الفرزدق	٢ : ١٤١
فتى	خليل	طويل	زياد الأعجم	٢ : ١٦٨
سوى	الجوازل	طويل	ذو الرمة	٢ : ١٦٩
وقد رابنى	جمل	طويل	ذو الرمة	٢ : ٢٢٣
ترى	ولا ذيل	طويل	جرير	٢ : ٢٢٥
ولست	بسئول	طويل	كعب بن سعد الغنوى	٢ : ٢٢٩
كأن فقاح	وائل	طويل	كعب بن سعد الغنوى	٣ :
كأن قلوب	البالى	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥
إذا ماالثريا	المفصل	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فتوضح	وشمال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٤٥
لعمرى	بالأصائل	طويل	أبو ذؤيب	٣: ٥٤
كأن الثريا	جندل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٦٧
فيالك	بيذبل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٦٨
كأن أبانا	مزمل	طويل	امرؤ القيس	٣:
أتوعدنى	أغوال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٧٢
أريد	سبيل	طويل	كثير	٣: ٧٣
غدت	مجهل	طويل	مزاحم العقيلى	٣: ٧٤
وقد أغتدى	هيكل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٨١
كأن فجاعج	حابل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٩٨
أرى	الحبائل	طويل	ذو الرمة	٣: ٩٩
فلما تنازعنا	ميال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٢١٤
ألست	عقيل	طويل	العلاء بن مطرف	٣: ٢٥٥
مازالت	وصول	طويل	عبيدة بن هلال	٣: ٢٩١
لعمرى	ثقيل	طويل	عقيل بن علفه	٤: ٢٦
فلو كان	بقتيل	طويل	الخنوت	٤: ٥٩
جميل	الرحل	طويل	متمتم	٤: ٦٧
إذا الأمر	بمعزل	طويل	متمتم	٤: ١٠٤
أملى	أملى	مديد	العباس بن الفرج	٢: ١٢
قالوا	أشبالى	بسيط	جرير	١: ١٧٨
لطلحة	هطال	بسيط	أبو محلم السعدى	١: ٢٨٥
إنى	الحبل	بسيط	أبو محلم السعدى	١: ٢٩٣
وتاجر	أحمالى	بسيط	قيس بن عاصم	٢: ١٣٤
كأنه عاشق	مرتحل	بسيط	الأخطل	٣: ٣٨
تركت	الجمل	بسيط	الأخطل	٣: ٢٦٥
ومحتضر	طوال	وافر	الأخطل	١: ٥٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا لله	والخيول	وافر	عمارة	١ : ١٣٥
وقد علمت	نزال	وافر	زيد الخيل	١ : ١٦٩/ ٢ : ٥٣
هواء	كالخيال	وافر	الأعلم الهذلى	١ : ٢٦٢
فمالك	بالرحال	وافر	مسكين الدرامى	١ : ٢٦٣
رأيت	الموالى	وافر	جرير	٢ : ٥٧
ألا عتبت	الطوال	وافر	السليك بن السلكة	٢ : ٧٩
وأسلم	السبال	وافر	زيد الخيل	٢ : ٩٤
رأت	الهلال	وافر	جرير	٢ : ١٠٥
فإن تصلى	لا أبالى	وافر	الأحوص	٢ : ١١٦
أهمام	الرجال	وافر	ابنه همام بن مرة	٣ : ٥
لقد تبلت	التولى	الوافر	ابنه همام بن مرة	٣ : ١٢٠
لقد زاد	بلال	الوافر	عمران بن حطان	٣ : ١٢٤
حياتك	والمعالى	الوافر	مسلم	٤ : ١٠٣
قتل	تحلل	كامل	جرير	١ : ١٠٧
ممن حملن	محلل	كامل	أبو كبير الهذلى	١ : ١١٣
وإذا افتقرت	الأعمال	كامل	خليل بن أحمد أو الأخطل	٢ : ٣٤
وأن امرؤ	بالنصل	كامل	عنترة	٢ : ٩١
لعن الإله	بلال	كامل	أبو خراش	٢ : ١٣٥
إذا لا أبادر	الأول	كامل	عنترة	٢ : ١٥٠
لو أنّ	المنزل	كامل	عنترة	٣ : ٧
قوم	مجهل	كامل	عنترة	٣ : ١١
ولا يبادر	جعال	كامل	عنترة	٣ : ٥٧
أنا ذو عرفت	العدال	كامل	أبو تمام	٣ : ١٦١
أخلاج	كالتمثال	كامل	ابن المنجب	٣ : ٢٧٥
ليت الحرائر	الأحبال	كامل	المعنق	٣ : ٢٨٠
أنى أرقت	على	كامل	جرير	٤ : ٥٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تمرون	حرام	وافر	جرير	١ : ٣٣
عوى	انتقام	وافر	جرير	١ : ٩٤
ولست	طعام	وافر	النابغة أو أوس	١ : ١٣٠
ونرفع	أليم	وافر	ذو الرمة	١ : ١٦٢
فبات	الظلام	وافر	ذو الرمة	١ : ١٨٨
فأصبح	هشام	وافر	ذو الرمة	٢ : ١٠٦
اتنسى	البشام	وافر	جرير	٢ : ١٩٣
ألبان	حرام	كامل	جرير	١ : ٥٣
وقفوا	ماهم	كامل	ابن أذينة	١ : ٢٣٥
أضحت	كلوم	كامل	العتبى	٢ : ٣٣
كالبيض	نعيم	كامل	العتبى	٣ : ٤١
لحقت	المعتم	كامل	العتبى	٢ : ٥٤
وعلى عدوك	والإظلام	كامل	أشجع السلمى	٢ : ٧٥
سبط	قيام	كامل	أبو نواس	٣ : ١٠٢
إن الذين	المحرم	كامل	أبو نواس	٢ : ٢٠٥
أبنى عقيل	أكرم	كامل	أبو نواس	٣ : ١٥٩
إن العراق	فسلموا	كامل	أبو نواس	٣ : ٢٢٥
سبط	قيام	كامل	أبو نواس	٤ : ٤٢
يأتيك	يوم	منسرح	أبو نواس	٣ : ١١٢
واضح	عميم	خفيف	ابن الرقيات	١ : ٢٣٥
صدروا	وسيم	خفيف	ابن الرقيات	٢ : ١٢٧
كنت	معلوم	خفيف	يحيى بن نوفل	٢ : ١٣٣
بلد	الظلوم	خفيف	ابن الرقيات	٣ : ١٩٤
فهل	دارم	طويل	جرير	١ : ٢٨
هو القين	الأداهم	طويل	جرير	١ : ٤٧
وإن دما	سالم	طويل	أبو حية	١ : ٦٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سقتها	الملاغم	طويل	الفرزدق	١: ٦٤
ودار	معصم	طويل	زهير	١: ٧٢
تعالوا	الأكارم	طويل	جرير	١: ٧٩
بكرن	الفم	طويل	زهير	١: ٨٩/٣: ٦٧
ألم ترنى	ومقام	طويل	الفرزدق	١: ١٠٢
لقد لمتنا	بنائم	طويل	جرير	١: ١١٣، ١٧٧
ومنا الذى	الجماجم	طويل	الفرزدق	١: ١١٨
وأخزاكم	البراجم	طويل	جرير	١: ١٣٩
على الراحتين	قيامى	طويل	عمرو بن قميئة	١:
بفى الشامتين	الضراغم	طويل	الفرزدق	١: ١٨٠
تحضض	الأراقم	طويل	جرير	١: ١٨٣/٢/ ٦٠
فلما تصافنا	الجراصم	طويل	الفرزدق	١: ١٨٨
أمرتك	هاشم	طويل	عمرو بن العاص	١: ٢١٢
معاوى	نائم	طويل	عبدالله بن هاشم	١: ٢١٢
جزى الله	المتضاجم	طويل	الأخطل	١: ٢٢٣
أحب	معجم	طويل	ذو الرمة	١: ٢٣٤/٢: ٢١٥
ولا خير	بالمآثم	طويل	جرير	٢: ٣
لعمرى	الأكارم	طويل	جرير	٢: ٥٦
ما تركت	لأم	طويل	إبراهيم بن النعمان	٢: ٥٦
أنانى	قائم	طويل	الفرزدق	٢: ٥٩
أباهل	بالمظالم	طويل	جرير	٢: ٦٠
وتشرق	الدم	طويل	الأعشى	٢: ١٠٥
مشين	النواسم	طويل	ذو الرمة	٢: ١٠٥
تغطى	العمائم	طويل	ذو الرمة	٢: ١٣١
لشتان	حلتم	طويل	ربيعة الرقى	٢: ١٦٤
ألاتنتهى	بالدم	طويل	جابر بن حتى	٢: ١٧٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تواصت	الكلوم	وافر	جرير	١ : ٢٤
إذا	الطعام	وافر	جرير	١ :
تقول	المنيم	وافر	جرير	١ : ٧١
ألم يك	العظام	وافر	الفرزدق	١ : ١٠٠
نهانى	الكرام	وافر	ابن هرمة	١ : ١٩٤
سفيه	الحليم	وافر	أبو تمام	٢ : ١٩
إذا قالت	حذام	وافر	أبو تمام	٢ : ٥٤
فإنك	الغرام	وافر	ابن غلفان الهجيمى	٢ : ٦٠
ولكنا	كوم	وافر	ابن غلفان الهجيمى	٢ : ٩٦
وأنت	كريم	وافر	جرير	٢ : ١٠٣
ذرينى	هشام	وافر	جرير	٢ : ١٠٦
إذا جئت	الرحيم	وافر	أبو دلامة	٢ : ١٣٤
جزى	الأثام	وافر	أبو دلامة	٣ : ٢٤
مررت	والنظيم	وافر	جرير	٣ : ١٢٠
وتنزل	الصميم	وافر	جرير	٣ : ١٣٠
إذا ما كنت	تميم	وافر	جرير	٣ : ١٣٠
دعى القوم	الصميم	وافر	نهار بن توسعة اليشكرى	٣ : ١٣٣
فدى	حميم	وافر	الخنساء	٤ : ٤٩
جادت	كالدرهم	كامل	عنترة	١ : ٩
يخبرك	المغنم	كامل	عنترة	١ : ٢٧
بطل	بتوءم	كامل	عنترة	١ : ٧٩
لولا الحياء	القاسم	كامل	ابن الرقاع العاملى	١ : ١٢٢
إن تشتما	قشعم	كامل	عنترة العبسى	١ : ١٣٧
قتل	الأقوام	كامل	مهلهل بن ربيعة	١ : ٢١٨
لو غيركم	العوام	كامل	جرير	١ : ٢٢٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أمن	من	متقارب	عبد الصمد بن المعذل	٢ : ٧
وأمتعت	أزن	متقارب	الأعشى	٢ : ٩٧
إنا بنى نهشل	يشرينا	بسيط	بشامة بن حزم	١ : ٩٥
كأن حاديها	جوبا	بسيط	جرير	١ :
إن العيون	قتلانا	بسيط	جرير	١ : ٢٢٦
وحبذا	أحيانا	بسيط	جرير	٣ : ٤٤
هبت	حورانا	بسيط	جرير	٣ : ٥٠
ياضربة	رضوانا	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٥
إنى	المحلينا	بسيط	السيد الحميرى	٣ : ١٧٤
مهلا	مدفونا	بسيط	الفضل بن العناس	٤ : ٣٩
لو كان	يعنونا	بسيط	الفضل بن العناس	٤ : ٦٧
وضعن	جنينا	وافر	عمرو بن أحمر	١ : ٣٥
متى تلق	الداعينا	وافر	عمرو بن أحمر	١ : ٥٠
فمن تكن	يرانا	وافر	القطامى	١ : ٥٥
إذا ضيقت	هانا	وافر	القطامى	١ : ٢٦٨
وما إن	آخرينا	وافر	فروة بن مسيك	١ :
ولا تصلى	مسنكينا	وافر	ابن أحمر	٢ : ٨٩
تنحى	العالمينا	وافر	الحطيئة	٢ : ١١١
ألاهبى	الأندرينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٢ : ١٨٥
بجو	الحنينا	وافر	ابن أحمر	٣ : ٤٦
فأما الأزد	المزونا	وافر	الكميت	٣ : ٢٣٨
وكنا	فينا	وافر	أم العريان	٣ : ١٧٨
فلما أصبحوا	مسومينا	وافر	عيسى بن فاتك	٣ :
ألا يامن	المزونا	وافر	عيسى بن فاتك	٣ : ٢٣٨
خرجت	ياسمينا	وافر	عيسى بن فاتك	٣ : ٢٤٦
قتلنا	المؤمنينا	وافر	دعبل	٤ : ٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
يامن لشيخ	ألوانا	كامل	دعبل	١ : ١٦٤
ماللمنازل	فبلينا	كامل	جرير	٢ : ٤٤
إن الذين	معينا	كامل	جرير	٢ : ١٩٤
وترى	عصينا	كامل	جرير	٣ : ١٧
إن الذى	فينا	كامل	جرير	٣ : ١١٩
لكن	عنى	كامل	الأسعر الجعفى	٣ : ٢٨٤
إن أولاد	فينا	مجزوءالرمل	الأسعر الجعفى	٢ : ٩٤
يا خير	وغضبانا	منسرح	أبو عبدالرحمن العتبى	٣ :
فإذا	العيونا	خفيف	أبو نواس	٣ : ٣٧
إن شرخ	جنوبا	خفيف	حسان بن ثابت	٣ : ٨٥
ليت	فيرانا	خفيف	معن بن المغيرة	٣ : ٢٨٣
فذاك	المسلمينا	متقارب	معن بن المغيرة	١ : ٢٥
أرى الشام	كارهينا	متقارب	كعب بن جعيل	١ : ٢٥٨
دعأ	ماتحذرونا	طويل	النجاشى	١ : ٢٦١
فلا	ظنين	طويل	عبد الرحمن بن حسان	١ : ١٦
خليل	معين	طويل	بشارين برد	٢ : ٣
إذا جاوز	قمين	طويل	جميل بن عبالله	٢ : ٢٣١
ألا إنما	تلين	طويل	كثير	٣ : ٨٥
مضى	عثمان	طويل	كثير	٣ : ٢٢٢
سمين	سمين	طويل	كثير	٤ : ٦
ألا إنما	قطينها	طويل	جرير	١ : ٢١٦
واعلم	تدان	بسيط	يزيد بن الصعق الكلابى	١ : ٢٥٩
لما رأوا	عدن	بسيط	أبو المشمرج اليشكرى	٢ : ٦٤
لله بكر	حضن	بسيط	النعمان بن المنذر	٢ : ٦٤
من كان	قمن	بسيط	الحارث بن خالد المخزومى	٢ : ٢٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
منهم	الردفان	كامل	جرير	٤ : ٦٨
أنى أحاجيك	بالغبن	منسرح	عمرو بن زعبل	٢ : ٢٤
لا تعدم	السمن	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٤
قد قيل	الزمن	منسرح	إبراهيم السواق	٢ : ٢٥
حيثما	الأزمان	منسرح	إبراهيم السواق	١ : ٢٣١
صاح	جيرون	منسرح	عبد الرحمن بن حسان	١ : ٢٣٦
أيها المنكح	يلتقيان	منسرح	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٧٤
لم يطيقوا	الأسنان	منسرح	دعبل	٣ : ١١٨
عللانى	تسقيان	منسرح	الحسن بن وهب الحارثى	٣ : ١٦١

(الهاء)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إذا ورد	فشفاها	طويل	ليلى الأخيلية	١ : ٢٤٢
حتى أنخت	وحافيها	بسيط	ليلى الأخيلية	١ : ٢٧١
أما ابن	حاديها	بسيط	ليلى الأخيلية	٢ : ١٣٩
نفسى	يكفيها	بسيط	أبو العتاهية	٢ : ٢٢٢
هجانى	مناحيها	بسيط	جرير	٢ : ١٩
إلى أوس	قضاها	وافر	بشير بن أبى خازم	١ : ١٨٧
إذا رضيت	رضاها	وافر	الححيفى العقيلى	٢ : ١٤١ ٣ : ٧٤
حمدتك	كراها	وافر	أبو تمام	٣ : ٩٤
يرى	لمحاها	وافر	أبو تمام	٣ : ٢١٦
مامن يد	مولاها	كامل	أبو نواس	٢ : ٥
ويل	مثواه	سريع	محمد بن بشير	٢ : ١٣
إنا بنى	وناديها	منسرح	عمرو بن الأهتم	١ : ٣٠٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الواو)		
وكم موطن	منهوى	طويل	يزيد بن الحكم الثقفى	٣: ٢٤٧
		(الياء)		
لا تسألن	إليه	كامل	أبو العتاهية	٢: ١٢٥
أليس	يديه	متقارب	محمود الوراق	٢: ١٢٨
وإن الألى	التآسيا	طويل	سليمان بن قتة	١: ١٦
وأوقف	ماضيا	طويل	سلمة بن عياش	١: ٧٥، ١٠٦
ألم تر	ماليا	طويل	الفرزدق	١: ٧٥
قلائص	غواليا	طويل	الراعى	١: ١٣٦
أروح	تقاضيا	طويل	الراعى	١: ١٤٠
وعاذلة	مابيا	طويل	صخر بن عمرو	١: ١٥٤/ ٤: ٤٨
وأوقف	ماضيا	طويل	صخر بن عمرو	١: ١٦٦
رأيت	بداليا	طويل	عبدالله بن معاوية	١: ١٧٢
ألا حى	اللياليا	طويل	أبو حية النميرى	١: ١٧٦
فأصبحت	عانيا	طويل	المجنون	١: ٢٣٣
وأخرج	خاليا	طويل	المجنون	١: ٢٣٤
حلفت	العواليا	طويل	عنترة بن شداد	١: ٢٤٦
تقول	وغاديا	طويل	ذو الرمة	٢: ٤٢
فما وجدونا	مواليا	طويل	عنترة	٢: ٤٧
لم أر	كاسيا	طويل	القلاخ بن حزن	٢: ٥٦
تجاوزت	عنانيا	طويل	يحيى بن أبى حفصة	٢: ٥٦
أقاتلى	فؤاديا	طويل	سوار بن المضرب	٢: ٧٧/ ٣: ٢٦١
إذاعرضوا	ماهيا	طويل	جرير	٢: ٩٢
وإنى لأستحيى	ليا	طويل	جرير	٢: ١٠٢، ١٤٩
عميرة	ناهيا	طويل	عبد بنى الحساس	٢: ١٦٧
وراهن	المكاويا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ٩٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إذا ما وترنا	البواكيا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ١١٨
ما كان أغنى	حاميا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ١٣٩
وجفن	البواكيا	طويل	الفرزدق	٤: ٢٣
دعا	داعيا	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٥
طوتك	وطيا	وافر	أبو العتاهية	٢: ٩
أحب	والوصيا	وافر	أبو الأسود	٣: ١٥١
فر	قطريا	خفيف	الحارث بن خالد المحرومى	٣: ٢٥٦
لا يغرنك	دويا	خفيف	سديف	٤: ٧
دعوتك	عليا	وافر	أبو عبدالرحمن العتبى	٤: ٧٨
فإذا جالسته	الحاشية	رمل	دعبل	٣: ١١٤
وكيىء	كمى	وافر	دعبل	٣: ٢٣١
ألا لهف	قصى	وافر	دعبل	٤: ٢٧
أرى أمة	الأصبحى	متقارب	الصلت العبدى	١:

«الألف المقصورة»

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إذا القوم	الفنى	طويل	متمم بن نويرة	١: ٩٧
لكن قعيدة	غنى	كامل	متمم بن نويرة	١: ٢٠٨
وكم من	منى	طويل	عمر بن ابى ربيعة	٢: ١٧٢
إذا خرجت	ترى	متقارب	حميد بن ثور	٣: ٣٥
لعمرى	هوى	طويل	حميد بن ثور	٤: ٢٩
فأومأت	فى	طويل	حميد بن ثور	٤: ٣٧
لعمرى	بالفتى	طويل	متمم	٤:

٨- فهرس الأرجاز

٩- فهرس أنصاف الأبيات

١٠ - فهرس الأعلام

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(س)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(هـ)

١١ - فهرس الأمم والأرهاط والفرق والقبائل

(٢١)

١٢- فهرست أسماء البلاد والأماكن

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(غ)

١٣- فهرس الأيام

١٤ – فهرس الكتب فى الكتاب وزياداته